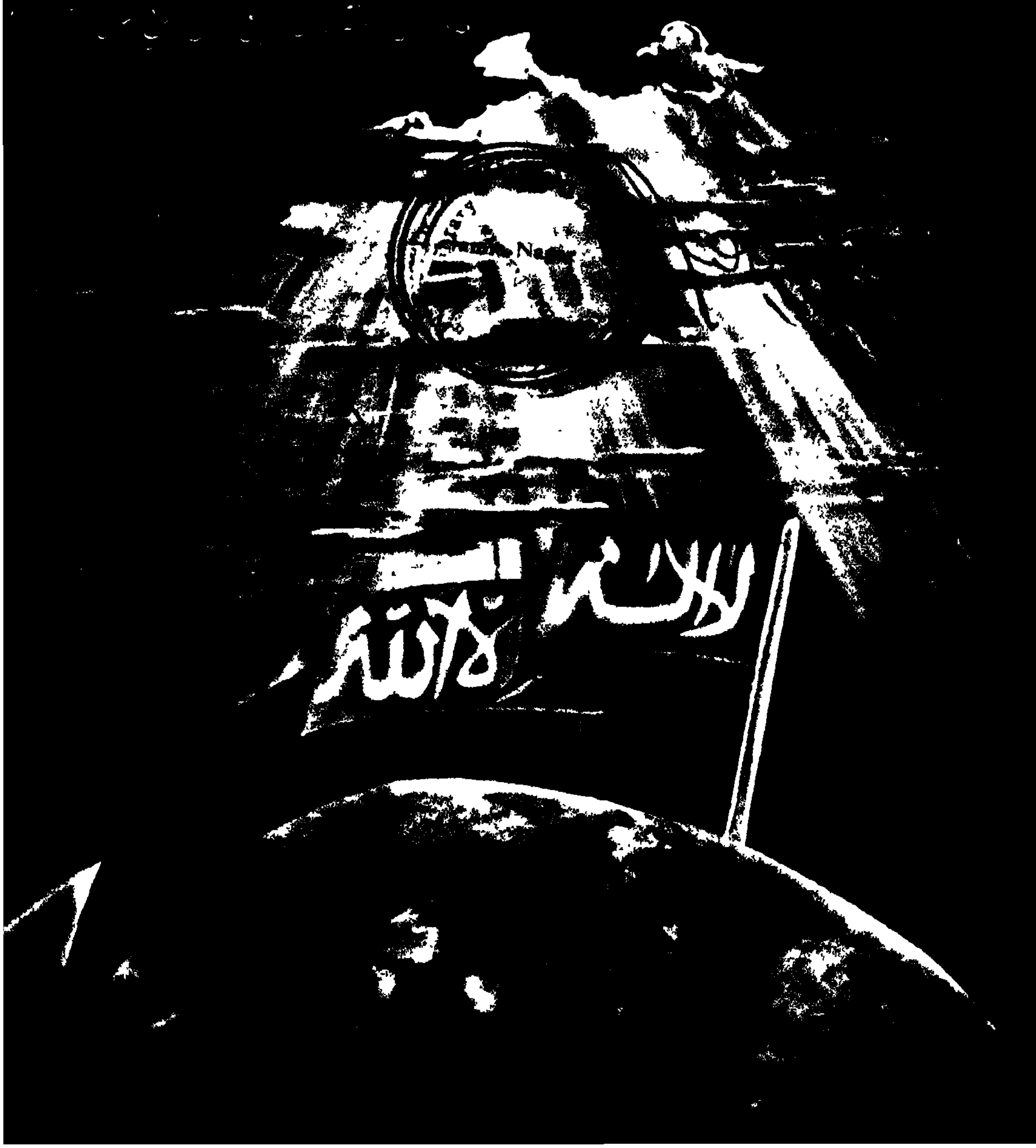
التوحید



مجلة

التوحيد

اسلامية ـ فكرية ـ جامعة

تصدر كل شهرين مره

العدد الاول ـ السنة الاولى ربيع الأول، ربيع الثاني ١٤٠٣هـ

* تُعنىٰ بالفكر الاسلامي المعمق،
والكلمة الهادفة الصادقة،
وكل مايهم الأمة من رؤىً وسلوك بناء.

وتفتح صدرها،
لكل المفكرين الاسلاميين،
خدمة لقضية التوحيد الكبرىٰ،
وتركيزاً لخصائص الأمة الاسلامية الواحدة،
ونشراً لاضواء الثورة الاسلامية،
في كل ارجاء الوجود.

بعيداً عن
كل تعصب ذميم،
وتفريق بين المسلمين لا تحمد عقباه،
ولغوٍ من القول لاطائل فيه.

يصدرها:

قسم العلاقات الدولية في منظمة الاعلام الاسلامي
طهران ـ ص.ب. ٢٧٨٢
الجمهورية الاسلامية الايرانية

محتويات العدد

لماذا هذه المجلة ؟

قراءنا الاعزة ؛

لنا في كل عدد من (التوحيد) معكم وقفة سريعة في هذا الحمل نطرح فيها فكرة جامعة ، او موضوعاً قابلا للبحث ، او حتى مقترحاً يرد علينا من قارئ عزيز ؛

الا ان علينا في هذا اللقاء ـ و بطبيعة الحال ان نعرض الدافع نحو اصدار مثل هذه المجلة فما هو؟

ان منظمة الاعلام الاسلامي ـ قسم العلاقات الدولية ـ من خلال المهمة التي ـ يحملها و يعمل على الوفاء بها ، وعبر سبره لما ينشر في الساحة الاسلامية في ايران من صحف و مجلات بالعربية ـ و هي كثيرة و الحمدلله ومشكورة على جهودها الرسالية ـ، رأى ان الساحة تكاد تخلو من مجلة بحوث فكرية معمقة تعنى قبل كل شئ بالجانب الفكري الايديولوجي ، وتتحمل عبء نشر هذه البحوث و ان طال البحث الى عشرات الصفحات مما يعود بنتيجتين :

احداهما : ان الفكرة ستقدم كاملة ـ مهما امكن ـ مما يحقق الغرض في الجو المناسب و ربما كانت التعبيرات مضغوطة ضغطاً علمياً اصطلاحياً .

والثانية : ان قراءنا سوف ينحصرون في طبقة خاصة تقريباً وهم اولئك المفكرون والباحثون و طلاب الفكرة العلمية الصابرون عليها ، المواصلون سبيلهم معها حتى النتيجة المطلوبة .

و على اي حال ؛

فان ملاحظة الكثير من المجالات التي يمكن للفكرة المعمقة حول الاسلام (عقيدة ونظاماً و حضارة) ان تملأ الفراغ فيها توضح لنا مدى الحاجة لامثال (التوحيد) .

اننا يجب ان نرفع من مقياس هذه النهضة الاسلامية العالمية التي كانت الثورة الاسلامية بقيادة **الفقيه الولي الشجاع الزاهد الامام الخميني** أعظم العوامل الموجدة لها ـ وهذا لا يتم الا بنشر العنصرين الاساسين المقومين لكل نهضة تاريخية و هما (الوعي) و (الحماس الثوري) .

و اننا بمقتضى مهامنا الاسلامية ـ وبغض النظر عن الوضع الحالي مكلفون بايصال الفكرة الاسلامية الاصيلة الى كل المسلمين ولو من قنال غير مباشر و نقصد به مخاطبة العلماء ليخاطبوا الأمة .

كما اننا نشعر ان شعوب الارض اليوم قد يئست من النظم المادية ـ اوكادت ـ نتيجة ماجرته عليها هذه النظم من و يلات و مآسي فلم تترك لها خياراً يخلصها من الظلم و يضمن لها كرامتها في نفس الوقت و هوما وفره الاسلام بكل قوة و واقعية .

ان العالم اليوم يتطلع للا طروحة البديلة القادرة على تنمية الجانب الانساني فيه بعد ان طغت الحيوانية فسلخته عن ذاته .

كما اننا اذا لاحظنا الى حنب ذلك ما يقدم اليوم على المائدة الفكرية من تصورات معادية للانسانية و الاسلام او من عرض مريض سطحي للتصور الاسلامي الاصيل و ذلك من قبل :

رجال الفكر الخليط الملتقط من الاسلام و غيره ،

أو مبشري الفكر الرجعي الميت ،

أو حملة الفكر المهادن للانحراف أو المبرر له ،

أو مرتزقة الفكر العميل ،

اذا لاحظنا كل ذلك ادركنا ان مجلة فكرية مثل (التوحيد) يمكنها ان تساهم الى الحد الممكن في سد بعض هذه الجوعة الفكرية .

اننا اذ نقدم هذه المجلة الى قراءنا الكرام لنرجو منهم ان يتفضلوا بالصدر الرحب ويشاركوا في نشاطاتها و ينفدوا مسيرتها بكل قوة وايجابية .

كمالا يفوتنا ان نذكر بان صدورها اقترن بذكرى ولادة الرسول الاعظم خاتم الانبياء و رسول التوحيد محمد (ص) واسبوع الوحدة الذي اعلنه **الفقيه الكبير آية الله العظمى المنتظري** بهذه المناسبة ليكون داعياً و عاملاً على وحدة الامة الاسلامية و هي من اول خصائص الامة الموحدة ...

و اننا لنتوقع كل الخير من هذا التقارن بين (التوحيد) و (الوحدة) و هما يعبران عن أهم بعدين من الخصائص المذكورة و هما : البعد العقائدي ، و البعد الترابطي .

و ختاماً نرجو المولى العلي القدير ان يمن علينا بالتسديد والتوفيق .

ـ هيئة التحرير ـ

تفسير القرآن الكريم

احساساً بضرورة وجود تفسير للقرآن الكريم، يحمل عناصر الايجاز والعمق والوضوح، بالاضافة الى طرح البعد الاجتماعي للمفاهيم القرآنية، فقد قام كل من الشيخ محمد علي التسخيري والشيخ محمد سعيد النعماني بهذه المهمة التي نسأل الله تعالىٰ التوفيق لاكمالها.

(سورة الفاتحة): وهي السبع المثاني واساس القرآن، لما تحويه من كليات العقيدة الاسلامية حول مبدأ الكون والانسان و منتهى مسيرته و نوعية الطريق الى الكمال و فيها توجيه للعبد في كيفية مخاطبته لله.

بسم الله: بسم الله يبتدئ كل شئ، و منه ينطلق الخلق. فهو مملوك له و مستند اليه يمده بالبقاء ولاكان أبتر ــ كما ورد ــ و بهذا تعطي اول لبنة لبناء التصور الاسلامي، فترتبط الكون بالحق تعالى، و تنتفي كل الالهة الوهمية و ("الله") هو اللفظ المستجمع لكل الصفات الكمالية.

الرحمن الرحيم: المنعم بنعمة وافرة شاملة للجميع دائمة لا تنفك عنه، وان الرحمة هي احد المبادئ الكبرى للتصور الاسلامي عن العالم.

والبسملة جزء من هذه السورة، و من كل سورة قرآنية كما عن اهل البيت(ع) وغيرهم.

(الحمدلله): الثناء المتواصل له، والالف واللام للجنس، فالحمد المطلق لله، يلجأ اليه الانسان بمجرد تصوره لرحمته وهو اما بملاحظة كماله تعالى، او بالنظر الى نعمه، او بالرغبة والرهبة.

(رب العالمين): الرب المالك والسيد والمربي. ولا يطلق على غيره تعالى الا مضافا كرب الدار. و بهذا تنتفي كل الربوبيات المصطنعة. **(العالمين):** و يمكن ان يراد بها كل عوالم المخلوقات، كما يمكن ان يعني اصناف الانسان.

و تربية الله للانسان، تكوينية باعطائه مواد التكامل من غرائز و عقل و غيرها، وتشريعية بهدايته الى النظم التي تسيّر حياته. و المربيّ بالخلق، والتكوين، هو المربي بالتشريع والتنظيم لاغير.

(الرحمن الرحيم): بيان لمنشأ اختصاص الحمد به، واسباغ لجو الرحمة على عملية التربية.

(مالك يوم الدين): الدين: الجزاء والحساب. وفي هذا تأكيد على حقيقة المنتهى حيث يقوم الناس لرب العالمين. ولهذا التصور الموسع للحياة، أثره في مجال حمل المسؤولية والترغيب والترهيب والتوفيق بين المصالح الذاتية والاجتماعية.

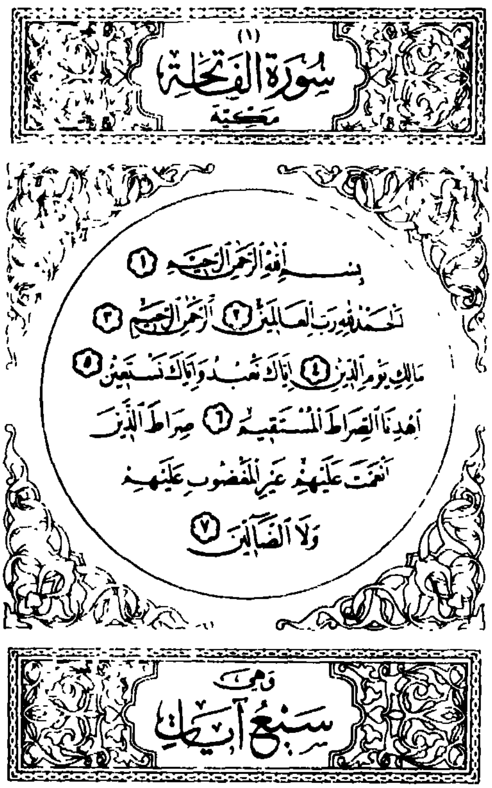
(اياك نعبد واياك نستعين): حيث نتحرر من كل العبوديات الزائفة، ونعبدك وحدك ولانستعين سواك. وتغير الاسلوب الى الخطاب تأكيد على الحضور الحقيقي للمعبود لدى العابد. والعبادة الشاملة لكل نواحي الحياة والاستعانة بالله تمنح الانسان طاقة واطمئنانا كبيرين بعد ان كان هو الغني القادر على كل شيء. و لاينافي ذلك الخضوع والطاعة للمخلوق والاستعانة به بأمر منه تعالى.

(اهدنا الصراط المستقيم): صراط الايمان بالله والتكامل، وهو الاسلام المتمثل في تعاليم القرآن، ومنهج الرسول(ص)، واهل بيته(ع).

(صراط الذين انعمت عليهم): من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

(غير المغضوب عليهم ولاالضالين): اما المغضوب عليهم فهم كل من عرف الحق وعانده ومنهم اليهود. واما الضالون، فهم الذين تاهوا عن الحق و منهم النصارى.

والطريق، طريقان: طريق الاسلام، و طريق الانحراف باصرار أو ضلال و بهذا كانت هذه السورة خلاصة المفاهيم القرآنية.



(الم): من الحروف المقطعة التي ذكرت في اوائل بعض السور، واختلف فيها على وجوه منها: انها لمجرد تنبيه السامع الى ما بعدها، اوللاشارة الى ان القرآن مؤلف منها ومن امثالها ولكنه يتحدى الانس والجن على أن يأتوا بمثله، و يؤيده ذكر القرآن بعد هذه الحروف والتأكيد على صفته الخالدة، اوهي رموز بين الله والرسول تناسب مضامين السور وربما مبانيها والفاظها، ولعل التدبر في السور المشتركة بحروف متشابهة تؤكد ذلك، و توقف البعض فيها، و جعلها الآخرون من المتشابه

(ذلك الكتاب لاريب فيه): اشارة الى وعد الله لرسوله بانزال الكتاب الهادي للبشر الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهو يعلو ولايعلى عليه، لانه الحق والهدى فلاريب للمنصفين في مضامينه

(هدى للمتقين): فهو يهدي كل الناس للتي هي أقوم، وانما حصر الهداية بالمتقين لاستعدادهم لتقبل الرشد الصلال والإهتداء الى الحقيقة ممايشكل استعداداً اللذكر وتقبل هداية القرآنية التي يريدهم هدى، وبشخصية هامة يذكر عليها القرآن في مواضع عديدة، فالذين يتقون آثار الضلال يؤمنون بالقرآن لانه لاريب فيه فيقودهم نحو السعادة الدائمة.

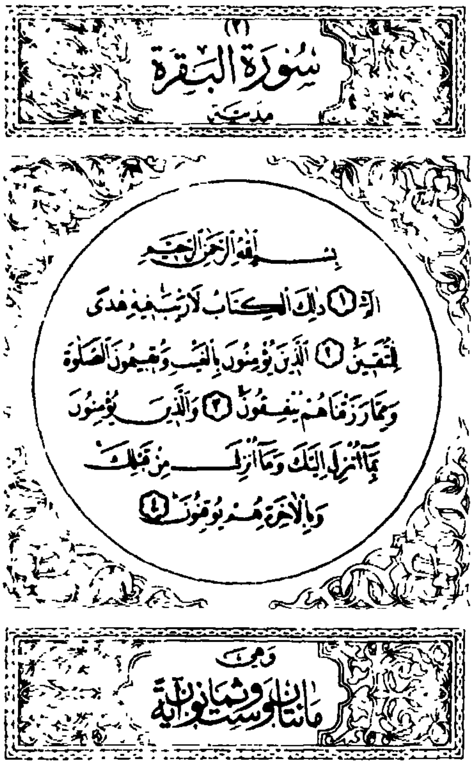
(الذين يؤمنون بالغيب): الصفة الاولى للمتقين هي الغيب بعد الم اوسع من عالم الحس، والتعلق بالله الحق سبحانه، والايمان بالوحي والآخرة وامثالها، وذلك عن وعي ودليل، مما يحقق للانسان انسانيته، ويلقي آثاراً كبرى على حياته، ويمده من اوهده المادية الى السمو المعنوي والكمال

(ويقيمون الصلاة): والصفة الثانية لهم، هي اقامة الصلاة، واداؤها اداء كاملا والخروج بها من مجرد حركات وطقوس الى استيحاء مداليلها الربوية في الشعور والعمل وتحقيق الصلة بين العبد وخالقه.

(ومما رزقناهم ينفقون): اما صفتهم الثالثة، فهي الانفاق من عطاءالله، اذ رزقهم المال والعلم والحياة، فراحوايشكرون ذلك بالانفاق لتقوى الروابط الانسانية، وتسد الثغرات الاجتماعية. ولاريب في ان الانفاق يعبر عن تقوى خالصة وايمان بالغيب عميق، وقيام بالواجب الانساني وحتى التكويني، حيث نجد الانفاق صفة عامة للموجودات.

(والدين يؤمنون بما انزل اليک و ما أنزلَ مِن قبلک): أي يصدقون بالقرآن العظيم و مفاهيمه و تشريعاته، و يصدقون بكل الكتب السماوية السابقة كما انزلها الله، و هذه الصفة الرابعة تشعر بوحدة المسيرة المؤمنة، مما يمنح المؤمن شعورا كبيرا بانه وارث خط النبوات عبرالتاريخ.

(وبالآخرة هم يوقنون): أي يعتقدون اعتقاداً دقيقاً في الأعماق. وهنا تأتي الوحدة بعد الآخرة الذي يشكل المرحلة التي للحياة الانسانية الهادفة، وليس شيء لا ينسجم مع حياته بعد المؤمن عن الذنوب. و ... يصبح ... قطعي من ... و من هذه الصفات المرتفعة ...



سورة البقرة

أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ
أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ
مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾
يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا
يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ
هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا
آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ
السُّفَهَاءُ وَلَٰكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا
آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ

(إن الذين كفروا): و هؤلاء يمعون في ضلال المعمى اذ لايبلغون هداية القرآن، و يساوى لديهم الإنذار و عدمه، بعد أن أعماهم العناد المتناهي، و اورثهم حاجزا حاجبا للقلوب عن نفوذ الايمان، و للسمع عن نداء الحق، و للإبصار عن رؤية آيات الله الساطعة ●

(ومن الناس من يقول..): و هذه هي الطائفة الثالثة الملعنة التي تشكل نموذجاً للمنافقين عبر العصور، فهم يحاولون التقنع بقناع الايمان لضرب الايمان والمؤمنين، محدثين من ايمانهم جنة، و محاولين بذلك خداع الله والتمويه على الرسول والمؤمنين —جهلا منهم و غباء— وهم لايخدعون الا انفسهم التي سيصيبها عاقبة السوء.

وفي هذا تثبيت لقلوب المؤمنين، و كشف لخطط المنافقين، و اضعاف لقواهم واجهاض لآمالهم

(في قلوبهم مرض...): و التكبر و الشك يتردد في قلوبهم، و يستفحل و يشتد كلما استمرحوا النفاق، حيث يتحول النور الهادي فيه الى ظلام دامس. كما تشتد وطأة هذا المرض كلما عظم الله شأن النبي (ص)، وانتصرت رايات الاسلام فهم في مرض واَلم بالاضافة الى ماسيلقونه من العذاب الأليم لتكذيبهم بالحق

(واذا قيل لهم لا تفسدوا...): وهذه صفة اخرى لهم اذ يلبسون لباس الاصلاح والنماء وهم في الواقع مفسدون في الارض يبعدون الناس عن هدى القرآن، و يمرقون القوى باسم تجميعها واصلاحها

(واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس): اى اتبعوا سبل العقلاء من الناس.

(قالوا: أنؤمن كما آمن السفهاء...): اى الذين اضاعوا رشدهم و طاشت عقولهم و هي صفة اخرى تعرض تحجرهم المقيت وتعاليهم الزائف على من عداهم، بما سوّلت لهم انفسهم، فوصموا الواعين بالسفاهة وهم احدر بها لسلوكهم المشين، وتعاملهم المخاتل مع المسلمين واعدائهم ظانين ذلك فطنة ودهاء وما هو الا الخسة والدناءة والجهل المعقد والتخبط

(واذا لقوا الذين آمنوا قالوا. آمنا...): فالمنافقون يظهرون بوجوههم، و يتكلمون بلسانين. يقولون للمؤمنين. آمنا. فاذا **انفردوا** بشياطينهم الذين يوحون لهم و يحركونهم —وهم اليهود غالبا— قالوا نحن معكم و على عقيدتكم، و ما تعاطفنا مع المسلمين الا إستهزاء بهم.

(الله يستهزىء بهم...): يفسح المجال لهم كي يمضوا و يترددوا في طغيانهم فتزداد مساوئهم و تنكشف خططهم على الملأ فلايجدوا الا الخسران وفوز المؤمنين الذين يستندون الى الله فيمدهم بالنصر بعد ان يصيب عدوهم بالبوار.

(اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى...): الذي فطروا عليه والاسلام الذي جاءهم ليسعدهم.

(فما ربحت تجارتهم...): حيث فشلوا في هذه العملية فلاهم انتفعوا بعطاء الدين، ولاهم استطاعوا ايقاف مسيرته الصاعدة، و هنا يذكر القرآن لهؤلاء مثلين، اولهما:

(مثلهم كمثل الذى استوقد...): فهم كمن عمل على ايقاد نار يستضيء بها، فلما أضاءت جاءتها ريح فاطفأتها فراح يتخبط في غياهب الظلام، وهكذا حال المنافقين، اذ انهم سلكوا طرقا يحاولون بها الاستفادة من خير المؤمنين و تحقيق مقاصدهم تحت ظل الايمان، الا ان الوحي يكشف خططهم فيمزق القناع الواهي و يطفىء الضوء الموهوم، واذاهم لايسمعون نداء، و لايقدرون على نطق، ولايبصرون سبيلا للخلاص. و عاقبة هذا انهم لايرجعون الى مأمن الهدى بعد أن تمزق جمعهم و ضاعوا في تيه الضلال.

او ان هؤلاء استوقدوا نار الاسلام ليستفيدوا منها دون أن يقوموا بواجبهم تجاهه، فذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات جزاء اعراضهم.

وهذا المثل ينطبق على الامم التي اعتنقت الاسلام ولكنها ترددت بين شريعته والنظم الوضعية الاخرى فابتليت بظلام الانحطاط.

(أوكصيب من السماء...): و مثلهم الثاني: الانسان الحائر الذي تمطره السماء بشدة، و يغطيه الظلام الحالك، وتقصفه الرعود والبروق فلايجد من ذلك الا ان يلجأ ببساطة الى وضع اصابعه في اذانه ليحتمي من غضب الله المحيط به، و ربما حاول ان يستضيء بالبرق الخاطف ليمشي خطوات ثم يفاجئه الظلام مرة اخرى فيقف مترددا حائرا، ولوشاء الله لافقده السمع والبصر من الاساس فهو القدير على كل شيء.

والمنافقون عبر هذا المثل حيارى يمطر بهم مطر الاسلام فلايصيبهم منه الا العقبات والانذار والجهاد القوي ضد خططهم فمايتركهم في قلق شديد لايمكنهم التخلص منه بالستر الكاذب، وربما حاولوا أن يستفيدوا من نور الاسلام و سماحته شيئا ليمدوا خططهم ولكنها لحظات ثم يعود الظلام والحيرة القاتلة. تلك هي حال المنافقين ولوشاء الله لسلبهم كل مايملكون من قدرة على اى شيء.

(يا ايها الناس اعبدوا...): و بعد الاشارة الى الاصناف الثلاثة، دعا الله الناس جميعا الى الانضمام تحت لواء المؤمنين بعبادة الله الواحد الخالق لهم والذين من قبلهم، واقامة حياتهم على اساس توجيهاته وحده، اذ هوالذى انعم عليهم بعد الخلق بأن هيأ لهم

كل الظواهر التي تيسر لهم حياتهم من ارض ممهدة كالفراش، وسماء تمطر من ماء منساب، و منه يحيى كل شيء، و تنبت منه لهم مواد الحياة... ان هذا التناسق في الكون يكشف عن الخالق المنظم الواحد لكل ذي عقل و فطرة سليمة فلا معنى لجعل الانداد والشركاء له تعالى.

الجزء الأول

مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ
يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا ٱلضَّلَالَةَ بِٱلْهُدَىٰ
فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ
ٱلَّذِي ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ
وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ
لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ
وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَاعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ
وَٱللَّهُ مُحِيطٌ بِٱلْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ
كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ
لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾
يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن
قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَاشًا
وَٱلسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ ٱلثَّمَرَاتِ

(وان كنتم في ريب...) تعلن هذه الآية التحدى الاسلامي للجميع في أن يأتوا بمثل هذا القرآن، لتثبت لهم انه معجزة فوق طاقة الانس والجن، و تؤكد صدق النبي والاطمئنان بما يأتي به من عقائد وتشريعات. وقد عجز العرب وهم فرسان البيان امام التحدي فلجأوا للعنف وتركوا المعارضة البيانية.

وهناك جوانب اضافية للاعجاز البياني ... جوانب اعجازية اخرى في القرآن، كأخباره بالغيب، ومنها ما تؤكده هذه الآية من عدم قدرتهم على الاتيان، وكذكره للحقائق العلمية التي اكتشف الانسان بعضها بعد زمن طويل، وكاشتماله على اروع نظام متكامل للحياة يفوق كل ما عداه بما يستحيل ان يحيطه ... بشر.

ويمتاز الاعجاز القرآني عن سائر المعاجز بانه لا يمكن ان ينفصل عن جانب الهداية ... والقرآن معجزة هادية تربي الايمان في النفس تربية متأنية ... معجزة معنوية خالدة.

واذا لاحظنا جوانب الاعجاز القرآني ... لوضحت ... الموحي والموحى له (عبده)، ووعينا ... الاختلاص ... بطلان نظرية لايحاء النفسي وان القرآن ... العبقرية للنبي.

(فاتقوا النار التي...): ... يؤكد هول النار كما يؤكد كون الكافرين ... بعد ان لم يعملوا مواهبهم العقلية.

(وبشر الذين آمنوا...) هذا ... في سلوكهم ... لهم النعم ... من جنات تجري من تحتها الأنهار، وثمار يرزقون بهم ... فوق ... وهي متشابهة جودة ولذة، وازواج مطهرة تجمع ... وخلود في النعيم. وهو أعظم أمر محرك بصورة ... للمؤمنين العاملين، وتعجز عن تصوره ... المادية.

(ان الله...) ضرب الله من قبل مثلين ... كان من ... الاسلام ... واستهانة بالتمثيل، فجاءت الآية تؤكد على ان الله لايرى بعضا في ضرب اي مثل يؤدي غرضا حقا، سواء كان بعوضة او ما هو اكبر منها بعد ان كانت المخلوقات جميعا ... العقول بصنعة الله التي ... المؤمنون حتى علموا انه الحق من ربهم. اما الجاحدون ... في حيرة ... عن الهدف ... القرآن عليهم ... هذا التمثيل يؤدي الى هداية الكثيرين. اما الذين يضلون به فهم الذين جرّوا بنفسهم الى الفسق وهو الخروج عن الاستقامة المقوّمة فطريا بارتباطها بالله و ... .

(الذين ينقضون...): والفاسقون ... نقضوا العهد الالهي والمواثيق التكوينية التي اخذها عليهم عندما غرس في وجودهم العقل والدوافع الفطرية للسير نحوه وطاعته فقطعوا بذلك الصلة بينهم وبينه تعالى، كما قطعوا الصلة بما أمر الله به أن يوصل، من قرآن يوجه حياتهم —وهو الثقل الاكبر— وقيادة معصومة يشدون اليها بالحب والطاعة —وهي قيادة النبي (ص) واهل بيته (ع)— وهم

الشغل الاصغر— وارحام تحوي الاواصر الاجتماعية وغيرها، ومن الواضح ان الذي يعيش حالة التمزق هذه سوف يخسر كل شيء.

سُورَةُ البَقَرَةِ

رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ
فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا
شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا
وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ
أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ
رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا
أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ
مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ
مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا
مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ
﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ
مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ

الخاسرون ﴿٢٧﴾ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم
ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون ﴿٢٨﴾ هو الذي
خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن
سبع سماوات وهو بكل شيء عليم ﴿٢٩﴾ وإذ قال ربك
للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد
فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال
إني أعلم ما لا تعلمون ﴿٣٠﴾ وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم
على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين
﴿٣١﴾ قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم
الحكيم ﴿٣٢﴾ قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم
بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم
ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴿٣٣﴾ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ﴿٣٤﴾

(كيف تكفرون بالله...) استنكار للكفر بالله رغم كل الآيات الدالة عليه، ومنها ظاهرة **(الحياة)** و **(الموت)** التي يعايشونها و يدركون أن لكل من الحالتين خصائص مختلفة، والانسان يمر بها دون أن يستطيع بإرادته تجاهلهما، مما يعبر عن محكوميته لقدرة علية خالقه و قدرته و سوف تعيده إليها لتحاسبه على مسيرته. و هذه الآية قد تشير الى المراحل الثلاث. (مرحلة الحياة الدنيا - الحياة البرزخية - الموت - البرزخ - القيامة)

(خلق لكم...): إشارة الى الظواهر المحسوسة الكثيرة التي تجده الانسان حوله في الأرض، مما يعبر عن العناية الإلهية، و عن الكرامة للانسان التي تجعله سيدا حاكما لا محكوما للمادة

(اذ قال ربك للملائكة...): تعرض هذه الآية وما بعدها حوار بين الله تعالى والملائكة فيه عن جعل الخليفة في الأرض، فتساءلوا عن سر ذلك مع علمهم بأن هذا المخلوق مفسد سفاك للدماء، وهذا الموجود الارضي المكون من عقل وعاطفة وغرائز تجرّ الى الفساد فلماذا يجعل خليفة مع وجودهم الذين يقدسون الله ويسبحونه، فأتى الجواب الإلهي بأنه يعلم ما لا يعلمون من مؤهلات هذا المخلوق لحمل الخلافة من العلوم والإبداع والإرادة التي قد توصله إلى ما هو أسمى من درجات الملائكة بكثير

(وعلم آدم الاسماء كلها...): حدث آخر مع الملائكة يؤكد لهم علمه اللامحدود من جهة، ويدلل على استعداد الانسان لعلم ما يستكشف ويشاهدونه من جهة أخرى، ويعلّمه الله آدم سر الخلق و مخلوقاته و موجوداته أسماءه ومسمياته، ثم يعرضهم على الملائكة فيقفون عاجزين عن معرفتها، ويسبحون الله بأنه تعالى فهو العليم الحكيم، فطلب الله تعالى من آدم أن ينبئهم بأسمائهم، فلما أنبأهم بذلك جاء التأكيد الإلهي على علمه اللامحدود والذي يستوي لديه الظاهر والباطن.

(واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم...): أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم تكريما له ولما في صلبه من نور الأنبياء والأوصياء(ع)، تعظيما واحتراما لفضله، فجاء التسليم الكامل من الملائكة في حين تجلت المعصية والجهل في ابليس الذي كان يعتبرهم وليس منهم، فكان النموذج الأعلى للكافرين و مضادهما: ان الانسان يملك قدرة على ارتياد المجاهل ولا يحتفظ بعد ذلك الا اذا اعمل هذه القدرة، وهو بذلك يحصل على مقام كريم تؤمر الملائكة بالسجود له وكل ذلك في اطار من التسليم الكامل لله ورفض اسلوب الشيطان المتكبر المعاند للحق.

و هذا التسليم الكامل يتم بطاعة الله كما يجب أن يطاع، ولو كان السجود لانسان، مادام ذلك بأمره تعالى، فلا يعني ريب في محال طاعة القادة المعصومين وحبهم و زيارة قبورهم بعد أن كان ذلك مرضياً لله و تعظيما و طاعة له تعالى.

المكاسب المحرمة

للامام الخميني

نـقـدم في مايلي بحثاً علمياً مركزاً من خلال الابحاث الضخمة النى تفضل والقاها الامام القائد خلال سنوات طوال على تلامدته العلماء فاثرى بها المدرسة الفقهية الاسلامية ايما إثراء... وقد آثرنا نشرها حسب التعبيرات العلمية التي طرحت بها. ادام الله عمرامامنا القائد العظيم و حقق له وللامه الاسلامية كل الاهداف الكبرى. ومن الجدير بالذكر ان هذا البحث قد القي حوالي ـ عام ١٣٨٠ هـ .

بحث فقهي معمق حول:

(حرمة الكذب)

اختلفوا فى ماهية الصدق والكذب، والمشهور أنّ الاول مطابقة الخبر للواقع والثاني مخالفته له.

وقد يقال: ان الاول مطابقة الحكم للواقع، والثاني مخالفته له، وانّ رجوع الصدق والكذب الى الحكم اوّلا و بالذات، والى الخبر ثانيا و بالواسطة قال به «التفتازانى»، وهذا بوحه؟

نظير قول من قال: انّ الالفاظ موضوعة للمعانى المرادة، ان كان مراد «التفتازاني» بالحكم، الادراك الذهني، والحكم النفسي. وستجيء الاحتمالات في كلامة.

اقول: لاشبهة في انّ الكلام بنفسه ـ مع قطع النظر عن صدوره من متكلم مريد، دال على المعنى، فلو نقشت بواسطة الحوادث الكونية: كلمة **«السماء فوقنا»** و **«السماء تحتنا»** فلايمكن ان يقال: انا لانفهم منهما شيئا اصلا، او هما لا يحكيان عن مدلولهما، او يقال: ان المدلول منهما شئ واحد، او انّ مدلولهما ليس موافقا ولامخالفا للواقع، فعليه تكون الجملة الاولى صادقة و الثانية كاذنه.

و توهم ان ما يحكيان عنه ليس بنحو الدلالة، بل بنحو الخطور لأنس الذهن: خلاف الوجدان وهو اصدق شاهد على عدم الفرق في الدلالة بين الكلام الصادر من متكلم شاعر و بين الصادر من غيره، فيبطل القول بأن الالفاظ موضوعة للمعاني المرادة، او الوضع عبارة عن التعهد بارادة المعنى من اللفظ، او ان الدلالة عبارة عن ابراز ما في الضمير وما فيه حاك عن الواقع. مضافا الى ان الكلام الصادر من المتكلم لايحكى الا عن

الواقع، ونفس الامر مسمما من غير دلالة على المعاني الذهنية وصورها، وهو وحداني جداً. فيكون الصدق والكذب من صفات الخبر اوّلا و بالذات، وانما يتصف المتكلم بكونه صادقا او كاذبا لاجل اخباره، فلا محالة تكون سعة اتصافه بالصادق و الكاذب تابعة لاخباره، لعدم امكان ان يكون الخبر صادقا وقد اخبر به المتكلم، و مع ذلك لا يكون صادقا و كذا في الكذب.

لكن ترى في العرف و العادة، عدم اطلاق «الكاذب» على الخاطئ و المشتبه. فلا يقال لمن صنّف كتابا مشتملا على احكام اجتهادية مخالفة للواقع: انه كاذب، ولا لمن اخبر بعطاء شيء لم يرد غداً فمنعه مانع عنه: انه كذب وان كان معذوراً. و بالجملة ان العرف يطلقون على مثله الخطأ والاشتباه اونحوهما، ولايقال: انه كاذب او كذب فلان، ولازم ذلك ان تكون امثال ذلك خارجة عن الصدق والكذب بالمعنى المصدري، وان لم تخرج عن احدهما بمعنى حاصل المصدر، اي نفس الكلام.

و يظهر من المنجد دخالة الاعتقاد فيه قال: كذب ضد صدق: اخبر عن الشيء بخلاف ما هو مع العلم به.

ثم ان ما ذكرناه غير مقالة «النظّام» فانه لم يفرق بين الكلام و المتكلم ، اي بين الصدق والكذب و بين الصادق و الكاذب، بل الظاهر عدم التزام احد به.

و يمكن ان يقال: ان عدم انتساب الكذب المفتي بالاحكام المخالفة للواقع و كذا غيره المخبر بمقالة كاذبة مع اعتقاده صدقها و امثال ذلك : انما نشأ من ادب العشرة و احتراز الناس عن استعمال لفظ يشعر با لذم او يدل عليه او انتسابه الى غيره و لو مع ارادة خلاف ظاهره واقامة قرينة عليه. و لظاهر من قوله كذب فلان، او هو كاذب في مقالته، انه كذب عمداً، و لا اقل من اشعاره بذلك ، و هو نحو اهانة طرف او خلاف ادب. بل قد يكون سلب انتساب بعض القبائح موجبا للهتك و الاهانة فيحترز الناس عنه، فان في السلب ايضا اشعاراً بالذم فلا يقال للرجل الشريف: انه ليس بسارق و لازان.

فعدم انتساب الكذب، للاحتراز عن الاهانة، و لهذا نرى احترازهم عن ذلك مختلفا باختلاف عظمة الطرف. فاستعمال الخطأ والاشتباه ونحوهما مكانه وشياع الاستعمال فصار منشأ لتوهم عدم الصدق و الا فلا ينبغي الاشكال في صدق «الكاذب» على من اخبر بكلام مخالف للواقع. وانما يختص ما ذكرناه بالكلام والاقوال دون الافعال فيقال لمن شرب الخمر خطأ: انه شربها، و هكذا فلعله لكثرة الاطلاع بالاقوال المخالفة للواقع خطأ فان الكتب ملأى من ذلك ، فصارت كثرة استعمال الخطأ و نحوه منشأ لذلك بخلاف الاشتباه في الافعال، فان الابتلاء بها قليل في موارد الاستعمال «فتدبر».

ثم ان التفتازاني (١) فسر قول صاحب التلخيص: صدق الخبر مطابقته للواقع، بمطابقة حكمه، فلا يخلو مراده منه، اما الحكم النفساني و الادراك بأن هذا ذاك او غيره، او الادراك بوقوع النسبة أولاوقوعها. كما يؤيده قوله بعد ذلك في مقام الجواب عن الاشكال بان القضية المشكوك فيها ليست متصفة بصدق و لا كذب، لعدم الحكم فيها: ان الحكم بمعنى ادراك وقوع

---

(١) راجع المطوّل — ص ٣١ — ط عبدالرحيم.

النسبة أو لاوقوعها، وحكم الذهن بشيء من النفي و الاثبات و ان لم يتحقق، لكن اذا تلفظ بالجملة الخبرية مع الشك، بل مع القطع بالخلاف، فكلامه خبر لا محالة (انتهى ملخصا) يكون حاصل مراده ان ادراك النفس وحكمها بان هذا ذاك، وادراكها بوقوع النسبة او لاوقوعها متصف بالكذب اولا و بالذات؛ ولاجله يتصف الخبر به.

و فيه ما لايخفى، فان لازمه ان المخبر بقوله: السماء تحتنا، مع اعتقاده بانها فوقنا لا يكون صادقاً و لا كاذباً، و لا مقالته صدقا و لا كذبا، لان اعتقاده و ادراكه موافق للواقع، و اخباره مخالف له ولاعتقاده، فلايكون اخباره صادقا لمخالفته لهما ولا كاذبا لان موصوفية الكلام بالكذب على هذا المبنى ثانيا و بواسطة الادراك النفساني المخالف للواقع، و ليس الامر كذلك ههنا «فتدبر»

او كان مراده من الحكم ايقاع المتكلم وجعله الخبر للمسند و فيه ان هذا فعل المتكلم وليس محكي يطابقه اولا يطابقه.

او كان مراده منه النسبة الحكمية وهو مع كونه خلاف ظاهرهم مقدوح فيه. بان النسبة الحكمية التصورية ليس لها واقع محكي يطابقها ولا يطابقها، و التصديقية منها عين الخبر، فانه ليس الامايحكي عن كون هذا ذاك او هذا لذاك.

و لو كان مراده منه الحكم با لوقوع او اللاوقوع، يرد عليه مضافا الى ما تقدم: انّ الحكم الكذائي مجرداً عن متعلقه لايتصف بالصدق و الكذب بل لا تحقق له، و باعتبار متعلقه يتصف ثانيا بالعرض بهما لما عرفت من انّ الجملة الخبرية تدل على مفادها و لولم يصدر من متكلم شاعر، فالحكم بالوقوع و اللا وقوع لا دخالة له لا تصافها بهما.

ثم ان الظاهر أن الكذب لايسوم بالقول و اللفظ بمعنى كونه قولا خارجا من الفم معمداً على المخارج مخالفا مضمونه للواقع حتى لاتكون الاشارة و الكتابة، بل المبالغات والكنايات و المجازات كذبا، فان الاشارة والكتابة ليسا الفاظاً، بل الاولى فعل والثانية نقش حاك عن الواقع.

وفي المبالغات وتاليها لم تستعمل الالفاظ في المعاني التي يراد الاخبار بها جداً، وليست من قبيل استعمال اللفظ في غير ما وضع له حتى المجازات على ماهو المحقق من انها من قبيل الحقائق الادعائية. لا كماذكره السكاكي في الاستعارة، بل باستعمال اللفظ في معناه الموضوع له، وتطبيق المعنى على المراد الجدي ادعاء. ففي مثل «زيد اسد»، استعمل لفظ الاسد في معناه، وادعى أن زيداً مصداق لماهية الاسد. فعليه لايكون قوله ذلك مع عدم شجاعة زيد كذبا، اما بالنسبة الى المفاد الاستعمالي فلعدم تعلق الارادة الجدية به، وسيأتي اعتباره في الصدق والكذب لاالجد مقابل الهزل بل مقابل الاستعمال، و اما بالنسبة الى المعنى المراد اي الاخبار بالشجاعة فلعدم التلفظ به. واوضح منها الحال في الكنايات والمبالغات، ولامطلق الايصال الى خلاف الواقع و الافهام له والدلالة عليه حتى يكون مثل نصب علامة الفرسخ على مادونه للدلالة على الفرسخ، و اظهار الكلام جزما لافهام اعتقاده بمضمونه، و الاذان قبل دخول الوقت للاعلام بدخوله، والمشي على زيّ الاشراف و الاغنياء لاراءة خلاف ما هو عليه:

كذبا، و لازمه ان يكون في بعض الاحيان كذب واحد اكاذيب كثيرة. بل غير محصورة كمن اخبر بان اليوم الكذائي جمعة و كان سبتا، فانّ لازم كونه جمعة ان يكون بعده سبتا، و بعده احداً وهكذا وقبله خميسا وقبل قبله اربعاء وهكذا والالزام بها كما ترى.

بل الظاهر ان الكذب بالمعنى المصدرى عرفاً عبارة عن الاخبار المخالف للواقع. والاخبار لم ينحصر باللفظ و القول الخارج من الفم بل يشمل الكتابة و الاشارة ونحوهما عرفا كما يطلق على مافي الصحف والمجلات واليوميات و في مثل المجازات و تاليتيها يكون المتكلم مخبراً عن لازم كلامه لا عن مضمونه، فالقائل بان زيداً كثير الرماد اخبر عن سخائه، فلو لم يكن زيد شجاعا و لم يكن في كلامه تأول آخر يكون المخبر كاذبا و الخبر كذبا وكذافى النظائر. و في مثل جعل النصب دون الفراسخ اذالم يكتب عليها ان هذا رأس الفرسخ لم يكن مجرد الوضع اخباراً و كذبا عرفا، والمؤذن قبل الوقت لم يخبر بالوقت، والماشي على غير زيّه لم يخبر بشيء و لايقال انه اخبرني بكذا، و لوازم المخبر عنه ليست باخبار، بل الاخبار انما هو عن الملزوم و هي لوازم المخبر عنه.

وما ذكرناه هو الموافق لفهم العرف، فعليه ليس الاخبار او الخبر عبارة عن القول او اللفظ المحتمل للصدق والكذب بل اعم منه، و مما قام مقامه، لكن لا بنحويشمل مطلق ماله حكاية.

و لعل السرفيه ان الصدق و الكذب عبارة عن القاء الجملة الخبرية لافادة مضمونها اولافادة جملة اخرى فتندرج فيهما المجازات والمبالغات و الكنايات اذا اريد بها الاخبار، وكذاتدخل الكتابة و ان احتمل فيها مايأبى في الاشارة و هو ان الاشارة المستعملة مكان الجملة الاخبارية كالاشارة(بنعم) و (لا) في جواب هل زيد قائم؟ فالظاهر ان اطلاق الصدق و الكذب عليها باعتبار قيامها مقام القول عرفا بخلاف ساير الافعال الحاكية عن خلاف الواقع فانها ليست من مقولة الاخبار و الاقوال و لا نائبا منابها. بل لها دلالة مستقيمة على الواقع في مقابل الاخبار.

فاذان المؤذن قبل الوقت ليس بكذب، لان مقالته اي فصوله بما انها حاكية عن معانيها لا تحكي عن دخول الوقت لا مطابقه و لا التزاما، بل ايقاع هذا العمل كاشف عن دخول الوقت للتعارف و العادة. ففرق بين الاعمال القائمة مقام الاقوال وغيرها مما هي كاشفة عن واقع لزوماً.

و اما لوازم المخبر به في المثال المتقدم اي الاخبار بان هذا يوم السبت فلا يقال فيها: انه اخبر بامور غير محصورة لانه لم يخبر الاعن يوم السبت، و اللوازم المذكورة لوازم المخبرعنه الوحداني ففي قوله: زيد طويل النجاد، اخبار عن طول قامته او شجاعته، لا عن طول النجاد، بخلاف قوله: هذا يوم السبت فانه اخبار عن مضمونه، لا عن الايام الأخر.

ثم ان الكذب هل يتقوم على القاء الغير مضمون الجملة فلا يقال للجملة التي لامخاطب لها انها صدق او كذب، أولايتوقف الا على صدور الجملة المخالفة للواقع من المتكلم؟

يمكن ان يقال: ان الصدق و الكذب متفرعان على الحكاية عن الواقع، و الحكاية فرع

الدلالة او هي هي، و معنى الدلالة الفعلية على شيء كون الكلام هاديا و مرشداً الى الواقع أوالى مفاد الجملة المنطبق عليه، و الدلالة الفعلية بما انها من الامور الاضافة تحتاج الى الاطراف من الدال والمدلول والمدول عليه فلا يتصف الكلام بالدلالة الفعلية الا اذا كان عند المتكلم مخاطب مهدى بكلامه بالفعل الى مضمون الجملة الحاكية عن الواقع، ومع فقد المهدي بالفعل لا تكون الدلالة و الهداية فعلية، لان المضائفين متكافئان قوة و فعلا بل يكون الكلام دالا اقتضاء اي له اقتضاء الدلالة لافعليتها، و ليس المتكلم مهديا و هاديا باعتبار ين. لان كلامه ليس هاديا له الى الواقع اوالى مدلوله التصديقى.

و يؤيد ذلك ما قال المحقق الطوسي رحمه الله (١) بلفظه: دلالة اللفظ لما كانت وضعية كانت متعلقة بارادة المتلفظ الجارية على قانون الوضع، فما يتلفظ به و يراد به معنى ما، و يفهم عنه ذلك المعنى يقال: انه دال على ذلك المعنى، و قول شارح حكمة الاشراق(٢) فالدلالة الوضعية تتعلق بارادة اللافظ الجارية على قانون الوضع حتى انه لواطلق و ارادبه معنى و فهم منه لقيل انه دال عليه و ان فهم غيره فلايقال انه دل عليه.

و هما كما ترى ظاهران في ان الدلالة كما هي متوقفة على ارادة اللافظ، متوقفة على فهم المخاطب. فاذا لم يدل الكلام على مضمونه فعلا لا يعقل مطابقته للواقع و مخالفته، لكونهما متفرعتين على الحكاية و الدلالة، و مع فقدهما لايتصف الكلام بالصدق و الكذب، والمتكلم بالصادق و الكاذب بل لازم ذلك عدم الكذب في الاخبارالتي لا تفيد المخاطب فائدة خبرية كقوله: السماء تحتنا لمن يعلم مخالفه للواقع. فعبير فيه ان يكون الكلام دلا و هاديا بالفعل الى الواقع و مع العلم ليس كذلك.

و يمكن ان يناقش فيه بان الكذب ليس عبارة عن مخالفة مضمون الجملة بعد الدلالة بهذا المعنى الذي ظاهر كلام العلمين المتقدمين اي بعد ارادة المتكلم و فهم السامع، بل الصدق والكذب عبارة عن موافقة مضمونها و مخالفته للواقع فحينئذ يقال: ان جملة «السماء تحتنا والسماء فوقنا» لا محالة يكون لهما مضمون ومعنى، مع قطع النظر عن فهم السامع: و الالتزام ان لايفهم منهما معنى الا على وجه دائر، واذا كان لهما مضمون فلامحالة يكون معنى تصديقي لا تصوري و لازمه مخالفة الاولى للواقع دون الثانية و هما الصدق و الكذب، فاذا صدرتا من المتكلم بنحو الجد يتصف لا محالة بالصادق والكاذب والدلالة بالمعنى المتقدم غير دخيلة في صدق الكلام و المتكلم و كذبهما.

و لو سلمت دخالتها فيهما فيمكن ان يقال: ان الدلالة عبارة عن كون الشيء بحيث يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، فهذا المعنى التعليقي حقيقة الدلالة فلا تكون الدلالة اقتضائية وتعليقية، بل معناها عبارة عن امر تعليقي حاصل بالفعل، فالكلام بهذا المعنى دال بالفعل على معناه، لانه بحيث يلزم من فهمه فهم المعنى، وهوامر فعلي اى هذا الامر التعليقي حاصل

(١) راجع منطق شرح الاشارات — في شرح الاشارة — ٧

(٢) راجع هوامش اللئالي في المنطق — في مبحث الدلالات.

بالفعل.

و لعل مراد «العلمين» ليس ما يوهم ظاهر كلامهما، بل يكون مراد هما ان اللفظ اذا اطلق و اريد به المعنى بالارادة الاستعمالية و كان بحيث يفهم منه المعنى على قانون الوضع: كان دالا، فقوله: رأيت اسداً اذا اريد به الرجل الشجاع من غير قرينة: لايدل عليه؛ لعدم كونه مفهما للمعنى المقصود، بخلاف ما اذا عمل المتكلم بقانون الوضع و اقام القرينة فانه يدل على المعنى، و كذا الحال في مخالفة قانون الوضع لو اطلق اللفظ واراد المعنى الحقيقي لكن اقام قرينة المجاز، فعليه لايكون مرادهما ماذكرا تبعية الدلالة للارادة ولا تبعيتها لفهم المخاطب فعلا بوجه «تامل».

ثم ان ما ذكرناه اخيراً مفرعا على ما تقدم: غير وجيه، لان باب دلالة الالفاظ على معانيها غير باب مطابقة مضمون الكلام لنفس الامر، والثاني ليس من باب الدلالة في شيء وماهو من بابها عبارة عن احضار المعاني في ذهن المخاطب بالقاء الكلام، و هو حاصل في الاخبار الضروري الصدق اوالكذب.

و لو قلنا: بان الدلالة عبارة عن ارشاد المخاطب الى معاني الالفاظ: تكون في المقام حاصلة ايضا، فانها لا محالة تحضر المعاني في ذهن المخاطب، وكونها ضروريا غيرمربوطة بالدلالة.

ثم ان المبالغات و المجازات و الكنايات انما تتصف بالصدق و الكذب اذا اريد بها الاخبار عن واقع، و لو كان لازما لها دون ما اريد بها انشاء المدح و الذم، فانها لا تتصف بهما بالغة مابلغت. و فهم المعنى التصديقي عن الانشاء ليس بمخبر به نظير انشاء البيع الذي ينتقل الذهن منه الى كون البايع سلطانا عليه، وانشاء الزواج الدال على كون المرأة حليّة فلا تتصف لاجله بهما. و اما قضية جواز مدح من يستحق الذم او العكس فهي امر آخر.

ثم «ان التحقيق» ان الميزان في صدق المتكلم و كذبه استعمال الجملة الاخبارية في معنى موافق او مخالف للواقع فمع عدم الاستعمال فيه، او الاستعمال في معنى مخالف لظاهر الكلام المخالف للواقع، لم يكن كاذبا اذا كان المعنى المراد موافقا للواقع. فالمتلفظ بالفاظ مهملة لا يكون كاذبا اذا لم يستعملها في معنى، و كذا المتلفظ بالفاظ لا يعلم الا انها موضوعة او مهملة او لا يعلم مضمون الجملة مطلقا او لايعلم انها انشائية او اخبارية، كل ذلك بشرط عدم الاستعمال في خصوص معنى مخالف للواقع ولو غلطا و على خلاف قانون الوضع.

ولو علم انّ لها معنى كاذبا اجمالا من غير العلم بخصوص المعنى ولو اجمالا، فلا يبعد عدم الاتصاف به، و يحتمل الاتصاف اذا القي الكلام لافادة المعنى الواقعي، و لو علم ان مضمونها اما هذا او ذاك و كان احدهما موافقا والآخرمخالفا، فان القي الكلام بلا استعمال في المعنى الكاذب او في المعنى الواقعي لايكون كاذبا، والاّ فعلى الاول كاذب و على الثاني لو صادف المخالفة لايبعد ان يكون كاذبا.

و لو علم ان الجملة موضوعة لخصوص معنى غير موافق للواقع لكن لا يعرف معنى الفاظها بان لا يعلم أن في قوله: رأيت اسداً ايّ لفظ بمعنى الحيوان المفترس و ان علم ان مضمون الجملة مفيد لرؤيته، فحينئذ ان استعمل مجموع الجملة

في المعنى: يكون كاذبا مع عدم الموافقة، و ان لم يكن استعماله على قانون الوضع وكان نظيرأن يستعمل الاسد في رجل بلانصب قرينة و قال :رأيت اسداً و ارادز يداً و كان مخالفا للواقع: فانه كاذب بلحاظ هذا الاستعمال و ان كان صادقا بحسب ظاهر لفظه دال رأى اسداً وبالجملة الميزان في الكذب و الصدق مخالفة المعنى المستعمل فيه و موافقه للواقع، لا صحة الاستعمال.

هذا ان استعمل مجموع الجملة في المعنى بلالحاظ استعمال المفردات. و اما إن لاحظ استعمالها،فان استعمل خصوص بعض الالفاظ في خصوص بعض المعاني وان كان الاستعمال خطأينصف بالكاذب والصادق وان القى الكلام بلاارادة استعمال الفاظه في معانيه بل لغاية فهم المخاطب العارف بالمعنى لايكون كاذبا على اشكال و لو القى الكلام ليكون كل لفظ منه حاكيا عن معناه الواقعي فالظاهر الاتصاف إن اراد من الالفاظ معانيها الواقعية و ان لم يعرفها نظير الاستعمال في المعلوم بالاجمال اي واقعه المعلوم عند الله تعالى

و مما ذكر ناه من اعتبار الاستعمال في المعنى المخالف للواقع في الكذب لايبقى اشكال في عدم كون التور ية كذبا، ضرورة ان المورّي استعمل الجمل في المعاني الموافقة للواقع و لو على خلاف قانون الوضع ـ والمحاورات كاسعمال اللفظ المشترك في غير المعنى المسؤول عنه مثلا. فان قال في جواب قوله أزيد في الدار؟«ليس ز يد في الدار»مر يداً غير مافي السؤال،اوقال: «لس في الدار»مر يداً غيره ليس كاذبا، لان المستعمل فيه موافق للواقع فرضا، و الظاهر المخالف له غير مسعمل فيه،

بل لو استعمل الالفاظ في معانيها واراد بحسب الجد غيرها بنحو من الادعاء،لايكون كاذباو هو ظاهر، كما ان خلف الوعد ليس كذبا و هو معلوم، و كذا الوعد و لو مع اضمار عدم الانجاز لانه انشاء لااخبار. هذا حملة من الكلام في موضوعه.

و اما حكمه فحرمته في الجملة ضرور ية لا تحتاج الى اقامة الدليل عليها و ان كان في دعوى حكم العقل بها نظرفالاولى البحث عن خصوصيات اخر.

منها الظاهرأن الادلة منصرفة عن الكذب عند نفسه مع عدم مخاطب،بل الظاهر انصرافها عن التكلم به عند مخاطب لم يسمع الكلام لصممه،او لم يفهم معناه لعدم تمزه او جهله به فان المتكلم بالجملة الكاذبة عند المذكور ين ليس بمخبر،وان صدر منه الكذب. و المنع عنه باحتمال ان يكون مراد الشارع عن المنع عنه تنزه لسان المتكلم عن التفوه بالكذب: احتمال عقلي غير مناف لانصرافها. وفي الروايات اشعارات و تأييدات لذلك كقوله: **«الكاذب على شفا مخزاة وهلكة»**(١)، و قوله:**«من كثر كذبه ذهب بهائه»**(٢) و قوله: **«ان مما اعان الله به على الكذابين النسيان»**(٣)،و قوله:**«ان الكذاب يكذب حتى يجيء بالصدق فلايصدق»**(٤)، وقوله:**«الكذب يسوّد الوجه»**(د)، وقوله:**«اجتنبوا الكذب و ان رأيتم فيه النجاة**

---

(١)و(٢)و(٣)و(٤)الوسائل ـ كتاب الحج ـ الباب ١٣٨ ـ من ابواب احكام العشرة سيأتي البحث في سندها انشاء الله.

(د)المستدرك ـ كتاب الحج ـ الباب ١٢٠ من ابواب احكام العشرة.

فان فيه الهلكة»(١)الى غير ذلك

و هل يلحق بالخبر الكاذب مايفيد فائدته كالتورية والانشاء كما حكى الشيخ الانصارى[٢] عن بعض الاساطين: ان الكذب وان كان من صفات الخبر الا ان حكمه يجرى فى الانشاء المنبىء عنه كمدح المذموم، و ذمّ الممدوح، وتمنّى المكاره، و ترجي غير المتوقع (الخ)، وكالافعال المفيدة فائدته كتأوه السالم لافادة العلة، و تلبس الغنى لباس الفقير لافادة فقره، وتلبس الجاهل لباس العلماء لافادة كونه منهم، ونصب العلامة دون الفرسخ لإفادة كونها رأسه، ونصب الرايات والبيارق لإفادة اقامة العزاء مع مخالفتها للواقع، وامثال ذلك.

ففي الجواهر[٣] قد يقال: انه و ان كان من صفات الخبر لكن يجرى حكمه فى الانشاء المنبىء عنه مع قصد الافادة، واما الكذب فى الافعال فلايخلومن اشكال و التورية والهزل من غير قرينة داخلان فى اسمه او حكمه. (انتهى)

أولايلحق شيء منها به مطلقا، او يفصل بين الاخبار المفيدة فائدته كالتورية والهزل و غيرهما، او بين الكلام المفيد فائدته و غيره فلا تلحق به الافعال.

غاية ما يمكن الاستشهاد به لالحاق الجميع ان يقال: ان العرف مساعد لالقاء الخصوصية عن الكذب الى كل مايفيد فائدته، فانه عبارة عن حملة اخبارية منقومة بالفاظ و هيئة خاصة حاكية عن معنى تصديقى مخالف للواقع فاذا قيل: ان الكذب قبيح عقلا اوحرام شرعا، لايرى العقل والعرف قبحه و حرمته، متعلقين على الالفاظ الخاصة والهيئات المخصوصة والمعانى التصديقية، لابنحو تمام الموضوع ولاجزئه، سيما مع أن الظاهر ان تكون الحرمة شرعية بملاك القبح العقلى وان كان العقل لايحكم بالقبح المستلزم لصحة العقوبة لكن يدرك انه قبيح ومذموم، ولو اخلاقيا. وعدم حكم الشرع يرى انه بمناطه مع انه من الواضح لدى العقول ان لادخالة للالفاظ هيئة و مادة، و كذا للمعانى بما انها مستفادة من خصوص تلك الالفاظ فى القبح والمذمومية، بل يدرك ان الذم والقبح لارائة خلاف الواقع والقاء مايكون مخالفا له.

و على هذا كل كلام او فعل يفيد فائدته ملحق به اذا اوجده الفاعل لافادة خلاف الواقع كالتورية والهزل والانشاءات والافعال المفيدة خلاف الواقع.

لااقول: ان العلة هى الاغراء حتى يمنع ذلك بدعوى الاجماع على حرمة الكذب ولولم يوجبه.

بل اقول: ان تحريمه بملاك قبحه وهو موجود فيما يفيد فائدته، اواقول: ان العرف يرى أن الالفاظ ومعانيها التصديقية غير دخيلة فى موضوع الحكم ولو بنحو جزء الموضوع، وان تمام الموضوع للحرمة هو مايحكى عن خلاف الواقع بأي دال كان.

و يمكن تأييد المدعي او الاستشهاد له بماوردت فى التورية، وما يقتضى الجمع بينها كما روي عن الاحتجاج[٤] انه سئل الصادق

---

(١) المستدرك - كتاب الحج - باب ١٢٠ - من ابواب احكام العشرة.

(٢) في المسألة الثامنة عشرة - من النوع الرابع - في الكذب.

(٣) في النوع الرابع فيما هو محرم في نفسه مما يكتسب به - في حرمة الكذب تعمدا.

(٤) ص - ١٩٤ - مرسلة.

عليه السلام عن قول الله عزوجل في قصة ابراهيم عليه السلام، قال: «بل فعله كبير هم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون» «الاية ٦٣ الأنبياء» قال: ما فعل كبيرهم وماكذب ابراهيم عليه السلام قيل: وكيف ذلك؟فقال: انما قال ابراهيم: فاسئلوهم ان كانوا ينطقون، ان نطقوا فكبيرهم فعل، وان لم ينطقوا فلم يفعل كبيرهم شيئا، فما نطقوا وماكذب ابراهيم». ثم ذكر تورية يوسف عليه السلام وابراهيم عليه السلام في قضية اخرى، وكيفية المواراة فيها، و يظهر منها انهما ماكذبا موضوعا بل اخبرا تورية. والظاهر من عدة من الروايات انهما ارادا الاصلاح فلم يكن قولهما كذبا حكما.

كرواية الحسن الصيقل[1] «قال: قلت لأبي عبدالله الصادق(ع): انا قد روينا عن أبي جعفر عليه السلام في قول يوسف عليه السلام: «ايتها العير أنكم لسارقون» «يوسف: ٧٠» فقال: والله ماسرقوا وماكذب وقال ابراهيم عليه السلام بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون فقال: والله مافعلوا وماكذب قال: فقال ابو عبدالله عليه السلام: ماعندكم فيها يا صيقل؟ قال: قلت: ماعندنا فيها الاّ التسليم قال: فقال: ان الله تعالى احب اثنين و ابغض اثنين احب الخطر[2] فيمابين الصفين واحب الكذب في الاصلاح وابغض الخطرفي الطرقات وابغض الكذب في غيراصلاح ان ابراهيم انما قال: بل فعله كبيرهم هذا، اراد الاصلاح ودلالة على انهم لايفعلون وقال يوسف عليه السلام إراد الاصلاح».

و رواية عطاءعن أبي عبدالله عليه السلام[3] «قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لاكذب على مصلح، ثم تلا: «ايتها العيرانكم لسارقون» ثم قال: «والله ماسرقوا وماكذب»، ثم تلا: بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون، ثم قال: «والله مافعلوه وماكذب».

و يمكن الجمع بان يقال: ان المنفى في رواية الاحتجاج موضوع الكذب كما هو صريحها، وفي الروايتين ومابمعناهما حكم الكذب فيكون المراد أنّ التورية محكومة بحكم الكذب اذا لم تكن للاصلاح، ومع كونها له ليست بكذب، اى حكما ايضاً كما ليست به موضوعا. و يؤيده مادلت على ان المصلح ليس بكذاب كما في صحيحة معٰوية بن عمار[4].

و عن كتاب الاخوان[5] بسنده عن الرضا عليه السلام «قال: ان الرجل ليصدق على اخيه فيناله عنت من صدقه فيكون كذابا عند الله، و ان الرجل يكذب على اخيه، يريد به نفعه، فيكون عند الله صادقاً».

و عن ابي عبد الله الصادق[6] «قال: الكلام ثلاثة: صدق، وكذب، واصلاح بين الناس». و بالجملة مقتضى الجمع بين رواية الاحتجاج و غيرها ان التورية لا تجوز الاّ مع ارادة الاصلاح و في مورده مع امكانها تجب او ترجح فتستفاد من مجموع الروايات عدم جواز التورية الاّ في مورد الاستثناء و ليس ذلك الاّ لاجل الحاق الصدق

---

(١) الوسائل - كتاب الحج - الباب ١٤١ - من ابواب احكام العشرة - مجهولة بالصيقل.

(٢) الخطر: التبختر في المشى.

(٣) الوسائل - كتاب الحج - الباب ١٤١ - من ابواب احكام العشرة - مجهولة بمعمر بن عمرو وعطاء.

(٤)و(٥)و(٦) الوسائل - كتاب الحج - الباب ١٤١ - من ابواب احكام العشرة - الثالثة مرسلة.

المفيد فائدة الكذب والموجب لافادة خلاف الواقع بالكذب، فيتعدى الى الانشاء المفيد فائدته، بل الافعال اذا افادت فائدته.

و يمكن تأييد ذلك برواية ابي بصير[1] البي قديفال: انها موثقة «قال: قيل لابي جعفر الباقر عليه السلام وانا عنده: ان سالم بن ابي حفصة واصحابه يروون عنك انك تكلم على سبعين وجهاً لك منها مخرج فقال: مايريد سالم مني؟ ايريد ان اجيء بالملائكة والله ماجاءت بها النبيون، ولقد قال ابراهيم عليه السلام: اني سقيم، وماكان سقيما وماكذب، ولقد قال ابراهيم عليه السلام: بل فعله كبيرهم هذا، ومافعله وماكذب، ولقد قال يوسف عليه السلام: ايتها العير انكم لسارقون، والله ماكانوا سارقين وماكذب».

فان الظاهر أن سالما اراد الايراد على أبي جعفر عليه السلام بانه يورّي في الكلام و يأتيه على وجوه ليمكن له المفرّ عند الايراد عليه فاجاب عنه بانه لابأس به في مورد تقتضي المصلحة كما فعل ابراهيم و يوسف عليهما السلام.

لكن الاظهر ان الرواية بصدد دفع الاشكال عن اصل التورية فيظهر منها ان قول ابراهيم عليه السلام و يوسف عليه السلام من قبيل التورية، فيكون مفادها نحو مفاد رواية الاحتجاج. فتحصل مما مر أن مقتضى رواية الاحتجاج و ابي بصير، كون كلام ابراهيم و يوسف عليهما السلام تورية، و مقتضى الروايات المتقدمة انهما ارادا الاصلاح فما كذبا، و مقتضى المجموع أن التورية كذب في وعاء التشريع، ولها مصداقان، محبوب و مبغوض، و انما سماها كذبا، لادعاء كونها ذلك.

و يؤيد ماذكرناه بل يدل عليه ماوردت في استثناء عدة الرجل اهله اذا لايريد ان يتم لهم من الكذب، كرواية عيسى بن حسان[2] «قال: سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: كل كذب مسؤول عنه صاحبه يوما الاكذبا في ثلاثة: رجل كايد في حروبه فهو موضوع عنه، او رجل اصلح بين اثنين يلقى هذا بغير ما يلقى به هذا يريد بذلك الاصلاح مابينهما، او رجل وعد اهله شيئا و هو لايريد ان يتم لهم».

و رواية المحاربي[3] عن جعفر بن محمد عليه السلام عن آبائه(ع) عن النبي صلى الله عليه وآله «قال ثلاثة يحسن فيهن الكذب: المكيدة في الحرب، وعدتك زوجتك والاصلاح بين الناس»، وفي رواية الحارث الأعور[4] «و لايعدن احدكم صبيه ثم لايفي له، ان الكذب يهدي الى الفجور، والفجور يهدي الى النار» (الخ).

بان يقال: ان حقيقة الوعد و الوعيد ليست اخباراً عن واقع يطابقه، اولا يطابقه بل تعهد و تهديد وان كانا على نحو الاخبار والقاء الجملة الخبرية، نظير الجعل بنحو الأخبار في باب الجعالة: فاذا قال: من ردّ ضالتي اعطيه كذا، ليس اخباراً بل انشاء بصورة الاخبار او اخبار

---

(١) الوافي - كتاب الايمان والكفر - باب الكذب - من ابواب مايجب على المؤمن اجتنابه - ج٣ - ص١٥٨.
(٢)و(٣) الوسائل - كتاب الحج - الباب ١٤١ - من ابواب احكام العشرة - الاولى صحيحة عيسى بن حسان وابي مخلد و الثانية صحيحة باحمد بن الحسن وغيره.
(٤) الوسائل - كتاب الحج - الباب ١٤٠ - من ابواب احكام العشرة - صحيحة ابي و كيع.

بداعي الانشاء. فقوله: اني أعطك غدا كذا، ليس اخباراً بل انشاء قرار وعهد، وله انجاز و حلف، لاصدق و كذب، واطلاق صادق الوعد. والوعد المكذوب اوغير المكذوب ليس باعتبار الاخبار عن واقع، بل بنحو من المشابهة والتأول، كقوله: يبكي كذبا، و يتأوه و يتمنى و يترجى كذبا، ونظائرها.

فتحصل من ذلك ان عدة الرجل اهله ليست من قبيل الاخبار. ومع ذلك استثناه من الكذب، فيستكشف منه ان الكذب في المستثنى منه اعم من الكذب الحقيقي والحكمي الادعائي. فيصح الاستثناء منه، ويستفاد منها ان كل ما كان له نحو كشف عن الواقع، ولو كان من قبيل الانشاءات: داخل في الكذب حكماً، ومحرم الاتلاوة و يؤيد ايضا بما دل على ان الهزل محرم، كمرسلة سيف بن عميرة[1] عن أبي جعفر عليه السلام «قال: كان علي بن الحسين عليه السلام يقول لولده: اتقوا الكذب. الصغير منه والكبير، في كل جد وهزل» ورواية الاصبع بن نباتة[2] «قال: قال اميرالمؤمنين عليه السلام: لايجد عبد طعم الايمان. حتى يترك الكذب، هزله وجده».
بدعوى ان الهزل مقابل الجد، و الجد اخبار حقيقة، والهزل ليس باخبار جداً، بل القاء الجملة الخبرية، لابداعي الاخبار، بل بداعي المزاح والهزل، فلايكون له واقع لايطابقه.

و دعوى ان المراد من الكذب هزلاً الاخبار عن الواقع بداعي الهزل: خلاف الظاهر، لان الاخبار الحقيقي جد، لاي غاية كان. فالهزل المقابل له هو مالايكون اخبارا جدا، لأنه اخبار جداً لغاية الهزل، فاتضح منها ان مايفيد فائدة الخبر كذب في عالم التشريع، وان لم يكن

اخباراً عن الواقع هذا غاية مايمكن الاستشهاد عليه لالحاق غير الكذب به انشاء كان او فعلا.

و يمكن المناقشة في الاول، بان القاء الخصوصية انما هوفي موارد يفهم العرف ان الموضوع الملقى ليس موضوعاً للحكم، وانما اتى به للمثالية، اولجرى العادة، و نحو ذلك ، كقوله: «رجل شك بين الثلاث والاربع»[3]؛ و قوله: «اصاب ثوبي دم رعاف[4]»، او «رجل افطر يوما من شهر رمضان[5]»، ونظائرها، مما يرى العرف ان الحكم للشك والدم والافطار، لاللرجل والثوب. واما اذا كان الحكم متعلقا بموضوع واريد اسراؤه منه الى موضوع آخر بوجوه ظنية كما نحن فيه، حيث تعلق الحكم على الكذب، و لايفهم العرف منه غيره، لكن اريد اسراؤه منه الى مايفيد فائدته، بالوجوه الظنية والاعتبارية، فهو قياس، لاالقاء خصوصية عرفا.

و في الثاني، بان اثبات كون مناط الحرمة هو القبح العقلي غيرممكن في المقام، لعدم دليل عليه بل يحتمل ان يكون عنده مناط آخر مجهول عندنا، والكشف الظني لايغني من الحق شيئا، و بالجملة لادليل على ان ماأدركه العقل من القبح

---

(١) الوسائل — كتاب الحج — الباب ١٤٠ — من ابواب احكام العشرة.

(٢) الوسائل — كتاب الحج — الباب ١٤٠ — من ابواب احكام العشرة — حسنة بقاسم بن عروة.

(٣) الوسائل — كتاب الصلوة — الباب ١٠ — من ابواب الخلل الواقع في الصلوة.

(٤) الوسائل — كتاب الطهارة — الباب ٤٢ — من ابواب النجاسات.

(٥) الوسائل — كتاب الصوم — الباب ٨ — من ابواب مايمسك عنه الصائم.

هو العلة للحكم و هو يدور مدارها توسعة وتضييقاً، و صرف احراز الاقتضاء لايفيد شيئاً، مع ا مكان منع القبح فى الافعال والانشاءات الكاشفة عن خلاف الواقع بمجرد ذلك اذا لم ينطبق عليها عناو ين اخر. فمثل مدح من لايستحق المدح، وذم من لايستحقه، و سؤال غير الفقير، و نظائرها، ليس قبحها بمناط الكشف عن غير الواقع بل نفس تلك العناو ين قبيحة بذاتها، لابملاك الكذب. ولهذا لاقبح فى التعفف، و ان كان بغرض افهام الغنى، و ان يحسبه الجاهل غنيا من التعفف، ولاقبح فى انشاء البيع الكاشف عن مالكية المنشىء، و ان كان بغرضه، و بالجملة ان الوجه المذكور ممنوع صغرى و كبرى.

و فى الروايات الواردة فى عدة الرجل اهله، والواردة فى الجد والهزل[1] بوقوع التعارض بين عنوان الكذب المأخوذفيها الظاهر فى الاخبار المخالف للواقع، و بين عنوانى العدة والهزل الظاهر ين فى غير الاخبار. و لايبعد تحكيم الصدر على الذيل؛ و حمل العدة والهزل على نوع من الاخبار المخالف للواقع، ولااقل من التعارض الموجب للاجمال، و فيما قلنا فى وجه الجمع بين روايات التورية بان هذا الجمع غير مقبول لدى العقلاء ولايصح اثبات حكم شرعى بهذا النحو من الملازمات العقلية الخارجة عن فهم العرف، مع ان لازم ماذكر من الجمع دعوى كون التورية كذبا ليترتب آثاره من الجواز عند ارادة الاصلاح وعدمه عند عدمها، ثم دعوى ان ما ار يد بها الاصلاح ليس بكذب، اى ليس بكذب ادعاء لاثبات جوازها عند ارادة الاصلاح، وهوكما ترى امر منكر مخالف للمحاورات العقلائية لافهام المعانى.

بيانه ان قول ابي جعفر عليه السلام على مافى رواية الصيقل[2] «**ماكذب ابراهيم عليه السلام و يوسف عليه السلام» و ما عن رسول الله صلى الله عليه وآله فى رواية عطا**[3] «**لاكذب على مصلح**» ثم تلا الآية المربوطة بقضيتهما ونفى الكذب عنهما الظاهر فى نفيه حكما لاموضوعا: انما يصح فى فرض كون قولهما بنحو التورية اذا اريد بنفى الموضوع النفى ادعاء مع ان التورية ليست بكذب حقيقة فلابد فى تصحيح ذلك ان يقال: ان التورية مطلقا كذب ادعاء، والمراد من نفيه عنهم فى الروايتين نفى الحكم بلسان نفى لموضوع الادعائى ادعاء «**فتدبر**»؛ مع ان مقتضى دعوى كونها كذبا جوازها عند ارادة الاصلاح فان الكذب كذلك. مقتضى دعوى عدم كونها كذبا ادعاء عند ارادة الاصلاح عدم كون حكمها حكم الكذب الاصلاحى، فيلزم منه نفى الجواز لارادة الاصلاح، لااثباته لذلك، بل لازمه التعارض بين الروايات وا لانصاف ان ماذكرناه من الاستنتاج للتعميم: غير وجيه خارج عن المحاورات.

فتحصل من جميع ذلك عدم قيام دليل على الحاق ماليس بكذب به، تورية كان او انشاء او فعلا مع انه قد وردت التورية فى روايات ظاهرة فى جوازها مطلقا. كرواية محمد بن ادريس فى مستطرفات السرائر نقلا من كتاب عبدالله بن

---

(١) الوسائل — كتاب الحج — الباب ١٤٠ — ١٤١ — من أبواب أحكام العشرة.

(٢)، (٣) الوسائل — كتاب الحج — الباب ١٤١ — من ابواب احكام العشرة — تقدم البحث فى سندهما

بكير بن اعين [1] عن ابي عبدالله عليه السلام «في الرجل يستأذن عليه فيقول للجارية: قولي: ليس هوههنا قال: لابأس ليس بكذب».

والظاهر ان المشاراليه كان محلا حاليا. حتى يخرج الاخبار عن الكذب، و مقتضى اطلاقها جواز التورية ولو لارادة الاصلاح.

نعم في سند الروايات التي نقلها ابن ادريس من بعض الاصول ككتاب البزنطي وابن بكير و غيرهما كلام، وهوانه لم يثبت عندنا ان تلك الاصول كانت معروفة في عصر ابن ادريس نحو كتاب الكافي، والتهذيب، وغيرهما، مما هي معروفة واصحة الصدور من اربابها بحيث لم نحتج الى العنعنة في اثبات كونها منهم، ولم يذكر ابن ادريس طريقه اليها، و من المحتمل ان ثبوت كونها منهم عنده بوجوه اجتهادية و قرائن لوقامت عندنا لم نتكل عليها لاختلاف اجتهادنا معه، و ليس ابن ادريس و من في طبقته و نظائره عندنا كصدوق الطائفة و نظائره ممن كان عصره قريب من عصر صاحب الاصول ولم يكن دأبه الاجتهاد واعمال النظر والاتكال على القرائن الاجتهادية لاثبات شيء. ولهذا لايبعد الاعتماد على مرسلاتهم التى ارسلوها ارسال المسلمات دون مرسلات اضراب محمدبن ادريس رحمه الله.

مضافا الى انّ في مستطرفات السرائر: و من ذلك ما استطرفناه من كتاب عبدالله بن بكير الحسين عنه عن ابي عبدالله عليه السلام ثم ساق الحديث. و يظهر من الاحاديث المذكورة بعده انّ احاديثه منقولة عن عبدالله بواسطة الحسين و هو يحتمل ان يكون الحسين بن سعدي الاهوازى لكنه مجرد احتمال اوظن بذلك، فلاحجية في الرواية و ان اغمضنا عن الاشكال الاول.

و كرواية عبدالاعلى مولى آل سام [2] «قال: حدثني ابو عبدالله عليه السلام بحديث فقلت: جعلت فداك اليس زعمت لي الساعة كذا و كذا فقال: لا، فعظم ذلك عليّ، فقلت، بلى والله زعمت. قال: لا والله ما زعمت. قال: فعظم ذلك عليّ، فقلت: بلى والله قد قلته، قال: نعم قد قلته اما علمت ان كل زعم في القرآن كذب». فانها ظاهرة الدلالة في جواز التورية مطلقا فانّ دفع عبد الاعلى عن اطلاق كلمة (زعمت) التي بمعنى (قلت)، وتستعمل في حق و باطل ليس من الاصلاح الذي يجوز الكذب اوما بحكمه، و لهذا لايجوز الكذب في نظره.

و كرواية ابي بصير [3] المتقدمة الواردة في قصة سالم بن ابي حفصة فانّ اباجعفر عليه السلام لم يعلل جواز القاء كلام ذي وجوه وكذا تورية ابراهيم عليه السلام و يوسف عليه السلام بارادة الاصلاح، فيفهم منها ان القاء كلام ذي وجوه وارادة بعض الوجوه المخفية لامانع منه كما فعل يوسف و ابراهيم عليهما السلام.

و يظهر من ذيل رواية سويد بن حنظلة المنقولة في كتاب الطلاق [4] و عن المبسوط [5]

---

(١) الوسائل — كتاب الحج — الباب ١٤١ — من ابواب احكام العشرة.

(٢) الوسائل — كتاب الحج الباب ١٤٢ — من ابواب احكام العشرة — مجهولة بمحمد بن مالك.

(٣) الوافي — كتاب الايمان والكفر — باب الكذب — من ابواب مايجب على المؤمن اجتنابه — ج٣ — ص١٥٨.

(٤) راجع الخلاف — كتاب الطلاق — المسألة ٦٠ - في جواز الحيلة في الاحكام — ص٤٥٩.

(٥) كتاب الطلاق — باب الحيل.

روايتها: جوازها ايضا «**قال: خرجنا ومعنا وابل بن حجر نريد النبي صلى الله عليه وآله فاخذه اعداء له وتحرج القوم ان يحلفوا فحلفت بالله انه اخي فخلى عنه العدو فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وآله فقال: صدقت، المسلم اخو المسلم**». فان الظاهر منها و ان كان حلفه على الاخوة النسبية،لكن يظهر منها نفي الكذب عن التورية، و يفهم منه جوازه لذلك، لالارادة الاصلاح وان كان المورد كذلك فلو كانت التورية غير جائزة الآمع ارادة الاصلاح،لكان عليه التنبيه عليه لاالحكم بالجواز لمجرد نفي الكذب.

فتحصل ممامرّ ان التورية و كذا الانشاءات والافعال المفيدة فائدة الكذب لا تكون محرمة، للاصل وقصور الادلة، بل دلالة بعض الروايات على الجواز.

ثم انه قد يستشكل على رواية الاحتجاج [1] في توجيه تورية ابراهيم بان كسر الاصنام صدر من ابراهيم عليه السلام، وان كانت الاصنام تنطق، فيلزم الكذب بالاخبار بالملازمة، فانّ ملاك الصدق والكذب في الشرطيات صدق الملازمة و كذبها.

(وفيه) مالايخفى فانّ كلام ابراهيم عليه السلام من قبيل التعليق على امر محال؛ لاثبات ان المعلق عليه محال، لالاثبات الملازمة،فالكلام سيق لنفي العمل لكونه معلقا على محال،لا لتحققه بتحقق المعلق عليه نظير قوله تعالى: **ولايدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط** [2] .فانه ليس بصدد الاخبار بالملازمة بين دخول الجنة و ولوج الجمل في سم الخياط، ضرورة عدم التلازم بينهما بل بصدد بيان استحالة دخولهم الجنة بالتعليق على محال عادي، و بالجملة نظائر هذا الكلام كناية عن عدم التحقق او استحالته لاخبار بالملازمة كما هو واضح.

ثم ان الظاهر ان الاخبار المطلقة منصرفة عن الكذب في مقام الهزل و ان فرض الاخبار بالواقع لهذا الغرض، لكن مع قيام قرينة حالية اومقالية شاهدة على الهزل كما لوكان المجلس من المجالس التي اعدت له. بل لايبعد الانصراف عن اخبار غيرمفيدة كما لواخبر بخلاف واقع واضح لا يؤثر في المخاطب شيئا كالاخبار ببرودة النار وحرارة الثلج. بل ولوكان غير مفيد لمخاطب خاص كما لوعلم المتخاطبين كذب القضية فان المتفاهم من اخبار الباب والاشعارات التى فيها هو حرمة الكذب في الاخبار المتداولة المعمولة بين الناس، لافادة مضمونها كقوله(ص).**مما اعان الله به على الكذابين النسيان** [3].وقوله: **أن الكاذب على شفا مخزاة وهلكة** [4] وقوله: **العبداذا كذب كان اول من يكذبه الله و نفسه يعلم انه كاذب** [5]،الى غيرذلك.و بناء على انصراف الاخبارعن الهزل لايمكن اثبات حرمته بماوردت في الكذب هزلا فانها و ان كانت مستفيضة فلاينظر الى ضعف اسنادها مع ان بعضها لايخلو من حسن، كرواية الاصبغ لكن

---

(١) ص ١٩٤ — مرسلة.

(٢) سورة الاعراف الآية ٤٠.

(٣)و(٤)و(د) الوسائل — كتاب الحج — الباب ١٣٨ — من ابواب احكام العشرة.

فيها ما لا تدل على الحرمة كرواية الاصبغ[1] والحارث الاعور[2] بل مرسلة سيف بن عميرة[3] فان قول علي بن الحسين(ع) على مافي الرواية لولده في مقام النصيحة لتهذيبهم عن الذمائم لايدل على التحريم مع ان في مادة الهوى ايضا اشعاراً بعدمه فلايبعد ان يكون الامر لمجرد الرجحان.

بل يمكن الخدشة في دلالة رواية ابي ذر[4] وهو: **«يا اباذر ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم. ويل له ويل له»** فان انشاء الويل اعم من التحريم ولو سلمت دلالتها كماياتي بيانها انشاءالله تعالى، فلا تصلح لاثبات الحكم لضعفها سيما في مثل المقام الذي ادعى الاعلام السيرة على ارتكابه كمالا تبعد.

فالاقوى عدم الحرمة في الهزل مع قيام القرينة، و لايخلو عدمها من رجحان في الاخبار الغير المفيدة مطلقا لكن الاحوط الاحتراز سيما في الثاني.

و قد ادعى بعض المدققين في تعليقته على مكاسب شيخنا المرتضى[5]، الاجماع على حرمته، ولو لم يكن فيه اغراء لكون المخاطب مثلا عالما بعلم المتكلم بعدم مطابقة كلامه للواقع.

ثم ان مقتضى الاصول العقلية والنقلية جواز الاخبار عن قضية مشكوك فيها، فلوشك في أن زيدا قائم: يجوزله الاخبار بقيامه، لانه من الشبهة المصداقية لادلة الكذب، الاان يدعي وجوب الصدق، لابمعنى وجوبه مطلقا. بل بمعنى انه لو اراد المتكلم الاخبار يجب عليه ان يصدق فلابدله من احراز كونه صدقا بعلم او امارة لكن اثبات ذلك مشكل بل ممنوع و ان افتى به صاحب الوسائل و مستدركه[6]، فان الاخبار لا تصلح لاثباته، اما لقصور الدلالة كما هو كذلك غالبا، اولقصور السند فراجعها، او يقال : بالغاء الخصوصية مماوردت متواترة بحرمة الفتوى بغير علم، و ماوردت بحرمة القضاء، و كذا الشهادة كذلك.

(وفيه) ان غاية مايمكن الغاؤها هو الكذب على الله تعالى و على رسوله صلى الله عليه وآله والائمة عليهم السلام في خصوص الاحكام ولو كان بنحو الاخبار لا الفتوى. فلو اخبر عن الله او عن رسوله صلى الله عليه وآله بانه قال كذا في مورد الشبهة الحكمية: يكون محرما لفحوى ادلة حرمة الفتوى بغير علم دون الاخبار بالامور الاخر كالاخبار بان للنبي صلى الله عليه وآله صفة كذائية او نحو ذلك، فضلا عن الاخبارات العادية بالنسبة الى غيرهم او يقال: ان الاخبار في مورد الشك جزما اخبار عن علم المخبر و هو كذب اوله مفسدته (وفيه) منع كونه اخباراً عنه بل ينتقل السامع منه اليه. و قد تقدم عدم الدليل على حرمة مثله، ومنع كون مناط الكذب فيه.

والاولى الاستدلال عليه مضافا الى العلم الاجمالي المنجز في الموارد المشكوك فيها فان في كل مورد منها يعلم اجمالا بانه اما الاخبار عن الثبوت كذب محرم او الاخبار عن عدمه فلايجوز عقلا الاخبار باحد الطرفين بجملة من

(١)و(٢)و(٣)و(٤) الوسائل- كتاب الحج الباب ١٤٠- من ابواب احكام العشرة.

(٥) هوالعلامة الميرزا الشيرازي الثاني رحمه الله.

(٦) كتاب الحج- الباب١- من ابواب احكام العشرة.

الروايات كحسنة علي بن جعفر[1] عن اخيه موسى بن جعفر(ع) عن آبائه في حديث **«قال ليس لك ان تتكلم بما شئت لان الله عزوجل يقول ولا تقف ماليس لك به علم»**.

فان الظاهر منها ان الآية الكريمة تشمل القول بغير علم فتكون هي مضافا الى الرواية دليلا على المطلوب. و في المجمع[2] انها اعم من القول بغير علم والاعتقاد بما لايعلم و غيرهما والمستفاد من الرواية هو القول بغير علم بقرينة استشهاده بالآية الشريفة و مقتضى اطلاقها عموم الحكم لجميع مصاديق الاخبار بغير علم، ولا دليل على اختصاصها بالاخبار عن الله تعالى.

وصحيحة هشام بن سالم[3] **«قال: قلت لأبي عبدالله(ع): ماحق الله على خلقه؟ قال: ان يقولوا مايعلمون ويكفوا عما لايعلمون فاذا فعلوا ذلك فقد ادّوا الى الله حقه»** و نحوها رواية زرارة[4].

و يمكن المناقشة فيها بان مطلق ثبوت حق منه تعالى على خلقه لايدل على وجوب ادائه اذ لعله من الحقوق المستحبة او يقال: ان الحق فيها منصرف الى ماهو من قبيل احكام الله تعالى لامطلق القول بغير علم. و موثقة زيادبن ابي رجاء[5] عن أبي جعفر عليه السلام **«قال: ما علمتم فقولوا، و مالم تعلموا فقولوا: الله اعلم ان الرجل لينتزع الآية من القرآن يخرّ فيها أبعدما بين السماء»**. الا ان يناقش فيها بان ذيلها قرينة على ان المراد من القول بغير علم مثل الفتوى والاخبار عن الله تعالى لامطلقا. الا ان يقال: انّ ذكر مصداق اهم المصاديق لايصير قرينة على الاختصاص،فالعبرة باطلاق الصدر. واما المناقشة فيها باشتمالها على مالايجب حرما و هو القول بان الله اعلم (ففي غير محلها)؛ لانه كناية عن عدم جواز القول بغير علم فالظاهر المفاهم منها عدم جوازه.

و تؤيد المطلوب رواية ابي يعقوب اسحق بن عبد الله[6] والظاهر صحتها عن ابي عبدالله عليه السلام **«ان الله تعالى خص عباده بآيتين من كتابه، أن لايقولوا حتى يعلموا، ولايردوا مالم يعلموا، وقال تعالى: الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب، ان لايقولوا على الله الاالحق. وقال: بل كذّبوا بمالم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله»**. لكن الظاهر اختصاصها بالاحكام ونحوها. و رواية زرارة[7] **«ان من حقيقة الايمان ان لا يجوز منطقك علمك»**.

و يؤيده ايضا فحوى صحيحة محمدبن مسلم[8] عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام **«قال: اذا سئل الرجل منكم عما لايعلم فليقل: لاأدري ولايقل: الله اعلم، فيوقع في قلب صاحبه شكا، و اذا قال المسؤول: لاادري،**

---

(١) الوسائل - كتاب القضاء - الباب ٤ - من ابواب صفات القاضي و مايجوز أن يقضي به.

(٢) في تفسير قوله تعالى **«ولا تقف ماليس لك به علم»** سورة بني اسرائيل الآية ٣٦.

(٣)و(٤) الوسائل - كتاب القضاء - الباب ٤ - من ابواب صفات القاضي ومايجوز ان يقضي به - الثانية مرسلة وضعيفة بجعفر بن سماعة.

(٥) الوسائل - كتاب القضاء - الباب ٤ - من ابواب صفات القاضي ومايجوز أن يقضي به.

(٦) الوافي - باب النهي عن القول بغيرعلم - من أبواب العقل والعلم ج١ - ص٤٨.

(٧) الوسائل - كتاب القضاء - الباب ٤ - من ابواب صفات القاضي ومايجوز ان يقضي به.

(٨) الوافي - باب النهي بغير علم - من ابواب العقل والعلم ج١ - ص٤٨.

فلايتـهمه السائل» «فتأمل»، مضافا الى قبح الاخبار بغيرعلم، بل الظاهر عدم جوازه في ارتكاز المتشرعة، و كان منزلته منزلة الكذب لديهم.

هذا مع قطع النظر عن الاستصحاب في بعض الموارد، والافقد يمكن التمسك به لاحراز الموضوع. فاذا شك في طلوع الشمس بعد ا ليقين بعدم طلوعها يقال: ان الاخبار بطلوعها كان كذبا، والآن كما كان فينقح به موضوع الحرمة، و هذا ليس باستصحاب تعليقي بل تنجيزي على عنوان كلي قبل تحقق مصاديقه كاستصحاب حرمة شرب الخمر و اكل الربا، و استصحاب وجوب صلوة الجمعة الذي يرجع الى فعل المكلف اي عنوانه و يجري الأصل الحكمي مع الغض عن الموضوعي على عنوان كلي فيحل العلم الاجمالي حكما.

نعم استصحاب عدم طلوع الشمس لايثبت كون الاخبار بالطلوع كذبا و محرما كما لايخفى. هذا بالنسبة الى اصل المسألة. و اما لو قلنا بحرمة القول بغير علم هل يجري الاستصحاب و يقوم مقام العلم الموضوعي بدليله فيستصحب عدم طلوعها و يخبر به أولا. الظاهر نعم بانه لما قلنا في محله من قيامه مقامه بدليله.

هذا اذا قلنا بان العلم المأخوذ في ادلة حرمة القول بغير علم: العلم الوجداني و اما ان قلنا بان المراد به في نظائر المقام الحجة كما هو الحق فلا اشكال في وروده عليها واخراج موضوعه عن القول بغير علم.

افتتاح المؤتمر الدولي لأئمة الجمعة والجما

بكلمة : آية الله العظمى الشيخ المنتظري

بسم الله الرحمن الرحيم

«يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خيرٌ لكم ان كنتم تعلمون».

اصحاب السماحة ائمة الجمعة والجماعة وعلماء البلاد الاسلامية ايدكم الله تعالى وادام افاضاتكم.

أجد من الواجب عليّ قبل كل شئ تقديم الشكر الجزيل للاخوة العلماء على قبولهم الدعوة وتفضلهم بالمجئ الى وطنهم الاسلامي آملاً ان تستغل هذه الفرصة الالهية التي وفرها انتصار الثورة الاسلامية العظيمة في هذه البلاد الاسلامية، وتكرّس الجهود فيه لاعلاء كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة بين المسلمين وتوضيح الاهداف الكبيرة لهذه الثورة المباركة.

كلنا يعلم ان الاسلام دين كامل جامع يهتم بجميع حاجات الانسان معنوياً ومادياً منذ ولادته وحتى بعد مماته، في كل زمان وفي مختلف الظروف، ومن الطبيعي ان يهتم مثل هذا الدين اهتماماً واسعاً بموضوع ادارة المجتمعات الانسانية وتشكيل الحكومة الصالحة لتأمين احتياجات الناس وتربيتهم وهدايتهم حسب المعايير والضوابط الآلهية الخاصة. وتؤيد هذه الحقيقة، سيرة النبي الكريم «ص» وأولياء الله الصالحين، اما في مكة المشرفة فلم تتوفر الظروف لتكتل المسلمين وتجمعهم لتشكيل الحكومة الاسلامية في بداية الأمر نتيجة للضغوط المسلّطة على المسلمين من قبل المشركين ولكن بعد ايمان كثير من اهل يثرب بالاسلام وامكانية التجمع فقد تولى سعد بن زرارة بأمر من النبي الكريم «ص» اقامة اول صلاة للجمعة بين المسلمين في المدينة باربعين شخصاً من المصلين. وبعد هجرة الرسول الاكرم «ص» الى المدينة المنورة أقيمت اول صلاة للجمعة بامامة النبي الكريم في حي بني سالم بمائة من المصلّين. وقد سعى النبي الاكرم بمجرد وصوله الى المدينة ـ علاوة على اقامته الجمعة والجماعة التي تجعل المسلمين جميعاً في صف واحد ـ للتقريب بين مختلف القبائل وآخى بين المهاجرين والانصار، وحتى انه عقد اتفاقاً مع اليهود على ترك النزاع يشتمل على ما يناهز مائة وخمسين مادة.

ومن هنا نستنتج ان صلاة الجمعة هي اساس الحكومة الاسلامية والحافظة لها وقد نهض باقامة صلاة الجمعة بعد الرسول الكريم «ص» الخلفاء وامراء البلاد الاسلامية حيث كانوا يتعرضون في خطب الجمعة لمصالح المسلمين.

ونلاحظ اليوم في الدول المتقدمة ان الاحزاب السياسية تنفق مبالغ باهضة لتكوين المسيرات واقامة الحفلات بغية نشر شعاراتهم واظهار قدرتهم السياسية بهذه الطريقة السياسية، اما الدين الاسلامي الحنيف فقد وفر وسيلة لتجمع المسلمين وانسجامهم قبل الف واربعمائة عام وذلك بواسطة اقامة الجمعة والجماعات والاعياد واداء الحج الذي هو في الحقيقة مؤتمر

المسلمين الاكبر، ولكن مع الاسف الشديد فقد تحولت هذه المظاهر الاسلامية الرائعة الى حد لاروح فيه شبحه للدعايات السيئة التي يقوم بها الشاطين وعملاء الاستعمار. واصبحنا لانستفيد منها في المجالات السياسية.

ان صلاة الجمعة تركيب رائع من العبادة والسياسة بل هي تدريب عسكري. وهذا الجانب فيها اقوى من الجوانب الاخرى ولهذا يكون وجوبها ساقطاً عمن لايجب عليه الجهاد كالنساء والشيوخ والمرضى. ويجب فقط على الذين يستطيعون ان ينتقلوا من صف الصلاة الى صف القتال.

وفي هذه البرهة من الزمان حيث يتسلط اعداء الاسلام والمستعمرون من الشرق والغرب على ذخائر المسلمين. وحتى انهم قد سلبوا من كثير من المسلمين شعورهم وادراكهم السياسي، يكون الواجب الملقى على عاتق ائمة الجمعة واجباً ضخماً يفرض عليهم تناول العوامل المؤدية الى رقي أو انحطاط المسلمين في خطبتي صلاة الجمعة بالاضافة الى مافيهما من حمد لله والثناء عليه ودعوة المسلمين للتقوى وتقوية النواحي المعنوية لدى المسلمين. ولابد ان يعملوا على توعية ابناء الشعب وزيادة نضجهم السياسي و يبطلوا الدعايات الخبيثة للابواق الاستعمارية التي تسعى الى بث الفرقة والاختلاف والتشتت بين المسلمين. و يبذلوا كل جهودهم من اجل تكاتف المسلمين وانسجامهم. وقد جاء في الحديث الشريف عن الامام الرضا عليه السلام انه قال:

«انما جعلت الخطبة يوم الجمعة لأن الجمعة مشهد عام فأراد ان يكون للامير سبب الى موعظتهم وترغيبهم في الطاعة وترهيبهم من المعصية وتوقيفهم على ماأراد من مصلحة دينهم ودنياهم و يخبرهم بما ورد عليهم من الآفاق من الاحوال التي لهم فيها المضرة والمنفعة».

فامير المسلمين يتناول في خطبة الجمعة ـ علاوة على الوعظ والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ مصالح الناس الدينية والدنيوية ليوقفهم عليها و يطلعهم على اخبار البلاد المشتملة على النفع للمسلمين أو على مايضرهم. ومن الذنوب الكبيرة جداً سكوت علماء الاسلام أمام طغيان الطواغيت وتغيير احكام الله والظلم واللامساواة المجحفة. وقد روي عن السبط الشهيد عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال: «من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولاقول كان حقاً على الله ان يدخله مدخله».

وقد حاول اعداء الاسلام على طول التاريخ ولاسيما في القرون الاخيرة، تشتيت المسلمين وايجاد الصراعات بينهم عن طريق تضعيف القيادة الالهية الصالحة وايجاد الفرقة واحياء مظاهر القومية واللغة والنسب وغيرها. وصلاة الجمعة هي التي تستطيع ان تجعل المسلمين في صف واحد. والعامل الذي منح المسلمين النصر في صدر الاسلام هو الايمان بالله ووحدة الكلمة والقيادة الصالحة الحاسمة. وصلاة الجمعة هي مظهر ومثال هذه الامور الثلاثة. ومن منجزات الثورة الاسلامية في ايران احياء هذه الفريضة الالهية، ولصلاة الجمعة وائمة الجمعة المحترمين اليوم دور عظيم في استمرار الثورة وترسيخ أسس الجمهورية الاسلامية في ايران.

إنّ انتصار الثورة الاسلامية في ايران قد ألقى بمسؤوليات ضخمة على عاتق جميع المسلمين ولاسيما علماء الدين الملتزمين والمثقفين المتدينين. فمن ناحية يجب على الامة والدولة الاسلامية في ايران ان تستغل جميع الفرص لابلاغ الدعوة الالهية لهذه الثورة حتى تصل الى سماع المحرومين والمظلومين في جميع ارجاء العالم، وهي تضع تجاربها وماحققته من انجازات فكرية ومعنوية تحت تصرفهم حتى تكون الحجة الالهية عليهم تامة

و ينهضوا لتحقيق كلمة الله في الارض، ومن ناحية اخرى فان الواجب الاسلامي والانساني يفرض على الشعوب الاسلامية و بالخصوص فئة الجامعيين وعلماء الدين كسر الحصار الذي يفرضه الاستعمار الغربي أو الشرقي وذلك باللجوء الى الدين الاسلامي المانح للحياة والاندفاع نحو المساجد والشعائر الاسلامية ستحدين القادة الشلمة والخاسئة لعائد الثورة الاسلامية الامام الخميني مد ظله العالي مثالا ونموذجاً لهم، فما كان بصورة الاستعمار منذ عهد بعيد مستحيل الوقوع قد أصبح ممكناً وأمراً عملياً. ومن المؤكد ان انتصار الثورة الاسلامية في هذه الارض واستمرار واستحكام أسسها بشكل متزايد يكلف اعداء الاسلام من الشرق والغرب سيئاً غالياً و يثقل كاهلهم، فهم يرون جميع معادلاتهم وحساباتهم المادية قد أفلست، و يشعرون بالحاجة الماسة لاعادة النظر لتخطيط جديد ومعادلات اخرى تستمر اعداءاتهم و يحفظوا بظلمهم للعالم. ان الاستعمار الحديث يرى نفسه اليوم على مفترق طريقين. ومسلمو العالم هم الذين يستطيعون ان يسقوه و يضعوا العرصة عليه بحيث لايتركون له فرصه لجمع قواه واعاده نظم فصائله مرة اخرى وذلك بفضل تمسكهم بحبل الله المتين وتعميق الوحده ورص الصفوف حول محور كلمة التوحيد. واما اذا لم تستغل العلماء والجامعيون والمثقفون المسلمون هذه الفرصة الالهيه - لاقدر الله - وتركوا لاعداء الاسلام في العالم فرصه تنفيذ نياتهم الخبيثة فان تحقيق كلمه الله في الارض والظفر بالحرية والاستقلال سوف تتأخر قروناً اخرى. ونشاهد اليوم اعداء الاسلام قد اتحدوا لاطفاء هذه الشعلة الالهية المتوهجة في ايران الاسلام بيد واحد من سلالة ابراهيم الطاهره وهم يحاولون بمختلف السبل محاصره وخنق هذه النهضه المتدفقه متصورين ان الحرب العدوانية المفروضه على يد شخص مجنون سلط على الشعب العراقي المظلوم هي الضربة القاصمة التي تنهي وجود هذا الوليد الجديد وهو النظام الجمهوري الاسلامي. ولكنه و بعد مرور اكثر من عامين من بدايه هذه الجريمة النكراء التي تمت بتحريك من امريكا ومساعده سائر القوى العظمى وعملائها فان امتنا الاسلامية الشجاعة ترداد قوة واستعداداً يوماً لدفع عدوان النظام الصدامي الكافر الى الحد الذي فقد فيه اعداء الاسلام الان الامل في الابقاء على هذا النظام الجمهوري المعادي للاسلام وهم يفكرون في بهتة من بعده. ان هذا الصمود والوعي والتضحية التي ابدتها امتنا الاسلامية يمكن ان يكون مثالاً يقتدى به الشعوب المظلومة ولاسيما الشعب الافغاني المسلم والشعب الفلسطيني الشريف. فالقوتان العظيمتان في الغرب والشرق تحاولان تكميل الشعبين المظلومين في فلسطين وافغانستان بواسطه مراوغاتهما السياسيه ومصالحهم المادية الدنيئة، ولايوجد سبيل لنيل هؤلاء الاستقلال والحرية إلا بتقوية الحركة الاسلامية المتوقده في هذه الشعوب.

ونأمل ان يستطيع المؤتمر العالمي لائمة الجمعة والجماعات الذي يعقد بمناسبة ولادة الرسول الاكرم «ص» واسبوع الوحدة بحضور أصحاب السماحه من آيات الله وحجج الاسلام من ائمه الجمعه في داخل ايران وخارجها - ان يخطو خطوات واسعه في عرض جوانب مهمه من المحراب الفكرية والمعنويه للثورة الاسلامية على الاخوه القادمين من مناطق بعيدة وقريبة لانجاح هذا المؤتمر الاسلامي الكبير.

والجمهوريه الاسلاميه في ايران تتوقع من اصحاب السماحة ائمه الجمعة والجماعات في البلاد الاسلامية ان ينقلوا لشعوبهم المسلمه ما أمكن تحقيقه في ارض الاسلام هذه بعد انتصار الثورة وقيام نظام اسلامي شعبي، و يحيوا الامل في قلوبهم بالوعد الالهي الحتمي:

«ان تنصروا الله ينصركم و يثبت اقدامكم»

و ينبهوهم على مؤامرات اعداء الاسلام في اشاعة الفرقة بين الدول الاسلامية، و يحفظوا الشباب الملتزم بالاسلام من السقوط في احضان التيارات المتظاهرة بالثورية والمرتبطة بالشرق أو الغرب، و يوجدوا في أنفسهم ارادة النضال من اجل نجاة المسلمين من كل الشرور.

اسأل الله النصر والعظمة للاسلام والمسلمين والتشتت لاعداء الاسلام ولاسيما الصهيونية العالمية. داعياً الباري جل وعلا بالنصر الالهي لأبطال الاسلام المقاتلين على مختلف الجبهات.

والسلام عليكم ورحمه الله و بركاته.

١٢ ربيع الأول ١٤٠٣ هـ

كلمة السيد رئيس الجمهورية في المؤتمر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ ربّ العالمين، وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله الغرّ الميامين وصحابته المؤمنين المخلصين.

السلام عليكم أيّها الأخوة ورحمة اللهِ و بركاته.

يطيبُ لي أن أهنئكم أولاً بمولد سيّد الكائنات وخاتم رسل ربّ العالمين محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم، كما يسرني أن ألتقي بكم في هذا البلد المحمدي، لنتحدث معاً بشأن مسائل الاسلام والمسلمين.

أيّها الاخوة، أعتقد أن مسألة «الدين والدولة» من أهم المسائل المطروقة في عالمنا الاسلامي، وأكثر المسائل ارتباطاً بهذا التجمع الاسلامي المبارك، ولهذا اتحدث من هذه المسألة عنواناً لحديثي اليوم.

مفهوم الدين ومفهوم الدولة مفهومان متشابكان ومتداخلان. فالدولة جهاز ينهض بمسؤولية إدارة شؤون الافراد، والدين نظام منزّل من لدن خالق البشر لتحقيق سعادة البشر. الدولة تدير دفة الامور، والدين يشكل قانون هذه الادارة ونظامها.

لاشك أن التاريخ القديم والمعاصر تشهد ظهور أديان ودول لاشأن لها بادارة أمور الانسان. هناك دول تنظر الى الانسان على أنه آلة أو عبدٌ مسخّر لافراد معينين أو فئات معينة. وثمة أديان لادخل لها في شؤون الانسان الواقعية والعملية، ولاشأن لها إلاّ بما يرتبط بعقيدة الفرد القلبية.

ونقول بصراحة وقطع أنّ تلك الاديان ليست حقيقية، كما أن تلك الدول منحرفة وغير صحيحة. مثل هذه الاديان والدول زائفة مزوّرة.

الدين الصحيح الحقيقي الصادق.. الدين المنزّل من الله تعالى، والذي ارتضاه سبحانه للبشر هو الدين الذي يهتم بشؤون الانسان، و يقدم المنهج الكامل لتحقيق سعادته، و يستهدف فلاحه وفوزه الكامل.

والدولة القائمة على أساس المعايير الصحيحة ترى نفسها مكلّفةً من قبل الله تعالى لخدمة بني الانسان. وتضع نُصب عينيها دوماً مهمةَ تحقيق الاهداف الدينيّة.

* * *

مسألة مدى تشابك مفهومي الدين والدولة من المسائل التي استغلت الذهن البشري منذ أقدم العصور. الدول المنحرفة والاديان الزائفة كانت تقف دوماً على رأس الجبهة المعارضة للدين الحقيقي وللدول المنبثقة عن هذا الدين، ومن هنا نشأ الصراع

المرير الدامي بين الرسول والطاغوت كما يصوّره القرآن الكريم:

الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت

«النساء ٧٦»

وهذا الصراع هو الذي أدّى الى نشوب الحروب الضارية بين جنود الرحمن وجنود الشيطان. يقول تعالى:

وكأيّن من نبي قاتل معه ربّيون كثير، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله، وما ضعفوا، وما استكانوا والله يحبّ الصابرين.

«آل عمران، ١٤٦»

الانبياء دعوا الى إقامة نظام يتناسب مع طبيعة الانسان.. نظام قائم على أساس التوحيد والعدل وتكريم الانسان. قال تعالى:

لقد أرسلنا رسلنا بالبيّنات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط.

«الحديد ٢٥»

ويقول تعالى:

وما أرسلنا من رسول الاّ ليُطاع بإذن الله.

«النساء ٦٤»

ويقول سبحانه أيضاً:

إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما.

«النساء ١٠٥»

تحقيق هذه الدعوة يتطلب تشكيل الدولة الالهية. وهذا ما كان يستثير الجائرين ويدفعهم الى محاربة هذه الدولة في كل زمان، إذ أنّهم كانوا يرون فيها نهايتهم وذلّهم. من هنا واجه الانبياء ما واجهوا من عقبات.

لو أنّ الانبياء تخلّوا عن أمور إدارة الدنيا في دعوتهم.. ولو صرفوا أنظارهم عن الشؤون الحياتية، وكرّسوا اهتماماتهم وتوصياتهم على التهذيب والتزكية الاخلاقية والعقيدة القلبية، لما واجهوا معارضةً قط.

لو أن رُسلَ ربّ العالمين كانوا ممّن يعتقد بامكان تربية أبناء البشر ودفعهم على خط الحركة التكاملية بشكل فردي وبمعزل عن إيجاد نظام إجتماعي معيّن.. لو أنهم أوكلوا أمرَ إدارة المجتمعات الى غير الله.. لما نشب بينهم وبين جبابرة زمانهم صراع، ولما تصطبغ دنيا الانبياء بعنصر التبري من نمرود وفرعون وقيصر وكسرى وأبي جهل وأبي لهب وبطائرهم.

الدين إذن يتجه نحو إدارة الدنيا في إطار الدولة الالهية. والدولة الحقّة ليست إلاّ الدولة المنبثقة عن الدين الالهي، وماسوى ذلك فهو خرافة إن كان باسم الدين، وطاغوت إن كان باسم الدولة.

إدارة شؤون المجتمع، وتدبيرُ حياة الانسان «سياسة» والسياسة جزء لايتجزّأ من الدين. غيرُ قليلين طمعاً أولئك الذين كانوا ولايزالون ينادون بانفصال الدين عن السياسة. لكن هؤلاء ليسوا ممّن عرف الدين واعتنقه بمفهومه القرآني. هؤلاء بعبارة أبسط حكّامٌ ليس لهم دين يريدون أن يقولوا للانبياء: إبتعدوا عن مُلكنا وصعيد تحكّمنا. وتلك مقولة وجهها الى الانبياء جميعُ الفراعنة والطواغيت في التاريخ.

الاسلام هو الدين الوحيد الذي يدعو الى تدخل الدين في أمور الدولة، أما بقية الأديان فقد تخلّت منذ زمن بعيد عن هذه الدعوة. الجبابرة كانوا دوماً في حرب مع الاسلام على مرّ التاريخ، وجاء الغزاة المستعمرون الاجانب الى العالم الاسلامي في العصر الحديث ليواصلوا حرب الجبابرة بوجه الاسلام. ولقد قال قائل المستعمرين منذ بداية تدنيسهم ارض العالم الاسلامي: «مادام هذا القرآن بين المسلمين فلن يقرّ لنا قرار في البلدان الاسلامية».

* * *

نظرية انفصال الدين عن السياسة ليست بجديدة، ولقد أشرنا الى أنّ الفراعنة والاكاسرة هم

المنظّرون لهذه الفكرة، وهم الذين قسّموا الساحة الانسانية الكبرى الى قسمين:

قسم صغير محدود قلبي خاص بالدين.

وقسم آخر يضم القطاع الحياتي الكبير المتمثل بالسياسة والمجتمع والاقتصاد والحرب وسائر الشؤون الحياتية الهامة، وهو مختص باولئك الطواغيت.

وحين دخلت هذه النظرية ساحة الحرب مع الحركات الاسلاميه في الشرق الاوسط وشمال افريقيا وشرق آسيا، مع دخول الاستعمار في هذه المناطق، فانّ هذه الفكرة اتخذت شكلاً علمياً ظاهرياً رائقاً.

ظاهرة تماسك الدين بالسياسه في العالم الاسلامي أقلقت المستعمرين. ومن هنا راح المنظّرون الاستعماريون يفكرون في العلاج، وطفقوا يصنعون النظريات الرائفة بشأن انفصال الدين عن الاقتصاد والقضاء والتربية والحقوق، بل وحتى عن الاخلاق والثقافة. وردّدوا أن الدين بشكله الخالص ينبغي أن لايكون متنوباً بكل ماهو شأنه إدارةُ الحياة، كي يبقى على صفائه ونقائه!! هؤلاء المستعمرون حاولوا بكل السبل أن يوحوا للمسلمين أنّ الانسان بمقدوره أن يكون شخصاً متديناً، وان خضع في ثقافته واقتصاده وعلاقاته الاجتماعية والحكومية والقضائية بل وحتى الاخلاقية لأُطُرٍ غير دينيّة. أي إن الدين يتلخص في الذهاب الى المسجد وأداء الفرائض العباديه لاغير.

هدف المستعمرين واضح طبعاً من هذه الايحاءات، إنه - كما قلنا - إبعادُ الدين عن كل الممارسات السياسية. وكلّ النظريات والفلسفات التي تُبحث في هذا المجال تتجه نحو تحقيق هذا الهدف بالذات.

* * *

صيحات انفصال الدين عن السياسه في عالمنا الاسلامي تستهدف فقط الوقوف بوجه إقامة الدولة الدينية.. طلاّب الدنيا يرون الاسلام عقبة أمام مطامحهم، و يخططون لاخراج هذا الدين من ساحة وجودهم.

إذا انطلقت الدولة والسياسة من الدين، فسيسد الطريق - أولاً - أمام عبث هؤلاء بالسلطة والتشريع وفق أهوائهم، حيث يقول الله تعالى:

وما كان لمؤمن ولامؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم.

«الاحزاب ٣٦»

كما إن شروط الحكم - ثانياً - ستصبح صعبة متعذرة على هؤلاء:

إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة وهم راكعون.

«المائدة ٥٥»

فالايمان والعمل الصالح والسير على هدى الرسول أمور لا تنسجم مع طبيعة الحكام العارفين في دنياهم.

كما أن انطلاق الدولة والسياسة من الدين سيفتح الطريق - ثالثاً - أمام مشاركة الجماهير، فالله سبحانه يأمر رسوله قائلاً:

وشاورهم في الأمر.

«آل عمران ١٥٩»

فالجماهير في السياسة الاسلامية صاحبة القرار الأول ضمن إطار حكم الله. لئن فقدت الجماهير حقّ التدخل في أي شأن من شؤون الحياة في إطار سياسة المستبدين الطغاة، فأن الجماهير في إطار السياسة الاسلامية مصدر المشاورة واتخاذ القرار.

كل هذه العوامل تجعل اختلاط الدين بالسياسة، أو بعبارة أصحّ، انبثاق الدولة عن الدين، أمراً لايرغب فيه الحكام المنحرفون عن الدين. ومن هنا تنطلق في الآفاق نغمه انفصال الدين عن السياسة.

* * *

المقصود من الدولة المستقلة عن الدين، ليس هو حكومة رجال الدين، أو حكومة الاكليروس التي

جرّبتها أوربا في القرون الوسطى، بل المقصودُ حكومةُ الدين، أي اتباع قوانين ادارة المجتمع من الدين، وإيكال أمر ادارة الدولة الى عباد الله الصالحين. وحكومةُ رجال الدين لا تحقّق دائماً هذا المقصود، وعبادُ الله الصالحون موجودون من غير رجال الدين قَدر وجودهم بين رجال الدين.

دعوة علماء الدين في أقطار العالم الاسلامي الى تحكيم الدين في الحياة، لاينبغي أن تُفهم على أنها كفاحٌ سياسي من أجل سيطرة فئة معينة على الحكم. فهذه تهمة تستهدف محاربة هذه الدعوة. المسألةُ مسألةُ القاعدة التي تقوم عليها الحكومة، ومسألةُ المعايير الحاكمة.

حبّذا لو اتجه اولئك الكتّاب والمفكرون الذين يرفعون عقيرتهم بالاسلام في العالم الاسلامي ويدّعون الدفاع عن خلوص الدين وصفائه. أقول: حبّذا لو اتجه هؤلاء الى قبول نظرية وحدة الدين والسياسة، والى قبول حاكمية القرآن والاحكام الاسلامية، وقبول المعايير التي وضعها الاسلام للحاكم المسلم، ثم يوكلون أمر تشخيص المصاديق الى بصيرة الامة ودقتها. لو كان موقف هؤلاء من هذه المسألة بهذا الشكل لاستطعنا أن نأمل بتقدّم المجتمعات الاسلامية خطوة نحو تحقيق الاسلام.

* * *

البشرية جربت دولة الدين منذ أقدم العصور، وذاقت حلاوة معطياتها، ومرّت بأروع صور تلك التجربة في ظلّ حكومة أنبياء بني إسرائيل ثم حكومة نبيّ الاسلام، ثم الفترة القصيرة من التجربة الاسلامية في العصر الاسلامي الاول.

لايمكن أن تمحي من ذهن البشرية تلك الصور الرائعة التي شهدتها إبّان فترة تطبيق الاسلام، وفي ظل الدولة الاسلامية حيثُ العدلُ، والزهد، والتقوى، والجهادُ، والاستخفافُ بالقوى المادية المهيمنة، والاهتمامُ الفائق بالقيم المعنوية، وانتخابُ الحاكم عيشَ الفقراء، واهتمامُه بتوفير العيش الكريم للجميع، وعدمُ استعلائه على أيّ فرد من الناس، ومخاطبتُه الناس بالرفق واللين، ونهوضهُ بمهمّة تربية أبناء الامة وتصعيد فضائلهم الاخلاقية كما يصنع الأب الحنون والمعلّمُ الملتزم المسؤول، وجعلُ محور الانتساب في الايمان والتقوى والجهاد، وطلبُ الحكم خدمةً للناس وقربة الى الله تعالى، واتخاذُ موقف الرفض من أعداء الله وأعداء البشرية، والتضحيةُ بالنفس على هذا الطريق، وإشاعةُ الحكمة والاخلاق والدين في المجتمع، وجعلُها معايير للكرامة والتفاضل، وبعبارة موجزة حلولُ الجوّ الاجتماعي الغني بشذى القيم المعنوية والروحية. كل هذه الصور الرائعة تحملها البشرية في ذاكرتها من التجربة الاسلامية. ومن الدولة المنبثقة عن الدين. وليس لها مثل هذه الذكريات إطلاقاً عن الحكومات الوضعية. وكل دولة في التاريخ وفي عالمنا المعاصر لا تتحلى بهذه الخصائص. فليست دولة إسلامية.

* * *

أيها الاخوة.. أيها الضيوف الاعزاء.. ويا أيها المسلمون في جميع أنحاء العالم.

كان واضحاً أن الاسلام سينهض من جديد. تصاعدُ وعي البشرية كان يبشّر بعودة الدين الى الحياة. السيد جمال الدين ورفاقه وتلاميذه في إيران وفي مصر وفي الهند وسائر بقاع عالمنا الاسلامي الكبير كانوا في طليعة من حمل هذا الوضوح، ونهض لتجديد الحياة على أساس الاسلام. وأمام هذه اليقظة الاسلامية الجديدة، والقيامة الاسلامية الكبرى واجه الاستعمار مقاومة طويلة صعبة.

وعلى هذا الطريق سطع رجال عظام كسطوع الكوكب في الليل المظلم، وكلٌّ واحد من هؤلاء من أمثال: إقبال، وعبده، والميرزا الشيرازي، وعشرات من الرجال العظام علّموا المجتمعات الاسلامية درساً في الاصلاح والمقاومة، ولم يستطع ضجيج

لمعارضين أن يغطي على نداء هؤلاء المصلحين، كما قال تعالى:

ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين باذن ربها.

«إبراهيم، ٢٤»

الاستعمار بدل كل مساعيه بشتى الصور، لكنه باء بالفشل الذريع، وبزغ فجر الثورة الاسلامية من كثير من مناطق العالم الاسلامي طلمه.. من ايران لشاهنشاهية.. وأنقذ أبناء الامة في هذا البلد من الجمود والخمود والضياع. لقد انتصرت الثورة، أقامت دولة على أساس الدين.

الدستور الوحيد المستمدّ من الفقه الاسلامي في العالم اليوم هو دستور إيران الاسلام. وهذا الدستور نصّ على أنّ المعيار الوحيد لقبول القوانين ورفضها هو الشريعة الاسلامية.

الثورة الاسلامية دفعت بايران على خطٍ إسلامي يؤدي باذن الله تعالى الى تحقيق الحكومة الاسلامية الكاملة. وبهذا عادت تجربة أنبياء الله العظام بعد أربعة عشر قرناً من النبوة الخاتمة الى حيز التطبيق. ومن المؤمّل إن شاء الله أن تتكرر في هذه الحكومة تلك الصور الرائعة التي شهدتها البشرية في ظل التجربة الاسلامية الاولى.

* * *

أيها الاخوة.. أيها الضيوف الكرام

أقولها جازماً أن الجهاد على طريق الله، ومن أجل تحقيق الاسلام جهادٌ شاق مرير طويل. لاينبغي أن نتصور وقوف العالم المادي.. عالم المستعمرين والقوى المتجبرة مكتوفَ الايدي أمام دعوة الاسلام الى الحياة. لقد شاهدنا منذ بداية انتصار الثورة الاسلامية مظاهر الفزع والجزع والاضطراب في عالم المستكبرين. وهذه المظاهر تجلّت في ألوان الممارسات العدائية ضدنا.

الاستكبار الامريكي هو الشيطان الاكبر الماسك بزمام الحرب السياسية والاعلامية والعسكرية المفروضة علينا. أربعُ سنينَ تصرّمت من عمر الثورة لم نشهد خلالها برهة خالية من ألوان المكر والكيد والتآمر والشيطنة الامريكية ضدنا. هذه المكائد تتمثل في الهجوم العسكري الصريح على بلادنا، وفي حثّ النظام البعثي العميل الحاكم في جوارنا للهجوم علينا، وفي فرض حرب علينا مضى عليها حتى الآن ثمانيةُ وعشرون شهرا، ومحاصرتنا اقتصادياً، ومصادرة أموال شعبنا في السوق العالمية، وإثارة الاستفزازاتِ الداخلية والنّعرات القومية والطائفية، والاخلالِ في المراكز الصناعية، وإضرام النار في محاصيلنا الزراعية، وشنّ هجوم إعلامي عالمي مكثّف واسع مضاد علينا.. كل هذه وغيرُها مساعٍ بذلتها الجاهلية المعقدة المتحكمة في العالم لمواجهة الولادة الاسلامية الجديدة في ايران.

لكني أيها الاخوة وأيها الضيوف الاعزاء، أقولها لكم بقلب مفعم بالبهجة، والامل والثقة إنّ كيدَ الله ومكرَه غلب حتى اليوم كيدَ الشيطان ومكره.

لم نكن مزودين بتجربة الحكم حين دخلنا الساحة. فبالايمان وحده واجهنا عالما مجهزاً بأضخم القوى البشرية. وبأعقد الوسائل التكنولوجية اللازمة للتفكير والتخطيط والتنفيذ. وهكذا نشب الصراع بين قوتين غير متكافئتين في كل الاصعدة والحقول. واليوم فاننا نحقق انتصاراتنا اعتماداً على سلاح الايمان على الرغم من كل ما نعانيه من نقص في التجهيز وفي سائر الحقول المادية.

إننا بما نمتلكه من إيمان، لانهونُ ولانحزنُ ولانخاف ولانفقد السكينة والاطمئنان.. نحن واثقون أن عداء الاستكبار العالمي لنا إنما هو من أجل الدين كما قال تعالى:

وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد

«البروج، ٨»

ويأنفون أيضاً بحكمة الانتصار على خط الكفاح من أهل الدين:

«ولينصرنّ الله من ينصره، إنّ الله لقوي عزيز»
«الحج، ٤٠»

• وكل مايواجهه على هذا الطريق فهو حسن ومحبوب:

«قل هل تربّصون بنا إلّا إحدى الحسنيين»
«التوبة، ٥٢»

أيها الإخوة... ياأصحاب الفضيلة أئمة جمعة العالم الاسلامي:

نودّ أن نعلم شعوب العالم بما يقوله إخوتهم في ايران ومايفعلونه. قولوا لهم: إننا ثرنا في سبيل الله وانطلاقاً من حكم الاسلام والقرآن واستطعنا خلال مدة قصيرة تقل عن أربعة أعوام أن نقطع خطوات رحبة على طريق الاسلام على الرغم مما كان سائداً في هذا البلد من تربية طاغوتية، وفساد ثقافي عريق عمل المستعمرون خلال عشرات الاعوام الاخيرة على نشره بقوة وشدة.

استطعنا أن نحيي الصلاة والزكاة والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعبودية الله في مجتمعنا. نجحنا في مكافحة الفساد والفحشاء وتعاطي الخمور وظاهرة تعرّي المرأة في بلادنا. لقد انقذنا شبابنا من التسكع والفراغ والعبث، ودفعنا بهم على خط الدفاع عن كيان الاسلام والثورة الاسلامية من خلال انخراطهم في المؤسسات الثورية مثل جهاد البناء وحرس الثورة الاسلامية. لقد جعلنا من الدين والاخلاق والعمل الصالح قيماً أساسية في مجتمعنا، يتباهى بها الافراد، ويتنافسون عبرها.

أحيينا بعون الله في بلدنا مفهوم الآية: «لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً». والقوتان الكبريان الشرقية والغربية وجبابرة الارض تمرّغت أنوفهم في هذا البلد القرآني. وكما استخف المسلمون الاوائل بقدرة كسرى وقيصر، كذلك استهزأ أبناء الامة الاسلامية في ايران بقدرة أمريكا وروسيا وبريطانيا وفرنسا.. لقد رفضنا الخضوع للجبابرة والطواغيت والمترفين في العالم، وانحنينا في الطاعة الى عبد صالح زاهد فمرفقه وحكمه. إن بلدنا اليوم هو البلد الوحيد الخاضع بثورته وسعته وحسنه لفقيه زاهد. لايملك هدفاً سوى الله، لايملك من حطام الدنيا شيئاً. ولامن بهارج الدنيا وزخرفها نصيباً. لكنه ابنٌ بارٌّ للذي قال: «الفقر فخري»، وتلميذٌ وفيٌّ للاسلام وعبدٌ خاضع لله، وأبٌ رؤوف بالامة.

أيها الاخوة، يامن حللتم ضيوفاً على بلد شهدت فيه أول ازاهير الحركة الاسلامية الكبرى في العصر الحاضر. نحن عازمون باذن الله على عرض المدرسة الاسلامية على جميع البشرية، ومصممون بعون الله أن ندفع بالنظام الاسلامي في بلدنا على طريق الكمال والسمو باستمرار، أي أن نحثّ الخطى على طريق الاقتراب من الله اكثر فأكثر.

نحن نعتقد أن التطبيق الكامل للاسلام بمقدوره أن يكون اكبر دليل على حقانية الاسلام. وهذا هو مفهوم صدور الثورة في عصرنا الراهن. نحن لم نستهدف على الاطلاق تصدير الاسلام الى أية بقعة من بقاع العالم بقوة السلاح. فعالمنا بأخوته المترابطة المتصلة اليوم سيستنشق العبير الفوّاح لهذه الزهرة الكريمة، وسيتجه نحوها.

نحن نعتمد على الشعوب وعلى قلوبها الطيبة لكلمة الحق. وأنتم ياعلماء الدين وخطباء اجتماعات الجمعة العظيمة بامكانكم أن تكونوا اللسان الناطق لشعبنا الثوري المسلم. صلاة الجمعة مظهر للدين والدولة معاً، وصورة رائعة من صور الساحة الاسلامية في ايران.

صلاة الجمعة محل اجتماع الكتاب والميزان والحديد وخطيب الجمعة ينطق باسم الله ويمثّل خلق الله.

وينبغي أن تكون هذه الفريضة الالهية وهذا

المسير الالهي الشمسي في خدمة الحق والحقيقة، وعاملاً على دفع الشعوب المسلمة على طريق تحقيق الاسلام.

من المؤمل ان شاء الله أن يسفر هذا المؤتمر العالمي الكبير عن تجارب جيدة لنا جميعاً من خلال تبادل وجهات النظر البناءة المثمرة بشأن هذه الفريضة الكبرى، وأن يكون خطوة أولى تعقبها خطوات أرحب.

أرى لزاماً في اختتام كلمتي أن أعرب عن شكري الجزيل العميق لاستاذنا الفقيه الكبير سماحة آية الله العظمى المنتظري مد ظله العالي الذي سن هذا السنة الحسنة، وأشكركم أيها الاخوة الاعزاء على مساهمتكم وتعاونكم في هذا العمل الكبير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الآدب القرآني

(القسم الاول)

آية الله العلامة الكبير السيد محمد حسين الطباطبائي

الميزان في تفسير القرآن: موسوعة تفسيرية ضخمة دبجها يراعة الفيلسوف الربانى الزاهد العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي رضوان الله عليه. و قد ارتأت هيئة تحرير (التوحيد) تقديم بعض بحوثه الموضوعية بأسلوب جديد:

—الأدب—

الادب في مفهومه العام:

هو الهيئة الحسنة التي ينبغي أن يقع عليها الفعل المشروع، اما في الدين، او عند العقلاء في مجتمعهم، كآداب الدعاء وآداب ملاقاة الأصدقاء.

فالدين الذى يضم فى عباداته خمس حالات، هي: الوجوب، والحرمة، والاستحباب، والكراهة والاباحة، يوجب أن لايحيد المتدين عن الالتزام بأحكام الوجوب والحرمة طاعة وامتثالاً لأمرالله سبحانه، و يبيح للانسان حرية التصرف فى المجالات الثلاثة الاخرىٰ بصورة متفاوتة من حالة الىٰ اخرىٰ مشجعاً او مثبطاً.

و فى هذه الموارد الثلاثة يأتى دور الأدب. كآداب المائدة، و آداب الدعاء وآداب الزيارة. واما فى المحرمات فلا آداب: اذ لا أدب فى الظلم، ولا أدب فى الخيانة، ولا أدب فى الكذب.

و تختلف نظرة عقلاء الأقوام المختلفة و الامم والأديان المختلفة للآداب انطباقاً علىٰ مصاديقها، و ان اتفقت اجمالاً علىٰ حسنها، و جمالها فهى مختلفة بينهم أحياناً، متناقضة عندهم أحياناً أخرى. فما يراه بعضهم علىٰ هيئة محبوباً، يراه آخرون محبوباً علىٰ هيئة أخرىٰ، و ما يراه بعضهم جميلاً، يراه الآخرون قبيحاً مستهجناً.

و نتيجة لاختلاف غايات المجتمع و نظرته للحياة، و نتيجة لعوامل طبيعية او اقتصادية او

---

*يراجع (تفسيرالميزان) ج ٦ ص ٢٥٦

ساقية او غيرها، تعينت الاخلاق عندهم، و حددت مفاهيمها لديهم، و نتيجة لهذا التحديد ستعين أصبحت تلك الأخلاق، ملكات متأصلة في نفوسهم، وانبثقت عنها الآداب التي أطرت ماالهم.

ولما كان الادب ينتج عن الغاية المطلوبة في الحياة، فالأدب الالهي يحاكي تلك الغاية المطلوبة من بعثة الأنبياء، و هي العبودية لله سبحانه، و توحيده في مرحلتي الاعتقاد والعمل، أدب الأنبياء(ع) يطابق و يحاكي عرض الدين بأنه بحسب مرتبته من الكمال والرقي.

و لما للاسلام من شمولية تسع الحياة كلها، فقد وسع الحياة أدباً، و رسم في كل عمل هيئة حسنة، تحاكي غايته، أي أن لكل عمل مباح يقوم به المسلم آداباً تنسجم و مبادئ الاسلام اذا طبق الاسلام، كما أراده الله.

و لما كانت النفس البشرية تتفاعل مع معطيات الخارجة، فتتأثر بمدلولاتها، و تنطبع بطبعها، ولما كان الفعل والقول رشحاً من صفحات النفس تضفي عليه خصائصها و سماتها، يمكن الرجوع اليها لمعرفة مدى تأثرها بالافكار والمبادئ التي تحيط بها والملابسات التي تطرأ لها فتؤثر في نقائها و صفائها.

فالنفس البشرية تتثاقل في تصديق الكليات العلمية، والايمان بصحتها —مالم تلق إلى المعلم ضمن العمل بشكل تطبيقي— و ذلك لانشغالها بالقضايا الجزئية الحسية، عن الكليات التي تضمها سيما اذا كانت خارجة عن الحس.

فالايمان بحسن الشجاعة، و قبح الجبن، مالم يدخل ميدان التطبيق العملي، والممارسة الفعلية، لاتقوى النفس معه على الاتصاف بالشجاعة في المعركة اذا جد الجد و حمي الوطيس.

فبالتطبيق العملي تعتاد النفس على أمثاله، وتستحاشى مايكمن فيه من أخطاء فتزداد مهارة وخبرة و كفاءة.

و كل عمل لم تعتد النفس ممارسته، يصعب عليها للوهلة الاولى، و يكون وقعه عليها عظيماً، ثم يقل تأثيره في المرة الثانية والثالثة... وهكذا كلما مارسته اكثر، كلما خفت وطأته عليه، واعتادت أمثاله بمهارة.

و هكذا بالنسبة لمعالم الاسلام، فقد روعي فيها هذا الجانب النفسي عند الانسان، فلم يشرع في تعليم المؤمنين به الكليات العقلية والقوانين العامة فقط وانما قرن القول بالعمل واتبعه. و بهذا يعمل الانسان المؤمن بتعاليم دينه تطبيقياً و هو مزود بالمعرفة والتقوى، وكلما ازداد عملاً بما علم، اورثه الله علم مالم يعلم.

والعامل العالم بما علم صادق في سريرته، تنطق بذلك—عندما يتحدث— قسمات وجهه، ونبرات صوته. و صيغ تعبيره، و ايحاءات خواطره وتكشف عن صدق ذاته فيتأثر السامع بما يلقيه فينشد لبيانه، و يؤمن بوجدانه، و يعمل بايمانه. والعكس بالعكس، فالعالم الذي يتناقض فعله مع قوله، يكون مردوده عكسياً على السامع، حيث يتبادر الى ذهن السامع ان هذا القول مكيدة تحاك لاصطياد البسطاء السذج من الناس، اذ يتصور مقولة الواعظ باطلة غير صحيحة، فلايؤمن بها— وهوتصور يخطئ أحياناً— فربما كان الواعظ محقاً في قوله، مخالفاً في فعله لعلة كامنة في نفسه أوطارئة عليه.

و من جهة أخرى ربما يتخلق السامع

بأخلاقه، ويحاكيه بنفاقه، ويقلده بمسلكه، اذ أن التلميذ يتأسى بأستاذه، ويتأثر بمعطياته، عندما يتخذه قدوة، ويتجاوب معه نفساً.

وفي الحالتين، الحالة السيئة، والحالة اللاحقة، ابتعاد عن الهدف المطلوب، حينئذ لا تؤدي التربية ثمارها، ولا تؤتي أكلها طيبة.

لذلك فالمعلم اوالواعظ يجب —وفق شروط التربية الصالحة— أن يطابق قوله فعله، وان يعمل بما يعظ به غيره، لأن فاقد الشيء لايعطيه فالجاهل لايمكنه ان يربي عالماً، والجبان لايربي شجاعاً.

ولذا استنكرالله فعل الذين يخالفون اقوالهم، او الذين يقولون مالايفعلون، فقال سبحانه:

«يا أيهاالذين آمنوالم تقولون مالا تفعلون. كبر مقتاً عندالله ان تقولوا مالا تفعلون» «الصف ۲،۳» وقال «أتأمرون الناس بالبر و تنسون أنفسكم وانتم تتلون الكتاب» «البقرة ٤٤». وقال مؤكداً أهمية تطابق الاقوال والافعال حكاية عن قول شعيب مخاطباً قومه مما بعض ما أدبه به ربه: وما اريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه» «هود ۸۸».

لذلك كله يلزم ان يكون المعلم مؤمناً بما يقوله ومايلقيه الى تلامذته، لأن الكلام الذي هو جزء من الرشحات النفسية وافعالها يحمل طبيعة تلك النفس، من نفاق أوكفر أو إيمان، لنفس المتعلم البسيط، فتنطبع نفسه، بما انطبعت عليه نفس المعلم.

وقد ذكر سبحانه الكثير من القصص المعبرة عن ذلك، من سيرة الأنبياء(ع)، الزاخرة بأعمالهم، وفق ما ادبهم به ربهم، في عباداتهم وادعيتهم واسئلتهم، كأمثلة عملية على الأدب الالهي.

الأدب الرسالي

١— قال تعالى بعد قصة ابراهيم (ع) —في التوحيد— مع قومه: «وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه. نرفع درجات من نشاء. ان ربك حكيم عليم. ووهبنا له اسحاق ويعقوب. كلاً هدينا. ونوحاً هدينا من قبل. ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون. وكذلك نجزي المحسنين. وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين. واسماعيل واليسع ويونس ولوطا. وكلاً فضلنا على العالمين. ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم. واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم. ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده. ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون. اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة. فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين. اولئك الذين هدى الله، فبهدا هم اقتده» (الانعام ٩٠)

وقد ذكر الله —في هذه الآيات— أنبياءه الكرام ذكراً جامعاً، واكرمهم بالهداية الإلهية الى توحيده سبحانه دون غيرها، وذلك بدليل قوله: ولو أشركوا لحبط عنهم». فجعل مقابل «هدى الله» الشرك. ومنه يتضح ان المقصود بـ «هدى الله». هدى التوحيد.

وصفة التوحيد متمكنة من اعمالهم عليهم السلام، سارية فيها مستوعبة اياها حتى دقائقها، بحيث تتجسد فيها صورة التوحيد، كما أنها تمثله أصدق تمثيل بدليل قوله: «ولو اشركوا لحبط

عنهم ما كانوا يعملون)).

و لهذا المعنى مصاديق كثيرة في الصفات الروحية نشاهدها في عالمنا الواقعي، فالحزين يبدو حزنه من حركاته و نظراته، كما يبدو منها كذلك الفرح والسرور، و هكذا بالنسبة لبقية الصفات: كالكبر، والتواضع، والبؤس، والسعادة، والخوف، والأمن، الى ما هنالك من صفات فإنها تبدو واضحة جلية في أعمال الانسان و حركاته وتقاطيع وجهه و نبرات صوته وغيرها.

كما نفهم من هذه الآيات الكريمة ان الله سبحانه أمر نبيه ـ بقوله «فبهداهم إقتده» ان يقتدي بهداية من سبقه من الأنبياء في أعمالهم المبنية على التوحيد، المتسمة بالتأديب العملي والهداية العملية، دون الاقتداء بأفكارهم وعقائدهم. لأن الإعتقاد قضية غير اختيارية بذاتها، و انما هي نتيجة لمقدمات كثيرة تتبلور في ذهن الانسان عقدة ثابتة، يمتاز بها عما سواه.

و اقتداء النبي (ص) بأعمال الأنبياء السابقين المتسمة بالتأديب الالهي، هو الذي تشير اليه الآية الكريمة: ((وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات، و اقام الصلاة و إيتاء الزكاة، و كانوا لنا عابدين)) ((الأنبياء: ٤٧)). فإن الإيحاء في هذه الآية وحي تسديد لاوحي نبوة إذ المقصود من المصادر المضافة (فعل الخيرات) و (اقام الصلاة) و (ايتاء الزكاة) أفعال صادرة عنهم من خيرات فعلوها او صلاة أقاموها أو زكاة آتوها. ولو كان الوحي، وحي نبوة وأمر، لكان بهذه الصيغة، (و اوحينا اليهم ان افعلوا الخيرات و اقيموا الصلاة و آتوا الزكاة). كما وردت بعض الآيات في مواضع عديدة من القرآن كقوله تعالى: ((ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا ...)) ((النحل ١٢٣)). وقوله: ((واوحينا الى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً و اجعلوا بيوتكم قبلة و اقيموا الصلاة.)) ((يونس ٨٧)). حيث ان هذا الوحي في قوله ((أن اتبع)). وقوله ((ان تبوءا)) و (واجعلوا) و (و أقيموا الصلاة). وحي نبوة و أمر لاوحي تسديد.

و وحي التسديد: هو ان يخص الله بعض عباده بروح قدسي يمنحه التسديد في اعمال الخير والسيرة تماماً كما يسددنا الروح الحيواني في أخذ ما نريد أخذه و ترك ما لا نريد.

فقوله ((فبهداهم اقتده)). هو أمر و تأديب الهي احسانى للنبي (ص) بأدب التوحيد الذي اتسمت به اعمال الانبياء السابقين (ع).

ثم بيّن سبحانه في آيات اخر بعض آداب الانبياء (ع) و صفاتهم و اتسامهم بصفة العبودية لله، و الخضوع له فكراً وعملاً في الاوساط الاجتماعية و في العلاقة الربانية، في تعاملهم مع الناس وتعاملهم مع الخالق. قال سبحانه بعد ما ذكر عدة من انبيائه (ع): ((اولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم، وممن حملنا مع نوح، و من ذرية ابراهيم و اسرائيل، و ممن هدينا و اجتبينا، إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خرّوا سجداً و بكيا. فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة و اتبعوا الشهوات، فسوف يلقون غيّا، الا من تاب و آمن و عمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة و لايظلمون شيئاً)) ((مريم ٦٠)).

فسجودهم عليهم السلام عند سماع الآيات هو علامة الخضوع فعلاً، وبكاؤهم هو آية الخشوع قلباً، والتذلل نفساً، و استيلاء صفة العبودية على مشاعرهم واعمالهم، على ظاهرهم

في الافعال والحركات، و علىٰ باطنهم في التذلل والخشوع يدل عليه البكاء في قوله «و بكيّا».

و يدل علىٰ ادبهم العام في حياتهم في الآية الثانية: «فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات» حيث الصلاة رابطهم وجهه مع الخالق سبحانه، و اتباع الشهوات تعامل اجتماعي، وعند مقابلة «الذين انعم الله عليهم من النبيين» مع من خلفوهم من بعدهم تبدو لنا سيرة الذين انعم الله عليهم و تعاملهم مع الله في الصلاة و مع عباده في الالتزام وعدم اتباع الشهوات. اي انطباعهم بصفة الخضوع والخشوع والعبودية لله في السوق و في المحراب و في كل مجال من مجالات الفكر والعمل.

٢ــ قال تعالىٰ: «ما كان علىٰ النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل و كان أمرالله قدراً مقدوراً. الذين يبلغون رسالات الله و يخشونه ولايخشون أحداًإلاالله و كفىٰ بالله حسيباً» «الاحزاب: ٣٩»

و قال تعالىٰ مؤدباً نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ان لايتحرج فيما قسم الله له من الامور التي فرضها و سنها، كما فرض علىٰ من قبله من الانبياء الكرام(ع) و تطبيق رسالته سبحانه كما أرادها الله له دون خشية احد سواه و دون تكلف فوق طاقته و فوق مايسر الله له و سهل قال سبحانه «لايكلف الله نفساً الاوسعها» «البقره ٢٨٦»، وقال«لا يكلف الله نفساً الاماآتاها» ولما كان التكلف خروجا عن الفطرة،فهو من اتباع الشهوة، والانبياء في مأمن منه.

٣ــ و قال تعالىٰ: «يا أيها الرسل كلوا من الطيبات و اعملوا صالحاً اني بما تعملون عليم، أن هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون» «المؤمنون ٥٢».

حيث امر سبحانه الرسل ان يأكلوا من مآكل الحياة الطيبة والتي تنسجم والفطرة الانسانية التي فطر الناس عليها،والابتعاد عن الخبائث التي تضر بتلك الفطرة و لا تنسجم واطارها العام، و بمعنىٰ آخر ان الله اباح لهم التمتع بالمآكل التي سمح لهم بها،والابتعاد عما حرمه عليهم، و دعاهم للأعمال الصالحة التي ترضيه سبحانه، و تصلح امتهم، و[illegible] يقدم لله سبحانه.

ثم دعاهم للتمسك بطاعته،والالتزام بحبه. حيث نبههم الىٰ انهم امة واحدة وان ربهم واحد، فليجتمعوا علىٰ طاعته، وترك التفرقة والتشتت والتخالف والتحازب والتنازع.

و من الآية السالفة يتجلىٰ الادب الفردي: «كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً»، والادب الجماعي: «وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون»،و بهما معاً يتكون مجتمع ملتزم منسجم مع بعضه منقاد لامرخالقه، غير مذعن لأحد سواه.

و قد ورد ذلك في مواطن مختلفة من القرآن الكريم، مرة مجتمعين،واخرىٰ منفردين.

فمثال انفرادهما قوله في الادب الفردي «وماأرسلنا قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لاإلٰه الا أنا فاعبدون». حيث امرهم جميعاً بتوحيده أولاً،ولزوم عبادته وتقواه فهذا ادبهم مع خالقهم.

وفي ادبهم الجماعي، اي علاقتهم بالمجتمع،تقول الآية: «وقالوا مالهذا الرسول يأكل الطعام و يمشي في الاسواق... الىٰ قوله: وماأرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام و يمشون في الأسواق» «الفرقان: ٢٠»فقد ذكر ان الطبيعة

الانسانية والحيوانية تتجسد في الانبياء كما تتجسد في سائر الناس دون اختلاف عنهم في فطرتهم إلا في الموارد التبليغية كالعصمة والاتصال بالوحي. كما تشير الآية الى انهم يختلطون بالناس، ويرفضون الحجب دونهم، او التميز عنهم والاستعلاء عليهم.

ومثال اجتماعهما قوله تعالى: «شرع لكم من الدين ماوصى به نوحاً والذي أوحينا اليك، وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه» «الشورى: ١٣». فهي جمع الادب الفردي، والتكليف الشخصي، والادب الجمعي، الذي يشمل الحياة الاجتماعية.

ادب التوابين

الأدب الالهي في قصة آدم وحواء(ع)

عندما أسكن الله آدم وحواء الجنة، سمح لهما بالأكل من ثمارها جميعاً، الا شجرة واحدة، وحذرهما من عدوهما اللدود إبليس الذي يتربص الفرصة للايقاع بهما في خسران المعصية، وحرمان النعمة التي أشار سبحانه اليها بقوله: «إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى، وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى» «طه ١١٨». وأبان لهما ان إبليس لايرضى لهما هذا النعيم وهذه السعادة، وانه يسعى جاهداً لاخراجهما من الجنة، لذلك قال سبحانه محذراً اياهما ومبيناً نتيجة مخالفة ارشاداته وتعاليمه: «فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى» «طه ١١٧» «فنسي» «١١٥طه»، «فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ماوري عنهما من سوآتهما وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أوتكونا من الخالدين، وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين فدلاّهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة، وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين» «الاعراف: ١».

وحينئذ شعرا بأن إبليس كان يقسم كذباً، وتذكرا تحذير الله لهما منه والذي نسياه في حالة غفلة، وادركا فداحة الخطب الذي وقعا فيه والخطأ الذي ارتكباه، والذي ستسلب منهما النعمة بسببه، ويحل بهما الشقاء، فلم يقعدهما اليأس ويثبطهما القنوط، وينشغلا بأحداث الساعة عن أمل المستقبل ورحمة الله سبحانه، فاتيا اليه تائبين، وفزعا اليه مستجدين، طالبين عفوه عما اقترفاه، وصفحه عما أذنباه فقالا: «ربنا إننا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفرلنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين» «الاعراف: ٦٣». وكشفا عن كل شيء، وأبانا بذل وانكسار حالهما وما آلا إليه من ضياع وهوان، وان الفتق الذي سبباه لاراتق له الا الله. فخاطباه بلسان الندم ودموع الاستغفار انهما يستحقان عقابه بفعلهما، ويسلمان لحكمة وارادته، يأملان منه ما يأمل العبد من سيده والمربوب من ربه من عفو وغفران واحسان. فقبل منهما التوبة، ووعدهما بالمثوبة ماجدّا في التوبة واستمرّا في الطاعة.

وفي هذا نعرف ان معصيتهما لم تكن معصية تكليف وحرمة، وانما فعلا خلاف الاولى، لأن النهي الالهي، كان نهي ارشاد، لانهياً مولوياً الزامياً، والا لكان قبول التوبة منهما يُنتج

ارجاعهما الى الجنة التي أخرجا منها، وعدم بقائهما في الشقاء الدنيوي.اذ قال تعالى مبيناً حالة آدم بعد الاستغفار «فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم، قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم مني هدىً فمن تبع هداي فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون» «٣٨:البقرة»

الادب الالهي في قصة نوح(ع)

و من أدب الانبياء التوابين عليهم السلام ماحكاه الله في القرآن من دعوة نوح(ع) ربه بشأن ابنه قال تعالى: «وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يابني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين. قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء –الى أن قال– ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من أهلي وان وعدك الحق وانت أحكم الحاكمين. قال يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ماليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين. قال رب إني أعوذبك أن أسألك ماليس لي به علم وان لا تغفرلي وترحمني أكن من الخاسرين» «هود: ٤٧».

ربما يتبادر لذهن قارئ الآيات السابقة للوهلة الاولى ان نوحاً (ع) تأثر عاطفياً و دعا بالنجاة لابنه الذي انحاز و اختار الكفر على الايمان و هذا لاريب قادح في العصمة والحصانة الرسالية التي يتحلى بها الانبياء عليهم السلام الا أنه يبدو خلاف ذلك عند تدبر تلك الآيات.

فقد امرالله نبيه نوحاً ان يركب السفينة و يحمل فيها أهله من زوجات واولاد و نساء الاولاد والمؤمنين و من اجناس الحيوانات المختلفة من كل زوجين اثنين، و استثنى منهم من سبق عليه القول كما فى الآية «قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين و أهلك الامن سبق عليه القول و من آمن» «هود: ٤٠» .وقد كانت امرأته كافرة كما ذكرها الله بقوله «ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح و امرأة لوط» «التحريم: ١٠».فهم من بين استثناهم الله مع الكافرين. اما ابنه فلم يظهر مايشير الى كفره بسوء نوح عليه السلام الا معصيته لأبيه بمخالفته حينما دعاه لركوب السفينة و كان في معزل وليس هذا بالكفر الصريح فربما ظن انه مؤمن به و يستحق النجاة كما وعده ربه بنجاة أهله، هذا من جانب.

و من جانب آخر ان الله ابان لنوح عليه السلام حكمه في الناس بقوله: «واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الامن قدآمن فلا تبتئس بماكانوا يفعلون، واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون» «هود: ٣٧». ولكن لم يتضح النهي عن الخطاب لنوح (ع) بشأن الذين ظلموا أيخص الكافرين ام يعم كل الظالمين، و منهم ابنه الذي اصبح عاصياً بمخالفته دعوة أبيه، هذا مايتضح الى نوح (ع) من الله سبحانه لأنه مجمل مبهم

فكأن تفسير «الذين ظلموا» وضعه في موقف مشكل فلجأ الى ربه مستفهماً حكمة مستبيناً أمره بقوله: «رب ان ابني من اهلي» الذين وعدتني بنجاتهم «و وعدك الحق وانت

م الحاكمين»فاراداان يستوضح مابهم عنده
ر ابنه. فنوح(ع) —و هو المعصوم— لم
كم فيه العاطفة فتجره لمعصية الله او يغفل
اعة ربه او ينسى وحيه «ولا تخاطبني في
ظلموا انهم مغرقون» «هود: ٣٧». وهو من
العزم الخمسة،سادات الانبياء،والقائل:
لا تذر على الارض من الكافرين دياراً»
: ٢٦»، فلوكان دعاؤه الله بشأن ابنه مع
كفره لدعاه بشأن امرأته أيضاً.

نوح(ع) لم يسأل ربه و يطلب منه نجاة
و انما القى مسألته مستفسراً منه سبحانه
و مايؤول اليه، مستوضحاً الظروف الغامضة
اب المبهمة التي اعتورت مصير ابنه.

هذا الادب الالهي — الذي تأدب به
اء(ع)— ان يقفوا عند مايعلمون، ولايطلبوا
ه أمراً لايعلمون وجه الحكمة فيه، وفسر الله
عد الذي وعده «وأهلك» بقوله: «انه ليس
هلك» الذين و عدتكبنجاتهم «انه عمل
الح» فلايستحق النجاة من الغرق. ثم نهاه
سؤال بعد الذى علمه عما ليس له به علم
«فلا تسألن ماليس لكبه علم» فأدركته
مة و قطعت عليه الكلام، و امتنع عن الوقوع
لايحل التزاماً بالأدب الإلهي و اجاب
جيراً بالله عائذاً به أن يسأل شيئاً لايحق له
ل عنه فـ «قال رب اني أعوذبكأن أسألك
، لي به علم».

لم يقع السؤال من نوح(ع) بطلب نجاة ابنه
اختار الكفر بدليل قوله سبحانه
تسألن» مما يدل على المستقبل،والاقوال
الصريح كقوله «يعضكم الله ان تعودوا
أبداً» «النور:١٧»، و بدليل قوله: «قال رب
اعوذبكان أسألك...»، فلم يقل: «اعوذبكمن
سؤال ماليس لي به علم» فيدل اضافة المصدر
الى فاعله على وقوع الفعل منه.

وهناك نقطة في الأدب الالهي تلفت النظر،
أن نوحاً(ع) بدأ دعاءه بقوله: رب فهو شعور
بالعبودية و شعور بالحاجة الى الراعي المدبر
المالك الخالق و انه —نوح(ع)— في مقام السائل
المملوك المحتاج و هو من انواع الاعتراف
بالفضل، والامتنان به، والثناء عليه، حيث قدم ذلك
كله على مسألته تأدباً أمام خالقه. و هذا ما
نلمسه في كثيرمن الادعية الواردة في القرآن
الكريم عنهم عليهم السلام— ان لم نقل
في كل الادعية المذكورة.

و من دعاء نوح عليه السلام ماحكاه الله
تعالى بقوله:

رب اغفرلي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تباراً» «نوح:٢٨»

ذكرالله سبحانه هذا الدعاء حكاية عن نبيه
نوح عليه السلام في آخر السورة، بعد آيات كثيرة
أبانت الجهد الذي بذله نوح(ع) في نشر دعوته
وإنقاذ قومه من عبادة الاصنام و ارتكاب الآثام،
مثيراً عطفهم تارة،وتارة اخرى ملفتاً عقولهم
لعظمة الله ووحدانيته، و روعة مخلوقاته،وما فيها
من حكمة و نظام، و انهم جزء من هذاالكون.
خلقهم فيه،وأنشأهم عليه،هيألهم كل مايحتاجونه
لبقائهم،والحفاظ على حياتهم. ثم وعدهم بمغفرة
الله و رضوانه و ثوابه في الآخرة ،بل وعجل لهم
بالمثوبة في الدنيا بمغرياتها الكثيرة مجاراة لهم
فيما يطمحون منها من ثمار وانهار واموال و بنين.

وقد بذل من اجل هدايتهم كل ما أمكنه

بذله وتوصلت إليه معرفته في الليل و في النهار، في السر و في العلن، بالعاطفه و بالعقل مايقرب من الف سنة. فما قوبل الا بالرفض والهجرية والمكر والاستكبار والتعصب لأصنامهم دون حجة والفرار عن دعوته دون درعه فلم تهدأ ثورته ولم تسقط عزيمته ولم ينفك عن دعوتهم و يصمت عن تحذيرهم، حتى اوحي اليه «انه لن يؤمن من قومك الامن قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون» «هود ٣٦» بعدء ربه بعدها معتذراً عن قصوره مبتدئاً بذكر ربه قائلاً «رب اغفرلي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين و للمؤمنات». و بهذا استثنى من اهل بيته من كان فيهم من الكافرين. و دعا لوالديه المؤمنين و خص بدعائه المؤمنين والمؤمنات بدعوته من قومه فلم يغفل تسببهم ولم ينس نصرتهم إياه ممن انضوى تحت لوائه ثم دعا للمؤمنين والمؤمنات في العصور التالية المتعاقبة، ثم دعا على الذين أصروا على الكفر عناداً واستكباراً من الكافرين و على الذين اتبعوهم سفهاً وجهلاً عامدين معرضين عمايدعوهم اليه تحزباً و تعصباً. قائلاً: «ولا تزد الظالمين إلا تباراً» لأنهم راحوا يسخرون منه و يمكرون به و بدعوته حتى أضلوا بعض اتباعه فدعا عليهم بالهلاك لأنه يئس من ايمانهم وخاف على أتباعه من غوايتهم و اضلالهم كماحكاه القرآن الكريم عنه قائلاً: «رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً، انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولايلدوا الا فاجراً كفاراً» «نوح: ٢٧».

و ما ذكره(ع) من اضلالهم العباد المؤمنين، ذكره في موطن آخر عندما شكاهم الى الله بعدما عاين بعض اتباعه منصرفين عن دعوته، منقادين للكافرين، معرضين عن نفسهم، متأثرين بساحرانهم واغوائهم، و سخريتهم فقال محاججه: «وقد أضلوا كثيراً» «نوح: ٢٤». و ماذكره في قوله: «ولايلدوا الافاجراً كفاراً»، تمرس نوح واحتار غني عن الله.

«فسلام على نوح في العالمين» «الصافات: ٧٩». كما ذكر الله موحد وكلما دعالله مرشد لأنه أول الدعاة بكتاب و شريعة، و صلى الله عليه و على سائر الرسل و الائمة العظام.

الأدب الالهي في قصة ابراهيم(ع)

و من الادب الالهي الذي أدب الله به أنبياءه ماتلمسه في قصة ابراهيم(ع) في محاججه قومه حول عبادة الاصنام قال حاكياً عنه تعالى: «قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون، أنتم وآباؤكم الأقدمون، فانهم عدولي الارب العالمين، الذي خلقني فهو يهدين، والذي هو يطعمني و يسقين، واذا مرضت فهو يشفين، والذي يميتني ثم يحيين، والذي أطمع أن يغفرلي خطيئتي يوم الدين، رب هب لي حكماً والحقني بالصالحين، واجعل لي لسان صدق في الآخرين، واجعلني من ورثة جنة النعيم، وأغفرلأبي إنه كان من الضالين، ولا تخزني يوم يبعثون» «الشعراء: ٨٧»

نهض ابراهيم(ع) بالدعوة وحيداً في امه ألفت عبادة الأصنام. قال تعالى: «ان ابراهيم كان امة قانتاً لله حنيفاً و لم يك من المشركين» «النحل: ١٢٠» فأعلن ثورته على تلك الظاهرة السخيفة التي تمجد حجارة صنعتها يدالنحاتين، و ابان ضلالتهم بعبادتها و دعا الى عبادة الله الخالق والرازق والمدبر المحيي والمميت.

فمن أدبه(ع) ان أثنى على ربه وحده ثناءً حميلاً، ففد ذكر بان الله ليس ربّه ففط و انما هو رب العالمين مبيناً الرعاية الالهية المنفرعة عن معنى كلمة الرب، معبراً عن نفسه كمثال لكل افراد قومه الذين انعم الله عليهم بنعم لا تحصى ولـس وحدهم، بل لكل العالمين، من خلق وايجاد وهداية في مسرة الحياة، وغذاء و شفاء، وممات واحياء، ومغفرة له في الآخرة. فهو المفضل على الانسان من بدء خلفه الى رجوعه الى الله، فالله هو الحدير بالعبادة حفاً، و كل ماسواه باطل،

و هاهو يصف نفسه فيها —و كل العالمين على شاكلته— بانه الففير الى الله، المحتاج الى عونه و رعايته في كل آن، الذى لايملك الخير الامن عنده، والفوز الا برضاه، والصلاح الابطاعته.

و من أدبه عليه السلام نسبة المرض الى نفسه، والشفاء الى الله، لأنه سبحانه لايصدرمنه الا الجميل، والمرض ينشأ من عوامل عديدة تجتمع في خطأ حادث، وخلل طارئ على النظام الطبيعي، وان كان ينتهي ذلك كله الى الله سبحانه، الا أنه ليس بصدد بيان اسباب حدوثه، وانما بصدد ذكر رعاية الله، وامداد الانسان بما يصلحه في ذاته، كوقاء احتياطي، لتلافي بعض النقائص الحادثة بسبب الاخطاء الطارئة.

ثم دعا لنفسه مفتتحاً دعاءه بشهادة العبودية لله، قائلاً: «رب» طالباً فيه من الله أسمى المطالب وارقاها، معرضاً عن سفاسف الدنيا ومغرياتها الزائلة، قائلاً: «هب لي حكماً» وهو الشريعة والبصيرة فيها، طالباً اللحاق بالصالحين، وان تبقى شريعته الى يوم الدين، تتناقلها الأجيال، جيلاً بعد جيل، و امة بعد امة. آملاً في ذلك كله رضى الله والفوز بنعيمه و تجنب غضبه و نقمته و عدم الخزي يوم القيامة.

و استجاب الله دعاء نبيه ابراهيم(ع) في كل ما أراده الا في حق ابيه اذ تبرأ ابراهيم(ع) منه لما رآه مصراً على الضلالة والكفر ولم يغفرالله له. قال سبحانه: «ملة ابيكم ابراهيم» «الحجر٧٨»، وقال: «وجعلها كلمة باقية في عقبه» «الزخرف: ٢٨». و قال: «ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين» «البفرة: ١٣٠»، وحياه بسلام عام إذ قال: «سلام على ابراهيم» «الصافات: ١٠٩».

والتاريخ بعده يشهد بصدق ماعبر الفرآن عنه، من دعوة للتوحيد و نبذ للأصنام في وقت خبت صوت الدين الذي جاء به نوح(ع) والأنبياء من بعده(ع) واندثرت آثاره وشاعت البدعة بعبادة الاصنام، والتعصب لها فأعلن رأيه ودينه على اسماع امه، بل وحطم أصنامهم بيديه، واخرسهم بحججه و بيناته، وأحيى دين الله بثباته، وخلال اربعة الآف سنة تعاقبت الاديان امتداداً لدعوته، وفي عفبه وذريته.

واستجاب الله دعاءه في مواطن وموارد اخرى:

منها: قوله: «رب هب لي من الصالحين» «الصافات: ١٠٠»، مبتدئاً دعاءه باسم الرب لاجئاً اليه من ففر لولد صالح يكون به امتداد دعوته و بفاء ذكره، واستمرار أجره.

و منها حينما قدم مكة واسكن اسماعيل وامه فيها، قال: «رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر» قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب

النار وبئس المصير» «البقرة: ١٢٦».

حيث دعا الله ان يجعل من ذلك الموضع المقفر والوادي الخالي من الزرع بلداً عامراً بالناس يقصدونه في عباداتهم، ويؤمونه من مساكنهم مركزاً عبادياً تتوحد به الوجهة، وتتحد به الكلمة تجلب اليه الثمار، وتنأى عنه الاخطار.

وقوله(ع) : «رب اجعل هذا بلداً آمناً» يشير بذلك الى جعله بلداً مقدساً يحترمه الناس فلاينتهكون حرمته، آمناً بقلعة الايمان لابقلعة الحيطان او الحواجز المادية، قال تعالى: اولم نمكن لهم حرماً آمناً يجبى اليه ثمرات كل شئ» «القصص: ٥٧». وقال تعالى: «اولم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم» «العنكبوت:٦٧». فان القتل وسفك الدماء والنهب ان يحصل خارج مكة أوحولها في البيداء فانه لايحصل فيها احتراماً لقدسيتها وعظم مكانتها في نفوسهم.

وقد قيد بدعائه(ع) هذه الخصائص والميزات للمؤمنين بالله، اذ غير المؤمنين ممن يسكن الحرم، وكيف يرزق قاطنوه من الثمرات وما حوله بطحاء غير ذات زرع، فلم يتعرض له بدعائه، بل أوكل ذلك لله.

وهذا من ادبه(ع) في الدعاء اذ ليس من اللائق ان يعلّم الجاهل بالامور عالماً، والضعيف قديراً وانما ترك الامر اليه يدبره كيف شاء لانه على كل شئ قدير.

ولما كانت رحمته في الدنيا وسعت كل شئ، وحتى الكافر. وفق السنة الجارية المألوفة لم يستثن أحداً، وانما تمم دعاء نبيه ابراهيم(ع) بقوله: «ومن كفر فامتعه قليلاً ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير».

واستجابة لهذا الدعاء شُرِّعَ الحرم الالهي ببناء الكعبة المقدسة التي هي أول بيت وضع للناس ببكة مباركاً وهدًى للعالمين وبقيت قبلة ومزاراً للاجيال اللاحقة.

ومن دعائه(ع) في آخر عمره ما حكاه الله تعالى بقوله: «وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبني أن نعبد الاصنام، رب انهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم، ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون، ربنا انك تعلم مانخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الارض ولافي السماء، الحمدلله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق إن ربي لسميع الدعاء، رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء، ربنا اغفرلي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب» «ابراهيم: ٤١».

والدليل على أن دعاءه(ع) بهذا الدعاء كان في أواخر عمره هو:

١ - استجابة دعائه السابق بأن رزقه الله على الكبر ولدين هما: «اسماعيل واسحاق» بدليل الآية الشريفة حكاية عنه(ع): «الحمدلله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق ان ربي لسميع الدعاء».

٢ - عمران وبناء بلدة مكة لقوله «رب اجعل هذا البلد آمناً» فكلمة «البلد» معرفة أي أن مكة منشأة موجودة، وقد تم انشاؤها بعد ولادة اسماعيل(ع)، ولم يقل كما دعا في دعائه السابق: «واجعل هذا بلداً امناً» حيث صاغه صياغة

ثرة. مما يدل على عدم انشاء مكة و قيامها.

و من الادب الذي يتجلى في هذه الآيات كر كلمة «رب» في بداية الدعاء الذي يختص نفسه، و كلمة «ربنا» في بداية الدعاء الذي ماركه فيه غيره.

و من الادب الظاهر في هذه الآيات انه كلما عا بحاجة من الحوائج التي يسوغ له المطالبة بها كر الغرض الصحيح منها، فانه حينما قال: اجنبني و بني ان نعبد الاصنام» من بعدها مقوله «رب انهن اضللن كثيراً من الناس» عندما قال: «ربنا إني أسكنت... الخ» عقب قوله: «ربنا ليقيموا الصلاة» و لما دعا بقوله: فاجعل أفئدة من الناس... الخ» بين الغرض ن ذلك بقوله «لعلهم يشكرون».

و من أدبه(ع) في الدعاء أنه أردف كل حاجة ذكرها بما يناسب مضمونها من أسماء الله حسنى، فعندما قال: «ومن عصاني» عقب بقوله فانك غفورٌ رحيم» و عندما ذكر موهبة الله له ولديه اسحاق و اسماعيل عقب بقوله: «إن ربي سميع الدعاء» و نلمس تكرار كلمة: «رب» و ربنا» عند ذكر كل حاجة من حوائجه فهي همزة الوصل والرابطة الدائمة بين الخالق المخلوق، و فيها السند والرعاية ولجوء فقير المحتاج الى الغني القادر.

و من ادبه(ع) أنه لم يدع على قومه بسوء لما حمله لهم من حب و ما يريده لهم من نجاة، حينما ذكر العصاة بقوله «ومن عصاني» ذكر حمة الله ومغفرته راجياً منه سبحانه أن يتلطف بهما على قومه قائلاً: «فانك غفورٌ رحيم».

و من دعائه(ع) وابنه اسماعيل(ع) مشتركين كما حكى الله عنهما: «و اذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت و اسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك و أرنا مناسكنا و تب علينا انك أنت التواب الرحيم، ربنا و ابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك و يعلمهم الكتاب والحكمة و يزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم» «البقرة: ١٢٩»

دعواته عند بنائهما الكعبة. و فيه من محاسن الأدب الإلهي الجميل ما في غيره مما سبق بيانه في الآيات السابقة.

و من ادبه وابنه عليهما السلام ما حكاه الله في قصة الذبح. قال تعالى: «فبشرناه بغلام حليم، فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبتِ افعل ماتؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين» «الصافات: ١٠٢».

ففي صدر الآيات كان تأدب اسماعيل(ع) مع ابيه(ع)، إلا أنه انتقل الى التأدب مع ربه لقوله «افعل ماتؤمر» و في كليهما تأدب لمه بأن ابراهيم(ع) خليل الله أهل أن يطاع مثله امتثالاً وطاعة له.

فمن ادبه(ع) أنه لما رأى في المنام ان يذبح ابنه —وكان أمراً الهياً بدليل اجابة ولده له «يا أبت افعل ماتؤمر»— عرض الامر على ولده و أمره ان يرى رأيه فيه و موقفه منه، و لم يفرضه عليه فرضاً، و هذا من ادبه مع ابنه .

الادب الالهي في قصة اسماعيل(ع)

فمن ادب اسماعيل(ع) مع ابيه(ع) أن أجابه

بقوله «يا أبت افعل ماتؤمر» حيث طيب نفس ابيه بقوله «يا أبت» ولم يذكر لأبيه بأن له رأياً في ذلك تواضعاً لأبيه و نكراناً لذاته وأجابه بجواب قطعي لا تراجع و لا تخيير فيه لأنه أمر صادر من الله. ولارأي لإنسان مقابل أمر الله فكان جوابه: «افعل ماتؤمر» و لم يجبه بما يشير الى التروي والتردد كأن يقول له «ان شئت فافعل» و لأنها إشاءة الله لا مشيئة والده و ليس لهما الا الامتثال والتنفيذ.

و من أدبه(ع) مع ابيه(ع) قوله: «ستجدني ان شاء الله من الصابرين» نزولاً عند أمر الله. وقطعاً له. تطييباً لنفس أبيه(ع).

و من أدبه(ع) مع ربه أنه لم يقطع في وعده بالصبر حينما قال لأبيه «ستجدني ان شاء الله من الصابرين وانما علّق ذلك بمشيئة الله لأن كل شيء متعلق بمشيئة الله سبحانه و متصل بسببه ولئلا يتوهم في حق اسماعيل(ع) دعوى في الاستقلال في السببية والتي هي شائبة تخلو منها ساحة النبوة.

فقد ذمّ الله في كتابه اصحاب الجنة لما أقسموا و قطعوا أمراً عزموا عليه من قطف ثمار جنتهم في الصباح القادم ولم يعلقوا ذلك الأمر بإشاءة الله سبحانه. كما ورد في الآية الكريمة قوله: «إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين، ولايستثنون» «القلم: ١٨» . كما دعا نبيه الكريم(ص) بأن يعلق مشيئته بمشيئة الله فقال.

«ولا تقولن لشيء إنّي فاعلٌ ذلك غداً. إلاّ أن يشاء الله واذكر ربّك إذا نسيتُ قل عسى أن يهدين ربّي لأقربَ من هذا رشداً» .

سورة الكهف: ٢٣-٢٤

الأدب الالهي في قصة يعقوب(ع)

و من الادب الالهي الذي يتحلّى في قصة يعقوب(ع) أنه عندما رجع أولاده من مصر ولم يكن معهم بنيامين و يهودا وحكوا له ماحدث لهم في مصر عبر القرآن الكريم عما آل اليه حاله بقوله «وتولى عنهم، وقال يا أسفا على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم، قالوا تالله تفتؤا تذكر يوسف حتى تكون حرضاً أوتكون من الهالكين، قال إنما أشكو بثي وحزني الى الله وأعلم من الله مالا تعلمون. «يوسف، ٨٦».

فمن أدبه(ع) أنه توجه بشكايته و حزنه و همه الى الله دون سائر خلقه وهو من أدب الانبياء مع ربهم اذ يتوجهون بحاجاتهم و شكاواهم الى خالقهم، فيكلون أمورهم اليه، و يلزمون جوارحهم طاعته، و يركنون الى عونه و نصرته، و يجندون انفسهم و طاقاتهم في سبيله، و يوقفون حركاتهم وسكناتهم من اجله. فهم الذين هداهم الله لصراطه المستقيم و الزمهم كلمة التقوى. و قال تعالى: «اولئك الذين هدى الله» «الأنعام ٩٠». وقال في خصوص يعقوب(ع): و وهبنا له اسحاق و يعقوب كلاً هدينا» «الانعام ٨٤»

فالانبياء عليهم السلام مهديون بهداية الله، معصومون بتسديده عن أن يرتكبوا خطئاً أو معصية، و لايتبعون أهواءهم لأن اتباع الهوى ضلال عن سبيل الله، قال تعالى: «ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله» «ص:٢٦». ففي الحياة سبيلان. سبيل الحق، و سبيل الهوى، سبيل ذكر الله وسبيل نسيانه.

فهم(ع) على ذكر من ربهم لاينسونه عندما

يتعلقون بسبب حيث انهم يدركون أن الأمور **بأسبابها**، وان مرجع الاسباب الىٰ الله فلاينفونها نفياً مطلقاً لان في ذلك خروجاً علىٰ المقاييس التي وضعها الله لمخلوقاته، ولكنهم عندما يتعاملون مع الاشياء فانما يضعونها في الموضع الذي أراده الله لها.

يقول يعقوب(ع) لبنيه «انما أشكو بثي وحزني الى الله»، اي لست كأحدكم عندما تصيبه مصيبة اوفقدان نعمة، فيشكو مايعانيه لمن لايملك لنفسه نفعاً و لاضرا و انما شكواي لله المالك القادر البصير ولم أسأله بمسألة لا تكون، فاني اعلم من الله مالا تعلمون.

الأدب الالهي في قصة يوسف(ع)

و من الأدب الالهي الذي تأدب به الانبياء(ع) مانستشفه من قصة يوسف(ع) عندما هددته امرأة العزيز بالسجن ان لم يفعل ما كانت تأمره به، فقال مخاطباً ربه: «رب السجن احب اليّ مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيد هن أصبُ اليهن واكن من الجاهلين» «يوسف: ٣٣».

فيوسف(ع) الحكيم العالم بالله و العارف مقام عبوديته لله كما اشاراليه القرآن الكريم بقوله: «ولما بلغ اشده آتيناه حكماً و علماً» «يوسف: ٢٢» ذكر لربه انهن يدعونه لأنفسهن وفي ذلك خسران صلته بالله و قربه منه و معرفته به — و ان لم يستجب لدعوتهن فمصيره السجن، فاذا دار الأمر بين هذين الأمرين فانه يختار السجن والعذاب الجسدي في الدنيا علىٰ معصيته سبحانه و البعد عنه، هذا مايلمسه من نتائج تترتب علىٰ تصرفاته ولكنه ابان حاله لله وترك الأمر له تأدباً منه وايماناً بأن الاسباب مرهونة بالله وان الحكم لله كما قال لصاحبه في السجن «ان الحكم الا لله» «يوسف: ٤٠».

فاستجاب له ربه فصرف عنه كيد هن وهو يسمي صبوته لما يبغينه منه من معصية لله أو السجن ان لم يطعهن فأنجاه الله من المعصية ومن السجن. والدليل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: «فصرف عنه كيدهن». «يوسف: ٣٤». ولكنه سجن بعد ذلك لموضوع آخر لا لهذا الموضوع كما يتبادر الىٰ بعض الأذهان، قال تعالىٰ: «ثم بدالهم من بعد مارأوا الآيات ليسجننه حتىٰ حين» «يوسف: ٣٥» حيث كان سجنه عن رأي بدالهم بعد ذلك التهديد الذي شكاه الىٰ الله.

و من الأدب الالهي الذي تحلىٰ به يوسف (ع) قوله عندما قدم عليه أبواه بعد تلك الغيبة الطويلة المفعمة بالشوق والعبر الطافحة باللهفة والعبرات عبر عنها القرآن بقوله: «فلما دخلوا علىٰ يوسف آوىٰ اليه أبويه. وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين، و رفع أبويه علىٰ العرش وخروا له سجداً و قال يا أبت هٰذا تأويل رؤياي من قبل قدجعلها ربي حقاً، و قد أحسن بي إذ أخرجني من السجن و جاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني و بين اخوتي ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم، رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض انت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً و الحقني بالصالحين» «يوسف: ١٠١».

ومن أدبه (ع) مع ربه و مع أبويه واخوته

ندما قدموا اليه و هومستو على عرش العزة و هيبة سلطان انه لم ينطق بكلام الاولله فيه نصيب أو نصيب كله فقد علق ماوعدهم وأمرهم به من أمان و دخول مصر بمشيئة الله و ذلك بقوله: ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين» فلم يتم كلامه وعده و يقطع الا وعلق تحقيق ذلك بمشيئة الله؛ شأنه في ذلك شأن آبائه من الانبياء الكرام الذين ستقوا آدابهم من منبع واحد فانهم لايقطعون مرا دون ان يستثنون مشيئة الله و يعلقون امورهم بها، أنّى ذلك و هو القائل: «ان الحكم الا لله».

ثم ذكر نعم الله عليه و منه في ملاقاه منذ ن فارقهم الى ان اجتمعوا عنده مبتدئاً ذلك بتصديق لرؤيا مصدقاً والده بتحققها كما قال ... في تعبيره للرؤيا فقط و ... حتى في ما رزقه الله من لعلم والحكمة، حمداً لله و ثناءً كما أنبأه به أبوه سابقاً بقوله: «وكذلك يجتبيك ربك و يعلمك من تأويل الأحاديث – الى قوله – ان ربك عليم حكيم» «يوسف: ٦» ثم ثنى يوسف على ربه مبيناً ذلك لأبيه بقوله: «ان ربي لطيف لما شاء انه هو العليم الحكيم» «يوسف: ١٠٠».

ثم أشار باجمال التعبير وايجاز القول الى ما جرى عليه ... من رؤياه و تحققها، ووصفه بالحسن من الله بقوله: «وقد احسن بي اذ خرجني من السجن وجاء بكم من البدو».

و من أدبه (ع) ان جمع ما لقى من أخوته الى الشر و بيعهم إياه بثمن بخس دراهم معدودة» «يوسف: ٢٠» و اتهامهم اياه بالسرقه بقوله: «من بعد ان نزغ الشيطان بيني و بين خوتي».

و استمر ذاكراً نعم ربه مثنياً عليه بما أنعم به و يقول: ربي ربي حتى غشيه الوله و اشتغل بربه دونهم فراح يخاطبه قائلاً: «رب قد آتيتني من الملك و علمتني من تأويل الأحاديث» ثم انتقل من النعم التي انعم بها عليه خاصة الى النعم التي انعم بها على جميع المخلوقات، و انه المصدر الأساس لكل تلك النعم قال: «فاطر السماوات والارض» و مخرج الأحياء من العدم الى الوجود و كل شيء في الوجود مفتقر اليه في الخلق والايجاد و في التدبير و الهداية حيث لايملك لنفسه – لولا ما خلق الله فيه من قوى وعد ضر نفع و لاضراً في الدنيا او الآخرة.

والفاطر الذى خلقهم و تكفل ... وأرزاقهم في الدنيا و تعهد باثابتهم و مجازاتهم في الآخرة، هو وليهم و ولي كل شئ في الدنيا وفي الآخرة.

لهذا توجه يوسف(ع) الى الله بقوله: «انت وليي في الدنيا والآخرة» و ذكر مسألته و حاجته من الله و هو ان يثبته على الاسلام و التسليم لربه و ان يلحقه بمن سبقه من الصالحين على حدما منح الله آباءه ابراهيم و اسماعيل واسحاق و يعقوب. قال تعالى عن ابراهيم: «ولقد اصطفيناه في الدنيا و انه في الآخرة لمن الصالحين، اذ قال له ربه أسلم – و هو الاصطفاء – قال اسلمتُ لرب العالمين، و وصّى بها ابراهيم بنيه و يعقوب يابني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون» «البقرة: ١٣٢».

فسأل يوسف(ع) ربه ان يتوفاه مسلماً و ان يلحقه بآبائه و ذلك بقوله: «توفني مسلماً و الحقني بالصالحين» و في هذا شبه لما دعا به جده ابراهيم(ع) بقوله: «رب هب لي حكماً والحقني بالصالحين» «الشعراء: ٨٣»

✡ ✡ ✡

نداء الى المسلمين في اسبوع الوحدة

بسم الله الرحمن الرحيم

ايها المسلمون في أنحاء العالم؛

يطل علينا **«اسبوع الوحدة»** الذي أعلنه آية الله الشيخ المنتظري، ليكون الاسبوع الذي يجدد المسلمون فيه اعلان وحدتهم، وتمسكهم بالمعالم الحقيقية للشخصية الاسلامية الاصيلة.

ونحن اذ نحيي هذا الاسبوع العظيم، نود أن نتحدث بهذا الحديث القصير الى كل علماء الامة الاسلامية، و كل مثقفيها الواعين، و كل جماهيرها الهادرة.

ايها الاخوة في الاسلام؛

ان اسلامنا العظيم منحنا نظرة توحيدية متميزة عن غيرها من النظرات الكونية، انه عرّفنا على الكون كلّه كوحدة متماسكة مقدرة تقديراً محكماً، ترتبط كل جوانبه ببعضها، و كل شيء فيه بقدر و ميزان، و تتجه كل الموجودات فيه نحو هدف كمالي عظيم بهداية سماوية فريدة.

كما انه صوّر لنا الانسان بكل تاريخه و افراده و مجتمعاته و مسيرته، وحدة متناسقة منسجمة لها ابعادها و حياتها و موتها. فهو يخاطب هذه المسيرة بخطاب واحد «يا ايها الناس»، و يؤكد لهذا الموجود تميزه بصفة مشتركة كتأكيد ما يكون للانسان، و اعني به الاشتراك بالجبلة و الطينة الأصلية، طارحاً نظرية العنصر و هي اروع النظريات الاسلامية وأشدها اساساً و اكثرها تأثيراً.

وعلى هذا الاساس كانت المسيرة الانسانية واحدة، و كانت معالم الطريق التكاملي مشخصة، و كان الهدف الذي يحيى واحداً. و هو الكمال المتمثل في العبودية المطلقة لله تعالى... و هو هدف متحرك لكنه لايحد بحد. فمهما تصاعد الانسان و تسامى كانت مجالات التسامي مفتوحة لان يسير الى الله المطلق: **«يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحاً فملاقيه»**.

و من هنا: اتحد هدف الانبياء و هم المربون للبشرية، و اتحدت كلمتهم، واتحدت شرائعهم — وان اختلفت في السعة والضيق والأساليب احياناً — و تبلغ الوحدة حداً تؤثر فيه موعظة نوح (ع) على مسيرة الانسانية كلها، و تمد فيه شخصية امرأة من العصر الفرعوني مثلاً لمدين

آمنوا عبر التاريخ. لأنل يُعتّر الحوارس ولدى آدمَ عن نموذج للحوار الحضاري في كل عصرين حاسب معد حسود طاغ لايعرف الّا لغة العنف والجبروت، وآخر مؤمن مستسلم ملتزم بالحدود الانسانية.

و هاهو قرآننا العظيم —كتاب الوحدة التكوينية والتشريعية في الوجود— يغنينا في كل حين بمظاهر الوحدة البشرية (تاريخاً و حضارة و مصيراً و قوانين متحكمة، و صفات ايجابية و سلبية).

فلنقرأه بامعان: ثم نرجع البصر كرتين فنتساءل عن المعالم الحقيقة التي يطرحها للمجتمع المثالي المسلم. كيف يصورها؟ و ماهي مظاهرها؟ و حينئذ سنكتشف بوضوح أن هذه المعالم كلها تصبّ في مسيرة الوحدة او تتجلّى في إطارها. وان المجتمع الاسلامي عندما يفقدها يفقد معالمه. و حينئذ تتوضح لنا الحقيقة التي تبينها الآية القرآنية الشريفة بكل روعة و وضوح حيث تقول! «شرع لكم من الدين ماوصّى به نوحاً، والذي اوحينا اليك، و ما وصينا به ابراهيم و موسى و عيسى: أن أقيموا الدّين ولا تتفرقوا فيه».

و يتجلى لنا بعد ذلك —في الطرف المقابل- ذلك التأكيد الالهي العظيم على الحقيقة التالية المرعبة:

«ان الذين فرّقوا دينهم و كانوا شيعاً لست منهم في شيء، انما امرهم الى الله. ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون».

فما هي هذه المعالم التي يُنبهنا اليها القرآن المجيد؟!

ان اهم هذه المعالم باختصارهي:

«**العقائدية**» اذ ينغرس الاعتقاد بالوحدانية الالهية و النبوة المحمدية والمصير المحتوم للبشرية الى عالم الآخرة، تنغرس في الاعماق و تملأ المشاعر والعواطف، وتشكل أرضية لكل علاقة في المجتمع الأمثل، و يعود المجتمع بالتالي وحدة قائمة على أساس عقائدي متين.

و «**الاخلاقية**» اذ تؤطر الاخلاق والروح الانسانية و نداءات الوجدان الاصيل كل السلوكات والنشاطات، و يعود شعار الأمة الوحيد هو التسابق للذات في سبيل التقرب من الله. والاخلاق حصيلة الفطرة، والفطرة اساس وحدة الامة.

و «**سيادة التشريع الالهي**» حيث تغطي تعاليم الاسلام في مناحي الحياة، مستوعبة، شاملة، محكمة، لاتتحدى الامة عنها قيد أنملة. و اذا سادت الامة شريعة واحدة غدت كتلة واحدة لايفرقها مفرق، ولايمزقها ممزق، جسداً واحداً اذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الاعضاء بالسهر والحمّى.

ان أمة تشدّها العقيدة والاخلاق، و يسودها التشريع الالهي، أمة مجيدة مترابطة... فاذا فقدت ترابطها فلنفتش عن العلة فيها.

هذه ايها المسلمون هي اسس وحدتنا: الوحدة التي تجمع بين القلوب بكل خصائصها. ان القلوب ليست عقولاً مجرّدة لا تفكر الا بالقوانين المنطقية، كما انّها ليست عواطف متأججة منفصلة عن أي وعي او تفكير، و انما هي (الوعي الحصيف، والعاطفة الصافية).

و من هنا فلايمكن ان تنشد القلوب الى بعضها عبر رباط عقلي صرف لاعاطفة فيه، ولاعبر عاطفة صرفة لاوعي فيها.

و من هنا فشلت كل الاساليب التى طرحتها النظرات المادية الضيقة لتحقيق هدف الوحدة الاجتماعية، سواء بطرحها المصالح السياسية، وهي متلونة مختلفة لا تمس شغاف القلوب، او المصالح الوطنية، و هي عاطفية لا تمتلك جذوراً عقلية صحيحة، اوالمصالح القومية، و هي و همٌ جيئ به ليحل محل الدين ففشل، او التعصب القبلي، و هي حاجة ضيقة لمجتمع ضيق عفى عليه الزمان، او العامل الجغرافي، و هو بنفسه يُعَبر عن ضيق افق و أثرة و انانية يأباها الوجدان، ولاالتاريخ المشترك لأنها تراث فيه الغث والسمين لايمكنه ان يشد امة الا بمقدار الايحاءات التاريخية العاطفية، وأخيراً نقول، ولاالمصالح الطبقية لأنها و هم بنى على أساسه الماركسون كل تصوراتهم عن التاريخ والانسان والحياة واثبت الواقع بعد ذلك انه كان تحليلاً مجرداً طوبائياً لامصداقاً واضحاً له مطلقاً و انه نتيجة التطرف لاغير.

انها مبادئ الضلال نسيت نفسها و ظنت أنها تعيش ولكن **«نسوا الله فأنساهم أنفسهم»** **«ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكاً»**.

انها رأت ان لامناص من الوحدة بدافع من حاجتها الحياتية و ربما بتأكيد من وجدانها احياناً، ولكنها اخطأت الطريق فارتكبت حماقة ما بعدها حماقة.

ان الوحدة، وحدة القلوب، و هبة الله هي التي تؤلف بينها. و نفحة السماء هي التي تحي الشعوب:

«هوالذي ايدك بنصره وبالمؤمنين وألّف بين قلوبهم لوأنفقت مافي الأرض جميعاً ما ألّفت بين قلوبهم ولكن الله ألّف بينهم إنه عزيز حكيم»

فحبل الله هو المحور الرئيس، و مادونه هباء منثورا. فهيا ايها المسلمون **«واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا»**.

ايها المسلمون في كل مكان:

فلنكن على حذر من عوامل التفرق و التمزق. لئلا نفقد هويتنا الحقيقة. ولنستمع الى قرآننا العظيم اذ يذكرنا بخطر هذه العوامل:

فمنها واهمها، اتباع الاهواء والالهة الوهمية اذ يقول: **«ضرب الله مثلاً رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً، ألحمد الله بل أكثرهم لايعلمون.» كما ان منها الجهل والعادحيت يقول فيه القرآن الكريم:**

«وان كان كبر عليك أعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض أو سلماً في السماء فتأتيهم بآية، ولوشاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين».

و من تلك العوامل: التعصب الجاهلي، والحمية المقيتة التي يتنزّه عنها المجتمع المؤمن، سواء كان في الجانب الايماني، أوالجانب العملي، و حتى التعصب للتاريخ والارض والعادة فانها كلها من الموبقات الممزقة للمجتمع الواحد:

«إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله و على المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى و كانوا أحق بها و أهلها و كان الله بكل شيء عليماً» [الفتح: ٢٦]

و في هذا الاطار تدخل التبعية العمياء للآباء

والقبيلة والمصالح وامثال ذلك.

و هناك عامل آخر للتمرق يسر اليه القرآن الكريم و هو ما يقوم به الطغاة والمراعنة و المترفون من وساوس لتمريق عرى الوحدة و بالتالي تهيئة الجو المناسب لامتصاص دماء المستضعفين.

«ان فرعون علا في الارض و جعل اهلها شيعاً».

هذا الى ماهنالك من العوامل الاخرى.

فلنكن - نحن المسلمين - على حذر:

من الجهل فنعي واقعنا و تصوراتنا الاصيلة.

و من التعصب فنفتح على الآخرين بروح سمحاء وموضوعية باحثة عن الحقيقة «وانا اواياكم لعلى هدى اوفي ضلال مبين».

واخيراً فلنراقب حركة المترفين المستكبرين في الارض والتي تتمثل اليوم في حركة استعمارية كبرى تملك الامكانات الضخمة في مختلف المجالات.

ايها المسلمون في كل مكان؛

تعالوا نعد الى واقعنا و خصائصنا، فنلاحم خطاننا من جديد، و تنشد جماهيرنا الى بعضها، لتشكل تياراً عالماً ضخماً يطيح بقدرة القوى العظمى، و يحقق أمل الانسانية الكبير.

اننا الآن قطرات تستطيع اذا انضمت لبعضها -ان تشكل محيطاً متلاطم الامواج- كما يعبّر امام الأمة الاسلامية و زعيمها الامام الخميني العظيم.. هذا الامام الذي نذر حياته لوحدة الامة، و محاربة العقبات التي تقف في وجهها و تمنعها من أن تحقق وحدها القوى. فلنستمع اليه و هو يقول:

«على المسلمين ان يعودوا يداً واحدة، متحدين لا ينفصل بعضهم عن البعض الآخر ولايقيموا الحدود بين القلوب»

و يقول ايضاً:

«وليس لنا- اليوم- الا الوحدة على اسس رسالية كي ننتصر على قوى الشرق والغرب العدوانية، و من ثم تصل ثورتنا الاسلامية الى النصر».

و ختاما؛

فانا نذكر المسلمين جميعاً بالحالة التي تعيشها بعض قطاعات امتنا -اليوم-: ارض تستباح، و شعوب تذبح، ومؤامرات ضخمة على الامة المسلمة، المكبلة، الممزقة.

كما نذكرهم من جديد بخصيصتها الكبرى في الوحدة على اساس (العقيدة الواعية والاخلاقية الاسلامية و تطبق مبادئ السماء.)

فالى الوحدة، الى الوحدة الاصيلة. والى نبذ الخلافات العملية في المواقف، ولنترك للخلافات الفكرية الطبيعية مجالها في اثراء الأفكار وجوّها الهادئ السليم، ولاندعها تنعكس خلافاً في الموقف، او تمزيقاً للامة. فلم توجد لهذا الشيء، ولم يفتح الاسلام المجال للاجتهاد ليؤدى هذا الغرض السلبي. وانما كما قلنا لاثراء الالفاظ وزيادة الاواصر.

هيا ايها المسلمون و (ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان) فبوادر النهضة الاسلامية العالميه واضحة، والطريق واضح والقائد يرسم لنا جميعاً أروع الاهداف واسماها و هي تطبيق الاسلام على ربوع الارض.

فالى نفي الفرقة، والى تفهم بعضنا للبعض الآخر، والى تجمّع الطاقات بوجه المؤامرات الاستعمارية التي تقف امريكا على رأسها

نبي تحتّد كل الوسائل الإعلامية والعميلة
الح تمزيق الوحدة، والى متابعة التآمر
بيث للاعتراف بالوجود الإسرائيلي في الارض
سلامية من جهة، و خنق صوت الثورة
سلامية التى تعمل على تجميع المسلمين في
ب واحد من جهة آخرى.

والى عقد المؤتمرات العماية المثمرة التي
نقى فيهاذوي الفكر والغيرة على الإسلام
بالسمه القيمة لضعوا أفضل الحلول لمشاكل
سة على ضوء الظروف الراهنة وليد رسوا كيفية
دة الوحدة الاسلامية بجدية فاعلة.

إننا اليوم نمتلك أعظم الأمور و هي الرسالة
طمة الفطرية، كما نمتلك الطاقة البشرية
الهائلة، و المواقع الاستراتيجية العظيمة، والذخائر
المعدنيه الهائلة، ولايعوزنا إلا الوعي الشامل، و
من ثم الوحدة الشاملة، لتنطلق جحافل الايمان
فتمسح عنا الذل والهول، و تعلن حكومة القرآن
على ربوع الارض.

ايها المسلمون؛ نحن مسؤلون اليوم كأشد
ماتكون المسؤولية، و هذا القرآن يستصرخنا
فلنعمل بجدوالله معنا.

بارك الله لكم جميعا في هدا الاسبوع
(اسبوع الوحدة) وجعلنا جميعاً من اتباع خير
البشر محمد النبي الكريم وآله الطاهرين و
صحبه الاخيار.

والسلام عليكم و رحمة الله و بركاته

مبدأ التضاد
كما تصوره الفلسفة الاسلامية

آية الله الشهيد الشيخ مرتضى المطهري
ترجمه: ناظم شيرواني

بسم الله الرحمن الرحيم

«يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ويخرج الحيّ من الميّت ويخرج الميت من الحي».

يشكل التضاد و الصراع و التنازع، احد الأصول و القوانين الموضوعية لهذا العالم، فالمشاهدات الظاهرية تبين ذلك بوضوح، بينما المطالعات العلمية والفلسفية توضحه بدرجة اكبر وأعمق.

و عالمنا، هو عالم الصراع و التزاحم، والوصل و القطع، والفتق والرتق، والبناء والتخريب، والانجاب والقتل، والخير والشر، والوجود والعدم، والحسنات والسيئات التي احتضنت بعضها البعض، وعلى حد قول الشاعر الايراني المعروف سعدي:

«الكنز والثعبان والورود والاشواك والافراح والهموم قد اختلطت جميعاً»

لذلك نرى دائما تواجد تيارين متعارضين و متضادين متزامنين، و متوازيين.

و لهذا السبب فان بعض الاشخاص لايعتبرون هذا العالم، افضل عالم ممكن، او عالماً مثاليا كما يُسمى. انهم يرغبون في ان تكون اوضاع العالم بشكل آخر، اي ان تكون جميع الأشياء خيراً ونوراً، و حياة و سلامة، و فرحاً و هدوءاً. ولا يكون هناك وجود للشر والظلم والموت والمرض والقلق والاضطراب والهموم. انهم يتساءلون في حيرة: لماذا لم يخلق الخالق هذا العالم بالشكل المرسوم في أذهانهم و على صفحات ضمائرهم الساذجة!

و من هنا نشأ الفكر الثنوي، حيث تُصُوِّر ان العالم لوكان يسوده مبدأ واحد لما كان هناك وجود لتيارين متضادين.

امّا النقطة المقابلة لاسلوب التفكير هذا، فهي تؤكد على ان الشر والعدم من الأمور النسبية والاضافية لحضور الخير والتكامل: فكون الشر شراً هو امر سطحي و ظاهري. و ان التضاد والصراع، هما اساس، او على الأقل شرط لكل تطور و تكامل و تعال. فالجمال والعلو والكمال و بالتالي البحث والحركة والسعي هي جميعها حصيلة التناقضات و عدم الانسجام والتوافق، فالتنسيق والتوافق يوجدان الهدوء والسكينة، والسكينة والهدوء يجران وراء هما الموت والفناء الكاملين.

إن تفكيك و فصل الأشياء عن بعضها، و تقسيمها الى مجموعتين متمايزتين ، و اعتبار الأولى حسراً و كمالاً والثانية شراً و انحطاطاً، و من ثم نسبة كل مجموعة الى زمرة و مبدأ ما، ليس الآ نظرة سطحية للأشياء. و ما يسمى بالشر والقبح هو نفس الخير والنور اذا ما نظرنا اليهما نظرة دقيقة و واسعة. فجميع الأشياء سواء سُمّت خيراً أوشراً تؤثر بنفس الدرجة في «النظام الأفضل»، و تلعب دوراً في جمال النظام العالمي (بجملة)، و تنشأ جميعها من مركز و مبدأواحد، و تشكّل مظاهر و تجليات لشاهد غيبي.

يقول الشاعر الفارسي ما معناه:

الضحك يروي لطفها
والحزن يشكو صدودها
وهذا الأمران المتباينان
يحكيان عن حبيبة واحدة*

والمسائل الخاصة بالتضاد مثل عمل الاضداد على نفي آثار الاضداد الأخرى، او الجمع والتوفيق بين الاضداد و تركيبها معاً، او ايجاد كل «ضد» لضده، هي من المسائل التي جلبت الأفكار نحوها دائما و ان كانت ردود فعل الأفكار امام هذه الظاهرة للعالم مختلفة. فمرة نُظِرَ اليها بنظرة متشائمة، وأخرى بنظرة متفائلة، و تاره تسببت في الالحاد و انكار الذات الواحد والكامل، وأخرى شكّلت بدورها دليلا على العموم والنفوذ الكاملين للمشيئة الالهية البالغة، و تؤدي احياناً الى الازدواجية في النظرة، و تتحدث في احيان أخرى عن كمال الوحدانية و شمولية الصفات.

والقرآن الكريم بصفته مصدراً للالهام، وله دوره البالغ في تكّون عقائد العلماء والفلاسفة الاسلاميين، يصف التباينات والاضداد على الدوام بانها «آيات الهية»:

«مالكم لا ترجون لله وقارا وقدخلقكم اطوارا». «ومن آياته اختلاف الوانكم والسنتكم».

و يتحدث القرآن بكثرة عن نشوء الاضداد من بعضها البعض و يعتبرها «آيات» الهية و دليلا على تدبيرالله و تسخيره:

«يولج الليل في النهار و يولج النهارفي الليل و يخرج الحيّ من الميت و يخرج الميّت من الحي».

ونلاحظ ان كتاب نهج البلاغة يتحدث كثيراً عن مسألة الجمع بين الاضداد كواحدة من المسائل التوحيدية، مثلاً في الخطبة ١٨٤:

«بتشعيره المشاعر عرف ان لامشعرله و بمضادته بين الاشياء عرف ان لاضدله بمقارنته بين الأشياء؛ عرف ان لاقرين له. ضاد النور بالظلمة، والوضوح بالبهمة، والجمود بالبلل والحرور بالصرد. مؤلف بين متعادياتها، مقارن بين متبايناتها، مقرب بين متباعداتها، مفرق بين متدانياتها.»

اما الفلاسفة الجُدد فقد اعاروا أهمية كبيرة للتضاد الى درجة اعتبروه عاملاً رئيسياً و اساسيا للحركة والتكامل، بينمالم يعتبروا التكامل سوى اجتماع الاضداد بل والتناقضات، و نتيجة للعبور من ضد لآخر. وانكر البعض الآخر من هؤلاء، مبدأ عدم اجتماع النقيضين الذي يعتبر من وجهة

---

*النص الفارسي:
خنده ازلطفش حکایت می کند
ناله از قهرش شکایت می کند
این دو پیغام مخالف درجهان
از یکی دلبر حکایت می کند

نظر القدماء، من اصول الفكر الأساسية وأم القضايا،وزال هؤلاء الغواص الشاسعة بين الوجود والعدم، اى المواصل التي لانهاية لها.

و كما نعرف فان الفيلسوف الالماني الكبير هيغل يُعدُّ من رجال فلسفة التضاد، فهو الذي وضّح و فسّر المتنث المعروف «تز، آنتي تز، سنتز» او «**الموضوع، اللاموضوع، التركيب**» الذي يسميه الآخرون من قسمه عنى انه سوء التناقض و اتحاده، و هوالذي ادخل التناقض في مفهوم «**الديالكتيك**» وأسس بذلك الديالكتيكة الحديثة.

يقول بول فولكيه في نظريته الديالكتيكية.

«ان هيغل لم يخترع مثلث:الموضوع، اللاموضوع، التركيب. فان معاصريه امثال فيخته و شيلنغ قاموا نظرياتهم المهمة وفرعنه على ذلك الأساس. الا ان هيغل استند من المبدأ المذكور بشكل اكبر، واعتبره وسيلة لتبرير الواقع فقط، ثم سمّاه بالديالكتيكة، مما أدى الأمر الى ان تُعتبر هذه الكلمة من وجهة نظر المعاصرين غريبة على الذهن. ذلك ان الديالكتيكة كانت الى اليوم تعترعن فن الاثبات وفن الانكار اللذين يستندان الى مبدأ عدم اجتماع الضدين. غير أن هيغل يجعل من الديالكتيكية بصورة؛ ائتلاف الضدين».

و يقول ايضاً: « ان التباين بين الديالكتيكة القديمة والديالكيكة الحديثة يكمن في اسلوب تفسيرهما لمبدأ (اجتماع الضدين). و على هذا الأساس فان الديالكتيكة القديمة، تعتبر مبدأ عدم اجتماع الضدين، القانون المطلق للاشياء و الذهن، فان شيئاً ما لايستطع في آن واحد ان يكون موجوداً و غير موجود. واذا اضطر فكر الانسان ان يصدق العبارتين المتناقضتين فان واحدة منهما خاطئة بدون شك. و على العكس فان الديالكتيكة الحديثة ترى التضاد في الأشياء، وتقول: ان الاشياء تكون — في نفس الوقت موجودة و غير موجودة، ولولم يكن هذا التضاد موجوداً لكانت هذه الأشياء ساكنة غيرنشطة. و لهذا السبب فعندما يضطر الانسان ان يصدق — على التوالي - عبارتين متناقضتين فلايمكن القول بانه اخطأ. و بالطبع يجب حل هذا التضاد،الا انه لايمكن انكار أي من النقيضين».

و يضيف قائلاً:

«**ان هيغل يسمّي** اجتماع النقائض في وجود **الأشياء، و في** الذهن كذلك، بالديالكتيكية. و يشمل المنهج الديالكتيكي، ثلاث مراحل تسمى. (**الموضوع، اللاموضوع، التركيب) أو (تز، آنتي تز، سنتز)**. لكن هيغل يسمى هذه المراحل به: **الاثبات، النفي، نفي النفي**»

والضرورة بنظر هيغل ليست وجوداً أو عدماً، بل انها تركيب من هذين الاثنين. يقول بول فولكيه في نظريته الديالكتيكة:

«اول مثلث للمنهج الفلسفي لهيغل والذي يشتهر اكثر من غيره هو؛ الوجود موجود، و هو مرحلة التصديق او الموضوع. الا ان الوجود هنا ليس مشخصاً بصورة كاملة، ولانستطيع ان نقول انه هذا او ذاك. وحينئذ فهو يساوي العدم فنقول؛

الوجود معدوم. و هذا النفي ينفى ايضاً، فتدنو مرحلة التركيب، ونقول: الوجود صورة القبول».

و تتشابه وجهات نظر الفلاسفة المسلمين مع ما قاله هيغل بصدد «الضرورة»، اي ان الوجود

والعدم في «الصيرورة» يحضر احدهما الآخر و يتحدان. فنجد كثيراً الشئ في حالة الصيرورة موجوداً و معدوما في نفس الوقت. غير ان هؤلاء الفلاسفة لم يعرضوا هذا الموضوع كنقطة مقابلة لمبدأ عدم اجتماع النقيضين، و لم يروا مستلزما للتخلي عن ذلك المبدأ. والآن يجب ان نعرف هل ان ما يقوله الفلاسفة بشأن اختلاط الوجود والعدم في الصيرورات يتشابه مع ما يقوله الفلاسفة الغربيون؟ أم لا انه بالرغم من وجود اوجه مشتركة و واضحة بين تلك الأقوال، الا انها تتباين كليا من حيث الأصول والمباني والنتائج؟ و بفرضية أخرى ما هي اوجه الاختلاف؟ و كيف يمكن التحكيم في هذا المجال؟

و كذلك فان الفلاسفة الاسلاميون كانوا يدركون ايضاً دور التضاد في الحركة والتكامل، واشاروا اليه الى درجة اعتبروا تضاد الموجودات الطبيعة شرطاً لدوام الفيض من جانب الباري تعالى و قالوا:

لولا التضاد ماصح حدوث الحادثات.

و ايضاً قالوا: لولا التضاد ماصح الفيض عن المبداء الجواد. اي لولم يكن هناك تضاد فان فيض الوجود لم يكن ليجري، و لم يكن ليظهر موجود جديد.

و الآن يجب ان نعرف هل ان الدور الذي يحدده هؤلاء لمبدأ التضاد في سر الطبيعة، هو نفس الدور الذي يحدده الفلاسفة الغربيون او يختلف عنه؟

انا سنواصل هذا البحث على مرحلتين:

١ــ وحدة الوجود والعدم في الصيرورة.

٢ــ دور التضاد في التغيير والحركة والتكامل.

وحدة الوجود والعدم في الصيرورة

لقد اشرنا الى نظرية هيغل حول انسجام تناقض الوجود والعدم في «الصيرورة». والآن نورد اقوال الفلاسفة المسلمين في هذا المجال، فلقد اعلن حكماء الاسلام عن هذه المسألة مراراً، و من جملتهم:

١ــ ان فخرالدين الرازي له شبهة معروفة حول «الصيرورة» والحدوث التدريجي اذ يقول: ان «الحدوث التدريجي» لا معنى له. حيث ان ما نتصوره يحدث تدريجيا، يحدث في الواقع دفعة واحدة. و بما اننا نرى ان ذلك الشيء له اجزاء، و ان تلك الأجزاء تظهر الواحدة بعد الأخرى فاننا ــ في الواقع ــ نتصور انه شيء يتكون تدريجيا، و على طول الزمن، بينما ليس هو شيئا واحدا بل عدة اشياء، وان كلاً منها يتكون دفعة واحدة و مستقلا عن الأشياء التي تسبقه والتي تليه.

ولذلك فان كل حركة هي في الواقع و نفس الأمر، مجموعة من الأجزاء ليس لأي منها حركة و خروجاً تدريجياً من (القوة) الى (الفعل) مطلقا.

اما توضيحه الذي يعطيه من هذا الادعاء فهو ان الشيء، الذي لاوجود له، و يظهر فيما بعد فان له وجود ابتدائي، ابتداء بسيط و غير مقسم، و ليس له ابتداء و وسط وانتهاء. ذلك انه لوكان له ابتداء و وسط و انتهاء فان الابتداء الواقعي هو ابتداء ذلك الابتداء، وان وسطه و انتهاءه يخرجان

عن كونهما ابتداء. و ننقل الكلام الى ذلك الابتداء فانه بدوره لولم يكن بسيطاً فانه سيواجه نفس الاشكال. اذن و ان الابتداء بنفسه بسيط. ثم نقول ان كل شيء يحدث، اما ان يكون موجوداً في ابتداء وجوده، أو معدوماً. واذا كان معدوماً، فانه ليس شيئاً في ابتداء الوجود بل انه في حالة عدم. و مثل ذلك الشيء لايمكن القول عنه انه في ابتداء الوجود. اذن و الشيء موجود بصورة حتمية في ابتداء وجوده. و الآن اما ان يكون قد تبقى شيئاً من ذلك الموجود ولم يبق، فان لم يبق و كنا قلنا و وافقنا على ان الشيء المفروض موجود بصورة كاملة في ابتدائه. و بما ان الابتداء بسيط، اذن وان الشيء المفروض قد ظهر دفعة واحدة و ليس تدريجياً. واذا كان منتفياً واما ان يكون ذلك المبقى المعدوم منذ الابتداء أونفس الابتداء الموجود واحداً او يكون اثنين. و من المستحيل ان يكون واحداً فقط، للزوم ان يكون الشيء الواحد موجوداً و معدوماً في آن واحد؛ و اذا كان المبقى غير ذلك الشيء الذي ظهر، اذن وان ما وجد في الابتداء قد وجد دفعة واحدة بشكل كامل. و لم يبق منه شيء. و انّ مالم يوجد لحد الآن هو شيء آخر و مستقل عن ما وجد. و على اية حال فان الحدوث التدريجي لامعنى له.

وهذا التشكيك من جانب الرازي اجبر العلماء على بذل محاولات كثيرة، انفتحت على اثرها ابواب جديدة في مجال حقيقة الحركة والزمن بوجه حكماء الاسلام. و على سبيل المثال فان نظرية «الزمن بُعدٌ رابع» التي اعلن عنها صدر المتألهين في العالم الاسلامي قد ظهرت بعد تلك المحاولات.

والعالم «ميرداماد» هو اول من حلّ هذا التشكيك و بصورة صحيحة، فهو يقوم في بادئ الأمر بحل سر «الابتداء»، و يقول ان الشيء التدريجي الوجود الذي له ابتداء لايعني انه يظهر في آن واحد ثم يستمر، و ان ذلك «الآن» هو ابتداء لوجوده. لان امتلاك الابتداء بهذا الشكل هو من شأن الأمور التي تظهر دفعة واحدة و ليس من شأن الأمور التي تظهر تدريجياً. ان الابتداء في الأمور التدريجية الوجود، يعني بما ان وجود ذلك الشيء، وجود ممتد ومطاط وذا بعد. و ان هذا البعد يتفق مع البعد الزماني. و هو من جهة ذو بعد محدود و ليس بلاحد. فله طرفان - اذن - وهذان الطرفان هما الابتداء و الانتهاء. و كل طرف - لامحالة - ينطبق على نقطة فرضية من الزمان. لذلك و ان ابتداء الشيء الممتد الوجود وانتهاءه يقعان في «الآن» و ليس في الزمان.

ان طرف و نهاية اي أمر ممتد سواء كان مكانياً أو زمانياً لايعدّ جزءاً او قسماً من وجوده لتطرح المسألة التالية و هي. هل انه بسيط أو غير بسيط. وايضاً فان النقطة الانتهائية للخط ليست قسماً او جزءاً من الخط. ذلك ان طرف اي امر ممتد ليس له وجود في نفسه اساساً. فهو مفهوم يُنتزع من محدودية الوجود. ثم ان «الآن» بنفسه ليس اكثر من نقطة فرضية و اعتبارية في الزمان.

ثم يتطرق (**ميرداماد**) الى كيفية وجود الأمور المتدرجة الوجود و الزمنية و كيفية وجود الزمان نفسه، و يدّعي ان هذه الاشياء لكونها ضعيفة الوجود فان وجودها و عدم مراتبها مرافقة للواحدة الأخرى، فان كل مرتبة لوجودها ترافقها عدم المرتبة الأخرى. إذن فعندما يقول الرازي:

لو ان جزءاً من الشيء المتدرج الوجود قد ند، و كان الجزء الآخر معدوما فهل ذلک شيء موجود أم معدوم؟ يجب القول في قباله ان لل جزء من ذلک الشيء يتواجد في جزء من زمان، و في جزء آخر من الزمان الذي يتواجد به جزء آخر من ذلک الشيء الموجود، فان لك الجزءالاول معدوم. و ان الكل باعتباره مدة متصلة يوجد في مجموع الزمان، و ليس في ء من الزمان، ولا في «الآن».

و يوضح «صدر المتألهين» هذه المسألة صراحة اكبر، ففي الفصل الحادي عشر (القوة لفعل) من كتاب (الاسفار) يقول:

«الحركة والزمان من الأمور الضعيفة الوجود ي وجودها يشابک عدمها و فعليتها تقارن قوتها حدوثها عين زوالها فكل جزء يستدعي عدم زء آخر بل هو عدمه بعينه».

و في الفصل الحادي والعشرين من بحوث قوة والفعل، يتحدث حول ربط المتغير الثابت، فيقول — اولا — ان نوع ثبات و فعلية أشياء متفاوتان يفاض من مبدأالكل على كل شئ،نفس النوع من الثبات الخاص به. و فيما ا كان ثبات شئ ما، ثباتا للتغيير والتجدد، و علية شئ ما فعلية القوة والاستعداد، فان نفس نوع من الثبات و الفعلية سيفاض عليه لامحالة.

ثم يضيف قائلاً: «والذي من الموجودات باته عين التجدد هي الطبيعة، والذي فعليته ين القوة هي الهيولى، والذي وحدته عين الكثرة الفعل هو العدد، والذي وحدته عين قوة الكثرة و الجسم ومافيه».

و يستنبط «صدرالمتألهين» في الفصل ثامن والعشرين من بحوث **(القوة والفعل)** من كتاب **(الاسفار)**، استنباطاً رائعاً من احدى آيات القرآن الكريم في هذا المجال. و تلک الآيـة هي آية (١٧) من سورة الأنعام التي جاء فيها:

«و هو القاهر فوق عباده و يرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا و هم لا يفرطون».

يقول صدر المتألهين: التي المتصل وجوده بعدمه و يضم بقاؤه الفناء. فان اسباب و موجبات حفظه و بقائه هي حتما نفس اسباب و موجبات هلاكه و فنائه. لذلک فان الآية الكريمة تقول ان هؤلاء الحفظة الذين لهم وظيفة الحراسة يؤدون في نفس الوقت وظيفة الاستلام و الموت والفناء. و تضيف ان الموت عندما يدنو فان هؤلاء الذين كانوا مأمورين بحراسة الحياة والابقاء عليها يبدلون الى مأمورين لكي يستلموا و يميتوا و يفنوا.

و يلزمنا الآن ان نعرف كيف يوفق هؤلاء الفلاسفة بين تأييدهم بصراحة لاتصال و اتحاد و اختلاط الوجود والعدم في الطبيعة، و دفاعهم عن مبدأ استحالة اجتماع النقيضين و اعتباره مبدأ المبادئ وأم القضايا؟

والحقيقة هي ان اتصال و اختلاط الوجود والعدم في الطبيعة التي هي من مستلزمات كل موجود متدرج يبعد ببون شاسع لدى هؤلاء الفلاسفة، عن مبدأ عدم اجتماع نقيضين، و يلزم عدم الخلط بينهما. والخطأ الذي يقع في هذا المجال ينشأ من عدم تفكيک الاعتبارات المفدرة للعدم، و بعبارة أخرى عدم معرفة نشاطات الذهن و تصرفاته حول مفهوم العدم. ولتوضيح المسألة الآنفة الذكر يلزم ذكر هاتين

المقدمتين:

الف – مثلما نعرف، فان المنطقيين بصورة عامة يرون ان جميع «القضايا» على نوعين: موجبة وسالبة. وحكم الذهن واضح حول القضايا الموجبة، ففي مثل هذه القضايا يحكم الذهن بوجود الموضوع مثل: (زيد موجود)، او بوجود الشيء للموضوع مثل: (زيد واقف).

ولكن ما هو الحال في القضايا السالبة؟ مثلا اذا قلنا: (زيد ليس واقفا) فما هو مفاد القضية وكيف يحكم الذهن هنا؟ يحتمل في الوهلة الأولى ان يبدو ان مفاد قضية (زيد ليس واقفا) هو ان (زيد غير واقف). وبدون شك فان مثل هذا التصور خطأ، لان (زيد غير واقف) هو قضية موجبة، وان مثل هذه القضايا هي ايجابية. والسلب والعدم هما في ناحية المحمول وجزء المحمول فيها كما يصطلح عليها موجبة معدولة المحمول. وانما يجب البحث عن الماهية الايجابية والسلبية للقضية في دائرة الموضوع والمحمول. وان هذه المشكلة هي التي ليس من السهل ادراكها وما لم يجب حلها في الاستدلالات والتعريفات. ومن الطبيعي فان المتطفلين الذين يفهمون المنطق الى حد ما لا يتحدثون حول هذين القضيتين، ولذلك فهم لا يختلفون فيما بينهم.

والذين يتحدثون عن الماهية الايجابية والسلبية للقضايا في ما وراء الموضوع والمحمول هم مجموعتان:

مجموعة تفكر ان تباين القضية الموجبة والسالبة يكمن في «النسبة». اي توجد هناك نوعان من «الرابطة»، ونوعان من «العلاقة»: رابطة واتصال ايجابي، ورابطة واتصال سلبي. فعندما نقول (زيد واقف) فان العلاقة بين (زيد) و (واقف) هي من نوع «الوجود». لكن عندما نقول: (زيد ليس واقفا) فان العلاقة بينهما هي من نوع (العدم). وكلمة ليس، تعبر عن رابطة الموضوع والمحمول.

اما المجموعة الأخرى التي ينتمي اليها ابن سينا وصدر المتألهين فانها ترفض هذه العقيدة، لانها تعتقد ان نوع الرابطة، ونوع العلاقة في القضايا الموجبة والسالبة واحد وايجابي في كلتيهما، الايجاب النسبي وليس التصديقي. وان تباين الموجبة والسالبة يكمن في ان الذهن يحكم ويصدق في الموجبة على وجود تلك الرابطة والنسبة، وفي القضية السالبة يحكم برفع تلك الرابطة والنسبة من الظرف الخارجي. لذلك فان مفاد القضية السالبة ليس هذا المعنى وهو ان شيئا يوجد في الظرف الخارجي، وان ذلك الشيء هو رابطة العدم بين الموضوع والمحمول، بل ان مفاد القضية السالبة هو ان تلك الرابطة الايجابية المتصورة لا توجد في الظرف الخارجي. وبعبارة اخرى فان في القضية الموجبة حدوث نسبة ايجابية بينما في القضية السالبة ارتفاع النسبة الايجابية. فالقضية الموجبة تتحدث عن تحقق النسبة في الخارج، بينما القضية السالبة تتحدث عن عدم تطابقها في الخارج. وفي تعريف «الاخبار» مقابل «الانشاء» قيل:

«ان كان لنسبته خارج تطابقه او لا تطابقه فخبر والا فانشاء». ولقد احتاطوا عندما اعتبروا هذه الجملة شاملة للقضية السالبة ايضا. ويعتقد هؤلاء المحققون ان مفاد القضية السالبة هو «سلب الربط» وليس «ربط السلب» الذي

صوّره المتأخرون من المنطقين.

والسالبة الحقيقية هي تلك التي مرّ الحديث عنها لا غير، و هي التي تتناقض مع الوجود. و ان مفاد السالبة ليس سوى رفع مفاد الموجبة، فالسالبة لا تسلب اي قيد لها، لا القيد الزماني و لا المكاني، و ان كل قيد يظهر في القضية السالبة يقع تحت السلب. اي انه جزء من المسلوب و قد طرأ عليه السلب.

«والعدم» ليس الا مجرد نقيض الوجود يسمى «بالبديل»، اي عندما تكون هناك قضيتان و تقوم واحدة منهما بنفي جميع مفاد الأخرى، و ينحصر عملها على نفي مفاد الأخرى، فان هاتين القضيتين هما نقيضتان لواحدة الأخرى. فعلى سبيل المثال اذا قلنا: زيد واقف في النقطة الفلانية، و في اللحظة الفلانية، فان نقيض هذا القول هو ليس ان زيداً واقف في تلك النقطة و في تلك اللحظة. واذا أضيف النفي الى القضية الأولى فان القضية الثانية تنفي تلك القضية مع مجموع قيودها. و هذا هو معنى: «نقيض كل شيء رفعه». و مثل هاتين القضيتين هما نقيضان واقعيان و متطاردان لواحدة الأخرى، و يمتنعان عن الاجتماع، و ان مبدأ عدم اجتماع النقيضين يشير الى هاتين القضيتين.

و «العدم» بهذا الاعتبار و هو اعتباره الأصلي ليس له وجود خارجي و نفس الأمري، ولا يعتبر أي مصداق له فلا الموضوع ينفع لا المحمول. ولا يعتبر له زمان ولامكان. اي ان الزمان او المكان ليسا ظرفاً لهذا العدم بل ظرفان متعلقان، اي ظرف لشيء قد دخل عليه العدم السلب والنفي لا غير. والذهن في هذه المرحلة يرى نفسه مشرفا على افق الوجود، و يرى ان معنى تصوريّاً قد خرج عن الوجود، اي انه لا يرى اي مصداق له.

و للعدم اعتبار آخر لكنه نوع من المجاز، ففي هذا الاعتبار فان العدم له مصداق و زمان و مكان ايضاً، و يمكن ان يكون موضوعاً محمولاً. فبعد ان ينفي و يسلب الذهن شيئاً ما في الخارج و لا يرى لذلك الشيء مصداقاً و نفس الامري فانه يفرض و يعتبر ان النفي والسلب حلاً محل الثابت و ان العدم احتل مكان الوجود، اي بعد ان لا يرى وجود شيء ما في ظرف خاص و به فرض بان مكانه خال و ان عدمه شغل مكانه. و بعد هذا الاعتبار فان العدم يحتل مثل الوجود عن مكان له و يجد نفس الأمري و يصبح موضوعاً و محمولاً. و لذلك فان هناك فرقاً بين «ان زيد لا يوجد في الخارج»، و «ان زيد معدوم في الخارج» ففي القضية الثانية اعتبر مكانا في الخارج لعدم زيد.

لكننا بالطبع نعرف ان العدم ليس له مصداق واقعي. لذلك فان وجودات سائر الأشياء تصبح — مجازا — مصداقاً لعدم الشيء المفروض. و لهذا يقولون ان كل مرتبة من الوجود هي «ارسم العدم» لمرتبة أخرى.

والآن و بعد ان علمنا بهذين الاعتبارين، يتضح لدينا بان العدم ليس له واقعية امرية، و انه استناداً الى ذلك الاعتبار يشكل نقيضا للوجود. و استناداً الى اعتبار آخر له — مجازا — له واقع نفس الامري، لكنه بهذا الاعتبار ليس نقيض الوجود.

«الصيرورة» عبارة عن التدرج والسيلان، الوجود السيّال والمتدرج الذي له نوع من الامتداد

والمعروفة بـ امتداد الزمان. والحقيقة ان امتداد الزمان ليس الا امتداد الوجودات المتدرجة التي تكون العلاقة بين مراتبها هي العلاقة بين القوة والفعل. وخاصية الأمر الممتد هي انه في الوقت الذي نملك فيه وحدة اتصالية وواقعية، فان الذهن يستطيع من الناحية الرياضية ان يقسمه الى اجزاء ومراتب. وبهذا فان الامتداد المعنى هو امتداد زمني، ويكمن حدوده في القوة والفعل. فان المراتب والاجزاء المفروضة سوف لا تتقدم او تتأخر على بعضها البعض. ولكن كون هذه الاجزاء والمراتب لا يمكن معه ان تجتمع بعضها ببعض، اي لا يوجد اي جزء في مرتبة جزء آخر. ويصدق في مورد كل جزء، عدم الجزء الآخر (العدم بمعنى سلب الاعتبار التدريجي). وبعبارة أخرى ان عدم الجزء الذي يكون صادقا في مرتبة الجزء المعين، ويكون عدم الجزء المعين صادقا في مرتبة الجزء الثاني. ومن جهة ثانية نعلم ان هذه الأجزاء هي اجزاء ذهنية وفرضية وليست اجزاء واقعية ومنفصلة. وان كل شيء ممتد يقبل بنظر الذهن، التجزئة الى ما لانهاية. وان عملية التجزئة لا تتوقف عند حد معين. اي ان كل جزء يتجزأ بدوره الى جزئين آخرين ويكون كل جزء عدما لجزء الآخر. وان كل واحدة من تلك الأجزاء الصغيرة تتجزأ بدورها الى اجزاء اصغر وتكون عدما للواحدة الأخرى. الأصغر من مجموع الأجزاء الصغيرة تتجزأ بدوره الى اجزاء اصغر ويمكن ان تستمر هذه العملية الى ما لانهاية.

وبالفعل فان المراتب والاجزاء هما عبارة الى ما لا نهاية. وبشكل حتمي تعرض الاجزاء والمراتب فان العدم يكون معتبرا، اي ان كل جزء يصبح عدما لجزء آخر. وبما ان اعتبار التجزئة لا يتوقف عند حد معين فان الوجود والعدم مختلطان معا الى درجة لا يمكن اقامة اية حدود بينهما، ولا يمكن في الوجودات التدريجية مشاهدة مرتبة من الوجود تبقى في رقعة كبيرة او صغيرة من الزمان. وحتى لو فرضنا الزمان صغيرا فلا نستطيع ان نجد من ينقلب الى تلك اللحظة. ان كل مرتبة وقطعة من الشيء المتدرج الوجود ستنقسم الى ماضي ومستقبل وجزء متقدم وآخر متأخر. وان الماضي والمستقبل ينقسمان الى ماضيين ومستقبلين ومتقدمين ومتأخرين و... حتى تصل النوبة فالشيء الذي لا يمكن الحصول عليه هو «الحال»، اي المقطع الزمني الذي يقع بين الماضي والمستقبل: ومهما كان فانه ماضي ومستقبل، وان كل ماضي هو مجموعة من الماضي والمستقبل، ومهما كان فانه متقدم ومتأخر، وان كل متقدم هو مجموعة من المتقدم والمتأخر، وكل متأخر هو مجموعة من المتقدم والمتأخر. فلا يوجد فيه وجود بلا عدم وان كل وجود يشكل بدوره مجموعة من الوجود والعدم، وان كل عدم يشكل مجموعة من الوجود والعدم.

ومن البديهي ان اختلاط الوجود والعدم على اساس هذا التصور ليس من نوع اختلاط عنصرين واقعيين، بل من نوع اختلاط عنصر واقعي (وجود) مع عنصر اعتباري (عدم). وعلى هذا فان الاختلاط هنا — طبعا — ذهني واعتباري وليس الخارج والواقع. ومن جهة الخارج والواقع بقطع النظر عن اعتبارات الذهن فان ما يوجد هو وجود لكنه سيال وقلق وحراك ولا يوجد عدا الوجود شيء آخر.

عرفنا من مجموع ما قلناه، ان العدم لاعتبار

نقيضاً للوجود، ليس له وجود خارجي ليتم فرض الاختلاط و الاتحاد مع الوجود فيه، واذا فرض له اعتبار في الخارج و اعتبار نفس امري و اتحاد مع الوجود فانه ليس نقيضاً للوجود.

و على هذا الأساس فان الادعاء بأن اتحاد الوجود والعدم في الصيرورة هو اجتماع النقيضين ويتنافى مع مبدأ عدم اجتماع نقيضين، وان ديالكتيكية هيغل استطاعت ان تنفي مبدأ اجتماع نقيضين. كل ذلك ينشأ من عدم درك المفهوم الواقعي للمسألة، والاعتبارات المختلفة للعدم.

والحقيقة هي انه من غير الممكن لشخص ان يفهم المفهوم الصحيح لـ«عدم اجتماع النقيضين» ثم يدّعي امكانه، لان مثل هذه الادعاءات هي اقرب الى المزاح من الجد، و تنشأ من رغبة كثيرة في التجدد و اطلاق اقوال جديدة. و اذا ما قلنا ان مثل هذه الاعتبارات الجارية تشكل نقضاً لقانون عدم اجتماع نقيضين، و اردنا ان نعتبره اسلوبا فكريا جديداً، فعلاوة على الفلاسفة الاسلاميين الذين نقلنا عقائدهم، يجب ان نقول: ان العرفاء والشعراء الذين سبقوا هيغل كانوا يحملون افكاراً ديالكتيكية، و قد احسوا بماهية الفكر الديالكتيكي، الا و هي ائتلاف الوجود والعدم. فهذا شاعر فارسي يقول (ماترجمه):

ها هوالفيلسوف يتحدث عن الوجود
وذاك العارف يتحدث عن العدم.
اما أنا،
فلا اجدني بين الماء والطين
الاموجوداً ومعدوما في آن واحد.

و هذا شاعر آخر يقول:

مثل النور عن الحب بعيد وقريب
ان هذا العالم هو من آيات الله و ليس هوالله.

انكم ترون وجوهكم في المرآة
و لكن هذه الصورة هي صورتكم و ليست صورة لكم.

او يقول:

المتصوف الفقير ملك في مملكة الفقراء
يراه الناس فقيراً و ليس هو بفقير

الى ما هناك من تعابير شعرية لاقيمة لها على الصعيد العقلي.

و هيغل نفسه قد التفت في نفس الحال الى هذه الحقيقة، و هي ان ما يسمّيه باجتماع النقائض هو غير ذلك الشيء الذي تعتبره العقول، امراً مستحيلا.

يقول بول فولكيه في نظريته الديالكتيكية تحت عنوان «هيغل و التناقض»:

«حسب اعتقاد هيغل فان المنهج الديالكتيكي الذي على ضوئه يتخذ العقل (المثال المطلق) في الحقيقة والذهن صورة واقعية، يستند الى التناقض. لكن يجب ان نعلم بان ديالكتيكية هيغل لا ترفض مبدأ عدم اجتماع الضدين بصورة تامة. و هي من هذه الناحية لا تتنافى مع الديالكتيكية القديمة التي كانت تعتبر مبدأ عدم اجتماع الضدين اساساً رئيسيا لها.... ولو ان هيغل يقول في ظاهره بنفي ذلك المبدأ، لكنه في اعماق نفسه يقبل مثل جميع افراد البشر مبدأ عدم اجتماع الضدين».

و يقول بول فولكيه ايضاً في رسالته صفحه ٣٦٩: «ان هيغل نفسه خلافا لما نسب اليه في بعض الأحيان، كان يعترف بمبدأ عدم اجتماع النقيضين، و ان اقواله في مجال اجتماع و ارتفاع النقيضين تتعلق بالتناقضات الظاهرية و ليست الواقعية. لقد كان هيغل يعتقد

ان ما كان في الواقع حقيقة في فكر الانسان فانه يبقى حقيقة على الدوام، و يستقر في بطن التأليفات اللاحقة، و ان تطور الفكر ليس الاعبارة عن طرد ذلك الجزء من العلم الذي تبين باطله».

و ليس تباين و جهات نظرالفلاسفة الغربيين مثل هيغل و غيره حول مسألة «الصيرورة» هو بلحاظ النتيجة التي ارادها الغربيون من خلال القول باجتماع النقيضين فحسب و انما نجد ان منهجي الفكر هذين يتباينان معاً من حيث الأساس، بالرغم من انهما ينتهيان عند نقطة واحدة. و بالرغم من ان العدم والوجود في نظرهما يحتضن احدهما الآخر في الصيرورة. انهما ينبعثان من مصدر بين متباينين مع بعضهما. فعلى اساس نظرية هيغل الديالكتكة (ان كل تصور هو مجموعة من النسب و الاضافات، و نحن لانستطيع ان نتصور شيئاً الا اذا اخذه بنظر الاعتبار بنسبه مع شيءآخر، و علمنا بمشابهاته و اختلافاته. لان كل تصور من دون نسبة، لامعنى له. و هذا هو معنى «ان الوجود المحض هوالعدم بعينه»، فان الوجود العاري على الاطلاق من النسب والكيفيات لاوجود و لامعنى له).

«واول مثلث للنهج الفلسفي الهيغلي الذي يشتهر اكثر من غيره، هوأن الوجود موجود. و هذه المرحلة هي مرحلة الموضوع او التصديق. لكن الوجود اللامعين ابداً و الذي لانستطيع ان نقول عنه انه هذا او ذاك، يساوي العدم بحيث ان التصديق به يستلزم نفيه. اذن فنقول: الوجود معدوم. و هذا النفي يُنفى بعد ذلك، و نصل الى مرحلة التركيب فنقول؛ ان الوجود هو صورة القول».

و يرى هيغل ان الوجود المحض لايمكن ان يتحقق، و ان الوجود يتحقق على اثر التركيب مع العدم.

لكن الفلاسفة الاسلاميين و خصوصاً صدر المتألهين بطل اصالة الوجود، يرون أن الشيء الذي هو —في الخصمة— الوجود الواقعي، هو الوجود المحض، و ان الوجودات المتعينة والمتقدرة، انما واقع في ظل الوجود المحض. و هم يرون ان الوجود في مراتبه التنزولية يتصف بطابع سنان اذا ما وصل الى حضيض الضعف، اذ يختلط مع العدم و يدخل مرحلة الصيرورة. فهم يتجهون باتجاه معاكس تماما لما يقول هيغل حول الوجود.

المعرفة بلغة الفطرة

سلسلة من المحاضرات التي القاها الشهيد آية الله الدكتور بهشتي

البحث الأول - المعرفة

— بسم الله الرحمن الرحيم—

يمكن في بحث المعرفة انتهاج ثلاثة اساليب:

الاول: المعرفة بالاسلوب الفلسفي مع الاصطلاحات

والثاني: المعرفة بتصور القرآن.*

والثالث: المعرفة و مسائلها التي نتعامل معها الى حدود ما و نكون بحاجة اليها.

و هذا يعني ان هناك جملة من المسائل مطروحة اما منا في مجال المعرفة. فما هي تلك المسائل؟ و ما هو رأينا في كل واحدة منها؟

باعتقادي ان الاسلوب الأخير هو الأنسب لمثل هذه اللقاءات والجلسات، إذ أننا نستطيع من خلال الجلسات المدرجة في هذا البرنا مج أن نوصل بحثنا الى المرحلة المطلوبة. و استناداً الى هذه الافضلية فان بحثنا حول المعرفة له نهجه الخاص. و اننا في الحقيقة نريد ان نعرف أي نوع من الاسئلة سنواجه، و بماذا سنجيب عن كل سؤال في اطار موضوع المعرفة و مسائلها المختلفة؟ (بغض النظر عما قاله الآخرون و ما كتبوه). و اذا ما فرغنا من هذا البحث فلن يصعب علينا فهم بحث المعرفة بتصور القرآن، أو بحث المعرفة بتصور المذاهب الفلسفية المختلفة للعالم. و المهم ان نرى ما هي الأجوبة والتوضيحات التي بامكاننا ان نعطيها حول الأسئلة التي تتناول مسألة المعرفة.

لأدري هل انكم تفضلون بدوركم هذا الأسلوب على اسلوب المعرفة بتصور المذاهب الفلسفية المختلفة أم لا؟ واقول هذا الكلام من الناحية التالية، وهي اننا في بعض الاحيان نبحث في درس الفلسفة، و في احيان أخرى نبحثُ في درس ايديولوجي يوضح ايديولوجية ثورة

---

* بحث بدأناه قبل عدة سنوات في جلسات ليالي الأربعاء و لم يكمل. و اعتقد أن مجموع تلك الجلسات كان في حدود ثلاث عشرة— اربع عشرة جلسة. و أن تصاعد النضال أدى الى ان نحول ذلك المقدار من الوقت الذي خصصناه للاعمال الفكرية، الى النشاطات النضالية. وعلى هذا الأساس تعطل الجلسات. وفي ذلك البحث تم التأكيد على مسائل المعرفة المطروحة في القرآن.

او حركة ما. و عندما نريد ان نشرح ايديولوجية ثورة او حركة معينة، و ان يتفهم الأخوة والأخوات هذه الايديولوجية و ينقلوها للآخرين، فإنني لا أرى اي لزوم و ضرورة لأن يستهلك الوقت في طرح مسائل الآخرين. و يحتمل ان يكون هذا الأمر مفيداً في مرحلة أخرى. لكن و قبل كل شيء يلزم ان نرى ما الذي نملكه حول كل موضوع. و عندما ننتهي لنا ذلك نتطرق الى ما يملكه الآخرون، و نرى ما هي النتيجة التي يمكن ان نحصل عليها من خلال المقارنة بين الاثنين؟ و طبعي ان هذا الكلام لايعني انني سوف لن اشير خلال البحث الى ما قاله الآخرون، بل على العكس و انني سأقوم بذلك العمل و لكن في حدود الضرورة.

كانت هذه مقدمة للبحث، و الآن لندخل في موضوع البحث، و سنشير اولاً الى ملاحظات حول الموضوع و اشرحها:

الملاحظة الاولى: تقوم بيني و بين محيط حياتي علاقات متعددة، منها الادراك والمعرفة. و بين الناس لنا مع محيط حياتنا انواع و اقسام من العلاقات. منها العلاقة التي نسميها **بالمعرفة، الادراك**.

فالبعض يصرّ على ان يقول: إن العلاقة الوحيدة البناءة القائمة بين الانسان ومحيطه تتمثل بالعمل (**اصالة العمل**). لابأس. قولوا لا توجد هناك معرفة، و انما عمل نؤديه طبقاً لعلاقتنا مع المحيط. نحن لا نبحث في هذا الأمر، لكنني اسألكم: أليس العمل الذي نقوم به في مجال علاقاتنا مع المحيط على نوعين؟ انكم في هذه اللحظة تؤدون بعض الاعمال. ففي ما يتعلق بالمحيط، اولاً انكم تتنفسون، كما ان أجهزتكم الدموية تواصل عملها. و مستوى علاقة هذا العمل بالمحيط واضح. و ثانياً انكم تصغون الى حديثي، و تسمعونه. هل ان عملية السمع التي تقومون بها في الوقت الحاضر، عملية ارادية و ناتجة عن وعي؟ و بعبارة أخرى هل تسمعون بارادة ووعي منكم ام انه تحركه طبيعة من جانب الرئة؟ و على اي حال هل هي ناتجه عن وعي ام لا؟ انكم تتنفسون من دون ان تشعروا بذلك، و في نفس الوقت تصغون الى حديثي. و هذا العمل هو عمل ناتج عن الوعي.

إذن يمكن لنا ان نقسم العمل نفسه الى نوعين: العمل الحاصل عن الوعي. والعمل الحاصل عن غير وعي. و نرى هنا ان مسألة الوعي تطرح نفسها مرة أخرى. و ان الاستناد الى العمل، يضع مسألة الوعي جانباً. الوعي نوع من العلاقة القائمة بيني و بين محيطي. و لكي نوضح هذا النوع من العلاقة وانما نضرب مثلاً: نقول انكم اليوم جئتم الى هنا، و ان مجيئكم هذا حصل على اساس من العلاقة القائمة بينكم و بين هذا المحيط. كما تعلمون ان درساً يوجد هنا يتم فيه البحث حول المعرفة. ولو كنتم تجهلون هذا الأمر لما اتيتم الى هنا. فمجيئكم الى هنا يُعدّ نوعاً من العلاقة، و ان معرفتكم بوجود قاعة هنا تحتوي على مقاعد و توفرها امكانية الجلوس و امكانية الدرس تعتبر بحد ذاتها نوعاً من العلاقة. كما ان معرفتكم بهذا المكان، و ان بحثا سيطرح في هذه الساعة تعتبر علاقة أخرى. و انكم تستطيعون من دون اي عناء ان تفصلوا العلاقة الثالثة و الثانية عن العلاقة الاولى، وتتعرفوا عليها ايضاً. و بالنسبة لنا فان معرفة علاقة خاصة بأسم

«الوعي» او (الادراك) هي عملية بسيطة و بديهية و واضحة، ونحن لسنا بحاجة الى وسيلة أخرى او معين ما أو عامل آخر لمعرفة الوعي و ادراك المعرفة و تمييزها من العلاقات الأخرى القائمة بيننا و بين العالم.

لكن اذا كان من الممرر ان نعي «المعرفة» بواسطه شيء آخر. فحينئذ نواجه هذا السؤال الا و هو:

هل ان ذلک الشیء الآخر معروف لدينا أم لا؟

فادا كان غير معروف فهذا يعني أن مجهولاً قد ساعدنا في التعرّف على شيء مجهول! هل يمكن قبول هذا الكلام؟

و اذا كان ذلک الشیء أو العامل — الذى نريد بواسطته انّ نعى المعرفة - معروفاً، فما هو الشيء الذي يكون معروفاً لدينا قبل ادراك المعرفة نفسها؟!

و على هذا فان السعي لتعريف المعرفة، و الإتيان بتعريف لها — مثل التعريف الذي نأتى به للطاولة، او للكتاب، او للانسان — لن يجدي نفعاً للمعرفة. دلک ان مثل هذه التعاريف غير كافية لتعريف المعرفة. لأن الشيء الاول الذى نعرفه نحن هو المعرفة، و ليس هناك قبل ذلک اي شيء آخر يكون معروفاً لدينا لكي نقوم من خلاله بتعريف المعرفة.

الملاحظة الثانية: انني اعي بسهولة مثل هذا النوع من العلاقة (المعرفة). ولن يستطيع أي شيء ان يعرّف لي شيئاً آخر بدلاً من ذلک او افضل منه. و على هذا الأساس فان المعرفة غنية عن التعريف، اي انها من البديهيات. انني اسير في هذه الأجواء، واتنفس فيها، و انام فيها، و هذه الأمور تشكل سلسلة من العلاقات التي ادركها، و اعلم بها، و هي غنية عن التعريف.

الملاحظة الثالثة: و هذه العلاقة، هي علاقة قائمة بيني و بين محيطي من جهة و بيني و بين نفسي (الادراك الذاتي، معرفة الذات) من جهة أخرى.

و كذلک الحال على سبيل المثال فيما يخص طريق «طهران — شهريار» حيث ان لي حالتين: حالة المعرفة، و حالة عدم المعرفة (في بعض الاحيان اعرف طريق «طهران — شهريار» و في احيان أخرى لا اعرفه. وهناك حالتان فيما يخصني و طريق «طهران — شهريار»: الادراك وعدم الادراک، المعرفة و عدم المعرفة، العلم و عدم العلم) و كذلک الحال ايضاً بالنسبة للعلاقة القائمة بيني و بين ذاتي، فان هاتين الحالتين تكونان موجودتين. حيث انني اعلم بأشياء عن نفسي و اجهل اشياء أخرى. فعلى سبيل المثال: انني اعلم بأشياء عن الجسم و اجهل اشياء أخرى. اوطالما لم تقرؤوا (علم التشريح) فانكم لن تعلموا ابداً كم عظماً تتكون منه أيديكم و ما عدد عضلاتها و اوردتها و شرايينها و اعصابها، و مقدار الدم الذي يجري فيها، و ميزان ما تحتويه من الانسجة. لكن عندما تضعون كتاب علم التشريح امامكم و تطالعونه بدقة، او ان يشرحوا لكم هذه المسائل في قاعة التشريح، فحينئذ تدركون الأمر، و يقول الواحد منكم: نعم، انني اكتسبت معلومات جديدة حول جسمي.

و كذلک الحال ايضاً بالنسبة لشخصياتنا الروحية، فمثلاً انتم اناس طيبو الاخلاق او عكس ذلک، اناس صابرون او غير صابرين. و

هذه معلومات تكتسبونها حول شخصياتكم الروحية من خلال التجارب، وحول تصرفاتكم و اخلاقكم الشخصية ايضاً. فعلا قتكم إذن على نوعين: المعرفة احياناً، و عدم المعرفة في احيان أخرى. و عندما يحصل الانسان على معلومات وافرة حول نفسه فحينذاك يقولون عنه انه انسان مدرك يعي نفسه. لذلك فان علاقة المعرفة لا تتوفر بيني و بين محيطي فحسب بل بيني و بين نفسي ايضاً، و نعبر عنها بالادراك أو الوعي الذاتي.

الملاحظة الرابعة: الادراكات، و تشكل اذهاننا او جزءمنها. إنكم تدركون بعض الشيء عن محيطكم، أو تدركون بعض الأشياء عن انفسكم، و تسمى مجموعة من هذه الادراكات بالذهن. والآن يجب ان نعرف هل ان الذهن يتكون من مجموعة من الادراكات المتراكمة أم أنه مجموعة ادراكات ليست متراكمة فحسب بل و توجد علاقات معينة بينها؟ أم أن الذهن عبارة عن جزء من وجود الانسان تقوم هذه الادراكات بتنميته (يعني ان ينمو الذهن مع كل ادراك، و ان يلعب كل ادراك أمام الذهن دور جذب انسجة جديدة، ام دور تنمية الذهن في هذه الادراكات، كما ينمو الجنين على اثر المواد الغذائية التي يجذبها او كما تنمو النطفة) و على اي حال فان الادراكات تشكل جزءمن اذهاننا. و عندما نطلق كلمة الذهن فاننا نشير الى هذه الادراكات، الادراكات لوحدها او مع ماهياتها، أو احياناً مع اشياء أخرى. لذلك فعندما نطلق كلمة الذهن فاننا نريد بها الاشارة الى هذه الادراكات المتراكمة والمتصلة.

نحن نقول، الذهن — العين. اي اننا نستخدم الذهن مقابل العين، فنقول ان هذا الأمر، ذهني و هذا الأمر عيني. لنضرب مثلاً: لنفرض انكم في هذه اللحظة تسيرون في مكان مظلم، و تمرون من جانب حائط منخفض، فانكم تعرقون في بعض التصورات و تقولون في انفسكم؛ يحتمل ان يكون احد الاشخاص متربصاً لنا خلف الحائط و يريد مهاجمتنا. ثم يتعاظم هذا التصور في نفوسكم فتطلقون صيحة. فهل يوجد خلف الحائط واقع عيني لشخص تتصورنه عدواً لكم و يتربص لكم هناك أم لا؟ انه يوجد في اذهانكم. اذن فانه واقع ذهني. و في الحقيقة انكم تصورتم أن شخصاً او عدواً كان متربصاً لكم فاطلقتم صيحة.

وهنا فانكم تفصلون الذهن والعين عن بعضهما، و تقولون ان العدو الذي و اجهناه لم يكن له واقعاً عينياً بل واقعاً ذهنياً. اي في الحقيقة مرّفي اذهاننا مثل هذا الشيء (الذهني — العيني). و هناك اشياء كثيرة في العالم لكننا نجهلها و لم تخطر ببالنا أبداً فهي عينيات لم تمر في اذهاننا مطلقاً.

حسناً، فهذا السؤال مطروح امامنا و هو عندما نقول الذهن و العين فهل يعني ان الذهن ليس له عينية؟ و هذه ملاحظة هامة أرجوان تنعمو النظر بدقة فيها؛ هل اننا عندما نقول الذهن و العين و نستخدمهما مقابل الواحد الآخر، فاننا نعني بذلك ان الذهن هوشيء بحد ذاته و ان العين هي شيء آخر؟ و على هذا الأساس فهل ان الذهن ليس عيناً؟ هل اننا نتصور وجود رابطة ادراكية تقوم بيننا و بين محيطنا؟ و عندما نقول اننا كنا نتصور، فان التصور

صبح واقعاً! و يصبح عيناً. ولو استخدمت لمة العين بمعنى الواقع أو مرادفة للواقع، فان ذهن والصور التفكر والادراك هي سلسلة من صور العينية. و اننا عادةً نستخدم العين بهذا معنى. حيث نستخدم العين بمعنى الواقع في عناه الأساسي و معناها الواسع.

الملاحظة الخامسة: إن الذهن والعين ستخدم احدهما مقابل الآخر، لكن يلزم القول الذهن هو جزء من العين. فالذهن له واقع. و ثلما قلت فان الشخص الذي يسير في الظلام ى جانب حائط يقول في نفسه، ماذا لو كان عد الاعداء متربصاً لي خلف الحائط؟ و يتعاظم ا التصور في داخله و بذلك يصبح؛ ايها الناس قذوني من هذا المأزق. و هذا التصور هو ذهن، من ليست له عينية. و الواقع انه ليس هناك عدو لف الحائط، الا ان هذا التصور هو واقع عيني د ذاته. لقد تصور ان عدواً يوجد خلف الحائط، لهذا اطلق صيحةً. و الآ فانه لم يكن ليصيح. ل هذه الأشياء هي واقع عيني سواء كان هذا واقع هو تصوره، أو ارتباكه، أو صياحه.

لاحظوا جيداً، عندما نستخدم الذهن و العين حدهما امام الآخر فهذا لايعني ان الذهن شيء فصول عن العين اساساً. كلاً، فالذهن جزء من عين، و جزء من الواقع الذي فيما اذا قارنّاهُ مع أجزاء الأخرى للواقع فحينذاك نقول لهذا انه هن، ولذاك انه عين. و اننا عادة نستعمل كلمة افي معنى خاص، ثم نستخدم نفس الكلمة في زء آخر من معناها.

فعلى سبيل المثال: يا سيد فلان، هل كنت في مدينة مشهد؟ نعم. كم يوماً مكثت؟ سبعة ايام. ماذا تعني بسبعة ايام؟ هل تعني سبعة اوقات من الصباح الى المساء؟ او سبع ليالٍ و سبعة ايام؟ و عادة يتكون اليوم من اربع و عشرين ساعة.

و في مثال آخر نقول: يا سيد فلان، المناخ حار، فكيف تقضي الصيف؟ فيجيب قائلاً؛ انني في الأيام موجود هنا (اي انه في الليالي يخرج من طهران و يذهب الى ناحية أخرى). و هنا فان كلمة (اليوم) تستخدم مقابل الليل. اذن فاننا في بعض الاحيان نستخدم لفظ اليوم بشكل يشمل الليل و النهار، و في احيان اخرى نستخدمه بشكل يقابل الليل، اي انه يشمل الليل في معنى و يقابل الليل في معنى آخر. و كذلك الحال بالنسبة للعين، فهي تشمل الذهن في معنى و تقابل الذهن في معنى آخر. و هذه ملاحظة دقيقة و هامة في بحث المعرفة، بل و حتى في موضوع الوجود و فهم الوجود.

وهنا اريد ان أشير الى ملاحظة أخرى و هي ان تبايناً جزئياً يسفر عن المقارنة بين هذين المثالين مع الذهن و العين. ان الذهن و العين مرتبطان مع بعضهما، و يؤثران بنفس الدرجة في الواحد الآخر. اي:

أولاً، ان العين تؤثر في الذهن. مثلاً انكم تذهبون الى حديقةٍ ما و تشاهدون فيها الورود و الماء و الاشجار. وفور رؤيتكم لذلك المنظر فانه يرتسم في اذهانكم. اذن فان تلك العين، اي منظر الورود والماء والاشجار قد تركت اثراً على الذهن، و اضافت منظراً جديداً و صورة أخرى الى الذهن. و هذا هو معنى ان العين لها اثرها في الذهن. ان اكثر ذهنياتنا و ادراكتنا

الذهنية من مثل الرؤية والسمع والشم والذوق و اللمس وما شابه ذلك قد حصلنا عليها في تعاملنا مع العين. مثلاً عندما تلمسون كأس الماء هذا تجدونه بارداً. وان تشخيص ذهنكم لبرودة هذا الكأس هو ادراك ذهني وجد على اثر تعاملكم مع عين.

وثانياً: ان الذهن يؤثر بدوره في العين. لقد ضربنا مثلاً وقلنا ان شخصاً كان يسير لوحده الى جانب حائط، وتصور ان عدواً يقبع له خلف الحائط، لذلك اطلق صيحة وفرّ هارباً. والصيحة التي اطلقها كانت عملاً عينياً. لكن ممّ نشأت هذه الصيحة؟ وممّ نشأ هروبه الذي يُعدُّ هو الآخر عملاً عينياً؟ لقد نشأ كل منهما من ارتباكه، وان هذا الارتباك نشأ من تصوراته الذهنية. اذن والذهن يؤثر في العين.

ولنضرب مثالاً آخر: [illegible] هذه القاعة [illegible] لم تكن حينذاك سوى قطعة ارض خالية [illegible] فما الذي [illegible] في الذهن [illegible]؟ في البداية جاء المهندس [illegible] ورسم في ذهنه خريطة هذه القاعة، ومن ثم نقلها على الورق، فوجد خريطة. وتلك الخريطة كانت حصيلة الخريطة الذهنية. ثم سلّم الخريطة للمعمار. وبذلك انتقلت الخريطة الى ذهن المعمار الذي بدأ ببناء القاعة طبقاً لتلك الخريطة. وفي كل عمل كان يؤديه المعمار فان هذه القاعة كانت حصيلة لتلك الخريطة. وفي كل عمل كان يؤديه المعمار فان هذه القاعة كانت حصيلة تلك الذهنية، اي ذلك التصور الذهني الذي حصل عليه من خلال رؤيته لتلك الخريطة. اذن لاحظوا استمرار التأثير المتقابل للعين والذهن.

الملاحظة السادسة: ان الذهن والعين يؤثران بعض الدرجة في احدهما الآخر. [illegible] ذهن هذا وهذه العين [illegible] والمعرفة التي [illegible] المطروح هو: [illegible] من هذا الذهن [illegible]؟

[illegible] العينية [illegible] التي يطمح [illegible] الادراك [illegible] والواقع [illegible] (الاشياء). [illegible] صورة [illegible] ؟ [illegible]

الملاحظة السابعة: ان [illegible] الادراك والمعرفة بالنسبة للانسان هي تلك التي [illegible] الواقع، اي ان تكون واقعية. ولأن [illegible] ذهني [illegible] هذه على محك الاختبار من ناحية الواقعية. فقد استمرت لها العادة مرات فانه [illegible] الى هذه النتيجة الواضحة وهي ان جزءاً من ذهننا [illegible] واقعية بلا شك ويريد الواقع. كما ان جزءاً آخر منها ليست واقعية، وان ما تبديه [illegible] واقعاً. اذ ان الواقع هو غير ذلك.

ونحن نحصل من خلال وضع الذهنيات على محک الاختبار على هاتين النتيجتين ببساطة. ولانشک في اي منهما مطلقاً.

الملاحظة الثامنة: نرى بوضوح من خلال اختبار ذهنياتنا ان جزءاً من هذه الذهنيات يشكّل واقعيات تريبا الواقع، و ان الجزء الآخر لايضم واقعيات، و ان الواقع العيني هو شيء آخر عدا الذي يوحد في اذهاننا. و نحن لانتردد في هذا الأمر. ان الذهنية التي لا تكون واقعية و تبين خلاف الواقع فانها لا تُعدّ ادراكاً.

و على هذا الأساس فان المسألة الهامّة في بحث المعرفة هي مسألة الحصول على المعايير و المناهج و الأساليب التي تساعدنا على اكتساب ادراك واقعي (المعيار، والنهج، والاسلوب الصحيح للمعرفة). ولو استندنا في بحث المعرفة على هذا الأمر وَ وفّقنا، فهذا يعني اننا حققنا الهدف الاساسي من بحث المعرفة. و بعبارة أخرى اننا استطعنا ان نعي واقع العالم، و واقع انفسنا، و محيطنا كما هو أو كما يجب أن يكون، و بكلمة أُخرى ماذا نفعل لندرک الحقيقة والواقع؟

إنّ احد الأخوة طلب مني أن أُبين الحقيقة و الواقع، و ها أنا اقوم بهذا العمل. اننا بحاجة لأن نعي الواقع والحقائق بشكل صحيح.

والواقع، تعبير عما هو موجود، بينما الحقيقة تعبير عما يجب ان يكون عليه الشيء. ما هي الصلة بين الواقع والحقيقة؟ هل ان كل واقع، حقيقة؟ و هل ان كل حقيقة متصلة بالواقع؟ كلا فان الصلة بين الحقيقة والواقع هي على النحو التالي:

— ان بعض الوقائع هي حق و حقيقة.

— ان بعض الوقائع ليست حقاً و لا حقيقة، بل هي باطلة.

— ان بعض الحقائق و الحقوق لم تصبح واقعيةً بعد.

ففي ما يتعلق بالشطر الاول، لنفرض ان نظاماً اقتصادياً و اخلاقياً و اجتماعياً عادلاً سيقام في وقت ما. فان مثل هذا النظام سيكون نظاماً واقعياً و حقاً. او انكم عندما تضحون بانفسكم لثورة تعمل في سبيل الله فان عملكم حينذاك سيكون عملاً حقاً و عملاً واقعياً. اي انكم في الواقع ضحيتم و ان تضحيتكم هي عمل حق. و فيما يتعلق بالشطر الثاني، فانكم لاسمح الله لو اعتديتم على انسان وعلى حقوقه، و ظلمتم ذلک الانسان فان ظلمكم هو واقع لانكم قمتم بممارسته، لكنه ليس حقيقة بل باطلاً بينا في الحقيقة.

اما بالنسبة للشطر الثالث، فان القيم والمُثل التي يميل لها الانسان و يطمح اليها باعتبارها حقيقة و حقاً تشكل جملة من الحقائق و الحقوق التي لم تكتسب بعد واقعية عينية. و بذلک اتضحت لدينا الصلة بين الحقيقة و الواقع. ان بعض الوقائع هي حقائق كما ان بعض الحقائق هي وقائع. و تتوفر في بعض الاحيان اشياء حقيقية لكنها غير واقعية، كالمُثُل التي نطمح اليها لنجعلها واقعية. وعندما نسير خلف الادراكات المتعلقة بالواقع فاننا نريد منها ان تريننا الواقع كما هو. وعندما نسير خلف الادراكات المتعلقة بالحقيقة فاننا نريد منها ان تُرينا الحقيقة كما هي من اجل ان نمنحها واقعية، لئلا يتراءى لنا نهج باطل بصورة حق، و تذهب هباءً جميع المساعي التي بذلناها.

اذن فان دور الادراک الذي يتمثل في معرفة

الحق والحقيقة يجب ان يكون بشكل يكشف لنا عن الحق والحقيقة كماهما حتى و ان لم يصبحا نَعدُ واقعاً.

الملاحظة التاسعة: اننا ننتظر من الادراك ان يكشف لنا الواقع بعينه، اوالحقائق والحقوق بعينها. و لذلک فان اهم فصل في بحث المعرفة يتمثل بالفصل المتعلق باسلوب او نهج المعرفة و معاييرها و محكاتها. اي ما الاسلوب او النهج الذي يجب ان نستخدمه؟ و ما المعايير والمحكات التي نستفيد منها لكي تكون ذهنياتنا (ادراكنا) مظهراً للواقع والحقيقة؟

هنا يلزم الاشارة الى ملاحظة هامة جداً و هي اننا بهذا الأسلوب الذي انتهجناه قد انتهينا من مسائل جمّة. و بعبارة أخرى اننا فهمنا مسائل معقدة في مجال المعرفة بواسطة الأسلوب ،او بعبارة أدق النهج الذي انتخبناه. لذلک ارجو ان تقولوا لي ما يخطر ببالكم. و اذا كنتم ترون ان المسألة واضحة فتفضلوا ،واعلموا أننا لسنا بحاجة لمثل هذه المسائل المعقدة و الاصطلاحات المتعبة .ذلک ان الانسان بامكانه ان يعي المسائل باسلوب او نهج واضح يتطابق والفطرة كما اننا لو تناقشنا معاً حول البحوث المعقدة مستخدمين الاصطلاحات فنتردد في بعض الأحيان و نقول ان المسألة الفلانية هي هكذا او ليست هكذا، في حين يلزم علينا ان نحصل على النتيجة بهذه الوسيلة. اننا نضع هذه الوسيلة التي يستخدمها الآخرون في نهاية المطاف أمامنا و أمام الآخرين ،ولكننا في نفس الوقت مستعدون لأن نستمع لما يقوله الآخرون، أو اذا كانت لديهم اسئلة فليتفضلوا بها.

● ● ● ●

الكلم الطيّب

ـالعمل ثم القولـ

النبي (ص): يابنَ مسعود، لا تكونَنَّ ممَّن يهدي الناسَ الى الخير ويأمُرهم بالخير، وهو غافلٌ عنه، يقولُ الله تعالى: «أتأمرونَ النّاس بالبِّر وتنسونَ أنفُسَكم»[1].

ـالاعتصام والاستقامةـ

الامام الرضا(ع): مَنْ اراد ان يكون أقوى الناسِ، فليتوكّلْ على الله. وسُئِلَ عن حدّ التوكّل، ماهو؟ قال: أن لا تخافَ سِواه[2].

ـالانضباط في العملـ

الامام الكاظم«ع»: كتب هارونُ الرشيدُ الى موسى بن جعفر«ع»: عِظني وأوجزْ!... فكتَبَ اليه: مامِنْ شيءٍ تراهُ عينُك، إلاّ وفيه موعظة[3].

ـالعقلـ

الامام علي (ع):
هبط جبرئيلٍ على آدم، فقال: يا آدم، إنّي أُمِرتُ أن أُخيِّرَك واحدةً من ثلاث، فاختر واحدةً ودع اثنتين، فقال له آدم: وما الثلاثُ يا جبرئيل؟

فقال: العقلُ والحياء والدّين. قال آدم: فإني قد إخْترتُ العقلَ. فقال جبرئيلُ للحياء والدين: انصرفا وَدَعاهُ! فقالا: يا جبرئيل! إنّا أُمِرنا ان نكون مع العقل حيثُ كان...[4]

ـالبلاغةـ

الامام الصادق(ع): ـقيل له: ما البلاغةُ؟ فقال من عَرَفَ شيئاً قلَّ كلامُهُ فيه، وإنّما سُمّي البليغُ لإنّه يَبلغُ حاجته بأهونِ سعيه[5].

★★★★★★★★★★

المصادر:

١ـ مكارم الاخلاق/٥٣٨.

٢ـ البحار ١٤٣/٧١؛ عن «فقه الرضا».

٣ـ امالي الصدوق/ ٤٥٧

٤ـ امالي الصدوق/٦٠٠

٥ـ تحف العقول /٢٦٤

. أُلف أخيراً كتاب باللغة الفارسية، حول
، علماء الدين السياسية و الثورية في
بعدّة اجزاء، و جدير بان يقرأ، ليتعرف
هذا الجانب المنسي من التاريخ
مي، و الذي لم يظهر الى النور، كما هو
و اسم هذا الكتاب (نهضت روحانيون

لرسالة —التي بين ايدينا— لم يكتبها فرد
، انه مرجع كبير، و شيخ فقهاء عصره، ان
صدر من منابع الشريعة الاسلامية الأصيلة،
كره السيد محمد باقر الخونساري —و هو
علماء الكبار— في كتابه روضات الجنات
نه:

كان رحمة الله عله —أي الشيخ كاشف
ء— من اساتذة الفقهاء و الكلام، و جهابذة
رفة بالاحكام، معروفاً بالنبالة و الاحكام،
ما لدروس شرائع الاسلام، مقدماً عند
ن و العام، غيوراً في باب الامر بالمعروف
هي عن المنكر، و قوراً عند هزاهز الدهر،
وم أنحاء الغير، مطاعاً للعرب و العجم فى
، مفوّقاً في الدنيا و الدين على سائر امثاله و
ظهر من غير ببت العلم فصار علماً مشهورا،
رفي نشر زيت الفقه إذ أتى. عليه حين من
لم يكن شيئاً مذكوراً، كان شديد التواضع و
ض و اللين، و فاقد التجبر و الكبر على
نين، مع ما فيه من الصولة و الوقار، و الهيبة
تدار، فلم يكن يمتاز في ظاهر هيئته عن
من الاعراب، و يرتعد من كمال هيبيه
س اولى الالباب، كان ابيض الرأس و
بة، رفيع الهمّة، سمحاً شجاعاً، قويا فى
، بصيراً، و كان يرى استيفاء حقوق الله

تعالى من اموال الخلائق على سبيل الخرق و القهر، و يبا شر أيضاً صرف ذلك بمحض القبض إلى مستحقيه الحاضرين من أهل الفاقة و الفقر، و من جملة مصنفاته كتابه المعروف المشهور بكشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء، و قد خرج منه أبواب الاصولين، و من الفقه ما تعلق بالعبادات الى أو اخر أبواب الجهاد، و لم يكتب أحد مثله، و هو فائق على كل من تقدم من كتب الفن).

و هذا الكتاب من أُمهات الكتب العلمية، و لاجله سمي الشيخ جعفر بكاشف العطاء.

و هو من تلامذة الوحيد البهبهاني، و السيد مهدي بحر العلوم، و من تلامذته، صاحب الجواهر، و الشيخ محمد تقي صاحب هداية المسترشدين، و السيد صدرالدين الموسوي العاملي، و السيد جواد العاملي صاحب مفتاح الكرامة، و الشيخ الكلباسي.

و قد توفي الشيخ كاشف الغطاء عام ١٢٢٨ هجرية.

و الملاحظ انه في الفترة الاخيرة، و لبعض الظروف و العوامل، قد تجاهل البعض، كتابة فصل الجهاد، و الامر بالمعروف و النهي عن المنكر، في رسائلهم العملية او دراستها والبحث حولها، في كتبهم و دراساتهم الفقهية، و قد اشار لهذه الملاحظة آية الله الشهيد الشيخ المطهري، في احدى محاضراته، حول مسألة الامر بالمعروف و النهي عن المنكر، و قد بحث حول هذه الظاهرة التي تثير الدهشة و الاستغراب.

و لكن بعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران، في ظل القيادة الدينية الحكيمة للامام الخميني

حفظه الله الحث الضرورة على دراسة امثال هذه الموضوعات اكثر، والتحقيق حولها، لعلاقتها الوثيقة، بالصحوة الثورية التي انبثقت بين المسلمين، بعد هذا الانحسار المعجز، و لكون المسلمون على بصيرة في خطواتهم، و تحركاتهم و مواقفهم الجهادية.

و هذه الرسالة، هي إحدى فصول كتاب **(كشف الغطاء)** الكتاب الفقهي المعروف، و قد رأينا ضرورة نشرها، بصورة مستقلة لأهمية الموضوع، ولاصالة الآراء الفقهية التي تتضمنها، و حتويتها و عمقها، ولان زمن كتابتها يقرب عصرنا، ولانه قد كتبها فقيه كبير، يعترف الجميع بما يمتلكه من قدرة فقهية ثرة، و قدرأينا التعليق عليها، ببعض التوضيحات و التطبيقات، او نقل بعض اراء الفقهاء الآخرين، لتكون اقرب لفهم القارئ.

وستنشر هذه الرسالة تباعاً على حلقات.

كتاب الجهاد

و فيه ابواب:

«الباب الاول» ــفي المقدمات، و [illegible] مباحث:

«المبحث الاول» اقسام الجهاد:

في بيان معناه، والاشارة الى مصادر [illegible] انواعه. الجهاد ينقسم من جهة اختلاف متع[illegible] الى اقسام خمسة:

١ــ احدها: الجهاد لحفظ بيضة الاس[لام] [illegible] اذا اراد الكفار المستحقون لغصب [illegible] على اراضي المسلمين وبلدانهم و قراهم. استعدوا لذلك و جمعوا الجموع لاجله، لتعلو [كلمة] الكفر، و تهبط كلمة الاسلام و يصيرو[illegible]

---

(٥) [illegible] (جامع [illegible]) [illegible] تفسير ([illegible] الاسلام) في [illegible]، و نظراً لأهمية هذه المسألة، نذكر هنا بعض ما ذكره (و [illegible] السؤال عن بيضة الاسلام و المسلمين في كلام [illegible] و الاخبار فالظاهر ان المسلمين معطوف على البيضة، لا على الاسلام، كما يظهر من كلام بعضهم. و قد عرف تفسير الشهيد في الدروس [illegible] ان البيضة [illegible] و مجمعه، وقد فسر الشهيد الثاني ايضاً في الروضة [illegible]، و قال ايضاً انها بيضة الحديد و بيضة الطائر، و قال ايضاً ــ بان البيضة تعني ــ الناحية و الحوزة، و قال في مجمع البحرين: بيضة الاسلام جماعة، و منه الدعاء: لاتسلط عليهم عدواً من غيرهم فيستبيح بيضتهم اي مجتمعهم و موضع سلطانهم، و مستقر دعوتهم.. و قد اراد بالبيضة الحوزة، فكانه شبه مكان اجتماعهم و التئامهم ببيضة الحديد و مراده بقوله و قد تقدم ما ذكره في كلمة (بيض) [illegible] مجتمعهم [illegible] بيضتهم، و [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] مجتمعهم و موضع سلطانهم و [illegible] [illegible] [illegible]

قول [illegible] ان المراد من الخوف على الاسلام الخوف من استيصاله و بقطعه بالمرة و به يحصل انقطاع كل شيء بانقطاع [illegible] كأساس الجدار، واصل الشجر، واريد بالخوف بيضة الاسلام الخوف على مابه قوامه و قيامه، و [illegible] هنا اما مأخوذة من بيضة الطائر وان اصل [illegible] البيضة، وبه يتولد منها، فاذا استؤصلت البيضة، [illegible] الطائر، او من بيضة الحديد وانها تحفظ الرأس، و [illegible] في الجسد كالاصل له، فالمراد ان الكفار يريد انصراف الاسلام بانصراف السلطان الذي هو بمنزلة لاستلزامه انصرام [illegible]

بالنواقيس، و يبنوا فيها البيع و الكنائس و يعلنوا فيها سائر شعائر الكفر، و يكون الشرع باسم موسى و عيسى عليهما السلام و يشتد الكفر و يتزايد باستيلاء القائلين بالتثليث و غيرها من

و بذلك يظهر مناسبة اخذه من بيضة البلد ايضاً، و يريدون استيصال البيضة يعني ما يولد منه الاسلام، حتى لايتولد منه طائره، و لذلك عبر الفقهاء عنه بالاصل والمجتمع، فان اجتماع اركان الاسلام والمسلمين انما هو بسلطانهم، فهم اى الاعداء يريدون كسر بيضة الحديد من رأس الإسلام، لينتفي الرأس فينتفي الاسلام، او يريدون إهلاك نفس السلطان الذى هو بمنزلة بيضة البلد، أو بيضة الطائر كأركان الاسلام لتنهدم أركانه. فلذلك فسروه بالاصل و المجمع، فان سلطان الاسلام اصل الاسلام و مجتمع اركانه.

ولكن ان تجعل البيضة، مأخوذة من الحوزة بمعنى الناحية، يعني اذا حصل الخوف على ناحية الاسلام والمسلمين و جانبهم بحيث يخاف انصرامه او انصرامهم فيجب الدفاع و ان لم يكن باذن الامام، والحاصل ان المراد من الخوف على بيضة الاسلام الخوف على استيصاله و انقطاع رسمه. و اما عطف المسلمين على بيضة الاسلام فهو ايضاً مما يوجب الدفاع و ان لم يُخَف على انصرام اصل الاسلام اذ قد يكون هجومهم على جماعة خاصة من المسلمين بدون ارادة انصرام اصل الاسلام «جامع الشتات صفحه ٨٤ الجزء الاول».

و يفهم من هذا النص، و غيره، ان الخطر على بيضة الاسلام، الذى يفرض الجهاد، دفاعاً عنها، اما ان يكون المراد من (بيضة الاسلام) فيه الحكومة الاسلامية، و هذا العدو، يستهدف القضاء على الحكومة الاسلامية، ليمسك بيديه مقدرات المسلمين، و يسيطر على زمام حكمهم، اوالمراد منها الوجود الاسلامي، حيث يستهدف العدو، و بمختلف الاساليب، ان يزيل معالم الاسلام و رسمه وآثاره، و محوه من تلك البلاد اطلاقاً.

او ان المراد من بيضة الاسلام هم المسلمون انفسهم، حيث يستهدف العدو الكافر، ابادة المسلمين، والظاهر ان (بيضة الاسلام) يشمل هذه المعاني الثلاث فاذن فاعداء الاسلام اما ان يستهدفوا التعرض للاسلام نفسه، اوللمسلمين، اوللحكومة الاسلامية.

و تاريخ الشعوب الاسلامية مسرح لهذه الالوان الثلاثة من العدوان على بيضة الاسلام.

فتارة يلاحظ ان الحكام المعمين بالاسلام، او ببعض الشعارات والمساوئ الخادعة، والعملاء الذين زرعهم المستعمرون في البلاد الاسلامية، والذين يهدد الاسلام وجودهم، وحبهم للدنيا، او اطماع اسيادهم، يحاولون، و بمختلف الاساليب القضاء على كيان الاسلام، و معالمه و وجوده، كمبدأ وعقيدة ومحوه، و يستخدمون في هذا السبيل، مختلف الاساليب بالاغراء، و نشر الفحشاء، و بالارهاب، و بترويج الثقافات والمبادئ المنحرفة، و غيرها من الاساليب، التي تستهدف محو الوعي و محو العقيدة الاسلامية من النفوس.

و قد ظهر في تاريخ الاسلام الكثير من هؤلاء الحكام، و في عصرنا الحديث، قام الاستعمار ونظراؤه بمعية الحكام العملاء و مرتزقتهم، بمثل ذلك في البلاد الاسلامية، كما ان النظام الشيوعي في الاتحاد السوفيتي قد استخدم، من جملة اساليبه، هذا الاسلوب في القضاء على الالتزام والوعي الديني في الشعب الروسي والشعوب الاسلامية الخاضعة لسيطرته.

وقد يستهدف العدو الكافر من هجومه على البلد الاسلامي، الاطاحة بالنظام الاسلامي، و ازاحة الاسلام عن الحكم، والسيطرة على زمام السلطة في ذلك البلد.

والاسلوب الثالث، الذى يستخدمه اعداء الاسلام في محاربة الاسلام، التعرض للمسلمين انفسهم و قتلهم والتنكيل بهم، و نهبهم، او الاستيلاء على اراضيهم و هتك أعراضهم و سبيهم وأسرهم وغيرها من الممارسات الوحشية التي تستهدف استئصال المسلمين أنفسهم وابادتهم.

كل ذلك من اجل ان يخلو الجو لاعداء الاسلام، لتنفيذ مآربهم، دون ان يقف بوجههم، مانع و حاجز، من افكار، أوافراد، و قد تعرضت بعض الاقطار الاسلامية، قديماً،

المناكير[1] النافين في الحقيقة لوحدة الصانع الخبير كالفرقة الاروسية (الروسية) خذلهم الله بمحمد و آله.

و الواجب هنا انه ان حصل من يقوم بذلك سقط عن المكلفين، والا وجب على جميع اهل الاسلام ممن له قدرة على الهجرة، و مدخلية في اذلال العدو، و كل من له قابلية لجمع الجنود و العساكر ان يقوم بهذا الامر مع غيبة الامام و حضوره (عليه السلام) و يعتبر الاستيذان منه، و حضور المجتهد و غيبته على نحو ما سيجئ، وله الاخذ من اموال المسلمين بقدر الحاجة.

٢–ثانيها: الجهاد لدفع الملاعين عن التسلط على دماء المسلمين، و اعراضهم بالتعرض للزنا بنسائهم و اللواط باولادهم، فيجب ذلك على من غاب اوحضر، مع عدم قيام الحاضر بن به، و يجوز للرئيس المطاع في هذا القسم ان يأخذ من اموال المسلمين ما يتوقف عليه دفع عدوهم مع قيامهم بالدفع، مع حضور الامام(ع) و عدم تسلطه، او غيبته، و حضور المجتهد و غيبته، و طلب الاذن منه اولى.

٣– ثالثها: الجهاد لدفعهم عن طائفة من المسلمين التقت مع طائفة من الكفار، فخيف من استيلائهم عليها.

٤– رابعها: الجهاد، لدفعهم عن بلدان المسلمين و قراهم واراضيهم، و اخراجهم منها بعد التسلط عليها، واصلاح بيضة الاسلام بعد كسرها واصلاحها بعد ثلمها، والسعي في نجاة

← وحدتها [illegible] من
قبل أعداء الإسلام [illegible]
في [illegible] الإسلام [illegible] تعرض [illegible] ومن
قبل أعداء الإسلام [illegible]
هناك [illegible] بعد أن مهدوا الغزو
العسكري، بغزو فكري، [illegible]
للمسلمين، و[illegible] وتمزقهم، كما تعرض [illegible]
هناك التي [illegible]
أنواع الاضطهاد، وتركستان [illegible]
كان هدفاً لغزو الصينيين، والروسيين، من [illegible]
والجنوب، وتعرض [illegible] لثورته بوجه أعداء الإسلام، [illegible]
مذابح جماعية، وغيرها من [illegible]، و[illegible]
أعطيت هذا البلد الإسلامي أيضاً، [illegible]
القوى الاستعمارية والصهيونية، من [illegible]، و
افغانستان، اليوم تعاني [illegible]، وتعيش حرباً مدمرة مع
الغزاة الشيوعيين الذين يستهدفون وجود الإسلام والمسلمين
هناك وغيرها، من الأقطار الإسلامية التي تعيش [illegible]
العدوان على وجودها الإسلامي. ولكن بالرغم من كل
[illegible] (يريدون ليطفئوا [illegible]
بأفواههم [illegible] كره المشركون)

(١) كانت حركة التبشير المسيحي، ومنذ زمان بعيد، وبالخصوص في [illegible] الشيخ كاشف الغطاء، و[illegible] في عصرنا هذا، تعمل بكثير من [illegible] على القضاء على الوجود الإسلامي، ومحاربة الإسلام، وحرف المسلمين عنه، وقد استخدمت في هذا السبيل، مختلف الأساليب، وبذلت قصارى جهودها، مسيطرة على البلاد الإسلامية، وكانت القوى الاستعمارية تتعاون معها، وعملت على نشاطاتها، [illegible] واستعمارها الفكري لأبناء المسلمين قد مهدت السبيل للاستعمار العسكري والسياسي والاقتصادي، وهناك الكثير من الكتب الإسلامية وغيرها، تبحث حول التبشير المسيحي، وأساليبه، وعوامله وآثاره. ويحسن بالقارئ مراجعة كتاب (والاستعمار) وغيره، ليتعرف على هذه الحركة الرهيبة، ولا عجب، إن رأينا، الشيخ كاشف الغطاء يشتعل غضباً على هؤلاء المبشرين المسيحيين، لأنه عرف الكثير عنهم.

المسلمين من ايدي الكفرة الملاعين.

و يجب على المسلمين، الحاضرين والغائبين، ان لم يكن في الثغور، من يقوم بدفعهم عن ارضهم، ان يتركوا عيالهم واطفالهم، واموالهم، و يهاجروا الى دفع اعداءالله عن اولياء الله، فمن كان عنده جاه بذل جاهه، او مال بذل ماله، اوسلاح بذل سلاحه، اوحيلة اوتدبير صرفها في هذا المقام لحفظ بيضة الاسلام، واهل الاسلام من تسلط الكفرة اللئام.

و هذا القسم[1] أفضل اقسام الجهاد، و اعظم الوسائل الى رب العباد، و افضل من الجهاد لرد الكفار الى الاسلام، كما كان في ايام النبي عليه وآله افضل الصلاة والسلام، و من قتل في تلك الاقسام يقف مع الشهداء يوم المحشر، والله هذا هو الشهيد الاكبر، فالسعيد من قتل بين الصفوف، فانه عندالله بمنزلة الشهداء المقتولين مع الحسين (عليه السلام) يوم الطفوف، و قد زخرفت لهم الجنان، وانتظرتهم الحور العين والولدان، وهم في القيامة اضياف سيد الانس والجان،[2] فمن علم بانه يجب عليهم ان يقبل مني الكلام[3]، و يأخذ عني الاحكام الواردة عن سيد الانام فليخرج سيفه من غمده، و يرفع رمحه من مهده، و ينادي بأعلى صوته، اين غيرة الاسلام، اين الطالبون بثارات شريعة سيد الانام، اين من باعوا انفسهم بالجنان، والحور والولدان، و في رضى الرب الرؤف الرحمن، اين اصحاب سيد الاوصياء، اين الطالبون لان يكونوا من شهداء كربلاء، اين الدافعون عن شريعة سيد الامم، اين الذين روي في حقهم (ان اكثر انصار صاحب الامر العجم).

٥- خامسها: جهاد الكفر، و التوجه الى محالهم. للرد الى الاسلام، والاذعان بما اتى به النبي الامي المبعوث من عندالملك العلام عليه وآله افضل الصلاة والسلام، و هذا المقام من خواص النبي والامام والمنصوب الخاص منهما دون العام[3] و يختص به بعض الاحكام كما

---

(١) و يقصد منه الجهاد الدفاعي، و هو يفصله على الجهاد الابتدائي الهجومي الذي يعرفه (الجهاد لرد الكفار الى الاسلام)، و يجدر بنا ان نشير، انه قسّم الجهاد الدفاعي الى اربعة اقسام، ثلاثة منها، لصد الاعداء الذين ينوون الهجوم على المسلمين، و اما القسم الرابع منه، و هو الاخير، فيعني، طرد اعداء الاسلام، وتطهير البلاد الاسلامية منهم، بعد استيلائهم وسيطرتهم عليها.

(٢) في زمان الشيخ كاشف الغطاء شنت روسيا هجوما عسكرياً على ايران، و لذلك اخذ الشيخ، المرجع الديني في عصره، بتحريض الشعب الايراني المسلم على مواجهة العدوان الروسي بمثل هذا الاسلوب، لانه يشعر -وكما يشير لذلك ايضاً- بعمق العلاقة الوثيقة بين المرجع الديني و مقلديه.

(٣) و يشير في هذا القسم الى الجهاد الابتدائي، وانه مشروط بوجود الامام و نائبه الخاص، دون النائب العام، اي الفقيه الجامع للشرائط، لذلك يكون هذا القسم من الجهاد، محصراً في زمان الحضور، دون زمان الغيبة

و قد تعرض صاحب الجواهر الى هذه المسألة، وذكر بعض الروايات و الادلة و اقوال العلماء، التي تدعم هذا الرأي، و بعد ذلك يقول (لكن ان تم الاجماع المذكور فذاك و الا أمكن المناقشة فيه، بعموم ولاية الفقيه في زمن الغيبة الشاملة لذلك المعتضده بعموم ادلة الجهاد فترجح على غيرها).

فانه يرى بأن ادلة الجهاد عامة، غير مخصوصة بزمان، بالاضافة الى القول بولاية الفقيه، كل ذلك مما يثبت مشروعية الجهاد الابتدائي في زمان الغيبة ايضاً.

إلا أن يثبت الإجماع على عدم مشروعيته في زمان الغيبة.

سيجيء بيانه في تفصيل الاقسام، و باقي الاقسام يشترك فيه جميع الانام..

فكل من هذه الاقسام الخمسة، مندرج في الجهاد على سبيل الحقيقة، و يجري على قتلاهم في المعركة، حكم الشهيد في الدنيا والآخرة، فيثبت لهم في الآخرة مع خلوص النية ما اعده الله للشهداء من الدرجات الرفيعة، والمراتب العالية، والمساكن الطيبة،والحياة الدائمة، والرضوان الذي هو اعلى من كل مكرمة، و يسقط في الدنيا و جوب تغسيلهم، و تحنيطهم، و تكفينهم، اذالم يكونوا عراة،بعيد فوق في ثيابهم مع الدماء، ولاينزع شيء منها، سوى ماكان من الفري والجلود، و سوى ماكان ابقاؤه مضراً ضرراً عظيماً على الورثة، اذا قتل بين الصفين، و ادركه المسلمون، و لم يكن به رمق الحياة .

«الفرق بين الجهاد الدفاعي و الابتدائي»

وتفترق الاربعة المتقدمة (من اقسام الجهاد) عن الخامس (و هو الجهاد الابتدائي) بوجوه:

«١ ـ احدها»انه يشترط في الجهاد، بالمعنى الأخير- و هوما اريد به الجلب الى الاسلام -حضورالامام او نائبه الخاص دون العام، ولا يشترط في الاقسام الاربعة المتقدمة ذلك، فان الحكم فيها، انه اذا حضرالامام و وسدت له الوسادة، توقف على قيامه، او قيام نائبه الخاص، و ان حضر، و لم يتمكن، او كان غائبا، و قام مقامه النائب العام من المجتهدين، الافضل فالافضل، فهو اولى، و ان عجز المجتهدون عن القيام به، وجب على كل من له قابلية السياسة و تدبير الحروب و جمع العساكر، اذا توقف الامرعلى ذلك، القيام به، و تجب على المسلمين طاعته، كما تجب عليهم طاعة المجتهدين في الاحكام، و من عصاه، فكانما عصى الامام.

«٢ ـ ثانيهما»انه يستثنى من المكلفين اصناف، في وجوب الجهاد بالمعنى الاخير، كالمريض مرضاً ضاراً، و الفقير العاجز عن النفقة ، مع عدم الباذل، والراحل، و العبد والانثى، و الخنثى، و الممسوح، و من عارضه الواجب من دين حال يطلب به (١)، و نفقة واجبة او حج اوطاعة الوالدين و نحوذلك، ولايشترط في الاربعة السابقة، شيء من ذلك،بل المدارفيها على القدرة،وعدم العجز، فيجب على كل قادر على النصرة، من قريب او بعيد، الحضورفي عسكر المسلمين، وجوبا كفائيا، لايسقط، الااذاقام به من به الكفاية.

---

(١) و يذهب صاحب الجواهر الى ان المدين لوكان معسراً، ولم يكن الجهاد معيباً عليه، فليس للدائن منعه عن الجهاد، لشمول عمومات الجهاد له، كما ان الشهادة التي يفوت معها الحق، غيرمعلومه ولا مظنونة، فلا يُترك لأجلها اعظم اركان الاسلام، و كذلك لوتعين عليه الجهاد، فهنا يجب عليه الخروج، و حتى لوكان موسراً، و كان دينه حالاً، و لايتوقف خروجه على اذن غريمه، و يعلل ذلك ، بان الجهاد متعلق بعين الانسان، بينما الدين متعلق بذمته، فكان مقدماً على ما في ذمته كسائر فروض الأعيان،

«٣—ثالثها» : انه لايجوز التخلف عن الهدنة والأمان و الصلح والعهد و لايجوز الاحتيال بالكذب و التزو ير في القسم الاخير، و لا بأس بذلك في الأقسام الأخر اذاقوى الكفار وخيف الضرر.

٤—رابعها: انه تختص المحاربة في القسم الأخير بماكانت مع الكفار لجلبهم الى الاسلام، واما في الاقسام الأخر فلا يفرق بين الكفار و بين المسلمين والمؤمنين، اذا ارادوا ما اراده الكفار وان كانوا على خلاف مذهبهم لطمع الدنيا وحب الرئاسة.

«٥—خامسها» انه يلحظ فى القسم الاخير عدم زيادة الكفار على الضعف اوعلى عشرة امثال، كما كان سابقا، و ليس فى الاقسام الاخر تحديد الابالقدرة وعدمها.

«٦—سادسها»:انـه لايـجـوز الجـهاد بالمعني الاخير في الاشهرالحرم، بخلاف الاقسام الاخر، و ان تساوت، حيث يكون الحرب مع من لايرى لهاحرمة اومع المبتدئ منهم بالحرب، واما بالنسبة الى الحرم فلا مانع في الجميع.

«٧—سابعها»: تخصيص الوجوب في القسم الاخير بمرة في السنة ولا تجديد في الاقسام الاخر

«٨—ثامنها»: لزوم الدعاء الى الاسلام قبل محاربتهم في القسم الاخير فان ابوا و امتنعوا، حوربوا، ولايلزم ذلك في الاقسام الاخر.

«٩—تاسعها»: انه ليس للامام الاخذ من اموال المسلمين قهراً، للتوصل بها الى الغرض المطلوب في القسم الاخير، و يجوز للرئيس ان يتناول من الاموال اذا لم يكن عنده ما يقوم بكفاية ما يضطر اليه من العساكر، في الدفع عن الامور الاخر، مقدار ما يكفيه في حصول الغرض.

«١٠—عاشرها»: انه لا ينقض عقد الجزية، والامان، والهدنة، و الصلح، والعهد، اصرار الكفار على عدم الامتثال لما امروا به من الاسلام، و ينقضه حصول واحد من الاقسام الاربعة.

«١١—حادي عشرها»: انه لايجب بذل مال يضر بحاله في القسم الاخير، و يلزم ذلك في الاقسام الاخر، على الاظهر.

«١٢—ثاني عشرها»: انه يجب قسمة الغنائم بين المجاهدين في القسم الاخير، على التفصيل المقرر، و اما في الاقسام الاخر، فاذا توقف الغرض على صرفها على العساكر والجنود صرفت من غيرتقسيم.

«١٣—ثالث عشرها»: انه لاينبغي القتل بالسم، ولاالهجوم عليهم ولا تبييت العدو و بالليل في القسم الاخير، والاوقات كلها متساو ية في الاقسام الاربعة.

«الدفاع الشرعي الخاص (١)»: ثم ان هنا ك انواعاً اخر، من الحرب السائغ، او

---

(١) و يذكر هذا البحث، بصورة موسعة، فى كتاب الحدود، في باب حد المحارب وفي مسألة وجوب الدفاع عن النفس و العرض و المال، ممايدل على ان الاسلام ←

الواجب، بحسب الشرع يطلق عليها اسم الدفاع، ولا تندرج على سبيل الحقيقة في اسم الجهاد، و هي اقسام ثلاثة.

«١ــ احدها»: الدفع عن نفسه في مقاتلة عدو اراد قتله فانه يجب عليه المقاتلة، متى احتمل حصول السلامة بالدفاع، و ان علم انه مقتول لا محالة، بحيث يُقتل و يقتل في الآن الواحد، استحب له ذلك، وقد يقال بوجوبه.

«٢ــ ثانيها»: الدفع عن عرضه او عن نفس مؤمن او عرضه. فيجب عليه ذلك، مع ظن السلامة، و لايجوز بدون ذلك.

«٣ــ ثالثها»: الدفع عن ماله او مال مؤمن فيستحب الدفاع عنه، و لايجب الا مع ظن ترتب التلف على فقده، كأن يؤخذ منه [illegible]، و اتى اهله، و هو في مهلكة، فيرجع الى الدفاع عن النفس.

و هذه الاقسام الثلاثة تسمى دفاعاً، و اطلاق

→ هو دين القوة والكرامة، في موقف [illegible] ذلك، وليس كذلك [illegible] [illegible] الاسلام [illegible] [illegible] الكرامة الانسانية [illegible] لاموال [illegible]

و هناك بعض الروايات [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] مواقف اسلامية [illegible] المشروعة. (فعن الامام الصادق«ع» انه قال: ان الله فوّض الى المؤمن اموره كلها، ولم يفوّض اليه ان يكون ذليلاً، اما تسمع الله عزوجل يقول (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين، فالمؤمن يكون عزيزاً ولا يكون ذليلاً) الوسائل، ج٦ص٤٢٤

مما يعمق الاحساس بالكرامة و روح القوة، في [illegible] سواء في المجال الفردي او [illegible]

و لكن تلك المبادئ المتخاذلة تؤدي الى [illegible] روح الخنوع و التخاذل والذلة، في المجال الفردي و [illegible] و بذلك [illegible] لسيطرة القوى [illegible] [illegible]

نشر مثل هذه المبادئ المتخاذلة في الشعوب، لتموت فيها روح الكرامة و القوة، او انواع المبادئ الثورية، من تعاليمها و روحها الثورية بمختلف الأساليب

[illegible]

و لكن الاسلام، في نفس الوقت، يدعو الى التوضيع، و [illegible] مع المؤمنين، و هذه من مشخصات المؤمنين (اشداء على الكفار رحماء بينهم)، و يعتبر من قتل دون [illegible] شهيداً، و نذكر بعض الروايات في هذا [illegible] الموضوع، [illegible] الحدود:

عن رسول الله(ص) (من قتل دون عياله فهوشهيد).

[illegible] (قال رسول الله(ص) من قتل دون مظلمته فهوشهيد، ثم قال: يا ابا مريم هل تدري ما دون مظلمته؟ قلت: جعلت فداك الرجل يقتل دون اهله و دون ماله واشباه ذلك. فقال: يا ابا مريم ان من الفقه عرفان الحق) [illegible](ع) [illegible]

و عن رسول الله(ص) قال: (ان الله عزوجل ليبغض الرجل، يدخل عليه في بيته فلا يقاتل)

عن الامام الصادق(ع) [illegible] (قال رسول الله(ص): من سمع رجلاً ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم)

عن عليٍّ: (اذا دخل عليك اللص المحارب فاقتله، فما اصابك فدمه في عنقي).

عن [illegible] (ع): (من دخل على مؤمن داره محارباً له فدمه مباح في تلك الحال، للمؤمن و هو في عنقي).

والمراد من الشهيد هنا، كما هو واضح، المبالغة في مساواة اجره له، لا ان احكام الشهيد تجري عليه.

الجهاد عليها غيرشائع، ولايجري على المقتول فيها حكم الشهيد في الدنيا، من جهة تغسيل و نحوه، و ان عدوا في الاخرة من الشهداء، اوحاله كحال من ادخل في اسم الشهداء، مع موته حتف انفه، من غير قتل كالغريق و الحريق والمبطون، و الميت لنفاس او طريق طاعة، او غربة او غيرذلک.

المبحث الثاني

فضيلة الجهاد

في بيان فضيلة الجهاد:[1] الجهاد افضل الاعمال بعد العقائد الاسلامية، و الايمانية، حتى من الصلوات اليومية، و ان كان لها في نفسها،

---

(١) اما لماذا كان الجهاد افضل من سائر الاعمال الشرعية؟
فان البحث عن فلسفة الجهاد، و معطياته، طويل، لايسع له هذا البحث، و نشرها الى بعضها، التي تدل على افضلية الجهاد من سائر الاعمال:

أ ــ ما ذكره الشيخ كاشف الغطاء و توضيحه: ان هناك بعض النصوص الشرعية، تتضمن هذه الفكرة بان (افضل الاعمال احمزها). فكل ماكان العمل اكثر مشقة، بحيث يتحمل الانسان، من اجل ممارسته عناءاً اكبر و تضحية براحته، او ماله، او بحياته و دمائه، كان مثل هذاالعمل، اكثر فضيلة، لانه يدل، على ان من يقوم به،اكثر قرباً و علاقة بالله، فان تحمل المشقة و التضحية،في سبيل المحبوب، يدل اكثر، على شدة تعلق هذا الفرد بذلک المحبوب.

و لكن يجب ان نعلم، بان الضرر، الذي يصيب الممارس، لايعد ضرراً تجاه المنافع و المعطيات الكبيرة، التي ينتجها عمله الشاق.

نعم، لوكان العمل لاتترتب عليه الاالضرر،وليس وراءه اى خير و نفع، اوكان ضرره اكثر من نفعه، فان تشريعه، و فرضه على الانسان مخالف للحكمة والمصلحة.

و امالو لم يكن وراء العمل الاالخير، اوكان خيره و نفعه، اكثر، بكثير من الضرر الذي يصيب الانسان، من ممارسته العمل، سواء كان خيره يرجع للانسان نفسه، او للمجتمع، او للمبدأ، او غيرها من المصالح الكبيرة التي يتصل، اما بها الضرر، و تهون المشاق، فحينئذ يكون تشريع مثل هذا العمل و فرضه، موافقاً للحكمة والمصلحة.

لذلک لا تكون قاعدة نفي الضرر (لاضرر ولاضرار في الاسلام) مؤثر في الاحكام التي اخذ في موضوعها الضرر، والتي تلازم وجود الضرر بطبيعتها، امثال الجهاد و الحج و الزكاة، و غيرها، سواء كان الضرر الذي يصيب الانسان بدنياً اومالياً او غيرهما، و بعبارة اخرى، ان قاعده نفي الضرر لا تشمل المورد الذي يترتب على عدم العمل به مفسدة و ضرر اكبر، سوف يصيب الفرد نفسه، او مبدأه، او غيره، اذا فعله، تحمل مثل هذا الضرر، ليدفع ذلک الضرر الاكبر و المفاسد الناتجة من ترک العمل بهذا الحكم.

و نحن نعلم بان الاحكام الشرعية، فيها لون من التكليف على النفس، لانها شرعت لتنظيم رغبات الانسان و دوافعه، دون ان تدع نفس الانسان منحللة دون ضابط، ولعله لذلک اطلق عليها (التكاليف)، و لكن هذه التكاليف تتفاوت شدة و ضعفا بحسب حجم الاغراض و المصالح التي تستهدف هذه الاحكام تحقيقها و كلما كانت الاهداف اكبر كان حجم المشقة و التكليف والابتلاءات اكبر.

و التكاليف والابتلاءات هي المدرسة التي ينضج فيها الانسان، و يتكامل، و يسمو في الدنيا و الاخرة.

ب ــ ان ممارسة سائر التكاليف و الاعمال الشرعية منوقفة، على وجود المناخ الملائم لممارستها ، والجهاد هو الذي يوفر هذا المناخ الملائم، و ذلک لانه يدفع العدوالخارجي، اوالداخلي، الذي يحارب الاسلام والمسلمين، و الذي يمنع من تطبيق الشريعة، و ممارسة الاعمال الشرعية، فان الامة التي لا تتمتع بروح الجهاد و التضحية، يسهل للاعداء السيطرة و التحكم فيها، و القضاء عليها، و على مبادئها و قيمها او الضغط عليها، و

مز يد فضل عليه، لكنه افضل بحسب الجهات الخارجية، لان الطاعة لله، والعودية له، فرع محبته، والعمل بجميع التكاليف مرجعها الى حب الله، لان المحب الحقيقي يلتذ بخدمة المحبوب، و كلما فعل المحبوب، محبوب، فمتى اطاع في اشق الاشياء عليه فهو دليل على زيادة اخلاصه بالنسبة اليه، فاول مراتب الحب بذل المال في رضا المحبوب، ثم تعب البدن، و ترك اللذات، ثم بذل نفس الولد، الذي هو بمنزلة النفس، و لذا جاء المدح من العزيز الكريم في حق ابراهيم في عزمه على ذبح ولده اسمٰعيل، و لم يبلغ والله مرتبة خاتم الانبياء، ولا البضعة البتول الزهراء، ولا الأئمة الامناء في رضاهم بقتل سيدالشهداء، سيوف الاعداء، و بقائه مطروحاً على الثرى، ورأسه معلقاً على القنا، و قتل اولاده و ارحامه، و اصحابه، و سبي بناته، و عياله، و حملهم على السنان، في نهاية الذل و الصغار، و وقوف سباياهم بين يدي اشرالاشرار، في كمال الذلة و الصغار، و بعد ذلك الرضا بذهاب النفس، في رضا المحبوب، كما اختاره سيدالشهداء لنفسه القتل في رضا رب السماء، ثم ماصدر من سيدالاوصياء ما هو اعجب و اغرب و ابهر، لان بذل النفس بائتا على الفراش من غير ضرب و لا تعب المبارزة، و دهشة الحرب، اعظم في الحب، و اكثر شأناً عند صاحب اللب، فبذل النفس ادل على الحب و الاتصال برب العباد، من الصوم والصلاة والحج والخمس والزكاة.

ثم ان ما في القرآن المبين من الآيات، و ما في كتب احاديث النبي (ص) والائمة(ع) من الروايات، ابين شاهد على فضله، و عظم شأنه، و رجحانيته.

مضافاً الى جمع المسلمين، بل قيام الضرورة عليه من المذهب، بل من الدين.

آيات الجهاد

واما الآيات فهي كثيرة:

منها قوله تبارك و تعالى، (فليقاتل في سبيل الله، الذين يشترون الحيوة الدنيا بالآخرة، و من يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب، فسوف نؤتيه اجراً عظيماً، و مالكم لا تقاتلون في سبيل الله و المستضعفين من الرجال والنساء و الولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها.

هذه حقيقة اثبتتها تجارب التاريخ، فان الشعوب التي انطفأ فيها روح التضحية و الكفاح، قدماتت، و ماتت مبادؤها ايضاً، و احتضنت في مجاهل التاريخ.

فالجهاد، و روح التضحية، هي طريق العزة، و الكرامة، و التكامل، و السعادة للشعوب، و هي في نفس الوقت، توفر المناخ الملائم لممارسة سائر الوظائف الشرعيه، حيث ترفع الحواجزالتي تمنع من تطبيقها، او تبعد الضغط، والرقابة المشددة التي تعرض على ممارستها.

و قد اشير في احاديث كثيرة، الى معطيات الجهاد و آثاره، يذكر بعضها الشيخ كاشف الغطاء، و نهج البلاغة يتعرض كثيراً لمسألة الجهاد، و فلسفته و آثاره. يقول الامام اميرالمؤمنين حول الجهاد:(هو لباس التقوى، و درع الله الحصينة، و جنته الوثيقة، فمن تركه، ألبسه الله ثوب الذل..)

اذن فالجهاد، من حيث آثاره و معطياته و ملابساته يفوق سائر الاعمال الشرعية، و من هنا، كان له هذه المكانة العالية.

و اجعل لنا من لدنک ولیا و اجعل لنا من لدنک نصیراً، الذین آمنوا یقاتلون في سبل الله و الذین کفروا یقاتلون في سبیل الطاغوت، فقاتلوا اولیاء الشیطان، ان کید الشیطان کان ضعیفاً). ١

و منها قوله جل شأنه: (وقاتلوا المشرکین کافة، کما یقاتلونکم کافة، واعلموا ان الله مع المتقین) ٢

و منها قوله جل ذکره (انفروا خفافاً و ثقالاً، و جاهدوا باموالکم و انفسکم في سبل الله، ذلکم خیر لکم ان کنتم تعلمون) ٣ .

و منها قوله تعالی (ان الله اشتریٰ من المؤمنین انفسهم و اموالهم بان لهم الجنة، یقاتلون فی سبیل الله فیقتلون و یقتلون، وعداً علیه حقاً في التوراة و الانجیل و القرآن، و من اوفیٰ بعهده من الله، فاستبشروا ببیعکم الذی بایعتم به، وذلک هو الفوز العظیم) ٤

و منها قوله تعالی (یا ایها الذین آمنوا لا تکونوا کالذین کفروا، و قالوا لاخوانهم اذا ضربوا فی الارض، او کانوا غزّی، لو کانوا عندنا ما ماتوا و ما قتلوا لیجعل الله ذلک حسرة في قلوبهم، والله یحیي و یمیت، والله بما تعملون بصیر، و لئن قتلتم فی سبیل الله، او متم لمغفرة من الله و رحمة خیر مما یجمعون، ولئن متم او قتلتم لالی الله تحشرون). ٥

و قال شأنه (یا ایها الذین آمنوا اصبروا و صابروا و رابطوا و اتقوا الله لعلکم تفلحون). ٦

و منها قوله تعالی (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة، و من رباط الخیل ترهبون به عدوالله و عدوکم، و آخرین من دونهم لا تعلمونهم، الله یعلمهم، و ما تنفقوا من شئ فی سبیل الله، یوفّ الیکم، و انتم لاتظلمون ٧، لایستوی القاعدون من المؤمنین غیر اولی الضرر، والمجاهدون فی سبیل الله باموالهم و انفسهم، فضل الله المجاهدین بأموالهم و انفسهم علی القاعدین درجة، وکلا وعد الله الحسنیٰ و فضل الله المجاهدین علی القاعدین اجراً عظیما، درجات منه و مغفرة و رحمة، وکان الله غفوراً رحیماً) ٨.

و منها قوله جل اسمه (و لا تحسبن الذین قتلوا فی سبیل الله امواتاً بل احیاء عند ربهم یرزقون، فرحین بما آتیٰهم الله من فضله، و یستبشرون بالذین لم یلحقوا بهم من خلفهم، الا خوف علیهم و لا هم یحزنون، یستبشرون بنعمة من الله و فضل، و ان الله لایضیع اجر المؤمنین) ٩.

و منها قوله تعالی (والذین آمنوا و هاجروا و جاهدوا فی سبیل الله والذین آووا و نصروا، اولئک هم المؤمنون حقاً، لهم مغفرة و رزق کریم). ١٠

و منها قوله تعالی (یاایهاالذین آمنوا مالکم اذا قیل لکم انفروا فی سبیل الله اثاقلتم الی الارض ارضیتم بالحیاة الدنیا من الآخرة فما متاع الحیاة الدنیا

---

(١) النساء آیة (٧٥)
(٢) التوبة الآیة (٣٦)
(٣) التوبه الآیة (٤١).
(٤) التوبة الآیة (١١١)
(٥) آل عمران الآیة (١٥٧).
(٦) آل عمران الآیه (٢٠٠).
(٧) الانفال الآیة (٦٠)
(٨) النساء الآیة ٩٥-٩٦
(٩) آل عمران الآیة (١٦٩)
(١٠) الانفال الآیة (٧٤)

في الآخرة الا قليل، الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما، و يستبدل قوماً غيركم و لا تضروه شيئا والله على كل شئ قدير). [1]

و منها قوله تعالى: (والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم الله رزقاً حسناً و ان الله لهو خير الرازقين، ليدخلنهم مدخلا يرضونه و ان الله لعليم حليم) [2]

و منها قوله عز شأنه (قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت اوالقتل و اذا لا تمتعون الا قليلا، قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا اواراد بكم رحمة و لا يجدون لهم من الله ولياً و لا نصيرا). [3]

و منها قوله تعالى (والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم، سيهديهم و يصلح بالهم، و يدخلهم الجنة عرفها لهم، يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم و يثبت اقدامكم). [4]

و منها قوله تعالى (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص). [5]

و منها (يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم، تؤمنون بالله و رسوله و تجاهدون في سبيل الله باموالكم و انفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون، يغفر لكم ذنوبكم و يدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار و مساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم، و اخرى تحبونها نصر من الله و فتح قريب، و بشرالمؤمنين يا ايهاالذين آمنوا كونوا انصارالله كما قال عيسى بن مريم من انصاري الى الله، قال الحواريون نحن انصارالله فآمنت طائفة من بني اسرائيل و كفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين).

روايات الجهاد

: و اما الروايات [7] واردة في ذلك فهي اكثر من ان تحصى، و نشير الى جملة منها:

فعن رسول الله(ص) انه قال في حديث (ومن خرج في سبيل الله مجاهداً، فله بكل خطوة سبعمائة الف حسنة و يمحى عنه سبعمائة الف سيئة، و يرفع له سبعمائة الف درجة، و كان في ضمان الله، باي حتف مات كان شهيداً، و ان رجع رجع مغفوراً له مستجاباً دعائه)

و عنه (صلى الله عليه و آله): (فوق كل ذي بر بر، حتى يقتل الرجل في سبيل الله، فاذا قتل في سبيل الله فليس فوقه بر).

و عنه (صلى الله عليه و آله): (للشهيد سبع خصال من الله، اول قطرة من دمه مغفور له كل ذنب، والثانية: يقع رأسه في حجر زوجته من الحور العين وتمسحان الغبار عن وجهه و تقولان مرحباً بك و يقول هو مثل ذلك لهما، والثالثة: يكسى من كسوة الجنة، والرابعة: يبتدره خزنة الجنة بكل ريح طيبة ايهم يأخذه معه، والخامسة: ان يرى

(١) التوبة الآية (٣٨).
(٢) الحج الآية (٥٨)
(٣) الاحزاب الآية (١٦)
(٤) محمد الآية (٤).
(٥) الصف الآية(٤-١١ — ١٢-١٣ — ١٤).
(٦) هذه الروايات مذكورة كلها في كتاب وسائل الشيعة للشيخ الحر العاملي الجزء الحادي عشر، كتاب الجهاد، الباب الاول من ابواب جهاد العدو.
(٧) الصف الآية (١٠)

منزله، والسادسة يقال لروحه اسرح في الجنة حيث شئت والسابعة: ان ينظر وجه الله و انها لراحة لكل نبى و شهيد).

و عنه(ص) ايضاً: (خيول الغزاة فى الدنيا خيولهم في الجنة، و ان اردية الغزاة لسيوفهم).

و عنه (ص) ايضاً: (اغزوا تورثوا ابناءكم مجداً).

و عنه (ص) (ان جبرئيل عليه السلام، اخبرني بامر قرت به عيني و فرح به قلبي قال: يا محمد من غزا غزاة في سبل الله من أمتك فما اصابه قطرة من السماء او صداع الا كانت له شهادة يوم القيامة).

و عنه(ص) ايضاً (للجنة باب يقال له باب المجاهدين يمضون اليه فاذا هو مفتوح، و هم متقلدون سيوفهم، و الجمع فى الموقف، و الملائكة ترحب بهم، قال: فمن ترك الجهاد البسه الله ذلاً و فقراً فى معيشته و محقاً فى دينه، ان الله اغنى امتى بسنابك خيلها و مراكز رماحها).

و روى الكليني باسناده عن الصادق(ع) (ان ابادجانة الانصارى اعتم يوم احد بعمامة، و ارخى عذبة العمامة بين كتفه حتى جعل يتبختر، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: ان هذه المشية يبغضها الله عزوجل الا عندالقتال فى سبيل الله).

و روى الشيخ باسناده عن عثمان بن مضعون قال: (قلت لرسول الله (ص) ان نفسى تحدثني بالسياحة، و ان الحق بالجبال، فقال يا عثمان لا تفعل فان سياحة امتي الغزو و الجهاد).

و عن مولانا امرالمؤمنين (عليه السلام) انه قال في خطبة له: (اما بعد فان الجهاد باب من ابواب الجنة فتحه الله لخاصة اوليائه، الى ان قال، هولباس التقوى، و درع الله الحصينة، و جنّته الوثيقة، فمن تركه البسه الله ثوب الذل، و شمله البلاء و ديث بالصغار والقماء و ضرب على قلبه بالاشداد، و اديل الحق منه بتضييع الجهاد، و غضب الله عليه، بتركه و نصرته، و قد قال الله عز وجل في محكم كتابه «ان تنصر والله ينصركم و يثبت اقدامكم».

و عنه عليه السلام انه خطب يوم الجمل فقال في خطبته (أيها الناس ان الموت لايفوته المقيم، ولا يعجزه الهارب، و ليس من الموت محيص و من لم يمت يقتل، و ان افضل الموت القتل، و الذي نفسي بيده لالف ضربة بالسيف أهون عليّ من ميتة على فراش).

و عنه(ع) (ان الله فرض الجهاد و عظّمه و جعله نصره و ناصره، و الله ما صلحت دنيا و لادين الا به).

و عن مولانا الباقر (عليه السلام) انه كتب في رسالة الى بعض خلفاء بني امية (..و من ذلك ما ضيع في الجهاد الذي فضّله الله عزوجل على الاعمال و فضل عامله على العمال تفضيلا في الدرجات والمغفرة و الرحمة، لانه ظهر به الدين، و به يدفع عن الدين، و به اشترى الله من المؤمنين انفسهم و اموالهم بان لهم الجنة بيعاً مفلحاً منجحاً، اشترط عليهم فيه حفظ الحدود و اول ذلك الدعاء الى طاعة الله تعالىٰ من طاعة العباد،والى عبادة الله من عبادة العباد. و الى ولاية الله من ولاية العباد) الخبر.

و عنه (عليه السلام) (الخير كلّه في السيف، و تحت السيف، و فى ظل السيف) و عنه (عليه السلام) (إن الخير كل الخير معقود في

نواصي الخيل الى يوم القيامة).
و عن مولانا الصادق (عليه السلام) (من قتل
في سبيل الله لم يعرفه الله شيئاً من سيئاته).
و عنه (عليه السلام) (الجهاد أفضل الأشياء
بعد الفرائض)

فلسفة الاخلاق

حجة الاسلام الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي
استاذ في الحوزة العلمية ـ قم

مفهوم الاخلاق

«الاخلاق» تستعمل تارة بمعنى الملكات الحاصلة للنفس و التي تعنها عن التروّي في الأفعال الارادية، سواء كانت فاضلة اورذيلة. وتستعمل تارة بمعنى نفس الأفعال التي تستحق المدح أوالذمّ، كما انها قد تستعمل بمعنى الافعال التي تستحق المدح فقط. والمراد هنا هو الاصطلاح الثاني، و إن كان قد يراد بها كلّ من الاصطلاحين الآخرين لمسايرة القوم في مصطلحاتهم.

ماهي المسألة الاخلاقية؟

من مميّزات المسألة الاخلاقية أنّ موضوعها لايكون الاّ الفعل الا راديّ، كما أنّ محمولها يكون مفهوم «الواجب» او «المحظور» او مايشابههما كقولنا ينبغي، ويحسن او يقبح، و ما إلى ذلك. و من الواضح ان هذا الوجوب لايساوى الوجوب المستعمل في المنطق في موادّ القضايا (الضرورة) والذي يستعمل في الفلسفة الأولى في مقابل الإمكان. كما أنّ الحسن والقبح و ما يشابههما أيضاً غير ما يقع صفة للأشياء الحسيّة و غير الحسيّة. فالوجوب مثلاً وان كان مفهوماً اعتباريّاً في جميع موارد استعماله الاّ انّه كمفهوم أخلاقيّ له خصوصية هي طابعه القيميّ، و لأجل ذلك لايتصف به الاّ الفعل الاراديّ. و ليس هو مفاد الأمر الإنشائي الذي يجري في العلاقة بين الموالي والعبيد، او بين المشرّعين و المواطنين.

فقول القائل «**يجب تركيب عنصري الاوكسجين والهيدروجين بنسبة معينة وفي ظروف خاصة من الحرارة والضغط ليحصل الماء**» وان كان بظاهره متعلّقاً بالعمل الارادي إلاّ أنّه ليس في الواقع إلاّ حكاية عن حقيقة كيماوية تمثّل في شكل إنشائيّ بتفنّن من الذهن. فهو لايزيد على انّ الماء مركّب خاصّ من عنصرين كيمياويين، و انّ تركّبهما لأجل حصول الماء رهن لشروط خاصّة، لاسيّما بالنظر إلى أن لادخل للفعل الانسانيّ في تحقّق الماء فضلاً عن إرادته ونيّته. وكذا فانّ قول القائل «**يجب أن تكون مقدّمات البرهان يقينية**» لايزيد على أنّ

النتيجة البيّنة إنّما تحصل من مقدمات يقينية. ومن هنا يظهر أنّ علم المنطق علم تقريري بعد ما يكون الطبيعيات والرياضيات تقريرية[1] بل نقول: حتى القوانين الوضعية التي تلزم المواطنين بأعمال خاصة بوصفها قوانين وضعية ليست أحكاماً أخلاقية وإن كانت محققة للأفعال الإرادية، فإنّها لا تنطوي في صميمها على أمر من الفطرة الخلقية بما أنّها قوانين موضوعة. نعم، ينبغي عدّ العمل بالقوانين الوضعية عملاً أخلاقياً إذا كان واجداً لشروط الفعل الأخلاقي — على ما سيأتي بيانه — لكن مضمون القضية الخلقية في مورده هو وجوب العمل بالقوانين الوضعية، وهو أمر يختلف عن كون نفس القانون الوضعي قانوناً أخلاقياً. وهذه نكتة لا ينبغي الغفلة عنها.

وممّا يجب التنبيه له أنّ موضوع الحكم الأخلاقي ليس هو مطلق الفعل الإرادي بما أنّه ماهية من الماهيات وداخل تحت مقولة من المقولات الحقيقية، بل بما أنّه مصداق لعنوان يعتبر زائداً على نفس الماهية كالصدق والعدل، أو الكذب والظلم. وسيأتي زيادة توضيح لمشخّصات الفعل الأخلاقي.

مصدر الحكم الأخلاقي

إذا كان الحكم الأخلاقي عبارة عن إيجاب قسم من الأفعال وتحريم قسم آخر منها أو إيجاب تركها فإنه يثور التساؤل عن مصدر هذا الإيجاب الذي ربما يعدّ رصداً للحكم الأخلاقي فيستمد منه قيمته الخُلقية — على ما زعمه بعضهم — وتختلف المدارس الأخلاقية في الإجابة عليه كما يلي:

١) انّ مصدر الحكم الخُلقي أو مصدر الأمر والنهي يجب أن يكون فوق الإنسان وقواه الإدراكية حتى يكون جديراً بالأمر والنهي، ويستحق الإطاعة من الإنسان. فمصدر الحكم الأخلاقي هو الله تعالى، وإن شئت قلت: إنّ الأساس الذي ينتسب إليه الحكم بالوجوب في الموضوع الأخلاقي هو أوامره ونواهيه — فالعدل إنّما يجب لأنّه مأمور به من قبل الله سبحانه، والظلم إنّما يحرم لأنّه منهيّ عنه من قبله. وهذا القول يلائم مزعمة الأشعرية في مسألة الحسن والقبح.

ويلاحظ عليه أولاً أنّ الحكم الأخلاقي لا يجب أن يكون قضية يقينية، بل يمكن التعبير عنه بالحسن والقبح والمدح والذم. ودعوى أنّ القضية الأخلاقية متوقفة على الأمر الإلهي بها، كما ترى، مجرد دعوى.

وثانياً أنّه بناء على ذلك لا يبقى مجال للحكم [illegible] بالوجوب والشرع (والعياذ بالله تعالى) [illegible] الأحكام الأخلاقية.

وثالثاً أنّ من الأحكام الخلقية ما لا سبيل لوروده [illegible] هو وجوب إطاعة الله تبارك وتعالى ومعرفته، فإذا كان مصدر الوجوب الأخلاقي يكمن في أمره تعالى يحتاج وجوب الإطاعة إلى أمر آخر، وهلمّ جرّا.

ورابعاً أنّ أمره تعالى لا يكون جزافاً البتة، بل إنّما يتعلق بما هو خير في نفسه بصرف النظر عن تعلّق الأمر به. قال تعالى: «**قل إنّ الله لا يأمر**

---

١) إشارة إلى ما يرى من رغمه «ووندت» الألماني (Wundt) من كون المنطق عنده دستورية كعلمي الجمال والأخلاق، بل عنونه بأنه لا محصل للعلوم التي هي تجريبية وتقديرية، بعدم الفرق الجوهري بينهما.

بالسوء و الفحشاء» و قال **«إنّ الله يأمر بالعدل والاحسان..»**. نعم، الوجوب الشرعيّ يتوقف على أمره تعالى، فيتعلّق بموصوعه وجوب آخر أخلاقيّ من جهة امتثال دلك الأمر و في طول مطلوبيته النفسيّة، بحيث إذا أُتي به بنيّة إطاعة الأمر الالهيّ كان له مرتبة عليا من الفضيلة.

٢) انّ مصدر الأحلاق هوالضمير الّذي يبعث الإنسان نحو الخيرات و يزجره عن الشرور والقبائح. وقدركّز عليه **«جان جاك روسو الفرنسي»** حيث قال: **«إيها الضمير! إيها الضمير! الغريزة الالهية، الصوت الخالد السماويّ، الدليل المحقّق لموجود جاهل محدود»**.

و قد اعترض عليه بأن الضمير ليس إلاّ انعكاساً للعادات التي يرضاها المحتمع، ولهذا يتطور وفقا للتطوّرات الطارئة للشعوب.

و يمكن دفعه بأنّ الضمير الفطريّ لجميع الناس واحد، و إنّما يطرأ عليه ما يوجب انحرافه عن المجرى الفطريّ. فهو كفطرة التوحيد الّتي تطرأ عليها ألوان من النزعات الشركيّة، و تختلف في الناس من حيث درجة النباهة والرشد والحيويّه، و إن كان أصلها مشتركاً بين جميع الناس.

لكنّ الكلام كلّه في إثبات الضمير كمبدأ مستقلّ عن العقل و سائر القوى النفسيّة.

٣) انّ مصدر الحكم الأخلاقيّ هوالعاطفة التي تدفع الإنسان إلى التضحية بمنافعه في سبيل منافع الآخرين و مصالح الانسانية، و التي يخضع العقل تجاهها، و هوالذي ذهب إليه كثير من الفلاسفة الغربيّين كشوبنهاور، و تبنّاه أغوست كُنت الفرنسيّ، الّذي أسّس **«دين الانسانيّة»** و هومن أوضح التعبيرات عن الانسانية الغربية (اومانيسم) تلك النزعة التي تجعل من الإنسان مركزاً للمسائل الكونية و للقيم و المثل العليا.

و يلاحظ عليه انّ هذه العاطفة ممّا يوجد نظيرها في أنواع من الحيوان، و شأنها شأن سائر الغرائز و العواطف المشتركة بين الانسان والحيوان، فيجب أن يتحدّد نشاطها على ضوء العقل، لا أن يخضع العقل لها. فانّ من شأن العقل هداية سائر القوى. على أنّه المبدأ الّذي يعدّ فصلاً مميزاً للإنسان، ولاأقل من احتصاصه بدرجة فائقة منه. فاذا كان من اللازم حضوع قوّة لقوّة أُخرى تعيّن خضوع سائر القوى للعقل دون العكس. أضف إلى دلك أنّ مقتضى هده النظريّة انحصار الحكم الأخلاقيّ بما يتعلّق بالعاطفة الاجتماعيّة ممّا يجري بين الانسان و بني نوعه، فلا يبقى مجال للحكم الأخلاقيّ في ما بينه و بين نفسه، و كذا في ماسنه و بين ربه.

٤) انّ مصدر الحكم الخُلقيّ هوالمجتمع. ذلك أنّ الإنسان — في رعم اصحاب هذا الرأي — إنّما يكون موجوداً أخلاقياً لأنّه يعيش في جماعة، ولا أخلاق إلاّ في مجتمع. فالخير ما يأمر به العقل الجمعيّ، و الشرّ ما ينهى عنه العقل الجمعيّ، والشعور بالالزام هو وليد الضغط الّذي تمارسه الجماعة على الفرد. و قد ذهب إلى هذا الرأي أصحاب المدرسة الاجتماعية كدور كهيم[١].

و يلاحظ عليه — مضافاً إلى بطلان أساسه — أنّ الفرد ربما يشعر بلزوم التمرّد على القوانين الاجتماعيّة والسعي وراء تعديل القيم السائدة او إبداع قيم جديدة. و قد يكون فعله هذا أخلاقياً،

---

(١) E. Durkheim

بل ربما يعدّ عملاً بطولياً مشكوراً. فكيف يكون مصدر الحكم الأخلاقيّ هو رأي المجتمع؟ أم كيف يكون الشعور بالواجب وليد الضغط الاجتماعيّ؟ و غير خفيّ أن هذا الرأي ينحدر بالأخلاق إلى مستوى المواضعات الاجتماعية، ولايُبقي فرقاً بين القانون الاجتماعيّ و الحكم الأخلاقيّ.

٥)ان مصدر الحكم الأخلاقيّ هوالطبيعة بمالها من القوانين، و من جملتها قانون التطوّر والتوافق مع البيئة. فكما أنّ الطبيعة قد تحوّلت في ظلّ هذا القانون إلى كائن إنسانيّ كذلك الانسان تحوّل من كائن أنانيّ مستأثر إلى كائن ازدوج فيه الاستئثار و الإيثار، و سوف يتطوّر بفضل نفس هذا القانون الطبيعيّ إلى كائن مزوّد بعاطفة الإيثار الخالص، و عندئذ يزول عنه الشعور بصعوبة الفعل الأخلاقيّ و كلفته، فلايحتاج إلى إلزام و تكليف، بل تصدر عنه الأفعال الأخلاقية بسهولة بمقتضى تلكالعاطفة البالغة. فمصدر الإلزام الخُلقيّ في هذه الدورة المتوسّطة الّتي يعيشها هو ضرورة التكيّف مع الحياة و التوافق مع البيئة الاجتماعيّة. و هذا ما ذهب اليه هربرت سبنسر[١] الا نحليزيّ.

و يلاحظ عليه أنّ القانون الطبيعيّ الجبريّ لا يصلح رصيداً للحكم الأخلاقيّ المتعلّق بالأفعال الإراديّة بما هي كذلك. و ليست الظاهرة الخلقيّة ظاهرة طبيعيّة ناتجة عن توافرالشروط الحيويّة (البيولوجيّة) بل هي ظاهرة إنسانيّة تتدخّل فيها الخصائص الإنسانيّة بما فيها العقل و الارادة الحرّة. هذا اضافة الى أنّ الحكم على هذا هولعاطفة الإيثار لالقانون الطبيعة، و لو كان لقانون التطوّر دور في ذلكلكان في نموّ تلك العاطفة وازدهارها، لا في نفس الحكم الأخلاقيّ، ثمّ يرد عليه ما أوردناه على القول الثالث.

٦)انّ مصدر الحكم الأخلاقيّ هو العقل العمليّ بما له من البديهيّات الخاصّة به المستقلّة عن معقولات العقل النظريّ، و هي الأحكام الأخلاقية العامّة الّتي لا تقبل الاستثناء لأيّ شخص و لا في أيّ زمان أو مكان، كوجوب العدل و الصدق. و قيمة الأفعال الأخلاقية إنّما تكمن في إتيانها بداعي أداء التكليف من دون قصد لأيّ غاية تتوقّع منه من اللذّة و دفع الألم، أو إرضاء العواطف، أوالسعادة، أوالكمال، و إن كانت تلك الغايات تترتّب عليها لا محالة. و هذه نظرية «كانط» الّتي تعدّ من أروع منتوجات الفكر الغربيّ. هوالقائل: «شيئان يملأ نني إعجاباً: السماء ذات النجوم فوق رأسي، والقانون الخُلقي في نفسي». و يقول في «نقد العقل العمليّ» معجباً بالواجب الخُلقيّ: «إيها الواجب! إيها الاسم السامي...».

بيدأنّها لا تكون سليمة من مناقشات جذريّة، كمنع البديهيّات العمليّة المستقلّة عن النظريّات — كما سيتضح وجهه — و منع عمومية القوانين الاخلاقية بحيث لا تقبل أي استثناء في مقام العمل، فانّ هناك موارد كثيرة لايجوز فيها الصدق مثلاً لمايترتّب عليه من العواقب الوخيمة كما إذا أوجب قتل نفوس زكيّة[٢]. والسرّ في ذلكيكمن

---

(١) H Spencer

(٢)و هذا ما استشكل به بنجامين كونستان (Benjamin Constant) على كانط الذي عاصره و بين كانط.

في أنّ قيمة الأفعال الأخلاقية ليست ذاتيّة لنفس العناوين بل هي معلّلة بالغايات المترتبة عليها. وهذا بدوره يرجع إلى عدم استقلال الأحكام العمليّة عن النظريّات. كما أنّ قصد الغايات المتعالية لا يقلّل شيئاً من قيمة الفعل الأخلاقيّ، بل قصد نفس التكليف إنّما ينشأ من داعٍ أعمق هوالوصول إلى الكمال الانسانيّ. فانّ القائل الّذي يلتزم بالصدق في كلامه بقصد أداء التكليف إذا أمعن في الفحص عن جذور نيّته في أعماق قلبه لوجد وراء هذا القصد داعي البلوغ إلى الكمال اللائق بالإنسان. وإذا لم يكن مثل هذا الداعي الطوليّ مضرّاً بأخلاقيّة الفعل فليمكن ذلك في بعض الدواعي الطولية الأخرى. إلى غير ذلك من المناقشات.

٧) انّ مصدر الحكم الأخلاقيّ هوالطبيعة الإنسانيّة الآمرة بتحصيل اللذّات العاجلة فإنّ «اللذّة هي صوت الطبيعة» فكلّ فعل يؤدّي إلى لذّة فرديّة فهوخير، وكلّ فعل يؤدّي إلى ألم فردي فهو شرّ. ومن الطريف أنّ هذا الاتّجاه لايعتني بشأن اللذّات المستقبلة مهما بلغت من القوّة والشدّة، لاسيّما إذا توقّف حصولها على تحمّل آلام ومصاعب، كما لا يعتني بشأن الماضي، ولا يعدّ التفكّر فيه من الفعل الأخلاقي، لا سيّما إذا أورث ذلك ندماً وحزناً، وإنّما شعاره الوحيد هو: **«اغتنم الحال، واستوف حظّك منه»**.

وغير خفيّ أنّ في هذا الاتّجاه هلاك الأخلاق وضياع القيمة الخُلقيّة من الأصل، وتبرير كلّ عمل لا أخلاقيّ إذا أوجب لذّة عاجلة لعامله!

وإن تعجب فعجب أنّ المنادي به (أريستبوس) هوتلميذ سقراط، وقد فسّر السعادة الّتي جعلها أستاذه غاية منشودة للانسان في أفعاله باللذّة العاجلة، فسقط بالكرامة الإنسانيّة إلى ورطة سحيقة لا منجى وراءها. ونحن لانرى مبرّراً لإضاعة الوقت في مناقشة هذا الاتّجاه السخيف.

٨) انّ مصدر الحكم الأخلاقيّ هو العقل الحاكم برجحان اللذّات الباقية وحسن تحمّل الآلام اليسيرة لأجل الحصول على تلك اللذّات واجتناب اللذّات المستتبعة للآلام الطويلة أوالمتوقّفة عليها. وبعبارة أخرى: ملاك الخير هوالسعادة الدنيويّة الّتي تحصل من طريق اللذّات الطبيعة الضروريّة كالمأكل والمشرب والمنام، ومراعاة الاعتدال في اللذّات الطبيعيّة غير الضروريّة كالمنكح، وكفّ النفس عن اللذّات غير الطبيعية وغير الضروريّة كلذّة الجاه والثروة. وهذا ماذهب إليه إبيقور[1].

ويلاحظ على هذا الاتّجاه أوّلاً: أنّه أغفل اللذّة الأخرويّة الّتي لا تقاس بها أية لذّة دنيويّة مهما كانت. فأين المتناهي من اللامتناهي؟ وأين اللذّات المشوبة بالآلام من اللذّات الصافية الّتي لاينغّصها شيء؟ «والآخرة خير وأبقى»؛ «لايمسّهم فيها نصب ولالغوب». وإذا أمكن الحصول على مثل هذه اللذّات ولو كان بثمن تضحية جميع اللذّات الدنيويّة كان المعيّن ترجيحها بنفس الملاك الّذي اعتبر في ترجيح اللذّات الباقية نسبياً.

وثانياً أنّ هذا الاتّجاه قاصر عن إراءة معيار لترجيح اللذّات المتزاحمة إذا فرض تساويها من حيث البقاء والدوام. فإذا تعارضت اللذّة العقليّة

(١) Epocure

الحاصلة من التعلّم مع اللذّة النفسيّة الحاصلة من إرضاء العواطف المتعلّقة بالأسرة و الجماعة مثلاً بحيث لم يتيسر الجمع بينهما فما هوالملاك لترجيح إحداهما على الأخرى؟

و ثالثاً أنّ هذه النظريّة قاصرة عن حكم ما إذا تزاحم التذاذ فرد مع التذاذ فرد آخر أو أفراد آخرين. فهل يجب تضحية لذّة النفس في سبيل التذاذ الغير، أو يجب على كلّ فردأن يسعى وراء الحصول على لذّته نفسه و لوتمّ ذلك بتضحية حرمان الكثيرين؟

و رابعاً انّ استثناء اللذّات غير الطبيعية و غير الضروريّة ممّا لا وجه له. لايكفي الاعتذار بأنّها مستتبعة لآلام كثيرة أومتوقّفة عليها، فانّ استلزام مثل هذه اللذّات لآلام تزيد عليها من حيث المدّة لاكليّة له.

و خامساً التركيز في الرجحان على عنصر الزمان خاصّةً غير موجّه، بل لابدّ من اعتبار الشدّة إلى جانب المدّة كملاك لرجحان اللذّات بعضها على بعض، أو لرجحان لذّة على ألم أو بالعكس. فانّ العقل ربما يحكم برجحان لذّة قصيرة على لذّة هي أطول منها زماناً، لكون القصيرة أقوى وأشرف. و إذا وجب مقايسة اللذّات و الآلام من حيث الشدّة و الشرف أيضاً احتيج إلى مقياس لذلك، فهل يكفي في الترجيح شعور الفرد نفسه؟ فيلزم اختلاف القيم باختلاف شعور الأفراد، بل باختلاف حالات الفرد الواحد، و يختلّ بذلك نظام التقييم الخُلقيّ؛ أو يوجد هناك معيار آخر؟ فيبقى التساؤل عن ذلك المعيار.

٩) انّ مصدر الحكم الأخلاقيّ هو العقل بمعونة التجربة الّتي أثبتت ضرورة الحياة الاجتماعيّة و توقّف سعادة الفرد على سعادة المجتمع، فلا تكفي اللذّة الفرديّة معياراً لمعرفة الخير، بل لابدّمن مراعاة لذّة المجتمع. و بهذا يندفع بعض الإشكالات الواردة على النظريّة السابقة. و اشتهر هذا الاتجاه التحريبيّ بمذهب المنفعة العامّة، و ذهب إليه «بنتام[١]» و «جون ستوارت ميل[٢]» مع فرق يسير بينهما يتلخّص في أنّ السابق يعتبر منفعة المجتمع كذريعة لتحصيل اللذّة الفرديّة بخلاف اللاحق الّذي يعطي الأصالة للمنفعة العامّة. و في أنّ «ميل» يعتبر الجانب النوعيّ والكيفيّ كمعيار أصيل لترجيح اللذّات و الآلام، فيصرّح بأنّه «ربما كان من الأفضل للفرد أن يكون إنساناً شقيّاً من أن يكون خنزيراً متلذّذاً، أو أن يكون سقراطاً متبرّماً من أن يكون غرّاً سعيداً أحمق».

لكن مع ذلك كلّه و بعد التعديلات الّتي أجريت على نظريّة اللذّة حتّى تبلورت في نظريّة المنفعة العامّة حسب ما قرّرها «ميل» فهي لاتخلو بعدُ من بعض المناقشات: كإغفال جانب اللذّة الأخرويّة في النظريّتين جميعاً. و بحسب التقرير الأوّل السؤال عن حكم صورة التزاحم بين اللذّة و المجتمع الّتي لايعود سهم منها إلى الفرد أصلاً، كما إذا توقّف تحصيل سعادة المجتمع على تضحية النفس؛ و بإغفال جانب الكيفيّة بصدد ترجيح اللذّات. و بحسب التقرير الأخير السؤال عن الحكم الّذي يُلزم الفرد بتضحية لذّاته في سبيل تلذّذ الآخرين لاسيّما في مورد تضحية النفس؛ و عن تعيين الضابط لترجيح اللذّات المتعالية.

---

(١) Bentham

(٢) Jogn.S.Mill

١٠) **انّ مصدر الحكم الأخلاقيّ هو العقل الحاكم بحسن الأفعال الموجبة لوصل الانسان إلى الكمال اللائق به، ذلك الكمال الّذي هو الخير المطلوب، والّذي يلازم السعادة المنشودة.** يقول افلاطون في مانقل عنه: **«لاينبغي البتّة أن يصغي المرء في نفسه إلاّ إلى صوت العقل، لأنّ العقل المستقيم إنّما هو صوت الله يخاطب به أنفسنا»** [1].

و هذا الاتّجاه العمليّ اشترك فيه ثلّة من حكماء يونان كسقراط و افلاطون و ارسطو، وتبعهم الكثيرون من حكماء المسلمين و عدّة من متأخّري الغربيّين كمالبرانش[2] ولايب نيتز.[3] وإن كانت تفاسيرهم عن ذلك مختلفة بما لا يتسامح فيه. فبينما يؤكّد سقراط على السعادة الأبديّة و يجعل الحياة الطيّبة الأخرويّة هي الغاية القصوى الّتي يجب على الانسان أن يبتغيها و يسلك سبيلا يؤدّي إليها، حتى يجيب معارضيه بأنّه «لا يمكنكم أن تثبتوا لنا أنّه يجب على الانسان أن يحيى حياة غير الحياة الّتي تنفعنا حين نكون في الآخرة. بل يلزمنا أن نسلك السبيل المؤدّي للسعادة في الحياة و بعد الممات [4]»

لايكاد يوجد أيّ تأكيد من أرسطو على ذلك، بل يركّز هو على السعادة الدنيويّة الحاصلة من بلوغ كلّ قوّة إلى كمالها في ضوء العقل. و الّتي تحصل بأسباب كثيرة بما فيها الأولاد والأصدقاء و الثروة و الجمال. و بينما يجعل سقراط و افلاطون الحكمة و المعرفة أمّ الفضائل و يعتبران الجهل وسوء الموازنة بين اللذّة الحاضرة والآلام المستقبلة منشأ الخطايا، نرى أرسطو ينتقد عليهما أنّ العلم لا يكفي لصدور الأفعال الحسنة بل يشكّل شرطاً من شروطه فقط. و بينما يؤكّد افلاطون على أنّ للخير مثالاً عقليّاً شاهدته الروح الانسانيّة قبل تعلّقها بالبدن و الّذي سوف تلحقه الروح بعد الممات اذا كان الشخص محسناً، و يرى أنّ مثال الخير الّذي يتعلّق به الفضائل هو فوق مثال الحقّ الّذي تتعلّق به العلوم و المعارف و فوق مثال الجمال الّذي تتعلّق به الفنون الجميلة. ينتقد عليه تلميذه بأنّ الخير ليس أمراً حقيقيّاً حتّى يكون له مثال عقليّ — مضافاً إلى إنكاره لكلّ المُثُل و لقدم الروح — و يؤكّد هو على أنّ القوّة العقليّة هي فوق كلّ القوى الانسانيّة، وأنّ كمالها أفضل الكمالات. إلى غير ذلك من الأمور الّتي لا يسعنا الخوض فيها هنا. و يجدر بنا أن نشير ببعض الملاحظات الّتي لابدّ من ذكرها.

و ممّا اتّفق عليه الحكماء اعتبار الوسطيّة كمعيار لتمييز الفضائل من الرذائل، فكلّ فضيلة تكتنف برذيلتين في طرفي الافراط والتفريط. وقد نوقشت هذه النظريّة ببعض مناقشات ربما تندفع بالتأمّل في محتمل كلماتهما لا سيّما كلمات أرسطو في كتابه إلى نيقوماخوس. ولعلّ الحسن ما توجّه به هذه النظريّة هو ضرورة التزاحم بين متطلّبات الانسان المتنوّعة. فينبغي تحديد كلّ قوّة بما لايزاحم كمال قوّة أخرى، وتحديد الجميع بما لايزاحم كمال القوّة العقليّة الحاكمة على الكلّ. فالإفراط في تحصيل ما

---

(١) راجع مقدّمة الأخلاق إلى نيقوماخوس، لبارتلمي سانتهلر، ص ٣٤.

(٢) N-Malebranche

(٣) G W Leibniz

(٤) راجع مقدمة الاخلاق الى نيقوماخوس، ص ٦٠.

نقيضيه قوّة خاصّة يوجب حرمان سائر القوى عن مقتضياتها، كما أنّ التفريط يوجب حرمان نفس القوّة. وأمّا الإفراط بالنسبة إلى القوة العقليّة فربما يوجب ضعف القوى البدنيّة المؤدّي إلى قصور القوّة العقليّة في فعلها بل إلى موت الإنسان. و يظهر بذلك معنى كون العدالة رأس الفضائل، إذ بها تنال كلّ قوّة ما تستحقّه.

و ممّا ينبغي التنبيه عليه أنّ هذا الاتّجاه العقليّ لا ينفي ارتباط العقل العمليّ بالحسّيّات والتجربة، فلا يتحاشى عن تعليل الفضائل بكونها مؤدّية إلى الكمال المهنيّ للإنسان، بخلاف ما يبدو جليّاً من نظرية «كانت» حيث يعتبر أحكام العقل العمليّ من الأحكام السابقة على التجربة [1]. كما لا يرى تعارضاً بين الفضائل وبين اللذّات العاجلة، بل يرى أنّ من الأفضل الجمع بينهما ما دام لا يوجب ترك الفضائل. يقول افلاطون فيما نقل عنه: «**الخير الأكمل ليس كلّه في العقل ولا في اللذّة، بل هو مزيج بينهما جميعاً**» [2]. و هذا بخلاف ما سنلاحظه في الاتّجاه التالي.

١١) انّ مصدر الحكم الأخلاقيّ هو العقل الحاكم بوجوب مسايرة الطبيعة والرضا بالمقدّرات الّتي تجري وفقاً لقوانين الطبيعة الجبريّة الّتي تعبّر عن مشيّة الله تعالى بل تتحد بها. و هذا هو كلّ ما نملكه من الاختيار الّذي يتعلّق بما يوجد في نطاق وجودنا، و امّا ما هو خارج عن هذا النطاق فهو يجري وفقاً للنظام المحتوم، سواء أرضينا أم كرهنا. فالخير هو الرضا و اطمئنان القلب و مجاهدة النفس و كفّها عن مشتهياتها و عن مكافحة المقدّرات، والشرّ هو الانهماك في اللذّات و متابعة الأهواء ممّا يوجب التعلّق بما هو خارج عن نطاق وجود الإنسان، فيؤدّي إلى الاضطراب و القلق. و يقتضي الرضا بالطبيعة في جريانها الّذي هو جبريّ في المجموع و يرجع إلى ارتباط الحوادث بعضها ببعض. و هذا ما ذهب إليه الرواقيّون بعد إجراء تعديل يسير على الطريقة الكلبيّة. و من الطريف أنّ جميع الأفعال عندهم متساوية بحسب درجة الفضيلة، و كذلك أفعال السوء، عند أصحاب هذا المذهب.

و يلاحظ عليه أوّلاً أنّ هذا الاتّجاه مبتنٍ على فرضيّة ميتافيزيقيّة مردودة، و هي فرضيّة وحدة الوجود [3] بمعنى اعتبار العالم كواحد حيّ، و يعتبر الله فيه كروحه وجوهره و العالم كجسمه، فليس كلّ جزء منه إلّا جزءاً من الإله سبحانه و تعالى.

و ثانياً أنّه مبتنٍ على تفسير خاطئ للقضاء الإلهيّ ممّا يوجب الجبر في خارج نطاق الروح الإنسانيّ.

و ثالثاً أنّ اعتبار الخالق كروح أو جوهر للعالم ممّا يستتبع عدم اعتبار القوانين الحاكمة على العالم مشيّة له تعالى بمعنى شمول مشيّته القاهرة و قضائه لوجود الإنسان و شؤونه أيضاً. واستثناء نطاق الوجود الإنسانيّ عن دائرة القضاء الإلهيّ المحتوم تناقض في صميم هذه الفرضيّة.

و بعد أن نسلّم كون الإنسان مختاراً في نطاق وجوده الخاصّ به لا ينبغي عدم تسليم تأثيره في الحوادث الخارجيّة، فسريان أثر اختياره إلى ما

---

١) Apriori

٢) راجع مقدمة الاخلاق الى نيقوماخوس: ص ٣٩.

٣) Pantheism

حوله ممّا يتصرّف فيه باختياره، كخبر يسديه إلى الغير، أو حقّ يسلبه عنه و يوجب خروج مثل هذه الحوادث عن النظام المحتوم، و حينئذ فإمّا أن يعتبر الرضا بظلم الآخرين واجباً أخلاقيّاً فيلزم وجوب الرضا بأمر غير محتوم و خارج عن نظام الخير، و إمّا ان لا يعتبر واجباً فيلزم محذور القلق و الاضطراب. و هذا بدوره أيضاً يؤدّي إلى تناقض آخر. اللّهمّ الاّ ان تعتبر الحركات البدنية كلّها جبرية، فيسأل عن ملاك اعتبار الانهماك في اللذّات شرّاً و الكفّ عن المشتهيات خيراً. فهل يصحّ وضع أمر جبريّ موضع التكليف والحكم عليه بالخير والشرّ الاخلاقيّين؟! و هل هذا إلاّ نفي لموضوع الأخلاق رأساً؟!

و أخيراً فإنّ هذه النظرية الأخلاقية لمخالفتها للفطرة الإنسانية غير قابلة للعمل إلاّ في الشاذّ النادر من أفراد المجتمع.

١٢) انّ مصدر الحكم الأخلاقيّ هو قانون الحياة بمعنى نموّ القدرة في الكائن الحيّ. فإنّ الرغبة في الحياة تنبثق عنها الرغبة في القدرة و الإرادة المبدعة. فمنشأ الفضائل الخُلقيّة هو القدرة و القوّة، حتّى أنّ حسن العفّة يكمن في قوّة الفرد على الكفّ عن الشهوات الجامحة، و قبح الخلاعة يكمن في ضعف الإرادة، كما أنّ قبح الكذب و الرثاء والتدليس يكمن في ضعف النفس عن إظهار الواقع. و هذا ما ذهب إليه «فردريك نيتشه [1]» الألمانيّ. و هو الذي شنّ نضالاً عنيفاً ضدّ أخلاق المسيحيّة و الرواقيّة، فصرّح بأنّ نظريّته في الأخلاق تبتني على «تطوير القيم السائدة» كما أنّه مدح الرعونة و الصلابة والغرور و اقتحام المخاطر تجاه ما كانت المسيحية تمدحه من الرفق والرحم و التواضع والرضا والتسليم. و هكذا أنكر تساوي الأجناس والشعوب، وأكّد على لزوم تقدّم الجنس القويّ وسيادته و استخدامه للضعفاء، و كذلك أكّد على تقدّم الأبطال و الأقوياء على سائر الأفراد في نطاق المجتمع. و قد كان لهذا الاتّجاه أثره في ثقافة بعض الشعوب، و إيقاد نار الحروب، و نشوء النزعات العنصريّة و القوميّة. فهذا الاتّجاه يضاهي نظريّة اللذّة العاجلة في هدمه لأساس الأخلاق و إنكار المثل العليا، و ينحدر بالكرامة الانسانية إلى مستوى السباع، كما كانت تنحدر في تلك النظريّة إلى مستوى البهائم. و كذلك يشارك هذا الاتّجاه نظريّة «سبنسر» في تدعيم الأخلاق بعلم الحياة (البيولوجيا) و استمداد القيم الأخلاقية من قوانين الطبيعة.

١٣) انّ الأخلاق ظاهرة إنسانيّة فوقيّة تتطوّر وفقاً لتطوّر الوضع الاقتصاديّ و تحكم عليها أصول المادّيّة الديالكتيكيّة الحاكمة على الطبيعة و الانسان والفكر و التاريخ و المجتمع على السواء. فليس هناك أُصول اخلاقية خالدة، أو مُثل عليا ثابتة، أو أحكام خلقيّة لا تنالها يد التطوّر. بل الفضيلة هي ما تقتضيه الظروف الخاصّة للمجتمع، الخاضعة لقوانين الديالكتيك الجبريّة العمياء. فالسرقة مثلاً تعدّ مذمومة في المجتمع الإقطاعيّ والرأسماليّ، الّذي يسوده مبدأ الملكيّة، و تصير فضيلة إذا اجتاحت إليها الثورة العمّاليّة المقدّسة، و تفقد موضوعها عند وصول المجتمع إلى قمّة الشيوعيّة اللاطبقيّة. و هذا بالرغم ممّا ينادي به

---

(١) F.Nietısche

«ماركس» في دعوته إلى الكفاح ضد الرأسمالية، من أنها أهلكت «القيم الإنسانية» وصيّرت الإنسان العامل كمتاع يباع ويشترى، حيث يستورد الرأسمالي عمله وهو حاصل جهده ويسرق حقّه و«يسرق» منه حقّه من عمله. فهو كما يقول «المادي» - كفيلسوف مادّي يحصّله بحث مجالات الجبر الديالكتيكي لا يعني نفس القيم التي يحملها كفاشماسي!

وليت شعري ماذا يعني بـ «القيم الإنسانية» من لا يرى الإنسان إلا كتلة من المادة تعتورها بفضل القوانين الجبرية المادية والتضاد الداخلي إلى حيوان أعجم ثم إلى الشكل الفعلي، ولا يزال خاضعا لتلك القوانين بوصفه جزءاً صغيراً من الطبيعة، وتنعكس فيه التفاعلات المادية في صورة الإدراكات المستوعبة. فهذه الإدراكات عند تعقّدها التكامل تبدو في صورة القوانين الاجتماعية والآداب والأخلاق التي تتطور بدورها تبعاً للتطورات الحاصلة في أدوات الإنتاج؟! وليت شعري لضياع تلك القيم وهو يتمّ إلا بمقتضى القوانين الجبرية نفسها، لا يكون إلا من لوازم مرحلة من مراحل التكامل الاجتماعي؟!

وهناك آراء ومذاهب أخرى في المسألة لا نطيل بذكرها.

وممّا يلاحظ على أكثر النظريات أن المسألة الأخلاقية قد فقدت خصوصيتها وطابعها القيمي في ظلّ هذه المذاهب المتطرّفة، وأصبحت مصطبغة بصبغة وضعيّة أو واقعيّة، فكأنّها قانون وضعيّ أو طبعي أو فلسفيّ في أفضل الصور ونحن لا ننكر علاقة الأخلاق بالفلسفة أو علم النفس مثلاً، بل نؤكّد على المحافظة على طابعه الخاص. وبهذا الصدد نعالج مفهوم القيمة الخلقية.

القيمة الخلقيّة

لا شكّ أن الحكم الأخلاقيّ حكم قيمي أو تقديري، ويصحّ التعبير عنه بصيغة إنشائية (افعل، أو لا تفعل). ومن هنا زعم بعض الفلاسفة الأخلاقيين أن ميزة الحكم الأخلاقي هي كونه إنشائياً، وبها يمتاز عن الأحكام الواقعية والتقريرية المستعملة في العلوم. فقد وقع البحث عن منشأ الحكم: فذهب بعضهم إلى أن منشأ الحكم هو الله تعالى، وذهب بعض آخر إلى أن الحاكم هو العقل العملي، وذهب ثالث إلى أنه هو العقل الجمعي. وقد عرفنا من خلال ما ذكرناه أن الصيغة الإنشائية غير مقوّمة للحكم الأخلاقي، بل يصحّ التعبير عنه بصيغة إخبارية كأن يقال: ينبغي أو لا ينبغي؛ يحسن أو يقبح... ومن الأخلاق ما يصح يرجع في الحقيقة إلى نفس المعنى في صيغته. وعلى فرض التسليم فهذه الخصيصة لا يختصّ بها الحكم الأخلاقي فقط، بل توجد في الأحكام الوضعية أيضاً. فلا يصحّ عدّ الأمر والنهي من مميزات الحكم الأخلاقي ولا رصيداً للقيمة الخلقية.

لكن يبدو أنّ ثلة من الفلاسفة ممّن جعل مصدر الحكم الأخلاقي هو طبيعة أو العقل — على وجه آخر غير جهة الأمر والنهي — أيضاً قاصر عن تعريف القيمة الخلقية وتعيين وجه امتياز الحكم الأخلاقي عن القانون العلميّ أو الفلسفيّ. ونركز على النظرية الأخلاقية لقدماء يونان والتي ارتضاها الفلاسفة المسلمون، لأنّها أقرب إلى الصواب. فبناءً على هذه النظرية

وقبول أنّ معيار حسن الفعل من وجهة النظر الأخلاقيّ هو تأثيره في وصول الإنسان إلى كماله الخاصّ به، حتّى بناءً على هذه النظرية لابدّ من تبيين للقيمة الخلقية الّتي يمتاز بها الحكم الخُلقي عن غيره. فليس يكفي معرفة العلاقة بين الفعل و بين ما يترتّب عليه من الكمال، بما هي نوع من علاقة العليّة، لمعرفة القيمة الخلقية.

فلسائل أن يسأل: لِمَ لا تعتبر العلاقة بين فعل الحيوان و بين الكمال الحاصل له من طريق ذلك الفعل معياراً لوصف فعله بالحسن الأخلاقي؟ فهل يرجع هذا الافتراق إلى مجرد الاصطلاح والمواضعة؟ اوالى اختلاف مرتبة الكمال الإنسانيّ عن الكمال الحيوانيّ، فالفعل الموصل إلى الكمال الإنسانيّ إنّما يكون فضيلة لأجل انّه سبيل إلى كمال أعلى ممّا يحصل من فعل الحيوان؟ أوهناك سرآخر؟ و هذا السؤال يجري بوجه مشابه في عدّة أخرى من النظريات، كما تعرف بالتأمّل فيها.

لكنّ المواضعة لا توجب فرقا حقيقياً بين الفعلين، و امّا اختلاف المراتب فإنّما يوجب اختلافاً في مراتب القيمة، و لا يوجب سلبها إطلاقاً عن الأضعف نسبياً. فلنلتمس كشف السرّمن طريق آخر.

و الّذي نراه أنّ هذا السرّ يكمن في نفس الفعل الانسانيّ الّذي يشكّل موضوعاً للحكم الاخلاقيّ بماله من المبادئ النفسيّة الّتي يمتاز بها عن الفعل الحيوانيّ. فنقول: لا شكّ أنّ من المبادئ المؤثرة في صيرورة الفعل ذاقيمة خلقية عقل الانسان. فان الفعل الصادر عن مجرّد الغرائز لا يتمتّع بأيّ قيمة اخلاقية، و لهذا لا نمتع الأفعال الحيوانية الناشئة عن الغرائز بالقيم الأخلاقية. لكن يثور هناك سؤال هو أنّه لوكان الانسان مزوّدا بالعقل وحده، كمايقال عن الملائكة، فهل كان يمتّع فعله بقيمة أخلاقية؟ وإذاكان الجواب بالنفي كما هو الظاهر فسرُّالقيمة يكمن في انتخاب مايشير اليه العقل وترجيحه على ماتقتضيه الغرائز الحيوانية.

فتحصّل ان الفعل الاخلاقي انّما يكون ذاقيمة لاجل انه يصدر عن كائن مزوّد بدوافع نفسيّة متدافعة، و يختار الجانب الذي يفتي به العقل بإرادته الحرّة على سائر الجوانب. فكأنه يدفع سائر المستدعيات كثمن لمايشير به من الفضيلة، و لهذا تصير الفضيلة ذات قيمة.

و من هنايظهر دور الإرادة الحرّة في القيمة الخلقية، كما يظهر منه سرّ استطاعة الإنسان على العروج إلى مقام يترفّع عن مقامات الملائكة بحيث يليق ان يصير مسجوداً أومخدوماً لهم.

و بعد ذلك كلّه، يبقى سؤال آخر هو ان الفعل المتمتع بالقيمة الخلقية و إن كان صادراً عن إرادة حرة الاّ أنّه لا يكون فاقداً لأيّ دافع نفسانيّ مطلقاً، فما هو دور النيّة الباعثة على اختيار جانب أكسب الفعل قيمة خلقية؟ والإجابة على هذا السؤال تستدعي توضيح مفهوم النيّة.

مفهوم النيّة

انّ الفعل الصادر عن إرادة من الفاعل تسبقه رغبة اليه، و لهذه الرغبة استعداد في نفس الفاعل ينبعث بنوع من الإثارة و التنبيه. فاذا كانت هناك رغبات نابهة متدافعة كان التأثير للرغبة الغالبة. وربما يتردّد الفاعل في الترجيح فيروّي لذلك، و ربما يتعيّن أحد الأطراف لحصول عادة أو أنس أو غيرهما، فلايحتاج إلى التروّي. و هذا كلّه في

ما يتعلّق بجهاز الإرادة في النفس.

لكنّ العمل الإراديّ لا يتمّ بدون العلم التصوريّ والتصديقيّ. فحصول أنواع من العلم يعتبر من شروط تحقق الارادة، وليس العلم والإدراك والإحساس سوى الكشف والهداية. فليس لنوع منه دور آخر في إيجاد الداعي والباعث بحقيقة معنى الكلمة. فلا يكفي حكم العقل — نظرياً كان أو عملياً — لانبعاث الرغبة وتحقّق الإرادة، بل لا بدّ من كون الفعل دريعة لإرضاء رغبة كامنة في النفس تتبلور في إرادة الفعل على ضوء العلم وهداية العقل. ولا يعقل صدور فعل إراديّ بمجرّد حكم العقل أو حكم أيّ حاكم غيره من دون أن ينشق عن ميل كامن في نفس الفاعل، ومن غير أن يكون مرغوباً فيه بوجه من الوجوه.

وقد اصطلح علماء النفس لمبادئ الفعل بالميول والنوازع والحوافز والبواعث والسوائق والدوافع والدواعي وغيرها، وربما تختلف الاصطلاحات في مدارس علم النفس، ولا يهمّنا التعرضّ لها. والّذي نركّز عليه هو أنّ جميع الأفعال الإرادية مسبوقة بميول فطرية، ومنتهية إلى رغبات كامنة في النفس تنبعث بنوع من أنواع المنبّهات الداخليّة او الخارجية، سواء كانت الرغبة متعلّقة بأعضاء البدن أو بقوى الروح، وسواء كانت مشتركة بين الإنسان والحيوان أو مختصّة بالإنسان، وسواء كان تأثيرها في الإرادة بالمباشرة او بغير المباشرة. ونسمّي الرغبة المؤثّرة بالفعل في حصول الإرادة مطلقاً بالداعي، سواء كان تأثيرها بمفردها او بالاشتراك مع داع او دواع أُخر، وسواء كانت الرغبة غريزية أو غير غريزية، وسواء كانت غير الغريزية مشعوراً بها وملتفتاً إليها تفصيلاً أو غير مشعور بها كذلك بل كانت ممنة بستار من الغفلة، ونخصّ الداعي غير الغريزيّ باسم النيّة وإن كان الشعور به يختلف بالشدّة والضعف، والوضوح والخفاء، والتفصيل والإجمال. فلا نسمّي الدواعي الغريزية المؤثّرة في أفعال الأطفال الصغار ومن ينسج على منوالهم بالنيّات. وقدمرّ أنّ الفعل الصادر عن مجرّد اقتضاء الغريزة لا يتمتّع بقيمة خلقية إطلاقاً، ويتضح عدم ذلك. ومن هنا اتّضح أهمّية دور النيّة في كسب القيمة الخلقية. لكنّ القيمة الحاصلة ربما تكون سلبيّة، ولابدّ من أن يكون الداعي المستهدف فيه مصداقاً للكمال النهائي للإنسان.

ولا بأس بالإشارة هنا إلى ملاحظة تنفع في تقييم الأفعال الأخلاقية وهي أنّ الداعي إلى الفعل ربما يكون متعدّداً — كما أشرنا إليه — وهذا التعدّد قد يكون عرضيّاً. بمعنى أنّ الفعل قد يصدر عن دواعي متعدّدة موجودة على صعيد واحد لا يكون بينها ترتّب وعلاقة سببيّة، وقد يصدر عن دواعي مترتّبة بعضها على بعض. والدواعي العرْضيّة قد تكون مؤثّرة بالاجتماع بحيث لو فرض وجود واحد منها وحده لما كان مؤثّراً في تحقّق الإرادة، ومثل هذه الدواعي لا تكفي لإعطاء القيمة الخلقية للفعل الأخلاقي إذا لم يكن بعضها غير صالح لذلك. وقد يكون كلّ واحد منها صالحاً للتأثير التامّ في تحقق الإرادة، وحينئذ فلو كان بعض الدواعي موجباً للقيمة الخلقيّة دون البعض الآخر لما ضرّ الثاني بقيمة الفعل، إلاّ أن يكون موجباً لقيمة سلبية فيقاس بين القيمتين ويقيّم الفعل بحسب التفاضل.

وربما تكون القيمة السلبيّة موجبة لحبط القيمة الإيجابية وإبطالها رأساً كالرئاء في العبادة. وأمّا الدواعي الطوليّة فإن كانت كلّها موجبة للقيمة الخلقية الإيجابية تضاعفت قيمة الفعل، وإلاّ كان التقييم بحسب الداعي المباشر، وكان للداعي البعيد قيمته إذا كان أمراً اختياريّاً بوجه من الوجوه.

دور النيّة في القيمة الخلقيّة

إنّ كثيراً من المدارس الأخلاقية لا تعتني بشأن النيّة في العمل الأخلاقيّ وهو ظاهر من مبانيها. وإنّ أكثر النظريّات اهتماماً بها هي نظريّة «كانط» حتّى أنّه جعل الخير الأصيل هو الإرادة الخيّرة التي يستمدّ الفعل الأخلاقيّ قيمته منها، وهي إرادة احترام القانون وامتثال أمر العقل. وقد اعتبر أيّ نيّة أخرى ضارّة بقيمة الفعل من الوجهة الأخلاقية. ونحن نوافقه على اعتبار النيّة في القيمة الخلقية، ونفارقه في نقطتين:

إحداهما: نقطة التركيز على نيّة احترام القانون، فإنّا نرى أنّ إرادة وجه الله تعالى وابتغاء مرضاته هي فوق إرادة احترام حكم العقل.

وثانيتهما: نقطة التأكيد على نفي أيّ نيّة أخرى، فإنّنا لا نرى بأساً ببعض النيّات الطولية والعرضية، بل نرى أنّ وجود بعض النيّات يزيد الفعل الأخلاقيّ فضيلة وقيمة. فنحن لا نرى نيّة الوصول إلى الكمال ضارّة بنيّة احترام القانون العقليّ، بل نقول بعدم انفكاك هذه عن تلك أبداً كما أشرنا إليه عند نقد نظرية **كانط**. وكما لا تضرّ نيّة ابتغاء رضوان الله تعالى والوصول إلى قربه [illegible] بقيمة الفعل عندما تصير سبباً لتحقّق داعٍ مباشر للفعل هو امتثال حكم العقل مثلاً (إذا صحّ اعتباره داعياً) بل تزيد الفعل قيمة وفضيلة. بل نقول لا تضرّ نيّة الوصول إلى رحمته تعالى والأمن من عذابه بقيمة الفعل إذا صارت سبباً لحصول داعٍ آخر هو امتثال أمره تعالى أو امتثال أمر العقل (إذا صحّ نسبة الأمر إليه) وإن كان مثل هذا الفعل سوف لا يبلغ درجة الفعل المأتيّ به لمجرّد ابتغاء رضوان الله تعالى، وكان بينهما كما بين الأرض والسماء. وكذلك لا تضرّ نيّة التبرّد أو التنظيف بقيمة الوضوء أو الغسل إذا اجتمعت مع نيّة التقرّب إلى الله تعالى بحيث كانت النيّة الأخيرة صالحة للتأثير التامّ في إرادة الفعل.

والمناقشة الجذرية لهذا الجانب من المذهب **الكانطيّ** تتجلّى في ما أشرنا إليه من أنّ الفعل الإراديّ لابدّ وأن تسبقه رغبة فطرية تتبلور في الإرادة، وأنّ شأن العقل كقوّة مدركة ينحصر في الهداية وإراءة الطريق، وأنّ مجاله غير مجال الإرادة ومبادئها. فإرادة إطاعة العقل لابدّ وأن تنشأ من رغبة فطرية، وهي لا تكون إلاّ الرغبة في الكمال والسعادة. فهذه النيّة هي الرصيد الأعمق لكلّ فعل يؤتى به على ضوء العقل. كما أنّ الحقّ أنّ الحكم العمليّ للعقل يبتني على إراءة طريق يوصل إلى الكمال المطلوب والسعادة المنشودة بالفطرة. اللّهمّ إلاّ أن يُدّعى وجود مبدأ مستقلّ في النفس للإطاعة لا شأن له إلاّ الرغبة في إطاعة العقل العمليّ، كما ادّعى **كانط** استقلال العقل العمليّ عن العقل النظريّ والتجربة. وغير خفيّ أنّ مثل هذا الادّعاء التحكّميّ لا يصلح لتبيين الحقائق وحلّ المعضلات.

ويستنتج منه أنّ القيمة الخلقية ليست رهن نيّة إطاعة العقل، بل إرادة إطاعة العقل ليست إلاّ

مظهراً من مظاهر الرغبة في الكمال والسعادة. فلايصحّ عدّها نية مستقلّة و داعياً مؤثّراً بوحده في إرادة الفعل الاخلاقيّ فضلاً ان تعدّ معارضة لنيّة الكمال. بل انّ رصيد القيمة الخلقية في الحقيقة هو نيّة الوصول إلى الكمال الانساني بترجيح الرغبة الخاصّة به على سائر الرغبات.

وإذا سمّيت هذه الرغبة بالرغبة العقلية أو الشوق العقلاني فليس معناه انّ للعقل بما انّه قوة مدركة شوقاً إلى شيء، بل سبيله سبيل الشوق الحسّيّ الّذي يضاف إلى الحواسّ مع أنّه لا شأن لها إلاّ الإدراكات الحسيّة. فيكون المراد بالرغبة العقلية الرغبة التي يصدّق العقل بحسن إرضائها، و صحّة تضحية سائر الرغبات في سبيلها لمايرى من توائمها مع الكمال الإنسانيّ.

و تتلخّص مناقشة كانط في هذا الجانب من مذهبه في مايلي

اوّلاً: ليس للعقل حكم بمعنى الأمر و الإلزام، بل إنّما هو إدراك للرابطة بين الفعل و غايته. و هذا الإدراك يتمثّل في صيغة إنشائية سفتن من الذهن.

وثانياً: إرادة العمل على وفق مايحكم به العقل ليست إرادة جزافية، بل هي ناشئة عن رغبة فطريّة. و ليس في النفس رغبة خاصّة لإطاعة العقل بما هي، بل إنّما هي رغبة إلى الكمال الّذي يحدّده العقل.

ثالثاً: تعدّد النيّات طولاً و عرضاً لايضر بقيمة الفعل الأخلاقي مطلقاً، بل ربما يكون بعض النيّات الطولية ممّا يزيد الفعل الأخلاقي قيمة وفضيلة. وستتضح هذه النقطة زيادة اتّضاح.

أضف إلى ذلك أنّ النظرية الكانطية لا تنطوي على تبيين فلسفي لارتباط النيّة بالقيمة.

و بعد، فقد بقي علي دقّتنا تبيين العلاقة الذاتية بين النيّة و القيمة، و هذا ما طويٌ القوم عنه كشحاً – في مانعلم – و كأنّهم اعتبروه لغواً، فمرّوا به كراماً!

العلاقة الذاتية بين النيّة والقيمة

إذا اعتبر مجرّد الكمال أو اللذة أو السعادة أو المنفعة العامّة معياراً للقيمة الحقيقيّة أشكل تبيين الرابطة بينه و بين النيّة. وكذا سائر المعايير المزعومة في سائر النظريّات. و ربما يظنّ أنّ مفتاح المشكلة هو جعل رصيد القيمة الحقيقية في الأمر و الانشاء، حيث يمكن بناءً عليه أن يقال بأنّ الأمر تعلّق بالفعل الصادر عن نيّة خاصّة. لكن هذا الظنّ أيضاً لا يغني شيئاً، لأنّه ينقل السؤال إلى سبب اشتراط النيّة المعيّنة في متعلّق الأمر.

و لعلّنا نستطيع أن نحلّ المشكلة باتّخاذ مقدّمات متقدّمة في بيان القيمة و النيّة على مايلي:

١) انّ القيمة الحقيقية تكمن في الإرادة الحرّة للجانب الّذي يفتي به العقل.

٢) انّ الإرادة مسبوقة برغبة فطريّة تنبعث في النفس و تشكّل داعياً إلى ترجيح جانب خاصّ من الفعل.

٣) انّ النيّة عبارة عن الداعي المشعور به المؤثّر في إرادة الفعل.

و نستنتج من هذه المقدّمات أنّ للنيّة سببيّة ذاتيّة لحصول القيمة الخلقيّة في الفعل. و إن شئت قلت: نسبة الفعل المعنى به من قِبل العقل إلى النيّة المتعلّقة به هي نسبة القالب الجسداني إلى الروح، فإذا تعلّقت النيّة الّتي هي بمنزلة

روح، بالفعل الّذي يصلح لها و يكون بمنزلة بدن، تحقّقت القيمة الخلقية الّتي هي لبدتهما.

و إذا كان تبيين الرابطة الذاتية بين النيّة القيمة الخلقية ميسراً على ضوء هذه المقدّمات فتبيين الرابطة بين النيّه و الكمال الإنسانيّ لايتيسّر بهذه السهولة، فهي مسألة فلسفية عميقة في نفسها قبل أن ترتبط بالأخلاق. لكنّها برغم صعوبتها لا تستعصي على الحلّ المقبول. و لابأس باشارة ههنا إلى طريق الحلّ:

إنّ الأفعال الصادرة عن الإنسان و الآثار الناشئة عن وجوده ليست كلّها صادرة عن مبدأ وجدانيّ بماهو مبدأ واحد بسيط، بل انّ لكلّ طائفة منهامبدأخاصّاً ربما يشارك الإنسان بعضاً آخر من الأنواع في ذلك‌المبدأ. فمنها ما يتشارك فيه مع النبات، و منها مايتشارك فيه مع انواع الحيوان، و منها ما يختصّ به دون غيره. و إذا كانت الأفعال الصادرة عن الأنواع مؤثّرة في تكاملها نوعاً من التأثر فذلك‌التأثير في الكمال يختصّ بالمبدأالّذي صدر عنه الفعل. فالتغذّي مثلاً يؤثّر في تكامل الانسان بما أنّه جسم نامٍ أي في كمال المبدأ الّذي يشارك فيه مع النبات؛ وانواع الأفعال الحيوانية تؤثّر في تكامله كحيوان. وإنّما المؤثّر في تكامله بوصفه موجوداً عن سائر الأنواع هو الّذي يصدر عن مبدئه الإنسانيّ الخاصّ، أعني ما يصدر عن المبدأ العقلانيّ و ينطوي في صميمه على روح الاختيار الحرّ و يشتمل‌على النيّة الّتي هي العنصر الأساسيّ في خلق القيمة الخلقية، على ماتبيّن.

و بهذا تتّضح العلاقة الذاتيّة بين النيّة و بين الكمال الانسانيّ. إلاّ أنّ النيّة — كماأشرنا الها — ربما توجب قيمة سلبية فتكسب للفاعل كمالاً سلبياً. و هذا مالايتأتّى في الحيوان الفاقد لمبدأ التمييز بين الفضائل و الرذائل و قوّة ترجيح بعضها على بعض بالاختيار الحرّالنابه. و لهذا يعدّالإنسان الشرير شرّالدوابّ و أضلّ من الأنعام، كمانطق به القرآن الكريم حيث يقول:« إنّ شرّالدوابّ عند الله الّذين كفروا فهم لايؤمنون» و قال في موضع آخر:

«إنّ شرّالدّوابّ عنداللّه الّذين كفروا فهم لايؤمنون».

و قال في موضع آخر: **«إنّ شرّالدوابّ عنداللّه الصمّ البكم الّذين لايعقلون».**

و قال في موضع ثالث: **«اولئك‌كالأنعام بل هم أضلّ اولئك‌هم الغافلون».**

تقدير النيّة

أمّا الآن و قد اتّضح الدور الّذي تلعبه النية في إنتاج القيمة الخلقية، و اتّضح علاقتها الذاتية مع الكمال الإنسانيّ فعلينا أن نبحث عن مشخّصات النيّة الّتي تصلح أن ينويها الإنسان و عن الرغبة الّتي ينبغي ترجيحها حتّى يفوز بقيمة خلقية. ولنقدّم لهذا

مقدمة:

لاريب أنّ الإنسان مفطور على حبّ الكمال (و هو في الواقع درجة شديدة من وجوده) بل إليه يرجع حبّ الجمال وحبّ الحقّ أيضاً، لأنّ الجمال نفسه كمال للجميل، و إدراكه كمال لمن يشعر به. و هكذا معرفة الحقّ كمال للمبدأ العقلانيّ في الإنسان . و لذلك‌فلا تكون الرغبة في الكمال قابلة للتعليل على ماهوشأن الرغبات الفطرية جميعاً، و لا يتعلّق بها أمر أونهي، و لا تتمتّع

قيمة خلقية لما تنعقد في ذاتها من قصور واحسان.

كما انّ الكمال نفسه ليس موضوعاً للحكم الأخلاقي ولا يتصف بالحسن الأخلاقي، وإذا وصف بالحسن وكونه ذا قيمة فذلك الحسن وتلك القيمة هما غير الحسن الأخلاقي وغير القيمة الأخلاقية. وإذا وصف بوجوب فلا بد أن يكون مجازاً وباعتبار مقدمات تحصيله، [illegible] عن نفسه فطرية. وإنّ الأحكام الأخلاقية لا تتعلق إلّا بالأفعال المحضة للإنسان، وهي لا تكون إلّا أفعالاً اختيارية صادرة عن إرادة حرة [illegible].

وأمّا اتصاف الأفعال الأخلاقية بالوجوب [illegible] صفة إيجابية [illegible] أمر بها صادر عن آمر خارجي أو داخلي [illegible] كما زعم [illegible] بل إنما هو تعبير عن [illegible] بينها وبين ما يترتب عليها من كمال [illegible] بالذات، تلك الرابطة التي يعبّر عنها في الفلسفة الأولى بالضرورة أو الوجوب بالقياس. ومعنى ذلك أنه إذا كان الكمال الإنساني مطلوباً بالفطرة فمن الواجب أن يتوصل إليه بالأفعال المؤثرة في حصوله. فالفعل الأخلاقي مطلوب وواجب لكونه موصلاً إلى الكمال. وأمّا الكمال نفسه فإنما هو مطلوب، وليست مطلوبيته إلّا لكونه كمالاً فحسب. نعم، الكمالات الحيوانية والنباتية تكون مطلوبة بالعرض للإنسان بما هو إنسان. ومن الضروري انتهاء كلّ ما بالعرض إلى ما بالذات.

ولا يتوهمنّ أنّ الالتزام بهذه القاعدة يقتضي انتهاء الواجبات إلى واجبات ذاتية هي الواجبات الاخلاقية الأصلية، فيؤول الأمر إلى ما ذهب إليه «كانط» من كون الواجبات الأخلاقية غير قابلة للتعليل بشيء، وذلك لأنّ طبيعة الفعل تقتضي التعليل بالغاية لكونه وسيلة بالذات إلى تحصيلها، وهذه الصفة الذاتية للفعل لا تنفك عنه أبداً. ويكون دائماً معللاً بالغاية، ومطلوباً بمطلوبيتها، فالفعل مطلوب بالغير، والغاية مطلوبة بالذات بالنسبة إلى الفعل، وإن كانت نفس الغاية يصح اعتبارها مطلوبة بالغير بالنسبة إلى غاية فوقها. [illegible] الأفعال [illegible] الحيوانية تكون مطلوبة للإنسان بما هو إنسان [illegible] لا لأجل ذاتها [illegible] حيوانية [illegible] في مرتبة حيوانية.

و[illegible] كمال [illegible] مطلوباً ذاتياً [illegible] فقط الوحي. و[illegible] يقتضيه الأمر في مقدمة [illegible] فمنها ما ليس بكمال [illegible]، ومنها ما هو كمال متوسط كما الأعلى وغاية قصوى. وتختلف بذلك الأنظار في تقسيم الأفعال الأخلاقية، وكذلك تختلف قيمها الواقعية حسب اختلاف النتائج المتعلقة بالكمالات الحقيقية أو القصوى، والكمالات المتوسطة أو الأخيرة.

والنتيجة الحاصلة من هذه المقدمة هي أنّ أفضل النتائج [illegible] الكمال النهائي، وتنزل قيمة الفعل [illegible] نسبة من الغاية القصوى إلى الغايات المتوسطة والدنية — إذا لم تكن الغاية الأخيرة موهومة بالاصالة — إلى أن تصل إلى الصفر، وذلك إذا لم تكن الغايات الإنسانية موهومة إطلاقاً. ثمّ تنزل إلى قيمة سلبيّة عند ما

يكون الداعي إلى الفعل أمراً مضاداً للكمال الإنسانيّ.

درجات النيّة و القيمة

علمنا أنّ لقيمة الفعل نسبة مع النيّة الّتي هي بمنزلة الروح للفعل الأخلاقيّ، و أنّ قدر النيّة تابع لقدر الكمال الّذي تتعلّق به فتعيين النيّة الّتي تمتّع الفعل بأفضل قيمة، يتوقّف على معرفة الكمال النهائيّ للإنسان. و من جانب آخر: فقالب الفعل يجب أن يكون صالحاً لتعلّق هذا الروح به، و بديهي انه لايمكن الإتيان بكلّ فعل بالدواعي الشريفة. و صلاحية الفعل تنشأ عن الرابطة الذاتية بينه و بين ما يترتّب عنه من الغاية، أعني الكمال الحاصل للفاعل بسببه. فبالنظر إلى هذين الجانبين تتأكّد ضرورة معرفة الكمال الإنسانيّ الّذي يتناسب مع الفعل و مع النيّة المتعلّقة به.

وهذه المعرفة ليست بديهية، فلا تحصل إلاّ بالكسب. و حيث يضيق بنا المجال من التوسّع في البحث الفلسفيّ و تمهيد المقدّمات لإقامة البرهان الساطع على هذا المراد فالأولى أن نقتنع بالإشارة إلى النتيجة المستفادة من البرهان، المعضدة بالنصوص، لاسيّما بالنظر إلى أنّ هذه الكلمة هي كمقدّمة للبحث القرآنيّ.

فنقول: الكمال النهائيّ للانسان هو بلوغه إلى مرتبة من الوجود لاتبقى حجاباً بينه و بين ربّه، بحيث يستغرق في مشاهدة جلاله و جماله، و يبتهج بلقائه و وصاله، و يتلذّذ بكلامه و خطابه، و يسعد بخاصّة رحمته و رضوانه. **«يا أيّتها النفس المطمئنة، ارجعي إلى ربّك راضية مرضيّة»**؛ **«في مقعد صدق عند مليك مقتدر»**. وتتلو مراتب أخرى من الكمال تتجلّى في درجات الجنّة **«هم درجات عند ربك»**. و يطلق على جميعها عنوان *القرب والزلفى*.

فالقيمة الأخلاقية لأفعال الجوارح و الجوانح الاختيارية تتقدّر بقدر ما تتعلّق به نيّاتها من درجات القرب. فإذا نشأت نيّة الوصول إلى الدرجة القصوى من مبادئها العلميّة و غير العلميّة، و تجلّت في عمل صالح — سواء كان قلبيّاً او بدنيّاً — تمتّع العمل بقيمة أخلاقية لا تتقدّر بما عندنا من المقاييس. و ربما يفضل على أعمال الثقلين، كما ورد عن النبيّ (ص): «ضربة عليّ (ع) يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين». ولايبعد أن يكون في عبادات رسول الله (ص) نفسه بل في عبادات أمير المؤمنين و سائر المعصومين (ع) ما هو أفضل من تلك الضربة أيضا. و كلّما تنزّلت النيّة لقلّة المعرفة او لعلّة أخرى كتعلّق بالدنيا وزخارفها أو غفلة عن الدرجات العلى، تنزّلت قيمة العمل. والنصاب اللازم لأهل الإنسان لأدنى درجات القرب من الله تعالى هو الايمان بالله و باليوم الآخر و بما أنزل على أنبيائه لهداية خلقه، و أن يعمل عملاً صالحاً ناشئاً عن ذلك الإيمان. و بين الدرجتين درجات لا يعلمها إلاّ الله تعالى.

و يلي هذا النصاب قيم تؤثّر في استعداد الإنسان لتلك الكرامات، وتزيح عن نفسه غواشي الحجب الظلمانية الّتي بعضها فوق بعض، و إن لم تكن مؤثّرة بالفعل للدخول في دارالرحمة، و كان تأثيرها في ذلك مشروطاً بالايمان. و هذه القيم هي للافعال الصادرة عن الإنسان لمجرّد كونها متناسبة مع الكمال الانسانيّ في الجملة من دون أن ينوي التوصّل بها إلى مراتب القرب

من الله سبحانه، كالسخاء والعفة من غير المؤمن.

والفعل الذي لا يستمتع بشيء من هذه الصفة إمّا أن يكون محايداً غير مؤثر في شيء من السعادة والشقاء، وإمّا أن يكون داعمة سيئة مؤثرة في سقوط الإنسان في درك الشقاء، حسب مصدرية [illegible] العقل. وأسوأ الأعمال مضادة للكمال [illegible] هو الشرك بالله تعالى و[illegible]

[illegible]

[illegible] «وما خلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبدون» [illegible]

«...إلاّ ابتغاء وجه ربّه الأعلى. ولسوف يرضى».

المسؤولية

مفهوم المسؤولية من المفاهيم التي ارتبطت بالمفاهيم الأخلاقية فعاد كعنصر من عناصرها الأساسية في بعض المدارس الأخلاقية، وحظي بقداسة خاصة في الثقافات المعاصرة. ولعلّ أقدم جذور هذا الارتباط يوجد عند «كانط» في نظريته القائمة على «الواجب»، وانّ المسؤولية هي نتيجة منطقية للتكليف حين يوضع على عاتق المكلّف، فيصير مسؤولاً عن عمله الاختياري تجاه ذلك التكليف. ويكون السائل طبعاً هو الذي أصدر الأمر ووجّه التكليف و أجنبي. وفي هذه النظرية يكون الأمر هو العامل [illegible] من كلام «كانط» [illegible] الحكم العقلي الى الحكم [illegible] مسؤولاً. وفي [illegible] هو [illegible] الحكم الأخلاقي [illegible] مسؤولية [illegible] المجتمع [illegible] مصدر الحكم الأخلاقي. وقد [illegible] النظريات التي لا ترى قوة الحكم الأخلاقي بالأمر والإلزام، ولا يعتبر فيها مفهوم [illegible] من لوازم الحكم الأخلاقي بحيث تترتب عليه ثواباً وعقاباً. وقد شاع لدى المتخصصين أنّ المسؤولية ثلاثة أنواع: المسؤولية عند الله تعالى، والمسؤولية عند المجتمع، والمسؤولية عند الضمير.

ونحن نرى أن لا ترابط منطقياً بين الحكم الأخلاقي بما هو حكم أخلاقي وبين مفهوم المسؤولية، فإنّ مفاد الحكم الأخلاقي — كما لاحظنا — هو العلاقة بين الفعل الاختياري وبين غايته المترتّبة عليه، ولا يتقوّم بالأمر والإلزام، حتى يستتبع مسؤولية عند الآمر والحاكم. ولكن ليس معنى ذلك أنّ المسؤولية مفهوم [illegible] لا علاقة له بالعمل الأخلاقي. كلاّ! بل إنّه ينشأ عن العلاقة بين الأخلاق وبين الأسس العقائدية.

توضيح ذلك أنّ الأحكام الأخلاقية بوصفها أحكاماً عملية لا تستقل عن الأحكام النظرية، بل تعتمد عليها وتنشق عنها، كما نلاحظ اعتماد الأحكام الأخلاقية في النظرية المختارة على العقائد الحقّة. والمفهوم الإلهي عن العالم، والاعتقاد بأنّ الله تعالى هو الملك الحقّ، وبأنّ العالم بما فيه الإنسان والمواهب التي يتمتع بها

مملوك له سبحانه، و بأنّ الحياة الدنيوية مرحلة قصيرة من الحياة الإنسانية للابتلاء والازدهار وسطويها إلى المرحلة النهائية الخالدة، هذه العقائد تقتضي أن يكون الإنسان مسؤولاً أمام ربّه الّذي خوّله وسائل الاستكمال و أودعه أمانات ينتفع بها في صنع مصيره الخالد «ولتسألنّ يومئذ عن النعيم» وأمّا بصرف النظر عن هذه العلاقة فليس في [illegible] الحكم الأخلاقيّ بما هو موضع لمفهوم المسؤولية كامن.

ثمّ إنّ هذه المسؤولية تنحصر بما عند الله تعالى لايشاركه فيها غيره سبحانه. و أمّا المسؤولية القانونية تجاه الحكم و القضاء في المجتمع أوتجاه الرأي العامّ و [illegible] عن المسؤولية الأخلاقية اختلاف الحكم [illegible] عن الحكم الأخلاقي. و أمّا [illegible] خاصّاً في النفس الإنسانية، و إنّما هو [illegible] العقل العمليّ بما ينسب إليه من الشعور و الإدراك، و عن الملكات النفسانية الحاصلة من الانفعالات الّتي تحدث عند الشعور بالحصول على كمال مطلوب أو فقدانه. فالمسؤولية عند العقل أو الضمير حديث خطابيّ يفيد في مقام الوعظ، ولا يتمتّع بر صيد فلسفيّ.

الجزاء

و يستتبع مفهوم المسؤولية مفهوم الجزاء، فكما أنّه لا معنى للإلزام بدون اعتبار المسؤولية كذلك لامعنى للمسؤولية مع عدم ردّ فعل من السائل تجاه العمل الإيجابيّ والسلبيّ أو مع تساوي ردّ فعل في الحالين. فالجزاء الخير هو ردّ فعل من مصدر التكليف على العمل الموافق للأمر، والجزاء الشرّ هو ردّ فعله على العمل المخالف أوعلى ترك العمل الموافق. لكن كما عرفنا أنّ الصحيح في باب المسؤولية أنّها ليست نتيجة طبيعة للعمل الأخلاقيّ لعدم تقوّمه بالأمر والإلزام، فإنّ الصحيح كذلك في باب الجزاء أنّه بمعناه المبادرمنه ليس نتيجة منطقيّة له، إلاّ أن يعتبر الكمال الحاصل للنفس من الفعل الأخلاقيّ و الآثار المترتبة عليه جزاءً له. و ينسب إلى الله تعالى لكونه المؤثّر الحقيقي في وجودها صحّ نسبته عقلاً و [illegible].

و [illegible] كان [illegible] و الجزاء [illegible] يمكن [illegible]

١) [illegible]

[illegible]

٢) [illegible]

[illegible]

٣) الجزاء [illegible] أو [illegible] الناس لعمل الخير و ذمّهم لعمل السوء.

٤) الجزاء الباطنيّ أو جزاء الضمير، و يعنون به السرور الّذي يغمر قلوبنا عند الإيثار و الانتصار على الشهوة و الغضب، أو الاكتئاب الّذي نشعر به عند الظلم والإجرام أوعند غلبة الشهوة و الغضب علينا.

٥) الجزاء الإلهيّ، و هوما يعود على العامل من قبل الله سبحانه، سواء كان بأسباب عاديّة أوخارقة للعادة، و سواء كان في العاجلة أو الآجلة.

أمّا تسمية الأثر الطبيعيّ جزاء فهي بضرب من الاستعارة، لأنّ الطبيعة ليست ذات شعور

ـسأل وتواجد، أونشأ، إلا أن [illegible]
[illegible] الطبيعة في تدبيره الحكيم الذي يؤدي إلى ترتب الآثار الطبيعية ويرجع إلى الجزاء الإلهي.

وأمّا الجزاء القانوني فهو أمر تابع للوضع، و[illegible] يحققه رهن شروط خاصة، فليس نتيجة ضرورية للعمل الأخلاقي. مضافاً إلى أنه لا يشمل جميع الأعمال الأخلاقية، فليس ثمة قانون يضع جزاء لجميع الأفعال الحسنة والسيئة. وإذا صدر العمل الأخلاقي [illegible] كان [illegible] [illegible] الأخلاقي [illegible] [illegible] العمل الأخلاقي [illegible] فالجزاء [illegible] [illegible] الأخلاقي [illegible] هو [illegible].

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من هذا الجزاء

كسائقه إذا لوحظ كغاية للعمل أسقطه عن قيمته، بل أورثه قيمة سلبية.

[illegible] الجزاء الإلهي هو الجزاء الحق الصادر من المولى الحق سبحانه وتعالى، لكنه يرتبط [illegible] العقائدية للأخلاق على ما مرّ وضحه في [illegible]. وعلاقة الجزاء الإلهي بالعمل [illegible] واقع علاقة حقيقية [illegible] [illegible]

[illegible] الجزاء [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أن الجزاء الإلهي [illegible] الجزاء الوضعي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] الآيات والروايات – يظهر أن هذه التعبيرات [illegible] وفقاً لمقتضيات القريحة الإنسانية، ولا تنفي مبانيها الحقيقية.

الخلاصة

و يمكننا تلخيص النتائج الحاصلة من نظرتنا السريعة حول مسائل فلسفة الأخلاق كمايلي:

١) المسألة الأخلاقيّة قضيّة مركّبة من موضوع يعبّر عن فعل اختياريّ ناشئ عن ترجيح رغبة خاصّة من بين الرغبات المتعارضة، و من محمول يعبّر عن علاقة ايجابيّة أو سلبيّة بين الفعل و بين الغاية المنشودة و الكمال المطلوب. و يمكن صوغ تلك القضيّة في صيغة إنشائية تعبّر عن الإلزام بأحد طرفي الفعل و الترك.

٢) مصدر الحكم الأخلاقيّ هو العقل الكاشف عن توقّف الغاية على الفعل أو الترك، الّذي يعبّر عنه بالوجوب. و هو في الواقع أحد مصاديق الضرورة بالقياس. و يختصّ بالطابع القيميّ.

و نستدرك ههنا قائلين أنّ إضفاء صفة الوجوب على أفعال الله تعالى مبنيّ على اعتبار نوع آخر من الضرورة بالقياس هو اعتبار الضرورة للمعلول بالقياس إلى علّته، على عكس اعتبار الوجوب في أفعالنا، فإنّه اعتبار الضرورة للعلّة بالقياس إلى معلولها، لأنّ أفعالنا أسباب للوصول إلى الغايات و معلّلة بالأغراض و النيّات، بخلاف أفعاله تعالى حيث تصدر عنه لمجرّد ملاءمتها لصفاته الكماليّة. و للكلام ذيل طويل يطلب من محلّه في الفلسفة الإلهيّة.

٣) الأحكام الأخلاقية تنتهي إلى حكم عقليّ بديهيّ، و هو ما أشرنا إليه من توقّف الغاية على السبب أو وجوب الإتيان بالسبب للحصول على الغاية، و أمّا الأحكام العمليّة الخاصّة فتحصل من تطبيق تلك الكبرى على الصغريات الّتي تعبّر عن مصاديق الأسباب، فليس شيء منها من البديهيّات الأوليّة. و أمّا معرفة الصغريات فقد تحصل من طريق العقل. و اعتبار العقل مصدراً نهائيّاً للحكم الأخلاقيّ إنّما هو بالنظر إلى احتياج جميع الأحكام الأخلاقيّة إلى تلك الكبرى البديهيّة. و أمّا تقسيم الأحكام الأخلاقيّة إلى عقليّة وتجريبيّة و تعبّديّة فراجع إلى مصدر الأحكام الصغرويّة.

و أمّا الإشكال بعدم إمكان استنتاج الحكم العمليّ من الكبرى النظريّة فيندفع بما مرّ آنفاً من أنّ الحكم العمليّ والصغرى النظريّة تعبير خاصّ عن حقيقة نظريّة. و إن شئت قلت الحكم العمليّ اعتبار مبنيّ على حقيقة. فهذه كبرى عمليّة اعتباريّة هي وجوب ما يؤدّي إلى الغاية المنشودة، و تنطبق هذه الكبرى على مصاديق المؤدّيات فتحصل أحكام عمليّة خاصّة.

٤) القيمة الخلقيّة تكمن في الاختيار الحرّ للجانب الّذي يوافق الكمال المطلوب، و لهذا تختصّ بالفاعل المختار الّذي له رغبات متعارضة كالإنسان، و يلحق به الجنّ على ما يظهر من الكتاب العزيز. و لا استحالة في اشتراك نوع آخر من البرايا أيضاً مع الإنسان في الأفعال الأخلاقيّة اذا كانت له رغبات متعارضة يرجّح بعضها باختياره الحرّ.

٥) الفعل الخلقيّ قد يكون نفسانيّاً لا مظهر له في العالم المادّيّ، و قد يكون عملاً خارجيّاً له جانبان: جانب جسدانيّ هو الحركة و التصرّف في الموادّ الخارجيّة، و جانب معنويّ يتبلور في النيّة المتعلّقة بتلك الحركة و التصرّف. و الصلاح الشكليّ لا يكفي في إعطاء القيمة الخلقيّة بصرف النظر عن الصلاح المعنويّ و خلوص النيّة. و من الضروريّ مراعاة التجانس بين الـ

وبين قالب العمل. وإحراز هذا التجانس ممّا يحتاج إلى هداية الوحي في كثير من الأحايين.

٦) الكمال الحقيقيّ الملازم للسعادة الأبديّة هو الارتباط بالله عزّ وجلّ – والقرب منه. ويتوقف على الإيمان بالله وباليوم الآخر وبما أنزل الله على أنبيائه. وهذا الكمال هو الغاية المطلوبة بالذات والّتي يكون الفعل الأخلاقيّ مطلوباً للتوصل إليها، وله درجات كثيرة متفاضلة. والطريق الكلّيّ للوصول إليه هو العبادة أي إتيان العمل لأجل التقرّب إليه سبحانه. ولابدّ من أن يكون العمل في حدّ نفسه صالحاً حتى يصير وسيلة جيدة. فمن الأعمال ما يستقلّ العقل بمعرفة صلاحه، ومنها ما يستعين عليها بالتجربة، ومنها ما لا سبيل إلى معرفة صلاحه إلاّ الوحي وخاصّةً في الخصائص والشروط. وهذا القسم الأخير هو من الأمور التعبديّة الّتي يتكفّل ببيانها الكتاب والسنّة.

٧) للقيمة الخلقية درجات حسب اختلاف درجات التوافق بين العمل وبين الغاية المطلوبة، وحسب اختلاف درجات النيّة في الفضيلة. وأفضل الأعمال أشدّها ملاءمة للكمال المطلوب وأخلصها نيّة. وأعلى مراتب الإخلاص يتجلّى في العبادة التي يؤتى بها لمجرّد حبّ المعبود – تعالى وتقدّس – وكونه أهلاً للعبادة، وشكراً لنعمه الّتي لا تحصى، وابتغاءً لمرضاته وإرادةً لوجهه الأعلى. ويليها ما يؤتى بها لأجل الحصول على نعمه الباقية والتحرّز عن عقوباته. والرصيد الأعمق لقيمة مثل هذه الأفعال هو الإيمان الّذي يربطها بساحة قدسه تعالى، وله درجات مختلفة جدّاً. وأدنى الأفعال الخلقيّة قيمةً ما يؤتى به لمجرّد كونه فضيلة خاصّة بالإنسان من غير أن يرتبط بالكمال الحقيقيّ الّذي هو قربه تعالى ومن غير توفّر فيه الإيمان بالله وباليوم الآخر. ومن أجل ذلك فلا يوصل صاحبه إلى ذلك الكمال وإلى السعادة الأبديّة. من ناحية أخرى هذه الأفعال هي الّتي تقرّب دون الأفعال التي وهي دون الأفعال المحدّدة بالصيغة التي بالكمال الحقيقيّ ... وهي التي تعتبرها الشريعة في ... ومن أوّل الأفعال الموجبة لحرمان الإنسان من السعادة الأبديّة فهي المحرّمات ... أشدّها حرمة هي الأفعال المؤدّية في حدّ ذاتها، وعلى رأسها الشرك بالله العظيم، نعوذ بالله تعالى.

٨) إنّ الأحكام الأخلاقيّة ليست تعبّديةً محضة، وإنّما تتبع الحقيقة التي تعبّر عنها الأخلاق الإسلاميّة هي التي تترتّب عليها من الاعتقاد بالمبدأ والمعاد وغيرهما. والمسؤوليّة والجزاء يشتقّان من العلاقة بين الأخلاق وبين مبانيها العقيديّة، لا من نفس الحكم الأخلاقي وصفته التحضيضيّة. والمسؤوليّة الحقيقيّة هي مسؤوليّة الإنسان أو أي موجود مكلّف تجاه ربّه تبارك وتعالى، كما أنّ الجزاء الحقيقيّ هو ما يعطيه ربّه في نظام حكيم يؤدّي إلى النتائج الأخرويّة. وبعبارة أخرى: نظام الأخلاق الإسلاميّ يبتني على معرفة صحيحة للإنسان، وأنّه مخلوق مزوّد برغبات فطريّة تتزاحم في مقام الإرضاء، وبقوّة الاختيار الحرّ لبعض تلك الرغبات على بعض. والحياة الدنيويّة هي ظرف إعمال الاختيار الحرّ أو ظرف الابتلاء – حسب تعبير القرآن الكريم – وفي هذا الظرف بعينه يصنع الإنسان مصيره الخالد بمعونة من ما قدّر الله له من الطاقات وبما أنعم عليه من النعم وبما يسّر له من الأسباب

والظروف. و سوف تمتدّ حياته في مرحلة أبديّة يتمتّع فيها بنتائج أعماله في الدنيا، الّتي يعبّر عنها بالأجر و الجزاء. و أفضل ما يتمتّع به هو الاستغراق في مشاهدة تجلّيات معبوده وسبحات وجهه — جلّ شأنه — ودون ذلك درجات أخرى في الجنّة حسب اختلاف قيم الأعمال.

وهذه السعادات كلّها رهن الإيمان بالله و باليوم الآخر و بما أنزل الله تعالى على أنبيائه، واخلاص العمل له وفقاً لما حدّده في كتابه وعلى لسان نبيّه صلى الله عليه و آله. «واولئك لهم الدرجات العلى». «و رضوان من الله أكبر».

قال رسول الله (ص)

إنّما بُعِثتُ لِأُتَمِّمَ مَكارِمَ الأَخلاقِ

دراسة مقارنة في :

المصطلحات الإسلامية ومعادلاتها في مختلف اللغات

الدكتور محمد علي الحسيني

(تمهيد)

يحظى علم اللغة الحديث بخطوات علمية رائدة في بناء النظريات اللغوية الشاملة التي تعنى بدراسة جوانب مختلفة من الأنظمة اللغوية العامة Structuralism مفردات وتراكيب، في ضوء المنهج المقارن لدراسة الأصوات اللغوية Phonology وجذور الصرفية Morphology والتراكيب النحوية Syntax والمعاني والدلالات Semantics في كافة اللغات البشرية، ومن أشهر تلك النظريات: النظرية العالمية أو ما تسمى بالكونية أيضا Universality

وتكاد تجمع النظريات اللغوية المعاصرة على اختلاف مدارسها وأسسها - على ضرورة وضوح الرؤية، وتبني المنهج المقارن في البحث، وانسجام خطواته وعدم تناقضها؛ كي يصل الباحث إلى نتائج علمية إيجابية، يستنبط منها قواعد للغات المختلفة، ويقف على مدى تطور علاقاتها ودلالات مفرداتها وتراكيبها؛ للإفادة منها في كافة المفاهيم البشرية، وتوصيل الرسائل والأفكار - هدف الإنسان من الكلام والمعاني بين المتحدثين والمخاطبين والمستمعين.

ونحن هنا - في هذه الدراسة المتواضعة - نهدف إلى دراسة مفردات وتراكيب لغوية ذات دلالات معينة وضعية، أو اصطلاحية معينة تعرف بـ(المصطلحات) Terms من أجل الوقوف على دلالاتها الدقيقة، وما يترتب عليها من مفاهيم ومضامين قد تبدو متباينة بالنسبة للأفراد والمجتمعات واللغات المختلفة، حسب تطورها الحضاري والثقافي.

ولخطورة هذه المصطلحات وأهميتها في كشف كثير من الحقائق، ورفع اللبس والإبهام

(١) من أهم ما قدمه سوسير Saussure لعلم اللغة الحديث Linguistics ... هو تأكيده على ضرورة التفريق بين ... الكلام ... وفي ... ويلاحظ ذلك في مقدمة كتابه ... Course in General Linguistics في الصفحة xvii يوضح ذلك

"that is precisely what he did distinguishing with a bold stroke between language as a system (la langue) and the actual manifestations of language in speech or writing (la parole) Glasgow 1974

الذي يحصل بين الأفراد والمجتمعات و اللغات، آثرنا أن نبحث في بنيتها اللغوية، و دلالاتها الحضارية ما أسعفتنا المصادر المتيسّرة، و ما ساعدنا على ذلک الخاطر الكليل.

ولكون هذه المصطلحات كثيرة و متنوّعة؛ اذيقف وراءها تأريخ طويل و ثريّ بالمفاهيم و الدلالات، قصرنا ساحة البحث على (المصطلحات الإسلاميّة) التي بلورتها الثورة الإسلامية المباركة في إيران، أو التي أولدتها، أو أكسبتها دلالات جديدة، أوصححت ماأحطأ الكثير في فهم دلالاتها الأوليّة زيادة أونقصانا، سعة أو ضيقا، حسب طريقة الاستعمال و الملمح الدلالي الذي ينضوي حلفها، و ما الى دلک من تغيّرات و تطوّرات.

و قبل الدخول في دراسة هذه المصطلحات المشار إليها نرى أن نستخدم نفس المنهج و نبحث في دلالات كلمة (المصطلح) نفسها بحثاً تقابليا Contrastive Method في بعض اللغات العالمية الحية، مشيرين إلى جذورها و اشتقاقاتها و علاقات معانيها و دلالاتها المتنوّعة مفترضين بالقارئ الكريم الإلمام —ولو نسبياً— بالقواعد اللغويّة الصوتيّة و الدلاليّة و البنيويّة، أو الاطلاع العامّ على بعض النظريّات المعاصرة في علم اللغة الحديث Lingistics

***

(تعريف المصطلح وتقابلاته)

إنّ نظرة سريعة في كتب اللغة العربية و معجماتها و مصادرها، تكفي لأن تبلور معنى هذه الكلمة، و تعيّن جذر اشتقاقاتها، فهي أصلاً متكوّنة من جذر صرفيّ مادته (صلح)، و قد صيغت على وزن (مفتعل) و بوساطة الإقلاب المقتضي للتناغم الصوتي و التشاكل النظمي Semi Assimilation مصطلح انگليزي بين الصاد و الطاء في العربية، انقلبت تاء (افتعل) إلى طاء حسب القواعد الصوتيّة والصرفية التي يقتضيها نظام كلّ لغة. و قد جمعت في دلالات كلمة (المصطلح) معاني مادة (صلح) اللغوية Lexical إضافة إلى معاني الصيغة الصرفية Morphemic لتدلّ مجتمعة على الاتّفاق و الاتّحاد بين أهل اللغة و تواضعهم و تصالحهم على (حدود معيّنة) للمفاهيم و المعاني الخاصّة، و عدم الخلط و اللبس بينها.

و هذا ما توحي إليه كلمة المصطلح أو الاصطلاح في اللغة العربية. و كذلک الأمر في مختلف اللغات ملمحاً و مقصداً. والانجليزية مثلاً تصنع مقابلها كلمة Term و من معانيها الدلالة على (الحدّ) و التحديد بكافّة اشتقاقاتها، مثل: « Terminate ، Termination ، Terminal ، Terminable ، Terminology »[1] الخ. و بها تعرف حدود المعاني الخاصّة، و من هنا أطلق على لفظة التعريف في العربية كلمة (الحدّ) أيضاً، و هو الاصطلاح السائد عند المناطقة و الفلاسفة و المتكلمين.

إنّ اشتقاق كلمة Term في الانجليزية من كلمة Terminus اللاتينيّة، و التي استعملت أوّلاً عند الفيلسوف الرومي بويثيوس Boethius في القرن

---

(١) انظر معجم وبستر (المادة) لمزيد الاطلاع على الاشتقاقات و دلالاتها.
Webster's Dictionary Library, p 323 (Term), New York, 1980

الخامس الميلادي بمعنى (الحدّ)، ومنها تولدت سائر الاشتقاقات في اللغات الأوربية المختلفة، ومن هنا أطلق على الدراسة التي تُعنى بالاصطلاحات وحدودها بعلم الترمينولوجي Terminology [1] وهي، دراسة خاصة من الدراسات اللغوية المتشعّبة، والتي تبحث غالباً في قسم السيمانتكس Semantics — علم الدلالات والمعاني — ذلك العلم الذي بدأت تتوجه إليه أغلب النظريات اللغويّة الحديثة في السبعينات ومطالع الثمانينات، وعلى سبيل المثال نشير إلى النظريّة الوظيفيّة لعلم اللغة والمعنى المتكاملة على يدي هارفي Hervey ومولدر[2] Mulder والتي تُدعى (AF) اختصاراً لـ: Axiomatic Functionalism

وفي الفارسيّة تستعمل كلمة **(الاصطلاح)** العربيّة بنفس المعنى والدلالة، والتي يمكن تحديد معادلها بكلمة «آشتي» أو «سازش»[3]، والتي تقود إلى نفس النتيجة المعبّرة عن اتفاق الناس وتواضعهم واصطلاحهم على معاني الأشياء أو الأشخاص أو المفاهيم المحدّدة، ليُستغنى بهذه المفردات أو التراكيب المختصرة عن شرح (المفاهيم) التي قد تقتضي سطوراً بل صفحات، أو دقائق بل ساعات، حتى تتضح المطالب لدى القارئ، أو السامع.

ولا نريد هنا إلى التوسّع في استقراء دلالات كلمة اصطلاح تأريخيّاً، ومتى استعملت بهذه الدلالة المعاصرة، وعند مَنْ، وكيف؟ بل نكتفي بالإرجاع إلى مقدمة كتاب (فرهنگ اصطلاحات اسلامي) إذ أُشبعت فيها هذه الكلمة بحثاً ودرساً، وأُشير إلى المصادر والمراجع التي عُنيت بعلم المصطلحات ومعجماتها، وتأريخ هذه الكلمة التي كانت تصنّف تحت (المدلول الاصطلاحي) عبر المصادر الغربيّة والإسلامية.[4]

ومن أولى المصطلحات التي تستحق في نظرنا البحث هنا مصطلح: **(قانون أساسي)** الذي نصّت عليه الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران كيانها وعنوانها.

مصطلح: قانون أساسي

إنّ هذا المصطلح مركّب من كلمتين هما **(قانون)** و**(أساسي)**، ولمعرفة معاني هذا التركيب وأبعاده اللغوية والدلالية، لابدّ لنا من أن نعرض إلى جذور كلّ كلمة ودلالاتها عبر العصور واللغات من أمّهات المصادر المتيسّرة، حتى نصل إلى ما انتهت إليه في استعمالها المعاصر عند هذا التركيب اللغويّ الوصفيّ الاصطلاحي.

فكلمة (قانون) على وزن (فاعول) متكوّنة من (مادّة) لغويّة معيّنة، ومن دلالة (صرفيّة) خاصّة،

(١) انظر د. نقوي، فرهنگ اصطلاحات اسلامي، ص٥–٦، طهران، ١٣٦٠ هـ.ش.

(٢) انظر كتابهما الذي يمثّل عملهما المشترك في تطوير النظرية:
The strategy of Linguistics, scotish Academic press, 1980

(٣) المصدر نفسه، فرهنگ اصطلاحات اسلامي، ص٦. ومن الطريف حقّاً، أن نجد كلمة (آشتي) مناسبة في الصوت والمعنى إلى (اصطلاح) وكلمة (سازش) مناسبة في الصوت والدلالة إلى كلمة (صلح).

(٤) انظر المصدر السابق ص ٢٦–٣٣.

ويبدو أنّ مادّتها اللغويّة وصيغتها الصرفيّة، تنتميان إلى عائلة اللغات الساميّة التي تتميّز بكونها (ثلاثية الوضع) غالباً، فيكونُ أصلها من (قنن) و (قنّ) بمعنى الطاعة و العبوديّة «وعن ابن الأعرابيّ عبد قِنّ أي خالص العبودة»[1]. و الذي يؤكّد هذا الانتماء كون صيغة (فاعول) من الصيغ الساميّة القديمة المعروفة، والتي وجدت في العبريّة و الآراميّة و اللغة العربيّة القديمة و سائر أخواتها، كما تحتفظ ببعض مفرداتها العربيّة المعاصرة أيضاً، مثل ناموس و ناقوس و قاموس و ناعور و ناطور و ما إليها.

وممّا يؤكّد ساميّتها دلالاتها على معانٍ (دينيّة) تتعلق بوصايا الكنيسة المسيحيّة وأنظمتها و نواميسها.[2] و قد قيل أنّ أوّل من استعملها بهذا المعنى هو امفيلوخيوس Amphilochius[3] حوالي ٣٨٠ سنة قبل الميلاد، كما أنّها استعملت في لغة اليهود، و وردت على لسان السيّد المسيح عليه السلام و شاعت في زمانه[4] في اللغة الآراميّة، ولاسيّما في دلالاتها على السلطة التشريعيّة الدينيّة (الكنسيّة).[5]

و لعلّه من المناسب أن نشير إلى ما يُسمّى بظاهرة الكوگنيت Cognat التي تجمع بين الدلالة الصوتيّة و المعنويّة للمفردات و التراكيب اللغويّة في مختلف اللغات المتوالدة من أمّ واحدة و إنْ كان هذا البحث مرتبطاً أصلاً بالأبحاث الإيتيمولوجيّة Etymology التي تتابع تصوّر جذور الكلمة و تنقّلها عبر مختلف اللغات و الاشتقاقات و الدلالات، و ذلك بوجود العلاقة - كما سنبيّن - بين قانون

↔ كانون= Canon ↔

Cane ↔ قنّ[6] ↔ Canonical

↔ ملك (العبريّة)[7] ↔ King ↔

↔ كين[8] ↔ كون كائن ↔ queen

آيين (الفارسيّة) ، كنيسة (العبريّة)

↔ كنيست ↔ كنيسة ↔ كليسا[10]

(الفارسيّة) ↔ كرك = Kirk

(الاسكتلنديّة) ↔ چرچ= church ↔

كلرك= clerk ↔ cleric

(1) المطرّزي، المُعرّب في ترتيب المعرّب، ص ٣٩٤، دارالكتاب العربي، بيروت.

(2) انظر: مجموعة قواميس و ستر المشار إليها سابقاً

Bible Dictionary

(3) انظر نفس المصدر و فيه النصّ الآتي.

"canon, (cane, rule) word first applied to the scriptures by Amphilochius about A.D. 380. . canon, fixed by the Jews and accepted by canon, fixed by the Jews and accepted by christ and his times canon ratified by third council of carthage A.D. 397"

(٤) المصدر السابق.

(٥) انظر

(٦) يلاحظ علاقة قنّ بالطاعة واتّباع القانون والنظام بشكل تعبّدي وأن كلمة cane=rule تعني القانون.

(٧) يلاحظ علاقة king بـ ملك العربيّة التي تعني الملك (malc ruler = king)

female ruler = queen

(٨) يلاحظ دلالة كون و كائن على الوجود المستلزم مقابل العدم و الفاسد الذي هو ضدّ النظم والانتظام. انظر فرهنگ علوم عقلي ص ٤٨٣ .

(٩) «وأمّا كنيسة اليهود والنصارى لمتعبدهم فمعرّب كنشت عن الأزهري. وهي تقع على بيعة النصارى و لصلاة اليهود» المطرزي المعرّب ص ٤١٦

(١٠) يلاحظ علاقتها بالكاثوليك وأنه معنى و يعني العلم والدين.

→← كـلـيـرجـى= clergy →←[1]
clergyman ... الخ. والتي تعني جميعاً مفهوم الطاعة والعالم و الحكم[2] به أو له[3] او عليه[4] او ما الى ذلك.

وقد تتوسع كلمة قانون في علاقاتها إلى كليات،و إطلاقات عدة، كما قد تتضيّق إلى وصف الجزئيات، و الدقائق التي تتعلق بطبقة معيّنة و أناس معيّنين. كما هو الحال في وصفها لطبقة رجال الدين المسيحي،و كنيسهم،و أنظمة الكنيسة، و نوعية الاجتماعات و المجمعين،و كيفية [illegible] لباسهم و سلوكهم، و [illegible]

[illegible]

"[illegible] authority [illegible] [illegible] [illegible] canonical [illegible] [illegible] pl official dress worn by clergyman canonically adv [illegible] canonize v [illegible] to place in the list of saints canonist n one skilled in canon law [illegible] n the office of canon"[5]

ومن الغريب ان المفردات المعوية الغربية من اشتقاقاتها في اللغات الاوربية المنحدرة عن اللاتينية، و ما جاء في الانگليزية يؤدي إلى نفس الدلالات المشار إليها جميعاً أو قريباً منها —إذ نرى ان نظرية ابن جنّي في الاشتقاق الاكبر تتعدّى حدود اللغة العربية— و فيما يأتي نذكر بعضها من معجم (فرهنگ بزرگ انگليسى فارسي):

«گروه رهبان و راهبات— خانقاه. Convent n. المجمع نهائی كسانى كه پيرو آيين كليسايى عمومى انگليسى نيستند. conventicle n پيمان نامه... قرارداد، عهدنامه... انجمن... مجمع... [illegible] convention پيروى از آيين هاى قراردادى و رسمى.

conventionalism n
كسيكه پيرو آيين هاى قراردادى و رسمى باشد، [illegible] conventionalist n [illegible] و رسوم قراردادى. پيروى از آيين و رسوم... conventionality n
conventionalize [illegible]
[illegible] عضو [illegible]
conventionally [illegible]

[illegible] كـلـمـة [illegible] مشتقاتها توحي [illegible] إلى هذه المعاني [illegible] التفصيل و التدليل؛ لوضوح [illegible].

و إذا رجعنا إلى كلمة (آيين) الفارسية [illegible] على كلمة (قانون)صوتاً و دلالة و تعادلها [illegible] و مضموناً حسب مقتضيات تطوّر نظامها الصوتي تماماً كما تقابلها كلمة conon الانجليزية حسب مقتضيات تطوّر نظامها الصوتي. و من أجل توضيح ذلك نرسم جدولاً تعادلياً مبسطاً كنموذج و مثال على صحة النظرية التي نذهب إليها مع ملاحظة الإقلاب أو الابدال الصوتي و التمكّن عبر العصور و اللغات و المجتمعات:

---

(١) أيّ القانون.
(٢) ولي الامر.
(٣) يلاحظ التبادل بين النون واللام في كثير من اللغات. Webster's Dictionary Library, p 53-
(٤) أيّ الرعية.
(٥) Webster's Dictionary Library P. 53
(٦) حييم، فرهنگ بزرگ انگليسى - فارسى، ص ٣٣٩، طهران، ١٣٤٠ هـ.ش.

جدول تقابلي مقترح

قانون	ق	ا	ن	و	ن	= عربية سامية قديمة
٢– كانون=	ك	ا	ن	و	ن	= إحدى لغاتها في العربية و غيرها
٣– چانون=	چ	ا	ن	و	ن	= لهجة عراقية جنوبية
٤– آنون=	ا	ا	ن	و	ن	= لهجة مصرية
٥– آيين=	ا	ا	ي	ي	ن	= فارسية قديمة
٦– آئين=	ا	ا	ئ	ي	ن	= لهجة فارسية أولعة فيها
٧– canon	C	A	N	O	N	= لاتينية، و منها سائر اللغات الاوربية

و تتضح العلاقات الصوتية و الدلالية بوجه أعمّ بين مختلف المفردات في مختلف اللغات و اللهجات بكلمة قانون إذا رجعنا إلى الجدول التقابلي الأوسع المقترح في آخر هذه المقالة.[1]

و قد تزداد كلمة (قانون) تخصّصاً في دلالتها فتعني تماما كلمة (Law) أو (canon Law) الانجليزية، و ذلك ماتقرّره المعجمات القانونية[2]. كما أنّها قد تتسع قليلاً في دلالتها فتدلّ على قانون الطب Canon of Medicine[3]، و من استعمالاتها بهذا المعنى تسمية كتاب الطبّ للشيخ الرئيس أبوعلي سينا بالقانون. و قد تزداد اتّساعاً فتدلّ على النظام و الآداب و التأديب بشكل عامّ، مثل ماتدلّ عليه كلمة cannon المشدّدة النون— التي تعني نظامي و مؤدب[4] و ماشاكل ذلك.

كما قد تستعمل دالّة على الشيء المستقيم مثل دلالتها على الشخص المستقيم، و منها دلالتها على الاسطوانة[5] — المشدّدة النون — cannon ، أو دلالتها على المدفع لاستقامته، أو الساق لنفس السبب canon bone أو الميل المستقيم cannula أو القناة

---

(١) تجب ملاحظة كلمة (مقترح) —هنا— إذ إنها في الواقع مقترح أن تكون هذه العلاقات الصوتية —وكذلك الدلالية— قد تطورت بشكل ما و على ما يمكن اعتباره طِلالاً لتلك العلاقات عبر اللغات و اللهجات و المجتمعات المتطورة.

(٢) انظر: Legal Dictionary, P. 589

(٣) انظر: فرهنگ اصطلاحات اسلامى، ص ١٢١

(٤) انظر: فرهنگ بزرگ انگليسى فارسى (المادة).

(٥) و توسّع في معنى الاسطوانة إلى إطلاقها على العلاّمة من الناس، فقيل عنه إسطوانة العلم و إسطوانة الحكمة، كما أنّ علاقتها بالفارسية ستوان و ستون واضحه وأغلب الظنّ انها معرّبة عن الفارسية.

المستفيمة أصلاً canal [1] و ما إلى ذلك من اشتقاقات و استعمالات تحيّر اللبّ في كيفية عمل اللغات و ترابطها و تطوّرها عبر الأشياء و الأشخاص و اللغات!! ولا شكّ ان العلاقات اللغوية بينها جميعاً سيّالة و مترابطة في نفس الوقت -تماماً كسائر الظواهر الاجتماعيّة الطبيعيّة- حتى نصت بعض المعجمات على بعض هذه الدلالات بما يأتي:

«(قانون): كلمه اى قانون لغت يونانى [2] و بمعناى مسطرة (خط كش) است، و در اصطلاح عبارت از قاعده و قضيه كليد است كه از او علم به احوال جزئيات موضوع آن دانسته شود.رجوع به قاعده شود (دستور العلماء ج٣ ص٤١).[3] »

كما نلاحظ علاقة (قانون التي) بالكون و كينونته، و كائنيته، إذ جاء في تعريف الشيخ الرئيس ابن سينا عن الكون: «**كون عبارت از اجتماع اجزاء وفساد عبارت ازافتراق آنها است**»شفاء ج١ ص١٨٨[4] .

وفي تعريف اخوان الصفا: «**الكون خروج الشيء من العدم إلى الوجود أو من القوّة إلى الفعل والفساد عكس ذلك**» اخوان ج٢ص١٠ .»[5] . ومن كل ذلك نفهم العلاقة الصوتيّة و الدلالية بينها بشكل ما؛ حيث تدلّ جميعها على النظم والانتظام في الطبيعة و المجتمع و بدونه يحصل الفساد و الخراب. و ليست علاقة **(قانون)** بكلمة **(كيان)** ببعيدة اذ «الكيان هو الطبع بالسريانية و به سمّي كتاب سمع الكيان. و هو بالسريانية شمعا كيانا»[6] . فالشيء إذا جاء على الطبع و الطبيعة و الفطرة جاء على القانون و القاعدة، و بخلافه يكون الفساد أيضاً وليس لذلك المجتمع من **(كيان)** إذ لم يحكمه القانون و النظام.

وإذا رجعنا إلى الكلمة الثانية من مصطلح **(قانون اساسي)** نجد أن كلمة **(أساس)** تستعمل مفردة و جمعاً في العربية بمعنى «أصل الحائط».

ومنه انتقل إلى اصل الشيء مطلقاً، وإذا كانت جمعاً في الاستعمال فمفردها (أسّ)[7] و اذا كانت مفردة فجمعها (أسس).[8] وعند إضافة كلمة أساس إلى الياء تُعطي دلالة الوصف والنسبة -كما هي وظيفة الياء في العربية و سائر اللغات التي نعرفها- ولمّا كانت كلمة قانون مفردة هنا كانت كلمة **(أساسي)** مفردة أيضاً؛ إذ يجب في الصفة متابعة الموصوف في أربع نقاط؛ من عشر في قواعد اللغة العربية، و منها متابعته في الإفراد إذا كان مفرداً.

والنتيجة الحاصلة من دلالة هذا المصطلح

---

(١) نلاحظ علاقة قناة بقنال و بكنال canal الانجليزية التي تدلّ على نفس المعنى. و قد استعملت لفظة channel بنفس الدلالة مع تغيّرات فونيميّة phonemic أو ألفونيّة Allophonic

(٢) يلاحظ القول بأنّها يونانية -أي اغريقية- لاينافي كونها من أصل ساميّ و قد انتقلت إليها وإلى اللاتينية و سائر اللغات الأوربيّة عبرعصور دينيّة و حضاريّة شرقيّة زاحفة إلى الغرب بتراثها و عطائها.

(٣) د. سجادى، فرهنگ علوم عقلى، ص ٤٥٩

(٤) المصدر السابق، ص ٤٩٧

(٥) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(٦) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ٨٤، دارالكتب العلمية- بيروت.

(٧) انظر المطرزي، المعرّب في ترتيب المعرب، ص ٢٥ (ط. دارالكتاب- بيروت).

(٨) المصدر السابق

(قانون أساسي) تقابل كلمة **(دستور)** [1] -بضم الدال- في العربية المعاصرة، و هي في الأصل مُعَرَّبة عن الفارسيَّة (دستور) - بفتح الدال - و هذا من غريب المصادفات، إذ تستعمل الفارسيّة المعاصرة مصطلحاً من أصل عربيّ، و تستعمل العربية المعاصرة معادلة من أصل فارسيّ.

و إنّ كلمة **(دستور)** مركّبة و منحوتة من **(دست+ور)**، إذْ يلاحظ فيها سلطة **(اليد)** و سلطانها، واليد كما يقول (الفقهاء) أمارة على الملكية و المالكيّة و هي قابلة التصرّف و التصريف في الأمور. [2]

و منه قيل للمتصرّف في أمور الدولة في الفارسية (دستور) و هو الوزير المعتمد. و قد يتوسّع في إطلاقه على نفس القانون و النظام الذي يستند عليه الوزير في إعمال سلطان اليد و تصرّفها. والنصّ الآتي بالفارسيّة يلقي بعض الأضواء على ما نريد الإشارة إليه.

«دستور (دَ): پیشکار، وزیر، آنکه در کارها بدو اعتماد کنند، فرمان، اجازه، آیین، روش، برنامه، مجموعه قواعدیکه توسّط آن درست گفتن و درست نوشتن را می آموزند.

به عربی دُستور می گویند، ج: دساتیر، دستوری: رخصت، إجازه، إذن، رسم، قاعدة» [3]

و عند مراجعتنا لنفس المصدر نجد أنّ النصّ الآتي يفسّر كلمة **(قانون)** بنفس الدّلالات تقريباً:

«قانون: رسم، قاعده، روش، دستور، مقرّر كه بايد به آن عمل شود، مقررات و احكامی كه از طرف مجلس وضع شود، ج: قوانين، و نيز نام يكی از آلات موسيقی، و نام كتابی است در طب كه أبوعلی سينا تألیف كرده است. [4] »

و كذلك نشير إذا رجعنا إلى شرح كلمة (قانون) بالانجليزية:

"qânûn fundamental rule canon, law, norm, precept, law code, duty, task, qânûniyy canonical, according to law or rule legal " [6]

و عند مراجعة المعجمات أو الكتب المتعلقة بالموضوع، نلاحظ أن ما يقابل هذا المصطلح في الانكليزية و سائر اللغات الأوربية يقوم على نفس الملامح و الدلالات. و أن الترجمة الشائعة لكلمة (قانون أساسي) أو (الدستور) في الانكليزية هي مصطلح: (constitution) ، و هو مصطلح مركّب منحوت من عدّة مقاطع أو حدود صرفية، تعرف بالمورفيمات Morphemes أو بالمونيمات Monemes كما يعبّر عنها

---

(١) دُستور - بضمّ الدال- معرّب كلمة دستور -بفتح الدال- عن الفارسية، لأنّ صيغة (فعلول) - بفتح الدال - غير عربية غالباً، ولمّا أريد إلى تعريبه نقلت إلى صيغة (فُعلول) -بضمّ الدال- لمشاكلة جُمهور و عصفور و ما شابه ذلك.

(٢) انظر الحسيني، أمالي الهادي (مجلد الید) ط. بيروت، ١٩٧٥.

(٣) محمد قريب، واژنامه نوين، ص ٤٥٩.

(٤) المصدر السابق ص ٢٣٨.

(٥) من طريف المقابلات أنّ كلمة ruler القاعدة ذات العلاقة بكلمة ruler مقابل كلمة المسطرة التي أشير إليها بمعنى كلمة قانون سابقاً: «كلمه قانون: لغت يونانی و بمعنی مسطرة (خط كش) است». و هكذا نتأصل النظرية الكونية universality من خلال الأمثلة المتعدده التي يلمح فيها الحدود الصوتية و الدلالية و النحوية و علاقاتها في مختلف اللغات.

(٦) انظر: Steingass, A Learner's Arabic-English Dictionary, p. 814, Beirut, 1972

ـالم اللغة الفرنسي المعاصر مارتينه [١] —،
ـالمقطع الأول (con) و هو لاتيني
ـيصطلح عليه prefix — يدلّ غالباً على
التكوّن) و (التركّب) و (كون) [٢] الشيء
جامعاً لأكثر من جزء و عنصر. والمقطع الثاني هو
statute) بدليل إضافته إلى مادّة أخرى
ـلها و هي (in) لتشكّل:
institute) و بذلك تدلّ الكلمة على
ـمعهد والمؤسسة (institution)
ـات القوانين و الأنظمة الدراسيّة و غيرها. كما
ذكرنا هذا الجذر بعلاقته بكلمة statute
بعد استبدال حرف العلّة من (i) إلى
a) لتعطي دلالة مشابهة على المقدس
لموقف و منها قيل:

"Stature the height of a person or animal" [٣]

كذلك [٤]:

"Statuary, collection of statues"

كذلك [٥].

"Statute, passed by legislature statutory"

و كذلك دلالة كلمة status اللاتينية
أصل على: position, rank
إذْ تدلّ جميعاً على المقاييس و القوانين و
الانظمة بشكل معيّن.

و إنّ المقطع ... (tion) أو
(...ion) يدلّ على اسمية الكلمة تماماً كما
يفعل (التنوين) في العربية، إذْ بإضافته
(كلاحقة): (suffix) يحوّل الكلمة من فعل
إلى اسم. و بذلك تكون كلمة
constitution ... و
شاكلها من اشتقاقات و تصريفات في اللغة
الانجليزية و سائر اللغات الأوربية — ذات وظيفة
تعريفية و معادلية صوتاً و دلالة — ولاسيما
في الانجليزية الاسكتلندية Scotish
English — لكلمة قانون في العربية و
سائر أخواتها من الساميّات، و يكون مصطلح
(قانون أساسي) معادلاً تماماً لمصطلح
(Basic constitution)
و لمصطلح (الدستور الأساس) [٦] في العربية
المعاصرة أيضاً.

و بذلك أيضاً نكون قد وقفنا بعد هذا البحث
المجمل في دلالات هذا المصطلح (قانون
أساسي) على أبعاده اللغوية و الاصطلاحية عبر
اللغات و الأديان و الحضارات و المجتمعات.
واعني بما تريده الجمهورية الإسلامية في
إيران من دلالات حضارية ثرّة و معاني إسلامية

---

١) هو أوّل من أشاع البنيوية الوظيفية في اللغة و
عرف باسمه، و عنه تفرّعت مدرسة مولدر و هاري المشار
إليها سابقاً.

٢) يلاحظ علاقة (كون) بـ (con) صوتاً و دلالة، و
هي تكوّن العناصر والأجزاء و تركّبها عموماً في نظم
ونظام خاص.

٣) انظر: Webster's Dictionary Library, p 307

٤) المصدر السابق.

٥) المصدر نفسه.

(٦) انظر معجم هانس وير:
Han's wehr Dictionary of Modern Written Arabic, p. 737
ولاحظ التماثل بين أساسي و Basic صوتاً ودلالة أيضاً.

(٧) الأولى أن يعدل في تعريبة الأساس بلاياء لدلالة
الكلمة بنفسها على الصفة ولايحتاج إلى ياء الصفة
والنسبة هنا. كما يقال: السكّة الحديد، وليس اللحن
الشائع السكة الحديدية. و هي من فوائد المرحوم الدكتور
مصطفى جواد.

برّة، تقصد بها خير المسلمين والناس أحمعين، إذ أنّ الدين الإسلامي جاء رحمة للعالمن وإلى الناس كافةليعيشواضمن إطار (القانون الإلهي) العادل والنظام الفطري السليم.

و نودّ في الختام توضيحاً لأسس هذا (القانون الأساسي) و أهدافه أن ننقل النص الآتي من مقدّمة (الدستور الإسلامي للجمهور ية الإسلامية في إيران):

«إنّ دستور جمهور ية إيران الإسلامة يعكس البيئة الثقافية و الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية للمجتمع الإيرانى القائم على أساس المبادى و القواعد الإسلامية، و الذي يعكس المطلب الملى للإمّة الإسلامية. إنَّ حقيقة الثورة الإسلامية العظيمة فى إيران، وأسلوب النضال للجماهير المسلمة منذ البدء و حتّى الانتصار، والذي تبلور من خلال الشعارت الحارمة والصارمة التي كانت ترفعها كل فئات الشعب، أبرز بشكل واضح هذه المطالب. و الآن فإنّ شعبنا --و في طليعة الانتصار الكبر- يسعى بكلّ وجوده للوصول إليه»[1]

***

(١) انظر الصفحة (٧) من المصدر المذكور. إصدار وزارة الإرشاد الاسلامى — طهران.

[illegible]

١- قانون	ق	ا	ن	و	ن	سامية -- عربية قديمة
٢ - كانون	ک	ا	ن	و	ن	إحدى لغات السامية و العربية
٣-- جانون	ج	ا	ن	و	ن	لهجة عرقية حيوية
٤ آنون	ا	ا	ن	و	ن	لهجة مصرية
٥-- آنن	ا	ا	ن	-	ن	عربية قديمة
٦ آنن	ا	ا	ن	-	ن	احدى اللهجات العربية
٧ - قن	ق	...	ن	...	ن	عربية قديمة
٨ - جن	ج	..	ن	...	ن	عربية قديمة
٩ - كون	ک	..	...	و	ن	عربية قديمة
١٠-- كان	ک	ا	ن	..	ن	" "
١١ كن	ک		-	.	ن	احدى لهجاتها
١٢ كن	ک	...	-		ن	عربية -- آرامية قديمة
١٣-- كنست	ک	...	ن	-	ست	عبرية قديمة
١٤ - كنسة	ک	...	ن	ي	سة	عبرية آرامية عربية
١٥- كنسا	ک	...	ن	-	س	عربية قديمة ... الخ
١٦ canon	C	A	N	O	N	لاتينية -- أوربية
١٧ - canonic	C	A	N	O	nic	انجليزية مشتقة
١٨ canonical	C	A	N	O	nical	" مشتقة ... الخ
١٩- King	K	I	N		G	انجليزية (للرجل)
٢٠ - Queen	Q	u	e	e	N	" (للمرأة)
٢١- Kirk	K	I	R		K	اسكتلندية
٢٢ - church	ch	u	R		ch	انجليزية
٢٣-- clerk	C	l e	R	...	K	"
٢٤- cleric	c	l e	R	I	C	" مشتقة
٢٥-- clergy	C	l e	R	..	gy	" "
٢٦ -clergyman	c	Le	R	..	gyman	" "
الخ = etc						

(١) يلاحظ أن الجدول مقترح أولاً، وثانياً أن نطق أصوات كل لغة وتطوره عبر العصور والمجتمعات يقتضي بعض التغييرات التي قد لا تظهر العلاقة لأول وهلة. كما يلاحظ ثالثاً كون اللغات الشرقية تبدأ من اليمين [illegible]

صلاة الجمعة

مجتمع اسلامي مصغّر

الشيخ محمد علي التسخيري

من معالم المجتمع الاسلامي:

«الاسلام» :هو ـ السوم ـ الدين الوحيد الذي يمتلك أطروحة الترابط بين كل شيء في وجود الانسان، و واقعه الحياتي الواسع الابعاد:

الترابط بين واقعه (الفطري) الداخلي، و (تصوراته) العامة عن الكون والحياة، وسلوكه العملي، فيحدأروع تلاحم بين العوالم الثلاثة فى وجوده: **«عالم الفطرة»، «عالم النظرة للكون»، «و عالم الايد يولوجية و السلوك»**.

واطروحته هي الوحيدة التي تأخذ بعين الاعتبار كل خصائص العوالم المذكورة بشكل طبيعي، بعد ان كانت هي بنفسها نتيجة حتمة لبناء عقائدي متين، و حصلة تنظيمية تضمن للانسان (الفرد و المجتمع) ديمومة السر على خط التكامل المطرد، حط الفطرة الأصيل.

و باعتبار هذه الظاهرة العامة في الاسلام (الظاهرة الواقعة) فهو يعمل على ربط السلوك الانساني الارادي بالله منبع الوجود، و مالك الكون، و خالق الانسان، و الرحيم العليم بما يصلحه و يفسده و الغاية القصوىٰ التي يكدح اليها.

و بهذا تتم عملية (التسامى الانسانى) متجلية فى تلاحم بين (المسجد) و (الحياة)، بين العادة و السلوك، فاذا بالمسجد يسع الحياة، و اذا بالحياة تنبض بروح المسجد، فيمتلئ الوجود الانسانى بنورالله لنطلق متضرعاً لله يسأله (الهدىٰ الشريعى) المواكب (للهدىٰ التكوينى).

بهذا المنظار ندرك معالم المجتمع الانسانى الحي.

انه مجتمع رباني مشد بالسماء في تحركه التشريعى.

و هو مجتمع يتبع اثر القيادة الالهية و تشده (الولاية) اليها بكل وعي.

و هو مجتمع واحد منسجم (وأمرهم شورىٰ بينهم) وعير ذلك.

صلاة الجمعة: مجتمع اسلامي مصغّر

اذا تأملنا معالم المجتمع الاسلامي رأيناه يتمثل في نموذج عبادي اسبوعي هو«صلاة الجمعة» اذ تتلاحم فيها (الصلاة و الحياة)، او (الهيام في الله و التعامل الاجتماعي) و (شخصية الامام المطاع و المجتمع الواعي

المحاسب) ذلك اننا نجد فيها:

«اولاً»: تجمّع الفئات المختلفة على صعيد واحد.

«ثانياً»: توجه الجميع الى الكعبة رمز التوحيد.

«ثالثاً»: التبعية العبادية لحركات الامام.

«رابعاً»: استعراض الامام للقضايا الاجتماعية امام المأمومين (الامة).

«خامساً»: يضم الجميع اطار تربوي ممتثل في (قصد القربة)، وفي (المواعظ الاخلاقية العملية) التي يقوم بها الامام، وفي (الادعية المعتبرة) التي يدعو بها المصلون، وغير ذلك.

فصلاة الجمعة اذن، صورة عملية لمجتمع اسلامي مصغر، يعرضها الاسلام كل اسبوع، لتذكر الأمة المسلمة بخصائصها، ويخلق فيها الداعي للعودة الى مثل هذه المعالم اذا فقدتها يوماً ما.

ولكي يعطي هذه الصورة تأثيرها العميق في النفوس، فانه يحيط هذه الصلاة بهالة من التقديس، ويعظمها في النفوس، ويعد عليها بالثواب العظيم، وينزل فيها سورة قرآنية كريمة، ويطلب من الأمة ان تترك كل ما لديها من عمل وتجارة وغير ذلك، ويحثها للسعي نحو (ما عند الله)، فهو الخير المطلق، وهو العطاء الجزيل. فيقول تعالى: **«يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله، وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون.**

فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون.

واذا رأوا تجارة أولهواً انفضوا اليها وتركوك قائماً: قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين».

وقد جاء في الخبر عن الامام الصادق (عليه السلام) قوله:

«ما من قدم سعت الى الجمعة الا حرّم الله جسدها على النار»(١)

وبهذا يحسّ المسلم انه بسعيه الى الجمعة يسعى الى الجنة... الجنة في الحياة الدنيا، والجنة في الحياة الآخرة.

ويأتي عربي يقال له (قليب) الى رسول الله صلى الله عليه وآله فيقول:

يا رسول الله اني تهيأت الى الحج كذا وكذا مرة فما قدّر لي.

فيقول له الرسول العظيم: يا قليب؛ عليك بالجمعة فانها حج المساكين.(٢)

وهذا شعور آخر يعطيه الاسلام للمسلم وهو يتجه الى صلاة الجمعة. انه شعور الراحل الى الحج يطوف حول مركز التوحيد ورمزه، وليسعى ما بين الجبلين، وفي اطار الحدود الالهية، وليرمي الشيطان فيعض عضه على الطاغوت. واذا تذكرنا أنّ عملية الحج هي عملية تربية لممثلي البشرية كلها على نمط السلوك الذي يريده الاسلام للانسان (الفرد والمجتمع)، ادركنا بكل وضوح معنى تركيزنا على ان صلاة الجمعة هي صورة رمزية عملية للمجتمع الاسلامي.

وهنا تبدو لنا رواية تربط بروعة بين عملية التسابق الى الجنة يوم القيامة، وعملية التسابق

---

(١) وسائل الشيعة ج ص ٣٩

(٢) وسائل الشيعة ج ص ٥

في هذا الحياة الى صلاة الجمعة فمول الامام الصادق(ع):

«وانكم لتتسابقون الى الجنة على قدر سبقكم الى الجمعة»[1].

اليست الحياة الآخرة انعكاسا للحياة الدنيا؟ وأليس السلوك بل والشكل الذي يحشر عليه بنو آدم ينسجم مع نوعة السلوك في الحياة الدنيا؟

وفي الرواية عن الامام علي اميرالمؤمنين (عليه السلام):

«ضمنت لستة على انه الجنة، منهم رجل خرج الى الجمعة فمات فله الجنة»[2]

ألم تؤكد الروايات من قبل أنه في طريق الجنة؟ اذن فهو يصل الى القصد المطلوب.

و زيادة في التكريم و اعطاء الجو النفسي المؤثر يأتي الحديث عن فضل يوم الجمعةو حقه:

عن الصادق(ع) قال: ان للجمعة حقاً و حرمة، فإياك ان تضيع او تقصر في شيء من عبادة الله و التقرب اليه بالعمل الصالح، و ترك المحارم كلها؛وان الله يضاعف فيه الحسنات، و يمحو فيه السيئات، و يرفع فيه الدرجات.

قال: و ذكر أن يومه مثل ليله فان استطعت ان تحييها بالصلاة و الدعاء فافعل.[3]

و عن الرضا عليه السلام: **قال رسول الله(ص): إن (يوم) الجمعة سيد الايام، يضاعف الله فيه الحسنات، ويمحو فيه السيئات، ويرفع فيه الدرجات ويستجيب فيه الدعوات، وتكسف فيه الكربات، وتقضى فيه الحوائج العظام، وهويوم المزيد، لله فيه عتقاً وطلقاً من النار... وما استخف احد بحرمته وضيع حقه الاكان حقاً على الله عزوجل ان يصليه نارجهنم الا أن يتوب**[4]

و هناك مجموعة ثرة من الادعيه الوارد استحباب قراءتها ليلة الجمعة و يومها.

و قد علم القادة اتباعهم ان يتهيأوا للجمعة و عباداتها و يعدّوا لها العدة النفسية المطلوبة. ففي الرواية ان الامام موسى بن جعفر(ع) كان يتهيأ يوم الخميس للجمعة[5]

و هكذا تريد الرواية التالية الموقف جلالاً حين تقول:

«ما طلعت الشمس بيوم افضل من يوم الجمعة»[6]

لكي يمكن ضمان التوجه. و بالتالي ضمان تأثير التعليمات الاخلاقية و الاجتماعية التي تتضمنها هذه الصلاة. كان اي حديث اثناء الخطبة ممنوعاً، و اوجب الاسلام الاستماع الواعي المعبّرعنه احياناً بـ (الحضور القلبي).

يقول الامام الصادق(عليه السلام):

«اذا خطب الامام يوم الجمعة فلا ينبغي لأحدٍ أن يتكلّم حتى يفرغ الامام من خطبته».

هذا و بعد أن تهيأت كل الاجواء المعنوية والشكلية اللازمة، تأتي الروايات لتحدث عن مضمون الخطبتين، والا هداف التي يسعى تحقيقها منهما:

و نحن هنا نكتفي بذكر الرواية الواردة عن الامام الرضا(عليه السلام) التي تبين بشكل

---

(١)نفس المصدر ص ١

(٢)نفس المصدر ص ٦

(٣)نفس المصدر ص ٦٣

(٤)نفس المصدر ص ٦٣

(٥)نفس المصدر ص ٨

(٦)نفس المصدر ص ٦

وضوح ــ الغاية المطلوبة فتقول:

«انما جعلت الخطبة يوم الجمعة، لأن الجمعة مشهد عام فارادأن يكون للأمر سبب الى موعظتهم وترغيبهم في الطاعة، و ترهيبهم من المعصية، و توقفهم على ما اراد من مصلحة دينهم و دنياهم، و يخبرهم بما ورد عليهم من الآفاق و من الأهوال التي لهم فيها المضرة والمنفعة، ولايكون الصابر في الصلاة منفصلاً وليس بفاعل غيره ممّن يؤم الناس في غير يوم الجمعة، و انما جعلت خطبتين واحدة للثناء على الله و التمجيد و التقديس لله عز و جل، والاخرى للحوائج و الأعذار والانذار والدعاء، و لما يريد ان يعلمهم من امره و نهيه ما فيه الصلاح و الفساد[1]»

والرواية تركز على امور كثيرة:

«**اولاً**» ان صلاة الجمعة، تجمّع عام ليس كمثله تجمّع صلاة الجماعة. و من هنا نجد ان فقهاء مذهب اهل البيت يفتون بعدم صحة صلاتي جمعة فيما دون الفرسخين.

«**ثانياً**»: فأن الذي يؤم المصلين فيها هو (الأمير) و هو من امتلك سلطة تنفذية. و كان له حق اصدار الأمر في شؤون منطقته مما يعطينا الصبغة السياسة التي تملكها هذه العبادة من جهة، و يوضح ان الامير يجب ان يكون على المستوى الخاص من حسن السلوك بحيث تصحّ الصلاة خلفه.

«**ثالثاً**»: ان الصلاة ترغيب في الطاعة و ترهيب من المعصية. فهي تذكّر للأمة بلزوم تطبيق شريعة الله، و الحذر من اية معصية و انحراف. و هذا يعني استعراض خطوات الشعب، و تقسيمها بهذا المنظار الالهي.

«**رابعاً**»: تقديم تقرير عن خطط الحاكم المستقبلية لتعيها الأمة، و تقدم بالتالي النصحة اللازمة.

«**خامساً**» استعراض الموقف السياسي العام و ما تتعرض له الأمة من أهوال و حوادث (ضارة او نافعة).

و هكذا نتوالى هذه التعاليم السياسية الاجتماعية.

صلاة الجمعة في مدرسة اهل البيت(ع):

يرتبط تاريخ هذه الصلاة في مدرسة اهل البيت (عليهم السلام) ــوهي مدرسة الاسلام بلاريب ــ بدور هذه الصلاة عينها.

ذلك انـنا من خلال مارأيناه ندرك ان صلاة الجمعة عبادة سياسة ترمز الى نوعية العلاقة الاجتماعية فيمابين الافراد أنفسهم من جهة و بينهم و بين قيادتهم من جهة أخرى. فمصيرها مرتبط بمصير القيادة الاسلامية المؤهلة العادلة تمام الارتباط.

و لذا نجد هذه الصلاة تفقد شرط قيامها لدى الكثير من علماء هذه المدرسة ــ عند ما استلم الحكم امثال معاويه و يزيد و السفاح و المتوكل من الطغاة المتحكمين ظلماً بالعباد...

و كان هذا المعنى مع وجود شيء من الاختلاف في النصوص العامل الذي دعا العلماء ينقسمون الى طوائف:

فطائفة ترى وجوب هذه الصلاة تعيناً، واخرى ترى انها تتحول الى واجب تخييري مثلها كمثل صلاة الظهر يوم الجمعة. في حين ترى

---

(١) نفس المصدر ص ٣٩

طائفة ثالثة انها تسقط عن الوجوب، و هكذا.

و كان هذا الاختلاف عاملاً على عدم عمومية اقامة هذه الصلاة بين اتباع هذه المدرسة، كما قديكون من العوامل التي دعت —و لو من بعيد— للعمل على تهيئة ارضية الوجوب من جديد، اي اعادة الحكم الاسلامي الى الواقع التطبيقي، ليؤم الحاكم او من يعينه الحاكم المصلين يوم الجمعة.

و من هنا ايضاً نقول:

ان من اكبر نتائج نجاح الثورة الاسلامية الظافرة في ايران بقيادة قائد النهضة الاسلامية الحديثة الامام الخميني (مُدّ ظله العالي) عودة صلاةِ الجمعة، رمزالمجتمع الاسلامي المصغّر الى الظهور كعاملٍ ثوريٍ ضخم يشدّ الجماهر الى بعضها البعض، و يشدّها جميعاً الى قادتها الحكيمة، و يعرب فيها الشعب عن اصراره على تطبيق الاسلام، و يتحدث فيها امام الجمعة عن كل شيء بصراحة: يربّي فيها الامة، و يطلعها على الموقف الاجتماعي و السياسي، و يستشيرها في اتخاذ المواقف المستقبلة. و هكذا عادت صلوات الجمعة و الحاضرون فيها —احياناً— يربون على المليوني شخص في مدينة طهران مثلاً— و هم جميعاً يتفاعلون مع روحها و يتربون من خلالها.

و ان ممارنة بسيطة بين هذه الصلاة في طهران اليوم مثلاً، وكثير من صلوات الجمعة التي تقام هنا و هناك توضح الفارق الشاسع بنهما من حيث اداء العرض العبادي السياسي المطلوب.

ان الاستعمار و عملاءه عملوا —جهدهم— على تفريغ هذه الصلاة من روحها الحقيقة، و تحويلها الى مجرد طقس فارغ المحتوى لايقوم بأي دور اجتماعي مطلوب، بل عادت في كثير من الاقطار الى مجالات للتمويه، والتبرير، و تركيز الحكم الكافر، و التستر على جرائمه، والرعاء للطواغيت بطول العمر!!

و نجحت هذه السياسة الاستعمارية —الى حدما— لا في مجال صلاة الجمعة فحسب بل و في الحج و مراسم العيد و امثالها.

و كان اكبر عامل على نجاحها، هذا الفهم العربي المسورد للدين، بالاضافة للعملاء الفكريين و السياسين المستحكمين ظلماً بهذه الأمة، والناهبين لخيراتها، و الممهدين لضياع شخصيتها و اصالتها.

و لكننا نشهد النهضة الاسلامية الكبرى تتأجج، و الوعي الاسلامي يسع بين ابناء الأمة رغم كل المحاولات لايقافه... (و يمكرون و يمكرالله و الله خير الماكرين).



شخصيات اسلامية

الشهيد السيد حسن مدرس

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تُعدُّ الكتابة عن شخص عادي، امراً بسيطاً لايتطلب العناء الكثير. لكن الحديث عن الشهداء الذين يعيشون في قلوب الناس، أو عن شخصيات بارزة كرّست حياتها لخدمة الاسلام والمسلمين والانسانية، و مازالت اسماؤها تُردَّدُ على لسان الآخرين، يستلزم الدقة و مراجعة المصادر والكتب التاريخية و ماشابه ذلك، لاعطاء صورة حقيقية –من دون رتوش– عنهم.

حين يموت الشخص العادي، فانه يُنسى في فترة قصيرة، او بمرور الزمان. و قد يذكرونه في مناسبةٍ ما، و يقولون عنه على سبيل المثال، انه كان انساناً طيباً يحب الخير، ولم يؤذِ احداً في حياته، او انه كان انساناً ظالما، اوحيشاً، او جشعاً، و... الخ.

لكنّ الذي يضع نفسه في خدمة الاسلام، أو يُقتلُ في سبيل هذه الرسالة، أو في سبيل الانسانية، او دفاعاً عن الحق، يظل خالدا في قلوب الناس...

واذا تصفحنا تاريخ الاسلام المعاصر، فاننا سنجد اسماء شخصيات كثيرة، خطت جميعها في طريق واحد، الا وهو طريق الاسلام الاصيل، و عمقت مفاهيمه، و ضحت بحياتها لانقاذ المستضعفين من جور المستكبرين، و نشر العدالة على وجه الارض، و احياء الدين الاسلامي بعد ان تبقى صورة مُميتة على يد اعدائه.

لقد رأت المجلة ضرورة أن يضم كل عدد منها موضوعاً يتناول حياة الشخصيات الاسلامية التي استشهدت دفاعاً عن الاسلام والمسلمين، والشخصيات التي كرّست حياتها لهذه الرسالة السماوية.

و تقرر ان يدور الحديث في العدد الاول عن آية الله المجاهد الشهيد(السيد حسن مدرّس) الذي استشهد بسبب دفاعه المتواصل عن الاسلام، و وقوفه بوجه الظلم والاستكبار.

امّا لماذا الشهيد مدرّس بالذات؟

كل مافي الأمر هو اننا على اعتاب الذكرى السنوية لاستشهاد هذا العالِم الفاضل. ثم انه ظل كالعديد من الشخصيات الاسلامية الايرانية مجهولاً الى حد ما بالنسبة لمسلمي

العالم.*

ولادته ونشأته

ولد الشهيد السيد حسن مدرّس عام ١٨٦٧م في قرية سراية بمدينة اردستان –الواقعة في القسم الجنوبي الشرقي من ايران– من سلالة طاهرة بذلت حياتها في خدمة الدين. كان والده المرحوم سيد اسماعيل رجلاً مؤمناً، تقياً، يعمل اليوم كله من اجل ابنائه، و يؤدي فرائضه الدينية على احسن وجه، و يشجع الناس على القناعة والصبر والاستقامة والعمل في سبيل الله.

عن والده يقول:

«إنّ والدي كان يحثنا على ضرورة الاقتناع بوجبة غذاء واحدة طوال اليوم، و يقول، ان الانسان يجب ان يعتني بنظافة ثيابه و يحافظ عليها كي لا تتمزق.

و كان يؤكد لنا دائماً ان على الانسان ان لايُعوّدُ نفسه على الافراط في الأكل والشرب والنوم كي لايستسلم امام الظلم، و يخضع لمتاع الدنيا. و يقول ان علينا الاقتداء بالرسول الأكرم(ص) والأئمة(ع) لنتعلم الصبر والشهامة و القناعة منهم».

و قد امتاز منذ صغره بالذكاء و بُعد النظر، وحب العلم والرغبة في الاستطلاع. ففي السادسة من عمره توجه برفقة والده الى قرية (قمشة) التابعة لمدينة اصفهان، و درس هناك على يد جدّه المرحوم ميرعبدالباقي.

ولما بلغ الرابعة عشرة من عمره كان قد تعلّم مقدمات اللغتين الفارسية والعربية و بعض العلوم الدينية.

و في السادسة عشرة من عمره هاجر الى مدينة اصفهان طبقاً لوصية جدّه، و درس فيها خمس سنوات متواصلة، النحو والصرف والمنطق والبيان، اضافة الى الفقه و الفلسفة والاصول.

و كان محبوباً لدیٰ كافة زملائه واساتذته، و يحظیٰ باحترامهم، لانهم كانوا يرون فيه الانسان الورع، التقي، الشجاع، الجسور...

الهجرة الى النجف

كان الشهيد مدرّس يتلهف شوقاً الى دراسة العلوم الدينية وهو في دور الصبا. لذلك هاجر الى مدينة النجف الأشرف فسكن فيها. وكان آنذاك يبلغ من العمر ٣٧ عاماً. و نظراً لإلمامه بالطب القديم فانه بدأ يعالج المرضى لامرار معاشه.

و درس هناك على يد اساتذة كبار من جملتهم المرحوم خراساني [1] و المرحوم آية الله يزدي [2]، حيث تلقى دروساً في العلوم الدينية.

وكان ذكاؤه العلمي يجعله متميزاً بين زملائه في حلقات الدرس. وقد بلغ درجة الاجتهاد في الشريعة الاسلامية في سن مبكرة، اذيحتاج المرء لبلوغ هذه الدرجة الى اطلاع واسع ودقيق على العلوم الاسلامية والاصول العلمية لكي يكون قادراً على استنباط الأحكام الاسلامية من ادلتها الخاصة بعد عناء عمر غير قصير.

العودة الى الوطن

و بعد ان عاش سبعة اعوام في النجف

* امثال الشهيد ميرزا كوچك‌خان والمرحوم آية الله الطباطبائي و الشهيد الشيخ محمد حياباني.

١– و هو الشيخ محمد كاظم الآخوند الخراساني. و كان من اشهر فقهاء عصره. ولد سنة ١٢٥٥ هجرية قمرية في مدينة مشهد المقدسة، واستشهد عام ١٣٢٩ هـ.ق. لعب دوراً بالغ الأهمية في الثورة الدستورية. وله كتاب مشهور في اصول الفقه تحت عنوان (كفاية الاصول) مازال يُدرّسُ في الجامعات العلمية والدينية.

٢– من كبار علماء الدين. عاش في النجف الأشرف وتوفي فيها. وله العروة الوثقى في الفقه.

الأشرف عاد الى اصفهان وفي معيته آثار قيمة كان قد كتبها هناك، وبدأ بتدريس الفقه والاصول، والقى عشرات المحاضرات والخطب دارت حول مواضيع مختلفة: عقائدية، اجتماعية، سياسية، ثقافية، واجتذب اليه الكثيرون من مختلف الفئات والطبقات، اذ انه [illegible] وارشدهم الى ما كانوا عنه غافلين.

وعندما ثار الشعب الايراني بقيادة علماء الدين وعلى رأسهم آية الله المرحوم الطباطبائي وآية الله المرحوم بهبهاني[1] ضد الاستعمار البريطاني والعائلة القاجارية، شارك الشهيد مدرس بفعالية في تلك الثورة، وكان يخطب في اصفهان بين الناس، ويحثهم على مواصلة النضال من اجل انهاء [illegible] وتوفير الحريات الفردية والاجتماعية وتطبيق الاحكام الاسلامية.

وكانت الثورة تطالب بدستور يحدد سلطة [illegible]، ويحفظ سيادة الشعب، ويضمن مصالحه، ويحدد مسؤوليات الملك والحكومة والبرلمان. وانتصرت بإذن الله بعد ان ضحى عدد كبير من ابناء الشعب الايراني الأحرار بدمائهم الزكية في طريقها.

انتخابه عضواً في البرلمان

وبعد نجاح الثورة الدستورية (انقلاب مشروطة) توجه الى العاصمة طهران بأمر من المراجع الدينيين، ورشح نفسه ممثلاً عن اهالي طهران ليكون واحداً من اعضاء اللجنة الخماسية التي كانت وفقاً للدستور مخولة بالاشراف على [illegible] التي تشرّع في البرلمان. ونجحت في الدورة الثانية للبرلمان.

وكان صلباً صريحاً، لا يعرف المساومة والخوف مطلقاً، وكل همّه خدمة الشعب الايراني وانقاذه من نير الاستعمار.

[illegible] من بين جموع الناس وكان يعيش [illegible]، وفي هذه [illegible] كان يتحدث عن المخططات التي تستهدف الاسلام ومصالح الشعب.

الهجرة مجدداً

وعندما نشبت نيران الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ و[illegible] القوى الاستعمارية ايران، شكل مدرس مع عدد من الشخصيات الاسلامية والوطنية حكومة مؤقتة مهمتها الدفاع

[illegible]

١ — حاشية على كفاية الاصول

٢ — رسالة في العقود

٣ — رسالة في الشرط المتأخر.

٤ — كتاب في [illegible] الموقوفة وغيرها. وهذه الكتب [illegible]

وللشهيد مدرس كتب أخرى من جملتها

١ — كتاب حجية الظن.

٢ — كتاب في بعض احوال العمل في اصول [illegible]

٣ — رسالة في [illegible].

٤ — كتاب في العقود (باللغة الفارسية).

[illegible]

[illegible]

١ — [illegible]

٢ — [illegible] (محمد رضا بهلوي) [illegible]

عن البلاد امام الغزو الاجنبي. ذلك ان حكومة (مشيرالدولة) كانت قد فقدت قدرتها على كل شيء ولم تكن تملك اي صلاحيات. وكان مدرس وزيراً للعدل والاوقاف في تلك الحكومة.

غير ان الحكومة المؤقتة فشلت في نضالها ضد قوى الغزو الاجنبية، وجندت تلك القوى عملاءها للقبض على اعضاء الحكومة وانزال عقوبة الاعدام بهم، واضطروا لمغادرة ايران الى تركيا[1].

لكن و بالرغم من ان الحكومة العثمانية كانت قد اعترفت رسمياً بالحكومة المؤقتة إلا أن مدرس لم يقبل أية مساعدة منها، بل اتخذ احد المساجد مسكناً له ومارس التدريس فيه. وظل طوال وجوده في المنفى يتبع اخبار وطنه، و يجري اتصالات مع الشخصيات السياسة والدينية في داخل وخارج البلاد. وكان الحزن لايفارقه وهو بعيد عن دياره و شعبه.

العودة للوطن من جديد

و بعد عام من عاد الى الوطن و انتخب من جديد عضواً في البرلمان. واول ماقام به انه اعلن معارضته الشديدة لاتفاقية عام ١٩١٩ التي عقدت بين (وثوق الدولة) والاستعمار البريطاني[2]. و بذل ما بوسعه لافشالها، فنجح في هذا الطريق.

عن تلك الاتفاقية يقول مدرّس:

«ان هذه الاتفاقية المنحوسة تضر بالدين الاسلامي و بسياستنا المحايدة... وان حكومة وثوق الدولة ارادت بهذه الاتفاقية ان تحتال على الشعب الايراني فلقد اعلنت ولاءها للاستعمار البريطاني. الان الشعب ناضل ضد هذه الحكومة. و من اراد بعد اليوم ان يميل الى أية جهة اجنبية، فليعلم بان الشعب الايراني سوف لن يقف الى جانبه مطلقاً».

لقد حطم مدرس جميع القيود التي كانت تكبّل الكثيرين من علماء الدين و حصرت دورهم في اطار وعظي محض. و ذلك باعطائه مفهوماً آخر للعالم الديني، كلّه ثورة و مسؤولية، مستلهماً ذلك من القرآن الكريم والسنّة النبوية.

مدرّس والانقلاب العسكري

و في عهد حكومة مشيرالدولة تدهورت اوضاع البلاد حيث ازدادت الفوضى، و تشكّلت عصابات هنا و هناك، وانتشر الرعب بين المواطنين. و في نفس الوقت تشكلت لجان ثورية مسلحة في مدينة تبريز بقيادة الشيخ محمد خياباني لوضع حد للاضطرابات والتدخلات الاجنبية في ايران. واسفرت جميعها عن سقوط حكومة مشيرالدولة.

بعد ذلك انتخب (سپهدار) رئيسا للحكومة. وفور مجيئه قام باعتقال الاحرار والزعماء الدينيين والمعارضين لاتفاقية ١٩١٩ من بينهم مدرّس الذي زجّ في احد سجون مدينة قزوين. و ظل هناك الى يوم سقوط حكومة ضياء الدين[3].

١ــ يُقال ان اعضاء الحكومة المؤقتة هاجروا الى تركيا عام ١٩١٧ وعادوا الى ايران في اوائل عام ١٩١٩.

٢ــ كان (احمدشاه قاجار) و هو آخر ملك قاجاري على ايران في خارج البلاد عندما عقد وثوق الدولة (رئيس الوزراء آنذاك) تلك الاتفاقية مع الاستعمار البريطاني. و حين عاد الى البلاد اقامت الجماهير الايرانية تظاهرات مكثفة سقطت حكومة وثوق الدولة على اثرها، وانتخب مشيرالدولة رئيساً للحكومة. و هذا الأخير الغى الاتفاقية. والعجيب ان النسخة الاصلية من الاتفاقية غير موجودة لا في وزارة الخارجية، ولا في أي مكان آخر. ولم يتم العثور عليها لحد اليوم!

٣ــ ضياء الدين اصبح رئيسا للحكومة خلفاً لـ(سپهدار).

و بذلك اخذت اوضاع البلاد تتدهور يوماً بعد آخر نتيجةً لعدم كفاءة الحكومة. كما ان الدستور الذي ضحى الآف الاشخاص من ابناء الشعب الايراني انفسهم من اجله اخذت تتجاهله الحكومة تماماً. و في غمرة هذه الاوضاع و بتوجيه من الاستعمار الانجليزي دبّر (رضاخان) بالاتفاق مع ضياءالدين انقلاباً عسكرياً سيطر من خلاله على الاوضاع و اعلن ولاءه لاحمد شاه مؤكداً له ان اوضاع البلاد دعته للقيام بهذاالعمل. •

ثم انتخب (ضياءالدين) رئيساً للحكومة. و بعد فترة اقاله (احمدشاه) من هذاالمنصب. و كان رضاخان وزيراً للحرب آنذاك.

و خلفاً لضياءالدين عيّن احمدشاه (رضاخان) رئيساً للحكومة و قائداً للقوات المسلحة.

و كان رضاخان قد تقدّم بمشروع الى المجلس يقضي بالغاء الملكية الى جمهورية، الاّ ان مدرّس الذي كان على علم من ان رضاخان الذي جاء به الاستعمار البريطاني كما تُصرّحُ الوثائق بذلك كبديلٍ لعملائه السابقين الذين انتهى دورهم، يُنمّي في رأسه فكرة تقوية نفوذ الاستعمار في ايران، و يريد بهذه الذريعة ان يلغي الدستور الذي روته دماء ابناء الشعب الايراني ابان حكم (مظفرالدين شاه) بدأيعارض رضاخان بشدة.

و حين سُئِلَ مدرّس عن دوافع معارضته لمشروع اقامة الجمهورية الذي تقدم به رضاخان، قال:

«لوأن رضاخان كان شخصاً وطنياً لوافقتُ على المشروع، لكنني ارى فيه العميل المطيع للانجليز».

و عندما طلب رضاخان من مدرّس ان يتخلّى عن السياسة و يتفرغ للأمور الدينية ردّ عليه مدرّس قائلاً:

«ان النضال السياسي يشكل جزءاًمن فرائضي، و انني ساكرّس حياتي للنضال ضد حكومتك».

و ذات يوم ارسل(رضاخان)احد اعوانه الى مدرّس، فاخرج ذلك الشخص عشرة آلآف تومان من جيبه و قال لمدرّس:

— خذ هذا المبلغ واسكت!!

فردّ عليه مدرّس بسخرية:

— ضعه هنا، و اذهب لسيدك، و قل له ان مدرّس سيصرف المبلغ كلّه للقضاء عليك. و اذا كان المبلغ يعود لغيره فردّه اليه.

غير ان مرتزقة رضاخان احتمعوا في اليوم التالي امام مبنى البرلمان و كانوا يردّدون شعار (الموت لمدرس). فما كان من مدرّس الاّ ان قال لهم:

— لو مات مدرس فلن يمدّكم احد بمال!

و بعد لحظات قال:

— يحيا مدرّس! والموت لرضاخان.

وفي ممرالبرلمان اعترض رضاخان طريقه و دفعه الى الحائط ثم امسك برقبته و قال له:

— ماذا تريد مني ؟

فردّ عليه مدرّس بلهجة شديدة:

— ان الشعبَ لايريدك.

و اثناء الجلسة التي عقدها البرلمان للتشاور

• رضاخان هو (رضاشاه) والد محمدرضا پهلوي شاه ايران السابق الذي اسقط الشعب الايراني المسلم نظامه. و قدجاء في الثاني والعشرين من شهر شباط عام ١٩٢٠ الى طهران من قزوين مع مايقارب من ٣٠٠ مسلحاً. وكان قد اجتمع باثنين من كبار الجنرالات الانجليز قبل قيامه بالانقلاب.

حول حكومة رضاخان، و مشروع تغير النظام، اعلن مدرّس معارضته الشديدة لحكومة رضاخان. و في تلك اللحظة تقرّب احد النوّاب من اعوان رضاخان من مدرّس وصفعه.

و كانت الصفعة لها اثرها العميق في نفوس ابناء الشعب الايراني حيث انطلق الآلاف الى الشوارع منددين برضاخان و اعوانه و معلنين تأييدهم الكامل لمدرّس.

و في غضون تلك الاحداث كان (احمدشاه) خارج ايران. فأمر باقالة رضاخان من منصبه.

و وفق خطّة مدروسة غادر رضاخان طهران الى مدينة (رودهن). الا ان عملاءه بدؤوا ينشرون الرعب بين الناس، فكانوا يمارسون القتل والسرقة و يتعرضون للمارّة. و من جهة ثانية بدأ بعض قادة الجيش من الموالين لرضاخان يهددون البرلمان محذّرين اياه من مغبة عدم الموافقة على حكومة رضاخان.

واسفرت التهديدات والضغوط والممارسات الأخرى من جانب رضاخان و اعوانه عن موافقة البرلمان بغالبية الاصوات على (حكومة رضاخان). غيران مدرّس لم يكن موجوداً في تلك الجلسة، لان اعوان رضاخان اختطفوه قبل يوم من انعقاد الجلسة. اما زملاؤه فقد امتنعوا عن التصويت دون ان يخشوا عواقب هذا الأمر.

و بذل رضاخان بعد انتخابه رئيساً للحكومة محاولات جمّة لضرب شخصية مدرس من خلال اتهامه بالعمالة للانجليز!غير ان جميعها باءت بالفشل.

بعدها او عزلعملائه باغتيال مدرّس فاطلقوا النار عليه، لكنهم لم ينالوا منه بالرغم من ان خمس طلقات اخترقت جسمه.

و مرة اخرى عمّت العاصمة طهران والمدن الأخرى تظاهرات صاخبة اعلن فيها المتظاهرون تأييدهم الكامل لمدرّس و مواقفه.

و كان رضاخان خارج العاصمة. و لمّا سمع بالتظاهرات اقتنع تماماً بان مدرس ليس وحداً كما كان يتصور فهو يحظى بتأييد جماهيري واسع. لذلك حاول ان يظهر بمظهر السلطان العادل، و يهتم بمدرّس حتى و إن كان بعيداً عنه، فارسل له برقيةً يستفسر فيها عن حاله. لكن مدرّس الذي لم يكن لينخدع بمثل هذه الحيل ردّ على برقيته قائلاً:

«لم تمت الأعداء بعيضهم وان مدرس لم يَمُتْ»

نفيه الى مدينة اخرى

بعد فترة توجه رئيس الشرطة و عدد من رجاله الى منزل مدرّس، و طلبوا منه الذهاب معهم، مؤكدين له انه مُتّهم بالتآمر على البلاد! و خلق الفوضى والمشاكل، و ان الحكومة لديها وثائق بهذا الشأن. لكنه رفض الذهاب معهم فضربوه و ضربهم. و في نهاية الأمر شدّوا رجليه و يديه، و اخذوه معهم وابعدوه الى خراسان، و من ثم الى منطقة (خواف) القريبة من حدود افغانستان، ووضعوه تحت الإقامة الجبريه.

و فرضوا عليه هناك حصاراً كبيراً الى درجة كان لايعلم شيئاً عن اوضاع البلاد، بل و حتى عن أبسط المسائل.

استشهاده

و بعد احد عشر عاماً ابعدوه الى مدينة كاشمر. غيران رضاخان الذي كان قد جعل من نفسه ملكاً على ايران لم يتخلّ عن حقده على هذا الرجل المؤمن، اذ بعث بمرتزقته ليغتالوه.

فاقتحم هؤلاء بيت مدرّس في السادس والعشرين من شهر رمضان عام ١٩٣٧، وطلبوا منه ان يتناول الشاي الذى القوا السمّ فيه. و مدرّس الرجل المناضل، الشجاع، الملتزم الذي ظل صامداً الى ذالک الوقت لم يتوسل بهم، و لم يبدِ اي تخاذل. تناول الشاي، و قام ليصلي. و

في هذه الاثناء كان الاعداء ينتظرون موته بفارغ صبر، لكن السّم لم يفعل فعلته. لذلک قاموا اليه و خنقوه بعمامته.

سقط شهيداً..... و انار باستشهاده مع غيره، الطريق لابناء الشعب الايراني، و علّمهم كيف يجب ان يدافعوا عن الحق حتى آخر قطرة من دمائهم.

• المصادر:

١ـ (شهداى روحانيت شيعه در يک صدساله اخير) بقلم علي رباني خلخالي.

٢ـ (تاريخ بيست ساله) بقلم حسين مكي

٣ـ (صحيفة كيهان) باللغة الفارسية.

٤ـ (صحيفة اطلاعات) باللغة الفارسية.

٥ـ (مجلة اعتصام) باللغة الفارسية.

٦ـ كتاب (روحانيت مبارز) المجلد الاول.

الإعلام النازي من جديد

الاستاذ فؤاد كاظم

غوبلز وزير اعلام هتلر ابان الحكم النازي قبل وأثناء الحرب العالمية الثانية.. كان غوبلز هذا وراء الاعلام الفريد الذي صوّر للشعب الالماني عظمة هتلر الوهمية وخلود الرسالة المختلقة للقومية الجرمانية، فاندفعت الشعوب الالمانية بمشاعر غريزية بعيدة عن ادراك الواقع الحقيقي.. و هنا توّج غوبلز فنونه الاعلامية بتصوير الشعب الالماني على انه النقي الفريد وانه الوحيد الذي يستحق الحياة الممتازة، و هو الوحيد الذي يجب ان يحكم العالم.. فسالت أنهار من الدماء وأزهقت ملايين الارواح البشرية وهدّمت مدن بكاملها على اهلها و شرّد الملايين في العراء، و كاد العالم ان يحترق... و لم تكن لغة غوبلز الاّ لغة الانتصار الباهر و مزيداً من العنف والحرب لغزو العالم والسيطرة عليه... و انتهت الحرب العالمية الثانية و اندحر هتلر و انتهى غوبلز, ولكن من سنّ سنّة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة، فقد عاد غوبلز ليس بشخصه ولكن بنظريته وفنونه، و ليس مع شخص هتلر و انما مع امثال هتلر من طواغيت العصر، و لعل من أبرزهم في المنطقة الاسلامية صدام التكريتي... فعادت أنغام غوبلز في عظمة صدام الوهمية و خلود الرسالة المختلقة للقومية العربية، و حسب صدام وزمرته أنهم بذلك يستطيعون دفع الشعب العراقي و الشعوب العربية بمشاعر غريزية كتلك التي انتابت الشعب الالماني أيام الحكم النازي... و حسب انه يستطيع أن يثير الوهم في اعماق شعب أبيّ طرد الغزاة الإنجليز في وقت كان صدام في صلب أبيه، ذلك الأب الذي نبت لحمه وقوي على فتات السفارة البريطانية في بغداد، و حسب انّ اقحام الجيش العراقي في معارك جنونية سيحقق له أحلاما هتلرية في التوسع والسيطرة و البروز في عالم القيادة و العظمة... حتى لو أفنى الشعب كلّه... قلنا انّ نظرية غوبلز و فنونه ظهرت من جديد في اعلام البعث في العراق... فما هي فنون غوبلز في الاعلام؟ و ما هي مصاديق عودتها الى الحياة في اعلام البعث العراقي؟

انّ نظرية غوبلز وابداعاته الخاصة في الدعاية والاعلام تعتمد على خمس قواعد أساسية:

القاعدة الاولى: (اعتماد اسلوب الدعاية كسلاح موجه بدون تمييز الى جميع الاهداف المطلوبة)[1]

"...بتعبير آخر، ان للدعاية مضمونا و هدفا... و ليس بين الدعاية هذه و مضمونها اية نوايا حقيقة يراد تحقيقها، فمضمون الدعاية يحكي شيئا والهدف المطلوب تحقيقه شئ آخر يكون عادة على هوامش هذا المضمون...

فمثلا عندما برمج غوبلز دعايته الهتلرية على هذه القاعدة... اختار نموذجا لها و هو التبشير أولا بالعرقية أي بالقومية الجرمانية... و بعد تركيز هذه الاحاسيس العرقية في الشعب الالماني بدأ بدورة اعلامية جديدة على امتداد الوجه الاعلامي السابق فأعلن ان الشعب الالماني يحارب «من أجل الدفاع عن الحضارة المسيحية»[2]. . . واستمر يؤكد على هذا المضمون الدعائي ولكنه في واقع الامر لا يعترف بحقيقة قائمة و هي أن الحضارة المسيحية هدف حقيقي يريد هتلر و غوبلز تحقيقه على يد الشعب الالماني... فهذا المضمون الدعائي ليست وراءه أية نوايا صادقة في الواقع الخارجي.

انما هناك أهداف هامشية يراد تحقيقها من خلال هذا المضمون الدعائي... فبعد انشداد الشعب الالماني الى المفهوم والشعار المتمثلين بالاتجاه العرقي والتعصب للعنصر الجرماني تبدأ مرحلة تأطير المسيحية و استثمارها في الدائرة القومية بهدف تعبئة اكبر كمية ممكنة من الكتل البشرية و تجنيدها أفواجا جديدة في الحرب المستعرة لاحكام السيطرة الهتلرية على العالم.

هذا الفن الدعائي و الاسلوب الاعلامي الذي ابتدعه غوبلز و برع بتطبيقه في خدمة الاطماع الهتلرية في العالم... عاد اليوم الى الحياة من جديد و على يد هتلر صغير في المنطقة الاسلامية، و هو صدام التكريتي، فخبراء اعلامه و منذ أمد ليس بالقصير يبذلون جهدهم لاغواء الشعب العراقي و الشعوب الاسلامية في المنطقة وخداعها بشعارات مزيفة حتى لا تستعد بالشروط اللازمة و امـ[illegible] [illegible] لها... فقد رتب [illegible] عسكريين لعملاء وتثقيفهم لترويج لقومية عربية و حضارتها التليدة و زرعتهم في قلب البلاد الاسلامية، وكان من عمل لهم هو فتعل صور شكلية من الصراعات القومية في المنطقة أفرزت حالة من التوجه نحو أحزاب و تنظيمات قومية ذات مسوح تقدمية كان من ابرزها حزب البعث العربي الاشتراكي... و من خلال مسرحية الصراع السياسي المفتعل استطاع الوصول الى الحكم ليؤدي دوره المرسوم في الوقت المناسب.... وجاءت الثورة الاسلامية العملاقة لتهدّم الكثير من آمال أوربا الكافرة و احلامها في الشرق الاسلامي...

واندفع العملاء في المنطقة و في مقدمتهم صدام التكريتي في الكيد للثورة الاسلامية المظفّرة، و تصاعد الحقد الدفين للاسلام وثورته الى حدّ شنّ حرب قائمة على أخسّ نعرة جاهلية ألا وهي النعرة العرقية و القومية... ووجد هتلر الصغير صدام وزمرته الفاشيّة ضالّتهم في هذه القاعدة من فنون الاعلام و الدعاية لعظمة صدام

(١ و ٢) الدعاية السياسية ـ تأليف: جان ماري دومناك ـ ترجمة جلال فاروق الشريف، ص ٥٠.

همية و خلود الرسالة المختلفة للقومية العربية هجوا نفس المنهج الذي سارعليه استاذ هم بلز... فقد أخذ الاعلام البعثي يسير ما غرزه ستعمار البريطاني منذ غزوه للعراق من نعرات مية وطائفية و شيّد عليها صرحا سفافا عائدا... ثم تحوّل الى بدعة الاسلام العوبي ، حضارة العرب الاسلامية.

وطرحت الشعارات الخادعة على لسان قادته شال (ميشيل عفلق) كشعار (كان محمد كل عرب فليكن كلّ العرب محمدا)... في محاولة نهم لتحجيم النبي محمد(ص) من رسول الله للانسانية جمعاء الى رحل العرب العبقري قط... واستطرد اعلامهم المحابل في مقولا ته مفتعلة كمقولة «ان العرب هم الحصن الحصين للاسلام»[1] ...وفي الوقت الذى أمعن صدام رفاقه البعثيون في حرب الاسلام و رجاله تصفية ركائزه الفكرية و قتل علمائه لمجاهدين... راح جلاوزته يختلقون أحاديث كاذبة على رسول الله(ص) كالحديث المختلق لقائل (اذا ذلّت العرب ذلّ الاسلام)[2]... و يؤكدون بكل ما أوتوا من ترترة و لغو على أنّ لعروبة والامة العربية هي المقصودة بالآية لكريمة (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر)[3]... فهي تحمي دينه من تحريف القوميات الاخرى... و بهذا يتم تحويل الأنظار و العقائد من الايمان بالاسلام كدين و شريعة الهية لكل الناس على اختلاف قومياتهم و ألوانهم الى اسلام عرقي قومي لا يعدو العرب بل و ليس كل العرب انما العرب الذين يختار هم الاسياد في أوربا و عملاؤهم في المنطقه فقط... فمثل هذا الاعلام لا يستهدف الانتصار للعرب و لا للاسلام ولا حتى للاسلام القومي انما الهدف هو تحقيق حالة التعصب والجموح، تتحمع على أساسها الشعوب العربية في العراق وفي غيره و يتحسسون بها تحسسا عصبيا تجاه القوميات الاخرى حتى وان كان أهلها مسلمين متدينين... و يندفعون بتوجيهات العملاء الفتنة لحربهم متأثرين بهذه العصبيات الجاهلية المقيتة .... و بهذا يغيّر مفهوم الاخوة الاسلامية بين القوميات والشعوب المختلفه و أحاسيسها الى حقد و تعصب بينها... فهذا فارسي و هذا كردي والآخر تركي... وأكثر من ذلك هذا عراقي و هذا ايراني و ذلك سوري. فاذا أضيف اليها عامل الحرب واراقة الدماء تأصّل الحقد والتعصب وتحول الى غضب لا يهدأ الا بسفك الدماء وهتك الاعراض وهدمت المدن على أهلها... هذا ما كان يريده غوبلز و هتلر ابان الحكم النازي... و هذا ما يريده اليوم عفلق وصدام في اعلامهم البعثي و سياستهم العصرية... و فاتهم أنّ جهود الانبياء والأئمة صلوات الله و سلامه عليهم و العلماء المجاهدين على خطهم قد غرسوا غرسا أصله ثابت و فرعه في السماء لا تناله يد الاقزام من أمثال عفلق و صدام و أسياد هم المستعمرين... و ابرز دليل على ذلك هو رفض الشعب العراقي التطوّع في قوّات صدام المهزمة و فرار الآلاف من صفوف الجيش العراقي

(١ و ٢) صحيفة الوطن، العدد ٢٤٩٣ بتاريخ ١٩٨٢/١/٥ م — الوساطة لوقف حرب العراق و ايران — ابوفراس الحمداني (البعثي المعروف حسن العلوي).

(٣) سورة آل عمران — آية(١١٠).

والتجاء آلاف اخرى منهم و تسلمهم الى القوات الاسلامية في ايران.

القاعدة الثانية: (تجريد الاعلام والدعاية من الاهداف المشخصة و المحددة ... تموج في اطار أهداف عامة و اثارات عارمة يجمعها عامل الافراط في الاثارة والحقد والرعبة في السيطرة الى أبعد أعماقها)[1]

... مثلا اتبع غوبلز الاسلوب الدعائي المثير القائم على اساس التمجيد المفرط بالدماء ... للعرق ... جمهور متعصب للعرقية برز قائد يشبع له طموحاته العصبية هذه ذلك هو هتلر، فليس على هذا الجمهور المحموم الآن يردد «يعيش هتلر.. تحيا النازية» الى آخر الهتافات المعدة على هذا النمط من ... غوبلز ... في اعلامه هي النداءات الحربية الموجهة للمقاتلين تدفعهم نحو مزيد من ... وتحفز كل ... لاكتساح أراض جديدة من بقاع العالم ترافقها اللعنات الغوغائية و التهديدات الاسطورية والتنبؤات الغامضة بالنصر المحتم... كل هذه الاساليب لم يكن لها واقع حقيقي في الخارج... غاية ما تستهدفه هو المزيد من الاثارة والتعصب و الهياج لتعبئة أكبر عدد من الجنود المقاتلين وزجهم في لهوات الحروب الضارية... و اذا كان على هذا الاعلام أن يقطع الوعود، فان هذه الوعود لا تعد و أن تكون وعودا جوفاء لا يدركها الانسان بل انها تؤثر فيه عند ما يكون على درجة من الاحاسيس العصبية والانفعالات الهائجة، ... ... الواقع الخارجي من آثار رهيبة و دمار ... هنا لا بد من الوعود الكاذبة كتلك التي أطلقها هتلر و ... بها نساء المانيا عند ما قال لهن «عند ما نصل الى السلطه فان كل امرأة المانية ستحصل لنفسها على زوج»[2]، فانخرط أكبر عدد من ... الحزب النازي و تبعهن الرجال تأثرا بهن.

على ذات القاعدة هذه سار اعلام البعث في العراق و ... الروح طرح صدام مقولاته العائمة... لم تكن هذه المقولات كلاما ... يطلقه صدام انما هي ... اعداد و تحصر لكل ... يطرحها وان كانت هذه المقولات بلغته ... المفككة ... من خلال خطاباته أو من خلال تصريحاته للصحف والمجلات الأجنبية كمقولته التي كررها عدة مرات «ان الشعب العراقي تحول كله الى جيش مقاتل»... «و ان العدو لو جرب أن يدخل أراضينا فستحطمه أو يستلم أرضا بلا ... في داخل بيته ...»... مجرد اثارات و عبارات عائمة لا تجد لها في موازين المنطق الواقعي اي رصيد من الحقيقة... الهدف الرئيسي منها هو ايجاد حالة من التحسس والانفعال تثير أبناء الشعب تجاه عدو مفترض يجب أن يتعبأ و يستعد لقتاله.

...

---

(١) الدعاية السياسية — تأليف جان ماري دومناك — ترجمة جلال فاروق الشريف — ص ٥١.

(٢) الدعاية السياسية — ... جان ماري دومناك — ترجمة جلال فاروق الشريف — ص ٥٣.

ليزج في اعلامه تصر بحاب غائمة أيضا بعد أن كانت مجرد ملصحاب واثارات غامضة، **فيقول صدام في تصر** يحاب لاحقة «**اننا مضطرّون لأن نقسّم ايران الى دو يلات متعددة**». ثم يصرح **اكثر فيقول(نحن عازمون على تقسيم ايران الى دو يلات متعددة)**، و يسرفي **تصر بحاته المثيرة ليضرب على أوتار العصبية العرقية مثيرا بها القوميات الاخرى في ايران ضدّ القومية الفارسية**، فيقول(ان الامام الخميني وجماعته **من الفرس وهم معروفون بعنصر يتهم للقومية الفارسية و لهذا هم يحاربون السيد شر يعتمداري لأنه من الترك و يحاربون الشيخ عزالدّين حسيني لأنه من الأكراد و تصدوا للشيخ طاهر شبّير خاقاني لأنه من العرب و هكذا...**)

هنا يبدأ صدام و اعلامه بالدعوة للدولة الكردية ولدولة أخرى تركية و يركز على حلم قيام امارة عربستان في جنوب الجمهورية الاسلامية في ايران وهكذا... فكانت الحرب العراقية – الايرانية على اساس هذا الاعلام الفاشي نتيجة طبيعية لهستير يا الصراع المختلق بين القوميات المختلفة و أثرا من آثار الدعوة للعصبيات العرقية و الطائفية... بالضبط كما فعل غوبلز و هتلر عند ما عزما على غزو العالم مرورا بتمز يقه الى قوميات تعيش الصراع العصبي الدموي ليتمكن بعدها هتلر هذا من السيطرة عليها بأسم الدماء النقية و الامة الممتازة للقومية الجرمانية...ولابدّ للدعاية الكاذبة أن تلعب دورها في هذا المضمون الاعلامي فنجد في بيانات صدام وخطاباته و نداءاته اثارات تحجب رؤ ية أبناء الشعب للواقع الحقيقي وتغرقهم في أوهام وأحلام ينساقون معها بلا هدف و لا غاية محددة... وانتفع صدام كثيرا بنصيحة قدوته الفاشية (موسوليني) من مقولته الشهيرة« ان الانسان الحديث مهيّأ بصورة مد هشه لأن يصدّق»[1]

و كان الاجدر بصدام وزمرته الاعلامية ان يعتبروا بنهاية موسوليني و هتلرو أضرابهما من طواغيت البشر أين هم الآن؟ و أين هي مقولاتهم الجنونية؟

وسيكشف الغد القريب ان صداما لا يملك اويسوس شعبا كالشعب العراقي و لا يستطيع أن يغر يه بهذه الاكاذيب الاعلامية حتى لو كان غوبلز بين يديه.

القاعدة الثالثة: «اعتماد تفوّق السيطرة للصورة على التعليل و تفوق المحسوس العنيف على كل ما هو عقلاني»[2].

أي بتعبير آخر الاعتماد على المقاييس الحسية و تطبيع المجتمع عليها و اضعاف المقاييس العقلية و تحو يل الادراك الانساني عن العمل بها...

مثلا يقول هتلر:(ان الشعب بغالبيته العظمى يكون في حالة استعداد وفي حالة ذهنية انثو ية الى درجه أن آراءه و افعاله يحددها الانطباع الذي يرتسم على حواسّه اكثر مما يحددها التفكير الصرف)[3].

...و كان لهتلر تطبيقات مثيرة جدا تحوّل المشاهد أو المستمع الى كتلة ملتهبة من المشاعر و الا حاسيس المفرطة بالانبهار

(١، ٢، ٣)الدعاية السياسية – تأليف جان ماري دومناك – ترجمة جلال فاروق الشر يف – ص ٥٢.

والتعجّب، فمثلا كان يرافق صعوده الى منصة مؤتمر نور برغ قرع الطبول المثير الموافق إيقاعه مع خطوات هتلر... و من الأمثلة أيضا الأزياء العسكرية التي كان يتميّز بها هتلر و عسكره... و شكل التحية التي اشتهرت فيما بعد بالتحية الهتلرية و كذلك الصور المتنوعة للاستعراضات العسكرية و الشعبية... انّ هذا الاسلوب الخادع الذي يركّز على الحس و المقاييس الحسيّة في التقييم و التأثير يركز على استعماله كافة الساسة و الحكام المعاصرين الذين لا يمتلكون أي رصيد شعبي من التأييد والاسناد الجماهيري... ومن أبرزهم صدام التكريتي، فقد اغرته هذه الاساليب و الفنون الهتلرية ولكن بشكل يتلاءم ويتناسب مع طبيعة المجتمع العراقي من جهة و مع آخر التطورات في فن التصوير والاخراج السينمائي من جهة أخرى... فنراه مرة و هو باللباس الشعبي لأهل الجنوب يجول في قراهم و يدخل بيوتهم و يأكل من خبزهم — طبعا هذا لا يتناقض من الناحية الفنية لا العقلانية مع حمل أسلحتهم و سوقهم راغمين الى القتال من أجل مجده الشخصي و مصالح اسياده المستعمرين — و مرة أخرى تراه يدخّن (الچروت) الامريكي و يلبس القبّعة الاجنبية ليظهر بمظهر الرجل العصري الذي يحاكي أقرانه من رؤساء أمريكا و روسيا و فرنسا... و مرة ثالثة نرى الكامرة السينمائية ترافقه في مناطق عسكرية يدّعي أنها جبهات القتال ليزورها و يتفقد شؤون العسكر فيها ثم يمارس دور البطل الشجاع في المعارك فيضرب بيده المجرمة صاروخا من نوع أرض — أرض على المسلمين في ايران ليهدم دورا على أهلها و يحرق من فيها... ثم يتابع المخرج مسرحيته مع صدّام هذا فيظهره و هو يشارك ما يسمى بالجيش الشعبي و يحمل معهم قاذفة (آر — بي — جي) و يرمي بها قذيفة يعبّر عن بطولته و موقعه القيادي بينهم... ومنزلة الأوسمة للهاربين الجبناء من لهيب مقاتلي الاسلام الشجعان، والتي يظهرهم فيها و كأنهم رجال المعاجز الخارقة والبطولات النادرة فيغريهم و يغري الآخرين بأوسمة رمزية لا تدفع موتا و لا تجلب سعادة، خاصة لمن ذاق هول المعارك الضارية مع أبطال الاسلام و رجاله... و هذا لا نجده في تقليعات صدام المسرحية و ممارساته الدعائية فقط انما نجد أنظمة بكاملها تقوم على شدة الفاعلية... وعلى سيطرة الصورة والمحسوس المثير على ما هو عقلائي... فخذ مثلا النظام العسكري للجيوش العصرية كالجيش العراقي الذي وضع نظامه الاجنبي منذ عشرات السنين، نراه يركّز كثيرا على الزيّ العسكري و القيمة الخاصة للاوسمة و النياشين العسكرية والتحية والايقاع و نحو ذلك من شكليات الشعور بالصورة و الرموز و سيطرتها على مشاعر و أحاسيس العسكري و بالتالي الخضوع التام لإيحاءاتها و كل المواقف والاوامر العملية عليها. ان الاسلام في أنظمته و تشريعاته لا يهمل الجانب الحسّي من حياة الانسان، انما ينطلق منه الى مراتب الكمال والسمو الى الله تعالى... بخلاف الانظمة المادية فهي تكرّس الواقع المادي و تحجّر الانسان في طوقه الضيق وتحوّله الى كائن غريزي لايملك الاّ الاستجابة وفق غرائزه الموجّهة بتوجيهات أنظمة الاعلام الخادع هذه.

القاعدة الرابعة: (قاعدة الصدام الغريزي القائمة على أساس نظرية بافلوف في المنعكسات الشرطيّة و التي تضرب بجذورها في أشد مناطق اللاوعي الجماعي ظلاما)[1].

وحتى نتمكن من توضيح هذه القاعدة لا بدّ لنا من بيان أسس بافلوف في المنعكسات الشرطيّة التي تقوم عليها هذه القاعدة الاعلامية:

ان الاساس الأول لبافلوف هو ايجاد المنعكسات الشرطية و تشغيلها. والاساس الثاني هو استخدام المنعكسات الشرطية المشتغلة وفق الايقاع الضروري لحلول حالة الخدر وانعدام الادراك والارادة... ولنر كيف يتم تطبيق هدين الاساسين في الاعلام الهتلري.

الاساس الأول: — اعداد المنعكسات الشرطية التي تربط بين هيكل الدعاية و بين أهدافها المحددة و المتوافقة مع هدف ترو يض الجماهير والسيطرة عليها...

فالسعادة مثلا هدف يسعى له جميع الألمان... و ابراز عظمة العرق الجرماني وامتيازه على كل القوميات و الشعوب هدف ترغب فيه الجماهير الألمانية المتعصبة...

و هكذا بالنسبة للاهداف الاخرى... فكيف تتم سياسة هذه الجماهير و السطرة عليها وفق هذه النظرية؟

الجواب هو تحديد وسط شرطي أو مجموعة وسائط شرطية تتوفر فيها كل عوامل الاثارة لاحاسيس الجماهير و مشاعرها و ذلك بحقيقة هذه الوسائط الشروطية و رهبتها... فبدلا من الاعتماد على التعديلات الفكرية و أساليب الاقناع العقلي التي تتعب عقول الغالبية من الجماهير البسيطة التي اعتادت على الاثارة الحسيّة والانفعال الغريزي... يكون من الافضل والاسهل — حسب رأي غوبلز — أن نقيم مجموعة من الوسائط السرطة بين هذه المشاعر والاحاسيس و بين هدف السعادة المزعومة للالمان و عظمة العرق الجرماني و امتيازه.....

و يمثل هذه الوسائط شخص معين تفرزه الاحداث والدعاية الموجّهة ليكون الزعيم والقائد والرمز الذي يحقّق هذه السعادة ويكسب المعركة لصالح عظمة الألمان... و كذلك يكون دور الشعارات و النداءات والرموز الاخرى...

ان المهم في هذا الزعيم و هذه الشعارات والرموز هو مدى فعاليتها في تطويع الجماهير واخضاعها بحيث ترضخ لأوامر هذا القائد المزعوم و توجيهاته واتجاهات الشعارات والرموز فيشتد طمعها في الاقتراب منه والتزلف اليه لكسب المزيد من المغريات الموعودة من جهة والوقاية من بطشه و تنكيله بالمعارضين له من جهة أخرى...

لذا كان هتلر هو الشخصة التي يرهبها الألمان و يتقرّبون اليها أملا في تحقيق الكثير من المغريات التي وعدهم بها... فهو الشخصية المغرية المرعبة في آن واحد... و هكذا بالنسبة لشعار الصلب المعقوف الذي يرمز الى التاريخ الاسطوري للجرمانيين المتعصبين الذين أمعنوا في سفك الدماء والتدمير حفاظا على نقاء الدم الالماني و نقاء الأقوى و امتيازه على سائر الدماء... والتحية الهلرية هي الاخرى وسط شرطي متير، و كذلك صور القائد التي توزع و تنشر

---

(١) الدعاية السياسية — تأليف جان ماري دومناك ترجمة جلال فاروق الشريف ص ٥٣.

بالملايين في كل مكان، كافية لأن تطبّق على مشاعر الشعب الالماني بأكمله و تجعله يسير بلا وعي ولا اراده وراء هذا القائد الاسطوري المرعب.

الاساس الثاني: —هو التكرار المنظّم لهذه الشعارات و الرموز و الهادف الى خلق حالة انعدام الادراك و الارادة لدى الشعب و المحافظة على خضوعه المستمر و طاعته الدائمة... و هنا تأتي الحاجة الى انزال العقوبات التي تتصاعد شدّة كلما لوحظ أن الشعب بدأ يدرك و يفكر و يريد الخروج من دائرة تفكير القيادة و ارادتها... فترافق الرموز والاناشيد و الشعارات، العقوبات القاسية التي توحي بالنهاية المرعبة... فالرموز والاناشيد والشعارات تثير الحماسة و العقوبات القاسية تثير الرعب... (فالصليب المعقوف أي الصورة الرمزية البسيطة تستحيل على حد تعبير «تشاخوتين» الى علامة تهديد تثير صورة لاشعورية المحاكمة التالية: «هتلر هو القوة، القوة الحديدية الحقيقية... و مادام العالم كله مع هتلر، فانه يجب عليّ و على رجل الشارع أن نفعل الشيء نفسه اذا أردنا ان لا نسحق»)[1]

ان المهم في هذا الاساس هو التأكيد بأن يعيش الشعب حالة من انعدام التفكير و الارادة أمام تفكير القيادة و السلطة الحديدية التي تحكمه وارادتها.

و على هذا حاول صدام التكريتي أن يؤسس اعلامه مقلدا بذلك النازيين و متكلفا تطبيق هذه القاعدة على الشعب العراقي الأبيّ... و لنأخذ بعض النماذج التطبيقية على ذلك:—

النموذج الاول:— طريقة التعامل الاعلامي مع العسكري العراقي و اخضاعه لأوامر القيادة في قتال المسلمين في ايران و تدمير قراهم ومدنهم... فهو في الوقت الذي يظهر من خلال الصحف و الاذاعة و التلفزيون انتصارات الجيش العراقي و احتلاله لأراضي المسلمين في ايران، يقوم بدور الاغراء الوهمي المفرط بالأشياء، و ذلك بتقديم الاوسمة الحربية و شروعه العسكرية و الهبات العينية و النقدية لبعض العسكريين ممن يدّعي شجاعته في المعارك، و بنفس الوقت تعمم في كل الوحدات العسكرية و من ايران عقوبة لاعدام مجموعة يدّعي أنه فرّت من أرض المعركة ... بشكل يوحي بالرعب والنهاية المحتومة لكل من لا يطيع أوامر القيادة و لو كان فيه حتفهم. فكلّما شاهد أوسمع العسكري صور المكافآت و أخبارها عاش حالة من الاغراء و الامل في كسب شيء من هذه العطايا والهبات... و كلّما شاهد أوسمع وقائع الاعدامات و أخبار بعض العسكريين الذين فرّوا من ساحة المعركة أوترددوا في طاعة أسيادهم من القادة البعثيين، انتابته حالة من الرعب و الخوف... و تستمر هذه العملية المزدوجة و تشتد و تخف حسب الحاجة، الى أن يصل العسكري لدرجة انعدام التفكير و الارادة و يستسلم صاغرا لأوامر القيادة البعثية.

النموذج الثاني: — الطريقة الاعلامية في التعامل مع ذوي العسكري العراقي — خصوصا ذوي قتلى الحرب — بهدف امتصاص النقمة والغضب الذي ينتابهم بسبب قتل أحد رجالهم

---

(١)الدعاية السياسية — تأليف جان ماري دومناك — ترجمة جلال فاروق الشريف — ص ٦١.

(زوج أو أخ أو ابن)، فنجد وسائل الاعلام طافحة بأخبار الهبات و العطايا (من أراض ودور وسيارات وأموال نقدية و عينية) الى دوي القتيل و بنفس الوقت تسلّم جثث بعض القتلى الى ذويهم و قد كتب عليها (جبان)، و يحرم أهله من كل هذه العطايا و الهبات... بل و تلاحقهم اللعنات المتتالية و التشهير الهادف لإذلالهم... كل ذلك من أجل تحقيق حالة من الرضا لدى سائر عوائل قتلى الحرب بحيث يقتنعون بل ويفرحون أحيانا – بالنسبة لبعض العوائل الساقطة – بما حصلوا عليه من عطايا و هبات مادية.... وتستمر هذه المسرحية الى حدّ خلق حالة اجتماعية توحي للأسر بالرضا و القناعة بما يجري على ابنائها و رجالها من قتل و فناء..... وخوفا من أن يلحقهم التشهير و الإذلال والحرمان.

النموذج الثالث:– الاعلام العنصري وحملة التهجير الوحشية... هذا النموذج له خصوصيّة من زاوية احتوائه لحالة مركبة من تطبيقات قاعدة بافلوف في الاعلام... فالعوائل العراقية – مهما كانت عريقة و أصيلة في انتمائها لوطنها العراق – وضعت بين خيارين:

الخيار الاول: الرضوخ لسياسة حزب البعث و الانتماء لها و التسليم التام بقيادة صدام التكريتي و الالتزام الكامل بكل توجيهاته ورغباته حتى لو أراد منهم تقديم أبنائهم و رجالهم قرابين له في حربه الظالمة لمسلمي ايران.

الخيار الثاني: تسفيط الجنسية العراقية عنهم و سلب أموالهم و شحنهم في سيارات مكشوفة بعد احتجاز رجالهم في السجون ورمي من تبقى منهم من النساء و الاطفال و الشيوخ على الحدود و تحت البرد و المطر و غارات قطاع الطرق و ذلك بتهمة أنهم من التبعية الايرانية... فهناك اغراء بالبقاء في العراق مشروط بالانتماء والولاء التام لحزب البعث والانقياد المطلق لأوامر صدام التكريتي، و هناك في نفس الوقت تهديد مرعب و وعيد لمن يرفض هذا الانتماء و الانقياد... أما العوائل العراقية التي لم يأت دورها بعد أو أنها رضخت بعض الشيء لإرادة طواغيت البعث في بغداد، فتعرّض لحملة اعلامية أخرى تحتوي على اغراء و تهديد آخر و باطراد منظّم، وذلك بهدف الابقاء على حالة الانهيار و انعدام الارادة لدى هذه العوائل امام الاغراء المستمر و التهديد المتواصل...

فتظهر مجموعة اشاعات تعقبها إعلانات رسمية في الصحف و الاذاعة و التلفزيون و من خلال المؤسسات الرسمية مفادها إنّ من يطلّق زوجته العراقية ذات التبعية الايرانية يصرف له مبلغ قدره (٤٠٠٠) دينار عراقي مع الاحتفاظ بكل حقوقه الفانونية في المواطنة والعمل، و من لا يطلّق هذه الزوجة أو يتزوج مثلها فعقوبته الفصل من الوظائف العسكرية و الرسمية و يحرم مع أبنائه من بعض حقوق العمل، بل و يهدد بالرمي على الحدود شأنه شأن المبعدين الذين سلبت أموالهم... فمثل هذه العوائل ستعيش اغراء و رعبا مركّبا بين المغريات و بين العقوبات القاسية و التشريد الوحشي فتعيش حالة من الانهيار المعنوي والتسليم القسري بل حتى العبودية اللاشعورية للطاغية صدام و حزبه الكافر... هذه هي اساليب صدام الاعلامية التي ورثها عن أساتذته في العنصرية المقيتة و السادية

الجنونية الموغلة في الظلم و التدمير و سفك الدماء...

القاعدة الخامسة: (تجريد الواقع المستهدف بالدعاية و الاعلام من كل أنواع الدعايات الاخرى و التعتيم التام على كل ما لا تبثه وسائل الاعلام النازية في الداخل والخارج)

و بتعبير آخر ازالة و تصفية كل الحواجز التي تزاحم أو تقف أمام الاعلام النازي ليبقى الشعب وجها لوجه دون دفاع أمام تحريض و اثارة الدعاية النازية فقط...

«فالحزب والزعيم موجودان في كل مكان، في الشارع وفي المصنع، وحتى في المنازل على جدران الحجرات، و الصحافة والسينما والاذاعة تردد بدون انقطاع معزوفة واحدة»[1].

وغني عن البيان ممارسات نظام البعث في العراق و سياسته الاعلامية على اساس هذه القاعدة الهتلرية التي تحرّم ظهور أيّ فكرة أو خبر و انتشارهما مالم تنطبق عليهما ضوابط الاعلام والدعاية البعثية... فحزب البعث وصل الأمر به الى احتكار كل شيء حتى الافكار و الكلمات غير البعثية بين افراد الاسرة الواحدة و داخل المسكن الواحد... فلا يجوز طرح شعار غير شعار «أمه عربية واحدة — ذات رسالة خالدة»، و حتى الاسلام فهو تراث للامة العربية، فلا يجوز طرحه الاّ في اطار هذا المعنى المحدد... و ذكر الرسول الاعظم محمد(ص) يجب أن لا يخرج عن مقولة مؤسس حزب البعث الصليبي المعروف ميشيل عفلق (كان محمد كلّ العرب فليكن كلّ العرب محمدا)... فلا يجوز ذكره برسول الله انما هو رسول العرب وحسب، و الذين يدرسون في المدارس و الجامعات الاسلامية العريقة كجامعة النجف و كربلاء والكاظمية و سامراء يجب أن يكونوا عربا فقط و موالين لحزب البعث العربي الاشتراكي الممثل الوحيد للعرب. فكل من لا يثبت ولاؤه لحزب البعث ليس بعربي حتى لو انتسب الى قريش و الى رسول الله(ص)، و عليه يجب اخراجه أو تصفيته أو كتم أنفاسه... و من هنا نفسّر حملات التسفير الوحشية لطلبة العلوم الدينية من النجف وكربلاء و الكاظمية و سامراء و بدون تمييز بين العربي اللبناني أو البحراني أو سعودي وغيرهم من العرب و بين الطلبة و العلماء المسلمين من القوميات و الدول الاخرى كالايرانيين والباكستانيين و الافغانيين و الاتراك.. و ما رافق ذلك من حملات الاعتقال و التعذيب و الاعدام شملت حتى المراجع و كبار العلماء والمفكرين كان في مقدمتهم آية الله العظمى الامام الشهيد السيد محمد باقر الصدر «قدّس سره»

حتى الفن بكل مفرداته تحوّل الى رموز وشعارات بعثية... و حتى التأريخ المسطور يجب أن تعاد صياغته ليمثل تأريخ حزب البعث فقط... بل و حتى الفقه الاسلامي لا بدّ أن يحرر من جموده حسب ادّعاء صدام في احدى خطبه الهزيلة و يعاد بناؤه على اساس مدرسة الاجتهاد البعثي العربي الاشتراكي على يد علمائه من امثال الصليبي ميشيل عفلق «والفيلسوف» صدام التكريتي...

---

(١) الدعاية السياسية — تأليف جان ماري دومناك — ترجمة جلال فاروق الشريف — ص ٥٥.

والآ فيكتفي بروحه فقط التي لا تعدو الرموز الاثرية و العناوين الشكلية... فالحزب القائد حزب البعث فقط، والقائد العربي صدام التكريتي وليس آخر غيره، والشعار الواحد «أمة عربية واحدة — ذات رسالة خالدة» والهدف الواحد «وحدة — حرية — اشتراكية» و ما تبقى يمليه الاسياد على العملاء و قائد هم صدام ليعلن على الشعب والامة حسب البرنامج الاعلامي الهادف الى تبعيث الشعب و تطويعه للحزب والقيادة، فالعين لا ترى و الاذن لا تسمع سوى البعث و صدام و العروبة... و اذا اضطروا لاقامة جبهة قومية و وطنية تقدمية فليست سوى وسيلة لتذويب القوى السياسية الاخرى باتجاه وحدة الشعارات و المفاهيم البعثية المطروحة، وتحجيم تلك القوى في اطار قانوني و اعلامي صارم لا تخرج عنه... و بالتالي تحويل هذه القوى من الاتجاه المعارض الى الاتجاه الموافق لافكار حزب البعث وسياسته و من ثم احتواؤها في تشكيلات الحزب و السلطة و واجهاتها.

و يساعد في ذلك منع دخول أيه صحيفة أو مجلة غير بعثية أو غير موالية للبعث في العراق، كما يمنع القانون و يعاقب أشدّ العقوبات على سماع اية اذاعة معادية للبعث العراقي... أما المنشورات و المطبوعات السياسية غير البعثية فمن وجدت بحوزته فمصيره التعذيب حتى الموت أو الاعدام.

هذه أبرز تطبيقات الاعلام البعثي في العراق لهذه القاعدة الاعلامية التي برع تطبيقها أيام الحكم النازي في المانيا الهتلرية.

موقف الاسلام من نظريه غوبلز، والفوارق الأساسية بينها وبين الاعلام الاسلامي

أولا: ان من أبرز الفوارق الاساسية بين مبادىء الاعلام عند غوبلز و تطبيقاتها في الاعلام البعثي و بين مبادىء الاعلام الاسلامي هي طريقة تأثيرها في الانسان و المجتمع... فاعلام غوبلز و تطبيقاته البعثية تهدف بشكل أساسي الى سلب الانسان و المجتمع ادراكه السليم و ارادته الحرة في الاختيار... لكي تملي عليه تفكيرا و هما معنا وارادة قسرية محددة، لا يجوز أن يفكّر و يختار خارج دائرتها. بخلاف الاعلام الاسلامي، فان من أبرز أهدافه هو بناء العقل الانساني السليم و توجيه الادراك الفردي و الاجتماعي الوجهة الصحيحة المجردة عن تأثيرات الهوى و الشهوات الذاتية، و تربية الارادة على الاختيار الحر النزيه القائم على الوعي والادراك المتكامل... فالاسلام يفرّق بين الفنون و المبتكرات الاعلامية المجردة و بين المبادىء التي تنطلق منها و الاهداف التي تسعى اليها.

فهناك فرق كبير جدا بين المقاتل الذي يصنعه اعلام البعث و بين المقاتل الذي يصنعه الاعلام الاسلامي... ان المقاتل النازي والمقاتل البعثي يتحول الى انسان مسيّر لا يدرك ما يقدم عليه، و لا يملك خيارا غيره، انه منزوع الانسانية مملوء بمشاعر الحقد والعنصرية، وحس سادي لا يعرف الآ سفك الدماء و اشباع نزوات الاسياد و طاعتهم... بينما المقاتل الاسلامي

انسان عقائدي بكامل عقله ووعيه وبملء ارادته و اختياره، ينطلق من مبادىء الهية و مشاعر ربانية تسمو به على الذات و الشهوات. لا يصدر بحقد وعصبية، و ليس في نفسه موطن للنعرات العرقية والعنصرية... يجاهد في سبيل الله و بأمر الله ولايطيع الآمر أمر الله بطاعته. و يكفي أن يقارن أحدنا بين نفسية أحد رجال الأمن العملاء الطغاة من الذين صنعهم البعث وسيطر عليهم باعلامه المنحرف، و بين نفسية مؤمن مجاهد يعذب بين يديه في زنزانات الأمن العامة حتى الموت... كيف جعل الاسلام من هذا المؤمن صامداً بارادة، ثابتا بوعي، لا يتنحى عن مبادئه و رسالته ولا يؤمن الآمر به ودينه.

ان الاسلام عند ما يستعمل الرموز والشعارات. ينطلق من مبدأ السمو بالانسان من عالم المادة الى عالم الكمال... فهو في الوقت الذي يرفض أن يكرس هذا الواقع الحسي و يحجّر الانسان في طوقه المحدود، لا يهمله في مدنيته وسيرته –خاصة الاعلامية منها–.

فكثيراً ما ينطلق بالانسان من عالم المحسوس و يرتفع به في مراتب الكمال والسمو... و هذا نجده طافحا في كثير من الرمزيات المكانية كالكعبة المشرّفة و المساجد و المراقد المقدسة و غيرها من التعبديات المكانية...

و نجد أيضا رمزيات زمانية هي الاخرى تكشف لنا عن هذه الحقيقة كأوقات الأذان وأوقات الحج و العمرة و غيرها من العبادات والمناسبات الاسلامية المختلفة...و تكون لتكرار هذه الشعارات و الرموز دور هادف في تركيز المعاني و المفاهيم الاسلامية المستوحاة منها...

فالحقيقة التي يؤكد عليها الاسلام أن هذه الرمزيات و الشعارات مكانية أو زمانية أولويات ينطلق منها الانسان بعقله و ارادته في رحاب الايمان و ليست حقائق يقف عنده و يتحجّر في اطارها.

ثانيا: دور التهديد و الاغراء عند غير و دوره في الاسلام... فقد قلنا أن هذا التهديد والاغراء يهدف الى سلب الانسان ادراكه و حجر عقله في ... و تجريده من الارادة الحرة و قسره على اختيار محدد... أما في الاعلام الاسلامي فانّ الذي يمارس هو الترغيب و الترهيب. و لكن ليس باتجاه سلب العقل و الارادة عن الانسان و قسره على تبني أفكار ومعارسات معينة، انما باتجاه تحرير عقله و ادراكه من كل القيود الباطلة، واطلاق العنان لاختياره وارادته الواعية التي تراعي مصلحة الفرد والمجتمع معا، بعيدا عن الرهبات والهوى وتسلط الغرائز... فالاعلام الاسلامي يمارس الترغيب بهدف التحرير هذا: **(يا ايهالناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا. فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما)**(1)... و يمارس الترهيب لمن يريد أن يلغي دور العقل من حياته و يحطم الارادة والكرامة في الانسان ليتركه وحشا كاسرا أو بهيمة ... **(... يا أيها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحياة الدنيا ثم**

(1) سورة النساء – آية (174، 175)

الينا مرجعكم فننبّئكم بما كنتم تعملون، انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا أخذت الارض زخرفها و ازّينت وظن أهلها انهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهاراً فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس كذلك نفصّل الآيات لقوم يتفكرون) .

فالهدف الرئيسي في الثواب والعقاب الاسلامي هو تنبيه الانسان و تحسيسه بقيمة وقدراته، بعقله الموهوب وارادته الواعية... فشتّان بين الدعاة والمبلّغين الاسلاميين الذين هجروا الاوطان و بذلوا الاموال و أرخصوا النفوس من أجل هداية البشرية الى الاسلام والايمان، و بين عصابات القتلة من كتائب الحسابو النازية و زمر صدام البعثية التي تجوب الشوارع بحثا عن كلّ معارض يتفوّه بكلمة أو يرفض أمرا لتنقض عليه وتمزّقه أشلاءً متناثرة...

ولا تفتأ أبواق اعلامهم من التحذير والاغراء والتزوير لسوق الناس عبيدا بين أيديهم تنفيذا لارادة أسيادهم و مصالحهم في أوربا الكافرة.

انّ على اعلامنا الاسلامي واجبا مقدسا في هذه المرحلة الجهادية العصيبة ألا و هو كشف الحقائق عن أمثال نظرية غوبلز العصرية وتطبيقاتها المبتذلة من قبل الاعلام المعادي عموما و البعثي المحموم خصوصا.

ليعرف شعبنا و كل الشعوب المستضعفة ان البعث تراث من؟

و ان صداما ابن من؟

وليعرفوا ان حياتهم بالاسلام و ان استشهدوا، وانّ موتهم في الذل و الهوان تحت حكم الطاغية صدام و حزبه العنصري المقيت و ان عاشوا...

☆☆☆ ☆☆☆ ☆☆☆

(١)سورة يونس — آية(٢٣ ، ٢٤)

يا شهيد العقيدة

تَفَجَّرتَ في دَمِيَ الثّائِرِ   فَفَجَّرتَ قَيثارَةَ الشاعِرِ
أيا صَرخَةً في ضَميرِ ٱلهُداةِ   تَرُجُّهُمُ للوغىٰ الهادرِ
وَيا شُعلَةً في لَيالي السُراةِ   تشير الىٰ غدها النائر
وَياموكب الوعي اغنى العقول   بدنيا من الفكر الباكرِ
و يا صحوة الحق في [illegible] الوجود [illegible] الطاهر
ويا صرخة الله في الخافقين   تماوج في افقها الباهرِ
ويا منبع النور في امتي   و يا ملتقىٰ مجدها الزاهرِ

أيا روعة في مزار الشموس   طلعن علىٰ شعبي السّاهرِ
رسمن الخلود بأحدافه   أعدن له همة الثائرِ
فراح يقارع مُر الخطوب   و في قلبه قوة الصابرِ
تجن سياط العذاب المرير   تلوت علىٰ موقع ساخرِ
ويرجف –أن لاح نحر الشهيد   لسكينه– مقبض ٱلناحرِ
يُسَبِّحُ حبل لشنق الربيع   إذا ٱفتر ثغر ٱلفتىٰ ٱلذاكرِ
وتسجد للحق حتىٰ السجون   لتحضن إشراقة ٱلزائرِ
تمهل –أخا الفجر– إن الحياة   جهاد و وعد من ٱلفاطرِ
ولاريب في النصر بعد الوعود   توالت من ٱلعالم ٱلقادرِ
فإن عانق ٱلحبل حبل الوريد   وان غرد الموت في الخاطرِ

و ان أرضعت طفلها زوجة آل الشهيد بابمانها العاطرِ

وغنت له اغنيات الدماء تشهادت على شفق ساحرِ

واما تساقطت القطرتان من الدم والدمع من ناظرِ

فخلفهما ألف فجر ضحوك يبشر بالقدر الظافرِ

و اقسم بالله بالطيبين بكل دم مشرق مائرِ

بقلب الحسن ينادي العصور ألاهل لدنيى من ناصر

بنحر الرضيع يهز الطغاة بحبات من دمه الغائرِ

بنور (الخميني) تثرى العصور بلألائه الرائع الزاهرِ

ستشرق بالعدل كل الربوع وتهوي قوى الجور والجائرِ

و يظهر مهدي هذا الورى إمام الهدى خيرة الآخرِ

أبوهدى

شؤون اسلامية

الامام الخميني يؤكد رعاية الاسلام للطوائف الدينية

اكد الامام الخميني لدى استقباله جمعاً غفيراً من ابناء الاقليات الدينية وقادتهم وممثليهم في مجلس الشورى الاسلامي بان حكومة الجمهورية الاسلامية مادامت تعمل بتعاليم الاسلام فان ابناء الطوائف الأخرى سيعيشون في ظل الأمن والحرية والطمأنينة بفضل الاسلام العزيز

مؤتمر اسلامي في ايران

بدعوة من الفقيه الكبير آية الله المنتظري عقد في طهران في الفترة من ١٢ الى ١٧ ربيع الاول مؤتمر دولي لأئمة الجمعة والجماعة شارك فيه ثلاثمائة امام جمعة و جماعة من سائر بلدان العالم. كما حضرت المؤتمر شخصيات اسلامية أخرى. و كان الهدف من وراء هذا المؤتمر توثيق الصلات بين المسلمين و توحيد الصفوف الاسلامية. و يأتي انعقاده في وقت تواجه فيه الأمة الاسلامية تحديات شرسة من جانب الاستكبارين الشرقي والغربي.

تشكيل مجلس قيادي للثورة الاسلامية في العراق

أُعلن في طهران عن تأسيس المجلس الأعلى للثورة الاسلامية في العراق الذي يمثل مختلف القوى الاسلامية العاملة في الساحة العراقية من علماء وشخصيات اسلامية ومثقفين رساليين.

هذا واعلن حجة الاسلام السيد محمد باقر الحكيم الناطق الرسمي باسم المجلس المذكور ان المجلس يتحمل مسؤولية تحديد المسار السياسي والعسكري والاعلامي للثورة الاسلامية في العراق، واتخاذ القرارات المناسبة مع ظروف كل مرحلة من مراحل الثورة الاسلامية حتى انتصارها، والانطلاق بكل القوى السياسية باتجاه واحد عن طريق ايجاد التنسيق والتعاون بينها.

تصاعد النضال الاسلامي في افغانستان

التقارير الواردة يوميا من افغانستان تتحدث عن تصاعد النضال الاسلامي هناك ضد نظام ببرك كارمل، وانتشار موجة الاستياء بين الجنود الافغانيين بعد ان رأوا بأم اعينهم الجرائم التي ارتكبتها وترتكبها سلطات النظام والقوات السوفيتية بحق الشعب الافغاني الذي يطالب بخروج القوات الاجنبية من بلاده واقامة نظام اسلامي يعيد للفرد الافغاني حريته وكرامته المسحوقة.

مظاهرات في الاراضي المحتلة

تشهد الاراضي العربية المحتلة تظاهرات واضرابات واسعة النطاق في الذكرى السنوية الخامسة والستين لوعد بلفور المشؤوم.

وفي غمرة هذه الاوضاع اعلنت اسرائيل تحديها للارادة الدولية واكدت عزمها بدعم من امريكا على السير قدماً في مشاريع الاستيطان. هذا وضمن سلسلة الاعتداءات الصهيونية على الفلسطينيين اصدرت سلطات الاحتلال الصهيوني قراراً بطرد كبير الأساقفة الأرمن في القدس، الاسقف كار يكان كازانجان منتهكة بذلك المواثيق والقوانين الدولية.

هذا واحتفلت الجماهير المسلمة في ايران مع بقية شعوب العالم باليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني والذي يوافق ذكرى صدور القرار الجائر بتقسيم فلسطين في ٢٩ نوفمبر عام ١٩٤٧م.

واعرب السيد علي خامنئي رئيس الجمهورية الاسلامية في بيان اصدره بهذه المناسبة عن اعتقاده بان الطريق الوحيد لحل هذه القضية يكمن في التصدى الجدي لسياسة الاستكبار العالمي و بذل الجهود الصادقة من اجل ايجاد الوحدة بين الاقطار الاسلامية والتأكيد على اسلامية القضية الفلسطينة.

واوضح ايضاً ان التصدي والجهاد ضد المعتدين كالنظام الصهيوني والامبريالية الامريكية يعتبر واجباً اسلامياً على جميع مسلمي العالم وواجبا انسانياً يقع على عاتق جميع الشرفاء في المجتمع البشري، كما اكد ان ايران ستكون موجودة اينما يكون الدفاع عن فلسطين.

جنوب سيناء في خدمة الصهاينة

اعلن القنصل المصري في اسرائيل ان جنوب سيناء مفتوحة امام الصهاينة وان النظام المصري يقدم كل التسهيلات لهم. ومن جهة ثانية اعلن وزير النفط المصري ان صادرات النفط المصرية الى الكيان الصهيوني الغاصب تشكل ٢٠ الى ٢٢بالمئة من مجموع الصادرات السنوية لبلاده.

النميري، والرفض الجماهيري

منذ فترة والجماهير المسلمة في السودان تطالب بتنحي النميري وزمرة الجنرالات التي تحكم السودان. وتفيد التقارير الواردة من السودان ان العناصر الوطنية في الجيش والشرطة بدأت هي الأخرى تتحرك على نطاق واسع من اجل اسقاط النظام. كما ان نظام نميري بدأ

يستخدم رجال الأمن المصريين لامتصاص النقمة الشعبية، حيث ان شوارع الخرطوم تكاد لا تخلو من رجال الأمن المصري الذين جاؤوا لمساندة هذا النظام.

اميركا تثبت اقدامها في المغرب

اعلنت اوساط دبلوماسية مطلعة في الرباط ان أحد اهداف المناورات الامريكية المغربية الأخيرة هو تسليم قاعدة (الحسيمة الجوية) الى القوات الامريكية.

وأكدت بان ادعاء النظام المغربي بان المناورات كانت عبارة عن تدريبات عسكرية محضة هو ادعاء كاذب، لان تلك المناورات كانت ذات اهداف متعددة منها تحويل القاعدة المذكورة الى قاعدة عسكرية امريكية.

القوات الاسلامية الايرانية تواصل جهادها المقدس

حققت القوات الاسلامية الايرانية مؤخراً انتصاراً كبيراً في حربها العادلة ضد قوى النظام البعثي الكافر وهي مصممة لمواصلة جهادها المقدس لاسترجاع ما تبقى من الاراضي المحتلة، بل واسقاط هذا النظام الذي يفغر حتى الى ابسط القيم الانسانية.

مجلس الخبراء في الجمهورية الاسلامية الايرانية

تم انتخاب مجلس الخبراء للجمهورية الاسلامية في ايران، بنجاح وانتظام بالغين، حيث شارك الملايين من ابناء الشعب الايراني المسلم، الذي عبّر بمواقفه الثابتة، عن دعمه المستمر واسناده للجمهورية الاسلامية، في مناسبات عديدة، مما يوحي بالفخر والاعتزاز، و يدل على علة صمود الجمهورية الاسلامية في ايران، رغم الحرب العسكرية الطويلة الأمد، والحرب الاقتصادية والاعلامية الواسعة.

ان العقبات الكثيرة التي مرت بها الجمهورية الاسلامية، والالغام الدعائية والعسكرية، التي زرعها أعداء الامّة الاسلامية ـ من مستعمرين، وعملاء المستعمرين ـ في طريق الثورة، لم تحل دون استمراريتها وصعودها في تطبيق أحكام الاسلام، وانما تجاوزتها، بصبر وأناة وحققت ـ بالرغم من ذلك كله ـ نجاحاً، أرعب الأعداء، وسفّه أحلامهم، وزرع اليأس في قلوبهم، كل ذلك بفضل القيادة الحكيمة، التي تجسدت بنظرات الامام القائد، الخميني ـ حفظه الله ـ الثاقبة.

ومجلس الخبراء، الذى يضم ستة وثمانين فقيهاً بالعلوم الاسلامية، قادراً على اختيار مَن تسند اليه ولاية الفقية ممن تتوفر فيه شروط الولاية، من علم وعدل وتقّى وشجاعة وادارة وتدبير ومعرفة بقضايا الساعة، ممن تعرفه الأمّة والاّ فسيختار ـ المجلس ـ ثلاثة فقهاء، او خمسة، يقومون بمهمة قيادة الدولة، كما جاء في الفصل السابع بعد المائة، من الدستور الاسلامي.

صراع مع الكفر في مصر

تعيش أمتنا الاسلامية ـ اليوم ـ وكافة المستضعفين في الأرض صراعاً، تشتد ضراوته

يوماً بعد يوم ضد المستكبرين الذين انتفخت اكراشهم ثراء، وامتلأت نفوسهم جشعاً، على حساب المظلومين من المستضعفين.

وهذا الصراع نحسّه في شتى انحاء المعمورة، مع الأصنام البشرية الكبيرة والصغيرة، مما يبشر بعالم جديد، وحياة مستقبلية أفضل، وتحقيق كلمة الله العادلة في الأرض: «ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين».

ان صوت الاسلام الذي انطلق من ايران افزع الكافرين، مما دفع البنتاغون لتحري الحركات الاسلامية في العالم ودراستها تمهيداً لحربها ومحاولة القضاء عليها.

وما يجري في مصر جزء من هذا الصراع، الذي تصدى له احرار الشعب المصري المسلم، الذين أبوا الاستسلام لنزوات العملاء رغم الحصار والتضييق والحراسة المشددة، والتكتيك الشيطاني الذي تحصن به العملاء خوفاً من ابناء الاسلام، ورغم الدجل والنفاق والمداهنة التي امتاز بها اولئك العملاء.

انبثق هذا الشعب ليقول كلمته و يعلن رأيه وان كان مكبلا وان اشتد عليه الخناق وان تبلغ منه التضحيات ما تبلغ، فجاءت الصفعة للذليل العميل السادات الذي استعد ان يكون خائناً للأمة منقاداً لاعادئها فأردته قتيلا. مما حدى بالكفر وعملاء الكفر ان يشنوا حملة ظالمة ضد ابناء الشعب المصري المسلم ليميتوا فيه روح الاسلام، وحب الحرية، وانتصار الكرامة، وهاهم ابناء الاسلام في مصر يجابهون أحكاماً ظالمة جائرة، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر دوره في الشهادة هاتفين ـ الله اكبر ـ يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم و يابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون.

لتوحيد

مجلــة

اسلاميــة ــ فكريــة ــ جامعــة

تصدر كل شهرين مرة

دد التاسع ــ السنة الثانية ــ رجب، شعبان ــ ١٤٠٤ هـ.ق

تعُنى بالفكر الإسلامي المعمّق،

والكلمة الهادفة الصادقة،

وكل مايهمُّ الأمة من رؤىً وسلوك بناء.

وتفتح صدرها؛

لكل المفكرين الإسلاميين،

خدمةً لقضية التوحيد الكبرى،

وتركيزاً لخصائص الأمة الاسلامية الواحدة،

ونشراً لأضواء الثورة الاسلامية في كل أرجاء الوجود.

بعيداً عن؛

كل تعصب ذميم،

وتفريق بين المسلمين لاتحمد عقباه،

ولغوٍ من القول لا طائل تحته

ن

١٠٠٠ ريال ■ لبنان ٣٠٠ قرش
يا ٣٠٠ قرش ■ الاردن ٣٠٠ فلس
ريت ٣٠٠ فلس ■ عمان ٤٠٠ فلس
سرين ٤٠٠ فلس ■ الامارات ٦ دراهم
سودية ٦ ريالات ■ قطر ٦ ريالات
٣٠ مكلم ■ ليبيا ٤٠٠ درهم

طريقة الاشتراك

■ تسدد قيمة الاشتراك في بانك مل

ادارة المجلة

التوحيد

● مجلة اسلامية ــ فكرية ــ جامعة

العدد التاسع — السنة الثانية

محتويات العدد

● يصدرها :
قسم العلاقات الدولية في منظمه الاعلام الاسلامي
● تصدر كل شهرين مرة

رجب ، شعبان ١٤٠٤ هـ.ق

بسم الله الرحمن الرحيم

على هامش ...

المؤتمر الثاني للفكر الاسلامي

«كِتابٌ أنزلناهُ إليكَ مباركٌ ليدَّبَّروا آياتِهِ وَليتذَكَّرَ أولوا الألبابِ».

(ص / ٢٩)

* * *

انه كتاب مبارك.. فيه من البركات ما لا يحصى ولا ينطفيء على مرّ العصور، انه كالشمس تشرق كل يوم فتمنح الأرض والبشرية الحياة والنور.. والشرط الأساس الذي يجب توفره لكي تنهل البركة الحضارية على البشرية، هو: التدبر، والتعقل، والتفهم، والتذكر، والعودة الى الواقع الفطري الأصيل.

ان بركات القرآن تتكفل هداية الإنسانية الى علائها، موضحة لها نقاط الإنطلاقة الصحيحة، والهدف الدقيق السامي، والمسيرة المتوازنة المتعالية نحو الهدف.

* * *

وان الدرس الأول الذي يعقب هذا الإعلان الرائع، يُعطي بشكل مثالين إنسانيين نموذجيين ـ هما في الظاهر على طرفي نقيض ـ أحدهما في أقصى درجات القوة المادية، والثاني في أقصى درجات الضعف.... إلاّ أنهما معاً شخص واحد، واحد من الزاوية الإنسانية... يحمل نفس الرؤية، ونفس الروح، ونفس القوة المعنوية.

فهذا سليمان (ع) يبدو على الصعيد المادي ـ في أقصى درجات القوة

«فَسَخَّرنا لَهُ الرِّيحَ تَجري بِأَمرِهِ رُخاءً حَيثُ أصابَ * وَالشَّياطِينَ كُلَّ بَنّاءٍ وَغَوّاص

﴿وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

(ص: ٣٦ ــ ٣٩)

وهذا أيوب (ع) على الصعيد المادي ــ في أقصى درجات الضعف البدني.

«إذ نادى ربّه أنّي مسّني الشيطان بنصب وعذاب».

(ص: ٤١)

هما إذن على طرفي نقيض على الصعيد المادي.

إلاّ أن الإنسان، إنسان بروحه وجانبه المعنوي، لا بجسمه وقدرته؛ تماماً على العكس مما يظن الجاهلون المخدوعون بقارون وفرعون. فهدفهم الأعلى لايتجاوز الكون مثلهما ودعاؤهما: **«ياليت لنا مثل ما أوتي قارون»!!**

(القصص: ٧٩)

نعم، الإنسان، انسان بروحه.

والروح واحدة في هذين النموذجين الرفيعين.

فسليمان نعم العبد ــ يقوم بحق عبودية الله خير قيام، انه أواب ــ راجع الى الله دائماً، راجع الى ذاته التي تذكره الله دائماً، شاعر بضعفه وفقره دائماً ــ يتذكر من قول نملة فيخر لله ساجداً، ودعاؤه دائماً هو**«رب اغفرلي»**.

لا تنسيه القوة ضعفه وحاجته لربه، إنه يحمل عنصر الوعي والقوة النفسية في نفس الوقت الذي يمتلك فيه القوة المادية، وربما كان اختبار القوة النفسية في هذه الحالة أشد، والمغريات كثيرة، وسبل الطغيان مفتوحة إلاّ ان القوة النفسية والوعي الكامل يصرخان في وجه الإغراء دائماً **﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾.**

وأيوب أيضاً على هذا الغرار:

إنه لجوء الى الله دائماً، وصبرٌ على المصيبة دائماً.

وما أروع قول الشاعر ــ عبر هذا الحوار المتصور:

قيل لأيوب: جفاك الإله فقال لايجفو
من شدّ بالايمان لامقلتاه تسهو ولا تغفو

إنه ينادي ربه دائماً، وإنه من أُولي الألباب والوعي، ولذا يأتي الخطاب الإلهي:

«﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ * وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾».

(ص: ٤٢ ــ ٤٤)

وهكذا تكون الحصيلة واحدة، نعم العبد إنّه أوّاب هنا وهناك معاً، والسر واحد دائماً يكمن في:

الوعي، والقوة.

ومن هنا يأتي التعقيب التالي ــ مباشرة ــ ليوضح هذه الحقيقة.

«﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾».

(ص / ٤٥)

وطبيعي أن الأيدي رمزُ القوة، وان الأبصار هي رمز البصائر.

إنها صفتان رئيستان لأولي الألباب.

ولا نفهم من ذلك إلاّ وصول الإنسان الى لبّ الحقيقة، والوعي المحرك البنّاء للنفس ــ و الذي يصوغ لها كل أبعادها ــ لتحقق القوة، وانّ القوة على كل صعيد لن تتم دون ان تقوم أرضية الوعي اللّبي المحرك.

ولا يخص الوعي جانباً إنسانياً معيناً؛ إنه يشمل كل الجوانب والأصعدة، فهناك الوعي الفلسفي والعقائدي،و المفاهيمي، والوعي التشريعي، والوعي المدني والوعي الإجتماعي والسياسي المنسجم مع الواقع من جهة والمقاييس المتبناة عقائدياً.

وقد توضّح مما سبق ان (الوعي) ــ عبر هذا التصور ــ لايعد لُبّياً إلاّ اذا نفذ الى الأعماق، وصاغ الأحاسيس، و بالتالي صاغ الحياة ــ وما الحياة في معظم جوانبها إلاّ استجابات طبيعية لأحاسيس الإنسان وميوله ــ.

وهنا يقول القرآن الكريم:

أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمنوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَانَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ولا يَكُونوا كَالَّذِينَ أُوتوا ٱلْكِتابَ مِنْ قَبْلُ فَطالَ عَلَيْهِمُ ٱلأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ .

(الحديد : ١٦)

اما اذا نفذت العقيدة الى الأعماق الشعورية، فقد تهيّأت القوة النفسية، وتوفّرت الأجواء لأعظم عناصر القوة وهي الوحدة العقائدية.

«... هُوَ ٱلَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ ما في ٱلأَرْضِ جَمِيعاً ما أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» .

(الأنفال : ٦٢ ـ ٦٣)

• • •

ولقد أدرك العدو الكافر شيئاً من هذه الحقيقة... فراح يركّز عليها في هجومه الشامل، فقد عمل على خطّين رئيسين دائماً:

الأول: ايجاد الفراغ الفكري، بل جعل منهج الفراغ هو المسيطر على العقول، مما لايدع لها مجالاً للملء الصحيح.

الثاني: إذابة الروح الحماسية الواعية بمختلف الأساليب اللاأخلاقية، في طليعتها الميل والركون الى الدنيا والمناصب واللذة الشخصية المقيتة.

• • •

اما العملاء المسلطون على أرضنا الإسلامية ــ وخصوصاً عندما واجهوا هذا الشوق الجماهيري العارم لغد الإسلام الحاكم على كل الأرض وذلك بفعل تأثير الثورة الإسلامية الكبرى في ايران ـ هؤلاء العملاء لم يجدوا بُدّاً من العمل على امتصاص هذا الشوق وهذا الإنتصار الطاهر في النفوس، وكانت أساليب الإمتصاص متنوعة:

منها : التظاهر بإقامة الشعائر الإسلامية.

ومنها : إقامة المؤتمرات والإحتفالات الإسلامية الضخمة.

ومنها : ادعاء السير القانوني نحو تطبيق الاسلام. وهذاماوجدناه في السودان ومصر وتونس والخليج وغيرها.

ومنها أيضاً : العمل الشديد على ربط العلماء والمفكرين بحركة الحكم لتحقيق هدفين خبيثين:

الأول : تقييد حركتهم وأفكارهم من الإنطلاق نحو الحقيقة.

والثاني : إضفاء الشرعية على الحكومات العميلة الكافرة بلاريب، بعد ان لم تحكم بما أنزل الله ــ وذلك رغم ما يطرحه أدعياء التسامح الديني، والعفو عن الهنات الصغيرة في نظرهم ــ وهل من الصغائر ان تباع الأمّة للأجنبي، وتوفر له كل مقاصده، وتزاح الحقيقة الإسلامية عن واقعها المفروض؟

وهكذا تتابع الأساليب التي لا تغري أحداً ولا تخدعه.

وهل يمكن ان يتصور عاقل واعٍ مؤمن أن عميل الصهيونية مبارك يسير نحو تطبيق الإسلام، وأن العميل الآخر صدام يعرف حرفاً من حروف الصلاة بعد ان غذت لحمه وعظامه تعاليم ميشيل عفلق!؟

* * *

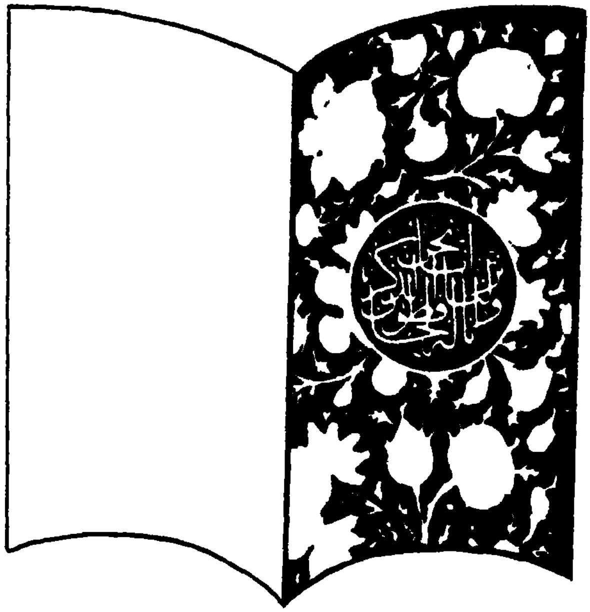
ومن هنا كان من اللازم على كل مسلم واعٍ لبيب، متحرق لقضية الوعي الأصيل، وثائق لغد الإسلام الأفضل، أن يساهم في عملية إعادة الوعي الثوري الإسلامي الى النفوس، والحماس الإسلامي المحرك إلى الأعماق.. لنعود الى مسيرتنا الصاعدة بكل قوة ووعي نحو الكمال.

ومن هنا، قامت منظمة الإعلام الإسلامي بواجبها الرسالي عبر العمل على عقد المؤتمر الثاني للفكر الإسلامي في الذكرى الخامسة لانتصار الثورة الإسلامية في ايران: جاعلة (القرآن الكريم) موضوع البحث فيه ــ وهو أعظم أساس وممون للبناء الفكري والروحي الإسلامي الضخم.

وقد حظى هذا المؤتمر بكلمة افتتاحية لحجة الإسلام و المسلمين السيد علي الخامنئي رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وكلمة ختامية لحجة الإسلام و المسلمين الشيخ هاشمي رفسنجاني، كما كان مفعماً بكلمات المفكرين سواء من الجمهورية الإسلامية أو من خارجها... مما حقّق حصيلة علمية ثرية في هذا الموضوع القيّم.

ونحن إذ نقدم للقُرّاء الأعزة هذه الحصيلة الفكرية الثرة، لنسأل العلي القدير أن يوفق الأمة الإسلامية لتحقيق عنصري الوعي والقوة في وجودها، والعمل على إعادة المجد الإسلامي الأثيل.

والله الموفق.. ■



إحساساً بضرورة وجود تفسير للقرآن الكريم، يحمل عناصر الايجاز والعمق والوضوح، بالاضافة الى طرح البعد الاجتماعي للمفاهيم القرآنية، فقد قام كل من الشيخ محمدعلي التسخيري والشيخ محمد سعيد النعماني بهذه المهمة التي نسأل الله تعالىٰ التوفيق لاكمالها.

وينبغي للقراء الأعزة ان يلاحظوا انه روعيت في هذا التفسير العناصر التالية:

١ ـ الايجاز الى الحد الممكن مما يجعل كل صفحة من القرآن الكريم تقابلها صفحتان من التفسير تقريباً.

٢ ـ طرح الأبعاد المختلفة للمدلول القرآني ومنها البعد الاجتماعي الاصيل.

٣ ـ طرح التفسير وفق مختلف الآراء مهما امكن مع التركيز على المروي عن اهل البيت(ع).

يا أيُّها ٱلّذينَ آمنوا إذا تَدايَنْتُمْ...: في أطول آية قرآنية، يُنظِّم الإسلام المعاملات ويحملها في مسيرتها الصحيحة، تخدم التداول وتسد الإحتياجات في إطار من الثقة والإطمئنان، بعيداً عن أي نزاع أوسوء تفاهم. فالمجتمع الإسلامي المفروض، عادل، متعاون، لإحقاق الحق، لاكما نجده اليوم من فقدان ثقة ونزاع بين أفراده وجماعاته.

والأحكام الواردة في الآية، هي:

اذا تعامل المسلمان بدَيْنٍ، وهو: كل معاملة فيها تأجيل لدفع أحد العوضين، فالمستحسن لهما كتابة وثيقة التعامل بما لايدع مجالاً للنزاع في كيفية التعامل ومقدار الدَّين، وليكن الكاتب شخصاً عادلاً (مُطبقاً لأحكام اللّه) فلا ينحاز الى أحد الطرفين، ولا يتعدى الحدود والحقوق، ولأنَّ صفة الكتابة والعدالة وفقه المعاملة من عطاءالله وفضله، فالمفروض أنْ لا يبخل أو يمتنع عن قيامه بهذا العمل.

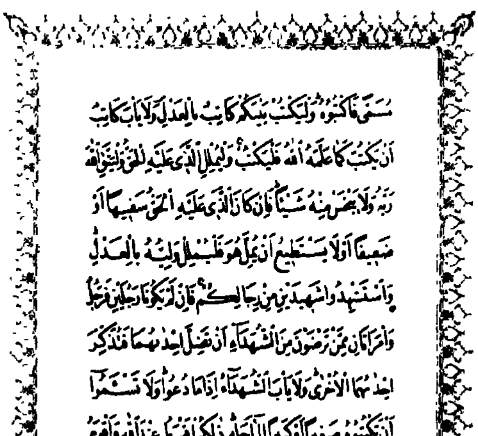
وليكتب الكاتب وفق مايمليه و يقرره المدين (من عليه الحق) ليكون ذلك الزاماً مكتوباً يضاف الى الإلزام الشرعي بالوفاء.

وعلى المدين أنْ يتّقي الله تعالى، فيتحرى الصدق، ولا يبخس (ينقص) مما عليه شيئاً. ولو كان المدين ناقص الأهلية مثل (السفيه) الذي لايمكنه إدارة ماله وشؤونه بحكمة، و(الضعيف) و هوناقص العقل، وغير القادر على الإملاء والتقرير كالأخرس والغائب، فإنَّ الولي (بمختلف مراتبه) هوالذي يملي ويقرر بالعدل والإنصاف.

و ينبغي استشهاد رجلين عادلين ممن يرتضي المسلمون دينهم على المعاملة، تأكيداً للثقة، وسداً لكل أبواب النزاع، و يكتفى برجل وإمرأتين تشهدان معاً. ولعل السرّ في جعل إمرأتين في قبال رجل واحد، هوالطبيعة العاطفية للمرأة، وقلّة تثبتها، فإذا أخطأت إحداهما، ذكّرتها الأخرى.

وليستجب الشهداء اذا دعوا للشهادة، إقامةً للحق، وحسماً للنزاع، ثم يحث القرآن على كتابة الدَّين ــ قليله و كثيره ــ بلا تكاسل، لأنه أقرب لحصول العدالة، وأضمن لإقامة الشهادة، وأجلب للإطمئنان وانتفاء الشكوك. وهذا كله بالنسبة الى المعاملة المؤجل فيها أحد العوضين، دون المعاملات النقدية التبادلية بلا تأجيل، فإنه يمكن الإكتفاء بالتبادل بلاكتابة، ولامانع من كتابتها لزيادة الوثوق، وإنْ كان ينبغي الإشهاد فيها على العقد. وقد نهت الآية عن أي أضرار أو أذى يمكن أن يصيب الكاتب أو الشاهد ممَّن عليه الحق، واعتبر إرتكاب ذلك فُسوقاً وخروجاً عن جادة العدل، وأخيراً أعطى القرآن هنا أيضاً للأحكام إطاراً من تقوى الله تعالى، مع تركيز على لطفه بالبشرية، إذ يهديها سبيل العلم والحق وهوبكل شيءٍ عليم.

وَإن كُنْتُمْ على سَفَرٍ....: وإنْ لم يمكن الإستشهاد والكتابة ــ كما في السفر ــ فليعط من عليه الحق رهناً للدائن كوثيقة على إرجاع الحق حين حلول الأجل. وعلى المسلم أنْ يؤدي الحق الذي عليه إذا ائتمنه الطرف الآخر ووثق به. وأخيراً دعت الآية الشهود للتدخل واظهار الحق، وإلاّ أثمت قلوبهم التي كتمت الشهادة.



لِلَّهِ مافي ٱلسَّماواتِ....: كل ما في الكون، مملوك، معلوم، خاضع له تعالى، وعلى المسلم ان يتذكر هذا دائماً، و يدرك ان الله يعلم ما يكن في النفوس. أظهره الإنسان، أم أخفاه ـــ من نية سيئة أو صالحة، أو كتمان شهادة أو انحراف عقائدي أو غير ذلك. وانه يحاسب عليه، فيغفر لمن يشاء، و يعذب من يشاء، تبعاً لقابلية المذنبين للعفو أو العقاب، والله على كل شيء قدير.

آمَنَ ٱلرَّسُولُ بِما...: إنّ سبيل الدين واحد في مبادئه الرئيسة، وإنْ أمكن ان ينسخ الدين الجديد الأديان السابقة في أحكامه، و يضيف الى تصوراتها ومفاهيمها بما يتناسب والتطور الهائل للبشرية.

وان الرسول(ص) هو المؤمن الأول برسالته الخاتمة، والمؤمنون الذين يتحملون هذه الرسالة يؤمنون بأصول الدين الأولى وتصوراته الأساس من التوحيد الكامل، والملائكة المطهرين كجزء من عالم الغيب وصحة كتب الله وصدق رسله. كما يسلّمون التسليم الكامل لله (سمعنا وأطعنا) و يلتجئون اليه في كل الأمور طالبين الغفران. وأخيراً، فهم يؤمنون بالقاعدة المهمة الأخرى وهي الحياة الممتدة في ظل الله في الآخرة.

وهكذا تصل السورة الى ختامها، لتؤكد على ما بدأت به من قواعد التصور.

لايُكَلِّفُ ٱللهُ نَفْساً...: يشير هذا المقطع القرآني الى ان المشرّع الحكيم لاحظ الوسع الإنساني في تشريعه، وهذا مما يطمئن الإنسان الى قدرته على تجاوز الصعاب و يدفعه الى تحقيق هدفه السامي، كما ان المقطع ـــ من جهة أخرى ـــ يرفع المسؤولية عمّا هو فوق الطاقة تعبيراً عن العدل واليسر الإسلاميين.

لَها ما كَسَبَتْ وَعَلَيْها...: الإنسان العامل يلقى نتيجة عمله الخيّر كما يتحمل تبعة ما يكتسبه من إثم.. فهو إذن مسؤول أمام الله عن تنفيذه لأوامره، والإنتهاء عن نواهيه، ولا يتحمل أحد عنه ذلك.

رَبَّنا لاتُؤاخِذْنا...: بعد تأكيدهم السابق على السمع والطاعة، يمضي المؤمنون ليطلبوا من الله أن يعرف ضعفهم الإنساني في نسيانهم وخطئهم، و يرجوه أن لايحمل عليهم نتيجة عملهم عقوبات الأمم السالفة، وأوضاعها الثقيلة الوطء، وهم إذ يسلّمون تمام التسليم، يدعونه أن لا يحملهم ما لا طاقة لهم به، و يعفو عنهم و يغفر لهم و يرحمهم.

أَنْتَ مَوْلانا...: ختام سورة البقرة، وفيه تلخيص لروح العقيدة الإسلامية يدعونه مؤمنين مستعينين به. فالله وحده هو مولى المؤمنين المطاع، والمشرّع الوحيد لهم دون غيره، يطلبون منه هدايتهم وتوفيقهم لحمل الرسالة الخاتمة والنصر الفكري والعسكري على جحافل الكفر وشيعته.


بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا
الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾
لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ
يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ
كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ
مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ
الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ
وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا
أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا
رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا
وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾
سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ مَدَنِيَّةٌ وَآيَاتُهَا مِائَتَانِ

الٓمٓ: ـــ مرّ الحديث عن الحروف المقطعة. (يراجع العدد الأول ـــ ص ٩).

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ...: تعرير الحقيقة الإلهية الواحدة المستجمعة للكمال، والتي يقوم بها كل ماعداها.

نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ...: إنّ القرآن حق في نزوله من قبل الله، وحق في أهدافه وما يتضمّنه من تصورات و تشريعات، وهو الكتاب المصدق لما جاء من الحقائق الدينية والبشارات بالنبي(ص) في كتب الله المنزّلة قبله على موسى (التوراة) وعلى عيسى (الإنجيل). وكل هذه الكتب المتحدة في المصدر، إنّما أُنزلت لتمنح البشرية (الفرقان) أي المقياس الصحيح لتميز الحق من الباطل، فتسير على هداه الى السعادة والكمال، اما الكافرون بآيات الله وهداياته فلهم العذاب الشديد، حيث ينتقم الله منهم لا بالتشفي النفسي (بل يجازيهم على كفرهم) وهوالعزيز الذي لايخفى عليه شيء في الأرض والسماء، لأنّ علمه مطلق لايحده شيء.

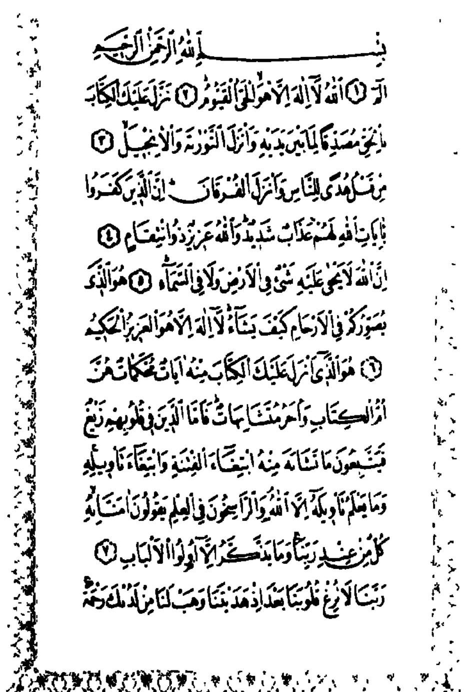
هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ...: إنّ حياة الجنين، ونموه وتطوراته التي كشف العلم الحديث عن روائعها وجوانبها الدقيقة، لتعبّر عن قدرة الله المطلقة، وعلمه، ورحمته بالإنسان، وحكمته المبدعة.

هُوَ ٱلَّذِي أَنزَلَ...: المحكم والمتشابه مصطلحان قرآنيان، و يقصد بالمحكم: الآيات الواضحة المعنى التي لايشتبه في المقصود منها، و بالمتشابه: الآيات التي تتضمن ألفاظاً دالة على معان معينة، ويمكن ان تجسد في مصاديق وموارد متعددة. بعضها باطل وغير مقصود، والسرّ في الإتيان بالآيات المتشابهة ـــ رغم ان القرآن كتاب بيان وهداية ـــ هو ان الكثير من المعاني العالية التي تتوقف على معرفتها الحياة الإنسانية، تقصر عن استيعابها الألفاظ مهما كانت دقيقة. وتوضيحها بأكثر من ذلك، يحتاج الى زمن طويل، ومؤلفات ضخمة، ليس من المعقول وحيها ضمن القرآن الذي هو دستور عام للمسلمين على اختلاف مستوياتهم، هذا بالإضافة لما في وجود المتشابه من تحريك للعقل الإنساني، وامتحان للنفوس ومقدار التزامها وتسليمها.

ولايؤدي وجود المتشابه في القرآن الى أي اختلاف عميق بعد ان عيّن الإسلام مرجعين رئيسين، أحدهما: الآيات المحكمة التي هي أمّ الكتاب، ومرجعه، وأصله، والثاني: الراسخون في العلم، آلي النبي وأهل البيت(ع)، فإذا تمسّكت بها الأمة، لن تضل أبداً ـــ كما في الحديث الشريف.

ولكن الذين في قلوبهم زيغ (إنحراف واضطراب) استغلّوا التشابه لتطبيقه على بعض الموارد الباطلة طلباً للفتنة واضلال الناس والتأويل على خلاف الحق، مع ان تأويل الآيات المتشابهة مختص بالله تعالى، واما الراسخون في العلم فقد دفعهم ثبات قلوبهم واطمئنانها ـــ على عكس الطائفة السابقة ـــ الى الإيمان بجميع الآيات المحكم منها والمتشابه، إذ كلها من عندالله تعالى. وبهذا الإيمان والرسوخ في العلم، كان هؤلاء من أُولي الألباب والعقول النيرة.

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا...: دعاء للمؤمنين المسلمين لأوامرالله، الواقفين عند حدوده، يطلبون فيه من الله الوهّاب عدم الزيغ (الزلل والإنحراف) بعد الهداية والتوفيق، وان يهبهم رحمة من عنده تثبت قلوبهم على الإيمان.


بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
الٓمٓ ١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ
بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ٣
مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ٤
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ٥ هُوَ ٱلَّذِى
يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ
٦ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ
أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ
فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ
وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ
كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ٧
رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً

رَبَّنا إِنَّكَ جامِعُ...: ويستمر الدعاء القرآني، فيلقن المؤمنين تصورات الآخرة، ويجسّدها أمامهم، حيث يجمع الله الناس ليوم موعود آت بلا ريب في إتيانه أو في مقاييسه، والله لايخلف الوعد.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا...: سارالقرآن مع المسلمين في مراحل دعوتهم، يثبتهم، ويربيهم، ويحطم معنويات أعدائهم، وهو هنا يذكرهم بزيف تفكير الكافرين، وان قواهم المالية والبشرية لا تغني عنهم من الله، ولا تستطيع ايقاف زحف العقيدة، بل ستندحر في الدنيا، وتصبح حطب النار في الآخرة.

كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ...: لقد كانت قوى فرعون واتباعه والجبابرة من قبله، هائلة ــ في نظرهم ــ مالياً وبشرياً، مما دعاهم الى الكبر والعناد، وأصّل فيهم عنصر تكذيب آيات الله، ولكنه تعالى أخذهم، وجازاهم على ذلك، وهو شديد العقاب.

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا...: تهديد خطير للمشركين المغرورين المتفاخرين بأموالهم وأولادهم بأنهم سيهزمون ويحشرون الى جهنم وهي بئس المحل والمثوى لهم، اما النصر فهو حليف الفئة المؤمنة. وهذا تنبؤ قرآني صادق بالمستقبل.

قَدْ كانَ لَكُمْ آيَةٌ...: وهنا يتجلّى التثبيت الإلهي لحملة الرسالة حساً في معركتهم مع الكافرين ــ وربّما كانت بدر ــ إذ يرى المشركون المسلمين ضعف عددهم ــ عياناً ــ فيهابونهم وينهارون أمامهم. وقد يراد رؤية المسلمين للمشركين ضعفي عدد المسلمين مع انهم في الواقع ثلاثة أضعاف، وذلك لئلا ييأسوا من النصر، ويحتفظوا بعنصر المقاومة العنيفة، وفي كل هذا درس للمتبصرين الواعين إذا أرادوا معرفة النتائج.

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَواتِ...: أودع الله في أعماق الإنسان ــ بشكل طبيعي ــ ميولاً نحو النساء والأولاد والقناطير المقنطرة (الأموال الكثيرة) من الذهب والفضة، وكذا الميل نحو حيازة الثروة الحيوانية من الخيل المسوّمة (المدرّبة المزينة المعدّة للرعي وغيره) والأنعام أو الثروة الزراعية (الحرث). وهذه الميول في أصلها ضرورية لإبقاء الحياة البشرية وادامة عمران الأرض، ولكن الشيطان والشهوات الجامحة، قد تستغل هذه الميول لإشاعها إشباعاً منحرفاً، ونجعل هذا الإشباع هو الهدف الأعلى في الحياة، رغم انه متاع الحياة الدنيا، ووسيلة لهدف أعلى هو حسن المآب في الآخرة.

قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ...: إنّ العطاء الإلهي الذي أعدّه للمتقين، خير من كل متاع الدنيا. وهل يقاس المتاع المحدود الى الخلود في الجنة، حيث الأنهار، وحيث الأزواج المطهّرة من شوائب نساء الدنيا، وفوق ذلك رضوان إلهي عظيم؟ إذن؛ فلتكن الدنيا، سبيلاً، ولتكن الآخرة، هدفاً يعمل لها الإنسان، والله بصير بما يعمل ومدى إخلاصه فيه.

إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ
فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ
عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ
﴿١٠﴾ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ
كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ
لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ
كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ
مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ
وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ
لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ

الَّذِينَ يَقُولُونَ...: إنّ المتّقين، يدعون ربهم الذي آمنوا به وعبدوه بكل إخلاص، فيرجون منه الغفران، و يسألونه ان يقيهم من عذاب النار بتوفيقهم للثبات على الطاعة والسير على الخط الإسلامي القويم.

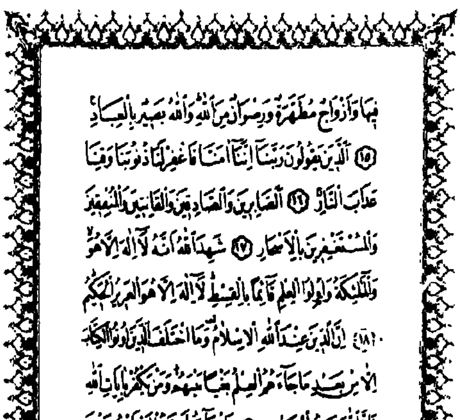
الصَّابِرِينَ...: من أهم صفات المتقين: **الصبر:** فهو عدة المؤمن في مواجهة أي مشكلة، انه يصبر ضد المعاصي والأهواء والمصائب، كما يصبر على مشقة الطاعات والتكاليف وكل مايعترضه في طريق العمل لله تعالى، **والصدق:** التزاماً بالحق ومقتضيات الوجدان والفطرة السليمة، **والقنوت** (الخضوع) لله: وهو مقتضى الإيمان النافذ للمشاعر، **والإنفاق:** وهو نتاج الإعتقاد بملكية الله، والأخوة الإنسانية، **والإستغفار** وقت السحر: حيث الهدوء وصفاء النفس واحتمال السهر ومشقة القيام والبعد عن الرياء... وكلها تشكل الجو المناسب لمناجاة الله تعالى، واستغفاره، والتضرع اليه.

شَهِدَ ٱللَّهُ...: إنّ عدالة الله التي تتجلى في الكون المتناسق المترابط، كما تتجلى في تشريعاته الواقعية الحقة، تدفع الفطرة الى التصديق الكامل بشهادة الله على نفسه بالوحدانية، و يتركز الإيمان بشهادة الملائكة والوحي الذي يحمل الشريعة العادلة للبشرية، وأخيراً يطمئن القلب والمشاعر الى الوحدانية الإلهية عندما يقف أولوا العلم وأهله بما فيهم الأنبياء والأوصياء والعلماء الى صف الشهداء عليها، وهم مؤيدون بالمعاجز والخبرات والاطلاع على جوانب من أسرار الكون

إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ...: إنّ وحدانية الألوهية، تستوجب وحدة الدين الحق الذي يعني التسليم المطلق لله تعالى والإخلاص له. يقول أمير المؤمنين علي(ع) في خطبة له: «الإسلام هو التسليم، والتسليم هو اليقين، واليقين هو التصديق، والتصديق هو الإقرار، والإقرار هو الأداء، والأداء هو العمل». وقد كان المفروض بأهل الكتاب ان يدينوا لله بالإسلام وتحكيمه في تصوراتهم وسلوكهم، ولكن بغيهم وظلمهم دفعهم للإختلاف المصلحي في الدين مع علمهم بحقيقة التوحيد وآيات الله، وسيحاسبهم الله جزاء اختلافهم وكفرهم بآياته.

فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ...: فإذا استمر أهل الكتاب في جدالهم وعنادهم، فليقل النبي(ص) لهم: انه واتباعه المسلمون قد أسلموا وجوههم لله تعالى وحده، وأعرضوا عن سواه، فإنْ أسلم أهل الكتاب والأميون (المشركون) لله كذلك، فقد اهتدوا وفازوا، وإنْ تولوا وأعرضوا، فليس على رسول الله(ص) شيء بعد ابلاغه رسالته، وليتركهم لله البصير بعباده ليقرر في حقهم ما يراه وفق علمه وحكمته.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ...: تعرية لأهل الكتاب وتاريخهم الأسود في كفرهم بالله، وقتل النبيين بغير حق وهم مشاعل الهداية، بل وقتلهم الآمرين بالعدالة و باجراء قوانين الله من الناس الذين تحدوا الظلم والطواغيت، وتهديد لهم بما يلاقونه من الشقاء والقلق، وفي الآخرة بما ينتظرهم من المصير السيء حيث لاناصر لهم ولا شافع.


فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِٱلْعِبَادِ
(١٦) ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا
عَذَابَ ٱلنَّارِ (١٧) ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ
وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ (١٨) شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ
(١٨) إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ
إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ
فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ (١٩) فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ
لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ
فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَٱللَّهُ
بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ (٢٠) إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ
ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ
فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢١) أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ

أَلَمْ تَرَ إِلَى...: استنكار لموقف اليهود والنصارى المتناقض، فبينا هم ينتسبون للكتاب الذي أُوتوا نصيباً وقدراً من علومه، أو أطلعوا على قسم منه لم يحرف من قبل، نجدهم اذا دعوا لتحكيم هذا الكتاب في تحديد موقفهم من النبي(ص) وتقييم سلوكهم، تولى فريق منهم، وأعرض مخالفاً ماادعاه... وربما كانوا يفترون ويخترعون شيئاً، ثم يخدعون به أنفسهم من مثل ادعائهم بانهم لن يعذبوا في النار إلاّ أياماً قليلة، فلا داعي للإلتزام الكامل بالكتاب. ولكن الحقيقة ستنكشف حتماً يوم القيامة، حيث تجازى كل نفس بما عملت و بلا ظلم أواجحاف.

قُلِ اللَّهُمَّ مالِكَ...: تعليم قرآني باللجوء الى الله المالك المطلق، والتركيز على انه تعالى مصدرالقوى والعزوالذل، يعطي الملك من يشاء، و ينزعه ممن يشاء، طبق ما يعلمه من حكم ومصالح وسنن، وهو تعالى مصدر الخير في الكون وذوالقدرة المطلقة على كل شيء.

وفي الآية تهديد للظالمين المغترين بسلطانهم، وقد فسّر الملك بالنبوة التي أتاها الله النبي ونزعها من بني اسرائيل نتيجة تهاونهم وعنادهم.

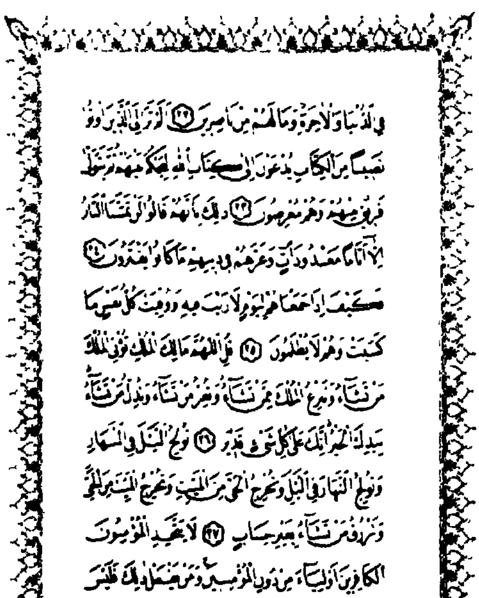
تُولِجُ اللَّيلَ فِي النَّهارِ...: ويمضي الدعاء مستعرضاً قدرة الله وحكمته في الأُمور التكوينية، كظاهرة تداخل الليل والنهار، وتفاوتها بالقصر والطول، وهي ترتبط أشد ارتباط باستمرار الحياة الإنسانية، وكذا ظاهرة إخراج الحي من الميت، و بالعكس، كإحياء الأرض الميتة، أو اخراج الأولاد المؤمنين من الآباء الكافرين، وعكسه، وأخيراً ظاهرة الرزق العميم للموجودات.

لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ...: ينهى القرآن كثيراً عن مودة الكافرين والركون اليهم، مما يفسح المجال للتأثرهم، وفتح ثغرات لنفوذهم. و يؤكد على ان العواطف يجب ان تبتني على العقيدة، وإذا والى المسلم كافراً، فقد قطع علاقته بر به، ولم يعد من حز به المفلحين، فليحذر ــ إذن ــ غضب الله الذي اليه المصير.

إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا...: للمسلم عند الضرورة ان يبدي ولاءه للكافر قولاً، وحتى عملاً، إنْ تطلّب الموقف ذلك، وإنْ كان يتبرأ منه قلباً وعقيدةً. والتقية، موقف يتخذه كل عاقل بفطرته، فيبدي غير مايخفي حينما يجد خطراً يهدد نفسه أوماله أوشركاءه في العقيدة وأمثال ذلك، دون أن يكون للتحدي أي نفع مواز للخسارة. وهذا بالضبط هو موقف النبي(ص) في أوائل الدعوة.

وقد جاءت روايات النبي(ص) والأئمة(ع) تؤكد على وجوب التقية أحياناً وجوازها، أو حرمتها، ومنها ماذكر في سبب نزول الآية في سورة النحل لتبرير موقف عمّار الذي قال كلمة الكفر بلسانه، وقلبه مطمئن بالإيمان. ونماً لاختلاف الظروف (ظروف التقية وعدمها) وجدنا التفاوت في مواقف الأئمة(ع) تجاه الضغط الظالم. فالتقية لدى الشيعة موقف إنساني اسلامي خالص ينسجم مع الخلق والمنطق والفطرة، وإنْ لم يفهمه بعض الجهلاء والمتعصبين... انها لحفظ الكيان العقائدي، فإذا توقف هذا الحفظ على الإستشهاد، فلا أرخص النفوس في سبيل ذلك كما استشهد الحسين(ع) لهذا الهدف الكبير.

قُلْ إِنْ تُخْفُوا مافي...: إنّ الأعمال بالنيّات، والله عليم بذات الصدور، لا يختلف الحال لديه، فسواء أبدى الإنسان ما في صدره من سر، أو أخفاه، فإنه يعلمه الله العليم بما في السموات والأرض والقدير على كل شيء.


في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين (٢٢) ألم تر إلى الذين أوتوا
نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى
فريق منهم وهم معرضون (٢٣) ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار
إلا أياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون (٢٤)
فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما
كسبت وهم لا يظلمون (٢٥) قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك
من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء
بيدك الخير إنك على كل شيء قدير (٢٦) تولج الليل في النهار
وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي
وترزق من تشاء بغير حساب (٢٧) لا يتخذ المؤمنون
الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس
من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه
وإلى الله المصير (٢٨) قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه



فيما يلي نقدم نص كلمة الإمام الخميني التاريخية بمناسبة الذكرى السنوية الخامسة لانتصار الثورة الإسلامية والتي القاها نيابة عنه نجله حجة الاسلام السيد أحمد الخميني

نشكر الله ونحمده على قبوله لنا ونحن مرفوعو الرأس مع بدء السنة السادسة لانتصار الثورة الاسلامية. لقد مرّت خمسة أعوام على قطع اليد الظالمة والمتجبرة للنظام الملكي وجبابرة العالم عن الشعب الايراني المظلوم. وثبت خطأ كافة حسابات المستكبرين الشرقيين والغربيين وعملائهم الذين لا ترى أعينهم سوى الظواهر المادية، ويجهلون القدرة الإلهية، و كانوا يتصورون انه من غير الممكن لشعب يده خاوية ولا يملك أي نوع من المعدات الحربية المتطورة ان يتغلب على نظام ملكي عمره ٢٥٠٠ عام، ومدجج حتى عنقه بأنواع الاسلحة الامريكية والغربية والشرقية، كما وثبت أيضاً خطأ حساباتهم القائلة بأنّ كل ثورة يجب أن تعتمد إما على الشرق، أو على الغرب، أو ان هذه الثورة الاسلامية الحديثة والمنقطعة النظير، لا يمكن أن تدوم سوى أشهر قليلة. فبعد مرور عدة أشهر وسنين عاد الهدوء الى ايران، وصمدت الثورة والحكومة الاسلامية خلال هذه المدة كجبل أشم، وتحدّت المعسكرين الشرقي والغربي بقدرة إلهية، وأصبحت بعونه تعالى قدوة للشعوب الاسلامية والمظلومين في جميع انحاء الكرة الأرضية الذين انتفضوا بفضل هذه الثورة ضد كافة القوى المسلحة تسليحاً ذرياً ونوو ياً، وضد الباطل، والدكتاتورية بشكلها الديمقراطي الإستبدادي تحت غطاء حب الإنسانية، والنهب تحت غطاء

الاشتراكية... ولا يمكن بالسلاح الوقوف بوجه هذه الموجة العارمة. و بفضله تعالى، وفضل ولي الأمر وصاحب العصر أرواحنا فداه، فإنَّ قدرة الإسلام في ايران التي القت بظلها على العالم من شرقه الى غربه، أصبحت اليوم حديث جميع القوى الشيطانية، الى درجة انه لو انتفض المظلومون والمحرومون في أية نقطة من العالم، أو وقع انفجار، فإنَّ أقطاب القوى الجهنمية يقولون ان ايران كان لها يد في ذلك أو ان الشباب الايرانيين هم الذين قاموا به، حتى ان القوى العظمى بدأت تضع حواجز أمنية امام عروشها كما فعلت أميركا حين وضعت حواجز كبيرة أمام البيت الابيض، و بدأت الطائرات المقاتلة تحلّق على السفن والأساطيل الحربية التابعة لتلك القوى. فلقد سلب الباري سبحانه وتعالى الراحة من هؤلاء، ونصر المجاهدين في سبيله. وان الذين يتصورون انهم يستطيعون اضعاف الثورة الاسلامية من خلال بث الإشاعات إنما يساعدون بممارساتهم هذه على تقوية ايران والمجاهدين الايرانيين، وتقوية عزيمة الشعوب المضطهدة في العالم.

يجب على القوى العظمى ان تعلم بأنَّ اليوم لايشبه الأمس، وانها لا تستطيع من خلال كذبة أو إشاعة واحدة ان ترد الشعوب على أعقابها كما تفعل ذلك مع الحكومات.

واليوم فإنَّ اميركا، هذه القدوة الشيطانية وحلفائها، يغلقون أبواب قصورهم حال وقوع انفجار في جزء من العالم، و يضعون حواجز ضخمة أمامها. وفي الوقت الذي لم يكن للجمهورية الاسلامية يد في هذه الانفجارات، لكنها استطاعت بمواقفها ان تحطم الأصنام الوهمية، وتزيل الرعب والقلق من قلوب المظلومين، وتضعها في قلوب الظالمين. وهذا هو بحد ذاته معجزة من جانب شعب قليل العدد والعُدَّة، تحققت على يد القدرة الالهية.

يجب على أميركا ان تعلم بانَّ المواقف العاجلة والخطوات غير المدروسة من مثل قرارها الأخير بوضع ايران في قائمة الدول الموافقة أو المحتضنة للنشاطات الإرهابية، لا تحل لها مشكلة ولا تبقي لها أي طريق للهروب منه، إذ ان عالم المستضعفين قد تألهب اليوم سواء بشكل ثورة وانتفاضة أو بأشكال أُخرى، وذلك لقطع يد الظالمين. وهذا ما لا يخلق لايران أية مشكلة، لأن اميركا بعد ان فشلت في ايران، قامت من خلال دعم حلفائها الغربيين في اوربا، بفرض حصار اقتصادي علينا، وقامت بما استطاعت عليه، ونحن استقبلنا ممارساتها بحرارة. ويجب على مسؤولي البيت الابيض ان يفهموا بأنَّ العالم قد تغيَّر، وان القوى الشيطانية قد جُرِّدت من اسلحتها القديمة والحديثة... كما ويجب على مخططي السياسة الاميركية ان يغيِّروا اسلوب تفكيرهم وسياساتهم، ولا يتصوروا بأنَّ ادارة مجموع العالم هي من اختصاصهم، وان جميع الدول تطيعهم طاعة عمياء... عليهم ان يعلموا بان قطع العلاقات والمقاطعة الاقتصادية، والقوائم الكاذبة، لا تستطيع ان تضيق العالم على بلدٍ ما. بالضبط مثلما لا تستطيع عملية إعاده مصر الى صف ما يسمى بمنظمة المؤتمر الاسلامي بكل ماطبّلوا وزمّروا لها، وأيضاً التنسيق مع الشاه حسين والشاه حسن وحسني مبارك، ان تحل لهم العقد التي ظهرت فيهم نتيجة لوعي الشعوب وانتفاضتها. وليس من العجيب ان تلجأ اميركا وعملائها الى كل الوسائل لإعادة مصر الى الصف العربي. لكنَّ الشيء الذي يدعو للأسف والعجب يتمثل بوضع الحكام العرب. فبعد تلك المقدمات الطويلة والحملة الدعائية واللقاءات السرية والتطبيل والتزمير والأحاديث التي كانت تدور عن بعض المشاريع في اجتماعات ملوك ورؤساء جمهورية ومسؤولي الدول العربية وغير العربية،

يحتمل ان كان بعض الاشخاص من الذين لايعرفون هؤلاء، يتوقعون من ذلك الاجتماع ان يناقش المشاكل التي أوجدتها القوى العظمى للإسلام والمسلمين وشعوب العالم المظلومة، و يضع برامج، لإصلاح حال الشعوب المؤسرة، ويجد الحلول المناسبة لمشاكلهم العالمية، غير ان هؤلاء قعدوا وقاموا ولخصوا جميع مشاكل الإسلام والمسلمين في عودة مصر المتحالفة مع اسرائيل الى الصف العربي!

بالأمس أخرجوا مصر بسبب عقدها معاهدة مع اسرائيل، لكنهم اليوم أعادوها بسبب اعترافها الرسمي باسرائيل! في ذلك اليوم أبعدوا مصر عنهم لتجاهلها مطالب العرب، لكنهم أعادوها اليوم بسبب تقبيلها يد اميركا! في ذلك اليوم أخرجوا مصر لخيانتها بحق القضية الفلسطينية، ولكنهم أعادوها اليوم نتيجة لمصادقتهم الجماعية على تلك الخيانة! والمؤسف بل المخزي ان مصر لم تقبل أي شرط. وان أحد قادة مصر قال ان على الحكام العرب ان يعترفوا بأخطائهم، وان القضية اللبنانية، والقضية الافغانية، و بقية القضايا العربية الأخرى لم تكن مشكلة ليتلف مايسمى بروساء الدول الاسلامية وقتهم الثمين من أجلها!!

كيف تتحمل الشعوب العربية وغير العربية و بقية المسلمين هذا العار وهو ان يكون هؤلاء حكاماً عليهم؟ الم يحن الوقت لتنهض الشعوب الإسلامية من مكانها وتجبر حكامها للركوع أمام شرف الإسلام، أو التعامل معها كما فعلت ايران؟ وهل ان الحكومات المسمّاة بالإسلامية تغط في نوم عميق؟ ولا ترى ان وضع الشعوب في الوقت الحاضر لا يشبه وضعها في السابق؟ الا يريدون أن يفهموا بأنّ الأنظار والأسماع عادت مفتوحة؟ وان الدسائس الشرقية والغربية قد فقدت خاصيتها؟ الا ترى أو تعلم بأنّ الثورة الإسلامية قد تمّ تصديرها أو هي في عشية التصدير، وان راية الاسلام سترتفع بعونه تعالى وعن قريب خفّاقة في جميع أرجاء العالم على يد الشعوب الاسلامية، بل والمظلومين الذين يتعطشون الى العدالة الاسلامية. اذن اليس من الأفضل ان تستيقظ الحكومات من نومها و ان تتوب عن الذنب الكبير الذي ارتكبته في المغرب، حين اعتدت على شرف الإسلام والمسلمين وخاصة العرب، ووفّرت لنفسها عاراً تاريخياً؟ أليس من الأفضل لها ان تعود الى الله سبحانه و تعالى، لئلا تقوم ناره بحرق اليابس والأخضر؟ والآن ونحن في بداية السنة السادسة للإنتصار، أعود وأشير الى بعض المسائل التى تطرقت اليها مراراً.

١ـ اليوم ولله الحمد، وفي ظل العناية الإلهية وأدعية بقية الله روحي لمقدمه الفداء، فإنّ الجمهورية الاسلامية بجهود و مساعي مختلف طبقات الشعب تمضي قُدماً بثبات وصمود. انني أطلب من الشعب الايراني العظيم أن يتواجد في الساحة بشكل فعّال، ولايتأخّر عن مساعدة الحكومة والجبهات، سيّما وان مسألة الدفاع عن الإسلام والبلد الاسلامي وأموال و نواميس المسلمين هي من الواجبات الكفائية، وعلى الجميع ـ بقدر الإمكان ـ تقديم المساعدات اللازمة للجبهة وخلفها. وهنا أشكر الشعب المسلم والعظيم الذي حقق النصر بالتضحية والفداء، و يأخذ بالثورة نحو الأمام بتواجده المستمر في الساحة. وهذا ما يرضي الله تعالى، وانني أدعو الباري تعالى أن يعتبر بعنايته، هذا الشعب من المجاهدين في سبيل الله، ويمنحه من أجره أسوة بمجاهدي صدر الإسلام بقيادة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

٢ـ إنّ قلمي لعاجز عن تقدير و شكر هؤلاء

المجاهدين المسلمين الذين حققوا بتضحياتهم وجهادهم في سبيل حفظ أهداف الاسلام، أعظم الانتصارات وأسمى شرف على جميع الجبهات، ورفعوا بذلك رأس الجمهورية الاسلامية عالياً، وأرضوا أولياء الله عليهم الصلاة والسلام. فبأي بيان و قلم أستطيع أن أتقدم بالشكر لشباب يتسابقون للقاء الله و يتقدمون بشغف للدفاع عن الاسلام مضحين بحياتهم التي هي أغلى شيء، في سبيل هدف أنبياء وأولياء الله، كما فعل سيد المظلومين بفدائه صارخاً **«هيهات منّا الذلة»**، ذلك العملاق على مرّ التاريخ ،الذي طبّق القول بالعمل المدوّي في أنحاء العالم؟ و بأي قلم و بيان يمكن الثناء على أعزاءٍ صنعوا من مواضع القتال، محاريب ليعرجوا منها الى الله؟

ربما تتمكن أقلام الفنانين من تجسيد ورسم شجاعة و بسالة اولئك الأقوياء الجسورين الذين يعيشون تحت وابل من القذائف والنيران، وربما يتمكن أحد النحاتين ان يعكس الانتصارات المذهلة التي تحققت رغم كل الصواريخ والقصف من قبل العدو الغادر بعد العبور من الاسلاك الشائكة والجبال الوعرة والمواضع الحصينة المجهزة بأحدث الوسائل المتطورة وانتزاعها من العدو. ولكن هل يتمكّن القلم والفن من وصف تلك الأبعاد الالهية والعرفانية وترسيم الجانب المعنوي للنفوس السائرة والمحلّقة نحو الله؟ وهل يتمكنان من تجسيد تلك القلوب الذائبة في التجليات الإلهية؟ حقاً، كيف يتمكن الغربيون والشرقيون وأنصارهم والقوميون من التعبير عن هذه التضحيات بأبعادها المعنوية والعرفانية والحب في الله!.

وهنا فاننا لانتعرض، أو نطرح الشجاعة، أو الجسارة، أو الجانب العملي، وانما الى ذلك الحافز الروحي الذي يهدي نحو الحب الحقيقي لله، حيث يذوب كل شيء في هذا الحب. ففي أي حرب ونهضة وثورة وعلى مرّ الزمان يمكن الإتيان بجنود مضحين كجنود ايران، اللهم إلاّ أولياء الله والذين تربّوا في مدرسة الإسلام التي أفاضتهم بنورها، وفي أي الصفحات من التاريخ يمكن الإتيان بنماذج من الأمّهات والآباء والزوجات والأخوات والأخوة الذين يقدّمون أبناءهم قرابين الواحد تلو الآخر، سوى أبناء مدرسة القرآن والإسلام الحقيقي، وهؤلاء هم من نفس أبناء هذه المدرسة المباركة.فسلام الله وتحيات رسله على الأمّهات والآباء وأُولئك الأبناء الأبرار والمعوقين وعلى كل من سار في سبيل الهدف المقدس.

٣- ياأعزاء الإسلام وذخر الأمّة: جاهدوا النفس، وأزيلوها من قلوبكم. ولنعلم ان كل ما في الوجود هو لله، وهو انعكاس لجماله.فالجسد والروح والنفس منه واليه اسعوا وجاهدوا لإزالة حجاب النفس عنكم،لتتطلعوا على جمال الله جلّ وعلا ،و آنذاك تسهل الأمور عليكم، وتلتذون بالعذاب، و يصبح الموت في سبيله أحلى من العسل، وأسمى من أي شيء يخطر ببالكم. إياكم وغرور الشجاعة وقوة الشباب أن ينفذ الى قلوبكم، فإنه يحطم كل شيء، و يبدد الآمال، اسعوا في الذوبان في بعضكم البعض من الجيش والحرس والتعبئة والدرك واللجان والشرطة والعشائر، وابتعدوا من الأنا والآنت، وأوجدوا قوة واحدة،وليكن الهدف، الإسلام والبلد الاسلامي، عند ذاك يكون انتصار فئة منكم، إنتصاراً لجميع الفئات. وليكن الهدف موضع اعتبار، لا الجيش، أو الحرس، أو بقية القوى المسلحة.

اني أُحذر القوات المسلحة من نفثات وأيادي الشياطين وأعداء الثورة فلو غفلوا عنها - لاسمح الله - فليكونوا على يقين من سلب العناية

الالهية عنهم والهزيمة في حربهم مع أعداء الاسلام والفضيحة والعار الأبديين أمام الله والشعب المسلم والخذلان في الآخرة لاسمح الله.

أعزائي: الموضوع مهم جداً. فالشرف والعار والشقاء والسعادة أمامنا. علينا أن نحذر و بشدة من هوى النفس الشيطانية، وطّدوا الأُخوّة والمساواة الموجودة حالياً بينكم أكثر فأكثر، وضعوا مصالح الإسلام و بلدكم نصب أعينكم، ولا تفكروا بغير ذلك، والله هو عونكم.

٤ـ من القضايا المهمة التي سنواجهها قريباً، مسألة الانتخابات الثانية لمجلس الشورى الاسلامي. انها حساسة جداً، وعلى الخطباء في جميع المناسبات والإجتماعات في انحاء البلد خاصة في صلاة الجمعة من قبل أئمتها، توضيح جوانب وأهمية ذلك، وتذكير الشعب بأهميتها و خطورتها المرتبطة بالشعب والاسلام. فالمجلس هو المكان الذي تشترك فيه الأكثرية الساحقة في القضايا المهمة للبلاد والتي ترتبط من قريب و بعيد بمستقبل الأُمة، فكل مانزل من الظلم في فترة مابعد الثورة الدستورية وفي فترة الظلم الملكي على الشعب كان مصدره المجلس الفاسد بنوابه الذين لم ينتخبوا من قبل الشعب بعد ابعاد علماء الدين عنه عبر مؤامرات رذيلة ودعايات مسمومة مستلهمة من الغرب والتي بثت بواسطة المرتبطين بالغرب والشرق من الخونة وغير الواعين، حيث كانوا يصورون المجلس بنظر علماء الدين والمتدينيين بشكل، بحيث كانوا يتصورون بان التدخل في الإنتخابات معصية كبيرة ومساعدة للظلم والكفر. و بذلك خرج علماء الدين من الساحة بشكل تام واصبحوا معزولين، وانبسطت اثر ذلك يد عملاء الشرق والغرب، وآلت البلاد على يد هؤلاء الى المصير الذي رأيتموه بأنفسكم.

واليوم فإنّ تلك الأفكار المنحطّة مازالت تتواجد لدى بعض المعممين الجهلة. في حين لوكان هناك في كل مدينة واقليم بعض الاشخاص من أمثال الشهيد مدرّس، لكانت الثورة الدستورية تتقدم الى الأمام بشكل صحيح وشرعي، ولّما كان يتم التلاعب بالدستور وملحقاته الذي استشهد الشهيد الشيخ فضل الله نوري من أجله، ولّما كان الإسلام الغالي والمسلمون المظلومون يتحملون تلك المصائب والمتاعب. فبعد خروج علماء الدين من الساحة، أو بعبارة أدق بعد اخراجهم من الساحة، فإنّ جميع الفئات سواء الثقافية، أو العماليّة، أو الإدارية، أوالكسبة، وغيرها من الفئات الأُخرى توقفت عن التدخل أو مُنِعَت من التدخل، فحصل ما حصل.

واليوم علينا ان نأخذ العبرة من تلك المؤامرات والمفاسد التي ظهرت نتيجة لعزل المتدينين والضربات التي لحقت بالإسلام و المسلمين. كما ويجب علينا ان نعي بأنّ النظام الإسلامي، وتطبيق الأحكام الاسلامية وحفظها من خطر الأعداء... كل ذلك يتوقف على تواجد جميع فئات الشعب، وخاصة علماء الدين المحترمين، والمراجع العظام في الساحة، واذا لحق ضرر بالإسلام والبلد الاسلامي ـ لا سمح الله ـ جراء عدم الإعتناء بمصير المجتمع، فإننا سنكون جميعاً مسؤولين أمام الله القهّار، ويمكن ان لا تصفح عنّا الأجيال القادمة، خاصة اذا أدى عدم اعتنائنا، الى الحاق آلاف الضرربها.

إذن فإنّ إحدى الوظائف الشرعية والعقلية الملقاة على عاتقنا لحفظ الإسلام ومصالح البلاد، تتمثل بمشاركتنا الفعّالة في الإنتخابات وادلاء الأصوات لصالح النواب الصالحين والمطلعين على الأوضاع السياسية للعالم، وسائر القضايا الأُخرى التي تهم البلاد، سواء أكان هؤلاء من علماء الدين،

أم لم يكونوا. ومثلما يحتاج المجلس الى علماء الدين المطلعين على الأحكام الشرعية والسياسية للإسلام، فانه يحتاج أيضاً الى الخبراء في الحقول المختلفة. فالمجلس اليوم يواجه عالماً مليئاً بالإضطرابات الصناعية والسياسية المعقّدة، والثقافات الغربية والشرقية، والصراعات العالمية بين الأقوياء والضعفاء. ومثل هذا المجلس يجب ان يكون محتضناً للمطلعين والعلماء والمختصين في أي مجال كان.

ان الإنتخابات إنما هي اختبار الهي يفصل المؤمنين والملتزمين عن أصحاب الادعاءات. وان الأشخاص الذين يرشّحون أنفسهم، أو ترشّحهم فئة من الفئات، ولا تتوفر فيهم صلاحية العمل في مثل هذا المجلس، ولا يعود وجودهم فيه بأية فائدة على بلادهم، يجب ان يأخذوا الله بنظر الاعتبار، و يفضلوا رضاه سبحانه وتعالى على رضاهم، ولا يرتكبوا مثل هذه المخالفة. وارجو من السادة العلماء، و خاصة أئمة الجمعة والجماعات، وسائر السادة الآخرين، أنْ لايخلوا مدنهم من المخلصين للشعب وعباد الله الصالحين، إذْ ان خدمة الشعب، وسد احتياجاته، وتربيه عباد الله تربيةً علميةً وأخلاقيةً، والتي هي من وظائف علماء الدين، إنَّما هي وظائف تفوق جميع الوظائف الأُخرى من حيث الأهمية، إلا اذا شعروا بان وجودهم في المجلس مفيد. ويجب على الجميع حين ينتخبون أنفسهم أن يفكروا بتقديم الخدمات، لاتحقيق المناصب. وانتم تعلمون ان الجمهورية الاسلامية تختلف عن الأنظمة الأُخرى التي يلجأ فيها الأشخاص الى مختلف البدع لتحقيق مناصب لهم. وطبيعي ان المناصب لا تجدي نفعاً إذا لم تكن بهدف خدمة الله وعباد الله. انكم اتباع رجل التاريخ الكبير صلوات الله عليه الذي أطلق ذلك الكلام حول الحكومة. اما بالنسبة للناس فإنّهم أحرار في انتخاب الأشخاص، ولا يحق لأي كان في أنْ يُحمِّل نفسه أو مرشحي الفئات، أو الفئات أنفسها. ولايحق لأي مسؤول، وحزب، وفئة، وفرد ان يوجّه إهانة للآخرين الذين يختلف معهم في وجهات النظر، أولاسمح الله أنْ يفضحهم، رغم انه من حق الجميع ان يقوموا بحملة انتخابية صحيحة لصالح انفسهم أو لصالح مرشحيهم، أو لصالح الآخرين، كما ولا يستطيع أي كان أنْ يسلب هذا الحق من الآخرين. ولكن يلزم ان تكون الحملات الانتخابية في اطار مقررات وضوابط الحكومة. ولا يحق شرعاً لأي شخص ان يدلي بصوته الى الآخرين بطاعة عمياء ومن دون ان يعرف عنهم شيئاً. واذا كان هناك توافق في وجهات النظر بين جميع الأفراد والفئات حول صلاحية شخص أوعدة أشخاص، ولم يتفق الناخب مع وجهة نظر هؤلاء، فيجب ان لايتبعهم، إذ انه سيكون مسؤولاً أمام الله. واذا قامت فئة أو قام أشخاص بتأييد صلاحية فرد أو أفراد آخرين، واطمأن الناخب من ذلك، فانه، أي الناخب يستطيع ان يدلي بصوته لصالح هؤلاء.

وبالجملة فإنَّ الحكومة، هي حكومة الإسلام والشعب، ان المجلس، هو من والى الشعب، وان رأيه هو رأي الناس. وجدير بالذكر انه يجب على الأهالي المحترمين لكل منطقة تجري فيها الانتخابات ان يرشّحوا فرد أو عدة أفراد و يقوموا بحملة انتخابية صحيحة و شرعية لصالحهم. ولكي تكون الانتخابات، انتخابات جيدة، فيجب ان لايتم ترشيح أفراد من منطقة الى منطقة أُخرى، وأيضاً يجب عدم تأييد صلاحية أوعدم صلاحية المرشحين.

ان التدخل في انتخابات أي منطقة، يجب ان يكون من اختصاص أهالي تلك المنطقة فقط، ومن الأفضل ان يتبادل جميع ممثلي فئات المناطق

الانتخابية، وجهات النظر حول ترشيح فرد أو عدة أفراد... وبهذه الميزات يكون جميع الأشخاص احراراً فيما لو توفّرت فيهم الشروط اللازمة لترشيح الآخرين أو ترشيح أنفسهم.

هـ. إنّ الحوزات العلمية الفقهية والجامعات، تحظى بأهمية خاصة، إذ انها بمثابة المواد الأولية لقدرات شعب و بلدٍ ما. فهي تقوم بنشر حقائق الإسلام والمسائل السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية و بقية المسائل الأخرى الخاصة بالبلاد. و بها تتحرك عجلة نظام ما و بإصلاحها تصلح البلاد، واذا فسدت ـ لاسمح الله ـ فإنها تؤدي الى إفساد الشعوب. فإذا كانت المدارس والجامعات نشطة وسليمة، لما ابتليت المجالس والحكومات وأجهزة القضاء السابقة بالمصائب، ولما نزلت المصائب على قُطرنا وشعبنا المظلومين. واذا كان شعبنا لايريد ان يكون أسيراً بيد القوى العظمى وعملائها، وأيضاً أسيراً بيد الحكومات مثل الحكومة القاجارية والنظام البهلوي الذي كان أسوأ من تلك الحكومة، عليه ان يجاهد في سبيل اصلاح هذين القطبين. واذا كان طلبة العلوم الدينية والفضلاء والعلماء والمراجع العظام والفئة الجامعية من أساتذه محترمين وطلبة جامعيين وأيضاً كافة العلماء، لايريدون أن ترزح بلادهم تحت نير الإستعمار ومفترسي العالم، عليهم ان يسعوا لتربية الشعب تربية اسلامية ووطنية سليمة. كما ويجب على الطلبة الجامعيين وطلبة العلوم الدينية ان يسعوا لتربية أنفسهم والإستعانة بإرشادات الأساتذة والمدرسين والمربين في هذا المجال، وان يسعوا بكل مالديهم لتحقيق الوحدة الحقيقية والجدية بين الجامعات والحوزات العلمية الاسلامية، لأنّ أعداء الشعب والوطن طالما استفادوا من التفرقة بين هؤلاء والحقوا أضراراً ببلد الإسلام.

واليوم يجب على الفضلاء ومدرسي العلوم الاسلامية أن يأخذوا بنظر الاعتبار مناهج الأسلاف الصالحين، و يستخدموا أفكارهم لتوسيع الفقه والتفسير وسائر العلوم الاسلامية الأخرى و يرشدوا طلبتهم الى هذا الهدف الالهي... وعلى أساتذة وعلماء الجامعات ان يصبوا جل اهتمامهم في المسائل العلمية المختلفة التي يحتاج اليها شعبٌ ما، ويخططوا لاستقلال علمي وثقافي ليستغني طلبتنا الأعزاء عن الذهاب الى الخارج، فيما لو استطاعوا بعد مدة و بعونه تعالى ومن خلال استخدام أفكارهم السامية والثقة بأنفسهم ان يلبّوا الإحتياجات العلمية للطلبة. وهذا أمر ممكن. ولو لم تكن الدعايات الخارجية والداخلية لعملاء الغرب، لكان هذا الأمر متحققاً اليوم. إلا ان المتغربين الذين كانوا فيما مضى عملاء لبريطانيا وفرنسا وعادوا اليوم عملاء لأمريكا، منعونا من ان نعتمد على أنفسنا، كما انهم أدخلوا اليأس في نفوس شبابنا وجعلوا جامعاتنا ألعوبة بأيديهم.

إنّ الفساد، كان يسود المجلس والحكومة وجميع نقاط البلاد. واليوم حان الوقت لنستيقظ ونحبط الدسائس الإستعمارية، ويجب على شبابنا الأعزاء الذين هم ذخر للبلاد ان يعلموا بان الذهاب الى الشرق و الغرب لتحصيل العلوم المختلفة يمنعهم من تحقيق الهدف المطلوب المتمثل بالاستقلال والحرية ويجعلهم أكثر تبعية. ان اعداءنا الذين يطمعون في بلادنا لم ولن يسمحوا لنا مطلقاً في تحقيق الإستقلال، والتحرر من التبعية. ويجب علينا ان نقنع أنفسنا بانه لايوجد في الغرب سوى الوسائل التي تجعلنا نتخلّف عن ركب الحضارة. وعلينا جـ ان نعي بأنّ أعداءنا يطمعون في جامعاتنا وهـ

أمل في أن يستطيعوا في المستقبل النفوذ الى جامعاتنا وجرّ الشباب الطيّبي القلب نحو الإنحطاط والفساد والرياء، وذلكمن أجل تهيئة الأرضية المناسبة لاستثمارهم ونهبهم... .

يجب على الأساتذة المحترمين أنْ يراقبوا شباب البلاد عن كثب لئلايدخل في صفوفهم الانتهازيون من المتغربين، ويحقق هؤلاء الأغراض الدنيئة لمفترسي العالم. فإذا رأيتم (والكلام مع الأساتذة) اقل انحراف في أقوال وأفعال شخصٍ ما، فلا تغضوا النظر عنه وتعتبروه أمراً صغيراً، بل عليكم ان تقضوا على مثل تلك الأقوال فور ظهورها... واسأل الله ان يوفقكم.

٦- إنَّ السلطة القضائية باعتبارها مرجع وملجأ الناس المضطهدين، هي سلطة مستقلة، ولا يجوز لأي شخص التدخل في شؤونها، واذا كان هناك من يتدخلون في الشؤون القضائية جهلاً منهم، فعليهم ان يعلموا بانهم يتصرفون خلافاً للأحكام الشرعية ونظام الجمهورية الإسلامية. اما اذا كانوا يتدخلون عمداً فإنهم يعاقبون على تدخلهم. ومن الواجب على الحكومة ان تقوم بالحيلولة دون قيام أي شخصٍ بمثل هذه الأعمال. و يجب اعتقال الأشخاص الذين يمتنعون عن الإمتثال أمام المحاكم، وتطبيق التعزير الشرعي عليهم. والاشخاص الذين يتجاهلون أحكام القضاة الشرعيين، و يقاومون أمامها، إنما يتمردون على القانون ، والذين يريدون تقديم شكوى ضد قاض، أولهم اعتراض على حكم القاضي، عليهم مراجعة الجهات المختصة، لا أنْ يقوموا بما يحلو لهم. كما وعليهم ان يعلموا بأنَّ الأحكام الصادرة عن القضاة الشرعيين، طالما لم يثبت بطلانها من حيث الشرع في أية محكمة صالحة، فإنها سارية المفعول. و يجب على المجلات والصحف وأجهزة الاعلام الأُخرى أنْ تعلم بأنَّ إضعاف السلطة القضائية، عمل مخالف للموازين الإسلامية، و يجب تجنُّب الأشياء التي تؤدي الى إضعاف أو إهانة جهاز العدل. فهذا القطر، هو قطر اسلامي، و يجب ان تكون جميع الأشياء فيه مطابقة للموازين الإسلامية.

إنَّ تقديم شكوى ضد القضاة والمحاكم، يجب ان يتم وفق القوانين الشرعية، وان الشاكي مهما كان لا يحق له ان يطرح شكواه في الصحافة أو في أجهزة الإعلام أو في المجامع العامّة و يثير الإشاعات ضد السلطة القضائية. إذن فعلى الصحف والمجلات والإذاعة والتلفزيون ان تأخذ هذه المسائل و نظائرها بنظر الاعتبار. و بالجملة فإنَّ مسألة القضاة واحترام القضاة المحترمين واطاعة الأحكام الصادرة عنهم، لهي أُمور يهتم بها الإسلام كثيراً ونسأل الله ان يوفّق الجميع. ومن جهة ثانية فإنَّ جهاز القضاء، هو جهاز حسّاس. و يجب السعي بجد لعدم ارتكاب أي خطأ فيه. واذا شعر القضاة بأنهم ارتكبوا خطأً، فيجب ان لايشعروا بالخجل من التراجع عن قرارهم، إذا ان الخجل في محضر الباري تعالى، يكون أكبر من الخجل امام الناس، و يجب أنْ يسعوا لمواجهة الأشخاص باحترام ودقة وحزم، ليرضى الناس عنهم، لأنَّ رضا الناس يعقبه رضا الله. وليسعى القضاة بأسرع ما يمكن للنظر في شؤون الناس، وعدم التماطل في هذا المجال.

٧- واليوم فإنَّ قطرنا يواجه هجوماً من قبل جميع المتعنتين، ذلك انه يريد تطبيق الأحكام الإسلامية، ولأنَّ القوى العظمى تشعر بالقلق منه، ولأنَّ حكومات المنطقة تتخوف منه، نتيجة

لتصوراتها الباطلة. وهؤلاء لايتأخّرون عن أية دعاية ضدّه. وفي مثل هذه الظروف العالمية يجب على الشعب والحكومة أن يسند أحدهما الآخر بكل مالديه من طاقات حتى وإنْ كان لأحدهما انتقاد على الآخر، فيجب ان يمدا يد الصداقة والأخوة لأحدهما الآخر. ان الحكومة تخدم الشعب بجميع طاقاتها. واذا كانت هناك نواقص، فمن غير الممكن سدّها في هذا النظام المولود حديثاً والذي لم يتخط لليوم مرحلة الثورة، و يخوض في الوقت الحاضر حرباً ضد مفترسي العالم الشرقيين والغربيين الذين يتحدوننا في جميع الأبعاد، وان الحكومة مشكورةعلى جهودها و نشاطاتها في مثل هذه الأجواء الجهنمية.

يجب على الشعب ان يقف بجميع طاقاته الى جانب الحكومة، و يذكّر الحكومة بالنواقص الموجودة، و يساعدها على سد تلك النواقص، كما و يلزم على الحكومة أنْ تسعى لسدّ النواقص. و بالجملة اذا لم تتضامن جميع فئات وطبقات الشعب وكافة أعضاء الحكومة والقوات المسلحة والعشائر، ولم تدافع معاً عن وطنها وعن الإسلام، واُصبنا بهزيمة ـ لا سمح الله ـ فإننا جميعاً سنكون مسؤولين أمام الله ومرتزقة بنظر الأجيال القادمة ومظلومي العالم. وما ذكرناه لايعني ان الإنتقادات البنّاءة والنصائح الأبوية والأخوية من قبل المجلس التي تعتبر من أحد حقوقه فيها إشكال، بل انها لازمة، واذا كانت وراءها ـ لا سمح الله ـ أغراض اُخرى، فيجب ان يعترضوا، بل و يستجوبوا الحكومة.

٨ـ ان الشعب والحكومة الاسلامية، بل وجميع المسلمين الملتزمين، والمهتمين بمصالح الاسلام والعالم، والمستضعفين الذين يعون المسائل العالمية ـ هؤلاء المضطهدون الذين عرفهم التاريخ ـ هم غير راضين من بعض تصرفات حكام المنطقة وسائر الأقطار الاسلامية و يستنكرون محاولات رؤساء هذه البلدان في اُطر المؤتمرات الرامية الى الاعتراف بإسرائيل الغاصبة و بسط نفوذ اميركا في المنطقة والأقطار الاسلامية أكثر فأكثر وتسهيل عملية نهب المصادر العظيمة للمسلمين والوقوف الى جانب الحرب المعلنة على المسلمين اللبنانيين المظلومين والسعي لتوسيع نطاقها، وأيضا تقديم العون للمعتدين الصداميين في الحرب المفروضة على ايران والذي يساعد بحد ذاته على تقوية اُسس الكيان الاسرائيلي الغاصب.

وكذلك يستنكرون و يدينون كل ماجرى في مؤتمر المغرب. انكم (مخاطباً زعماء الأقطار الاسلامية) انتخبتم مكاناً لاقامة المؤتمر وكذلك شخصاً لرئاسته كان في نفس الوقت الذي كانت تبذل فيه المساعي للإعتراف بمشروعي كامب ديفيد وفهد السيئي الصيت، يرتكب المجازر الدموية بحق الشعب المسلم في المغرب الذي انتفض بوجهه في أكثر المدن المغربية. و بذلك فقد أدخل الشخص الذي تحلّون عنده ضيوفاً يديه مرة اُخرى حتى المرفق في حرمة دماء الشعب المسلم والمظلوم في المغرب.

ومع جميع هذه المصائب والمشاكل التي يعاني منها العرب و باقي مسلمي العالم، ونظراً للمصير المشترك الذي تملكه الشعوب الاسلامية حسب أحكام الإسلام العظيم، فإني أقترح على علماء ومفكري جميع الأقطار الاسلامية التداول فيما بينهم لوضع برنامج عام يستهدف ايجاد طريق لإنقاذ الأقطار الاسلامية من مخالب القوى العظمى الغربية والشرقية، وكذلك يستهدف اخراج زعماء

لأقطار الاسلاميه من سلطة مستبدي العالم، فضلاً عن ايجاد طرق المقاومة والصمود أمام مخططات لإستعمار والامبريالية العالمية، وان يكون ذلك لبرنامج سبباً لتكثيف الإتصالات فيما بين لعلماء والمفكرين، وايضاً ان يكون مستنداً الى عي الشعوب المحرومة و يقظتها، واذا قبلوا بهذا لإقتراح فانهم حتماً سيحدون طريق الخلاص سينتصرون لا محالة.

واتمنى ان يرضى الله وعباده عن أُولئك العلماء ليفوزوا بالحياتين الدنيا والآخرة، و يبق اسمهم خالداً على ألسن جموع العالم والأجيال القادمة، وان عليهم ان يطمئنوا ان الوضع السائد في العالم يسير نحو التغيير الأساسي، وان جماهير عالم اليوم لن تسمح للقوتين العظميين ان تقوما بما يحلو لهما وان تنفرد فئة من الأشخاص لتحديد مصير العالم، لذلك فعلى العلماء والمفكرين الملتزمين ان يضعوا أنفسهم في صفوف الشعوب، و يتقربوا منهم قبل حدوث التغيير العالمي الذي أشرنا اليه، وعليهم أن يتّكلوا على الشعوب و يد خلوهم في الحساب، وأن يعاملوهم وفقاً لماجاء في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة حول كيفية معاملة الرعية.

وأن عليهم كذلك أن يوجّهوا أنظار الشعوب اليهم بهذا الشكل، لكي يرفعوا كلياً الحواجز المصنوعة بين العلماء والمفكرين من جهة والمجتمع والجماهير الكادحة والفقيرة في المجتمع من جهة أخرى، أو يعملوا على تقليلها، حيث أن شعوبنا اليوم لا تفهم كلام العلماء والمفكرين البعيدين عنهم، وانما تفهم كلام العلماء الذي يخاطبون به الشعوب. أن هذه الحالة هي الوحيدة التي تؤدي الى كسب ود ودعم الشعب لكم، و بالتالي تخرجكم من سلطة القوى العظمى وأذنابها التي تجركم الى الذّل والهوان، وتضعكم في المقابل في حصن كلمة لا إله الا الله العظيمة. واذا تحقق ذلك فإنه سيؤدي الى اتحاد الشعوب مع بعضها، وترسيخ اخوتها، والعيش بشرف وكرامة، التي تعتبر أفضل بمثاب المراب من هذه الحياة المتذبذبة والمشوشة التي يحيونها، وان الحياة الكريمة التي يعد الاسلام بها تؤدي الى السمو والرقي في الدنيا والدين، حتى ان أُولئك المسم من الشعب الذين خدعوا بدعايات الشرق والغرب وأصبحوا مبهورين به، فإنهم لايعرفون شيئاً عن الثدفة الإسلامية أولم يفهموها جيداً، والاّ لكان جميعهم قد عاد الى أحضان الإسلام الأصيل، وأملنا ان يعمل علماؤنا وعلماء الأقطار الإسلاميه على توضيح أهمية الإعتماد على النفس والإستقامة في مواجهة جميع القوى العظمى، وترسيخ تلك المفاهيم في أذهان الشعوب الإسلامية، وعليهم ان يطمئنوا بانه لايوجد أي شخص في العالم يميل ذاتياً، للارتباط بالأجانب، أو أن يكون عميلاً لهم. ان علينا ان نسعى حثيثاً من أجل إفهام الشعوب وأقناعها بأنها تستطيع أن تقف على أقدامها أمام أعتداءات الشرق والغرب، وكذلك الاعتماد على النفس في الدفاع عن ثقافتنا الاصيلة وشرفنا وكرامتنا الاسلامية والوطنية، وأنه بامكاننا أن نهزم العالم المادي شر هزيمة، و بالتالي نفلح في رفع راية لا اله الاّ الله ومحمد رسول الله خفاقة في جميع انحاء العالم إن شاء الله.

٩ـ من الأُمور المهمة التي يجب ملاحظتها كثيراً هي ضمان رفاه وسعادة المعتقلين في السجون الإسلامية، سواء كانوا من الفئات التي رفعت السلاح ضد الجمهورية الاسلامية وسببت في قتل الناس الأبرياء من أبناء المحلات والمناطق

الفقيرة، أو أولئك الذين مارسوا مهنة بيع وتوزيع المواد المخدرة والتي جروا فيها شباب قطرنا الى الفساد، أو باقي المعتقلين... ان هؤلاء اليوم أسرى في أيديكم، وهم الذين أورطوا أنفسهم. وعليكم أيها الأخوة ان تعاملوا أسراء كم من المسجونين، وكذلك أسرى الحرب برأفة وحنان وود، وعليكم أن تجعلوا من السجون مدارس للتعليم والتربية الاخلاقية، كما قمتم بذلك لحد الآن، وذلك لكي تسمحوا للمنحرفين والمذنبين ان يذوقوا حلاوة العدالة الإسلامية، و بالتالي أن يعودوا الى الإسلام والنظام الاسلامي، والتوبة النصوحة. أن رحمة الله تسع كل شيء، وأن أبواب رحمته مفتوحة أمام الجميع حتى أولئك الذين يستحقون الحدود الإلهية القاسية كالقتل و باقي العقوبات المنصوصة، ويجب ان يشمل هؤلاء عطف المسؤولين ورحمتهم ورفقهم في آخر لحظة من حياتهم.

و يتوجب على مجلس القضاء الأعلى، ولجنة دراسة وضع المعتقلين في أنحاء البلاد، ان يعجّلوا في انجاز المهام الملقاة على عاتقهم، وان يعفوا عن كل شخص يستحق العفو حسب الشريعة الاسلامية واطلاق سراحه فوراً وفسح المجال أمامهم لمزاولة الحياة الحرة في هذه الدنيا وان شاء الله يعودوا الى هذا المجتمع، ليكونوا أبناء مفيدين لوطنهم.

١٠ـ أطلب من جميع المواطنين المتواجدين في خارج القطر من الذين بأمكانهم خدمة هذا البلد وتقديم العون لشعبنا المظلوم، سواء كانوا أطباء أو من المتخصصين في العلوم الأخرى، أطلب من جميع هؤلاء أن يعودوا الى رشدهم و يفكروا قليلاً بحالة شعبهم الذي عانى كثيراً من المصائب والآلام على مرّ التاريخ، ورزح تحت ظلم الجائرين من الحكام، وعليهم أن يفكّروا و يروا هل يسمح لهم ضميرهم الإنساني أن يجلسوا في بلاد الغربة، و ينخدعوا بأقاويل الإذاعات والصحف الأجنبية الكاذبة والخيالية التي تعتبر جميعها أعداء لهذا الوطن ولهذا الشعب، والتي تبث وتنشر الدعايات والاشاعات المغرضة التي يختلقها المنافقون وأعوان الملكية السابقة الذين لايفكرون إلاّ بمصلحة أمريكا ومصلحتهم الخاصة و يعملون دوماً على وضع موارد القطر العظيمة كما في السابق في بطون أمريكا وأعوانها الحاقدين؟ وكيف يسمح أولئك القابعون في خارج القطر، لأنفسهم في أن يخدموا أعداء دينهم ووطنهم، وهم يسمعون دوي أصوات المظلومين من أبناء وطنهم وشعبهم المحروم، ولايبالون بذلك؟ ولايسمحون لأنفسهم أن يكونوا شركاء لأحزان ومصائب هذا الشعب؟ أن ماتسمعونه من وسائل الاعلام الأجنبية في الخارج لايتعدى كونه دعايات لاأساس لها. وعارية من الصحة، تعالوا الى وطنكم، وانظروا بأعينكم ماذا يجري لهذا الشعب الذي حصل على أستقلاله وحريته بأيديه الفولاذية، وقطع أيدي الغزاة والناهبين و بترها عن وطنه واستلم مقاليد أموره بيده، وابتعد كلياً عن جميع أنواع الارتباط والعمالة السياسية والعسكرية والثقافية. هذا الشعب يسير في المجالات الاقتصادية نحو الأكتفاء الذاتي والاعتماد على النفس. تعالوا وانظروا التغييرات الأساسيه التي حدثت في جميع قطاعات الشعب وشاهدوا الخدمات التي قدّمت لمحرومي التاريخ مز أبناء شعبكم خلال السنوات القليلة المنصرمة م عمر الثورة المباركة، وعليكم ان تلاحظوا هذ النقطة المهمة وهي أننا أستطعنا ان ننقذ هذا البا ونمنعه من الإنحراف الى اليمين أوالى اليسار بالرغ

من جميع المشاكل التي أبتلي بها شعبنا وحكومتنا المؤقرة، وكذلك بالرغم من المشاكل الموروثة من عهود ماقبل الثورة، وماسببته الحرب من و يلات وآلام جاءت بعد فرضها علينا من قبل القوى العظمى، وكذلك بالرغم من الأعمال الخيانية والمؤامرات الكبيرة التي نفذتها الفئات الداخلية العميلة، وكذلك بالرغم من كافة الضغوط الإقتصادية من مثل فرض المقاطعة الاقتصادية علينا والتعتيم والتشويه الاعلامي المقيت، وماسببه لنا النازحون جراء الحرب العدوانية وتهديدات حزب البعث العراقي، وكذلك المشردون من الشعب الأفغاني المسلم.

ولذلك، تعالوا انتم الى هنا، وأخدموا وطنكم، وأوفوا بدينكم تجاه بلدكم، واذا كنتم فعلاً معتقدين بالإسلام فانظروا مايريده منكم الشرع المقدس وقارنوا بين الوضع الآن والوضع الذي كان سائداً في عهد النظام البهلوي المقبور، واذا كنتم وطنيين حقاً، فاعلموا ان ايران اليوم ينظر اليها باعتبارها البلد الوحيد الذي يقف بوجه امريكا وروسيا في العالم، وأنظروا مايتمتع به هذا القطر من الشهرة والقدرة في العالم، بحيث ان الدول المعادية تعمل من أجل الحيلولة دون شيوع تلك الشهرة والسمعة بين شعوب العالم، تعالوا وأشهدوا ماحققته ايران اليوم من استقلال حقيقي وقارنوا ذلك مع ما كان عليه ايام الشاه المقبور الذي كان يفتخر بعمالته لامريكا وعمل على ربط عجلة الشعب بالامبريالية الامريكية وسبب له المصائب والآلام الكبيرة التي لازال يعاني من البعض منها... وطبيعي ان حديثي هذا ليس مع أُولئك الذين نهبوا وسرقوا وأخرجوا أموال الشعب عند هروبهم ووقعوا في مستنقع الفساد والشهوات الرخيصة، بل ان حديثي موجّه بالأساس للشرفاء والأحرار من أبناء هذا البلد الذين لازالوا محتفظين بضمائر إنسانية حيّة.

١١ـ أن حديثي مع علماء الدين المحترمين وأئمة الجمعة والجماعة في أنحاء القطر، هو أنكم أيها السادة كنتم دوماً محوراً لوحدة الشعب، وكما تعلمون فأننا اليوم نحتاج أكثر من أي وقت مضى الى وحدة الكلمة، وأن مسؤوليتكم اليوم مضاعفة وانتم وحدكم الذين تستطيعون أن توثّروا على الشعب، لأنكم على اتصال مباشر معه و تحولون دون أنخداع الطيبين منهم بدعايات أعداء التورة المغرضين الذين يعملون على بث الفرقة بين صفوف الشعب وهم يخشون من وحدة كلمته، حيث بامكانكم أن تنقذوهم عن طريق بث الوعي فيهم امام دسائس المتآمرين والذين لا يريدون إلا الشر لهذا الشعب، وعليكم أن تُفهموا الشعب بأنه هو الذي قام بهذه الثورة، وهو صاحبها الحقيقي، وهو نفسه الذي انتفض بوجه الطاغوت البهلوي الجائر، وأن تُفهموا أبناء الشعب بأن عليهم اليوم أن لايصغوا لتلك الأقاويل، ولا يهتموا بتلك السموم والأعمال المغرضة التي يقوم بها أعداء الاسلام بهدف بث الفرقة بين صفوفهم المتراصة.

فإذا حدث ذلك لاسمح الله فإنَّ مابذلتموه من طاقة ودماء شهدائكم، سوف تذهب هباءً و يصبح الإسلام و بلدكم الإسلامي والأجيال القادمة مرة أُخرى أسيرة بيد الأجانب وأعداء الإسلام لا سمح الله، وستلحق بالاسلام الذي أحييتموه أنتم هزيمةً لايمكن تعويضها خلال مئات السنين أو القرون من الزمن، وسوف تكونون مسؤولين أمام الله والأجيال القادمة، وستحاكمون وتُعاقبون على ذلك، وأنني أقول لشعبنا العزيز ولجماهيرنا المليونية البطلة انه لا توجد أية ثورة في

التاريخ قد حدثت بدون تقديم التضحيات والشهداء والقرابين وتحمل الصعاب وارتفاع الأسعار والضغوط المادية المؤقتة، ولكن لوقارنا الثورات الأُخرى مع ثورتنا الاسلامية، فأننا لايمكن أن نشاهد أية ثورة أُخرى في التاريخ قد تحمّلت تلك الصعاب والآلام والماسي والضغوط أقل من الثورة الاسلامية، أي أننا تحمّلنا أقل من كل تلك الثورات، بالرغم من المحتوى الاسلامي الأصيل لثورتنا الذي جرَّ الجماهير الاسلامية الى ساحة العمل، وكذلك جرَّ باقي أبناء شعبنا من الأقليات المذهبية الى معترك الحياة فضلاً عن أن ثورتنا كانت سبباً في تحريك جميع الشعوب ووحدتهم وانتصارهم على الطواغيت واشتعال نار انتفاضاتها في انحاء العالم.

واذا كانت ثورتنا لم تحقق سوى طرح الإسلام مرة أُخرى في ساحة الحياة العالمية وعزل ودحر القوى العظمى والظالمة، فإنَّ ذلك يكفي لوحده ان يكون داعياً لافتخار وعزة شعبنا البطل، والآن ولأجل الحفاظ على ذلك الفخر والشرف العظيم، لابُدَّ من الصبر وتحمل المشاق والجهاد في هذا الطريق، والحمدلله فقد أنجزتم ماعليكم ووفيتم بالتكاليف الشرعية والوطنية التي وضعت على عواتقكم، وإن شاء الله سوف تقومون بذلك فيما بعد بشكل أكثر جدّية وفعالية من قبل، وأخاطب أُولئك العلماء والمفكرين الذين سلموا من مرض التغرب واللجوء الى الشرق، ولم يبيعوا شرفهم الاسلامي والوطني على حساب ميولهم أو أهواء القوى العظمى أو من أجل لذاتهم وشهواتهم الفانية الى الهمّة وتقوية العزائم من أجل تسخير أقلامهم وعقولهم لخدمة الله والإسلام والوطن والشعب المسلم في ايران، وعليهم أن يضموا أصواتهم الى أصوات الجماهير المحرومة، وأن يوحدوا كلمتهم معها من أجل الحفاظ على الحرية التي كسبها الشعب وانقاذه من مخالب الشرق والغرب، وأن لايتأخروا عن أي جهد وسعي في هذا الطريق وان هذه الفرصة لم تسنح لأية أمة غيركم في العالم، وأدعوا الله سبحانه وتعالى بالتوفيق لمعرفة واجبنا الإسلامي والعمل بما تقتضيه الشريعة الحقه.

١٢-نرفع أيدينا المليئة بالذنوب الى الله سبحانه وتعالى، وأتضرع اليه وأدعوه أن لايدعنا وحدنا في مواجهة أنفسنا، وأن يديم ظل عنايته ورعايته على رؤوس المسلمين فى العالم، و بالأخص شعبنا الايراني البطل، وأننا نعلم بأننا لانستطيع الوقوف بوجه الظالمين والناهبين الذين يعملون على أرضاخ العالم تحت سلطتهم الشيطانية بدون رعاية الله ودعمه، وأن رعاية الله وحده هي التي كانت سبباً في المحافظة على قدرة هذا البلد ليواجه جميع الضغوط السياسية والعسكرية والاقتصادية والإعلامية التي فرضت عليه من الخارج، أدعوك اللهم أن توفقنا في الاستمرار في طريقنا الشائك الهادف الى خدمة عبادك المظلومين وأن تحفظنا من الإنحراف والتردد.

أدعوك اللهم أن تتقبل منا شهداءنا الذين ساروا اليك بكامل أرادتهم، وأن تجعلهم في صفوف اوليائك الأبرار، وأن تترحم على شهدائنا الأحياء الذين ساروا في طريقك ووصلوا الى حدود الشهادة ولم ينالوها ووظفوا سلامتهم من أجلك، وأن تعطيهم أجر وثواب شهداء صدر الاسلام. وأدعوك اللهم أن تعيد الى الجرحى سلامتهم الكاملة وصحتهم التامة، وأن تُعيد سريعاً ياربي جميع المفقودين الأعزا الى حضن هذا الشعب وعوائلهم الكريمة.

اللهم وأدعوك أن تعيد أسرانا الذين حيّروا العا بصمودهم البطولي أمام الأعداء الى وطنهم وشعبه

لكي يستطيعوا أن يكمّلوا ماقاموا به في سبيل خدمتك وخدمة عبادك ، وأن تلهم عوائلهم الصبر والسلوان، وأن تصيبهم الأجر والثواب والمغفرة والرحمة، وأن تنزّل على شعبنا المسلم الشريف والعظيم السعادة والسلامة الدائمة والبركات، وأن تنزّل على أبطالنا في الجبهات النصر المؤزر والعاجل، وأن توفقنا لكي نكون دوماً مخلصين لك في أعمالنا، وأن تحرسنا من شر نفوسنا الأمارة بالسوء، وأدعوك اللّهم أن تصلي وتسلم على الأنبياء العظام و بالأخص أشرفهم وخاتمهم محمد صلى الله وعليه وآله وسلم، وأن تصلي وتسلم على الأولياء العظام ولا سيّما ولي العصر وصاحب الزمان أرواحنا لمقد مه الفداء... والسلام عليكم ورحمة الله و بركاته ■

روح الله الموسوي الخميني

تقرير موجز عن:

تقرير موجز عن المؤتمر الثاني للفكر الاسلامي المنعقد بطهران بتاريخ (١-٣ج ١/١٤٠٤هـ . ق) الموافق (١٥-١٧بهمن/١٣٦٢هـ . ش).

وفق توصية من المؤتمر الأول للفكر الإسلامي المنعقد بتاريخ (٢٤/ربيع الثاني/١٤٠٣هـ . ق) الموافق (١٧-١٩بهمن ١٣٦١هـ . ش) تم الإعداد للمؤتمر الثاني للفكر الإسلامي من قبل منظمة الإعلام الإسلامي، واتخذت الإجراءات اللازمة لذلك، وتأسست لجنة عليا مهمتها التخطيط والتنفيذ معاً، وأُرسلت رسائل الى العلماء والمفكرين في داخل الجمهورية الإسلامية وخارجها، ليكتبوا حول الموضوع المنتخب هذا العام وهو «القرآن الكريم» كما أُرسلت قائمة بأهم الموضوعات القرآنية التي ينبغي بحثها..

وكان عون الله وتوفيقه، المدد لنا في المضي بعملنا، وتهيئة المقالات، وترجمتها ـــ في الغالب ـــ الى لغتين أُخريين أو أكثر، غير لغة المقال الأصلية، كما تمّت الترتيبات الضرورية لطبعها، وهيئت لجان الترجمة الآنية، والأُمور الفنية، والخدمات، بالإضافة للّجنة الفكرية التي أشرفت على سير المؤتمر من هذا الجانب...

وبهذا انعقد المؤتمر الثاني للفكر الإسلامي كأفضل مايكون، ووفقاً للبرنامج المحدد التالي:

السبت ١ج١/ ١٤٠٤ــ ١٥ بهمن/ ١٣٦٢ (صباحاً)

الاســـم	الدولة	الـموضــوع	الزمن
١ـافتتاح المؤتمر بآيات من القرآن الكريم			٩٫٢٥
٢ـنشيد			٩٫٣٥
٣ـحجة الإسلام والمسلمين السيدعلي الخامنئي رئيس الجمهورية الإسلامية في ايران	ج.إ.إ	ضرورة العودة الى القرآن	٩٫٥٠
آية الله احمد جنتي	ج.إ.إ	نظام الدفاع والجهاد في القرآن الكريم	١٠٫١١
٤ـحجة الإسلام السيدمحمد باقرالحكيم	العراق	الهدف من نزول القرآن	١٠٫٤٦
٥ـالأستاذ عبدالكريم بي آزار الشيرازي	ج.إ.إ	تفسير القرآن بالقرآن بالنظر لترابط آياته	١١٫٣٨
٦ـانتهاءالفترة الصباحية			....

★★★★

السبت ج١/ ١٤٠٤ هـ.ق ــ ١٥ بهمن / ١٣٦٢ هـ.ش (عصراً)

الاسم	الدولة	الموضوع	الزمن
١ـالدكتورمهدي گلشني	ج.إ.إ	منهج معرفة الطبيعة في القرآن الكريم	٣٫١٥
٢ـالدكتورابراهيم سلقيني	ج.ع.س	المصدرالأول من مصادر الشريعة الإسلامية	٣٫٥٢
٣ـالدكتورسعيد شيبان	الجزائر	من النظرات العلمية في القرآن	٤٫٢٤
٤ـالدكتورالبخاري حمانة	الجزائر	القرآن والثورة	٤٫٤٢
١ـفترة الاستراحة			٥٫٠٤
٢ـحجة الإسلام مرتضى حسين صدرالافاضل	الباكستان	مناهج التفسيرفي شبه القارة	٥٫٢٨
٣ـفترة المناقشة			

الأحد ٢ ج ١/ ١٤٠٤ هـ.ق- ١٦ بهمن/ ١٣٦٢ هـ.ش (صباحاً)

١-تلاوة آيات من القرآن الكريم			٩ر٠٠
٢-آية الله الخزعلي	ج.إ.إ	السنن الالهية الحاكمة في الانسان والعالم.	٩ر١٦
٣-البروفسور اسماعيل فاروقي	امريكا	نظرية الانسان في القرآن	٩ر٥٤
٤-حجة الاسلام السيد محمود الهاشمي	العراق	ملامح الاقتصاد الاسلامي في القرآن الكريم.	١٠ر٢١
٥- فترة الاستراحة			١١ر١٢
٦-فضيلة الشيخ التيجاني نياس	السنغال	الثورة الاسلامية امتداد لدعوة سيد الانبياء	١١ر٤٠
٧-فضيلة الشيخ نيك عبد العزيز	ماليزيا	حاجة الناس الى القرآن	١١ر٥٩
٨- فترة للمناقشة			١٢ر١٢
٩- انتهاء الفترة الصباحية			١٢ر١٩

☆☆☆☆

الأحد ٢ ج ١/ ١٤٠٤ هـ.ق- ١٦ بهمن/ ١٣٦٢هـ.ش (عصراً)

١-فضيلة الشيخ عبدالله ناصر	كينيا		٣ر١١
٢-الأستاذ السيد ديكسون منصري	سيراليون		٣ر٢٤
٣-الأستاذ سليمي عن قسم القرآن في منظمة الإعلام الاسلامي	ج.إ.إ	قراءة القرآن وتعلمه	٣ر٣٧
٤- حجة الإسلام محمد باقر الانصاري	ج.إ.إ	أسماء وأوصاف القرآن في القرآن الكريم.	٤ر٠٠
٥-الدكتورة لميعة فاروقي	امريكا	المرأة في القرآن الكريم	٤ر٢٥
٦- حجة الإسلام محمد تقي رهبر	ج.إ.إ	النظام السياسي في القرآن	٤ر٥٣
٧- انتهاء الفترة المسائية			٥ر٢٨

الاثنين ٣ ج١/ ١٤٠٤هـ.ق ـ ١٧ بهمن/ ١٣٦٢ هـ.ش (صباحاً)

١ـ آيات من القرآن الكريم			٩،٠٩
٢ـ الشيخ قاسم عباس الحائري	العراق	عودة الإمام القائد (شعر)	٩،٢١
٣ـ حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد حسين فضل الله	لبنان	في ظل التربية القرآنية	٩،٣٤
٤ـ الاسرى العراقيون ضيوف الجمهورية الاسلامية في ايران	العراق	كلمة ونشيد	١٠،١٤
٥ـ الدكتور محمد جواد السهلاني	ج.إ.إ	التربية والتعليم في القرآن الكريم	١٠،٤٤
٦ـ حجة الإسلام محمد علي التسخيري	ج.إ.إ	نظرة في العلاقات الدولية على ضوء القرآن الكريم	١١،١٣
٧ـ حجة الإسلام والمسلمين محمد اليزدي	ج.إ.إ	مع التوحيد القرآني	١١،٤٣
٨ـ انتهاء الفترة الصباحية			١٢،٢٢

☆☆☆☆☆

الاثنين ٣ ج١/ ١٤٠٤هـ.ق ـ ١٧ بهمن/ ١٣٦٢هـ.ش (عصراً)

١ـ حجة الإسلام السيد جعفر مرتضى	لبنان	الحروف المقطعة في القرآن الكريم	٣،١٤
٢ـ الأخ قلب الدين حكمت يار	افغانستان	مفهوم الصلح في القرآن	٣/٤٥
٣ـ السيد مرزوق العلوي	البحرين	«قصيدة»	٤،١٤
٤ـ آية الله مهدوي الكني .	ج.إ.إ	شمولية القرآن الكريم	٤،٢٢
٥ـ فترة الاستراحة			٥،٠٣
٦ـ الشيخ ابو بكر مصطفى	نيجيريا	حول القرآن الكريم	٥،٣٤
٧ـ الشيخ حسن أحمد بدوي	كينيا	مشاهدات في ايران	٥،٥١

☆☆☆☆☆

الاثنين ٣ ج١/ ١٤٠٤هـ.ق ـ ١٧ بهمن/ ١٣٦٢ هـ.ش (ليلاً)

١ـ نشيد (قسم القرآن في منظمة الإعلام الاسلامي)	ج.إ.إ		٨،١٤
٢ـ البيان الختامي القاه حجة الإسلام عباس الشيرازي			٨،٣٠
٣ـ محاضرة حجة الاسلام والمسلمين الهاشمي الرفسنجاني		العلاقة بين القرآن والثورة	٨،٣٤
٤ـ اسئلة وأجوبة			٩،٠٠
٥ـ اختتام المؤتمر			٩،١١ ليلاً

هذا وقد أرسل كل من الأساتذة:

الدكتور عبد اللطيف عبادة ــ المغرب، والأستاذ عبد الرشيد محبوب / مدير المعهد الاسلامي ــ موريس، رسائل تحية للمؤتمر بعد ان لم يوفقوا للحضور.

كما حضر الأستاذان: الدكتور عمار الطالبي (الجزائر)، والبرفيسور الگار (أمريكا) احتفالات عشرة الفجر، إلاّ انهما ــ نتيجة لظروف معيّنة ــ إضطرا لمغادرة الجمهورية الاسلامية، وقد وجّه الدكتور الطالبي رسالة الى المؤتمر نشرناها في هذا العدد الخاص.

كما ان الأساتذة التالية أسماؤهم قدّموا طلبهم أو مقالاتهم للحديث في المؤتمر، إلاّ أنه لم يكن في وقت المؤتمر متسع لذلك، فآثرنا نشر بعضها هنا.

الاسم	العنوان	الدولة
الدكتور بشير أحمد صديقي	رئيس جامعة لاهور	(باكستان)
الأستاذ السيد سجّاد رضوي	مدير الكتب الدراسية	(بنجاب)
ام اي ايل بي	لاهور	(باكستان)
حسن حجازي		(لبنان)
ضمير الحسن	استاذ جامعة رابطة العلم والدين	(استراليا)
حسين عنبريس	ممثل المجاهدين الروحانيين من حزب الله	(لبنان)
الشيخ مختار	مدير مدرسة دار السلام	(زيمبابوي)
بلال الصادق	مهندس بناء	(لبنان)
الشيخ دار الحسن	امام جمعة الشيعة	(كينيا)
روبرتو علي		(الارجنتين)
خضر الموسوي		(لبنان)
يوسف عبد اللطيف		(أفريقيا الجنوبية)
كارتاگا		(اوغندا)
آدم سلام		(زيمبابوي)

نازي تماضر		(لبنان)
زينب جمعة		(لبنان)
الدكتور صلاح الدين آش	أحد الأساتذة	(تركيا)
السيد عبدالله محمدي	امام جمعة سمز	(ايران)
الدكتور ابومالك		(امريكا)
الشيخ محمد أكبري		(افغانستان)
الدكتور حامدالگار		(امريكا)
رسالة الدكتور فاروق حمادة		(المغرب)
الأستاذعلي مجاهدي	أحدمدرسي العلوم الدينية	(الفيليبين)

وقد تميّز المؤتمر بالميزات التالية:

أولاً ـ موضوعه المهم وهو القرآن الكريم باعتباره المنبع الرئيس لفهم الاسلام وصياغة الحياة الإنسانية والإسلامية.

ثانياً ـ حضورالشخصيات العلمية والفكرية الكثيرة فيه. فقد تمّ افتتاحه برسالة هامة من رئيس الجمهورية حجة الإسلام والمسلمين السيد علي الخامنئي. واختتامه بمحاضرة لسماحة حجة الاسلام والمسلمين الشيخ الهاشمي الرفسنجاني، كما حاضر فيه أساتذة وعلماء كبار، كما هو مدرج في الجدول السابق.

ثالثاً ـ تنوع الحاضرين فيه، فقد حضره المئات من علماء الجمهورية الاسلامية في ايران المتواجدين في انحائها ومحافظاتها المختلفة، كما حضره أكثرمن (٣٠٠) من ضيوف الجمهورية الإسلامية لاحتفالات عشرة الفجر، الأمر الذي منحه الأهمية الخاصة.

رابعاً ـ تنظيمه، فقد تم التزامه تقريباً بالمواعيد المحددة، كما تمّت ادارته بنجاح فائق، كما تمّ توزيع المقالات مطبوعة في الوقت المناسب، بالإضافة للترجمة الآنيّة الى أربع لغات أخرى غير لغة المتحدث.

خامساً ـ تنوّع البحوث فيه، مستوفية مختلف الجوانب من عمق التحقيق، الى ربط اجتماعي جيد، الى احصاء مستوعب، و غير ذلك.

هذا، وقد أصدر المؤتمر في ختام أعماله البيان الختامي التالي:
البيان الختامي للمؤتمر الثاني للفكر الاسلامي ــ المنعقد في طهران بتاريخ (١-٣ج ١/١٤٠٤هـ .ق) الموافق (١٥-١٧ بهمن/١٣٦٢هـ .ش).

بسم الله الرّحمن الرّحيم

«ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم»

بمناسبة الذكرى الخامسة لانتصار الثورة الإسلامية في ايران، والتي تنبعت من معين القرآن الكريم في مظهره الحقيقي الأصيل، و باعتباره الصفة العالمية لهذا الكتاب السماوي المقدس و هو المعجزة الخالدة لرسول الإسلام الى نهاية العالم، وتبعاً لتوصية المؤتمر الأول للفكر الإسلامي المنعقد بطهران في السنة الماضية بالعمل على مواصلة عقد هذا المؤتمر. فقد انعقد المؤتمر الثاني للفكر الاسلامي في اطار برامج اللجنة الخارجية لاحتفالات عشرة الفجر، مركّزاً في بحوثه على «القرآن الكريم» مستهدفاً من ذلك تهيئة الظروف اللازمة لعودة الأمة الإسلامية الى هذا الكتاب الذي قدسته وكرمته خلال أربعة عشر قرناً. إلاّ ان تآمر أعداء الإسلام، وغفلة المسلمين، قد أديا ــ للأسف ــ الى ابعاد أغلب تعاليمه ــ عملاً ــ عن المجال الحياتي الفردي والاجتماعي للمسلمين، لتحل محلها الثقافة الإستعمارية الغربية المنحطة.

وقد تمّ انعقاد هذا المؤتمر، بحضور اكثر من (٣٠٠) شخصية من الضيوف الوافدين من (٧٠) قطراً تقريباً، واشتراك المئات من علماء الدين.وأساتذة الجامعات من انحاء الجمهورية الإسلامية في ايران، وقد بدأ أعماله بتلاوة الرسالة القيّمة التي وجهها اليه حجة الاسلام و المسلمين السيد علي الخامنئي، الرئيس المحترم للجمهورية الاسلامية في ايران. وقد بحث المؤتمر موضوعات قرآنية علمية واجتماعية وسياسية عديدة خلال عشرات من المحاضرات التي لفتت اليها الأنظار.

وفي ختام أعماله، أكّد المؤتمر على التوصيات التالية:

١ــ على كل فرد من المسلمين، وخصوصاً العلماء والقادة الدينيين والمفكرين الملتزمين، ان يسعوا ــ في حركة عظيمة واسعة الأبعاد و بكل مايملكون من قوى ــ الى تعليم القرآن الكريم، وتفسيره، وتفهيمه، وعرض أبعاده العقائدية والعبادية والأخلاقية والثقافية والإجتماعية والسياسية والحقوقية، وذلك في المساجد والمدارس والجامعات، عاملين على رفع مستوى تعرّف الجيل الحاضر على كتابه المقدس.

٢ــ ولما كان العمل بالقرآن الكريم هو الأصل الرئيس لتحقيق سعادة الإنسانية، فإنّ على جميع المسلمين ــ و بالخصوص العلماء والمفكرين والمسؤولين ــ ان يسعوا سعياً دائماً لتطبيق القرآن وقوانينه التي تتكفل سد الضرورات الإجتماعية، وأنْ لاينوانوا عن السعي حتى تستقر حاكمية القرآن في المجالات الفكرية والتربوية والإجتماعية. وان المؤتمر ليرى لزاماً عليه أن يقدّر الجمهورية الإسلامية في ايران و يشكرها على الخطوات الواسعة التي قامت بها في هذا الصدد.

٣ــ على الأمّة الإسلامية، أنْ تحكم القرآن الكريم في المجال السياسي للعالم الاسلامي، وتعمل على تحرير المستضعفين المظلومين من براثن النفوذ الإستكباري ــ الشرقي و الغربي ــ وعملائه محطّمة قيودهم، عاملة بقوله تعالى:

«و يضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم».

٤ــ ولكي يتم نشر تعاليم القرآن على المستوى العالمي، فإنّ على الأمّة الاسلامية ان تبذل كل طاقاتها لتحقيق الوعد الإلهي القاطع كما جاء في الآية الكريمة «ليظهره على الدين كله».

٥ــ ورغم بقاء القرآن وفق مفاد الآية الكريمة «انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون» مصوناً عن التحريف ــ وسيبقى كذلكــ إلاّ ان من واجب المسلمين الغيارى، مراقبة مؤامرات أعداء الإسلام، والعاملين على تحريفه، أو تغيير نصه الثابت المتواتر، محافظين بكل حذر على هذا الكتاب المقدّس.

٦ــ يدعو المؤتمر، العلماء، والمفكرين في العالم الاسلامي، الى تشكيل مركز علمي، يعني بمهمة الإشراف على سير حركة الترجمة لمعاني القرآن الكريم الى اللغات العالمية الحية، حذراً من التفسيرات الخاطئة أو (المغرضة).

٧ــ يدعو المؤتمر ــ بموجب الآية الكريمة «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا» ــ جميع المسلمين لتشكيل جبهة واحدة تعمل على إعادة الإسلام من جديد، واسترجاع عزتهم، والقضاء على الاستعمار الغربي والشرقي معتمدين ــ خلال ذلكــ على القرآن الكريم باعتباره أهم محور أساسي للوحدة الإسلامية، ومبتعدين عن أي اختلاف هامشي.

٨ــ ونظراً لما يواجهه الشعب المسلم في فلسطين وأفغانستان ولبنان وغيرها من الأقطار من هجوم عسكري وسياسي أجنبي، فإنّ على المسلمين ــ مستلهمين من مئات الآيات القرآنية الواردة في مجال الجهادــ ان يقوموا من خلال فضح جرائم أعداء الاسلام، وإدانة المشاريع الإستسلامية، بتعبئة كل امكانياتهم لنصرة المظلومين وقطع أيادي المعتدين.

٩ــ وبملاحظة الهجوم العسكري للنظام العراقي العميل على اراضي ايران الاسلامية، والذي تمّ بايعاز ودعم من قوى الشرق والغرب ــ وخصوصاً امريكا ــ لضرب الثورة الاسلامية العاملة على تحقيق حاكمية القرآن في أرجاء العالم، فإنّ المؤتمر وبحكم الآية القرآنية «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله»، يدعو المسلمين قاطبة لتعبئة كل قواهم لسحق أمثال هذه الفتن والإعتداءات على حريم الإسلام والمسلمين.

١٠ــ ولما كانت الثورة الاسلامية بقيادة سماحة آية الله العظمى الإمام الخميني، قد قامت على أساس القرآن الكريم، فإنّ المؤتمر يؤكد قيادة هذا القائد العظيم للأمة الاسلامية، و يدعو أبناء القرآن للتضامن مع أهدافه السامية القيمة.

وختاماً نسأل الله العظيم ان يمنّ على المسلمين بتحقيق الأهداف السامية للإسلام والقرآن.

وفي ختام هذا التقرير الموجز

تود اللجنة العلمية ان تشكر سماحة آية الله الشيخ الجنتي على رعايته التامة للمؤتمر، ورئاسته الحازمة وتفريغ وقته له، كما تشكر كل الأخوة والأخوات الذين ساهموا في إقامته وتسهيل أموره.

والله تعالى نسأل ان يوفقنا لما فيه خدمة أهداف الإسلام والقرآن الكريم وعلاء الجمهورية الاسلامية في ايران وهي دولة القرآن الكريم بلاريب.

والله الموفق... ■

اللجنة العلمية

للمؤتمر الثاني للفكر الاسلامي

ضرورة العودة الى القرآن الكريم

حجة الاسلام والمسلمين السيد علي الخامنئي
ــ رئيس الجمهورية الاسلامية في ايران ــ

بسم الله الرحمن الرحيم

«كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ»

قال رسول الله (ص): (اذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم، فعليكم بالقرآن فانه شافع مشفع وما حل مصدق، من جعله أمامه قاده الى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه الى النار، وهو الدليل يدل على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل، وله ظهر وبطن، فظاهره حكم، وباطنه علم، ظاهره أنيق، وباطنه عميق، له نجوم، وعلى نجومه نجوم، لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه، فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة، ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة، فليجل جال بصره وليبلغ الصفة نظره ينج من عطب ويتخلّص من نشب).

قال علي (ع): (واعلموا ان هذا القرآن هو الناصح الذي لايغش، والهادي الذي لايضل، والمحدث الذي لا يكذب، وما جالس القرآن أحد إلاّ قام عنه بزيادة أو نقصان: زيادة في هدى، أو نقصان في عمى).

إنّ من الضرورة بمكان أن تركّز الأمّة الإسلامية اليوم على هذا التعريف الذي قدّمه رسول الإسلام للقرآن..

ان البيئة المعاشية للمسلمين لم تلوث الى هذا الحد الذي تلوثت به اليوم من سحب سوداء متراكمة وقطع الليل المظلم.

صحيح اننا نجد القرآن ــ ومنذ الخطوات الأولى

التي تلت تحوّل الخلافة الإسلامية الى السلطنة الطاغوتية ــ قد تحوّل في الواقع ــ الى زائدة كمالية، وخرج بشكل رسمي ــ وإنْ لم يكن ذلك بشكل اسمي ــ عن المجال الحياتي للمسلمين، إلاّ أن ما حدث في جاهلية القرن العشرين من خلال عمل الأجهزة السياسية والاعلامية المعقدة، يعد أخطر من ذلك بمراتب وأكثر بعثاً على القلق بلاريب.

ولكي ينعزل الإسلام عن الحياة، فإنّ أكبر وسيلة وأكثرها أثراً هي اخراج القرآن عن المجال الذهني والقلبي والعملي للأمة الإسلامية. وهذا بالتأكيد ما عمل له المتسلطون الأجانب والعملاء الداخليون لهم، سالكين هذا السبيل عبر الإستعانة بشتى الأنماط والوسائل.

إنّ القرآن وهو (حسب تعبيره هو) الكتاب المقدّس، والنور، والهدى، والفرقان بين الحق والباطل، والحياة، والميزان والشفاء، والذكر لا تتم له هذه الخصال ــ بشكل عملي ــ إلاّ اذا تمّ ــ قبل كل شيء ــ استيعابه فهماً وتطبيقه عملاً.

لقد كان القرآن في عصر الحكم الإسلامي في الصدر الأول، هو القول الفصل والكلمة الأخيرة ــ وحتى كلام الرسول (ص) فإنه يجب ان يعرض عليه. وكان حَمَلَة القرآن، يتمتعون بالاعتبار الواقعي في المجتمع بعد ان كان الرسول (ص) قد أعطى الأمّة التعليم القائل: (اشراف امتي، أصحاب الليل وَحَمَلَة القرآن).

لقد كان استيعاب القرآن علماً وعملاً، يشكل قيمة واقعية. فللإجابة على كل مشكلة حياتية يجب الرجوع للقرآن. ولقد كان القرآن ملاك قبول أي حديث، أو أسلوب، أو مدعى، ومعياره. كان عليهم ان يعرفوا الحق والباطل من وجهة نظر القرآن ليشخصوا نماذجها ومصاديقها في ميدان الحياة.

ومنذ فقدت القوى الحاكمة على المجتمعات المسلمة القيم الإسلامية واغتربت عنها ورأت في القرآن ــ وهو الناطق بالحق وفرقان الحق والباطل ــ عقبة في سبيلها، بدأ السعي الحثيث لإبعاد كلام الله عن ميدان الحياة، و وجد عقيب ذلك الفصل بين الدين والحياة الإجتماعية، والتفريق بين الدنيا والآخرة، والتقابل بين المتدينين الواقعيين وأهل الدنيا المقتدرين، وأبعد الإسلام عن مركز إدارة مجالات الحياة الإجتماعية للمجتمعات المسلمة ليقتصر على المساجد والمعابد والبيوت وزوايا القلوب، وهكذا وجد الفصل بين الدين والحياة بكل ما عاد به من خسارة على المدى الطويل.

ومن الطبيعي ان القرآن قبل ان يتم الهجر الواسع للمتسلطين الغربيين ــ الصليبيين والصهاينة ــ وان لم يكن موجوداً في المجال الحي بالمعنى الحقيقي إلاّ انه كان يحتل مكانه في أذهان المسلمين وقلوبهم ــ على تفاوت بينهم في ذلك ــ ان الهجوم الصليبي ــ الصهيوني في القرن التا[سع] عشر، لم يستطع ان يتحمّل حتى هذا القدر أي انهم لايستطيعون ان يتحمّلوا وجود القرآن ا[لذي] يصدر بكل وضوح أمر (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ ٱلْخَيْلِ) و ينشد نشيد (وَلَنْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً)، القرآن [الذي] يريد للمؤمنين ان يكونوا أخوة فيما بينهم، أ[شداء] غضاباً على أعدائهم، مثل هذا القرآن لايمك[ن]

ـتحمّله المتسلطون الساعون للسيطرة على أزمّة أمور لمسلمين، ونهب كل شيء لديهم.

إنّ هؤلاء المتسلطين أدركوا ــ بكل وضوح ــ ان لقرآن رغم هذا التواجد الناقص ــ في حياة الأمّة، ـن يسمح لتسلطهم ونفوذهم ان يسلك سبيله لمنشود، ولذا فقد وضعوا خطة حذف القرآن تماماً. وطبيعي انْ لا تمتلك ولن تمتلك ــ هذه الخطة شكلاً عملياً، ذلك ان الله تعالى قد وعد الأمّة لإسلامية بحفظ القرآن دائماً ــ على اننا لا نستطيع ن نغض النظر عن نتائج ذلك السعي الواسع الأبعاد لذي تمّ من قبلهم بهذا الصدد.

القوا اليوم نظرة على ميدان حياة المسلمين، فأين تجدون القرآن؟ هل تجدونه في أجهزة الحكومات؟ أو في النظم الإقتصادية؟ أو في تنظيم العلاقات والمناسبات بين الناس بعضهم مع البعض الآخر؟ في المدارس والجامعات؟ في السياسة الخارجية والعلاقات بين الدول؟ في تقسيم الثروات الوطنية بين فئات الشعب؟ في أخلاقية المسؤولين في لمجتمعات الإسلامية وكل فئات الشعوب التي تتأثر بهم ــ قليلاً أو كثيراً ــ؟ في السلوك الفردي للحكام لمسلمين؟ في العلاقات بين الرجل والمرأة؟ في لأرصدة المصرفية؟ في أنماط المعاشرة؟ في أي مكان من الحركة العامة والإجتماعية للناس؟ ولنستثن من كل هذه الميادين الحياتية المساجد والمآذن وأحياناً بعض البرامج ــ التي لا تعد شيئاً ــ من الإذاعات رياءً وخداعاً لعامة الناس. ولكن هل جاء القرآن لهذا فقط؟ لقد كان السيدجمال قبل مائة سنة يَبكي ويُبكي لهذا الأمر، حيث عاد القرآن يقتصر على الإهداء والتزيين والتلاوة في المقابر والوضع على الرفوف.. ولكن ماذا حدث في المائة سنة هذه؟ ترى ألا يبعث وضع القرآن لدى الأمّة الإسلامية على القلق؟

إنّ الحديث كلّه يتركز على ان القرآن، كتاب حياة الإنسان؛ إنسان اللانهاية، الإنسان المتكامل، الإنسان ذي الأبعاد، الإنسان الذي لاحدّ لتكامله، إنّ هذا الهادي والمعلم للإنسان، قادر على ان يرعاه في كل العصور، وان نظام الحياة اللائق بالانسان، إنما يتعلّمه الإنسان من القرآن لا غير، وان الأساليب التي يجب ان يتبعها ليرفع عن كاهله أنواع الظلم، والتفرقة والفساد، والجهل، والطغيان، والانحراف، والدناءة، والخيانة التي أُبتلي بها خلال تاريخه الطويل فكانت عقبة في سبيل رشده وتعاليه، كل هذه الأساليب إنّما يمكن ان تكون عملية في ظل الهداية القرآنية والخطط الذي طرحه الكتاب السماوي للحياة الإنسانية.

إنّ العودة الى القرآن، هي عودة الى الحياة التي تليق بالإنسان، وهي المهمة الملقاة على عاتق المؤمنين بالقرآن، وفي طليعتهم العارفون به، والعلماء والمبلغون الدينيون.

وإنّ العودة الى القرآن، شعار لو يطرح بشكل حقيقي وجدي، لاستطاع ان يقدّم الفارق بين الحق والباطل ــ كما يجب أنْ لا تتحمل الشعوب الإسلامية وجود تلك القوى التي لا تريد ان تقبل مسألة العودة الى القرآن.

إخواني المسلمين، أخواتي المسلمات؛

اننا بعد ان ابتلينا ــ كذلك ــ بالبعد عن القرآن

وأصبنا بآثار التآمر ضد القرآن من قبل الأعداء العالميين، قد ذقنا طعم العودة الى القرآن. وان الثورة الإسلامية العظيمة في ايران وإقامة نظام الجمهورية الإسلامية، لتعد من الآثار المباركة الكبرى لهذه العودة.

إنَّ هذا الشعب ليشاهد اليوم في أُفق حياته، وفي علاقاته الإجتماعية، وفي شكل حكومته ومحتواها، وفي مناقبية قادته، وفي سياسته الخارجية، وفي نظام التعليم والتربية لديه، يشاهد في كل ذلك لمعات من التعليم القرآني... إنَّ الذي هبَّ علينا لحد الآن إنما هو نسيم من جنة القرآن.. إلاّ ان الطريق أمام السعي والحركة، مازال مفتوحاً للوصول الى بحبوحة هذه الجنّة الواقعية.

إننا نعيش الفخر كله بعد ان أصغينا لنداء القرآن، وهي مسؤولية كل الشعوب وخاصةً علماء الدين، والمفكرون، والخطباء، والكتاب وكل العاملين.

ان مؤتمر الفكر الإسلامي ليؤدي رسالة سامية، إذ يعرض قائمة بالمعارف القرآنية، و يقوم بخطوة على سبيل طرح المعرفة القرآنية من جديد.

إنَّ البحث في الموضوعات التي جاءت في جدول أعمال هذا المؤتمر، يجب ان يمتلك القدرة على منح الأذهان المستعدة الإذعان بأنَّ كل ما تتطلبه إدارة حياة اجتماعية لائقة متوفر في القرآن، وذلك من المعرفة الذهنية الى الأساليب العملية، ومن العقيدة المادية المحفزة والمعبئة للنفوس الى النظم المتنوعة التي تشكل أقساماً مختلفة للحياة الإجتماعية، ومن تحليل ماضي التاريخ البشري الى التنبؤ بمستقبل الإنسان.

إننا نجد الفلسفات، والآيديولوجيات المادية المتنوعة، قد وصلت الى طرق مسدودة، وذلك على الصعيد الذهني والعملي، فعجزت بالتالي عن اجتذاب القوى الإنسانية وتعبئتها.

والدور الآن للحاكمية القرآنية، لتقوم بسد الفراغ الموجود في الأذهان والأعمال الإنسانية وتبشر بتحقق الوعد القرآني.

(ليظهره على الدين كله)

وعليكم انتم اخوتي واخواتي ان تواصلـ[وا] ممارساتكم حول محور القرآن من مجالات المعرفة ا[لى] ساحات العمل، ومن القراءة الى التفسير، وم[ن] القبول الذهني الى التحقق الخارجي، احملوا شع[ار] العودة الى القرآن الى أقطاركم وانشروه ب[ين] شعوبكم وشجعوهم وقربوهم من تحقيق ا[لـ] الشعار. واني لآمل ان تعينكم وتهديكم روح القر[آن] و باطنه في هذا المسعى المبارك ■

العلاقة بين القرآن والثورة

حجة الاسلام والمسلمين هاشمي الرفسنجاني
ـ رئيس مجلس الشورى الاسلامي ـ

إرتأيت أن أتحدث هنا حول، **القرآن الكريم والثورة والعلاقة بينهما**، حيث ان هذا الموضوع له علاقة مع مواضيع مؤتمر الفكر الاسلامي ومع ما يدور الآن في العالم، وانه سيكون قاسماً مشتركاً يربط بين موضوعي المؤتمر والأحداث التي تدور الآن في العالم ومدى أثر القرآن الكريم على الثورة.

ولما كان الوقت لايسمح لي باعطاء توضيح مفصل حول أثر القرآن على الثورة في الماضي والحاضر والمستقبل، لذلك سأكتفي بسرد فهرس الأبعاد الرئيسية لهذا الموضوع الحيوي، وأرجو من الأخوة الحاضرين ان لايتوقعوا مني بحثاً تحقيقياً كاملاً وواسعاً حول هذه القضية بما يتناسب مع المستوى الرفيع للمؤتمر، خلال هذه الفترة القصيرة التي سوف لا تتعدى النصف ساعة.

لايوجد أي شيء في هذه الدنيا أعاننا ووقف بجانبنا دوماً أكثر من القرآن الكريم

في هذه الثورة، وان الدعم الذي حصلت عليه الثورة الإسلامية في ايران من القرآن الكريم لايمكن مقارنته إطلاقاً بجميع العوامل الأخرى المؤثرة في هذا الطريق، مثل وجود القيادة الحكيمة وآثار دماء الشهداء وحتى المظاهرات العظيمة التي كان يقوم بها الشعب وكذلك الظروف والعوامل السياسية والاجتماعية التي كانت سائدة في المجتمع تلك الأيام.... أقول ان تأثير القرآن الكريم على مسير الثورة كان أكبر بكثير من كل تلك العوامل.

وأول نقطة أود اثارتها هنا، هي تأثير القرآن الكريم في الأعوام التي سبقت انطلاقة هذه النهضة المباركة، والتي لعب فيها القرآن الكريم دور الرأسمال ومتاع الطريق الذي تحتاجه النهضة في طريقها الطويل.

لقد كانت المعارف القرآنية في أيام التمهيد للثورة خلال الأعوام العشرة المحصورة بين ١٩٥١ ـ ١٩٦١م، بمثابة العامل الرئيسي في بناء شخصيات طلبة الحوزة العلمية في قم من الشباب المؤمن والملتزم الثوري، وان الدروس القرآنية والمسائل الإجتماعية التي كانت تطرح اثناء تلك الدروس فضلاً عن مناقشة الشؤون العالمية وبحوث التفسير التي كان يلقيها العلامة الفقيد السيد الطباطبائي في قم ـ حيث ربّى الكثير من التلاميذ الذين أرى البعض منهم هنا، ويتوزع الكثيرون منهم في شتى انحاء ايران ـ أقول ان كل ذلك كان يركّز القضايا الإجتماعية المهمة في أذهان وأفكار الطلبة الشباب، وكان يطهّر أذهانهم من الكثير من الشوائب، وقد رأينا تجسُّد تلك المعارف القرآنية العظيمة تدريجياً في قيادة إمام الأمة الحكيمة، وهذا يعني ان الإمام القائد كان قد فُرز منذ تلك الأيام باعتباره أفضل شخصية قرآنية استطاعت ان تستلهم من القرآن الكريم طريقها ونهجها القويم في جميع أنحاء العالم الإسلامي وايران، وهو أيضاً أُستاذ بارع في الفقه والأُصول والفلسفة منذ تلك الأيام. لقد رأينا كيف تركت تلك الدروس آثارها على أذهان شباب هذه الثورة الأصيلين الذين كانوا يدرسون في الحوزة العلمية في قم وكيف اثمرت تلك الدروس تدريجياً وحرّكت مشاعرهم نحو القيام بنهضة عارمة ضد النظام الجائر.

كان ذلك في أواخر عام ١٩٦١ وأوائل عام ١٩٦٢، حيث انطلقت النهضة منذ ذلك التاريخ وركّزت دعائمها على القرآن الكريم لتخوض الكفاح ضد الطواغيت فيما بعد.

انّ المطلعين على تاريخ الثورات في العالم والذين لهم القدرة على دراستها وتحليلها منطقياً يعرفون جيداً ان أكبر ركن

من أركان أية ثورة، هو ابتعاد قادة تلك الثورات عن الدنيا وما فيها من الماديات والأشياء الدنيوية الخادعة الأخرى، ولو لم تترسخ هذه العقيدة في أذهان زعماء الثورات فلا يمكن لتلك الثورات ان تقف بصلابة على أقدامها وتقوّي دعائمها، واننا نعتقد بعدم وجود أي شيء آخر غير القرآن الكريم يستطيع ان يترك تلك الآثار الأساسية في نفوس وأذهان قادة الثورة الإسلامية في ايران.

وباعتقادي لايوجد في هذه الدنيا أي عامل آخر غير القرآن الكريم يستطيع ان يؤثر على نفس الإنسان، ويدفعه للتخلي عن مغريات الدنيا، وترك البيت والمرأة والأولاد، والعمل في سبيل الله فضلاً عن تخلّيه عن اللذات الدنيوية، وأي أمر آخر يشغل الإنسان عن ذكر الله في هذه الدنيا ويسبب في التصاق الإنسان مادياً بهذه الدنيا، وقد يوافقني الآخرون من السائرين على هذا الطريق، بأنَّ بعض الآيات القرآنية تنزل على نفس الإنسان كصاعقة تقلع جذور الأهواء والشهوات الدنيوية من النفس البشرية وتؤثر كثيراً على حياة الإنسان في هذه الدنيا ومن تلك الآيات، الآيتان المباركتان التاليتان: (قل ان كان آباؤكم أو ابناؤكم أو اخوانكم أو ازواجكم أو عشيرتكم أو أموال اقترفتموها أو تجارة تخشون كسادها أو مساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره..) (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنَّ لهم الجنة، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون، وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل وبشر الصابرين..).

وهناك الكثير من هذه الآيات في القرآن.

وعندما يقرأ الإنسان القرآن، ويواجه مثل هذه الآيات المباركة الحاوية على مثل هذه المضامين العظيمة، فانه يتخلّى عن الماديات السخيفة، ويزداد تعلقاً ورسوخاً بالأهداف والرؤى الأصيلة التي تعتبر من المستلزمات الأولى للثورة، وهذا الأمر لايمكن لغير القرآن ان يمنحه للإنسان، وبالطبع فانَّ للأخبار والروايات والأحاديث النبوية الشريفة الأثر الكبير في هذا المجال، ولكن ليس بقدر أثر القرآن على النفوس، ولكن الإنسان الموحّد والمؤمن بالله والمرتبط به والمعتقد كاملاً بمبادئ التوحيد الأصيلة يعي جيداً الفرق بين تأثير القرآن وتأثير الأمور الأخرى في مثل هذه الحالات.

لذلك فإنَّ أول مسألة اكتسبت أهمية فائقة بالنسبة لنا، هي الإبتعاد والتحلي عن

الأمور المادية والدنيوية، حيث وهبنا القرآن تلك المشاعر والأحاسيس الأصيلة، ولازال يمثل المعين الذي يزوّدنا بتلك القوى والقدرات في طريقنا الشائك، وكذلك فانّ المجاهدين والشهداء الذين يتساقطون اليوم في أنحاء البلاد الإسلامية و بالأخص في ايران الإسلام يرتوون من نفس ذلك المنبع الصافي.

والمسألة الأخرى التي أود التطرق اليها هنا باعتبارها ضرورية في تقدم الثورة وسيرها الى الأمام، هي وجود قدرة تحمُّل الصعاب والمشاكل التي تتولد للإنسان من ظروف ومجريات الثورة.

ان التخلي والإبتعاد عن مغريات الدنيا، يعتبر من الأمور التي بإمكان الإنسان ان يحققها، و ينتصر بذلك على نفسه الخدّاعة، ولكنه يلمسها بشكل جيد عند ما يدخل في ساحة الأحداث ومسرح الحياة والثورة وما فيها من صعاب ومشاكل كالتهديد والسجن والتعذيب والحرمان والمشاكل الأخرى التي يواجهها الثوريون، وقد لمس الكثير من الأخوة المناضلين المتواجدين في هذه القاعة كل تلك الأمور بشكل عملي اثناء سجنهم في عهد الشاه المقبور، وربما يكون الأخوة الضيوف قد لمسوا ذلك أيضاً في حياتهم اليومية، وخاصة عندما يواجه الإنسان نظاماً جائراً مستبداً كأعداء ايران من المستكبرين ونظام صدام الطاغي في العراق وأمثال تلك الأنظمة الظالمة في العالم.

ان هؤلاء الطواغيت الجائرين ينزلون شتى أنواع العذاب على رؤوس قادة وزعماء الثورات العالمية والثوريين في كل مكان، و يعتبر تحمل مثل تلك الصعاب والمشاكل بالنسبة للإنسان أمراً صعباً ومرهقاً جداً، فالكثير من الأشخاص يصمدون في البداية، ولكنهم عندما يتعرضون للتعذيب الروحي المرهق، و يوضعون في الزنزانات الإنفرادية، و يتعرضون لشتى أنواع التعذيب الماسي اثناء التحقيق معهم في السجون، وعندما يقضون فترة طويلة في السجون و يشعرون فيها بالجوع والعطش والحرمان والمشاكل الكبيرة، وكذلك حينما يشاهدون حيرة وعذاب زوجاتهم وأطفالهم، و يتعذبون كذلك من أقوال أقربائهم حين زيارتهم في السجون، وعند ما يلتقون مع أهلهم وذويهم من خلف قضبان الزنزانات و يشاهدون وضع أولادهم وأطفالهم المزري.. نقول عندما يواجهون تلك الظروف فانهم ييأسون بسرعة من المستقبل، و يتراجعون عن مواقفهم السابقة، ويخضعون للطاغوت بعد ان تنتهي قدرة تحملهم.

ويحتاج الإنسان في مثل تلك الحالات الى شيء أساسي واحد يعينه في الصمود

والتقدم الى الأمام بخطى ثابتة وراسخة، واني اعتقد باعتباري أحد الذين جرّبوا كل تلك المواقف العصيبة أقول بانه لايوجد أي شيء في الدنيا كالقرآن الكريم يستطيع ان يؤثر في هذا الطريق.

اني امتلك بعض الذكريات الشخصية عن الفترة التي قضيتها في السجون، واني متأكد بأنّ لدى الكثير من الأشخاص الذين مرّوا بنفس تجربتي، الكثير من الذكريات عن السجون أيضاً. ولو جمعنا تلك الذكريات فانها ستشكل بلا شك كتاباً كبيراً. واسرد لكم الآن واحدة أو اثنتين من تلك الذكريات العالقة في ذهني لكي تلاحظوا كيف كان يتم حل تلك المشاكل والأمور في السجون والمعتقلات.

في المرة الأولى التي اعتقلت فيها من قبل أجهزة النظام البائد، تمّ استدعائي بعد يومين من الإعتقال للتحقيق، وأخذوني في إحدى الليالي الباردة لاستجوابي، وقد بدأوا التحقيق والتعذيب معي في الساعة السادسة مساءً بعد ان منعوني من اداء الصلاة، واستمر ذلك بشكل متواصل حتى الساعة الرابعة من صباح اليوم الثاني، وقد تضمّن ذلك بعض فترات التوقف لاجراء التحقيق الذي يفقد الإنسان فيه ذاكرته وكل مالديه بسبب شدة التعذيب بأنواعه المختلفة، كالضرب والشتم والصفع وضرب كف الرجل بالأسلاك الغليظة ، وكذلك التهديد بالموت وأنواع أخرى من هذا القبيل. وبعد ان سحبوني من غرفة التعذيب ورموني في زنزانتي (وكان ذلك كما قلت في الساعة الرابعة من فجر اليوم التالي)، أفقت على نفسي ووجدت لديّ نسخة من القرآن المجيد، وفتحت القرآن فوقع نظري على الآيات الأخيرة من سورة البقرة فقرأتها. ان تلك اللحظات تمثل بالنسبة لي وقد اقتربت الآن من سن الخمسين، ألذّ واطيب ذاكرة بقيت في ذهني لحد الآن، فحين تلوت تلك الآيات المباركة وتفاعلت معها، تغيّرت جميع الصور في ذهني. ودخلت في عالم روحاني آخر.

واعتقلت مرة أخرى في عام ١٩٧٤ أو ١٩٧٥، وقد وضعوني في زنزانة فردية لمدة شهر ونصف، وحتى انهم عند ما كانوا يأتون بقطعات الزبد كانوا يجلبونها بعد انتزاع غطاءها الورقي لكي يمنعونا حتى من قراءة ما كان مكتوباً عليه و يعزلوننا عن العالم الخارجي الى هذا الحد، وقد كنت في تلك الفترة العصيبة أتلو بعض الآيات المباركة التي كنت أحفظها، وقد كان لها تأثير كبير عليّ في وحدتي تلك وكنت أتلو تلك الآيات باستمرار ليلاً ونهاراً (مع عدم تفريقنا بين الليل والنهار لشدة الظلمة) حتى اني كنت لا أشعر بطرقات باب الزنزانة

لشدة انفعالي و ولعي بالقرآن. وفي عام ١٩٦٦ كنت امضي فترة مريحة نوعاً ما في السجن بعد انتهاء الاستجواب معي وكانوا يسمحون لي بقراءة المجلات والكتب، وكان في الزنزانة المجاورة لزنزانتي أحد الأخوة الذي كان يقضي فترة عصيبة يتعرض لضغوط كبيرة بحيث كان يُمنع حتى من القراءة، وأردت في حينها ان اخفف عن بعض آلامه، عن طريق اعطائه أحد الكتب ليتسلى به، وقد أجابني بانه لديه نسخة من القرآن الكريم تكفيه ولا حاجة له بأي شيءٍ آخر، قال لي بانه مشغول بالقرآن الكريم ومتلذذ به الى حد بحيث لايمكن لأي كتاب أو مجلة أُخرى ان تملأمكانه أو تفي بهذا الغرض، وأتأسف من ملء الوقت الثمين بقراءة شيءٍ آخر غير القرآن.

وهناك الكثير من الذكريات التي لازالت عالقة في أذهان المسلمين الذين خاضوا تجربة السجون، والكل يقول بأنّه قضى أوقات ممتعة مع القرآن في السجن، فكان القرآن يعيننا دوماً في مقاومة التعذيب والصمود أمام الجلاوزة.. وكنا نرى الشيوعيين عكس ذلك، فقد كانوا يتراجعون عن مواقفهم عند أول خطوة من التحقيق، إذ كان صبرهم ينتهي بسرعة، فيدلون باعترافاتهم على زملائهم في الخارج، وكانوا سرعان مايصلون الى حالة الفراغ العقائدي والطريق المسدود. ومن دخل السجون يعرف جيداً ماذا تعني هذه الحالة.

وكان الذين لايعرفون أهمية القرآن ولم يقرأوه، يصلون بسرعة الى الطريق المسدود. فعندما كانوا يبعدون عن جميع ماحولهم وتزول علاقتهم مع الأُمور المادية، كانوا لايجدون أي مبرر للصمود بعد ان تزول جميع الآمال والمشاعر.

بينما نادراً ما كنا نجد أياً من المسلمين الملتزمين والعارفين بفضل القرآن، يتعاون مع السافاك اثناء مراحل النضال والثورة بل ولم يكن لدينا مثل اولئك الاشخاص، واذا وجدوا فانهم يعدون بالأصابع، ولم يكونوا مؤمنين تماماً، وفي المقابل كنا نجد الشيوعيين يعترفون بسرعة و يتعاونون مع السافاك ، فعند ما كان أحد الشيوعيين يدخل الى السجن فانه كان يجُر وراءه عشرين أو ثلاثين شخصاً من زملائه وهؤلاء بدورهم كانوا يتراجعون بسرعة و يعترفون منذ اللحظة الأولى.

ولكن الأُخوه المسلمين كانوا يدخلون الى السجن، و يصمدون أمام الجلاوزة، ولايدلون بأية كلمة على اخوتهم في الخارج، وكان الأمر لايتعدى ذلك، وقد كان رجال الأمن يعجزون عن انتزاع أي اعتراف منهم، وكانوا يقولون بأنهم أزعجونا كثيراً

بصمودهم وتحملهم الصعاب في هذا الطريق، كل ذلك امام أولئك الأشداء والجبارين من رجال السافاك .

ان هذه الخاصية جاءت من الروحية والقوى المعنوية التي يمنحها القرآن للانسان المسلم، حيث جاء في القرآن الكريم: **(ٱلّذينَ قالوا ربُّنا اللّه ثم استقاموا تتنزّلُ عليهمُ الملائكة ألّا تخافوُا ولاتحزنوا وابشرُوا بالجنةِ التي كنتم توعَدونَ).**

إنّ الانسان عندما يبتعد عن الأمور المادية، و يؤمن عملياً بالقرآن، فإنّ الآيات تتجسّد أمامه بالشكل الذي شرحناه سابقاً، وتتحول الى حركات في حياته اليومية.

والمسألة الأخرى التي تتعلق بهذا الأمر، هي ان القرآن يمنح حركات وأفعال الإنسان، المعنى الصحيح والمناسب لها، واني لا أعرف في هذه الدنيا أية حركة أو أي مبدأ يمتلك مثل هذا الطريق والرسالة والهدف والنموذج السامي المليء بالمعاني الرائعة، و يكون معناه بتلك السعة والشمولية بحيث ان الانسان المؤمن عندما يسير على هذا النهج (نهج القرآن) فانه يرى بأنّ حركته لايمكن ان تهزم اطلاقاً.

اننا لم نواجه مثل هذه الحالات.

و بالطبع فانه قد يوجد الكثير من أمثال هؤلاء الاشخاص في باقي الحركات والثورات، ولكن عند ما تجلس معه وتناقشه فانه يظهر ضعفاً لدينه في البداية لأنه لايمسك أي أمور منطلق عقيدته، ان تعاملنا مع اولئك القادة المؤمنين بالأهداف والمبادئ القيادية كان بهذا الشكل، فقد كان بالإمكان أحياناً أن نمضي معهم شهراً كاملاً في زيارة واحدة وكنا نناقش ونبحث معهم حول مثل هذه الأمور، وكانوا يعجزون عن دراسة وتحليل وضعهم. ولكن القرآن الكريم كان يحدد لنا الطريق دوماً وبشكل واضح وأكيد وبلا أدنى شك، وان الحسنيين التي يطرحهما القرآن في هذه الآية تعتبر أمراً رائعاً جداً **(قُلْ هَلْ تربّصونَ بِنا إلاّ إحدى الحُسنَيين).**

لذلك فإننا لم نكن نعرف معنىً للهزيمة في حياتنا. ويجب ان يكون هذا الشعور موجوداً عند كل مسلم لوكان فعلاً مسلماً حقيقياً لا مسلماً في الظاهر، لأن الإنسان المسلم عندما يدخل معترك الصراع والكفاح وهو يعتقد بأن الأمور كلها بيد الله و يؤمن بالسُنن والأقدار الإلهية ولاينسى الله أبداً وانه لا يعرف الهزيمة إطلاقاً.

ان الانسان الذي يعتقد منذ البداية بأن مقارعة الطواغيت والنضال ضد التفرقة العنصرية والتضحية في سبيل المحرومين تعتبر من الواجبات التي فرضها الله علينا وانها أمور فهمناها من القرآن الكريم وان الأقدار بيد الله، وانه يستطيع ان ينجز مايريد حتى

بعدم وجودنا نحن ولكنه يريدنا ان ننجز ذلك بأنفسنا لكي نبني شخصيتنا، ان مثل هذا الإنسان منتصر ومُسدد لا محالة لأنه يعتقد بأنَّ الله سبحانه وتعالى يريد من الإنسان ان يدخل معترك النضال بهذا التفكير، وبالتالي وانه لايوجد معنىً للهزيمة في هذا الطريق الإلهي، وبهذا الاعتقاد فإننا ننجز ماعلينا من واجب والنتيجة بيد الله وحده، فقد نفشل في مكان ما أو تواجهنا المشاكل في مكان آخر أو ننكشف في مرحلة ما وتُكشف أمورنا وخططنا أو أنه لايتعاون البعض معنا في إحدى المراحل، ولكننا مع كل ذلك نعتقد بأن أجرنا وثواب عملنا محفوظ عند الله سواء نجحنا أو فشلنا في أمر ما. وهذه المفاهيم الأصيلة موجودة في جميع سور القرآن. ان الإنسان يمتلك النشاط الكامل و يتحرك بفاعلية خارقة في الطريق الذي يؤمن به، ولايمكن لليأس ان يدخل الى قلب الإنسان المؤمن، وان ما نقرأه حول شهداء كربلاء بأنهم (لم يكونوا يحسوا ألم الحديد) فإنه نابع من ذلك التعلق العظيم بالقرآن الكريم و برب العالمين، ولذلك فأنهم كلما كانوا يقتربون من الشهاده، كان وجههم يزداد اشراقاً وبهجةً.

لهذا فشبابنا اليوم يستلهمون هذه العبر من أصحاب الحسين(ع)، فنجد ذلك الصبي يصر على الذهاب الى جبهات القتال وتقوم الأمهات بتشجيع ابناء هنَّ و يأخذونهم طوعاً الى مراكز قوات التعبئة، اضافة الى ذلك فأنهنّ يقدمْنَ مصوغاتهنّ لتمويل مصاريف أولاد هنَّ في الجبهة وكذلك يفعل الآباء.

نحن اليوم لا نواجه أي نقص في القوات المقاتلة، فقد تطوع الآلاف من الشباب من جامعاتنا ومدارسنا ومعاملنا ومن الدوائر الحكومية، كل هؤلاء يتوجهون الى جبهات القتال لملء أي فراغ يحصل هناك ، هذه هي استنتاجاتنا من القرآن في الجهاد وفي الفوز بالشهادة.

ترى ما سبب ذلك؟.

نحن في بداية مراحلنا النضالية عند ما دخلنا السجون عانينا حالات صعبة قد يمرّ بها الإنسان بحيث يفقد بها الكثير من الاشياء، منها المقاومة نتيجة التعذيب والمعاملة السيئة والقوة، خاصة عند ما يواجه السجين حالات اليأس من الحياة.

ان الشيء الذي يجعل الإنسان مقاوماً وصبوراً يواجه فيه كل هذه الحالات برباطة جأش، هو استلهامه الجهاد والكفاح من القرآن الكريم، لأنَّ القرآن الكريم مثل الماء الذي يعتبر ضروري لحياة الإنسان وكمتاع الطريق الذي يحمله الإنسان معه في سفره، وان ثورتنا انطلقت وهي تعتمد على مثل هذه النخبة الصالحة

من الناس.

والمسألة الأخرى التي اكتسبت أهمية قبل و بعد الثوره، هي مسألة بناء الإنسان بصورة دائمة لاضفاء الصبغة الانسانية والكمالية على شخصيته.

فاذا حردت هذه الخصلة من الإنسان، لواحه الفشل في حياته. ولهذا يجب على الإنسان ان يحافظ على بناء نفسه وشخصيته، والاّ فأنه يبقى على حاله، وفي حالة ركود، و يتعرض الى التعفن مثل الماء الراكد، فبناء الإنسان باستمرار أمر ضروري لكل الأفراد.

ان حالة بناء النفس الإنسانية كانت موجودة ابتداءً من أكبر شخصية عرفها التاريخ البشري المتمثلة بالرسول الأكرم (ص) الى الجندي العادي الذي يقدم أبسط الخدمات لحماية خطوط جبهات القتال الخلفية.

فاذا أُهملت هذه الضرورة الواجبة في تجديد و بناء النفسية الروحية، فانها قد تؤدي الى إهمال القدرة النضالية لدى الإنسان، وتؤدي بالتالي الى الانحراف في روح الحركة الثورية واتجاهها الأصيل، بل والتأثير على مستقبل الثورة.

فهل تعتقدون أيها الأخوة والأخوات بأن هناك شيئاً أفضل من القرآن الكريم يستطيع ان يضمن تنفيذ أوامره؟ ولماذا كانت صلاة الليل للنبي الكريم (ص) واجبة؟.

إن سورة المزمل توضح ذلك:

(يا أيّها المزمّل قُم الليلَ إلاّ قليلاً نصفه أو أنقص منه قليلاً أو زد عليه ورتّلِ القرآنَ ترتيلاً، إنّا سُنلقي عليك قولاً ثقيلاً، إنّ ناشئة اللّيلِ هي أشدُّ وطئاً وأقومُ قيلاً إنّ لكَ في النهار سبحاً طويلاً).

ان استدلالنا من هذا النوع ان النبي (ص) حُمّل مسؤولية كبيرة، فعليه ان يسهر الليل، و يبتهل، و يدعو ربه،وأن يرتل القرآن لمدة تستغرق نصف الليل، أو ثلثيه، و ينام في الثلث الآخر.

والرسول الأكرم (ص) الذي كان أكثر البشر كمالاً كان بحاجة الى الدعاء والإبتهال. ونحن نلمس ذلك بوضوح من خلال مطالعة أواخر السورة المذكورة.

(إنّ ربك يعلمُ أنك تقوم أدنىٰ من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك).

مفسرو القرآن الكريم يقولون ان هذه السورة نزلت على النبي (ص) في المدينة المنورة في الوقت الذي كان المسلمون يواجهون مشاكل وعقبات، و بعد أن رفعت بعض من مشاكلهم أمر الله سبحانه وتعالى فقال: **(فاقرأوا ما تيسّر منه).**

مؤكداً لهم على الاكثار من قراءة القرآن كلّما سنحت لهم الفرصة.

فإذا أردتم أيُّها الأُخوة والأخوات ان تزيدوا من بناء وتجديد شخصيتكم الإنسانية، فاقرأوا القرآن كثيراً.

اسعوا دائماً في قراءة القرآن الكريم ورتلوه وأقرأوه بدقة وامعان حتى يستقر في قلوبكم، فإنَّ أجمل الأشياء للقلوب هو قراءة القرآن الكريم، حتى لا يقال انه انتهى أو يقال أنه اصبح شيئاً قديماً.

ان النبي (ص) كان يقرأ القرآن لكي يثبت قلبه، حيث يقول عزَّوجلَّ **«وقالوا لولا نُزِّل القرآن... كذلك نُثبتَ به قلبَك»**.

لقد نزل القرآن بصورة تدريجية وعلى شكل قطعة قطعة، وأن فلسفة نزوله جاءت لتثبيت الاثر المعنوي في نفوس المسلمين وزيادة ايمانهم.. وعلى هذا فلو انقطع قائد الثورة ومريدوه وأبصاره عن القرآن الكريم، فإنَّ الثورة كانت ستسير نحو الإنحراف، لكنَّ الكل عملوا وفق القرآن والتزموا به.

وثورتنا اهتدت بالقرآن منذ مراحلها الأولى، واذا أردنا نحن المسلمين ان نتحد أمام الأعداء ونقف في مواجهة الشرق والغرب فلا نجد أفضل من القرآن سبيلاً ومنفذاً لنا .

قد تكون هناك بعض الإختلافات بين المسلمين في السنة النبوية، لكن القرآن هو حبل الله المتين الى يوم القيامة. وعلى هذا اذا تمسَّك المسلمون بهذا الحبل، فانهم يستطيعون ان يحكموا العالم، لاسيَّما ان المسلمين يبلغ نفوسهم أكثر من مليار مسلم في العالم بشرط ان يعملوا بالقرآن و يتمسكوا به لأنه حبل الله المتصل بين الأرض والسماء.

«إنّ هـٰذهِ أمتكم أمّة واحدة وأنا ربكُم فاعبُدونِ».

فنسأل هل لدى الشرق والغرب والماديين مثل هذا الكتاب؟. حيث انَّ القوميين الذين يناضلون من أجل الجغرافية و يعتبرونها عنصراً من عناصر الوحدة أو يناضلون من أحل الحدود الموضوعة أو من أجل المياه الساحلية، وحتى قطعة من جبل أو وحدة الدم أو القومية، بهذه العناصر لا يمكن ان يوحدوا البشر، بل وفي بعض الأحيان يتصارعون أو يتحار بون فيما بينهم.

ولكن اذا اتخذنا من القرآن سنداً لنا من أجل استمرار الثورة ومسيرتها، وتجاوزنا كل الخلافات غير القرآنية فانه سيحل جميع مشاكلنا.

لا أقول أن تنسوا كل المبادئ غير القرآنية، فقد يوجد فيها بعض الأمور المفيدة التي لا توجد في القرآن الكريم الاّ ان القرآن تتوفر فيه على الأقل الشروط اللازمة لوحدة المجتمع الاسلامي، ونحن هنا في ايران الثورة

سنينا ورسمنا كل برامجنا الثورية على هذا الأساس.

اما بالنسبة للحرب فان السيد علي الخامنئي رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الدفاع الأعلى كان قد اعلن قبل عدة ساعات خلال بيان مهم وجهه عبر الاذاعة فيما يخص مسألة ضرب المدن العراقية، حيث قال مؤكداً اننا امتنعنا عن ضرب المدن العراقية طوال الأشهر الأربعين المنصرمة من هذه الحرب، وسعينا ان لانتصرف مثل صدام عسى أن يرجع الى صوابه ويحاسب نفسه ويمتنع عن ارتكاب مثل هذه الفجائع والجرائم، وقد قلنا بأن لصبرنا حدوداً واننا سنصبر الى حدٍ ما.

أن عدد شهدائنا الأبرياء الذين سقطوا جراء القصف الصاروخي والمدفعي العراقي لمدننا الآمنة قد تجاوز الأربعة آلاف شهيد طوال هذه الحرب، وتجاوز عدد جرحانا اثنان وعشرين الف جريح، ناهيك عن الخرائب والدمار التي ولدتها هذه الأعمال.

لقد كانت أعمالهم متفرقة لحد الآن، فأحياناً كانوا يطلقون الصواريخ على المدن الآمنة، وأحياناً يقصفون المدن بالطائرات... ولكن صداماً هذه المرة اتَّبع مسلكاً آخر بعد أن اطمأنَّ من عدم ردنا بالمثل، وشعر بالأمن الكامل، وقد وجّه انذاراً الى سكان عدد من مدننا الحدودية قبل أربعة أيام وأعلن بأنه يريد قصف تلك المدن بنوع جديد من القنابل المتطورة التي تصمُّ الآذان وتسقط جنين الحوامل من النساء، وتؤدي الى وفاة الكهول ومويهم من هول صداها ودويها، وأن ما تحدثه من ضجيج يؤدي الى جنون أُولئك الأشخاص!!. وهذا ماورد في قصائد شعراء صدام الذين كانوا اليه بالمديح والثناء التام وتسطير مآثره الجوفاء.

وكل ذلك يجري ومدافعنا منصوبة على بعد ١٠ـ١٥ كيلومتراً من مدينة البصرة العراقية، وقد وصلتنا قبل عدة أيام تقارير عبر المراسلين الأجانب ان الحياة في داخل المدينة أكثر من العادية وان الناس منشغلون هناك بقضاء حياتهم على أحسن مايرام وحانات الخمر مليئة بالرواد كسائر مدن اوروبا، والأجانب كذلك منهمكون بأعمالهم هناك بكل راحة وعلى أحسن مايرام و يسهرون الليالي الحمراء حتى منتصف الليل. وكذلك فإن دور السينما مفتوحة حتى السحر في البصرة، و يرتادها الناس بكل أمن واطمئنان، وهذا يعني ان البصرة كانت تعيش الأمن والسلام في الوقت الذي كانت فيه مدافعنا على أبواب البصرة.

وكان الوضع السائد في البصرة هادئاً وآمناً الى درجة أن الاجانب الذين يخافون

حتى من ظلهم، وأنهم في حالة من الجبن بحيث اذا سمعوا بأننا سوف نشنّ هجوماً بعد شهر من الآن فأنهم يهربون منذ الآن، نقول ان مثل هؤلاء الأجانب يعيشون الآن في البصرة بكل أمن وهم يزاولون أعمالهم المليئة بالفحشاء والفساد.

أننا راعينا البصرة منذ بداية الحرب ولحد الآن، ونكرر كلامنا السابق وهو أن لصبرنا حدوداً وأن الحد الذي صبرنا عنده هو ما قرره القرآن الكريم **(ولَكُم في القصاصِ حياةٌ يا أولي الألباب)**. لقد حان وقت القصاص، ووقت الرد بالمثل، ولابد أن ننجز ذلك بشكل عملي.

لقد أعلن رئيس جمهوريتنا عن ضرورة تفريغ المدن العراقية الثلاثة (البصرة، خانقين، مندلي) من سكانها لاننا سوف نقصفها لونفّذ صدام تهديده المُعلن، وانتا سوف لا نقوم بذلك لولم ينفّذ صدام تهديده. ان اعتقادنا هو أن ننهي هذه الحرب في جبهات القتال، ولكن لونفّذ صدام ماوعد به وهو يبدأ منذ هذه الليلة (ليلة الثلاثاء) ــ بالرغم من أنه أعلن اليوم بأن توقيت تنفيذ التهديد بيده ــ فأننا نحتفظ بكامل استعدادنا وقد أصدرنا أوامرنا الى مدافعنا المرابطة على انحاء الحدود لتكون مستعدة لاستلام الأوامر في وقتها المناسب. وقد انتخبنا ثلاثة مدن لتكون نماذج نثبت بها قدرتنا وصحة ما نقول، وأن وضعنا العسكري يختلف بالطبع عن وضع العراقيين، الذين يلزم عليهم أن يقذفوا صواريخهم عبر عدة مئات من الكيلومترات والذي يؤدي الى تدمير بعض المنازل والمساكن على رؤوس سكانها، بينما وضعنا يختلف عنهم حيث انه بأمكان مائتين من مدافعنا أن تقذف ألف الى عدة آلاف قذيفة خلال كل ساعة على المدن التي نختارها نحن، وبالطبع فاننا نصنع تلك القذائف محلياً في مصانعنا العسكرية ولا حاجة لنا بمعونات امريكا أو روسيا في ذلك.

إنّ المدافع التي نمتلكها تؤدي نفس الفعل التدميري للقنابل التي تقذفها الطائرات الضخمة، وهي عندما تسقط في محلٍ ما فانها تسبب في اهتزاز مساحة عظيمة من الأرض.. سوف نقوم بذلك بشكل عملي، طبعاً لونفّذ صدام تهديده، وسترون كيف يتشرد أكثر من مليون شخص من تلك المناطق ويسببون المشاكل لصدام، ويشكل الأجانب حوالي ١٠٪ منهم، وعند ذاك سيفهم صدام ماذا يعني عمله الجنوني ذلك وسيشعر بما حصدت يداه، لقد أعلن عن امكانية ضربنا لتلك المدن الثلاثة وبالطبع لوضربوا هم أولاً.

ونتمنى ان يعودوا الى صوابهم، ويدركو

جدّية المسألة، و يتخلوا عن ارتكاب الأعمال الشريرة، و يتركونا نُصفّي الحساب معهم في جبهات القتال، وسوف لانكتفي بذلك، حيث أن الكثيرمن مدن العراق الصغيرة والكبيرة تقع فى مرمى مدافعنا كمدن السليمانية وشاندري وسيدصادف وحلبچه والعمارة وغيرها من المدن الصغيرة والكبيرة.. وأملنا ان لانصل الى اتّباع هذا الأُسلوب الذي نحتاج فيه الى توسيع مناطق القصف والتدمير، وانشاء الله سوف ننهي جميع المسائل منذ اللحظات الأُولى ■

آية الله احمد الجنتي

ـــ عضو مجلس فقهاء صيانة الدستور ـــ

ـــ رئيس المؤتمر ـــ

«كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ».

(البقرة/٢١٦)

موضوع بحث هذا المقال هو: (نظام الدفاع والجهاد في القرآن المجيد).

وقبل كل شيء يجب أن نفسّر هاتين الكلمتين، ثم نردف ذلك بالحديث عن المسائل المتعلّقة بها.

الدفاع: وهو عبارة عن صدّ العد المعتدي، وردّه على أعقابه، لأجل صيانة أ شيء من الضروري صيانته، سواء كا هذا: عقيدة، أونفساً، أو مالاً، أو عرضاً أوحريةً، أو شرفاً، أوغيرذلك.

ومن الزاوية الحقوقية، يشكل الدفاع حقاً يمنح للإنسان كي يمكنه ان يدفع ع نفسه شرّ العدو المهاجم الذي بيّت العدوا بعيداً عن رقابة القوة القانونية، ولكيلا يمك للأشرار أن يخترقوا القانون عند غياب الحك

و ينتهكوا حرمة أرواح الناس وأموالهم و أعراضهم ونواميسهم.

الدفاع حق فطري:

الدفاع عن الحق المشروع، حق فطري، لايتمتع به الإنسان فحسب، بل هو لأي موجود حي. ذلك لأنّ الموجود الحي مضطر ــ لكي يواصل حياته ــ أن يتمتع بضروريات الحياة، و يتصرف بالموجودات الأُخرى، و يصارع كل العقبات التي تقف في طريقه و تهدد حياته أو تمتعه بلوازم الحياة.

و بعبارة أُخرى، تتوقف الحياة و استمراريتها على التفاعل و التأثيرالمتبادل الذي يتم في جهاز الخليقة، ممّا يجعل الصراع في هذا المجال أمراً طبيعياً، فإذا لم يستطع الموجود الحي أنْ يدافع عن نفسه، كان ذلك يعني الحكم عليه بالموت.

وعلى هذا الأساس، فقد أعطى الله لكل حي وسائل الدفاع عن النفس بشكل يتناسب معه ليقوم بمهمة الدفاع عن حقه المشروع.

وعليه فإنّ أي حق يجب أن يكون الى جنبه ــ إجمالاً ــ حق للدفاع، وإلّافليس هناك أي ضمان لبقاء الحق و بالتالي سوف يكون دون نتيجة.

ولقد كانت فطرية هذا الحق، باعثاً على ان يقبل جميع البشر به، و يعتبر أي فرد أو مجتمع أومذهب أوقانون، الوقوف بوجه المعتدي أمراً مشروعاً ــ وليس هناك أي فرد أوقانون يعتبر حقاً ما مشروعاً في حين يعتبر الدفاع عنه جريمة و من الأُمور اللامشروعة.

وقد أعطى الإسلام هذا الحق للانسان، وأعتبر الإستفادة منه ضمانة لبقاء البشرية و دوام الأديان التوحيدية، وأشار الى فطريته، فقال:

«وَلَوْلا دَفْعُ ٱللّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ ٱلأَرْضُ».

(البقرة/٢٥١)

والآية تعتبر دفع الناس لشر الأشرار، سبباً لمنع فساد الأرض ــ أي الناس المتواجدين على الأرض.وفي آية أُخرى:

«وَلَوْلا دَفْعُ ٱللّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَواتٌ وَمَساجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللّهِ كَثيراً»

(الحج/٤٠)

فاعتبر الدفاع، أساساً لبقاء المظاهر الدينية، ومراكز العبادة، و بالتالي بقاء التوحيد.

الجهـاد:

والجهـاد في اللغـة، بمعنى بذل الوسع والجهد بقوة وشدة. وقد استعمله القرآن في هذا المعنى مكرراً:

«وَٱلَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا»

(العنكبوت/٦٩)

وفي استـعمـال ثـانـوي، بمعنى النزاع المسلح والقـتـال ضـد أعداء الإسلام، وبذل المال والنفس في سبيل الله. يقول القرآن:

«إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ...»

(الانفال/٧٢)

ووفقـاً لهذا الإصطلاح، قد يجعل الجهاد ــ في الفقه ــ في قبال الدفاع، و يقصد منه الجهاد الإبتدائي ضدّ الكفار، لكـي يتركوا كفرهـم، و يؤمـنوا بالله الواحد، و ينضووا تحـت لواء النـظام الالهي، وربما استعمل في مطلق الحرب ضد الكـفار مما يجعله شاملاً للدفاع، والقرآن عندما يذكره يريد منه هذا المعنى العام وإنْ كانت أهم المصاديق أوكلها هي مصاديق دفاعية.

أقسام الجهـاد :

للجـهـاد أقسام، لها في الغالب جانب دفـاعـي. وقـد جـاء في الـقـرآن تحت عنوان الجهاد أو القتال.

١ ــ الدفاع عن كيان الإسلام ونواميسه في قبال العدو الرامي الى تحطيم أساس الدين وابداله بالكفر بأي شكل كان: ــ الإلحاد، المجوسـيـة، الـنـصرانية، اليهودية، وغيرها ــ وهذا نظير ماحدث في اسبانيا.

٢ ــ صد الـعـدو المعـتـدي على نـفوس المسـلـمين واعـراضـهـم أو على الأراضـي الإسـلامية وإنْ كان لايرمي الى القضاء على الإسـلام بـل يـسـتهـدف أموال المسـلمين وأعراضهم وأراضيهم.

٣ ــ الـدفـاع عن الأخوة المسلمين الذين يلـتحمون في منطقة ما مع الكفار ويخاف من غلبة الكفار عليهم وذلك استجابة لمقتضيات الأخوة والوحدة الإسلامية .

٤ ــ الـعـمـل على طـرد الـعـدو المحتل أو المتسلط بأي شكل على الأراضي الإسلامية أو عـقـائـد المسـلمين. فإنَّ القضاء على نفوذ الأجـانـب واعـادة الـعزة و الإسـتـقـلال للمسلمين، من الواجبات.

٥ ــ الجـهـاد ضـد الكفار، لكي يتركوا عـقائدهم الباطلة، ويميلوا الى الإسلام والقيام بـالجهاد الإبتدائي ــ كما يصطلح عليه ــ وله شروط خاصة وفيه بحوث كثيرة.

أهميـة الجهـاد :

جاء ذكر الجهاد ــ وفق تتبعي السريع ــ في (١٧) سـورة قـرآنـيـة، وعمدتها مدنية، وذلك على الترتيب التالي:

(١) ـ البقرة (٢) ـ آل عمران (٣) ـ النساء (٤) ـ المائدة (٥) ـ الأنفال (٦) ـ التوبة (٧) ـ النحل (٨) ـ الحج (٩) ـ النمل (١٠) ـ الأحزاب (١١) ـ الشورى (١٢) ـ محمد (١٣) ـ الفتح (١٤) ـ الحديد (١٥) ـ الحشر (١٦) ـ الممتحنة (١٧) ـ الصف.

واختص به ما يقرب من (٤٠٤) آية شريفة «طبيعي ان التحديد الدقيق لآيات الجهاد ـ مثلها مثل الآيات الواردة في بعض الموضوعات الأخرى أمر مشكل، نظراً الى ان القرآن ـ عادةً ـ عندما يطرح موضوعاً، ربما يقدم له ببعض المقدمات، وربما يطرح موضوعات أخرى بالمناسبة تذكر خلال الآيات، وفي ختام الآيات أيضاً قد تطرح مواضيع أخرى بالمناسبة وذلك كما نجد ورود آيات الانفاق وآيات الولاية في آيات الجهاد: قبلها، أو بعدها، أو خلالها. ومع كون الحال كذلك، فمن الواضح ان الإحصاء الدقيق للموضوعات وفصلها عن بعضها وتصنيفها، أمر مشكل»

وكثرة الآيات بهذه التعبيرات القوية جداً والحركة والصارمة وكل هذا الوعد والوعيد والإنذار، وهذه التأكيدات المتنوعة لتوضح لناقيمة الجهاد ومقامه السامي الفريد. وكمثال على ذلك لنطالع ما يلي:

«وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ في سَبيلِ اللّهِ أمْواتٌ بَلْ أحْياءٌ وَلكِنْ لا تَشْعُرُونَ..».

(البقرة/١٥٤)

«أمْ حَسِبْتُمْ أنْ تَدْخُلوا الجَنَّةَ وَلَمّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ البأساءُ والضَّرّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتى نَصْرُ اللّهِ..».

(البقرة/٢١٤)

«وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأعْلَوْنَ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * إنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ القَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُه...».

(آل عمران/١٣٩ـ١٤٠)

«وَلا تَهِنُوا في ابْتِغاءِ القَوْمِ إن تَكُونُوا تَألَمُونَ فَإنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَما تَأْلَمُون...».

(النساء/١٠٤)

«يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ، أذِلَّةٍ عَلَى المُؤْمِنينَ أعِزَّةٍ عَلَى الكافِرِينَ، يُجاهِدُونَ في سَبيلِ اللّهِ وَلا يَخافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ...».

(المائدة / ٥٤)

«إلاّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذاباً أليماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ».

(التوبة/٣٩)

تشريع الجهاد وفطريته :

إننا إذا لاحظنا الأقسام الخمسة للجهاد،

وجدنا أربعة منها تمتلك جانباً دفاعياً، فهي وفق الحق الفطري الذي لايقبل أي ترديد أو إنكار ولايستطيع أي منطق أن يسلب المسلمين هذا الحق، وآيات القرآن الكريم تؤكد على هذا الموضوع.

وأول الآيات التي نزلت في الجهاد، هي آيات سورة الحج التي تبتدئ بهذا التعبير.

«أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ، وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً...».

(الحج/٣٩/٤٠)

حيث أذِنَ للمظلومين بالحرب ضد العدو المعتدي، واعتبر أساس ذلك صد الإعتداء لحفظ آثار الشرائع ومظاهر التوحيد. وكذلك نجد آية أخرى هي من الآيات الأوائل في مجال الجهاد. وقال البعض انها أول آية فيه، وهي:

«وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يقاتِلونَكُمْ...».

(البقرة/١٩٠)

حيث تأمر بالجهاد ومقاتلة المشعلين لنار الحرب والأكثرية الساحقة «والتي قد تصل الى حد الإستيعاب لآيات الجهاد» تصنف ضمن هذا المجال، ولم تأتِ سوى آية واحدة مطلقة يمكن استفادة الجهاد الابتدائي منها «كما قد يمكن الإستشهاد ببعض الآيات الأخرى» وهي:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً...».

(التوبة / ١٢٣)

إذ توجب الجهاد ضد الكفار المجاورين.

ومن الطبيعي أن سبيل توسعة الدائرة الإسلامية يتم بهذا الأسلوب، إذ يبدأ الإلتحام مع المناطق الأقرب ثم تتم التوسعة، وسنقوم في البحث التالي بالحديث عن كون الجهاد الإبتدائي أيضاً أمراً فطرياً.

أهداف الجهاد:

إنَّ الأهداف التي ذكرها القرآن ـــ في الموارد المختلفة ـــ للجهاد، هي على النحو التالي:

(١) ـــ الدفاع: **«وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ...».**

(البقرة/١٩٠)

(٢) ـــ دفع الفتنة: وهو معنىً سام يشمل الدفاع أ

«وقاتِلوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ...».

(البقرة/١٩٣)

(٣) ـــ تركيز حاكمية الله واجبار الجبابر على التسليم:

«وَقاتِلُوهُمْ حَتّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّهِ...».

(الأنفال/٣٩)

«الّذِينَ عاهدْتَ مِنْهُمْ ثُمّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ في كُلِّ مَرّةٍ وَهُمْ لايَتّقُونَ».

(الأنفال/٥٦)

«فقاتلوا أئمة الكفر انهم لاأيمان هم لعلهم ينتهون».

(التوبة/١٢)

(٤) ــ تقوية النظام الالهي وتثبيته حتى لاتخشى العدو بالقوة:

«قاتِلُوا الّذِينَ لايُؤمِنُونَ بِاللّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلايَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ حَتّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صاغِرُونَ».

(التوبة/٢٩)

(٥) ــ المنع من الفساد في الأرض:

«وَلَوْلا دَفْعُ اللّهِ النّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأرْضُ...».

(البقرة/ ٢٥١)

(٦) ــ المنع من محو المظاهر الدينية ومراكز العبادة:

«وَلَوْلا دَفْعُ اللّهِ النّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَواتٌ وَمَساجِدُ...».

(الحج/٤٠)

(٧) ــ تحكيم الحق وترصينه، ومحو الباطل:

«لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْباطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ».

(الأنفال/٨)

(٨) ــ الوقوف بوجه الظلم، والدفاع عن المستضعفين المظلومين:

«إنّما السّبِيلُ عَلَى الّذِينَ يظْلِمُونَ النّاسَ وَيَبْغُونَ في الأرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ...».

(الشورى/٤٢)

«وَما لَكُمْ لاتُقاتِلُونَ في سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ وَالنِّساءِ وَالْوِلْدانِ...».

(النساء/٧٥)

هذه عناوين ذكرت كأهداف وغايات للجهاد في القرآن. ومن الطبيعي ان بالإمكان ان يندرج بعضها تحت البعض الآخر، بل يمكن القول بأنّ الهدف العام من الجهاد هو الدفاع عن الحقوق المسلّمة والفطرية للإنسان، أي الدفاع عن نفوس المسلمين وأموالهم وأعراضهم ونواميسهم وأراضيهم

الإسلامية.

و من هنا نستطيع ــ بكل سهولة ــ ان ندرج الجهاد الإبتدائي تحت عنوان الدفاع، ذلك ــ كما يقول المحقق والمفسر القدير المرحوم العلامة الطباطبائي ــ لانَّ التوحيد والنُّظُم القائمة على أساس التوحيد، مبنية على الفطرة، وهي سبيل إصلاح البشرية:

«فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ ٱللّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا، لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللّهِ، ذٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ...».

(الروم/٣٠)

وحينئذ فلا مناص من أن تقوية أساس التوحيد وإقامة النظم التوحيدية، يعدُّ من أكبر الحقوق الفطرية التي يجب ان تسعى البشرية لإحيائها:

شَرَعَ لَكُمْ مِنَ ٱلدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً وَٱلَّذي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنا بِهِ إبْراهِيمَ وَمُوسى وَعِيسى أَنْ أَقِيمُوا ٱلدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فيهِ...

(الشورى/١٣)

كما ان عقلاء الإجتماع يرون أن أكبر الحقوق الفطرية، هو حق الحياة في ظل القوانين الحاكمة على المجتمع المعين، حيث ان القوانين هي التي تضمن منافع الأفراد.

وكما قلنا من قبل، فإنَّ الدفاع عن الدين الحق ــ أيضاً ــ حق فطري يضمن حفظ هذا الحق و بقاءه، فإذا لم يتوفر الدفاع سحقه المستكبرون:

«وَلَوْلا دَفْعُ ٱللّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لهدِّمَتْ صَوامِعُ وَبِيَعٌ...».

(الحج/٤٠)

بمعنى انه لو لم تستطع قوة دفاعية قطع يد المعتدين على النظم الالهية فإنَّ الدين ــ أي ذلك الحق الفطري ــ بما يملكه من مظاهر اجتماعية ومراكز لعبادة الناس كالمسجد والكنيسة، سوف يهدم، فلايبقى منه أثر.

إنَّ آيات سورة الأنفال توضح تماماً ان المجرمين يقفون بالمرصاد، ساعين لمحو الدين، عاملين على احلال الباطل محل الحق. والجهاد هو المدافع عن الحق:

«لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ»

(الأنفال/٨)

كما ان حياة المسلمين باعتبارهم حَمَلَة التوحيد ــ وهي في الواقع حياة التوحيد ــ رهينة القتال في سبيل الله:

«... ٱسْتَجِيبُوا لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إذا دَعاكُم لِمَا يُحْيِيكُم...».

(الأنفال / ٢٤)

سواء كان ذلك بعنوان الدفاع عن

لمسلمين، أو الدفاع عن الإسلام، أو الجهاد الإبتدائي الذي يعمل على إحياء الفطرة الإلهية في الارض والتي أنطفأت بفعل الطواغيت والجبابرة، ومحو الشرك باعتباره سرّ موت الفطرة وموت كل المظاهر الرائعة لتوحيد وكل الأخلاق الفطرية الإنسانية.

وهكذا نجد الإسلام ــ عبر هذه المقدمة ــ قد أعطى أتباعه الحق ليطهّروا الأرض من درن الشرك ومظاهره بأي شكل كانت، ويحيوا فطرة التوحيد و هذا ما وعد القرآن الكريم المسلمين به:

«وَلَقَدْ كَتَبْنا في ٱلزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلأرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ ٱلصالِحُونَ» .

(الأنبياء / ١٠٥)

«وَعَدَ ٱللّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلوا ٱلصالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ في ٱلأرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً...» .

(النور / ٥٥)

«وجملة: (يعبدونني لايشركون بي شيئاً) تعبّر بوضوح عن لزوم محو الشرك بكل مظاهره، وإقامة التوحيد الخالص محله.

كما ان القرآن يقول:

«يا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلكافِرِينَ، يُجاهِدُونَ في سَبيلِ ٱللّهِ وَلا يَخافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ...» .

(المائدة / ٥٤)

وهي اشارة الى المجاهدين الذين يعملون بكل اخلاص و دون خشية أية ملامة على حمل مسؤولية تطهير الأرض من الشرك واعلاء كلمة الحق في كل مكان و تحقيق ما وعد الله به.

بهذه المقدمة يمكننا ان نصدق ــ بكل يقين ــ ان الجهاد الإبتدائي لدعوة المشركين الى التوحيد، حق مشروع ــ بمقتضى الحق الطبيعي والفطري ــ وذلك بعد ان لم تنفع كل الأساليب المنطقية والعقلائية الأخرى من الدعوة، وابلاغ الرسالة، والإنذار، والتبشير، واتمام الحجة، والدعوة الحسنة، واراءة الآيات والبينات، وتبيين الحق والباطل، فلم يستجب الطغاة والمستكبرون لهذه الأساليب.

ان هذا الأسلوب لايختص بالدين، وانما هو مسيرة تقبلها كل الأقوام والملل. فإنه في جميع النظم حينما يتقبل الناس نظاماً ما، وتطرح مقررات عاملة على تكامل المجتمع وصلاحه، فإنهم يمنحون أنفسهم الحق في التصدي للمتمردين واجبار هم على التسليم للحق بعد ان لم تنفع أساليب الإرشاد والتوجيه، و بعد اصرار هم على التمرد والعصيان ... انه حق يحتفظ به كل نظام

لنفسه فلماذا يعمل البعض على ان يسلبوه من النظام الإلهي المبتني على التوحيد الفطري؟!

اننا من خلال استعراض آيات الجهاد ــ وكما أشرنا من قبل ــ نجد الآية:

«... قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً...».

(التوبة / ١٢٣)

لاتختص بالجهاد الدفاعي، كما اننا نجد في قصة سليمان (ع) المذكورة في سورة النمل انه (ع) يهدد «ملكة سبأ» بقوله:

«... فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لاقِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ».

(النمل / ٣٧)

انه لم يكن هناك أي هجوم سابق من قبل سبأ، و إنما كان هذا التهديد بسبب رفضهم للدعوة الموجهة اليها عبر رسالة تقول:

«أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ».

(النمل / ٣١)

ودلالة هذه القصة على أصل مشروعية الجهاد الابتدائي، واضحة.

الجهاد في تاريخ الأنبياء:

ان الآيات القرآنية المتعددة، تؤكد ان سيرة الأنبياء (ع) استقرت على ان تبدأ دعوتهم بالإنذار والتبشير، واعطاء الآيات والبينات، والتذكير بماضي الإنسان و مستقبله، و بالتالي ايقاظ العقل والفطرة بلسان لين وقلب عاطفي متألم؛ ممايدفع القلوب الطاهرة والضمائر المتعطشة للبحث عن الله لقبول هذه الدعوة بل وجودها، في حين يرفضها ذوو القلوب الميتة والأرواح الملوثة والنفوس الطاغية، و يقف في وجهه المقتدرون و يستعدون لإطفاء نور الله. وعندم لاتجد جبهة الحق نفسها قادرة على الإلتحا معهم، فإنها تكتفي بالحفاظ على نفسه وأرواح اتباعها، وإبقاء شعلة التوحي متأججة في مجالها المحدد، وانتظار الفر ونزول أنماط العذاب الالهي على المشركين وحينمايبلغ السيل الزبى، وتقف جبهة الح على مفترق طريقي الحياة أو الموت، يتحق وعد الله، و ينزل العذاب بشكل صيحة، صاعقة، أو زلزلة، أو عواصف شديدة، طوفان، أو مطر، أو حجارة، وأمثال ذلك حيث تكون العاقبة لصالح المؤمنين... وه ما بين في قصص نوح وهود و شعيب وصا ولوط وابراهيم و موسى بالنسبة لفرعون:

«فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ * فَفَتَ أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ».

(القمر/ ١٠-١١)

«قالَ لَوْ أنَّ لي بِكُمْ قُوَّةً أوْ آوِي إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ... فَلَمَّا جاءَ أمْرُنا جَعَلْنا عالِيَها سافِلَها» .

(هود / ٨٠-٨٢)

«قالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ * قُلْنا يا نارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلى إبْراهِيمَ * وَأرادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْناهُمُ الأخْسَرِينَ» .

(الأنبياء / ٦٨ ــ ٧٠)

«قالَ أصْحابُ مُوسى إنّا لَمُدْرَكُونَ * قالَ كَلاّ إنَّ مَعِي رَبِّي سَيَهْدِينِ... ثُمَّ أغْرَقْنا الآخَرِينَ» .

(الشعراء / ٦١-٦٦)

«فَكُلاًّ أخَذْنا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أرْسَلْنا عَلَيْهِ حاصِباً وَمِنْهُمْ مَنْ أخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنا بِهِ الأرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أغْرَقْنا...» .

(العنكبوت / ٤٠)

اما حينما تجد قوى التوحيد نفسها قادرة على القضاء على العدو، فإنها تحمل السلاح لتحقيق أهداف الرسالة، وتعبيد سبيل السائرين الى الله، ورفع العقبات التي تقف حجر عثرة أمامهم، ولا تسمح لنفسها ان تتحمل وجود الشرك ورؤوسه، وهذا ما بيّن بوضوح في قصص طالوت وجالوت وسليمان وملكة سبأ ، وموسى والعمالقة.. فلم يلجأ موسى الى السلاح في قبال فرعون وحينما يحاصر يصمم على ترك مصر هو وقومه، و يتجه نحو النيل، ولكنه حين يحس بالقدرة في قبال عمالقة الشام، يجهّز الجيش لحربهم.

ان هذه الحقيقة مسلّمة ــ إجمالاً ــ فسُنّة الجهاد والقتال، كانت متوفرة لدى انبياء السلف:

«وَكَأيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَما وَهَنُوا...» .

(آل عمران / ١٤٦)

الاستمرارية الدائمة للجهـــاد :

وبملاحظة ان الجهاد ــ بمعناه العام الشامل للدفاع عن الإسلام و المسلمين ــ أُعتبر في القرآن، فريضة وحافظاً لأساس التوحيد وكل النظم الإلهية، وأن حكم العقل الضروري والتجربة التاريخية والواقع الخارجي، يؤيد لزومه بشكل قاطع، بملاحظة كل هذا لاينبغي ان يتصور أحد اختصاص هذه الفريضة بصدر الإسلام وعصر الرسول الأكرم (ص) وفترة قصيرة بعده وانه لاشرط له إلاّ قدرة المسلمين على الرد.

ان تصور اختصاص الجهاد ــ بمعناه العام بزمان خاص أو في شرائط غير الشرائط العامة للتكليف و منها القدرة، هذا التصور لا نراه يقوم إلاّ على صفة السعي نحو الراحة، و عدم إدراك حقائق القرآن، والخمود و الجمود الفقهي، و عدم الإهتمام بمصالح الإسلام و المسلمين، والخوف وضعف النفس و

تأثيرات الإنزواء لعدة قرون، والإبتعاد عن المسائل الحياتية، وغلبة الروح الصوفية والدروشة والإبتعادعن الواقع الإجتماعي. وإلا فلو لم تكن نقاط الضعف هذه متوفرة في الشخص، لم ينته الأمر بدارس الإسلام أو الفقيه المحقق لتجاهل أكثر من (٤٠٠) آية قرآنية بتعبيراتها القوية الحارة، وجعلها مخصوصة بعشرات من السنين من حياة المسلمين، والدائم لسلاح الإسلام الخالد في دفاعه ضد العدو، و بالتالي تمهيد السبيل للعدو لكي يمد سيطرته و نفوذه على نواميس الإسلام وأعراضه و نفوس المسلمين وأموالهم والأراضي الإسلامية وهل يمكننا ان نجعل الآية:

«وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ...».

(الأنفال / ٦٠)

والتي تضمن عزة المسلمين مختصة بمرحلة أو مراحل تاريخية معينة؟! ألم يعقدوا معنا الكثير من العهود، ثم نكثوا عهودهم؟ فلماذا لم نعاملهم بمضمون الآية:

«وإِنْ نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمانَ لَهُمْ...».

(التوبة / ١٢)

وهل يستطيع الوعد الإلهي في الآية:

«ولا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ ٱلأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ».

(آل عمران / ١٣٩)

ان يكون مختصاً بالسنين العشر الأُولى من حياة الإسلام؟ وهل... وهل...؟

واذا شككنا في الجهاد الإبتدائي، فهل هناك أي ترديد في ضرورة الدفاع و ما ابتلي المسلمون به طول العصور هو الدفاع؟

واليوم، إذ يقف العدو في هذا العصر ــ أكثر من غيره من العصور في قبال الإسلام، ولايدع مكراً أو مؤامرة إلاّ استفاد منها للكيد بالمسلمين، نجد أنفسنا أكثر حاجة من أي عصر مضى الى التعاضد والتناصر والجهاد بالأموال والأنفس. وحتى لو لم تكن ــ والعياذ بالله ــ مسلمين، كان علينا القيام بالوظيفة العقلية و الفطرية في الدفاع وعدم تحمل كل هذه الذلة والمسكنة.

يكفي المليار مسلم عاراً هذا الخضوع في قبال (٣) ملايين يهودي ضربت عليهم الذلة والمسكنة بحكم القرآن؟

ان يد الطغاة تبسط يوماً فيوماً، وميادين استعراض قدرتهم تتسع باستمرار، و نحن نقف مكتوفي الأيدي أمام ذلك.... ونتذرع بأن الدو يستند الى أمريكا، فلا نستطيع مقاومته، أليس الله يحمينا نحن؟! لماذا لم نصدق بوعود الله لنا بالنصر و الدفاع ــ و فقدنا شرط الإيمان (ان كنتم مؤمنين) فعدنا

مشمولين بهذه الآية:

«... أَرَضِيتُم بِالحَيَاةِ الدُّنيا مِنَ الآخِرَةِ... إلاّ تَنفِرُوا يُعَذِّبكُم عَذاباً أليماً وَيَستَبدِلْ قَوماً غَيرَكُم...» .

(التوبة / ٣٨-٣٩)

«وها هي الجمهورية الإسلامية في ايران مصممة على ان تعلن فريضة الجهاد كأساس ترتبط به كل الفرائض، و من خلال احيائه، يمكن احياء كل شعائر الدين، وتؤكد ان القوة التي منحت المسلمين طاقة التلاحم مع كل القوى تكمن في الإيمان، و ان أية قدرة لا تستطيع مقاومة طاقة الإيمان هذه. انها تعمل على اثبات هذه الحقيقة (وَأَنتُمُ الأَعلَونَ إن كُنتُم مُؤمِنينَ) و توضح اننا لو أحيينا ــ اليوم أيضاً ــ سُنّة الإيثار و الشهادة، استطعنا ان نعيد المجد الغابر... انها تسعى لبناء جيل من قبيل ما يشير اليه قوله تعالى:

«... فَسَوفَ يَأتِي اللّهُ بِقَومٍ يُحِبُّهُم وَيُحِبُّونَهُ، أذِلّةٍ عَلَى المُؤمِنينَ أعِزّةٍ عَلَى الكافِرينَ، يُجاهِدُونَ في سَبيلِ اللّهِ وَلا يَخافُونَ لَومَةَ لائِم...» .

(المائدة / ٥٤)

وحينئذ فإنّ على المسلمين جميعاً ان يسندوا هذا النظام ليحقق أهدافه الإلهية، و يعلنوا استجابتهم للواجب الإسلامي في القيام تحت لواء الوحدة الإسلامية المنسجمة في قبال الطغاة أعداء الإسلام والمسلمين، دون ملاحظة للإختلاف القومي، والعنصري والجغرافي، واللساني. و يفضلوا الموت بعزة على الحياة بذلة، وذلك لكي ينالوا ثمرات الجهاد الرائعة، وتشملهم يد الرعاية والعناية الإلهية، وتقطع عنهم أيدي الأعداء:

«... يَدُ اللّهِ فَوقَ أيديهِم...» .

(الفتح / ١٠)

اننا نعيش على أمل ذلك اليوم، حيث يقوم الحكم الإسلامي العالمي، و تتحقق الوعود الإلهية الصادقة:

«لِيُظهِرَهُ عَلَى الدينِ كُلِّهِ وَلَو كَرِهَ المُشرِكونَ» ■

شمولية

آية الله مهدوي الكني

ـ رئيس رابطة علماء الدين المجاهدين في طهران ـ

«ان هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم»

باسمي ونيابة عن رابطة علماء الدين المجاهدين في طهران أُرحب بالضيوف الأعزاء الذين جاءوا الى ايران الإسلام والثورة من مختلف دول العالم.

كنا نأمل أنْ نتحدث معكم ونلتقي بكم أكثر من هذا خلال وجودكم في بلادنا لنستفيد من تجاربكم، غير ان البرامج المخصصة لكم، كثيرة جداً. ومن هنا فإننا على يقين من أنَّ أملنا هذا لايتحقق بشكل كامل.

مرة أخرى نرحب بكم ونأمل ان نحتفل سوية في يوم ما بتحقيق حكومة إسلامية واحدة، ونطبّق أحكام القرآن في ظل الحكومة الإسلامية والقرآن، ونعيد للإسلام ـ من جديد ـ مجده وعظمته وسيادته.

موضوع البحث الذي أُريد أنْ أتناوله اليوم وسط هذا التجمع الحاشد من الأساتذة والعلماء والمحققين وعلماء الدين الأعلام، هو **«شمولية القرآن الكريم»**.

وطبيعي ان موضوع البحث هذا ليس جديداً من نوعه. وانني سأتطرق اليه بصورة اجمالية وذلك لضيق الوقت، على أمل ان يُتاح لنا الوقت في المستقبل ان شاء الله لنبحث في الموضوع بالتفصيل.

كنت أتصور بأنَّ المواضيع التي ستطرح

في المؤتمر الثاني للفكر الإسلامي تدور حول مواضيع معينة يؤكد عليها القرآن الكريم، وليس مواضيع كلية.

و يفهم من الكليات بأنها بحوث واضحة بنظر المسلمين، لا يوجد فيها أي إبهام وإجمال. ولذلك فانَّ التطرف الى المسائل الجزئية في مجال تحديد برامج الإسلام في المجالات المختلفة، يحظى بأهمية أكبر من بيان المسائل الكلية. وان ما يستفسره عالم اليوم منا إنما يدور عن هذه المسائل التي لها صفة موضوعية، والتي هي ضرورية ولازمة لإدارة البلاد في المراحل المختلفة وإدارة المجتمعات البشرية. لكن ومن المسلَّم به اننا لو أردنا إزالة الإبهام في المسائل الفرعية والجزئية، فاننا نضطر للتطرق الى المسائل الكلية أيضاً.

ويمكن ان يرجع سبب الإبهام الموجود في الكثير من المسائل الفرعية، الى مسألة عدم الإهتمام بالأُصول بشكل جدي. ولذلك فاذا تناولنا بدقة الأصول الكلية التي يقيم الإسلام أُصوله ومحاوره و برامجه الكلية على أساس منها، واستطعنا ان نوضِّحها ونبيِّنها بصورة جيدة، فانني أتصور باننا نستطيع ان نجد حلاً للكثير من المسائل الفرعية.

ان اختلاف وجهات النظر بين المذاهب الإسلامية المختلفة، بل بين أتباع أي مذهب من تلك المذاهب، ينشأ من عدم الإتفاق حول تلك الأُصول الكلية.

ولذلك فانني سأركز في بحثي هذا على موضوعين: اولهما: ان القرآن المجيد له ارشادات حول الخطوط والأُصول الكلية، بحيث ان تلك الإرشادات تستطيع ان تلعب دوراً في مساعدة المسلمين لانتخاب الطريق اللازم، وثانيهما: ان القرآن نفسه يولي إهتماماً بالغاً للأُصول التي يحددها لنا، أي انه في الوقت الذي يرشدنا الى الخطوط والأُصول العامة لنأخذها بنظر الإعتبار، فانه يأخذ بنظر الإعتبار ـ عملياً ـ تلك الخطوط والأُصول حين يتطرق اليها.

ولذلك فانني سأتناول هذين الموضوعين اللذين يؤكد عليهما القرآن كثيراً، وأولهما: أصل انتخاب الصلاح. فالقرآن يدعونا الى الأحسن والأصلح في كل مجال، سواء أكان المجال فكرياً، أو علمياً، أو سياسياً، أو اقتصادياً، أو اخلاقيا، و... الخ. ففي مايتعلق بضرورة قبول وجهات نظر الآخرين يقول القرآن الكريم: **«فبشرعباد * الذين يستمعون القول و يتبعون احسنه»** بمعنى اننا لو أردنا ان نقبل أقوال الآخرين، كان علينا ان نقبل القول الأفضل والأحسن.

وتوجد أمامنا في الحياة ثلاثة طرق؛ طريق سيىء، وطريق جيد، وطريق أفضل. والقرآن يدعونا الى الطريق الأفضل. وطبيعي اننا طالما نستطيع انتخاب الطريق

الأفضل ولم ننتخبه، فاننا سنفشل لامحالة في الصراع القائم في الحياة. ولذلك يجب علينا ان نسعى دائماً لانتخاب الطريق الأفضل، لكي لانتضرر.

والقرآن الكريم حين يتحدث عنا نحن الذين ندعو الى الحق يقول: **«ومن احسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل صالحاً»** فهو يدعونا و يرشدنا لقبول أفضل وأحسن الدعوات والأقوال، أي الدعوة الى الله، لا الدعوة الى الناس.

وعندما يرشدنا فانه يقول: **«واتبعوا احسن ما أنزل اليكم»** وعند ما يطلب منّا ان نتكلم فانه يقول: **«وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن»** أي علينا ان ننتخب الكلام الأفضل، وعندما يتحدث حول الأقوام السالفة فانه يقول: **«نحن نقص عليك أحسن القصص»** أو **«الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً»**. وعندما يهدينا الى المعبود، يقول: **«اتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين»**. وعند ما يدعونا الى المناظرة والتباحث مع أتباع المذاهب الأخرى، يقول: **«ولا تجادلوا أهل الكتاب إلاّ بالّتي هي أحسن»**، و يقول أيضاً: **«ادع الى ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالّتي هي أحسن»**.

وعندما يتحدث عن المعاشرة وآداب المعاشرة، يقول: **«واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أوردوها...»** وحين يدعو موسى (ع) ليأخذ الكتاب ويهدي به الناس يقول: **«فخذها بقوة وامر قومك يأخذوا بأحسنها...»** وحين يتحدث عن انتخاب الطعام، يقول: **«اتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير»**.

وعند ما يريد الحديث عن نسخ آيات القرآن يقول: **«مانسخ من آية أوننسها نأتي بخير منها اوان تحسنوا خير لكم»** وعندما يتحدث عنّا كأمة تدعو الى المعروف وتنهى عن المنكر يقول: **«كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر»** وعند ما يدعونا الى الجهاد والإستشهاد في سبيل الله، فانه يبشرنا بحياة أفضل وسرمدية، إذْ يقول: **«ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله خيراً مما يجمعون»** وعند ما يدعونا الى التقوى، يقول: **«ولباس التقوى ذلك خير»** وعند ما يتحدث عن الآخرة، يقول: **«فالدار الآخرة خير للذين يبتغون أفلا تعقلون»** وعندما يتحدث عن جزاء الأعمال، يقول: **«ليجزيهم الله أحسن ما عملوا و يزيدهم من فضله»** وعند ما يدعونا الى القسط والعدل، يقول: **«وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً»** وعند ما يدعونا الى الأعمال الصالحة...، الأعمال التي تبقى، يقول: **«والباقيات الصالحات خير عند ربك وخير**

أمر» وعند ما يدعو نساءنا الى العفة، يقول: «وان يستعففن خير لهن» وعند ما يدعو الى التوبة، يقول: «وان تبتم فهو خير لكم».

وهناك آيات كثيرة أخرى في هذا المجال. في بعض الأحيان يشير الى الأبقى و يدعونا للسير وراء الشيء الذي يبقى لفترة طويلة: «وما عند الله خير وأبقى» وعند ما يدعونا الى صلاة الليل، يقول: «ان ناشئة الليل هي أشد وطأً وأقوم قيلاً» وعند ما يدعونا الى العدل، يقول: «اعدلوا هو أقرب للتقوى».

وهناك آيات كثيرة من هذا القبيل، غير ان الوقت لا يسمح لي بالإشارة اليها جميعاً.

لقد قلت اننا عند ما نراجع القرآن لنستقي منه المعلومات بخصوص مجالات حياتنا، نراه يدعونا الى الأحسن والأفضل. وان انتخاب الأحسن والأصلح هو أمر طبيعي للإنسان، ومع ذلك يوجد إشكال، وهو ان الإنسان يخطأ أحياناً عند انتخابه للأفضل، وفي أحيان أخرى تسيطر الأهواء عليه الى درجة تمنعه من انتخاب الأفضل، في وقت يعي جيداً بانه يسير في طريق آخر. إذن فانّ الشهوات والأهواء النفسانية والمادية هي التي تمنع الإنسان من انتخاب الطريق الأفضل.

هذه هداية كلية من جانب القرآن الكريم بحيث ان مسلمي العالم لو كانوا يأخذون هذه الهداية الأصولية للقرآن بنظر الإعتبار، لما استطاع الأعداء ان يهزموهم، بل وكانوا قد قاموا بضمان السعادة لأنفسهم في الحياة الآخرة. لكن ومع الأسف ونتيجة للمعالم الخاطئة، فقد أقنعونا بالأشياء الصغيرة التي لا قيمة لها. ونتيجة لتلك القناعة والتعاليم الخاطئة، فانهم حرمونا من الإثنين، أي من الماديات والمعنويات، وأصبحنا طفيليين، الى درجة اننا أردنا أنْ نأخذ تعاليم القرآن من الآخرين، أي أنْ يأتي غير المسلمين و يفهمونا القرآن.

اما الأصل الثاني الذي يؤكد عليه القرآن الكريم، فهو أصل الإرتباط، سواء في مقام الهداية الكلية، أو في مقام الهداية الجزئية.

وأقصد بأصل الإرتباط ان القرآن لا يصور و يرسم الإنسان والمجتمع بصورة مجردة، كما وانه لا يفصل حالة أو حالات من الإنسان والمجتمع عن بقية الحالات الأخرى، ليضع لكل حالة هداية خاصة، بل ان الإنسان أو المجتمع هو مجموعة مترابطة فيما بينها من جميع النواحي سواء المادية منها أو المعنوية. فإذا أردنا أنْ نضع برنامجاً لحياة الإنسان أو المجتمع، كان علينا ان ننظر الى

جميع هذه النواحي بانها مرتبطة مع بعضها في جميع الأحوال، أي عند ما يكون الإنسان في حالة عبادة عليه ان لا ينفصل عن السياسة، وكذلك اذا كان في حالة سياسة عليه ان لاينفصل عن العبادة، وعند ما ننشغل في الإقتصاد علينا ان لانبتعد عن العبادة والأمور المعنوية، وأيضاً عند ما ننشغل في العبادة يتحتم علينا ان لاننسى **الجوانب المادية** . وخلاصة القول يجب ان تؤخذ هذه المسائل بنظر الإعتبار ليكامل الإنسان والمجتمع.

ولذلك فعند ما نرى القرآن الكريم يدعونا كثيراً للتخلي عن الحياة، يقول: **«وابتغ فيما اتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا...»** أي انه في الوقت الذي يدعونا للتفكير بالآخرة، ينصحنا بعدم تجاهل نصيبنا في الحياة.

وعند ما يدعونا الى صلاة الجمعة، يقول: **«يا أيّها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون * فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله...»**.

أي يجب على الإنسان أن لا يتفرغ للعبادة فقط، بل عليه أنْ يبتغي من فضل ربه بعد الصلاة، وان لايبقى عاطلاً بل يقوم ببعض الأعمال.

وعندما يتطرق الى الحج، نرى انه يعطي الكعبة صفة الثورية، حيث يقول: **«جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس»**.

ان مكة هي مركز لقيام الناس، ويجب على الناس ان ينتفضوا من هذا البيت، لأنها مركز انتفاضة الشعوب. ولكنه من جهة أُخرى يقول: **«ان الصفا والمروة من شعائر الله»** فمن جهة يبيّن الناحية الشعبية والعاطفية للحج. بقوله: **«ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً»** هذه هي الناحية الشعبية للحج، أي ان مكة هي بيت بناه الله للجميع. ومن جهة أُخرى عند ما يبيّن الناحية العبادية للحج، يقول: **«واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى»** **«وليطوفوا بالبيت العتيق»** كما و يوصي القرآن بعدم نسيان الناحية الإقتصادية في الحج، إذْ يقول: **«وليشهدوا منافع لهم ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام»**.

وعند ما يتطرق القرآن الى الحرب، فانه يدعو الى التعبئة العلمية إضافة الى التعبئة العسكرية. وفي آية: «انفروا خفافاً وثقالاً» من سورة التوبة، يدور الحديث عن الحرب، وجاء في آية اخرى من نفس السورة: **«وما كان المؤمنون لينفروا كافة، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين**

وليـنـذروا قـومـهـم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون».

ونـفـهـم مـن آيـة «انـفـرواخفافاًوثقالاً» بأنَّ الله يدعو الى التعبئة العسكرية... كما ونـفـهـم مـن الآية الثانية بأنَّ الله يدعو الى التعبئة العلمية، أي ان يتفقه الناس الى جانب خوضهم المعارك ، لأنَّ الإنسان لا يعرف دين الله بشكل جيد إلاَّ في ساحة العمل والجهاد.

وفي الوقت الذي يدعونا القرآن الى الحرب، فانه يدعونا الى التقوى، حيث يقول: **«ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألاّ تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى»** أي يجب ان لا يسبب العداء في خروج المؤمنين من طريق العدل. و يقول أيضاً: **«يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظةً واعلموا ان الله مع المتقين».**

وأيضاً وفي الوقت الذي يدعو الى الحرب، فانه يطلب من الناس ان يقوموا بتأمين نفقات الحرب بأنفسهم، بعبارة أُخرى ان الناس يجب ان يعتبروا الحرب حربهم، لاحرب الحكومة. فالحرب في الإسلام لا تختص بالحكومة فقط،لأنها تحدد مصير شعب ما، ولذلك يقول: **«ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة، ولا يتبعون طاغية الا كتب لهم...»**

هذه الآيات الواردة في سورة التوبة حين تتحدث عن المحاربين تقول: **«التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله و بشر المؤمنين»** أي ان الحرب يجب ان لا تكون مجردة من التقوى والعمل الصالح والتوبة والعبادة والشكر والسياحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحراسة حدود الله. وأخيراً فان الحرب هي تعامل مع الله، حيث يقول القرآن الكريم: **«ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنَّ لهم الجنة».**

وهذا الإرتباط الذي أشرت اليه، لم أستطع ان أُبيِّن ظرافته كمالو يفعل القرآن الكريم. في الحقيقة عند ما يراجع الإنسان القرآن، يرى بأنَّ هذا الكتاب السماوي يهتم بجميع جوانب حياة الإنسان، وهذه معجزة، فالإنسان رغم انه موجود فانٍ، غير ان القرآن الكريم لا يتجاهل أي جانب من جوانب حياته.

وهناك في سورة الفتح آية اعتقد ان جميع شؤون الحياة موجودة فيها، كما واعتقد بانها أكبر معجزة للقرآن: **«محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم في التوراة والانجيل**

كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا منهم وعملوا الصالحات مغفرة وأجراً عظيماً».

في هذه الآية يدور الحديث عن خالق الخلق، وعن الواسطة بين الخلق والمخلوق، وعن القوة الدافعة والجاذبة، وعن قوم ، وعن العبادة، وعن هدف وعلامة. وعن ارتباط تاريخ الصالحين، الذي يؤثر تأثيراً كبيراً في الثورات والحركات، و يدور الحديث فيها أيضاً عن التدرج في التربية والثورة... الثورة التي تبدأ على شكل نبتة ثم تنمو شيئاً فشيئاً الى ان تكبر وتصبح شجرة وتتفرع منها الأغصان، بحيث تغيظ الأعداء وتسلبهم القدرة على عمل أي شيء.

ان الآية تعلّمنا كيف يجب ان نبدأ التربية خطوة خطوة لكي نحتفل في النهاية بالنصر، ثم تعدنا بالأجر والمغفرة في الآخرة باعتبار ان الحياة الدنيا ليست هدفاً وذلك لكونها فانية، ولكنها لا تعد جميع الناس بل الذين آمنوا منهم وعملوا الصالحات.

طبيعي ان الموضوع الذي بحثت فيه كان مضغوطاً وغير منظم، وذلك لضيق الوقت.

وقبل ان اختتم حديثي، أود الإشارة الى جملتين عن شخصين غير مسلمين. فحين طرحوا على نهرو في أواخر عمره السؤال التالي: هل ان منظمة الأمم المتحدة تستطيع ان تقوم بضمان حقوق الشعوب، وتمنع من الاعتداءات والمجازر؟ فانه أجاب قائلاً: «باعتقادي ان الأنبياء هم وحدهم الذين يستطيعون القيام بذلك «ثم يسألونه: انك لم تكن في شبابك لتهتم برسالة الأنبياء، وكانت لك تساؤلات عنهم ؟لكنه يجيبهم قائلاً: «في ذلك الوقت كنت شاباً، لكن تجربتي الثورية، ونشاطاتي السياسية والإجتماعية أوصلتني الى هذه المرحلة التي اعتقد فيها بأنّ الذين يستطيعون ان ينجوا البشرية هم الذين لهم ارتباط بعالم الغيب، وتقبلهم الجموع بمثابة وسائط للغيب».

والجملة الأخرى أنقلها عن أحد العلماء، فحين طرحوا عليه السؤال التالي: هل ان العلم يستطيع بتطوره المستمر ان ينقذ البشرية؟ فانه قال: «انني اعتقد بأنّ الشيء الذي يتمكن من انقاذ البشرية يتمثل بالعلم الذي يساعد الإنسان للتحكم بأهوائه،وان العلم الذي لايمكّن الإنسان من السيطرة على أهوائه والتحكم بها، فانه يكون بمثابة السيف الذي يسلّم لغير صاحبه، أو لسارق ما».

وعلى أي حال يجب على أفراد البشر ان يصلوا الى المرحلة التي يجب ان ينتخبوا فيها لأنفسهم طريقاً، يمكّنهم من السيطرة على أهوائهم.

واذا استطاع الإنسان ان يتحكم على نفسه، فانه يستطيع ان يبني لنفسه حياة جيدة.

أيُّها الضيوف الأعزة: إذا أردتم ان تعرفوا سر انتصار الثورة الإسلامية في ايران، فإنَّ السر يكمن في مايلي:

اننا انتخبنا الطريق الذي علّمه لنا القرآن الكريم، وانتفضنا بقيادة الإمام الخميني الحكيمة متكئين على التعاليم السامية للقرآن الكريم. في وقت ما كان علماؤنا يهتمون بالجوانب العبادية للاسلام، تاركين الحياة للآخرين، أي انهم كانوا قد سلّموا الحياة للقيصر، والآخرة للمسلمين. وبذلك حرمنالا من الحياة الدنيا فقط بل ومن الآخرة أيضاً. لكن عند ما استيقظ علماؤنا، و بدأوا يأخذون بنظر الإعتبار جميع جوانب الإسلام، انتقل شعبنا الى مرحلة الوعي، حيث بدأنا لانفصل بين الجهاد في سبيل الله والعبادة في المحراب، وربطنا بين صلاة الليل والجهاد في سبيل الله، وان شبابنا في الجبهات يقومون الى جانب محاربتهم العدو بأداء صلاة الليل، بل والسهر في الليل لمناجاة الخالق، انهم يضحون بدمائهم في سبيل الله وانقاذ المستضعفين.

ان رابطة علماء الدين المجاهدين في طهران تحظى بهذه الميزة وهي انها كانت تقوم بالهداية في خط الثورة، فتدعو الناس الى الطريق الذي يدعو اليه الله والقرآن.

فاذا أرادت الشعوب الإسلامية ان تنقذ نفسها، عليها ان تسير في الطريق الذي بيَّنه لها القرآن وعترة الرسول الأكرم صلوات الله عليهم أجمعين.... عليهم ان يسيروا في ذلك الطريق و يعملوا بالتزام كامل، ولايتأخروا عن الجود بالمال والنفس، لأنَّ حياة الدنيا فانية، وان هذه الحياة لا تستحق أن يقوم الإنسان من أجلها بتجاهل جميع الحقائق ليعيش عدة سنوات أُخرى، ويخسر حياة الآخرة.

أسأل الله ان يعيننا نحن المسلمين، وكافة أحرار العالم، وكافة المستضعفين لتحقيق الوعي الكامل، و ينصر قواتنا الإسلامية على جبهة الكفر والظلم والإستكبار، و يوفقنا للتضحية والإيثار وتعلُّم معارف القرآن الحقيقية ■

مع التوحيد القرآني

حجة الاسلام والمسلمين محمد اليزدي
ـــ نائب رئيس مجلس الشورى الاسلامي ـــ

معنى الدين:

الدين هو الشريعة والملّة الإلهية، يعتقد بأصولها الإنسان، و يسلك سبيلها، فيأتي بفروعها العملية، ليحقق الفلاح. قال تعالى:

«هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون»

(التوبة ـــ ٣٣)

والدين هو الإنقياد والإطاعة لتلك الشريعة، وهذا هو الإسلام والتسليم لله تعالى ولأوامره ونواهيه فقط، قال تعالى:

«ومن أحسن ديناً ممّن أسلم وجهه لله وهو مُحسنٌ واتبع ملة ابراهيم حنيفاً واتخذالله ابراهيم خليلاً»

(النساء ـــ ١٢٥)

وأمّا المذاهب والقوانين الإنسانية، فليست بدين، وإنْ كان فيها خير أحياناً قال تعالى:

«أفغيرَ دين الله يبغون وله أسلمَ من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً واليه يُرجعون»

(آل‌عمران ـــ ٨٣)

وحينئذ فان من ابتغى غيرالإسلام ديناً، واتبع غير طريق الحق سبيلاً، سوف لن يطمئن

باستقامته وايصاله الى الغرض النهائي من الخلقة والقصد النهائي، فقد خاب وخسر. قال تعالى:

«ومن يبتغ غيرَ الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين»

(آل عمران ـــ ٨٥)

ومن المعلوم ان اتباع طريق الحق والخير وسلوك سبيل الله والإنقياد له تعالى، أمر طبيعي فطري ينبثق من أعماق وجود الانسان بل كل موجود بمعنى من المعاني، قال تعالى:

«فأقم وجهك للدّين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيّم ولكنّ أكثرَ الناس لايعلمون».

(الروم ـــ ٣٠)

«ولا يغُرنّك تَقلّبُ الذين كفروا في البلاد»

(٣/١٩٦)

وتسابق الناس في الكفر، وضلالتهم بظلمهم أنفسهم، وانحرافهم عن الدين والحق، فانّ ذلك لن يضرالله شيئاً، قال تعالى:

«ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئاً ولهم عذاب أليم»

(٣/١٧٧)

فعليك نفسك في اتباع الحق، وملازمة التقوى، ومرافقة أهله، والجهاد في سبيله بالمال والنفس في طريق ارشاد الناس وهدايتهم باقتحام الصعاب وخوض المعارك، لاعلاء كلمة التوحيد، واظهار دين الحق بسلاح قاطع وقوة قاهرة مادية ومعنوية. وأساس كل ذلك الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر وقد ضمن الله تعالى نصرة من ينصره بقوله:

«إنْ تَنصروا الله يَنصركم و يثبّت أقدامكم»

(٧/٤٧)

معنى الايمان:

والايمان: الأمن والاطمئنان في القلب مركز الحياة ومدارها، ولا يوجد إلا بالإتكال على الله تعالى مركز الوجود، وملجأ الخلقة، قيوم العالم، الخالق البارئ فقط، لابشيء من زخرف الدنيا وزينتها من الأموال والبنون. قال تعالى:

«الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكرالله ألا بذكر الله تطمئن القلوب»

((٢٨/١٣)

والقلب المتوكل عليه، الخاشع له تعالى ــ واقعاً ــ هو المطيع له حقاً، و يتبعه بعمل الجوارح، فيعترف بالحق، و يقرّ بلسانه، و يعمل بالأركان بمقتضاه.

وذكر الله تعالى هو المبدأ، يقارن ذكر يوم القيامة (المعاد)، ومعرفتها للناس تتحصل بعد استخدام العقل بالرسالة المتوسطة بلين الخلق والخالق باصطفاء منه تعالى للأخيار من عباده والوحي اليهم. والمفلحون هم الذين آمنوا بالله ورسله واليوم الآخر، كما جاء في آيات كثيرة. وتلك هي الأسس الأولية والأصول الأساسية للدين والأديان:

أولها واسّ أساسها؛ التوحيد، وحدانية الخالق والرّب.

حول طرح التوحيد أنواع:

النوع الاول: قال تعالى:

«انهم كانوا إذا قيلَ لهم لا إلـه إلّا الله يستكبرون»

(٣٥/٣٧)

«فاعلم انه لا إله إلّا الله واستغفر لذنبك..»

(١٩/٤٧)

«وما من إله إلّا الله وان الله لهو العزيز الحكيم»

(٦٢/٣)

«قل انما أنا منذر وما من إله إلّا الله الواحد القهار»

(٦٥/٣٨)

«لقد أرسلنا نوحاً الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره»

(٥٩/٧)

النوع الثاني: قال تعالى:

«وإلهكم إله واحد لا إله إلّا هو الرحمن الرحيم»

(١٦٣/٢)

«الله لا إله إلّا هو الحي القيوم. لا تأخذه سنة ولا نوم».

(٢٥٥/٢)

«قل هو ربي لا إله إلّا هو عليه توكلت واليه متاب»

(٣٠/١٣)

«الله لا إله إلّا هو له الأسماء الحسنى»

(٨/٢٠)

«انما إلهكم الله الذي لا إله إلّا هو وسع كل شيءٍ علماً»

(٩٨/٢٠)

«فتعالى الله الملك الحق لا إله إلّا هو رب العرش الكريم»

(١١٦/٢٣)

«الله لا إله إلّا هو رب العرش العظيم»

(٢٦/٢٧)

«وهو الله لا إله إلّا هو له الحمد في الاولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون»

(٧٠/٢٨)

«ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا إله إلّا هو»

(٨٨/٢٨)

«هل من خالق غيرُ الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فأنّى تؤفكون»

(٣/٣٥)

«ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فأنّى تصرفون»

(٦/٣٩)

«الله لا اله الا هو الحيّ القيوم»

(٢/٣)

«هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم»

(٦/٣)

«شهد الله أنه لا اله الا هو و الملائكة واولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلّا هو العزيز الحكيم»

(١٨/٣)

«الله لا إله إلّا هو ليجمعنكم الى يوم

القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثاً»

(٤/٨٧)

«ذلكم الله ربكم لا إله إلّا هو خالقُ كلّ شيءٍ فاعبدوه وهو على كل شيءٍ وكيل»

(٦/١٠٢)

«اتبع ما اوحي اليك من ربك لا إله إلّا هو وأعرض عن المشركين»

(٦/١٠٦)

«الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلّا هو يحيي ويميت»

(٧/١٥٨)

«فإنْ تولّوا فقل حسبي الله لا إله إلّا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم»

(٩/١٢٩)

«فَإلَّـمْ يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وأن لا إله إلّا هو فهل أنتم مسلمون»

(١١/١٤)

«غافرُ الذنبِ وقابلُ التَّوبِ شديدُ العقابِ ذي الطولِ لا إله إلّا هو اليه المصير»

(٤٠/٣)

«ذلكم الله ربكم خالق كل شيءٍ لا إله إلّا هو فأنى تؤفكون»

(٤٠/٦٢)

«هو الحي لا إله إلّا هو فادعوه مخلصين له الدين»

(٤٠/٦٥)

«لا إله إلّا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الأوّلين»

(٤٤/٨)

«هو الله الذي لا إله إلّا هو الملك القدوس السلام...»

(٥٩/٢٣)

«هو الله الذي لا إله إلّا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم»

(٥٩/٢٢)

«الله لا إله إلّا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون»

(٦٤/١٣)

«رب المشرق والمغرب لا إله إلّا هو فاتخذه وكيلاً»

(٧٣/٩)

وحيث ان الضمير في جميع الآيات راجع الى: الظاهر، الإله، إلهكم أو الله ــ كما في الأكثر ــ أو الرب أو ربي أو ربك أو ربكم أو رب المشارق والمغارب، إسماً أو وصفاً لله تعالى أيضاً فانَّ آيات هذا النوع ترجع الى النوع الأول لا إله إلّا الله كما هو ظاهر.

النوع الثالث: قال تعالى:

«ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده ان أنذروا أنه لا إله إلّا أنا فاتقون»

(١٦/٢)

«انني انا الله لا إله إلّا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري»

(٢٠/١٤)

«وما أرسلنا من قبلك من رسول إلّا نوحي اليه أنه لا إله إلّا انا فاعبدون».

(٢١/٢٥)

وحيث أن الآيات الثلاث أيضاً تحكي عن أمر واحد وهو ان الله تعالى ينزل الملائكة على من يشاء من عباده وهم رسله المصطفون الأخيار ويوحي اليهم فيما يوحي ان ينذروا الناس بانه لا إله إلّا أنا وما من رسول إلّا وقد أوحي اليه ذلك كما أوحي الى موسى حينما آنس ناراً وذهب ليقتبس فنودي اني انا ربك واخترتك فاستمع لما يوحى. والقائل عزّ من قائل هوالله تعالى والرب، فانه ترجع هذه الآيات أيضاً الى النوع الأول، وتكون بمعنى لا إله إلّا الله.

النوع الرابع: قال تعالى:

«وإلهكم إله واحد لا إله إلّا هو الرحمن الرحيم»

(١٦٣/٢)

«وما من إله الا إله واحد»

(٧٣/٥)

«قل إنّما هو إله واحد وانني بريء مما تشركون»

(١٩/٦)

«وَلِيَعْلَموا أنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب»

(٥٢/١٤)

«إلهكم إله واحد فالذين لايؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة»

(٢٢/١٦)

«وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين انما هو إله واحد»

(٥١/١٦)

«قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي أنما إلهكم إله واحد..»

(١١٠/١٨)

«قل إنّما يوحى اليّ أنما إلهكم إله واحد فهل انتم مسلمون»

(١٠٨/٢١)

«..فإلهكُمْ إله واحد فله أسلموا وبشرالمخبتين»

(٣٤/٢٢)

«إنّ إلهكم لواحد رب السماوات والارض وما بينهما ورب المشارق»

(٤/٣٧ـ٥)

«قل انما انا بشر مثلكم يوحى اليّ انما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه»

(٦/٤١)

وهذه الآيات لم تتصدّ إلّا لوصف شطر واحد من شطري الآيات السابقة بألسنتها الراجعة الى أمر واحد؛ النفي والاثبات. نفي كل إله ومعبود عن كونه بمستوى ذلك واستحقاقه، ثم اثبات الألوهية المعبودة بحق. وان الله تعالى أهل لذلك لاغير، انه المعبود الذي يأله اليه الإنسان ويتحير، فتصفه تلك الآيات بالوحدة وان إلهكم إله واحد[1] وسيأتي اجمال من الكلام فيه إن شاءالله.

الاستدلال على التوحيد:

النوع الخامس: قال تعالى:

«قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذاً لابتغوا الى ذي العرش سبيلاً»

(٤٢/١٧)

«لوكان فيهما آلهة إلّا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون»

(٢٢/٢١)

«ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله اذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون»

(٩١/٢٣)

البرهان على التوحيد:

الآيات كما ترى، تتعهد البرهان على نفي إله آخر غير الله تعالى، وانه يمتنع ان يكون معه إله بالذات، فإنّ الإله هو المعبود المستحق لذلك، والاستحقاق لا يكون جزافاً، بل بما أنعم على عباده، والإنعام لايمكن إلّا بعد الوجدان والقدرة، ولو كان لغير الله تعالى أيضاً واجدية وقدرة في ذاته[٢] و بذاته لذاته لابتغى بقدرته تلك الى القادر المتعال مبدأ الخير ذي العرش سبيلاً، ولتغلّب عليه ليكون هو الله القادر المعطي المستحق للعبادة، وحينئذ يرد عليه الآخر ذي العرش والقدرة بقدرته الذاتية، فيتكافحان و يتصارعان، وحينئذ تفسد الأرض والسماء من خلال ذلك، أو يعلو بعضهم على بعض في النهاية، فتحتضر القدرة الذاتية بالعالي الذي ليس فوقه عالي، وكل عال يعلوه عال هو الله الكبير المتعال، وآخر الفروض انه لذهب كل إله بما خلق فهذا يذهب بحصته والآخر بحصته أيضاً، فهما محدودان لا يقدران كل منهما على النفوذ في منطقة الآخر ومخلوقه، فالكل منهما ضعيف محكوم بدائرته المحدودة، لا يمكنه ان يتجاوزها، ولا يستحق أكثر منها ومع هذه الحالة لايستحقان أنْ يحمدا أو يعبدا، بل يكون من حدهما وتسلط عليهما بجعلهما كذلك، هو القادر عليهما وعلى كل شيء، الخالق المتعال المستحق للحمد والعبادة، وعليه فيمتنع ان يكون معه إله آخر امتناعاً ذاتياً. و يطلق على ذلك في الإصطلاح: برهان المانع. فالحق الواقع انه لا إله إلّا هو **«ومن يدع مع الله إلهاً آخر لابرهان له به»** (٢٣-١١٧)

وهذه هي الوحدة الحقة الحقيقية التي هي ليست عددية في المفاهيم ولا هندسية في حدود المعدودات، بل الله واحد، وحقيقته الوحدة، ووحدة حقيقتها الواحد، فإنّه ليس كمثله شيء وهو الواحد القهار العزيز المتعال.

شبهة ابن كمونة:

واما ما اشتهر باسم ابن كمونة من فرض تعددهم من غير تضارب، لتفسد الأرض والسماء، ولا تغالب حتى يعلو بعضهم على بعض ولا تصالح ليذهب كل رب بما خلق. وفرض الإمتياز بالذات وفي الذات، فقد اجيب في محله بتفصيل اجماله ان التعدد لاينفك عن التميز وما يمتاز به كل من الآخر، اما عين وجه اشتراكهما

---

(١) وقد ذكر الموصوف بنفسه أيضاً في قوله تعالى (انما الله إله واحد ١٧١/٤).

(٢) حتى يصح اطلاق الموحود عمله بلاواسطة عروضاً وثبوتاً.

أو غيره فعلى الأول لا تعدد، بل هناك مراتب وأعلى المراتب التي لا تعلوها مرتبة هوالحق الواحد، وعلى المثال الثاني التعدد في ذات كل منهم، وحينئذ جهة الاشتراك العينية الخارجية الذهنية الفكرية حقيقة واحدة[1] هي الغالبة عليها معاً، وهي فوقها، والأحق منها وجهة الإمتياز مغلوبة محكومة في الجميع والغالب هوالحق الواحد القهار ولا إله إلّا الله.

هذا كله بحسب الذات اجمالاً. اما صفاته تعالى، فقد أشار اليها الكتاب الكريم، والذاتية منها راجعة الى الحقيقة الواحدة التي هي ليست إلّا الذات من الحياة والقدرة والعلم والإرادة والتعدد حسب المتعلق المراد والمعلوم، وهكذا أو الفعلية من الخلقة والربوبية وغيرها ونشير اليها في فصول:

الفصل الأول:

في علمه تعالى وان الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وآيات الفصل على أنواع:

النوع الاول: (في علم الله تعالى)

قال تعالى:

«ان الله لا يخفىٰ عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء».

(٣ـ٥)

«وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلّا كنا عليكم شهوداً اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلّا في كتاب مبين»

(١٠/٦١)

«إنّما إلهكم الله الذي لا إله إلّا هو وسع كل شيءٍ علماً»

(٢٠/٩٨)

«الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والأرض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير»

(٢٢/٧٠)

«عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون»

(٢٣/٩٢)

«قل انزله الذي يعلم السر في السماوات والارض»

(٢٥/٦)

«قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً يعلم ما في السماوات والأرض»

(٢٩/٥٢)

«يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها »

(٣٤/٢)

«عالم الغيب لايعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلّا في كتاب مبين»[3]

(٣٤/٣)

---

(١) وبعبارة المصطلح الفني لايمكن انتزاع مفهوم واحد بما هوواحد عن المتعدد بما هومتعدد.

(١) وبعين ذلك آخر آية من سورة الحديد(٥٧).

(٢) الاصغر من ذرة كتلة الالكترونات والبروتونات والنترونات التي تتركب منها الذرة والا تمي والاكبر منها المولوكولات المركبة منها.

«ان الله عالم غيب السماوات والأرض انه عليم بذات الصدور »

(٣٨/٣٥)

«قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض والله بكل شيء عليم»

(١٦/٤٩)

«ان الله يعلم غيب السماوات والارض والله بصير بما تعملون»

(١٨/٤٩)

«ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة الاهو رابعهم ولا خمسة الاهو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم»

(٧/٥٨)

«يعلم ما في السماوات والارض و يعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور»

(٤/٦٤)

«عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم»

(١٨/٦٤)

والتوصيف بانه تعالى عالم الغيب والشهادة، نراه في كثير من الآيات، لايسع المجال تعديدها.

«... وان الله قد أحاط بكل شيء علماً»

(١٢/٦٥)

وفي نهاية كثير من الآيات نجد قوله تعالى ان الله بكل شيء عليم، مثل آخر آية (٧٥) من سورة الأنفال (٨) و (١١٥) من سورة التوبة وغيرهما.

وهذا النوع كما ترى، بصدد بيان شمول علمه تعالى بكل شيء في السماوات أو في الارض، من الغيب او الشهادة المستور والمكشوف، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة، ولا يخفى عليه شيء ولو كان أصغر منها.

النوع الثاني:

قال تعالى:

«واعلموا ان الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه واعلموا ان الله غفور حليم»

(٢٣٥/٢)

«اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون»

(٧٧/٢)

«قل ان تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله و يعلم ما في السماوات وما في الارض والله على كل شيء قدير»

(٢٩/٣)

«.. ان الله عليم بذات الصدور»

(١١٩/٣)

«.. والله عليم بذات الصدور»

(١٥٤/٣) و (٤/٦٤)

«.. انه عليم بذات الصدور»

(٤٣/٨) و (٣٨/٣٥)

«وهو الله في السماوات وفي الارض يعلم سركم وجهركم و يعلم ما تكسبون»

(٣/٦)

«ما على الرسول إلّا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون»

(٩٩/٥)

«لاجرم أن الله يعلم ما يسرون ومايعلنون انه لايحب المستكبرين»

(٢٣/١٦)

«وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى»

(٧/٢٠)

«... و يعلم ما تخفون وما تعلنون»

(٢٥/٢٧)

«وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون»

(٧٤/٢٧)

«وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون»

(٦٩/٢٨)

«يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور»

(١٩/٤٠)

«ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد»».

(١٦/٥٠)

«... وأنا اعلم بما أخفيتم وما أعلنتم»

(١/٦٠)

«يعلم ما في السماوات والارض و يعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور»

(٤/٦٤)

«وأسروا قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير»

(١٣/٦٧-١٤)

وهذا النوع كما ترى بصدد بيان نفوذ علمه تعالى الى مكنون نفوس الناس، وانه لايخفى عليه ما يسترون، بل واخفى من ذلك مما لايظهرونه بوجه و يتسترون عليه في نفوسهم، فكيف بما يعلنون و يعملونه جهاراً الا يعلم من خلق مخلوقه ومن أعطى وأفاض عليه عنايته وفيضه؟ وهو اللطيف النافذ بلطفه الى سائر انحاء الوجود والحياة من غير استثناء الخبير العليم بكل شيء من غير انتزاع نفس وصوره. وعلمه تعالى حضوري يحضر لديه نفس العلوم، لاحصولي ليلزم المحاذير من تغير وتحول فيه بصور ونقوش، وليس هذا مقام الكلام فيه:

النوع الثالث:

قال تعالى:

«... والله بما تعملون خبير»

(٢٣٤/٢)

«... ان الله بما تعملون بصير»

(٢٣٧/٢)

«لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإنَّ الله به عليم»

(٩٢/٣)

«... وما الله بغافل عما تعملون»

(٩٩/٣)

«... والله بما تعملون خبير»

(١٨٠/٣)

«والله خبير بما تعملون»

(١٥٣/٣)

«... وكان الله عليما حكيماً»

(١٠٤/٤)

«... وكان الله بما يعملون محيطاً»

(١٠٨/٤)

«وهو الذي يتوفاكم بالليل و يعلم ما جرحتم بالنهار..»

(٦٠/٦)

«ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون»

(١٣٢/٦)

«.. وأن الله لسميع عليم»

(٤٣/٨)

«وما تكون في شأن وماتتلوامنه من قرآن ولا تعملون من عمل إلّا كنّا عليكم شهوداً اذ تفيضون فيه، وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلّا في كتاب مبين»[1]

(٦١/١٠)

«... يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور»

(٥/١١)

«وما من دابة في الأرض إلّا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين»

(٦/١١)

«الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيءٍ عنده بمقدار، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال، سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار»

(٨/١٣ـ٩ـ١٠)

«يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً»

(١١٠/٢٠)

«..قال ربي يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع العليم»

(٤/٢١)

«يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى الله ترجع الأمور»

(٧٦/٢٢)

«الا ان لله ما في السماوات والارض قد يعلم ما أنتم عليه و يوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم»

(٦٤/٢٤)

«... والله يعلم ما تصنعون»

(٤٥/٢٩)

«ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم»

(٤٢/٢٩)

«والله بما تعملون خبير»

(١٠/٥٧)

«قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير»

(١/٥٨)

«... والله على كل شيءٍ شهيد»

(٦/٥٨)، (٩/٨٥)

---

(١) وانما ذكرناه في هذا النوع ايضا بعد ما جعلناه من آيات نوع الاول بلحاظ صورها الناظر الى شمول علمه تعالى للجزئيات ايضا كما سيأتي الكلام فيه إن شاء الله.

«ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه...»

(٢٠/٧٣)

واضف الى هذا النوع، آيات شهادة الله تعالى وانه على كل شيء شهيد، وهي كثيرة.

ومدار آيات هذا النوع، بيان شمول علمه تعالى للجزئيات من أقوال الإنسان وأفعاله، مستحب بالليل كان، أو سارب بالنهار، وكذلك تصرفاته فيما يحيطه من صنائعه وما يترتب عليها قهراً من بين أيديهم ومن خلفهم، وحتى ما تحمل كل أنثى (ولعله يعم الإنسان) زماناً ومكاناً وكيفيته ذكراً وأنثى، وما تغيضه وتبلغه فتفسده الأرحام كذلك، وما تقبله وتربيه وتزداد في مراحل تكامل الجنين على القواعد والنواميس الإلهية، وكل شيء عنده بمقدار، وهو تعالى شهيد على كل ذلك، يعلمه و يراه، ولا تدركه الأبصار، فكيف بالكليات الثابتات من تلك القواعد والمقادير؟

ولاينافي تغيُّر الجزئيات وعدم ثباتها ان تقع مورداً للعلم الإلهي، فإنَّ علمه تعالى بكل معلوم حضوري بنحو أبسط من غير حدود، وكل مرتبة من الوجود محاط ومتقوم بأصل الوجود القائم بنفسه، الواجد لكل كمال، بل نفس كل كمال الحي القيوم، فلا يمكن ان يعزب عن علمه مثقال ذرة، أو يغيب عن محضره شيء أصلاً كما فصل في محله.

النوع الرابع:

قال تعالى:

«.. يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلّا بما شاء وسع كرسيه السماوات والارض...»

(٢/٢٥٠)

«وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلّا هو و يعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولاحبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولايابس إلّا في كتاب مبين»

(٦/٥٩)

«قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السماوات والأرض»

(١٨/٢٦)

«قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب الا الله وما يشعرون أيان يبعثون»

(٢٧/٦٥)

«ان الله عنده علم الساعة و ينزل الغيث و يعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرضٍ تموت ان الله عليم خبير»

(٣١/٣٤)

«اليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من اكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه»

(٤١/٤٧)

«عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً، إلّا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً»

(٧٢/٢٦ و ٢٧)

«و يقولون لولا انزل عليه آية من ربه، فقل انما الغيب لله فانتظروا اني معكم من

المنتظرين..»

(١٠/ ٢٠)

«ولله غيب السماوات والأرض واليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون»

(١١/ ١٢٣)

«ولله غيب السماوات والارض وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب ان الله على كل شيءٍ قدير»

(النحل —٧٧)

وغيرها...

وتركّز آيات هذا النوع على توضيح اختصاص علم الغيب بالله، وانه تعالى يعلم كل ما هو غائب غير مرئي مستتر غير مكشوف، سواء كان بحسب الزمان مما لم يأت أو مضى:

«ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ان الله سميع بصير»

(٣١/ ٢٨)

أو كان مغيباً عن أعين الناس مما في السماوات والأرض أو في أنفسهم، فانه تعالى عالم الغيب والشهادة.

«وما من غائبة في السماء والأرض إلّا في كتاب مبين»

(٢٧:٧٥)

والناس لايحيطون بشيء من علمه، ولا يمكن لهم نيل المعلوم بحده وكما هو.

ثم ان بعضها يشير الى مصاديق خاصة من أخفى الخفيات ليكون شمول علمه تعالى لها واختصاص الغيب له أبين مثل أمر الساعة والقيامة، وما في الأرحام وما تكسب نفس غداً. وانها بأي أرض تموت، وما تخرج من ثمرات من أكمامها وغيرها مما لايتمكن الإنسان من العلم به والإحاطة بكنهه، وان علم شيء يسير منه، **وما اوتيتم من العلم إلّا قليلاً**. كما تشير الى الفرق الجوهري الحقيقي بين علم الله تعالى بكل شيء مع ما أوتي الإنسان من علم قليل بعد ذاتية الأول وغيرية الثاني. ان نفس المعلوم حاضر لدى الباري تعالى، غير غائب عنه، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة «واما الانسان فهو نفس و صورة، وهو المعلوم له أولاً بالذات دون المعلوم من غير احاطة، وذلك مقتضى تعبير الآية الكريمة **«ولا يحيطون بشيء من علمه»** و قوله تعالى **«وما اوتيتم من العلم إلّا قليلاً»**. فإنَّ الذي حصلوا عليه هو مجرد صورة من دون احاطة ونيل لنفس الحقيقة، فإنَّ المؤتى صورة كما عرفت من دون احاطة ونيل، وتمام الكلام في محله.

ثم ان الآيات، صرّحت بأمر آخر هو امكان علم الغيب لغير الله تعالى مع اختصاصه به باعطائه له وعنايته به بما شاء ولمن شاء وارتضى من رسول. فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومن يحذو حذوه يعلم الغيب بما شاءالله واعطاه لابنفسه وذلك مقتضى الاستثنائين إلّا بما شاء، و إلّا من ارتضى من رسول.

في قدرته تعالى:

الفصل الثاني في قدرته تعالى، وانه على كل شيءٍ قدير، يفعل ما يشاء، ولا يفعل ما يشاء غيره. ومن المعلوم انه لايصح وصف غيره تعالى

بالقدرة على الاطلاق، فإنّه تعالى هو من السماوات مطويات بيمينه والأرض قبضته[1] وغيره لايقدر على شيء إلّا بقدرته وهو ممكن محدود. والظاهر انها وصف ثبوتي له تعالى وعين ذاته، من غير رجوع الى نفي العجز ليكون سلبياً كما عن المفردات. ولو كان ذلك من جهة ملازمة التوصيف التعدد، لكان عليه ارجاع العلم أيضاً الى عدم الجهل. والتعدد من ناحية المقدور والمعلوم والمراد، لا في مرتبة الذات كما ذكرناه من قبل.

وكيف كان، فآيات الفصل قسمان: الاول ما تعطى اطلاق قدرته تعالى وشمولها.

قال تعالى:

«ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها الم تعلم ان الله على كل شيءٍ قدير»

(١٠٦/٢)

«... ان الله على كل شيءٍ قدير»

(٢٠/٢و١٤٨)

«... ولكن الله يفعل ما يريد»

(٢٥٣/٢)

«... والله على كل شيءٍ قدير»

(٢٨٤/٢) و (٤١/٨)

«... كذلك الله يفعل ما يشاء»

(٤٠/٣)

«... فهو على كل شيءٍ قدير»

(١٧/٦)

«... وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير»

(١٨/٦)

«... وهو القاهر فوق عباده و يرسل عليكم حفظة..»

(٦١/٦)

«... فأخذهم الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب»

(٥٢/٨)

«... و يفعل الله ما يشاء...»

(٢٧/١٤)

«انما قولنا لشيءٍ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون»

(٤٠/١٦)

«... وكان الله على كل شيءٍ مقتدراً»

(٤٥/١٨)

«كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر»

(٤٢/٥٤)

«ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر»

(٥٤/٥٤،٥٥)

«لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون»

(٢٣/٢١)

«... ان الله يفعل ما يريد»

(١٤/٢٢)

«.. ان الله يفعل ما يشاء»

(١٨/٢٢)

---

(١) مقتبس من قوله تعالى: (..والارض جميعاً قبضته يوم القيامة).
(والسماوات مطويات بيمينه...) (٦٧/٣٩).

القسم الثاني ما تعطي نفوذ قدرته تعالى في اشياء خاصة لعظم أمرها وخطرها سيا الأمور التي لايقدر عليها الغير حتى بالغير. قال تعالى:

«وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر على أن ينزل آية ولكنّ أكثرهم لايعلمون»

(٣٧/٦)

«والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم»

(٦ ٣٩)

«قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أويلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض»

(٦٥/٦)

«اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم»

(٥٦/١١)

«.. واذا اراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال. هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينشيء السحاب الثقال، ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاءوهم يجادلون في الله وهو شديد المحال».

(١٣/١١ـ١٣)

«أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلاً لاريب فيه فأبى الظالمون إلاّ كفوراً»

(٩٩/١٧)

«وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنّاه في الأرض وانا على ذهاب به لقادرون»

(١٨/٢٣)

«وانا على أن نريك ما نعدهم لقادرون»

(٩٥/٢٣)

«أوليس الذي خلق السماوات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاّق العليم»

(٨١/٣٦)

««اولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى بلى انه على كل شيءٍ قدير».

(٣٣/٤٦)

«فلا أقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على أن نبدل خيراً مهم وما نحن بمسبوقين»

(٧٠/٤٠ـ٤١)

«كلا انه تذكرة، فمن شاء ذكره، وما يذكرون الا ان يشاءالله..»

(٧٤/٥٤ـ٥٦)

«بلى قادرين على ان نسوي بنانه»

(٤/٧٥)

«أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى»

(٤٠/٧٥)

«... انه على رجعه لقادر»

(٨/٨٦)

و واضح من ظواهر الآيات بقسميها ان قدرته تعالى ومشيئته وارادته سارية في كل شيء وكل أمر وكل مقدور ومراد، ولا يمكن ان

يعزب عنها مثقال ذرة من شيء، فان كل ممكن فقير وجوده وحياته وارادته وكل شأن منه الى الغني العزيز الحكيم. وهو تعالى بغناه المطلق يفعل ما يشاء، ويحكم مايريد، ولا يسأل عما يفعل، فكما يقدر على خلق السماوات والأرض وانشاء السحاب الثقال وارسال الصواعق ليصيب بها من يشاء وانزال الماء من السماء بقدر واسكانه في الارض بقدر واحيائه به بقدر، كذلك يقدر على محو كل منها بطي السماوات والارض ومنع السحاب والماء وغيرها.. وكما يقدر على خلق بني الإنسان واعطائهم النعم والخيرات وهناءة العيشة وكرامتها، كذلك يقدر على ان يبعث عليهم عذاباً من فوقهم ومن تحت أرجلهم، بأنْ يجعلهم شيعاً، يتفرقون، و يتضاربون، و يتحاربون، فيذيق بعضهم بأس بعض، فتنسلخ عنهم العيشة وكرامتها. وكما يقدر على خلق الإنسان، يقدر على ارجاعه بعد الموت، واحياء الموتى، بل على ان يسوي بنانه بما فيها من خطوط متعرجة تختلف لدى أي فرد وعن الفرد الآخر. وكما يقدر على ارشاد الناس وتذكيرهم وهدايتهم وجعلهم على صراط مستقيم باعطاء العقل وارسال الرسل وانزال الكتب و... كذلك يقدر على اضلالهم وتركهم صُمّاً بُكْمَاً في الظلمات، لا يرون شيئاً، فهو على كل شيء قدير.

و ينبغي ان لا يقود هذا الى توهم الجبر حتى في الأعمال الإختيارية للإنسان، فإنَّ قدرته تعالى في خلق الإنسان مختاراً اجمالا، ليتمكن من الوصول الى أعلى عليين، وظهوره في مرحلة اللا تناهي، ثم ارشاده وتأييده بإلهام النفس واعلام الفطرة، وتقويته ببرهان العقل، وتحصينه بمسألة النبوة والكتاب الملازم من حيث الوجود لعصيان كثير منهم وضلالتهم باتباعهم الهوى واتخاذهم اياه إلٰهاً وخسرانهم بظلمهم انفسهم. وكلا الطرفين في مجموع النظم والانتفاع من الخلقة ونواميسها لايكون بمعنى اجبارهم في كل واحدة منها وعلى الاجمال، وليس هنا مقام التفصيل. المعلول كما يصح انتسابه الى آخر جزء من العلة المركبة، يصح انتسابه الى المبدأ الأول، وحيث ان الاختيار واقع في الطريق الى جنب مسألة الارشاد والهداية التشريعية، فما وقع تكويناً منه على سبيل الخير والحق الأنسب انتسابه اليه تعالى الخالق البارىء الهادي، وما وقع بسوء الاختيار إنحرافاً عن السبيل وضلالة عنه فالأنسب انتسابه الى نفسه التي اختارت العمى على البصر والضلالة على الهدى. والكل في نظام الكون غير خارج عنه وعن قوانينه، قال تعالى:

«.. وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عندالله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عندالله... ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك»

(٤/٧٨–٧٩)

والتفصيل راجع الى محله.

ومن ذلك القدرة بمعنى الذي عرفت مالكيته تعالى ملكاً حقيقياً لكل شيء ولكل أمر، فإنَّ المقدور مملوك للقادر وفي يده كما ترى في الفصل الآتي.

في مالكية الله تعالى:

الفصل الثالث ان له تعالى ما في السماوات والأرض وجوداً وبقاء ملكية. ليس المملوك إلاّ نفس الملكية والتعلق والربط ملكاً عينياً لااعتبارياً جعلياً، فهو تعالى مالك الملك، يعطي الملك من يشاء وآيات الفصل أيضاً قسمان: الاول ما تعطي مالكيته المطلقة مطلقاً، قال تعالى:

«مالك يوم الدين»

(فاتحة/٤)

«ألم تعلم ان الله له ملك السماوات والارض ومالكم من دون الله من ولي ولانصير».

(١٠٧/٢)

«لله ما في السماوات وما في الارض وان تبدوا ما في أنفسكم أوتخفوه يحاسبكم به الله فيغفرُ لمن يشاء ويعذبُ من يشاءُ والله على كل شيءٍ قدير».

(٢٨٤/٢)

«ولله ما في السماوات وما في الارض والى الله ترجع الأمور».

(١٠٩/٣)

«ولله ما في السماوات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء».

(١٢٩/٣)

«.. قل ان الأمر كله لله»

(١٥٤/٣)

«ولله ملك السماوات والأرض والله على كل شيءٍ قدير»

(١٨٩/٣)

«ولله ما في السماوات وما في الأرض وكان الله بكل شيءٍ محيطاً».

(٤/ ١٢٦)

«..فإن لله ما في السماوات وما في الأرض وكان الله غنياً حميداً»

(٤/ ١٣١)

«ولله ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً».

(٤/ ١٣٢)

«.. فإنَّ لله ما في السماوات والأرض وكان الله عليماً حكيماً»

(٤/ ١٧٠)

«.. ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء».

(٥/ ١٧)

«.. ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما واليه المصير»

(٥/ ١٨)

«لله ملك السماوات والأرض وما فيهن وهو على كل شيءٍ قدير»

(١٢٠/٥)

«.. ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين»

(٥٤/٧)

«ان الله له ملك السماوات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولانصير».

(١١٦/٩)

«ألا ان لله ما في السماوات والأرض....»

(٥٥/١٠)

«ألا ان لله مـن في السماوات ومن في الأرض..»

(٦٦/١٠)

«الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض..»

(٢/١٤)

«ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة..»

(٤٩/١٦)

«وله ما في السماوات والأرض وله الدين واصبا..»

(٥٢/١٦)

«له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى»

(٦/٢٠)

«وله من في السماوات والأرض ومن عنده لايستكبرون عن عبادته»

(١٩/٢١)

«له ما في السماوات وما في الأرض وان الله لهو الغني الحميد»

(٦٤/٢٢)

«ولله ملك السماوات والأرض والى الله المصير»

(٤٢/٢٤)

«ألا ان لله ما في السماوات والأرض..»

(٦٤/٢٤)

«الذي له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك..»

(٢/٢٥)

«وله من في السماوات والأرض كل له قانتون..»

(٢٦/٣٠)

«لله ما في السماوات والارض ان الله هو الغني الحميد، ولو أن ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفذت كلمات الله...»

(٣١/٢٦-٢٧)

«قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة ولايجدون لهم من دون الله ولياً ولانصيراً»

(١٧/٣٣)

«الحمدلله الذي له ما في السماوات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة..»

(١/٣٤)

«قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السماوات والارض ثم اليه ترجعون»

(٤٤/٣٩)

«له مقاليد السماوات والأرض والذين كفروا بآيات الله اولئك هم الخاسرون».

(٦٣/٣٩)

«وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون».

(٦٧/٣٩)

«له ما في السماوات وما في الأرض وهو العلي العظيم»

(٤/٤٢)

«صراط الله الذي له ما في السماوات وما

في الأرض الا الى الله تصير الأمور»

(٤٢/٥٣)

«وتبارك الذي له ملك السماوات والارض وما بينها وعنده علم الساعة واليه ترجعون»

(٤٣/٨٥)

«ولله ملك السماوات والارض و يوم تقوم الساعة يومئذ يَخْسَرُ المبطلون».

(٤٥/٢٧)

«وله الكبرياء في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم».

(٤٥/٣٧)

«.. ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عليماً حكيماً».

(٤٨/٤)

«ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عزيزاً حكيماً.

(٤٨/٧)

«فلله الآخرةُ والاولى وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئاً الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء و يرضى».

(٥٣/٢٥—٢٦)

«وله الجوارِ المنشآتُ في البحر كالأعلام»

(٥٥/٢٤)

«... ولله خزائن السماوات والأرض ولكن المنافقين لايفقهون».

(٦٣/٧)

«الذي له ملك السماوات والارض والله على كل شيءٍ شهيد»

(٨٥/٩)

ومحصل تلك الآيات بلسانها المطلق ان الله تعالى مالك السماوات وما فيها ومن فيها[1] مالك الأرض وما فيها ومن فيها وما تحت الثرى. فله خزائنها وأساسها، ولا يوجد شيء منها أو فيها إلّا من عنده تعالى و بإرادته وقدرته و بيده مقاليدها التي تحيط بها أو مفاتيحها التي تفتح بها مسارها وتجري بها المجاري، فله جنود السماوات والأرض. من كل عامل يعملها أو يعمل فيها بأي نحو، وله الكبرياء والعظمة وليس من دونه ولي أو نصير أو شفيع، وكل شيء له في الآخرة والأولى والأرض قبضته والسماوات مطو يات بيمينه.

ومن المعلوم ان الملكية المطلقة الشاملة لكل شيء بحيث لايوجد شيء يخرج عن حيزها، لايعقل ان تكون اعتبارية أو انتزاعية تدور مدار اعتبار المعتبر أو الملاك المنتزع عنه، بل الملكية الحقيقية العينية التي تكون بيد المالك ارادته أصل تحصل المملوك ووجوده وتمام شؤونه ببسطه وقبضه والى الله المصير. وأين هذا من ذاك كما هو ظاهر لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد.

القسم الثاني، ما يفيد ان ذلك المالك القادر القاهر بمقتضى اطلاق ملكه وسعة ارادته

---

(١) وتلك الآيات تشير الى ان في السماوات أيضاً ذوي العقول ولعلم غير الملائكة التي صرحت بوجودهم آية سورة النحل (١٦—٤٩) و يؤيد المحتمل قوله تعالى ومن عنده في آية سورة الانبياء(٢١—٣٠).

وشمول قدرته يعطي الملك من يشاء و ينزع الملك ممن يشاء، قال تعالى:

«والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم»

(٢٤٧/٢)

«قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيءٍ قدير، تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب».

(٣/٢٦ـ٢٧)

«وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الاهو وان يمسسك بخير فهو على كل شيءٍ قدير، وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير».

(٦/١٧ـ١٨)

«قل أرايتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غيرالله يأتيكم به...»

(٤٦/٦)

«لله ملك السماوات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء أناثاً ويهب لمن يشاء الذكور، أو يزوجهم ذكراناً واناثاً ويجعل من يشاء عقيماً انه عليم قدير».

(٤٢/٤٩ـ٥٠)

«ولله ملك السماوات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفوراً رحيماً».

(١٤/٤٨)

«ولله ما في السماوات وما في الارض ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى»

(٣١/٥٣)

«ان بطش ربك لشديد، انه هو يبدئ ويعيد»

(٨٥/١٢ـ ١٣)

والملكية التي يعطيها الله تعالى من يشاء من عباده، لابُدَّ وان تكون من سنخ ما كان له من الملكية الحقيقية دون الإعتبارية المجعولة، إلّا بما لها من التكوين أي القدرة الخلاّقة الفعّالة التي يقدر بها العبد على شيءٍ بالغير وتملكه بتمليك مالك الملوك اياه، فيقول:

«اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكونُ طيراً بإذن الله، وأبرئ الأكمه والأبرص واحيي الموتى بإذن الله وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم».

(٤٩/٣)

فإنَّ التصرف في عمق الخلقة بإعطاء الحياة وأخذها بالإشارة والإرادة أو الإخبار عن الغيب المستور عن غير مجاري الطبيعية، لايمكن لإنسان مخلوق مراد إلّا بالغير و بإذن الله تعالى. وعلى هذا الغرار مراتبها الخفيفة من القدرات النفسية التي يعطيها الله تعالى عباده الصالحين المصطفين الأخيار الى مسألة المال والولد أناثاً وذكوراً في الدنيا والعذاب أو الغفران في الآخرة.

وظاهر كلمة من في الآيات ان الذي يعطيه الله تعالى ملكه هو الإنسان ذو العقل والأكثر ما يصدق عليه الكلمة من العقول العالية القوى والأنوار القاهرة والنفوس المتعالية، لامطلق العوامل والجنود التي تكون في السماوات

والأرض، وإنْ كان الأمر كذلك بمعنى فان الله تعالى هو الذي خلق كل شيء فهدى باعطائه الوجود وجعله سائراً في سبيل خيره وكماله ليعمل و يتكامل في مجال مخطط له. وهذه القدرة والعمل تسلط وملك قد آتانا منها الله تعالى بملكه وقدرته، لكنها غير مرادة من تلك الآيات ظاهراً وأشيرَ اليها في آيات القسم الأول كما عرفت.

وحاصل القسمين ان الإنسان بعد ان يرى العالم بكل انحائه من السماوات والأرض وما بينها ومن فيها في قبضة ارادة الله تعالى وملكوت قدرته يؤمن و يعترف بأنَّ ما يجده في نفسه من قدرة وارادة واختيار وامكان التصرف فيما يحيطه من الطبيعة واستخدامها في جهة مطلوبة ومشيئته أيضاً من الله تعالى أعطاه اياه الى علم وهداية ومال وولد وهو تعالى يعطي من يشاء من عباده و ينزع ممن يشاء..

الحمدلله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله وان يمسنا ضر فلا كاشف له الاهو وان يمسسنا خير فهو اعطاه الذي على كل شيء قدير.

اللهم اهدنا لما تحب واغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار... ■

القوانين هي ضوابط كلية وعامة، تحكم موضوعاتها في كل مكان ومع أي تغيير بشرط بقاء قيود الموضوع وخصوصياته. وان الإنضباط القانوني للعالم وان كل ظاهرة صغيرة أو كبيرة، خلقت وفق ضوابط و بمقادير خاصة، وهديت الى مسيرة معينة، يعد من المسلمات القرآنية والتي تستفاد بكل وضوح بعد ان دلّت عليها آيات متعددة.

هذه القوانين منها ما يحكم كل العالم و بضمنه الإنسان (طبعاً بعض أبعاد الانسان) والأخرى تحكم الإنسان في الأمور الاجتماعية، و بينهما تفاوت رغم انهماً يتمتعان بخصوصية القانون وهي العمومية والإستيعاب.

ان القوانين الحاكمة على العالم، تستمد عناصرها من الماضي وتلحظ سر ضعفها وقوتها من الماضي، اما القواعد الحاكمة على الإنسان فهي تثرى على ضوء المستقبل وترتبط قوتها وضعفها بالمستقبل.

ان تصور المستقبل له دوره المهم في روح الإنسان ـ وهو بحسب الفطرة ينزع الى هدف سام ـ انه يمنحه الحرارة، ويهيجه، و يدعوه للتفكير والعزم والسعي، وهذه هي التي تدفعه للعمل، وسوف يبدو هذا في مطاوي البحث ـ فلا داعي للعجلة.

(١) ان القرآن يعبّر غالباً عن القوانين الحاكمة على العالم بكلمات (التقدير، القدر، المقدار) كما يعبّر على الأكثر عن الضوابط الحاكمة على الإنسان: بالسُّنّة والسُّنن، فلنقرأ معاً:

«إنا كل شيءٍ خلقناه بقدر». (القمر / ٤٩)

«وكل شيءٍ عنده بمقدار». (الرعد / ٨)

«وان من شيءٍ الاعندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم». (الحجر / ٢١)

«فقدرنا فنعم القادرون». (المرسلات / ٢٣)

«الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان». (الرحمن / ٥ ـ ٦)

«والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم». (يس / ٣٨)

(٢) ـ وقد نظمت هذه المقادير والقوانين باتقان خاص و بانسجام دقيق وحيد تحيث قيل لخالقها (**أحسن الخالقين**) وكانت له الكبرياء والعظمة.

وقد دعي الناس في هذا الصدد ليركّزوا ويدقّقوا، فهل يستطيعون ان يجدوا هناك من خلل وفطور، إلا انه يجب ان يعملوا قبل قيامهم بذلك بأنهم لن يحصلوا من سفرهم إلا التعب والخسران.

«صنع الله الذي اتقن كل شيء». (النمل / ٨٨)

«الذي احسن كل شيء خلقه». السجدة / ٧)

« ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئاً وهو حسير». (الملك/٣ ـ ٤)

(٣) ـ ان هذه القوانين تقود الموجودات نحو الكمال، مما يؤدي لأن تتوضح و تتجلى ـ من خلال المسيرة ـ ما في أعماقهم من طاقات كامنة.

«والسماء بنيناها بأيدٍ وانّا لموسعون»

«فلله الحمد رب السماوات و رب الأرض رب العالمين» (الجاثية/٣٦)

يقول فقيه الله احمد بن فارس بن زكريا المعاصر الجوهري المتوفى سنة (٣٩٥هـ) في كتابه التحقيق القيّم (مقاييس اللغة) وهو يعطي نحو مقاييس اللغة ـ يقول ما معناه: **المصلح للشيء يقال رب فلان صنيعته اذاقام على اصلاحها والله جل شأنه الرب لأنّه مصلح أحوال خلقه.**

والواقع انه ليس من الصدفة ان نجد بعد لفظ الجلالة (الله) جاء التعبير بهذه الكلمة عنه تعالى أكثر من غيرها، فقد ذكرت ٩٦٢ مرة:

«ربنا الذي أعطى كلّ شيءٍ خلقه ثم هدى» (طه/ ٥٠)

والهداية لماذا؟ انها لتنمية الطاقات والدفع للسير في سبيل الكمال في المدة المقررة.

اننا من خلال هذه التفاتة نستلهم كوننا وكل الموجودات سائرين باتجاه الكمال تحت اشراف مصلح سام:

«قائم على كل نفس بما كسبت» (الرعد/٣٣)

«انك كادح الى ربك كدحاً فملاقيه» (الانشقاق/٦)

... ان الانسان يكدح باتجاهه تعالى وهو متعهد له بالهدى **«ان علينا للهدى»**.

خلاصة البحث في القوانين الحاكمة على العالم:

(١) ـ ان القوانين تستوعب كل شيء، وكل فرد، ولا يخرج عن دائرتها شيء.

(٢) ـ ان القوانين هي أقصى مراتب الإتقان والإنسجام، فلا يمكن ان يوجّه اليها اعتراض.

(٣) ـ ان كل الموجودات ـ من خلال هذه القوانين ـ تسير نحو التفتح ـ وكلها تطلب كمالها

ان القوانين المذكورة تحكم كل شيء في قبالها إلا التسليم الكامل.

السُّنن الحاكمة على الإنسان:

ولكنَّ الأمر ليس كذلك في مجال السُّنن الحاكمة على الإنسان، فلا تطرح هنا مسألة التسليم المطلق للقوانين المعدة من قبل، وإنّما الحديث بشكل آخر.

ان الحديث هنا عن الإنسان المتعمق في ذاته الباحث في ارجائها، الإنسان الواعي، الواعي لذاته، العالم بحاله، العالم بعمله.

اين هذا من الموجودات الأُخرى حتى ولو كانت آثارها تتحقق بدقة متناهية محيرة ، وثمرات وجودها تعرض في ميدان الوجود بشكل أروع وأكثر دقة. ولكن اين الوعي بالذات؟ والوقوف على أحوال القلب؟ واين معرفة أفعاله انه الإنسان الذي خلق بهذه الخصوصيات ـ خُلِقَ بخاصية التعالي ـ نحو الهدف السامي والإبداع والإبتكار. ان هذا هو الذي يفصله عن الماضي، و يشده الى المستقبل، و ينقذه من الحالة الطفيلية التبعية، و يوصله الى الإستقلال، ويخلصه من ان يكون كلاً وعبئاً على كاهل الماضي و يرغبه في التخطيط والبناء لذاته. ومن الممكن ان تكون صفاته، وملكاته، وافعاله، ونتائج اعماله، من حسن وقبيح، رهينة بهذا الطموح وهذه النظرة المستقبلية له. انه يرمي بطرفه الى المستقبل، و يفكر، وترسي في أعماقه الحرارة، و يتفاعل ويهيج، ثم يخطط و يسعى لتحقيق طموحاته، ومن ثم تحقق ذلك. و من هنا فقد اطلق عليه اسم الموجود الطامح للمستقبل، وصاحب الهدفية في العمل. اننا نقرأ في القرآن:

«وان ليس للانسان إلا ما سعى» (النجم/٣٩) .

وقد أقام القرآن هذا العمل والسعي على أساس الحالة الداخلية **«قل كل يعمل على شاكلته»** (الاسراء/٨٤) .

«والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلاّ نكداً» (الاعراف/٥٨) .

وهنا يأتي الكلام القاطع النهائي:

«ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» (الرعد/١١) .

وهكذا ترتبط التقديرات الإلهية (أي تلك القوانين الحاكمة) بالتغيرات النابعة من أعماق الروح.

وعلى الإنسان ان يزين نفسه و يهيئها لتعادل العطاء، ومن راقب نفسه المخطط لها، حينئذ يكون ذلك الانسان الواقف على ذاته والمتجه لها ــ وهذا هو أصل السُّنن وأُمها جميعا ــ وهذا هو الأمر الرئيس اللائق بالإهتمام والتوجه الوافر.

يخطىء هؤلاء المدعون بأنَّ نوعية الإنتاج والتوزيع هي محور العمل، وهي التي تصنع المستقبل... انها بدورها ما لم تنفذ الى الأعماق الإنسانية وتحرك محيط وجوده، لن تستطيع ان تؤدي الى شيء... انها الأعماق التي ينظر اليها الله، حيث ان الله لاينظر الى أعمالكم وإنما ينظر الى قلوبكم. وهنا يقول القرآن:

«إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم». (الانفال/٧٠)

وتعد هذه من قواعد السُّنن، و انها قاعدة عظيمة حقاً.

(٢) ــ لا يكفي في السُّنن الإجتماعية ان يطهّر الإنسان نفسه من الأعماق، و يقودها نحو الحسنات، بل يجب ان يوسع من اطار ذلك ليتحول الى صبغة اجتماعية، فيتلقاه الجميع، ويجعلونه منطلقاً لأعمالهم. فإن تحقق ذلك فبها، وإلا فالفتنة والفوضى، ولن يكون الصالحون في مأمن منها:

«واتقوا فتنة لا تصيبنَّ الذين ظلموا منكم خاصة» (الانفال/٢٥) .

ان المجتمع له حساب خاص، و برنامج خاص، وله علو وهبوط، وحياة وموت، وأجل وكتاب، غير ما للأفراد من خصائص. وبحثنا يدور حول السنن الحاكمة على المجتمع، ولكي تتحقق المعنوية القويمة والملائمة والحسنة فإنه من اللازم أن يعمل الجميع أو الفئة الكافية على اصلاح المجتمع، فلا هم لها ولا مهمة إلا ذلك مهما بلغ الأمر. ومن هنا فانَّ القرآن جعل هذا الأساس واجباً قطعياً، ورغَّب فيه، ومدح الأمة التي تنهض به بأروع بيان، وجعلها نموذجاً وشاهداً، فقال:

«ولتكن منكم أُمة يدعون الى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر وأُولئك هم المفلحون» (آل عمران/١٠٤)

«كنتم خير أُمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر» (آل عمران/١١٠)

«وكذلك جعلناكم أُمةً وسطاً» (البقرة/١٤٣)

(٣) ــ ان هناك في مسيرة بث الحقائق وبطيها بين الخلائق صعوبات، ومشاقاً وأنماطاً من الحرمان يجب تحملها.

وقد دعا القرآن الى الصبر بادىء ذي بدء، فقال:

«وتواصوا بالحق و تواصوا بالصبر» (العصر/٣)

فالناجون لوحدهم من الخسران هم اولئك الذين قاموا بالإضافة لتطهيرهم أنفسهم وتزيينها بالايمان والعمل الصالح ــ بدعوة مجتمعهم للتعهد بالحق، و أوصوه بالصبر في هذا السبيل المليء بالمشقات والمرارة. هذا ونجد القرآن في هذا الأساس يعطي التحذير اللازم، ويحذر من أنماط التراخي والضعف الذي يحصل في أوقات الغفلة والجهل:

«أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصرالله». (البقرة/٢١٤)

ان هذه الصعوبات ليست أمراً باطلاً دون الهدف، إنها للتصفية، ونفي الميول الباطلة وربما الملوثة بالشرك :

«وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين» (آل عمران/١٤١)

خلاصة البحث:

ان هناك أُسساً للسُّنن الإلهية الحاكمة على الإنسان:

(١) ــ ايجاد التغيير من أعماق الذات عبر توفر التفكير الواضح، والعزم القوي، والسعي الدائم. وهذا الأساس هو عمدة الأُسس.

(٢) ــ تعميم هذه الخصال وتوسيعها، ومنح هذه الروحية للمجتمع.

(٣) ــ تحمل مؤونة هذه السُّنن، ودفع مهر هذا المعشوق (الصبر وتحمل الشدائد).

هذه هي الأُسس أو هي بعض الأُسس.

ولنتصفح القرآن الكريم ونطالع نماذج من السنن التي يطرحها.

وقبل ذلك يجب ان نذكر بأنَّ القرآن ذكر (السُّنَّة) في (١٦) مورداً، (١٤) منها بشكل المفرد، وموردان بشكل الجمع ــ وذلك بمعنى الطريق حيث يبين سبيل الله في سمو المجتمعات وانحطاطها، وصعودها وسقوطها.

والواقع ان السُّنن المذكورة في القرآن، لم تأت كلها بكلمة (سُنَّة أو سُنن) فكل ضابطة عامة لسلوك المجتمع، تعد سنة، وإن لم تذكر بهذا اللفظ.

من السنن الإلهية «سواء ذكرت بلفظ السُّنة أم لا»:

(١) ــ **«ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون ولياً ولا نصيراً، سُنَّة الله قد خلت من قبل ولن تجد لسنَّة الله تبديلاً»** (الفتح/٢٢ ــ ٢٣)

وقد وضح هذا المعنى في سورة ما قبل الفتح،

سورة محمد(ص) وفي سورة آل عمران:

«فلاتهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الأعلون والله معكم» (محمد(ص)/٣٥).

«ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين» (آل عمران/١٣٩).

حيث التأكيد على هذا الرصيد العظيم، وهو الإيمان بالله، و بالنظرة الأخرى للعالم، أي النظر اليه على انه مجرد وسيلة وآية وعلامة. والإيمان بأنّ الوجود الحق والوجود الثابت إنّما هو وجود الله ــ والله تعالى مع المؤمنين ــ في الصعاب. وهذا بنفسه رصيد عظيم جداً، ومفتاح لكل المشكلات والصعاب.

(٢) ــ **«ولا يحيق المكر السيء إلاّ بأهله فهل ينظرون إلاّ سُنَّةَ الأولين فلن تجد لسُنَّة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً»** (فاطر/٤٣).

ومورد السُنَّة هو صدر الآية الذي أُعطي بشكل جملة خبرية، و بعنوان عام، وقاعدة كلية، حيث تحقيق الخداع والمكر السيء بالذين خططوا له وإنْ كانت السُنَّة التي ذكرت بعد ذلك تنظر الى العذاب، إلاّ انها بنفسها قانون جار وسار بشكل عام.

(٣) ــ **«ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون»** (الانبياء/١٠٥)

حيث ان سير العالم نحو الكمال سوف يؤدي حتماً الى حذف الزوائد ويمحق الباطل ويمحوه ليصل الناس بالتالي الى الوعي واليقظة الكاملين في المجال الإجتماعي و بتحقق آمال المستضعفين في العالم منذ فجر التاريخ بواسطة قائم بالعدل ومناد بالقسط.

نعم يتحقق مضمون:

«بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه» (الانبياء/١٨).

و يستمر الحق في مسيرته الصامدة، وتضرب يده القوية أرباب الباطل الذين يعيشون الخواء واللاهدفية، فتمحوهم من الوجود.

وهذا بدوره يوضح اتجاه السير نحو الكمال، الأمر الذي لاحظناه في بحث التقديرات الحاكمة على العالم، كما يوضح انتصار الحق على المخلصين من العباد. وهو ما تحدثنا عنه بالتفصيل في القسم الثاني من بحث السُنن الحاكمة على الإنسان، انها سُنَّة ثابتة ان ينتصر أهل الحق حتى ولو كانوا لقليلين.

(٤) ــ والمهم هذه السُنَّة التي لم تأتِ بلفظ السُنَّة، وذلك في سورة الحج، وهي مضمون قوله تعالى:

«وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد، وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهاد الذين آمنوا الى صراط مستقيم» (الحج/٥٢ ــ ٥٣ ــ ٥٤)

ان هذه الظاهرة ذكرت كسنّة، وقانون عام مستوعب، لا يستثنى منه أي رسول، أو نبي، والواقع ان هذا يعبّر عن مصداقٍ لسنّة الإمتحان، وتبصير أدق يعبّر عن فرع...

وقد ذكرت هذا بالخصوص ليتم توجيه الإهتمام الأكثر لهذه السُنَّة، ولنعلم انه متى ما قام الحق في مكان، راح الشيطان يعبىء حيله ورجله، و يبدأ الصراع والإلتحام، ولكن العاقبة ستكون للمتقين، وتنمحي أساليب الشياطين وموانعهم ووساوسهم، وهذا ما يجب ان يلحظه أهل الحق في العالم بكل قوة، فإنّ الحق الخاص لن يقع بأيديهم دون مشقة ودون ألم، وليعلموا ان شياطين الإنس والجن لن تسكت عنهم، وإنّما تعبىء عملاءها، وتعكر الأجواء وتلوث الآفاق، وفي هذا الخضم يجب ان يصمد أهل

لحق وطلابه أمام هذه الأحواء المصطنعة والشائعات المنشرة هنا وهناك . انني لأطلقها صرخة مدوية.

أيها المسلمون، أيُّها المصلّون الى القبلة، أيُّها المعتمدون بالقرآن، أيُّها المؤمنون بالإسلام في شرق الأرض وغرب الأرض، يا أيُّها المليار من المسلمين المحبين للرسول الأكرم (ص) لماذا أراكم ساكتين وانتم تشهدون قيام هذا الحق الخالص في ايران الطيبة، وتشهدون هذه الدماء الجارية من نحور أهل الحق المضحين وهي تسفك على الأرض من رجال و نساء أبطال لا يهابون الموت و بقيادة قائد عظيم صامد قوي في الحوادث؟

لماذا تسمحونْ لوساوس الشيطان الكبار والصغار والقاءاتها الخبيثة كي تؤثر أثرها ولو لفترة قصيرة؟!

لماذا لا تمزقون هذه الأجواء المسمومة والمصطنعة، ولماذا ـ يا أبناء الإسلام الغيارى ـ لا تضعون نصرة الدين والكتاب والسُّنَّة نصب أعينكم وفي طليعة قضاياكم؟! لماذا عدنا كغثاء السيل، لماذا يطمع فينا الطامعون طمع الجائعين بصحن الطعام؟ لماذا يهبون منابع ثروتكم الغنية وتجوعون بل وتسلمون أرواحكم الى بارئكم فقراء معوزين؟ الا نملك الأمر بالدفاع حتى عن المال الجزئي حيث ان من قتل دون ماله شهيد؟ الم يصلنا انه **من لم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم؟** اليس هناك **كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته؟**

اللهم اليك نشكو.. نشكو من نهب منابعنا الغنية ومن هذا الكابوس الثقيل المخيم على نفوس المسلمين، كل مصادر القوة نملكها ونعيش هذا الخواء والضعف القاتل الساحق.

الم تروا بأم أعينكم كيف انطلق شعب أعزل من السلاح، معتمداً على قوة ايمانه، فدك قصور الظلم، وهزها، واحتجز شابه الدافع دبلوماسيي أمريكا لمدة (٤٤٤) يوماً، وهكذا استطاع هذا الشعب ان يجتث السلسلة الشاهنشاهية الظالمة من جذورها.. حملوا الشعار القرآني (وأنتم الأعلون) وأعلنوه لكل القرآنيين في العالم، واحيوا من جديد مفهوم **«كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله»** (البقرة ـ ٢٤٩» وفي (طبس) هذا الشعب، عادت سورة الفيل من جديد، واستطاعت مجموعة من العمال الفنيين المعرفة من الزاوية الفنية ان تعيد آثار نوروز النفطية، الأمر الذي أجبر امريكا نفسها على ان تبدي اعجابها بهذه العملية، غير ان شعب واجهها بصرخة **«الموت لأمريكا»**.

ترى الا يعني هذا تطبيقاً لسُنَّة **«ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين»**؟ ان لم يكن هذا تطبيقاً فكيف يمكن تفسيره إذن؟ ثم ألا يلقي هذا ضوءً على مضمون **«ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار»**؟ وإلا فكيف نفسر كل ما جرى؟.

ألا يشير هذا الى السُّنَّة القائلة: **«انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا»** وإلاّ فما هو تفسيره؟

يقول الشاعر الفارسي:

أعين مفتحة، وآذان مفتحة، وعمىً سائد

انني لفي حيرة من هذه الحالة يارب

فيا أيها المسلمون؛ أزيحوا هذه الطفيليات التي تتصدر قضاياكم، واخرجوا هذا الشجى الذي يعترض حناجركم وهذا القذى في عيونكم، واطلقوا القوى الإسلامية حرة، وعودوا أحراراً، واعلموا انه:

«ان تنصروا الله ينصركم و يثبت اقدامكم» ■

حجة الاسلام والمسلمين السيد محمد حسين فضل الله/ لبنان

إذا أردنا أن نتحدث عن التربية بالقرآن فهناك مجالان للحديث:

١ ــ المجال الفردي الذي ينطلق فيه الفرد من حالة ذاتية ليعيش مع القرآن الأجواء التربوية التي تعمّق له رؤيته الحقيقية للأشياء من خلال الإسلام وتركز له خطواته على الصراط المستقيم وتفتح شخصيته على الآفاق الواسعة للحياة في إطار التطور الإسلامي لحركة الشخصية ونموّها الفاعل فندرس العناصر الأساسية التي تساهم في تأكيد الخط التربوي للإنسان بواسطة القرآن.

٢ ــ المجال الاجتماعي الذي يتحرك فيه المجتمع من حالة عامة ليستلهم الأفكار القرآنية في شعاراته وخطواته العملية وحركته المتقدمة نحو أهدافه القريبة والبعيدة وتكوين الإطار الاجتماعي على أساس الصيغة القرآنية في الشكل والمضمون.. ولا بد لنا فيما بين هذا وهذا من اكتشاف الخطوط العامة للأسلوب العملي للفكرة في هذا الاتجاه لنستطيع أن نحدد خطوات التربية في برنامج محدّد واضح.

وفي ضوء ذلك لا بد لنا من أن نثير الحديث في نقاط ثلاث:

١ ــ الملامح العامة للطريقة الصحيحة في الفهم القرآني للأشياء.

٢ ــ الأسلوب القرآني في المجال الفردي للتربية.

٣ ــ الأسلوب القرآني في الجانب الاجتماعي للتربية.

أما النقطة الأولى فيمكن لنا أن نثيرها في عدة جوانب...

أ ــ إن القرآن كتاب رسالة يتجه إلى بناء الشخصية الإنسانية على أساس مفاهيمها الأساسية، وليس كتاباً تقليدياً يتحرك في اتجاه تحليل فكرة معينة بطريقة موضوعية تحاول أن ترصد الموضوع من جميع جوانبه، كما لو كان شيئاً مستقلاً بنفسه بعيداً عن أيّ تأثير قريب أو بعيد بالواقع الداخلي للإنسان وفي ضوء ذلك، نجد القرآن يثير في السورة الواحدة عدّة مواضيع متنوعة تختلف في طبيعتها وفي مواقعها وعلاقاتها بالأشياء، فلا تشعر بوجود وحدة موضوعيّة تجمع هذه المواضيع في نطاق موضوعي واحد. لأنَّ ذلك ليس هو المشكلة في القضية، بل القضية هي أنّ هناك جانباً إنسانياً يراد معالجته في عملية صنع الشخصية، الأمر الذي يفرض علينا التحرك في عدّة اتجاهات ومواجهة عدة قضايا.. فبينما نجد السورة متجهةً إلى الحديث عن جهة، نجدها تنتقل لتتحدث عن جهة أخرى لتتكامل منها قصة الإنسان.. وهذا ما نلاحظه مثلاً في سورة المنافقون، فقد تحدثت في البداية في حديث مفصل عن ملامح المنافقين في سلوكهم الداخلي والخارجي، ثم انتقلت للحديث عن توجيه المؤمنين إلى أن لا يتلهوا بأموالهم و أولادهم عن ذكر الله.. وتلتفت بعد ذلك إلى الأمر بالإنفاق باعتباره الفرصة التي قد لا تحصل لأن الموت قد يأتي للإنسان من دون أن يحصل على مكاسب هذه الفرصة، وإذا جاء الموت فلا مجال للعودة إلى الحياة من جديد.. فما الذي يربط بين هذه الموضوعات، وبما يبدو أن السورة تفتقر إلى الوحدة الموضوعية ولكن التدقيق في القضية يوحي إلينا بأن قصة النفاق ترتبط بالخلفيات الإنسانية المتعلقة بالأموال والأولاد بالمستوى الذي ينسى الإنسان معها ربه، مما يؤدي إلى أن ينحرف عن الخط من أجل تلبية مطالبها الأساسية.. ولذلك كان لا بد من لمسة روحية في هذا الاتجاه، ولمسة أخرى في اتجاه تحريره من الاختناق بحب المال بالانطلاق في مجال الانفاق على أساس المصير الحاسم في قصة الحياة والموت.. وهكذا نجد القرآن يواجه قضايا الإنسان على أساس أن الإنسان هو الموضوع الذي يحتاج إلى التحليل الدقيق المتنوع الذي يرصد كل الجوانب وكل الاتجاهات ولعل ذلك من أفضل الأساليب التربوية التي ينبغي للقائمين على شؤون التربية الإنسانية أن يواجهوها من موقع الطريقة القرآنية التي تهتم بتكامل الفكرة في داخل الإنسان في عملية توزيع لعناصرها بشكل واقعي حكيم..

ب ــ لا بد لنا من اكتشاف المنهج في آيات القرآن من خلال المواقع المتفرقة، وعدم الاكتفاء بالتقاط الآيات المتنوّعة لنأخذ كل واحدة بمفردها.. فقد تواجهنا مثلاً الآيات التي تتحدث عن السير في الأرض من أجل التعرّف على ما أصاب الظالمين والكافرين والمفسدين من نتائج سيئة... وقد نجد إلى جانبها الآيات التي تتحدث عن الاعتبار بالعبر التي يذكرها القرآن فيما يذكره من قصص الأمم السالفة والآيات التي تتحدث عن الكفر من حيث هو ناشىء من تعطيل الحواس والطاقات المودعة في الإنسان من أجل المعرفة لا من حيث هو خاضع لشبهة فكرية وما إلى ذلك..

إن مثل هذه الآيات تربطنا بالمنهج القرآني في اعتبار التجربة أساساً للمعرفة، إلى جانب

الأساس العقلي سواء في ذلك التجربة التي يخوضها الآخرون أو التجربة التي يخوضها الإنسان بنفسه من خلال عناصر الإحساس والفكر التي تحتاجها التجربة.. لتقيس حالة بحالة مشابهة، ولتفسر موقفاً بموقف مماثل.. فإن كل هذه الآيات تدعو إلى احترام التجربة واعتبارها وجهاً من وجوه المعرفة الصادقة وتدفع إلى استنطاقها في أكثر من مجال.

وكمثال آخر على ذلك، إن القرآن يتحدث عن الأنبياء كيف قابلوا التحديات المضادة التي واجهتهم بها العناصر الكافرة التي كانت تعتقد ان الأنبياء يملكون قوىً خارقة ذاتية تمكنهم من الاستجابة لكل الاقتراحات المطلوبة منهم من قِبَل الآخرين. وعلى هذا كانت تنكر عليهم بشريّتهم وتدعوهم إلى القيام بأعمال خارقة للعادة أو مستحيلة ذاتياً، وكان الأنبياء يواجهون ذلك كله بالتأكيد على أن البشرية لا تتنافى مع النبوة، لأنها مهمّة محدّدة في نطاق حياة الإنسان الباحثة عن الفكرة والقدوة معاً مما يجعل للبشرية وجهاً إيجابياً بدلاً من أن يعتبر لها وجهاً سلبياً، ثم يركزون على خطأ الفكرة التي تربط شخصية النبي بالخوارق كحالة ذاتية، فيلاحظون عليها أنهم لا يعلمون الغيب إلا بمقدار ما يوجيه إليهم الله من علمه ولا يملكون القدرة على الاستجابة للتحديات إلا بالمدى الذي يأذن الله به فيمنحهم القدرة عليه لأن قصة النبوة ليست أن يغير النبي العالم في قوانينه الطبيعية، بل هي أن يغيّر العالم في مسيرته الحضارية، مما يجعل من قضية الخوارق حالة طارئة تخضع للحاجة إلى مواجهة التحديات الحاسمة التي تجعل القضية قضية الوجود واللاوجود.. ثم تتحرك الرسالة من موقع القناعة والاقناع. اننا نواجه في ذلك المنهج القرآني الذي يدعونا إلى أن نكتشف النبي من خلال رسالته لا من خلال تكثير المعاجز الخارقة للعادة في حياته.. لأن تكرار المعجزة في غير حاجة لا يحقق تقدماً في وعي الإنسان للنبوة زائداً عما حققه في المعجزة الأولى، ويدفعنا إلى أن نبتعد عن الفوضى في أعماق ذاته من خلال الأسرار الغامضة البعيدة عن الفهم والإحساس، لنقترب من ملامحه الشخصية في سيرته المتحركة مع حركة الرسالة لنكتشف في ذلك شخصية القائد القدوة الذي يوحي لنا بالاقتداء من خلال فهمنا العميق لشخصيته وسيرته..

وبذلك نبتعد عن الاتجاه الذي يريد أن يوحي للإنسان بأن النبي شيء آخر غير ما هم الناس في الملكات والأسرار والمعاني وأن عمله ليس خاضعاً للمعطيات الطبيعية التي تخضع لها أعمال الآخرين، وفي هذا الجو تصبح القدوة شيئاً لا معنى له أو قريباً من اللامعنى.

ج ـ التأكيد على المقارنة بين الآيات القرآنية التي تتحدث عن المفهوم الأخلاقي وذلك كما في الآيات التي تتحدث عن ذم الدنيا كما في قوله تعالى: «**وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور..**» والآيات التي تتحدث عن الدعوة إلى طيباتها كقوله تعالى: «**قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة..**» فنفهم من خلال ذلك أن الدعوة إلى رفض الدنيا تنطلق في الاتجاه النفسي للإنسان فلا يرتبط بمناهج الدنيا ارتباط عبودية، بل يتحرك معها

من موقع الحاجة الطبيعية.. وفي الوقت نفسه لا يكون الامتناع عن الممارسة للطيبات و للمباهج الدنيوية قيمة روحية في حد ذاتها بعيداً عن المداليل السلبية الكامنة خلفها، وهذا ما عبرت عنه الآية الكريمة التي اعتبرت الزهد موقفاً نفسياً لا موقفاً عملياً مجرّداً **«لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم..»** حيث يقف الإنسان أمام الحياة في حالة الخسارة والربح موقفاً طبيعياً ينطلق من وعيه لعوامل الربح والخسارة..

وكمثال تال على ذلك، الآية التي تقول **«يا أيها الناس عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم»** والآيات التي تأمر بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كقوله تعالى **«ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون»** والآيات التي تلعن الذين يقفون موقفاً سلبياً أمام حالات الانحراف كقوله تعالى **«لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون..»** فقد نفهم أن الآية الأولى تعالج الحالة النفسية التي يعيشها الإنسان أمام ضلال الآخرين فيخيّل إليه أنه يتضرر به في مستقبله الأخروي من دون أن يكون له أي دخل في ذلك، فيتعقّد من خلال ذلك، فكانت هذه الآية لتوحي له بأن قضية الهدى والضلال مسؤولية فردية لا يتحملها غير صاحبها.. أما الآيات الأخرى فإنها تتحدث عن مسؤوليته في هداية الآخرين ما أمكنه ذلك من خلال الوسائل الحاصلة عنده.. و بذلك لا يكون هناك أي تناف وتنافر بين الأمرين.

إن هذا الاتجاه يصحح كثيراً من المفاهيم الخاطئة التي يحملها البعض حول كثير من القضايا التي قد يكون لها وجه في آية، إلى جانب الوجه الآخر في آية أخرى.. فيقتصرون في معرفتهم على النظر إلى جانب من الصورة من دون أن يكلفوا أنفسهم عناء النظر إلى الوجه الآخر منها..

د ــ محاولة اكتشاف الآفاق العامة للآيات القرآنية التي تتحدث عن بعض الحالات الخاصة وذلك باعتبار تلك الحالات نماذج للفكرة العامة، فإننا نعرف أن لكثير من الآيات أسباباً خاصة للنزول فيما تعارف لدى المفسرين الاصطلاح عليه بأسباب النزول. ولكن الآية لا تتجمد أمامها بل تعتبر منطلقاً للفكرة لا إطاراً لها. وفي هذا جاء الحديث عن الإمام محمدالباقر: **«إن القرآن يجري مجرى الشمس والقمر ومجرى الليل والنهار..»** وفي ضوء ذلك قد نستطيع الاستيحاء من كل قصة، وكل حادثة، وكل شخصية، كثيراً من الأفكاروالمواقف والأحداث والأشخاص.. فإذا التقينا بقصة هابيل وقابيل فإننا لانقف من خلالها أمام الأخوين اللذين عاشا في بداية الخليقة، بل نتعدى منها إلى كل أخوين عاشا الظروف المماثلة في قسوتها وفظاعتها وتعقيدها.. وإذا وقفنا أمام قصة قارون فسنلتقي معها بآلاف القوارين ممن يملك المال دون ان يملك حسّ المسؤولية فيما له وفيما عليه.

هـ ــ اعتبار القرآن العنصر الأساس في المفهوم الصحيح للعقيدة بحيث يمكننا اعتباره مقياساً لصحة كل المفاهيم الأخرى التي تحفل بها الأخبار في كل قضايا العقيدة في التوحيد والعدل والنبوة

والإمامة والمعاد.. وبذلك نقطع الطريق على كل الأكاذيب التي صَاغها المرتزقة من وعاظ السلاطين فيما أراده منهم الطغاة من وضع الأحاديث المخالفة لكتاب الله وسنة نبيه وهذا ما تواتر الحديث فيه أن ما خالف كتاب الله فهو زخرف..

و ــ استيحاء الملامح العامة للشخصية الإسلامية من خلال الآيات المتنوعة التي تتحدث عن بعض الانفعالات السلبية في حياة الفرد والمجتمع، كما في الآيات الواردة في انفعال الخوف فيما تعيشه بعض النماذج التاريخية الإنسانية في حالة السلم والحرب أمام التحديات الصعبة الضاغطة والآيات الواردة في الحديث عن حالات الضعف الإنساني سواء في ذلك ما يتمثل في تكوينه الداخلي أو في ممارسته العملية.. إننا لا نستطيع أن نتمثل في ذلك كله كيف يتعامل الإسلام مع الإنسان في مفرداته الحياتية من خلال حركة الشخصية في داخله لتكون له الشخصية القوية العزيزة المجاهدة الثابتة أمام التحديات، لا من خلال الأفعال الطارئة التي تنطلق من السطح بعيداً عن العمق الضارب في الذات الإنسانية.. وبذلك نستوحي كيف نصنع للإنسان القاعدة النفسية في كيانه التي تتفرع عنها أقواله وأفعاله لينطلق في حياته من قاعدة ثابتة تحكم كل تحركه في الداخل والخارج.

ز ــ التوفر على تعميق المفاهيم الأساسية عن الكون والحياة في علاقة المادة بالروح، وفي ارتباط الشخصية الفردية بالشخصية الاجتماعية، وفي طبيعة علاقة الإنسان بالله.. وفي طريقة تعامله مع الحياة، ونظرته إلى دوره في الكون، ومركزه فيه كخليفة لله في الأرض، وفي مساحة هذه الخلافة وعمقها وامتدادها في شخصيته الفكرية والعملية، وفي تأثيره فيما حوله من موجودات وأوضاع.. وذلك في عملية ملاحقة للآيات التي تتحدث عن ملامح ذلك كله بالكلمة أو باللمحة أو بالأسلوب أو بالأجواء التي توحي بها في ذلك كله.

ح ــ التعامل مع القرآن الكريم في نطاق الأجواء الرسالية التي عاشتها آياته مما يدفعنا إلى أن نواكب حوّ الرسالة من خلال آياته فلا نتعامل مع النصوص القرآنية كنصوص لغوية جامدة نستوحي معانيها من كلمات القاموس بذهنية لغويّة بل نتعامل معها كعناصر حية تتحرك في خطوات الرسالة الفكرية والتشريعية والجهادية لتؤكد موقفاً هنا ولتفرر فكرة هناك ، ولتثبّت خطوة في هذا الاتجاه وحركة في ذلك الاتجاه، ولتعطي الإنسان قوة دفع في مجرى التيار المندفع إلى المصبّ في حركة الأهداف في الحياة.. ولننتقل من ذلك كله إلى خطوات الرسالة في الواقع المعاصر لنعرف كيف يستطيع القرآن أن يواكبنا كما واكب مواكب المجاهدين في الماضي، وكيف يثبت خطواتنا في الطريق المستقيم كما استطاع أن يثبتها في بدايات الدعوة.. وكيف يمكننا أن نستوحي منه العزيمة والقوة والامتداد في مواقفنا الرسالية، كما استوحى ذلك كله منه المسلمون الأولون.. وعلى هذا الأساس فإننا نستطيع أن نقرر الفكرة التالية: وهي أن القرآن لا يفهمه إلا الرساليون الذين يعيشون حركة الرسالة في الحياة على الطبيعة. فإنهم يجدونه في طريقهم عندما يندفعون إلى الأهداف من خلال الوسائل الواقعية للعمل.. أما غير الرساليين

فإنهم يفقدون في داخلهم روحية القرآن وحيوية فكره.. لأنهم يفقدون جو الرسالة في حياتهم، ولا نعرف كيف يفهم مواقف الجهاد أولئك الذين لا يتحركون في مواقع الجهاد، وكيف يمكن أن تفهم أولئك، معنى التحديات والصعوبات والعقبات التي كانت تواجه الإسلام في بداية دعوته، وطبيعة الفعل ورد الفعل فيما أثاره الإسلام في حركته في الحياة.. ما داموا لم يعيشوا ذلك كله في حياتهم الرخية الهادئة التي تعيش في حالة استرخاء كسول هادىء ناعم.. وفي هذا الاتجاه لا بد لنا أن نبق في عملية صنع للرساليين من خلال القرآن ليتم التفاعل بين الإنسان المسلم وبين كتاب الله في جوّ من الواقعية والإيمان والحركة والانفتاح والامتداد المتطلع أبداً نحو الأهداف.

تلك هي بعض ملامح الطريقة المثلى في الفهم القرآني للأشياء، وفي الفهم الإنساني الرسالي للقرآن فيما يوحيه من مواقف في الحياة.

أما النقطة الثانية وهي المجال الفردي للتربية بالقرآن فقد نستطيع أن نتمثلها في عدة نقاط.

أ ــ القراءة الواعية التي تتوفر على استيحاء المعاني القرآنية في داخل الذات في عملية رصد شعورية يمتزج فيها الفكر بالإحساس والشعور وتندمج فيها الذات بالموقف وهذا ما نلمحه في الكلمات المأثورة التي تشير إلى ضرورة التوقف عند الآيات التي تتحدث عن النار ليستثير الإنسان معها في داخله كل الأجواء النفسية السلبية ضد النار كمصير فيعيش الخوف منها كما لو كانت أمامه: وهي تنطلق بشرر كالقصر كأنه جمالة صفر أو وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.. ويتحوّل ذلك الخوف على مدى الزمن من حالة شعورية ضاغطة إلى موقف إنساني ثابت إزاء كل الأعمال والمواقف التي تؤدي إلى النار في نتائجها الوخيمة.. وفي الموقف المقابل على الجانب الآخر لا بد للإنسان من التوقف عند الآيات التي تتحدث عن الجنة فيستثير أمامها كل الانفعالات الداخلية الإيجابية من الشوق والرغبة والتطلع إلى نعيم الجنة التي أكلها دائم وظلها تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها حيث تتلقاهم الملائكة بالسلام والكرامة والرضوان من الله. سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار.. وتنطلق الحالة الشعورية وتتنامى في الداخل لتتحول بعد ذلك إلى موقف يرصد الأعمال والمواقف من أجل الاتجاه بها إلى الطريق المؤدي إلى الجنة في نهاية المطاف..

وبذلك تعتبر القراءة حركةً واعيةً متقدمةً في اتجاه التوعية الداخلية على طبيعة المصير الأخروي من خلال الموقف الدنيوي في جوّ شعوري متحرّك باللمحة والكلمة والفكرة والجوّ والأسلوب.

٢ ــ القراءة التي تتدبر معاني القرآن فيما توحيه كلماته من مواقف عملية في الحياة وذلك بالتوفر على ممارسة النقد الذاتي على أساس المفاهيم القرآنية في الأخلاق وفي الممارسة العملية.. فلا تكون الفكرة القرآنية في وعي القارىء المسلم مجرد فكرة أخلاقية أو اجتماعية يحتفظ بها لنفسه في نطاق الفكر المجرّد الخالص فيما يحتفظ به فكره من معلومات بل تكون مرآة فكرية وروحية ينظر فيها إلى نفسه ليتعرف من خلال ذلك على مدى ما يملك من انضباط والتزام أمام الحقيقة القرآنية فيما يملكه من حقائق الإسلام في

داخل ذاته فيرصد مشاعره السلبية والإيجابية فيما يقرأه من الآيات التي تتحدث عن العواطف المنحرفة أو المستقيمة، و يتوقف أمام خطواته العملية في الحياة في علاقته بالله و بالكون و بالإنسان عند قراءته للآيات التي تتحدث عن ذلك كله فيما تريد للإنسان أن يلتزم به أو يبتعد عنه.. و يدرس المواقف العملية الحاسمة في حركة الحياة من حوله سواء في ذلك الحركة في جانبها الاجتماعي، أو في موقعها السياسي، أو في مواقفها الاقتصادية، ليعرف جيّداً أين تتحرك مواقفه وأين تقف ويحدّد من ذلك موقعه في الساحة ومدى انسجام ذلك كله مع صفته ودوره كإنسان مسلم يريد أن يجسد إسلامه في الحياة من موقع الممارسة المنضبطة على الخط السليم و ينطلق في هذا الجو مع الفكر العقيدي الذي تتمثل فيه القواعد الفكرية للعقيدة من خلال القرآن ليحدّد موقفه من القواعد الفكرية الأخرى على أساس ذلك فيتمثل في حركة فكره ووجوه اللقاء والخلاف بينه و بين الآخرين و يتحرك في اتجاه تركيز الفواصل من أجل وضع النقاط على الحروف فيما يختلف فيه الناس وفيما يتنازعون فيه ليكون الحوار الذي يدعو إليه القرآن منطلقاً من قاعدة الوضوح في الرؤية، والثبات في الفكرة لأن ذلك هو السبيل الصحيح للوصول بالقناعات الفكرية الى أهدافها الثابتة من التأثير على قناعات الآخرين لأن الإنسان إذا لم يكن واضحاً عند نفسه فيما يفكر فيه فكيف يمكن أن يحقق للآخرين مثل هذا الوضوح فيما يريد أن يدعوهم إليه. وخلاصة الموقف في ذلك أن يكون القرآن هو المرآة الصافية التي نرى فيها أنفسنا لنعرف كيف يتحرك الإسلام فكراً وعقيدةً وعاطفةً وحياة، و بذلك نحفظ لأنفسنا سلامتها من الوقوع في قبضة الانحراف الفكري والعملي عندما تختلط علينا المواقف وتشتبه علينا بدايات الطريق ونهاياته.

٣ ــ الانفتاح بالآيات القرآنية على امتدادات الواقع فلا يقتصر فيها على الجوانب الفردية إذا كانت تتسع للجوانب الاجتماعية، ولا تتجمد أمام حركة الواقع السياسي في الحياة إذا كانت الفكرة تتسع له فيما تتسع له من أفكار.. ولعل ذلك هو سرّ التخلف فيما واجهناه من مواقف على أساس الفهم الخاطئ للآية القرآنية التي يخيل لنا أنها تعالج حالة فردية بينما هي في الواقع تمثل المعالجة الحيّة لكل جوانب الواقع المتنوعة في الحياة.. ومثال ذلك ما نلاحظه في بعض الآيات القرآنية التي تتحدث عن بعض الجوانب الأخلاقية في السلوك العملي كما في قوله تعالى: «**يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين**» فقد يحسبها بعض الناس توجيهاً أخلاقياً يتحرك في علاقات الناس الفردية فيما ينقله الناس في ندواتهم واجتماعاتهم من أنباء تتعلق بالجوانب الشخصية للأفراد أو الجماعات.. ولكننا عند التدقيق في مجالاتها نجدها تتمثل في كل موقع من مواقع العلاقات العامة والخاصة في الأجواء السياسية والاجتماعية.في الوقت الذي تؤكد فيه الآية على التحفظ في قبول خبر الفاسق في قضايا الناس وشؤونهم الفردية والاجتماعية، فإن ذلك يمتد إلى القضايا السياسية فيما تتمثل فيه من شؤون الحكم والحاكمين وعلاقتهم بالمحكومين وفي شؤون الحرب والسلم والتصالح والتخاصم وغير ذلك من قضايا الحرية والعبودية والاستقلال والاستعمار.. بل ربما تكون الجوانب السلبية

التي يؤدي إليها خبر الفاسق في هذه الأمور أكثر خطورة مما يؤدي إليها في شؤون أخرى، ولذلك فلا بُدَّ من أن يربّي الإنسان نفسه بالقرآن على أن يتوقف أمام الخبر السياسي الذي يخبر به الفاسق ليكتشف صدقه من كذبه بنفس المستوى الذي يتوقف فيه أمام الخبر الذي يتحدث عن العلاقات الشخصية أو الاجتماعية بل ربما كانت ضرورة التوقف عنده بشكل أكبر وأخطر.

ومن جهة أخرى لا بُدَّ من مواجهة الوسائل التي تنقل النبأ لتوجيه المواقف إليها في عملية تحليل دقيق فلا نفتقر في التحفظ على الخبر الشخصي الذي ينقله أشخاص معينون بطريقة مباشرة بل نتعدى ذلك إلى خبر الصحيفة ووكالات الأنباء وأجهزة الإعلام من المذياع والتلفزيون وغيرهما لأن الأشخاص الذين يشرفون عليها هم الذين ينقلون ما فيها من أخبار فينطبق عليها ما ينطبق على بقية الأخبار التي ينقلها الناس بشكل مباشر.. إن الكثيرين قد لا يلتفتون إلى هذا الشمول في حركة الآية في الحياة وإن كان الالتفات إليها لا يحتاج إلى جهد كبير، ولذلك قد نتحمل المسؤولية في توجيه الفكر إلى ذلك كله.

٤ ـ الانفتاح الروحي على الله فيما يتحدث فيه القرآن من عظمة الله فيما تمثله ظواهر الكون من مظاهر العظمة وابداع الخلق وحكمة التدبير، ومن دعوته للإنسان إلى أن يتفكر في ذلك و يبحث عنه و يستوحيه من أجل أن تتحقق له الأسس الفكرية والروحية التي تربي عظمة الله في نفسه.. وقد لا يكفي ذلك في الوصول إلى هذا الهدف بل ربما كان من الضروري الانفتاح على الآيات التي تتحدث عن نعم الله على الإنسان فيما سخره له من طاقات الكون وفيما أنعمه عليه من طاقاته الذاتية المتمثلة في حواسه التي خلقها له وفي فكره الذي أطلقه في داخله وفي أجهزته الجسدية التي تبني له حياته وفيما هيّأه له من النعم والأجواء التي تجعل من حياته شيئاً يبعث في نفسه الطمأنينة والاستقرار، وإن ذلك كله يدفع الإنسان إلى الشعور بالعلاقة الحميمة التي تربطه بالله، فلا تنحصر علاقته بالجانب الذي يوحي بالعظمة التي تهيمن على الفكر وتدعو إلى مزيد من الإجلال والاحترام بل تتمثل بالجانب الإنساني الذي يوحي بالامتنان والشعور بالجميل والاحساس اليومي بالممارسات الطبيعية الذاتية المتصلة بالله.. وهذا ما لاحظه القرآن في الإيحاء للإنسان بأن يواجه الموقف بأسلوب الحمد لله والشكر له وتسبيحه وتهليله وتكبيره في كل حالة من حالاته لخلق الجو النفسي الدائم الذي يوحي للإنسان بالصلة الوثيقة التي تشده إلى الله في مختلف جوانب الحياة المحيطة به.

وقد أراد القرآن للإنسان أن يظل على صلة دائمة بكل هذه الأمور فدعاه إلى أن يقرأ القرآن في أغلب الأوقات وأن يتدبر فيه ليختزن في داخله كل المعاني والأفكار والمشاعر والأحاسيس التي تخرجه من كل مواقف الظلام إلى مواقف النور.

أما النقطة الثالثة.. وهي الجانب الاجتماعي في التربية وذلك بأن نتوفر على الأسلوب العملي الذي نربي فيه المجتمع على أساس الأخلاق القرآنية فقد نواجهه في أمور:

الأول: الدعوة إلى الاهتمام بالقرآن باعتباره كتاب الله الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وذلك بالتوجيه إلى حفظه وتجويده ودراسته والمداومة على قراءته في آناء الليل وأطراف النهار بحيث يتحول ذلك إلى ظاهرة اجتماعية في البيوت والمجتمعات.

الثاني: إدخال الآيات القرآنية في وسائل التربية ففي درس الواجبات لا بد لنا من اعطاء الشواهد على الفكرة المطروحة من خلال آيات القرآن، وفي دروس الطبيعة قد يكون من المناسب أن نضع أمام كل بحث عن الأرض والشمس والقمر والكواكب والجبال والبحار والنبات والحيوان وغير ذلك، الآيات التي تناسب ذلك ولو من خلال الإشارة إن لم يكن هناك ما يوحي بالتفاصيل.. وهكذا عندما نتحدث عن قواعد اللغة العربية فإن بإمكاننا أن نثير الشواهد على هذه القاعدة أو تلك من خلال الآيات التي تنطبق عليها فيما تحتاجه من شواهد ليظل القرآن مع الفكرة التي تربي الإنسان في أخلاقه وأفكاره و مع القاعدة التي تربيه في طريقته في الكلام والمحاورة مما يعمق الإحساس بالقرآن وفي دوره الواسع في حياة الإنسان.

الثالث: إثارة الآيات القرآنية في نطاق الشعارات التي يحتاجها المجتمع في حركته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية من أجل أن تظل الحركة مشدودة إلى القرآن في شعاراتها.. فتوحي بالشعور العميق بأنّ القرآن يواكب نموّ الإنسان وتقدمه ومواجهته لقضاياه المصيرية ولا يتخلف عنه مما يؤدي إلى الشعور بالاكتفاء فيما يوحي به القرآن من حلول للمشاكل لعدم وجود فراغ في أية مساحة من مساحات الواقع فلا يتحرك الإنسان في مجال إلا ويجد الآية القرآنية أمامه تحدد له ملامح الطريق وتشير له إلى نهاياته، ولا يلتقي بموقف إلا ويجد القرآن عنده وهكذا تتعمق النظرة الإنسانية في القرآن من خلال اللقاء بالقرآن في كل مجال.

الرابع: إثارة المشاكل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية أمام المجتمع من خلال ما طرحه القرآن من هذه المشاكل فيما عالجه منها بطريقة مستقلة وفيما حدثنا عنه من تاريخ الأمم السالفة فيما عاشته من أحداث ومشاكل.. ثم محاولة معالجتها من خلال ما يطرحه القرآن من حلول وما يثيره من مفاهيم الأمر الذي يوحي للمجتمع بأن خلاصه بالقرآن.. و يدفعه إلى أن يستنطق القرآن هذه الحلول فيما لم يبحثه معه الآخرون.. ولعل من الضروري لنا ــ في هذا المجال ــ أن نشير إلى ضرورة توفر الثقافة الإسلامية على معالجة القضايا الإسلامية من خلال القرآن بحيث تربط الفكرة أية فكرة كانت بالجو القرآني و بالفكر الذي نزل به القرآن و بالشريعة التي دعا إليها القرآن فإن ذلك من أفضل السبل للعودة بالإنسان إلى القرآن في عملية صنع الشخصية الإنسانية الإسلامية على أساس القرآن فكرة وأسلوباً وعملاً وهدفاً وحياة.. وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

الخامس: العمل على استثارة الجانب السياسي من الآيات المتعلقة بالحديث عن الطغاة والمستكبرين والمستضعفين، وعن الأساليب الروحية التي يريد القرآن من خلالها أن يفرّغ داخل الإنسان المستضعف من الشعور بالانسحاق أمام القوى الطاغية المتكبرة في الكون، ويحوّله إلى قوة تعيش الإحساس بالقوة في الداخل، كما تمارسه في الواقع، ويحمّله مسؤولية صنع القوة وتحريكها من أجل الوصول إلى مواقع المسؤولية في الحياة على أساس كلمة الله وشريعته.. ولا بد لنا في هذا المجال من السير مع هذه الآيات في المجال التطبيقي للأفكار القرآنية وعدم الاكتفاء بالمجال النظري، لأن الوقوف في بدايات الطريق أمام الجانب الفكري بعيداً عن حركة الفكر في الواقع يجعل الإنسان مشلولاً أمام الأساليب المتنوّعة التي يمكن أن يتحرك الفكر فيها بينما تُعتبر إثارة الحركة التطبيقية على صعيد الواقع العملي خطوة متقدمة تعطي الإنسان الشعور بحيوية الفكرة وجدّية التحرك وسلامة الطريق في عملية تدريبية لتغيير الواقع.. وبذلك ينبغي لنا أن نشير إلى مواكب المستضعفين أن ترصد مواقع النفوذ والقوة في خطوات المستكبرين ليعرف المستضعفون كيف يتعاملون معهم بمسؤولية وانفتاح وثبات.. لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الباطل هي السفلى وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ■

الهدف من نزول القرآن

حجة الاسلام السيد محمد باقر الحكيم / العراق

مقدمة

أهمية الموضوع

يحسن بنا قبل الدخول في بحث أصل الموضوع (الهدف من نزول القرآن) أنْ نتناول أهمية البحث فيه. ويمكن أنْ نشير بهذا الصدد وبشكل مختصر الى النقاط التالية:

الأولى: ان فهم القرآن الكريم يتأثر بمجموعة من القضايا، مثل ان تكون الرؤية في تفسيره إسلامية ومن منطلق انه وحي إلهي وليس نتاجاً بشرياً، وان نعرف الظروف التي نزل فيها القرآن الكريم، وأسباب النزول التي تمثل القدر المتيقن من المصداق في المفهوم القرآني. ومن أهم هذه القضايا التي تؤثر في فهم القرآن الكريم هي معرفة الهدف في نزول القرآن، لأنَّ الهدف بطبيعة الحال يلقي بظلاله على المعنى القرآني، حيث يكون إحدى القرائن العامة المنفصلة التي تكتنف النص.

فعندما يتحدث القرآن الكريم عن تنزيل الكتاب، وانه تبيان لكل شيء «.. **ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيءٍ وهدىً ورحمةً وبشرى للمسلمين**» (النحل:٨٩) يمكن أن نفهم (كل شيء) هنا على ضوء الهدف القرآني وهكذا في

الموارد الأخرى.

الثانية: ان معرفة الهدف القرآني، سوف يساهم في تفسير مجموعة من الظواهر القرآنية ــ كما سنتناوله بشيء من التفصيل ــ مثل ظاهرة القصة في القرآن وتكرارها، وظاهرة النسخ والاهتمام بالأحداث التي تمثل أسباب النزول، أو ببعض التفصيلات في الأحكام الشرعية دون البعض الآخر، حيث قد يختلف تفسير الظاهرة باختلاف تفسير الهدف من القرآن كما في تكرار القصة الذي يتجه البعض الى تفسيرها على أساس بلاغي، بينما قد يُفسَّر على أساس تربوي.

الثالثة: ان القرآن الكريم يتميز بمنهج خاص فريد في العرض والمضمون والنزول. والنتاج الإنساني مهما سما فلا يمكن ان يبلغ مستوى هذا المنهج. ولكنه مع ذلك يمكن ان يعتبر المنهج القرآني الأسوة التي يتأسى بها السائرون على طريق الأنبياء والمرسلين، وتشخيص الهدف منه له أهمية خاصة في موضوع هذا التأسي، حيث يمكن بعد تشخيص الهدف أن يسعى الرساليون الى تحقيق الأهداف المشابهة باتباع منهج القرآن باعتباره المنهج الأمثل في تحقيق هدفه.

فالقصة في القرآن اذا كان هدفها العرض التاريخي الأدبي ــ مثلاً ــ يكون هذا اللون من العرض القرآني هو الأمثل في تحقيق هذا الهدف، اما اذا كان هدفها هو التربية والتغيير فلا يمكن ان يكون هذا المنهج هو الأمثل إلاّ في تحقيق هذا الهدف، اما في هدف آخر فقد يكون الأفضل اتباع أسلوب آخر في العرض.

ــ الفصل الأول ــ

تشخيص الهدف القرآني

إذا أردنا ان نشخص الهدف من نزول القرآن، قد يكون من الأفضل الرجوع الى القرآن الكريم نفسه لتشخيص هذا الهدف. ومن خلال استعراض الآيات القرآنية التي فسّرت نزول القرآن، وكذلك من خلال الصفات والمزايا التي أضفاها القرآن الكريم على نفسه أو أضفاها على الرسول الأمين، نلاحظ مجموعة من الأهداف التي سعى القرآن الكريم الى تحقيقها. واذا أضفنا الى ذلك ملاحظة ما تضمَّنه القرآن الكريم من مفاهيم وتصورات ومواقف وتشريعات وتوجيهات ومواعظ.. يمكن أن نجد أمامنا عدداً أكبر من الأهداف.

أولا ــ إحتمالات الهدف من منظور قرآني :

١ ــ ورد في القرآن الكريم بصدد تشخيص الهدف، قوله تعالى: «**... وأُوحي إليَّ هذا القرآن لأُنذركم به ومن بلغ...**» (الأنعام: ١٩) وقوله تعالى: «**كتابٌ أُنزل اليك فلايكن في صدرك حرجٌ منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين**» (الأعراف: ٢) وقوله تعالى: «**طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى * إلاّ تذكرة لمن يخشى**» (طه: ١ــ٣) بحيث يفهم ان الهدف من القرآن هو (الإنذار والتذكرة). وهنالك آيات أُخرى كثيرة تؤكد ذلك «**إنْ هو إلاّ ذكرٌ وقرآنٌ مُبينٌ**» (يس: ٦٩)

«لعلهم يتذكرون» (الزمر: ٢٧) «ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مُذكر (القمر: ١٧) «...إنّما أنت نذيرٌ والله على كل شيءٍ وكيلٌ» (هود: ١٢).

٢ ــ وفي آيات أُخرى جاء القرآن لضرب الأمثال والعبر والدروس «ولقد صرّفنا للنّاس في هذا القرآن من كلّ مَثَل...» (الإسراء: ٨٩).

٣ ــ وفي مكان آخر يبدو وكأنّ الهدف من القرآن هوالحجة والبرهان والمعجزة:

«... آئتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارةٍ من علم...» (الأحقاف: ٤).

«وان كنتم في ريبٍ مما نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورةٍ من مثله...» (البقرة: ٢٣).

«قل لئن اجتمعت الإنس والجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً» (الإسراء: ٨٨). «وهذا كتابٌ أنزلناه مباركٌ فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون * أنْ تقولوا إنّما أُنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا...» (الأنعام: ١٥٥ ــ ١٥٦) «يا أيها الناس قد جاءكم بُرهان من ربكم وأنزلنا اليكم نوراً مُبيناً» (النساء: ١٧٤).

٤ ــ وفي مواضع أُخرى يبدو القرآن وكأنه كتاب دستور وشريعة وتفصيل للأحكام «...وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط...» (الحديد: ٢٥) «إنّا أنزلنا اليك الكتاب بالحقّ لتحكم بين الناس بما أراك الله...» (النساء: ١٠٥) «ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة» (النحل ــ ٨٩).

٥ ــ وفي مواضع أُخر من القرآن الكريم جاء من أجل الحكم وفصل الخلاف والتفريق بين الحق والباطل: «وأنزل معهم الكتاب بالحقّ ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه...» (البقرة: ٢١٣) «وما أُنزلنا عليك الكتاب إلاّ لتبين لهم الذي اختلفوا فيه...» (النحل: ٦٤). «إنَّ هذا القرآن يقصُّ على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون» (النمل: ٧٦).

٦ ــ كما نجد في مواضع أُخرى ان الهدف من القرآن هو تصديق الرسالات السابقة وامضائها وتصميمها والهيمنة عليها فكان له دور وهدف تصميمي وتكميلي:

ــ «وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث...» (الإسراء: ١٠٦). «وأنزلنا اليك الكتاب بالحقّ مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه...» (المائدة: ٤٨) «ولما جاءهم كتابٌ من عند الله مصدقٌ لما معهم...» (البقرة: ٨٩).

« نزّل عليك الكتاب بالحقّ مُصدّقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدىً للنّاس وأنزل الفرقان». (آل عمران: ٣)

٧ ــ وعند ما ندرس مضمون القرآن نجد القرآن الكريم يشتمل على فصول من تاريخ الانسان وحركته والتطورات التي عاشها والقوانين التي تتحكم فيه، كما ورد في قصص القرآن والحديث عن الأُمم السابقة وما تعرضت له من هداية وضلال ونعمة واستقرار أوشقاء

ودمار. الأمر الذي يدعونا الى ان نفرض ان الهدف من القرآن الكريم هو استعراض هذا التاريخ وهذه السيرة الإنسانية وكذلك تاريخ الرسالة الإسلامية وأحداثها.

٨ ــ وأيضاً نلاحظ ان القرآن اشتمل على تصور كامل عن الكون والحياة وعلتها ومبدأ وجودها وسيرتها ونهايتها.

٩ ــ وأخيراً نجد في آيات أُخرى ان القرآن هو كتاب هداية ونور ورحمة.

«شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن هُدىً للناس وبيّنات من الهدى والفرقان...» (البقرة: ١٨)

«ذلك الكتاب لاريب فيه هُدىً للمتقين» (البقرة: ٢)

ونـنزل من القرآن ما هو شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين...» (الإسراء: ٨٢)

«قد جاء كم من الله نورٌ و كتابٌ مبينٌ * يهدي به الله من اتّبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراطٍ مستقيم». (المائدة: ١٥ ــ ١٦).

«كتابٌ أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور بإذن ربّهم الى صراط العزيز الحميد» (ابراهيم: ١).

و بالرغم من ان هذه الأهداف التي أشرنا اليها، قد تكون متداخلة يؤثر بعضها بالآخر و يرتبط به في وجه من الوجوه، إلاّ انها مختلفة عند ما نريد ان نفسر الظاهرة القرآنية ونسعى الى تشخيص الهدف الأساس لها.

ثانياً ــ التغيير الثوري والقاعدة الثورية، هما الهدف الأساس:

ومن أجل ان نكون أكثر وضوحاً في تحديد محور البحث، لابدَّ لنا ان نطرح السؤال كالتالي: ما هو الهدف الأساس الذي سعت الظاهرة القرآنية الكريمة الى تحقيقه من خلال وجودها بحيث يفسرلنا هذا الهدف كل آية في القرآن الكريم مهما كان مضمونها ومحتواها وصيغتها؟

ومن خلال استعراض الأهداف السابقة والمقارنة بينها، يمكن ان نخرج بنتيجة واضحة للجواب عن السؤال السابق، حيث نلاحظ ان القرآن الكريم استهدف من نزوله تحقيق هدف واحد رئيسي، له أبعاد ثلاثة، وساهمت بقية الأهداف الأُخرى بشكل أو بآخر في تحقيق هذا الهدف الرئيسي. بل أشار القرآن الكريم أحياناً الى هذه المساهمة والترابط بين هذا الهدف الرئيسي وبقية الأهداف، كما سنلاحظ ذلك فيما بعد.

وهذا الهدف الرئيسي هو ايجاد التغيير الاجتماعي الجذري للإنسانية من خلال رسم الطريق والمنهج لهذا التغيير وخلق القاعدة الثورية التي تميَّزت بهذا المنهج والتزمت وتغيَّرت على أساسه.

أ ــ بعد التغيير الجذري:

فالبعد الأول هو (بعد التغيير الجذري) **«يخرجهم من الظلمات الى النور»** على أساس قاعدة **«...إنَّ الله لايُغيّر ما بقومٍ حتى يُغيّروا ما بأنفسهم...»** (الرعد:١١) **«ذلك بأنَّ الله لم يك**

مُغيّراً نعمةً أنعمها على قومٍ حتى يُغيّروا ما بأنفسهم...» (الأنفال ــ ٥٣).

وقد أشار القرآن الكريم الى هذا البعد في آيات عديدة تضمنت الهدف الأصلي من القرآن، كما تضمنت أيضاً الهدف الأصلي من مهمة النبي (ص) «... قد جاء كم من الله نورٌ وكتابٌ مبينٌ * يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراطٍ مستقيم» (المائدة: ١٥ ــ ١٦) (كتابٌ أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور بإذن ربّهم الى صراط العزيز الحميد» (ابراهيم ــ ١). «هو الذي يُنزّل على عبده آيات بيّنات ليخرجكم من الظلمات الى النور وانّ الله بكم لرؤوف رحيم» (الحديد: ٩) «... قد أنزل الله اليكم ذكراً * رسولاً يتلوا عليكم آيات الله مبيناتٍ ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور..» (الطلاق: ١٠ ــ ١١).

(يا أيّها الذين آمنوا اذكروا الله ذِكراً كثيراً... هوالذي يُصلّي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور، وكان بالمؤمنين رحيماً» (الأحزاب: ٤١ ــ ٤٣).

ففي هذه الآيات يشير القرآن الكريم الى ان عملية التغيير الجذري التي يعبر عنها بعملية الخروج من أحد القطبين المتناقضين الى القطب الآخر ليست هي فقط من الأهداف التي يحققها ويتصف بها كما في الآية الأولى، بل هي الهدف من أصل نزول القرآن كما في الآية الثانية والثالثة كما انها هي الهدف أيضاً من عملية الترابط بين النزول ومهمة النبي نفسه صلى الله عليه وآله، حيث جاء بهذا التعبير الرائع عن الذكر بالرسول كما في الآية الرابعة، ثم نجد ان هذا الهدف نفسه هو هدف ارتباط الانسان بربه من خلال سلوكه وذكره لله ومن خلال الرحمة والصلاة التي يتفضل بها الله على عباده كما في الآية الخامسة.

أولوا العزم ومهمة التغيير الاجتماعي:

ومما يلقي الضوء على ان عملية التغيير الجذري (الإخراج من الظلمات الى النور) هي الهدف الرئيسي، ما اُشير اليه في القرآن الكريم من ربط هذه العملية بشكل متضاد ومتعاكس بتوجهات علاقات الإنسان المؤمن والكافر بالقطبين المتضادين (الله) و(الطاغوت) (اللهُ وليُّ الّذين آمنوا يُخرجهم من الظلمات الى النُّور، والذين كفروا أولياؤُهمُ الطاغوتُ يُخرجونهم من النور إلى الظلمات، أُولئك أصحابُ النار هم فيها خالدون» (البقرة: ٢٥٧).

ولعل هذا البعد هوالذي يميّز مهمة أنبياء أولوا العزم عن غيرهم من انبياء الرسالات. وقد تكون الآية التي وردت في سورة ابراهيم بشأن موسى عليه السلام تشير الى هذه الحقيقة «ولقد ارسلنا موسى بآياتنا ان اخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بأيام الله ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور» (ابراهيم ــ ٥) خصوصاً إذا أخذنا بنظر الإعتبار أنها وردت في

سياق قوله تعالى: «**كتابٌ أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور بإذن ربهم**» (ابراهيم: ١) حيث قد يكون المقصود هو المقارنة بين المهمة الأصلية للنبي محمد صلى الله عليه وآله من خلال القرآن ومهمة موسى عليه السلام.

شمول عملية التغيير :

وقد أشار القرآن الكريم الى الأبعاد الشمولية لعملية التغيير هذه، بحيث يكوّن لنا صورة عن أعماق الجذور التي تتناولها هذه العملية التغييرية (يخرجهم من الظلمات الى النور) وذلك عندما تحدث عن مهمة النبي محمد صلى الله عليه وآله تجاه أهل الكتاب «**الذين يتبعون الرسول النبي الأميَّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويُحِلُّ لهم الطيّبات ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصْرَهُمْ والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتّبعوا النور الذي أنزل معه أُولئك هم المفلحون**» (الأعراف: ١٥٧) «**لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكّيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين**» (آل عمران — ١٦٤).

ب — المنهج الصحيح للتغيير :

وهذا التغيير الجذري بطبيعة الحال يحتاج الى منهج صحيح وطريق مستقيم يمثل البعد الثاني للهدف، ويتمثل هذا المنهج بالكتاب والحكمة... (الكتاب) الذي يمثل الشريعة والدين، والحكمة التي تمثل القوانين والسنن التي تتحكم في تاريخ الإنسان وحركته وتطوره وتوتّر على سعادته وشقائه. من هنا جاء القرآن الكريم ليرسم هذا الطريق، فهو المنهج الشامل لكل مناحي حياة الإنسان، ويتناول و «**... القرآن هدىً للناس وبيّنات من الهدى والفرقان**» (البقرة: ١٨٥) «**ذلك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتقين**» (البقرة: ٢) «**إنَّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنَّ لهم أجراً كبيراً**» (الإسراء: ٩) «**وننزّل من القرآن ما هو شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين ولايزيد الظالمين إلاّ خساراً**» (الإسراء: ٨٢) «**ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراطٍ مُستقيم**» (المائدة: ١٦) «**...ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيءٍ وهدىً ورحمةً وبشرى للمسلمين**» (النحل: ٨٩) «**ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون وانه لهدى ورحمة للمؤمنين**» (النمل — ٧٦ — ٧٧). «**يا أيها الناس قد جاءتكم موعظةٌ من ربّكم وشفاءٌ لما في الصدور وهدىً ورحمةٌ للمؤمنين**» (يونس: ٥٧). «**... ما كان حديثاً يُفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كلّ شيءٍ وهدىً ورحمةً للعالمين**» (الأنبياء: ١٠٦ — ١٠٧) «**... وأُوحي إليَّ هذا القرآن لأُنذركم به ومن بلغ...**» (الأنعام — ١٩).

وهذا المنهج الصحيح هو الذي يعبّر عنه

القرآن الكريم في مواضع عديدة بالصراط المستقيم، والذي يمثل الكمال الإنساني، وتمام النعمة للبشرية، ومنتهى طموحاتها وآمالها **«إهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم، غيرالمغضوب عليهم ولا الضالّين»** (الفاتحة: ٦ ــ ٧). **«قل انّي هداني ربي الى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين»** (الأنعام ــ ١٦١) **«إنّ ابراهيم كان أُمةً قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين * شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه الى صراطٍ مستقيم»** (النحل: ١٢٠ ــ ١٢١) **«إنّا فتحنا لكَ فتحاً مبيناً * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويُتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً»** (الفتح: ١ ــ ٢).

ج ــ خلق القاعدة الثورية :

كما ان عملية التغيير الاجتماعي الجذري تحتاج أيضاً ــ بطبيعة الحال ــ الى خلق القاعدة الثورية الذي يمثل البعد الثالث للهدف. ولذلك سعى القرآن الكريم الى خلق هذه القاعدة الثورية، وأعطى ذلك أهمية خاصة، واهتم بمعالجة القضايا الآنية والمستجدة التي يعيشها الرسول بشكل خاص، وتابع الأحداث التي كانت تواجه الرسالة، واتخذ المواقف تجاهها ليحقق هذا الهدف العظيم. ومن الواضح ان خلق هذه القاعدة وتكوينها في الوقت الذى يمثل مهمة صعبة و بالغة التعقيد، كذلك يمثل مهمة ذات أهمية في مستقبل الرسالة وقدرتها على البقاء والإستمرار، بالإضافة الى قدرتها على الشمول والانتشار.

فبالإضافة الى البعد الكيفي في عملية التغيير التي استهدفها القرآن، كان هناك بعد كمّي في الهدف يتوخى بشكل خاص ان يقوم النبي ببناء القاعدة للرسالة بحيث يمكن لهذه الرسالة بعد ذلك ــ أي بعد وفاة الرسول وانقطاع الوحي ــ ان تستمر وتنتشر من خلال هذه القاعدة التي أولاها أهمية خاصة، وأعطاها قسطاً كبيراً وحظاً وافراً من القرآن الكريم، كما نلاحظ ذلك في مجمل الآيات التي تناولت الأحداث في عصر الرسالة وتفصيلاتها وكذلك بعض التقاليد والعادات والقوانين بالإضافة الى عنصر اللغة في القرآن.

فهناك توجه خاص في القرآن الكريم الى سكان الجزيرة العربية (أُم القرى ومن حولها) من أجل أنْ يخلق منهم القاعدة الثورية للإنطلاق بالرسالة.

وهذا التوجه الخاص ليس على أساس وجود الامتياز لأبناء الجزيرة على غيرهم من البشر، وانّما هو على أساس تحقيق الهدف الكمي (المرحلي) للرسالة الإسلامية، باعتبارهم مجال عمل النبي والجماعة التي بدأت الرسالة فيها.

«وهذا كتابٌ أنزلناه مباركٌ مصدق الذي بين يديه ولتُنذر أُمّ القرى ومن حولها، والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يُحافظون» (الأنعام: ٩٢).

«وكذلك أوحينا اليك قرآناً عربياً لتنذر أمّ القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه، فريقٌ في الجنة وفريقٌ في السعير» (الشورى: ٧).

«هو الذي بعث في الأميّين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلالٍ مبين» (الجمعة: ٢).

«لقد مَنَّ الله على المؤمنين إذْ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم...» (آل عمران: ١٦٤).

«وهذا كتابٌ أنزلناه مباركٌ فاتبعوه واتقوا لعلكم تُرحمون * أنْ تقولوا إنّما أُنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كُنّا عن دراستهم لغافلين * أو تقولوا لو أنّا أُنزل علينا الكتاب لَكُنّا أهدى منهم فقد جاءكم بيّنةٌ من ربّكم وهدىً ورحمةٌ فمن أظلم ممّن كذّب بآيات الله...» (الأنعام: ١٥٥ — ١٥٧).

ومن المحتمل قوياً ان أحد خلفيات التأكيد على مجموعة من القضايا والمفردات في القرآن الكريم، هو قضية هذا التوجه الخاص لأبناء الجزيرة، ويمكن ان نلاحظ ذلك في قضية التأكيد على ابراهيم عليه السلام، وكذلك التأكيد على الوحي ومعالجته بشكل خاص، والتأكيد على رفض الأصنام، واعطاء الأسلوب أهمية خاصة في القرآن كما نشاهده في السور القصار، الى غير ذلك من المفردات والقضايا.

وسوف يأتي مزيد من التوضيح لهذا البعد عند ما نتناول الظواهر القرآنية على ضوء الهدف.

ثالثاً: الأهداف الأُخرى تساهم في الهدف الرئيسي

وفي ضوء هذا التفسير للهدف القرآني الرئيس، يمكن ان نفهم دور الأهداف الأخرى التي استعرضناها في تحقيق هذا الهدف بالإضافة الى موقعها الأصلي من الهدف القرآني وانها مجرد أهداف فرعية ولا يمكن ان تكون بمجموعها هي الهدف الرئيس فضلاً عن ان يكون كل واحد منها هو الهدف الرئيس.

١ — فالإنذار والتذكير الذي ورد في القرآن ذكره كهدف نزوله كما في بعض الآيات التي استعرضناها. كما انه ورد ذكره كمهمة يتولاها الأنبياء في عملهم. «أوَلَمْ يتفكّروا ما بصاحبهم من جنة إنْ هو إلاّ نذيرٌ مبينٌ» (الأعراف: ١٨٤) «إنْ أنا إلاّ نذيرٌ وبشيرٌ لقوم يؤمنون» (الأعراف: ١٨٨) «...انّما أنت نذيرٌ والله على كلّ شيءٍ وكيلٌ» (هود: ١٢). «قال يا قوم إني لكم نذيرٌ مبينٌ» (نوح: ٢). هذا الإنذار يمثل جزءاً من مهمة الأنبياء وجانباً من الهدف القرآني والأسلوب الرئيس لتحقيق عملية التغيير الإجتماعي.

و يتضح ذلك عند ما نلاحظ الإنذار مذكور الى جانب قضايا أُخرى يتكفلها القرآن والنبي.

«قد جاءتكم موعظةٌ من ربكم وشفاءٌ لما في الصدور وهدىً ورحمةٌ للمؤمنين» (يونس: ٥٧) فالموعظة الى جانب الشفاء والهدى والرحمة. «الذين يتّبعون الرسول النبيَّ الأُميَّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل

يأمرهم بالمعروف و ينهاهم عن المنكر و يُحلُّ لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث...» (الأعراف: ١٥٧). فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الى جانب تحليل الطيبات وتحريم الخبائث ورفع الاصر والاغلال. كما ان الإنذار يقترن في كثير من الآيات بالبشارة. **«كان الناس أمّةً واحدة، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحقّ ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وما اختلف فيه إلاّ الذين أوتوه من بعدما جاءتهم البينات بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحقّ بإذنه، والله يهدي من يشاء الى صراطٍ مُستقيم»** (البقرة: ٢١٣).

ولعل هذه الآية الكريمة تلقي الضوء بشكل واضح على دور الإنذار في القرآن وعمل النبيين، وان الإنذار مهمة يقوم بها النبي الى جانب الكتاب الذي يهدي الى المنهج والصراط المستقيم.

واذا عرفنا ان المعادلة الأصلية للدين تتوقف على قضية الإنذار، عرفنا السبب في تأكيد القرآن على الإنذار كهدف لنزوله وكمهمة للأنبياء، ذلك ان صورة الحياة ومقاييسها التي يعتمدها الدين في القسط والميزان ترتبط بشكل رئيسي بقضية الحياة الآخرة والبشارة والانذار بالعذاب فيها.

كما ان التأكيد على ان مهمة النبي هو الانذار، يمكن ان يكون لمعالجة نفسية للنبي الذي يتصور ان قضية التغيير من مسؤوليته، بحيث عند ما لا يتحقق التغيير يكون أمام موقف محرج عند الله **«لعلّك باخعٌ نفسك ألاّ يكونوا مؤمنين * إنْ نشأ ننزل عليهم من السماء آيةً فظلّت أعناقهم لها خاضعين»** (الشعراء: ٣ ــ ٤).

«ومن ضلّ فقل إنّما أنا من المنذرين» (النمل:٩٢). **«طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى * إلاّ تذكرة لمن يخشىٰ»** (طه: ١ــ٣).

«فلعلّك تاركٌ بعض ما يُوحى اليك وضائقٌ به صدرك أنْ يقولوا لولا أُنزل عليه كنزٌ أوجاء معه ملكٌ، إنّما أنت نذيرٌ والله على كلّ شيءٍ وكيلٌ» (هود: ١٢). وحينئذ يحدد القرآن المسؤولية بالانذار وهناك فرق بين المسؤولية و بين المهمة والهدف الذي يتولاه النبي. فالنبي عليه ان يبذل كل طاقته، وهو مسؤول عن الانذار والبذل، واما التغيير فهو وان كان هدفاً له ومن المهمات التي يسعى اليها ولكنه ليس مسؤولاً عن النتائج.

كما ان التأكيد على قضية الانذار أحياناً، لتوضيح ان النبي ليس له طمع في السلطان والجاه والأجر المادي، وانما يريد القيام بواجبه وبمسؤوليته وهي الانذار. **«واتل عليهم نبأ نوحٍ إذْ قال لقومه ياقوم إنْ كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لايكن أمركم عليكم غُمّةً ثم اقضوا إليّ ولا تنظرون * فإن تولّيتم فما سألتكم من أجرٍ إنْ أجريَ إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين»** (يونس: ٧١ ــ ٧٢).

٢ ــ وضرب الأمثال في القرآن إنّما جاء

من أجل الانذار والتذكير، كما اشارت الى ذلك بعض الآيات «**ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كلّ مَثَلٍ لعلّهم يتذكرون**» (الزمر: ٢٧).

٣ ــ وعند ما يكون القرآن حجة و برهاناً ومعجزة، فهو يساهم في عملية الانذار والهداية، ولذلك نجد ان البرهان يقترن بالهداية والنور والصراط المستقيم في القرآن نفسه «**يا أيها الناس قد جاء كم برهانٌ من ربكم وأنزلنا اليكم نوراً مُبيناً * فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمةٍ منه وفضلٍ ويهديهم اليه صراطاً مستقيماً**» (النساء: ١٧٤ ــ ١٧٥).

٤ ــ وتفصيل الأحكام يمثل المنهج الذي تعتمد عليه عملية التغيير بصورة أساسية، كما أشرنا الى ذلك. ولذا يقترن تبيان كل شيء بالهداية والرحمة في القرآن، وهذه الهداية التي تمثل المنهج والصراط المستقيم «**ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيءٍ وهدىً ورحمةً وبشرى للمسلمين**» (النحل: ٨٩)

٥ ــ وهكذا هدف الفصل وحسم الخلاف والتفريق بين الحق والباطل، حيث ان هذا جزء من المنهج العام والهدى والنور، كماورد في الآية (البقرة ــ ٢١٣) الآنفة الذ كر.

٦ ــ وتصديق الرسالات وتكيلها، لا يعني ان التغيير ليس جذرياً في المجتمع، لانّ الانحراف الاجتماعي قد يصل الى مستوى بحيث يكون المجتمع بعيداً عن منظور الرسالات السابقة فضلاً عن الرسالة الجديدة، وهذا ما يؤكد عليه القرآن الكريم في مناسبات عديدة خصوصاً عند مناقشته لأهل الكتاب وتعصبهم وانحرافهم وشراءهم بآيات الله ثمناً قليلاً. فالقرآن في الوقت الذي هويكمل الرسالات السابقة و يصدقها ويهيمن عليها في عملية الاصلاح والكمال، يقوم أيضاً بعمل حذري تجاه المجتمع الذي ابتعد عن منظور تلك الرسالات ومفاهيمها بعد ان تعرّضت للتحريف على مستوى الأفكار والمفاهيم وعلى مستوى الواقع العملي أي على مستوى النظرية والتطبيق معاً.

وتصبح عملية التصديق بالهيمنة جزءاً من الهدى والصراط المستقيم الذي يمثل عمل كل الأنبياء والرسل. كما أشرنا الى ذلك في الهدف الأساس للقرآن الكريم. «**قل إنّني هداني ربي الى صراطٍ مستقيم ديناً قيماً ملّة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين**» (الأنعام: ١٦١) و بشكل أوضح نجد ذلك في الآية (الأعراف: ١٥٧) «**الذين يتبعون الرسول النبيّ الأُميّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة...**»

٧ ــ وتاريخ الإنسان وقصص الأُمم والأنبياء والقوانين التي تتحكم في هذا التاريخ كله يمثل المادة الأساسية للانذار والحكمة التي يتضمنها هذا المنهج العام و يدلل على أبعاد هذا المنهج وجذوره ومدى علاقته بالماضي والقوانين التي تتحكم في مستقبله.

٨ ــ ونفس الشيء يمكن ان نقوله في التصور الكامل عن الحياة الذي يقدمه لنا القرآن الكريم والذي يمثل القاعدة الأساس لهذا المنهج،

و يبين الموازين التي تتحكم فيه والمعادلة الصحيحة في حياة الإنسان التي يقدّمها الدين والقرآن، وموقع هذا الإنسان من الوجود ومسؤولياته فيه.

وبهذا نجد ان كل الأهداف الأخرى على أهميتها ــ إنّما هي أهداف فرعية بالنسبة الى الهدف الأساس، وهي تساهم في تحقيقه الى حدٍ بعيدٍ، وهذا ما حصل بالفعل في تاريخ القرآن.

ــ الفصل الثاني ــ

القرآن الكريم يحقق الهدف الأساس من خلال سيرته

وعندما نراجع سيرة القرآن الكريم في عصر النبوة، نجد ان القرآن الكريم استطاع ان يحقق هذا الهدف التغييري بكل أبعاده، حيث استطاع ان يرسم المنهج الشامل والطريق المستقيم للبشرية جمعاء من خلال عطائه في كل المجالات، ولازالت هذه البشرية تستلهم القرآن ومضامينه. وقد اثبتت هذه الحقيقة، الثورة الإسلامية في ايران بقيادة إمام الأُمة السيد الخميني دام ظله الشريف، من خلال الواقع التطبيقي، وكذلك مؤلفات علماء المسلمين الذين اهتموا باكتشاف النظرية الاسلامية الشاملة لكل مناحي الحياة من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية الشارحة له. ومن النماذج الرائعة لهذه المؤلفات في هذا العصر مادبجته براعة أُستاذنا آية الله العظمى السيد الشهيد الصدر وما اكتشفه من نظريات اغنت الفكر الاسلامي ونقلته الى مستوى جديد في هذا التصور الشامل.

ومن خلال النقاط التالية التي سوف نتناولها بايجاز ــ لأن كل واحدة منها تستحق بحثاً كاملاً ــ يتبين لنا عمق التغيير الكبير الذي أحدثه القرآن الكريم في القاعدة الثورية التي بناها وأوجدها، كما ان حجم هذه المحصلة التغييرية يدلل على انها كانت هدفاً أساسياً للقرآن.

أ ــ الإله الواحد الكامل :

كان العرب في الجزيرة العربية يعيشون حالة من التردي والميوعة والضعة في تصور الإله الذي يدير شؤونهم و يتولى خلقهم والتصرف في مقدراتهم. وهم بالرغم من اعتقادهم بالله الخالق، كانت فكرة وساطة الأصنام والأحجار والملائكة والجن والكواكب وغيرهم سائدة في أذهانهم ومسيطرة على عقولهم بحيث لايكادون يميزون بين هؤلاء الوسطاء والله الخالق. واصبح الشرك والوثنية ظاهرة اجتماعية تتدخل في كل شؤونهم الحياتية وتصرفاتهم واعمالهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والشخصية، بالإضافة الى جانب العقيدة والعبادات.

والعرب وان كان بعضهم من اليهود والنصارى، إلاّ ان اليهودية والنصرانية لم تكن قادرة على معالجة هذه الحالة المتردية بعد ان منيت نفسها بالإنحراف والشرك .

«إتّخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أُمروا إلاّ ليعبدوا إلهاً

واحداً لا إله إلاّ هو سبحانه عمّا يشركون» (التوبة ـ ٣١).

«إنْ يدعون من دونه إلاّ إناثاً وإن يدعون إلاّ شيطاناً مريداً * لعنه الله وقال لأتّخذنّ من عبادك نصيباً مفروضاً * ولأضلّنّهم ولأمنينّهم ولآمرنّهم فليبتّكنّ آذان الأنعام ولآمرنّهم فليغيّرنّ خلق الله، ومن يتخذ الشيطانَ ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مُبيناً» (النساء: ١١٧ ـ ١١٩).

ـ «وقالوا اتخذ الرحمنُ ولداً سبحانه، بل عبادٌ مكرمون» (الأنبياء: ٢٦).

«ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إيّاكم كانوا يعبدون * قالوا سبحانك أنت وليّنا من دونهم بل كانوا يعبدون الجنّ أكثرهم بهم مؤمنون» (سبأ: ٤٠ ـ ٤١).

ـ «ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلاّ ليقربونا الى الله زلفى، إنّ الله يحكم بينهم في ماهم فيه يختلفون، إنّ الله لا يهدي من هو كاذبٌ كفارٌ» (الزمر: ٣)

ـ «إنّ الذين تدعون من دون الله عبادٌ أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إنْ كنتم صادقين» (الأعراف: ١٩٤).

وقد تحدث القرآن الكريم كثيراً حول هذا الموضوع، وعالجه بمختلف الأساليب والوسائل والأدلة، بحيث أصبحت قضية الشرك والأصنام من القضايا المركزية التي عالجها، وتمكن من خلال ذلك ان يقدم التصور الكامل عن الكمال الإلهي والإله الواحد المطلق المتصف بصفات الكمال والحسن، ويجعل هذا الإنسان المشرك يرفض كل ألوان الشرك، و يتوقف عن كل شبهة بحيث نجد المسلمين يتوقفون في قضية السعي بين الصفا والمروة خوفاً من شائبة الشرك: «إنّ الصفا والمروة من شعائر الله فمن حجّ البيت أو اعتمر فلاجناح عليه أنْ يطّوّف بهما، ومن تطوّع خيراً فإنّ الله شاكرٌ عليمٌ» (البقرة: ١٥٨).

بل لا حق القرآن الكريم قضية الشرك في النفس الإنسانية وفي كل تصرفات الإنسان، بحيث أعطى للوحدانية أبعاداً لم تكن تعرفها الإنسانية في حياتها ووجودها، كما أعطى للكمال الالهي أبعاداً جديدة و بشكل مبسط يتمكن هذا الإنسان الساذج ان يتصوره و يدركه و يتحرك على أساسه.

و بالمقارنة بين التردي في مستنقع الشرك والضلالة والتعددية التي كان عليها أبناء الجزيرة والتغيير الذي حصل في التصور للإله والوحدانية لديهم من خلال تأثير القرآن، يمكن ان نعرف عمق التغيير الذي أحدثه القرآن في هذا المجال.

ب ـ الكرامة الإنسانية، والعلاقات الإنسانية:

لقد كان العرب يعيشون العلاقات القبلية و يتعاملون على أساس من العلاقات الإنسانية التي تتميز بالقوة والعنف والأُطر الضيقة المحدودة بحيث ينظر الإنسان للأشياء من خلال ذاته ولا يشعر بالكرامة الإنسانية وميزاتها إلاّ من خلال الأوهام والقوى المادية. وكانت كل حياتهم تنطبع بهذه التصورات عن العلاقات.

فلم يكن يجمعهم شيء في تصورهم

للإنسان إلاّ من خلال الأوهام والقوى المادية. وكانت كل حياتهم تنطبع بهذه التصورات عن العلاقات.

فلم يكن يجمعهم شيء في تصورهم للإنسان إلاّ العلاقة النسبية التي كانت تتضاءل في بعض الأحيان بحيث تكاد تمزقهم الى أُسر صغيرة. فالقبيلة تنقسم الى العشيرة، والعشيرة تنقسم الى الأُسرة، وهكذا، كما انهم كانوا ينظرون الى المرأة والعبيد والموالي والضعفاء من الناس كالأيتام والقاصرين كما ينظرون الى الأموال.

وقد جاء القرآن من أجل أنْ يعيد لهؤلاء كرامتهم الإنسانية، ويجعل هذه الكرامة هي الأساس في العلاقات، ويخلق في أذهانهم الصورة الكاملة والكبيرة التي تسع البشرية جمعاء، ويحملهم مسؤوليتها، و يقيم أُسس الكفاءة الإنسانية بين كل هذه الفئات الإجتماعية، و يعيد للمرأة كرامتها، وللعبد انسانيته، فضلاً عن الموالي والضعفاء من الناس، و يضع المقاييس والموازين الموضوعية كالتقوى والعلم والجهاد والعمل الصالح لتقوم عليها العلاقات الإنسانية.

«يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأُنثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل لِتعارفوا، إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم إنّ الله عليمٌ خبيرٌ» (الحجرات: ١٣).

«وكذلك جعلناكم أمّةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيداً...» (البقرة: ١٤٣).

«وجاهدوا في الله حقَّ جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج، ملّة أبيكم إبراهيم هو سمّاكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرّسولُ شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس، فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير» (الحج: ٧٨).

«واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا، واذكروا نعمة الله عليكمْ إذْ كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرةٍ من النار فأنقذكم منها، كذلك يُبيّنُ الله لكم آياته لعلّكم تهتدون * ولتكن منكم أمّةٌ يدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر، وأولئك هم المفلحون» (آل عمران: ١٠٣ ــ ١٠٤).

وتابع القرآن الكريم كل القضايا التي ترتبط بهذه العلاقات والكرامة الإنسانية، بحيث نقل هؤلاء العرب المتفرقين الى أمة تحمل الخير للبشرية وتفكر في إطار (الدولة العالمية) وتسعى لها وتضحي من أجلها. ثم يقيم العلاقات الإجتماعية بدرجة تصبح للمرأة كرامتها الإنسانية الكاملة التي لم تعرفها الإنسانية حتى في هذا العصر الحديث وكذلك يصبح للعبيد وجودهم وكرامتهم بحيث يتسلمون أعلى المناصب والدرجات في الهيكل الإجتماعي، وهكذا شأن الموالي والأقليات الدينية...

«ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البرّ

والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضّلناهم على كثيرٍ ممّن خلقنا تفضيلاً» (الإسراء: ٧٠).

ج ـ الفهم الجديد للحياة :

لقد كان الإنسان في الجزيرة العربية يتعامل مع الحياة الدنيا على أساس انها هي مجمل حياته، وكانت الشهوة والقوة هما الأساسين اللذين ينطلق منهما الإنسان في تفاعله مع الحياة بعيداً عن القيم والمثل. وهذه النظرة الضيقة للحياة كانت تؤثر الى حد كبير على سلوك الإنسان، ولازالت حتى الآن تؤثر على سلوكه بمقدار عمق هذه النظرة في وجوده وغفلته عن الحقيقة القرآنية للحياة.

وكان يساعد على تعميق هذه النظرة في وجدان الإنسان وضميره وتقييمه للوجود، هو الجانب المادي للإنسان من ناحية الغرائز والشهوات التي أودعها الله سبحانه في نفس الإنسان، بحيث أصبح يتجه الى التجسيد والصور الحسية.

وكان الإنسان الجاهلي يمثل النموذج المتردي للإنسان في هذا التصور، ولهذا انساق الى الإنغماس في الحياة الدنيا، وتعاطي الرذيلة والشهوات بمختلف أشكالها و بعيداً عن القيم والمثل.

«زُيّنَ للناس حُبُّ الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث، ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب» (آل عمران: ١٤).

«إعلموا أنّما الحياة الدنيا لعبٌ ولهوٌ وزينةٌ وتفاخرٌ وتكاثرٌ في الأموال والأولاد كمثل غيثٍ أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً...» (الحديد: ٢٠).

ـ «زُيّنَ للذين كفروا الحياة الدنيا و يسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة» (البقرة: ٢١٢).

ولذلك نجد القرآن الكريم في موارد متعددة ينسب كل ألوان الإختلاف والإنحراف والتردي الى هذا التصور للحياة والتعامل مع الأحداث من خلال هذا التصور. أُنظر كشاهد الآيات ٨٥ ـ ٨٦/ البقرة والآيات ٣٣/النور و ٧٩/القصص و٣٨/التوبة.

ولكن القرآن تمكن ان يحقق هدفاً تغييراً واسعاً في هذه النظرة من خلال معالجات كثيرة، واعطاء تصور حقيقي للحياة الدنيا وهدفها ومآلها وقيمة الأشياء فيها، بحيث أخذ هذا الإنسان المنغمس في الشهوات والدنيا يبادر الى البذل والعطاء والشهادة لتحقيق الثواب.

ـ «ياقوم إنّما هذه الحياة الدنيا متاعٌ وان الآخرة هي دار القرار» (غافر: ٣٩)

ـ «بل تؤثرون الحياة الدنيا * والآخرة خيرٌ وأبقى» (الأعلى: ١٦ ـ ١٧).

ـ «وما هذه الحياة الدنيا إلاّ لهوٌ ولعبٌ، وإنّ الدار الآخرة لهي الحيوان لوكانوا يعلمون» (العنكبوت: ٦٤).

ـ «إنّما مثل الحياة الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس

والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وآزّيّنت وظنّ أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس، كذلك نفصّل الآيات لقوم يتفكرون» (يونس: ٢٤).

ـ «يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم * فمن يعمل مثقال ذرةٍ خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرةٍ شراً يره» (الزلزال: ٦ ــ ٨).

«...وماتُقدموا لأنفسكم من خيرٍ تجدوه عند الله، إنّ الله بما تعملون بصيرٌ» (البقرة: ١١٠).

«وأقرضوا الله قرضاً حسناً وما تُقدموا لأنفسكم من خيرٍ تجدوه عندالله هو خيراً وأعظم أجراً، واستغفروا الله، إنّ الله غفورٌ رحيمٌ» (المزمل: ٢٠).

وقد كان لهذا التصور أثره البالغ في كل مجالات الحياة الإنسانية في الحكم والنظام والجهاد والإقتصاد والعلاقات العامة والخاصة. وهناك صور رائعة في التاريخ الإسلامي تعبّر عن عمق هذا التصور في ضمير الإنسان المسلم.

د ــ تحرير إرادة الإنسان :

كما ان القرآن تمكّن من ان يحرر الإنسان من عبودية الأصنام والطغاة تمكن من تحرير إرادة الإنسان من عبودية الشهوة والذات والخوف وكل العوامل الأُخرى المؤثرة على ارادته وذلك من خلال معالجة موضوعية لقضية الحرية والإرادة والإختيار وجعلها هي المحور الأساس في حركة الإنسان و سلوكه ونموه وتطوره، وان الله سبحانه انما خلق الإنسان في هذه الحياة الدنيا وجعله عرضة لمختلف العوامل الطبيعية والإجتماعية والذاتية من أجل هذا الإختيار والإمتحان ومن أجل ان يتطور و ينمو في اختياره.

«أم حسبتم أنْ تدخلوا الجنة ولمّا يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم،مسّتهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصرالله، ألا إنّ نصر الله قريبٌ» (البقرة: ٢١٤)

«أحسب الناس أنْ يُتركوا أنْ يقولوا آمنّا وهم لايُفتنون * ولقد فتنّا الذين من قبلهم فليعلمنّ الله الذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين» (العنكبوت: ٢ ــ ٣).

«أمْ حسبتم أن تدخلوا الجنة ولمّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم و يعلم الصابرين» (آل عمران: ١٤٢).

«... لاإكراه في الدين قد تبين الرُّشدُ من الغَيّ» (البقرة: ٢٥٦).

«إنّا هديناه السبيل إمّا شاكراً وامّا كفوراً» (الانسان: ٣).

و بعد هذا التأكيد على الإرادة وأهميتها في حياة الإنسان، عمل القرآن الكريم على تنمية هذه الإرادة وتحريرها من كل المؤثرات وتوجيهها الوجهة الصحيحة التي يريدها القرآن الكريم لها: من خلال تنمية عامل التقوى في نفسه، وتجسيد المُثُل والقيم والأهداف الكبيرة، واعطاء التصور الحقيقي للإنسان عن الحياة، والتأكيد على التعويض في الدار الآخرة التي هي خير وابقى.

«ولا تحسبنّ الذين قُتِلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربّهم يُرزقون* فَرِحين بما آتاهم الله من فضله و يستبشرون بالذين لم يَلحقوا بهم من خلفهم الاّ خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون» (آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧٠).

ولعل من أفضل صور نمو الإرادة وتحريرها عند الإنسان المسلم في عصر الرسالة والقرآن، هي قصة النهي عن شرب الخمر الذي جاء به القرآن الكريم والذي كان تجارة رئيسية في ذلك المجتمع ويمارسُ شربهُ بشكل طبيعي. فكان لمجرد نهي القرآن، الأثر العميق في كف المسلمين بشكل عام عن تناوله.

مع ان الولايات المتحدة الأمريكية عملت لمدة ثلاثة عشر سنة ١٩١٨ ـ ١٩٣٢ بكل قدراتها وطاقاتها على منع تناول الخمرة، واتخذ الكونغرس الأمريكي قراراً بذلك، لكنها لم تتمكن من أن تصنع شيئاً مهماً مما اضطرها الى التراجع عن هذا القرار.

وهذا الشعب الذي كان يخاف ان يتخطفه الناس من حوله، اذا به يملك ارادة، ويحمل مسؤولية المستضعفين في العالم، و يسعى للإطاحة بنظام كسرى وقيصر، وتخليص الإنسانية من طغيانها.

هـ ـ التوجه الى طلب العلم والمعرفة والبناء الذاتي:

لقد تمكّن القرآن الكريم ان يحدث تغييراً هائلاً وكبيراً في مجالين مهمين من حياة الإنسان، ذلك هو طلب المعرفة والحقيقة في الكون والطبيعة، انطلاقاً من معرفة الله سبحانه وتعالى، والتأمل في كل هذا الوجود، وكذلك تنمية الوجدان والضمير والرجوع الى الفطرة الإنسانية السليمة في مقام التعامل مع الأحداث والقضايا، أي مسألتي (العقل النظري والعقل العملي) ومسألة (المعرفة والوجدان) ومسألة (الحقيقة والعدالة).

لأن أهم قضيتين تواجهها الإنسانية في الحياة الدنيا، هي؛ قضية المعرفة والحقيقة، وقضية العدل والظلم. ولا زال الإنسان منذ بداية وجوده يسعى في هذين الخطين الرئيسين، و ينشدهما في حياته. وقد اهتم القرآن بذلك، ولفت انظار المسلمين والناس الى هذين الأمرين.

والآيات القرآنية ـ التي تناولت هذا الموضوع، كثيرة.

ـ **«...يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات»** (المجادلة: ١١).

ـ **«ألم ترَ أنّ الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمراتٍ مختلفاً ألوانها ومن الجبال جددٌ بيضٌ وحمرٌ مختلفٌ ألوانها وغرابيب سودٌ* ومن الناس والدواب والأنعام مختلفٌ ألوانه كذلك، إنّما يخشى الله من عباده العلماء، إنّ الله عزيزٌ غفورٌ»** (فاطر: ٢٧ ـ ٢٨).

ـ **«وما لكم لا تُقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرِجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً»** (النساء:٧٥).

ـ **«أذِنَ للّذينَ يُقاتَلُونَ بِأنّهُمْ ظُلِمُوا وانّ**

اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ» (الحج: ٣٩).

وقد تمكّن القرآن الكريم ان يحرر الإنسان من الأساطير والخرافات والأوهام التي كانت تتحكم في حياته والشكوك والشبهات في كل مجالات حياته، كما انه احيى عنصر الوجدان في ضمير الإنسان من خلال معالجة حقيقية جادة لقضية القلب والوجدان والأمراض التي يواجهها، فأحدث تغييراً واسعاً في هذين المجالين انعكس على حياة المسلمين وتطورهم، فأصبحت الأمّة في ضميرها وفهمها لقضية العدل والظلم.

الأمة الاسلامية في فترة قصيرة من الزمن أرق أمة تعرفها البشرية في علومها وأوعى أمة في ضميرها وفهمها لقضية العدل والظلم.

و ـ تنظيم الحياة الاجتماعية

لقد كانت الأوضاع الإجتماعية التي جاء القرآن لمعالجتها، تعيش حالة من الفوضى والتفكك، تحكمها مجموعة من التقاليد والعادات الهشة التي سرعان ما تنهار أمام كل هبة ريح وتتفشى فيها مختلف ألوان الإستغلال والإستثمار والإنحراف.

وقد تمكّن القرآن الكريم في خلال فترة قصيرة من الزمن اعجازية ـ خصوصاً اذا أخذنا بنظر الإعتبار الأوضاع الإجتماعية نفسها ـ من ان يحقق اصلاحاً واسعاً في هذه الأوضاع على مستوى النظام.

فوضع الأسس لنظام الحكم والإقتصاد والعلاقات الإجتماعية العامة والعلاقات الدولية والحرب ونظام التجارة والعقود والأسرة والعبادات... الى غير ذلك من المجالات، بحيث أصبح هذا المجتمع مكتمل الشخصية، قادراً على مواجهة مختلف الظروف.

و قد تعرض هذا المجتمع بالفعل الى هزات قوية داخلية وخارجية، ولكنه تمكن من الصمود في وجهها، من قبيل الإتجاهات السياسية المختلفة في نفس القاعدة الثورية، أو حروب الردة، أو الحروب التي دخلها مع الأنظمة الطاغوتية المجاورة.

ولم يتمكن هذا المجتمع من مواجهة هذه الظروف القاسية فحسب، بل تمكّن من التغلب عليها وتحقيق الإنجازات العظيمة للشعوب المجاورة، بحيث تمكّن من تحريرها وتغييرها أيضاً في فترة زمنية اعجازية.

والقرآن الكريم مليء بالشواهد على هذا التغيير العظيم الذي أحدثه في نظام المجتمع وفي مختلف الجوانب، كما ان التاريخ الإسلامي مليء بالشواهد على خصائص هذا التغيير المتميز وقدرته على الحركة والفعل والمبادرة وقوته في التنمية الإقتصادية والإجتماعية والعلمية وفي كل المجالات.

ومن خلال هذه النقاط التي استعرضناها وغيرها مما لايسع المجال الى تفصيله، نعرف ان هذا الهدف التغييري لم يكن هدفاً نظرياً فقط، وانما كان له واقع تطبيقي رائع ينسجم مع النظرية نفسها.

كما انه لايفوتنا ان ننبّه ان القرآن حي ما بقيت الحياة، وليس مرهوناً بفترة زمنية معينة، وانما كان من أهدافه يخلق القاعدة الثورية في فترة زمنية معينة لتكون منطلقاً للتغيير الأشمل على ان تبقى مساهمته في هذا التغيير مستمرة ودائمة ■

ملامح الاقتصاد الاسلامي في القرآن الكريم

حجة الاسلام السيد محمود الهاشمي/ العراق

ان البحث حول مسائل الإقتصاد الإسلامي، له ـعاد ومجالات مختلفة ومتسعة، ومن الطبيعي اننا لا ـستطيع ـ مع هذا المجال المحدود ـ أنْ نستوعب كل .لك. ولهذا فما يشكل حديثنا هذا، ليس إلاّ عرض ـحة من الإقتصاد الإسلامي على أساس ما جاء في لقرآن الكريم بهذا الصدد.

وطبيعي ان نلتفت في مطلع الحديث الى بعض لنقاط:

١ـ ان القرآن الكريم هذا الكتاب السماوي لعظيم، لم ينزل لغرض شرح النظريات والقوانين العلمية وتبيينها، بل ان الهدف الرئيس منه هو: الهداية والتربية، وسوق الإنسانية نحو الأهداف العالية التي خُلقت لأجلها. وان هذا الموضوع ليرتبط أكثر من غيره بفلسفة الإنسان، ومعرفته عن نفسه وعن العالم والمبدأ والمصير، ولهذا نجد القرآن الكريم ـ عموماً ـ يتحدث في اطار المسائل، و يطرح العلاقات العلمية والقانونية بالقدر الذي يقرّب الإنسان الى هذا الهدف.

٢ـ ان ما جاء في القرآن الكريم بلحاظ المسائل الإقتصادية، إنّما يتعلق في الواقع بالمذهب الإقتصادي، لا علم الاقتصاد، بمعنى ان القرآن لم يتحدث مطلقاً عن العلاقات الإقتصادية أوعلاقات العرض والطلب والقيمة، أو علل التضخم والركود الإقتصادي، ذلك لأنّ مثل هذه المسائل وهي علمية محضة ورهينة بكشف الواقع الخارجي سواء كانت في مجال الطبيعة والفيزياء أو في مجال المجتمع

والتاريخ، يتم الحصول عليها بواسطة قوة العقل والتجربة الإنسانية.

اما ما يكتسب أهمية أكبر لدى الإنسان، ولا يمكن الحصول عليه من خلال العلم والتجربة، فهو المذهب الإقتصادي الذي يشمل المسائل التقييمية والفلسفية والتربوية والحقوقية في مجال المجتمع والعلاقات الإقتصادية المسيطرة عليه. ولذلك نجد القرآن باستمرار يتحدث عن هذه المسائل، وحتى لو تحدث عن العلاقات الإقتصادية، فإنه هنا أيضاً يمنحها نظرة مذهبية عقائدية، وهذا ما نلاحظه في مستقبل البحث.

٣ـ ان الآيات التي نتعامل معها ـ من الزاوية الإقتصادية ـ في القرآن الكريم، تتجه ـ في أكثر الموارد ـ الى؛ الكليات الحقوقية، والإتجاهات والأهداف والأسس والمعالم الأساسية للنظام الإقتصادي الاسلامي، اما التفصيلات الحقوقية وفروع المباحث الإقتصادية الإسلامية فلا يمكن الحصول عليها كلها من الآيات الشريفة، وانما علينا بهذا الصدد ان نلجأ الى المصدر الآخر للحقوق الإسلامية، أي السُّنّة والأحاديث الشريفة للرسول الأكرم(ص) والأئمة الطاهرين. ولما كان بحثنا يقتصر على النظام الإقتصادي الإسلامي بالقدر الذي يعكسه القرآن الكريم، فإننا سوف لن ندخل في تلك البحوث المفصلة، ونرجئها الى بحث أكثر اتساعاً وعمومية حول الإقتصاد والإسلام.

٤ـ والنقطة الأخرى التي يجب التوجه اليها بكل تأكيد، هي مسألة الدور التي تقوم به النظرة الكونية، وأُسلوب التفكير الذي يمنحه القرآن للمسلم في مجال النظام الإقتصادي الذي نرمي اليه.

ذلك اننا لانستطيع ان نفصل الجوانب الإجتماعية للإنسان عن المحتوى العقائدي ونوع معرفته مطلقاً. والحقيقة ان عقيدة الإنسان هي التي تصوغه من الداخل وتصنع بالتالي ظروف ايجاد المجتمع وروابطه وأهدافه الإجتماعية المطلوبة. والعقيدة هي لوحدها القادرة على ان تفسّر وتوجّه كل القوانين والمقررات الإجتماعية المتعلقة بالسلوك والحركة الإنسانية. وعلى أساس من النظرة الكونية يمكن للقوانين والنظم الإجتماعية ان تقع موقع القبول لدى أفراد المجتمع وتحصل بالتالي على ضمانات التنفيذ، وبالتالي فإنَّ النظرة الكونية هي التي تمتلك الدور الرئيس الحاسم الذي يؤثر بشكل مباشر أو غير مباشر في ايجاد الإنسجام العام والإيصال الى الأهداف المنشودة لدى مذهب اقتصادي معين.

بل ان كل النظم الإجتماعية للإسلام، تعتمد أكثر من أي شيء آخر على هذا البعد، وهو بعد أساسي مضموني بلاريب، فهو عبر هذا الأُسلوب من التفكير والقناعات القائمة على أساس مثل هذه المسائل العقائدية والتربوية، يسعى دائماً لتأمين أفضل سند للتنفيذ الدقيق للمسائل الإقتصادية في ظل نظام إقتصادي عام.

هذا مع ملاحظة ان الأفراد مع الإحتفاظ بحريتهم واختيارهم، يلتزمون بالعمل بوظائفهم القانونية في المسائل الإقتصادية ـ باعتبار ذلك عبادة قائمة على اساس العقيدة ـ دون أية حاجة الى الضغط والإجبار من الحكومة، وانما نجدهم يتبرعون لتحقيق الأهداف الإقتصادية، بل نجدهم يقدّمون حاجات الناس والمجتمع على مسألة تأمين رفاههم الشخصي. الأمر الذي نشاهد له في طول التاريخ الماضي شواهد كثيرة في المجتمعات الإسلامية، رغم عدم توفر المجال الإسلامي المطلوب تماماً وحكومة الطواغيت غالباً ـ ولا يمكننا فعلاً استعراض بعض منها.

ومع وضوح النقاط السابقة، نعمد الى بيان ملامح النظام الإقتصادي الاسلامي وفقاً لما ورد في

القرآن الكريم. ويمكن تقسيم البحث الى الفصول التالية:

الفصل الأول ـ المعايير والأهداف.

الفصل الثاني ـ نوع الملكية في النظام الإقتصادي.

الفصل الثالث ـ الحرية الإقتصادية.

الفصل الرابع ـ التحديد من الحرية الإقتصادية.

الفصل الخامس ـ الضرائب الإسلامية، ودورها في التوزيع المجدد.

الفصل السادس ـ دور الدولة في الإقتصاد الإسلامي.

الفصل الأول

المعايير والأهداف

١ـ التوحيد والإيمان بالغيب:

يعتبر التوحيد والإيمان بالغيب، أول معيار و مبنى، وأهمها في النظرة الكونية الإسلامية.

«... الذين يؤمنون بالغيب...»

(البقره ـ ٣)

وعلى أساس من هذا المعيار، يرى الإنسان نفسه وكل شيء في عالم الوجود، معلقاً تعلقاً تامّاً بالله تعالى.

و وفقاً لهذه النظرة، ينقسم الوجود الى قسمين: عالم الغيب وعالم الشهادة **«... عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك ...»**

(الزمر ـ ٤٦)

حيث تسير أمور عالم الشهادة والمادة وفق هدي من عالم الغيب والله تعالى **«ولله غيب السماوات والأرض واليه يرجع الأمر كله...»**

(هود ـ ١٢٣)

«وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو...»

(الانعام ـ ٥٩)

وان ادراك كنه هذه العلاقة وسائر مسائل عالم الغيب، خارج عن نطاق قدرة الذهن البشري، ذلك لأنّه نفسه في هذا العالم داخل في اطار عالم الشهادة. والتعبير الوحيد الذي يمكن طرحه في البين عن هذه العلاقة، هو ان يقال انها علاقة الأصل والفرع، وعلاقة (الكنه) و (الجلوة) و (المظهر) و (الحقيقة) و (الظل) ذلك لأن عالم الغيب هو الأصل والحقيقة، وعالم الشهادة هو عالم الجلوة والظل. فهو متعلق دائماً وتحت سيطرة مشيئة عالم الغيب ومفتقر اليها. وكل الأشياء وما يجري في عالم الشهادة، إنما هي تحت رقابة من عالم الغيب وهداية منه، فلا استقلال لها أبداً، وهذا هو أهم الأصول التي أكّد عليها الأنبياء العظام خلال التاريخ، واعتمدوا عليه، وان الانبياء جاءوا أساساً ليركّزوا هذا الإيمان وهذه القناعة في ذهن الإنسان وقلبه، وهو واقع تحت تأثير ما يجري في عالم الشهود والمادة، و يرتفعوا بمعرفة الإنسان وادراكه من المحسوس الى المعقول ومن المشهور والواضح والمحدود الى الغيب والخفاء واللامحدود. وعلى هذه الرؤية نفسها تفسر حياة الإنسان بشكل آخر، حيث تحتل مرحلة الشهود قدراً ضئيلاً جداً من حياته وعمره الواقعي، وتنقسم الحياة الى قسمين: هذه الدنيا المحدودة العابرة، والآخرة اللامحدودة الخالدة، حيث تنفتح أمام الإنسان آفاق جديدة، وتولد مفاهيم جديدة عن الربح والخسارة هي أسمى من مستوى المفهوم العادي للمنافع في هذا العالم، ولا تعود الحياة تعني منافع أيام من هذه الدنيا، بل المهم والأكثر بقاء هي الحياة المستقبلية، وحينئذ يكون لكل عمل وسلوك يصدر من الإنسان في هذا العالم، تركيبتان: تركيبة شهودية وحدوثية في هذا العالم، وتركيبة غيبية و بقائية في ذلك العالم الذي

سيصل اليه الإنسان، حيث تعود عليه النتيجة حسنة كانت أو سيئة «يومئذ يصدر الناس اشتاتاً ليروا أعمالهم * فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره»

(الزلزلة: ٦-٨)

ان هذه النظرة ليست ذات قيمة فلسفية و عقائدية سامية فحسب، بل هي كذلك من الوجهة الإجتماعية، حيث انها السبيل الوحيد لحل التضاد بين المصالح الفردية والإجتماعية، ذلك انه على أساس من هذه المعرفة والنظرة الكونية نجد ـ أولاً ـ ان الأفراد يتحررون من سلطة الآلهة الوهمية ـ والأصنام هنا المادية والطبقية والصنفية والخرافية ـ وتنتفي كل الآلهة المصطنعة، وتنهار حاكمية أي مالك سوى الله المتعال، و ينجو المجتمع من بلية الغربة عن الذات على الصعيد الإقتصادي والإجتماعي ـ و ثانياً ـ علينا من خلال ذلك ان نحصل على النقطة المشتركة بين المنافع الفردية والعامة للمجتمع، حيث يجد الأفراد في اطارها ان منافعهم الشخصية تكمن في المنافع العامة، و يقدمون على تقديم المنافع العامة على منافعهم الخاصة لكي يضمنوا لأنفسهم منافع شخصية على المدى الطويل و بشكل أفضل ومضاعف. ولذا نجد القرآن الكريم يعبّر عن هذه الأنماط من التيار والإنفاق ـ وهي في الواقع بمعنى تقديم المنافع الإجتماعية للآخرين على بعض المنافع الشخصية للإنسان وفيها بالخصوص يكمن حل التناقض ـ يعبّر عنه بالتجارة والربح.

«يا أيّها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تُنجيكم من عذاب أليم * تؤمنونَ بالله ورسولِهِ وتُجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم»

(الصف: ١٠-١١)

«وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واقرضوا الله قرضاً حسناً»

(المزمل: ٢٠)

«ان تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم و يغفر لكم»

(التغابن: ١٧)

٢ـ الإنسان هو محور الارتباط بعالم الغيب، وهو صانع التاريخ:

يعد الإنسان في التصور الكوني القرآني: موجوداً مختاراً ليكون محور الإرتباط بين عالم الغيب وعالم الشهادة، وهو لوحده الحامل لثقل هذه الأمانة والمسؤولية، والبالغ لمقام الخلافة الإلهية الرفيع في هذا العالم.

«انا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الإنسان...»

(الأحزاب: ٧٢)

«واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة..»

(البقرة: ٣٠)

و يستفاد من هذه الآيات ان الله تعالى أطلق على النوع الإنساني، صفة خلافته، ذلك لأن الآيات تتحدث عن بدء خلق الإنسان، ولا تركز على خلفة شخص معين، والشاهد الآخر هو نوع فهم الملائكة، حيث وجهوا سؤالاً استنكارياً، وركّزوا على طينة هذا الإنسان وخصلته المادية، ورأوا ان عناصر هذا المخلوق الجديد تؤدي الى الفساد في الأرض، ولمّا لم يكونوا مطلعين على الوجه الآخر للعملة، وهو البعد المعنوي والطينة الإلهية الكامنة فيه والتي تقبل التربية والتكامل بهداية من رب العالمين ، فقد اعترضوا بذلك الإعتراض، وعندما قدّم آدم (ع) امتحانه الاول في قبال الملائكة، اعترفوا بجهلهم في رحاب الله، وأسفوا على سؤالهم غير الطبيعي، هذا السؤال وهذا التصور الإنكاري بنفسه، شاهد على ان النظر كان متوجهاً للنوع الإنساني، ذلك لانه لم يصدر سفك دم أو فساد من آدم ابي البشر نفسه وسوف لن

يصدر منه ذلك. على ان صفة سفك الدماء والفساد، مما تنسبان للجمع، ولا تناسب لهما مع الفرد، وعلى هذا يستفاد ان النوع الإنساني هو مورد العناية والكرامة الإلهية ـ في هذه الآيات ـ وعلة هذه الكرامة هي أيضاً تلك الفطرة والنفحة الإلهية التي أوجدت فيه، فمنحته الإلتزام والعقل والإختيار:

«فاذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين»

(الحجر: ٢٩)

«ولقد كرمنا بني آدم..»

(الاسراء: ٧٠)

ثم انشأناه خلقاً آخر، فتبارك الله أحسن الخالقين»

(المؤمنون: ١٤)

وعلى أساس هذا المعيار، تترتب في معرفة الإنسان، مواضيع لها أهميتها، نشير الى بعضها هنا:

(١) ـ وفقاً لهذا المعيار، يدرك الإنسان أصالته وفضله وشرفه على كل المخلوقات في عالم الطبيعة والوسائل المادية والإنتاجية، و يتسامى الى مقام الخلافة الإلهية المقدس الرفيع، و يعود موجوداً مجهزاً بالفطرة الواعية الساعية نحو الخفيفة الحائز على مقام الخلافة الإلهية من خلال إرادته واختياره الذي أهّله لذلك وهي أسمى وأرق فكرة انسانية لا نجد لها مثيلاً في أية مدرسة وخصوصاً في المذاهب المادية التي تهبط في معاييرها الإنسان عن مستوى الحيوانات وتصوغه وسائل الإنتاج أو العلاقات الإنتاجية.

(٢) ـ وعلى أساس هذا المعيار، تقوم كل العلاقات الإجتماعية الإنسانية على أساس عبوديته لله وكونه خليفة له، كما ان دور الخليفة لله هو دور عام لجميع الناس، فلا يوجد فيه أي تفضيل لأي شخص أو قوم أو شعب أو طبقة وفئة في مجالها، فجميعهم متساوون في هذا المقام ومتآخون، ولا يبقى في هذا الإطار إلاّ معيار واحد هو ملاك القيم والتفصيل وهو معيار التقوى والقرب الى الله والقيام بحق الخلافة له تعالى.

(٣) ـ كما انه على أساس من هذا المعيار، يعود الإنسان موجوداً متعهداً مسؤولاً، ذلك ان الخلافة والأمانة بنفسها تستلزم ان يقوم بمهمة اعمار الأرض من الوجهة الطبيعية والإجتماعية، وان يستفيد من كل القوى الطبيعية التي وضعها الله تحت تصرفه، وسخرها له في المسير الصحيح العادل، و يقيم المجتمع الصالح الذي يصل فيه الأفراد جميعاً الى مقام الخلافة الإلهية.

«هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها...»

(هود: ٦١)

ووفقاً لهذا المعيار، فإنَّ العمران في الأرض والخراب والإفساد والظلم فيها، كليهما ينشآن من الإنسان، لا من وسائل الإنتاج، فالإنسان هو الذي يصنع المجتمع ويحرك التاريخ.

«ظهر الفساد في البرّ والبحر بما كسبت أيدي الناس»

(الروم: ٤١)

(٤) ـ ان للإنسان جانبين أصيلين، جانب أرضي هو سر ميله للشهوات والماديات ووجه اشتراكه مع سائر الحيوانات، و جانب إلهي ومعنوي يتضمن الميول المتعالية نحو الكمالات الأخلاقية والقيم السامية، و به يتميز عن سائر الحيوانات.

«ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها»

(الشمس: ٧-٨)

وعلى أساس من المعيار المذكور، فإنَّ كل تناقض واختلاف اجتماعي انساني في المجتمع والتاريخ، يرجع الى التناقض الداخلي بين هذين الجانبين، فكل النزاعات والصراعات التاريخية والإجتماعية، تكمن في هذه النقطة، لا في وسائل الإنتاج. ان وسائل الإنتاج ما هي إلاّ آلات يصنعها الإنسان على أثر طاقاته الذاتية ليحصل من خلالها

على قدرة وامكان أكبر، فوسائل الانتاج يمكنها ان توفّر القدرة وتهيء الفرصة، اما الذي يصنعها والذي يستخدمها سلباً أو ايجاباً و يكون تجاهها أميناً أو خائناً، يصمد أو يتخاذل في قبالها، إنما هو الإنسان نفسه.

ولهذا؛ فانَّ سبيل حل هذه النزاعات أيضاً، يجب ان يبدأ من أعماق الأفراد، وما لم يحل النزاع بين قوتي الشهوة والعقل الكامنتين في أعماق الذات، فإنَّ أي حل ظاهري و خارجي سوف يبقى عقيماً و بلا قيمة، لذا نجد القرآن يقيم علاقة قوية بين اعماق الإنسان و ظاهره، ويجعل حركة الأفراد في المجتمع والتاريخ تابعة للحركة والتكامل الداخلي لهم:

«ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم»

(الرعد: ١١)

(٥) - في بعض الآيات، وعلى أساس من هذا المعيار، توجد اشارة لطيفة جداً الى العلاقة بين المذهب وإقامة الأحكام الإلهية العادلة، و بين عمران الطبيعة ونمو الإنتاج:

«ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون»

(الأعراف: ٩٦)

«ولو انهم أقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم...

(المائدة: ٦٦)

هذه الآيات وآيات كثيرة غيرها، تبيِّن بكل صراحة انه على مستوى عدالة العلاقة بين أفراد الإنسان وتطابقها مع المعايير الإلهية والأوامر السماوية، تكون انعكاساتها على الطبيعة والانتفاع بها، حيث يكون استخدامها أكثر انسجاماً، وعلى العكس من ذلك فإنه كلما كانت العلاقة الإجتماعية علاقات ظالمة بعيدة عن الفطرة والأهداف الإلهية السامية، كان المجتمع بالتالي في بؤس وانحطاط. وهذا الأمر تشهد له التجربة التاريخية الإنسانية، ذلك اننا نرى انه متى ما كانت الأساليب الفرعونية والطاغوتية هي المتسلطة على المجتمعات، فإنّها لم تترك أثراً سوى التفريط بقوى المجتمع وتمزيقها والتفرقة بين المجاميع والفئات، واهدار الإمكانات والثروات.

٣- الثروة والرفاه وسيلة للتكامل لاهدفاً:

«وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا»

(القصص: ٧٧)

«ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السماوات والأرض والله بما يعملون خبير»

(آل عمران: ١٨٠)

«فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون»

(التوبة: ٧٦)

«...وآتى المال على حبه ذوي القربىٰ واليتامىٰ والمساكين»

(البقرة: ١٧٧)

«المال والبنون زينة الحياة الدنيا..»

(الكهف: ٤٦)

وبمقتضى الآيات الآنفة وكثير من الآيات الشريفة الأُخرى، تعد الثروة والرفاه في ثقافة القرآن مجرد وسيلة باتجاه التكامل الإنساني ووصوله الى الأهداف العليا والمقدسة التي خُلق لأجلها، ولم ينظر اليها كهدف مطلقاً، ولا تستحق ذلك، فالقرآن يرى ان ما يشكل هدفاً لخلق هذا العالم هو العبادة والتقرب الى الله والتي يتم من خلال تربية الرو

الإنسانية وتنمية الإستعدادت والقدرات الفطرية المعنوية والأخلاقية في الإنسان:

«وما خلقت الجن والإنس الا ليعبدون»

(الذاريات: ٥٦)

والعبادة التي طرحت كهدف للخلقة، ليست خصوص الصلاة والصوم، وإنما هي تمتلك مراحل ومصاديق مختلفة يمكنها بالمعنى الجامع ان تستوعب كل النشاطات الإنسانية في هذا العالم.

إلاّ انه وفي نفس الوقت الذي تعد فيه الدنيا من وجهة نظر القرآن، مقدمة للآخرة لذا فإنّ التعلق بها والوقوع في أسر الثروة والمال يعد نقطة انهيار وانحطاط انساني، ولمّا كان الإنسان خلق في هذا العالم وعبر سعيه في هذا العالم، يجب ان ينمو ويتجه نحو أهدافه النهائية السامية، فإنّ الاقتصاد والرفاه من الضروريات له، ذلك ان الإنسان الذي يحاول ان يجعل هذه الدنيا ميدان نشاطه يحتاج الى الغذاء والمسكن واللباس، فله غرائز وميول مختلفة ميول مادية واجتماعية، وحاجات مختلفة يجب ان يستجيب لها بحد معتدل.

ومن هنا نجد الإسلام في نفس الوقت الذي يذم الدنيا والمال والثروة و يعتبرها خاوية ولهواً ولعباً وخيالاً وغفلةً، لا يدعو الى الرهبانية والكهنوت، بل و يعتبرها حراماً يخالف الفطرة ومن البدعة:

«... ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلاّ ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها...»

(الحديد: ٢٧)

وفي القرآن آيات كثيرة تشير الى النعم الدنيوية، وتعتبرها من فضل الله ورحمته بعباده:

«...ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم..»

(النور: ٣٢)

«هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً..»

(البقرة: ٢٩)

«ألم تروا أن الله سخّر لكم ما في السماوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة و باطنة»

(لقمان: ٢٠)

«والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون»

(النحل: ٥)

«والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم...»

(النحل: ٨٠)

«والله جعل لكم من بيوتكم سكناً»

(النحل: ٨٠)

«والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم..»

(النحل: ٨١)

«وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه إلاّ بشق الأنفس»

(النحل: ٧)

«الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون، ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون».

(غافر: ٧٩-٨٠)

«ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون»

(النحل: ٦)

كما نجد القرآن الكريم يدفع الإنسان للعمل في المصادر الأولية في الطبيعة واستثمارها، وهو أمر يستفاد من الآيات الماضية وآيات أُخرى.

«الله الذي سخّر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله..»

(الجاثية: ١٢)

«هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه»

(الملك: ١٥)

وعلى أساس من هذا التصور، فإنَّ الأفراد سوف ينشأون ساعين نحو المال، ولكن لا لأجلهم هم، بل لأجل الوصول الى الأهداف الخالدة في ذلك العالم والتي يتم الحصول عليها من خلال الإنفاق والإعانة للآخرين والتعاون وايثار المنافع العامة على المنافع الشخصية. و بهذا يتم توازن طبيعي وذاتي بين تأمين المنافع الشخصية وتأمين المنافع الاجتماعية واقامة العدالة والتوازن في المجتمع.

وهذا هو التعادل الطبيعي الصحيح، لا ذلك الذي ذكره «آدم سميث» الاقتصادي المعروف في مجال توجيهه للإقتصاد الحر، و انه على أساس من الحرية الإقتصادية يسعى الأفراد لتأمين منافعهم و أرباحهم الشخصية، و بالتالي فإنَّ ذلك يؤمِّن المنافع الإجتماعية بذاته.

ذلك ان هذه الحرية الإقتصادية مع وجود مبدأ طلب المنفعة، وبملاحظة التصور المادي والدنيوي عن المال والثروة، هو بنفسه يشكل مجالاً لحصول التضاد بين المنافع الفردية والإجتماعية، ويحرّك الأفراد نحو الضمان الأكثر لمنافعهم وأرباحهم، حتى ولو كان ذلك على حساب منافع الآخرين و بأسلوب الإستثمار والضغط. والتاريخ القديم والمعاصر للرأسمالية، خير شاهد ودليل على هذا الأمر.

وطبيعي انه يجب الإلتفات الى ان القرآن والإسلام لا يكتفي ـ في مجال ايجاد التوازن الإساسي والذي يعد انعدامه أصل المشكلة الإنسانية ـ لا يكتفي بهذا المعيار والمعايير الأخلاقية والعقائدية الأُخرى، وإنَّما عمل على تأمينه في الأحكام الحقوقية والإقتصادية التي وضعها.

فإنَّ مفاد هذه الآية أن كل ما تحتاجه البشرية بطبعها وخلقها، قد وفره الله تعالى في الطبيعة، بل ان ظاهر هذه الآيات هو ان ما تحتاجه في المستقبل قد وفر في عالم الخلقة، ذلك ان العالم من وجهة النظر القرآنية ذو نظام موزون متعادل، وقد توفَّرت كل الظروف الملائمة لحياة الإنسان وحركته وهو المحور الأصلي لعالم الخلقة ـ واعدت له من قبل.

ولهذا يمكن القول بأنَّ القرآن يقول بأصل (التوفر المادي)، بدلاً من مبدأ العجز الطبيعي، وانَّ هناك توازناً طبيعياً بين ما يحتاجه الإنسان والمصادر والنعم الطبيعية المودعة.

اما اذا لاحظنا في بعض المجتمعات أو المقاطع التاريخية، أفراداً يواجهون عجزاً ومشكلات ومصاعب اقتصادية، فهذا في الحقيقة لم ينشأ من قلة المصادر الطبيعية، وإنما ينشأ من ظلم الناس و كفران النعمة الإلهية والتمرد على الأوامر الربانية، وهذا ما يشير اليه المقطع الأخير من الآية: «ان الانسان لظلوم كفار».

وكون الإنسان (ظلوماً) في هذه الآية كناية عن ظلم الإنسان في التوزيع العادل، وكونه (كفاراً) كناية عن التبذير بالنعم، والإستفادة الخاطئة منها خلافاً للأوامر الإلهية.

٤ـ الملكية الحقيقية لله:

ومن معايير المذهب الإقتصادي الاسلامي، مبدأ الملكية الحقيقية لله، والذي عبَّر عنه البعض بـ (ملكية الله)، ومن الطبيعي ان نلاحظ ان المراد من هذه الملكية، ليس معناها الحقوقي، أي الملكية الإعتبارية والقانونية، بل المقصود هو الملكية الحقيقية والفلسفية التي هي عبارة عن الخالقية والإحاطة والسلطنة الحقيقية للمالك على المملوك وهذا المعنى من الملكية إنَّما يصدق في المجال الإلهي بالنسبة لعالم الوجود وهي المرتبة الأعلى والأكمل للملكية، والقرآن يؤكد كثيراً على هذا المعنى من الملكية الإلهية، فيقول:

«ولله ما في السماوات وما في الأرض»
(النجم: ٣١)
«وآتوهم من مال الله الذي آتاكم..»
(النور: ٣٣)
ان المسلم في ظل هذا المعيار مهما حصل على
كانات و ثروات على اثر سعيه وكده، ولنفرض ان
لك كان بالأساليب المشروعة العادلة، فإنَّ ماله يبقى
مال الله) ومتعلقاً ـ بالأصل ـ بالله، وقد وضع تحت
صرفه. وهو ـ في الأصل ـ يملك جانب الوكالة
النيابة، لا جانب الأصالة والمالكية المطلقة:

ـ مبدأ التوفر المادي:

«الله الذي خلق السماوات والأرض وأنزل من
سماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخّر
كم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخّر لكم الأنهار
سخّر لكم الشمس والقمر دائبين وسخّر لكم الليل
النهار، وآتاكم من كل ما سألتموه، وان تعدوا نعمة
لله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار»

(ابراهيم: ٣٢-٣٤)

يوجد في الإقتصاد، أصل يسمى بأصل التوفر
لمادي، و يقتضي ان المواد وما يحتاجه الإنسان من
طبيعة محدود، في حين ان متطلباته و احتياجاته غير
محدوده.

وقد جرَّ هذا الأصل بالتدريج بعض
الاقتصاديين الى التشاؤم والقلق على مستقبل
الانسانية، وجعلهم يؤمنون بأنَّ البشر في المستقبل
القريب سوف يواجه بقلة المواد المطلوبة و خصوصاً
، مجال الغذاء، حيث انه على اثر كثرة المجموعات
بشرية المتراكمة وقلّة المواد الغذائية سيصاب الناس
القحط والمجاعة، الأمر الذي يدعونا الى التفكر به،
محاولة الوصول الى سبيل للخلاص ، ومنع هذا النمو
سريع في معدلات الولادة والتكاثر.

و يقف «مالتوس» على رأس هذه المجموعة حيث
عرف اتباعه باسم «الاقتصاديين المتشائمين».

اما في التصور الاسلامي فلا مجال للإذعان بهذا
العجز الطبيعي بالمعنى المذكور، بل يستفاد من الآية
السالفة وآيات أخرى ان الله تعالى وفّر المصادر
الطبيعية التي يحتاجها الإنسان أكثر مما يحتاجه:

«وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها» (ابراهيم: ٣٤)

وهي تدل بصراحة على ان الله تعالى وفّر نعماً لا
تقبل الحصر والاحصاء للإنسان، وان كل ما يحتاجه
الإنسان من نعم وفّر له في الطبيعة.

والتعبير بالسؤال في هذه الآية يراد به الحاجة
والطلب الطبيعي، لا الطلب والدعاء، لأنَّ هذا
التعبير جاء في سياق ذكر النعم الإلهية التي خلقت
جميعاً في الطبيعة لصالح الإنسان. وجملة:

«وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها..»
أيضاً والتي تتلو التعبير السابق، شاهدة على هذا
المعنى... وعلى هذا.

«... وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه..»
(الحديد: ٧)

«هو الذي جعلكم خلائف في الأرض..»
(فاطر: ٣٩)

«ورفع بعضكم فوق بعض درجات
ليبلوكم..»
(الأنعام: ١٦٥)

ان هذا المعيار بالإضافة لتضمنه قيمة فلسفية
صحيحة سامية، له دور عظيم في المنع من الطغيان
النفسي لمالكي الثروات، و تعلقهم الشديد بالمال
والذخيرة وطلب الربح والإستغلال، وسوف لن
تشكل الثروة والإمكانات المادية لديهم معياراً
لشخصية الإنسان، وإنما تقيّم شخصيته باعتبار قربه
من الله وتكامله المعنوي، اما الإدخار والإمكانات
الحياتية فلن تصوغ له شخصية:

«وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلاّ من آمن وعمل صالحاً...»

(سبأ: ٣٧)

وهكذا نجد عموما انه على أساس هذا المعيار، تعود الثروة والمال والإمكانات والحياة الدنيا كلها ميداناً للبلاء والإمتحان الإنساني، والإنسان المسلم هو من يؤدي امتحانه جيداً لئلا يحصل على النتيجة السلبية.

ومن وجهة النظر الحقوقية، فإنَّ هذا المعيار له آثار دقيقة، ذلك ان المستفاد من هذه الآيات هو ان الله ـ وهو المالك الحقيقي لثروات العالم ـ قد جعلها جميعاً لجميع الناس، ليستفيدوا منها بالسبل الصحيحة، دون ان يخصها بأفراد معينين، لا يحصل أي تغيير أو تبديل في مالكيتهم هذه. و اذا كان هناك نوع من التخصيص لبعض الأموال بأشخاص معينين، فإنَّ ذلك أيضاً بإذن منه تعالى وفي إطار الحدود والمقررات.

والأصل الذي يجب ان يلحظ في البين، وتستفاد منه القوانين الفرعية والجزئية، هو ما أشرنا اليه من ان مجموع الثروات الإجتماعية هي في الأصل تتعلق بكل المجتمع، وان المصالح الخاصة للأفراد إنّما تراعى وتحترم في اطار المصالح العامة للمجتمع، فإذا تمّ تعارض بين المصالح الفردية والإجتماعية، فإنَّ الأخيرة بلاريب هي المقدمة، ومن الممكن ان يكون الشاهد على هذه المسألة الحقوقية هو الآية الشريفة:

«ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً..»

(النساء: ٥)

ذلك ان هذه الآية تضيف أموال القاصرين الى المجتمع، وهذه كناية عن أنَّ الأموال في الأصل تتعلق بكل الناس، ولا يمكن ان يكون اختصاصها بأشخاص مؤدياً ـ اثر قصورهم ـ الى فناء حو المجتمع، بحيث لا يمكن لأولئك ولا للآخرين الإستفادة منها.

٦ـ ضرورة التنسيق مع الفطرة:

«فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فط الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين الق ولكن أكثر الناس لا يعلمون»

(الروم: ٣٠

«نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدن ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون»

(الزخرف: ٣٢

و يستفاد من هذه الآيات:

أولاً: ان أي نظام اجتماعي يجب ان ينسجم مع الفطرة، وإلاّ فستواجهه المشكلات و يعتوره التغي والنزاع والصراعات، و بالتالي سوف يدخل البشري في عالم الضياع والأزمات.

ثانياً: ان المذهب الإسلامي، يشتمل على نظ منسجمة مع الفطرة الإنسانية، ذلك لأنَّ هذه النظ شرَّعها خالق الإنسان المطلع على خلقته وفطرته فهي بلاريب منسجمة معها ووفقاً لحاجته واستعدادها وأهداف خلقتها.

ثالثاً: يستفاد من الآية الثانية؛ ان أص التفاوت بين الأفراد في الإمكانات والدخل واحتيا بعضهم لبعض، أمر فطري وضروري، بدونه يستطيع أن يقوم أي مجتمع انساني على سوقه.

وفي آية اخرى يقول:

«والله فضل بعضكم على بعض في الرزق الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمان فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون».

(النحل: ١

«ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى».

(النور: ٢٢)

إلاّ ان هذا التفاوت وهو ضرورة طبيعية، يجب ان لا يعتبر - مطلقاً - معياراً للتفاضل في الشخصية والحقوق والأختيارات والإمتيازات لدى الأفراد بالنسبة لبعضهم البعض، انه لن يكون - في ظل المعايير السابقة - منشأ لحدوث الطبقات المختلفة والصراع بينهما، أو تمركز الثروة والمشكلات الإقتصادية الأخرى.

٧ - العدالة الإجتماعية والتوازن:

«... كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم..»

(الحشر: ٧)

هذه الآية الشريفة الواردة في ذيل آية الفيء، تجعل علة توزيع بعض الغنائم على الفقراء والمساكين هي عدم تمركز الثروة بفئة - من الأغنياء في المجتمع، وهي في الحقيقة توضح هدفاً أصيلاً اقتصادياً سامياً.

ذلك ان الإسلام في نفس الوقت الذي يقبل فيه الإختلاف بين الأفراد من حيث الرزق والدخل، و يعتبرها أمراً طبيعياً، بل ضرورياً، و يعتبر منبعها اختلاف الأفراد في الطاقات والإستعدادات الذاتية والظروف الخارجية، فهو يقف بوجه تمركز الثروة وتداولها بيد مجموعة معدودة من الأغنياء، ذلك لان هذا يؤدي الى اختلال التوازن وايجاد الفواصل الكبيرة بين فئة الأغنياء والفئات الاجتماعية الأخرى، مما يخل بالعدالة الإجتماعية، و يتسلل من خلاله الفقر والحرمان بالتدريج الى المجتمع، و يقوده بالتالي الى الضياع.

والحقيقة هي ان ما يستفاد من هذه الآية الشريفة وبعض الآيات الأخرى، ليس تساوي الأفراد في الملكية والدخل، ذلك لأنّ آيات أخرى قد دلّت بصراحة على قبول أصل الإختلاف والتفاوت بين الأفراد في المجتمع الى الحد الذي اعتبر ضرورة اجتماعية. وانما المقصود من هذه الآية هو نفي تمركز الثروة وتداولها بين الأغنياء فقط، وهو في الحقيقة معيار لتشخيص مدى عدم سلامة المجتمع الذي يمتلك مثل هذا الوضع الإقتصادي.

ولمّا كانت هذه الآية الشريفة قد جاءت في مقام التعليل، فهي تدل على ان هذا المعيار، هدف اصيل يلزم اتباعه، حيث تكلّف الدولة الإسلامية في الموارد التي تشخص فيها ان استفادة الأفراد من الإمكانات والفرص المتاحة في القطاع الخاص سوف يؤدي الى التفريط بهذا الهدف - أي التوازن الإجتماعي - ان تقوم بالمنع من ذلك، كما تلحظ هذا المبدأ دائماً في سياساتها الإقتصادية وتخطيطها للمستقبل.

وطبيعي ان الآية الشريفة، لم تضع تعريفاً واحداً للتوازن، إلاّ انه من المنع من تداول الثروة بين الأغنياء فقط يستفاد ان ما يرمي اليه القرآن الكريم هو المنع من تمركز الثروات والأموال في قطاع خاص وطبقة معينة، بل يجب توزيعها بين العموم مع مقدار من الإختلاف والتفاوت، وهذا ما يمكنه ان يكون أفضل تعريف للتوازن في الإقتصاد الإسلامي.

٨ - الاستقلال وعدم التبعية:

ومن الأهداف الأساسية الأُخرى للإقتصاد الإسلامي، هو الاستقلال وعدم التبعية للكفّار والأعداء. وقد ورد مبدأ الإستقلال وعدم التبعية، بل وأفضلية المجتمع الإسلامي على المجتمعات الأخرى غير الإسلامية، في آيات كثيرة من القرآن الكريم، من جلتها:

«فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون،

والله معكم ولن يتركم أعمالكم»

(محمد: ٣٥)﴾

«محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود، ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل، كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً».

(الفتح: ٢٩)

«ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا»

(النساء: ١٤١)

«يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء»

(الممتحنة: ١)

«وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوالله وعدوكم»

(الانفال: ٦٠)

«الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإنَّ العزة لله جميعاً»

(النساء: ١٣٩)

«ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين»

(المنافقون: ٨)

ومع ان هذه الآيات جاءت في موارد ومناسبات متعددة، لكنها و بشكل عام تشير الى موضوع مشترك الا وهو ان المجتمع الإسلامي هو مجتمع إلهي يتمتع في داخله بالقوة والقدرة والإنسجام والروابط الإجتماعية العادلة والمتواضعة، غير انه قياساً الى الخارج يتمتع بالإستقلال والأفضلية، والعزة، والتعامل بشدةمع الأعداء، وعدم الإستسلام لهم مطلقاً، بل وعدم التعاطف معهم أو الإرتباط بهم.

وهذه الصفة في هذه الآيات والآيات الكثيرة الأُخرى وإنْ لم تخص المسائل الإقتصادية، لكنها تشمل في الوقت نفسه، الجانب الإقتصادي للمجتمع الإسلامي والذي يعتبر من أهم الجوانب، بل وأساساً للمجتمع. ويمكن القول ان انعدام الإستقلال والإرتباط بالكفار، يجعلان المجتمع الإسلامي يفقد استقلاله من كافة الجوانب، ويخضع لسلطة الكفار السياسية والثقافية. ولذلكفإنَّ تحقيق هذا الهدف العظيم والخطير الذي يؤكد عليه القرآن بشدة يتوقف على الإستقلال وعدم التبعية الإقتصادية. وان أي تسامح وتقاعس في هذا الأمر، يشكل ـ لامحالة ـ خطراً جدّياً على استقلال المجتمع الإسلامي في مختلف الأبعاد.

الفصل الثاني

نوع الملكية في النظام الاقتصادي

رغم ان القرآن الكريم لايبيِّن في الوهلة الأُولى، أصل الملكية، وأنواعها الحقوقية في المذهب الإقتصادي الإسلامي، إلاَّ اننا نستطيع ان نفهم من مجموع الآيات الكثيرة، أصل تعدد الملكية، أي الملكية الخاصَّة، والملكية العامة. ومن جلة تلكالآيات:

١ـ **«وهو الذي أنشأ جنَّات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفاً اكله والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده»**

(الأنعام: ١٤١)

فبعد ان يشير سبحانه و تعالى في هذه الآية الى النعم التي أنعمها على عباده في المجال الزراعي، فإنه يدعو للانفاق واعطاء حق الله الذي هو الحق العام، ومايبقى يكون من اختصاص المالكنفسه. وهذا يدل على الملكية الخاصة لتلكالأشجار والأراضي الزراعية بعد اعطاء الحقوق الشرعية. و يتمثل مورد من موارد الملكية الخاصة بالعوامل الإنتاجية.

٢ـ **«واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما**

جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا * كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً وفجرنا خلالهما نهرا * وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً * ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظنُّ أن تبيد هذه أبداً * وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لأجدنَّ خيراً منها منقلباً * قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سوّاك رجلاً * لكنّا هو الله ربي ولا اشرك بربي أحداً * ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ان تَرَنِ أنا اقل منك مالاً وولداً * فعسى ربي أن يؤتين خيراً من جنتك ويرسل عليها حسباناً من السماء فتصبح صعيداً زلقاً»

(الكهف: ٣٢-٤٠)

يضرب الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات مثلاً للناس، إذ يقول ان الناس حين يَصِلُون الى النعم، وتوضع تحت اختيارهم الأشجار والثمار، فإنهم يغفلون عن الله، متصورين انهم هم الذين خلقوا تلك الأشياء! و بذلك يكفرون بالله و يتكبرون على الآخرين و ينسون الحقائق. و يشير القرآن في هذه الآيات الى حوار بين شخص أنعم الله عليه بالشجر والثمر، ولكنه لم يعد يعي واقعه نتيجة لهذه النعمة الإلهية، ونسي خالقه، و بين شخص آخر مؤمن بالله.... وكيف يتصور ذلك المالك ان أمواله خالدة، وكيف انه يتكبر على ذلك الرجل الفقير، وكيف ان الرجل الفقير يجيب على ادعاءات المالك بأدب وايمان، ويحدد نقاط ضعفه.

وهذه القصة وان جاءت كمثل، لكنها تدلُّ على أصل الملكية الخاصة للأشجار، حيث أن هذه الأمثال جاءت درساً للمسلمين، وظاهر الآية ان امتلاك الأشجار هو في حد نفسه يخلو من الإشكال، لكن الذي يُستشكل عليه هو كفران النعمة والإبتعاد عن الله وتعاليمه.

٣- «يا أبت استأجره انّ خير من استأجرت القوي الأمين»

(القصص: ٢٦)

هذه الآية وردت بخصوص تأجير الإنسان مقابل الأجور، أو بخصوص العلاقة بين العامل ورئيسه.

ورغم ان الآية تتحدث عن أمر وقع بين موسى و شعيب (عليهما السلام)، إلاّ ان اشارة القرآن الى هذه المسائل التي تتضمن معايير حقوقية، إنّما تدل على قبول تلك المعايير، شريطة عدم وجود قرينة على اختصاص تلك المعايير بالأُمم والأديان السابقة. ولذلك يستنبط من هذه الآية انها تتحدث في الجملة عن أصل قبول العلاقة الحقوقية بين المالك والأجير.

والملاحظة الأخرى المذكورة في الآيات الآنفة وكثير من الآيات الأخرى التي تدل كل واحدة منها على الملكية الخاصة، هي ان هذه الآيات تتحدث عن الملكية الخاصة وعوامل الإنتاج التي تشكل أهم نقاط الإختلاف في وجهات النظر الأساسية بين المذاهب الإقتصادية، وهي بالتالي من أهم أُسس نظام اقتصادي ما.

ولا ننسى هنا بأنَّ هذه الآيات، تبيِّن في الجملة أصل الملكية الخاصة فقط، وليس الملكية المطلقة، إذ انها - وكما قلنا مسبقاً - ليست بصدد بيان أبعاد الملكية الخاصة، لنستنتج منها قاعدة كلية. ولكي نتعرف على أبعاد الملكية الخاصة وأسبابها وحدودها، علينا ان نراجع المصادر الفقهية الأُخرى، أو بالأحرى الأحاديث والروايات المعتبرة.

وتوجد الى جانب الآيات المذكورة، آيات أُخرى تدل في موارد متعددة على نوع الملكية الثانية، و بعبارة أُخرى الملكية العامة، من جملتها:

١- «يسألونك عن الانفال، قل الأنفال لله والرّسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين»

(الأنفال: ١)

«الأنفال» جمع «نفل» وتعني «الزيادة» بالمفهوم العام للكلمة. لكنها جاءت هنا بمعنى الأموال والثروات الفائضة عن حاجة الناس.

وهذه الآية نزلت على الرسول الأكرم (ص) بعد معركة بدر. و يستفاد من ظاهر الآية انه بعد انتصار المسلمين على الكفار في معركة بدر، والاستيلاء على غنائم الكفار، ظهرت اختلافات في وجهات نظر المسلمين ازاء تلك الغنائم، حيث كانوا يتساءلون عن الجهة التي يحق لها التصرف بتلك الغنائم. ويحتمل ان وقع صراع بينهم حول تلك الغنائم. هذا ما نفهمه من ذيل الآية **«وأصلحوا ذات بينكم»**. ومن هنا حدّد سبحانه وتعالى في هذه الآية نوع ملكية الأنفال، حيث يؤكد ان الأنفال لله والرسول، وعلى المسلمين ان يطيعوا أمر الله ورسوله.

وتكمن في الآية الشريفة من الناحيتين الحقوقية والفقهية، ملاحظات قيّمة ومهمة:

١- مثلما قلنا، فإنّ المراد من **«النفل»** هو (الزيادة)، ولكن المراد من هذه الكلمة في الآية هو الغنائم التي استولى عليها المسلمون في معركة بدر، حيث انها كانت تعود للكفار، ولكن المسلمين استولوا عليها خلال الحرب بعد ان دحروا الكفار. إذن فإنّ تلك الغنائم كانت زائدة، وتمّ التعبير عنها بالأنفال.

وهذا لا يعني بأنّ المراد من الأنفال في الآية الشريفة هو الغنائم الحربية فقط، اذ ان الغنائم هي بحد ذاتها مورد من موارد الأنفال، وان الأنفال تشمل بشكل تام؛ الأموال، والمصادر الأولية، التي لم توضع لحد الآن تحت اختيار أي شخص، بالضبط مثلما جاء في الروايات المعتبرة الواردة في خصوص تفسير هذه الآية.

٢- قيل ان الأنفال لو كانت تشمل الغنائم، وتعود لله والرسول بحكم هذه الآية، فلا معنى حينئذ لخمس الغنائم في آية **«واعلموا انما غنمتم من شيء فإنّ للهِ خمسه وللرسول»**، ذلك ان ظاهر الآية هو ان أربعة أخماس الغنائم هي أموال شخصية، وان خمساً منها تعود لله وللرسول، في حين ان آية الأنفال تنص على ان جميع الغنائم يجب ان تكون من اختصاص الله ورسوله. و بذلك يظهر تناقض بين هاتين الآيتين الشريفتين.

ونرد على هذا الإشكال بالقول انه لايوجد أي تناقض بين هاتين الآيتين، ذلك ان سورة الأنفال تنص على ان الغنائم الزائدة والمكتسبة عن طريق الحرب مع الكفار، هي من اختصاص الله ورسوله، وان تقسيمها يتم بموافقة رسول الله (ص). فاذا سمح فإنّ المسلمين يستطيعون ان يأخذوا لهم شيئاً من تلك الغنائم، على ان يدفعوا خمس ماحصلوا عليه من الغنائم الى رسول الله (ص). وهذا الأمر ورد أيضاً في بعض رواياتنا عن أهل البيت (ع). كما جاء حول آية الانفال بأنّ الخلافات بين المسلمين ظهرت حين شجّع الرسول الأكرم (ص) المسلمين وخاصة الشباب منهم خلال معركة بدر مؤكداً لهم بأنّ من يقتل عدداً معيناً من الكفّار والمشركين، فإنّ جزءاً من الغنائم يوضع تحت اختياره للتصرف به. وهذا الأمر دفع بالرسول (ص) لكي يقسّم الغنائم بين المهاجرين، ولذلك لم يبق شيئاً من الغنائم للأشخاص الذين كانوا يتواجدون في الخطوط الخلفية من الجبهة ولم يؤمروا بخوض المعارك، بل كانوا يحرسون النبي (ص). و بذلك قالوا للرسول (ص) انهم كانوا مستعدين للقتال ومن حقهم الإستفادة من الغنائم. ومن هنا جرت مناقشات بين البعض، ثم نزلت سورة

الأنفال وهي تدعو لإطاعة الرسول، ووضحت لهؤلاء بأن تلك الغنائم هي - في الأصل - «أنفال» ناتجة عن هدف الحرب، وان مثل هذه الأموال تعود لله ولرسوله.

ولذا فإنّ ملكية رسول الله لمجموع الأنفال بما فيه الغنائم، لا تتناقض مع الملكية الخاصة للغنائم في حالة موافقة الرسول (ص) وتعيينه سهم كل شخص.

٣- والمراد من «اللام» في «**لله والرسول**» هو الملكية الاعتبارية (الحقوقية) وليس الحقيقية (الفلسفية) بقرينة انعطاف «رسول الله» على «الله». وان السؤال كان يدور حول الملكية الاعتبارية والحقوقية للغنائم.

واستناداً الى ان المراد من اللام في الآية هو الملكية الاعتبارية والحقوقية، فإننا نفهم من ظاهر الآية بأنّ الأنفال تتواجد ضمن ملكية الحكومة الإسلامية، بعبارة أُخرى ملكية ولي الأمر والقائد، ذلك ان الملكية الإعتبارية لله لن تكون ذات معنى فيما لولم نأخذ بنظر الإعتبار حاكميته الحقوقية. واما ما يكون معقولاً ومناسباً في هذا السياق فيتمثل بالملكية الإعتبارية لمقام القيادة وولاية الأمر التي هي في الأصل لله، ومن ثم لأي شخص يُعيّنُ أو يُنْصبُ من قبله تعالى:

«قال اني جاعلك للناس إماماً»

(البقرة: ١٢٤)

وبذلك فإنّ هذه الآية الشريفة تمثل أكبر سند فقهي على النوع الثاني من الملكية، أي ملكية الدولة الإسلامية لجميع المصادر الطبيعية قبل ان توضع بشكل مشروع تحت اختيار أي كان. وهذا هو أصل أساسي وهام يستطيع ولي الأمر استناداً اليه ان يتصرف وفق سياسة سليمة بجميع المصادر الطبيعية خدمة لأهداف الإقتصاد الإسلامي، و يقوم بالحيلولة دون تمركز الثروة أو اختلاسها من قبل الأفراد. وهذه المسألة تعتبر أكبر صلاحية تفوّضُ الى ولي الأمر والدولة الإسلامية من الناحية الحقوقية.

٣- **«وما أفاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير * ماأفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم...»**

(الحشر: ٦-٧)

وهاتان الآيتان تتحدثان بدورهما عن الغنائم التي يحصل عليها المسلمون من الكفار دون وقوع حرب أو اراقة الدماء، و يعبّر عنها القرآن بـ (**الفيء**) أي الأموال المُعادة. وهذه الكلمة هي كناية للأموال الموجودة بيد الكفار، والتي هي في الأصل تعود لله والرسول والمؤمنين، أي انها لم تُخصص للكفار والطواغيت.

والآية الأولى تتحدث في الظاهر مثل الآية التي تتطرق الى الأنفال عن ملكية مقام قائد المجتمع الإسلامي، أي ان مقام الإمامة له ملكية جميع الأموال والثروات التي تقع بيد المسلمين من دون حروب أو اراقة الدماء. ورغم انها نزلت على الرسول الأكرم (ص) بخصوص الغنائم التي تم الحصول عليها من اليهود الذين كانوا يسكنون في ضواحي المدينة، لكنها في نفس الوقت لاتختص بهذا المورد فقط، بل تشمل جميع أموال وثروات المجتمعات غير الإسلامية التي من الممكن ان تقع بيد المسلمين، ذلك ان مورد الآية ليس مخصصاً لإطلاقه، بل ان ذيل آية «**فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب**» له ظهور في التعليل ويمكن استنباط قاعدة كلية منه بحيث نقول ان الأموال والثروات التي لايتم الحصول عليها عن طريق السعي والعمل، تعود في

الأصل الى الله ورسوله، أي انها خاصة بمقام الإمامة والقيادة. و بذلك يتطابق هذا المعنى مع ماورد في الآية التي تتحدث عن الأنفال والتي تنص على ان جميع الثروات الطبيعية التي لم يتم الحصول عليها بواسطة العمل والسعي الفردي، هي من اختصاص الدولة الإسلامية، تتصرف بها وفق المصلحة الإسلامية.

اما الآية الثانية وضمن تعيينها لملكية الفيء، تقوم بتحديد الموارد التي تصرف فيها مثل هذه الأموال. وطبيعي ان الدولة الإسلامية هي التي تتكفل بها.

و يستفاد من هذه الآية الشريفة بأنَّ مكافحة الفقر، وتلبية حاجات أفراد المجتمع، وأيضاً الحيلولة دون تمركز الثروة، وايجاد التعادل... كل تلك الأشياء تشكل أحد الأهداف المهمة للإقتصاد الإسلامي مما يتطلب على الدولة الإسلامية السعي لتحقيقه، اذ انها مكلفة للسير في هذا الإتجاه من خلال الإمكانات الموضوعة تحت اختيارها. وهذا ما أشرنا اليه مسبقاً.

ونفهم من مجموع ما دار في هذا الجزء من البحث بأنَّ النظام الإقتصادي الإسلامي إستناداً الى وجهة نظر القرآن الكريم يقبل - في الجملة - الملكية الخاصة وحتى في عوالم الإنتاج، وان الجزء الأعظم من ثروات المجتمع يعد من ضمن الملكية العامة و يقع تحت اختيار الدولة الإسلامية، بل ان جميع المصادر الطبيعية والأموال التي لايتم الحصول عليها بالسعي والعمل أو الأموال التي ليس لها مالك تكون من اختصاص الدولة الإسلامية التي يجب عليها ان تستخدم تلك الأموال لتحقيق الأهداف التي يرمي اليها الإسلام وعلى رأسها مكافحة الفقر وايجاد التعادل في المجتمع. و بذلك فإنَّ الملكية في الإقتصاد الإسلامي لا تشبه لا الملكية الخاصة ولا الملكية العامة، بل انها كانت منذ البداية ملكية مزدوجة وعلى مرحلتين. وهذا ما يبيِّن لنا أصالة النظام الإقتصادي الاسلامي قياساً الى النظامين الرأسمالي والإشتراكي.

و يتَّضح لنا من خلال هذا البحث انه يجب عدم تشبيه النظام الإقتصادي الإسلامي بأي من النظامين المذكورين، لأنَّ وجود بعض التشابهات ليس دليلاً على تشابه النظام الإقتصادي الإسلامي مع النظامين المذكورين.

الفصل الثالث

الحرية الإقتصادية

ان الحرية الإقتصادية لها مكانها في مجموع النظام الإقتصادي الإسلامي، اذ ان الإسلام يعير أهمية خاصة للحرية، ثم ان أحد الإمتيازات الأساسية للإنسان على سائر الموجودات الأُخرى هو انه موجود حر الإرادة، يستطيع ان ينتخب طريقه الصحيح بنفسه. وهذه الحرية تشمل حتى الحرية الإقتصادية والحرية الحقوقية. ولذا فإنَّ العقيدة الإسلامية تنظر الى أصل الحرية الحقوقية على انه حق أساسي. يقول الإمام علي(ع) بهذا الصدد:

«لا تكن عبداً لغيرك وقد خلقك الله حراً»

واستناداً الى هذه النظرة الإسلامية، فإنَّ الأفراد يتمتعون بنوع من الحرية الإقتصادية في مجال الإقتصاد والعلاقات الإقتصادية ليتمكنوا على ضوء هذا المبدأ القيِّم من التحرك بكل حرية واختيار نحو الأهداف السامية، ذلك ان تحقيق الإنسان لأهدافه النهائية والمتمثلة بالكمال وقربه من الله لايتم مالم يكن الإنسان حر الإرادة، حيث ان سلب الحرية منه و تحديد جميع علاقاته وروابطه كما يفعل الإقتصاد القائم على الأُسس الماركسية، يجعلان من الإنسان آلة.

طبيعي ان هذا الحق الأصيل، أو بعبارة أُخرى الحرية الإقتصادية في الإسلام، لا تعني الفوضى واللامبالاة، فإلى جانب الحرية الإقتصادية التي تُمنح للأفراد، توجد قوانين وحقوق لحفظ وحراسة المصالح العامة.

وهنا نورد بعض الآيات القرآنية التي تشير الى الحرية الإقتصادية:

١ـ «فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله»
(الجمعة: ١٠)

وتشير هذه الآية وكثير من الآيات الأُخرى الى حرية أفراد المجتمع في تحصيل الثروة، وأيضاً حرية الأفراد في انتخاب المهنة، بل وتشجيعهم وحثهم على الإنتاج والإستفادة القصوى من المصادر والنعم التي وضعها الله تحت اختيارهم.

وان اكثر الآيات القرآنية تعبّر عن تحصيل الثروات والإستفادة من المصادروالثروات الطبيعية بـ «فضل الله» أو «نِعَمِهِ» مما يساعد هذا الأمر على تشجيع النشاط الإقتصادي ونموّ الانتاج، بل واعارتها أهمية خاصة، وربطها بالله ليأخذا طابعاً إلهياً وعبادياً.

٢ـ «إلاّ أن تكون تجارة عن تراض...»
(النساء: ٢٩)

تشير هذه الآية بدورها الى حرية التبادل التجاري وتشجيعها، مما تبيّن بعداً آخر من الحرية الإقتصادية. وطبيعي ان التبادل في الإقتصاد الإسلامي يشكل جزءاً من الإنتاج وذلك حسب بعض أحكام التبادل من مثل: تحريم الربا، والعائدات التي تكتسب بواسطة القمار والسحر والشعوذة والتي أشرنا اليها في الآيات المسبقة.

٣ـ «قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق...»
(الاعراف: ٣٢)

«فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه...»
(الملك: ١٥)

«يا أيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما أحلّ الله لكم...»
(المائدة: ٨٧)

يستفاد من هذه المجموعة من الآيات ان حرية الإستهلاك لها حدودها المعيّنة، وهي تشكل بعداً آخر من الحرية الإقتصادية في النظام الإقتصادي الإسلامي.

الفصل الرابع

التحديد من الحرية الاقتصادية

مثلما قلنا في القسم الماضي من البحث، فإنّ النظام الإسلامي وضع حدوداً للحريات الإقتصادية، نشير الى جملة منها:

١ـ حدود تحصيل الثروة:

ان تحصيل الثروة سواء أكان عن طريق الإنتاج أوعن طريق التبادل والذي يشكل جزءاً من الإنتاج ـ حسب وجهة نظر الاسلام ـ له حدوده الخاصة به. على سبيل المثال لنتأمل في الآية التالية:

أـ «ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل...»
(البقرة: ١٨٨)

و يستفاد من هذه الآية الشريفة بأنّ النشاطات الإقتصادية الرامية لتحصيل الثروة، يجب ان لا تكون متأتية عن طريق الظلم والغصب والإعتداء على حقوق الآخرين أو عن طرق أخرى غير مشروعة.

ان فقهاء الإسلام يؤكدون باستمرار على هذه الآية، و يعلنون بطلان المعاملات والإتفاقيات التي تفتقر الى الأُسس السليمة والتي تمثل من وجهة نظر الشرع أكل المال بالباطل. ولذا فإن الثروة يجب ان تكون متأتية عن طرق مشروعة.

ب ـ «ولا تعتدوا انّ الله لا يحب المعتدين»

(البقرة: ١٩٠)

تؤكد الآية الشريفة انه لايجوز الحصول على الثروة عن طريق الغصب والنهب والاعتداء على حقوق الأفراد والمجتمع. حيث ان أي نشاط انتاجي أو تجاري يؤدي الى ظلم المجتمع وتضييق الخناق عليه، لا يمكن السماح به مطلقاً، كما وتترتب عليه عقوبات معينة، وعلى الحكومة الإسلامية ان تقف بوجه مثل هذه النشاطات اللامشروعة.

كما ويمكن الإستفادة في هذا المجال من آية: «ما جعل عليكم في الدين من حرج»

ج ـ «... وأحلّ الله البيع وحرم الربا...»

(البقرة: ٢٧٥)

«الذين يأكلون الربا لايقومون إلاّ كما يقوم الذين يتخبطه الشيطان من المس...»

(البقرة: ٢٧٥)

يؤكد القرآن الكريم في هاتين الآيتين وآيات أُخرى على عدم جواز تحصيل الثروة من خلال منح القروض للآخرين والذي يعبّر عنه بـ «الربا»، أي الثروة الزائدة التي لم يبذل الإنسان أي جهد في الحصول عليها.

وطبيعي ان هناك بحوثاً كثيرة حول حرمة «الربا» والأسباب الاقتصادية لهذه الحرمة، غير ان المجال هنا لا يتسع للتطرق الى هذه المسألة بالتفصيل، ومع ذلك يمكن القول بشكل اجمالي ان تحريم الربا يلعب دوراً كبيراً في تحطيم أكبر دعائم النظام الرأسمالي الإستغلالي، وتقويض الدور الأساسي في الإقتصاد وتحصيل الثروة الى النشاط الإقتصادي، والحد من تمركز الثروة بيد الرأسماليين.

د ـ «... والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم»

(التوبة: ٣٤)

هذه الآية تطرح مسألة جديدة وهي حرمة كنز المال، من أجل ان تبقى العجلة الإقتصادية في المجتمع في حالة حركة مستمرة.

وطبيعي ان المقصود من هذه الآية هوحرمة كنز الذهب والفضة، أي الأموال الحقيقية، وعدم دفع ما يترتب عليها من الزكاة. وتزول الحرمة فيما لو أُعطي الزكاة. إلاّ ان الزكاة المترتبة على الذهب والفضة، هي ضرائب مستمرة تؤخذ كل عام لكي لايزيد مقدار الذهب والفضة عن الحد المقرر وهو عشرون مثقالاً من الذهب و ١٠٥ مثقال من الفضة.

وكما قلنا قبل قليل فإنّ الهدف من هذه التحديدات هو الحيلولة دون حصول ركود اقتصادي ينشأ عن تجميد الأموال وابعادها عن مجموع الحركة الإقتصادية. وعلى الدولة الإسلامية ان تأخذ هذا المعيار الإقتصادي بنظر الاعتبار لتقوم بالحيلولة دون كنز الأموال وابعادها عن الحركة الاقتصادية للمجتمع من جانب أصحابها.

ويجب ألا ننسى بأنّ هذه التحديدات تقتصر على الأموال الحقيقية، أي الذهب والفضة، ولكنها لا تصدق على الأموال الإعتبارية الرائجة في هذا الزمان، اذ ان هذا النوع من الأموال يستلزم قوانين أُخرى، لايتسع المجال لنا هنا في التطرق اليها.

هـ ـ «... انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه..»

(المائدة: ٩٠)

«ويل للمطففين * الذين اذا اكتالوا * على الناس يستوفون * واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون»

(المطففين: ١-٣)

هاتان الآيتان تشيران بدورهما الى حرمة أي نشاط اقتصادي في المجالات المحرمة والذي يعبّر عنه

الفقه الإسلامي بالمكاسب المحرّمة مثل تحصيل الثروة عن طريق القمار أو انتاج و بيع الخمر، وسائر الثروات التي يتم الحصول عليها بطرق غير شرعية... و بذلك يسعى الإسلام ان يجعل من الإنسان موجوداً يحظى بالقيم السامية، وأيضاً بالطهارة والشرف.

و- «... كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم...»

(الحشر: ٧)

هذه الآية تؤكد بدورها على وجوب عدم تمركز الثروة بيد فئة قليلة من الأغنياء. وعلى الدولة الإسلامية ان تسعى لتحقيق هذا الأمر. ونفهم من الآية انه اذا أدّى النشاط الإقتصادي في القطاع الخاص الى تمركز الثروة بيد الأثرياء أو مؤسسة خاصة، فعلى الدولة الإسلامية ان تقوم بالحيلولة دون حصول الشيء. وهذا الأمر يشكل هدفاً اساسياً في النظام الإقتصادي الإسلامي.

٢ـ تحديد الاستهلاك :

هناك حدود في النظام الإقتصادي الإسلامي حول كيفية استهلاك الثروات، ومن جلتها:

أـ «... وكلوا واشربوا ولا تسرفوا...»

(الأعراف: ٣١)

فهذه الآية تحدّد حرمة الإسراف في الإستهلاك

ب - «... ويحل لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث...»

(الأعراف: ١٥٧)

«... والطيبات من الرزق ...».

(الأعراف: ٣٢)

وهاتان الآيتان تحددان من جانبهما حدود استهلاك الطيبات والتي تعني المواد الطاهرة والمحللة.

ج - «... كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحلّ عليكم غضبي...»

(طه: ٨١)

تشير هذه الآية الى النوع الثالث من حدود حرية الإستهلاك ، فهي تدعو الى عدم الطغيان أو اعتداء الإنسان على نفسه والآخرين والحاق الضرر بهم.

٣ـ الحدود الزمنية للملكية:

و يتمثل النوع الآخر - من الحدود الإقتصادية في النظام الإقتصادي الإسلامي، بـ «أصل الملكية الشخصية» فالإسلام يرى ان مثل هذه الملكية لايمكن لها ان تدوم، حيث انها تنتهي مع موت الإنسان، ولا يمكن لأي كان ان يتخذ قراراً حول مستقبل جميع الأموال التي سيتركها بعد موته، بل يستطيع ان يتخذ قراراً حول ثلث أمواله فقط، لأنّ الثلثين الآخرين يوزعان ـ وفقاً لنظام الوراثة الواردة في الآيات القرآنية ـ على أفراد عائلة الشخص أو أقربائه. وهذا ما يؤكد لنا وجود نوع من حدود الملكية الشخصية والاشراف عليها، وهو يوثر في عملية التوزيع المجدد للثروة.

الفصل الخامس

الضرائب الإسلامية ودورها في التوزيع المجدد

يوجد في النظام الإقتصادي الإسلامي نوعان من الضرائب:

أـ الضرائب الواجبة، الخمس، والزكاة، والكفارات.

«واعلموا أنما غنمتم من شيء فأنّ لله خمسه وللرسول...»

(الأنفال: ٤١)

«وفي أموالهم حق للسائل والمحروم»

(الذاريات: ١٩)

«... وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية...»
(الرعد: ٢٢)

«... والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله...»
(التوبة: ٣٤)

«... فكفارته اطعام عشرة مساكين...»
(المائدة: ٨٩)

ب ـ الضرائب المستحبَّة، مثل: الإنفاق، والصدقة، والخيرات، والمبرات، والموقوفات والتي تشكل قسماً عظيماً من الميزانية العامة لبيت المال والأموال العامة. وعلى هذا الأمر تؤكد آيات كثيرة من القرآن الكريم.

وهذه الضرائب المستحبّة والواجبة تلعب دوراً هاماً في تأمين الميزانيات الحكومية، والمصروفات العامة، والتوزيع المجدد للثروة في المجتمع. وخير دليل على ذلك هو ما حصل ويحصل للمجتمعات الإسلامية.. فرغم ان الأسواق التجارية في هذه المجتمعات كانت ولا تزال تحظى بنوع من الحرية، إلاّ ان تلك المجتمعات لم تواجه قط المشاكل والأزمات التي يعاني منها الإقتصاد الغربي، كما ان افراد المجتمع الإسلامي لم يواجهوا التناقضات والمشاكل المستعصية التي يعاني منها العالم الغربي منذ قرون... كل ذلك بفضل الإنفاق (الواجب والمستحب) أو الموقوفات والخيرات.

الفصل السادس

دور الدولة في الإقتصاد الإسلامي

«يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم»

(النساء: ٥٩)

«خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها»
(التوبة: ١٠٣)

تشير هاتان الآيتان الى مجالين يختصان بالدولة الإسلامية، وهما:

١ـ الصلاحيات والإمكانات.

٢ـ المسؤوليات والوظائف.

فاما صلاحيات الدولة الإسلامية فهي عبارة عن:

أ ـ توضع الامكانات المادية المذكورة في الآيات السابقة والتي تتكون من: الأنفال، الفيء، الغنائم، الزكاة، الخمس، وغير ذلك، تحت تصرف الدولة الإسلامية، وتشكل بمجموعها ثروة عظيمة للمجتمع.

ان وضع هذه الإمكانات، بل كل الثروات الطبيعية تحت تصرف الدولة الإسلامية، أمر يساهم في تقويتها، بحيث يجعلها تتدخل و بصورة مباشرة في الشؤون الإقتصادية. واستناداً الى المعايير المذكورة، فانّ الدولة الإسلامية تستخدم هذه الامكانات من أجل ترسيخ أهدافها الإقتصادية في مجالات: الانتاج، وتبادل السلع، والتوزيع، والإستهلاك.

ب ـ الاختيارات القانونية: تعتبر الدولة الإسلامية طبقاً للآيات المذكورة في بداية هذا القسم ـ واجبة الإطاعة من الناحية القانونية، ويحق لها ان تمنع أو تضع سياسة اقتصادية واجتماعية معينة من أجل الحفاظ على نظام المجتمع الإسلامي وتنفيذ الأهداف المرسومة وكذلك من أجل ضمان الإحتياجات العامة وتنفيذ الواجبات الملقاة على عاتقها. ولا يحق للمسلمين مخالفة قوانين و مقررات الدولة الإسلامية،

اذ ان الوقوف بوجه تلك القوانين والمقررات يعتبر تمرداً على أحكام الله.

ويمكن ان نلخص واجبات الدولة الإسلامية من الناحية الإقتصادية بنقطتين.

١- ضمان احتياجات المجتمع، ومكافحة الفقر والحرمان بأساليب أساسية، وليس فقط عن طريق الإعانات والإمدادات المقطعية والمؤقتة، كتأمين الأرضية اللازمة وتوفير الدخل لكل القادرين في المجتمع.

٢- تثبيت الأهداف الاقتصادية المذكورة في القسم الأول، أي ايجاد التعادل واقامة العدالة الاجتماعية في توزيع الثروات والدخل، والاستقلال وعدم التبعية من الناحية الإقتصادية.

وفي هذا القسم تحتاج الدولة الإسلامية الى تخطيط سليم واتخاذ سياسات اقتصادية موسعة، وقد تتدخل - أحياناً - في الشؤون الإقتصاية، وفي تشكيل الأجهزة والأقسام الإنتاجية وأقسام التوزيع وخاصة فيما يتعلق بالمنتوجات الرئيسية والتبادل الخارجي ■

النظام السياسي في القرآن

حجة الاسلام الشيخ محمد تقي رهبر/ ج. إ.

يجب النظر الى السياسة، وادارة شؤون المجتمع البشري كمسألة ضرورية، استجاب لها العقل والشرع والعرف في جميع المراحل التاريخية من حياة الإنسان، وأقيم على أساس منها النظام الاجتماعي للبشر.

ولما كان الإنسان ــ استناداً الى إرادته الحرّة ــ بحاجة الى قوانين معينة، وان وجود نظام حاكم يمنع من الفوضى يعتبر أصلاً غير قابل للإنكار، فإنّ الأنبياء الإلهيين والمصلحين والمفكرين الملتزمين أخذوا هذا الأصل بنظر الاعتبار، وأعطوا ارشادات حوله، وقادوا الناس على أساس منه.

والموقع السياسي والإداري في الإسلام له مكانة أكثر وضوحاً، قياساً الى الأديان الأخرى. فبنظر إجمالية الى التعاليم والقوانين في الإسلام، يمكن القول انه من غير الممكن الفصل بين المسائل السياسية والمجموعة المنسجمة والمترابطة لهذه الشريعة الخالدة.

ومسائل الحكومة، والولاية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد، والدفاع، والقضاء والشهادات، والحدود، والقصاص، والتجارة والمعاملات، وولاية الصغار والأيتام والمجانين والحقوق العائلية والإجتماعية، والأمور التربوية والثقافية، والمسائل الاقتصادية، والزكاة، والخمس

والغنائم، وأحكام الذمة وأهل الكتاب، وعلاقات المسلمين ببقية الشعوب الأخرى، والحرب والسلام، والمعاهدات وأمثال هذه المسائل، تعتبر بنظر الفقه والمعارف الإسلامية، أموراً لا يمكن فصلها عن السياسة الكلية للمجتمع. وحتى المسائل العبادية من مثل: الحج، وصلاة الجمعة والجماعة، وغيرهما، فإنها مرتبطة بالسياسة بشكل ملموس، بل و بشكل لايقبل الإنفصال عنها.

وسيرة وسياسة الرسول الأكرم (ص) هما أمر يجسّده لنا التاريخ بوضوح، و يقبله كافّة المسلمين.

وليس هناك من يستطيع الإدّعاء بأن الرسول الأكرم (ص) كان يهتم بالمسائل العبادية والعقائدية والتربوية فقط، دون ان يولي المسائل السياسية في داخل البلاد الاسلامية وخارجها أي اهتمام، فرسائل الرسول (ص) الى رؤساء الدول، ووقوفه (ص) بوجه طواغيت العصر، ومكافحته للشياطين، وتعبئة المؤمنين للقتال، والقضاء بين الناس، والتواجد في صلب المسائل الإجتماعية، هي أمور لايمكن فصلها عن تاريخ حياة الرسول (ص). ولهذا السبب فانّ أهمية المسائل السياسية، واختلاطها بالشرع، والتدخل المباشر لمؤسس الإسلام في هذه المسائل، وقيادة المجتمع الاسلامي، تعتبر من بديهيات العقل والشرع، وليس هناك أي ابهام في هذا المجال.

وموضوع بحثنا هو النظام السياسي في الإسلام، ولكي يكتمل بحثنا فإننا سنشير الى جملة من المسائل:

ــ مفهوم السياسة، وموقعها في حياة الإنسان.

ــ أبعاد السياسة في الإسلام.

ــ النظام السياسي للإسلام، وأصوله في القرآن الكريم.

ــ أهداف السياسة من وجهة نظر القرآن.

١ ــ مفهوم السياسة :

يمكن القول فيما لوأخذنا بنظر الإعتبار المعنى المتعارف عليه بخصوص مصطلح «السياسة»[1]، وممارسات السياسيين المتحايلين في جميع أنحاء العالم؛ ان هذا المصطلح قد حرِّف وشوِّه، الى درجة ان مفهومه الواقعي والرئيسي أصبح يتناقض مع ما يجري الآن في داخل المجتمعات البشرية.

وهذا الأمر يدعونا لنأتي في بداية حديثنا بتعريف وتوضيح عن المفهوم الإبتدائي لكلمة السياسة، ومن ثم توضيح أبعاد سياسة النظام الإسلامي وأهدافها في القرآن الكريم.

ومن خلال نظرة الى كتب اللغة، والمصادر، والمراجع الاسلامية، والمعارف الخاصة بهذه الكلمة، نستنتج بأنّ السياسة عبارة عن؛ إدارة شؤون المجتمع، وتحسين أوضاع البلاد، وادارة المجتمع، بحيث يتم ضمان التكامل والمصلحة الواقعية لذلك المجتمع.

والآن لنلقي نظرة الى جملة من التفاسير التي وردت في المعاجم وكتب اللغة. فلقد ورد في «مجمع البحرين» :

«ساس، يسوس: الرعية: أمرها ونهادها».

وفي الحديث:

«ثم فوض الى النبي (ص) أمر الدين والأمّة ليسوس عباده».

كما جاء في معجم البستاني:

«ساس القوم: دبرهم، وتولى أمرهم. الأمر: قام

به فهو سائس».

«السياسة: استصلاح الخلق بارشاد هم الى الطريق المنجي في العاجل أوالآجل».

«السياسة المدنية: تدبير المعاش مع العموم على سنن العدل والاستقامة»

وجاء في معجم لاروس:

ساس الوالي الرعية: تولّى أمرها، وأحسن النظراليها. الأمور: دبرها» وجاء في المنجد أيضاً في تعريف السياسة: **«ادارة البلاد، اصلاح شؤون الناس، ادارة شؤون البلاد».**

واضافة الى التعاريف الآنفة، أورد معجم اللغة الفارسية (فرهنگ معين) في تعريف السياسة، الكلمات التالية:

«الحكم، العدالة، العقوبة، الجزاء، التوبيخ، حراسة حدود البلاد، ادارة الشؤون الداخلية والخارجية للبلاد».

كما جاء في كتاب «اخوان الصفا» **بأنّ السياسة أنواع: سياسة اقتصادية، وسياسة مدنية، وسياسة جسمانية** (تقوم على حفظ الجسم وتقويته والابقاء على تعادله).

ونقل عن كتاب «اخلاق ناصري»: **السياسة الفاضلة تتمثل بالإمامة، وتهدف الى تحقيق الكمال للخلق واسعادهم.**

ولقد قسّم الحكماء والفلاسفة في بحوثهم العلمية والعقلية الحكمة الى قسمين:

الأول : الحكمة النظرية، وتعني معرفة الأوضاع الحقيقية للموجودات بقدر استطاعة البشر.

الثاني : الحكمة العملية: وقد قسّموها الى ثلاثة اقسام (بناء الذات وعلم الأخلاق، تدبير وادارة شؤون العائلة، ادارة شؤون البلاد والمجتمع).

والمفاهيم المذكورة تتناقض بلاشك مع مايجري وفق منطق السياسيين المحترفين في العالم، لأنّ هؤلاء لايعيرون أي اهتمام لمصلحة الشعب وتكامل المجتمع، وسعادة افراد البشر، والمحافظة على وحدة أراضي البلاد، حيث تقوم سياساتهم على أساس التزييف، والخيانة، والطمع بالسلطة، والتوسع، وارتكاب المجازر بحق الناس، وأسر المحرومين واضطهادهم، ومثل هذه السياسة لا مكان لها في الدين والضمير الحي.

إلاّ ان المفاهيم الآنفة التي أوردناها في معنى السياسة، والتي كان يعمل على ضوئها المفكرون والمصلحون، تعتبر من مستلزمات حياة الإنسان. ومما لاشك فيه ان الإسلام والأديان السماو ية الأخرى أعارتها أهمية كبيرة، ولم تتجاهلها مطلقاً.

وان نظرة الى سيرة الأنبياء ــ استناداً الى ما جاء في القرآن فقط تبين بوضوح مدى اهتمام رُسُل الله (أي القادة الحقيقيين للبشر) بمصير البشر في جميع الأبعاد وخاصة في البعد السياسي والبعد القيادي، ومحاولاتهم الجادّة في سبيل صلاح واصلاح هؤلاء.

صنفان من الحكام:

نرى من الضرورة ان نشير في الوهلة الأولى الى الملاحظة التالية، وهي ان القرآن الكريم يتحدث عن صنفين من الحكّام والقادة. صنف ينتهج سياسة إلهية، وآخر سياسة شيطانية. والى جانب ذلك يوضح القرآن الكريم آثار وجود هؤلاء وحصيلة أسلوب حكمهم. على سبيل المثال:

١ ــ جاء في قصة سليمان و بلقيس:

«قالت انّ الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزّة أهلها أذلة وكذلك يفعلون».

(نمل ــ ٣٤)

ومع ان هذه الآية تتحدث عن لسان إبليس، لكننا ومع الأخذ بنظر الإعتبار المسألة التالية وهي ان القرآن عند ما ينقل حديثاً ولا يرفضه، فإنه انما يؤيد صحته، نستنتج بأنّ الملوك هم هكذا في نوعهم: مفسدون في الأرض، يضلّون البشر، و يغتصبون حقوق المستضعفين، بالضبط مثلما جاء في آية أُخرى من قصة موسى والخضر وايجاد ثقب في السفينة التي كان يستفاد المحرومون منها في البحر:

«أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحرفأردتُّ أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كلّ سفينة غصبا».

(الكهف ــ ٧٩)

ان بعض التعابير من مثل: المسرفين، المستكبرين، المفسدين، المترفين، قد تكررت مراراً حول الحكام من ذوي الصفات الطاغوتية، ولابدّ من الإشارة اليها في جانب آخر من هذا البحث.

خصائص الحُكّام العادلين :

وتشير بعض آيات القرآن الكريم الى الحُكّام الذين ساروا في طريق الصلاح، وأقدموا على خطوات لصالح الخلق على سبيل المثال جاء في قصص بني اسرائيل حين طلبوا من نبيّهم ان يعين قائداً لهم ليقفوا الى جانبه ويحاربوا الأعداء:

« وقال لهم نبيّهم انّ الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنّى يكون له الملك علينا ونحن أحقّ بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال انّ الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم».

(البقرة ــ ٢٤٧)

هذه الآية تؤكد بطلان المعايير والملاكات التي يحددها الضالون في خصوص الحكم، وتحدد من جانبها معياراً آخر يتمثل بـ: العلم والمعرفة، والقابلية الجسمانية، و بذلك تجعل من «العلم والقدرة» معياراً لكفاءة الفرد في الحكم.

و بعد هذه الآية، يشير القرآن الى ملاحظة قيّمة، ألا وهي ان الحكم القائم على أساس القابلية و الصلاحية، يعتبر موهبة إلهية يمنحها الباري تعالى لمن يستحقها من عباده. وفي الحقيقة ان ملكية مالك الملك هي التي تتبلور في ملوكية الحاكم اللائق والصالح. وليس من الصحيح، بل ليس من حق الإنسان ان يعتبر العلم والقدرة والحكم من اختصاصه، إذْ ان العلم والقدرة هما من اختصاصه جلّ وعلا، و من ثم من اختصاص عباده.

«قل اللهمّ مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممّن تشاء وتعزّمن تشاء وتذلّ من تشاء. بيدك الخير انّك على كلّ شيء قدير».

(آل عمران ــ ٢٦)

وجاء أيضاً في قصص بني اسرائيل، ضمن الإشارة الى المعارك التي كانت تقع بين طالوت وجالوت:

«فهزموهم باذن الله وقتل داوود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلّمه مما يشاء».

(البقرة ــ ٢٥١)

تشير هذه الآية بدورها من خلال الاتكاء على العلم والحكمة، إضافة الى القدرة ومكانة الحكومة،

الى وظيفة أُخرى من وظائف الحُكّام والسياسيين الإلهيين، تتمثل بالجهاد ضد أعداء الله والخلق، والتي يلزم التطرق اليها في أبعاد المسائل السياسية ووظائف الحكومة.

و يتحدث القرآن الكريم عن أنبياء كانوا يديرون سياسة المجتمع وهم في مقام النبوة والشخصية الإلهية وقيادة نفوس وقلوب الناس، ومن جملة هؤلاء، داوود وسليمان و يوسف الصديق (ع) وذوالقرنين.

١ ــ «ياد داوود انّا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحقّ ولا تتبع الهوى فيضلّك عن سبيل الله».

(سورة ص ــ ٢٦)

٢ ــ «وورث سليمان داوود وقال ياأيّها النّاس علّمنا منطق الطير وأوتينا من كلّ شيء انّ هذا لهو الفضل المبين».

«وحشر لسليمان جنوده من الجنّ والانس والطير فهم يوزعون»

(النمل: ١٦ ــ ١٧)

وجاء في تفسير الصافي عن مجمع البيان نقلاً عن الإمام الصادق (ع): **ان سليمان كان يحكم العالم من شرقه الى غربه، وقد حكم سكان الأرض من الجن والإنس والشياطين والطيور والحيوانات المفترسة ماينا هز سبعين سنة.**

٣ ــ «وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي فلما كلّمه قال انّك اليوم لدينا مكين أمين».

«قال اجعلني على خزائن الأرض انّي حفيظ عليم»

«وكذلك مكّنا ليوسف في الأرض يتبوّأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين».

(يوسف : ٥٤ الى ٥٦)

وحين كان يوسف الصديق (ع) يشهد من وراء قضبان سجن مصر، الحالة المزرية للناس الفقراء، والفساد الذي كان يسود البلاد، فإنه لم يكن ليغفل لحظة واحدة عن ضرورة انقاذ السياسة الحاكمة على شعب مصر. وعندما اثبت براءته في قضية تفسير رؤيا الملك واستدعاه الملك ورأى في وجهه العلم والحكمة والبصيرة، واقترح عليه ان يطلب شيئاً من عزيز مصر، فانه لم يطلب شيئاً سوى تفويض السياسة الإقتصادية للبلاد التي تعتبر الوريد الحياتي للمُلك والملّة. ويجب ألاّ ننسى بأنّ السياسة الإقتصادية تلعب دوراً كبيراً في جميع شؤون البلاد ومصير الحكومة والشعب. والملاحظة الأُخرى تتمثل بشرطين أساسيين لإدارة سياسة البلاد واللذين ورد في كلامه (ع) ألا وهما: **الأول:** «الحفيظ» بمعنى الحارس والأمين و موضع الثقة، **والثاني:** «العليم» بمعنى العالم والعارف بمصالح البلاد و مصادر الثروة وسياسة ادارة البلاد.

وماذا كان المحور في خلافة آدم عدا العلم والأمانة؟

«وعلّم آدم الأسماء كلّها»

(البقرة: ١

«انّا عرضنا الأمانة.... وحملها الانسان»

(الاحزاب: ٢

ومن افتقر الى هاتين الميزتين، كان «ظلوماً جهولاً». والجرائم التي واجهتها الإنسانية إنّما نفّذت على يد هؤلاء الظالمين والجهلة الذين اغتصبوا أ

الخلافة، وجرّوا النظام الحياتي للبشر نحو الإنحطاط والسقوط والفساد.

٤ ــ «ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا * انّا مكّنّا له في الأرض وآتيناه من كلّ شيء سببا».

(الكهف ــ ٨٣ ــ ٨٤)

يتحدث القرآن الكريم عن حركة اسكندر ذي القرنين صوب المشرق والمغرب لانقاذ المحرومين، وخلال الإشارة الى أحد أسفاره يعتبر «ياجوج وماجوج» من المفسدين في الأرض، يسعى اسكندر لدفع ظلمهم وفساد هم عن الجموع المحرومة والمستضعفة، وايجاد سد دفاعي بين هاتين الطبقتين. ولمزيد من التفصيل يراجع القرآن الكريم وكتب التفسير الأخرى.

والملاحظة الأساسية الأخرى هي ان هذا الحاكم العادل والمبعوث من جانب الله تعالى قد أقام سداً (يُعرف بسد الاسكندر) يمنع من هجوم المعتدين على المحرومين، و بذلك نفّذ الوظيفة التي يجب ان يُنفِّذها أي سياسي وحاكم إلهي.

(تراجع الآيات ٨٣ الى ٩٨ من سورة الكهف)

والنماذج الآنفة تدل بوضح انه كان يوجد طوال التاريخ، أنبياء ورجال إلهيون، نفّذوا دورهم القيادي والسياسي بأفضل وجه، وذلك من خلال استلام زمام امور البلاد والناس، و بيّنوا الطريق الذي يجب ان يخطو فيه السياسيون، والأهداف التي يجب ان يرموا اليها لكي تنتهج البشرية جمعاء مثل هذه السياسة.

* * *

* المباحث الأصولية لهذا الباب :

١ ــ منشأ الحكومة والحاكم الشرعي في القرآن.

٢ ــ أهداف ونتائج النظام السياسي من وجهة نظر القرآن.

٣ ــ أركان النظام السياسي في القرآن.

٤ ــ نظام الحكومة من وجهة نظر القرآن.

الخاتمة: مسؤولية القادة الدينيين والناس ازاء المسائل السياسية.

*منشأ الحكومة الحكم :

تنص آيات القرآن الكريم على ان الحكم ــ في الإطلاق والعموم ــ هومن اختصاص الله رب العالمين، وهذا الأمر هو نتيجة طبيعية للنظرة الكونية والعقائدية التي تشكل الأساس في مجموع النظام. ولما كان هناك وجود مطلق واحد يحكم جميع الكون، وانه حكيم وعادل وقادر وسرمدي، فإنّ الله هو الذي يتحكم قبل أي شيء آخر بمصير الإنسان الذي هوجزء من هذا النظام، ومن ثم يتحكم بالانسان كل خليفة أو مبعوث ومجرٍ للتعاليم الإلهية. والآيات التالية هي نموذج لما يملكه القرآن في هذا المجال.

«ان الحكم الاّ للّه، أمر ألاّ تعبدوا الاّ آياه»

(يوسف ــ ٤٠)

«فالحكم للّه العليّ الكبير»

(غافر ــ ١٢)

«ومن أحسن من اللّه حكما لقوم يوقنون»

(المائدة ــ ٥٠)

«ان الحكم الاّ للّه، يقصُّ الحقَّ وهو خير الفاصلين»

(الأنعام — ٥٧)

ومن خلال التأمل في هذه الآيات وعشرات الآيات الأخرى، نستنتج بأنَّ حكومة الله ليست من نوع الحكومات البشرية التي تتحفق على أساس من القدرة والسطو، بل يجب ان نبحث عن سر هذه الحكومة في حبروت الإستغناء، والقدرة، والعلم، والحكمة، والربوبية، والعدل، والقضاء وبقية صفات الجلال والجمال لله تعالى. ومن هنا فإذا كان الله يمنح هذه الحكومة الى عباده، فإنَّ هؤلاء المبعوثين من جانب الله يحققون هذه الحكومة على أساس من هذه الفلسفة. ولذا نرى انه ورد في مجال تثبيت حكومة وحكمية النبي (ص) مايلي:

«فلا وربّك لايؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثمّ لايجدوا في انفسهم حرجا ممّا قضيت ويسلّموا تسليما».

(المائدة — ٤٢)

وهناك الكثير من الآيات في هذا المجال.

ان الحكم بالحق والعدل، لايعتبر أمراً صادراً من جانب الباري تعالى الى انبيائه وأوليائه فقط، بل وصادراً الى جميع المؤمنين ليحكموا بالعدل فيما لواستلموا مقاليد الأمور.

«انّ اللّه يأمركم ان تؤدوا الأمانات الى أهلها واذاحكمتم بين النّاس ان تحكموا بالعدل، انّ اللّه نِعِمّا يعظكم به، انّ اللّه سميعا بصيرا».

(النساء — ٥٨)

فلو اعتبرنا ان جملة «الحكم بالحق والعدل» معطوفة على ردّ الأمانة لأهلها الذي يستطيع ان يكون قرينة لتفسير الأمانة بالإمامة والحكوم والقضاء، واعتبرناها شاملة لجميع أنواع الأمانات، فإنَّ الأمانة والحكومة ستكونان بلاشك من أبرز أنوا الأمانات التي يجب ان تردّ الى أهلها، ذلك انه اذ كانت إعادة شيءٍ مادي لاقيمة له مصداقاً للأمانة فلم لا تكون الحكومة، والقضاء، والسياسة، وتد شؤون المجتمع مصداقاً أفضل للأمانة؟

ومن هنا نجد في كتب التفسير ان كلمة **«الأمانة»** قد فسّرت بـ **«الإمامة»** و**«الزعامة»** وا آية **«انا عرضنا الأمانة»** هي أبرز آية يمكن تفسيره بالإمامة وادارة شؤون المجتمع، بالضبط كما تنص روايات القادة الدينيين.

وعلى أي حال فإنَّ الله سبحانه و تعالى أ المؤمنين بردّ الأمانات التي تعتبر الإمامة والسيا من أبرز تلك الأمانات الى أهلها .... أولئك الذي لهم صلاحية الخلافة الإلهية والنيابة عن الأنبيا وصلاحية قيادة الأمّة الإسلامية وحراسة الرسا والدين، ثم يؤكد على ضرورة العدل في قضي «الحكم بين الناس». وهذه هي أفضل موعظ إلهية.

*** الولايــة :**

ومثلما لاحظنا في كلمة «**الحكم**»، فإنَّ كل الولاية التي تعني الإشراف والقيمومة، هي في البدا من اختصاص الله، ثم من اختصاص الأنبياء، و ثم من اختصاص أُولي الأمر.

«انّما وليّكم اللّه ورسوله والّذين آمنوا الذ يقيمون الصّلاة و يؤتون الزكاة وهم راكعون».

(المائدة — ٥

«النبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم»

(الأحزاب ــ ٦)

«يا أيها الّذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول ي الأمرمنكم».

(النساء ــ ٥٩)

ومن هم أولي الأمر؟ ومن الذي له صلاحية ة شؤون المسلمين؟ وهل يجوز اطاعة كل من لم زمام الأمور؟

«ولا تطيعوا أمر المسرفين * الّذين يفسدون في رض ولايصلحون».

(الشعراء ــ ١٥١ ــ ١٥٢)

والقرآن الكريم يذم الذين عصوا الرُسُل. واتبعوا ياطين، إذْ يقول:

«وعصوا رسله واتّبعوا أمر كلّ جبّار عنيد».

(هود ــ ٥٩)

وعن فرعون يقول:

ما أمر فرعون برشيد».

(هود ــ ٩٧)

والآيات الآنفة الذكر والتي هي نموذج من ـ «الولاية» و «الأمر» لا تترك أي مجال للشك ـ ان الحُكّام الجبابرة وعديمي الصلاحية الذين م جبابرة، ومعاندون،ومسرفون، ومعتدون عيدون عن الهداية، والرشادة، والعلم، والعقل، علم والإيمان، ليسوا مصداقا لـ «أولي الأمر».

فأولي الأمر، هم قادة صالحون وعالمون وعادلون. ا كان يقصد منهم في الوهلة الأولى، فئة خاصة ن القادة الذين تم تحديد هم من جانب الرسول كرم (ص)، فإنّ المقصود من هؤلاء في المرحلة خرى هم الاشخاص من أهل الصلاح والسداد والعدل الذين يكونون في حد الأشخاص الكاملين والمستخبين من قبل الناس. وهذه حقيقة يفهمها الإنسان ببساطة.

ورغم ذلك فانه من العجب العجاب حقاً ان يقوم شخص باطلاق كلمة «أولي الأمر» المقدسة على أي غاصب عنيد، و يضعه في صف الله والأنبياء.

ولذا فإنّ إدارة سياسة المجتمع الإسلامي هي من صلاحية الشخص الذي يسير في الصراط المستقيم، والذي يكون عالماً وعادلاً ومنزّهاً عن الظلم و يسير على خُطى الأنبياء والأئمة.

* الإمـــامـــة :

ان كلمة «الامام» وردت في عدة موارد من القرآن الكريم، فيصفها أحياناً بانها أفضل مقام يحققه الإنسان، بل وأفضل من النبوة،والرسالة أيضاً. على سبيل المثال تقول الآية التالية:

«واذ ابتلى ابراهيم ربّه بكلمات فأتمهنّ قال انّي جاعلك للنّاس اماما قال ومن ذرّيتي قال لاينال عهدي الظّالمين»

(البقرة ــ ١٢٤)

ورغم ان هذه الآية هي بصدد بيان المكانة المعنوية والقيادية للنفوس والقلوب التي لها علاقة بعالم الملكوت والولاية التكوينية، وهي غير قابلة للتعميم من هذه الناحية، الا اننا نفهم انه من الناحية العامة للكلمة وملاكاتها العامة وما جاء في ذيل الآية، بأنّ الظالمين غير صالحين للقيادة والإمامة، وان العدالة التي تمثل نقطة مقابلة للظلم تشكل شرطاً أساسياً وابتدائياً للإمامة والقيادة.

ولكن من خلال نظرة الى الموارد التي استعملت

فيها كلمة الإمام (مع الأخذ بنظر الإعتبار المفهوم اللفظي لكلمة الإمام والذي يعني القائد والزعيم) فإنه يوجد بطبيعة الحال صنفان من الحُكّام الذين يديرون زمام أُمور الناس، و يأخذون بيدهم نحو جهتين متعاكستين.

والقرآن الكريم يصف هذين الصنفين كلاً بخصاله وصفاته الخاصة به. على سبيل المثال ورد في وصف أئمة الحق من ذوي الصلاحية:

وجعلناهم أئمّة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزّكاة وكانوا لنا عابدين».

(الأنبياء ــ ٧٣)

ورغم ان هذه الآية تتحدث عن الأنبياء وعبء الرسالات التي كانوا يحملونها على عاتقهم، الا انه يلزم عدم حصر قيادة الإنسان في الأنبياء وتواجد هم الدائمي، إذ ان عمر الأنبياء ينتهي في يوم ما. واذ كان من المقرر ان تقوم روح الشرائع الإلهية بقيادة البشر الى يوم القيامة وهذا هوالواقع بعينه فيجب ان تكون الروح القيادية وخصالها العامة دائمة ومستمرة مثل بقية أبعاد الشريعة. ولذا فإنّ قيادة الإنسان فكرياً ودينياًواجتماعياً وسياسياً هي من صلاحية القادة الذين يتحلّون بالصفات المشار اليها في الآية والتي تتمثل بالعبودية الخالصة لله، واقامة الصلاة، وتحسين أوضاع المحرومين والفقراء و بقية أبناء الأمّة.

واذا ما أضفنا الى تلك الشروط، شروطاً أخرى واردة في بقية الآيات، لتحدّد أمامنا بوضوح التركيب العام للشروط التي تتكون من: العلم، والعدل، والتقوى، والعبودية، والاهتمام بالإنسان و... الخ.

هذه هي خلاصة حديثنا عن الأئمة الهدين

والحُكّام اللائقين بالإنسانية. اما أئمة الضلا والساسة غير الصالحين، فإنّ القرآن يعبّر عنهم كمايلي:

«وجعلناهم أئمة يدعون الى النّار و يوم القيا لاينصرون».

(القصص ــ ٤١)

فهذه الآية، تجسّد صورة الفراعنة الذين ك يسيطرون على زمام الأمور في مصر وكانوا بأسالي المضّلة يأخذون بيد الناس نحو النار التي لامفرّمنها.

ومما لاشك فيه ان دور القادة السيئين، لن يـ سوى هذه. فهم يرشدون الناس الى الضلالة، و جسور تأخذ بالبشر نحو نار الحياة الدنيا والآخ بالضبط كما حصل للبشرية على يد الحكام الج خلال آلاف السنين، فهم الذين يؤججون الحروب، وهم الذين يوسعون دائرة الظ والإضطهاد، و بالتالي يوفرون نار الآخرة لأنف ولأعوانهم.

لكن ماالذي يجب ان يفعله الناس مواجهتهم لهذا النوع من السياسة والقيادة؟

هذا السؤال سنجيب عليه في موضع ولكننا نورد هنا آية واحدة من القرآن الكر الصدد:

«فقاتلوا أئمّة الكفر انّهم لا أيمان لهم».

(التوبة

والتصدي للكفر والإستكبار ومقاتلتهم يتم القضاء على الفتنة **«فقاتلوهم حتى لا تك ويكون الدين كله لله»** واقامة الحكومة الإ ذلك *يمثل جزءاً من السياسة الإسلامية التعبير عنها بالسياسة الدفاعية ــ العسك تحتاج الى مزيد من التفصيل الذي ل الراهن له.*

*** أهداف ونتائج النظام السياسي من وجهة نظر القرآن :**

لايمكن الفصل بين الهدف من تشكيل الحكومة وتحقيق الشرعية لنظام سياسي معين وبين الهدف من الخلق ومجموع النظام. ومما لاشك فيه ان نوع النظرة الكونية والعقائدية السائدة على روح ونفس الإنسان يستطيع ان يبين الهدف من الحياة وكافة المسائل الحياتية للانسان والتي تعتبر الحكومة جزءاً منها.

في الحكومات التي تقوم على أساس النظرة الكونية المادية، يكون الهدف من الحكومة متمثلاً بالتسلط، والإستكبار، وارضاء غريزة حب السلطة، وتحقيق لذة أكبر، وزيادة الفساد. والقرآن الكريم يوضح حكومة فرعون والأصول العامة لسياسته كما يلي:

«انّ فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبّح أبناءهم ويستحيي نساءهم انّه كان من المفسدين».

(القصص ــ ٤)

وأصول هذه السياسة هي:

١ ــ العلو والتمرد، وهما حصيلة التحور، ويكون هدفها، اشباع غريزة حب السلطة.

٢ ــ القضاء على وحدة الأمّة التي كان من المفروض ان تبقى أمّة واحدة، غير ان سياسة فرعون كانت قد تبدّلت الى عامل للاختلاف والتشتت.

٣ ــ استضعاف وأسر المحرومين المستضعفين الذين كان فرعون يمتص دماءهم ليواصل المستكبرون حياتهم في نعيم.

٤ ــ قتل الأطفال الذكور خوفاً من ان يثوروا في يوم ما ضد فرعون، ويسقطوا عرشه.

٥ ــ استغلال النساء والفتيات المشردات اللاتي كُنَّ يعشن في أسر الفراعنة، والعمل على إفساد هنَّ.

٦ ــ زرع جميع أنواع الفساد في الأرض، مثل: الفساد الفكري، والعقائدي، والسياسي، والإقتصادي، والأخلاقي.

والأصول الستة الآنفة يمكن اعتبارها استراتيجية عامة للحُكّام الظالمين الذين كانوا منذ الأيام الأولى من تاريخ البشر والليوم يحكمون الناس. وان ابعاد الجرائم الحاصلة عن هذا النهج السياسي وأهدافه وأغراضه قد اتسعت تبعاً لازدياد أفراد البشر ووسائل الإنتاج وحصول التطور وتوسع البلدان، بل وحتى ازدياد الأفكار المادية وشبه المادية الجافّة، الى درجة ان السياسة الراهنة في العالم أصبحت أكثر ظلماً مما كانت عليها في عصر الفراعنة. وهذه الآية تكفي وحدها لفهرسة أهداف ونتائج مثل هذا النهج السياسي.

*** الخلافة الإلهية، وراثة الأرض، وامامة المستضعفين:**

لقد جاء القرآن الكريم بنماذج كثيرة لتبيين أهداف ونتائج الحكومة التي تقوم على أساس الفلسفة الإلهية. ومن تلك النماذج:

١ ــ «ونريد أن نمنّ على الّذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمّة ونجعلهم الوارثين».

(القصص ــ ٥)

ـكامل الإنسانية :

يـعتبر الـتكامل الإنساني هدفاً أساسياً للحياة.
ـن هنا شُرِّعت الشرائع، وبُعِثَ الأنبياء لتحقيق
ا الـغرض. كما ان دور الحكومة لتحقيق الغرض
ـكور غير قابل للإنكار.

ان انحطاط الـبلدان، وانحراف الناس، يتمان
ـبيعة الحال في ظل الحكومات الجائرة والظالمة،
ـ يتحدث عنها القرآن في أكثر من مورد:

«٤ ــ ولـقـد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه فاتّبعوا أمر فرعون وما أمر ـعون برشيد * يقدم قومه يوم القيامة فأورد هم ر وبئس الورد المورود».

(هود ــ ٩٦ الى ٩٨)

فالحُكّام الطواغيت يشكلون سداً بوجه الكمال ـنساني، مما يتطلب تحطيم هذا السد.

ـن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله، فقد استمسك ـمروة الوثقى لا انفصام لها».

(البقرة ــ ٢٥٦)

والايمان بالله، والكفر بالطاغوت، هما من البنود ـأولى للرسالات التوحيدية:

«ولقد بعثنا في كلّ أمّة رسولاً أن اعبدوا الله ـجتنبوا الطّاغوت».

(النحل ــ ٣٦)

والحاصل ان الرشد والكمال لايتحققان إلّا في ـ التوحيد، وحكومة الموحدين، والقانون، والدين، ـسياسة الصالحين والمتقين.

وان الكفر، والضلالة، هما من جملة الآثار التي ـركها الطواغيت، ويجب على المصلحين ان يحطموا ـهود هم الدؤوبة السد الذي يقف بوجه الإنسان، لتتمكن البشرية من مواصلة سيرها نحو الخير والصلاح من دون ان تواجه أية موانع، بالضبط كما عمل أنبياء الله مثل ابراهيم وموسى (ع) والرسول الأكرم (ص) وبقية الأئمة والمصلحين. فالرسول الأكرم (ص) حذّر في بداية دعوته العلنية رؤساء وملوك الدول من مواصلة اضطهاد هم لعباد الله، ودعاهم للاستسلام أمام دين الحق، كما حذّر رؤساء القبائل ، والأغنياء، ، وآكلي الربا في مكة من مغبة استثمار الجموع المحرومة. وهكذا تقدم الى الأمام الى ان اقتلع جذور الفساد التي كانت قد نمت في اراضي الحكومات والرؤساء، وحقق نجاحاً كبيراً في هذا الطريق، وأقام حكومة اسلامية.... حكومة كانت تقوم على أساس الإعتقاد والإيمان بالله، واحترام الكرامة الإنسانية.

«كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكّيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلّمكم مالم تكونوا تعلمون».

(البقرة ــ ١٥١)

وفي آية أُخرى يبين القرآن بصراحة تامة وبصورة عامة مسؤولية القادة والحكام في تربية وتزكية الأمّة.

«الذين ان مكّنّاهم في الأرض أقاموا الصّلاة وآتوا الزكـاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور».

(الحج ــ ٤١)

ولذلك فان الشخصيات السياسية ليست مسؤولة عن السياسة والإقتصاد وحفظ الأمن فحسب، بل تقع على عاتقها مسؤوليات أكبر في مجالات؛ الأخلاق، والإيمان، والعمل، والتقوى،

والإحسان، ومكافحة المنكر والفساد. وهذا مايميز النظام السياسي للإسلام عن بقية الأنظمة السياسية الأخرى.

الحقوق في النظام الإسلامي :

تشكل الحقوق في النظام الاسلامي، جزءاً من السياسة الإسلامية. وان القوانين الحقوقية تتحدد من جانب الله سبحانه وتعالى، كما ان المحاكم القضائية والقضاة لن تكون لهم شرعية ما لم يتواجدوا في ظل الحكومة الإسلامية الحقة.

والقرآن الكريم يصف المحاكم اللاشرعية بالطواغيت، مؤكداً ان اللجوء اليها يوازي الإمتثال لأحكام الطواغيت، في حين ان الحكم والقضاء هما من اختصاص الله، ورسله و من يسير على خطاهم.

«يا أيها الّذين آمنوا أطيعوا الله واطيعوا الرّسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردّوه الى الله والرّسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا * الم ترالى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطّاغوت وقد أمروا أن يكفروا به و يريد الشيطان أن يضلّهم ضلالا بعيدا».

(النساء : ٥٩ ــ ٦٠)

والآيتان الآنفتان تذم بشدة الاشخاص الذين يمتثلون لأحكام الحكام اللاشرعية. اما في النظام الإجتماعي والحقوقي والسياسي للإسلام، فإنّ الحكام الشرعيين يعيّنون من جانب الله والرسول وممثلية الحق، بحيث ان أي حكم يصدر من جانب هؤلاء يكون واجب الاتّباع:

«وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالا مبينا».

(الأحزاب ــ ٣٦)

والحاصل ان ضمان حقوق الأفراد والمجتمع الإسلامي، يتم في اطار الشرع المطهر والقوانين وضوابطها و بواسطة حكام الشرع الذين يعيّنون من جانب الأولياء الصالحين في النظام الإسلامي.

وعلى أي حال؛ يمكن تلخيص أهداف ووظائف الحكومة في النظام السياسي للإسلام على النحو التالي:

١ ــ حراسة الرسالة الحقة التي تعتبر أساساً لجميع الفضائل.

٢ ــ محاربة الطاغوت باعتبارة أساساً للفساد والويلات والمصائب.

٣ ــ حماية المستضعفين وتحرير المضطهدين.

٤ ــ التصدي للمعتدين على حقوق المحرومين.

٥ ــ الحكم بالحق والعدل والقسط، وتضمين الحقوق الفردية والاجتماعية.

٦ ــ تحسين الاوضاع الاقتصادية للبلاد وازالة التفرقة والاستثمار.

٧ ــ حفظ الوحدة وحل الإختلافات.

٨ ــ تربية النفوس على أساس الرسالة والقيادة الحكيمة من أجل اسعاد الإنسان في الحياة الدنيا والآخرة.

نظام الحكومة في الاسلام :

والمسألة الأخرى، هي البحث في النظام السياسي للإسلام.

ان النظام ونوع الحكومة يختلف تبعاً للرؤى والفلسفات والأعراف والسنن والمجتمعات. فقبل الميلاد بأربعة قرون، ألف أرسطو كتاب

«السياسة» شرح وحلل فيه ثلاثة أنواع من الحكومات.

۱ ــ الحكومات الإستبدادية.

۲ ــ الحكومات الارستقراطية.

۳ ــ الحكومات الد يمقراطية.

وقد عرفت الحكومة الديمقراطية كأفضل أنواع الحكومات على مرّ تاريخ العلوم السياسية رغم اختلاف الآراء الموجودة، وأيضاً رغم الإختلاف الموجود حول مفهوم ومصداق هذه الكلمة أوصحتها أوخطأها. ونحن هنا نريد ان نعرف أي نوع من تلك الحكومات يتناسب مع السياسة والحكومة الاسلامية؟

ان التحقيق والتعمق في الآيات القرآنية يوصلنا الى هذه النتيجة وهي ان السياسة في المجتمع الإسلامي رغم تناسبها مع الد يمقراطية بمفهومها الصحيح والغير ملفّق، إلّا انها تختلف معها اختلافاً أصولياً وأساسياً، بحيث تشخّص حقيقة الروح والهوية السياسية في النظام الإسلامي المتمثلة في الحاكمية الإلهية.

ولتوضيح هذه المسألة نورد الأصول التي يمكن ان تعطي الحكومة صفة الشرعية من وجهة نظر القرآن، ثم نحقق أكثر في الخصوصية المذكورة أعلاه.

كيفية استلام السلطة:

۱ ــ **بالنص:** النص عبارة عن التعيين من قبل الله والرسول. وهذا يختص بالرسول والإمام، وتبعاً لذلك ولي الفقيه الذي عُيّنت له المقاييس من قبل الرسول والأوصياء. والآية المذكورة أدناه تبيّن هذا الأصل:

«أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولي الأمر منكم».

(النساء ــ ٥٩)

۲ ــ **بالشورى:** ينص هذا الأصل على ان يقوم الخبراء بالأمور، الذين تنتخبهم الأمّة وتوافق عليهم، بالتشاور معاً لانتخاب الحاكم الذي يكون مؤهلاً للحكم **«وأمرهم شورى بينهم»**.

۳ ــ **بالإستفتاء:** اذا لم يكن هناك نص صريح، فإنّ جميع أفراد الأمّة يكون لهم الحق في انتخاب الحاكم وفق الشروط والملاكات المبيّنة في الإسلام، وتفويض سياسة المجتمع الاسلامي له.

الا ان هناك مبدأً كليا وهو اشراف ولي الأمر على الأحداث السياسية في المجتمع الإسلامي. وهذا المبدأ هو السمة التي تميّز النظام الإسلامي عن بقية الأنظمة، ويجب ان يحفظ هذا المبدأ في كل الأحوال، ولابُدّ من التنويه الى ان ولاية الأمر التي تختص بالنبي والإمام ــ حسب وجهة نظرنا ــ تفوّض الى الفقيه الجامع للشرائط والعارف بأمور زمانه فيما اذا لم يوجد النبي والإمام كما هو الحال في عصرنا الحاضر. ويستطيع الفقيه ان يدرس التصميمات والقرارات المتخذه، ويصادق عليها، أو يرفضها، وهذا حق محفوظ له.

تقول الآية:

«وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكّل على الله».

(آل عمران ــ ١٥٩)

والآية المذكورة يمكن أن تكون اشارة الى هذا الأصل.

وكما نلاحظ فإنّ الآية توصي بأصل الشورى،

لكنها في الوقت نفسه تؤكد على ان القرار النهائي يجب ان يُتخذا من جانب الرسول (ص) بعد توكله على الله.

ولذلك فانَّ مزّية الإستفتاء والشورى في النظام السياسي في الإسلام هي ان الحكومة بين الله والشعب تدار باشراف من الرسول، خلافاً للأنظمة السياسية الأُخرى التي تعطي الأصالة الكاملة للشورى وآراء الشعب، ولا تأبه بما يدعو اليه الله أوالرسول الأكرم (ص).

ان مبدأ الحاكمية هو من اختصاص الله، و يطبّق بواسطة ولي الأمر، و يتمتع الناس من جانبهم بحق ابداء الرأي، شريطة تطابق رأيهم مع الأحكام الإلهية ونظر ولي الأمر.

قال تعالى :

«لتحكم بين النّاس بما أراك الله».

(النساء ـــ ١٠٥)

منشأ القوانين في النظام السياسي للإسلام :

مثلما استنبطنا من بحوثنا السابقة، فإنَّ القوانين والأحكام في النظام السياسي للإسلام، متخذة من الوحي الذي نزل على الرسول (ص) من جانب مبدأ الغيب، وكانت تفصّل وتوضّح بأقوال وأعمال الرسول (ص). وتعتقد الأُمة الإسلامية بأنَّ القرآن يجمع كل المبادىء والقوانين والأحكام الضرورية للبشر في كل العصور، ولذلك يمكن تطبيق كل الأُمور والمسائل المستحدثة على مرّ الزمن واستنباط أحكامها منه ـــ القرآن ـــ.

وتحظى مسألة الإجتهاد بمكانة خاصة في الفقه، وتعتبر مثالاً واضحاً على امكانية تطبيق الأحكام الإسلامية في كل الظروف. كما يعتبر الإجتهاد مبدأ يُتّخذُ أصله من النصوص الإسلامية (القرآن والأحاديث) وان الإستناد اليه يجعل النظام السياسي للإسلام غنياً من الناحية القانونية، ويحول دون وصوله الى طريق مسدود، كما يمكّنه من ايجاد مقاييس للوقائع والمسائل اليومية المستحدثة في عالم السياسة وعلاقات الدول والشعوب.

قال تعالى:

«لتحكم بين الناس بما اراك الله»

(النساء ـــ ١٠٥)

ضمان اجراء القوانين :

رغم ان الدولة والموظفين في النظام الإسلامي مسؤولون عن اجراء القوانين الإلهية بحكم المسؤولية التي تقع على عاتقهم، إلّا ان جميع ابناء الشعب مسؤولون بدورهم عن اجراء القوانين في ظل هذا النظام، ذلك ان القوانين في النظام الإسلامي لا تعتبر مقررات اجبارية لاروح فيها بحيث يمكن للشعب طرحها جانباً، بل انها تعتبر تكاليف يجب تنفيذها من قبل أى فرد مسلم، وذلك بحكم ايمانه بالله والآخرة، وطلباً لرضا الله واسعاد نفسه وغيره، لذلك فإنَّ مسألة تنفيذ القوانين في النظام الإسلامي لا توصل الدولة الإسلامية الى طريق مسدود، ولكن اذا انتهكت القوانين وهذا أمر موجود في كل مجتمع فإنَّ الدولة الإسلامية مضطرة لاستعمال القوة، وقوانين العقوبات الشرعية في النظام القضائي الإسلامي ماهي إلاّ قوانين شرعت من أجل التصدي للمتخلفين. والآيات المذكورة أدناه تبيّن الروحية الإيمانية للمسلمين الذين يطبقون المقررات والأحكام الإلهية :

«انّما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون».

(النور ـــ ٥١)

«فلا وربّك لايؤمنون حتّى يحكّموك فيا شجر بينهم...».

(النساء ـــ ٦٥)

واذا خرجت طائفة من المسلمين عن الأوامر الإلهية، وطغت، وأثارت الفتنة، ولم تأبه بمصالح المسلمين، فعلى المسلمين أن يقاتلوا الفرقة الباغية حتى تمحى آثار الفتنة، و يسود الحق في المجتمع الإسلامي.

وان طائفتان من المؤمنين أقتتلوا فاصلحوا بينها فان بغت احدا هما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينها بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين».

(الحجرات ـــ ٩)

وليس الصلح بالقسط ان يُلقى السلاح على الأرض، ولايتم تحديد الظالم والمظلوم، بل يجب ان يؤاخذ الظالم اذا ما سلب أموال المسلمين أو انتهك أعراضهم، كما يجب اعطاء كل ذي حق حقه. ومفهوم العدل والقسط انما يعني اعادة الحق المسلوب ولذلك فإنَّ الصلح والعدل يجب ان يكونا متوازيين، وذلك من أجل انزال العقوبة بالمعتدين ومفتعلي الفتن لا تشجيعهم على مايقومون به.

وعلى أية حال، فإنَّ الحديث يدور عن حاكمية القوانين في النظام الإسلامي والتي يجب ان تطبّق في كل المجالات سواءاً في المسائل الداخلية أوالخارجية، لكي يبقى النظام الإسلامي في مأمنٍ من الفوضى، وتتم صيانة جميع الحقوق الفردية والإجتماعية.

ولقد اتضح من خلال البحوث الماضية جذور ونشأة وشرعية السلطات الثلاث: «التشريعية والقضائية والتنفيذية» التي تشكل أركان كل نظام ــ وخاصة في النظام السياسي الاسلامي، كما اتضحت اهدافها والعلاقات فيا بينها واتضحت واجبات الناس ازاءها.

ويمكن في هذا البحث التحدث عن الأطروحات والبرامج وكيفية العمل بها في المسائل السياسية الجارية، غير ان الفرصة لا تمكننا من البحث في الجزئيات.

العلاقة بين الحكومة والشعب :

ان العلاقة بين الحكومه والشعب ـــ في النظام السياسي للإسلام ــ ليست كعلاقة الظالم والمظلوم، والقوي والضعيف ـــ كما هو الحال في النظم السياسية الغير إلهية ـــ بل ان هذه العلاقة تقوم على أساس؛ الحاكمية الإلهية، والإرادة الحرة للشعب، والتعاطف والتعاون والإيمان والصدق. وهونفس الأسلوب الذي اتبعه الرسول (ص) واتباعه الحقيقيون.

وعند ما يبين القرآن الكريم الهدف من بعث الرسول (ص) فإنه يصرح بأن (ص) جاء ليحطم القيود والأغلال التي كانت تكبل أرواح وأجسام الناس آنذاك .

«و يضع عنهم اصرهم والأغلال الّتي كانت عليهم».

(الأعراف ـــ ١٥٧)

وبهذه الولاية يحكم الرسول وأولي الأمر على الناس:

«النبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم».

(الأحزاب ــ ٦)

وهذه الولاية تحظى بتأييد الناس:

«فلا وربك لايؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت و يسلّموا تسليماً».

(النساء ــ ٦٥)

وفي مثل هذا النظام الذي يقوم على أساس الولاء والتلاحم ووحدة الأهداف تكون الحكومة غير منفصلة عن الشعب كما ان الشعب لايعتبر نفسه غريباً عنها. لذلك فهويشاركها في الحفاظ على النظام باعتباره أصلاً ومرتكزاً لوحدة الأمّة والإمام والدولة والشعب.

مسؤولية العلماء والناس في الشؤون السياسية :

ان علماء الإسلام باعتبارهم العقول المفكرة والمسؤولة عن زعامة المجتمع الإسلامي، لهم مسؤولية، ودور خطير في الشؤون السياسية. والقرآن الكريم يذم علماء الدين من أهل الكتاب الذين سكتوا عن الظلم. ومن جهة اخرى يحث الناس وخاصة علماء وقادة الدين على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والوقوف بوجه الظلم والجور.

والآيات المدرجة أدناه هي نموذج عن مايقوله القرآن الكريم في هذا المجال:

لولا ينهاهم الرّبّانيّون والأحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون».

(المائدة ــ ٦٣)

«لعن الّذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داوود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون».

«كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون».

(المائدة ــ ٧٨ ــ ٧٩)

والآيات المذكورة تضع المساومين مع الظلم وعلماء الدين الساكتين، في زمرة الكفار، وتعتبرهم ممن يستحقون لعنة الله وأنبيائه.

إنّ أعظم مسؤولية تقع على عاتق العلماء والقادة الدينيين، هي مراقبة أعمال الجبابرة المتربعين على أريكة السلطة والمتلاعبين بمقدسات الدين وكرامة الشعب. كما ان السكوت ازاء هؤلاء يعتبر جريمة لا تغتفر، و يترتب عليها العذاب الأليم.

مسؤولية الناس :

اما مسؤولية الناس ازاء هذا الأمر الخطير، فهي مسألة لايجب الإستهانة بها. ان احدى العقوبات الإلهية بحق الناس هي تحكم الحكومات الغير صالحة والمجرمة على رقابهم.

قال تعالى:

«واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول فدمّرناها تدميرا».

(الاسراء ــ ١٦)

ومن البديهي ان هلاك الناس على يد الحكام الجبابرة ليس عقوبة يستحقها الناس جزاء أعمالهم الغير لائقة وسكوتهم ومساومتهم واستسلامهم أمام الظلم والفساد، كما تصرح بذلك آيات اخرى:

«ذلك أن لم يكن ربّك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون».

(الأنعام ــ ١٣١)

ان سنّة الله تنص أولاً على التنبيه وتشخيص وظائف الناس في المسائل العبادية والسياسية والإجتماعية والأخلاقية والثقافية والعسكرية والدفاعية وغير ذلك، ثم تعيين قادة صالحين عليهم. واذا لم يخضع و يستسلم هؤلاء للحق، فإنّ الباري عزّوجلّ يسلب منهم القادة الصالحين و يترك القادة الغير صالحين ليفسدوا و يقتلوا الناس، وبهذه الطريقة تنزل العقوبة الإلهية على الناس بواسطة الحُكّام الظَّلَمَة.

ولذلك يجب على الناس ان يسلّموا زمام امورهم الى زعماء صالحين،وأنْ ينهضوا بوجه السياسات الإستكبارية كي تتحقق الحكومة الإلهية التي هي نفس حكومة الصالحين، ذلك ان الأرض لله يورثها لمن يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين.

«انّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتّقين» ■

(الأعراف ــ ١٢٨)

الهوامش

١ ــ يُعبّر عن السياسة بالإصطلاح الأجنبي بـ Politic، غير ان هذه الكلمة ــ حسب ما جاء في المعاجم الفارسية ــ تطلق على العمل الذي يرافقه تحايل وتزييف للواقع. وطبيعي ان هذا الاستنتاج العرفي لايتباين مع ما يشاهد من أُسلوب عمل سياسيي العالم، وان (الميكافيلية) التي تمثل نطاماً خاصاً من السياسة، وتسير السياسة الراهنة للعالم نحو هذه الجهة، تعني العبور من جسور الجرائم لتحقيق الأغراض السياسية. و بديهي ان مثل هذه السياسة تتباين كلياً مع ما نفهمه من السياسة الإسلامية.

٢ ــ النقل بالمعنى.

٣ ــ الم ينتبه الى الآية المذكورة اولئك الذين يطلبون من ايران أن تستجيب لاقتراح النظام العراقي المعتدي؟ ان اعتداءات وجرائم النظام العراقي ليست بخافية على احد، كما ان موقف العراق الذى يخدم الاستكبار العالمي والامبريالية لهو أمر واضح. ولذلك ــ وبحكم الآية الكريمة ــ لابُدّ للمسلمين ان يقفوا الى جانب ايران و يحاربوا البعثيين المعتدين الى أن تتم مجازاتهم و يتحقق الصلح العادل والمشرف. و بعكس ذلك تكون ادعاءات الصلح خدمة للاستكبار العالمي.

٤ ــ وهذا مانشاهده اليوم في الجمهورية الاسلامية.

اسماء واوصاف القرآن في

حجة الاسلام الشيخ محمد باقر الانصاري/ ح. إ. إ

الموضوع الذي اخترته للمؤتمر الثاني للفكر الإسلامي هو؛ «**معرفة القرآن من وجهة نظر القرآن**» وكما يبدو من هذا العنوان، فإنَّ التركيز والإستناد إنَّما يكون على القرآن وحده، ليُعرَف التصور الذي يعطيه عن نفسه بالخصوص.

وللبحث في هذا الموضوع، لجأنا الى أفضل أسلوب لمعرفة القرآن، وهو تفسير القرآن بالقرآن. ولتوضيح هذا الأُسلوب نقول؛ انه لكي نتوفر على دراسة أي موضوع من وجهة نظر القرآن، يجب ان يُطالع القرآن كله، ثم يُركَّزُ على الآيات المتعلقة به. ولن تكفي مراجعة للمعاجم المفهرسة لتحقيق هذا الهدف، ذلك انه قد يكون هناك الكثير من الآيات التي ترتبط بموضوع البحث رغم أنها لا تحوي الكلمات المعينة باعتبار انها قد طرحت الموضوع بشكل آخر. لذا فما لم نقم بمراجعة القرآن من أوله الى آخره لا نستطيع ادعاء صحة استنتاجنا تماماً من مجموع الآيات الشريفة.

فمثلاً لو لاحظنا الموضوع الذي اخترناه ولو راجعنا الآيات القرآنية التي تتضمن كلمات: «القرآن» «الكتاب» «الفرقان» وأمثالها من خلال المعاجم المفهرسه، ورحنا نعمل على الوصول للنتيجة، فإنَّ رأينا سوف لن يكون رأياً سديداً مستقصياً كل الأبعاد.

ذلك لأنَّ هناك كلمات من قبيل؛ «الذكر» و «غير ذي عوج» و «حديث» وعشرات أمثالها من الكلمات التي ترتبط بالموضوع بشكل مباشر، ربّما لا نلتفت اليها، ومن ثم نعمد للإستنتاج دون ملاحظتها، مما يجعل استنتاجنا ــ بشكل طبيعي ــ استنتاجاً غير علمي ولا قطعي، و بالتالي لا يمكن اعتباره وجهة نظر قرآنية.

ولكي يكتمل موضوع البحث، فقد قمت بمطالعة القرآن الكريم، واستخرجت منه الآيات التي رأيتها تخدم غرضي، وصنفتها الى مجموعات.

ان تصنف الآيات يمكن طرحه مع المواضيع المدرجة أدناه. لكن ومع ذلك يمكن ان تكون هناك سبل أخرى، بل أفضل لتصنف الآيات المستخرجة. اما المواضيع فهي:

الأول ــ خصائص القرآن.

الثاني ــ نزول القرآن.

الثالث ــ أحقية القرآن.

الرابع ــ الهدف الغائي للقرآن.

الخامس ــ عالمية القرآن.

اما الفصول الفرعية لكل من هذه العناوين ــ وفق الآيات المذكورة ــ فيمكن ترتيبها على النحو التالي: ــ

العنوان الأول: *خصائص القرآن:*

(١) ــ أسماء القرآن وأوصافه.

(٢) ــ معنى الآية والسورة.

(٣) ــ كونه عربياً لا أعجمياً.

(٤) ــ سهولته.

(٥) ــ شموله لكل شيء.

(٦) ــ عدم كونه شعراً.

(٧) ــ عدم تحريف القرآن.

(٨) ــ الناسخ والمنسوخ في القرآن.

(٩) ــ المحكم والمتشابه في القرآن.

(١٠) ــ تلاوة القرآن وقراءته.

(١١) ـــ عدم الإختلاف والتناقض فيه.

العنوان الثاني: نزول القرآن:

(١) ـــ كيفية النزول.

(٢) ـــ وحي القرآن.

(٣) ـــ اعلان نزول القرآن.

(٤) ـــ تلقي القرآن.

(٥) ـــ أُمية الرسول (ص).

(٦) ـــ تعليم القرآن.

(٧) ـــ قول النبي أم قول الله؟

العنوان الثالث: أحقية القرآن:

(١) ـــ آيات التحدي.

(٢) ـــ نزول القرآن بحق.

(٣) ـــ عدم الشك والريب في القرآن.

(٤) ـــ القرآن في الكتب والصحف الأُخرى.

(٥) ـــ القَسَم في القرآن.

العنوان الرابع: الهدف الغائي للقرآن:

(١) ـــ التدبر في القرآن.

(٢) ـــ الإيمان بالقرآن. «الإيمان ببعض والكفر ببعضٍ».

(٣) ـــ الخشوع في قبالِه.

(٤) ـــ التمسك به.

(٥) ـــ الوارثون للكتاب.

(٦) ـــ الكفر بالقرآن، والحجج الواهية وأنماط الاستهزاء.

(٧) ـــ معاقبة الكافرين بالقرآن.

(٨) ـــ القرآن منبع للهدى والضلال.

(٩) ـــ الأهداف الأخرى.

العنوان الخامس: عالمية القرآن:

ولما كان البحث في كل هذه الأبواب والفصول يؤدي الى تدوين كتاب مستقل، فإننا نركِّز على أول عنوان و بالخصوص على موضوع (أسماء القرآن وأوصافه) في هذا البحث، تاركين إكمال البحث الى الأُخوة المشاركين في هذا المؤتمر والمحققين اذا رغبوا في ذلك.

ما.

سماء القرآن وأوصافه:

يطلق القرآن على نفسه أسماءً وأوصافاً كثيرة بحيث لايمكن تفكيكها عن بعضها في بعض الموارد. من الواضح ان بعض الكلمات هي أسماء للقرآن مثل «القرآن» «الكتاب»، وأخرى أوصاف له مثل «الكريم» و«المبارك» في حين تجد ان بعضها يستعمل كإسم تارةً، وكصفة أُخرى مثل: (الهدى) و (الرحمة). وها نحن نحاول هنا دراسة الأسماء والأوصاف العامة بترتيب حروف الهجاء، وفي القسم الأخير نبحث عما هو صفة محضة بشكل مستقل.

(١)- أحسن ما أنزل:

وقد جاء هذا التعبير في مورد واحد في القرآن الكريم وهو آية «**واتبعوا احسن ما أُنزل اليكم من ربكم**» (سورة الزمر/٥٥) وفي مقام مقارنته بسائر الكتب السماوية الأخرى، وان أكمل الكتب السماوية واتقنها، حيث أوحي به الى آخر نبي:

(٢)- بشرى:

وهو أحد الأسماء التي أُطلقت عليه، والقرآن بشرى لانه يبشر بالجنة والنعم الأُخروية، وكذلك لأنه يوجب سعادة الإنسان في الدنيا أيضاً. والآيات التي ورد فيها هذا التعبير هي:

«**وهدىً وبشرى للمؤمنين**» (سورة البقرة/٩٧) و (سورة النمل/٢).

«**وهدىً ورحمة وبشرى للمسلمين**» (سورة النحل/٨٩).

«**وهدىً وبشرى للمسلمين**» (سورة النحل/١٠٢).

«**وبشرى للمحسنين**» (سورة الاحقاف/١٢).

(٣)- بصائر:

جمع بصيرة: وفعله بصر، يبصر (بضم الصاد) — بصراً وبصارة بمعنى حصول الوعي، والعلم بشيء

والبصيرة بمعنى العقل والدراية، وكذلك جاءت بمعنى العبرة، وبمعنى البينة والهادي الذي تمكن بواسطته رؤية الشيء كما هوعليه، وهو بهذا المعنى في القرآن، ذلك ان القرآن ضياء يمكن بواسطته رؤية الحقائق وادراكها وكونها بحالة الجمع في مورد القرآن انما هو لأجل ان كل سورة وآية منه بينة وهاد. فللقرآن دلائل واضحة وبراهين ساطعة تشخص سبل الحق وتميزها عن سبل الباطل. وقد جاء في موردين قرآنيين:

«**هذا بصائر من ربكم وهدىً ورحمة**» (سورة الأعراف/٢٠٣).

«**هذا بصائر للناس وهدىً ورحمة لقوم يوقنون**» (سورة الجاثية/٢٠).

(٤)- بلاغ:

جاء اطلاق البلاغ على القرآن في آية واحدة:

«**هذا بلاغ للناس ولينذروا به**» (سورة ابراهيم/٥٢).

والبلاغ بمعنى البلوغ والوصول الى المقصد.

جاء في المنجد: البلاغ ج البلاغات: الاسم من الابلاغ والتبليغ أي الإيصال. والبلاغ في مورد القرآن يأتي بهذا المعنى، فالقرآن سبب وصول الإنسان الى المقصد وهو التكامل النهائي.

(٥)- البيِّنة:

وهي من بان — يبين بياناً وتبياناً، بمعنى صيرورته واضحاً، والبيِّنة مؤنث بيِّن، وجمعها «بينات» وتعني الدليل والحجة الواضحة.

ولأن القرآن معجزة حقانية رسالة رسول الإسلام (ص) ولذا فقد استفاد من اطلاق هذه الكلمة ومشتقاتها على نفسه كثيراً. تارة بنحو الإسم، وأُخرى بنحو الصفة.

وكلمة «مبين» التي هي من مشتقات هذا اللفظ، أُطلقت على القرآن في آيات كثيرة كما سنوضحه بعد هذا.

اما كلمة البيِّنة، فقد أُطلقت في الموارد التالية:

«قل اني على بينة من ربي» (سورة الانعام /٥٧).

طبعاً هذا طبق رأي بعض المفسرين.

«فقد جاءكم بينة من ربكم» (سورة الانعام /١٥٧).

واستعملت بصيغة الجمع في آيات أخرى:

«ولقد انزلنا اليك آيات بينات» (سورة البقرة /٩٩).

وفق رأي بعض المفسرين:

«انزل فيه القرآن هدىً للناس وبينات» (سورة البقرة /١٨٥).

«واذا تتلى عليهم آياتنا بينات» (سورة يونس /١٥) و (١٩/٧٣) و (٢٢/٧٢) و (٣٤/٤٣) و (٤٥/٢٥) و (٤٦/٧).

«وكذلك أنزلناه آيات بيناب» (سورة الحج /١٦).

«وأنزلنا فيها آيات بينات» (سورة النور /١).

«بل هو آيات بينات» (سورة العنكبوت /٤٩).

«هو الذي ينزل على عبده آيات بينات» (سورة الحديد /٩).

«وقد أنزلنا آيات بينات» (سورة المجادلة /٥).

وجاء بصيغة مبينات في بعض الآيات:

«ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات» (سورة النور /٣٤).

«لقد أنزلنا آيات مبينات» (سورة النور /٤٦).

«يتلو عليكم آيات الله مبينات» (سورة الطلاق/١١).

ومن اللازم ذكره هنا ان كلمة «الآية» و «الآيات» لأنها استعملت ــ من جهة ــ في مورد القرآن وكذلك في معجزات رسول الإسلام وباقي الأنبياء، ومن جهة أُخرى نجدها لا تعبر عن اسم أو صفة مستقلة للقرآن، فإننا لم نذكرها عندما جمعنا الآيات. وللاستفادة منها يراجع المعجم المفهرس.

وقد ذكرت صفة (مبين) للقرآن في بعض الآيات وهي عبارة عن:

«وأنزلنا اليكم نوراً مبيناً» (سورة النساء /١٧٤).

«نور وكتاب مبين» (سورة المائدة /١٥).

«تلك آيات الكتاب المبين» (سورة يوسف /١) (٢٦/٢) و (٢٨/٢).

«تلك آيات الكتاب وقرآن مبين» (سورة الحجر/١).

«تلك آيات القرآن وكتاب مبين» (سورة النمل/١).

«ان هو الا ذكر وقرآن مبين» (سورة يس /٦٩).

«والكتاب المبين» (سورة الزخرف /٢) و (٤٤/٢).

وهناك كلمات أُخرى من مشتقات هذه الكلمة استعملت في مورد القرآن وهي:

بيان: **«هذا بيان للناس وهدىً وموعظة للمتقين»** (سورة آل عمران /١٣٨).

تبيان: **«ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء»** (سورة النحل /٨٩).

(٦)- تفصيل:

وهي احدى الكلمات التي استعملت في القرآن. والفصل بمعنى التفريق، والمزيد منه من باب التفصيل جاء بمعان منها: التبيين والتوضيح، الإتيان بالتفصيل والتطويل جعل الكتاب فصلاً فصلاً وكذلك تقطيعة. اما في مورد القرآن فقد جاء بمعنى التبيين الذي يرادف التبيان.

والآيات المتعلقة بالمورد هي:

«ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لاريب فيه» (سورة يونس /٣٧).

«ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء» (سورة يوسف / ١١١).

وجاء في آية واحدة بشكل مفعول:

«وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلاً» (سورة الانعام / ١١٤).

وفي آيات اخرى بشكل فعل وهي:

«ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم» (سورة الأعراف / ٥٢).

«كتاب أحكمت آياته ثم فصّلت من لدن حكيم خبير» (سورة هود / ١).

«كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً» (سورة فصلت / ٣).

«ولو جعلناه قرآناً اعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته» (٤١/٤٤).

ومعنى الأعجمي في الاية الأخيرة هو المبهم وغير الواضح وغير البليغ، وعليه فكلمة (فصّلت) سكون بالمعنى المذكور، أي انه لولم يكن القرآن مبيناً وواضحاً، لقال الكفار؛ لماذا لم يوضح القرآن؟

وفي آية اخرى أُستعملت كلمة (فصل) في القرآن وهي:

«انه لقول فصل» (سورة الطارق / ١٣).

واستعمال المصدر هنا هو بمعنى الفاعل و للمبالغة كما يقال زيد عدل، فالقرآن حقاً فاصل بين الحق والباطل، وعليه فهذا التعبير من نوع التعبير بـ (الفرقان).

(٧) ـ التنزيل:

وهي احدى الكلمات التي أُطلقت على القرآن، وهي مصدر نزل. وفي مجال نزول القرآن جاء اللفظ تارة من باب الافعال مثل:

«انا أنزلناه في ليلة القدر» (سورة القدر / ١).

وأُخرى من باب التفعيل. ويقول الراغب في الفرق بينهما: «والفرق بين الإنزال والتنزيل في وصف القرآن والملائكة ان التنزيل يختص بالموضع الذي يشير اليه انزاله مفرّقاً ومرة بعد أُخرى، والإنزال عام».

والمقصود هو ان التنزيل يعني النزول التدريجي للقرآن، خلافاً للإنزال الذي لا يدل على نوع النزول أهو دفعي أم تدريجي. وقد جعل المنجد التنزل من باب التفعل، بمعنى النزول التدريجي، وقد جاء التنزيل بمعنى الترتيب والتنظيم.

والآيات التي جاءت فيها كلمة التنزيل في مجال القرآن هي:

«تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم» (سورة المؤمن / ٢).

«وانه لتنزيل رب العالمين». (سورة الشعراء / ١٩٢).

«تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين». (سورة السجدة / ٢).

«تنزيل العزيز الرحيم» (سورة يس / ٥).

«تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم» (سورة الزمر/١)و(٤٥/٢)و(٤٦/٢).

«تنزيلاً ممن خلق الأرض والسماوات العلى» (سورة طه / ٤).

«تنزيل من الرحمن الرحيم» (سورة فصلت / ٢).

«تنزيل من حكيم حميد» (سورة فصلت / ٤٢).

«تنزيل من رب العالمين» (سورة الحاقة / ٤٣).

كما جاء في بعض الآيات بشكل المفعول المطلق:

«انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً» (سورة الدهر / ٢٣).

وجاء في بعض الآيات بشكل فعل و محل بحثه في قسم نزول القرآن.

(٨) ـ حديث:

وأحسن الحديث: بمعنى الخبر. وكما يقول

الراغب فهو عبارة عن كل كلام يصل الى الإنسان بالسمع أو بطريق الوحي ـــ في النوم أو اليقظة.

ولأن القرآن وصل بالوحي الى رسول الإسلام، فقد أُطلق عليه لفظ «حديث أو أحسن الحديث» والآيات التي تتضمن ذلك هي:

«ما كان حديثاً يفترى» (سورة يوسف / ١١١).

«ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً» (سورة الكهف / ٦).

«الله نزّل أحسن الحديث كتابا متشابهاً» (سورة الزمر / ٢٣).

«افمن هذا الحديث تعجبون» (سورة النجم / ٥٩).

«افبهذا الحديث انتم مدهنون» (سورة الواقعة / ٨١).

«فذرني ومن يكذب بهذا الحديث» (سورة القلم / ٤٤).

وفي بعض الآيات جاء التحدي للمنكرين ان يقدروا على الإتيان بمثل هذا الحديث أو الخوض في حديث غيره، وهي:

«حتى يخوضوا في حديث غيره» (سورة النساء / ١٤٠).

«فبأي حديث بعده يؤمنون» (سورة الاعراف / ١٨٥) و (٧٧/ ٥٠).

«فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون» (سورة الجاثية / ٦).

«فليأتوا بحديث مثله» (٥٢/ ٣٤).

(٩)- حق ـــ حق اليقين:

أصل الحق بمعنى المطابقة والموافقة، وقد استعمل في القرآن الكريم في أربعة معان كما يقول الراغب:

١)- في الموجد للشيء بمقتضى الحكمة، فالله من هذه الجهة حق، كما في آية:

«فذلكم الله ربكم الحق» (سورة يونس / ٣٢).

٢)- الشيء الذي وجد بمقتضى الحكمة: مثل: **«ما خلق الله ذلك الا بالحق»** (سورة يونس / ٥).

٣)- في الإعتقاد بشيء يطابق الواقع، وذلك في مثل:

«فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق» (سورة البقرة / ٢١٣).

٤)- في الفعل والقول الذي يتحقق بالمقدار اللازم، وفي الوقت اللازم، وبمقتضى الضرورة واللزوم:

«كذلك حقت كلمة ربك» (سورة يونس / ٣٣).

وأفضل معنى للحق في مجال القرآن، هو المعنى الرابع، وإن كان المعنى الثاني مناسباً. ولنذكر الآن الآيات التي استعملت لفظة (الحق) في القرآن، وهي:

«وهو الحق مصدقاً لما معهم». (سورة البقرة / ٩١).

«نزّل الكتاب بالحق» (سورة البقرة / ١٧٦).

«نتلوها عليك بالحق» (سورة البقرة / ٢٥٢).

«نزّل عليك الكتاب بالحق». (سورة آل عمران / ٣).

«انزلنا اليك الكتاب بالحق» (سورة النساء / ١٠٥) و (٥/ ٤٨).

«ممّا عرفوا من الحق» (سورة المائدة / ٨٣).

«وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق» (سورة المائدة / ٨٤).

«يعلمون أنه منزّل من ربك بالحق» (سورة الأنعام / ١١٤).

«لقد جاءك الحق من ربك» (سورة يونس / ٩٤).

«قد جاءكم الحق من ربكم» (سورة يونس / ١٠٨).

«انه الحق من ربك» (سورة هود / ١٧).

«والذي انزل اليك من ربك الحق». (سورة الرعد

/١).

«انما أُنزل اليك من ربك الحق» (سورة الرعد /١٩).

«وبالحق أنزلناه وبالحق نزل» (سورة الاسراء /١٠٥).

«وقل الحق من ربكم» (سورة الكهف /٢٩).

«انه الحق من ربك» (سورة الحج /٥٤).

«فلما جاءهم الحق من عندنا» (سورة القصص /٤٨).

«انه الحق من ربنا» (سورة القصص /٥٣).

«أو كذب بالحق لما جاءه» (سورة العنكبوت /٦٨).

«بل هو الحق من ربك» (سورة السجدة /٣).

«الذي انزل اليك من ربك هو الحق» (سورة سبأ /٦).

«كفروا للحق لما جاءهم» (سورة سبأ /٤٣) و (٧/٤٦).

«والذي أوحينا اليك من الكتاب هو الحق» (سورة فاطر /٣١).

«إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق» (سورة الزمر /٢).

«إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق» (سورة الزمر /٤١).

«أنزل الكتاب بالحق» (سورة الشورى /١٧).

«ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر» (سورة الزخرف /٣٠).

«تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق» (سورة الجاثية /٦).

«وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم» (سورة محمد(ص) /٢).

«وما نزل من الحق» (سورة الحديد /١٦).

«وقد كفروا بما جاءكم من الحق» (سورة الممتحنة /١).

«وانه لحق اليقين» (سورة الحاقة /٥١).

(١٠)- الحكم:

«وقد جاء هذا اللفظ بمعانٍ عدة، منها: فصل النزاع، الحكم وتدبير الأمور السياسية، الرجوع، صيرورة الشخص حكيماً.

وقد جاء في مورد القرآن في موضع واحد وهو:

«وكذلك أنزلناه حكماً عربياً» (سورة الرعد /٣٧).

ومن الأهداف الأخرى للقرآن والكتب السماوية الأخرى، الحكم بين الناس، وهو ما بيّن بصراحة في آيات كثيرة مثل:

«إنّا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله». (سورة النساء /١٠٥).

«وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه». (سورة البقرة /٢١٣).

وفي بعض الآيات، ذكرت كلمة (حكيم) كصفة للقرآن وهي:

«ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم» (سورة آل عمران /٥٨).

«الر تلك آيات الكتاب الحكيم» (سورة يونس /١) و (٢/٣١).

«والقرآن الحكيم» (سورة يس/٢).

ويمكن ان يكون المقصود من «الحكيم» هنا ان القرآن يتضمن الحكمة، وهي عبارة عن العلم الذي يحفظ الإنسان من الأعمال القبيحة، وقد اطلقت كلمة «الحكمة» في مورد واحد على القرآن، وهو:

«حكمة بالغة فما تغن النذر» (سورة القمر /٥).

ويمكن ان يكون المقصود هو المحكم، أي ان القرآن منظم ومتقن في ترتيبه. وطبيعي ان الإحتمال الثاني يبدو أقوى، ذلك لأنه جاء فعل هذه الصيغة من باب الافعال، بمعنى الإتقان في آيتين، وهما:

«كتاب أُحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير» (سورة هود / ١).

«ثم يحكم الله آياته» (سورة الحج / ٥٢).

وكلمة محكمة في الآية التالية بهذا المعنى:

«فاذا أُنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال» (سورة محمد (ص) / ٢٠).

وطبيعي، ان الآيات المحكمة في قبال الآيات المتشابهة، لها معنى آخر يجب ان يقع موقع البحث من بحث المحكم والمتشابه.

والحكيم هو إحدى صفات الله التي تعني الإتقان في الأُمور، فأفعاله تعالى تتحقق على أساس النظام والترتيب والإتقان، ولذا فلما كان القرآن نازلاً من عند الحكيم فهو محكم ومتقن بدوره. ويمكن ان يكون شاهد هذا المعنى الآيات التي تنسب نزول القرآن الى الله المتصف بأنّه حكيم من مثل:

«وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم» (سورة النمل / ٦).

«تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم» (سورة الزمر / ١).

«تنزيل من حكيم حميد» (سورة فصلت / ٤٢).

(١١) ـ الذكر:

يقول الراغب في مفرداته: **«الذكر تارة يقال ويراد به هيئة للنفس بها يمكن للإنسان ان يحفظ ما يقتنيه من المعرفة وهو كالحفظ، إلاّ ان الحفظ يقال اعتباراً باحرازه، والذكر يقال اعتباراً باستحضاره. وتارة يقال لحضور الشيء القلب، أو القول، ولذلك قيل: الذكر، ذكران: ذكر بالقلب، وذكر باللسان».**

ولأن القرآن يوجب التذكر والرجوع الى الذات، فقد أُسمي بـ(الذكر) والآيات التي تتضمن استعمال هذه الكلمة بهذا المعنى هي:

«والذكر الحكيم» (سورة آل عمران / ٥٨).

«او عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم» (سورة الاعراف / ٦٣) و (٧/ ٦٩).

«ان هو الا ذكر للعالمين». (سورة يوسف / ١٠٤).

«وقالوا يا أيها الذي نزّل عليه الذكر انك لمجنون» (سورة الحجر / ٦).

«انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون» (سورة الحجر / ٩).

«وأنزلنا اليك الذكر» (سورة النحل / ٤٤).

«وقد آتيناك من لدنّا ذكراً» (سورة طه / ٩٩).

«هذا ذكر من معي وذكر من قبلي» (سورة الانبياء / ٢٤).

«وهذا ذكر مبارك أنزلناه» (سورة الانبياء / ٥٠).

«وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث» (سورة الشعراء / ٥).

«انما تنذر من اتبع الذكر» (سورة يس / ١١).

«ان هو الا ذكر وقرآن مبين» (سورة يس / ٦٩).

«فالتاليات ذكراً» (سورة الصافات / ٣).

«ص والقرآن ذي الذكر» (سورة ص / ١).

«أنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري» (سورة ص / ٨).

«ان هو الا ذكر للعالمين» (سورة ص / ٨٧) و (٨١/ ٢٧).

«ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز» (سورة فصلت / ٤١).

«أفنضرب عنكم الذكر صفحاً» (سورة الزخرف / ٥).

«وانه لذكر لك ولقومك» (سورة الزخرف / ٤٤).

«ولقد يسرنا القرآن للذكر» (سورة القمر / ١٧ ـ ٢٢ ـ ٣٢ ـ ٤٠).

«أأُلقي الذكر عليه» (سورة القمر / ٢٥).

«قد أنزل الله اليكم ذكراً» (سورة الطلاق / ١٠).

«لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون. وما هو الا ذكر للعالمين» (سورة القلم / ٥١ ــ ٥٢).

وقد استعملت كلمة (ذكرى) في بعض الآيات وهي:

«ان هو الا ذكرى للعالمين» (سورة الانعام / ٩٠).

«وذكرى للمؤمنين» (سورة الاعراف / ٢) و (١١ / ١٢٠).

«وذكرى لقوم يؤمنون» (سورة العنكبوت / ٥١).

كما استعملت لفظة (تذكرة) في آيات أخرى هي:

«إلاّ تذكرة لمن يخشى» (سورة طه / ٣).

«وانه لتذكرة للمتقين» (سورة الحاقة / ٤٨).

«ان هذه تذكرة» (سورة المزمل / ١٩).

«فما لهم عن التذكرة معرضين» (سورة المدثر / ٤٩).

«كلا انه تذكرة» (سورة المدثر / ٥٤).

«ان هذه تذكرة» (سورة الدهر / ٢٩).

«كلا أنها تذكرة» (سورة عبس / ١١).

(١٢)ـ رحمة:

بمعنى الرقة والعطف الذي يتبعه البذل والإحسان وفي المجال الإلهي ــ لأن الله ليس محلاً للحوادث ولا مجال فيه للتأثر ــ يجب ان ينزها كباقي الصفات عن المعاني المادية فرحمته انعامه وبذله للعباد الذين يستحقون ذلك، لان فيض الله جار دائماً، ورحمته جارية، ويبقى ان تتوفر القابلية في الشخص والشيء حتى تنا له الرحمة.

والرحمة في مورد القرآن بهذا المعنى فهو نبع متدفق دائماً لهداية الإنسان وسعادته، ويبقى ان تتوفر القابلية والإستحقاق في الناس ليستفيدوا من هذا النبع المتدفق.

و لنذكر الآن الآيات التي وردت فيها هذه الكلمة ويقصد منها القرآن نفسه.

«فقد جاء كم بينة من ربكم وهدىً ورحمة» (سورة الانعام / ١٥٧).

«هدىً ورحمة لقوم يؤمنون» (سورة الأعراف / ٥٢).

«وهدىً ورحمة لقوم يؤمنون» (سورة الأعراف / ٢٠٣).

«وهدىً ورحمة للمؤمنين» (سورة يونس / ٥٧).

«وهدىً ورحمة لقوم يؤمنون» (سورة يوسف / ١١١) و (١٦ / ٦٤).

«وهدىً ورحمة وبشرى للمسلمين» (سورة النحل / ٨٩).

«ورحمة للمؤمنين» (سورة الأسراء / ٨٢).

«وانه لهدى ورحمة للمؤمنين» (سورة النمل / ٧٧).

«هدى ورحمة للمحسنين» (سورة لقمان / ٣).

«هذا بصائر للناس وهدىً ورحمة» (سورة الجاثية / ٢٠).

(١٣)ـ روح:

اطلقت هذه الكلمة في مورد واحد على القرآن وهو آية:

«وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا» (سورة الشورى / ٥٢).

وقد قال الراغب في وجه تسميته بذلك: وذلك لكون القرآن سبباً للحياة الأُخروية الموصوفة في قوله:

«وان الدار الآخرة لهي الحيوان» (سورة العنكبوت / ٦٤).

(١٤)ـ شفاء:

بمعنى البرء من المرض، ولأنّ القرآن وسيلة للشفاء من الأمراض الأخلاقية والنفسية، فقد أُطلقت عليه هذه الكلمة. والآيات التي جاء فيها كذلك هي:

«قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في

دور» (سورة يونس /٥٧).

ونـنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة» (سورة الإسراء /).

«قل هو للذين آمنوا هدىً وشفاء» (سورة فصلت /٤).

١)- صحف:

جمع صحيفة، بمعنى الشرط المنبسط، أو بمعنى صفحة التي كتب عليها شيء. والجمع هو صحائف، وقد أُستعمل هذا الإسم في القرآن كتب السماوية الأُخرى. اما في القرآن فرتان، داهما:

«فمن شاء ذكره * في صحف مكرمة» (سورة عبس /١٣).

الأُخرى:

«صحفاً مطهرة» (سورة البينة /٢).

في سورة الأعلى، جاءت في كتاب ابراهيم وسى:

«صحف ابراهيم وموسى» (سورة الأعلى /١٩).

حياناً بعنوان الصحف الأولى:

«أولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى» (سورة طه ١٣١).

اما استعمال كلمة مصحف في القرآن، فهو تأخر، ولم تذكر هذه الكلمة في القرآن. وهذه كلمة ــ كما ذكر في كتب اللغة ــ هي بمعنى صفحات التي صارت بشكل كتاب ونظمت بين لدفين، ولم يكن القرآن بشكله المجلد عند نزوله، بل ان صحائف يكتبها كتاب الوحي.

١٠)- الصدق:

وهو أحد العناوين التي أُطلقت على القرآن، مناسبته في مورد القرآن واضحة، والآيات التي اء فيها هي:

«وكذب بالصدق اذجاءه» (سورة الزمر /٣٢).

«والذي جاء بالصدق وصدق به» (سورة الزمر /٣٣).

«وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته» (سورة الانعام /١١٥).

وفي موردين آخرين، ذكر قول الله وهو القرآن على انه «أصدق» وهما:

«ومن أصدق من الله حديثاً» (سورة النساء /٨٧).

«ومن أصدق من الله قيلاً» (سورة النساء /١٢٢).

وفي بعض الموارد، ذكر القرآن باعتباره مصدقاً للكتب السماوية التي سمقته، وهي:

«وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم» (سورة البقرة /٤١).

«ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم» (سورة البقرة /٨٩).

«وهو الحق مصدقاً لما معهم» (سورة البقرة /٩١).

«وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه» (سورة الانعام /٩٢).

«نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه» (سورة البقرة /٩٧).

«نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه» (سورة آل عمران /٣).

«آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم» (سورة النساء /٤٧).

«فيه هدىً ونور ومصدقاً لما بين يديه» (سورة المائدة /٤٦).

«وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب» (سورة المائدة /٤٨).

«ولكن تصديق الذي بين يديه» (سورة يونس /٣٧) و (١١١/١٢).

«هو الحق مصدقاً لما بين يديه» (سورة فاطر /٣١).

«وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً» (سورة الأحقاف /١٢).

«كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه» (سورة الاحقاف /٣٠).

(١٧)- العدل:

وقد أُطلق على القرآن في مورد واحد اسم «العدل» وهو الآية:

«وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته» (سورة الانعام /١١٥).

والمقصود منه ان القرآن من حين نزل باقٍ على صفته الأولى دون تحريف أو تبديل، وكلمة «لا مبدل لكلماته» تعليل لكونه «صدقاً وعدلاً» بمعنى ان الصدق وعدم الإنحراف فيه لأنه لا يحصل تبديل في كلماته.

(١٨)- الفرقان:

مصدر من فرق يفرق فرقاً، بمعنى الإنفصال. والفرقان عبارة عن كل شيءٍ يؤدي لتميز الحق من الباطل، وجاء بمعنى البرهان. ولأنَّ القرآن يوجب تمييز الحق من الباطل، فقد أُطلق عليه لفظ «الفرقان». طبيعي ان هذه الكلمة ليست من الأسماء المختصة بالقرآن، لأنها أُطلقت على التوراة أيضاً.

«ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان» (سورة الأنبياء /٤٨).

والآيات التي أُستعمل فيها هذا اللفظ، هي:

«وبينات من الهدى والفرقان» (سورة البقرة /١٨٥).

«وأنزل الفرقان» (سورة آل عمران /٤).

«تبارك الذي نزل الفرقان على عبده» (سورة الفرقان /١).

(١٩)- القرآن:

وهو من أشهر أسماء هذا الكتاب السماوي.

«القرآن» مصدر قرأ يقرأ، بمعنى الجمع. وقال البعض انه بمعنى القرن حين يكون مصدره الآخر هو قرء على وزن فرع. وكذلك فان مصدر قرأ يقرأ هو بمعنى القراءة.

وقد اختار الراغب في مفرداته المعنى الأول وهو يرى حيث المقصود من القرآن ضم الحروف والكلمات الى بعضها لتُقرأ بشكل مرتل، وهو يؤيد مدعاه بالآية التالية:

«ان علينا جمعه وقرآنه» (سورة القيامة /١٧).

وينقل عن بعض العلماء قوله ان علة تسميته بالقرآن من بين الكتب السماوية، هي أنه جامع لما في الكتب السماوية، بل انه جامع لجميع العلوم، حيث وصف بأنه:

«وتفصيل كل شيءٍ» (سورة يوسف /١١١).

والآيات التي تتضمن كلمة القرآن كإسم لهذا الكتاب السماوي في أرجاء القرآن لها (٦٨) مورداً ذكرت في المعجم، ولأنَّ المقصود فيها جميعاً هو القرآن الكريم، لم نجد حاجة لذكرها هنا.

(٢٠)- القول:

وهو الاسم الآخر من أسماء القرآن، وجاء في الآيات التالية:

«أفلم يدّبروا القول» (سورة المؤمنون /٦٨).

«ولقد وصّلنا لهم القول» (سورة القصص /٥١).

«لقد حقّ القول على أكثرهم» (سورة يس /٧).

«ويحق القول على الكافرين» (سورة يس /٧٠).

«انه لقول رسول كريم» (سورة الحاقة /٤٠) و (١٩/٨١).

«انا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً» (سورة المزمل /٥).

«انه لقول فصل» (سورة الطارق /١٣).

ويستفاد من هذه الآيات ان القرآن قول الله الذي نزل عليه بواسطة الوحي وليس قولاً شخصياً له. وهو ما نرى آية أُخرى تؤكده فتقول:

«ولو تقول علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين» (سورة الحاقة / ٤٤ ـ ٤٥).

وفي آية أُخرى:

«ان هو إلّا وحي يوحى» (سورة النجم / ٤).

وعليه فادعاء من قالوا فيه:

«ان هذا إلّاقول البشر» (سورة المدثر / ٢٥).

مردود وبعيد عن الإنصاف. ومن الطبيعي انه يمكن ان يطلق عليه انه قول الله، ذلك ان آية سنلقي عليك قولاً ثقيلاً تدل على هذا المعنى. وقد استعملت كلمة «قول» منسوبة الى الله في مثل:

«ومن أصدق من الله قيلاً» (سورة النساء / ١٢٢).

وصفة الثقيل في الآية المذكورة باعتبار ان القرآن لا يستطيع ان يتحمله أي أحد، وانما يتحمله ذوو القلوب الطاهرة الصافية، كما جاء في الآية الأُخرى:

«لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله» (سورة الحشر / ٢١).

فالقلوب الصخرية التي يعبّر عنها القرآن بأنها:

«كالحجارة أو أشد قسوة» (سورة البقرة / ٧٤).

محرومة من قابلية حمل القرآن.

(٢١)ـ كتاب:

مصدر من كتب يكتب، وجمعه كتب على وزن قرص، وكتب وهو عبارة عن الأمور التي كتبت. وله معان أُخرى، وهي عبارة عن: المكتوب، الصحيفة، الحكم، الواجب والفرض، القدر. وقد استعملت بكل هذه المعاني تقريباً في القرآن الكريم.

واطلاق الكتاب على «القرآن» كما يقول الراغب من جهة ان الأصل في الكتاب انه مجموعة من الخطوط والكتابات ولكنه يستعمل بشكل الإستعارة لمجموعة الفصول والجمل والكلمات المترابطة وحتى لو لم تكن مترابطة. لذا فأن «الكتاب» في مثل:

«ذلك الكتاب لا ريب فيه» (سورة البقرة / ٢).

وأمثاله، يستعمل بهذا المعنى، أي المجموعة النازلة على النبي (ص) لا الأوراق والغلاف والكتابات، لأنّها جميعاً مما يقبل التغيير والتحريف. فالمقصود من الكتاب عندما يطلق على القرآن هو مجموعة السور والآيات التي نزلت على الرسول الأعظم، وانتقلت عبر الأذهان والصدور أو الأوراق، ولخاف الشجر من جيل الى جيل حتى وصلتنا نحن.

وبعبارة أدق فانّ للقرآن نسختين من الوجود: **الأول:** هو الوجود النفسي، والثاني: هو الوجود الكتبي. فالوجود الكتبي أو الذهني للقرآن عبارة عن الصورة والشكل الذي رسم به على الورقة أو الذهن، والمقصود من عدم الريب في القرآن وحقانية القرآن وأكثر المباحث التي تطرح في المستقبل هو الوجود النفسي للقرآن، ذلك انه في زمان النزول التدريجي للآيات القرآنية لم يكن مجموعة مكتوبة، ويؤيد القرآن ذلك بقوله:

«ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين» (سورة الأنعام / ٧).

والآن لنستعرض الآيات التي أطلقت اسم الكتاب على القرآن.

«ذلك الكتاب لا ريب فيه» (سورة البقرة / ٢).

«ولما جاءهم كتاب من عند الله» (سورة البقرة / ٨٩).

«كتاب الله وراء ظهورهم» (سورة البقرة / ١٠١).

«آتيناهم الكتاب» (سورة البقرة / ١٢١).
««ويعلمهم الكتاب» (سورة البقرة / ١٢٩).
««ويعلمكم الكتاب» (سورة البقرة / ١٥١).
«بيناه للناس في الكتاب» (سورة البقرة /١٥٩).
««نزّل الكتاب بالحق» (سورة البقرة / ١٧٦).
«اختلفوا في الكتاب» (سورة البقرة / ١٧٦).
«من الكتاب والحكمة» (سورة البقرة / ٢٣١).
«نزّل عليك الكتاب بالحق» (سورة آل عمران / ٣).
«أنزل عليك الكتاب» (سورة آل عمران / ٧).
«هنّ أم الكتاب» (سورة آل عمران / ٧).
«ويعلمهم الكتاب» (سورة آل عمران / ١٦٤).
««إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق» (سورة النساء /١٠٥).
«وأنزل الله عليك الكتاب» (سورة النساء / ١١٣).
«وما يتلى عليكم في الكتاب» (سورة النساء /١٢٧).
«والكتاب الذي نزّل على رسوله» (سورة النساء /١٣٦).
«نزّل عليكم في الكتاب» (سورة النساء / ١٤٠).
«نور وكتاب مبين» (سورة المائدة / ١٥).
«وأنزلنا اليك الكتاب بالحق» (سورة المائدة / ٤٨).
«الذين آتيناهم الكتاب» (سورة الانعام/٢٠).
«ما فرطنا في الكتاب من شيءٍ» (سورة الانعام /٣٨).
«وهذا كتاب أنزلناه مبارك» (سورة الانعام / ٩٢).
«أنزل اليكم الكتاب مفصلاً» (سورة الانعام /١١٤).
«آتيناهم الكتاب» (سورة الانعام / ١١٤).
«وهذا كتاب أنزلناه مبارك» (سورة الانعام /١٥٥).
«أنزل الكتاب» (سورة الانعام / ١٥٦).

«أنزل علينا الكتاب» (سورة الأنعام / ١٥٧).
«كتاب انزل اليك» (سورة الاعراف / ٢).
«جئناهم بكتاب فصلناه» (سورة الاعراف / ٥٢).
«الله الذي نزل الكتاب» (سورة الاعراف / ١٩٦).
«تلك آيات الكتاب الحكيم» (سورة يونس / ١).
«وتفصيل الكتاب» (سورة يونس / ٣٧).
«كتاب أحكمت آياته» (سورة هود / ١).
«تلك آيات الكتاب المبين» (سورة يوسف / ١).
«تلك آيات الكتاب» (سورة الرعد / ١).
«كتاب أنزلناه اليك» (سورة ابراهيم / ١).
«تلك آيات الكتاب وقرآن مبين» (سورة الحجر / ١).
«وما أنزلنا عليك الكتاب إلّا لتبين لهم» (سورة النحل / ٦٤).
«ونزّلنا عليك الكتاب» (سورة النحل / ٨٩).
«أنزل على عبده الكتاب» (سورة الكهف / ١).
«من كتاب ربك» (سورة الكهف / ٢٧).
«واذكر في الكتاب» (سورة مريم / ١٦ — ٤١ — ٥١ — ٥٤ — ٥٦).
«أنزلنا اليكم كتاباً فيه ذكركم» (سورة الانبياء / ١٠).
«تلك آيات الكتاب المبين» (سورة الشعراء / ٢).
«تلك آيات القرآن وكتاب مبين» (سورة النمل / ١).
«تلك آيات الكتاب المبين» (سورة القصص / ٢).
«فأتوا بكتاب من عند الله» (سورة القصص / ٤٩).
«ان يلقى اليك الكتاب» (سورة القصص / ٨٦).
«اتل ما أوحي اليك من الكتاب» (سورة العنكبوت / ٤٥).
«أنزلنا اليك الكتاب» (سورة العنكبوت / ٤٧).
«أنزلنا عليك الكتاب» (سورة العنكبوت / ٥١).

«**تلك آيات الكتاب الحكيم**» (سورة لقمان / ٢).

«**تنزيل الكتاب لا ريب فيه**» (سورة السجدة/٢).

«**في الكتاب مسطوراً**» (سورة الاحزاب / ٦).

«**الذين يتلون كتاب الله**» (سورة فاطر / ٢٩).

«**أوحينا اليك من الكتاب**» (سورة فاطر / ٣١).

«**ثم أورثنا الكتاب**» (سورة فاطر / ٣٢).

«**كتاب أنزلناه اليك مبارك**» (سورة ص / ٢٩).

«**تنزيل الكتاب من الله**» (سورة الزمر / ١).

«**إنا أنزلنا اليك الكتاب**» (سورة الزمر / ٢).

«**الله نزّل أحسن الحديث كتاباً**» (سورة الزمر / ٢٣).

«**إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس**» (سورة الزمر / ٤١).

«**تنزيل الكتاب من الله**» (سورة المؤمن / ٢).

«**الذين كذبوا بالكتاب**» (سورة المؤمن / ٧٠).

«**كتاب فصلت آياته**» (سورة فصلت / ٣).

«**وانه لكتاب عزيز**» (سورة فصلت / ٤١).

«**أورثوا الكتاب**» (سورة الشورى / ١٤).

«**أنزل الكتاب بالحق**» (سورة الشورى / ١٧).

«**والكتاب المبين**» (سورة الزخرف / ٢).

«**والكتاب المبين**» (سورة الدخان / ٢).

«**تنزيل الكتاب من الله**» (سورة الجاثية / ٢).

«**تنزيل الكتاب من الله**» (سورة الاحقاف / ٢).

«**وهذا كتاب مصدق**» (سورة الاحقاف / ١٢).

«**سمعنا كتاباً أُنزل من بعد موسى**» (سورة الأحقاف / ٣٠).

«**وكتاب مسطور**» (سورة الطور / ٢).

«**ويعلمهم الكتاب والحكمة**» (سورة الجمعة / ٢)

كانت هذه هي كل الآيات التي استعمل فيها لفظ الكتاب في خصوص القرآن. وطبيعي ان بعض الآيات استعملت لفظ الكتاب بشكل عام في القرآن والكتب السماوية السابقة، مما حدا بنا لعدم ذكرها هنا، مثل آية:

«**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان**» (سورة الحديد / ٢٥).

(٢٢)- كلام الله:

وهذا التعبير جاء في القرآن في ثلاث موارد؛ أحدها يتعلق بالقرآن، وهو الآية:

«**وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله**» (سورة التوبة / ٦)

والمقصود كلام الله في القرآن. وعليه فيظهر أن لا يمكن ان يكون إسماً للقرآن الكامل. صحيح ان كل القرآن كلام الله، ولكنه في هذه الآية لم يستعمل كإسم للقرآن.

وقد جاء في آية أخرى بعنوان «**كلمة ربك**» (سورة الانعام / ١١٥)

والمقصود هو القرآن.

(٢٣)- المثاني:

وقد جاءت هذه الكلمة بمعنيين ــ حسب الأصل ــ أحدهما العدد (٢) والثاني الثناء والحمد، وفي مورد القرآن ذكر في آيتين إحداهما:

«**الله نزل احسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني**» (سورة الزمر / ٢٣)

و الأخرى:

«**ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم**» (سورة الحجر / ٨٧).

وقد ذكر المعنيان السالفان في هاتين الآيتين.

اما بمعنى العدد فالمقصود ان القرآن يتكرر ولا يندرس ولا يؤثر فيه مرور الأزمنة والعصور. يقول الراغب: ويصح انه قيل للقرآن مثاني لما يثني ويتجدد حالاً فحالاً من فوائده كما روي في الخبر في صفته (لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا

تنقضي عجائبه):

وان كان بمعنى الثناء والمدح، فانَّ المقصود سيكون ان القرآن دائماً مورداً لثناء أهل التحقيق وحمدهم، باعتبار انهم يشهدون كل حين آثاره الرائعة، كما ان قارئه ممدوح أيضاً.

وفي المورد الثاني، جاءت عبارة (سبعاً من المثاني)، حيث من الجدير بالذكر انه بموجب الروايات المعتبرة ان المقصود منه هو فاتحة الكتاب، باعتبار اشتمالها على سبع آيات، وأنها تُقرأُ في كل صلاة مرتين.

وللعلامة الطباطبائي ــ في مجال كون القرآن مثاني ــ تحقيق رائع في ذيل الآية السالفة ملخصه: **ان المثاني جمع مثنى بمعنى العطف والإعادة وبقرينة (متشابهاً) في الآية الأخرى نعرف ان المقصود هو أن آيات القرآن تعطف إحداها على الأخرى، وتفسر الآيات بالآيات. وقد ذكر في هذا المجال بعض الروايات ومنها الحديث النبوي الشريف وفيه (يصدق بعضه بعضاً).**

(٢٤)ـ موعظة:

من **وعظ يعظ وعظاً**، بمعنى النصيحة بالنحو الذي يؤدي الى اصلاح الانسان وتكامله المعنوي. وجمعها مواعظ. ولأنَّ القرآن نصيحة للناس، فقد اطلقت عليه كلمة «موعظة» وقد جاء هذا الإسم في خمسة موارد هي:

«**هذا بيان للناس وهدىً وموعظة للمتقين**» (سورة آل عمران/١٣٨).

«**وموعظة للمتقين**» (سورة المائدة/٤٦).

«**قد جاءتكم موعظة من ربكم**» (سورة يونس/٥٧).

«**وموعظة وذكرى للمؤمنين**» (سورة هود/١٢٠).

«**وموعظة للمتقين**» (سورة النور/٣٤).

نبأ عظيم:

وقد أُطلق مورد واحد ــ طبق أحد الأقوال ــ على القرآن وهو الآية:

«**قل هو نبأ عظيم**» (سورة ص/٦٧).

والنبأ بمعنى الخبر ولأن القرآن كتاب يخبر عن التوحيد والمعاد وما يجوز وما لا يجوز والقصص والأمثال، فقد أُسمي بهذا الإسم، ويعتقد البعض أن آية:

«**عمَّ يتساءلون * عن النبأ العظيم**» (سورة النبأ/١ ــ ٢).

يراد منها القرآن.

(٢٦)ـ النجم والنجوم:

أصل النجم بمعنى الكوكب الطالع، وجمعه نجوم، وقد جاءت هذه الكلمة في موارد كثيرة في القرآن، أكثرها تنظر الى مسألة الخلقة والقدرة الإلهية، ولكنها في آيتين احتمل فيهما بعض المفسرين أنها تقصد القرآن وهما:

«**والنجم اذا هوى**» (سورة النجم/١).

أي قسماً بالقرآن إذ نزل، ووجه استعمالها في القرآن كما يقول الراغب أيضاً ــ ان القرآن نزل تدريجياً ونجوماً، أي في أوقات معينة. والآية الأخرى:

«**فلا اقسم بمواقع النجوم**» (سورة الواقعة/٧٥).

والمواقع هي مواضع الوقوع، ويكون المراد بمقتضى هذا التفسير موارد نزول القرآن، وهذا المعنى متحد مع معنى الآية السابقة.

(٢٧)ـ النور:

بمعنى الضياء، ولأنَّ القرآن بمثابة الضياء لهداية البشر، فقد اطلقت هذه الكلمة عليه. والآيات التي تتضمن هذه الكلمة وتستعملها في القرآن هي:

«**وأنزلنا اليكم نوراً مبيناً**» (سورة النساء/١٧٤).

«قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين» (سورة
ـة /١٥).
«واتبعوا النور الذي انزل معه» (سورة الاعراف
١٥).
«ولكن جعلناه نورا» (سورة الشورى /٥٢).
«فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا» (سورة
ابن /٨).

٢)ـ هدى:

وهذه الكلمة استعملت تارة إسماً للقرآن،
خرى صفة له. ومعنى الهدى واضح، ووجه تسمية
ـآن به واضح أيضاً. والآيات عبارة عن:
ـدىً للمتقين» (سورة البقرة /٢).
«وهدىً وبشرى للمؤمنين» (سورة البقرة /٩٧).
«هدىً للناس وبينات من الهدى» (سورة البقرة
١٨).
«هذا بيان للناس وهدىً وموعظة للمتقين» (سورة
عمران /١٣٨).
«وهدىً وموعظة للمتقين» (سورة المائدة /٤٦).
«فقد جاءكم بينة من ربكم وهدىً ورحمة» (سورة
ـعام /١٥٧).
«هدىً ورحمة لقوم يؤمنون» (سورة الاعراف /٥٢).
«هذا بصائر من ربكم وهدىً ورحمة» (سورة
ـراف /٢٠٣).
«وهدىً ورحمة للمؤمنين» (سورة يونس /٥٧).
«وهدىً ورحمة لقوم يؤمنون» (سورة يوسف /١١١)
١٦/ ٦٤).
«وهدىً ورحمة وبشرى للمسلمين» (سورة النحل
٨).
«وهدىً وبشرى للمسلمين» (سورة النحل /١٠٢).
«هدىً وبشرى للمؤمنين» (سورة النمل /٢).
«وانه لهدى ورحمة للمؤمنين» (سورة النمل /٧٧).

«هدىً ورحمة للمحسنين» (سورة لقمان /٣).
«قل هو للذين آمنوا هدىً وشفاء» (سورة فصلت
/٤٤).
«هذا هدى» (سورة الجاثية /١١).
«وهدىً ورحمة لقوم يوقنون» (سورة الجاثية /٢٠).

وقد ذكرت خاصية القرآن هذه بشكل فعل في بعض الآيات الأُخرى، مثل:

«ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم» (سورة الاسراء /٩).

وهذه الآيات تدرس عندما يأتي الحديث عن هدف القرآن وغاياته.

(٢٩)ـ الوحي:

وهو في اللغة كل شيء يعلّمه الإنسان للآخرين إلقاءً، ولكنه بالتدريج شاع في ما أنزله الله على أنبيائه (المنجد).

وللوحي ــ حسبما جاء في القرآن ــ أنواع وأقسام متعددة، فهو في الآية الكريمة:

«وأوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتاً» (سورة النحل /٦٨).

جاء بمعنى الإلهام وهو نوع من الوحي، والوحي من وراء حجاب أو بواسطة الشجرة وأمثال ذلك أنواع أُخرى من الوحي، وسوف لن نبحث هنا حول أقسام الوحي وأنواعه، وما يتعلق منه ــ في مجال القرآن ــ هو ان هذه الكلمة أُطلقت عليه في بعض الموارد وهي:

«ان هو الا وحي يوحى» (سورة النجم /٤).
«قل انما انذركم بالوحي» (سورة الانبياء /٤٥).
«ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه» (٢٠/ ١١٤).

وطبيعي ان الآية التالية لم تستعمل الوحي في القرآن، الا أنها لما كانت ترتبط بوحي القرآن فقد

ذكرناها هنا.

وفي آيات أُخرى ذكرت كلمة الوحي بشكل فعل، وهي تدل كلها على ان القرآن أوحي الى الرسول من قبل الله، وهي:

«وأوحي اليَّ هذا القرآن» (سورة الانعام/١٩).

«بما أوحينا اليك هذا القرآن» (سورة يوسف/٣).

«لتتلوا عليهم الذي أوحينا اليك» (سورة الرعد/٣٠).

«وان كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا اليك» (سورة الاسراء/٧٣).

«ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك» (سورة الاسراء/٨٦).

«واتل ما أُوحي اليك من كتاب ربك» (سورة الكهف/٢٧).

«أتل ما أُوحي اليك من الكتاب» (سورة العنكبوت/٤٥).

«والذي أوحينا اليك من الكتاب» (سورة فاطر/٣١).

«كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك» (سورة الشورى/٣).

«وكذلك أوحينا اليك قرآناً عربياً لتنذر أُمَّ القرى ومن حولها» (سورة الشورى/٧).

«والذي أوحينا اليك» (سورة الشورى/١٣).

«وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا» (سورة الشورى/٥٢).

«فاستمسك بالذي أوحي اليك» (سورة الزخرف/٤٣).

«قل أُوحي اليّ انه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً» (سورة الجن/١).

أوصاف القرآن

رغم ان بعض العناوين التي ذكرناها قد تكون صفات للقرآن علاوة على كونها أسماء له، إلاّ ان ما نذكره فيما يلي لا يعدو ان يكون صفة له:

(٣٠)ـ عجب:

وهذه الكلمة جاءت في مورد واحد من القرآن وهي:

«سمعنا قرآنا عجباً» (سورة الجن/١).

أي القرآن الذي لم نعرفه من قبل، ولم يسمع أحد به، أو يره من قبل، وبعبارة أُخرى هو ما يوجب الحيرة والعجب.

وهذا التعبير جاء بشكل فعل ــ أحياناً على نحو الإستفهام الإنكاري مثل:

«أفمن هذا الحديث تعجبون» (سورة النجم/٥٩).

«أوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم» (سورة الاعراف/٦٣ و ٦٩).

حيث ان التعجب في هذه الآيات حالة لمنكري القرآن، وفي آية سورة الجن (٧٢) هي صفة للقرآن. ومن النوع الأول آية:

«أكان للناس عجباً أن أوحينا الى رجل» (سورة يونس/٢).

«كانوا من آياتنا عجباً» (سورة الكهف/٩).

(٣١)ـ عربي:

وهو أحد أوصاف القرآن وكونه عربياً، لأن المخاطبين به عند نزوله كانوا عرباً، وإنْ كان غير العرب مأمورين بالإسلام. ونفس القرآن يؤكد عالميته في آيات من قبيل:

«تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً» (سورة الفرقان/١).

«ان هو الا ذكر للعالمين» (سورة التكوير/٢٧).

وذلك بشكل صريح واضح.

وعلى أي حال، فقد جاء القرآن باللسان العربي ـه بطبيعة الحال خاطب اُم القرى، ومن حولها، لعرب لأول مرة.

وعربي: لغة بمعنى اللسان العربي، وبمعنى الكلام فصيح والواضح أيضاً، وقد استعمل بكلا معنييه مورد القرآن. والآيات التالية ينبغي اعتبارها من وع الأول.

«وهذا لسان عربي مبين» (سورة النحل /١٠٣).

«بلسان عربي مبين» (سورة الشعراء /١٩٥).

«وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً» (سورة حقاف /١٢).

ن النوع الثاني، يمكن ذكر الآيات التالية:

«أعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدىً وشفاء» ورة فصلت /٤٤).

«انا أنزلناه قرآناً عربياً» (سورة يوسف /٢).

«وكذلك أنزلناه حكماً عربياً» (سورة الرعد /٣٧).

«وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً» (سورة طه /١١٣).

«قرآناً عربياً غير ذي عوج» (سورة الزمر /٢٨).

«كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً» (سورة فصلت ٢).

«وكذلك أوحينا اليك قرآناً عربياً» (سورة الشورى ١).

«انا جعلناه قرآناً عربياً» (سورة الزخرف /٣).

٣١)- عزيز:

ولهذه اللفظة معان مختلفة منها: القوي، الشريف كريم، النادر، وكَريم. وهي في مورد الله بمعنى قوي، والذي لا يقبل الغلبة عليه، والذي لا يعجز ن أي شيء. وفي مورد القرآن بمعنى الشريف الكريم.

وقد جاء مورد واحد يصف فيه القرآن بهذه صفة، وهو آية:

«ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز» (سورة فصلت /٤١).

وفي خمس موارد، نسب نزول القرآن الى الله العزيز، وهو عبارة عن:

«تنزيل العزيز الرحيم» (سورة يس /٥).

«تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم» (سورة المؤمن /٢).

«كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم» (سورة الشورى /٣).

«تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم» (سورة الجاثية /٢) و (٤٦/٢).

(٣٣)- غير ذي عوج:

عوج يعوج عوجاً: من باب علم يعلم، بمعنى الإنحناء. وفي مورد الانسان بمعنى سوء الخلق. هذا التعبير من الصفات السلبية للقرآن حيث استعمل في موردين، أحدهما:

«قرآنا عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون» (سورة الزمر /٢٨).

والثاني:

«انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً» (سورة الكهف /١).

يقول الراغب في شرح التعبير: «والعوج يقال فيما يدرك بالفكر والبصيرة، كما يكون في أرض بسيط يعرف تفاوته بالبصيرة وكالدين والمعاش».

وعليه فلما كان القرآن من الأشياء التي تدرك بالفكر والبصيرة، أمكن ان تستعمل هذه الكلمة كوصف له. فليس فيه أي اعوجاج وانحناء.

(٣٤)- قيِّم:

وهو وصف آخر من أوصاف القرآن، وهو يعني المستقيم والثابت، وقد استعملت هذه الصفة في مورد «الدين» أيضاً **«ديناً قيِّماً»** (سورة الانعام

/١٦١) أي الدين الثابت والمقوم لأمور المعاش والمعاد.

وقد اتصف به القرآن في موردين، أحدهما:

«ولم يجعل له عوجاً * قيماً لينذر بأساً شديداً» (سورة الكهف /١ ـ ٢).

والآخر:

«رسول من الله يتلوا صحفاً مطهرةً * فيها كتب قيمة» (سورة البينة /٢ ـ ٣).

(٣٥)- كريم:

وجمعه كرام وكرماء، وهو من الأسماء الحسنى لله تعالى. وهو بمعنى السخي ـ لدى الإنسان ـ وفي مجال الأشياء كل بحسب ما له من أفضل الحالات التي توجب الإعجاب. فمثلا: **رزق كريم**: بمعنى الرزق الكثير الحسن، **وقول كريم**: بمعنى الكلام الذي يفيد فائدة كاملة تامة من حيث اللفظ والمعنى، **ووجه كريم**: بمعنى الوجه الجميل الجذّاب (المنجد).

وهذه الصفة جاءت في القرآن لأسماء وعناوين مختلفة، مثل: الله، الرسول، نِعَمُ الجنة، الأجر، القول، الرزق، والقرآن. وفي مورد القرآن جاءت في مورد واحد، وهو:

«انه لقرآن كريم * في كتاب مكنون» (سورة الواقعة /٧٧ ـ ٧٨).

ومعناه واضح على ضوء ما تقدم.

وجاء في مورد آخر بصيغة مكرمة:

«في صحف مكرمة» (سورة عبس /١٣).

بمعنى ان القرآن اُوحي في صحف متعددة...

وفي موردين نسب الى الرسول الكريم:

«انه لقول رسول كريم» (سورة الحاقة /٤٠) و (١٩/٨١).

اذ مع ملاحظة هذا الوصف في مورد القرآن والرسول، يكون المعنى ان القرآن الأفضل هو قول أفضل الرسل.

(٣٦)- المبارك :

وهو مأخوذ من البركة (بفتح الراء) بمعنى وجود الخير الإلهي في شيء، والمبارك وهو الشيء الذي يوجد فيه ذلك. وحول القرآن توجد هذه الصفة في بعض الموارد:

«وهذا كتاب أنزلناه مبارك» (سورة الأنعام /٩٢).

«وهذا ذكر مبارك أنزلناه» (سورة الانبياء /٥٠).

«كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدّبروا آياته» (سورة ص /٢٩).

وفي مورد واحد اشارة لنزوله في زمان مبارك :

«انا أنزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين» (سورة الدخان /٣).

وفي مورد آخر اشارة الى التقديس والعظمة الإلهية المنزلة للقرآن:

«تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً» (سورة الفرقان /١).

(٣٧)- مجيد:

وهي من الصفات الإلهية بمعنى مجري الفيض والبذل والعطاء المخصوص به بجود عظيم.

وفي مورد القرآن، اُستعمل في مكانين:

الأول: «ق والقرآن المجيد» (سورة ق /١).

والآخر: «بل هو قرآن مجيد» (سورة البروج /٢١).

و المعنى ان القرآن عظيم محمود، لأنه يتضمن كل المكارم الدنيوية والاُخروية.

(٣٨)- متشابه:

وهذه الصفة وإنْ جاءت في آية صفة لجزء من القرآن ويقابلها المحكم التي يتصف بها باقي القرآن. وهي الآية المعروفة:

«هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هُنّ أم الكتاب واخر متشابهات» (سورة آل عمران /٧).

ولكن في آية أخرى يتصف بها القرآن كله، وهي:

«الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً» (سورة الزمر/٢٣).

فما المقصود إذن؟

طبيعي ان البحث حول المحكم والمتشابه يجري في محله، ولكن المقصود من المتشابه هنا هو الشبه، أي الكتاب الذي يشابه بعض آياته البعض الآخر في النظم والأحكام والحكمة والإستقامة، وغير ذلك (مفردات الراغب)، وإلاّ فإنْ كان المتشابه بالمعنى المقابل للمحكم، فإنّ هذه الآية تتناقض مع آية المحكم والمتشابه.

(٣٩)- مرفوعة:

يعني رفيعة القدر والمنزلة. هذا التعبير جاء في آية:

«في صحف مكرمة * مرفوعة مطهرة» (سورة عبس ١٣/ــ ١٤).

صفة للصحف، والصحف خبر بعد خبر في آية: «كلا انها تذكرة» وهو مصون في صحف مكرمة ومرفوعة ومطهرة أي متعددة وكتب بواسطة كرام بررة، وكرام كاتبين. هذة الآية والآيات المشابهة تثبت ان القرآن موجود في أم الكتاب، اللوح المحفوظ والصحف المتعددة.

وعلى أي حال تلك الصحف كريمة، رفيعة القدر ومطهرة. فهذه الأوصاف وإنْ لم تكن أوصافاً مباشرة للقرآن فهي أوصاف ولايخلوالقرآن الكريم منها.

(٤٠)- المهيمن:

وهي إحدى الصفات التي استعملت في القرآن الكريم في أحد الموارد وهو الآية الشريفة:

«وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه» (سورة المائدة/٤٨).

يقول العلامة الطباطبائي في تفسير هذه الكلمة:

«هيمنة الشيء على الشيء ــ على ما يتحصل من معناها ــ كون الشيء ذا سلطة على الشيء في حفظه ومراقبته وأنواع التصرف فيه، وهذا حال القرآن الذي وصفه الله تعالى بانه تبيان كل شيء بالنسبة الى ما بين يديه من الكتب السماوية: يحفظ منها الأُصول الثابتة غير المتغيرة، وينسخ منها ما ينبغي ان ينسخ من الفروع التي يمكن ان يتطرق اليها التغير والتبدل حتى يتناسب حال الإنسان بحسب سلوكه صراط الترقي والتكامل بمرور الزمان» (الميزان ج ٦: ص٣٤٨).

(٤١)- نذير:

من نذر ينذر نذراً ونذوراً، من باب علم يعلم، بمعنى الإدراك لعواقب الشيء، والاستعداد له.

والإنذار متعدية، بمعنى التوعية بالعواقب الوخيمة للشيء.

وهذه الصفة جاءت للأنبياء وللقرآن، لأن القرآن يخبر عما سيواجهه الإنسان من عواقب وخيمة ويحذره منها. والآيات التي تعطي هذه الصفة هي:

«تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً» (سورة الفرقان/١).

«كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون. بشيراً ونذيراً» (سورة فصلت/٣ ــ ٤).

«حكمة بالغة فما تغن النذر» (سورة القمر/٥).

بمعنى انه لولم يكن القرآن وهو الحكمة البالغة نذيراً لهم، فما هو الشيء الذي يمكنه ان ينذرهم بعد القرآن؟:

«وجاءكم النذير» (سورة فاطر/٣٧).

«هذا نذير من النذر الأولى» (سورة النجم/٥٦).

وهنـاك عـدد من الآيات التي جعلت هدف القرآن الإنذار، مثل:

«وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً لينذر الذين ظلموا» (سورة الاحقاف /١٢).

حيث البحث فيها يتم في بحث أهداف القرآن.

استنتاج:

و الآن و بعد ان استعرضنا كل الأسماء والأوصاف التي أطلقت على القرآن، ومع التركيز على كل منها، نصل الى هذه النتيجة، وهي: انها كلها مشتركة، ولا تختص بالقرآن، فكلمة الفرقان مثلاً تطلق على القرآن وعلى بعض الكتب السماوية الأخرى، وكذلك الأوصاف فيها ليست أوصافاً مخصوصة بالقرآن، بل تأتي أوصافاً لله، وأوصافاً لأشياء معينة مثل الكريم والمجيد. والصفات التي هي من قبيل البشير والنذير والهادي وأمثالها، هي بدورها تأتي أوصافاً للأنبياء.

ولكن الذي يختص بهذا الكتاب السماوي ويشكل عَلَماً له، هو (القرآن) فهو من قبيل أسماء الله وصفاته، حيث لفظ الجلالة (الله) علم لذات الحق. وهناك المئات من الأسماء الأخرى كلها عناوين فرعية، وقد يستعمل بعضها في موارد أُخرى، وإنْ كانت من حيث المعنى تجرد في الساحة الإلهية من أي معنى مادي.

وعلى هذا نستنتج ان الإسم المختص والعَلَم لهذا الكتاب السماوي، هو القرآن الذي له كل هذه الخصائص والأسماء والصفات المشتركة ■

نظرة في العلاقات الدولية على ضوء القرآن

حجة الاسلام الشيخ محمد علي التسخيري/ ج.ا.ا

تمهيد:

قبل الدخول في البحث، ينبغي ان نذكر بعض النقاط لعلاقتها الشديدة بتكوين الصورة الكاملة عن الموضوع، نطرحها بكل اختصار:

١ ــ ربما تنطرح في الذهن شبهة قديمة تقول: ما معنى هذا البحث؟ الإسلام دين ينظم الحياة الفردية، والجوانب الاجتماعية المتصلة بها مباشرة، اما المجموع الكلي للعلاقات داخل المجتمع فضلاً عن العلاقات الدولية فلا مجال للحديث عنه. ولكن الجواب عنها عاد اليوم من نافلة القول بعد وضوح بطلانها، واذعان الجميع ــحتى من لم يطلعوا اطلاعاً كاملاً على الإسلام ــ بأنَّ الشبهة قائمة على التصور الغربي أو الكنسي عن الدين كشأن من الشؤون الفردية ــواذا كانوا يؤمنون بالحرية الدينية، ــ وهم بها لايؤمنون في الواقع ــفإنَّ ذلك قائم على أساس انها شأن فردي، واذا كان جان جاك روسو

يرفض ان تمتد قوانين الدين لتشمل الحياة، وعندئذ يحدث ما يسميه بالتعارض بين القوانين الدينية والمدنية، فذلك أيضاً ناشىء من هذا التصور الكنسي المرفوض.

اما التصور الاسلامي الأمثل: فهو يعتبر الدين موقفاً من الكون والحياة والإنسان، تقوم على أساسه عواطف الإنسان، و يتوجه من خلالها سلوكه الحياتي في مختلف الشؤون.

بل اننا اذا تتبعنا التعاليم الإسلامية، لمسنا ان الجانب الإجتماعي يحتل القسط الأكبر منها، وربما أمكن القول بأنّ السلوك الفردي يقيم من خلال الذوبان الإجتماعي بهدف إلهي سام.

ولسنا بصدد الحديث عن هذا الجانب بقدر الإشارة الى بطلان الشبهة المطروحة.

٢ ــ و باستعراضنا للعلاقات الإجتماعية المفضلة لدى الإسلام، ومحاولة استنباط أهم أساس تقوم عليه، لانجد أمامنا إلاّ (القسط) و(العدل) كأساس أول، ثم تتطور العلاقة لتصل الى حد (الرحمة والمحبة) وتواصل سيرها لتبلغ حد (الإيثار والتضحية).

واذا أردنا ان نجد للعدل مضمونه الصحيح، فإننا لانستطيع ان نستقي محتواه من مقاييس كميّة ــ كالمساواة مثلاً ــ أو مادية أُخرى، لاننا سنقع حينئذ في مفارقات لا مناص منها: وانما نستطيع ان نعرف له مضموناً صحيحاً اذا اقناه على أساس الإيمان بالحقيقة الإلهية الكاملة المطلقة، التي تملك كل شيء، لأنها خلقت كل شيء، والقائمة بالقسط و العدل في الكون، وكذلك الإيمان بالفطرة والمسيرة الطبيعية للإنسان، فكل شيء يحقق لها الجو الطبيعي المناسب، و يواكب مسيرتها الصاعدة يعدّ عدلاً، وكل سلوك يتنافى مع متطلباتها يُعدّ ظلماً، هذا وقد أُودعت في الفطرة نفسها، طاقة الإتجاه نحو العدل، والإبتعاد عن الظلم، بل وأُودعت فيها قدرة تشخيص بعض المصاديق العادلة أو الظالمة.

٣ ــ ومن الظواهر التي تتبع مسألة العدالة: مسألة الجانب الإنساني في التشريع، فيكفي استعراض سريع لمجموعة من الأحكام الإسلامية، لتكوين نظرة تصديقية، بأنّ الشريعة الإسلامية تأخذ الجانب الإنساني العام بعين الاعتبار دائماً، لابل نستطيع القول بأنها بطبيعتها ــ إنسانية، وذلك من خلال تأكيدها على الفطرة وانسجامها معها، وما الفطرة إلاّ الجانب الإنساني الأصيل...

وها هو القرآن الكريم يؤكد على ان الإنسانية كانت تعيش الحالة الفطرية الواحدة قبل ان تطرأ عليها حالة التعقيد التي احتاجت الى نظام أصلح يوفق بين المصالح الفردية والمصالح الاجتماعية، فبعث الله النبيين مبشرين بالنظام المنسجم مع الفطرة.

وقد ركّز القرآن الكريم على حقيقة أُخرى الى جنب هذه الحقيقة، وهي: ان ما تَصوّروه من فروق يمكنها ان تؤدي الى نوع من التفاضل الكاذب، انما كانت في الأصل لكي تسهل اللقاء الحضاري و يتم التعارف، وهو أرضية ضرورية للتعامل الإجتماعي السليم، اما معيار التفاضل الطبيعي فهو ــ بنفسه ــ سر المسيرة الموحدة المتناسقة، وهو معيار التقوى الإلهية

الفاعلة، وسنعرف من خلال البحث شيئاً من انسانية النظام الإسلامي.

٤ ـ وانسجاماً مع فطرية الرسالة وتأكيدها على الجانب الإنساني، نجد التخطيط الإسلامي يلحظ عنصر الخلود الزماني و يتجاوز الاختلافات المكانية والعنصرية وأمثال ذلك، ولذا نجده في جانب كبير من تخطيطه مرناً مرونة حكيمة، بعيداً عن أية ميوعة، فبتركه لمنطقة المباحات بشكل أولي، يملأها ولي الأمر طبق مصلحة الأمة، وعبر نظام التشاور الذي يراه صالحاً للفترة الزمانية والظروف المكانية القائمة، حقق مرونة لانجد مثيلها في أي نظام آخر.

وعلى هذا فيجب ان يلحظ هذا الجانب تماماً عند ملاحظة موقف الإسلام من تنظيم العلاقات الدولية العامة.

٥ ـ ومن الطبيعي ان نذكر بأن النصوص القرآنية رغم أنها من أعم القوانين، فإنَّ لظروف الآية وأسباب النزول دورها في توضيح الدلالة. كذلك نجد ان تطبيقات الرسول الأكرم (ص)، والقادة الأوائل، وسيرة المسلمين التي تكشف عن تأييد المعصوم، كل هذا يلقي أضواءً كاشفة رائعة على المدلول القرآني، وإنْ كان الظاهر القرآني يبقى هو الأصل الأساسي في البين.

٦ ـ وفي خاتمة هذا التمهيد، نذكر بأننا هنا، انما نحاول معرفة الأسس العامة التي تقوم عليها المواقف الإسلامية التفصيلية من العلاقات الدولية، اما تحديد تطبيقاتها، ومدى تفوق أي جانب على الجانب الآخر في المواقف المشخصة، وأنى يمكن مواجهة المواقف المواجهة، فهذه أمور تقدرها الخبرة الحاكمة في الدولة الإسلامية وتعينها مفردات الواقع القائم.

الإسلام والدولة العالمية:

ربما كان الحديث عن دعوة الإسلام للدولة العالمية، حديثاً عن ضروري من ضروريات الإسلام، أو على الأقل حديثاً عن ضروري فهي واضح لدى علماء الإسلام وفقهائه.

فالإسلام جاء ليُطبَّقُ في الأرض كلها، وللناس كلهم، وعلى شؤون الحياة كلها، وذلك باعتباره السبيل الوحيد الذي يضمن السير الطبيعي للقافلة الإنسانية نحو كمالها، والحل الأصلح الذي قام على أساس من علم الهي غير محدود، و تخطيط حكيم لهذه المسيرة، من قبل خالق الإنسان والكون.

انه دين الحياة كلها، والحياة محورها الإجتماع، والمجتمع لايتم بدون دولة. فهو إذن يدعو للدولة العالمية الموحدة، حيث يكون الدين كله لله.

انه رسالة جاءت ناسخة لجميع الشرائع، في نفس الوقت الذي جاءت فيه مصدقة لأصولها ونظراتها الثابتة، فكل الشرائع إذن وجدت صورتها الأكمل في الإسلام، وكل البشرية رأت سبيلها الصالح فيه.

والرسول الأكرم «ص» رسول للناس جميعاً، لالعشيرة، ولا لفئة، ولا لعنصر، ولا لمنطقة جغرافية معينة، انه رسول خالق الإنسانية لكل الإنسانية.

(...يا أيُّها النّاس إني رسول الله اليكم جميعاً).

«الأعراف: ١٥٨»

﴿وما أرسلناك إلاّ كافة للنّاس بشيراً ونذيراً﴾.
«سبأ: ٢٨»

ولهذا نجده (ص) دعا العالم جميعاً الى الإسلام، وأرسل رسائله الى زعماء الدول المعروفة آنذاك، داعياً إيّاهم اليه، لا بل أعلن عالمية رسالته وهي ما تزال مستضعفة في مكة، حيث جاءت الآيات القرآنية:

وان يكاد الذين كفروا، ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر و يقولون انه لمجنون * وماهو إلاّ ذكر للعالمين .

«القلم: ٥١ ـ ٥٢»

لتؤكد هذه الحقيقة في المراحل الأولى من الدعوة. وقد ذكر الرسول الأعظم (ص) مضمون الآية السابقة، في إحدى رسائله وهي التي أرسلها الى «خسرو پرويز» كسرى، حيث جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، ويشهد ان لا إله إلاّ الله، وحده لا شريك له، وان محمداً عبده ورسوله، أدعوك بدعاية الإسلام، فإني أنا رسول الله الى الناس كافة، لأنذر من كان حياً، ويحق القول على الكافرين، أسلم تسلم، فإنْ أبيت فعليك اثم المجوس»[1].

ومن نفس هذا المنطلق بشّر الأنبياء باليوم الموعود، حيث يعم العدل، و يكون الدين كله لله، وحيث يظهر المهدي المنتظر «عج».

ان هذا التبشير بالدولة العالمية، منطلق من طبيعته العالمية بلا ريب، على ان أية مراجعة لجوانب التشريعات الإسلامية توضح للإنسان ـ بما لا مراء فيه ـ ان الإسلام مصمم ليكون دين الإنسانية ككل، ذلك لانه لاينطبع بطابع معين، ولا منطقة أو مساحة زمانية أو مكانية خاصة.

كل هذا يكاد يكون من نافلة القول.

إلاّ أن الذي نريد أن نؤكده هنا: هو ان الاسلام بادعائه العالمية يصدق مع ذاته، في حين تكذب كل النظم الأُخرى مع أسسها.

إذ ان السؤال التالي ينطرح بسرعة في الذهن، بعد ادعاء أي منها العالمية والأممية، وملخصه: ما الذي يبرر للقائمين على النظام ان يوسعوا من أفقه وسلطته ليشمل العالم؟ ومن الذي خولهم ذلك؟

اننا حتى لو ركزنا على أكبر المبادئ المدعية لذلك وهي الماركسية، وجدناها لا تستطيع ان تثبت مبرراً ينسجم مع أسسها هي، على فرض قبولها وسلامتها من المناقشة، وهو فرض محال، فليس هناك قانون ديالكتيكي واحد يفرض حكومة فئة أو شعب على العالم، بل ان هذه القوانين تقضي باختلاف مسيرة الشعوب لاختلاف مستواها الإقتصادي، وتعقّد علاقاتها الإجتماعية.

وحينئذ فلن يصدق الماركسيون ـ مع ذاتهم الماركسية ـ عندما يعلنون الأممية والدولة العالمية.

اما الرأسمالية: فهي أعجز من ان تثبت لها أُسساً فلسفية، فضلاً عن ان تجد المبرر التاريخي الحضاري لأطروحة حكومة عالمية موحدة.

اما الإسلام فيستمد عالميته كما رأينا من:

١ ـ كونه رسالة. (خالق الإنسان ووليه

المطلق) للإنسان، والاطروحة النهائية لمسيرة التكامل الإنساني.

٢ ــ وكونه دين الفطرة: والفطرة لاتختلف من انسان الى آخر، بل هي الحد الإنساني الفاصل.

٣ ــ وكون رسوله ــ رسول الله ــ الى البشرية جمعاء.

هذا ما أردنا الإشارة اليه، كما وددنا ان ننبه على أن الإنطلاقة الإسلامية لايمكن ان تقارن بأي حال الى أية انطلاقة أُخرى... انها رسالة الله، وليست كما يدعون رسالة الرجل الأبيض، أو رسالة التاريخ، أو رسالة التحضير، أو ما الى ذلك من آلهة وهمية، صاغتها العقلية الإستغلالية الإستعمارية، لتبرر نهب الشعوب والثروات.

نعم، يمكن لأي انسان ان يتساءل عن الدليل، اما اذا قبله فلا مناص له من التسليم بالحقيقة.

وعلى أي حال:

فإنْ تحقق هذا الحلم الكبير، حلم الدولة الإسلامية العالمية الواحدة ــ وهو ما نعتقد بلزوم تحققه ان عاجلاً أو آجلاً ــ لم يعد هناك مجال للبحث عن العلاقات الدولية، وانما تعود المسألة علاقة بين القطاعات المختلفة في داخل جسم الأُمة الموحدة، وهي الحالة الطبيعية للبشرية، أو فلنعبر: هي الأصل في المسيرة.

ان الإسلام يريد الأرض كلها تطوف حول الكعبة محور التوحيد، كما يطوف الكون جول العرش محور الخلق الإلهي، ونستطيع ان نشهد هذه المقارنة في كلمات الإمام علي عليه السلام، التي تشبّه الطائفين بالبيت، بالطائفين بالعرش، حيث يقول:

(واختار من خلقه سُمّاعاً، أجابوا اليه دعوته، وصدَّقوا كلمته، ووقفوا مواقف أنبيائه، وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه.)

«ص ٤٥ نهج البلاغة»

الإنقسام هو الإستثناء:

وما يتصوره الإسلام في مرحلة الاستثناء هو: ان ينقسم العالم الى دارين: **احداهما دارالاسلام، والأُخرى دارالكفر.**

والحد الفاصل بين الدارين هو السلطة الإسلامية.

يقول الأُستاذ الشهيد عبدالقادر عودة: **«الأصل في الشريعة الإسلامية انها شريعة عالمية لامكانية... ولكن لما كان الناس جميعاً لا يؤمنون بها ولا يمكن فرضها عليهم فرضاً، فقد قضت ظروف الأمكان، ان لا تطبق الشريعة إلاّ على البلاد التي يدخلها سلطان المسلمين دون غيرها من البلاد.**

...ولهذا نستطيع ان نقول: ان الشريعة الإسلامية في أساسها شريعة عالمية، اذا نظرنا اليها من الوجهة العلمية، ولكنها في تطبيقها شريعة اقليمية اذا نظرنا اليها من الوجهة العملية» . (التشريع الجنائي طبع طهران ص ٤٤٠).

وعلى هذا الأساس فتشمل هذه الدار كل بلد سكانه ــ كلهم أو أغلبهم ــ مسلمون، وكل بلد يتسلط عليه المسلمون ويحكمونه.

اما دار الكفر فتشمل مساحتين:

دار الحرب، ودار العهد.

والعلاقة مع دار العهد تحكمها ــ بالإضافة للقواعد العامة في التعامل مع غير المسلمين عموماً ــ مقتضيات العهد التي يلتزم بها الإسلام بشدة، و يأمر القرآن بكل وضوح بعدم نقض العهد إنْ كانت شروطه مُحَقَّقَة.

(وأوفوا بالعهد إنّ العهد كان مسؤولاً).

«الاسراء: ٣٤»

في حين تقوم العلاقة مع دار الحرب على مقتضيات لغة الحرب، دون ان تخرج ــ في منطق الإسلام ــ عن الأُطر الإنسانية العامة في التعامل.

عناصر مهمة في العلاقات مع الآخرين:

وهنا نود ان نجمل الأمر، فنذكر بعض العناصر التي تلعب دورها الكبير في تحديد نوعية العلاقات الدولية للسياسة الخارجية الإسلامية، إلاّ اننا قبل ذكر هذه العناصر، نشير الى الأساسين الرئيسين، اللذين تقوم عليهما السياسة الخارجية الإسلامية، وهما:

أولاً ــ المصلحة الاسلامية العليا على ضوء الواقع القائم.

وثانياً ــ الروابط والرحمة الإنسانية، والصلات الخلقية.

والواقع ان كل التشريع الإسلامي يستقي من هذين المعنيين، بل يمكننا القول ــ عند التعمق ــ انهما يعبران عن موقف واحد، فلم يكن الإسلام ليقصد الا أن يضع الإنسان على طريق تكامله، و يفجّر طاقاته، و ينفي عن حياته كل المعوقات التي تقف في وجه مسيرته المستمدة من هدي الرسولين، الداخلي والخارجي، أي الفطرة والتشريع.

والواقع الذي لاشك فيه ان الواقعية والروح المناقبية، تعتبران من أهم سمات التشريع الإسلامي في شتى جوانبه، وما سنراه فيما يلي من أُسس تنبثق عن هاتين الصفتين الرئيستين.

اما العناصر التي وددنا التركيزعليها في نظرتنا السريعة هذه، فهي كما يلي:

أولاً ــ العمل على ابقاء الأُمة نموذجاً أعلى للمجتمعات البشرية.

فالأُمة الإسلامية التي يصفها القرآن: هي الأُمة الوسط، والوسطية هنا بلا ريب يراد بها النموذج الأسمى، وما يمكن استفادته من تعبير واسطة العقد، حيث الجوهرة الثمينة التي تتبعها الجواهرالأخرىفيه، وهي الأُمة الشاهدة، وهي خير أُمة أُخرجت للناس، وعلى هذا فالسياسة الخارجية الإسلامية تسير بشكل منسجم مع مجموع السياسات الداخلية باتجاه تحقيق هذا الأمر بشتى الوسائل والسبل، أي سواء على الأصعدة السياسية، أو الإعلامية، أو الإجتماعية، أو العسكرية، أوغيرها.

ان هذا العنصر ــ كما ترون ــ يدفع الأُمة إلى التعالي والتكامل في كل حقل، والإستفادة الأكمل من تجارب الآخرين، واستغلال كل تسابق في سبيل تحقيقه.

انه يعني الإنفتاح على كل مجالات الحياة، وحمل رسالة انسانية حضارية كبرى، نقول هذا ونحن نعترف بأنَّ أُمتنا ــ نتيجة عوامل كثيرة ــ قد اقصيت عن هذا الدور الطليعي الذي أُهلت، له، ولكن هذا لايعني ان لا تظل تلح على الوصول اليه، أو تنساه عندما تحاول أن

توصّل أية علاقة دولية.

ثانياً ــ المبدئية في التعامل:

وهي سمة عامة في كل خط سياسي، سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي، ذلك:

ان الدولة الإسلامية: دولة عقائدية، تؤمن بمبادىء تصورية تقوم على أساس منها خطوط عملية تستوعب حياة الإنسان (الفرد والمجتمع).

ولهذا فهي تقترب من الآخرين بمقدار قربهم من المبدأ، وتبتعد عنهم بنفس المقياس، وهي لا تتعامل معهم إلاّ من خلال الامتدادات التي يسمح بها المبدأ... فعلى ضوء المبدأ يتحدد نوع العلاقات الدولية: وكونها ودّية، أو حسنة، أو سيئة، في الأصل.

اما العلاقات الأخوية: فلا تقوم إلاّ بين المؤمنين، وذلك لأنها علاقات سامية، قد تعني وحدة الأفراد في مختلف الشؤون، وليس هناك امكان ان يصلها الناس يختلفون على قضية الإيمان.

ثالثاً ــ نفي السبيل على المؤمنين:

وتعتبر هذه القاعدة من أروع قواعد السياسة الخارجية، وربما كانت في بعض جوانبها تطبيقاً للقاعدة الأولى، كما تعبّر عن علو الإسلام على غيره من الأنظمة، وكرامة المسلمين التي يجب ان لا تُمَسَّ مطلقاً.

وبموجب هذه القاعدة، فإنَّ أي تصرف أو معاهدة أو عقد يؤدي الى تفوق الكافرين على المسلمين، يعد ملغياً من أساسه ــ وكما يعبّر الفقهاء ــ فإنَّ هذه القاعدة شأنها شأن قاعدة لاضرر ولا ضرار في الإسلام، وقاعدة (نفي العسر والحرج) تعد من القواعد الثانوية التي تستطيع ان تحكم على الأحكام الأولية بمجموعها، اللهم إلاّ تلك التي تتضمن بنفسها تحمل الضرر في سبيل تحقيق غاية أسمى كالجهاد.

وتستند هذه القاعدة الى أدلة، منها: الآية الشريفة:

«ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً».

(النساء/١٤١)

ومنها الأحاديث التي تطبقها في بعض الموارد، كالحديث الوارد في كتاب من لايحضره الفقيه (ج/٤)، وقد جاء فيه: **(الاسلام يعلو ولا يعلى عليه، والكفار بمنزلة الموتى، لا يحجبون ولا يورثون).**

كما تستند الى اجماع الفقهاء، وربما أمكن ان يقال ان روح التوجهات الإسلامية، وملاحظة المناسبات بين الحكم والموضوع، تقرر هذه الحقيقة بوضوح، **«ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكنّ المنافقين لايعلمون».**

(المنافقون ــ الآية/٨)

و ينبغي ان ننبّه هنا الى ان هذا التوجه لا يعبّر عن نوع من التكبر ــ كما يقول البعض ــ وانما هو تقرير حقيقة علو النظام الإسلامي على غيره، باعتباره النظام الأكمل، و بالتالي أفضلية تابعيه، فهو يعمل على أساس من معيار إنساني. نعم، يمكن ان يناقش أو يتساءل أحد عن أصل المعيار، و يتحول البحث حينئذ الى الأدلة، اما ان يطلق القول على عواهنه، و يعتبر ذلك بشكل عام عملاً عنصرياً، فهو من أشد الظلم.

انها قاعدة تعاملية مهمة، لها تطبيقاتها في

مختلف المجالات، ومنها: المجالات السياسية.

وليس هنا بأورع من تطبيقها اليوم في تعاملنا مع القوى العظمى، التي تعمل على ابتلاع العالم ونهب ثرواته، وعبر بعض الأساليب الخداعة.

وما حادثة تحريم شراء التبغ عام ١٢٦٨ هجري من قبل الميرزا الشيرازي، نتيجة المعاهدة التجارية التي عقدها الطاغوت ناصر الدين شاه مع انكلترا، والتي منح فيها امتياز شراء وبيع التبغ الداخلي والخارجي لبريطانيا، من خلال تاجر انگليزي يدعى (رجي) إلاّ تطبيقاً لهذه القاعدة، حيث سلّط الشاه الظالم، الكافرين على جانب اقتصادي اسلامي، حيث أصدر الميرزا الشيرازي فتواه المعروفة القائلة:

«بأنّ استعمال التبغ ومشتقاته حرام اليوم، وانه يعد بمثابة اعلان الحرب ضد الإمام المهدي(عج)».

والتطبيق السياسي الثاني المعاصر: هوالموقف الحازم الذي وقفه إمام الأمّة الخميني العظيم من معاهدة الكاپيتولاسيون (اي الاشتراط) ويعني: اشتراط ان لا تطبق على الأتباع الأجانب في ايران إلاّ قوانين دولهم هم، حيث يقوم قنصل الدولة المذكورة بتطبيقها.

وما كانت تعني إلاّ نوعاً من المصونية القضائية للأجانب، وتسليطهم على رقاب المسلمين، وقد قام نظام الشاه المقبور، بعقد هذه المعاهدة في عام ١٩٦٣، فنهض العلماء الكبار ــ وفي طليعتهم الإمام القائد ــ ضد هذا العمل المنافي للإسلام والعدالة، مما أدى به ان أبعده الحكم الطاغي الى تركية. والواقع ان بذرة الثورة الإسلامية الكبرى غرست في ذلك اليوم.

والرائع ان الإمام استهل بيانه الجريء وفتواه بالآية القرآنية الشريفة: **(ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً)** «النساء: ١٤١».

ولو ان الأمّة الإسلامية، أو هؤلاء القائمين عليها، راعوا هذه القاعدة في تعاملهم، لما أصيبت الأمّة بالحالة التي هي عليها الآن قطعاً، حتى عدنا نشهد اليوم حكّام المسلمين يتنادون الى مجلس، يعترفون فيه بالحدود الآمنة لاسرائيل، هذا العدو المتسلط على رقاب المسلمين، والمهين لشرفهم وكرامتهم.

ومن الجدير بالذكر:

ان العناصر الثلاثة الماضية تشكل أساساً لروح الإستقلال، والترفع على أي نفوذ أجنبي مذل.

رابعاً ــ التوعية قبل كل خطوة أُخرى:

الإسلام دين التوعية والتربية.. وهو بمقتضى واقعيته وفطريته يقرر لزوم القيام بتوعية أي انسان يراد له أن ينظم الى معسكره، وأي مجتمع يراد للإسلام ان ينفذ الى عمقه... انه يعرض جوهرته الثمينة، لأنه يعلم ان قيمتها ستنكشف بكل وضوح للجميع.. ولذا فهو يرفض أي تقليد في العقيدة، ويدعو للبحث والبرهنة، **(قل هاتوا برهانكم)**، وهو يرفض أي عملية إكراه عقائدي **(لا إكراه في الدين)**، كما يريد من الأمّة ان تكون من أُولي الأيدي والأبصار، قوية في بصرها وبصيرتها...، وفي مجال التعامل مع الآخرين يأمر بالدعوة البيّنة الواضحة قبل كل شيء. يقول القرآن الكريم:

«أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالّتي هي أحسن، إنّ ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين».

(النحل / ١٢٥)

«فلذلك فآدع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم..»

(الشورى/١٥)

ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين»

(فصلت ــ الآية/٣٣)

«قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرةٍ أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين»

(يوسف/١٠٨)

وفي هذا يقول شهيد الثورة الإسلامية في العراق، آية الله السيد الصدر في كتابه (اقتصادنا):

«والأمر الآخر: ان يبدأ الدعاة الإسلاميون ــ قبل كل شيء ــ بالإعلان عن رسالتهم الإسلامية، وايضاح معالمها الرئيسية، معززة بالحجج والبراهين، حتى اذا تمّت للإسلام حجته، ولم يبق للآخرين مجال للنقاش المنطقي السليم، وظلوا بالرغم من ذلك مصرين على رفض النور..، عند ذلك لا يوجد أمام الدعوة الإسلامية ــ بصفتها دعوة عالمية تتبنى المصالح الحقيقية للإنسانية ــ إلاّ ان تشق طريقها بالقوى المادية، بالجهاد المسلح» (ص ٢٧٥ ج/١)

وقد جاء في كتاب الكافي للمرحوم الكليني عن الصادق (ع) قوله:

«قال أمير المؤمنين (ع): بعثني رسول الله (ص) الى اليمن، فقال: يا علي لا تقاتلن أحداً حتى تدعوه الى الإسلام، وأيم الله لئن يهدي الله عزّوجلّ على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت، ولك ولاؤه يا علي.» (وسائل الشيعة ج/١١ ص ٣٠)

انه اسلوب القرآن قبل كل شيء، الذي علّمه الله لموسى وهارون (ع): «إذهبا إلى فرعون انه طغىٰ * فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشىٰ».

(طه/٤٣ــ٤٤)

انه الدعوة ــ حتى عند مواجهة الطواغيت ــ عسى ان يهتدوا الى الحق.

وها نحن نجد الرسول العظيم يكرر عبارة **(أدعوك بدعاية الإسلام)** في رسالته الى كسرى انوشيروان، وقيصر امبراطور الروم تطبيقاً لهذا التعليم الإسلامي السامي.

وهكذا راح الدعاة يبثون الدعوة الى الأقطار. وقد ذكرت اسماء بعض الدعاة الأوائل الذين أُرسلوا لتحقيق واجب الدعوة الى الله، ومنهم:

عبد الله بن حذافة السهمي ــ مبعوث الرسول الى ايران.

حاطب بن ابي بلتعة ــ مبعوث الرسول الى مصر لدعوة المقوقس

دحيه الكلبي ــ مبعوث الرسول الى روما.

عمرو بن أمية ــ مبعوث الرسول الى الحبشة.

سليط بن عمرو ــ مبعوث الرسول الى اليمامة.

عمرو بن العاص ــ مبعوث الرسول الى عمان.

حرملة بن زيد ــ مع وفد معه الى مدينة (أيلة) الواقعة على ساحل البحر الاحمر.

المهاجر بن ابي امية ــ مبعوث الرسول الى ملوك حمير.

خالدبن الوليد ــ مبعوث الرسول الى همدان (مدينة قرب بحر عمان).

علي بن ابي طالب(ع) ــ مبعوثه الثاني الى هذه المدينة.

حذيفة بن اليمان ــ مبعوث الاسلام الى الهند.

عبدالله بن عوسجة ــ مبعوث الرسول الى قبيلة حارثة بن قريظ.

جرير بن عبدالله البجلي ــ مبعوث الرسول الى قبائل ذي الكلاع الحميري.

وغيرهم ممن حمل مهمة الدعوة الى الشعوب.

واذا أردنا ان نجد التطبيقات السياسية لهذا الأصل في التعامل الدولي، أمكننا ان نلحظها في بعثات الإيضاح المرسلة من هنا الى هناك ، وفي أساليب توضيح الحقيقة عبر الوسائل السمعية والبصرية،وفي مذكرات الإيضاح الموجهة، والمذكرات التفسيرية المقدمة الى المؤتمرات الدولية.

وما تتميز به العلاقات الدولية الإسلامية: انها تنظر لعملية التوعية والإيضاح ــ كرسالة إلهية ومبدأ ضروري ــ يجب الإلتزام به قبل القيام بأية خطوة عسكرية أو سياسية أو غيرها تجاه الدول الأخرى.

اما ما نجده من السياسة الماكرة القائمة ــ بالفعل ــ فهو اعتماد هذه السياسة التوضيحية ــ باعتبارها مناورة سياسية ــ فإذا لزم الأمر، قلبت الحقائق، وتغيرت الموازين.

خامساً ــ مراعاة العدالة في التعامل:

يشكل العدل أهم أصول التصور الإسلامي عن الواقع: «**شهد الله أنه لا إلـه إلاّ هو، والملائكة، وأولوا العلم، قائماً بالقسط...**».

(آل عمران/١٨)

وأهم الأسس عند التعامل الاجتماعي: «**يا أيها الّذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله...**».

(النساء/١٣٥)

ومن الطبيعي ان يأتي التأكيد على العدالة حين تثور الإحن والشنآن، و يكاد العدل ينسى من البين، وحينئذ تقول الآية:

«**... ولا يجرمنكم شنآن قومٍ على ألاّ تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى...**».

(المائدة/٨)

واذا لاحظنا ان العدل في التعامل مع الأجانب عن دارالاسلام يلحظ فيه واقعهم القائم،أدركنا البعد الإنساني في هذا الأصل، وهذا ما تؤكده أحكام الاسلام في الجهاد والعهد والإجارة وغيرها.

وهو ما يفسر وقوف الدولة الإسلامية الى جانب قضايا المستضعفين والمحرومين في الأرض، ومقارعة الظلم والطغيان في كل مكان ــ حتى لو لم يكن الأمر يمسها من قريب، وعملها على نفي العلاقات الظالمة بين الدول.

فليس وقوفنا الى جانبهم وقوفاً مصلحياً دعائياً، حتى اذا ما تسنى لنا الأمر ومنحتنا المقادير أزمتها رحنا نسومها سوء العذاب، وهو ما نجده من القوى العظمى، شرقيها وغربيها.

وانما هو موقف مبدئي أصيل، قائم على أساس متين، متى ما خالفناه ــ وفي أية لحظة ــ خرجنا عن الخط الإسلامي القويم، ودخلنا في عداد المستكبرين، الذين يقول فيهم تعالى:

«فهل عسيتم إنْ توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطّعوا أرحامكم * أولئك الذين لعنهم الله فأصمّهم وأعمى أبصارهم».

(سورة محمد/ ٢٢ ــ ٢٣)

ان القرآن على العكس من ذلك، يعطينا صورة الجماعة المسلمة المتمكنة، بقوله:

«الذين إن مكنّاهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، ولله عاقبة الأمور».

(سورة الحج/ ٤١)

سادساً ــ مبدأ تأليف القلوب:

وهو مبدأ يمثل ايجابية الشريعة الإسلامية بكل وضوح، كما يعكس واقعيتها في نفس الوقت.

في الجو الذي يتم تأليف القلوب فيه، تنفتح النفوس للحقيقة، وتتقرب الى الواقع، والأصل في هذا المبدأ، هو: سهم المؤلفة قلوبهم في مصارف الزكاة، حيث فتح هذا مجالاً للعمل المنظم لتحقيق ذلك، عبر الوقوف الى جانب كل المستضعفين، والدفاع عن قضاياهم، وجلب القلوب الى الإسلام.

ورغم ان الفقهاء يختلفون في مساحة هذه القلوب المؤلفة. وهل تختص بغير المسلمين، أم تشمل المنافقين، أم تعم بعض المسلمين ضعيفي الإيمان، إلاّ ان الذي يبدو من روح الإسلام واتجاهاته الإقتصادية، ومن أقوال فقهاء الشيعة والسنة ــ ومنهم الإمام الخميني القائد ــ انه مبدأ عام، وأصل يتيح للدولة الاسلامية ان تلحظ المصلحة أينما تكون. ومن هنا فمن الطبيعي ان يشكل عنصراً اسلامياً، له دوره في تحديد العلاقات الدولية، وتقديم المساعدات الى مختلف الدول والشخصيات والجمعيات على شتى مذاهبها.

ولئن كان هناك بعض البحث في لزوم العمل بهذا المبدأ في عصر معين، و بالنسبة لأشخاص معينين، بعد وفاته (ص)، فإنه لاشك في اسلاميته أصلاً، ولزومه في العصور الأخرى.

على اننا ننبه هنا الى أن هذا السهم المعطى للمؤلفة قلوبهم، لا يختص مورده بباب الزكاة، و انما نجد الإسلام يسمح للإمام ان يقوم بالإنفاق بما يحقق مصلحة الإسلام العليا من أموال الدولة، وتفصيل هذا يذكر في البحوث الاقتصادية الاسلامية.

و بانفتاح هذا الباب، نجد المجال السياسي لتطبيقاته واسعاً جداً، يشمل كل المعونات الإقتصادية والسياسية، التي يمكن أن تقدمها الدولة في سبيل تقريب القلوب اليها والى مبادئها... الا ان من الواضح فيه ملاحظة مدى ما يعود به من نفع على القضية الكبرى بغض النظر عن أية منافع سياسية ضيقة.

سابعاً ــ احترام العهود والعقود والإتفاقيات الدولية:

وهذا الأصل هو من أهم الأصول التي تعتمدها السياسة الإسلامية الحقة، وكما قلنا من قبل، فإنه يستمد من الواقعية التي تتسم بها النظرة الإسلامية من جهة، واحترام مقتضيات

الخلق من جهة أُخرى.

فالقائد الإسلامي يفكر ملياً في أي عهد أو عقد يعقده، ولكنه اذا عقد العقدة ــ مستوفية لكل شروطها ــ التزم بها تمام الإلتزام.

«... وأوفوا بالعهد إنّ العهد كان مسؤولاً» (الإسراء/٣٤).

والعهود التي تعطى للدول الأجنبية أو الأجانب، تارة تدخل ضمن عقود صرح بها الإسلام، وحدد لها قوانينها العامة، فيجب الإلتزام بذلك، وأُخرى تسير بمنحى مستقل، يرى ولي الأمر ان يعقدها لانها تحقق المصلحة الإسلامية العليا.

ومثال القسم الأول: عقد الذمة، وعقد الهدنة، وعقد الأمان. ومثال الثاني: كل العقود الأُخرى والتي تعقد على الصعيد العسكري والإقتصادي، وأمثال ذلك.

وتستمد التعاليم الاسلامية ــ الخاصة بهذا العقد أو ذاك ــ من نصوص القرآن الشريفة، والأحاديث المباركة، وعمل الرسول (ص).

في مجال عقد الذمة: تستفاد بعض الأحكام من الآية الشريفة **«قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يُحرّمون ما حرَّم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يُعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون»** (التوبة/٢٩)

وهناك عقود الذمة التي عقدها (ص) مع نصارى «نجران» و«بني تغلب» ومجموعات من اليهود.

ولا نريد هنا ان ندخل في تفاصيل هذه العقود، وانما نريد التأكيد على ان مسألة العهود تحتل جانباً هاماً من الفقه الإسلامي، وتستمد خطوطها العريضة من القرآن الكريم.

إلاّ اننا يجب ان نلحظ في البين نقطتين متقابلتين:

الأُولى:

ان الحديث هنا عن عهود يقدمها الحاكم الإسلامي الولي الشرعي، اما هذه العهود والمعاهدات التي يعقدها هؤلاء المتسلطون على الرقاب بالقوة والطغيان فهي في الأصل لا تلزم أي مسلم، لأن من عقدوها ليسوا مخولين إسلامياً للقيام بتقديم هذه العهود من قبل المسلمين، اللهم إلاّ اذا كان ذلك التقديم بصفتهم الفردية، وكانت التعاليم تسمح بمثل هذه العهود والعقود كما في عقد الأمان في بعض صوره.

على انه يجب ان يلحظ ــ في مثل هذه العقود والمعاهدات ــ مدى ما يعود على المسلمين من حصيلة.

الثانية:

وكما لاحظنا جانب المسلمين، يجب ان نلحظ الجانب الآخر في البين، ومدى ايمانه وعلمه بصلاحية المسؤول الإسلامي الذي يعقد معه هذه المعاهدة، فإذا لم يثبت لدينا وضوح الموقف لديه، كان علينا ان نحتاط في مجال نقض المعاهدات الدولية بلاريب.

وهذا المعنى يبدو و بكل وضوح عندما يطرح الفقهاء فكرة الالتزام باحترام حرية المحاربين ــ الذين دخلوا الأرض الإسلامية ــ بشبهة الأمان.

نعم، في كثير من الحالات، يجد المسلمون ان الدولة الأجنبية، التي دخلت في معاهدة مع

حكامهم، كانت تعلم علم اليقين، ان هؤلاء أناس متجبرون، لم تخولهم مبادئهم الاسلامية ولا أمتهم، حق التحدث بإسمها، وحينئذ، لايجدون ما يلزمهم بمثل هذه العقود الظالمة في الغالب.

ثامناً ــ التعامل بالمثل :

يقول تعالى: «**الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قِصاصٌ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتّقوا الله واعلموا أنَّ الله مع المتقين**».

(البقرة: ١٩٤)

واذا كان مبدأ القصاص من جهة، ومبدأ جزاء الإحسان بالإحسان من جهة أُخرى، مبدئين واقعيين يرتضيهما المنطق الإنساني في التعامل الفردي والاجتماعي الداخلي، فإنهما كذلك في مجال التعامل الدولي، بل ربما عاد أحدهما من الضرورات، اما لردع الإعتداء أو لجلب القلوب.

فإذا كان العدو في العصور السالفة ــ مثلاً ــ يسترقُّ المسلمين، فمن الطبيعي ان يعامل العدو بمثله، طبعاً مع ملاحظة كل الجوانب الأُخرى.

ذلك ان حالة الاسترقاق يجب ان يحددها القائد، الذي بلغ درجة سامية من الورع والمحبة الإنسانية، ومستوىً سامياً من وعي روح الشريعة المتنافية مع أصل الإسترقاق، فإذا رأى القائد ان الإسترقاق يشكل أفضل ردّ على العدو من جهة، ومن جهة أُخرى أُسلوباً لدخول الأسير الى المجتمع، والإحتكاك بالمسلمين، ومن ثم التعرف على الاسلام، وكذلك تخلصاً من تعطيل هذه الطاقات الخلاقة الأسيرة، فإنه حينئذ يأمر به كموقف لابديل له. هذا، في حين لايقاس هذا بأساليب الإسترقاق الوحشية التي كانت جارية آنذاك .

يقول آية الله الشهيد الصدر:

«واذا عرفنا بهذا الصدد، ان ولي الأمر مسؤول عن تطبيق أفضل الحالات الثلاث (و يقصد بها: العفو، أو الاطلاق بفدية، أو الإسترقاق) على الأسير، وأوفقها بالمصلحة العامة، كما صرَّح بذلك الفاضل، والشهيد الثاني، وغيرهما، من فقهاء الإسلام، وأضفنا الى ذلك حقيقة اسلامية أُخرى، وهي: ان الحرب لم يسمح بها الإسلام سماحاً عاماً، وانما سمح بها في طرف وجود قائد معصوم، يتولى قيادة الغزو وتوجيه الزحف الإسلامي في معاركه الجهادية، اذا جمعنا بين هاتين الحقيقتين، نتج عنها: ان الإسلام لم يأذن باسترقاق الأسير، إلاّ حين يكون أصلح من العفو والفداء معاً، ولم يسمح بذلك إلاّ لولي الأمر المعصوم، الذي لا يخطىء في معرفة الأصلح، وتمييزه عن غيره.

وليس في هذا الحكم شيء يؤاخذ الإسلام عليه، بل هو حكم لاتختلف فيه المذاهب الإجتماعية، مهما كانت مفاهيمها، فإنَّ الإسترقاق قد يكون أحياناً أصلح من العفو والفداء معاً، وذلك فيما اذا كان العدو ينبع مع أسراه طريقة الإسترقاق، في مثل هذه الحالة يصبح من الضروري ان يعامل العدو بالمثل، وتتبع معه نفس الطريقة» (اقتصادنا ص ٢٧٥).

هذا من الجانب السلبي، والأمر كذلك، بل

هو أولى في الجانب الإيجابي، حينما يحسُّ الإسلام من العدو أو الطرف المقابل موقفاً حسناً، فإنه حينئذ يأمر بمجازاته بالإحسان و يرفض مطلقاً ان لايأبه المسلمون لمثل هذه المواقف الايجابية.

«وإن جنحوا للسلم فاجنح لها...» (الأنفال/٦١).

«لا ينهاكم الله عن الذين لم يُقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرُّوهم وتقسطوا اليهم، ان الله يحب المقسطين».
(الممتحنة/٨)

تاسعاًــ نظام الجهاد بمختلف فروعه:

وهو باب واسع الأبعاد والفروع، حاول الإسلام فيه تنظيم الأعمال الحربية، مستهدفاً من جهة تحقيق الأهداف الإسلامية العليا، من خلال رفع الموانع في سبيل الدعوة الإسلامية، والحفاظ على محورها المتحرك. كل ذلك مع ضمان أكبر لالتزام الأساليب الإنسانية الممكنة، ولن نتحدث طويلاً عن هذا الباب لسعته، وضيق مجالنا عنه.

كانت هذه بعض الأُسس القرآنية التعامل الدولي، أشرنا اليها في لمحات سريعة، تاركين التفصيل فيها الى مظانه، وملاحظين انه قد يكون البعض فيها داخلاً في اطار البعض الآخر، كما في مسألة المبدئية في التعامل مثلاً، أو نظام الجهاد، ولكن فصله تمّ على أساس من أهمية الدور الخاص الذي يلعبه في تحديد نوعية العلاقات الدولية.

وعلى أي حال:

فإننا اذا استعرضنا بعض الأُسس التي تقوم عليها العلاقة بين الدارين (دار الإسلام ودار الكفر)، نبقى نتصور الحالة المفروضة، وهي قيام الدولة الواحدة في العالم، و يبقى هذا التصور الإسلامي هو الذي يحكم العلاقات الدولية، و يتحكم في نوعيتها.

هذا، ومن المناسب هنا ان نقول: **ان سياسة الجمهورية الاسلامية في ايران كانت تسير باطراد نحو تطبيق هذه المبادئ السامية في مجال تعاملها الدولي، وان كانت نتيجة ذلك قد واجهت شتى الضغوط من الاستكبار العالمي، ومنها: هذا الحصار العالمي على الأصعدة: السياسية، والعسكرية، والاقتصادية، والإعلامية.**

ولكنها راحت تتجاوز كل المؤامرات، مرفوعة الرأس مفتخرة برسالتها الاسلامية التي حددت لها المنطلقات والأهداف، والسبيل لتحقيقها، بكل وضوح.

مع الدستور الاسلامي:

وعند الرجوع الى الدستور الاسلامي، نجده يعدّ موضوع العمل على طرد الإستعمار، والحيلولة دون النفوذ الأجنبي، وكذا فكرة بناء السياسة الخارجية على أساس المعايير الإسلامية، والالتزام الأخوي تجاه كل المسلمين، والوقوف التام الى جانب قضايا المستضعفين والدفاع عنها: يعدّ هذا من أهداف الدولة الإسلامية.

في حين تجعل المادة ٤٣ موضوع الحيلولة دون التسلط الاقتصادي الخارجي على مرافق البلاد، مسلمات الإقتصاد الإسلامي، وأُسسه.

اما المادة ١٤٦ فتمنع بتاتاً إقامة أية قاعدة عسكرية أجنبية، حتى ولو كان ذلك باسم الأغراض السلمية.

وبالتالي فان الفصل العاشر من الدستور، مخصص للسياسة الخارجية، حيث تقول المادة ١٥٢:

«ان السياسة الخارجية للجمهورية الاسلامية في ايران تقوم على أساس نفي أي نمط من فرض النفوذ أو القبول بذلك، والحفاظ على الاستقلال التام في جميع النواحي ووحدة أراضي البلاد، والدفاع عن حقوق كل المسلمين، وعدم الالتزام بأي شيءٍ تجاه القوى المتسلطة، والعلاقات السلمية المتبادلة مع الدول غير المحاربة».

كما تقول المادة ١٥٣:

«تمنع كل معاهدة تؤدي الى التسلط الأجنبي على المصادر الطبيعية، والمرافق الاقتصادية، والثقافية، والجيش، وباقي شؤون البلاد».

اما المادة ١٥٤ فتقول:

«تعتبر الجمهورية الاسلامية في ايران سعادة الإنسان في كل المجتمع البشري، هدفاً سامياً لها، وتعتبر الاستقلال والحرية وحكومة الحق والعدل، حقاً لجميع شعوب العالم؛ وبناءً على هذا، ومع نفي أي تدخل في الشؤون الداخلية للشعوب الأخرى، فإنها تؤيد وتدافع عن الكفاح العادل للمستضعفين في قبال المستكبرين، في أي بقعة من بقاع العالم».

وأخيراً فإنَّ المادة ١٥٥ تؤكد ان:

«دولة الجمهورية الإسلامية في ايران تستطيع ان تمنح حق اللجوء السياسي لكل من يطلب ذلك باستثناء الذين يعتبرون وفقاً لقوانين ايران مجرمين، أو خونة».

الإستثناء الثاني:

عبَّرنا عن فكرة انقسام العالم الى دارين: دار الإسلام، ودار الكفر، بأنها حالة استثنائية في تصور الإسلام، بعد ان كانت الحالة الأولية المفروضة هي حالة الدولة العالمية الواحدة، ورأينا كيف تتم العلاقة بين المعسكرين في إطار هذا المفروض، وعلى أساس من الواقعية والأخلاقية الإسلامية.

وقد افترضنا في الإستثناء الأول قيام دولة اسلامية واحدة، يقودها الإمام الذي تسلّم السلطة على أساس شرعي، وعاد ولياً للأمر في دار الإسلام.

وهذه الحالة هي الحالة الطبيعية في دار الإسلام بملاحظة:

أ) ــ وحدة التشريع الإسلامي الثابت.

ب) ــ صلاحية الإمام غير المحدودة بمنطقة معينة، في مجال ملء منطقة الفراغ، وهي التي تعالج الجانب المتغير من حياة المجتمع.

ج) ــ روح الإسلام التي تفرض الوحدة التامة، لا الشكلية في تحرك المسلمين.

وتمنع مطلقاً من شق عصا المسلمين، وتعتبر ذلك من أعظم الأمور.

ومن هنا فإننا لا نوافق على ما تفضَّل به بعض الأساتذة، من القول بأنَّ قيام الدول المتعددة في دار الإسلام، لا يتعارض مع أحكام الإسلام، مستدلاً لذلك بأنَّ عصر وضع النظريات الإسلامية هوعصر الدولة العباسية الذي شهد دولاً اسلامية متعددة، هي:

«دولة العباسين في المشرق، والعلويين في المغرب، والأمويين في الاندلس».

(التشريع الجنائي الاهي ص ٤٦٤)

والغريب ان الأستاذ الجليل (عبد القادر عودة) يصرّح: «بأنّ الإسلام لايتنافى مع نظام كنظام الجامعة العربية القائمة اليوم»، رغم اننا نشهد ان الجامعة العربية لا تعبّر حتى عن أقل طموح.

اننا نعتقد ان هذا التطبيق لايستطيع مطلقاً ان يثبت صحته، خصوصاً واننا نعلم ان العامل الرئيس في تفتيت الأمة وتقطيعها ما كان إلاّ الأهواء، والطغيان، والإستئثار،والنفعية،لاغير، وتبقى دولة الصدر الأول الواحدة هي الأصل بلاريب، والحالة المنسجمة مع تطلعات الاسلام.

و يبدو هذا الرأي أكثر وضوحاً عندما نركز على رأي مدرسة أهل البيت في مجال قيادة الإمام المعصوم للعالم، امتداداً لقيادة النبي (ص) له، ومن بعد الإمام المعصوم يقوم الفقيه العادل بتولي أمر الأمة، واكتساب صلاحياته الى حدٍ كبير.

إلاّ اننا إذ نواجه تعدد الدول والسلطة في دار الإسلام، علينا ان نعتبره استثناءً آخر، يجب ان يعمل المسلمون على التخلص منه ــ مهما أمكن ــ والعودة الى حالة الوحدة الطبيعية.

وعندما نفترض هذا الإستثناء الثاني، يضاف الى أساسي التعامل الرئيسيين المذكورين سابقاً، أسس أخرى مثل (الأخوة الإسلامية) و(الوحدة الإسلامية)، و(الإلتزام بباقي أحكام الإسلام في مجال التعامل بين المسلمين)، ومقتضياتها التي تتجاوز منطق المصلحة، والربح والخسارة، الى حيث يضع الإسلام للمسلم على المسلم حقوقاً لا يمكنه ان يتخطاها.

وحينئذ يجب ان يحس كل مسلم بآلام كل مسلم آخر، ويجب ان يقيس نفسه الى مستوى ما يعيشه المسلم الآخر، و يعمل على الدفاع عن كل شبر اسلامي اينما كان باعتباره وطنه، وان ينسجم مع كل صرخة تنادي بتطبيق أحكام الاسلام، واعتبار كل ثروة في أعماق أي أرض اسلامية ملكاً في الأصل لكل المسلمين، وقياماً لهم، الى ما هناك من التعاليم الإسلامية: الحية.

وهنا ــ وفي خصوص هذه المساحة ــ يجب التنبيه على نقطة هامة في البين، هي:

إننا اذا نظرنا الى الواقع القائم اليوم على الأرض الإسلامية، وجدناه يعج بأنماط مختلفة من الحكومات والسلطات.

فهناك منطقة اسلامية لوقيس المسلمون الى مجموع سكانها لشكلوا الأغلبية الساحقة، ولكنهم مع ذلك، يرزحون تحت حكم إلحادي كافر معلن بالحرب ضد الإسلام، أو حكم كافر يتستر ببعض الأقنعة، أو حكم آخر يعلن رفضه لأهم تعاليم الإسلام الحياتية، وتمسكه ــ في أسس تصوره ــ بأفكار يرفضها الإسلام بتاتاً، أو نظام متسلط يتقنع بالدين، في حين يعمل جهده على بيع المسلمين وثرواتهم للعدو، وتمهيد السبيل للقوى العظمى، كي تلعب لعبتها وتستعبد المسلمين، وهكذا دواليك.

اننا نعتقد بكل وضوح بالمضمون القرآني الكريم حيث يردد:

«...ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم

الكافرون».

(المائدة/٤٤)

«...ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون».

(المائدة/٤٥)

«...ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون».

(المائدة/٤٧)

ونؤمن بأنَّ أي عمالة للأجنبي الكافر، تصم الحكم كله بالكفر، وأي تفريط واضح بحقوق المسلمين، يعني الحرب ضد الإسلام والمسلمين.

واننا لنعد أنفسنا بمقتضى اسلامنا مسؤولين، وعلينا العمل المشترك لإسقاط الطاغوت بشتى ألوانه، وإعادة الصورة الإسلامية الناصعة الى الأمّة الإسلامية الواحدة.

وختاماً، نسأل الله العلي القدير ان يوفق قائد الأمّة الامام الخميني لتحقيق آمالها، في الوحدة والعزة وتطبيق الإسلام، انه السميع المجيب ■

١ ــ مكاتيب الرسول ص ٥ طبع بيروت.

الحروف المقطعة في القرآن الكريم

حجة الاسلام السيد جعفر مرتضى / لبنان

إنَّ موضوع بحثناهو:

«الحروف المقطّعة في فواتح السورة من وجهة نظر قرآنية».

فلقد كثر الحديث عن الحروف المقطعة الواردة في فواتح السور القرآنية، وتعدّدت، وتشعّبت الأقوال والآراء حولها، حتى عدَّ المفسرون مايقرب من عشرين قولاً حول المراد منها..

فقيــل:

(١) ــ هي من المتشابه الذي لايعلم تأويله إلاّ الله سبحانه.

(٢) ــ هي أسماء للسور التي وقعت في أوائلها.

(٣) ــ إنها أسماء لمجموع القرآن...

(٤) ــ إنها أسماء لله سبحانه فـ (الم) معناها: أنا الله العالم. و(المر) معناها: أنا الله أعلم وأرى.. وهكذا..

(٥) ــ إنها أسماء الله مقطّعة، لو أُحسن تأليفها لعلم اسم الله الأعظم وَ: الروحم ون. تصير: الرحمان... وهكذا.

(٦) ــ إنَّ هذه الحروف شريفة لكونها مباني كتبه المنزَّلة وأسمائه الحسنى وصفاته العليا، وأُصول لغات الأُمم.. وقد أقسم الله تعالى بهذه الحروف.

(٧) ــ إنها اشارات الى الائه سبحانه، وبلائه، ومدة الأقوام وأعمارهم وآجالهم.

(٨) ــ إنها اشارة الى بقاء هذه الأمّة بحسب حساب الجمل...

(٩) ــ إنها تسكيت للكفار الذين تواصوافيما بينهم: «لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه». فكانوا اذا سمعوا هذه الحروف استغربوها، وتفكّروا فيها، فيقرع القرآن مسامعهم.

(١٠) ــ إنها للاشارة الى معاني السورة، فكلمة (ن) اشارة الى ما تشتمل عليه السورة من النصر الموعود، وكلمة (ق) اشارة الى القرآن أو الى القهرة[1]

الى غير ذلك من أقوال لامجال لتتبعها..

ولعل آخر ما يمكن أن يعتبر رأياً في هذا المجال... ما ذكره بعض المتأخرين، واعتبر بمثابة «إعجاز مدهش جديد للقرآن الكريم يكتشفه عالم مصري» وهو يعني: أن هذه الحروف المقطّعة تدخل كعنصرهام و حاسم في موضوع الإعجاز العددي للقرآن..

ونحن لانريد ان نسيء الظن فيما يتعلق بهذا الرأي، على اعتبار أنه يعتمد الرقم (١٩) و يتخذه محوراً في مجمل استنتاجاته، وهو الرقم المقدّس عند طائفة البهائية الضالّة.

كما اننا لانريد المبالغة في التشاؤم الى حد ان نعتبر ذلك يهدف الى صرف الأنظار عن دقائق المعاني القرآنية الباهرة، الى الإهتمام بالظواهر والقوالب اللفظية...

لا.. لانريد ذلك.. فإننا نأمل أن يكون ثمة قدر كبير من حسن النيّة، وسمو الهدف.. وإنّما نريد أن نؤكد على أن بعض الباحثين قد تتبع هذه النظرية بالبحث والتمحيص، حتى خرج بنتيجة حاسمة، مفادها الجزم بخطأ هذه النظرية، وذلك لعدم صحة الأرقام التي قدّمتها، واعتبرتها أساساً صالحاً للتدليل على قيمتها العلمية.

فقد قال هذا المحقق الذي رمز لنفسه بـ (ابو محمد): قولهم: كلمة «اسم» تتكرر (١٩) مرة بالضبط. اقول: ذُكر في المعجم المفهرس عدد (١٩) تحت كلمة اسم. وذكر ان كلمة «بسم» تكررت ثلاث مرات في قوله تعالى باسم الله مجراها. «و بسم الله» أو «الحمد». وانه من سليمان وانه «بسم الله». وذكر كلمة (اسمه) وقال انها تكررت خمس مرات.

قولهم: ان كلمة الرحيم تتكرر (١١٤) مرة.

ونقول: بل تتكرر (١١٥) مرة بالضبط.

وقالوا: ان حرف (ن) قد تكرر في سورة القلم (١٣٣) أي (١٩ × ضرب ٧).

ونقول: بل يتكرر (١٢٩) مرة فقط. ولو كررنا المشدّدات مثل أن فإنّ المجموع يصير أكثر من ذلك...

وقالوا: ان حرف (ص) يتكرر في كل سورة الأعراف التي أولها (المص) و سورة (ص) وسورة (مريم) التي أولها «كهيعص» (١٥٢ أي ١٩ ضرب٨).

ونقول: ان عدد الصادات في سورة الأعراف (٩٠) صاداً، ولعله قد اشتبه على واحد أو اثنان. وفي سورة مريم (٢٤) مرة «كذلك» وفي سورة ص(٢٧) مرة فليس المجموع(١٥٣) ولا في كل واحدة منها(١٥٣) أيضاً[2]

أما العلاّمة الطباطبائي قدس سره، فقد أورد على الأقوال التي سلفت باستثناء هذا الأخير،

حيث لم يذكره قدس سره.. بأن:

دعوى كون الحروف المقطّعة من المتشابهات لايصح، وذلك لأن التشابه من صفات الآيات التي لها دلالة لفظية على مداليها، وليست الحروف المقطعة من هذا القبيل.

واما سائر الأقوال، فإنما هي تصويرات لا تتعدى حد الإحتمال، ولا دليل يدل على شيء منها. واما الروايات التي ربما يستظهر منها بعض التأييد لبعض تلك الأقوال، فقد ردها رحمه الله تعالى بضعف السند تارة وبضعف الدلالة أُخرى، حيث لايوجد فيها تقرير من النبي (ص) فهمه الآخرون منها.. أو لأنَّ مفاد الرواية أن هذه الحروف من قبيل الرمز لمعان تكرر بيانها، ولا حاجة لاستعمال الرمز في التعبير عنها..

ثم استظهر رحمه الله تعالى: ان هذه الحروف هي رموز بين الله سبحانه وبين رسوله، خفية عنّا، لا سبيل لافهامنا العادية اليها إلاّ بمقدار ان نستشعر أن بينها وبين المضامين المودعة في السور إرتباطاً خاصاً حيث وجد رحمه الله تشابهاً في سياق وفي مضامين السور التي اشتركت حروف معيّنة في فواتحها، كالطواسين والحوامين والميمات والراءات ونحو ذلك.

ونحن لانستطيع الموافقة على ما ذكره رحمه الله تعالى، فإنَّ القرآن ليس كتاب ألغاز أو أحاجي وإنما أنزله الله تعالى هدىً للناس[3]، ليدبروا آياته[4]، بلسان عربي مبين[5]، قرآناً عربياً لعلكم تعقلون[6] كتاب فصلت آياته، قرانا عربياً لقوم يعلمون.[7]

وقد ذكر العلامة المحقق السيد مهدي الروحاني: ان تعقيب هذه الأحرف بأنَّ هذا الكتاب مبين وواضح وانه قرآن عربي لقوم يعلمون أولعلكم تعقلون، لا يتناسب كون تلك الألفاظ رموزاً، أو من قبيل الألفاظ والإجماعات. قال تعالى في سورة يوسف «**الر. تلك آيات الكتاب المبين. انا انزلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون**».

ولدينا من الشواهد والدلائل ما يكفي لإعطاء فكرة عن المراد من هذه الحروف ونستطيع بيان ذلك في ضمن النقاط التالية:

(١) ـ إننا في نفس الوقت الذي نعتبر فيه ان ما سنذهب اليه هو المقصود الأول من هذه الأحرف، فإننا نؤكد على اننا لانستبعد إرادة سائر المعاني، مما ذكر أو مما لم يذكر منها، اذا دل الدليل على إرادتها أيضاً فإنَّ للقرآن ظهراً وبطناً، ولعل لاختلاف الأزمنة، وتقدم الفكر والعلم تأثيراً كبيراً في فهم الكثير من المعاني الأُخرى التي يمكن ان تكون هذه الأحرف مشيرة اليها أو دالة عليها، بنحو من أنحاء الإشارة والدلالة..

(٢) ـ إننا نلاحظ: أننا لم نجد في التاريخ ما يشير الى أن أياً من الصحابة أو من غيرهم من المشركين وأعداء الاسلام، قد تصدى للسؤال أو الاستفهام عن معاني هذه الأحرف، وعمّا ترمي اليه ـ ولو سلمنا جدلاً أن سكوت الصحابة يمكن ان يكون ناشئاً عن ايمانهم العميق، وعن وصولهم الى درجة التسليم والخضوع لكل ما يأتي به النبي (ص) نتيجة لما رأوه من الآيات الباهرة

والمعجزات القاهرة ــ رغم ان ذلك لاينسحب على كثيرين منهم، ورغم عدم منافاة ذلك للسؤال الاستفهامي عن أمر كهذا ــ اننا اذا سلمنا ذلك ــ فإننا لانستطيع لن نفسّر سكوت المشركين وغيرهم من أعداء الإسلام عن أمر كهذا، وهم في موقع التحدي والمجابهة، ويحاولون التشبث ولو بالطحلب للطعن في الإسلام والنبوة والقرآن.

فسكوتهم هذا ــ والحالة هذه ــ لايعني إلا أنهم قد فهموا منها معنىً قريباً الى أذهانهم، وأن ذلك المعنى الذي فهموه كان يكفي للإجابة عمّا يمكن أن يراود أذهانهم من تساؤلات..

(٣) ــ اننا نجد: أن هذه الحروف قد وردت في تسع وعشرين سورة، ستة وعشرون منها نزلت في مكة، وثلاثة منها نزلت في المدينة، وحتى هذه السور التي نزلت في المدينة يلاحظ: أن اثنين منها نزلتا في أوائل الهجرة، حيث كان الوضع الديني والايماني فيها لايختلف كثيراً عنه في مكة، ولا سيّما مع وجود اليهود وشبهاتهم ومؤامراتهم الى جانب المشركين فيها.

وواحدة منها وهي سورة الرعد قد نزلت بعد ان كثر الداخلون في الاسلام رغباً أو رهباً، وكثر المنافقون حتى ليرجع ابن ابي بثلث الجيش في غزوة أحد.. وأصبح اليهود وغيرهم ممن وترهم الإسلام يهتمون بالكيد للإسلام من الداخل، بعد أن عجزوا عن مقاومته عسكرياً وفكرياً، وعقائدياً بشكل سافر.. فجاءت سورة الرعد لتكرر التحدي بهذه المعجزة: القرآن كأُسلوب أمثل لبعث عمق عقائدي وايماني جديد في المسلمين، ومواجهة غيرهم بالواقع الذي لا يجدون لمواجهته سبيلاً إلاّ بالتسليم والخنوع والإنقياد له.

وهذا ما يفسّر لنا السر في اننا نجد أُسلوب وأجواء سورة الرعد لاتختلف كثيراً عن أجواء وأُسلوب غيرها من السور المكيّة، وان هناك توافقاً تاماً فيما بينها في إدانة وضرب كل أساليب التظليل أو التزوير والصدود عن الحق..

ونستطيع بعد كل ما تقدّم أنْ نصل الى النتيجة التالية، وهي: ان ورود هذه الحروف في خصوص السور المكيّة، وفي ثلاث سور نزلت في أجواء لا تختلف كثيراً عن أجواء مكة ليدل دلالة قاطعة على أنها انما جاءت في مقام التحدي للمشركين، ولأعداء الإسلام... وان عدم اعتراض هؤلاء أو حتى عدم سؤالهم وكذلك عدم سؤال أي من الصحابة المؤمنين عن معاني هذه الحروف، إنّما يشير الى انهم انما فهموا منها معانٍ قريبة الى أذهانهم، كافية للأجابة على ما ربما يختلج في نفوسهم من أسئلة حولها. وليس ذلك إلاّ ما ذكرناه من التحدي بهذا القرآن، المركب من أمثال هذه الحروف التي هي تحت اختيار الجميع، مع انه يعجز عن مجازاته وعن الإتيان بجملة وحتى بسورة من مثله الجميع.

(٤) ــ إننا اذا راجعنا الآيات التي وقعت بعد هذه الحروف، فإننا نجد:

أ) ــ ان جميع السور التي وقعت الحروف المقطّعة في فواتحها باستثناء سورتين أو ثلاث، نجد أن الآيات التي وقعت بعد هذه الحروف تتحدث عن الكتاب وآياته، أو القلم أو القرآن، أو نحو

ذلك، كقوله تعالى:

المص. كتاب أُنزل اليك».

(الأعراف)

«المر. كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور».

(ابراهيم)

« حم. والكتاب المبين. انا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون».

(الزخرف)

«حم. والكتاب المبين. انا انزلناه في ليلة مباركة».

(الدخان)

«الر. كتاب أُحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير».

(هـود)

«ص. والقرآن ذي الذكر»..

«ن. والقلم وما يسطرون»

وحتى تلك السور الاثنتان أو الثلاث، يمكن ان تكون تلك القصة، أو التنبؤات أو الحكم التي تذكر بعد هذه الحروف فيها من الإعجاز ما يكفي لأنْ يجعل تركيبها من أمثال تلك الحروف المذكورة. وعجز الغير عن الإتيان بمثلها، كافياً عن التصريح في ذلك...

ب) ــ إننا نجد أن بعض الآيات التي وقعت بعد الأحرف المقطعة، قد جاءت بإسم الإشارة ليكون خبراً عن الحروف المقطّعة، لأنّه اشارة لما قبله، ولا يصح ان يكون إشارةً لما بعده، لأنّ ما بعده ليس فيه الألف واللام ليكون بدلاً أوعطف بيان له.. وذلك مثل قوله تعالى:

«الر. تلك آيات الكتاب المبين. انا انزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون».

(يوسف)

«الر. تلك آيات الكتاب وقرآن مبين».

(الحجر)

«الر. تلك آيات الكتاب الحكيم».

(يونس)

وكذا الحال بالنسبة لسورة الرعد، والحجر، وغيرها من السور. أما مثل قوله تعالى: (الم. ذلك الكتاب) فالكتاب بدل أو عطف بيان.

ج) ــ ما هو من قبيل قوله تعالى:

«حم. تنزيل من الرحمن الرحيم. كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون»

(فصلـت)

فان قوله تنزيل، خبراً لقوله: حم. كما قاله الفراء وكما هو الظاهر... وجعل كتاب. خبراً لتنزيل، لايستسيغه الذوق السليم ولاينسجم مع المعنى المقصود، ولا سيَّما مع تنوين كلمة تنزيل و تنكيرها وكذلك الحال في قوله تعالى:

«الم. تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين».

(السجدة)

«حم. تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم».

(المؤمن)

وكذا الحال فيما ورد في أول سورة الجاثية والأحقاف...

وقد أعرب المفسرون، وغيرهم هذه الموارد

على ان كلمة تنزيل خبر لمبتدأ محذوف، أو نحو ذلك، مع أن اعرابها على نحو الذي ذكرناه هو الأنسب والأظهر، وان كان اعرابهم لاينافي ما ذكرناه أيضاً، فإنَّ تقدير كلمة (هو) أو كلمة: (هذا) المقدرة لمبتدأ ظاهرها الإشارة الى ما قبلها أيضاً.

د) ــ قوله تعالى:

«حم عسق. كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم».

(الشورى)

فإنَّ قوله (كذلك) يشار بها في القرآن عادة الى ماقبلها، أي كتلك الحروف التي سبقت يوحي اليك الله تعالى... أي ان آيات الله هي من جنس هذه الأحرف.

٥) ــ وبعد: فلقد جاء في رواية عن الإمام العسكري صلوات الله وسلامه عليه، انه قال: **كذبت قريش واليهود بالقرآن، وقالوا: سحر مبين تقوّله فقال الله: «الم. ذلك الكتاب».**

أي يا محمد؛ هذا الكتاب الذي أنزلناه عليك هو الحروف المقطّعة التي منها (الف، لام، ميم) وهو بلغتكم وحروف هجائكم؛ فأتوا بمثله ان كنتم صادقين، واستعينوا على ذلك بسائر شهدائكم، ثم بيَّن أنهم لايقدرون عليه بقوله:

«قل: لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً...».[8]

وضعف هذه الرواية لا يضر ما دامت مؤيده بما قدَّمناه من الشواهد والدلائل... هذا على الرغم من أننا نجد في كلام المجلسي ما يشير الى امكان الإعتماد على روايات تفسير العسكري.. مع أننا لانجدمايبرر الوضع والجعل في أمر كهذا...

والحمد لله وصلاته وسلامه على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطيبين الطاهرين... ■

الهوامش

.. (١) .. تفسير الميزان ج ١٨ ص ٦ و ٧.

.. (٢) .. راجع مجلة المطلق اللبنانية سنة ١٣٩٩ هـ. العدد الخامس ص ٨٢.

.. (٣) .. البقرة / ١٨٥.

.. (٤) .. ص / ٢٩.

.. (٥) .. الشعراء / ١٩٥.

.. (٦) .. يوسف / ٢.

.. (٧) .. فصلت / ٣.

.. (٨) .. معاني الاخبار ص ٢٢، وتفسير البرهان ج ١ ص ٥٤ وتفسير نور الثقلين ج ١ ص ٤٣، والبحار ج ٩٢ ص ٣٧٧، وتفسير الميزان ج ١٨ ص ١٦.

مناهج التفسير في شبه القارة

حجة الاسلام السيد مرتضى حسين صدر الأفاضل / باكستان

كانت مكة،منذ أقدم العصور، مدينة مقدسة، ومركزاً للعرب، وكانت تتميز بميزتين:

الأولى: هي وجود بيت الله فيها.

والثانية: انها كانت مركزاً تجارياً آنذاك ، حيث كانت بضائع الهند والسند، والحبشة، وسواحل الهند، وسيلان، واليمن، والشام، تمر من هناك .

وكانت المكانة المقدسة للكعبة من الأهمية بحيث كان الناس من غير العرب يقصدونها للحج ، وكان عبدة الأوثان والصابئة واليهود والنصارى يقصدونها لأداء المراسم الدينية والإجتماع في الأسواق لغرض التجارة والتداول في الشؤون الدينية والقصص وحكايات الشعوب وابداء الآراء والأفكار ووجهات النظر السياسية وتبادل الآراء وترسيخ علاقات الصداقة ومعرفة العدو والصديق، كما كانت مركزاً للإعلام أيضاً. ولذلك كانت مكة ـ من الناحيتين التاريخية والإجتماعية ـ مكاناً جيداً يطمع فيه المستعمرون.

ونظراً لأهمية هذا المركز، فقد صمم أبرهة الحبشي الذي كان قد استقل باليمن عن الحبشة على ان يظهر قوته و يفتح مكة و يقضي على مكانتها الإجتماعية والتاريخية، إذ انها كانت تشكل خطراً بالنسبة له. لذلك استعد بكامل قواه وجهّز جيشه بالفيلة التي لم يكن العرب قد الفوها، ولكن حسن التدبير وتقدير الباري دفع كيد أبرهة وأذهب قوة جيشه وأهلكهم.

وفي تلك الظروف السياسية المتأزمة، سطع نور الحق، فولد الرسول محمد (ص) من صلب ذرية ابراهيم محطم الأصنام، وشملت رحمة الباري تعالى شعوب العالم.

أجل ولد ابن آمنة ليقطع جذور الإستكبار وعبادة الأوثان.

يقول أبو طالب رضوان الله عليه بحق محمد (ص):

«وابيض يستسقي الغمام بفيضه ثمال اليتامى عصمة للأرامل»

وانقضت اربعون سنة من هجوم ابرهة على مكة. وكانت مكة تعيش حالة تزلزل في القيم والأخلاق

يساحر الشعراء، وكانت كل قبيلة تفكر في مصلحتها والإغارة على القبائل الأُخرى.

وفي مثل هذه الظروف كانت هذه المسألة مطروحة في مكة وهي ان ابن عبدالله بن عبدالمطلب وابن اخ بوطالب يتفوه بأقوال عجيبة و يطرح أفكاراً غريبة، إذ كان لا يقبل بعبادة الآلهة القديمة والأصنام التي كانت تعبد من قبل الآباء والأجداد، كما يرفض جبروت الإنسان، و يرفض أيضاً الخضوع للأصنام، ويحث على عبادة الله ونبذ عبادة الطواغيت والخضوع لهم... انه كلام غريب...

مرّت أربعون سنة والرسول يدعو الناس ــ قولاً وعملاً ــ الى التحلي با لخلق العالي الانساني، والتقوى، والمحبة وعبادة الله، والعفة، عندها عرف الناس بأن له شأناً، وسيصبح قاعدة عظيمة. وفي تلك البرهة من الزمن، نزل عليه الوحي، فدخلت دعوته مرحلة أخرى. ولم تكن دعوته مقتصرة على قراءة الآيات والتدبر فيها والاعتقاد بالله وحده، بل كانت تدعو الى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والبراءة من العقائد السيئة والشرك وذم جمع المال وتجنب الجاهلية ونبذ الذين يريدون التسلط وجمع المال والذهب، وكانت تدعو للإعتقاد بالقيامة والحشر والنشر والثواب والعقاب.

وكان الناس القادمون من أطراف مكة يستمعون الى الكثير من الأقوال بشأن محمد (ص) وكان المكيون قلقون ازاء هذه الحالة ولا يصدقون أقواله (ص) و يدعون الناس الى نبذها. وبعد انتهاء موسم الحج واطلاع الحجاج من كافة الشعوب والأديان على نبأ ظهور منج للبشر في مكة، فإنّ الناس كانوا يستفسرون عنه وعن دعوته من أهالي مكة، فكان جواب قسم منهم الإستهزاء بالحقيقة، وقسم آخر كانوا يروون القضية بتعجب، وقسم آخر يروونها و يتعاطفون معها. ومن جهة أُخرى كان الرسول (ص) يستغل كل فرصة وكل مكان ممكن لطرح رسالته على الناس، فكانت الضجّة التي يفتعلها أعداؤه ووابل الحجارة التي كانت تنهمر عليه من قبل المشركين، سبباً في توجه أنظار الوافدين من خارج مكة نحوه، وكانت خطاباته ورسائله القصيرة والآيات القرآنية تترجم من العربية الى لغات أخرى، سواء أكانت من قبل السامعين، أو عن طريق الرواة من الواعين.

وخلاصة القول؛ ان مرحلة تفسير القرآن بدأت منذ تلك الفترة التي كانت فترة نزول الوحي. وكان تفسير القرآن من العربية الى العربية يتم من قبل الرسول نفسه، اما تفسيره الى اللغات غير العربية فكان يتم عن طريق السامعين والناقلين، وفي بعض الأوقات كان الرسول (ص) يرسل بعض أصحابه أو يستخدم الأفراد الذين يجيدون لغة أُخرى غير العربية كمترجمين لأبناء تلك اللغة. وكان من بين أصحاب رسول الله أفراد غير عرب كسلمان الذي كان يجيد الفارسية، وصهيب الذي كان يجيد الرومية، و بلال الذي كان يجيد الحبشية. ومن غير المستبعد ان اليهود والنصارى الذين كانوا يتكلمون العربية والعبرية ولغات أُخرى كانوا يتناقلون المفاهيم القرآنية فيما بينهم حسب ما تدعيه ضروراتهم من ضدٍّ وردّ.

ولم تكن لتنقضي خمس سنوات على نبوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حتى أرسل الرسول الأكرم (ص) أصحابه الى الحبشة، فكانت هذه أول هجرة للمسلمين[1] اما هجرتهم الثانية الى الحبشة فقد ترأسها جعفر بن ابي طالب أخو علي بن طالب (ع) وكانت الحبشة مملكة غريبة على المسلمين ودينها منفصلاً عن دين مكة. والظاهر ان أهل الحبشة كانوا يستفسرون عن هجرة ورسالة الرسول وأحواله. و بالطبع فقد كان المسلمون يجيبون على أسئلتهم و يقنعونهم. ووصل الحبشة اثنان من العرب يمثلان المشركين، وطلبا من النجاشي أن يسلمهم أصحاب محمد (ص) فقرر النجاشي ان يعقد مجلساً للتشاور في القضية وطرحها بين الجميع ومعرفة الحقيقة.

أول تفسير باللغة الحبشية (الأمهريه):

وتشكل المجلس الذي حضره أعيان الدولة وأصحاب الكنيسة وممثلا مشركي مكة والمسؤولون عن المهاجرين المسلمين... ووصل الأمر الى أن قرأ جعفر بن ابي طالب آيات من سورة مريم، بعدها طرح النجاشي بعض الأسئلة. و بعد ان حصل على الجواب، توجه نحو الحاضرين، فقال: **(والله ان كلام محمد «ص» لا يختلف مطلقاً عن عقيدة المسيحين. فكل ما يقوله القرآن عن المسيح موجود في الإنجيل بحذافيره).**

و بديهي ان الأكثرية الحاضرة في المجلس بما فيها النجاشي كانت تتكلم اللغة الحبشية وكان الكلام يترجم من قبل أحد الحاضرين، وانني اعتقد بأن جعفر بن ابي طالب كان يجيد اللغة الحبشية، وهو الذي قام بترجمة الآيات الى تلك اللغة[٢].

ان هذه الواقعة كانت أول قضية ترجمت فيها الآيات القرآنية في مجلس يضم أشراف ذلك الزمن. اما الواقعة الثانية فكانت في منطقة سند هند المسماة اليوم بباكستان.

والظاهر ان التجار كانوا ينقلون ثقافة وآراء شعوبهم الى الشعوب الأخرى. ومن المؤكد ان التجار الذين كانوا يحتكون بالعرب، و ينقلون السلع الكثيرة عن طريق مينائي: «ديبل» و «سورت» كانوا مطلعين منذ بداية الدعوة الإسلامية على أول تفسير للقرآن باللغة السندهية. ومن المؤكد أيضاً انهم نقلوا الروايات والوقائع المحيرة الى شعوبهم. ومما يؤيد ذلك انتشار الإسلام عن طريق البحر في «ديبل» و «سند» و «الرور» وعن طريق البر من مناطق: «قصدار» و «كابول» و «ملتان» حيث كان المسلمون يعرفون هذه الطرق بل وعادات الناس وتقاليدهم.

كما ان التجار والسياسيين والمبلغين والسفراء والحاشية أوعامة الناس والعسكريين، كانوا يأتون الى هذه المناطق لدراسة طبيعتها كل باختصاصه[٣] و بالطبع فقد كانوا يقيمون الصلاة و يقرأون القرآن و يتباحثون مع العلماء و يترجمون مطالب وأهداف القرآن الى اللغة المحلية لكل منطقة، إلاّ ان ترجمتهم كانت تقتصر على توضيح معاني القرآن، ولم تكن عميقة تبين فلسفة الأحكام والبحث والجدل، الى ان حان يوم وصول المسلمين الى أرض باب الإسلام سنده (باكستان اليوم) و يظهر التاريخ بأن سكان هذه الأرض قاوموا المسلمين في البداية وذلك لعدم معرفتهم بهم ولكنهم سرعان ما بدأوا يحترمونهم حين اطلعوا على أخلاقهم وأفكارهم. واستمرت هذه الحالة الى ان بنى آل هبيرة مدينة باسم المنصورة[٤] التي أصبحت مقراً لدولة المسلمين هناك . كان ذلك في القرن الثالث الهجري.

التفسير الأول الذي كتب في السند:

طلب الراجا رائك مهروق ــ الذي كان حاكماً على منطقة الرور ــ من عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز[٥] الذي كان والياً في سنة. ٢٧٣ هـ ان يفسّر القرآن له. فأمر عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز أحد العلماء العراقيين ممن كانوا يجيدون لغة الناس هناك بأنْ يفسر القرآن.

وحسب رواية السائح السندهي «بزرگ بن شهريار» صاحب كتاب عجائب الهند، فانَّ القرآن الكريم ترجم الى حد سورة يس على الأقل، وكانت الترجمة باللغة الهندية وسمعها الراجا. ونقصد باللغة الهندية، اللغة السنسكريتية التي كانت اللغة العلمية هناك ، أو السندهية التي تشكل اللغة المحلية،فلقد جاء عن بزرگ بن شهريار مايلي:

فما في الهند، ما حدثنا به ابو محمد الحسن بن عمرو بن حمّو يه بن النيجري بالبصرة قال: كنت بالمنصورة في ٢٨٨ هـ . ق وحدثني بعض مشايخها ممن يثق به ان ملك الرا، وهو اكبر ملوك الهند والناحية التي هو بها ــ بين قشمير الأعلى وقشمير الأسفل ــ وكان يسمّى مهروق بن رائك كتب في سنة ٢٧٠ الى صاحب المنصورة وهو عبدالله بن عمر بن عبد العزيز يسأله أن يفسر له شريعة الاسلام بالهندية فأحضر عبدالله رجلاً كان بالمنصورة أصله من العراق. وكان حسن الفهم، وشاعراً، نشأ في بلاد الهند، عرف لغاتهم على اختلافها، فعرف ماسأله ملك الرا، فعمل قصيدة ذكر فيها ما يحتاج اليه وأرسلها اليه. فلما قُرئت، استحسنها ملك الرا وكتب الى عبد الله يسأله عن صاحب القصيدة فارسله اليه وأقام عنده ثلاث سنين، ثم انصرف عنه، فسأله عبد الله عن أمر ملك الرا ــ فشرح له أخباره وانّه تركه وقد أسلم قلبه ولسانه وانه لم يمكنه اظهار الإسلام خوفاً من انكشاف أمره وذهاب ملكه، وكان فيما حكاه عنه أنّه سأله أن يفسر له القرآن بالهندية ففسره له.

قال: فانتهيت من التفسير الى سورة (يس) قال: ففسرت له قول الله عزّوجلّ: **قالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ**» قال: فلما فسّرتُ له هذا وهو جالس على سرير من ذهب مرصّع بالجوهر والدّر لا تعرف له قيمة، قال لي أعد عليَّ، فأعدت، فنزل من سريره ومشى على الأرض ــ وكانت قد رشت بالماء وهي ندية ــ فوضع خده على الأرض و بكى حتى تلوّثَ وجهه بالطِين، ثم قال لي: هذا هو الربّ المعبود والذي ليس يشبهه أحد. و بنى بيتاً لنفسه وأظهر انه يخلو فيه لمهمّة، وكان يصلّي فيه سرّاً من غير أن يطلع على ذلك أحد، وانّه وهب له في ثلاثة دفعات ستمئة مناً من الذهب[٦]

وانني اعتقد بأن هذا التفسير كان واضحاً وسهلاً يتلاءم مع مستوى العامة، وللأسف لا يوجد ــ اليوم ــ أي أثر لذلك الكتاب، والجدير انه كان اول تفسير يكتب في الباكستان.

التفاسير الفارسية في الهند والباكستان:

ومنذ ذلك الوقت والى ما بعد فتوحات السلطان محمود الغزنوي لم نعثر على تفسير للقرآن إلاّ تفسير السيد اسماعيل محمد البخارى (المتوفى سنة ٤٤٨ هـ) الذي كان يفسّر القرآن للناس تفسيراً خطابياً و بيانياً باللغة الفارسية في مدينة لاهور[٧].

ونحن نعرف بأنّ أهم التفاسير التي كانت تطالع من قبل العلماء والمتطلعين الى القرآن، كانت عبارة عن كتاب (البيان في تفسير القرآن) لشيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي المتوفى سنة. ٤٦ هـ ، وتفسير الكشاف لجار الله الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ ، والتفسير الكبير لفخرالدين الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ ، وتفسير البيضاوي. وكان هؤلاء ينتخبون التفاسير ذات الأساليب الجدلية والفلسفية والعرفانية المختلفة.

و بعد ان قويت شوكة المجتمع الإسلامي، واتّسعت المدارس، ظهر تفسير آخر للقرآن باسم «تفسير غرائب القرآن» بقلم نظام أعرج النيسابوري القمي الدولة آبادي في منطقة الدكن. وتوجد نسخة من هذا الكتاب في مكتبة الحضرة الرضوية في مشهد. كما طبع هذا التفسير في ثلاثة مجلدات في طهران عام. ١٢٨ هـ ، وقد ذُكر تاريخ التأليف في كل نسخة منها. والأمر الذي يثير الإنتباه ان هذا التفسير يضم نص القرآن أيضاً، وتوجد في أسفل النص ترجمة باللغة الفارسية، واعتقد ان هذا الكتاب قد تُرجم في الدكن، ويحتمل ان ترجمها أحد العلماء. واذا ما ثبت هذا الشيء فانّ هذه الترجمة تعتبر أقدم ترجمة فارسية في الهند.

وفي عهد أكبر شاه اتسعت آفاق دراسة ومطالعة القرآن في «آكره» و «لاهور» ومنذ ذلك الزمن أصبح لدينا أربعة تفاسير مع الحواشي، منها؛ حاشية نور الله الشوشتري (الشهيد الثالث ١٠١٩ هـ) على «انوار التنزيل» للبيضاوي ورسائل ومباحث أخرى على الآيات في العربية، إلاّ ان أشهر تلك التفاسير هو تفسير علي رضا تجلّي المتوفى سنة ١٠٨٥ هـ.

وأول من غيّر طريقة التفسير وأوجد فيها تحولاً، هو العالم الكبير الحنفي ولي الله المحدث الدهلوي (المتوفى سنة ١١٧٦ هـ) الذي ألّف كتاب (الفوز الكبير في أصول التفسير) باللغة العربية، وطبع عدة مرات. وقد أوصى المؤلف المذكور بترك تقليد القدماء، وألّف كتاباً باسم «حجة الله البالغة» بيّن فيه فكر وفلسفة المجتمع وأسلوب التفكر في الحديث والقرآن.

وفي القرن الثالث عشر الهجري دخل الإنجليز بسياستهم وثقافتهم الى الساحة، وأصبحوا حجر عثرة في طريق تقدم المسلمين في شبه القارة الهندية، وعملوا على سلب الحرية التي كان يتمتع بها المسلمون الهنود منذ سبعمائة سنة. و بالرغم من مجاورة المسلمين للهندوس، إلاّ ان علاقتهم بالقرآن والعلوم القرآنية حالت دون تسرب فلسفة وعقائد شعوب الهند و مذاهبها الى تفاسير المسلمين. فالثقافة الإسلامية تسود كل مكان، وان اللغتين العربية والفارسية هما اللغتان العلميتان المتبعتان في التدريس هناك. وخلاصة كلامنا ان أهداف ومناهج تفسير القرآن كانت منذ القرن الثالث وحتى القرن الحادي عشر الهجري على الشكل المدرج أدناه:

١ ــ ابلاغ المواضيع القرآنية الى عامة المسلمين عن طريق اللغة الفارسية المبسطة واللغة العربية.

٢ ــ تفسير القرآن بطريقة علمية تتناسب مع فقه واعتقادات عامة الناس.

٣ ــ البحث في القراءة والصرف والنحو و بيان ربط الآيات والسور.

٤ ــ البحث في الفلسفة ــ بصورة مختصرة ــ والأدب، والبحث في آراء المفسرين وخاصة الشيعة والسنة منهم.

٥ ــ العرفان والتصوف.

٦ ــ والطريقة الخاصة والمتبعة هي استعمال اللغة العربية والفارسية، وقد استعملت اللغة الفارسية أكثر من اللغة العربية. وترك دخول القوات الإنجليزية وتسلطها على شبه القارة الهندية أثرين هما: ــ

١ ــ نشر و توزيع الكتب والرسائل الدينية المسيحية بين الناس، وحث المسلمين على ترك دينهم ليصبحوا نصارى، والتحامل على القرآن والعقائد الإسلامية.

٢ ــ توزيع نسخ محرفة من القرآن الكريم باللغتين الإنجليزية والاردية و بالحروف الإنجليزية أولاً، والاردية ثانياً. ولذلك أُجبر المسلمون للنهوض والدفاع عن القرآن، فاستعملوا اللغة الاردية في الكتابة. وكانت تلك الخطوة تحولاً عظيماً جعل تفسير القرآن في متناول عامة الناس بعد ان كان مقتصراً على طلبة العلوم الدينية.

بدء التفسير باللغة الاردية:

وقد وضعت عدة تفاسير وتراجم للقرآن اشتهرت بالحواشي، وكان الهدف منها هو حث المسلمين على عدم قراءة التفاسير الأُخرى، ولم تتطرق هذه التفاسير الى القصص القرآنية والتفاصيل، وكانت بعيدة عن الإختلافات المذهبية.

وفي هذه الاثناء ادعى السيد «أحمد خان» الذي يعتبر مؤسس جامعة علي گره (مسلم يونيورستي) انه يمكن من ان ينسق أفكار ووجهات النظر الاوربية مع أفكار المسلمين. وكانت وجهة نظره تتلخص في جمع المولين المسيحي والإسلامي وعما يقوله التوراة والإنجيل وما يقوله القرآن. ونتيجة لضغط الإنجليز عليه لم تتحقق أمنيته. وللسيد أحمد خان رسالة مستقلة يبيّن فيها وجهة نظره وطريقته الجديدة في التفسير، فلفت أنظار العلماء والجماهير نحوه. وللمزيد من الاطلاع يرجى ملاحظة كتاب «مكاتيب الخلان»[8] وكتاب «التحرير في أصول التفسير»[9].

وبعد ذلك بدأ تفسيره للقرآن، ولكنه لم يتم تفسيره بالرغم من انه فسّر بعض السور والآيات وجمعها في كتاب أسماه «**التفسير الأحمدي**» وقد طبعت ترجمته الفارسية في طهران.

وبعد شيوع هذه الأفكار، وقف جميع المسلمين والعلماء في شبه القارة بوجهها، ولكنّ الإنجليز أيّدوا السيد أحمد خان. كما ان السيد جمال الدين الأسد آبادي أصدر بيانات ردّ فيها على أفكار السيد أحمد خان، كما ألف كتاباً باسم «**رسالة رد نيچرية**» للغرض نفسه. وعلى اثر ذلك ظهرت تفاسير مهمة، كما ظهرت أساليب جديدة للتفسير، منها: أساليب مدرسة المفكرين المتغربين بزعامة «مولوي چراغ علي» و «سيد أحمد خان»، والمدرسة الإسلامية الحقيقية. ومن المفسرين الذين ينتمون الى هذه المدرسة: عبد الحق حقاني صاحب تفسير حقاني (وهذا التفسير يضم عدة مجلدات و يرد فيها على سيد أحمد خان والنصارى)، وتاج العلماء سيد علي محمد (الذي كتب رسالة للرد فيها على أفكار سيد احمد خان)، وسيد محمد حسين محقق هندي الذي ألّف كتاب «انسان البرهان» في تفسير سورة الإسراء. وقد اتبع هؤلاء العلماء نفس الأسلوب الذي اتبعه الشيخ محمد عبدة ورشيد رضا والشيخ جواد البلاغي ـــ في الدول العربية ـــ ونعني بهذا الأسلوب، محاربة الأفكار الإستعمارية، وعدم الخضوع لها، والإتكال على القرآن في كل مكان.

إذن علينا ان نبدّل الأسلوب التقليدي، وأنْ نرفع المستوى الفكرى، وأنْ لا تكون نظرتنا ضيقة ومحصورة في محيط واحد.

ان القرآن كتاب للجميع، لذلك يلزم علينا ان نعمل على اثمار هذه الجهود.

لقد تحرّرت شبه القارة، وأقام المسلمون هناك دولة باسم جمهورية باكستان الإسلامية.

منهج التفسير في هذا العصر:

وملخص القول ان هناك نهضة فكرية للتفسير ظهرت من القرن الثالث عشر الهجري وحتى القرن الرابع عشر، وكانت عبارة عن:

١ ـــ الضغط على الأفكار الإستعمارية والردُّ عليها.

٢ ـــ العمل على وحدة الشعب، والإستعداد من أجل الكفاح ضد التفرقة بالإتكال على القرآن، إلاّ ان تلك الجهود كانت تتقدم ببطء.

٣ ـــ تغيُّر طريقة التفسير والبيان، وظهور ظاهرة الدفاع والنضال بصورة تدريجية.

٤ ـــ رغبة الناس خلال هذه الفترة الزمنية في ايجاد حل قرآني للمسائل المستحدثة، كمسألة نظام الحكم والسياسة والإقتصاد والحرية.

هذه أهم النقاط التي أدخلت القرآن في معترك الحياة هناك.

ان استقلال شبه القارة الهندية ووجود دولة باكستان، فتحا آفاقاً جديدة للأفكار الإسلامية، و بدأت الإستفادة مجدداً من كنوز القرآن. وكان للباكستانيين كسائر الدول الإسلامية مدرستان: الأولى مدرسة ما يسمى بالمثقفين بزعامة سيد أحمد خان، والأخرى بزعامة السيد جمال الدين الاسد آبادي. وقد استفاد أغلب الباكستانيين من العلاّمة اقبال الذي استفاد هوبدوره من الشيخ عبد علي المروي الطهراني. كما ظهرت مدرسة العلماء الربانيين التي ترأسها محمود حسن من السنة، ومقبول أحمد من الشيعة. ومنذ اعلان استقلال الباكستان ولحد الآن ظهرت تفاسير كثيرة للقرآن بأساليب سياسية وتحررية وتتعلق بالشؤون الثقافية والاجتماعية، كما أنجزت أعمال كثيرة في هذا الصدد.

وأشرقت شمس الإسلام في ايران الإسلام، وانتصرت الثورة الإسلامية. ونظراً لا تكال هذه الثورة على القرآن والسُّنّة النبوية، فقد طرحت التعاليم الإسلامية بشكلها الحقيقي والجلي، بحيث أصبحت مصدر قوة للمسلمين، فأحرزوا و بعون الله انتصارات على القوى العظمى، كما اثبتت هذه الثورة بأنّ الإسلام حي وخالد ويحظى بدعم كل مستضعفي العالم.

انني أدعوكم وضمن تعريفي لتأريخ التفسير، ومناهج التفسير في شبه القارة، أدعوكم الى مراجعة مقالتي المنشورة في كتاب «دائرة المعارف اسلامية اردو» في جامعة لاهور. كما أرجو ان تطالعوا الكتب الأردية، ذلك ان اللغة الاردية تعتبر من اللغات العالمية المهمة وهي لغة المسلمين وغير المسلمين في الهند والباكستان وفي أماكن أُخرى.

منهج التفسير باللغة الفارسية:

لابُدّ ان نشير الى ان مطالعة التفاسير العربية والفارسية من قبل أبناء شبه القارة تعود الى ستمائة سنة خلت، كما انهم ألّفوا كتباً في هذا المجال. وتعتبر بعض هذه التفاسير من التفاسير القيّمة نذكر بعضاً منها هنا:

١ ــ تفسير غرائب القرآن في رغائب الفرقان، تأليف محمد بن حسين الشافعي القمي الدولة آبادي والمعروف بتفسير النيسابوري.

ان هذا التفسير طبع في مصر على حاشية تفسير الطبري[١] دون وجود النص القرآنيّ والترجمة الفارسية.[١] و يوجد هذا التفسير في ايران مع ترجمة فارسية، و يوجد أصل هذه النسخة في المكتبة الرضوية وهو مخطوط في حيدرآباد، وتعتمد هذه الطريقة من التفسير على ترجمة الآيات القرآنية من التفسير العربي الى الفارسية. و يعتبر هذا الكتاب أول نموذج لذلك. كما يوجد كتاب تفسير خواجكي شيرازي في بعض الفهارس، وهو خلاصة تفسير «مجمع البيان» للطبرسي[١١] وهناك تفاسير مبسطة ومفهومة مع ترجمات كثيرة لا تعرف أسماء اصحابها.

٢ ــ تفسير (بحر مواج) بقلم شهاب الدين الدولة آبادي (قاضي جون پورهند) و يعتمد على النهج الهندي، وهو من التفاسير القديمة، ويحتوي على بحوث لغوية وأدبية في اللغة العربية وفي العقيدة، وقد دافع المؤلف في كتابه عن الفقه الحنفي.

٣ ــ تفسير علي رضا تجلي المتوفى سنة حدود ١٠٨٥ هـ وكان من التفاسير المشهورة عند الشيعة.

٤ ــ تفسير نورالدين نعمة الله ولي الشافعي، وهو تفسير ضخم ومعروف باسم «نعمت عظمى» ومنهج

ـذا التفسير يعتمد على أسلوب الأساتذة القدماء واللغتين الفارسية والهندية ويحتوي على مباحث فقهية وفق لذهب الشافعي. وهذا التفسير موجود في مكتبة المرحوم السيد علي الحائري في لاهور[١٢].

٥ ــ ترجمة ومقدمات ومباحث تفسير شاه ولي الله محدث دهلوي المتوفى سنة ١١٧٦ هـ وهو من التراجم قيّمة.

٦ ــ تفسير «لوامع التنزيل» للسيد ابوالقاسم الحائري المتوفى سنة ١٣٢٣ هـ وابنه المتوفى سنة. ١٣٦ هـ هو تفسير في أكثر من عشرين مجلد، ولقد رأيت الجلد السابع والعشرين منه ــ و بخط المؤلف ــ وكان قد وصل ي تفسيره الى الآية العاشرة من سورة القمر.

هرست التفاسير العربية:

هناك كتب عربية في تفسير القرآن الكريم أو بعض آياته وسوره، وهي كثيرة. ومن التفاسير القيّمة والتي ستحق المطالعة:

١ ــ تفسير «تبصير الرحمن وتيسير المنان ببعض ما يشير الى اعجاز القرآن» تأليف مخدوم على مهائم المتوفى سنة ٨٣٥ هـ وطريقة المؤلف في التفسير واضحة من اسم الكتاب. فبعد ان يتطرق المؤلف الى اعجاز ربط الآيات لقرآنية والسور، فانه يتطرق الى فلسفة وعرفان ابن العربي والفقه الشافعي. كما ان أسلوبه يعتبر ممتازاً وسلساً وغير عمّق.

٢ ــ «منبع عيون المعاني» تأليف الشيخ مبارك بن خضر ناگوري السندهي المتوفى سنة ١٠٠١ هـ، وقد ستخدم الكاتب أسلوب فخرالدين الرازي، ولم يكن هذا الكتاب في متناول اليد الى ان أخبرنا السيد آقا مهدي أنّ ذلك الكتاب موجود بكامله في مكتبة جدّه ممتاز العلماء في لكهنو (في الهند).

و يوجد تفسير عجيب للقرآن باسم «سواطع الإلهام» لمؤلفه الملا فيضي بن الملا مبارك ، طبع هذا التفسير ي لكهنو عدة مرات. وتجدر الإشارة الى ان «الملا فيض» كان شاعر «اكبر شاه التيموري» وقد توفي سنة ١٠٠٤ هـ.

٣ ــ التفسير المظهري/ تأليف قاضي محمد ثناء الله باني بتي الحنفي/ المتوفى سنة ١٢٢٥ هـ ــ و يدور لبحث في هذا الكتاب عن الصوفية والفقه والعقائد الحنفية وهو كتاب مطبوع ومعروف عند الحنفية وله منهج جدلي.

٤ ــ تفسير «فتح البيان في مقاصد القرآن» تأليف نواب صديق حسن خان المتوفى سنة ١٣٠٧ هـ ــ رقد طبع في بولاق والهند وهو تفسير سلس ورائع وموضوع بمنهج جدلي. والمؤلف له كتاب آخر هو «نيل المرام في حكام القرآن» وهو مطبوع أيضاً.

٥ ــ تفسير القرآن بكلام الرحمن/ تأليف ثناء الله ارتسري المتوفى سنة ١٩٤٨ م وهو مطبوع أيضاً. وبما ان هذه التفاسير تخلو من ذكر أهل البيت وتتحامل على عقائد الشيعة فان طريقة التفسير عند الشيعة تظهر فضائل أهل البيت (ع) وترد على إشكالات المعترضين.

٦ ــ تفسير روائع القرآن في فضائل أمناء الرحمن: تأليف ميرمحمد عباس شوشتري لكهنوي المتوفى سنة ١٣٠٦ هـ . طبع هذا الكتاب سنة ١٢٧٧ هـ في لكهنو.

تفاسير القرآن باللغة الإنجليزية:

والشيء الملفت للنظر فيما يتعلق بتفسير القرآن في شبه القارة هو تفسيره باللغة الإنجليزية. فقد كان ال
يعتقدون بأنّ عليهم تفسير القرآن باللغة الإنجليزية ليتسنى للإنجليز دراسة القرآن ــ ومن هؤلاء العلماء السيد حـ
بلكرامي، وأبوالفضل إله آباد و بادشاه حسين سيتابوري، وافتخار حسين، ومارماديوك بكتهال. وهـ
أشخاص آخرون فسّروا القرآن بالإنجليزية، ومن أشهر هؤلاء:

١ ــ عبد الله يوسف علي. طبع تفسيره في لاهور، وهو تفسير قيّم من حيث البساطة واللغة الأدبية.

٢ ــ ميرزا محمد مهدي بو يا ومير أحمد علي وتفسيرهما مطبوع في كراتشي، و يعتبر هذا التفسير ممتازاً
الناحية العرفانية والفلسفية وتعريف مدرسة أهل البيت (ع).

٣ ــ ترجمة محمد عسكري جعفري مع حواشي ام. ايچ شاكر. طبعت مع النص في طهران عده مرات

ومما تجدر الإشارة اليه هو ان القرآن قد تُرجم الى الإنجليزية ولغات أخرى من قبل الفرقة القاديانية، و
الفرقة شأنها شأن الفرقة البهائية تعتبر من الفرق الخارجة على الإسلام وعميلة للمستعمرين، وللأسف فإنّ بـ
المسلمين لايعون هذه الحقيقة، و يقدّمون المساعدات لتلك الفرقة.

و بالاضافة الى هذه التفاسير، هناك تفاسير أخرى باللغات المحلية في شبه القارة كاللغة السنـ
والبنجابية ولغة البشتو والكجراتية، اما الأساليب المتبعة في هذه التفاسير فهي أساليب تخلو من هـ
معين، وكانت فكرية بحتة وتبيِّن وجهة نظر المفسر، كما ان أكثر هذه التفاسير هي تفاسير تقليدية إلاّ انها :
بميزات جيدة.

أسلوب ومنهج التفاسير باللغة الاردية:

للتفسير باللغة الأردية ميزات منها:

١ ــ توضيح التعاليم القرآنية لكافة المسلمين.

٢ ــ الرد على الحملات الإعلامية التي يشنها غير المسلمين ضد الإسلام.

٣ ــ اتباع الأسلوب الفكري أو الإبتكار في أسلوب التفسير.

٤ ــ الأسلوب الأدبي والخطابي السلس بأقسامه المختلفة.

٥ ــ استعمال التفسير للرد على عقائد وأفكار المذاهب الإسلامية بأسلوب عرفاني ومنطقي وجدلي وفـ
واعتقادي.

٦ ــ تفسير القرآن بالأسلوب الفكري والسياسي والثقافي والإجتماعي بحيث يتلاءم مع وجهة
القرآن.

وبما ان هذا الموضوع عميق، فاننا سوف نتطرق الى تفاصيله في مناسبات أخرى. ونورد هنا أسماء بـ
أهم المفسرين ومنهم عبد الحق حقاني صاحب «تفسير حقاني» ومولانا أحمد رضا خان بر بلوي، ومولانا أشـ
تهانوي، ومولانا محمود حسن وشبير أحمد عثماني، ومولانا ابو الأعلى المودودي.

ومن أشهر المفسرين من علماء الإمامية الذين رحلوا الى دار الآخرة؛ تاج العلماء علي محمد، ومحمد

حان، وعمار علي، ومقبول أحمد، وحافظ فرمان علي، وراحت حسين كو پال بوري، وامداد حسين كاظمي.

وقد استخدم هؤلاء أسلوب الدفاع عن القرآن الكريم وأهل البيت (ع) في تفاسيرهم، كما قام ميرزا امداد علي بترجمة تفسير (خلاصة المنهج) من اللغة الفارسية الى اللغة الاردية.

وكما أوضحنا سابقاً فانَّ منهج تفسير القرآن الكريم قد تغيَّر الى حدٍ ما بعد استقلال الباكستان، حيث ظهر اتجاهان فكريان، أحدهما قومي والثاني يقوم على أسس إسلامية. وكانا في نزاع وجدل الى ان انتصرت الثورة الإسلامية في ايران، حيث شكلت دعماً قوياً للاتجاه الفكري الإسلامي الذي تمكّن من مجابهة المتغربين من أصحاب الميول الغربية.

كما كانت هذه الثورة المباركة بداية لتحول عميق في مجال تفسير القرآن الكريم، سيساعد فيما بعد على تصدير الثورة الإسلامية الى الدول الأُخرى.

و بديهي ان عملية تصديرثورةبلدٍما الى البلدان الأُخرى بحاجة الى وقت كاف. لكن ومن المسلَّم به هو ان الثورة الإسلامية في ايران تركت آثاراً على الشباب المسلم، حيث بدأ هؤلاء يتلهفون لقراءة التفاسير القرآنية أو الإستماع لها ■

الهوامش

١ ــ لقد بيَّنت وجهة نظرى السياسية والنصالية في قصية هجرة المسلمين الى الحبشة وذلك في مجلة «نقوش» سيرت نمبر، لاهور (طبع سنة ١٤٠٢ هـ . ق).

٢ ــ يرجى مراجعة ديوان ابوطالب/ ط النجف. فذلك الديوان يضم أشعاراً تدل على وجود علاقات قديمة بين الهاشميين والنجاشي.

٣ ــ فتوح البلدان للبلاذري/ باب فتوح السند والهند / ط مصر. كان المؤرخون القدامى لا يعتبرون السند جزءاً من الهند، وذلك كما يظهر من البلاذري في كتابه.

٤ ــ وهي اليوم اطلال تقع في منطقة (ولاية السند). والباكستان لها اربع ولايات هي: ١ ــ البنجاب ٢ ــ السند ٣ ــ بلوجستان ٤ ــ سرحد.

٥ ــ يرجى مراجعة مجلة اورينتال كالج الصادرة في لاهور (باكستان) بتاريخ مايس ١٩٥٥ م.

٦ ــ كتاب عجائب الهند ــ طبعة ليدن ١٨٨٣ م لمؤلفه بزرگ الذى كان حياً في سنة ٣٣٩ هـ . ق.

٧ ــ تذكرة علماء الهند/ تأليف رحمن علي/ ط لكهنو، وحدائق الحنفية/ تأليف فقير محمد.

٨ ــ طبع محمد عثمان مقبول ــ سنة ١٩١٥ م.

٩ ــ طبع آگره/ الهند سنة ١٨٩٢ م.

١٠ــ مصر/ سنة ١٣٢١ هـ . ق وقبل هذا التاريخ في طهران.

١١ــ مقدمة التفسير بقلم علي نقي/ ط لكهنو. ص ٢٣١ واستوري.

١٢ــ تجدر الاشارة الى اني نسبت الكتاب الى نعمة خان عالي شيرازي وذلك في كتاب دائرة معارف اسلامية نقلا عن استوري وعلي نقي ولكني عند ما لاحظت الكتاب تبيَّن لي بأنَّ الكتاب لايعود الى نعمة خان عالي شيرازي.

تفسير القرآن بالقرآن

بالنظر لترابط آياته

الأستاذ بي آزار الشيرازي/ ج. إ. إ

المقدمة :

إنَّ أفضل طريق لمعرفة القرآن، هوالقرآن نفسه، ذلك‌ان القرآن ميزان[1]، و يفسر بعضه بعضاً.[2]

ولقد استفاد المفسرون الى حدٍ ما من تفسير القرآن بالقرآن، ولكن استفادتهم كانت تتم عادة دون التوجه الى ارتباط آيات ومواضيع السور، فكانوا يفسّرون كل سورة أو أي جزء منها بصورة منفصلة عن مجموع السورة. ولهذا السبب كان الإنسان يستفيد من بحر القرآن، استفادة محدودة، أوانه كان ينحرف عن مقاصد وأهداف القرآن، فيفسّر القرآن حسب رأيه.

يقول البروفسور عرفان شهيد في مقالته تحت عنوان :

Acontribution to Cur'anie exegesis

إنَّ العناية بارتباط آيات السورة عند تفسير القرآن، أمر يحظى بالأهمية، لأنَّ تجزئة آيات القرآن، وتفسير كل منها منفصلة عن مجموع السورة، أمر يضر بالقرآن أكثر من أي شيء آخر.[3]

---

١ ــ سورة الشورى ــ الآية ١٧، وسورة الحديد ــ الآية ٢٥.

٢ ــ يراجع «تفسير الدر المنثور» ج ٢ ص ٦، ونهج البلاغة، الحكمة: ١٨ (ان الكتاب يصدق بعضه بعضاً) وكذلك «الشيعة في الإسلام» للعلامة الطباطبائي ص ٩. على سبيل المثال، ان الآية ٦٩ من سورة النساء: «الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين» هي أفضل تفسير للآية (٦) من سورة الحمد: «صراط الذين انعمت عليهم».

3- Arabic and Islamic studies in honon of H.A.R. Gibb, ed 1965, p. 579.

وللأسف فإنّ بعض المفسرين[1] وأغلب المستشرقين، تصوّروا بأنّ القرآن عبارة عن آيات متفرقة، جمعت مع بعضها البعض عن طريق الصدفة، ولكن مطالعة تاريخ نزول وجمع القرآن تظهر بأنّ القرآن ورغم نزول أجزائه على الرسول (ص) خلال فترة تمتد أكثر من عشرين سنة، إلاّ ان الرسول الأكرم (ص) كان يعيّن مكان كلٍ منها[2]، كما ان الصحابة حفظوا ودرسوا القرآن وفق نفس الترتيب الذي عيّنه الرسول (ص)[3].

وقد يكون سبب وجوب قراءة سورة كاملة بعد سورة الفاتحة عند الصلاة وفق الفقه الشيعي، يعود الى ارتباط الآيات، إذ لا تكفي قراءة جزءٍ من سورة ما بعد سورة الفاتحة.

ومن المفسرين القدامى الذين فسّروا القرآن وفقاً لارتباط آياته؛ الإمام فخرالدين الرازي في تفسير «مفاتيح الغيب» و برهان الدين ابراهيم عمر البقاعي (٨٠٩-٨٨٥ هـ .ق) في كتابه «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، ونظام الدين حسن بن محمد القمي النيسابوري في كتاب «غرائب القرآن ورغائب الفرقان»، وابو اسحق أحمدبن ابراهيم الثعلبي (٤٢٧ هـ . ق) في كتاب «الكشف والبيان في تفسير القرآن»، وابو بكر بن العربي في كتاب «أحكام القرآن»، ومن المفسرين الجُدد الذين فسّروا القرآن وفقاً لارتباط آياته: الشيخ محمود شلتوت في كتاب «تفسير القرآن الكريم والى القرآن الكريم».

و يعتبر (**(A.Guillane**) أحد المحققين الأوُروبيين الذين اهتموا بارتباط الآيات القرآنية.[4]

اننا نعتقد بأن مطالعه الآيات القرآنية في إطار مجموع السورة، هي أفضل وسيلة لتوضيح الكثير من

---

١ ــ إنّ أكثر المفسرين عند تطرقهم الى آيةٍ من الآيات، كانوا يركّزون كثيراً على الكلمات والروايات والتفاصيل والإشكالات الى درجة ان الارتباط القائم بين الآيات كان يبدو معدوماً أو على الأقل ضعيفاً.

٢ ــ جاء في كتاب (سنن أبي داوود) ص ٣١ عن ابن عباس: «عندما كان الوحي ينزل على الرسول الأكرم (ص)، كان يدعو كُتّاب الوحي و يقول لهم: «ضعوا هذه الآيات الى جانب الآية الفلانية من السورة الفلانية» النقل بالمعنى.

٣ ــ أُنظر الى «الاتقان»: ج ١ ص ٩٩، و «البرهان» ج ١ ص ٢٣٨و ٣٢٧ــ و «مقدمتان في علوم القرآن»: ص ٤٨ و ٤٩، ٤ ٦-٤ ٧-و «سفينة البحار»: ج ١ ص ٣٢٦، ٥٢٧- و «المرشد الوجيز»: ص ٤٤- و «تفسير الصافي»: ج ١ ص ٢٤- و «مجمع البيان»: ج ١- ص ٣١، و يراجع أيضاً:

Baver (H): Uber die Anordnugder
Soren and uberdie Geheimnis vollen Bucnst aben im QURAN

Dans Zomg, LXXV (1921) 1-2
Blacher, intr. du Coran. pp. 50,51

4- The meaning of Amaniya in Sura. 2: 73-ing kritzeck and B. winder (edd): The world of Islam-London, 1959. pp. 41-46.

الأمور المبهمة والمتشابهة في القرآن، وتفتح أمامنا باباً للدخول في معاني القرآن الباطنية[1] كما وتساعدنا على معرفة الأمر التالي وهو أن الآيات والقصص المتكررة في القرآن مثل قصة آدم التي ذُكرت في ست سور، لها معنىً خاص و مناسب لكل سورة، وهي في الحقيقة لا تعتبر تكراراً.

لقد اختبرنا تناسق وارتباط الأقسام المختلفة من السورة بالإعتماد على آيات القرآن في سور مختلفة كسورة البقرة وسورة الأعراف، فتوصّلنا الى نتائج نعرض نموذ جاً منها خلال هذه الدراسة:

«ارتباط الآيات والمواضيع في سورة البقرة»

التقوى ــ خلافة آدم ــ بنواسرائيل ــ آل ابراهيم ــ رسالة الرسول (ص) واستقلال المسلمين ــ الشجرة المنهية والحدود الإلهية.

جاء في بداية سورة البقرة بأنَّ القرآن هوهدىً للمتقين، ثم تقسِّم (أي السورة) الناس الى ثلاثة أقسام: متقين، وكافرين، ومنافقين، بعدها تستعرض قصة خلق العالم وخلافة آدم في الأرض، ثم تتطرق الى قصة من قصص بني اسرائيل، و بعد ذلك تتطرق الى إمامة ابراهيم (ع) وذريته، ثم تبيِّن حوالي ٥٠٠ حكم من الأحكام الإلهية.

لكن ماهي علاقة كل هذه المواضيع المختلفة مع موضوع التقوى والمتقين؟ ثم علاقة قصة آدم بقصص بني اسرائيل؟ وعلاقة هذين الموضوعين بقصة ابراهيم (ع)، وعلاقة الخمسمائة حكم إلهي بموضوع التقوى والمتقين وقصة آدم أوعلاقة خلافة آدم بالتقوى، وقصة بني اسرائيل وامامة آل ابراهيم (ع). كل ذلك يمكن إستخراجه من ارتباط الآيات مع مجموع السورة.

١ ــ علاقة التقوى وخلافة الأرض:

«ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين»

(الأعراف ــ ١٢٨)

هذه الآية تمثل وصية موسى (ع) لقومه من أجل نيل الإنتصار ووراثة وخلافة الأرض التي تتأتى في ظل التقوى والإتحاد والتعاون والتضامن. وهذا الإتحاد يقوّيهم، و بالتالي ينصرهم على أعدائهم غير المؤمنين والمتفرقين.

ومن جهة أُخرى فإنَّ الباري عزّوجلّ قد أورث و يورث الأقوام والشعوب، خلافة الأرض، كي

---

١ ــ إنَّ من أحد امتيازات القرآن هو تعدد أبعاده، و تشير الروايات الواردة عن الشيعة والسنة ان القرآن له باطن وظاهر. و ينقل عن الرسول الأكرم (ص) ان القرآن له ظاهر (جميل) و باطن (عميق). ولمزيد من التفاصيل يرجى مراجعة *نهج البلاغة* ج ١ ــ *وتفسير الطبري* ج ١ ــ ص ٦٨، ٧٥ ــ *وتفسير مرآة الأنوار أبوالحسن فتوني* ــ *و بحار الأنوار* ج ١ ــ ص ١٣ *وسفينة البحار* ج ٢ ص ٤١٣.

يبلوهم في تقواهم.

قال تعالى:

«وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعضٍ درجات ليبلوكم فيما أتاكم»

(الأنعام ـــ ١٦٥)

أجل يريد الله ان يبلو المستضعفين الذين اصبحوا خلفاءً وأئمةً، فيزيد عليهم النعم بصورة تدريجية ليرى هل أنهم سينجرّون نحو الماديات ويجعلوا لله شريكاً، أم انهم سيتوجهون نحو الله فيشكرونه على نعمه و يترسخ ايمانهم اكثر من ذي قبل؟ وهل سيتخلون عن أخلاقهم الإلهية و يتحلّون بالصفات الشيطانية؟ أم انهم سيسعون في تحكيم الصفات الإلهية عندهم؟ ومن الناحية العملية هل ستجبرهم روح التكبر والغرور على استغلال وظلم ضعفاء الناس اذا ماوصلوا الى السلطة وتحسّنت أوضاعهم كما هو الحال عند أغلب الشعوب القديمة أم انهم سيتبعون سبيل التقوى و يساعدون الآخرين؟

وحسب ماجاء في الآية المذكورة فإنّ (العاقبة للمتقين).

والآن و بعد ان اتضحت علاقة التقوى والخلافة، نلقي نظرة الى سورة البقرة فنرى ان مسألة خلافة آدم في الأرض قد ذُكرت بعد الموضوع الكلي للتقوى والمتقين والأصناف الثلاثة من الناس؛ المتقون والكافرون والمنافقون،مقابل الهداية الإلهية، ثم تتطرق السورة بعد ذلك الى مصير بني اسرائيل كنموذج للقوم الغير متقين والغير لائقين لخلافة الأرض، ثم تتطرق الى مصير ابراهيم (ع) وآله الأطهار باعتبار هم نموذجاً للتقوى واللياقة للإمامة وخلافة الأرض مقابل بني اسرائيل.

إذن فأنّ مسألة التقوى، وخلافة آدم، وقصص بني اسرائيل، وامامة ابراهيم (ع) وآله الصالحين، اُمور مرتبطة مع بعضها البعض ارتباطاً كاملاً.

٢ ـــ علاقة قصة آدم وبني اسرائيل :

«الر.كتاب اُحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير»

(هـــود ـــ ١)

ان التوجه الى ارتباط الآيات، يظهر بأنّ اُسلوب القرآن في تبيين المواضيع، يتمثل في الوهلة الأولى في تبيين المواضيع بصورة اجمالية وكلية، ومن ثم تفصيلها.

ففي قصة بني اسرائيل نلاحظ كيف أنعم الله على بني اسرائيل بأنواع النعم؛ كنعمة الحياة، والاستقلال، والحرية، والنعم الموجودة في الأرض... والخ، كما فضّلهم على العالمين، واستخلفهم في الأرض،وأسكنهم أرض كنعان المباركة. غيران هؤلاء القوم اثبتوا عدم جدارتهم وأهليتهم، فلم يفوا بالوعود الإلهية واتبعوا الشياطين، واصبحوا نتيجة لذلك في اعداد زمرة الظالمين، فاستحقوا العقاب، ولكن رحمة الله واسعة، فهو يقبل التوبة، و يؤكد ألطافه و نعمه عليهم، ويجدد عهده معهم، و يتم حجته عليهم، ليرجعوا الى طريق الحق، ويهتدوا على يد الرسول (ص) و يصبحوا من المتقين.

والجدول أدناه، نموذج من الترابط القائم بين قصّتي آدم و بني اسرائيل:

العدد	قصة آدم	رقم الآية	قصة بني اسرائيل	رقم الآية
١	اذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة .	البقرة ٣٠	قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم .	الأعراف ١٢٩
٢	قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء .	البقرة ٣٠	ثم انتم هؤلاء تقتلون أنفسكم .	البقرة ٨٥
٣	واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم .	البقرة ٣٤	واذ قلنا .... وادخلوا الباب سُجَّداً وقولوا حطة .	البقرة ٥٨
٤	فسجدوا إلّا ابليس .	البقرة ٣٤	فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم .	البقرة ٥٩
٥	أبى وأستكبر .	البقرة ٣٤	أفكلما جاءكم رسول بمالا تهوى أنفسكم استكبرتم .	البقرة ٨٧
٦	وكان من الكافرين .	البقرة ٣٤	وآمنوا بما انزلت مصدقاً لما معكم ولا تكونوا أول كافر به .	البقرة ٤١
٧	وقلنا ياآدم اسكن انت و زوجك الجنة .	البقرة ٣٥	واذقلنا ادخلوا هذه القرية (الأرض المقدسة) .	البقرة ٥٨
٨	وكلامنها رغداً حيث شئتما .	البقرة ٣٥	فكلوا منها حيث شئتم رغداً .	البقرة ٥٨
٩	ولا تقربا هذه الشجرة .	البقرة ٣٥	ولا تعثوا في الأرض مفسدين .	البقرة ٦٠
١٠	فتكونا من الظالمين .	البقرة ٣٥	ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون.	البقرة ٥١
١١	فازلها الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه .	البقرة ٣٦	واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان .	البقرة ١٠٢
١٢	وقلنا اهبطوا .	البقرة ٣٦	اهبطوا مصراً فأن لكم ماسألتم .	البقرة ٦١
١٣	بعضكم لبعض عدو .	البقرة ٣٦	وضربت عليهم الذلة والمسكنة و باؤا بغضب من الله .	البقرة ٦١
١٤	ولكم في الأرض .	البقرة ٣٦	قال فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض .	المائدة ٢٦
١٥	فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه .	البقرة ٣٧	ثم عفونا عنكم من بعدذلك لعلكم تشكرون.	البقرة ٥٢
١٦	انه هوالتواب الرحيم .	البقرة ٣٧	فتاب عليكم انه هوالتواب الرحيم .	البقرة ٥٤
١٧	قلنا اهبطوا منها جميعاً فاما يأتينكم مني هدىً فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون .	البقرة ٣٨	ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عندربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون .	البقرة ٦٢

٣ ـ علاقة بني اسرائيل بآدم و ابراهيم (ع):

إنَّ قصة ابراهيم (ع) كقصة بني اسرائيل، تمثل مصداقاً آخر لقصة آدم في مسألة الخلافة. ولكن بهذا الفارق وهوان احداهما تظهر النقاط الموجبة والحسنة من قصة آدم، بينما الأُخرى تظهر النقاط السلبية منها.

فني قصة آدم يقول عزّوجلّ، «اني جاعل في الأرض خليفة» فتجيبه الملائكة: «**اتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء**»؟ فيرد الباري «**اني أعلم مالا تعلمون**» اما قصة بني اسرائيل فهي تفسير و مصداق مفصل للجوانب السلبية لخليفة الأرض، حيث تطرح الملائكة سؤالها بالنظر الى ذلك. كذلك فإنَّ قصة إمامة ابراهيم واسماعيل «ع» والرسول الأكرم (ص) و سائر آل ابراهيم الأطهار هي مصداق للجوانب الايجابية لهذه الخلافة، كما تعتبر جواباً مفصلا عن سؤال الملائكة في تفسير الجواب الإجمالي: «**اني أعلم ما لا تعلمون**».

بنو اسرائيل

١ ـ الآية ٣٠ من سورة البقرة تظهر استشكال الملائكة، وتظهر نموذجاً من البشر المفسدين والقتلة وعديمي التقوى: « **قالوا أتجعل فيها من يفسدُ فيها و يسفكُ الدماء**».

٢ ـ الآيتان (٨٤،٨٥) من سورة البقرة تظهران سيرة بني اسرائيل هي نموذج من الافساد واراقة الدماء.

٣ ـ الآية ٢٤ من سورة المائدة تبيّن عدم نجاح بني اسرائيل في الاختبار الإلهي: «**فاذهب أنت وربكَ فقاتلا إنّا ههُنا قاعِدُون**».

٤ ـ الآيتان (٩٥، ٥١) من سورة البقرة تبيّن بأن بني اسرائيل مظهر للظالمين.

٥ ـ الآية (٦١) من سورة البقرة تبيّن ان بني اسرائيل يتحلون بروح شيطانية، أي روح العصيان والإعتداء:

«**... ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون**» .

آل ابراهيم

الجانب الثاني من الآية ٣٠ من سورة البقرة «**قال اني اعلم مالا تعلمون**» هوجواب مفصل على إشكال الملائكة مع بيان نموذج من البشر الصالحين والمتقين.

الآية (١٢٤) من سورة البقرة تبيّن بأن سيرة ابراهيم وآله الطاهرين هي نموذج من الكمال واللياقة.

الآية ١٢٤ من سورة البقرة والتي تخص قصة ابراهيم تبيّن نجاح ابراهيم في الاختبار الإلهي: «**واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمّهنّ**».

ملاحظة: يرجى مقارنة ذلك بالإمتحان الذي امتحن به آدم بالكلمات.

الآية (١٣٠) من سورة البقرة تظهر بأنَّ ابراهيم (ع) كان مظهراً ونموذجاً للصالحين.

الآية (١٣١) من سورة البقرة تظهر بأنَّ آل ابراهيم كانوا نموذجاً للإسلام والتسليم أمام الله:

«**إذ قال له ربه أسلمْ قال: أسلمت لربّ العالمين**» .

٦ ـ الآية (٩٥) من سورة البقرة تبيّن تنفر بني اسرائيل من الله والشهادة:

«ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم».

٧ ـ الآية (٦١) من سورة البقرة تبيّن بأن بني اسرائيل هم يمثلون قوماً غير لائقين للامامة والخلافة:

اهبطوا مصراً... وضربت عليهم الذلة والمسكنة .

٨ ـ الآيات: (٥١ ، ٥٤، ٥٩، ٦٥، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٩٣، ١٠٠) من سورة البقرة تبيّن نقض بني اسرائيل المواثيق والعهود.

٩ ـ الآية (٥٨ ـ ٥٩) من سورة البقرة تبيّن ان بني اسرائيل دنسوا بيت الله بالاستهزاء وعبادة الأصنام:

«واد خلوا الباب سجداً.. فبدل الذين ظلموا».

١٠ ـ الآية (١٣٨) من سورة الأعراف تبيّن بأنَّ بني اسرائيل كانوا قوماً جاهلين:

«انكم قوم تجهلون» .

١١ ـ الآية (٧٤) من سورة البقرة تبيّن ان بني اسرائيل لهم قلوب مريضة:

«ثم قست قلوبكم من بعد ذلك ».

١٢ ـ الآية ٥٤ من سورة البقرة تبيّن ان بني اسرائيل يميلون الى عبادة العجل وصنع الأصنام:

«انكم ظلمتم انفسكم با تخاذكم العجل».

١٣ ـ الآية (٦١) من سورة البقرة تبيّن ان بني اسرائيل كانوا قوماً غير شاكرين لنعم الله:

«اتستبدلون الذي هوأدنى بالذي هوخير».

١٤ ـ الآية (٦١) من سورة البقرة تبيّن بأنَّ بني اسرائيل كانوا يكفرون بآيات الله:

«ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله».

الآية (١٣٢) من سورة البقرة تبيّن مدى عشق آل ابراهيم لله والشهادة:

«فلا تموتن الا وانتم مسلمون».

الآية (١٢٤) من سورة البقرة تبيّن بأنَّ ابراهيم وآله الصالحين نموذج للمؤهلين للإمامة والخلافة:

«قال اني جاعلك للناس اماماً».

الآية (١٢٥) من سورة البقرة تبيّن وفاء ابراهيم واسماعيل «ع» بالعهد:

«وعهد نا الى ابراهيم واسماعيل»

الآية (١٢٥) تبيّن بأنَّ ابراهيم وآله طهّروا بيت الله من الشرك وعبادة الأصنام:

«وعهدنا إلى إبراهيم و اسماعيل أنْ طهرا بيتي».

الآية (١٣٠) من سورة البقرة تبيّن بأنَّ ملة ابراهيم (ع) هم نموذج للعلم:

«ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه».

الآية (٨٤) من سورة الصافات تبيّن بأنَّ ابراهيم و آله يحملون قلوباً سليمة:

«وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم».

الآية (٥٧) من سورة الأنبياء تبيّن بأنَّ ابراهيم وآله نموذج لمحطمي الأصنام:

«تا الله لأكيدن أصنامكم».

الآية (١٢١) من سورة النحل تبيّن بأنَّ ابراهيم (ع) كان شاكراً لنعم الله:

«شاكراً لأنعمه» .

الآية (١١١) من سورة الصافات تبيّن بأنَّ ابراهيم كان من المؤمنين بالله:

«أنه من عِبادنا المؤمنين»

٤ ــ الهدف من المقارنة بين بني اسرائيل وآل ابراهيم:

ان أحد أهداف هذه المقارنة ــ علاوة على أخذ العبر من الأقوام السالفة ــ هو كسر روح الإستعلاء القومي عند اليهود في زمن الرسول (ص) إذ ان اليهود كانوا يعتبرون أنفسهم قوماً مفضلين على سائر الأقوام، وكانوا يتوقعون ان يتّبعهم الرسول (ص).

قال تعالى :

«ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم».

فهم كانوا يقولون:

«لن يدخل الجنة الا من كان هوداً أونصارى»

(البقرة ــ ١١١)

والمقارنة الآنفة تبيّن بأنَّ بني اسرائيل غير جديرين بالخلافة والإمامة. وفي هذه السورة يقول عزّوجلّ:

«لاينالُ عهدي الظالمين»

(البقرة ــ ١٢٤)

بل ان المسلمين الذين يتّبعون سُنّة ابراهيم «ع» والذين كان نبيهم ثمرة دعاء ابراهيم (ع) (البقرة ــ ١٤٢ ــ ١٢٩) جديرون بخلافة وامامة الأرض. ولهذا فقد أمر الله المسلمين بتغيير قبلتهم ليستقلوا عن اليهود (البقرة ــ ١٤٢ ــ ١٤٣) كما ان هناك أُموراً ذكرت في الآيات (١٠٤ ــ ١١٠) تتعلق بانتقال الخلافة من بني اسرائيل الى المسلمين.

٥ ــ علاقة الحدود بالتقوى والشجرة المنهية :

مثلما أورث الباري تعالى الأُمم الأرض، وجعلهم خلفاءً وفق شروط وعهود معينة، ومثلما أسكن آدم الجنة بشرط اجتنابه الشجرة المنهية: «ولا تقربا هذه الشجرة» فهو يشترط على المسلمين الآن ومن أجل أن يحققوا إستقلالهم و يصبحوا خلفاءً، أن يتّقوه، وان يعملوا وفق الحدود، ولا يرتكبوا المحرّمات، وقد بيّن ٥٠٠ حكم من أجل أن يصل الإنسان الى مرحلة التقوى، ذلك ان العاقبة للمتقين.

وكما ان الجدول المدرج أدناه يبيّن ان هذه الحدود والأحكام الإلهية هي تفسير ومصداق مفصل للشجرة المنهية في قصة آدم، فإنَّ الشجرة المنهية، لها الآثار التالية:

١ ــ ان الشجرة المنهية تعني الشجرة التي تعتبر مورد النهي الإلهي.

٢ ــ ان الشجرة المنهية هي كشجرة مليئة بالأشواك والتي يجب ان لايتقرب أحد منها، ويمنع نفسه عنها (التقوى).

٣ ــ ان نتيجة التّقرب الى هذه الشجرة هي بمثابة ظلم النفس والخروج من الجنة.

٤ ــ ان نتيجة التقوى أمام هذه الشجرة هيّ دخول الجنة.

واننا نرى هذه الآثار الأربعة في الحدود والمحرّمات الإلهية، ولقد وصفها القرآن بالحدود الإلهية. ومثلما تكون الحدود الفاصلة بين دولة وأُخرى محاطة بالأسلاك الشائكة والوسائل القاتلة بحيث لايتجرأ الناس على الإقتراب منها، فإنَّ القرآن يسمّي تجنب العبور من الحدود الإلهية بالتقوى، و يوصي بعدم الإقتراب من تلك الحدود.

قال تعالى :

«تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون»

(البقرة / ١٨٧)

ان كل من يتعدى الحدود الإلهية، يحصل على نفس نتيجة الإقتراب من الشجرة المنهي عنها، أي يظلم نفسه بهذا العمل.

قال تعالى :

«تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئكهم الظالمون»

(البقرة ــ ٢٢٩)

والتقوى مقابل هذه الحدود الإلهية تقوم بضمان الجنة والفوز العظيم للإنسان.

قال تعالى:

«تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم».

(النساء ــ ١٣)

وكذلكفإنَّ نتيجة تعدّي الحدود الإلهية نتيجة فقدان التقوى، لن تكون إلاّ الخلود في النار.

قال تعالى :

«ومن يعص الله ورسوله و يتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين».

(النساء ــ ١٤)

٦ ــ الخطوط البيانية للإرتباط القائم بين آيات ومواضيع سورة البقرة

ــ فهرست المواضيع ــ

ــ سورة البقرة ــ

التقوى والعمل الصالح

(فهرست مواضيع السورة): **(١ــ ٢)**

أنواع النّاس أمام الهداية الإلهية:

١ ــ المتقون **(٣-٥)**

• • •

القسم الرابع: حدود التقوى، وتفسير: (ولا تقربا هذه الشجرة)

• • •

القسم الخامس: الأحكام والحدود الإلهية أمام تقوى السالفين

وتفسير (ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين)

منهج معرفة الطبيعة في القرآن الكريم

الدكتور مهدي گلشني/ ج. إ. إ

هدف الباحث الطبيعي

المقصود من الطبيعة هو العالم المادي: أي العالم الذي نتعامل معه من خلال حواسنا. وتوجد في القرآن الكريم أكثر من (٧٥٠) آية تشير الى الظواهر الطبيعية، حيث نجده في أغلب هذه الآيات يوصي بمطالعة كتاب الطبيعة والتدبر فيه.

ومن الطبيعي ان القرآن ــ كما أكد ذلك الكثير من العلماء الإسلاميين الكبار ــ لم يأتِ كتاباً يستعرض العلوم الطبيعية، وإنّما هو كتاب الهداية، فإذا وجدناه يتحدث عن الظواهر الطبيعية، فإنَّ ذلك لكي يدفع الناس عبر البحث والتعمق والتدبر في الموجودات الطبيعية للوصول الى عظمة الخالق المدبّر للعالم و بالتالي التقرب اليه.

والموجودات الطبيعية ــ من وجهة نظر القرآن ــ آيات للحق تعالى.والباحث الطبيعي يجب ان يُنظر اليه باعتباره باحثاً في الآيات الإلهية،يعمل على ان يوصلنا من خلال هذه الآيات الى خالق الآيات.

«ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة، أن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون» .

(الروم/٢١)

«ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً و ينزل من السماء ماءً فيحيي به الأرض بعد موتها أن في ذلك لآيات لقوم يعقلون» .

(الروم/٢٤)

«ومن آياته خَلْق السماوات والأرض وآختلاف ألسنتكم وألوانكم أن في ذلك لآيات للعالمين» .

(الروم/٢٢)

إنَّ معرفة الطبيعة ــ من وجهة النظر القرآنية ــ ليست مطلوبة بذاتها، وإنّما تكون كذلك إذا قرَّبتنا الى خالق هذا العالم ومدبِّره:

«ذلك بأنَّ الله هو الحق وان ما يدعون من دونه هو الباطل..» .

(الحج/٦٢)

إن معرفة الطبيعة يمكنها ان تزيد معرفة الناس بالله، كما يمكنها ان تجعلهم قادرين على الإستفادة من الإمكانات التي وفّرها الله لخيرهم وسعادتهم الأبدية.

امكان معرفة الطبيعة

توجد في القرآن آيات كثيرة تدعو البشر لدراسة الطبيعة:

«قل انظروا ماذا في السماوات والأرض..» .

(يونس/١٠١)

«وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون» .

(الذاريات/٢٠ ــ ٢١)

«قل سيروا في الأرض فآنظروا كيف بدأ الخلق...» .

(العنكبوت/٢٠)

«فلينظر الإنسان مم خُلق..» .

(الطارق/٥)

إن هذه الآيات تؤكد أن معرفة الطبيعة ممكنة، وإلاّ فلا معنى للأمر بمطالعتها إنْ لم تكن ممكنة، وكذلك فأن الآيات التالية:

«وعلّم آدم الأسماء كلها» .

(البقرة/٣١)

«علّم الإنسانَ ما لم يَعلم» .

(العلق/٥)

«والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون» .

(النحل/٧٨)

تفيد أن الله أودع طاقة المعرفة في الإنسان، وعليه ان يستثمر هذه الطاقات بالنحو الممكن.

علاوة على هذا فأن آيات مثل:

«سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق..» .

(فصلت/٥٣)

«وقل الحمدلله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون».

(النمل/٩٣)

تؤكد ان البشر يمكنه أنْ يصل الى كثير من حقائق العلم.

المواضيع المهمة في مجال معرفة الطبيعة

رغم أن الهدف الغائي لمعرفة الطبيعة من وجهة نظر القرآن هو زيادة معرفة الأفراد بالله والتقرب اليه، إلا انه بالإمكان طرح أهداف قصيرة المدى لمجموعة من المسائل تمهد معرفتها لتحقيق الهدف النهائي. انها مسائل تطرح في ما يتعلق بالظواهر الطبيعية في القرآن الكريم، وقد قمنا بتقسيمها الى مقولات ثلاث هي:

(١) ــ كشف مبدأ الخلقة وكيفية تكوين الموجودات والظواهر:

«أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماءِ كلَّ شيءٍ حي، أفلا يؤمنون».

(الأنبياء/٣٠)

«الم تروا كيف خلق الله سبع سماواتٍ طباقاً وجعل القمر فيهنَّ نوراً وجعل الشمس سراجاً».

(نوح/١٥ ــ ١٦)

«الذي أحسن كل شيءٍ خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين * ثم جعل نسله من سلالة من ماءٍ مهين * ثم سوّاه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون».

(السجدة: ٧ ــ ٩)

«أفلا ينظرون الى الإبل كيف خُلقت والى السماء كيف رُفعت والى الجبال كيف نُصبت والى الأرض كيف سُطحت».

(الغاشية/١٧ ــ ٢٠)

«... وجعلنا من الماءِ كلَّ شيءٍ حي..».

(الانبياء/٣٠)

«الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله..».

(الروم: ٤٨)

و يبدو من مثل هذه الآيات ان علينا ان نسعى لكشف مبدأ الخلقة وكيفية التكوين، لأنَّ ذلك مؤثر في زيادة الإيمان والقرب الى المبدأ «جل وعلا». والملاحظ في بعض الآيات القرآنية ان وقوع بعض الظواهر الطبيعية، يعد شاهداً على وقوع المعاد:

«أو ليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أنْ يخلق مثلهم بلى وهو الخلّاق العليم».

(يس/٨١)

«والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه الى بلدٍ ميتٍ فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور» .

(فاطر/٩)

«يا أيها الناس إنْ كنتم في ريب من البعث فأنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلّقة وغير مخلّقة لنبيِّن لكم ونقرّ في الأرحام ما نشاء الى أجلٍ مُسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً...» .

(الحج/٥)

(٢) كشف النظام والتناسق والهدفية في الطبيعة:

وقد أعتبر في كثير من الآيات القرآنية أن وجود النظام والتناسق والهدفية في الطبيعة دليل على وجود الخالق الحكيم المدبر. وتنقسم هذه الآيات الى مجاميع:

أ) ـ جاء في بعض الآيات أن خلق السماوات والأرض تم بالحق (ذات غاية) ولم تكن عبثاً ولا باطلاً أو لهواً ولعباً.

«وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق..» .

(الانعام/٧٣)

«وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين. لو أردنا أنْ نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا إنْ كُنّا فاعلين».

(الانبياء/١٦، ١٧)

«وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين * ما خلقناهما إلاّ بالحقّ ولكن أكثرهم لا يعلمون».

(الدخان/٣٨،٣٩)

«افحسبتم انما خلقناكم عبثاً وانكم الينا لا ترجعون» .

(المؤمنون/١١٥)

«... ويتفكّرون في خلق السماوات والأرض ربّنا ما خلقتَ هذا باطلاً...».

(آل عمران/ ١٩١)

ب) وقد ذكرت بعض الآيات أن هناك أجلاً معيناً للسير الطبيعي للحوادث:

«أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وأن كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون» .

(الروم/٨)

«الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها، ثم آستوى على العرش وسخّر الشمس والقمر كل يجري لأجلٍ مُسمى، يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون» .

(الرعد/٢)

ج) وفي بعض الآيات تأكيد على أن خلق الأشياء ومجرى الأمور الطبيعية طبق حساب دقيق

(أي له قدر معين وميزان مشخص).

«الشمس والقمر بحسبان» .

(الرحمن/٥)

«وان من شيءٍ إلّا عندنا خزائنه وما ننزله إلّا بقدر معلوم» .

(الحجر/٢١)

«... وكل شيءٍ عنده بمقدار» .

(الرعد/٨)

«... وخلق كل شيءٍ فقدره تقديراً» .

(الفرقان/٢)

«والسماء رفعها ووضع الميزان» .

(الرحمن/٧)

«... وأنبتنا فيها من كل شيءٍ موزون» .

(الحجر/١٩)

وبالتأكيد فانه من خلال وجود هذا النظام، يتم الحصول على مفهوم للقوانين الطبيعية. ولولم يمتلك علماء العلوم الطبيعية في أعماقهم ايماناً بوجود النظام في الطبيعة ــ على الأقل ــ لم يندفعوا في الكشف عن قوانين الطبيعة.

من الآيات الماضية وآيات أُخرى مثل:

«هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب، ما خلق الله ذلك إلّا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون» .

(يونس: ٥)

«... ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فأرجع البصر هل ترى من فطور..» .

(الملك: ٣)

يمكن استنتاج الكشف عن النظام والإنسجام في الطبيعة (أي القوانين الطبيعية) واتقان صنع الباري - تعالى - يعد إحدى المسائل المهمة في مجال معرفة الطبيعة.

(٣) - الإستفادة المشروعة من الإمكانات الطبيعية التي وفّرها الله للبشرية (التكنولوجيا في خدمة الأهداف الإلهية):

يذكر الله تعالى في عدد كثير من الآيات، النعم التي وفّرها للبشر:

«وسخّر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً» .

(الجاثية: ١٣)

«ولقد مكّنّاكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلاً ما تشكرون» .

(الأعراف: ١٠)

«ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون».

(القصص: ٧٣)

«ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون».

(الروم: ٤٦)

«وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون».

(الأنعام: ٩٧)

وقد ذكرت هذه الآيات أن سبب التذكير بالنعم الإلٓهية هو تعريفها للبشر والأمر بالإستفادة منها «لتبتغوا من فضله» وشكرها.وأحد أبعاد الشكر في قبال النعم الإلهية هو استخدامها في السبيل الذي عيّنه الله ـ تعالى ـ لها. فيجب على عباد الله من خلال الإستفادة المشروعة من الإمكانات المتوفّرة للبشر أن يقودوا أنفسهم والمجتمع الإنساني نحو السعادة، وعلى هذا فأن التكنولوجيا وهي الإستفادة العملية من الإمكانات الطبيعية ستكون في خدمة الأهداف الإلهية.

مسارب معرفة الطبيعة

هناك آيات كثيرة في القرآن يمكن ان تعرف منها مسارب معرفة الطبيعة، ونحن نبدأ البحث من الآية الشريفة:

«والله أخرجكم من بطون أُمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة...».

(النحل: ٧٨)

إذ يستنتج منها أن المعلومات تحصل من خلال السمع والبصر والفؤاد، ونلاحظ هنا انه من بين الحواس الظاهرية ذكر السمع والبصر فقط باعتبارهما وسيلتين رئيستين لكسب المعلومات عن عالم الطبيعة، وقد عبّروا عن الفؤاد بقوة إدراك الأمور والتعقل[1] وربما ذكر القلب في القرآن باعتباره وسيلة للتعقل والفهم:

«أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها..».

(الحج: ٤٦)

«لهم قلوب لا يفقهون بها...».

(الاعراف: ١٧٩)

«وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون..».

(التوبة: ٨٧)

«ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب..».

(ق: ٣٧)

«أُولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون».

(النحل: ١٠٨)

كما جاء في كثير من النصوص الإسلامية، ذكر القلب على أساس انه وسيلة للتعقل، فقد روي عن الإمام الصادق(ع) انه قال[2]: «فمنها قلبه الذي به يعقل و يفقه و يفهم...» .

كما روي عن الإمام علي بن محمد النقي انه قال[3]: «دل القرآن وأخبار الرسول(ص) أن القلب مالك لجميع الحواس، يصحح أفعالها، ولا يبطل ما يصحح القلب شيء»

وها نحن نحاول الآن أن نستدل بالآيات القرآنية على أن مسارب معرفة الطبيعة عبارة عن:

(١) ـ الحواس الظاهرية (و بها تحصل المشاهدة والتجربة).

(٢) ـ العقل المنزّه عن الشوائب (الغالب على الهوى والميول والمترفع على أنماط التقليد الأعمى).

(٣) ـ الوحي والإلهام.

دور المشاهدة والتعقل في معرفة الطبيعة:

توجد في القرآن الكريم آيات تلزم الإنسان ليستعمل حواسه لاكتشاف الحقائق الطبيعية، وها نحن نذكر بعضاً منها على سبيل المثال:

«قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق..» .

(العنكبوت: ٢٠)

«قل انظروا ماذا في السماوات والأرض...» .

(يونس: ١٠١)

«أفلا ينظرون الى الإبل كيف خلقت..» .

(الغاشية: ١٧)

« أولم يروا الى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم» .

(الشعراء: ٧)

ونحن نجد في هذه الآيات ان النظر والرؤية جاء بمعنى النظر مع الإستنتاج العقلي[4] وفي بعض الموارد جاء الحديث عن تجارب عملية كمقدمة لاكتشاف المعرفة، وها نحن نذكر ثلاثة موارد منها كمثال لذلك:

أ) ـ الله يعلّم قابيل كيفية دفن الميت بواسطة الغراب.

«فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه قال يا ويلتىٰ اعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين» .

(المائدة: ٣١)

ب) ـ الله يعرّف الرجل الصالح بامكان بعث الأجساد.

«أو كالذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها، قال: أنّىٰ يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت؟ قال لبثت يوماً أو بعض يوم، قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم

بتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلمّا تبيّن له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير».

(البقرة: ٢٥٩)

ج) ـ يجسّد الله أمام ابراهيم كيفية احياء الموتى:

«واذ قال ابراهيم ربّ أرني كيف تحيي الموتى، قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي، قال فخذ أربعة من الطير فصرهنّ اليك ثم اجعل على كل جبل منهنّ جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم».

(البقرة: ٢٦٠)

وهنا نذكر بالضمن ان القرآن و بشكل مكرّر يعمل على التمثيل بالمحسوسات ليقرّب المعاني الى الأذهان:

«مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة...».

(البقرة: ٢٦١)

«ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار».

(ابراهيم: ٢٦)

«مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درّي يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولولم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء و يضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم».

(النور: ٣٥)

«والله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور».

(فاطر: ٩)

وعليه فلاشك في أن القرآن يؤكد أن الحواس الظاهرية هي وسائل أولية لبعض المعلومات، إلاّ اننا نجد سواء في الآيات السابقة أو في الآيات التي سنذكرها انه لم تذكر التأثرات الحسّيّة باعتبارها كافية لوحدها لمعرفة الطبيعة. وأدلتنا هي:

أ) ـ قد ذكر بكل صراحة في غالب الآيات التي تتحدث عن الظواهر الطبيعية، ان ادراك الآيات الإلهية في الطبيعة وعلاقتها بما تعبّر عنه، من عمل أصحاب العقول وأرباب التفكير، ونحن نذكر بعض هذه الآيات:

«هو الذي أنزل من السماء ماءً لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون * ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون».

(النحل: ١١-١٠)

«وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصّلنا الآيات لقوم يعلمون».

(الأنعام: ٩٧)

وسخّر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره أن في ذلك لآيات لقوم يعقلون».

(النحل: ١٢)

«ومن كلّ شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون» .

(الذاريات: ٤٩)

«الم تر ان الله أنزل من السماء ماءً فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً ان في ذلك لذكرى لأولي الألباب» .

(الزمر: ٢١)

«وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصّلنا الآيات لقوم يفقهون» .

(الأنعام: ٩٨)

ان تعبيرات: التفكر، والتعقل، والتفقه.. والتي جاءت في الآيات السابقة تنص كلها «على اختلاف في المراتب» على انه لفهم الطبيعة يجب الاستفادة من القوة العاقلة، فالتفكر الذي جاء في آيات كثيرة مثلاً- هو عبارة عن البدأ بالمعلومات السابقة والوصول الى معلومات جديدة. يقول الحكيم السبزواري[5]: **(الفكر حركة الى المبادئ، ومن المبادئ الى المراد).**

وتعبيرات: التعقل، والتفقه، وغيرها، تعبّر عن السير العقلي، وعليه فالمعارف التي تبدأ من مبادئ حسّيّة - يجب ان يصحبها التفكير والتعقل لتحصل على معلومات اضافية.. والروايات التالية عن الإمام الصادق تؤيد هذا المعنى :

أ) - **«ان أوّل الأمور ومبدأها وقوتها وعمارتها التي لا ينتفع بشيء إلاّ به، العقل الذي جعله الله زينة لخلقه ونوراً لهم. فبالعقل عرف العباد خالقهم، وأنهم مخلوقون، انه المدبر لهم وانهم المدبرون... وآستدلوا بعقولهم على ما رأوا من خلقه، ومن سمائه وأرضه، وشمسه وقمره، وليله ونهاره، وبأنّ له ولهم خالقاً ومدبراً لم يزل ولا يزول، وعرفوا به الحسن من القبيح، وأن الظلمة في الجهل، وأن النور في العلم، فهذا ما دلّهم عليه العقل»**[6].

ب) - يروي الشيخ الصدوق في كتاب «التوحيد»[7] أن أبا شاكر الديصاني قال للإمام الصادق: **«انك تعلم اننا لانقبل إلاّ ما نراه بأعيننا، أو نسمعه بآذاننا، أو نذوقه بأفواهنا، أو نشمه بأنوفنا، أو نلمسه بجلدنا».**

فأجاب الإمام الصادق : **«ذكرت الحواس الخمس وهي لا تنفع في الإستنباط إلاّ بدليل كما لا تقطع الظلمة بغير مصباح».**

ج) - وفي رواية أخرى عن الإمام الصادق جاء قوله (ع)[8] **«فأنك لو رأيت حجراً يرتفع في الهواء، علمت أن رامياً رمى به، فليس هذا العلم من قبل البصر، بل من قبل العقل، لأنّ العقل هو الذي يميزه، فيعلم أن الحجر لايذهب علواً من تلقاء نفسه..».**

و على هذا يمكن القول بأنّ التجربة والملاحظة وإنْ كانتا ضروريتين للحصول على معرفة عن

العالم الخارجي، إلاّ انهما لا تكفيان لوحدهما.

فلو أننا اكتفينا بحواسنا الظاهرية، لم نستطع التعبير عن العالم الخارجي والإيمان بوجود ترابط بين الحوادث الطبيعية. والواقع أن الإنسان ـ من حيث الحواس الظاهرية لا يختلف عن بعض الحيوانات الأخرى، وربما كانت أكثر منه قدرة في بعض الموارد. والشيء الذي يجعله متميزاً عنها هو قابليته على التعمق في مجال الكون و تفسير الحوادث، وانما يتاح له ذلك لوجود القوة المسماة بالقوة العاقلة، إذ بها يستطيع أن يربط بين العلائم التي حصل عليها و يفسّر العالم. إنّ الحس يعطينا سلسلة علائم متفرقة، والعقل هو الذي يقوم بعملية الربط بينها.

(٢) ـ في القرآن آيات كثيرة تؤكد انه لا تقوم العين والأذن والقلب لدى بعض الأفراد بالدور الحقيقي المتوقع منها، فكثيرُ أُولئك الذين يرون آيات الله في الطبيعة، ولكن لايتدبرون فيها ولا يستفيدون منها:

«وكأين من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون».

(يوسف: ١٠٥)

«لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها..»

(الأعراف: ١٧٩)

«أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها..».

(الأعراف: ١٩٥)

«ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون».

(الانفال: ٢١)

«فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء».

(الأحقاف: ٢٦)

«وأن تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون».

(الأعراف: ١٩٨)

«أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوبٌ يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنّها لا تَعْمَى الأبصار ولكن تَعْمَى القلوب التي في الصدور».

(الحج: ٤٦)

وروي عن الرسول الأكرم (ص) قوله: **«ليس الأعمى من يعمى بصره، إنّما الأعمى من تعمى بصيرته»**. كنز العمال: (ح: ١٢٢٠) وقال البعض في تفسير الآيات الماضية بأن لدينا نوعين من السمع والبصر: سمعاً و بصراً ظاهرياً، وسمعاً و بصراً باطنياً. فالسمع والبصر الظاهريان هما وسيلتا الإدراك، والسمع والبصر الباطنيان هما الوسيلة للاستفادة الصحيحة من تلكما الوسيلتين. يقول الإمام الفخر الرازي في تفسير آية[1]:

«مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير...».

(هود: ٢٤)

«وأعلم أن وجه التشبيه هو أنه سبحانه خلق الإنسان مركباً من الجسد ومن النفس، وكما أن للجسد بصراً وسمعاً فكذلك حصل لجوهر الروح سمع وبصر، وكما أن الجسد إذا كان أعمى وأصم بقي متحيراً لا يهتدي الى شيء من المصالح، بل يكون كالتائه في حضيض الظلمات لايبصر نوراً يهتدي به ولا يسمع صوتاً، فكذلك الجاهل الضال المضل، يكون أعمى وأصم القلب، فيبقى في ظلمات الضلالات حائراً تائهاً».

ونحن نرى ان المرجح هو التعبير عن الآيات السالفة بأنّ العين والأذن وباقي الحواس الظاهرية هي وسائل للعقل، فإنْ لم يكمل التعقل عملهما كانا ناقصين: إن العين ترى، و يقوم العقل بتفسير التأثرات الحسية و يصدر الحكم[١٠]. وانما يمكننا ان ننظر لعمل العين عملاً كاملاً اذا صحبته البصيرة، أي اذا جاء التعقل بعد عمل العين. والآيات التالية نذكرها تأييداً لهذا التعبير (وهي تذكر كنموذج لذلك):[١١]

«أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون».

(يونس: ٤٢)

«ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون * ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون».

(الانفال: ٢١-٢٢)

«وجاء في نهج البلاغة نقلاً عن الإمام علي (ع) قوله[١٢]:

«فانما البصير من سمع فتفكر، ونظر فأبصر، وأنتفع بالعبر ثم سلك جدداً واضحاً يتجنب فيه الصرعة في المهاوي والضلال فى المفادى...».

وفي رواية الأهليلجة عن الإمام الصادق (ع)[١٣]: **«إن الله تبارك وتعالى جعل القلب مدبراً للجسد وبه يسمع وبه يبصر وهو القاضي والأمير عليه، لا يتقدم الجسد إنْ هو تأخر، ولا يتأخر إنْ هو تقدم وبه سمعت الحواس وأبصرت إنْ أمرها أتمرت وإنْ نهاها انتهت، وبه ينزل الفرح والحزن وبه ينزل الألم، إنْ فسد شيء من الحواس بقي على حاله، وان فسد القلب ذهب جميعاً حتى لايسمع ولا يبصر»**.

(٣) ـ إن الآيات القرآنية توضح انه ليست كل معارفنا ذات صبغة حسية، فهناك بعض المعارف التي لا تنشأ من التأثرات الحسية، والشاهد على هذا الأمر مجموعتان من الآيات هما:

الف) ـ مجموعة من آيات الله تنفي منطق أولئك الذين يعتمدون على المحسوسات لا غير:

«واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون».

(البقرة: ٥٥)

«يسألك أهلُ الكتاب أن تُنزّلَ عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرةً...».

(النساء: ١٥٣)

«وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً * أو تكون لك جنةٌ من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً * أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً * أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلاّ بشراً رسولاً».

(الاسراء: ٩٠-٩٣)

«يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون».

(الروم: ٧)

«وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آيةٌ».

(البقرة: ١١٨)

(ب)- ان القرآن يعلمنا ان بعض الحقائق المتعلقة بعالم الطبيعة لا يمكننا ادراكها بحواسنا:

«الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها..».

(الرعد: ٢)

«فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون».

(الحاقة: ٣٨-٣٩)

«سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون».

(يس: ٣٦)

كما يعلمنا بأنّ الله وحده هو المطلع على غيب السماوات والأرض ولا يطلع على ذلك أحدٌ إلاّ اذا شاء الله أن يطلع على هذا الجزء غير المحسوس.

«ولله غيب السماوات والأرض واليه يرجع الأمر كله».

(هود: ١٢٣)

«قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السماوات والأرض..».

(الكهف: ٢٦)

«إنّ الله يعلم غيب السماوات والأرض والله بصير بما تعملون».

(الحجرات: ١٨)

«عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً * إلاّ من ارتضى من رسول...».

(الجن: ٢٦-٢٧)

وجاء في رواية الأهليلجة عن الإمام الصادق(ع)[١٤]: «زعمت أن الاشياء لا تدرك إلاّ بالحواس، فإني أخبرك انه ليس للحواس دلالة على الأشياء ولا فيها معرفة إلاّ بالقلب فانه دليلها ومعرفها الأشياء التي تدعي ان القلب لا يعرفها الا بها... انك تعلم انه ربما ذهب الحواس أو بعضها و دبر القلب الأشياء التي فيها المضرة والمنفعة من الأمور العلانية والخفية فأَمر بها ونهى ونفذ فيها أَمره وصح فيها أَمره وصح فيها قضاؤه.. ألست تعلم ان القلب يبقى بعد ذهاب الحواس:. ونجيبك في الحواس حتى يتقرر عندك أنها لا

تعرف من سائر الأشياء إلاّ الظاهر مما هو دون الرب الأعلى سبحانه وتعالى، فاما ما يخفى ولا يظهر فلست تعرفه وذلك أن خالق الحواس جعل لها قلباً احتج به على العباد وجعل للحواس الدلالات على الظاهر الذي يستدل بها على الخالق سبحانه فنظرت العين الى خلق متصل بعضه ببعض فدلت القلب على ما عاينت وتفكر القلب حين دلته العين على ما عاينت من ملكوت السماوات وارتفاعها في الهواء بغير عمد يرى ولا دعائم تمسكها.. أن القلب يفكر بالعقل الذي فيه...»

وأن من المؤسف أن نجد بعض المفكرين المسلمين في القرون الأخيرة **يروّجون فكرة حصر مسألة الحصول على المعرفة بالتجربة، وان الملاحظة التجريبية لوحدها قادرة على ان توصلنا الى المعرفة الإلهية،** ونحن بدورنا نتفق معهم في كون التجربة والملاحظة شرطاً ضرورياً لمعرفة الطبيعة، بل ونعتقد أيضاً ان المسلمين قصروا في هذا المجال كثيراً، إلاّ اننا نعتقد ضمن ذلك بأنه أولاً - إن معلوماتنا حول الطبيعة ليس منشؤها حسياً فقط، وثانياً - إن ملاحظاتنا وتجاربنا بدون الإستناد الى الأُصول العقلية لا يمكنها مطلقاً أن تكون منشأً لأي علم، وفي مجال المعرفة الإلهية نعتقد أيضاً - مثلنا مثل الأُستاذ **«الشهيد المطهري»** - بأن: **«التجربة تقف عند حد معرفة آثار الله، أما معرفة الله من خلال آثاره المعلومة بالتجربة، فهي نوع من الإستدلال العقلي المحض»** و دليل ذلك واضح: ان التجربة يقوم بها الجميع، ولكنهم لا يصلون الى المعرفة الإلهية.

علاوة على هذا نجد ان العلم اليوم يشتمل - إسماً - على كل المسائل التي تقبل الإثبات بالأساليب التجريبية، أما في الواقع فأنه يشمل الكثير من العناصر التي لم تستفد مباشرة من الحس، ويمكن القول - في الواقع - انه في كل العلوم الطبيعية تقوم المعرفة على أساس من الإستنباط من الآثار، واننا لم نحصل من التجربة المباشرة على أي من القوانين الفيزياوية أو الكيمياوية وانما كانت في الحقيقة على أساس الاستنباطات العقلية، ونفس المادة أيضاً نحن نعرفها عبر الإستنتاجات العقلية، ذلك ان التجارب الفيزياوية والكيمياوية انما توصلنا الى خواص المادة وعوارضها فقط.

ان هذه النظرة القائلة بأنّ عمدة معرفتنا عن العالم المادي تقوم على أساس الإستنباط العقلي، لا تؤيدها أكثرية علماء الطبيعة في عصرنا الحاضر، الا انه - وكما يقول «انشتاين»[15] : **«من الأفضل أنْ لاننظر الى ما يقوله علماء الفيزياء، وانما نركز على أفعالهم»**. والحقيقة اننا في المجالات العلمية نجد الكثير من ذوي النظرة الموضعية يتخلفون عن مدعياتهم. هذا علاوة على أننا نجد من بين العلماء الطبيعيين الغربيين أنفسهم أفراداً بارزين يعترفون بالدور المهم الذي تلعبه الإستنتاجات العقلية في مجال الوصول لمعرفة الظواهر الطبيعية. يقول «ماكس بلانك» في مقال له تحت عنوان (التصوير الذي يقدمه العلماء عن العالم الفيزياوي):[16]

«إن الكمال الذي يقصده كل فيزياوي هو أنْ يعرف واقع العالم الخارجي. أما الوسائل التي يستخدمها لتحقيق هذا الهدف - والمصطلح عليها فيزياوياً بوسائل التقدير - فأنها لا تمنحها معلومات مباشرة حول الواقع الخارجي - انها مجرد أثر أو تمثيل لردود الفعل في قبال الظواهر الفيزياوية. وبهذا فأنها لا تمنحها معلومات

صريحة وانما يجب تفسيرها. وكما قال هلمولتزوان مقاييس التقدير تمنح العالم الفيزياوي العلائم، وعليه أن يعبر عنها تماماً كما يقوم علماء اللغات بالسعي للتعبير عن وثيقة تاريخية تركتها لنا حضارة مجهولة ماضية. إن عالم اللغة يفترض أولاً وعليه أنْ يفترض اذارغب في أنْ يوصله عمله الى نتائج عملية. إن هذه الوثيقة تحوي رسالة معقولة، وان هذه الرسالة لها قواعد وعلامات صرفية ونحوية خاصة، وكذلك عالم الفيزياء يجب أن يفترض أن هناك قوانين معينة قابلة للفهم حاكمة على العالم الفيزياوي، وإنْ لم يستطع هو أنْ يفهمها تماماً أو يكتشف من خصائصها وأسلوب عملها. والآن ومع فرض وجود قوانين حاكمة على العالم الخارجي يستطيع أن يصوغ مجموعة من المفاهيم والقضايا وهو مانسميه بالتصوير العلمي للعالم الفيزياوي. إن هذا التصوير تعبير عن العالم الخارجي من حيث انه منسجم ـ الى الحد الممكن ـ مع النتائج الحاصلة من التجارب. بعد هذه الأعمال يستطيع المحقق ـ دون خشية من تناقض الحقائق ـ أنْ يدَّعي انه اكتشف وجهاً عن واقعية العالم الخارجي وإنْ لم يستطع مطلقاً أنْ يثبت صحة مدعاه بشكل قطعي..».

واينشتاين ـ أيضاً ـ في محاضرة له ألقاها في سنة ١٩٣٣ م تحت عنوان (حول منهج الفيزياء النظرية) في جامعة اكسفورد ـ قال:[١٧] «... كان نيوتن هو أول بانٍ لجهاز فيزياوي نظري قابل للعمل ـ مازال يتصور ان بالإمكان استنتاج مفاهيم جهازه الأساسية وقوانينه من التجربة. ومقصوده من جملة (ان النظريات ليست صنعي) هو هذا المعنى أيضاً:

والواقع انه لم يكن يتصور آنذاك وجود مشكلة في مفاهيم الزمان والمكان، وكذلك مفاهيم الكثافة والتصور الذاتي والطاقة والقوانين الرابطة بينها، فقد كان المتصور فيها أنها استفيدت من التجربة مباشرة. ومع الإذعان لهذه الأسس فأنَّ القانون المتعلق بقوة الثقل يمكنه أن يستنتج من التجربة. وعليه فأنه كان يبدو من المنطقي أن يصدق هذا الأمر في مجال كل القوى أيضاً».

ويبدو ـ بشكل واضح ـ من خلال الأسلوب الذي عرض به نيوتن مفهوم الفضاء المطلق (وهو الساكن المطلق) انه لم يكن مطمئن البال حول هذا الموضوع، والواقع انه كان قد علم بأنه لا يرتبط أي شيء من عالم التجربة بهذا المفهوم. وفي مجال الإستفادة من القوى المؤثرة على البعد نجده ـ أيضاً لا يمتلك إحساساً مقنعاً. ويمكن ان يكون التوفيق العملي العظيم الذي حالف هذه النظرية هو الذي جعل نيوتن وعلماء الفيزياء في القرنين (١٨-١٩) يغفلون عن تعيين الهوية الذهنية كمبانٍ لهذا الجهاز.

وعلى العكس فأنَّ أكثر الفلاسفة الطبيعيين في تلك العصور كانوا يعتقدون بأن المفاهيم الأساسية والأصول الموضوعة للفيزياء، لم تكن ابتكارات حرة للذهن البشري، بل أُنتزعت من التجربة، أي أنه تم الحصول عليها بأساليب منطقية وقد انكشف خطأ هذه العقيدة ـ في الواقع ـ بعد وضع نظرية النسبية العامة، ذلك أن هذه النظرية قد وضحت أن بالإمكان توضيح حقائق تجربية أكثر بشكل أكثر اقناعاً وعلى أساس مختلفٍ تماماً مع نظرية نيوتن. ولكن مع غض النظر عن مسألة أرجحية إحدى هاتين النظريتين على الأخرى، يمكن استنتاج الهوية الذهنية لهذه الأصول الأساسية من حقيقة اننا نستطيع ان نستنبط نظريتين مختلفتين تماماً وهما تنسجمان ـ الى حدٍ كبيرٍ مع التجربة .. ان هذا يوضح ـ ضمناً ـ أن أي سعي للحصول على المفاهيم الأساسية والأصول

الموضوعة للميكانيك من التجارب الإعدادية محكوم بالفشل.

ترى مع انه لا يمكن استنتاج الأصول الأساسية للفيزياء النظرية من التجربة، بل يجب ان تبدع بشكل حر، هل يحق لنا أن نتوقع الوصول الى السبيل الصحيح؟ وهل أن هذا السبيل الصحيح موجود خارج أذهاننا؟ وهل أنه مع وجود نظريات (نظير الميكانيك الكلاسيكي) يمكنها ـ دون أن تصل الى كنه الأمر ـ أن تنسجم ـ الى حد كبير مع التجربة، يمكننا ان نتوقع بأن ترشدنا التجربة لوحدها ـ الى المقصود؟ اني ـ وبدون أي تأمل ـ أجيب بالإيجاب: انني اعتقد بوجود طريق صحيح، وأننا نستطيع أن نعثر على هذا الطريق. إن التجارب التي امتلكناها لحد الآن تسمح لنا لأن نعتقد بأن الطبيعة هي مصداق أبسط التصورات الرياضية القابلة للتصور.

وان رأيي القاطع هو أننا عبر الإستفادة من الوسائل الرياضية المجردة نستطيع الحصول على المفاهيم والقوانين الرابطة بينها، وهي مفتاح معرفة الظواهر الطبيعية. من الممكن أن تمنحنا التجارب مفاهيم رياضية مناسبة، ولكن من المسلّم به أنه لا يمكننا أن نستنتج هذه المفاهيم من التجارب. طبيعي أن التجربة سوف تبقى ـ كذلك المعيار الوحيد لكون جهاز رياضي ما مفيداً، ولكن الإبداع يمكن في المجال الرياضي من الأمر. وعلى هذا فإني بلحاظ خاص أعتقد ـ كما كان القدماء يتصوّرون ـ أن الفكر المحض يمكنه أن يصل الى الحقيقة».

وهكذا نجد هايزنبرغ في كتابه «الفيزياء وماوراءها» يكتب[18] انه كان في سنة ١٩٢٦ يتصور أن انشتاين مازال يعتقد بالنظرية الوضعية «لماخ» أي أنه كان يتصور أن الكميات القابلة للمشاهدة لوحدها هي التي يجب أن ترد مجال النظريات الفيزياوية. ومن هنا عندما سأله انشتاين «ألا تعتقد أنت بأنّ الكميات القابلة للملاحظة ـ لوحدها ـ يجب أنْ ترد مجال أية نظرية فيزياوية»؟

أجابه هايزنبرغ: «أليس هذا هو بالضبط ماصنعته في مجال النظرية النسبية، ألم تقل أنت أننا يجب أن لانتحدث عن الزمان المطلق، لأنّ الزمان المطلق لايقبل التقدير، والوحيدة التي دمج في تعيين الزمان هي الأعداد التي تظهرها الساعة سواءً في حالة الحركة أو السكون؟».

فيجيب انشتاين: «يمكن أن أكون قد استدللت بهذا النوع من الإستدلال، ولكنه مع ذلك لامعنى له. قد يكون من الأكثر مهارة أن أقول أنه ـ من المفيد ـ بلحاظ العملية التحقيقية أن نودع أذهاننا كل ما نشاهده من الأشياء عملاً، ولكن من الخطأ ـ مبدئياً ـ أن نقيم نظرية على أساس الكميات القابلة للملاحظة فقط. أن ما حدث ـ في الواقع ـ هو عكس ذلك، فالنظرية هي التي تعين ما يجب أن نشاهده من أشياء».

وهذا فيليب فرانك أيضاً ينقل في «حياة انشتاين:» «انه قال مرة لأنشتاين انه أدخل هذه النظرية الوضعية بنفسه في سنة ١٩٠٧ للفيزياء، فكان جواب اينشتاين: «لا ينبغي تكرار مزحة لطيفة»[19].

كان الهدف من نقل هذه الأقوال هو أن نوضح أن البعض من المحققين المعاصرين الكبار قد التفتوا الى عدم كفاية التجربة لتفسير الطبيعة وإلاّ فأنه لاشك في أهمية التجربة ولزومها وأن على المحققين المسلمين أن لا ينسوا المضمون الذي حملته آيات مثل:

«قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق...» .

(العنكبوت: ٢٠)

«قل أنظروا ماذا في السماوات والأرض...» .

(يونس: ١٠١)

في مجال البحث في الطبيعة لمعرفة أسرار الخلقة. ولكن عليهم في نفس الوقت أن يلتفتوا الى أن القرآن يؤكد على أهمية التفكير والتعقل في نفس الوقت الذي يدعونا فيه للمطالعة التجريبية لكتاب الطبيعة، و يعلمنا أن لانقنع بالمحسوسات فقط و انما نحاول من خلال ملاحظة خلفيات الظواهر الطبيعية التقرب من الخالق «سبحانه».

دور الوحي والالهام في معرفة الطبيعة:

يستفاد من بعض الآيات القرآنية أن المعلم الأصلي لكل العلوم هو الله تعالى:

« اقرأ باسم ربك الذي خلق.. الذي علّم بالقلم * علّم الإنسان مالم يعلم» .

(العلق: ١-٥)

«خلق الإنسان * علّمه البيان» .

(الرحمن: ٣-٤)

«وعلم آدم الاسماء كلها * ثم عرضهم على الملائكة..» .

(البقرة: ٣١)

وما يمكن استفادته من هذه الآيات على الأقل، هو أن الله أودع الوجود الإنساني قابلية كسب المعرفة، وأعطاه الوسائل اللازمة، إلاّ ان البعض من الحكماء يعتقدون[٢٠] ان دور المحسوسات في إدراك الأوليات، والمقدمات في إدراك النظريات، انها تعد النفس لتقبل إفاضة عالم القدس، حيث يكون العامل الأصلي ـ في الواقع ـ في إعطاء المعارف للنفس الإنسانية هو واهب العلم نفسه، وإنْ كانت النفوس الإنسانية متفاوتة من حيث الارتباط بهذا المنبع. فبعض لا يصل الى شيء بعد تفكيره، و بعض يصل الى بعض الحقائق من خلال السير الفكري، في حين يعي البعض الآخر حقائق دون أي سير فكري وبمجرد التوجه البسيط. يقول الحكيم السبزواري في منظومته في الحكمة:

كما لحدس يبلغ انتهى · يصعد في شدته غايتها
فيها يكاد زيتها يضيء وصل · وفيه لا تهدي من احببت نزل

إن بعض الآيات تذكر انه بالإضافة للمسارب العامّة (المشاهدة مع التفكير أو التعقل المحض) يوجد طريق أكثر مباشرة لتلقي حقائق العالم من واهب العلم، ولكنه ليس طريقاً عاماً، وإنّما يتمتع به عباد معينون ويمكن أن تصنف هذه الآيات الى مجموعات:

(١) ـ جاء في بعض الآيات؛ إن الله أعطى علوماً خاصة لعباد معينين:

«و قتل داود جالوت و آتاه الله الملك وعلمه مما يشاء» .

(البقرة: ٢٥١)

«ربّ قد آتيتني من الملك **وعلّمتني** من تأويل الأحاديث».

(يوسف: ١٠١)

«فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا **وعلّمناه** من لدنا علماً».

(الكهف: ٦٥)

«إذ قال الله يا عيسى بن مريم .. وإذ **علّمتك** الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل..»

(المائدة: ١١٠)

«... وانه لذو علم لمّا **علّمناه** ولكن أكثر الناس لا يعلمون».

(يوسف: ٦٨)

«وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث... ففهمناها سليمان وكلاً آتينا **حكماً وعلماً** وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين * **وعلّمناه** صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل انتم شاكرون».

(الانبياء: ٧٨-٨٠)

وفي بعض الآيات نبي لمثل هذا التعليم عن المعلم البشري:

«إنْ هو إلا وحي يوحى * **علمه** شديد القوى».

(النجم: ٤-٥)

«ولقد نعلم انهم يقولون انما **يعلمه** بشر...».

(النحل: ١٠٣)

«وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة **وعلمك** ما لم تكن تعلم».

(النساء: ١١٣)

(٢) ـ وفي بعض الآيات حديث عن الوحي للأنبياء:

«ذلك مما **أوحىٰ** اليك ربك من الحكمة..».

(الاسراء: ٣٩)

«فأوحى الى عبده ما **أوحىٰ** * ما كذب الفؤاد ما رأى».

(النجم: ١٠-١١)

«انا **أوحينا** اليك كما **أوحينا** الى نوح والنبيين من بعده **وأوحينا** الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وايوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً».

(النساء: ١٦٣)

«**وأوحينا** الى موسى أن الق عصاك فاذا هي تلقف ما يأفكون».

(الاعراف: ١١٧)

«أكان للناس عجباً أنْ **أوحينا** إلى رجل منهم أن أنذر الناس..».

(يونس: ٢)

«وأوحينا الى موسى وأخيه ان تبوءآ لقومكما بمصر بيوتاً» .

(يونس: ٨٧)

«فأوحينا إليه أنِ آصنع الفلك..» .

(المؤمنون: ٢٧)

«ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك..» .

(آل عمران: ١٤٤)

«وما أرسلنا من قبلك إلاّ رجالاً نوحي اليهم..».

(النحل: ٤٣)

«قل إنما أنا بشر مثلكم يوحىٰ اليَّ...» .

(الكهف: ١١٠)

(٣) ـ و بعضها يتحدث عن الوحي لغير الأنبياء:

«ولقد مننا عليك مرة أُخرى ٭ إذ أوحينا الى أُمك ما يوحى» .

(طه: ٣٧-٣٨)

«وأوحينا الى أُمّ موسى أَنْ ارضعيه..» .

(القصص: ٧)

وقد عبر عن الوحي في هذا المورد بالإلهام[٢١] (أي الإلقاء في القلب).

وطبيعي أن الوحي في القرآن أُستعمل بمعانٍ أُخرى[٢٢]. وما نحصل عليه من مجموع هذه الآيات هو امكان حصول التعلم من قبل واهب العلم بطريق غير الطريق المتداول (المشاهدة والتفكير) وطبيعي أن تكون له مراتب، والمراتب العاليه له وهي الوحي باصطلاح اليوم يختص بالأنبياء و وفقاً للآية الشريفة:

«وما كان لبشر أَن يكلّمه الله إلاّ وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه مايشاء».

(الشورى: ٥١)

فانه يتحقق من خلال القاء المعنى في قلب النبي مباشرة، خلق الكلام،وارسال الملك[٢٣]. واما المراتب الدانية فتتحقق عن طريق الإلهام. و يعتقد الحكماء المسلمون ان أولئك الذين يمتلكون قوة قدسية هم المستعدون للحصول على المعارف من هذا السبيل.

ويجب ان نرجع الى الوراء قليلاً لكي يتوضّح لنا استدلالهم هذا.

لقد رأينا ان أحد المسارب العامّة للحصول على معرفة العالم هو التفكر. وفي مجال التفكر يقوم الذهن بحركتين: إحداهما حركة من المطلوب الى المبادىء المعلومة، والثانية، حركة من هذه المبادىء الى المطلوب. والانسان في حالة التفكر يبحث عن حد وسط يستطيع بمعونته ان يحصل على مطلوبه من جديد. وفي الحالات الكلية يستلزم الحصول على الحد الوسط بعض المقدمات إلاّ انه في الحالات الخاصّة

يوحد افراد ـ يستطيعون بدون وجود هذه المقدمات أو الإلتفات اليها ـ ان يصلوا الى الحد الوسط و المطلوب[24].

و يسمّى هذا الإستعداد الذهني للوصول الى المطلوب ـ دون سير فكري ـ بالحدس، وتسمى المرتبة السامية فيه بالقوة القدسية. والفرد المجهّز بهذه القوة يستطيع بدون الإستفادة من التجارب الحسية والتفكر أن يصل الى حقائق كثيرة.

و يعتبر ابن سينا اشارات العبارة القرآنية «يكاد زيتها يضيء ولولم تمسسه نار» تتجه نحو هذه القوة[25] ولا ثبات هذه القوة يقول[26]: ولعلك تشتهي زيادة دلالة على القوة القدسية وامكان وجودها.

فاستمع: الست تعلم ان للحدس وجوداً، وان للإنسان فيه مراتب وفي الفكرة، فمنهم غبي لا تعود عليه الفكرة برادة، ومنهم من له فطانة الى حدٍّ ما ويستمتع بالفكر، ومنهم من هو أثقف من ذلك وله اصابة في المعقولات بالحدس. وتلك الثقافة غير متشابهة في الجميع، بل ربّما قلّت وربما كثرت، وكما أنك تجد جانب النقصان منتهياً الى عديم الحدس، فأيقن أن الجانب الذي يلي الزيادة يمكن إنتهاؤه الى غنى في أكثر أحواله عن التعلم والفكرة».

ولنحاول الآن ان نستنتج انه كما كان الوحي ذا مراتب مختلفة وفقاً للآيات الكريمة.

«تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلّمه الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البيّنات وأيّدناه بروح القدس».

(البقرة: ٢٥٣)

«وما كان لبشر أن يكلّمه الله إلاّ وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً..».

(الشورى: ٥١)

فإنّ الإلهام وهو أقل منه مستوى، ذو مراتب أيضاً. فالبعض من الأفراد يتمتع بالحد الأعلى منه، في حين يقدر البعض الآخر على الحد الضعيف منه. وفي مراتبه العالية تبدو الحقائق دون طلب وفكر و بشكل خاطف، أما في المراتب الواطئة فانه بسبب ممارسة الشخص لمسائل قسم خاص تنكشف له أمور جديدة. وقد اعترف بعض علماء الطبيعة المعاصرين بوجود هذه القوة. هذا الدكتور الكسيس كارل في كتابه «الانسان ذلك المجهول» يقول[27]:

«اننا نجزم بأنّ الإكتشافات العلمية ليست حصيلة الفكر الإنساني لوحده، وان النوابغ بالإضافة لقوة المطالعة وادراك القضايا التي يمتلكونها يتمتعون بخصائص أخرى؛ كالاشراق، والتصور الخلاق. فهم يحصلون بالاشراق على أشياء تخفى على الآخرين، و يرون العلاقة المجهولة القائمة بين بعض القضايا التي لا تبدو مترابطة ـ ظاهراً ـ ويحصلون على كنوز مجهولة بفراستهم. ان كل العظماء يتمتعون بموهبة الإشراق، فهم يعلمون دون دليل أو تحليل بالأشياء اللازم معرفتها. ان مديراً واقعياً لا يحتاج في مجال انتخاب من يعملون تحت ادارته الى ذكاء وأوراق للمعلومات، وان قاضياً جيداً يستطيع ـ دون التوجه لجزئيات الموارد وفقرات القانون وربما احياناً بدون التوجه لكلام الطرفين ومع كونه مواجهاً بدعاوى خاطئة ـ يستطيع ان يصدر الحكم الصحيح.

و ينجر عالم كبير بطبيعة نحو طريق يؤدي الى حصول اكتشاف جديد، وهذه هي الحالة التي كان يطلق عليها سابقاً الإلهام.

يمكن تقسيم العلماء الى مجموعتين: إحداهما؛ منطقية، والأخرى؛ اشراقية. ورقي العلوم، رهين المجموعتين المفكرتين. والعلوم الرياضية التي تملك أُسساً منطقية كاملة؛ نجد ان الإشراق يملك فيها سهماً رغم ذلك.. والإكتشافات الأشراقية يجب ان تقاس بواسطة المنطق دائماً وتتحول الى المجال العملي. وفي الحياة العادية أيضاً مثلها مثل القضايا العلمية، يشكل الإشراق عامل تعرف قوي وخطير في نفس الوقت وتمييزه عن الوهم مشكل، والذين اسلموا زمام أمورهم اليه فقط يتعرضون للخطأ، لانه ليس صادقاً وصائباً دائماً. والكبار وذوو القلوب الطاهرة هم لوحدهم يستطيعون ان يصلوا الى كمال علو الحياة المعنوية. ان هذه الموهبة محيرة حقاً، وادراك الواقع دون دليل وتعقل أمر لا يمكننا ان نفسره».

وفي ختام هذا القسم من اللازم ان نذكر بانه و إنْ كان الإلهام والإشراق وسيلة للحصول على المعارف، إلاَّ ان هذه النافذة غير مفتوحة لكل أحد في كل وقت:

«ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء...».

(الجمعة: ٤)

والسبيل المفتوح أمام الجميع ـ ويجب ان يستفاد منه في مجال معرفة الطبيعة بشكل مستمر ـ هو الإستفاده من التجربة والتفكر، ومن الطبيعي انه لكي يصل هذا الطريق الى النتيجة الصحيحة يجب أن تتوفر شرائط الصدق التي سنشير اليها في الأقسام اللاحقة.

مراتب معرفة الطبيعة

رأينا انه من وجهة نظر القرآن قد اودع استعداد معرفة الطبيعة في أفراد الإنسان، وان عليهم من خلال الاستفادة من الحواس الظاهرية والعقل ان يعرفوا الآيات الإلهية و يتمكنوا من التقرب اليه تعالى. وهنا نريد ان نقول ان القرآن في كل موضع ذكر فيه الآيات الإلهية في عالم الطبيعة جعل قابلية فهمها مخصوصة بمجموعة معينة، وها نحن نذكر نماذج من هذه الآيات:

حول المفكرين:

«هو الذي انزل من السماء ماءً لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون * ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون».

(النحل: ١٠-١١)

«وسخّر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون».

(الجاثية: ١٣)

حول العقلاء:

«ان في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما

انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون» .

(البقرة: ١٦٤)

«وسخّر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخّرات بأمره ان في ذلك لآيات لقوم يعلقون» .

(النحل: ١٢)

حول أولي الالباب:

«ان في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب» .

(آل عمران: ١٩٠)

«ألم تر ان الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً ان في ذلك لذكرى لأولي الألباب» .

(الزمر: ٢١)

حول المؤمنين:

«إن في السماوات والأرض لآيات للمؤمنين» .

(الجاثية: ٣)

«ألم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصراً إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون» .

(النمل: ٨٦)

حول المتقين:

«إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السماوات والأرض لآيات لقوم يتقون» .

(يونس: ٦)

«خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون» .

(البقرة: ٦٣)

حول العلماء:

«ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم أن في ذلك لآيات للعالمين» .

(الروم: ٢٢)

«هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب، ما خلق الله ذلك الا بالحق، يفصل الآيات لقوم يعلمون» .

(يونس: ٥)

أهل التذكر:

«وما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه أن في ذلك لآية لقوم يذكرون» .

(النحل: ١٣)

«ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون» .

(الذاريات: ٤٩)

الذين يتبعون الحق:

«ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون» .

(الروم: ٢٣)

«والله انزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض بعد موتها ان في ذلك لآية لقوم يسمعون» .

(النحل: ٦٥)

أهل اليقين:

«وفي خلقكم وما يبثُّ من دابة آيات لقوم يوقنون» .

(الجاثية: ٤)

«وفي الأرض آيات للموقنين، وفي أنفسكم أفلا تبصرون» .

(الذاريات: ٢٠-٢١)

أهل الفقه، التوسم، البصيرة، النّهي ... :

«وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون» .

(الانعام: ٩٨)

«فأخذتهم الصيحة مشرقين، فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ان في ذلك لآيات للمتوسمين» .

(الحجر: ٧٣-٧٥)

«يقلب الله الليل والنهار، ان في ذلك لعبرة لأولي الأبصار» .

(النور: ٤٤)

«كلوا وآرعوا أنعامكم، أن في ذلك لآيات لأولي النّهي» .

(طه: ٥٤)

وحول تعبيرات التفكر والتعقل والتفقه التي جاءت في هذه الآيات ما يستفاد من القرآن هو ان بعضاً منها يتعلق بالمراتب المتخلفة من الإدراك العقلي، والبعض الآخر من لوازم مراتب أُخرى. فمثلاً من المقارنة التالية:

«ان في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب، الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم و يتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً...» .

(آل عمران: ١٩٠-١٩١)

«ان في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار.. لآيات لقوم يعقلون» .

(البقرة: ١٦٤)

«ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السماوات والأرض لآيات لقوم يتقون» .

(يونس : ٦)

«... تزودوا فأن خير الزاد التقوى واتقونِ يا أولى الألباب»

(البقرة: ١٩٧)

«أفمن يعلم انّما أنزل اليك الحق كمن هو أعمى، انّما يتذكر أولوا الألباب».

(الرعد: ١٩)

«وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلاّ العالمون» .

(العنكبوت: ٤٣)

يمكن ان نستفيد أن أُولي الألباب يتمتعون بالعقل والتفكر والتقوى والعلم، كما نستفاد الخصائص الأُخرى لأُولي الألباب من قبيل انهم يتبعون الحق، و يبتعدون عن المتشابهات، و يعبدون الله، و يتمتعون بالحكمة، و يتذكرون و يعتبرون بالماضي. نستفيدها من الآيات التالية:

«فبشر عبادِ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب»

(الزمر: ١١-١٨)

«هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هُنَّ أُم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلاّ أولوا الألباب» .

(آل عمران: ٧)

«أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة و يرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون انما يتذكر أولوا الألباب» .

(الزمر: ٩)

«يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلاّ أولوا الألباب» .

(البقرة: ٢٦٩)

«الم تر أن الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً ان في ذلك لذكرى لأُولي الألباب».

(الزمر: ٢١)

«لقد كان في قصصهم عبرة لأُولي الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون» .

(يوسف: ١١١)

وعلى هذا نجد أُولي الألباب يملكون غالب الخصائص المذكورة في القرآن لفهم الطبيعة، انهم أصحاب العقول الطاهرة مما يمكنهم أكثر لمعرفة أعمق بالطبيعة. وكذلك مقارنة الآيات الشريفة:

«وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون».

(الأنعام: ٩٧)

«وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون».

(الأنعام: ٩٨)

«وهو الذي أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون».

(الانعام: ٩٩)

توضح (كما يذكر العلامة الطباطبائي[٢٨]) انه بالرغم من ان فهم بعض الأُمور المتعلقة بالزراعة ممكن للمؤمنين غير العلماء فإنَّ فهم المسائل النجومية يستلزم وجود سابقة علمية، وفهم الأُمور المتعلقة بالنفس الانسانية واسرارها يحتاج للتحدث النظري والتفقه والتعمق الشديد.

هكذا يمكننا من خلال مقارنة الآيات الأُخرى التي تتضمن تعابير تتعلق بالمعرفة أن نصل الى وجوه الإتفاق والإختلاف بينها.

والنتيجة الكلية التي نحصل عليها من خلال أمثال هذه المقارنات هي:

أولاً - هُناك مستويات مختلفة لمعرفة ظاهرة ما.

ثانياً - ان المقدمات اللازمة لإدراك المسائل المختلفة للطبيعة متفاوتة.

ثالثاً - لكي نحصل على معرفة أعمق عن الطبيعة يجب ان يتحلى الباحثون أكثر فأكثر بكل الخصوصيات التي ذكرتها الآيات الآنفة، وهذه الخصوصيات يمكن تلخيصها في المقولات الثلاثة التالية:

التمتع بالرصيد العلمي، التعقل، الإيمان والتقوى.

ويمكن ان يطرح هنا تساؤل عن الدور الذي يمكن ان يلعبه الإيمان والتقوى في معرفة الطبيعة وعن السر الذي دعى القرآن لأن ينفي المعرفة الصحيحة من قبل غير أهل الإيمان كما جاء في الآيات التالية:

«قل انظروا ماذا في السماوات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون».

(يونس: ١٠١)

«أولم يروا الى الأرض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم أن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين».

(الشعراء: ٧-٨)

«وما أنت بهاد العمي عن ضلالتهم أن تسمع إلاّ من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون».

(الروم: ٥٣)

ولماذا نجد في آيات نظير:

«أن في السماوات والأرض لآيات للمؤمنين».

(الجاثية: ٣)

«إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السماوات والأرض لآيات لقوم يتقون»

(يونس: ٦)

نسب فهم بعض آيات الطبيعة لأهل الإيمان والتقوى؟ أليس التفكير المنطقي يمكن من كل أحد مؤمناً كان أو كافراً؟ وحتى أننا نجد القرآن يستدل في قبال المشركين والكفار بأسلوب منطقي؟ أننا نستمد الجواب بمعونة من القرآن الكريم نفسه ـ فلاحظة التلازم بين التقوى والإيمان.

«... واتقوا الله إنْ كنتم مؤمنين».

(المائدة: ٥٧)

وآيات أخرى نظير:

«إنْ تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً..».

(الانفال: ٢٩)

«إنَّ الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون».

(الاعراف: ٢٠١)

«... ومن يؤمن بالله يهدِ قلبه..».

(التغابن: ١١)

يمكن القول بأنه على اثر الإيمان، تحصل في الانسان ملكة تمييز الحق من الباطل، وتنشط القوة العاقلة بعيداً عن الشوائب والإلقاءات الشيطانية.

يقول العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان بهذا الصدد[٢٩]: «**إن القرآن الكريم إنما اشترط التقوى في التفكير والتذكير والتعقل، وقارن العلم بالجهل للحصول على استقامة الفكر واصابة العلم وخلوصه من شوائب الأوهام الحيوانية والإلقاءات الشيطانية**» وحديث:

«**لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء**»،

المنقول عن الرسول الأعظم يؤيد هذا المعنى[٣٠].

كما روي عن الإمام علي انه قال(ع)[٣١]: «**من لم يهذب نفسه لم ينتفع بالعقل**».

وفي ختام البحث المتعلق بمراتب المعرفة نرى لزاماً علينا أن نذكر بأنَّ القرآن أشار الى مرتبة أسمى وهي: **معرفة ملكوت السماوات والأرض**، فقال:

«وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين»

(الانعام. ٧٥)

«أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء..».

(الاعراف: ١٨٥)

والملاحظ كذلك أن رؤية الملكوت ـ كما تذكر الآية الأولى ـ أدّت الى اليقين. وتوجد تفاسير مختلفة حول الملكوت. فبعض العلماء كالطباطبائي اعتبره الجانب الباطني للأشياء[٣٢] وهو ما يحكي عن

انتسابها لله و قيامها به، ورأى البعض الآخر[٣٢] انه عجائب السماوات والأرض[٣٣] وفسّره آخرون بقوانين الطبيعة[٣٤].

وتوجد حول مسألة رؤ ية الملكوت آراء متنوعة، و يرى غالب المفسرين أنها ليست رؤ ية حسية وانما هي بصيرة عقلية[٣٥] و يقول الإمام الفخر الرازي في تفسير آية:

«وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السماوات والأرض» ما نصه:[٣٦]

« وآعلم أن في تفسير هذه الإراءه قولين: الأول: إن الله أراه الملكوت بالعين... والقول الثاني: إن هذه الإراءة كانت بعين البصيرة والعقل لا بالبصر الظاهر والحس الظاهر»

ثم يقول:

«فثبت بجملة هذه الدلائل أن تلك الاراءة كانت بحسب بصيرة العقل لا بحسب البصر الظاهر»

والقدر المتيقن هو أن مثل هذا النوع يمثل معرفة عمقية حول الطبيعة، ولأنها تؤدي الى اليقين فأنها أسمى مراتب المعرفة، وعليه فأن لازم الحصول على مثل هذا النوع من المعرفة هو توفر كل الخصوصيات المذكورة في الآيات التي أوردناها في هذا القسم من البحث.

آفات المعرفة

قد تسيطر بعض العوامل على عقل الإنسان وتؤدي الى عدم استطاعة العقل لتأدية دوره المطلوب. وهنا نجد ان الأحكام قد تنسب الى العقل، ولكنها في الواقع صادرة من عقل مشوب غير سليم. والعقل في مثل هذه الموارد كما يقول العلامة الطباطبائي هو: **«كالقاضي الذي يقضي بمدارك أو بشهادات كاذبة منحرفة محرّفة، فإنّه يحيد في قضائه عن الحق وإنْ قضى غير قصد للباطل، فهو قاضٍ وليس بقاضٍ، كذلك الإنسان يقضي في مواطن المعلومات الباطلة بما يقضي وانه وإنْ سمى عمله ذلك عقلاً بنحو من المسامحة، لكنه ليس بعقل حقيقة لخروج الانسان عند ذلك عن سلامة الفطرة وسنن الصواب»** فعلى الإنسان الباحث أنْ ينزّه ذهنه عن الأحكام المسبقة التي لا أساس لها والظنيات، و يطهره من الهواجس النفسية والأدران الأخلاقية ليستطيع الوصول الى المعرفة الصحيحة. وللغزالي في كتابه (إحياء العلوم) تشبيه جيد يقول فيه[٣٧]: **«فالقلب في حكم مرآة قد اكتنفته هذه الأمور المؤثّرة فيه، وهذه الآثار على التواصل واصلة الى القلب. اما الآثار المحمودة التي ذكرناها فأنها تزيد مرآة القلب جلاءً واشراقاً ونوراً وضياءً حتى يتلألأ فيه جلية الحق و ينكشف فيه حقيقة الأمر المطلوب في الدين ... وأما الآثار المذمومة فأنها مثل دخان مظلم يتصاعد الى مرآة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد أخرى الى أن يسود و يظلم و يصير بالكلية محجوباً عن الله تعالى...**

اعلم ان محل العلم هو القلب، أعني اللطيفة المدبرة لجميع الجوارح وهي المطاعة المخدومة من جميع الأعضاء وهي بالإضافة الى حقائق المعلومات كالمرآة بالاضافة الى صور المعلومات؛ فكما ان للمتلون صورة ومثال تلك الصورة ينطبع في المرآة ويحصل بها، كذلك لكل معلوم حقيقة ولتلك الحقيقة صورة تنطبع في مرآة

القلب وتتضح فيها، .. فالعالم عبارة عن القلب الذى فيه يحل مثال حقائق الأشياء والمعلوم عبارة عن حقائق الأشياء، والعلم عبارة عن حصول المثال في المرآة...

وكما أن المرآة لا تنكشف فيها الصورة لخمسة أمور: أحدها؛ نقصان صورتها كجوهر الحديد قبل أنْ يدور ويشكل ويصقل، والثاني؛ لخبثه وصدئه وكدورته وإنْ كان تام التشكل، والثالث؛ لكونه معدولاً به عن جهة الصورة الى غيرها كما اذا كانت الصورة وراء المرآة، والرابع: لحجاب مرسل بين المرآة والصورة، والخامس؛ للجهل بالجهة التي فيها الصورة المطلوبة حتى يتعذر لسببه أن يحاذى بها شطر الصورة وجهتها.. فكذلك القلب مرآة مستعدة لأنْ تنجلي فيها حقيقة الحق في الأمور كلها، وانما خلت القلوب عن العلوم التي خلت عنها لهذه الأسباب الخمسة: الأول؛ نقصان في ذاته كقلب الصبي فانه لا يتجلى له المعلومات لنقصانه، والثاني: لكدورة المعاصي والخبث الذي يتراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات فإن ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه فيمتنع ظهور الحق فيه لظلمته وتراكمه، والثالث ان يكون معدولاً به عن جهة الحقيقة المطلوبة فإن قلب المطيع الصالح وان كان صافياً فانه ليس يتضح فيه جلية الحق لأنه ليس يطلب الحق وليس محاذياً بمرآته شطر المطلوب، بل ربما يكون مستوعب الهم بتفصيل الطاعات البدنية أو بتهيئة أسباب المعيشة ولا يصرف فكره الى التأمل في حضرة الربوبية والحقائق الخفية الإلهية، فلا ينكشف له إلاَّ ما هو متفكر فيه من دقائق آفات الأعمال وخفايا عيوب النفس ان كان متفكراً فيها، أو مصالح المعيشة إنْ كان متفكراً فيها. واذا كان تقييد الهم بالأعمال وتفصيل الطاعات مانعاً عن انكشاف جلية الحق فما ظنك فيمن صرف الهم الى الشهوات الدنيوية ولذاتها وعلائقها فكيف لا يمنع عن الكشف الحقيقي؟ والرابع؛ الحجاب، فان المطيع القاهر لشهواته المتجرد الفكر في حقيقة من الحقائق قد لا ينكشف له ذلك لكونه محجوباً عنه باعتقاد سبق اليه منذ الصبا على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن، فان ذلك يحول بينه وبين حقيقة الحق. والخامس؛ الجهل بالجهة التي يقع منها العثور على المطلوب، فان طالب العلم ليس يمكنه ان يحصل العلم بالمجهول الا بالتذكر للعلوم التي تناسب مطلوبه حتى اذا تذكرها رتبها في نفسه ترتيباً مخصوصاً يعرفه العلماء بطرق الاعتبار، فعند ذلك يكون قد عثر عن جهة المطلوب فتنجلي حقيقة المطلوب لقلبه، فان العلوم المطلوبة التي ليست فطرية لا تقتضى إلاَّ بشبكة العلوم الحاصلة ... ومثاله ما ذكرناه من الجهل بالجهة التي فيها الصورة، بل مثاله ان يريد الإنسان ان يرى قفاه مثلاً بالمرآة فانه اذا رفع المرآة بازاء وجهه لم يكن قد حاذى بها شطر القفا فلا يظهر فيها القفا، وان رفعها وراء القفا فيها فيحتاج الى مرآة أخرى ينصبها وراء القفا، وهذه في مقابلتها بحيث يبصرها و يراعي مناسبة بين وضع المرآتين حتى تنطبع صورة القفا في المرآة المحاذية للقفا، ثم تنطبع صورة هذه المرآة في المرآة الأُخرى التي في مقابلة العين، ثم تدرك العين صورة القفا، فكذلك في اقتناص العلوم طرق عجيبة فيها الازورارات.

فهذه هي الأسباب المعارفة للقلوب من معرفة حقائق الأمور، وإلاَّ فكل قلب فهو بالفطرة صالح لمعرفة الحقائق لأنه أمر رباني شريف فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف .

ولهذا نجد القرآن في الآيتين التاليتين:

«... لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون» (الاعراف: ١٠٠)

«واتقوا الله واسمعوا»

(المائدة: ١٠٨)

«يعبر عن عدم سماع كلمة الحق بالطبع على القلب، أي عدم ادراكه (على اثر الذنوب) ويعتبر كونه سميعاً مرتبطاً بالتقوى».

ولنرجع الى بيان الغزالي وما ذكره فيه من عناصر.

وعلى أي حال:

فاننا نجد القرآن الكريم يذكر موانع من المعرفة الصحيحة، ويمكن طرحها تحت عنوان أو عنوانين كليين، ولكنا لكي يتوضح الأمر نضعها بنفس العناوين التي جاءت في القرآن الكريم.

(١) ـ عدم الإيمان:

فهناك آيات كثيرة تعبر عن أن عدم الإيمان يشكل مانعاً كبيراً في سبيل كسب المعرفة الصحيحة.

«ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون».

(المنافقون: ٣)

«وما أنت بهاد العمي عن ضلالتهم إن تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون».

(الروم: ٥٣)

«كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون».

(الانعام: ١٢٥)

«انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون».

(الاعراف: ٢٧)

«ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله..».

(النحل: ١٠٤)

«.. والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمىً».

(فصلت: ٤٤)

وتؤكد بعض الآيات ان مجرد الاعتماد على العلم دون وجود عنصر الإيمان، لا يمكنه ان يؤدي الى المعرفة الصحيحة للطبيعة.

«قل أنظروا ماذا في السماوات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون».

(يونس: ١٠١)

«فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا * ذلك مبلغهم من العلم أن ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى».

(النجم: ٢٩-٣٠)

وكما أشرنا من قبل فان الدور الأساسي للايمان في مجال المعرفة هو ارجاع القوة العاقلة للإنسان الى الحالة المستوية الفطرية.

(٢) - اتباع الهوى والأمل:

وقد كرَّر القرآن حقيقةان اتباع الأهواء و الميول يؤدي الى الضلال:

«فإنْ لم يستجيبوا لك فاَعلم أنما يتبعون أهوائهم ومن أضلَّ ممن اتبع هواه بغير هدى من الله..».

(القصص: ٥٠)

«أفرأيت من اتخذ إلهه هواهُ واضلّه الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون».

(الجاثية: ٢٣)

«ولئن اتبعت اهوائهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير».

(البقرة: ١٢٠)

«.. فاَحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله..».

(ص: ٢٦)

«.. وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم..».

(الانعام: ١١٩)

«..أُولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهوائهم».

(محمد (ص): ١٦)

«.. ومنهم أُميُّون لا يعلمون الكتاب إلاّ أمانيَّ وإن هم إلاّ يظنون».

(البقرة ٧٨)

وقد نُقل عن الرسول الأعظم (ص) انه قال[٣٨]: **«إن أخوف ما أخاف عليكم خصلتان: اتباع الهوى وطول الأمل، أما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة»**.

وعن علي (ع) انه قال: **«عدو العقل الهوى»**[٣٩]،

«الأماني تعمي أعين البصائر»[٤٠].

(٣) - الحب والبغض الأعمى والتعصب:

وهذه أيضاً من العوامل التي تمنع من موضوعية القوة العاقلة - وطلبها للحقيقة - يقول الشاعر:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

و يقول الشاعر المولوي ما ترجمته: عندما يحل الهوى ينعدم الفن وتسدل مئات الحجب العاطفية على العين. والقرآن الكريم يحذر الإنسان - مكرراً - من هذه الأمراض القلبية، فيقول:

«واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون».

(فصلت: ١٧)

«وعاداً وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين».

(العنكبوت: ٣٨)

«... وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين».

(الاعراف: ٧٩)

«ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم..».

(محمد(ص): ٩)

«لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون».

(الزخرف: ٧٨)

«ذلك بأنهم آستحبُّوا الحياة الدُّنيا على الآخرة وأنَّ الله لايهدي القوم الكافرين * أولئكَ الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئكَ هم الغافلون».

(النحل: ١٠٧-١٠٨)

«... وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظنّ السوء وكنتم قوماً بوراً».

(الفتح: ١٢)

«وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حباً انا لنراها في ضلال مبين».

(يوسف: ٣٠)

«... وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل..».

(غافر: ٣٧)

ونقل عن الرسول الأعظم قوله (ص)[٤١]: «حبك للشيء يعمي و يصم».

ونقل عن الإمام علي قوله(ع)[٤٢]: «ومن عشق شيئاً أعشى بصره وأمرض قلبه، فهوينظر بعين غير صحيحة، و يسمع بأذنٍ غير سميعة. قد خرقت الشهوات عقله، وأماتت الدنيا قلبه، وولهت عليه نفسه، فهو عبدٌ لها...»

وجاء في نهج البلاغة[٤٣]: (ان القلب اذا كره عمي).

(٤) ـ التبعية العمياء لآراء الماضين وذوي القدرة والسوابق الذاتية في الذهن.

وهذه أيضاً من الخصال المانعة من طلب الحقيقة. وقد أدانها القرآن مراراً:

«وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا».

(الاحزاب: ...

«بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون».

(البقرة...

«فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن».

(غافر: ٨٣)

«واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون».

(المائدة: ١٠٤)

«وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون * قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما ارسلتم به كافرون».

(الزخرف ٢٣-٢٤)

«وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد».

(هود: ٥٩)

«... فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد».

(هود: ٩٧)

(٤) ـ الاستكبار:

ولأنه قد يتفق للإنسان ـ في حالة بلوغه مرتبة علمية ـ ان لا يتبع الحق غروراً منه، فإنّ القرآن يبشر هؤلاء بالعذاب الإلهي:

«يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها فبشره بعذاب اليم * واذا علم من آياتنا شيئاً اتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين».

(الجاثية: ٨-٩)

«ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلاّ كبرٌ ما هم ببالغيه فاستعذ بالله..».

(غافر: ٥٦)

«الذينَ يُجادلونَ في آيات الله بغير سُلطانٍ أتاهُمْ كَبُرَ مَقْتاً عند الله وعند الذين آمنوا، كذلك يطْبَعُ الله على كُلِّ قلب مُتكبِّرٍ جبَّارٍ».

(غافر: ٣٥)

«فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين * وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين».

(النمل: ١٣-١٤)

«فما اغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن».

(الاحقاف: ٢٦)

«ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء..» .

(الاعراف: ٤٠)

«فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه..» .

(العنكبوت: ٦٨)

«وإنّي كُلّما دعوتهم لِتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم وآستَغْشَوْا ثيابهم وأصروا واستكبروا آستكباراً».

(نوح: ٧)

«ولما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين».

(النمل: ١٣)

سبيل الرُّشْد لا يَتَّخذوه سبيلاً، وإن يروا سبيل الغيِّ يتخذوه سبيلاً، ذلك بأنّهم كذّبوا بآياتِنا و كانوا عنها غافِلين.

(الأعراف: ١٤٦)

«ثم ادبر واستكبر * فقال ان هذا الا سحر يؤثر» .

(المدثر: ٢٣-٢٤)

ونُقل عن الرسول الأكرم قوله (ص)[٤٤]: «يا علي ثلاث مهلكات: شح مطاع وهدى متبع، واعجاب المرء بنفسه» .

ونقل عن الإمام علي قوله (ع)[٤٥]: «العجب يفسد العقل» .

(٦) ـ الجهل واتباع الظن:

ان الكثير من الأخطاء (سواء العلمية أو غيرها) تنشأ من الجهل بالموضوع ومنح الظن قيمة علمية. ولذا فهناك آيات كثيرة تدين الجهل واتباع الظن:

«قالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون» .

(الجاثية: ٢٤)

«وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئاً» .

(النجم: ٢٨)

«قال رب اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم..» .

(هود: ٤٧)

«وما يتبع أكثرهم الا ظناً ان الظن لا يغني من الحق شيئاً» .

(يونس: ٣٦)

«يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية..» .

(آل عمران: ١٥٤)

«... فلم تحاجّون فيما ليس لكم به علم...» .

(آل عمران: ٦٦)

«.. وان كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم..» .

(الانعام: ١١٩)

«ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير» .

(الحج: ٨)

«... قال اعوذ بالله ان أكون من الجاهلين» .

(البقرة: ٦٧)

وروي عن الرسول الأعظم قوله (ص)[٤٦]: «من افتى الناس بغير علم، لعنته ملائكة السماوات والأرض» .

(٧) ـ العجلة في القضاء والحكم:

ان العجلة في كثير من الأحيان تؤدي الى الخطأ في معرفة الحقيقة، ولذا نجد القرآن يحذرنا منها:

«خلق الانسان من عجل سأوريكم آياتي فلا تستعجلون» .

(الأنبياء: ٣٧)

«ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يُقضىٰ اليك وحيه» .

(طه: ١١٤)

وعن الرسول (ص) قوله[٤٧]: «العجلة من الشيطان والتأني من الله عزوجل» .

(٨) ـ عدم التعقل:

ويصنف القرآن بكل شده أسلوب أُولئك الذين يتعاملون مع الظواهر والحوادث تعاملاً سطحياً ولا يفكرون فيها:

«وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير» .

(الملك: ١٠)

«... ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون» .

(يونس: ١٠٠)

«واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً ذلك بانهم قوم لا يعقلون..» .

(المائدة: ٥٨)

«ومنهم من يستمعون اليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون» .

(يونس: ٤٢)

«أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها..» .

(الحج: ٤٦)

«يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون» .

(الروم: ٧)

«وكأيّن من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون» .

(يوسف: ١٠٥)

ثم اننا من خلال مقارنة في الآيتين التاليتين:

«أن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون» .

(الانفال: ٢٢)

«أم تحسب أن اكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم إلاّ كالأنعام بل هم أضل سبيلاً» .

(الفرقان: ٤٤)

نستطيع ان نستنتج أن الفرق الأساسي بين الأنعام والإنسان يكمن في التعقل، ولذا فأن الإنسان الذي لا يفكر، يعود شبيهاً بالحيوان الذي لا يستفيد من حواسه.

الأصول الهادية في معرفة الطبّيعة

قلنا ان القرآن ليس كتاباً في العلوم الطبيعية، واذا تحدّث عن الظواهر الطبيعية، فإنّ ذلك لكي يصل من خلالها الى هداية الإنسان. كما قلنا ان الله تعالى قد أودع في الإنسانية القدرة التي تستطيع بها عبر السعي والاستمداد من الفيض الإلهي ان تصل بالتدريج الى الكثير من الآيات الآفاقية والأنفسية الحقة « **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيّن لهم انه الحق** » و بذلك يتقدم خطوة الى خالق العالم، ونحاول الآن أن نقول أن القرآن لما كان يضمن هداية الإنسان في جميع أبعاد الحياة، فانه من المتوقع ان يعطينا الأُصول الهادية التي يمكن ان نستهدي بها في البحوث الطبيعية أيضاً.

اننا نعتقد ان أكثر الإنحرافات التي حدثت في الماضي في تفسير التحقيقات التجريبية والنظرية، كانت ناتجة من عدم الالتفات الكافي لآفات المعرفة والجهل بالمساحة الحقيقية للبحوث التجريبية والنظرية. وعلى أمل ان لا يتقبل الباحثون المسلمون كل بضاعة مستوردة تقبلاً أعمى، و يستهدوا بتحقيقاتهم بالأُصول القرآنية الهادية والتي يجب ملاحظتها في البحوث العلمية، فاننا نحاول استنتاج هذه الأُصول من القرآن الكريم.

(١) ـ جعل الله هدفاً والاعتقاد الراسخ بالتوحيد:

تركز الآيات القرآنية حقيقة كونه تعالى خالق العالم والحاكم فيه، كل شيء ينشأ منه واليه منتهى كل شيء، وكل الموجودات تسبح له، والهدف من الخلقة الإنسانية هو ان يعمل الإنسان عبر العبادة الى التقرب اليه. والبحث في كشف الطبيعة ليس مستثنى من هذه القاعدة، فالهدف من البحث في الطبيعة يجب ان يتلخّص في رؤية آثار عظمة الفعل الإلهي والإستفادة من الإمكانات المتوفرة لصالح الإنسان وايصاله الى السعادة الأبدية.

اما البحث في الطبيعة لمجرد اشباع حب الإستطلاع في الإنسان، فليس أمراً مقبولاً من وجهة النظر القرآنية. ان عملية معرفة الطبيعة يجب ان لا تقف بنا عند الوسائط وتشغلنا بها، بل عليها ان تذكر بالله دائماً. والانسان الباحث اذا التفت الى ان الله غير محدود من أي جهة، وان كلماته غير محدودة فأنه — عبر هذا التوجه لهذا المنبع اللامحدود — سوف لن يقف عند أي مستوى وانما يسعى للتعرف الأكثر على عظمة الخلقة، لأنه يحس بأنه يتقرب الى الله خالق العالم من خلال هذا الطريق.

إن على المعرفة الطبيعية أنْ توصلنا من أول هذه المجموعة من العلل والأسباب الى آخرها ومبدئها وهو الله تعالى. وهذا هو السبيل الذي سار عليه ابراهيم (ع).

«فلما جنَّ عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما افلَ قال لاأحب الآفلين * فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفلَ قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين * فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم انى بريء مما تشركون * اني وجهت وجهي للذى فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين.».

(الأنعام/٧٦ — ٧٩)

وكانت النتيجة هي رؤية ملكوت السماوات والأرض:

«وكذلك نري ابراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين».

(الأنعام/٧٥)

وهو السبيل الذي دعي لطيه كل الباحثين:

«أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيءٍ...»

(الاعراف/١٨٥)

ان الاعتقاد الراسخ بالتوحيد، يبعث الباحث على ان لا ينظر للطبيعة وكأنها مركبة من أجزاء منفصلة، بل يراها في ترابط تام ناشيء من منبع واحد، انه من خلال هذا التكثر يرى الوحدة. وان تجارب القرون السالفة تظهر ان العلماء كانوا يسعون دائماً لكشف أطروحات تعبّر عن مجموع الطبيعة، فكانت لليونانيين تفسيراتهم عن العالم كله، وفي العالم الإسلامي كانت هناك مدارس تسعى لتعطي نماذج تعبّر عن ترابط أجزاء الطبيعة، وفي المرحلة التاريخية التي تلت النهضة الأوربية الحديثة عمل نيوتن على ان يوضّح عبر مجموعة من القوانين الحركات السماوية والأرضية، وسعى انشتاين بعده لتوسيع الترابط بين الأمور الطبيعية أكثر من الحد الذي تصوّره نيوتن. وفي السنين الأخيرة انصبّت جهود الباحثين المتخصصين في الفيزياء النظرية على ارجاع كل القوى الطبيعية الى أصل واحد، والذي يبدو من خلال كل هذه المراحل ان العلماء كانوا يسعون من خلال العثور على نماذج مناسبة كي يفسروا كل الظواهر الطبيعية، واذا كانت التجربة قد تمّت في الأرض فانهم ارادوا تعميمها لكل عالم الطبيعة. لقد لوحظت حصلة **طلب الوحدة** بين العلماء الماديين وغير الماديين، مما يعبّر عن أنها تنشأ من أمر فطري. والاختلاف الموجود بين الماديين وغيرهم هو وقوف الماديين عند ظواهر، في حين رأى غيرهم ان وحدة التدبير تعبّر عن وحدة المدبّر. تقول الآية الشريفة — وهي تعبّر عن الموقف الأول:

«وقالوا ما هي إلاّ حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلاّ الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم إلاّ يظنون».

(الجاثية/٢٤)

في حين تقول الآية الاخرى ــ معبّرة عن الموقف الثاني ــ:

«خلق السماوات والأرض بالحق تعالى عما يشركون».

(النحل/٣)

وعلى أي حال: فإنّ التوجه الى مبدأ التوحيد، هوالذي يستطيع لوحده ان يوضّح و يوجّه هذا الإنسجام المتوفر في عالم الطبيعة، وهذا الاتجاه نحو التصور الواحد، وإلاّ فان أي بحث في الطبيعة سوف يكون مجرد عبث ولهو ــ دون التوجه للمبدأ المذكور ــ أكثر ما يمكن ان يؤدي اليه هو القيمة المحدودة المؤقتة.

والنتيجة الأخرى التي نحصل عليهابعدالإعتمادعلى مبدأ التوحيد، هي ان الباحث بعد ملاحظته للترابط الموجود بين أبعاد الطبيعة المختلفة، تتكون لديه نظرة توحيدية بالنسبة للعلوم المتنوعة، فهو ينظر الى أي جزء منها كمعرف تال من عالم الخلقة، ولا يرفض أيّاً من الأجزاء بحجة عدم معرفة حقيقته.

(٢) ــ الايمان بالغيب ومحدودية المعرفة البشرية:

إن القرآن يعلّمنا أن المعرفة البشرية محدودة:

«وما أُوتيتم من العلم إلاّ قليلاً».

(الاسراء/٨٥)

«سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون».

(يس/٣٦)

و يعلّمنا ان هناك الكثير من الأشياء التي لا ندركها بالحواس الظاهرية:

«فلا أُقسم بما تبصرون وما لا تبصرون».

و يؤكد لزوم ايماننا بالغيب، أي الحقائق غير المحسوسة:[48]

«ذلك الكتاب لاريب فيه هدىً للمتقين الذين يؤمنون بالغيب، و يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون».

(البقرة/٣)

إن الإيمان بمحدودية العلم الإنساني والغيب، يؤدي أولاً ــ لئلا يتوقف الذهن الإنساني عن المحسوسات، وثانياً ــ لئلا نظن في أي زمان كان اننا اكتشفنا كل الحقائق.

وطبيعي ان هذا لا يستلزم ان لا يصل الإنسان الى كشف أي من حقائق الطبيعة، وإنما يعرفنا على ان لا ندّعي ــ في زمان خاص ــ اننا نمتلك المعرفة الكاملة بالنسبة لظاهرة طبيعية. يقول سيد قطب في تفسير الآية الثالثة من سورة البقرة:[49]

«والإيمان بالغيب هو العقبة التي يجتازها الإنسان، فيتجاوز مرتبة الحيوان الذي لا يدرك إلاّ ما تدركه حواسه، الى مرتبة الإنسان الذي يدرك ان الوجود أكبر واشمل من ذلك الحيّز الصغير المحدود الذي تدركه الحواس أو الأجهزة التي هي امتداد الحواس ــ وهي نقلة بعيدة الأثر في تصور الإنسان لحقيقة الوجود كله، ولحقيقة وجوده الذاتي، ولحقيقة القوى المنطلقة في كيان هذا الوجود، وفي احساسه بالكون وماوراء الكون من قدرة وتدبير، كما أنها بعيدة الأثر في حياته على الأرض، فليس من يعيش في الحيّز الصغير الذي تدركه حواسه كمن يعيش في الكون الكبير الذي لا تدركه بديهته، و بصيرته، و يتلقى اصداءه وايحاءاته في أطوائه وأعماقه، و يشعر ان مداه أوسع في الزمان والمكان ومن كل ما يدركه وعيه في عمره القصير المحدود، وان وراء الكون ظاهرة خافية، وحقيقة أكبر من الكون، هي التي صدر عنها واستمد من وجودها وجوده».

(٣) ــ طلب الحق:

والمبدأ المهم في البحوث العلمية، هو ان لايكون الباحث تابعاً للهوى والتعصب والأغراض الشخصية، وأنْ يسير لمجرد كشف الحقيقة:

«فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أُولئك الذين هداهم الله وأُولئك هم أولوا الألباب».

(الزمر/١٨)

ومن الآيات الشريفة:

«ومن آياته منامكم في الليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون».

(الروم/٢٣)

«والله أنزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض بعد موتها ان في ذلك لآية لقوم يسمعون».

(النحل/٦٥)

«هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون».

(يونس/٦٧)

«يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبراً كأنْ لم يسمعها فبشره بعذاب أليم».

(الجاثية/٨)

يستفاد ان الآيات الإلهية انما تكون مؤثرة ومربية لأُولئك الذين يملكون أُذُناً سميعة، و يفكرون فيما يسمعون، و يقبلون ذلك إنْ رأوه حقاً[٥٠].

(٤) ــ تجنب النفي والإثبات دون دليل:

ان القرآن يرغبنا في طلب البرهان، ويحذرنا من اتّباع الظن:

«قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون».

(الانعام/١٤٨)

«ولا تقف ماليس لك به علم * ان السمع والبصر والفؤاد كل أُولئك كان مسئولاً».

(الاسراء/٣٦ ــ ٣٧)

والمبدأ المهم في البحوث العلمية، هو ان لا نقبل شيئاً دون دليل، أو نرفضه دون دليل:

«الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله إلاّ الحق».

(الاعراف/١٦٩)

«بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله..».

(يونس/٣٩)

وقد روي عن الإمام الصادق (ع) قوله[٥١]: **[ان الله تبارك وتعالى عيّر عباده بآيتين من كتابه: ان لا يقولوا حتى يعلموا ولا يردوا ما لم يعلموا. قال الله عزّوجلّ: «الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق» وقال: «بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله»].**

ان عدم مراعاة هذا المبدأ من قبل بعض الباحثين في العلوم الطبيعية ـــ مع الأسف ـــ قد أدى الى تعميمات خاطئة وانكارات دون دليل، وعاد على الإنسانية بخسائر مادية ومعنوية جسيمة. وان الالحاد والمادية المسيطرين على بعض المجتمعات البشرية، هي نماذج واضحة من الغفلة عن المبدأ المذكور، وان أولئك الذين يبنون أحكامهم على أساس من الحس ليس لهم ان ينكروا ما فوق الحس، وأكثر ما لهم ان يصنعوه هو التوقف عن الحكم وابداء الرأي. وعلى كل الباحثين ان يلتفتوا الى نصيحة الشيخ الرئيس ابي علي بن سينا في آخر النمط العاشر من الإشارات وهي في الواقع تفسير جيل للآيات السالفة اذ يقول:[٥٢]

«إيّاك ان يكون تكيُّسك وتبرُّؤك عن العامة هو ان تبري منكراً لكل شيء فذلك طيش وعجز، وليس الخرق في تكذيبك ما لم يستبن لك بعد جليته دون الخرق في تصديقك ما لم تقم بين يديك بينة، بل عليك الإعتصام بحبل التوقف، وان ازعجك استنكار ما وعاه سمعك ما لم تتبرهن استحالته لك، فالصواب ان تسرح أمثال ذلك الى بقعة الإمكان مالم يذدك عنه قائم البرهان. وأعلم ان في الطبيعة عجائب، وللقوى العالية الفعالة والقوى السافلة المنفعلة اجتماعات على غرائب».

(٥) ـــ الاعتقاد بوجود النظام والغاية في الطبيعة:

رأينا ـــ من قبل ـــ ان القرآن الكريم أكد كثيراً على النظام السائد بين الظواهر الطبيعية والتناسق بين أجزائها المختلفة وذكر ـــ مكرراً ـــ بأنّ خلق الأشياء لم يكن عبثاً ودون هدف.

«وكل شيء عنده بمقدار».

(الرعد/٨)

«وخلق كل شيء فقدّره تقديراً».

(الفرقان/٢)

«ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور».

(الملك/٣)

«هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون». (يونس/٥)

ان الإيمان بهذا المبدأ، والإعتقاد بقانون العلية، يعدُّ أساساً رئيساً لكشف القوانين السارية في الطبيعة، بل انه لولا قبول النظام ـ أساساً ـ يُعدُّ كل سعي لكشف العلاقات الطبيعية، أمراً عبثاً. وما نراه من إقدام العلماء الطبيعيين على تعميم نتائج تجاربهم الطبيعية وتلقيها بشكل قوانين عامة، إنما هو نتيجة ايمانهم العميق بوجود النظام في الطبيعة والتناسق بين أجزائها.

ان الإعتقاد بهذا المبدأ يؤدي الى ان نتّهم أنفسنا ـ حينما لا نستطيع العثور على وجه النظام في ظاهرة طبيعية ما ـ بأنَّ ذلك ناتج من جهلنا نحن، لا من عدم وجود النظام وسيطرة الصدفة في الطبيعة.

وعندما سيطر الميكانيك الكوانتمي في الربع الأول من القرن العشرين، انكر البعض من المتضلعين في الفيزياء النظرية وجود النظام في المجال الذري، وهنا انبرى انشتاين ـ رغم انه لم يوفق لإبداء نظرية في قبال الفرضية الموجودة، ليرد على ذلك معتمداً على أصل النظام في الطبيعة، فقد كتب في رسالة بعثها في ديسمبر ١٩٢٦ الى بورن ـ يقول[٥٣]:

(ان الميكانيك الكونتمي دو عظمة حقاً، إلا أن نداءً من الأعماق يقول لي بأنّه ليس لحد الآن شيئاً واقعياً، ان هذه النظرية لها مضمون كثير، إلا أنها لا تقرّبنا ـ واقعاً ـ من أسرار الذات القديمة، وعلى أي حال فإنّي اعتقد ان الله لا يقامر بالنرد).

وكذلك نجده يقول في رسالة بعثها الى بورن في سبتمبر ١٩٤٤:[٥٣]

(لقد غدونا أنا وأنت ـ من الوجهة العلمية ـ في قطبين متضادين، فأنت تعتقد بالله الذي يقامر بالنرد، وأنا اعتقد بالنظام الكامل في العالم الذي له واقع، وإني بشكل لا يمكن السيطرة عليه أسعى ـ عبر الفحوص النظرية ـ لكشفه... انه حتى التوفيق الأولي الذي حصَلَتْ عليه نظرية الكوانتم، لا يجعلني أؤمن بهذه المقامرة الرئيسة، وإنْ كنت أعلم تماماً بأنَّ زملائي الشباب يرون ذلك من عوارض الشيب... ولاريب في مجيء يوم يتوضح فيه ان أيّاً منّا على صواب في رؤيته الشهودية).

(٦) ـ الاعتقاد بنظام الأسباب والمسببات (العلّية العامة والفروع التي لا تنفك عنها):

ان مبدأ العلية العامة يقول بأن أية حادثة تحتاج الى محدث. و ينشأ من هذا المبدأ فرعان:

الف) ـ مبدأ الضرورة العلية والمعلولية:

فانه مع وجود العلة، يكون وجود المعلول ضرورياً، كما يستحيل وجود المعلول مع عدم العلة.

ب) ـ مبدأ السنخية بين العلة والمعلول:

العلل المتساوية تؤدي الى معلولات مساوية ولا ينفك هذان المبدآن عن مبدأ العلية العامة. والتخلف عن أي منهما يعني التخلف عن مبدأ العلية[٥٤]. بعد هذه المقدمة القصيرة نحاول ان نستعرض تأكيد القرآن على مبدأ العلية، ففي القرآن آيات كثيرة جاءت تتحدث عن السنن الإلهية التي لا تتخلف:

«سُنَّة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلاً».

(الاسراء/٧٧)

«سُنَّة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجدَ لسُنَّة الله تبديلاً».

(الاحزاب/٦٢)

«..فهل ينظرون إلاَّ سُنَّة الأولين فلن تجد لسُنَّة الله تبديلاً ولن تجد لسُنَّة الله تحويلاً».

(فاطر/٤٣)

«يريد الله ليبيّن لكم ويهديكم سُنن الذين من قبلكم..».

(النساء/٢٦)

«... فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله..».

(الروم/٣٠)

وقد عرضت بعض الآيات، نماذج لهذه السُّنن:

«إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم..».

(الرعد/١١)

«واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها..».

(الاسراء/١٦)

«وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض..».

(النور/٥٥)

كل هذه الآيات مع آيات أخرى من قبيل:

«... وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم..».

(البقرة/٢٢)

«... والله أنزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض بعد موتها..».

(النحل/٦٥)

«ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكَراً ورزقاً حسناً..».

(النحل/٦٧)

«وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل».

(الفيل/٣ ــ ٤)

«قاتِلوهُمْ يُعَذّبْهُمُ اللهُ بأيْديكُمْ ويُخْزِهِمْ وينصُركُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمنينَ».

(التوبة: ١٤)

«ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً..».

(المؤمنون/١٢ ــ ١٤)

«وأرسَلنا الرِّياحَ لواقِحَ».

(النحل: ٢٢)

والتي تحدثنا عن كون بعض الموجودات مقدمات لوجود الأخرى، أو كون بعض الأشياء وسائط لحدوث بعض الظواهر — وكذلك الآيات التي تتحدث عن النظام — كل هذه الآيات تؤكد قبول القرآن لمبدأ العلية: أي انه لكل ظاهرة مجرى خاص، من خلاله يأتي الفيض الإلهي. ففي مثل هذا النظام العلّي والمعلولي، لا يتحقق شيء إلاّ بإذن الله ولكن من سبيل خاص. وان آيات من قبيل:

«والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلاّ نكداً..» .

(الأعراف/٥٨)

«الم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء * تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها... ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار» .

(ابراهيم/٢٤ — ٢٦)

تؤيد هذا الأمر — فإنّ هذه الآيات تؤكد انه في نفس الوقت الذي يتم نمو النباتات فيه بإذن الله، تعتبر قابلية الأرض لنمو النباتات. فلا ينمو النبات في أي أرض. وعندما تكون الأرض قابلة فإنّ السُّنّة الإلهية تعطي النبات امكانية النمو. و كذلك الآيتان الشريفتان: **قد جاءكم من الله نورٌ و كتابٌ مُبينٌ * يهدي به ا لله من اتّبَعَ رضوانه سُبلَ السلامِ ويُخرجهم من الظلمات الى النُّور بإذنه...** (المائدة: ١٥، ١٦) تعبران عن كون القرآن وسيلة للهداية ولكن لمن يسعون لتحقيق الرضا الإلهي.

وقد حاول بعض المتكلمين بملاحظة الآيات التالية:

«قل الله خالق كل شيءٍ وهو الواحد القهار» .

(الرعد/١٦)

«والله خلقكم وما تعملون» .

(الصافات/٩٦)

«الا له الخلق والأمر» .

(الاعراف/٥٤)

«بل لله الأمر جميعاً» .

(الرعد/٣١)

«أفرأيتم ما تحرثون * أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون» .

(الواقعة/٦٣ — ٦٤)

التي تنسب خلق العالم وتدبيره لله، وكذلك آيات من قبيل:

«قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم» .

(الانبياء/٦٩)

وهي تتحدث خرق العادة — حاولوا ان ينكروا نظام الأسباب والمسببات في عالم الطبيعة وادعوا ان الأسباب والوسائط المادية لا تملك أي دور في تحقق الظواهر، وان علة حدوث أي ظاهرة هي

الإرادة الإلهية، غير ان عادة الله جرت على ان يخلق ما نسميه معلولاً بعد ما نسميه علة دون ان تكون هناك بينهما أية علاقة تجعل وجود المعلول بعد وجود العلة أمراً ضرورياً، فليس النار هي سبب احتراق القطن، وانما هي عادة الله جرت على احتراقه عند وصول النار اليه. ومتى ما لم يشأ، لم يحترق القطن.

يقول الغزالي في تهافت الفلاسفة[55]:

(الإقتران بين ما يعتقد في العادة سبباً، وبين ما يعتقد مسبباً، ليس ضرورياً عندنا، بل كل شيئين، ليس هذا ذلك، ولا ذلك هذا، ولا اثبات أحدهما متضمناً لاثبات الآخر، ولا نفيه متضمناً لنفي الآخر، فليس من ضرورة وجود أحدهما، وجود الآخر، ولا من ضرورة عدم أحدهما، عدم الآخر، مثل الري والشرب، والشبع والأكل، والإحتراق ولقاء النار والنور وطلوع الشمس، والموت وجز الرقبة، والشفاء وشرب الدواء واسهال البطن واستعمال المسهل، وهلم جرّاً، الى كل المشاهدات، من المقترنات في الطب والنجوم والصناعات والحرف.

فان اقترانها لما سبق من تقدير الله سبحانه، بخلقها على التساوق، لا لكونه ضرورياً في نفسه، غير قابل للفوت، بل في المقدور خلق الشبع دون الأكل، وخلق الموت دون جز الرقبة، وادامة الحياة، مع جز الرقبة، وهلم جرّاً الى جميع المقترنات).

وأنكر الفلاسفة امكانه، وادعوا استحالته،

والنظر في هذه الأمور الخارجة عن الحصر يطول، فلنعين مثالاً واحداً، وهو الاحتراق في القطن مثلاً، عند ملاقاة النار. فانا نجوّز وقوع الملاقاة بينهما دون الإحتراق، ونجوّز حدوث انقلاب القطن، رماداً محترقاً، دون ملاقاة النار، وهم ينكرون جوازه.

وللكلام في هذه المسألة ثلاثة مقامات:

المقام الأول:

أن يدّعي الخصم، أن فاعل الإحتراق، هو النار فقط، وهو فاعل بالطبع لا بالإختيار، فلا يمكنه الكفّ عما هو في طبعه، بعد ملاقاته المحل قابل له.

وهذه مما ننكره، بل نقول: فاعل الإحتراق، بخلق السواد في القطن، والتفرق في أجزائه، وجعله حراقاً، أو رماداً، هو الله تعالى، اما بوساطة الملائكة، أو بغير وساطة، فأما النار وهي جماد، فلا فعل لها.

فما الدليل على أنها الفاعل؟ وليس لهم دليل، الا مشاهدة حصول الاحتراق منذ ملاقاة النار، والمشاهدة تدل على الحصول عندها، ولا تدل على الحصول بها، وأنه لا علة له سواها.

وكما يقول العلامة الطباطبائي في الميزان[56]:

«وهؤلاء انما وقعوا فيما وقعوا من جهة خلطهم بين العلل الطولية والعرضية، وانما يستحيل توارد العلتين على شيء اذا كانتا في عرض واحد، لا اذا كانت احداهما في طول الأخرى، مثال ذلك ان العلة العامة لوجود النار كما توجب وجود النار كذلك توجب وجود الحرارة، ولا يجتمع مع ذلك في الحرارة ايجابان، ولا تعمل فيها علتان تامتان مستقلتان، بل علة معلولة لعلة.

وبتقريب آخر أدق: منشأ الخطأ، هو عدم التمييز بين الفاعل بمعنى ما منه، والفاعل بمعنى ما به..».

وعلى هذا الأساس فانّ آيات من قبيل:

«أفرأيتم ما تحرثون ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون* لو نشاء لجعلناه حطاماً فظلتم تفكهون... أفرأيتم الماء الذي تشربون ءأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه اجاجاً فلولا تشكرون»

(الواقعة ٦٢ ــ ٧٠)

وقد وقعت مورد الاستدلال لبعضٍ مثل الإمام الفخر الرازي لنفي نظام الأسباب والمسببات، لا تحكي عن نفي العلل والوسائط المعدة في حدوث الظواهر الطبيعية[٥٦]، وانما تنظر الى حقيقة أننا يجب ان لا نتوقف عند مسارب الفيض، ونغفل عن العلة الأصلية الحكيمة في كل عالم الوجود والأشياء وعلى رأس النظام الطولي للعلل، ونتصور لها استقلالية. يقول الدكتور الشهيد السيد بهشتي[٥٧]:

«إن الأمر هو ان القرآن يريد ان يصل بالبشرية بهداية الفطرة من ابتداء هذه السلسلة أي المحسوسات الى نهايتها أي الله، يريد أنْ لا يقف الإنسان عند هذه العلل المتوسطة، وبالتالي يتأخّر عن الوصول الى المبدأ. انه يقول له في كل الآيات، كن يقظاً ــ فعندما تطالع العالم تجنّب الغرق، وأحذر أن يفلت منك الزمام، لا تغرق في عالم المادة والممكنات... صحيح انك تقوم ببعض الأعمال ــ في زراعتك ــ ويجب عليك أن تقوم بها.. ولكن عليك أن لا تظن أبداً أن الأمر بيديك، كلا فأنه قد تقوم بكل أنماط الدقة والصيانة، وتستعمل كل الوسائل القديمة والحديثة، ولكن النبتة الخضراء تبتلى بالجفاف فجأة، فأنت إذن وكل الوسائل التي هي طوع يديك، أصغر من أن يكون الأمر بيدك ... صحيح أن ماء الشرب يهطل من السحاب، ولكن العين النافذة لا تركز أو تتوقف على السحاب، ولا تعتبره ماءً زلالاً، فمن الممكن أن ينزل المطر ملوثاً مجالاً أستطيع أن أشرب منه قطرة، فليس أمر ماء الشرب بيد السحاب، وانما هو بيد ذلك القدير العليم الذي خلق السحاب وهيأ العوامل لتعمل بأمره ويصل اليك ماء الشرب الزلال».

اما عن الاعجاز فنقول فيه انه بملاحظة الآيات التي تؤكد عدم التخلف في السُّنن الإلهية، نعتقد انه ليس من اللازم المصير الى الإستثناء في القوانين الطبيعية... واذا رأينا تخلفاً عن قانون طبيعي فلا يدل هذا لزوماً على عدم صحة ذلك القانون أو انتقاض قانون العلية، ذلك انه من خلال الإستفادة من قانون في هذا العالم يمكن منع القانون الآخر من التأثير، فلو أن جسماً سقط على اثر الجاذبية الأرضية فأنه يمكن منع هذا القانون من التأثير بقوة أخرى، فإذا رأينا جسماً معلّقاً في الفضاء لم يكن من الطبيعي افتراض انه لا وجود لقانون الجاذبية بل يجب فرض وجود قوة أخرى غير الجاذبية.

وعلى أي حال فانه ــ وكما يقول الشهيد المطهري[٥٩] ــ:

«لا قوانين الخلقة تقبل الإستثناء، ولا الأعمال الخارقة للعادة تشكل استثناءً في قوانين الخلقة. فإذا شوهد تغيير في سنن العالم فانما هو لتدخل سنن وقوانين أخرى هي بدورها كلية حسب شرائطها الخاصة بها بمعنى أن تغيير القانون بدون قانون آخر أمر غير ممكن، فإذا ولد طفل مثل عيسى بن مريم (ع) دون أب فانّ ذلك ليس خلافاً للسُّنن الإلهية وقوانين العالم، وإنّما الإشكال في أن البشر لا يعرف قوانين العالم وسننه، وفي كثير من الموارد يكون ما نسميه قانوناً هو بمجرد قشر لا أكثر».

و بعد حدوث نظرية الكوانتم في الفيزياء، وطرح مبدأ عدم القطعية من قبل هايزنبرغ في اوائل الربع الثاني من القرن العشرين، أنكر بعض المؤسسين لهذه النظرية وجود النظام المتين والقطعي لعالم الذرة، ورأوا أن من الممكن التخلف عن مبدأ السنخية العلية والمعلولية، ومبدأ الضرورة العلية والمعلولية، ومن الطبيعي انه باستثناء بعض الفيزيائيين البارزين كبلانك وانشتاين ــ أيّد هذه النظرية الباقون لحصولها على نجاح باهر، قبلوا تعابيرها إنْ قليلاً أو كثيراً، وما زال هذا الوضع قائماً وإنْ كان عدد مخالفي هذا التعبير الإحتمالي عن الحوادث الداخلية للذرة يزداد يوماً فيوماً.

ومن جهة أخرى نجد بعض الفضلاء المسلمين يحبون نظرية المتكلمين المهجورة، و يعتبرون نظرية الكوانتم شاهداً على مدعاهم[٦٠] والحقيقة هي:

أولاً:

اذا اسقطنا مبدأ العلية في عالم الذرة والعالم الأدنى من الذرة من الاعتبار، فقد اسقطنا مبدأ العلية نفسه في العالم عن الإعتبار، ذلك ان العلية في كل العالم مترابطة. وهذا كما يقول الشيخ الشبستري: «**اذا سحبت ذرة من مكانها اختل العالم بكل أركانه**».

وثانياً:

نقول بما ذكر به الشهيد المطهري حيث قال[٦١]: «**اذا لم نقبل قانون العلية ــ لم نستطع الإذعان بأي قانون علمي** (تجريبي أو غير تجريبي) ذلك ان أي قانون علمي هو حصيلة مجموعة من مقدمات القياس أو غير القياس، وبحصول تلك المقدمات يكون القانون العلمي ــ وهو حصيلتها ــ قطعياً، فإذا كان قانون العلية كاذباً لم تكن هناك أية علاقة بين المقدمات لأي دليل والنتيجة له بمعنى اننا لا نستطيع ان نجعل أي موضوع ثمرة لأي دليل، واذا كان قانون السنخية العلية والمعلولية كاذباً امكننا ان نستنتج ما شئنا من ثمرات ونتائج من أية مقدمات كانت، بل ربما أمكن توقع أي شيء آخر، فمثلاً نتوقع من الحجر الوصول الى درجة سامية من العلم نتيجة التغذية المعينة لإنسان ما. واذا كان قانون الضرورة العلية والمعلولية باطلاً لم يكن من الصحيح ان ننتظر حصول الشيء حتى مع اجتماع كل الشرائط والمقدمات واجزاء العلة، أي مع هذه الحال يمكن ان يوجد الشيء كما يمكن ان لايوجد، ومعنى ذلك ان وجود كل مقدمات الدليل في الذهن وعدم وجودها على حد سواء ذلك انه لو كذب مبدأ الضرورة بين العلة والمعلول، لم تكن هناك ضرورة لا بين وجود العلة ووجود المعلول ولا بين عدم العلة وعدم المعلول، وعليه فسواء وجدت العلّة أو عدمت، يكون المعلول ممكن الوجود وممكن العدم، فوجود العلّة يساوي عدمها.

ان خطأ هؤلاء السادة له منشأ آخر وهو أنهم لم يشاؤا أو لم يستطيعوا أن يفرّقوا بين كونه مبدأ العلّية مبدأ واقعياً و بين تطبيقه واستعماله في المظاهر الداخلية للذرة. ان الأمر الصحيح الذي يتعلق بعالم التجريبيات الفيزياوية ــ وهو ما أبداه هؤلاء وقبله الآخرون رغماً عنهم هو ان قانون العلّية لايمكنه ان يكون هادياً للعلماء في عالم الذرة. ان مبدأ العلّية انما يمكنه أن يكون مرشداً للفيزياء اذا استطاع العالم بمعونته أن يتوقع من الوضع القائم تنبؤاً قطعياً. وطبيعي ان التنبؤ القطعي انما يمكن اذا كانت كل

المقدمات الدخيلة في معرفة الوضع الآني تحت الملاحظة والحساب الدقيق، اما اذا لم تكن كذلك فإنّ امكان التنبؤ غير متوفرة في البين، والمسلم هو ان علماء الفيزياء لم يستطيعوا ان يخضعوا الوضع الموجود داخل الذرة لحساباتهم الدقيقة ليستطيعوا ان يحصلوا من خلال ذلك على التنبؤات المسلمة. وانه من الطبيعي ان يدور الأمر بين قصر العلم اليوم في هذا المجال وعدم قدرته على الحساب الدقيق لجميع العوامل الدخيلة، وبين كون الحوادث هناك غير مترابطة ترابطاً قوياً ـ في الواقع ونفس الأمر ـ وكذب قانون العلّية. ومن البديهي انه ليس هناك أي دليل على ان العلم اليوم قد طوى كل المراحل وعرف كل العناصر. ان لازم كون مبدأ العلية واقعياً ليس هو امكان تنبؤ الإنسان بالمستقبل، وانما لازم اطلاع الإنسان على تلك المقدمات والعلل امكان التنبؤ، واذا شئنا الإستنتاج بشكل منطقي، قلنا:

«يجب أن لانستنتج من عدم امكان التنبؤ في بعض الموارد عدم كون مبدأ العلية واقعياً، وانّما نكتفي باستنتاج اننا غير مطلعين على وجود مثل هذه العوامل القطعية، وذلك اما لعدم وجودها أصلاً أو أنها موجودة ولكنّا لم نستطع العثور عليها».

وهذا انشتاين في رسالة بعثها في ابريل ١٩٢٤ الى بورن يؤكد أيضاً هذه الحقيقة فيقول:

«انني لا أرغب في أن أكون مضطراً لرفض العلية المحضة، دون أن أدافع عنها أكثر من ذي قبل، انني أرى أن الرأي القائل ان الالكترون الداخل في مجال أشعة الكترومغناطيسية يختار ـ بحرية ـ لا زمان طفرته (الى مدار آخر فحسب بل يحدد ـ بالحرية ذاتها ـ اتجاهه) هذا الرأي مما لايمكن قبوله، انني ارجح في تلك الحالة أن أكون اسكافياً أو عاملاً في محل للقمار بدلاً من أن أكون عالماً فيزياوياً. ولاريب في ان مساعيّ لمنح الشكل الملموس للكوانتا قد فشلت مرات عديدة، ولكني بعيد جداً من أن أفقد الثقة حتى ولو لم تصل مساعيّ الى شيء... ويبقى هذا الأمل المسلّي لي دائماً بأنّ عدم التوفيق هنا يرتبط بي تماماً».

و يقول أيضاً في مقدمة له على كتاب مجموعة مقالات بلانك:[٤٢]

« ان اضطررنا في المجال العلمي على بلوغ تصوير ناقص عن العالم الفيزياوي، ليس ناشئاً من طبيعة العالم، وانما يرتبط بنا نحن».

وخلاصة الأمر ان انكار قانون العلّية يستلزم انكار النظام في العالم، فانه مع رفض العلّية لن يكون أي شيء شرطاً لأي شيء كما يمكن أنْ ينشأ أي شيء من أي شيء آخر، وحينئذ فلامجال للعلوم، ان على العلوم ان تذعن بمبدأ العلية بكل لوازمه التي لا تنفك عنه ليكون وجودها هي ذا معنى .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ■

المصادر والتعليقات:

١ ـ «والأفئدة: جمع فؤاد، وهو القلب، والمراد به في القرآن مبدأ الشعور والفكر من الإنسان، وهو النفس الانسانية». (تفسير الميزان «ج ٢، ص ٣٦٠)

٢ ـ كليني: أصول الكافي (ج ٢، ص ٢٩).

٣ ـ حرّاني: تحف العقول (ص: ٣٥٤).

٤ــ وجاء النظر في القرآن بمعنى الرؤية.

«ومنهم من ينظر اليك ...» (يونس/٤٣)

كما جاء بمعنى الرؤية مع الإستنتاج:

«قل انظروا ماذا في السماوات والأرض...» (يونس/١٠١)

يقول الراغب في المفردات: «النظر تقليب البصر والبصيرة لادراك الشيء، وقد يراد به التأمل والفحص، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص وهو الرؤية».

وكما تأتي الرؤية في القرآن بمعنى الابصار بالعين:

«فلما جن عليه الليل رأى كوكباً». (الانعام/٧٦)

ولكنها تأتي في بعض الموارد بمعنى التدبر:

«ولقد همّت به وهمّ بها لولا ان رأى برهان ربه» (يوسف/٢٤)

وقد تأتي بمعنى الرؤية بالبصر مع البصيرة:

«اولم يروا الى الطير فوقهم صافات و يقبضن ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل شيء بصير» (الملك/١٩)

ونقل في نهج البلاغة عن الإمام علي(ع) انه قال: (ليست الرؤية كالمعاينة مع الابصار، فقد تكذب العيون أهلها ولايغش العقل من استنصحه). (نهج البلاغة، طبع الدكتور صبحي الصالح ص٥٢٥).

٥ــ يقول صدر المتألهين في تعريف الفكر: «ومنها الفكر، وهو انتقال النفس من المعلومات التصورية والتصديقية الحاضرة الى مجهولاته المستحضرة».

(الاسفار، ج٣، ص٥١٦)

٦ــ الكليني: أصول الكافي (ج ١، ص ٢٢).

٧ــ الصدوق: التوحيد (ص ٢٩٢-٢٩٣).

٨ــ المجلسي: بحار الأنوار (ج ٣، ص١٤٦-١٤٧).

٩ــ الفخر الرازي: التفسير الكبير (ج ١٧، ص٢٠٩).

١٠ــ وطبيعي ان من يسمّي التحليل الفعلي للمرئيات والمسموعات بـ (البصر والسمع العقلي) فلا مناقشة فيما يصطلح لنفسه.

١١ــ يقول العلاّمة الطباطبائي في تفسير آية:

«أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لايعقلون»

(يونس / ٤٣)

وقوله: «لوكانوا لايعقلون» قرينة على ان المراد ينفي السمع نفي مايقارنه من تعقل ما يدل عليه الكلام المسموع وهو المسمى بسمع القلب.

(تفسير الميزان: ج ١٠، ص: ٦٨)

و يقول أيضاً في تفسير آية:

ومن آياته منامكم...»

(الروم / ٢٣)

«في.... لآيات نافعة لمن له سمع واع يعقل ما يسمع فاذا وجده حقاً اتبعه» .

(تفسير الميزان: ج١ ص: ٢١٣)

١٢ــ نهج البلاغة (طبع الدكتور صبحي الصالح، ص: ٢١٣).

١٣ــ المجلسي: بحار الأنوار (ج ٣، ص: ١٦٩)

١٤ــ المجلسي: بحار الأنوار (ج ٣، ص: ١٥٩-١٦٣).

١٥- Einstein a centenary volume, edited by A. P. French p. 310

١٦- Max Planck, the New Science Greenwich editions (1959) p.p. 312-313

١٧- Einstein, a centenary volume edited by A.P. French pp. 312-313

١٨- Werner Heisenbery Physics and Beyond Harper Torchbooks p. 63

١٩- P.J. Brancazio the Nature of Physics p. 603

٢٠- صدر الدين الشيرازي: الأسفار الأربعة (ج ٣، ص: ٣٨٤).

٢١- محمد حسين الطباطبائي: تفسير الميزان (ج١٦، ص:١٠).

٢٢- الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن؛ سميح عاطف الزين: مجمع البيان الحديث.

٢٣- «وقد ذكر سبحانه في الآية التي نحن بصددها- ثلاثة أوجه لتكليم الرسل، وكيفية اتصاله بهم، الأول: القاء المعنى في قلب النبي (ص) مباشرة ومن غير واسطة، وهذا هو المراد بقوله: «الاوحياً».

الثاني: ان يخلق الله الكلام كما يخلق غيره من الكائنات ويسمعه النبي (ص) لابواسطة رسول من الله بل من وراء حجاب، أي ان النبي (ص) يسمع الكلام، ولايرى المكلم، وهذا هو المقصود من قوله تعالى: «وكلّم الله موسى تكليماً» (النساء/١٦٤)

الثالث: ان يرسل سبحانه الى رسوله ملكاً يبلغه رسالات ربه.

(محمد جواد مغنية: تفسير الكاشف ج٦، ص٥٣٤).

٢٤- يقول ابن سينا في الإشارات (ج ٢، ص٣٥٨) ان الحد الوسط و المطلوب يتمثلان معاً في الذهن.

«واما الحدس وهو ان يتمثل الحد الوسط في الذهن عقيب طلب وشوق من غير حركة، واما من غير اشتياق وحركة و يتمثل معه، ما هو وسط له أوفي حكمه».

و يعتقد الإمام الفخر الرازي في الحكمة المشرقية (ج١، ص٣٥٣- ٣٥٤): «بأن الشعور بالحد الوسط مقدّم على الشعور بالمطلوب، واما النفوس القدسية فيقع الحد الوسط في ذهنها و يتأدى الذهن منه الى النتيجة فيكون الشعور بالحد الوسط مقدّماً على الشعور بالمطلوب و يعتقد صدر المتألهين أيضاً (الاسفار: ج٣، ص٣٨٧) انه في الحدس يكون الشعور بالحد الوسط مقدّماً على الشعور بالمطلوب: «ان سائر النفوس تعيّن المطالب أولاً ثم تطلب الحدود الوسطى المنتجة لها، واما النفوس القدسية فيقع الحد الوسط لها في الذهن أولاً و يتأدى الذهن منه الى النتيجة المطلوبة فيكون الشعور بالحدود الوسطى مقدماً على الشعور بالمطالب».

٢٥- ابن سينا: الإشارات والتنبيهات (ج ٢، ص ٣٥٣، طبع مصر).

٢٦- ابن سينا: الإشارات والتنبيهات (ج ٢،ص ٣٥٩ طبع مصر).

٢٧- الكيس كارل: الإنسان ذلك المجهول (الترجمة الفارسية، ص ١٣٤).

٢٨- السيد محمد حسين الطباطبائي: تفسير الميزان (ج٧، ص٢٨٩-٢٩٠).

٢٩- السيد محمد حسين الطباطبائي: تفسير الميزان (ج ٥ ص ٢٧٠).

٣٠- الغزالي: إحياء علوم الدين (ج٣، ص٩) فيض كاشاني: المحجة البيضاء (ج٢، ص١٢٥).

٣١- الآمدي: غرر الحكم ودرر الكلم (ص٢٩٣).

٣٢- السيد محمد حسين الطباطبائي: تفسير الميزان (ج٨، ص٣٤٨).

٣٣- محمد جواد مغنية: تفسير الكاشف (ج٣، ص: ٢١٣).

٣٤- دين اركان طبيعت (ص: ٢٥١).

٣٥- يقول الغزالي في احياء علوم الدين (ج٣، ص: ١٥): «واما عالم الملكوت وهي الأسرار الغائبة عن مشاهدة الأبصار المخصوصة بادراك البصائر، فلا نهاية له».

و يقول صدر المتألهين في الأسفار (ج٨، ص: ٣٠٤): «ومعلوم ان الجسم وقواه ليس شيئاً منها بهذه الصفات السنية من

رؤية عالم الملكوت، والايمان، والتوجه بوجه الذات لفاطر السماوات والحيثية أي الطهارة والقدس».

٣٦ـ فخر الدين الرازي: التفسير الكبير (ج١٣، ص: ٤٣).

٣٧ـ الغزالي: احياء علوم الدين (ج٣، ص: ١٢ـ١٤).

٣٨ـ المجلسي: بحار الأنوار (ج ٧٣، ص: ١٦٢): علي متقي: كنز العمال (ح ٤٣٧٦٤).

٣٩ـ المجلسي: بحار الأنوار (ج ٧٨، ص: ١٢).

٤٠ـ نهج البلاغة (طبع الدكتور صبحي الصالح، ص: ٥٢٤).

٤١ـ ابن ابي جمهور: عوالي اللئالي (ج١، ص: ٢٩٠)؛ احمد بن حنبل: مسند (ج٥، ص: ١٩٤).

٤٢ـ نهج البلاغة (طبع الدكتور صبحي الصالح، ص: ١٦٠).

٤٣ـ نهج البلاغة (طبع الدكتور صبحي الصالح، ص: ٥٠٣).

٤٤ـ الحر العاملي: وسائل الشيعة (ج١، ص: ٧٨).

٤٥ـ الآمدي: غرر الحكم ودرر الكلم (ص: ٧٧).

٤٦ـ المجلسي: بحار الأنوار (ج٢، ص: ١١٦).

٤٧ـ الغزالي: احياء علوم الدين (ج٣، ص: ٣٣)؛ الفيض الكاشاني: المحجة البيضاء (ج٥، ص: ٦٠).

٤٨ـ «الغيب خلاف الشهادة و ينطبق على ما لايقع عليه الحس، وهو الله سبحانه وآياته الكبرى الغائبة عن حواسنا، ومنها الوحي...... والقرآن يؤكد القول على عدم القصر على الحس فقط، ويحرص على اتباع سليم العقل وخالص اللب»(تفسير الميزان ج ١ ص: ٤٥ ـ ٤٦).

٤٩ـ سيد قطب: في ظلال القرآن (ج١، ص: ٤٠، الترجمة الفارسية بقلم حجة الإسلام السيد علي الخامنئي، ص: ٦٦ ـ ٦٧).

٥٠ـ السيد محمد حسين الطباطبائي: تفسير الميزان (ج١٦، ص: ١٦٧).

٥١ـ المجلسي: بحار الأنوار (ج٢، ص: ١١٣).

٥٢ـ ابن سينا: الإشارات والتنبيهات (ج٣، ص: ٤١٨، طبع مصر).

٥٣ـ Einstein,a centenary volume edited By A.P.French, p.275.

٥٤ـ حواشي الشهيد المطهري على أصول الفلسفة والمنهج الواقعي (ج٣، ص: ١٨٣).

٥٥ـ الغزالي: تهافت الفلاسفة (ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠، طبع مصر).

٥٦ـ السيد محمد حسين الطباطبائي: تفسير الميزان (ج٧، ص: ٢٩٨).

٥٧ـ فخر الدين الرازي: التفسير الكبير (ج ٢/ ١١٠ـ١١١؛ ج ١٤/ ١٩٣ـ١٩٥؛ ج ٣٠/ ٥٣) و ينتقد صدر المتألهين في كتابه (الأسفار، ج ٩، ص ١٥٣ـ١٥٨) ـ وبكل شدة ـ الاسلوب الذي تبناه أفراد، أمثال الرازي في مجال اثبات القدرة الإلهية أو النبوة أو المعاد وأنكروا معه الخواص الذاتية للأشياء، والنظام العلّي والمعلولي والترتيب الوجودي للموجودات واعتبر هذا النمط من التعامل مع مسائل اصول الدين من أصعب الامور.

٥٨ـ الشهيد الدكتور بهشتي: حديث الشهر (ج٣، ص: ١١٤).

٥٩ـ الشهيد المطهري: العدل الإلهي (الأصل الفارسي ص ٦٢).

٦٠ـ محمد سعيد رمضان البوطي: كبرى اليقينات الكونية (ص: ٢٨٩ ـ ٢٩٠).

Dr. Ismail R-Al Faruqi "The Causal and Telic Nature of the Universe" paper presented at the "International Conference on Science in Islamic Polity". Nov. 1983; P.X. Fateh Ullah Khan, God, Universe, and Man, Wajidakis Lahore, Pakistan (1982), P.P. 215-267.

٦١ـ حواشي الشهيد المطهري على أصول الفلسفة والمنهج الواقعي (ج٣، ص: ٢١٧).

٦٢ـ Max Planck, the New Science Greenwich editions (1959), P.X.

التربية والتعليم

في القرآن الكريم

الدكتور محمد جواد السهلاني / ح. إ. إ

«يسبح لله مافي السماوات ومافي الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم * هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين».

نبدأ بحثنا الخاص بالتربية والتعليم إنطلاقاً من هاتين الآيتين القرآنيتين المذكورتين في بداية سورة الجمعة. في الآية الأولى هناك إشارة ضمنية لضرورة تربية وتعليم البشر، فعند ما تبيّن الآية بأن كل مخلوقات العالم تسبح لله، فإنها بلاشك تعني البشر أيضاً. وبما ان الإنسان مخلوق منحه الله حرية الإختيار، فمن المؤكد انه يحتاج الى توعية.

وقد تكون التوعية ذاتية أو مكتسبة (حضورية وحصولية) ويمكن أن تكون التوعية الذاتية مادية أو معنوية. وتنقسم التوعية المكتسبة الى قسمين: توعية مكتسبة من الوحي والإلهام الالهي، وتوعية مكتسبة بالتحقيق والتجربة.

والتوعية الذاتية المادية تستلزم وجود أسباب ظاهرية جسمية وفيزيائية، وهي ما أشار اليها القرآن في الآية (٧٨) من سورة النحل:

«وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة».

اما التوعية الذاتية المعنوية فقد منحت من قبل الله. والآية ٣٠ من سورة الروم تبيّن هذا الأمر:

«فطرت الله التي فطر الناس عليها».

و يؤكد الباري تعالى على ان التوعية الناشئة من الوحي والإلهام، تكتسب عن طريقين؛ طريق مباشر يعتمد على الإلهام

الباطني:

قال تعالى:

«ونفس وماسوّاها فألهمها فجورها وتقواها»

(الشمس ـــ ٧،٨)

وطريق غير مباشر، أي إرسال الأنبياء العظام الى البشر. والآيات الخمسة التي تلي الآية الأولى من سورة الجمعة تبيّن هذه المسألة بدورها.

ان التوعية التي تعتمد على التجربة والمطالعة والمشاهدة، هي معرفة، لابُدَّ للإنسان أنْ يستخدم قدرته التي وهبها الله له لكي يحصل عليها، و يؤدي واجبه كجزء من مخلوقات هذا العالم، والاّ فسيعتبر مسؤولاً يستوجب العقاب والمؤاخذة.

والمسألة الأخيرة، يمكن استنباطها من الآيات ٩، ١٠ من سورة والشمس.

قال تعالى:

«قد افلح من زكّاها * وقد خاب من دسّاها».

واذا ما أردنا تعريف التربية والتعليم حسب المصطلح المتداول في الوقت الحاضر، فهي عبارة عن: «مصدر» يمكن بواسطته الحصول على المعلومات والمهارات والملكات والقيم، وتهدف الى:

«تقريب الإنسان الى درجة الكمال وتنمية قابلياته».

وتكون نتيجتها:

«تهيئة الإنسان لحياة مفيدة ومؤثرة، وايجاد التعادل النفسي له ازاء الأمور الغير ملائمة».

ونفهم من هذا بأنَّ الإنسان مكلّف ببناء نفسه و بناء الآخرين بناءً مستمراً و وفق حسابات ومن هنا تتضح لنا ضرورة التربية والتعليم.

والآن لنرى كيف يرشدنا القرآن في هذه المسألة.

يقول جلَّ شأنه:

«الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً».

(الملك ـــ ٢)

إذن يظهر بأنَّ الإنسان يجب أن يسعى لتكون أعماله حسنة. ولكن ما هو معيار الأعمال الحسنة؟ يقول القرآن:

«لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة».

(الأحزاب ـــ ٢١)

واستناداً الى هذه الآية، فإنَّ معيار الأعمال الحسنة، يكمن في التأسي برسول الله. ومن جهة أخرى ورد في القرآن الكريم:

«لقد منَّ الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلوا عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين».

(آل عمران ـــ ١٦٤)

و يستفاد من هذه الآية بأنَّ الإنسان مالم يتأسَّ برسول الله، فإنه يكون في ضلال مبين وقد يدور في أذهاننا بأنَّ الضلال المبين يتعلق بالأجيال الماضية. والجواب الدقيق على ذلك يكمن في الآية الثالثة من سورة الجمعة، إذ يقول سبحانه وتعالى:

«وآخرين منهم لمّا يلحقوا بهم».

(الجمعة ـــ ٣)

لذلك فإنَّ القرآن الذي يعتبر تلاوة الآيات، والتزكية، وتعليم الكتاب والحكمة، أساليباً للتربية الإلهية الصحيحة والحقيقية، فإنه يحثُّ على ضرورة التربية والتعليم.

والآن لنعرف ماهو الدافع لهذا الأمر؟

توجد ــ إستناداً الى النصوص القرآنية ــ عوامل سلبية وسيئة تكمن في الإنسان، وهي:

١ــ إنَّ الإنسان مخلوق ضعيف:

«وخلق الإنسان ضعيفاً».

(النساء ــ ٢٨)

٢ــ إنَّ الإنسان مخلوق عجول:

«خلق الإنسان من عجل».

(الانبياء ــ ٣٧)

٣ــ إنَّ الإنسان مخلوق هلوع:

«ان الإنسان خلق هلوعاً».

(المعارج ــ ١٩)

٤ــ إنَّ الإنسان مخلوق ظالم وجاهل:

«انه كان ظلوماً جهولاً».

(الأحزاب ــ ٧٢)

٥ــ إنَّ الإنسان مخلوق طاغٍ:

«كلاّ ان الإنسان ليطغى».

(العلق ــ ٦)

وطبيعي ان هذه العوامل السلبية في الإنسان، تعتبر ضرورية في توازن حياته، وايجاد التعادل النفسي له، وضرورية أيضاً لحريته واختياره. وهذا الأمر يتّضح من خلال الآية التالية:

«لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم».

(التين ــ ٤)

ومن خلال ذلك، تتضح لنا النقاط التالية:

أولاً: يجب ان يتوجّه الإنسان الى العمل الصالح في هذه الدنيا، لأنَّ الله يريد اختباره.

ثانياً: يجب عليه التأسّي برسول الله.

ثالثاً: بما ان الإنسان يحمل عوامل سلبية، فيجب ان يسلك سلوكاً يبدّل بواسطته العوامل السيئة الكامنة فيه الى عوامل حسنة وايجابية.

رابعاً: وطريقة هذا التكامل ــ باختصار ــ عبارة عن مطالعة الآيات، والتزكية، وتعليم الكتاب والحكمة.

والآن لنرى ماهي الأهداف التي يتوخّاها القرآن من التزكية والتعليم؟

أ ــ إنَّ القرآن يتضمن آيات تتحدث عن الظواهر الالهية في الطبيعة:

«وكأين من آية في السماوات والأرض».

(يوسف ــ ١٠٥)

كما يشتمل على آيات تخص وجود الإنسان، إذ يقول جلَّ وعلا:

«بل هو آيات بيّنات في صدور الذين أُوتوا العلم».

(العنكبوت ــ ٤٩)

وأخيراً يبيِّن معجزات الله، ورحمته في الدنيا:

«وجعلنا ابن مريم وأُمه آية».

(المؤمنون ــ ٥٠)

ومما لاشك فيه انه يمكن من خلال التحقيق والتدبُّر والمطالعة، الحصول على نتائج لاتحصى في مجال معرفة آيات الله وكافة المجالات العلمية والتربوية الأُخرى.

ب ــ ان التزكية تعني طهارة الجسم والروح

من القبائح والآثار السلبية ومراعاة أصل حُرية الإنسان بصورة كاملة، تعتبر من أهم الأُصول في التربية والتعليم. وهذا ما نراه من خلال التدبر في الآيات ٢٩، ١٥١، من سورة البقرة، والآية ١٦٤ من سورة آل‌عمران، والآية الثانية من سورة الجمعة. في هذه الآيات جاءت التزكية متلازمة مع التعليم. كما ان كلمة التزكية تقدّمت على كلمة التعليم ثلاث مرات، وقد يمكن الإستنتاج من خلال ترتيب الكلمات القرآنية بأنَّ التزكية يجب ان تتم قبل التعليم. والأمر الأهم من ذلك هو ان النتيجة الأكثر قطعية لهذا التلازم، هوالتلاحم الخالد بين التزكية والتعليم، أي لابُدَّ من تزكية روح الإنسان قبل و بعد اكتساب العلم، وذلك من أجل استخدام العلم في الأعمال الحسنة. وهذا الموضوع يجرّنا الى بحث أخلاقي.

ومن جهة اُخرى، فإنَّ الإنسان اذا لم يسر وفق التربية الفطرية الالهية، فإنه سوف يضع أكبر عقبة في طريق بناء شخصيته، فهو في مثل هذه الحالة يريد تطبيق سلوكه وأفعاله وفق تقييم ورأي الآخرين، دون التفكير في الأُمور الواقعية للحياة، ودون التوجّه الى نفسه وقيمته الذاتية.

ان إنساناً كهذا، هو إنسان يرى نفسه مكبَّلاً بالأغلال والقيود والأوهام، و يذهب من هذه الدنيا وهو يحمل أحلاماً وآمالاً لاأساس لها، و بتعبير القرآن:

«ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم».

(التوبة ـــ ١١٨)

أما التمسُّك بالاسوة الحسنة ـــ أي بالرسو الأكرم (ص)ـــ فيعني نزع الأغلال عن رو الإنسان، كما تعبِّر عن ذلك الآية الكريمة:

«الذين يتبعون الرسول النبي الأمي.... و يض عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم».

(الاعراف ـــ ١٥٧)

إذن ومن أجل أن لايصبح الإنسان متكبِّر وعبداً للشهوات والنفس، ومن أجل ان لايقع تحت ظلم وخداع الآخرين، ومن أجل ان لا تغر الأُمور الجذَّابة المزيَّفة، عليه إزالة الحواجز التي تعترض طريق تنميته وتحرره، وهو ما يسمى بالتزكية وفق التعبير القرآني.

ج ـــ واما التعليم، فإنَّ القرآن اعتنى بهذه الناحية أكثر من أي كتاب سماوي آخر. وهذه نقطة لفتت حتى انتباه بعض المحققين من غير المسلمين أيضاً.

ومن أبرز الآيات في هذا المضمار، الآية التاسعة من سورة الزمر:

«قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون».

أو الآية التي يعتبر فيها الباري تعالى العلماء العدول شهادة على وحدانيته:

«شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأُولوا العلم قائماً بالقسط، لا اله الا هو العزيز الحكيم».

(آل‌عمران ـــ ١٨)

الاستنتاج:

ان مثل هذا الإهتمام الدقيق والشامل للقرآن بموضوع التربية والتعليم، شكّل مع

التوصيات المستمرة للرسول الأكرم(ص) سبباً في قيام حضارة راقية امتدت عشرة قرون، حُمِلَتْ على أكتاف قوم كانوا من أكثر الناس تخلفاً في العالم.

وكان مستوى هذا الرقي العلمي والتربوي عظيماً ومذهلاً، بحيث اعترف البعض من كبار العلماء والمحققين من غير المسلمين ــ بعد تمدن العالم غير الإسلامي ــ بالإنفجار العلمي الذي وقع في العالم الإسلامي. وفيما يلي أسماء قسم من أولئك الذين اعترفوا بهذه الحقيقة، وألفوا كُتباً أو مقالات حولها:

١ــ براتراندراسل ــ الإنجليزي ــ في كتاب «تاريخ فلسفة الغرب».

٢ــ غوستاف لوبون ــ الفرنسي ــ في كتاب «تاريخ مدنية الإسلام والعرب».

٣ــ جورج سارتن ــ الأمريكي ــ في كتاب «مقدمة في تاريخ العلم».

٤ــ ويل دورانت ــ الأمريكي ــ في كتاب «تاريخ المدنية».

٥ــ آن فرمانتل ــ الفرنسي ــ في كتاب «عصر الاعتقاد».

٦ــ فرانسوا جوزيف بيكاوه ــ الفرنسي ــ في كتاب «حول الفلسفة الإسلامية».

٧ــ هيرمان راندال ــ الامريكي ــ في كتاب «مسيرة تطور العقل الحديث».

٨ــ جان برنان ــ الايرلندى ــ في كتاب «العلم في التأريخ».

٩ــ بيار روسو ــ الفرنسي ــ في كتاب «تاريخ العلوم».

١٠ــ ولتر ــ الفرنسي ــ في مقالات عديدة.

وفي هذا الصدد نورد عبارتين من جورج سارتن. فهذا الشخص الذي يعتبر من المحققين البارزين في تاريخ العلم، يقول في كتابه «مصير العلم»:

«لايتيسر بيان الخدمات التي قدّمتها الحضارة الإسلامية ولو بشكل مفهرس في هذه المقالة القصيرة... والذي يمكننا قوله هو قيام حضارة علمية عالمية جديدة وراقية خلال أقل من قرنين، وليس من المستطاع ايفاء حقها المطلوب».

أجل كيف يمكن لهم ان لايعترفوا بهذه الحقيقة في وقت اقتبسوا فيه كل الجوانب العلمية من العلماء المسلمين خلال القرون الأربعة الأخيرة، أي بعد رقي العصر المعروف بعصر الرنسانس. وحتى انهم استفادوا من آداب تدوين الملاحظات اثناء الدرس، ومنح الشهادات الى الطلبة، وأمثال هذه الأمور والتي تعتبر من أحدث مستلزمات أي نظام علمي ــ تربوي من كتب المسلمين، بل انهم ترجموا بعض هذه الكتب قبل قرن أو قرنين، ومن جملة تلك الكتب: كتاب «أدب الإملاء والإستملاء» بقلم عبد الكريم سمعاني والذي تُرجم الى الالمانية، وكتاب «الإجازة في فنون التدريس عند الإسلام» الذي تُرجم الى الفرنسية في عام ١٨٥٥.

وكان الأوربيون ينتخبون الكتب الجامعية من المصادر الإسلامية ومن الكتب الدراسية المعروفة التي أُستفيد منها في الدراسات الجامعية

في اوربا:

١ــ كتاب الحساب ــ تأليف الخوارزمي.

٢ــ كتاب مساحة الأشكال ــ تأليف بني شاكر.

٣ــ كتاب الرسائل ــ تأليف أبو مشعر البلخي.

٤ــ كتاب الرسائل ــ تأليف محمد بن جابر البتاني.

٥ــ كتاب الهيئة ــ تأليف الفرغاني.

٦ــ كتاب صور الكواكب ــ تأليف عبد الرحمن الصوفي.

٧ــ كتاب المناظر والمرايا ــ تأليف الكندي.

٨ــ كتاب الريح والمطر ــ تأليف الكندي.

٩ــ كتاب نزهة المشتاق ــ تأليف الادريسي.

١٠ــ كتاب تقويم البلدان ــ تأليف ابو الفداء.

١١ــ كتاب المفردات ــ تأليف ابن البيطار.

١٢ــ كتاب الحاوي ــ تأليف الرازي.

١٣ــ كتاب طب المنصوري ــ تأليف الرازي.

١٤ــ كتاب القانون ــ تأليف ابن سينا.

١٥ــ كتاب المناظر ــ تأليف ابن هيثم.

١٦ــ كتاب اصلاح المجسطي ــ تأليف جابر بن أفلح.

١٧ــ كتاب التصريف (حول الجراحة) ــ تأليف ابوالقاسم الزهراوي.

١٨ــ كتاب تقويم الاهدان ــ تأليف ابن قزلة.

١٩ــ كتاب الكليات ــ تأليف ابن رشد.

٢٠ــ كتاب الرسائل ــ تأليف الفارابي.

٢١ــ كتاب الرسائل ــ تأليف ابن سينا.

٢٢ــ كتاب الموسيقى ــ تأليف ابن باجة.

٢٣ــ كتاب مقاصد الفلاسفة ــ تأليف الغزالي.

وفي الحقيقة ان الغربيين مدينون ــ فيما يتعلق بتأسيس جامعاتهم ــ للعلماء المسلمين، وذلك لاقتباسهم العلوم الدقيقة منهم. ومن العلماء المسلمين الذين ألّفوا كُتباً حول تقسيم العلوم:

١ــ الفارابي في كتاب «احصاء العلوم».

٢ــ ابن سينا في كتاب «رسالة في اقسام العلوم» وكتاب «الشفاء».

٣ــ ابن خلدون في كتاب «المقدمة».

٤ــ ابن حزم في كتاب «مراتب العلوم».

٥ــ الشهيد الثاني في كتاب «منية المريد».

ان مؤلفات المسلمين في شتى مجالات العلوم ــ هي من الكثرة بحيث نحتاج الى تأليف كتاب مستقل وموسع لتدوين فهرست جميع الكتب التي الفت في المجالات المتعددة. ولكننا نكتفي هنا بذكر بعض أشهر المجالات العلمية الشائعة بين المسلمين:

١ــ الحكمة والأخلاق:

يقول ابن ابي الحديد ان ابرز مرسخ ومدوّن للحكمة والأخلاق في الإسلام بعد القرآن والسُنّة،

هو الإمام علي(ع)، وان كتاب نهج البلاغة هو خير دليل على صحة هذا الكلام. وتأتي الصحيفة السجادية للإمام علي بن الحسين(ع) بعد كتاب نهج البلاغة، و يأتي بعد ذلك كتاب «اُصول الكافي» لمؤلفه الكليني، و«تحف العقول» لمؤلفه الحر العاملي، وكتاب «الخصال» للشيخ الصدوق، وكتاب «تحصيل السعادة» للفارابي، وكتاب «أخلاقيات الشفاء» لابن سينا، وكتاب «أخلاق ناصري» لنصير الدين الطوسي، وكتاب «احياء العلوم» للغزالي، وكتاب «مصابيح القلوب» لابوعلي البيهقي، وكتاب «الآداب الدينية» للشيخ الطبرسي، وكتاب «ارشاد القلوب» للشيخ ابو محمد حسن الديلمي، وكتاب «مكارم الأخلاق» للشيخ ابو منصور الطبرسي، وكتاب «عيون الحكم والمواعظ» للشيخ علي بن محمد الليثي الواسطي، وكتاب «أخلاق جلالي» لملاجان دواني و... الخ.

٢ـ الفقه، والحقوق، والقانون:

هناك عدد هائل من الآثار القيّمة الخاصة بهذه المجالات، وهي بحق بحر لاينضب. ومن أهم تلك الآثار:

كتاب: «الألفاظ والمباحث» لهشام بن الحكم.

كتاب: «اختلاف الحديث وسائله» ليونس بن عبد الرحمن.

كتاب: «الخصوص والعموم» لأبو سهل النوبختي.

كتاب: «الذريعة الى اُصول الشريعة» لعلم الهدى السيد المرتضى.

كتاب: «عدة الاُصول» للشيخ الطوسي.

كتاب: «المصادر» لسديد الدين الحمصي.

كتاب: «تهذيب الاُصول» للعلاّمة الحلي.

كتاب: «المستصفى» لأبو حامد الغزالي.

كتاب: «مختصر الاُصول» لابن الحاجب.

كتاب: «كشف الأسرار» لعلاء الدين البخاري.

كتاب: «الموافقات» لأبو اسحق الشاطبي.

٣ـ المعارف العقلية:

وهذه المعارف تشمل اُفقاً واسعاً لا تعرف حدوده. وفي هذا الصدد نذكر بعض المفكرين الذين كان لهم تأثير مباشر في تكوين المعارف العقلية للأوربيين بعد عصر الرنسانس:

ـ يعقوب بن اسحق الكندي.
ـ ابو نصر الفارابي.
ـ ابو الوليد ابن رشد.
ـ ابن سينا.
ـ ابن خلدون.
ـ ابن طفيل.
ـ السهروردي.

الشعر والفنون الإسلامية:

اذا أردنا ان نعرف مدى تأثير الفن الإسلامي على آراء الفنانين المتأخرين الغربيين فمن الضرورة ان نراجع هذه الكتب الاُوربية الثلاثة:

١ـ «تاريخ الفن الإسلامي» بقلم: كريستيان برايس.

٢ـ «مرشد الصناعات الإسلامية» لمؤلفه م. س. ديماند.

٣ـ «ميراث الإسلام» تأليف عدد من المستشرقين، ومنهم البروفسور آربري، والبروفسور گيپ، وغيرهم...

الآداب الاسلامية:

ان الدخول في تفاصيل الآداب الإسلامية خلال هذه المقالة هو أمر غير متيسر لنا. و يكفي هنا ان نشير الى عدة ملاحظات: القصة الفلسفية ـ التربوية لحي بن يقظان/ تأليف ابن طفيل الأندلسي.

هذه القصة ترجمت خلال الأعوام ١٣٤٩-١٩٦٣ الى اللغات: العبرية، واللاتينية، والهولندية، والإنجليزية، والالمانية، والاسبانية، والفرنسية، والروسية، والبولندية، وطبعت لمرات عديدة. كما كان لها تأثير في المجالات السينمائية عند الغربيين.

يقول البروفسور گيپ الذي كتب القسم الأدبي من كتاب «ميراث الاسلام»:

«لابُدّ ان نعرف بأن المشرق، أي الإسلام، فتح مجالاً جديداً للاوربيين، وصلوا من خلاله الى المستوى الحالي في الآداب».

والملاحظة الثانية هي ان الآداب الإسلامية لم تترك آثاراً ملحوظة على النتاجات الأدبية عند الغرب فحسب، بل ان المسلمين ألّفوا كُتباً في هذا المجال، وقد تُرجمت ونقّحت من قبل المحققين الغربيين، ومن جملة تلك الكتب:

ـ ترجمة لاتينية لكتاب «التصريف» لعبد الوهاب الزنجاني، مع نصٍ كُتِبَ من قبل زيمونديس في فلورنسا عام ١٦١٠ م.

ـ ترجمة لاتينية لكتاب الأجرومية لمحمد بن داود الصنهاجي من قبل القس أو بيشيني سنة ١٦٣١. كما تُرجم الكتاب المذكور الى اللغة الفرنسية من قبل Bresnier عام ١٨٤٦م.

ـ ترجمة كتاب «الألفية» لزين الدين أبوالحسن يحيى الى اللغة الهولندية مع نص وتعليق k.V.Zetterstiee والّذي طبع في لايبزغ عام ١٨٩٧. كما تُرجم الكتاب المذكور الى اللغة الفرنسية من قبل L.Pinto وطبع في القسطنطينية سنة ١٨٨٧، كما طبع في بيروت عام ١٨٨٨ من قبل A.Goguget.

ـ ترجمة فرنسية لكتاب «شرح القطر» لابن هشام الأنصاري، مع نص كُتِبَ من قبل A.Goguget عام ١٨٨٧.

ـ ترجمة فرنسية لكتاب «شرح الكتاب» لسيبويه مع مقدمة وحاشية باللغة الفرنسية من قبل H.Dererbouvg عام ١٨٨٩.

ـ ترجمة انجليزية لكتاب «الكافية» لمؤلفه ابن حاجب، وقد ترجم من قبل J.J.S.Perowne وطبع عام ١٨٣٢ في كمبرج.

ـ ترجمة فرنسية لكتاب «فلحة العراب» لمؤلفه الحريري البصري، وقد تُرجم من قبل L.Pinto في باريس عام ١٩٠٤. وتحتوي الترجمة

على شرح وتعليق.

ـ ترجمة فرنسية لكتاب «الخزرجية» وقد تُرجم في الجزائر عام ١٩٠٢ من قبل Rene basset

العلوم الأخرى:

تركت الحضارة الإسلامية آثاراً واضحة على المدنية الحديثة، وتُعدُّ الآثار التي تركتها في علم الفلسفة، والمنطق، والرياضيات، والفيزياء، والكيمياء، والعلوم الطبيعية، والطب، والتكنولوجيا، والميكانيك، أُموراً مبتكرة ومحيرة لم يسبق لها مثيل، ويجب تسميتها بالإبداعات العلمية.

والكتب التالية: «آثار الباقية» لابوريحان البيروني (وهو كتاب يهتم بمعرفة ثقافة وآداب الشعوب) و«احصاء العلوم» للفارابي (وهو كتاب يهتم بتصنيف العلوم) و «الا تقان» للسيوطي (وهو كتاب يهتم، بفلسفة الوجود والعرفان) و«الحيوان» للجاحظ (وهو كتاب يهتم بمعرفة الحيوانات) و«الخلاف» للشيخ الطوسي (وهو يهتم في الحقوق التطبيقية) و«الشافي» للسيد المرتضى (وهو كتاب يبحث في النظرة الكونية الاسلامية وفلسفة القيادة والسياسة) و«الفهرست» لابن النديم (وهو كتاب يهتم بمعرفة الكتب) و«المراجعات» للسيد شرف الدين (وهو كتاب يهتم بالمحاورة العلمية) و«المناظر» لابن هيثم (وهو كتاب يدور البحث فيه عن معرفة الضوء)، و «زيج صابي» للبتّاني (وهو كتاب يهتم بالرصد ومعرفة النجوم)، و«الشفاء» لابن سينا (وهو كتاب يحتوي على بحوث فلسفية)، و«شكل القطاع» لنصير الدين الطوسي (وهو كتاب في علم المثلثات) و«القانون» لابن سينا (وهو كتاب في الطب الوصفي) و«مفتاح السعادة» (في معرفة العلوم) لمؤلفه طاشكبرى زاده، وكتاب «مقدمة ابن خلدون» (و يدور حول علم العمران وفلسفة التاريخ)، و«المكاسب» للشيخ الانصاري (وهوكتاب يهتم بالفقه النظري والاقتصاد)، و«مفاتيح العلوم» لمحمد بن أحمد الخوارزمي، و«جامع العلوم» لفخر الدين الرازي، و«مفتاح العلوم» لسراج الدين السكاكي، و«درة التاج» لقطب الدين الشيرازي، و «الرسالة الثقافية في العلوم» للسيوطي، و«التعريفات» لسيد شريف الجرجاني، و«كشاف اصطلاحات الفنون» لمحمد بن علي تاتوي (وهو كتاب في المصطلحات العلمية)، و«معجم البلدان» لياقوت الحموي (وهو كتاب جغرافي)، و «المقررات» لابن البيطار (وهوكتاب يهتم بمعرفة الأدو ية)، و «تاج العروس» للزبيدي (وهو كتاب يهتم باللغة والاعلام)، و«بحار الانوار» للعلامة المجلسي (وهو كتاب في التفسير والاخبار) و... الخ تعتبر جزءاً من الكتب الاسلامية المعروفة التي كانت أساساً لظهور العلوم الحديثة.

والملاحظ ان الايمان القرآني الذي وجد في قلوب المؤمنين، ولّد في داخلهم حركة لم تقتصر آثارها عليهم وعلى نجاحهم العلمي فحسب، بل انهم تمكّنوا و بسرعة من جذب غير المسلمين نحوهم. ولهذا فعندما كانت أرجل المسلمين تطأ

أرضاً ما، فإنّ أهاليها كانوا يميلون نحو الإسلام، و يصبحون مسلمين.

واذا تأدّب المسلمون ــ اليوم ــ بتلك الآداب، فإنهم سوف لايمسكون بزمام الإبتكارات العلمية فحسب، بل انهم ــ و بالتربية الإسلامية ــ سيصبحون عاملاً مؤثراً في توعية العالم ازاء الإسلام والقرآن.

وفي الختام نلقي نظرة الى عناو ين مضمون أحد الكتب الخاصة بالتربية والتعليم الإسلاميين، الذي ألفه الخواجة نصير الطوسي قبل عدة قرون، لنرى كيف كانوا يأخذون بنظر الإعتبار العلم والعمل، والأخلاق والحكمة معاً.

والكتاب المذكور مقسم الى إثني عشر باباً، هي:

١ــ باب ماهية العلم وفضيلته.
٢ــ باب الإخلاص في طلب العلم.
٣ــ باب التدقيق في انتخاب الفرع.
٤ــ باب بذل الجهد اللازم.
٥ــ باب زمن تحصيل العلم.
٦ــ باب التوكل عند التعلم.
٧ــ باب فترة التعلم.
٨ــ باب تجنب البخل والحسد.
٩ ــ باب تجنب اضاعة الوقت.
١٠ ــ باب التحلي بالتقوى.
١١ــ باب كيفية تقوية الذاكرة وادراك الأمور.
١٢ــ باب الصحة وامرار المعاش والعمل بأحكام الدين والقناعة عند التعلم.

و يقول نصير الدين الطوسي في الباب الثامن:

«يجب ان يسعى الأُستاذ ليجعل من تلميذه أُستاذاً معروفاً وعالماً في زمانه».

أجل، هذه هي التعاليم القرآنية، وصدق سبحانه وتعالى في قوله:

«ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين».

(البقرة ــ ٢)

الكلم الطيب

■ «وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً».

(سورة الاسراء/١٠٦)

■ «... وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ».

(سورة النحل / ٨٩)

■ **الرسول الأكرم «ص»:**

إنَّ هذا القرآن، هو النور المبين، والحبلُ المتين، والعروة الوثقىٰ، والدرجة العليا، والشفاءُ الأشفىٰ...

■ **الإمام علي «ع»:**

... وفيه ربيعُ القلب، و ينابيع العلم، وماللقلب جلاءٌ غيرُه...

■ **السيدة فاطمة «ع»:**

... لله فيكم عهد قدّمه اليكم، و بقيّةٌ استخلفها عليكم كتابُ الله، بيّنةٌ بصائره، وبرهانٌ متجلّيةٌ ظواهره، مديم للبريّة استماعَه، وقائد الى الرّضوان أتباعه، ومؤدٍّ الى النجاة أشياعه...

■ **الإمام السجاد «ع»:**

اللهم! انك أعنتّني على ختم كتابك، الذي أنزلته نوراً... وجعلته نوراً نهتدي من ظُلَم الضّلالة والجهالة باتّباعِه... و نورَ هدىً لايطفأُ عن الشّاهدين برهانُه، وَعَلَمَ نجاةٍ لايَضِلُّ مَن أمّ قَصدَ سُنَّتِه...

■ **الامام الباقر «ع»:**

إنَّ الله لم يَدَعْ شيئاً تحتاج اليه الأُمَّة الى يوم القيامة الاّ أنزله في كتابِه، وَ بيَّنه لرّسوله. وجعل لكلّ شيءٍ حداً، وجعل عليه دليلاً يَدُلُّ عليه.

■ **الامام الصادق «ع»:**

إنَّ الله أنزل في القرآن تبيان كُلّ شيءٍ، حتّىٰ والله ماترك شيئاً يحتاجُ العبادُ اليه إلاّ بيَّنهُ للناس...

المصدر الاول

من مصادر الشريعة الاسلامية

الدكتور ابراهيم سلقيني / سوريا

«المصادر» جمع مصدر، والمصدر مايتفرع عنه غيره. فمصادر الشريعة هي: ما تؤخذ منها الأحكام الشرعية.

ومما تجدر الإشارة اليه: ان الشريعة الإسلامية لم تكن في أصولها ومصادرها وليدة أمور محلية طرأت، أو ظروف آحاطت بمجتمع ما في زمن معين، حتى تكون صدىً لتلك الظروف، أو انعكاساً لتلك الأحداث، كما انها لم تكن أثراً للإرادة الإنسانية بما يحرّك تلك الإرادة من دوافع النفس وانفعالاتها حتى تكون خاضعة للأهواء والأغراض والمصالح الشخصية، ولم يتمخض هذا التشريع عن صراع بين مصلحة الفرد والمجتمع حتى يتحدد على ضوء افتئات احداهما على الأخرى.

التشريع الإسلامي سماوي الأصول، فطري النزعة، يتصل بالفطرة الإنسانية التي فطرالله الناس عليها **«فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر النّاس عليها...»**[1]. وهو ما أُنزل إلّا ليخرج الناس عن دواعي أهوائهم، وشطط نزعاتهم ومصالحهم الخاصة وأنانياتهم وأغراضهم.

وهكذا صوناً لمصالح الخلق من عبث الأنانية الفردية، وتخليصاً لنفوسهم من وطأة الجور في الحكم، وحفاظاً لهم من شر الهوى والتسلط، جعل الإسلام أساس التشريع فيه لله وحده **«... إن الحكم إلّا لله...»**[2]، و يتجلى هذا المصدر السماوي بالقرآن الكريم، وان بقية المصادر تابعة للقرآن أو مبينة وكاشفة لحكم الله، وليست منشئة له، فالمسلم لايقبل إلّا حكم الله تعالى.

وأما أولوا الأمر في الأمة، فلا يلون من أمر التشريع إلّا اذا كانوا من المجتهدين الذين توفرت فيهم أهلية الإجتهاد، ذلك لأنهم أفقه لكتاب الله وسُنّة رسوله، وأعمق إدراكاً لقواعد الإسلام الكلية ومقاصده التشريعية في حفظ مصالح الأمة.

وعلى هذا فما يأتون به من حكم، لايعتبر تلقائياً، ولا تشريعاً إبتداعياً مستملى من هوى ولا مستوحى من أثرة مستبدة أو مصلحة ذاتية: وانما هو تشريع مستنبط من نصوص الشريعة وروحها ومقاصدها. فهو في حقيقة الأمر: إظهار لحكم الله، وكشف له، وليس ابتداعاً لأحكام من عند أنفسهم: على ان الرسول صلى الله عليه وسلم رغم عصمته فقد أمره الله تعالى بالشورى، مع أنه في غنى عنها، إذ لايقر على خطأ، ولكن ليوصل أصلاً، و يرسي قاعدة، وهي: «**الشورى في الحكم**» «... **وأمرهم شورى بينهم...**»[3] «... **وشاورهم في الأمر...**»[4]، وهكذا لم يخلق الله الناس عبثاً، ولم يتركهم وشأنهم يستبد كل برأيه، بل شرّع لهم لكل فعل من أفعالهم حكماً يختص به، وجعل لهذه الأحكام مصادر تؤخذ منها، إلّا أن هذه المصادر منها ما هو متفق على حجيته عند جمهور العلماء وتسمى «**أصلية**»، ومنها ما هو محل خلاف بينهم، وتسمى «**مصادر تبعية**»، لأنها ترجع الى الأولى وتتبعها.

وعلى أي حال: فالمصادر كلها ترجع الى مصدر واحد، وهو النصوص، وهي الكتاب والسنة، فكل مصدر بعد ذلك منبعث منها، معتمد عليها. ولذا يقول الإمام الشافعي رضي الله عنه: «**ان الأحكام لا تؤخذ إلّا من نص أو من حمل على نص**»، واذا كان القرآن هو مصدر المصادر، فهو مقدم عليها جميعاً، وهو المرجع الأول لمن أراد معرفة حكم من الأحكام، فإنْ لم يجد فيه رجع الى السُنّة، وان لم يجد في السُنّة رجع الى الإجماع، فإنْ لم يكن في المسألة إجماع رجع الى القياس، فالقياس آخر الأدلة الأصلية الأربعة، وهي مرتبة كما بينت: **الكتاب، السُنّة، الإجماع، القياس.**

والبرهان على الإستدلال بهذه المصادر قوله تعالى: «**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول، وأولي الأمر منكم، فان تنازعتم في شيءٍ فردوه الى الله والرسول...**»[5].

والدليل على هذا الترتيب ما رواه البغوي من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه: «**ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعثه قاضياً على اليمن قال له صلى الله عليه وسلم: كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟ قال: اقضي بكتاب الله، قال: فإنْ لم تجد؟ قال: فبسُنّة رسول الله، قال: فإن لم تجد؟ قال: اجتهد رايي ولا آلو ــ أي لا أقصر في البحث والإجتهاد ــ قال معاذ: فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدري بيده، ثم قال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي الله ورسوله**».

ولقد قال عمر ــ رضي الله عنه ــ في كتابه الذي أرسله الى أبي موسى الأشعري: «**الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا في سنة أعرف الأشباه والأمثال وقس الأمور عند**

ذلك».

و أما الأدلة الفرعية ــ التي لم يتفق جمهور العلماء على الإستدلال بها، فمنهم من استدلّ بها ومنهم من أنكر الإستدلال بها ــ فكثيرة وأشهرها: الإستحسان، والمصالح المرسلة، والعرف، ومذهب الصحابي، وشرع من قبلنا، وسد الذرائع.

وسأ بحث في كل من هذه المصادر المتفق عليها، والمختلف فيها في مبحث على حدة، إلّا انني أبيّن قبل ذلك أموراً تشملها جميعاً.

الأمر الأول:

تقسيم الأدلة الى قسمين: **أدلة نقلية، و أدلة عقلية.**

فالأدلة النقلية طريقها النقل، ولا دخل للمجتهد في ايجادها، كالكتاب والسُّنَّة، فلادخل للمجتهد فيها، وكذلك الإجماع، فإنه موجود قبل اجتهاد المجتهد، وكذلك العرف، وشرع من قبلنا، ومذهب الصحابي، فكل ذلك راجع الى العمل بأمر ثابت لا دخل للمجتهد في وجوده، ولا انشائه.

والأدلة العقلية هي التي يكون للمجتهد دخل في وجودها، كالقياس والمصالح المرسلة والإستحسان.

وهذا التقسيم إنما هو بالنظر لذات الأدلة، لابالنظر للإستدلال بها، فكل واحد من النوعين مفتقر الى الآخر، ولا غنى له عنه.

فالإستدلال بالمنقول لابُدَّ فيه من النظر بالعقل، والإستدلال بالمعقول لا يعتد به في نظر الشارع، إلّا اذا كان معتمداً على النقل، إذ العقل المحض لا دخل له في تشريع الأحكام.

الأمر الثاني:

ان الأدلة الشرعية لا تنافي قضايا العقول السليمة. فلا يمكن أن يوجد دليل صحيح يعارض العقل السليم، والتعارض إنّما يقع في حالة عدم صحة الدليل، أو عدم فهمه فهماً صحيحاً، أو في حالة اصابة العقل بمرض كالعته، أو اصابته بهوى أو غرض أو مصلحة ذاتية.

فالله تبارك وتعالى أقام الأدلة وأنزلها على الأنبياء والرسل لتتلقاها عقول المكلفين بالقبول: حتى يعملوا بمقتضاها، ولو كانت متعارضة مع العقول لم تتلقها بالقبول، و بالتالي لم تعمل بها، ولو كانت الأدلة أو التكاليف متناقضة مع العقول لكان التكليف بها تكليفاً بما لايطاق، وذلك من جهة التكليف بما لايصدقه العقل ولا يتصوره.

وبناءً على ذلك: لا تكون هناك فائدة من تشريع الشرائع وتنزيل الكتب لتبليغها للناس، ويكون ذلك كله عبثاً، والله تعالى لايفعل العبث، بل منزّه عنه. وهذا يؤكد أن تكون الأدلة متلائمة مع العقل السليم، وإلّا لوجاءت على خلاف ما يقتضيه العقل، لكان لزوم التكاليف على العاقل أشد من لزومها على المجنون والصبي والنائم، إذ لا عقل لهؤلاء يصدق أو لايصدق، بخلاف العاقل الذي يأتيه مما لايمكن تصديقه لتناقضه مع العقل، ولكان التكليف ساقطاً عن العقلاء من باب أولى.

الأمر الثالث:

ان المصادر نوعان، منها: ماهو أصل مستقل بنفسه في التشريع، كالكتاب والسُّنّة، ومنها: غير مستقل بنفسه، كالقياس والإستحسان.

وانما كانت الأُولى مستقلة في ذلك، لأنها لاتحتاج في اثبات الحكم بها لأي شيءٍ آخر.

وانما كان القياس وما شابهه، أصلاً غير مستقل بنفسه، لاحتياجه في اثبات الحكم به الى أصل وارد في الكتاب أو السنة، أو الإجماع، وكذلك معرفة العلة التي من أجلها شرع الحكم في الأصل، وبدون ذلك لايثبت الحكم بالقياس.

فالقياس في الحقيقة، لم يثبت الحكم في الفرع، وانما أظهر شمول النص أو الإجماع لذلك الفرع. ولذلك قال العلماء: **ان القياس مظهر للحكم، لامثبت.**

المصدر الاول: الكتاب (القرآن)

ويتناول ما يلي:ـ

(١) ــ (تعريف الكتاب لغةً واصطلاحاً، وتعريف القرآن).

(٢) ــ (نزوله).

(٣) ــ (حفظ القرآن وجمعه).

(٤) ــ (ترتيب السور والآيات).

(٥) ــ (خصائص القرآن).

(٦) ــ (حجية القرآن واعجازه).

(٧) ــ (وجوه اعجازه).

(٨) ــ (أنواع أحكامه).

(٩) ــ (دلالة القرآن على الأحكام).

(١) ـــ تعريف بالمصدر الأول، الكتاب (القرآن الكريم):

اذا دققنا النظر، وجدنا أن مصدر الأحكام الشرعية واحد، وهو قول الله تعالى، إذ قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) خبر عن الله تعالى أنه حكم بكذا وكذا. والإجماع يستند الى قرآن أو سُنّة، فالحكم لله تعالى وحده.

فالكتاب هو المصدر الأول والأساس، وهو محور الشريعة وقطب رحاها، وهو أجلّ من أن يعرف أو يحدّ بحد.

والكتاب في اللغة: مصدر كتب، وهو اسم للمكتوب. وفي اصطلاح أهل الشرع: هو القرآن الكريم. والقرآن في اللغة: مصدر قرأ، بمعنى القراءة، كما في قوله تعالى: **«فاذا قرأناه فاتّبع قرآنه»**[٦] والمراد به: كلام الله تعالى المقروء على ألْسُنة العباد. و يعرف: انه كلام الله تعالى الذي نزل به جبريل على قلب الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) بألفاظه العربية ليكون حجةً للرسول، ودستوراً للناس يهتدون بهداه، و يتعبدون بتلاوته، وهو المدون بين دفتي المصحف المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس، والمنقول بالتواتر، والمعجز بألفاظه ومعانيه، والمحفوظ من أي تبديل أو تغيير: **«إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون»**[٧].

وقد قسم القرآن الى سور بلغ مجموعها أربع عشرة ومئة سورة، أولها: سورة الفاتحة، وآخرها: سورة الناس[٨].

وتتألف كل سورة من آيات، وقد بلغ مجموع ما في القرآن من آيات (٦٣٤٢) آية.

(٢) ـــ نزول القرآن، وأول وآخر ما نزل:

لقد كان نزوله منجماً، أي مفرقاً، تنزل الآية، أو الآيات، أو السورة حسب مقتضيات الأحوال والحاجات، وأول ما نزل من القرآن، بسم الله الرحمن الرحيم: **«إقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * إقرأ وربك الأكرم * الذي علّم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم»**[٩] وذلك في اليوم السابع عشر من رمضان للسنة الحادية والأربعين من عمره «صلى الله عليه وسلم»[١٠].

و آخر ما نزل قوله تعالى: **«واتّقوا يوماً تُرجعون فيه الى الله ثم تُوفى كلُّ نفسٍ ما كسبت وهم لايظلمون»**[١١]، فهذه آخر آية نزلت على الاطلاق، نزلت قبل وفاة الرسول «صلى الله عليه وسلم» بتسع ليال، أما الآية: **«... اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً...»**[١٢] فهي آخر آية من الآيات التشريعية، لا آخر آية على الاطلاق.

والمدة بين بداية التنزيل واختتامه، اثنان وعشرون سنة وشهران واثنان وعشرون يوماً.

(٣) ـ حفظ القرآن وجمعه:

وقد كان رسول الله «صلى الله عليه وسلم» كلّما نزلت آية، أو آيات، جمع كُتّاب الوحي وحفاظ القرآن فيحفظون و يكتبون، وهكذا لم ينتقل رسول الله «صلى الله عليه وسلم» الى الملأ الأعلى إلّا والقرآن الكريم محفوظ في صدور الحفاظ يحفظه الكبير والصغير والرجل والمرأة، ومكتوب في صحف الكتاب، ولم يكن مجموعاً في مصحف واحد في عصر الرسول «صلى الله عليه وسلم»، نظراً لترقب نزول الوحي، ولقصر المدة بين آخر ما نزل و بين وفاته «صلى الله عليه وسلم» فقد كانت تسع ليال على القول الراجح.

ولقد جمع القرآن في مصحف واحد في عهد أبي بكر (رضي الله عنه) حيث روى الثقات أن سيدنا عمر أول من تنبه لضرورة جمع القرآن بعد استشهاد سبعين شهيداً من الحفاظ المشهورين في موقعة اليمامة فذهب الى سيدنا أبي بكر الخليفة، وقال له: اني أرى أن تأمر بجمع القرآن خشية ضياع شيءٍ منه باستشهاد حفاظه، فقال له أبوبكر «رضي الله عنه»: كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له عمر رضي الله عنه: هو والله خير، وما زال عمر يراجع أبابكر حتى شرح الله صدر أبي بكر للذي شرح له صدر عمر، فأرسلا الى زيد بن ثابت وعرضا عليه الأمر وقالا له: انك شاب عاقل لانتهمك وانك كنت تكتب الوحي في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتتبع القرآن وآجمعه، فقال لهما: كيف تأمراني أن أفعل فعلاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالا له: هو والله خير، وما زالا يراجعانه حتى شرح الله صدره للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر فقال: والله لو كلفتموني نقل جبل لكان أهون عليَّ، فآنطلق يجمعه من صدور الرجال ومن الرقاع التي كان مكتوباً عليها ومن سعف النخل، وغير ذلك، وكان لايقبل كتابة آية حتى يشهد شاهدان أنه سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكتبها بين يديه.

وهذا هو الجمع الأول، ثم حفظ المصحف عند أبي بكر مدة خلافته، ثم عند عمر مدة خلافته، ثم عند حفصة ابنة عمر وأم المؤمنين بعد وفاة عمر.

وفي عهد عثمان تنبه حذيفة بن اليمان حينما كان يحارب في أرمينيا وآذر بايجان الى اختلاف الناس في لهجاتهم، فأسرع الى الخليفة عثمان وقال له: ادرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في القرآن اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان الى السيدة حفصة بنت عمر أم المؤمنين، وطلب منها أن ترسل المصحف لأجل نسخه في مصاحف متعددة، وكلّف زيد بن ثابت، وسعيد بن العاص، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام، وعبدالله بن الزبير أن يقوموا بكتابة نسخ عن النسخة الأصلية، فتمّ ذلك ونسخوا ستة مصاحف أرسلت الى الأمصار والعواصم، وأمر عثمان بحرق ما سواها من الصحف.

(٤) ترتيب السور والآيات:

ومما يجب أن يلاحظ أن ترتيب السور في المصحف وأسماءها، وكذلك ترتيب الآيات توقيفي عن الله عزّوجلّ، فكان جبريل كلما نزلت آية أو آيات يقول للرسول صلى الله عليه وسلم: **«يا محمد ضعها على رأس كذا من سورة كذا»**.

(٥) خصائص القرآن:

خصائصه كثيرة، منها:

أ) ــ ان ألفاظه عربية أنزلها الله على قلب رسوله، وبهذه الخاصة يمتاز القرآن عن غيره من التوراة والإنجيل، لأنها نزلت بغير العربية، فتفسير سورة أو آية بألفاظ عربية مرادفة لألفاظ القرآن، دالة على ما دلت عليه ألفاظه، لا يعد قرآناً مهما كان مطابقاً في دلالته، بل يسمى تفسيراً، كما ان ترجمة القرآن أو ترجمة آية بأي لغة غير عربية لا تعد قرآناً مهما روعي في الترجمة من الدقة والمطابقة، نعم تعتبر تفسيراً اذا كانت الترجمة مطابقة وتتم على يد من يوثق بدينه واختصاصه وأمانته وحذقه، ولكن على أي حال لا تعتبر قرآناً، ولا تصح الصلاة بها، ولا يتعبد بتلاوتها.

ب) ــ ومن خصائص القرآن أيضاً: ان الألفاظ والمعاني كلاهما منزل من عندالله عزوجل، ووظيفة الرسول «صلى الله عليه وسلم» التبليغ الى الناس، و بيان ما يحتاج الى البيان، وبهذه الخاصة يمتاز القرآن عن الأحاديث الصادرة عن الرسول «صلى الله عليه وسلم»، سواء منها الأحاديث القدسية أو النبوية: لأن معاني الأحاديث من الله تعالى، أما الألفاظ من الرسول «صلى الله عليه وسلم» لأنه(ص)، لا ينطق عن الهوى، ان هو إلّا وحي يوحى.

ج) ــ ومن خصائص القرآن: انه نُقل الينا بطريق التواتر، يرو يه جمع كثير عن جمع كثير بحيث يستحيل احتمال اتفاقهم على الكذب، والتواتر ثابت للقرآن كتابة ومشافهة في جميع العصور من وقت أن نزل الى يومنا هذا، وذلك لأن القرآن كتبه عن الرسول(ص) ــ كما بينت ــ كتاب الوحي، وحفظه جمع كبير من الصحابة، لايمكن اتفاقهم على الكذب، ثم تناقلته الجموع الكثيرة حفظاً في الصدور والسطور جيلاً بعد جيل الى أن وصل الينا مكتوباً في المصاحف، ومحفوظاً في الصدور، من غير تحريف ولا تبديل **«إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون»**[١٣].

وهكذا نقل الينا بطريق يفيد اليقين والقطع بصحة الرواية، فيعتبر القرآن أصح وثيقة عرفها الإنسان.

(٦) حجية القرآن وأعجازه:

القرآن حجة على الناس يجب عليهم اتباعه: لأنه من عندالله، نقل الينا بطريق قطعي لاشبهة فيه، ولا يجوز العدول عنه الى غيره من الأدلة، لأنه كلام الله عزّوجلّ الذي **(لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيلٌ من حكيم حميدٍ)**[١٤] أنزله ليكون دستوراً للناس يهديهم الى الحق.

أما البرهان على أن القرآن من عندالله فهو اعجازه. والإعجاز معناه نسبة العجز الى الغير واثباته له، لكن المراد منه مايلزمه من اظهار صدق النبي في دعوى الرسالة، ولا يتحقق الاعجاز إلّا بتوفر أُمور ثلاثة، الأول: التحدي، والثاني: وجود المقتضي الذي يدفع المتحدي الى المباراة والثالث: أن ينتفي المانع الذي يمنعه من المباراة.

والقرآن الكريم توفر فيه التحدي به، ووجد المقتضي لمن تحدوا به أن يعارضوه، وانتفى المانع الذي يمنعهم من معارضته أيضاً.

أما التحدي: فقد تحداهم بألفاظ قارعة واخزة أن يأتوا بمثله أو بسورة من مثله، وأقسم أنهم لايأتون بمثله ولن يأتوا، قال تعالى: **«قل لئن اجتمعت الإنس والجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً»**[١٥]

وقال تعالى: **«أم يقولون افتراه قل فأتُوا بعشرِ سورٍ مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين»**[١٦]، وقال سبحانه: **«وان كنتم في ريبٍ مما نزّلنا على عبدنا فأتُوا بسورةٍ من مثله وادعوا شهداء كم من دون الله إن كنتم صادقين * فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتَّقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أُعدت للكافرين»**[١٧]

وأما وجود المقتضي للمعارضة: لأن الرسول إدّعى أنه رسول الله، وجاءهم بدين يبطل دينهم، وسفه عقولهم، وسخر من أوثانهم وما يعبدون، واحتج على دعواه بأن القرآن من عندالله، وتحداهم أن يأتوا بمثله، فما كان أشد حرصهم على أن يأتوا بمثله ليبطلوا أنه من عندالله، و بذلك يدافعون عن دينهم.

وأما انتفاء المانع عن المعارضة: فلأن القرآن بلسان عربي، وألفاظه، من أحرف العرب، وعباراته على أسلوبهم، وهم أهل البلاغة والبيان والفصاحة. ولقد قال قائلهم: **«والله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني، ولا أعرف برجز الشعر، والله مايشبه الذي يقوله شيئاً من هذا، والله أن قوله لحلاوة وأن عليه لطلاوة، وان أعلاه لمثمر، وان أسفله لمغدق، وانه يعلو ولا يعلى عليه، وانه ليحطم ما تحته»**.

(٧) ـــ وجوه إعجاز القرآن:

ان القرآن الكريم لم يكن اعجازه في ناحية معينة، بل من نواحٍ متعددة: لفظية ومعنوية، تجمعت

فأعجزت الناس أن يعارضوه. كما انه من المتفق عليه: ان العقول لم تصل حتى الآن الى ادراك جميع نواحي الاعجاز أو حصرها، بل كلّما زاد التأمل والتدبر في آيات القرآن الكريم، وكلّما كشف البحث العلمي عن أسرار الكون وسننه، ظهرت نواحٍ جديدة من نواحي الإعجاز، وقام دليل جديد على ان القرآن من عندالله تعالى. فلم يكن القرآن معجزاً للعرب وحدهم، بل للناس أجمعين، ولعل من أبرز نواحي الإعجاز:

أ) ـ اتساق عباراته ومعانيه وأحكامه:

يتكون القرآن من أكثر من ستة آلاف آية، نزلت خلال فترة زادت عن عشرين سنة، وعبَّرت عما قصدت بعبارات متنوعة وأساليب شتى، وتعرضت لموضوعات متعددة: في الإعتقاد، والأخلاق والتشريع، وقررت نظريات كونية واجتماعية، ومع كل ذلك لا تجد في عبارات القرآن وألفاظه خلافاً، ولا تجد عبارة أرق مستوى ، في بلاغتها من عبارة أخرى، بل كل لفظ في موضعه الذي يجب أنْ يكون فيه، كما لا تلاحظ فيه معنىً من معانيه يعارض معنى آخر، أوحكماً يناقض حكماً، أومبدءاً يهدم مبدءاً.

كما لا اختلاف في عباراته وألفاظه، ولا في معانيه وأحكامه، ولا في مبادئه وقواعده، ولو كان صادراً من عند غير الله أفراداً أو جماعات لما سلم من اختلاف بعضه مع البعض الآخر، لأن العقول الإنسانية مهما كملت ونضجت، لا يمكنها ان تكون ستة آلاف آية في ثلاث وعشرين سنة لاتختلف آية عن آية في مستوى بلاغتها، ولا تعارض آية آية في معناها، أو ما اشتملت عليه، والى هذا الوجه من وجوه الإعجاز، أشارت الآية الكريمة: **«أ فلا يتدبّرون القرآن، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً»**.[18]

ب) ـ بلاغة ألفاظه وفصاحة عباراته:

بلاغة القرآن وارتفاعها الى درجة لم تعرف في كلام العرب قط، وقد أدرك ذلك الذين كانو يتذوقون البيان العربي و ينقدونه، وقد وازنوا بينه و بين ما كانوا يعرفون من شعر بليغ ونثر فصيح، فوجدو متميزاً، رأوا فيه جزالة في الألفاظ وأسلوباً رائعاً، يشتد أحياناً كالقارعة بل تراه أشد من الصخر، و يرق أحياناً وكأنه أرق من الماء، وألين من الهواء، ومع هذه الجزالة في الألفاظ والروعة في الأسلوب ترى النظم الخاص المحكم الذي ليس على ميزان الشعر المقفى، ولا على منهاج النثر المسجوع، أو المرسل، إنما ه منهاج قائم بذاته، وليس فيه لفظ ينبو عن السمع أو يتنافر مع ما قبله أو ما بعده، وعباراته في مطابقتم لمقتضى الأحوال في أعلى مستوى بلاغي. و يتجلى هذا لمن له ذوق عربي بلاغي. ولقد روى مسلم فِ

صحيحه أن أنيساً أخا أبي ذر قال لأبي ذر: «**لقد لقيت رجلاً بمكة على دينك يزعم ان الله أرسله. قلت: فما يقول الناس عنه؟ قال يقولون: شاعر كاهن ساحر. وكان أنيس من الشعراء ولكنه قال: سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم، وقد وضعته على أقوال الشعراء فلم يلتئم على لسان أحد، بأنه شعر، والله انه لصادق، والله انهم لكاذبون**».

جـ) ــ أخبار القرآن عن مغيبات القرون السابقة:

فقد أخبر عن عاد وثمود وقوم نوح وابراهيم و قوم لوط وأخبار موسى و قومه وفرعون وأمره، وأخبار مريم وولادتها، وأخبار الأنبياء السابقين. وكانت أخباره صدقاً تتفق مع الصادق المعقول من كتب أهل الكتاب، وكل ذلك جاء على لسان أمي لايقرأ ولا يكتب ولم يجلس الى معلم، ولم يتخرج من مدرسة أو جامعة. وما كانت بيئته بيئة علم وكتاب حتى يمكن أن يتعلم الأخبار والوقائع منهم، لذلك كان دليلاً على ان ماجاء به من عندالله تعالى، ولذا يقول سبحانه: «**وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطّه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون**»[19]. ولما تحيَّر الجاحدون، أرادوا أن يفتروا الكذب، وادعوا انه يعلمه بشر، ولم يجدوا بمكة إلّا فتىً رومياً لا يحسن العربية ولا يعلم من علم الأولين شيئاً، ولهذا قال سبحانه: «**ولقد نعلم أنّهم يقولون إنّما يُعلّمه بشر لسان الذي يُلحدون اليه أعجميٌّ وهذا لسانٌ عربيٌّ مبينٌ**»[20] والى هذا الوجه من وجوه الإعجاز، أرشد سبحانه فقال: «**تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا...**»[21]

د) ــ ومن وجوه الاعجاز اخباره عن المغيبات المستقبلة:

أخبر القرآن عن وقوع حوادث مستقبلة وقعت كما أخبر، ومن ذلك اخباره عن انهزام الفرس بعد انهزام الروم، فقد قال سبحانه: «**ألم * غُلبت الروم * في أدنى الأرض، وهم من بعد غلبهم سيغلبون * في بضع سنين...**»[22]، واخباره بالنصر في غزوة بدر، فقد قال سبحانه: «**وإذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنّها لكم وتودّون أنّ غير ذات الشّوكة تكون لكم...**»[23]، كما وعدالله عزّوجلّ بدخولهم المسجد الحرام، فقال سبحانه: «**لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحقّ لتدخلن المسجد الحرام ان شاءالله آمنين محلّقين رؤسكم ومقصّرين لاتخافون، فعلم ما لم تعلموا...**»[24].

كما وعدالله سبحانه المؤمنين بالاستخلاف في الأرض. قال تعالى: «**وعدالله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكّنن لهم دينهم...**»[25]. وقد

تحقق كل ما أخبر عنه القرآن الكريم، وهذا دليل قاطع على ان القرآن من عندالله سبحانه.

هـ) ـــ ومن وجوه اعجاز القرآن:

اتفاق ما جاء به مع الحقائق العلمية المكتشفة (اليقيني من العلم) لقد نزل القرآن الكريم ليكون دستوراً للناس يسيرون على هديه. ولم ينزل ليكون كتاب فلك أو كتاب كيمياء أو فيزياء، ولم يكن من مقاصده تقرير نظريات علمية في خلق الإنسان أو الكواكب، ولكنه في مجال الإستدلال على وجوده سبحانه ووحدانيته، أو تذكير الناس بنعمه، عرض كثيراً من الحقائق العلمية في خلق الإنسان والأرض والسماء، ولقد اثبت العلم الحديث صدقها مما لامجال لانكار منكر لها، بل كلما كشف البحث العلمي حقيقة علمية ــ كان القرآن قد أشار اليها ــ ظهر دليل جديد على ان القرآن من عند الله سبحانه، والى هذا الوجه من وجوه الإعجاز أشارت الآية الكريمة: «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيءٍ شهيدٌ»[٢٦].

من ذلك قوله سبحانه: «بلى قادرين على أن نُسوّي بنانه»[٢٧] ، و قوله: «فمن يرد الله أنْ يهديه يشرح صدره للاسلام، ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيّقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء...»[٢٨] وقوله سبحانه: «وأرسلنا الرياح لواقح...»[٢٩]، وقوله تعالى: «أولم ير الذين كفروا أنّ السماوات والأرض كانتا رتْقاً ففتقناهما، وجعلنا من الماء كلّ شيءٍ حيٍّ» [٣٠]، وقوله سبحانه: ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفةً في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقةً فخلقنا العلقة مضغةً فخلقنا المضغةَ عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم انشأناه خلقاً آخر، فتبارك الله أحسن الخالقين * ثُمّ أنّكم بعد ذلك لميّتون * ثم إنّكم يوم القيامة تُبعثون»[٣١]، وقوله تعالى: «والشمس تجري لمستقرٍ لها ذلك تقدير العزيز العليم»[٣٢]، وقوله سبحانه: «...وكل في فلكٍ يسبحون»[٣٣]، وقوله سبحانه: «وترى الجبال تحسبها جامدةً وهي تمرُّ مرَّ السحاب صُنع الله الذي أتقن كل شيءٍ...» [٣٤]، وغير ذلك من الآيات الكونية المنبثة في ثنايا القرآن الكريم وهي دلائل قاطعة على ان هذا القرآن من عندالله تعالى: لأنه لايتصور من أمي لايقرأ ولا يكتب، لم يطلع على علم، ولم يغادر مكة إلّا مرتين الى الشام، الأولى: في الثانية عشرة، والثانية: في الخامسة والعشرين من عمره، يمكن ان يعلم هذه الحقائق التي لم يكتشفها العلم إلّا بعد قرون وقرون.

و) ـــ ومن وجوه اعجاز القرآن:

ما اشتمل عليه من أحكام منظمة وتشريعات شاملة لأفعال الناس كفيلة بأرقى حضارة يتطلع اليها

الإنسان وأرفع مدنية ينشدها، وكفيلة بانشاء الإنسان الراقي المتحضر، وايجاد العالم الجديد المتحرر، الذي يقوم على الحق والفضيلة والعدالة والمساواة والأخوة والتعاون: فلقد وضع القرآن في ذلك أرفع المبادئ وأقوم القواعد التي تنظم أمور الدين والدنيا، وبما يحقق مصلحة الفرد والجماعة دون أن تطغى مصلحة الفرد على مصلحة الجماعة، ودون ان تطغى مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد، فتهدر كيانه ووجوده. بل وضع النظم التي تسعد الإنسان، وتحقق له الإستقرار والطمأنينة والرفاهية. ولقد جاء القرآن بهذه النظم والتشريعات، المنظمة للعلاقات الفردية والدولية، الى قوم لم يكن فيهم قانون ولا نظام، بل يسود فيهم النظام العشائري المبني على العادات والتقاليد. فجاءهم بشريعة اعتبرت الناس جميعاً صانعهم واحداً هوالله تعالى، وطينتهم واحدة وهي التراب، فالناس جميعاً أمام التشريع سواءٌ، فلا مجال لتمايز، لابلون ولا بجنس ولا بثروة ولابسلطة، فلو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها، وأعطى الحرية الكاملة لكل بالغ، لافرق بين ذكر وأنثى، وأعطى المرأة حقها كاملاً، وجعل لها ذمة مالية كاملة، ومستقلة عن ذمة الزوج، ولم تصل الى هذا الحق الأخير الى اليوم إلا في بعض التشريعات الحديثة.

كما أقام القرآن نظاماً دقيقاً عادلاً للمواريث لم يصل الى مثله أي نظام، لا في الماضي ولا في الحاضر، وكل القانونيين المنصفين يعترفون انه أمثل نظام عرفته البشرية، وقد جاء كل هذا على لسان أمي، ولم يعلم أحد ان شيئاً من هذه الأحكام قد وجد في تشريع قبله. واذا كان القانون الروماني كما يقول العلامة أبو زهرة جاء نتيجة لتجارب قرون، وانتفع من نظم أثينا، ونظم اسبرطة، وجمهورية أفلاطون، وكتاب السياسة لأرسطو وغيره، ومع ذلك جاء ناقصاً بالنسبة لما جاء به ذلك الأمي الذي لايقرأ ولا يكتب، ولم يجلس الى معلم. فبأي شيءٍ نفسر سبق شريعة القرآن في كل شيءٍ، واذا كان هو يقول: انها من عندالله، فبأي حق أو مستند نكذبه؟ والإمارات شاهدة والبيّنات قاطعة.

ولذلك نؤكدان شريعة القرآن هي أقوى وجوه الإعجاز، وهي دالّة على اعجازه الى يوم القيامة، وهي قائمة الى اليوم حجة على العرب وغيرهم، لايفترق في قبولها من يعرف لسان القرآن ومن لايعرفه، كما قال سبحانه: «... **قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبينٌ * يهدي به الله من اتبع رضوانه سُبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه، ويهديهم الى صراطٍ مستقيم**»[٣٥]، وقال تعالى: «**إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم...**»[٣٦]

(٨) ــ أنواع الأحكام التي آشتمل عليها القرآن:

اشتمل القرآن الكريم على جميع الأحكام التي تتعلق بالإنسان إجمالاً، سواء في الحياة الدنيا، أو الآخرة. وأبيّن فيما يلي بايجاز أنواعها:

أولاً :

الأحكام الاعتقادية التي تتناول أمور العقيدة وأركانها، وما يفترض على المسلم اعتقاده في الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

ثانياً :

الأحكام الأخلاقية التي تتعلق بالمحاسن والآداب والفضائل والسلوك الذي يجب أن يكون عليه الفرد المسلم.

ثالثاً :

الأحكام العملية وهي تشتمل على نوعين:

النوع الأول :ــ

أحكام العبادات التي تنظم علاقة الإنسان بربه من صلاة وصيام وزكاة وحج ونذور ونحوها من العبادات.

والنوع الثاني:ــ

أحكام المعاملات التي تنظم علاقات الناس بعضهم ببعض، سواء أكانوا أفراداً، أم جماعات، أم أمماً. وهي تتناول ما يلي:

أ) ــ أحكام الأسرة ــ من نكاح ونسب وطلاق ونفقة وميراث وجميع ما ينظم العلاقات بين أفراد الأسرة من الزوجين والأولاد والأقارب، وهو ما يسمى بالأحوال الشخصية.

ب) ــ الأحكام المتعلقة بتعامل الناس بعضهم مع بعض في الأموال والحقوق من معاوضات مالية وأمانات وفصل منازعات من بيع واجارات وشركات وعقود توثيق، وتسمى أحكام المعاملات أو الأحكام المدنية.

جـ) ــ الأحكام التي تتعلق بضبط النظام الداخلي بين الناس وعقاب المجرمين، مما يقصد به حفظ: الحياة، والعرض، والمال، وسائر الحقوق، وهي تشمل: القصاص، والحدود، والتعازير، وتسمى العقوبات أو الأحكام الجنائية.

د) ــ الأحكام المتعلقة بنظام القضاء والشهادات والاجراءات لتحقيق العدل بين الناس، وتسمى بأحكام المرافعات أو أصول المحاكمات.

هـ) ــ الأحكام المتضمنة لنظام الحكم وأصوله وتنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وحقوق وواجبات كل منها، وتعرف بالأحكام السلطانية أو الدستورية.

و) ــ الأحكام المتعلقة بتنظيم العلاقات المالية بين الأغنياء والفقراء، بين الدولة والأفراد،

وتنظيم الموارد والمصارف في الدولة، وتعرف بالأحكام الاقتصادية.

ز) ــ الأحكام التي تنظم علاقة الدولة الإسلامية بالدول الأخرى في السلم والحرب، وتنظيم المعاهدات ومعاملة غير المسلمين في الدولة الاسلامية من ذميين، وتعرف بالجهاد والسير أو الأحكام الدولية.

هذه مجمل الأحكام التي تناولها القرآن الكريم، وهي تهدف الى سعادة الإنسان وصلاحه، وان المتأمل في آيات الأحكام يستنتج: ان القرآن قد فصل في أمور العقيدة وفي أحكام الأحوال الشخصية والميراث، والحدود، والكفارات، وأصول العبادات: لأن أكثر أحكام هذه الأنواع لا مجال للعقل فيه، ولا يتغير بتغير الظروف أو البيئات، فلا يتغير بتغير الزمن.

و أما ما عدا العبادات، والأحوال الشخصية، والميراث، والحدود من الأحكام؛ الدستورية، والجنائية، والدولية، والمدنية، والاقتصادية، فأحكامه فيها كانت عبارة عن مبادئ عامة وقواعد كلية اجمالية، ولم يتعرض القرآن فيها للأحكام الجزئية، إلا نادراً، فقد رسم القرآن الخطوط العريضة، وترك للمجتهدين سعة في أن يفصلوا حسب المصالح، لتكون الأحكام متطورة بتطور البيئات والمصالح، وملبية للحاجات والظروف مما يجعلها خالدة شاملة.

(٩) ــ دلالة القرآن على الأحكام:

الكتاب قطعي الثبوت: لأنه وصل الينا بطريق التواتر الذي يفيدنا القطع بصحة ما نقل الينا، كما بيّنت، فقد نقله الجمع الكثير عن الجمع الكثير في الصدور والمصاحف جيلاً بعد جيل، مما يستحيل بالعقل امكان التواطؤ على الكذب، فهو أصح وثيقة عرفتها البشرية.

أما دلالة القرآن على الأحكام، فهي نوعان:ــ

أ) ــ اما أن تكون دلالة قطعية كآيات المواريث والحدود **«يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظّ الأنثيين...»**[٣٧] **«والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فآجلدوهم ثمانين جلدة...»**[٣٨]، **«الزانية والزاني فاجلدوا كل واحدٍ منهما مائةَ جلدة...»**[٣٩]، فان المئة والثمانين والنصف والربع والثلث ونحو ذلك، من الألفاظ التي تدل على معناها دلالة قطعية، ولا تحتمل أي تأويل. ولهذا لا مجال للاجتهاد فيها، ولا للإختلاف في التفسير أو الفهم، فأحكامها لا تقبل أي تبديل أو تغيير أو تعديل، لأن تعديلها يؤدي الى مخالفة النص، فالدلالة قطعية.

ب) ــ واما أن تكون دلالة النص القرآني ظنية، وذلك اذا كان اللفظ الوارد في النص محتملاً لأكثر من معنى، وذلك كلفظ القروء في قوله تعالى: **«والمطلقات يتربصن بأنفسهنّ ثلاثة قُرُوءٍ...»**[٤٠]،

فإنّ القرء يحتمل أن يراد به الحيض أو يراد به الطهر لاستعماله في اللغة لكل من المعنيين بطر
الإشتراك ، فتكون الدلالة على كل واحد بعينه ظنية لا قطعية، ولهذا يكون النص محلاً للاج
واختلاف المجتهدين، فنهم من فسّره بالحيض كالحنفية، ومنهم من فسّره بالطهر كالشافعية، وكذلك
تعالى: «والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما...»[41].

فاليد تشمل اليد اليمنى واليد اليسرى، فهي مشترك وتحتمل كلاً منها ، كما يحتمل ان
باليد من الأصابع الى الرسغ أو الى المرفق أو الى الأبط، لذا تكون الدلالة ظنية، وتأتي السُّنّة بعد
لتبين المراد ■

الهوامش

(١) من سورة الروم آية: ٣٠.
(٢) من سورة الأنعام آية/ ٥٧.
(٣) من سورة الشورى آية/ ٣٨.
(٤) من سورة آل عمران آية/ ١٥٩.
(٥) من سورة النساء آية/ ٥٩.
(٦) من سورة القيامة آية/ ١٨.
(٧) من سورة الحجر آية/ ٩.
(٨) انظر ارشاد الفحول للامام الشوكاني (٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢)، ط: أولى. وانظر الأحكام في أصول الأحكام للعلامة الآمدي (١: ٢٢٨ــ ٢٤٠)، ط: مطبعة المعارف ١٣٣٢ هـ.
(٩) من سورة العلق آية/ ١،٢،٣،٤،٥.
(١٠) رواه البخاري عن السيدة عائشة (١: ٦) ورواه مسلم (١: ١٤٤).
(١١) من سورة البقرة آية: ٢٨١.
(١٢) من سورة المائدة آية: ٣.
(١٣) من سورة الحجر آية: ٩.
(١٤) من سورة فصلت آية: ٤٢.
(١٥) من سورة الاسراء آية: ٨٨.
(١٦) من سورة هود آية: ١٣.
(١٧) من سورة البقرة آية: ٢٣ــ ٢٤.
(١٨) من سورة النساء آية: ٨٢.
(١٩) العنكبوت، آية: ٤٨.
(٢٠) النحل، آية: ١٠٣.

(٢١) هود، آية: ٤٩.
(٢٢) الروم، آية: ١، ٢، ٣، ٤.
(٢٣) الأنفال، آية: ٧.
(٢٤) الفتح، آية: ٢٧.
(٢٥) النور، آية: ٥٥.
(٢٦) فصلت، آية: ٥٣.
(٢٧) القيامة، آية: ٤.
(٢٨) الأنعام، آية: ١٢٥.
(٢٩) الحجر، آية: ٢٢.
(٣٠) الأنبياء، آية: ٣٠.
(٣١) المؤمنون، آية: ١٢ــ ١٦.
(٣٢) يس، آية: ٣٨.
(٣٣) يس، آية: ٤٠.
(٣٤) النحل، آية: ٨٨.
(٣٥) المائدة، آية: ١٥ــ ١٦.
(٣٦) الاسراء، آية: ٩.
(٣٧) من سورة النساء، آية: ١١.
(٣٨) من سورة النور، آية: ٤.
(٣٩) من سورة النور، آية: ٢.
(٤٠) من سورة البقرة، آية: ٢٢٨.
(٤١) من سورة المائدة، آية: ٣٨.

في القرآن الكريم

البروفسور اسماعيل فاروقي / امريكا

المقدمة:

الحمدلله رب العالمين، نحمده ونؤمن به، ونستعينه ونتوكل عليه، ونشهد أن لا إله الا الله، وحده لا شريك له، له الحمد وله الملك، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، ونشهد ان سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله، صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين.

عباد الله: السلام عليكم ورحمة الله و بركاته، يشرفني أن أنقل إليكم تحية إخوانكم المسلمين في أمريكا، كما أنقل اليكم تعظيمهم للثورة الإسلامية المباركة، واجلالهم لقائدها الأكبر إمام الأمة آية الله الخميني.

وقد حمّلني اخواني في أمريكا أجمل آيات التهنئة والتبريك بهذه الذكرى الخامسة لقيام الثورة الإسلامية، انتم الأمّة المجاهدة، رافعي راية الإسلام وكلمة الله عالياً تدوي في آفاق الدنيا. وهم يؤيدونكم في جهادكم ضد الإستعمار الأمريكي والروسي، كما يؤيدونكم في جهادكم ضد الأنظمة العميلة للإستعماريين، و يتمنون لو كانوا معكم، ليذوقوا طعم الشهادة في سبيل الله، وليساهموا معكم في هذه النهضة المباركة، التي شرفت هذا القرن، وستخلده ــ إن شاء الله ــ قرن الثورة الإسلامية. وهم يتوجهون الى الله تعالى ان ينصر حزبه، وان يتولّى شهداء الأمّة الإسلامية برحمته، وان يدفع بجنده وجنود الأمّة الى الفتح القريب ان شاء الله.

وقد أوصوني أنْ أحمل إليكم تطلعهم الشديد للتعاون معكم في التخطيط والعمل البنّاء للمستقبل الزاهر، الذي ينتظر هذه الأمّة ــ بفضل اهتدائها بهدى الإسلام ــ و ينتظر العالم أجمع بفضل قيادة هذه الأمة للعالم ــ إنْ شاء الله ــ قيادة رشيدة وأسوة حسنة، ودعوة الى الله.

اخواني:

حديثي اليوم عن نظرية الإنسان في القرآن الكريم وتتألف مقالتي من خمسة فصول:

الفصل الأول هو: غاية الوجود من الإنسان.

وغاية الوجود هي الخلافة: استخلاف الإنسان لله في الأرض، قال الله تعالى لنا في كتابه العزيز:

«واذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة» (البقرة/٣٠).

فهذه الخلافة لها فحوى، وهذه الفحوى هي أمانة الله.

وقد علّمنا الله سبحانه وتعالى أيضاً في كتابه: ان الله سبحانه وتعالى عرض هذه الأمانة على السماوات والجبال والأرض، ولكنهن أشفقن منها، وأبين أنْ يحملنها. ولكن حملها الإنسان. وفحوى هذه الأمانة، هي الأخلاق، هي العمل الصالح، هي الإحسان، اذ قال الله تعالى لنا أيضاً في كتابه العزيز:

«الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم أحسن عملاً» (الملك /٢).

اما الفصل الثاني فيتعلق بخطة التحقيق لهذه الغاية.

والخطة هي: وهب الانسان بمواهبه وملكاته من لغة ولسان وشفتين وأركان تعمل، وقلب يستطيع ان يدرك، وعقل يفكر ويمحص، يعلم و يتعلم، وقدرة على العمل، عمل بالأركان في الدنيا، وقابلية في الدنيا، هي ما سماه الله في كتابه العزيز (التسخير). فالدنيا كلها من قمر وشمس، من حيوان ونبات، من جبل ونهر، مسخرة لعمل الإنسان، قابلة لتأثيره فيها.

وهذه الخطة تحمل خطرين. وهذان الخطران لابُدّ منهما لحرية الإنسان، اذ يمكن للانسان بكل ما أُوتي من هذه المواهب أن يُخطيء في معرفة إرادة الله، ويمكنه أيضاً ــ وهذا هو معنى الحرية الأخلاقية ــ ان يعصي، فاذا أخطأ أو عصى كان لابُدّ له من مصحح، اما الخطأ فتصحيحه في الوحي، وفي ما أنزل الله تعالى من كلام وأوامر ونواهي، من حلال وحرام، وأما المعصية فتصحيحها بالايمان والهداية.

و بالرغم من هذا الخطر، فالغاية كبرى، ومهمة جداً جداً، ولابُدّ للإنسان من تحقيقها، لأنَّ بتحقيقها تأكيد للحياة، وتأكيد لإرادة الله سبحانه وتعالى. ان الله تعالى أمرنا بالعمل، فالعمل والإنتاج

عبادة، لاسيَّما اذا كانت متفقة مع ما أنزله الله، من أوامر بالقسط والمعروف والزكاة والأخوة.

نتيجة هذا العمل لابُدَّ وأن تكون عمراناً، عمراناً يزيد في قيمة الخلق، يزيد في قيمة الدنيا، و يزينها ويجملها.

ان الله سبحانه وتعالى زيَّنها أجمل زينة، ولكن فوق هذه الزينة، زينة العمل والإحسان من قبل الإنسان.

ولهذا العمل الأخلاقي المزين للدنيا، الذي يزيد و يضاعف قيمتها عند الله، شروط. ومن أهم هذه الشروط: عالمية العمل والإتجاه. ان الله سبحانه وتعالى قال لنا في كتابه العزيز:

«يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله أتقاكم».

وقال لنا الله تعالى انه خلقنا جميعاً من نفس واحدة، وفي هذا معارضة ـــ لابُدَّ من اقامتها في حياتنا ـــ للعنصرية والقومية والقبلية في كل أشكالها. فكلها تستمد من عصبية الجاهلية.

واذا قام الإنسان بهذه الأعمال البنَّاءة العمرانية بهذا الشكل ـــ أي على أساس من الإيمان بالله ـــ وعلى محبة بطاعته و بتحقيق أوامره ونواهيه، وعلى عدم التفريق بين الإنسان والإنسان، وكان ذلك العمل مسؤولاً، أي اذا تحمَّل الإنسان هذا العمل بمسؤولية شخصية أكيدة، تلقى حسابه في هذه الدنيا وفي الآخرة، تلقى هذا الحساب من جنة ونعيم، أو من نار وجحيم.

وبهذا يتحقق للإنسان أكبر منزلة عرفها التاريخ، لأن نظريات الإنسان في التاريخ عددها قليل، هي من أربعة أنواع، تشترك البوذية والمسيحية في نوع واحد، هو ما حققاه من قدر الإنسان ومن قدر هذا الوجود.

فالبوذية كانت تقول: ان الحياة شر، والوجود شر، ولابدَّ من التخلص منها. ولذلك لم تستطع البوذية ان تبني عمراناً، أو أن تأتي بثقافة وحضارة، وكانت حركة شخصية تطمع فقط في تهدئة أعصاب من تبعها.

والمسيحية تشارك البوذية هذا، الا انها أضافت على رأي البوذية: «ان الله جلَّ وعلا، أراد أن يخلِّص البشر من سقوط محقق أنزله فيه سيدنا آدم (ع) ففعل ما فعل» تعالى الله عما يصفون.

أي ان الله تعالى ـــ كما يدعون ـــ تجسَّم ونزل الى هذه الأرض كي يموت فدى ومحاولة لتبرئة الإنسان من خطيئته ومعصيته، ولذلك قال المسيحيون، أو تنبه المسيحيون الى أنهم طراز أعلى من البشر، لأن الله أحبهم محبة لا غنى له عنها فيهم ـــ تعالى الله عما يصفون.

هكذا يقولون، هكذا يدعون، وهذه الفطرة لا تؤمن للإنسان، قيامه بعملية العمران، لأنها تدك العمران، وتسقط العمران، و بنفس الوقت ترفع من شأن الإنسان ارتفاعاً هائلاً، تسمح له فيها بالتجبر والتكبر واستعمار الآخرين من البشر.

ولأنَّ هذه شكلت ضغوطاً هائلة على المسيحية ـــ كما عرفنا في عصر النهضة وفي عصر التنوير ـــ قام المسيحيون بإزالة هذا الأثر من حياتهم، ودعوا الى علمانية لا دين فيها، وهذه العلمانية نظراً لأن

الأخلاق المبنية على الدين اخرجت منها ـ لم يكن لديها شيئاً ترتكز عليه إلاّ اللذة والطمع.

فقامت هذه العلمانية تدعو الى اتباع اللذة، وتحصيل اللذة، وزيادة الإنتاج المادي لتحقيق هذه اللذة. ولذلك أسقطوا من أنفسهم، ووصلوا بالإنسان الى درك الحيوان، وها هم يعانون أشد المعاناة من هذه العلمانية التي حكموها في حياتهم، هذه النظرية التي جعلت الانسان حيواناً أنانياً يطمع في الحصول على المادة، وفي سبيل تحصيل هذه المادة، يسمح لنفسه بالنهب والسرقة والقتل، لاسيا اذا كان الملك واذا كانت الحياة، واذا كان المحتقر شخص آخر غير ابن عصبيته، غير ابن قبيلته.

الحمد لله الذي هدانا الى الإسلام وما كنا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله.

فالإسلام له نظرية في الإنسان، عالمية، مؤكدة لطيبة هذه الحياة ولثرائها، ومطالبة إياه بأنْ يعمل طاعة لله ومحبة له، ونوع العمل المطلوب هو الإحسان، نوع العمل المطلوب هو عمران هذه الدنيا، وعمران هذه الدنيا بالقسط والتآخي حتى تصبح هذه الدنيا أي الإنسانية كلها جنة يكبر فيها الله و يعبد ولا يعبد إلاّ هو.

هذه هي خلاصة بحثي في نظرية القرآن الكريم للإسلام، واسمحوا لي أيُّها الأخوة، ان اتطرق هذه الأفكار بالتفصيل:

الانسان أفضل المخلوقات

تبيِّن الآيات القرآنية بأنَّ الباري عزَّوجلَّ قد أخبر الملائكة بأنه يريد أنْ يخلق إنساناً:

«واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم مالا تعلمون» .

(البقرة ــ ٣٠)

وعن خِلْقَة الإنسان يقول جلَّ شأنه في آيات قرآنية أُخرى:

«انا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الإنسان...» .

(الأحزاب ــ ٧٢)

والأمانة التي لم تستطع السماوات والأرض والجبال ان تحملها هي التقوى، ذلك ان ارادة الله تنفذ جبراً في السماء والأرض، وجميع المخلوقات ومن ضمنها الملائكة تطيع الإرادة الإلهية بصورة اجبارية، وطاعة المخلوقات تعتبر جزءاً من قوانين الطبيعة والإرادة الإلهية الجبرية في الخلقة، ولا يمكن الخروج عنها مطلقاً.

قال تعالى:

«ولن تجد لسنة الله تبديلاً» .

(الفتح ــ ٣٣)

فلا يمكن ان يفعلوا غير ذلك. وان الباري تعالى جعل هذه الطاعة إحدى سننه في خلقتهم، وخلق الإنسان ــ فقط ــ حراً ليطيعه أو يعصيه باختياره، وهذا الإختيار هو شرط التقوى. والتقوى تعتبر أكبر وأعظم القيم التي يؤكد عليها الله. ولذلك فقد خلق الله الإنسان حراً لكي يطيعه باختياره، وهذا الإختيار وان كان يوجد خطر عدم الطاعة إلاّ انه مُنح للإنسان. وفي الحقيقة ان التقوى، أي اطاعة الله، هي قيِّمة بنظر الله، الى درجة انه سبحانه وتعالى يصرِّح في القرآن الكريم بأنه خلق الإنسان من أجل التقوى:

قال تعالى:

«وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدونِ» .

(الذاريات ــ ٥٦)

وقال جلّ شأنه:

«وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً...» .

(هود ــ ٧)

وقال تعالى:

«الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور» .

(الملك ــ ٢)

إنَّ الحرية أو امكانية التحلّي بالتقوى وتحقيق القيم الأخلاقية، هي أعظم صفة منحها الله للإنسان. ولكي يتمكّن الإنسان من الإستفادة منها و يعمل بها، فقد منحه الباري الشعور والحواس والقلب وقابلية الإدراك والقضاء لكي يستفيد من هذه القدرات بهدف التوصل الى المعرفة.

«ان السمع والبصر والفؤاد كل أُولئك كان عنه مسئولاً» .

(الاسراء ــ ٣٦)

ان الله عزّوجلّ جعل للإنسان لساناً وفماً ليتفاهم بواسطتها مع الآخرين، و يستفيد من تجاربهم:

«... ولساناً وشفتين» .

(البلد ــ ٩)

وخلق الإنسان كاملاً، أي خلقه بشكل يكون معه قادراً على العمل، وجعل أعضاءه متناسبة فيما بينها:

«لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم» .

(التين ــ ٤)

«الذي أحسن كل شيءٍ خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين» .

(السجدة ــ ٧)

«الله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناءً وصوَّركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين» .

(المؤمن ــ ٦٤)

«خلق السماوات والأرض بالحق وصوَّركم فأحسن صوركم واليه المصير» .

وخلق تعالى الشمس والقمر:

«وسخَّر الشمس والقمر» .

(الرعد ــ ٢)

وخلق الأنهار والبحار:

«وسخَّر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخَّر لكم الأنهار» .

(ابراهيم ــ ٣٤)

وخلق الليل والنهار:

«وسخَّر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخَّرات»

(النحل ــ ١٢)

وسخر الله للإنسان مافي السماوات والأرض، أو بالأحرى جميع المخلوقات، ليستطيع هذا الموجود ان يستفيد منها بإرادته:

«الم تروا أن الله سخَّر لكم مافي السماوات ومافي الأرض واسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة» .

(لقمٰن ــ ٢٠)

«الم تر أن الله سخَّر لكم مافي الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء ان تقع على الأرض الا بإذنه ان الله بالناس لرؤوف رحيم» .

(الحج ــ ٦٥)

«الله الذي سخَّر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تُشكرون» .

(الجاثية ــ ١٢)

وبالإضافة الى ذلك، فإنَّ الله علَّم الإنسان الحقيقة بصورة مباشرة، وأكد له بأنَّ الحقيقة أمر موجود وقابل للفهم، وان لكل شيء ماهية وطبيعة، كما أكد للإنسان بأنه قادر على درك ماهية تلك الأشياء، ولذلك فانه سبحانه علَّم الأسماء للإنسان، بعبارة أُخرى علَّمه ماهية وطبيعة كل شيء.

«وعلَّم آدم الأسماء كُلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين».

الإنسان يعتبر مخلوقاً نموذجياً كاملاً، يتمتع بحرية الإختيار، و يستطيع ان يتعلَّم العلم والحكمة. و يظهر بوضوح بأنَّ الإنسان هو الهدف النهائي للخلقة، ولأجل ان يتكامل هذا المخلوق فلا بُدَّ له من العبور من جسر التقوى.

ومن المسلَّم به ان الإنسان، هذا المخلوق الرائع الذي أودع الله فيه كل هذه المواهب، هو أفضل من الملائكة، لأنه يستطيع ان يكون متقياً، أي انه يستطيع ان يطيع الله رغم امتلاكه للإرادة. ولهذا السبب فقد عرض الله هذا المخلوق الرائع على الملائكة وطلب منهم ان ينافسوا الإنسان في مجال المعرفة إنْ هم استطاعوا على ذلك:

«وعلم آدم الأسماء كُلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني بأسماء هؤلاء إنْ كنتم صادقين * قالوا سبحانك لاعلم لنا إلاَّ ما علَّمتنا أنك أنت العليم الحكيم * قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم

بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون * واذ قلنا للملائكة آسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ ابليس أبى وآستكبر وكان من الكافرين».

فالله سبحانه وتعالى أمر ملائكته بالسجود لآدم بعد ما آحتاروا من معرفة آدم الفائقة، و بذلك سجدوا للإنسان، وآعترفوا بأفضليته.

وهناك نوعان من الخطر يهددان حرية الإختيار عند الإنسان: الأول؛ التمرد وعدم الطاعة، والثاني؛ الخطأ. فالأول يعني ان الإنسان يمكنه و بإرادته ان يطيع أوامر الله أو ان يعصي الله بإرادته. ومن الممكن ان يتحرك الجوهر المعنوي للإنسان بواسطة عوامل؛ كالكبر والغرور وسوء النية أو فساد الباطن. والخطر الثاني؛ يعني ان من الممكن ان يكون خطأ الانسان ناشيء من عدم الإدراك الصحيح للقيم الأخلاقية أو معيار التقوى أو بسبب خطأ الرأي حول ترتيب القيم ودرجاتها، أو بسبب خطأ الرأي حول صحة وتناسب الوسيلة المنتخبة من أجل تحقيق القيمة المقصودة.

إنّ آدم (ع) هو أول انسان ارتكب الخطأ:

«فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه».

(البقرة ــ ٣٦)

«واذا قلنا للملائكة آسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس أبى وآستكبر وكان من الكافرين».

(البقرة ــ ٣٤)

«واذ قلنا للملائكة آسجدوا لآدم فسجدوا إلّا ابليس أبى».

(طه ــ ١١٦)

ان تكبر ابليس ــ الذي كان من الجن ــ قد منعه من أنْ يعترف بتفوق الإنسان و يسجد له. ولذلك وسوس في نفس آدم ليأكل من الشجرة المحرّمة.

«فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد ومُلك لايبلى».

(طه ــ ١٢٠)

فآنخدع آدم، لكن سرعان ما أحسّ بخطأه، فندم وتاب عندالله، فقبل الله توبته:

«ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى».

ان الله عزّوجلّ بلطفه ورحمته، ولأجل أنْ لايقع سائر البشر في الخطأ، أظهر ارادته على آدم، وعلّمه أحكام التقوى:

«فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه أنه هو التوّاب الرحيم».

(البقرة ــ ٣٧)

و وعد بارشاد البشر نحو الجهة الصحيحة، و بيان أحكامه عن طريق الوحي:

«قلنا اهبطوا منها جميعاً فأما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون».

(البقرة ــ ٣٨)

كما وعد الله (في نفس الآية) المطيعين لأوامره بأنْ لاخوف عليهم ولا هم يحزنون.

و يبين الله في الآيتين ١٣٣، ١٣٤ من سورة طه بانّ سبب ذلة البشر، يعود الى عدم اتباعهم الأنبياء:

«وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بيّنة ما في الصحف الأولى * ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولاً فنتّبع آياتك من قبل أنْ نذل ونخزى».

ان عدم تنفيذ آدم لأمر الله لم يكن سبباً في إفساد طبيعته، ولم ينتقل هذا الخطأ الى أبنائه بالوراثة، وليس من الصحيح ان نتصور بأنّ الفرد و منذ ولادته يعتبر مذنباً لأنّ آدم (ع) قد أخطأ. فخطأ آدم يقتصر على مكان وزمان معينين، ولا ينطبق على كل الأماكن والأزمنة، ولم يلوث البشرية جمعاء. ولذلك فأنّ هذا التصور وهو ان البشرية مقدر لها ان تعيش في بؤس وشقاء بسبب خطأ آدم. هو تصور خاطيء. ان عدم تنفيد آدم لأمر الله هو خطأ يقع على عاتق آدم فقط، ثم ان الله قد تاب عليه. ولم يكن ذنب آدم فاجعة ومصيبة لكل البشرية، بل ان ذلك الذنب أوجد ظروفاً كانت نتيجتها عرض الأحكام الأخلاقية أو التقوى من قبل الله و بواسطة الوحي على آدم وخلفائه لكي يتمكنوا بواسطة تلك الأحكام من تطبيق التعاليم الإلهية.

مفهوم الأمانة الإلهية

لم يكن الهدف من خلق الإنسان، هدفاً سلبياً أبداً، فالباري تعالى يقول و بصراحة: **«يريد الله بكم اليسر».**

ان مفهوم كلمة «اليسر» لايدرك بسهولة، لانه ضد العسر، والحرمان، وعدم الراحة، والضغط والقلق وماشاكل ذلك.

والإسلام دين يعتبر الحياة والعالم ايجابيين، ويهدف الى بناء الإنسان، وان الله قد أودع الغرائز والميول والعواطف فينا، ولم يطلب منا أنْ نكبح جماحها، بل يدعونا لاستخدام هذه الغرائز والميول والعواطف بالشكل الصحيح لتساعدنا في مسيرة بناء أنفسنا. وهذه المواهب كلها مفيدة.

ان ارضاء الغرائز والميول والعواطف، لايعتبر أمراً مشروعاً فحسب، بل يعتبر واجباً، فهذه المواهب هي جزء من نعم الله على الإنسان، وتعتبر من السنن الإلهية، وان القرآن يرفض بصراحة الرهبنة التي تكبح جماح هذه المواهب:

«ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم إلاّ ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون».

(الحديد ــ ٢٧)

ان الإرضاء المشروع للميول والغرائز، أمر لايخالف التقوى، كما ان مساعدة الآخرين في ارضاء غرائزهم وطلباتهم، أمر واجب، بل هي في الحقيقة جزء من الطاعات والعبادات مثلما يجب على رب العائلة ان يرفّه عن أفراد عائلته، و يعمل الحاكم لتحسين أوضاع الناس، أو وظيفة الأخ تجاه أخيه، وإلاّ فانّ أكثر القيم؛ كالأخلاق، والتقوى، تصبح أموراً خاطئة وكاذبة أو متناقضة، و يفقد مفهوم تزكية النفس والأخوة الاسلامية معناه الحقيقي.

ان الله سبحانه وتعالىٰ قدجعلنا في الأرض، وأمرنا باستعمارها لنحيا فيها ونستفيد منها أقصى الإستفادات.

«والى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إلٓه غيره هو أنشأكم من الأرض وآستعمركم فيها فلتستغفروه ثم توبوا اليه أن ربي قريب مجيب».

(هود ــ ٦١)

كما زيّن سبحانه و تعالى الأرض ليستفيد الإنسان منها في بناء نفسه:

«أنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً».

(الكهف ــ ٧)

«والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون».

(النحل ــ ٨)

« ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين».

(الحجر ــ ١٦)

«انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب».

(الصافات ــ ٦)

وأمرنا تعالى ان نستفيد من هذه الزينة والنعمة:

«يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا أنه لايحب المسرفين».

(الأعراف ــ ٣١)

«قل من حرّم زينة الله التي اخرج لعباده، والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون».

والقرآن الكريم لا يقبل بوجود أرض غير عامرة أو الأرض المهملة بعد اعمارها:

«فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد».

(الحج ــ ٤٥)

«هو الذي اخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ماظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فآعتبروا ياأولي الأبصار».

(الحشر ــ ٢)

«ومن اظلم ممن منع مساجد الله يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم».

(البقرة: ١١٤)

«واحيط بثمره فاصبح يقلب كفيه على ما نفق فيها وهي خاوية على عروشها و يقول ياليتني لم أشرك بربي أحداً».

(الكهف: ٤٣)

ومن ضمن العقوبات التي فرضها الله على الكافرين والعصاة، هو هدم ديارهم، ومدنهم، وتخريب مزارعهم و أراضيهم و بساتينهم، و اخراجهم من بيوتهم، والقضاء عليهم:

«أو كالذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فأنظر الى طعامك وشرابك لم يتسنَّه وأنظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وأنظر الى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحماً فلما تبيَّن له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير».

(البقرة: ٢٥٩)

« فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها و بئر معطلة وقصر مشيد».

(الحج: ٤٥)

«فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان في ذلك لآية لقوم يعلمون».

(النمل: ٥٢)

«سخَّرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنهم اعجاز نخل خاوية».

(الحاقة: ٧)

ان الصالحين ومتبعي الحق يتمنون على الدوام أن لا تصيبهم مثل هذه العقوبات والمصائب، وأن الله عزَّوجلَّ يعد عباده بأنهم لايصابون بمثل هذه العقوبات إنْ هم أطاعوا أوامره:

«وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لايشركون بي شيئاً ومن كفر من بعد ذ لك فأولئك هم الفاسقون».

(النور: ١٥٥)

والإسلام هو الدين الوحيد الذي يحث على البناء والإعمار، و يعتبر ذلك عملاً محبذاً في الحياة الدنيوية. وهذه الفكرة واضحة في الإسلام. وهو في الحقيقة دين يحث اتباعه على العيش بأفضل وجه، واستعمار الأرض.وهذه الحقيقة قد أثبتها تاريخ الشعوب الإسلامية. وقد اشتهر المسلمون في مهارتهم ورغبتهم في اعمار المدن، كما اشتهروا في البستنة والزراعة والصناعة ورفع المستوى الصحي، والثقافي، وأشتهروا أيضاً بنشر العلم. إضافة الى ذلك فانَّ المسلمين كانوا متفوقين على غيرهم في تزيين كل شيء. كالأواني والفرش والينابيع والبيوت.

الإسلام دين عالمي

لو قام مؤسس مذهب ما بالدفاع عن فئة معينة، ولم يبد اهتماماً بالآخرين، فإنَّ ذلك المذهب حتى وإنْ كان أفضل مذهب، فانه سيكون مرفوضاً و مذموماً.

ان تطبيق نظرية انسانية تختص بمجموعة معينة من الناس، يشكل في الحقيقة سبباً في رد تلك النظرية وتقليل شأنها،فتصبح غيرلائقة وغيرجديرة بالإنسان.ولا شيء اكثرضرراًمن أنْ نجعل لمجموعة

من البشر مزايا ونحرم الآخرين منها.

ان هذه التفرقة تسبب الحروب والدمار والغربة والعداوة بين الناس، وهي عصبية جاهلية حاربها الاسلام منذ ظهوره في مكة، لأنّ الله لايقبل بالعصبية الجاهلية، وينبذها بشدة.

والعصبية الجاهلية على أنواع وأشكال مختلفة، منها: العصبية العرقية، والعضبية الوطنية، والعصبية القومية، والعصبية الطائفية و... الخ و ان دراسة هذ الظاهرة نوضح لنا بأنّ جذور هذا الخطأ تكمن في معرفة طبيعة الأشياء، أي ان الأمور المادية حلّت مكان الأمور المعنوية.

وتنشأ العصبية الجاهلية من تصور الفرد الجاهل بأنّ المادة تمثل المعنوية والحقيقة. وَ حَمَلَة مثل هذه الأفكار يتّخذون من الطبيعة الجغرافية واللغة و شكل ومظهر الإنسان والظروف الإجتماعية والمادية، دليلاً على استعلائهم على سائر البشر الذين يفتقرون الى تلك المزايا، وحسب وجهة نظر هؤلاء فإنّ أية مزية من هذه المزايا يمكن ان تكون معياراً لتفضيل فرد على آخر. والشخص الجاهل والمتعصب يقيس الأمور المعنوية وسمو الأخلاق (بالنسبة للبشر) على أساس هذه المزايا المادية الظاهرية، كما يعتبر الأفراد الذين يفتقرون لتلك المزايا المادية والظاهرية أفراداً سيئين من الناحية الأخلاقية، وذوي منزلة منحطة.

ان لجوء الفرد الى التعصب الأعمى، يجعله يغض النظر عن الأمور المعنوية والأخلاقية، بل و يؤدي به الى اعتبار الأمور المعنوية والأخلاقية أدوات تتعين قيمها وفق المعايير المادية والظاهرية كلون البشرة والجنس والمكانة الإجتماعية وكمية الثروة وما شاكل ذلك.

بالإضافة الى ذلك فأنّ تعريفهم للمجموعة أو الجنس نادراً ما يكون صحيحاً ودقيقاً، حتى أنهم يضربون القوانين التي صادقوا عليها بعرض الحائط ارضاءً لميولهم وأهواءهم الشخصية، وأفضل مثال على ذلك مايجري من التفرقة العنصرية في جنوب افريقيا، إذ يعتبرون اليابانيين من الجنس الأبيض، بينما يعتبرون الفرد المصري أو السوري من الجنس الأسود، أوما جرى خلال الحكم النازي الذي اعتبر كل الأوربيين عدا اليهود منهم من الجنس الأبيض.

ان العصبية الجاهلية التي تقوم على أُسس تاريخية وجغرافية و بيولوجية أو على أُسس فيزيولوجية هي مفهوم خاطيء. ومقابل تلك العصبية نرى ان القرآن الكريم يطرح للبشرية رؤية كونية صحيحة. وان الله سبحانه و تعالى قد بيّن بوضوح بانّ كل البشر خلقوا من نفس واحدة.

«يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءاً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيباً».

(النساء: ١)

«هو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون».

(الأنعام: ٩٨)

وطبقاً لما يقوله القرآن فأن كل البشر من آدم وحواء:

«يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأُنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله أتقاكم أن الله عليم خبير».

وكل البشر يعتبرون سواسية أمام القوانين الإلهية، وتعتبر التقوى المعيار الوحيد عند الله لتميز فرد عن آخر. وفي الحقيقة أن كل صفحة من القرآن لاتخلو من الحث على التحلي بالايمان والعدالة والرأفة

والإحسان والشجاعة والصبر والأخوة والعفة والاستقامة والحسم. حتى ان رسول الله (ص) حثَّ المسلمين في آخر خطبة له على نبذ التفرقة العنصرية، و بيَّن لهم أن لافرق بين عربي وأعجمي أو أسود وأبيض إلاَّ بالتقوى. والله سبحانه و تعالى ينذرالأفراد العاصين لأوامره بأنه سيغضب عليهم:

«ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل على نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وأن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لايكونوا أمثالكم».

(محمد: ٣٨)

وقد سئل رسول الله ((ص)) عن هؤلاء القوم الذين يكونوا أمثال أصحابه، فوضع يده على كتف سلمان الفارسي وقال (مامعناه): **هم قوم هذا الرجل، فلوكان العلم في الثريا لنالته أيدي رجال من فارس.**

ان الله قد بعث الرسول ((ص)) الى كل البشر، كما أن الآيات القرآنية التي نزلت على الرسول (ص) كانت لكل البشرية:

«وما أرسلناك إلاّ كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لايعلمون».

(سبأ: ٢٨)

والقرآن هو ذكر لكل البشر:

«وما هو إلا ذكر للعالمين».

(القلم: ٥٢)

وهو نذير للعالمين:

«تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً».

(الفرقان: ١)

والرسول ((ص)) هو رحمة من الله لعباده:

«وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين».

(الانبياء: ١٠٧)

كما ان رسالة الرسول ((ص)) هي لكل البشرية:

«أن أول بيت وضع للناس ببكة مباركاً وهدىً للعالمين».

(آل عمران: ٩٦)

ان عالمية القرآن، أمر مطلق لا ترديد فيه وليس هناك أي استثناء. كما ان القرآن يبين للمسلمين بأنَّ عليهم ان لاينظروا الى لون البشرة، والعرق، والقومية، والجنس، وآداب وتقاليد البشر.

ان تمسك المسلمين بالقرآن، جعلهم يوجدون مجتمعاً عالمياً يتساوى فيه كل الأفراد مع بعضهم. واليوم فأنَّ العالم الإسلامي خليط من مختلف الأجناس البشرية واللغات والثقافات. والملاحظ في المجتمع الإسلامي ان المدن الكبيرة تضم كل الأجناس البشرية تقريباً، و يتزاوج هؤلاء فيما بينهم، و يعيشون سوية تحت راية الإسلام العالمية.

مسؤولية الإنسان

بما ان الإنسان قد خلق منزّهاً وغير مذنب، فقد كان ومنذ لحظة ولادته مستعداً من أجل التعرف على الأعمال الصالحة وتحقيق القيم الإنسانية. ولن يكون معذوراً فيما لو تكاسل في أداء الفرائض الإلٰهية. وما من شك في ان كل انسان يمتلك قابليات وقدرات تختلف عن قابليات وقدرات الآخرين، ولكن الباري عزّوجلّ وعد البشرية بأنْ لا يحملها مالا طاقة لها به:

«لا يكلف الله نفساً الا وسعها لها ماكسبت وعليها مااكتسبت».

(البقرة: ٢٨٦)

و بالطبع فأن أفراد البشر يؤثر بعضهم على بعض بأشكال مختلفة، وكل فرد مسؤول عن عمله، ولا يحمل على عاتقه وزر الآخرين وأن عمله يعود لنفسه:

«ألا تزر وازرة وزر أخرى* وان ليس للإنسان إلاّ ماسعى».

(النجم: ٣٨،٣٩)

«أنا أنزلنا عليك الكتاب بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضلّ فانما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل».

(الزمر: ٤١)

«من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد».

(فصلت: ٤٦)

ولذلك فانّ القرآن الكريم يبيّن بأنّ اثم أي فرد، لايقع على عاتق الآخرين، كما ان عمله الصالح لنفسه ولا يحسب على الآخرين. اما المسؤولية الأخلاقية، أي واجب الإنسان في تنفيذ الأوامر الإلهية فتعتبر أمراً شخصياً، وان المسؤولية تعتبر عبئاً ثقيلاً على عاتق الإنسان. و بالرغم من ثقل هذه المسؤولية إلاّ ان حملها يعتبر فخراً وامتيازاً، وهذه المسؤولية الشخصية هي من القيمة بحيث تستحق ان يتحمل الفرد المخاطر والمشاكل من أجلها. اذ انه يتمكن من خلال ذلك من تقرير مصيره بنفسه و يتمكن من استخدام هذا الإمتياز الذي منحه الله له فقط. واذا استفاد الإنسان من هذا الإمتياز بالشكل الصحيح فسوف يصبح صانعاً للتاريخ وحاكماً عليه بدلاً من ان يكون تابعاً له. واذا لم يكن الإنسان ليحمل مسؤولية فما كان جديراً بأنْ يكون خليفة الله على أرضه.

وملخص كلامنا ان الإنسان ليس العوبة (حتى بيد الله) وحتى اذا ماقادته تصرفاته الى العذاب الأبدي فأن مرتبته الإنسانية تبقى نفسها التي منحها الله له. وفي الحقيقة ان العامل الوحيد الذي يبرر عذابه الأبدي، هو حريته وقدرته، والأهم من ذلك مسؤوليته. واذا مالم يكن هناك حساب في العمل فأن المسؤولية والتقوى والأخلاق تصبح عبثاً، كما ان المسؤولية جاءت بمعنى الحساب تقريباً، فبدون حساب لايمكن ان تكون هناك مسؤولية، كما ان القرآن الكريم يؤكد مراراً على وجود حساب للإنسان. وان مفاهيم الحساب والقضاء واليوم الآخر، والساعة الأخيرة والجنة والنار والثواب والعقاب موجودة في كل صفحة من القرآن.

ان الله عزّوجلّ عادل، وجميع أحكامه عادلة:

« ان الله لايظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها و يؤت من لدنه أجراً عظيماً» .

(النساء: ٤٠)

« ان الله لايظلم الناس شيئاً ولكن أنفسهم يظلمون» .

(يونس: ٤٤)

« واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه افتتخذونه وذريته أولياءً من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً» .

(الكهف: ٥٠)

ان العدل الإلهي يقتضي بأنَّ لا تهمل ولو ذرة من أعمال ونيات الإنسان، وان أعمال الإنسان ونياته تتجلى يوم القيامة وسوف يحاسب عليها.

بسم الله الرحمن الرحيم

«اذا زلزلت الأرض زلزالها* وأخرجت الأرض أثقالها* وقال الإنسان مالها* يومئذ تحدث أخبارها* بأن ربك أوحى لها* يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم* فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره* ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره» .

(الزلزلة: ١-٨)

يقول صعصعة ابن صوحان بأنَّ رسول الله عندما سمع هذه السورة قال (مامعناه): **اذا لم أسمع من القرآن شيئاً بعد هذه السورة فإنَّ هذه السورة تكفي في عظتي.**

بسم الله الرحمن الرحيم

«القارعة * ماالقارعة * وما أدراك ماالقارعة * يوم يكون الناس كالفراش المبثوث * وتكون الجبال كالعهن المنفوش * فأما من ثقلت موازينه * فهو في عيشة راضية * وأما من خفَّت موازينه * فأمه هاوية * وما أدراك ماهية * نار حامية» .

(سورة القارعة)

ومن الممكن ان تنفذ العدالة الإلهية (أي أنْ يحاسب الإنسان) في هذه الدنيا، ذلك ان ارادة الله قد تقتضي ان يتذوق الإنسان المحسن ذرة من ثواب الآخرة، وقد تقتضي أنْ يتذوق الإنسان المذنب ذرة من عذاب الآخرة:

«قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون» .

(الأعراف ــ ٣٢)

«ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» .

(البقرة ــ ٢١)

وعلى أية حال؛ فأن التنفيذ الكامل للعدالة الإلهية مؤجل الى يوم القيامة الذي يحاكم فيه المرء،

فيثاب أو يعاقب تبعاً لعمله:

«ثم انكم يوم القيامة تبعثون» .

(المؤمنون ــ ١٦)

ان عالم الآخرة هو عالم يجازى فيه كل انسان فيثاب أو يعاقب وفقاً لما قام به من عمل. ولأجل ضمان اجراء العدالة المطلقة فأنَّ القرآن الكريم يبيِّن و بصورة جازمة بأنَّ الله لايقبل الشفاعة من أي شخص إلَّا من أذن له الله ورضي له قولاً.

«يومئذ لا تنفع الشفاعة إلَّا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً» .

ان رسول الله(ص) قد أعلن يوم وفاة ابنه ابراهيم بأن الإنسان وحتى ابن الرسول لا تنفعه مكانته يوم القيامة.

حب البشرية

لقد ظهرت خلال تاريخ الإنسانية مذاهب مختلفة تتعلق بالإنسان، إدَّعى أنصارها بأنَّ مذاهبهم تتلاءم وحب البشرية. وان انصار كل مذهب حاولوا أن يبرهنوا على أن مذهبهم الذي يدافعون عنه يرفع من شأن الإنسان ويوصله الى مقام خاص، أو انه يعطيه دوراً سامياً في عالم الوجود أو يقوده الى مصير مشرف.

و بالرغم من ان هذه المذاهب مبالغ فيها وتصوَّر بأنها عالمية تشمل كل البشرية (على الظاهر) إلَّا انها في الحقيقة لا تشمل حال كل البشرية، ولم توضع في الأصل من أجل ضمان منافع الإنسانية، بل وضعت ليقتصر نفعها على الجنس الذي وضعها ولصالح ثقافته. وأسوأ هذه المذاهب هو المذهب اليهودي المتعصب. فهذا المذهب يدَّعي بأن اليهود هم أبناءالله والمقربون الوحيدون عنده، بعبارة أُخرى يدَّعي هذا المذهب بأن اليهود حتى وان عصوا أوامر الله وارتكبوا أنواع الخطايا واتبعوا سائر الآلهة (حسب تعبير نبيهم (Hoseah) فانهم يبقون أبناءً أعزة عندالله، وان الله قد فضلهم على سائر أفراد البشر (بصورة الزامية).

ولو قارنا بين المذهب البوذي والمسيحية ونظرية انكار الدين الحديثة والإسلام لأتضح لنا و بكل جلاء بأن الدين الإسلامي الحنيف هو المدافع الحقيقي عن البشرية جمعاء، وهو الهادي لها الى السعادة في الدنيا والآخرة.

أما مذهب بوذا فيقول إن حياة الإنسان لايوجد فيها شيء غيرالتعب والشقاء، وكل نقطة مشرقة في حياته هي سراب تسبب له متاعب وآلام كثيرة، ولذلك فأن مذهب بوذا لايعتقد بعالم الغيب وماوراءالطبيعة، وكل جهده منصب من أجل تخفيف متاعب وآلام البشرية رغم اعتقاده بأنَّ هذه المتاعب والآلام لايمكن القضاء عليها كلياً، و بأنَّ الكمال المطلوب يكمن في موت جسم الإنسان. وفي تلك الحالة فقط ــ حسب اعتقاد البوذيين ــ لايكون هناك وجود للألم والتعب. وللوصول الى هذه الحالة (طبقاً للعقيدة البوذية) فلابُدَّ من تحمل الآلام، والإبتعاد عن مسرح الحياة.

إن أكبر نقص في مذهب بوذا هو تأكيده على بؤس وشقاء الإنسان، وكأنَّ حياة الإنسان والخلقة

ماهيا إلّابؤس وشقاء، ولذلك يدعو هذا المذهب الى تحمل الآلام وترك العمل وفق رغبات النفس فقط، و بذلك يجعل من أتباعه أناساً متخلفين عن أحداث التاريخ، و يعتبر أي جهد في مسير الثقافة والحضارة أمراً عبثاً. وحسب مفهوم هذا المذهب فأن من يريد ان يفلح في حياته يجب ان يتحمل الآلام والصعوبات، وأنْ تكون له قدرة تحمل كبيرة، وعليه أنْ يعيش في فقر وحرمان، ولايتدخل في شؤون الآخرين، وأنْ يفكر في إبعاد الأذى والشقاء عن نفسه فقط. و واضح بأن حياة انسان كهذا تعتبر عديمة الجدوى بالنسبة لنفسه، بل وللآخرين أيضاً.

اما (المسيحية المحرّفة) فأنّها تقبل ادعاء المذهب البوذي بشأن ماهية الحياة. إلا انها تضيف على ذلك بأنّ الذنوب والإنحرافات والسقوط هي من الأمور الحتمية في حياة الإنسان بنفس نسبة الآلام والمتاعب التي تعترض حياته.

ان المذهب البوذي يعتبر الآلام والمتاعب أُموراً سيئة، إلّا انه لايعتبرها مرتبطة بالذنوب، بينما المسيحية تعتبر الآلام والمتاعب التي تصيب الإنسان انما هي نتيجة لفساده وتمرده.

وترى (المسيحية المحرّفة) (كما يقول باول تيليج) ان الله يعرف الذنوب التي سيرتكبها الإنسان الذي يريد ان يخلقه، ولذلك فانّ الخطأ والإنحراف والذنوب الذاتية تلوث الإنسان قبل أنْ يولد.

واذا طرحنا على أصحاب هذه النظرية السؤال التالي: وفق أية أُسس وضعت نظريتكم المبالغ فيها؟ فأن جوابهم سيكون: بما أن الله قد أرسل ابنه من أجل أن يصلب، وأخذ هو على عاتقه مسؤولية هداية البشر، إذن فانّ وجود الذنب في ذات الإنسان أمر ضروري، أما اذا لم تكن الحالة كذلك فلم يكن للملحمة الإلهية ضرورة وكان عيسى في مثل هذه الحالة بمنزلة رجل حكيم، أو كان من الأنبياء (على أبعد الحدود) لا أنْ يصبح الله على هيئة عيسى.

وتدّعي (المسيحية المحرّفة) بأنّ الله ظهر على هيئة عيسى، وهي تحتقر الإنسان لأنه مذنب، ولكنها — فجأة — ترفع من شأنه الى حد اشراكه مع الله، مدّعية بأنّ الإنسان مخلوق ذو شأن، بحيث ان الله سبحانه وتعالى لم يتمكن من أن يراه يقع في التهلكة، ولذلك فقد ظهر (الله) على هيئة انسان أوجد ملحمة نجاة البشر.

وفي الحقيقة ان المسيحية بادعائها هذا تكون قد أجازت للإنسان أن يغتر بنفسه غروراً مفرطاً، ذلك أنها تدّعي بأنّ الله ضحى بنفسه من أجل هذا الموجود!

و يظهر بوضوح بأنّ ادعاء (المسيحية المحرّفة) ادعاء كاذب و ينم عن جهل.

ان(المسيحية المحرّفة) تتفق مع المذهب البوذي الذي يدعي بؤس وشقاء الإنسان لكنها تعزوها الى ذنب الإنسان الذاتي أو البيولوجي. ولأجل ان يخرج الإنسان من هذا الوضع المزري فقد ابتكرت قصة أخرى، وهي ان الله قد أصبح على شكل انسان، وضحى بنفسه من أجله، ثم أحياها من جديد. وهذه الأفكار والقصص تعتبر غلواً وكذباً تتعارض مع الحقيقة تماماً.

ان الإدراك الصحيح لماهية خطأ الإنسان، سيبطل و بالتأكيد كل الأكاذيب التي نسُبت لله والمتعلقة بنجاة الإنسان. وهذه الأفكار الحمقاء والمبالغ فيها لا تفيد الإنسان، كما ان الأفكار والأحكام الموضوعة والغير منطقية للكنيسة وكذلك المعاملة القاسية من قبل القساوسة، جعلت الحياة

الإنسانية تصاب بخلل واضطراب، ومنعتها كذلك من الوصول الى الحقيقة والسعادة.

واذا كان القادة الأوائل للمسيحية قد اعترفوا بالحقائق، وعرّفوا و بيّنوا الأعمال الحسنة والسيئة، لما اضطروا الى الكذب والإستدلال بالأحكام الغير صحيحة والبعيدة عن الحقيقة.

ان الإدعاءات الكاذبة والإستدلالات الخاطئة وممارسات التزو ير التي قام بها رجال الدين المسيحي، أدت الى ظهور نظرية «نبذ الدين المسيحي».

الا ان اعتفادهم وحبهم لفول الزور والذي وجد عندهم، إضافة الى العنصرية التي كانت تعشعش في أذهانهم، لم تسمح لهم بأنْ يرفضوا (المسيحية المحرّفة) بصورة كاملة، ولذلك فقد سعى المثقفون الى وضع نظرية تحرر الإنسان من الكنيسة والقيم الدينية، بحيث تكون متلائمة مع الطموحات الإستعمارية للأور بيين للتسلط على آسيا وافريقيا، ونتج عن هذه النظرية مزيج من العنصرية وحب اللذات. وقد أدى هذا الوضع الى ظهور فوضى في الحرية والديمقراطية. وفي روسيا كانت ردود الفعل تجاه الكنيسة أعنف من أي مكان آخر، فحلّت الأفكار المادية مكان الأفكار الكنسية، وانتشرت هذه العقيدة وهي: ان الهدف الوحيد في العالم هو ضمان رفاه الطبقات العمالية.

ان النظرية الماركسية تدّعي بانّ الإنسان موجود منتج ومستهلك وتنحصر احتياجاته في اللذات المادية للحياة.

ونظرية تحرر الإنسان جاءت لايجاد الفوضى رغم ادعاءاتها الكبيرة، إلّا اذا كانت حالة مجموعة عرقية أو دولة ما لا تقتضي ايجاد الفوضى فيها. وهذا الأسلوب يعتبر من أكثر الأساليب شيوعاً في تطبيق مايسمى بنظرية (حرية الإنسان).

وهذه المذاهب شأنها شأن المذاهب الوطنية أو القومية لا تعود بالنفع إلّا على فئة معينة. وفي مقابل ذلك فأنّ الأفراد أو المجموعات أو الشعوب التي تستعمر من قبل أصحاب هذه المذاهب تفقد حقوقها الإنسانية. اما عن محتوى هذه المذاهب فلابدّ من القول انها لا تتعدى حدود اللذات المادية، وان أياً من هؤلاء المثقفين المدافعين عن هذه المذاهب مثل: جرمي بنتام، وجان استيوارت ميل، و براتراند راسل، ولو يس بري، وجان ديفي لم يتمكنوا لحد الآن من الإجابة بجزم على هذا السؤال: لماذا يجبر الإنسان على الذهاب الى طبيب الأسنان؟ فكيف بهم يجيبون على نداء وجدان الإنسان الذي يصرخ و يقول رغم ان اللذة تعتبر لذة، لكنها قد تكون مغايرة للأخلاق.

وازاء كل ذلك فأن النظرية الإنسانية للإسلام تعتبر عالمية مئة بالمئة، وتشمل كل البشرية. فما يريده الإسلام من المسلمين لايختلف عما يريده من البشر، كما انه يعتبر الإنسان مخلوقاً خلق على أفضل وجه ويحمل مقداراً عظيماً من الإدراك والإستعدادات التي تمكنه من مسايرة الزمان والمكان وايجاد التغييرات المطلوبة، وهو «أي الإسلام» يوجب على الإنسان تسيير كل أبعاد حياته: كالبعد الفيزيولوجي، والبعد الإجتماعي، والبعد الثقافي، والبعد العلمي، والبعد المعنوي، والروحي سو ية، مما يعني ان الإسلام يقدر مكتسبات الحياة البشرية و يعمل على تطو يرها وزيادة قيمة مجموع العالم.

ان الإسلام لايعتبر أي قوة بأنها قوة سيئة على الإطلاق، لكنه يعتبر الأعمال التي يقوم بها البشر خلافاً لأوامر الله على أنها أعمال دنيئة، كما يؤكد على وجود أعمال سيئة ولكنه لايعطيها حالة مطلقة،

و يقبل بوجود أعمال حسنة ولكنه لايعطيها حالة مطلقة أيضاً.

والإسلام يصرّح بأنّ أي تخلف للإنسان عن الأوامر الإلهية أو أي عمل حسن يقوم به سيحاسب عليه من قبل الله، وسيثاب أو يعاقب وفقاً لأعماله، كما يعتبر الإنسان مخلوقاً أفضل من الملائكة لأنه جسر بين الله والتاريخ.

و من المؤكد بأن الإنسان هو أسمى المخلوقات، كما يعتبر تتويجاً للخلقة، ولكنه يخضع لسلطة وارادة الله، وليست له أية قدرة قباله.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فأنّ الباري عزّوجلّ ليس عدواً للإنسان، كما لايعتبر الإنسان رقيباً له، والدين الإسلامي يعتبر جميع أفراد البشر سواء أكانوا مسلمين أم لم يكونوا، من مخلوقات الله، وسيحاسبون طبقاً للعدالة الإلهية، ولافضل لإنسان على آخر ■

المرأة في المجتمع القرآني

الدكتورة لميعة فاروقي/ امريكا

لقد انتخبت هذا الموضوع للمؤتمر لاعتقادي بأنّ البشرية في هذا العصر تعاني من مشاكل اجتماعية حادة ومنها ما تتعلق بالمرأة و بعلاقة الرجل و المرأة في المجتمع. وعلى الرغم من أن هذه المشاكل قد يمكن ان تبدو أعمق وأكثر ألماً من غيرها، لكننا قلّما نجد منطقة في العالم تخلو من مشاكل تتعلق بالمرأة وعلاقة الرجل بالمرأة في المجتمع.

إذن فهناك حاجة ماسة من أجل ايجاد حل عملي لهذه المسألة، ثم انني اتصور بأن القرآن يطرح أفضل سبيل من أجل اصلاح المجتمع. ولذلك رأيت من المناسب ان استعمل المصطلح القرآني فيما يتعلق بالمرأة والمجتمع.

يمكن ان تتعجبوا من عنوان هذه المحاضرة و هو «المرأة في المجتمع القرآني»، ولكن اسألوا أنفسكم، لماذا لم نقل: «المرأة في المجتمع المسلم» «أو» «المرأة في مجتمع اسلامي»؟

اسمحوا لي أنْ أُوضح لكم سبب عدم استعمالي مصطلح المسلم أو الإسلامي، واستعمالي مصطلح «المجتمع القرآني» الغير متداول نسبياً.

هناك ثلاثة أدلة ـ على الأقل ـ على سبب انتخابي لهذه العبارة:

الدليل الأول: ان كثيراً من العقائد والأعمال تسمى اسلامية دون ان تكون اسلامية. وهناك ما يقرب من أربعين دولة تدّعي بأنّ غالبية سكانها من المسلمين، وتعتبر نفسها نموذجاً للمجتمعات الإسلامية أو المسلمة. و بالطبع فعندما يطرح هذا

السؤال وهو؛ أي مجتمع من هذه المجتمعات يعتبر نموذجاً للمجتمع الإسلامي الحقيقي والمؤمن؟ فلا تتيسر الإجابة عليه بسهولة في غمرة هذه الأوضاع. واذا ما طرح هذا السؤال على المسلمين فغالباً مايكون جواب كل واحد منهم هو؛ ان مجتمعنا أو شعبنا يؤمن بالله أكثر من أي شيء آخر.

ومن جهة أخرى فانَّ الأفراد الغير مسلمين وخاصة الباحثين الغربيين ــ فيما يتعلق بمعرفة الإنسان ــ الذين يجوبون العالم لدراسة آداب و رسوم الشعوب، يقيسون الفوارق في العالم الإسلامي بدرجة واحدة. و يعزى هذا الأمر الى اعتقادهم بنظرية خاصة.

ان مؤيدي تلك النظرية يعتبرون المسلمين، نماذج مختلفة من النوع الإنساني، و بالطبع فانهم يطبقون هذه النظرية على سائر الناس غير الغربيين. فهؤلاء يتوجهون الى منطقة ما و يلتقطون الصور لكل شيء عجيب وغير اعتيادي حسب و جهة نظرهم، و يكتبون ملاحظات حوله ويحسبونه على الإسلام، ثم يذهبون الى منطقة أُخرى من العالم الإسلامي و يستعملون نفس الوسائل والأساليب، فيلتقطون الصور، و يكتبون التقارير و يبيِّنون الإختلاف الظاهري في الآداب والسلوك بين هذه المنطقة والمنطقة الأُولى، و يحسبونه على الاسلام.

ان المحققين الغربيين نادراً ماسعوا الى معرفة الإسلام بصورة كلية، و بذلك تصبح قضية الشك والنسبية عالقة في ذهن المحقق، فيعود الى بلده متصوراً بانه لاوجود لإسلام واحد في العالم، بل ان للإسلام أشكالاً متعددة. ولذلك يكتب في تحقيقاته بأنَّ دورالمرأة في المجتمع الإسلامي دور متباين جداً، و يضع تعريفاً خاصاً حسب مايدور في ذهنه و يطلق صفة «الإسلامي» على ذلك، حتى وان كانت بعض الأعمال والتصرفات منحرفة عن أُصول واعتقادات المسلمين التي تصدرمن جانب بعض الأفراد المنحرفين.

ومن المعلوم انه لايمكننا الاكتفاء ــ فيما يتعلق بالمسائل التي تلعب دوراً مهماً ومصيرياً في حياتنا ــ بذكر التقارير التي كتبت حول الأفراد الذين يعتبرون مسلمين في الظاهر والذين أُطلقت على آدابهم و سلوكهم صفة «الإسلامية».

ان هذه الصفة تُطلق ــ أحياناً ــ على بعض الأفراد أوعلى أعمالهم إشتباهاً، ومن جهة أُخرى فانَّ صفة «قرآني» هي صفة مشخصة و واضحة وتتعلق ببحثنا.

الدليل الثاني: ان إطلاق صفة «المجتمع القرآني» يعتبر مناسباً لانه يرشدنا الى ايجاد الأُصول الأساسية التي يعلمها لنا القرآن والتي تشكل أساس مجتمعاتنا في العالم الإسلامي.

ان هدفنا الحقيقي هو بناء مجتمع يقوم على أساس الأُصول القرآنية، ومع ذلك ينحرف البعض منا عن هذه الأُصول من دون أن يدري. واذا أردنا ان تعيش الشعوب الإسلامية بسعادة فيجب علينا ان نسعى جميعاً لايجاد المجتمع الإسلامي القائم على أُسس قرآنية. ويجب ان لانتصور أبداً بأنَّ المجتمع القرآني مجتمع يتألف من أندونيسيا أو مصر أو نيجيريا أو السعودية أو الباكستان وغيرها مثلاً، بل ان المجتمع القرآني يجب ان ينطبق مع تعاليم القرآن الكريم مئة بالمئة، وعليه ان يتبع الأُصول القرآنية بجد. وفي مثل هذا المجتمع فقط يمكننا ان نجد تعريفاً صحيحاً عن دور المرأة في المجتمع. و بما ان هدفي هو البحث في التعاليم القرآنية، لذلك انتخبت عنوان «المرأة في المجتمع القرآني» كأفضل عنوان فيما يتعلق بموضوع بحثنا.

الدليل الثالث: والهدف الآخر من انتخاب هذا العنوان هو التأكيد على ان القرآن يجب ان يكون مرشداً في كل نواحي حياتنا، لا أن نعتبره مرجعاً

أولياً في عقائدنا وأعمالنا وواجباتنا الدينية فقط، بل يجب أن يكون مرشدنا في كل جانب و مرحلة من مراحل حياتنا و حضارتنا الإسلامية.

في القرون الماضية التي كان يتمتع فيها المسلمون بقوة وعظمة، كان القرآن الكريم يتحكم في الإبداعات الفنية والنواحي الإجتماعية والإقتصادية والسياسية للشعوب الإسلامية. فاذا أردنا ان نحظى بحياة إسلامية و نستفيد من قوة وعظمة الإسلام، كان علينا الإستناد الى القرآن في جميع الشؤون.

ان الدين لاينحصر و يتحدد في الأركان الخمسة التالية: التشهد، والصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، بل ان كلمة «الدين» لايمكن ان نجعلها مترادفة مع كلمة Religion التي تعني الدين في الإنجليزية، ذلك ان الدين لعب و يلعب دوراً مؤثراً في جميع أبعاد حياة الإنسان وتصرفاته.

ومما لاشك فيه ان هدفنا يجب ان يتمثل بربط جميع الأفعال بالدين، وذلك من خلال الرجوع الى القرآن الكريم، وجعله مرشداً لنا في جميع المجالات.

تعالوا لنرى ماذا يعطينا القرآن من تعاليم من أجل الوصول الى المجتمع القرآني، وما هي آثار تلك التعاليم على شخصية المرأة، وكيف ينظر المجتمع القرآني الى المرأة وماهي الإمتيازات التي يمنحها اياها؟.

وللإجابة على هذا السؤال يمكن ان تذكر خمس مزايا رئيسة ومهمة وغير قابلة للتغيير في المجتمع القرآني. و بالرغم من اننا ندرس هذه المزايا بصورة منفصلة عن الأخرى، إلاّ ان الحقيقة هي ان هذه المزايا غير منفصلة عن بعضها، و يؤثر بعضها على البعض الآخر.

ان علاقة هذه المزايا الخمس تشكل سبباً في عدم إمكانية فصلها عن بعضها، أو التطرق اليها كل واحدة على حدة.

وتلك المزايا هي عبارة عن:

١ ــ تساوي مقام وقيمة الرجل والمرأة:

ان المزية الأولى للمجتمع القرآني فيما يتعلق بالمرأة هي ان المرأة والرجل متساويان من ناحية المقام والقيمة، و بعبارة أُخرى ان القرآن يبيّن لنا بأنّ خالق المرأة والرجل واحد وهو الله تعالى، وهما متساويان من حيث التقييم. وهذا لايعني بأنّ المرأة والرجل متكافئان تماماً من ناحية القوة والقدرة. ويمكن اثبات صحة تساوي مقام وقيمة المرأة والرجل من خلال القرآن نفسه. فهناك أربعة مواضيع يبحثها القرآن فيما يتعلق بحياة الإنسان وعلاقة البشر فيما بينهم:

ألف: الشؤون الدينية:

إنّ أول تأثير للقرآن فيما يتعلق بمساواة الرجل والمرأة، يمكن مشاهدته في الشؤون الدينية كنشأة البشرية، والواجبات الدينية، أو الثواب والعقاب.

١ ــ نشأة البشرية: يخلو القرآن الكريم من القصص التي زوّرت في التوراة بهدف تحقير المرأة، فلا يوجد في القرآن أقل إشارة الى ان أول امرأة خلقها الله كانت قيمتها أقل من أول رجل خلقه الله، أو ان المرأة قد خلقت من أحد أضلاع الرجل، بل على العكس، فالقرآن يذكر بأنّ المرأة والرجل خلقا من نفس واحدة و يكمل أحدهما الآخر.

قال تعالى:

«يا أيها الناس آتقوا ربّكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منها رجالاً كثيراً ونساءً وآتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام، إنّ الله كان عليكم رقيباً».

(النساء ــ ١)

وقال عزّ شأنه:

«هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها...»

(الأعراف ــ ١٨٩)

والملاحظ ان التوراة (المحرّفة) مكتوب فيها بأنّ حواء كانت بمثابة الشيطان عند ما كانت في جنة عدن، وهي التي ساعدت الشيطان في خداع آدم ليعصي أمر الله. غير ان القرآن الكريم ينظر الى آدم وحواء بنظرة واحدة، و يتكلم عنهما بنبرة واحدة. واستناداً الى القرآن الكريم فانّ كلاً من آدم وحواء كانا مذنبين بنفس الدرجة، وكان جزاء تقصيرهما هو اخراجهما من الجنة. لكن حين تابا الى الله قبلت توبتهما.

٢ ــ الواجبات الدينية والثواب والعقاب:

ان القرآن الذي يساوي بين المرأة والرجل من ناحية الخلقة، يساوي بينهما أيضاً في الواجبات الدينية، وكذلك في الثواب والعقاب. قال تعالى:

«إنَّ المسلمينَ والمسلماتِ والمؤمنينَ والمؤمناتِ والقانتينَ والقانتاتِ والصادقينَ والصادقاتِ والصابرينَ والصابراتِ والخاشعينَ والخاشعاتِ والمتصدقينَ والمتصدقاتِ والصائمين والصائماتِ والحافظينَ فروجهمْ والحافظاتِ والذاكرينَ الله كثيراً والذاكراتِ أعدَّ الله لهم مغفرةً وأجراً عظيماً».

(الأحزاب ــ ٣٥)

وقال تعالى:

«وعد الله المنافقينَ والمنافقاتِ والكفّار نار جهنم خالدين فيها، هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذابٌ مُقيمٌ.».

(التوبة ــ ٦٨)

ب ــ الواجبات الأخلاقية والثواب:

ان المرأة والرجل متساو يان في وظائفهما الأخلاقية والثواب، والقرآن الكريم يصرح بذلك بصورة جلية:

قال تعالى:

«ومن يعمل من الصالحاتِ من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمنٌ فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً».

(النساء ــ ١٢٤)

وقال جلّ شأنه:

«من عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمنٌ فلنحيينَّه حياةً طيبةً ولنجزينَّهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون».

(النحل ــ ٩٧)

وقال جلّ جلاله:

«المنافقونَ والمنافقاتُ بعضهم من بعضٍ يأمرون بالمنكر و ينهون عن المعروف و يقبضون أيديهم، نسوا الله فَنَسِيَهُمْ إنَّ المنافقين هم الفاسقون».

(التوبة ــ ٦٧)

وقال تعالى:

«وعد الله المؤمنينَ والمؤمناتِ جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهارُ خالدينَ فيها ومساكن طَيِّبةً في جناتِ عدنٍ ورضوان من الله أكبر، ذلك هو الفوز العظيم».

(التوبة ــ ٧٢)

ولو كان الرجل والمرأة قد خُلقا غير متساو يين من ناحية القيمة والمنزلة فإنّ هذه الأدلة الواضحة التي تدل على ان الرجل والمرأة متساو يان من ناحية الواجبات والثواب والعقاب ما كانت لتذكر في القرآن اذا كان الأمر خلاف ذلك.

ج ــ التربية والتعليم:

رغم ان التعاليم الخاصة بتساوي حقوق المرأة والرجل في التربية والتعليم غالباً ما توجد في الأحاديث، إلاّ اننا يمكن ان نستنبط من الآيات القرآنية بأنّ القرآن الكريم يحث الناس نساءً ورجالاً على طلب العلم، فمثلاً ان القرآن يأمر الجميع ــ دائماً ــ بقراءة القرآن وتلاوته والتدبر بآيات الله في الطبيعة وأخذ العبر. وفي الحقيقة ان أول آية نزلت على الرسول (ص) كانت ترتبط بالعلم.

قال عزّوجلّ:

«إقرأ باسم ربّك الذي خلق»

(العلق ــ ١)

ان العلم في المجتمع القرآني لايقتصر على فئة معينة أو جنس واحد، بل ان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، كما أمر بذلك الرسول (ص) حتى وان تَطلَّبَ الأمر السفر الى الصين[1].

قال الرسول الأعظم (ص):

«أطلب العلم ولو في الصين».

حتى انه (ص) أمر بتعليم الخدم (٢) وطلب من شفيعة بنت عبدالله ان تعلّم زوجته حفصة (٣) كما ان الرجال والنساء كانوا يجتمعون من أجل الإستماع الى ما يقوله (ص). و بعد وفاته وجدت الكثير من النساء العالمات، فعائشة زوج الرسول كانت بارعة في العلوم القرآنية، وكان (ص) يحث أصحابه على التعلم من عائشة (٤).

د ــ الشخصية الحقوقية «القانونية»:

والدليل الرابع الموجود في القرآن والذي يثبت تساوي الرجل والمرأة هو ان القرآن يجعل لكل انسان من لحظة ولادته أو بعد موته حقوقاً وقوانين، خلافاً للمجتمع الغربي الذي كان وحتى الى قبل القرن المنصرم لايجيز للمرأة بأنْ تمارس البيع والشراء أو تحوّل ملكها الى شخص آخر دون إذن من زوجها، اما القرآن الكريم فهو يؤكد بأنّ لكل إمرأة حق الشراء والبيع والمعاملة والتكسب والتصرف وادارة أموالها و ثرواتها. قال تعالى:

«ولا تمنوا ما فضّل الله بعضكم على بعضٍ، للرجالِ نصيبٌ مما اكتسبوا وللنساء نصيبٌ مما اكتسبن وآسألوا الله من فضله، إنّ الله كان بكلّ شيءٍ عليماً».

(النساء ــ ٣٢)

اضافة الى ذلك حدّد القرآن الكريم للمرأة سهماً من إرث العائلة. قال تعالى:

«للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أوكثر نصيباً مفروضاً».

(النساء ــ ٧

وقال تعالى:

«يُوصيكم الله في أولادكم لِلذَّكَرِ مثل حَظّ الأنثيين، فإنْ كُنَّ نساءً فوق اثنتين فلهنَّ ثُلثا ما ترك ، وان كانت واحدةً فلها النصف، ولأبويه لكلّ واحدٍ منهما السدس مما ترك إنْ كان له ولدٌ فإنْ لم يكن له ولدٌ وورثه أبواه فلأمّه الثُلُثُ فإنْ كان له إخوةٌ فلأمّه السدس من بعد وصية يوصي بها أودَيْنٍ، آباؤكم وأبناؤكم لا تدرونَ أيُّهُمْ أقرب لكم نفعاً، فريضةً من الله، إنَّ الله كان عليماً حكيماً».

(النساء ــ ١١)

كما أن القرآن الكريم يخالف ان تحرم المرأة من حقها، قال تعالى:

«وإنْ أردتم استبدال زوجٍ مكان زوجٍ وآتيتم إحداهُنَّ قِنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً، أتأخذونه بُهتاناً وإثماً مُبيناً».

(النساء ــ ٢٠)

والقرآن يصرح و بوضوح بأنَّ مهر المرأة هو حلال لها، ولايحق لزوجها ان يغتصبه، قال تعالى:

«الطّلاقُ مرّتان، فإمساكٌ بمعروفٍ أو تسريحٌ بإحسانٍ، ولا يحلُّ لكم أن تأخذوا ممّا آتيتموهنَّ شيئاً إلاّ أنْ يخافا ألاّ يُقيما حُدودَ الله فإنْ خِفتم ألاّ يُقيما حدود الله فلا جُناح عليهما فيما افتدت به، تلك حُدُودُ الله فلا تعتدوها، ومن يتعدَّ حدود الله فأُولئك هم الظالمون».

(البقرة ــ ٢٢٩)

وهذا الأمر مذكور أيضاً في الآيات ١٩، ٢١، ٢٥، من سورة النساء، فقد جاء في الآية ٢١:

«وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعضٍ وأخذنَ مِنكم ميثاقاً غليظاً»(٦).

وجاء في الآية ١٩:

«يا أيها الذين آمنوا لا يحلُّ لكم أنْ تَرِثوا النِّساءَ كرْهاً، ولا تعضلوهنَّ لتذهبوا ببعض ما آتيتموهنَّ...».

وفي نفس الوقت الذي يوفِّر القرآن الكريم للمرأة شخصيتها من الناحية الحقوقية، فانه يضع حدوداً للمرأة التي ترتكب اثما إجتماعياً كالزنا والسرقة ومحاربة الله ورسوله، وان عقابها لا يختلف عن عقاب الرجل.

قال تعالى:

«والسارقُ والسارقةُ فاقطعوا أيْدِيَهُما جَزاءً بما كسبا نَكالاً من الله والله عزيزٌ حكيمٌ».

(المائدة ــ ٣٨)

وقال عزّوجلّ:

«الزانيةُ والزاني فاجلدوا كُلَّ واحدٍ منهما مائةَ جلدةٍ، ولا تأخذكم بها رأفةٌ في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابها طائفةٌ من المؤمنين».

(النور ــ ٢)

وطبقاً لأوامر القرآن الكريم فاذا ظُلمت إمرأة أو أُلحق أذىً بها، فيجب ان تأخذ حقها كالرجل.

كما يؤكد القرآن و بصراحة على ضرورة معاملة المرأة معاملة حسنة وعادلة.

قال جلّ وعلا:

يا أيُّها الذين آمنوا لا يحلُّ لكم أن ترثوا النساء كرْهاً ولا تعضلوهنَّ لتذهبوا ببعض ما آتيتموهنَّ إلاّ أنْ يأتين بفاحشةٍ مُبيِّنةٍ وعاشروهنَّ بالمعروف فإنْ كرهتموهنَّ فعسى أن تَكْرَهُوا شيئاً ويجعلَ اللهُ فيهِ خيراً كثيراً.

(النساء ــ ١٩)

و يظهر بوضوح ان القرآن لايؤكد على مساواة الرجل والمرأة فحسب، بل انه يرد بشدة على من يدّعي بأنَّ الإسلام يحتقر المرأة، و يبين خطا نظرة اليهود والنصارى للمرأة على أنها أقل شأناً من الرجل.

٢ ــ مجتمع الجنسين بدل الجنس الواحد:

والآن نتطرق الى المزية الثانية من مزايا المجتمع القرآني فيما يتعلق بمنزلة المرأة. في نفس الوقت الذي يساوي فيه القرآن الكريم بين الرجل والمرأة، فانه لايصرح بأنَّ المرأة والرجل متكافئان من ناحية القوة والإستعدادات. وقد تكونوا قد اطلعتم على الحركة التي ظهرت في هذا العصر والتي تهدف الى توحيد الأزياء، والأحذية والأعمال، والتصرفات والزينة بين الرجال والنساء. في أمريكا غالباً ما لايمكن التمييز بين المرأة والرجل نتيجة لشيوع الظاهرة التالية في المجتمع الغربي وهي انه لايوجد فرق بين الرجل والمرأة من الناحية الجسمية والعقلية والعاطفية وحتى اذا ما وجدت فوارق، فهي طفيفة جداً، ولذلك ــ وحسب عقيدتهم ــ لايوجد فرق بين دور ونشاط الاثنين في المجتمع (٧).

ان هذه الظاهرة جعلت من المجتمع، مجتمع الجنس الواحد الذي يعتبر فيه عمل الرجل الذي يعمل على جمع المال والتسلط على الآخرين عملاً قيّماً. كما يستهان ــ في مثل هذا المجتمع ــ بالنشاطات التي كانت تقوم بها المرأة. ان هذه الفكرة حذت بالمرأة الى ان تقلد الرجل وتشعر بالضجر من انوثتها، كما انها أوجدت في المجتمع فكرة حب التظاهر بالرجولة. ونتيجة لغفلة النساء واصرارهن على هذه الفكرة فان المجتمعات الغربية تسير نحو الفساد. وفي الحقيقة ان هذه الفكرة أنست المرأة دورها الخاص الذي تلعبه، أو انها أدت الى ان تُسلَّم المرأة الى المؤسسات الحكومية أو التجارية الغير منحازة.

اما المجتمع القرآني فهو مجتمع الجنسين، يقوم فيه كل من المرأة والرجل بواجباتها الخاصة. بهذا النظام يؤمّن سلامة ورفاه المجتمع، وهوفي صالح جميع أعضاء المجتمع. وفي مجال تقسيم العمل، فإنّ المسؤولية الإقتصادية ملقاة على عاتق الرجل أكثر من المرأة. اما عن دور المرأة فقد قال تعالى:

«والوالداتُ يُرضعن أولادهُنّ حولَين كاملين لمن أراد أن يُتمَّ الرضاعة وعلى المولود له رزقهُنّ وكسوتهُنّ بالمعروف، لا تُكلّفُ نفسٌ إلاّ وسعها، لا تُضارّ والدةٌ بولدها ولا مولودٌ له بولده وعلى الوارث مثلُ ذلكَ فإنْ أراد فِصالاً عن تراضٍ منهما وتشاور فلا جُناحَ عليهما، وإنْ أردتُمْ أنْ تَسترضِعوا أولادكم فلا جُناحَ عليكم إذا سَلَّمْتُمْ ما آتيتم بالمعروف، واتّقوا الله واعلموا أنّ الله بما تعملون بصيرٌ».

(البقرة ــ ٢٣٣)

وقال تعالى:

«والذين يتوفون منكم و يذرُونَ أزواجاً وصيّةً لأزواجهم متاعاً الى الحولِ غير إخراجٍ فإنْ خرجنَ فلا جُناح عليكم في ما فعلن في أنفسهنّ من معروفٍ والله عزيزٌ حكيمٌ * وللمطلّقاتِ متاعٌ بالمعروف، حقاً على المتقين».

(البقرة ــ ٢٤٠، ٢٤١)

وقال تعالى:

«الرّجالُ قوّامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعضٍ وبما أنفقوا من أموالهم، فالصالحاتُ قانتاتٌ حافظاتٌ للغيب بما حفظ الله، واللاتي تخافون نُشوزهُنّ فعظوهُنّ وآهجروهن في المضاجع وآضربوهنّ فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهنّ سبيلاً، إنّ الله كان عليّاً كبيراً.

(النساء ــ ٣٤)

ان المرأة بتربيتها لأبنائها تساهم في إدارة المجتمع، كما ان الإسلام يقدّر دورها في ادارتها شؤو المنزل وتربية أبنائها، وهذا ما جاء في سورة البقر ٢٣٣ والآية ١٨٩ من سورة الأعراف وهي:

«هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل من زوجها ليسكن اليها فلما تغشها حملت حملاً خفيف فمرت به فلما اثقلت دعوا الله ربنا لئن اتيتنا صالح لنكونن من الشاكرين»

اما من ناحية الإرث فانّ القرآن الكريم قد جع حصة الرجل من الإرث أكثر من حصة المرأة ليكو ــمن الناحية الإقتصادية ــ عوناً للرجل الذي تق على عاتقه مسؤولية نفقة العائلة. وهو ــ القرآن ــ نفس الوقت يعطي المرأة التي تقع على عاتقها ادا شؤون المنزل والزوج والأبناء حصتها من الإرث ولكن أقل من حصة الرجل.

ان فكرة الجنس الواحد التي تجعل المرأ والرجل يتنافسان فيما بينهما، أوجدت مصائب للمجتمعات التي تسود فيها، وهو ما نشاهده في امريكا. فالشباب والكهول والأطفال والمتأهلو والعزاب والآباء والأُمهات والرجال والنساء يعيشو في عذاب، وفي مقابل ذلك نرى ان مجتمع الجنسين ــ والذي يقوم فيه كل من الرجل والمرأة بدور الخاص ــ يقوم على أساس التفاهم والتعاون بين الرجل والمرأة، وهذا هو النظام المناسب كما ثبت ذ على مرّ التاريخ في مجتمعات كثيرة، وان الفكر القائلة بتساوي الرجل والمرأة في كل الأُمور، هي فكرة حديثة بدأت في المجتمعات الغربية. وهنال دلائل علمية دوّنت في الغرب تبيّن وجود فرق عاطف وفكري بين المرأة والرجل، وهي دليلاً لإثبات بطلان فكرة الجنس الواحد ــ أي تساوي المرأ والرجل تماماً ــ الشائعة في المجتمعات الغربية ولا نعلم الى متى سيستمر هذا الوضع المؤسف، ومتى سيعترف مؤيدو هذه الفكرة بأخطائهم؟.

ومن المسلم به هو اننا باعتبارنا أشخاصاً مسلمين، علينا ان نعي هذه المسائل والمشاكل، ونصون مجتمعاتنا وشبابنا من المخاطر التي توجدها أمثال تلك الأفكار السخيفة.

ان مؤيدي فكرة مجتمع الجنس الواحد يدّعون بأن مجتمع الجنسين يعود بالضرر على المرأة وعلى سعادتها. هذا الكلام صحيح اذا ما كان هناك تمييز بين جنس وآخر في المجتمع، الا ان المجتمع القرآني الحقيقي والذي يجب علينا جميعاً ان نسعى لإقامته لايكرم جنس على حساب جنس آخر، وفي نفس الوقت ينظر بعين الإعتبار الى الفروق الطبيعية بين المرأة والرجل وفرق الدور الذي يلعبه الإثنان.

والقرآن يبيِّن بصراحة بأنَّ المرأة والرجل متساويان في مقام الإنسانية، ولهذا يقبل تساوي الرجل والمرأة من الناحية الأخلاقية والحقوقية، ولكنه يرفض فكرة ان الرجل والمرأة متعادلان. وما من شك بأنَّ فكرة تعادل الرجل والمرأة لا تعتبر فخراً لأحدهما على الآخر فحسب، بل انها تعتبر في الحقيقة تحقيراً أو إهانة لكلاهما. وعند ما يعين القرآن الكريم وظائف مختلفة للمرأة والرجل، و يضع أحكاماً فيما يتعلق بالتوريث والنفقة، فهو يريد ان يثبت وجود فرق لايمكن انكاره بين المرأة والرجل.

٣ــ تبعية أعضاء المجتمع لبعضهم البعض

والمزية الثالثة للمجتمع القرآني فيما يتعلق بالمرأة ارتباط افراد المجتمع بعضهم مع البعض الآخر خلافاً لميول المجتمع الغربي الذي يؤكد على حقوق فرد على حساب حقوق الأفراد والجماعات. والقرآن الكريم يؤكد كثيراً على ارتباط المرأة والرجل، وكذلك ارتباط اعضاء المجتمع مع بعضهم البعض، فقد جاء في الآية ١٨٧ من سورة البقرة.

«أُحِلَّ لكم ليلة الصِّيام الرَّفَثُ إلى نِسائِكم، هُنَّ لِباسٌ لكم وأنتم لِباسٌ لَهنَّ...»

وقال تعالى:

«هو الذي خلقكم من نفسٍ واحدةٍ وجعل منها زوجها ليسكن اليها».

كما أن القرآن بيَّن لنا بأنَّ المرأة والرجل عنصران يكمل أحدهما الآخر ولايتنافسانُ فيما بينهما.

قال عزّشأنه:

«والمؤمنونَ والمؤمناتُ بعضُهم أولياءُ بعض يأمرونَ بالمعروفِ و ينهونَ عن المنكر و يقيمونَ الصلاةَ و يؤتونَ الزكاة و يُطيعونَ الله ورسوله، أُولئك سيرحمهم الله، إنَّ الله عزيزٌ حكيمٌ».

(التوبة ــ ٧١)

وقد طلب من كل واحد منها ان يقوم بدوره الخاص خدمة للآخرين. ولأجل ضمان هذا الإرتباط الذي يعتبر ضرورياً للسلامة الجسمية والنفسية للمرأة والرجل، فقد وضع الباري عزَّوجلَّ مسؤوليات متقابلة لجميع أعضاء الأسرة: النساء، والرجال، والأمهات، والأبناء، والكهول، مؤكداً بأنَّ لكل فرد مسؤوليته وواجباته الخاصة.

قال عزَّوجلَّ:

«وقضى ربُّك ألاّ تَعبدُوا إلاّ إيّاهُ وبالوالدين إحساناً، إمّا يَبْلُغَنَّ عندك الكِبرَ أحدُهما أو كِلاهُما فلا تقل لهما أُفٍ ولا تنهرهُما وقل لهما قولاً كريماً».

(الإسراء ــ ٢٣)

كما جاءت أحكام الله بهذا الصدد في سورة الشعراء، والآية الأولى من سورة النساء، وفي سورة الأعراف، وفي الآية ٤١ من سورة الأنفال، والآية ٩٠ من سورة النحل، وفي سور كثيرة. جاء في الآية ١٧٧ من سورة البقرة:

«ليسَ البِرَّ أن تُولّوا وجوهكم قِبلَ المشرق والمغرب ولكنَّ البِرَّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيّين، وآتى المالَ على حُبِّه ذوي القربى واليتامى والمساكينَ وابن السبيلِ

والسائلينَ وفي الرّقابِ وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفونَ بعهدهم إذا عاهدوا والصابرينَ في البأساءِ والضراء وحينَ البأسِ أولئك الذين صدقوا، وأولئك هم المتقون».

(البقرة ــ ١٧٧)

ولذلك فالقرآن يوحد (عند المسلمين) شعوراً بالمسؤولية تجاه مجتمعهم، وهذا الشعور لايقيِّد الفرد المسلم أبداً، بل على العكس انّ الفائدة التي تعود على أفراد المجتمع جراء شعورهم بالمسؤولية هي تشجيعهم، وبالتالي تنمية روح المسؤولية فيهم. ان وجود مثل هذه العلاقات يعود بالفائدة على أفراد المجتمع من الناحية الإقتصادية والإجتماعية والنفسية، بحيث يدرك كل فرد ان من صالحه ان يسيطر على أهوائه.

ان الشعوربالغربة وعدم التلاحم السائدان في المجتمعات الغربية، قد أوجدا مشاكل جذية. وما الغربة وعدم الإهتمام بالكهول وكذلك سعة الهوة بين الأجيال، وارتفاع نسبة الإنتحار وشيوع الفساد والجرائم بين الشباب، إلاّ مظهراً من مظاهر هذا التفسخ الإجتماعي وانكار حاجة الإنسان الى وجود علاقة ومسؤولية متقابلة بين اعضاء المجتمع. وهذه الأوضاع تزداد سوءاً يوماً بعد يوم.

٤ ــ سعة العائلة:

والمزية الأساسية الرابعة في المجتمع القرآني فيما يتعلق بالمرأة هي تشكيل عائلة واسعة، وهذه المزية لها ارتباط وثيق بخصوصيات ارتباط اعضاء المجتمع. فالعائلة المسلمة تشمل (اضافة الى الأب والأم والأبناء) الأجداد والجدّات والعمام والخوال والخالات والعمات وأبناءهم، كما ان العوائل المسلمة تعيش مجتمعة مع بعضها، أي يعيش ثلاثة أجيال أو أكثر في منزل واحد، واذا ما كانوا يعيشون في عدة أماكن فهناك علاقات واسعة وعميقة تربطهم بحيث ان آثار هذه العلاقات من الناحية الإقتصادية والإجتماعية والنفسية وحتى السياسية، تعتبر أمراً ملموساً. والأحكام القرآنية تؤكد على ضرورة التلاحم بين أعضاء الأُسرة أو العائلة الواسعة وتحث على تقويتها.

قال تعالى:

«وقضى ربُّكَ ألاّ تعبدوا إلاّ إيّاه وبالوالدين إحساناً، إمّا يبلغنّ عندك الكبر أحدهُما أو كِلاهُما فلا تقل لهما أُفٍ ولا تنهرهما وقُل لهما قولاً كريماً * وآخفض لهما جَناحَ الذلّ من الرحمة وقُل ربّ ارحمهما كما ربّياني صغيراً * ربُّكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحينَ فإنّه كان لِلأوّابين غفوراً * وآتِ ذا القُربى حقّه والمسكينَ وابن السبيل ولا تُبذّرْ تبذيراً».

(الإسراء ــ ٢٣، ٢٦)

وقال جلّ جلاله:

«لِلرّجال نصيبٌ مما ترك الوالدانِ والأقربونَ، وللنساء نصيبٌ مما ترك الوالدانِ والأقربونَ مما قلَّ منه أو كَثُر، نصيباً مفروضاً * واذا حَضَرَ القسمةَ أولوا القربى واليتامى والمساكينُ فارزقوهم منه وقولوا لهم قولاً معروفاً * وليخش الذين لوتركوا من خلفهم ذُرِّيّةً ضِعافاً عليهم، فليتَّقواالله وليقولوا قولاً سديداً».

(النساء ــ ٧، ٩)

وقال تعالى:

«وآعلموا أنّما غنمتُم من شيءٍ فَأنَّ لله خُمُسَهُ وللرَّسول ولذي القربى واليتامى والمساكينِ وابنِ السبيل إنْ كُنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفُرقان يوم آلتَقى الجَمْعانِ، واللهُ على كلّ شيءٍ قديرٌ».

(الأنفال ــ ٤١)

وقال عزّوجلّ:

«ولايأتَلِ أولوا الفضل منكم والسعة أن يُؤتوا

أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تُحبّونَ أنْ يَغفرَ اللهُ لكم واللهُ غفورٌ رحيمٌ».

(النور — ٢٢)

كما أوصى عزّوجلّ — في آيات أخرى — بأهمية حسن المعاملة بين الأقارب وأفراد المجتمع. قال عزّ شأنه:

«وإذْ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدونَ إلاّ اللهَ، وبالوالدين إحساناً وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للنّاس حُسْناً وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثُمَّ توليتم إلاّ قليلاً منكم وأنتم معرضون».

(البقرة — ٨٣)

وجاء في الآيتين ٩٠، ٩١ من سورة النحل:

إنَّ اللهَ يأمر بالعدل والإحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلّكم تذكّرون * وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً، إنَّ الله يعلم ما تفعلون.

ولا يقتصر تقسيم الإرث على أعضاء العائلة الصغيرة (الأب والأم والأبناء) بل يشمل أعضاء العائلة الكبيرة. فقد جاء في الآيات ١٨٠ الى ١٨٢ من سورة البقرة:

«كُتِبَ عليكم إذا حَضَرَ أحَدَكُمْ الموت إنْ ترك خيراً الوصيّة للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين * فمن بدّله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يُبدّلونه إنَّ الله سميعٌ عليمٌ * فمن خاف مِنْ مُوصٍ جَنَفاً أو إثماً فأصلح بينهم فلا إثمَ عليه، إنَّ الله غفورٌ رحيمٌ».

كما جاء ذلك في الآية ٣٣ والآية ١٧٦ من سورة النساء، قال تعالى:

«يستفتونك قُلِ اللهُ يُفتيكم في الكلالَةِ، إنِ امْرُؤٌ أهلكَ ليس له ولدٌ وله أختٌ فلها نِصفُ ماترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولدٌ فإن كانتا اثنتين فلهما الثُلثان مما ترك وإن كانوا إخوةً رجالاً ونساءً فللذّكر مثل حَظِّ الأنثيين يُبين الله لكم أن تَضلُّوا والله بكل شيءٍ عليمٌ».

(النساء — ١٧٦)

ومن لايطبق أحكام القرآن ولا يعتني بحقوق أفراد عائلته والمجتمع فسوف يعاقب عقاباً شديداً، ومأواه جهنم، كما جاء في الآيات ٧ — ١٢ من سورة النساء.

وجاء في الآية ١٠ من سورة النساء:

«إنَّ الذين يأكلون أموال اليتامى ظُلماً إنما يأكلونَ في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً».

لذلك فان العائلة الكبيرة حسب المفهوم الإسلامي لا تعتبر حصيلة التوسعة الإجتماعية بل انها وجدت بأمر من الله، وتدعم وتقوى وتنظم بواسطة الأحكام القرآنية. واذا تحلت العائلة الكبيرة بسائر صفات المجتمع القرآني، فانها ستعمل على اسعاد الرجال والنساء. وفوائد عائلة كهذه هي:

١ — ابتعاد أعضاؤها عن الغرور والتحور، ذلك ان غرور أي فرد فيها سوف يواجه من قبل عائلة كبيرة تتألف من أفراد كبار وصغار ومن هم في عمره.

٢ — ان نساء عائلة كهذه قادرات على العمل خارج المنزل دون ان يصاب أزواجهن وأبناء هن والأفراد المسنين بضرر. فهناك أفراد بالغون موجودون في المنزل باستمرار يساعدون الأم أو الزوجة التي تعمل خارج المنزل، وفي مثل هذه العائلة لاتصاب النساء بالتعب والإرهاق نتيجة العمل، ولا يشعرن باقتراف الذنب ذلك ان عملهن لا يعود بالضرر على الزوج أو الأبناء. وفي الحقيقة لايمكن حل المشاكل التي تواجه المجتمع الغربي دون تغيير هيكل العائلة. وبالرغم من ازدياد عدد النساء العاملات، إلاّ ان افراد الأسر الصغيرة (الأب والأم

والأبناء) غير قادرين على تأمين احتياجات العائلة. و بالطبع فانَّ العوائل التي تفقد أحد الوالدين (الأب أو الأم) فإنَّ مشاكلها تتضاعف عشرات المرات، والضغط الذي تتحمله المرأة في العائلة الصغيرة كبير الى درجة تصاب فيها النساء بأمراض نفسية وجسمية، و يظهر توتر في العلاقات العائلية، وتتزعزع الأواصر الزوجية، مما يؤدي ذلك الى تفكك العائلة وازدياد حالات الطلاق بشكل كبير وظهور الفوضى. وهذا الأمر زاد من قلق الأطباء والحقوقيين والمختصين في علم النفس والمختصين في دراسة المجتمع، وضاعف من قلق الضحايا أكثر من غيرهم في أمريكا والدول الغربية (٨).

٣ ـ ان العائلة الإسلامية الكبيرة هي ضمان للتربية الصحيحة للأطفال، حيث تجعل منهم أفراداً يحبون غيرهم. ومن الصعوبة في العائلة المحدودة جعل الطفل المعاند فرداً مطيعاً، ولكن الحالة لا تنطبق على عائلة كبيرة، ففي مثل هذه العائلة هناك أفراد بالغون و مسؤولون عن تربية الأطفال، ولهم نفوذ أكبر من أفراد العائلة المحدودة، و يستطيعون بسهولة معالجة عناد وتمرد الأطفال والشباب.

٤ ـ ان العائلة الإسلامية الكبيرة تمنح أعضاءها تنوعاً وشمولاً من الناحية النفسية والإجتماعية، حتى ان الأطفال والكبار يستفيدون بدورهم من هذه الموهبة. ونظراً لكثرة عدد أفراد مثل هذه العائلة، فانَّ علاقة الفرد بغيره هي أقل من غيرها، فكل فرد من العائلة أقل احتياجاً للآخرين من الناحية العاطفية. فاذا حدثت مشاجرة أو وقع اختلاف بين طفلين أوشابين أو كهلين في تلك العائلة، فان نسبة عدم الإرتياح فيما بين المتخاصمين هي أقل من نسبتها في عائلة محدودة. و يعود سبب ذلك لوجود أفراد آخرين في الأسرة يعملون بصورة مستمرة لحل المشاكل. حتى ان العلاقات الزوجية في العائلة الكبيرة تعتبر أكثر متانة وقوة من العائلة المحدودة، فعند ظهور الخلافات بين الزوجين في العائلة المحدودة، لايوجد فرد بالغ غيرهما يعمل على ضمان الإحتياجات المادية والنفسية والإجتماعية والفكرية لكل منهما.

٥ ـ ان العائلة الإسلامية الكبيرة تمنع من ظهور هوة بين الأجيال، فشكلة الهوة الإجتماعية تظهر حين تنفصل الفئات أو الأجيال المختلفة في العمر عن بعضها البعض، و بذلك يصعب على تلك الفئات أو الأجيال ان تقيم علاقات ودية فيما بينها، لكن في العائلة الإسلامية الكبيرة يعيش ثلاث أجيال أو أكثر معاً و يتعاملون و يتعاونون فيما بينهم بصورة مستمرة، وهذا ما يجعل الأطفال يحصلون على تجارب مفيدة، و يعدوا أنفسهم لحياة اجتماعية صحيحة، كما يجعل الأفراد الكبار يشعرون بالطمأنينة التي هم بأمس الحاجة اليها.

٦ ـ ان وجود العائلة الكبيرة يزيل مشكلة الغربة التي يعاني منها سكان المدن في المجتمعات المعاصرة. كما ان النساء الغير متزوجات أو المطلقات أو الأرامل لا يعانين في مثل هذه العوائل من المشاكل والصعوبات أبداً كما تعاني أمثالهن من النساء في أمريكا مثلاً. والمجتمعات التي تضم مثل هذه العوائل لاتحتاج الى فتح دور للعجزة أو غير ذلك، فالإحتياجات النفسية والإجتماعية لكل فرد: رجل كان أو امرأة، شاب كان أو كهل، تكون مضمونة.

ان العلاقات الزوجية في المجتمعات الغربية تتداعى يوماً بعد آخر، وتصبح المرأة ضحية لإنفراط عقد الأسرة. ففي حالة طلاق النساء فانَّ امكانية الزواج لهن من مرة أخرى تكون أقل من امكانية الرجل للزواج، إضافة الى ذلك تترك مسألة الطلاق آثاراً سيئة على المرأة أكثر من الرجل.

٧ ـ في العائلة الكبيرة تكون العناية بالكهول

كبر من عناية العائلة المحدودة لهم. ففي العائلة لمحدودة قد تقع مسؤولية المراقبة من الوالدين لكبيرين على أحد الزوجين، وغالباً ما تقع على عاتق الأم التي يجب ان تقوم بمهمة توفير الإحتياجات لمادية والعاطفية للكبار علاوة على قيامها بواجباتها نحو سائر افراد العائلة. وفي مثل هذه الحالة تصبح لمسؤولية التي تقع على عاتق المرأة صعبة جداً. لكن ذا كانت المرأة تعمل خارج المنزل فإنَّ الأب والأم ـ في اطار الأسر الصغيرة ـ يرسلا في أكثر الأحيان لى دور العجزة لينتظرا لحظة موتهما، بعكس العائلة لاسلامية الكبيرة التي تخلو من هذه الظاهرة، بتقسيم الواجبات والمسؤوليات تنعدم مثل هذه لحالة، و يؤدي كل فرد واجباته دون الشعور بأذىً سمي أو نفسي.

ـ النظام العائلي القائم على أساس قيمومة لأب :

والمزية الخامسة للمجتمع القرآني هي ان هذا لمجتمع تسود فيه قيمومة الأب. فالمجتمع القرآني طرح مجتمعاً، تفوض فيه دور القيادة واتخاذ القرار لنهائي وتحديد شؤون العائلة الى الرجل. وهذا ما تعارض مع أهداف حركات تحرير المرأة. فكل متمع يتألف من؛ مجموعات انسانية، ومؤسسات حكومية، وأحزاب سياسية، وتنظيمات دينية، شركات تجارية، وعوائل كبيرة وصغيرة لابُدَّ لكل نها ان تكون منظمة وثابتة ومرتبطة فيما بينها لكي كون نافعة لها ولكافة افراد المجتمع. ولأجل ان تحقق هذه الصفات الضرورية، فلابُدَّ من وضع مسؤولية الكلية لكل من هذه الأجهزة والمجموعات ى عاتق أحد الأفراد أو إحدى المجموعات.

ولذلك يحق للناس ان يدلوا بآرائهم، كما يمكن برلمان تشريع القوانين، ويمكن للشرطة تطبيق قوانين، ولكن التصميمات الأساسية والمهمة تقع على عاتق رئيس الدولة الذي يعتبر مسؤولاً تجاه قراراته. وعلى هذا المنوال فالمصنع يدار من قبل أفراد كثيرين، لكن الجميع لا يكونون قادرين بنفس الدرجة على اتخاذ القرارات، كما وان نجاح أو عدم نجاح العمل لا يقع على مسؤولية الجميع، بل على أفراد معينين.

وفيما يخص العائلة، فمن اللازم ان تلقى المسؤولية الكلية على عاتق أحد أفرادها. والقرآن الكريم يفوّض هذه المسؤولية الى أكبر فرد ذكر في العائلة، وان معنى الآية ٢٢٨ من سورة البقرة: **«وللرجال عليهم درجة»** والآية ٣٤ من سورة النساء: **«الرجال قوامون على النساء»** هو تسليم القدرة والمسؤولية للرجل. وخلافاً للتفسير الخاطىء الذي يعطيه أعداء القرآن حول هاتين الآيتين فانَّ مفهوم هذه الآيات لا يعني أنْ تكون تصرفات الرجال مع النساء تصرفات دكتاتورية تقلل من شأن المرأة. والأفراد الذين يفسّرون آيات القرآن بهذا الشكل الخاطىء يثبتون ـ على أنفسهم ـ بوضوح بأنهم قد اغمضوا أعينهم أمام الآيات القرآنية التي تؤكد على لزوم احترام المرأة. وفي الحقيقة ان المقصود من هذه الآيات القرآنية هو الوقوف بوجه الإختلافات وعدم اتخاذ القرار في محيط العائلة، وهذا أمر يعود بالفائدة على جميع أعضاء العائلة. والقرآن الكريم يريد أنْ تكون المسؤولية الكلية والنهائية بيد الرجل، إضافة الى ذلك فإنَّ كلمة «قوامون» المذكورة في الآية: **«الرجال قوامون على النساء»** والمتأتية من اسم الفعل «قوام» لا تعني التسلط الإستبدادي، بل تعني نهوض فرد لحماية ومساعدة فرد آخر. واذا كان الباري تعالى يريد ان يبيِّن بأنَّ الرجال في المجتمع يجب ان يكونوا متسلطين ومستبدين بالنسبة للنساء، لكان قد استعمل كلمات أُخرى تعني الإستبداد والتسلط غير كلمة «قوامون». ان الإستعمالات الأُخرى لكلمة «قوامون» في القرآن تؤيد بأنَّ هذه الكلمة تشير الى

الحماية، ولا تعني السلطة الدكتاتورية، فالآيتان ١٢٧، ١٢٥ من سورة النساء تثبتان هذه الحقيقة. ولذلك فان أي معنىً آخر يعطى الى هذه الآيات، مرفوض لغوياً وعقائدياً.

وحول السبب الذي دعا الى انتخاب الرجل لإدارة شؤون العائلة، يصرِّح القرآن الكريم قائلاً:

«الرِّجالُ قوّامون على النساء بما فضَّل الله بعضهم على بعضٍ وبما أنفقوا من أموالهم...»

(النساء ــ ٢٤)

واذا تطلعنا الى التاريخ لوجدنا ان القسم الأعظم من مسؤولية تأمين الإحتياجات المالية كان يقع على عاتق الرجل. وبما ان الرجل لايعتبر مناسباً لتربية الأبناء من الناحية الجسمية، فإنَّ الباري قد أودع فيه قوىً جسمية أخرى يمكنه بواسطتها ان يؤمن نفقات عائلته. وسواء أقبل الناس أم لم يقبلوا فانَّ هناك فوارق بيولوجية بين المرأة والرجل.

ونظراً للمشاكل التي ظهرت في مجتمعات اليوم، فإنَّ بعض الغربيين يطرحون بعض الأسئلة مثل: من اين يجب ان نطلب العون؟ وماذا يجب ان نفعل ازاء مشكلة تشتت المجتمع؟.

المجتمع الغربي يتلوى الآن تحت سياط مشكلة تفتت وانفراط عقد المجتمع وتشتت شخصية أفراده، وقد حان الوقت لأن نوجد سبيلاً لحل هذه المشكلة.

والذي يجب أن نفعله بصفتنا أفراداً مسلمين، هو بناء مجتمعات قرآنية في جميع انحاء العالم الإسلامي كخطوة أولى، فبدون إقامة المجتمعات القرآنية لايمكننا ان نجعل علاقات المرأة والرجل منطقية وصحيحة، فمن المحال في المجتمع الغربي وجود علاقات عادلة وأخوية، لكن اذا اقتنعنا با متلاك مجتمعات إسلامية مزيفة، أي مجتمعات اسلامية في الظاهر، وغير اسلامية في الباطن، فلا نستطيع ان نأمل من ان تقوم أجيالنا القادمة باحترام مجتمعاتنا ومنظماتنا، أو الوفاء لها.

ان التصرفات وحتى المنظمات التي تطلق زوراً صفة «الإسلامية» على نفسها، إنّما هي ضد الإسلام، ذلك انها تطلق على أعمالها وعقائدها الغير اسلامية صفة «الإسلامية»، وهذا التصرف اللا إسلامي يجعل الكثير من المسلمين وغير المسلمين يحسبون ذلك على الإسلام، ولا بُدَّ لنا من ان نشرح و نوضح لسائر المسلمين ــ وخاصة الشباب الذين سيصبحون قادة المستقبل ــ أهمية وخلود السنن القرآنية المتعلقة بالمرأة والأُسرة والمجتمع. ورغم تقهقر الأفكار الغربية ــ اليوم ــ إلاَّ اننا نرى ان قسماً من المسلمين قد انخدعوا بتلك الأفكار، فيجب علينا ان نكون يقظين تجاه خطورة نتائج مثل هذه الأفكار والتصرفات الإجتماعية، واذا لم ندرك عواقب هذه الأفكار والتصرفات ولم نقف بوجهها فسوف نواجه مستقبلاً حالكاً كما واجهت ذلك سائر الشعوب. ان اسلامنا يقتضي منا ان لانقتنع بهذه الإجراءات. وباعتبارنا خليفة الله في الأرض، علينا ان نسعى لإنقاذ أفراد البشر.

قال تعالى:

«وإذ قال ربُّك للملائكة إنّي جاعلٌ في الأرض خليفةً قالوا أتجعل فيها من يُفسد فيها و يسفكُ الدماء ونحن نُسبِّح بحمدك ونقدِّس لك، قال إنّي أعلم ما لا تعلمون».

(البقرة ــ ٣٠)

ان الباري تعالى أمرنا بنشر تعاليمه والتبليغ لها، ولذلك يجب علينا ان نسعى لتعليم الآخرين ما تعلمناه من الأمور المفيدة. وقد حان الوقت للإسلام والمسلمين في توضيح سُبل حل مشاكل المجتمعات الراهنة، كما يجب أن لايقتصر ذلك على المسلمين فقط، بل يجب ان يشمل غير المسلمين أيضاً، وهذا الأمر لابُدَّ ان يتم عن طريق بيان نموذج حي للمجتمع القرآني الواقعي الذي تعتبر فيه مسألة المرأة والرجل أمراً منحلاً، و بالإضافة الى ذلك فانَّ على علمائنا أنْ

عملوا على توعية المسلمين وغير المسلمين وعليهم (من خلال نشرهم البحوث والمقالات) ان يبينوا لهم لتعاليم الإسلامية الأصيلة وسبل حل المشاكل طبقاً لرؤية القرآنية. وهذا أفضل سبيل لإطاعة الله وخدمة البشرية. وليست هناك دعوة أفضل من مديد العون الى ضحايا مجتمعات اليوم لانقاذهم من المستنقع الذي يعيشون فيه

الهوامش:

١ ـ وهو حديث نبوي. كما يرجى مراجعة كتاب «المرأة في لقرآن والسنة» /تأليف محمد عزت الدروازة/ ص ٤٤، ٤٧، ٥١/ طبع المكتبة العصرية بيروت ـ سنة ١٩٨٠.

٢ ـ راجع كتاب «اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق فيه الشيخان» / تأليف محمد فؤاد عبدالباقي / ج ١. ص ٣٠، ٣١/ طبع دار لكتاب الجديد ـ بيروت ١٩٧٠.

٣ ـ راجع أطروحة المرأة و بناء الدولة نقد وتحليل لمسألة لمرأة في المجتمع المسلم في ملقا/ تأليف الحاج فيصل بن الحاج عثمان. وهذه الأطروحة مقدمة لجامعة تمبل.

٤ ـ راجع كتاب «المرأة في الإسلام» / تأليفات محمد خيرات /ص ١٠٨ طبع دائرة المعارف في القاهرة سنة ١٩٧٥.

٥ ـ دائرة المعارف الأمريكية «النساء والحقوق القانونية» / تأليف مونراد باليسين، وردان بري، وامريكا نا كورب ـ سنة ١٩٨٠/ ج ٢٩ ـ ص ١٠٨، ١٠٩.

٦ ـ راجع كتاب «المرأة بين الفقه والقانون» / تأليف مصطفى السباعي / ص ٣٨. طبع المكتبة العربية في حلب ـ سنة ١٩٧٦. وكتاب الدستور القرآني في شؤون الحياة/ تأليف محمد عزت الدروازة ـ ص ٧٨.

٧ ـ تقول كارولين بردي حول حركة التحرر في أمريكا:
«ان هذه الحركة تكافح فكرة وجود فرق طبيعي بين المرأة والرجل. وهذه الأفكار تطرح ـ بصورة عامة ـ من أجل اعطاء قيمة للتقاليد، مثل: الزواج، وتشكيل الأسرة، وعلاقات المرأة، والرجل» /راجع دائرة المعارف الامريكية/ حرية النساء/ ج ٢٩. ص ١١١.

٨ ـ في عام ١٩٧٩ سُجلت في الولايات المتحدة الامريكية ٢٣٣١٠٠٠ حالة زواج مقابل ١١٨١٠٠٠ حالة طلاق. كما ان نسبة الطلاق السنوية في أمريكا في تصاعد كبير ومستمر.

من النظرات العلمية في القرآن

الدكتور سعيد شيبان / الجزائر

لبينا شاكرين دعوة منظمة الإعلام الاسلامي لحضور هذا المؤتمر الموقر، وموضوعه موضوع يسعد المؤمن بالإستماع الى عرضه في كل زمان، وخاصة اذا وقع في بلاد من خدم القرآن الخدمة التي تعرفون عبر العصور والأجيال.

ولم نُعِدّ ـ نظراً للوقت الذى كان لدينا قبل السفر ـ محاضرة تتجرأ أن تظهر نفسها أمامكم، ولكن لطف الأخ الأستاذ التسخيري حفظه الله شجّعني على تلخيص بعض ما اهتززت له كطبيب عبر قراءتي الأبحاث الطبية وتلاوتي لكتاب الله، فأرى شكر النعمة واداء لواجب الإعتراف بالخير في هذا المجال العلمي، أنْ أبدأ هذه الخلاصة بما تعلمته ـ هنا ـ في هذه الأيام عند قراءتي لكثير من الكتب المعروضة، وأخصُّ بالذكر قراءتي في كتاب الشهيد آية الله مرتضى المطهري رحمه الله، حيث يفصل الأصالات الثلاث عن القرآن الكريم، الأصالات التي تعيِّن الراغب المخلص في فهم القرآن العظيم حسب مستواه الشخصي ـ حين محاولته، ان يعتني بدراستها: أصالة الإنتساب، وأصالة المواضيع، والأصالة الإلهية

للقرآن الكريم، و يأتي بشروح مستفيضة، وكأنني في هذا التلخيص البارع أقرأ من جديد جواباً ـ كصدى لقول القاضي الفقيه الطبيب الحكيم أبي الورد بن رشد الحفيد في الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملّه، إذ يلخّص في ايجاز باهر الدلائل بالطريقة التالية:

أولاً: ان الشرائع التي يتضمنها القرآن الكريم لها من العلم والعمل ليست مما يمكن ان يكتسب بتعلم بل بوحي.

ثانياً: ما يتضمن القرآن من الإعلام بالغيوب.

ثالثاً: من نظمه الذي هو خارج عن النظم الذي يكون بفكر ورو ية.

حرصت على ان تكون مقدمتي مستندة الى هذين العالمين الفقيهين من مشرقنا ومغربنا والقدس بين ضريحيهما الطاهرين، حرصت لكي يستفيد بنبذتيهما من لم يتصل بهما، واذا كان كتاب آية الله الشهيد المرتضى متوفراً ـ والحمد لله ـ بفضل مؤسسة القرآن الكريم، فإنّ كتاب مناهج الأدلة ـ وإنْ كان متوفراً ـ ربما لايلتفت اليه من يريد ان يجد السؤال على أصالة القرآن، اذ نجد في كتاب فكرة الإعجاز و تاريخ فكرة الإعجاز للمرحوم **نعيم الحمصي**، حين يتعرض لرأي أبي الوليد بن رشد لايلتفت الى ما قاله ابوالوليد، بل يلتفت الى ما قاله في كتاب «فصل المقال بين الحكمة والشريعة بالإ تصال».

هذا من ناحية،

وأريد ـ اذاً نلخص فيما يلي ـ جواباً واعتماداً على العناصر التي عرضها ابوالوليد بن رشد أولاً ما يتعلق بالشرائع، و ما يتعلق بالإنسجام بين الأوامر الإلهية والعلم الحديث، الذي لايمكن ان يأتي بعلم و بدون وحي ـ مثلما قال ابن رشد.

نتّحه أولاً الى عبادة الصلاة والصيام، ومحورهما من الناحية الطبية هو غريزة النوم.

حين يريد الطبيب ـ بصفة عامة ـ ان يضع برنامجاً صالحاً لتوزيع وقت الإنسان بين العمل والراحة والنوم، نجد نفسه أمام العادة الإجتماعية والعائلية في البلاد التي يعيش فيها، و بين ما يعرف من علم الوظائف والغرائز والميزيولوجيا.

ولقد اتّفق الأطباء على ان مدة النوم يجب ان لا تقل عن سبع ساعات،... الأطباء الحدوث ـ على حد اصطلاح القدماء ـ خاصة زمن الطفولة، فإذا خرجنا من منطقة خط الإستواء نجد ان هذه المدة الزمنية ربما بين الشروق لا توجد بين وقت العشاء والسحر، بل ربما الشروق طوال السنة ـ وخاصة في شهر رمضان حيث النوافل والسحور تقل من هذه المدة، ولكن الله سبحانه و تعالى أمر بالصلاة، ولوقتها، وأمر بالصوم.

وأمرنا رسول الله(ص) ان يؤمر الطفل بالصلاة على السبع، وان يضرب عليها على العشر. فكيف التوافق النظري؟ لأنّ التوافق العملي اثبتته حياة الصالحين من هذه الأمة منذ أربعة عشر قرناً. اذ نجد ان الصلاة تثبت وتثبت صحة المسلم، بل نجد رسول الله(ص) قد اثبته في حياته مع الصحابة.

لكن التوافق النظري:

ان الدراسة في المركز العلمي للملاحة الفرنسية المنشورة سنة ١٩٧٤ اثبتت ان حاجة الإنسان الحقيقية للنوم ـ حسب الفطرة ـ هي مابين ثلاث ساعات وأربع ساعات باستمرار.

ولديّ شهادة من انسان الماني تعرفت اليه

وهو في سن الثمانين، أنه منذ خمسين سنة لم ينم إلا أربع ساعات، ولم يتمكن من النوم إلاّ أربع ساعات في الأربع والعشرين ساعة بدون قيلولة تلك التي أوصانا بها رسول الله (ص) لنستعين بها على قيام الليل.

وقد اثبتت الأبحاث الحديثة جداً، اننا لاننام نوماً متواصلاً طول نومنا الظاهر، ولكن النوم وحدات متتابعة، وكل وحدة مدتها تسعين دقيقة.

والعجيب في هذا ان هذه الوحدة التي لاينبغي ان يوقض اثناءها النائم بصفة متكررة، إذْ يمكن ان يسبب ذلك خللاً في صحته وتوازنه.

ان هذه المدة عند الطفل تنضج وتتم وعمره سبع سنوات. وهذه حقيقة من المكتشفات الحديثة، نجد الطفل يصل اليها في السنة السابعة من عمره، وحتى لم يكن معروفاً ـ البتة ـ منذ عشر أو عشرين سنة.

و يقول الآن طب الأطفال: ان الوحدة النومية للطفل تنضج في هذه السن أوعلى الأقل تقاربه أحسن قرب، ولا أشك ان الدراسات لو تواصلت الى السنة العاشرة لأثبتت ان النضج عن المقدار الذي يريده الله تعالى من المسلم والمسلمة ـ طبعاً الذي يعيش الحياة الإسلامية ـ.

اما ماثبت في السنة الشريفة من نوم رسول الله(ص) وصحابته رضوان الله عنهم، فمعروف انهم كانوا يقومون وأحسنها في الليل للعبادة، وأحسنها تلاوة القرآن في الصلاة فسورة المزمل نزلت بتفاصيل في توزيع الوقت اثناء الليل، وهذا ليس من عادة القرآن التفصيل، بل الايجاز، ولكن نجد العلم الحديث ينبّه الى هذه الناحية بطريقة يسيرة، نجد الآيات:

«قم الليل إلاّ قليلاً نصفه أو زد عليه قليلاً»

وتتبعها الآيات التي تشهد الى الأبد لرسول الله(ص) و بعض صحابته من انهم كانوا يقومون اما أدنى من ثلثي الليل أو نصفه أو ثلثه.

هذا التفصيل والإطناب الظاهر، والقرآن عادته الإيجاز المعجز.

كان من حق علماء المسلمين ـ لهذا القرن على الأقل ـ ان يكونوا هم المكتشفين لسنة الفطرة في النوم، حين نعرف ان الليل في مكة المكرمة يمتد من ست ساعات الى اثنتي عشرة ساعة، نجد ان الرسول(ص) كان يقوم الى أقصى حد من فطرته البشرية... في الليل الذي يكون اثنتي عشرة ساعة كان يقوم ثماني ساعات و ينام أربعاً، وفي الليل الذي يكون بينهما ثماني ساعات يقوم النصف و ينام النصف أربعاً، وفي الليل الأقصر الذي يمتد بين خمس وست ينام أربع ساعات و يقوم اثنين.

هل هناك شهادة أبلغ من القرآن الكريم على خلق الرسول(ص) خلقه العظيم، وكان خلقه محالاً.

هذا لايعني ان المدة الكاملة لنوم الإنسان اثناء الأربع والعشرين ساعة هي هذه المدة، لكن تثبت الأبحاث بدون انتقاد، نُشرت حديثا ـ فيما أعلم ـ ان مدة النوم المستمر التي لايجب ان تقطع مراعاة للفيزيولوجيا، قد لا تكون من سبع ساعات مثلما تعلّمت حينما كنت في كلية الطب.

القسم الثاني: بعد هذا العرض حول النوم نذكر ما يتعلق بالوراثة.

الأمراض الوراثية:

ان دراستها، والتقدم في تشخيصها، ومعرفة انتقالها ووراثتها، و بالتالي الوصول الى معرفة

سبابها، والتنبؤ بحدوثها في الأولاد والبنات من سرة معينة، يرتكز أصلاً وأساساً على علم الوراثة لبشرية، وهذا العلم يحتاج الى تيقن العلماء: أن لأسر التي يفحصونها هي حقيقة مكونة من لأم.

ولهذا التجأ العلماء الى الحيوانات، حيث ـزلون الأزواج أو على الأقل الأنثى ليتابعوا في لنسل وراثة علامة من العلامات أو مرض من لأمراض، فكيف عمل الأطباء لكي يتقدم على الأجنّة وعلم الوراثة و بالتالي الإستشارة الطبية للأمراض الوراثية؟

لديهم وسائل الطب الشرعي التي تعترف حقيقة لنفي أولا ثبات الأبوة، ولكن لم تتمكن من اثبات انه حقيقة من صلب الأب المدعى.

وأسأل اذا كان يمكن للطبيب الشرعي ان يثبت انه ليس من صلب الأب المدعى، لايمكن للطب الحديث ان يثبت ان الولد من صلب الأب المدعى.

وأسوق لكم هذه الجزئية، لكي نفهم العلة اجبرت فئة من علماء اوروبا في علم الوراثة منذ عشر سنوات، ان يخرجوا بدون ان يشعروا ـ بالطبع ـ المعنيين بهذه النتيحة من بحثهم حول وراثة مرض معين، اضطروا ليبعدوامن بحثهم ٧٪ من الأسر التي اختاروها في بداية دراسة مرض معين من اجيال متتالية، لانه ثبت بالوجدان لديهم ان ٧٪ من هذه الأسر الشرعية قانونياً حسب القانون المدني فيها ذرية من غير الآباء القانونيين ■

مفهوم الامامة والخلافة في القرآن

الدكتور صلاح الدين آش / تركيا

انـنا اجتمعنا هنا اليوم بمناسبة الذكرى السنوية الخامسة لانتصار الثورة الإسلامية التي حقّقت انتصارات عظيمة... وكم هي رائعه وقيّمة هذه المراسم، إذ انها وبدلاً من أنْ تقام على أُسس فارغة، فانها تتضمن مؤتمراً نستطيع من خلاله احراء دراسة جدّية حول القضايا المتعلقة بالمسلمين، وأيضاً حول المشاكل والصعاب التي تواجهنا.

ان الثورة الإسلامية الإيرانية تعتبر النهضة الإسلامية الوحيدة خلال القرون الأخيرة، حيث انها ومنذ انطلاقتها ولليوم تواصل الأهداف التي رسمتها لنفسها دون أنْ تنحرف عنها قط، وانها تحقق ــ كل يوم ــ في هذا الطريق مكاسب جديدة، وان شاء الله ستقوم بمواصلة هذا الطريق.

وطبيعي ان هذه النتائج لم تتحقق سوى نتيجة لمساعي ومحاولات وكفاح حزب الله في ظل القيادة الحكيمة للإمام الخميني التي تنشأ من العلم والعرفان.

نسأل الله وندعوه ان يطيل عمر الإمام الخميني، ويحقق الكمال للمسلمين عن طريق الشهادة؛ كما ونسأله ان يتلطف بعنايته ورحمته الواسعة على جميع الشهداء الذين ضحوا بحياتهم من أجل رفع راية التوحيد حفّاقة، وخاصة آلاف الشهداء الذين قاموا مثل مسلمي ايران بدكِّ عروش طواغيت شمال افريقيا، أي نظامي تونس والمغرب.

ان الثورة الإسلامية استخرجت المفاهيم والإصطلاحات والأُصول الإسلامية من بين صفحات الكتب، وقامت وتقوم بتطبيقها... المفاهيم والملاكات الشرعية التي لم تقم منذ عدة قرون حركة جديدة لتطبيقها، ولكنها، أي تلك المفاهيم والملاكات الشرعية تطبّق اليوم في ايران الإسلام.

ومن هنا فانَّ أخاً لكم من أتباع المذهب السني يريد ان يتطرق الى مفهوم من هذه المفاهيم، يلزم خوض البحث فيه من جديد، الا انه ومع بالغ الأسف فانَّ الحوادث التي وقعت في العالم الإسلامي خلال القرون المنصرمة، وكذلك بعض المشاكل الراهنة، منعت من طرحها بين المسلمين بشكل

حدي. وهذا المفهوم عبارة عن مفهوم وأصل الإمامة أو الخلافة في القرآن الكريم، الذي اذا طُبّق من قبل المسلمين، لاستطاع ان يلعب دوراً كبيراً في تحقيق الوحدة بينهم. وأكرر مرة أخرى وأقول انه مع الأسف ان هذا المفهوم لم يطرح لليوم بشكل صحيح بين المسلمين.

وقبل كل شيء أرى من الضرورة بمكان أنْ أقول بانني لا أعتزم اعطاء تحليل حول مفهوم الخلافة والإمامة المتكرر كثيراً في القرآن الكريم، إذ ان ما اريد القيام به هو الإجابة على التساؤلات الأساسية التي تشغل أذهان الكثير من المسلمين، حيث ان إحياء هذه المفاهيم الإسلامية الأصيلة يستلزم الإجابة على تلك التساؤلات.

نحن نعلم بأنّ تقسيم المسلمين الى شيعة وسنة، يعود في الأصل الى تفاوت وجهات النظر بين الطرفين حول أصل الإمامة والخلافة. ورغم انه لايمكن القول بأنّ المذهبين السني والشيعي لا يختلفان حول أصل الإعتقاد بالإمامة والخلافة ــ إذ ان الطرفين يؤمنان شرعاً وعقلاً بوجوب الإمامة والخلافة ــ الا ان الخلاف يدور حول ظهور وصلاحيات إمام ما.

أنا لا أرى ضرورة لطرح الخلاف القائم حول الخلفاء الراشدين، حيث ان المسلمين السنة يعتقدون بأنّ الإمامة تتحقق بالإنتخابات، غير ان الشيعة يعتقدون بانها تتحقق بالتنصيب. فأتباع المذهب السني يعتقدون بأنّ الشخص الذي يدير زمام الأمور من بعد الرسول الأكرم(ص) يجب ان يُعيَّن من قبل أهل الحل والعقد الذين ينتخبون من بين المسلمين المعروفين، على ان تتّبعه الأمة الإسلامية، في حين يعتقد أتباع المذهب الشيعي انه مثلما يبعث الله أنبياءً الى البشر فانه يقوم بتنصيب الأئمة... وهذا الأمر إنّما هو مواصلة للنبوة بنظر هؤلاء الأخوة.

والإمامة هي حق، يتحقق وفق وعد آلهي، غير ان الظالمين لايستطيعون تحقيق هذا المقام. ويمكن في هذا الخصوص مراجعة الآيات الواردة في سورة البقرة، والقصص، وهود، والأنبياء، وآيات كثيرة أخرى.

ومثلما قيل مسبقاً فانّ الطرفين يتفقان شرعاً وعقلاً حول ضرورة وجود إمام. لكن وحينما نلقي نظرة الى الأحداث التي وقعت في التاريخ وخاصة بعد ثورة الإمام الحسين(ع) في كربلاء، نرى ان الأعداء كانوا يزعمون بأنّ الشيعة فشلت امامتهم وخلافتهم في التاريخ بعد تلك الثورة، و بالمقابل انتصرت الخلافة التي يؤمن بها السنة. هكذا كانوا يخدعون الناس.

لكن و بعد الخلفاء الراشدين (رغم اننا فضّلنا عدم خوض أي بحث حولهم في الوقت الحاضر) بل وقبل حادثة كربلاء، فانّ الإمامة والخلافة التي وجدت من خلال الخروج على الخليفة الذي اتفقت الأمة الإسلامية جمعاء حول خلافته وامامته، أي الإمام علي(ع)، كانت في الحقيقة (إمامة ظالمة). ومنذ ذلك الحين بدأت الإمامة الظالمة، وهذا مايؤكده الحديث النبوي الشريف الذي ورد في كتب أهل السنة، اذا جاء في ذلك الحديث عن الرسول الأكرم(ص): «ان الإمامة من بعدي ستدوم ثلاثين عاماً، ثم يحل الظلم بعدها»[1].

انـنا نواجه قضية عجيبة، ألا وهي ان أهل الحل
ـعقد الذين كانوا مطروحين في عهد الخلفاء
شدين، عادوا اليوم منسيين، بل وان السيف قد
ي محل أهل الحل والعقد، كما وان التشاور يتم
ـيره بقوة السيف، والسيف أصبح هو الذي يُعيِّن
ـيفة. وبالمقابل ليست لدى الأمة حيلة سوى
حرك نحو الجهة التي يرسمها لها السيف...
ست هناك بعد اليوم أية شروط للخليفة، حتى ان
يفة يمكن ان يكون مقلداً من الناحية العلمية.

ان استسلام العلماء أمام سيوف الحُكّام بدأ
شر بمثابة الإجماع على انتخاب الخليفة... فلقد
ن الخليفة في السابق يُنتخب من قبل الأمة، إلاّ
السكوت أمام حكام الجور الذين تتقطر الدماء من
فهم، أصبح اليوم يعتبر نوعاً من الإنتخاب.

ولذلك فانّ بعض العلماء حين كان يُزاح الخليفة
ي كانوا قد بايعوه، فانهم كانوا يبايعون الطرف
ني، و يعتبرونه شرعياً، الى درجة ان حكام الجور
ي يواصلوا ظلمهم وجورهم كانوا يستخدمون
ض العلماء لاعطاء حكمهم صبغة شرعية. فهؤلاء
ـ أن يكونوا ورثة الانبياء، كانوا يسيرون نحو
هة التي تعينها السيوف لهم، و يذلّون أنفسهم...
ذا الوضع دام لعدة قرون، حتى ان أحد العلماء
ن كانوا يعيشون في عهد السلاطين العثمانيين،
دم على يد فرعون عصرنا الكبير، أي أتاتورك...
ث العالم الذي كان يدعى «عاطف أفندي»،
ن قد قال في جواب له على سؤال يدور حول
عية أو عدم شرعية الخلفاء العثمانيين: **«ان
لفاء العثمانيين هم أشبه بالخلفاء العباسيين
موين».**

ولذا نرى ان العلماء كانوا يمتنعون على الدوام عن اظهار الحقيقة... مما ظهر خلال القرون المنصرمة الكثير من الأشخاص الذين ادّعوا الخلافة الإسلامية وواصلوا ظلمهم وجورهم بحق الأمة الإسلامية، أي ان ما كان يؤمن به السنة والشيعة حول الإمامة والخلافة خلال القرون الماضية ظل موجوداً في صفحات الكتب، وان الذين يحكمون البلاد الإسلامية منذ وقت طويل هم ظلمة ومعادون للدين.

ان الدين والعلماء، تبدلوا الى مصنع ينتج الفتاوى وفقاً لأهواء الحكام، وحتى ان بعض الأشخاص بدأوا يدّعون بأنّ الله بعث النبي لسد الحاجات الدينية للناس، وبعث الملوك والسلاطين لادارة الشؤون السياسية... وبعض الاشخاص أمثال «البرفيسور محمد حميد الله» قال ما معناه: **«ان القرآن يؤكد على بعث الأنبياء لاجراء شؤون الدين، والملوك لاجراء الشؤون السياسية».**

وبالمقابل فانّ بعض العلماء والمتدينين من الذين كانوا يرفضون الإستسلام أمام السيوف، لجأوا الى التصوف، مما أدى عملهم ذلك الى تقوية اسس الأنظمة والحكومات الجائرة، اذ ان جموع الناس التي كانت لا تستطيع اللجوء الى التصوف، تأسّرت بين السيوف والحراب المادية للسلاطين، والسيوف المعنوية للمتصوفين.

والآية «٦٠» من سورة النساء تدعو المؤمنين لعدم اللجوء الى الطواغيت في حل مشاكلهم: **«يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد أُمروا ان يكفروا به»** بل الجهاد ضدهم والقضاء عليهم. لكن بعض ما يسمون أنفسهم بالعلماء تجاهلوا هذه الآية،

متخذين الآية التي تسبق الآية المذكورة والتي تدعو لإطاعة اولي الأمر دليلاً لادعاءاتهم الواهية، و بذلك كانوا يدعون لاطاعة أوامر حكام الجور «**يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم**» وتجاهلوا الأحكام الإسلامية التي تنص على ان ولي الأمر يجب ان يكون عالماً، وان العلماء هم ورثة الأنبياء.

ان الدين الإسلامي يهدف للقضاء على الفتنة، ولكننا نرى المسلمين يستسلمون منذ قرون أمام مصادر الفتنة... والمسلمون ينشدون طريقاً للنجاة، لكنهم حين يلجأون الى العلماء الذين عليهم ان يقودوهم ، يرون ان هؤلاء قد استسلموا للطواغيت في اكثر أنحاء البلاد الإسلامية.

و بعض المسلمين حين يراجعون المصادر ليعوا كيفية مواجهة الظالمين، و ماهي الموازين والمعايير المتوفرة في هذا المجال، يجدون مصادر كبيرة أمامهم وجدت لحفظ ما يسمّى بحقوق السلاطين. وحين يبحثون عن أهل الحل والعقد في مثل هذه المصادر يشاهدون ان أهل الحل والعقد في تلك المصادر انما هم اشخاص يعينهم حكام الجور... وفي هذا المجال يمكن مراجعة كتاب «أحكام السلطانية» و «تفسير المنار» لرشيد رضا.

و بعض هؤلاء العلماء يستدلون على ضوء حديث ورد في أحد الكتب، انه طالما لم يأمر أمير أوحاكم ما بالمعصية، فانّ اطاعته تكون مستلزمة. انهم يستدلون لاطاعة حكام الجور، في حين ينسون بأنّ اطاعة صاحب المعصية، إنّما هي معصية كبيرة. ولكي لا يرتكب الإنسان معصية، عليه ان ينتخب ولي أمره وفق موازين شرعية.

والمسلمون ــ اليوم ــ يتساءلون، ألا يوجد في العالم الإسلامي قائد يستطيع ان يكون خليفة وإماماً لجميع المسلمين بعيداً عن سلبيات ما يسمّى بالخلفاء السابقين؟.

ألا نعلم بأنّ الحديث الشريف يقول بصراحة تامة: «**من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة الجاهلية**»؟

المسلمون يريدون ان يعرفوا انه اذا كانت هناك في العالم الإسلامي حكومة اسلامية، فانّ الحكومة الإسلامية لا تتحقق إلاّ بوجود إمام حق. إذن ومما لاشك فيه انه يوجد إمام حق، ومن المسلّم به انه يتطلب على كافة المسلمين ان ينضووا تحت لواء الإسلام و بقيادة إمام حق للوقوف بوجه الكفر العالمي، لا ان يتشتتوا. ونداء المسلمين المجاهدين لكل مسلمي العالم هو: «**تعالوا لنتحد معاً ونقف بوجه الكفر العالمي، ولا نشتت صفوفنا**».

والسؤال المطروح هو: ترى ما هو موقف السنة من هذه الدعوة؟.

وهذا السؤال حين يطرح لبعض العلماء، فانهم ومع الأسف لايستطيعون الإجابة عليه بشكل صحيح وذلك نتيجة لتأثرهم بالثقافات والأفكار الطاغوتية السائدة منذ قرون.

وفي هذه الأثناء فانّ الأشخاص الذين يقال عنهم انهم أئمة معنويون للناس، وأقصد بذلك شيوخ التصوف يعلنون بأنّ الطريق الذي انتحبوه لأنفسهم هو أفضل طريق للنجاة، في حين ان الجبابرة الذين يديرون أمور الناس بالقوة يحذّرون الناس من مغبة مخالفة أوامرهم مدّعين بأنهم أولوا الأمر وان الخروج عليهم إنّما هو خروج على الرسول الأكرم(ص).

ومن هنا نرى بان الحركات الإسلامية الأصيلة تنحرف بدورها على يد وعاظ السلاطين هؤلاء.

انني أكرر مرة أخرى وأقول انه ليس هناك أي خلاف بين الشيعة والسنة حول أصل مسألة الإمامة وضرورة توفرها... فلوكنا نؤمن بوجود حكومة إسلامية، كان علينا ان نقبل بانه يوجد لدينا إمام، ولا يجوز ان يكون هناك الى جانبه إمام آخر.

لذلك يتطلب على المسلمين ان يعلنوا عن مواقفهم بشكل واضح، وإلاّ فاننا مهما ادعينا، وطالما لم نتحد نحن المسلمين بنفوسنا البالغة مليار مسلم في ظل قيادة إمام واحد، فاننا سنكون كقطيع من الغنم يفتقر الى راع.

يجب علينا ان نعلم بأنّ الحكومة الإسلامية في عهد الرسول الأكرم ـ وان كانت تبدو صغيرة في الظاهر ـ استطاعت ان تتغلب على جميع القوى الكبرى آنذاك، إلاّ ان المسلمين اليوم يعيشون حالة من الفوضى الفكرية في مجال فهم الإسلام والإصطلاحات الإسلامية وكأنّ الجميع يريدون ان يبرروا و يفسّروا الإسلام حسب ما تشتهي أنفسهم.

ولكي نستطيع ان نصون أنفسنا من هذا الخطأ والخطر الكبير وهو ان يقوم كل شخص بتحديد طريق خاص له، ولكي ننقذ الإسلام، ونعمل على توحيد الأمة الإسلامية، فانّ المسألة المهمة والأساسية التي يجب ان نأخذها بنظر الإعتبار، تتمثل بمسألة الإمامة.

نحن نحمل على عواتقنا مسؤولية كبيرة وهي ان لا نسمح بتكرر الأخطاء السابقة، لكي لا يصبح الظالمون خلفاءً وأئمةً لنا. ويجب علينا نحن المسلمين شيعة وسنة ان ننضوي ضمن المحافظة على مذاهبنا وعدم ايجاد التفرقة بيننا تحت لواء إمام وننتفض يداً واحدة ضد الكفر العالمي. وعلى المسلمين جميعاً ان يسعوا بجدية في هذا المجال.

نحن مكلّفون باحباط كافة المؤامرات التي تحاك لهذا الغرض من مثل ان الخليفة أو الإمام يجب ان يكون من البلد الفلاني أو العنصر الفلاني، أو امثالها، التي تعتبر تافهة من الناحية الشرعية.

وعلى الأقل يجب ان يعلن المسلمون موقفهم بهذا الصدد سواء أكان ايجابياً أو سلبياً، ويجب ان لانسمح بأنْ تكون العلاقات بين أبناء الأمة الإسلامية مقبولة في الظاهر، ومرفوضة في الباطن، لأنّ هذا الوضع إنّما هو نوع من الرياء، لا تتحقق معه الوحدة الحقيقة مطلقاً.

وبهذا الصدد نرى ان قائد الثورة الإسلامية و بقية المسؤولين الايرانيين، يدعون الى الوحدة دائماً، وانني على يقين من انهم صادقون في دعوتهم هذه. انني و باعتباري أخاً لكم من المسلمين السنة، أتوقع مع آلاف الأشخاص الآخرين، ان يستجيب علماء السنة الحقيقيون لهذا النداء. واذا كانوا يعارضونه فانني آمل ان تكون معارضتهم وفوق دلائل شرعية.

واذا كنا اليوم نشاهد المجتمع الايراني المسلم يستطيع ان يتحدى لوحده الكفر العالمي و يدافع عن الإسلام بقيادة إمامه الذي تتوفر فيه شروط الإمامة، فهذا يكفي لأنْ نقيّم وندرس القوة العظيمة التي يستطيع العالم الإسلامي ان يمتلكها فيما لو قام بالقضاء على الأنظمة الطاغوتية. والسلام على المجاهدين في سبيل الله ■

مفهوم الصلح في:

القرآن الكريم

السيد قلب الدين حكمتيار/ افغانستان

يُسعدني أنْ أنتهز هذه الفرصة لأرفع نيابةً عن الشعب الأفغاني المؤمن والمضحّي في سبيل الله أسمى التهاني والتبريكات الى سماحة الإمام الجليل القدر، والى عامة الشعب الايراني المجاهد بمناسبة الذكرى السنوية الخامسة لانتصار الثورة الإسلامية في ايران.

أسأل الله أن ينصر هذا الشعب العزيز، ليتمكّن من تطبيق التعاليم الإسلامية في جميع المجالات. كما وأتمنى للشعب الأفغاني المنتفض والصامد الذي يواصل منذ خمسة أعوام جهاده ضد الإتحاد السوفيتي المعتدي، وقدّم خلال تلك المدة مليون شهيد وأربعة ملايين ونصف مهجّر، أن يحرر بلاده بعون الله و يقيم نظاماً إسلامياً حقيقياً.

ان من القضايا التي تواجهها الحركات الإسلامية في هذه المرحلة الحساسة من التاريخ، والتي تحتاج الى دراسة معمَّقة، هي قضية تحديد الشروط والمراحل للحركات الإسلامية لإيقاف نشاطاتها المسلحة، وحل قضاياها مع العدو عن طريق المباحثات.

ان الحركات الإسلامية المسلحة، سواء التي لجأت الى السلاح لتحقيق النصر للإسلام، أو التي فرضت عليها حرب مسلحة، عليها ان تعي ما هو موقف الإسلام من مسألة إيقاف الحرب، واقامة الصلح والتفاهم؟ وعندما يدعونه الى الصلح والتفاهم، ويجبرونه للجلوس الى طاولة الحوار مع العدو، فبأي استدلال محكم وواضح يؤكد على موقفه الإسلامي، وكيف يتجنب السقوط في وادي

المساومة؟

فهل ان الإسلام وضّح لقيادات الحركات الراهنة كيفية تحديد وتشخيص مثل هذه المرحلة وشروط اقامة الصلح عن طريق اجراء المباحثات مع العدو؟ أم انه حدّد الخطوط العامة لمثل هذه القضية؟

وهل يسمح الإسلام بالصلح بأي نحو كان؟ أم ان الصلح لايقام إلاّ اذا انتهى لصالح الإسلام بحيث لايؤدي الى اذلال المسلمين وتقوية الأعداء؟

أي صلح يكون مرادفاً للمساومة القذرة؟ ومتى يؤدي الصلح الى اذلال واهانة الحركات الإسلامية، و يكون مرفوضاً؟

هذه الاسئلة وعشرات الاسئلة الأخرى تطرح نفسها ــ اليوم ــ بإلحاح، وهي تتطلب منّا إجابات واضحة.

ولتحديد الخطوط العامة في هذا المجال، يلزم اجراء دراسة للمراحل الإبتدائية للنهضة في عصر صدر الإسلام، وذلك من خلال اللجوء الى القرآن والسنة النبوية الشريفة.

ان المؤيدين للحلول السياسية والحلول السلمية يدّعون أحياناً بأنّ الإسلام يوافق على مسألة التفاهم والتباحث مع العدو، و يؤيد الصلح، و يكره الحرب و يرفضه، ويجب التفاهم مع العدو والتباحث معه لإقامة الصلح حال ابداء استعداده لذلك، مستندين في ادعاءاتهم الى الآية الشريفة التي تصرح: **«وإنْ جنحوا للسَّلْم فاجْنَحْ لها وتوكّل على الله...»** كما وانهم يستندون الى آية أُخرى تتحدث عن الصلح الذي أقدم عليه الرسول الأكرم (ص) والمعروف بصلح الحديبية، وكأنّ الإسلام يسمح بالصلح وفقاً لشروط الأعداء!

انني ساحاول خلال هذه الفرصة أنْ أقوم بدراسة حول الصلح الإسلامي، وأحكام الصلح والحرب، والروايات التاريخية المتوفرة لدينا في هذا المجال منذ صدر الإسلام ولليوم.

توجد في القرآن الكريم آيتان، تتعلق إحداهما بالمرحلة الأولى للمدينة، وتتعلق الأُخرى بالمرحلة الأخيرة من حياة الرسول (ص). فالآية الأُولى تنهى و بشدة عن الدعوة الى الصلح، بينما الأخرى تأمر بالتصالح مع العدو فيما لو اظهر استعداده للصلح. وهاتان الآيتان تتعلقان بمرحلتين من الحركة. فالأشخاص الذين يدرسون ظاهر الأوضاع و بعقول غير سليمة، يرتكبون الأخطاء على الدوام، لأنهم يشاهدون حُكمين متباينين ازاء مسألة معينة، أو انهم يأخذون إحدى الآيتين بنظر الإعتبار تاركين الآية الأُخرى جانباً، متصورين احداهما ناسخة والأُخرى منسوخة، أو انهم يتخلصون من المشكلة من خلال الإتيان ببعض التبريرات، في حين انه يجب النظر في الأحكام المذكورة وفق

مجالاتها التاريخية وشروطها، ومعرفة أوجه التشابه والإختلاف بينها.

يقول القرآن الكريم: «فلا تَهِنوا وتدعوا إلى السَّلْمِ وأنتُم الأعلَوْنَ واللهُ معكم، ولن يَتِرَكُمْ أعمالكُمْ».

ونفهم من الآية الشريفة جملة من المسائل الأساسية؛

أولها: ان هذا الحكم يتعلق بالمرحلة التي كانت فيها الحركة تشعر بالضعف، إذْ ان الآية توصي المسلمين بعدم التخاذل أمام العدو والإستسلام له رغم تفوقه عليهم من الناحيتين العسكرية والسياسية.

وثانيها: ان المسلمين يجب ان لايساوموا مع العدو بهدف إبعاد المخاطر عن أنفسهم، إذ ان أي صلح في حالة الضعف إنَّما يرادف المساومة، ولأنَّ التصالح مع العدو القوي إنَّما يقوم بضمان قوة العدو وتوجيه ضربة الى الحركة.

وثالثها: ان الحركة الإسلامية مكلَّفة بعدم التصالح والمساومة مع العدو اذا كان متفوقاً عليها من الناحية العسكرية، وعليها ان لا تسمح بأنْ يشعر أفرادها بالذل والهوان أمام العدو... حيث يجب عليها من خلال الإتكاء على الايمان ان تؤكد لأعضائها بأنَّ قيمهم الفكرية والأخلاقية تفوق قيم العدو، كما ويجب عليها أيضاً ان لا تعترف بالعدو مطلقاً إستناداً الى القرآن الذي يقول: «وانتم الأعلون».

ورابعها: ستنبط من جملة «الله معكم» في الآية الشريفة بأنَّ الحركة تمر بمرحلة تشعر معها بضرورة التعويض عن شعورها بالوحدة، لأنها محاصرة وتفتقر الى الدعم. حيث ان الجميع يقفون بوجه الحركة الإسلامية، لكنَّ الباري سبحانه وتعالى يوصي المؤمنين والأوفياء للحركة الذين يعانون من المشاكل، بعدم الشعور بالوحدة، مؤكداً لهم بانه سبحانه يقف الى جانبهم، وان الشعور بالوحدة يجب ان لايؤدي بالحركة للتساوم مع العدو، وانقاذ نفسها بهذه الوسيلة.

وخامسها: وفي آخر الآية يوصي جلَّ وعلا المؤمنين بالإتكال على سلاح الإيمان لئلا تذهب محاولاتهم هباء وتبقى دون نتيجة، لأنَّ تحقق نتائج الأعمال لايتوقف على الظروف التي تواجهها الحركة، ولأنَّ الظروف العسيرة لا تمنع الإيمان من اعطاء ثماره.

ان حياة الرسول الأكرم (ص) لهي أكبر دليل على هذا الأمر، فقبل ان يهاجر (ص) من مكة، طلبوا منه ان يقبل بالصلح، لكنه رفض ذلك الطلب.

وفي المرحلة التي كانت فيها الحركة غير مكتملة، وضعيفة من الناحيتين السياسية والعسكرية قياساً الى العدو، فإنَّ القرآن

الكريم أوصى المؤمنين بعدم المساومة مع العدو أو الشعور بالذل والهوان أمامه. يقول جلّ شأنه: «**ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين**».

وهذا الأمر صدر في مرحلة وقعت فيها معركة أحد التي فرَّ منها عدد من أصحاب الرسول الأكرم (ص) واستشهد خلالها مايقارب من سبعين شخصاً من الصحابة.

وحول كفاح عباد الله على مرّ التاريخ، يقول الباري سبحانه وتعالى: **وكأيّن من نبيّ قاتلَ معه رِبيُّون كثيرٌ فما وَهَنُوا لِما أصابَهُمْ في سَبيلِ الله وما ضَعفوا وما استكانوا، والله يُحِبُّ الصابرينَ**».

والقرآن الكريم ينهى المؤمنين في هذه الآية عن الإستكانة والشعور بالذل والضعف والهوان، و يدعوهم للتحلي بالصبر، مؤكداً بأنَّ العاملين في سبيل الله يجب ان يتحلوا بهذه الصفة.

كما و يشير القرآن العظيم الى مسألة رغبة الأعداء في المساومة، ويحذّر الرسول الأكرم (ص) من الإستجابة لهذه الرغبة. يقول القرآن الكريم بهذا الصدد: «**فلا تُطِع المُكذّبينَ * وَدُّوا لَوْتُدْهِنُ فَيُدْهِنونَ**».

ونفهم من هذه الآية وسائر الآيات الأخرى التي تشير الى المرحلة التي كانت الحركة ضعيفة فيها، بأنَّ القرآن الكريم يدعو المؤمنين للصمود والمقاومة والوقوف بعزم بوجه العدو وعدم المساومة أو التساهل معه، إذْ ان المساومة في مرحلة الضعف وفي الظروف التي يكون العدو فيها قوياً، تجرد الحركة من إمكانية المحافظة على كيانها و وجودها.

والإسلام العزيز لن يسمح مطلقاً لأتباعه المؤمنين الإعتراف بالعدو، والخضوع له، والتفاهم معه، لأنّه أي الاسلام لايستطيع تحمل الذل، كما وان المسلم لا يستسلم للذل في أي ظرف كان. يقول سبحانه وتعالى: «**ولله العزّةُ ولرسولهِ وللمؤمنينَ...**»

وفي غزوة الأحزاب التي أعلن فيها اليهود والمشركون والفئات العربية الأُخرى حرباً على المسلمين، وشكّلوا جيشاً، وهاجموا المدينة، قام المسلمون بإحداث خندق حول المدينة لايقاف زحف العدو. وعن حالة اليأس التي سيطرت على المسلمين في تلك الحادثة يتحدث القرآن بشكل وكأنَّ قلوب المسلمين قد وصلت الى حناجرهم نتيجة الإضطراب واليأس. اما يهود المدينة فقد اتفقوا مع العدو وتجاهلوا وعودهم في مجال الدفاع المشترك . وكان الرسول الأكرم (ص) يسعى لارضاء هذا العدو الداخلي بشكل من الأشكال، ومنعه من التعامل مع العدو الخارجي. فتحدث مع سعد رضي الله عنه حول منح يهود المدينة محصول التمر لمدة عام. فقال سعد رضي الله عنه للرسول

الأكرم: «يا رسول الله هل أصدرت أمرك طبقاً للوحي أم رأيت الخير في هذا الأمر؟» فقال له الرسول الأكرم: «كلا، هذا ليس وحياً، لكنني رأيت المصلحة في هذا الأمر»، فقال له سعد: «يا رسول الله، قسماً بالله اننا لم ندفع الجزية في زمن الجاهلية لأي شخص. واليوم منحنا الله العزة، فكيف نسمح لأنفسنا باعطاء الجزية» و بذلك انصرف الرسول الأكرم عن ذلك الإقتراح.

ان موضوع الصلح قد طرح في وقت لم تسفر جميع المصائب ومحاولات العدو في مجال القضاء على الحركة عن أية نتيجة، فالهجمات والحملات لم تعط ثمارها. وحين وصل الحال بالمدينة الى ان تحقق استقلالها وتتمكّن من الدفاع عن نفسها، وأثبتت طوال عدة سنوات بأنها قادرة للدفاع عن نفسها، والتصدي للهجمات، والمحافظة على وجودها، شعر العدو باليأس من مواصلة هجماته، كما وحان الوقت لتخرج الحركة من حالة الدفاع الى حالة الهجوم. و بذلك بدأ العدو يدافع عن نفسه هذه المرة لعدم تمكنه من الهجوم، وحققت الحركة تفوقاً من الناحية العسكرية، فبدأالعدويشعر بالضعف والعجز أمام المسلمين، فما كان منه إلاّ ان يدعو الى الصلح.

ولذلك نرى بأنّ هذا الصلح لم يتحقق في المدينة وعند ما كان العدو في موقع الهجوم ومتفوقاً على المسلمين من الناحية العسكرية، حتى انه لم يتحقق في معركة بدر، أو أحد، او الخندق، بل تحقق في الحديبية، بعد أن وصل المسلمون الى مرحلة من القوة عزموا فيها للحصول على حقهم في الطواف حول الكعبة، حيث ساروا نحو مكة وتقدموا الى الأمام الى ان وصلوا منطقة الحديبية، وهناك تحقق الصلح.

ان بعض الأشخاص الذين يجهلون الإسلام، ولا يفهمون من التاريخ الإسلامي شيئاً، وتتحكم بهم عواطفهم، يصورون بأنّ معاهدة الحديبية إنّما تعني قبول شروط العدو، ومثل هذا الصلح يعتبر عاراً، في حين ان القرآن يعتبر ذلك الصلح فتحاً مبيناً، حيث يقول: **«إنّا فتحنا لكَ فتحاً مُبيناً...»**

وفي الواقع ان صلح الحديبية، جاء لصالح الإسلام، حيث تمّ الإعتراف رسمياً بالمدينة على انها بلد مستقل له نظامه الخاص. والمسلمون الذين كانوا للأمس محرومين من الطواف حول الكعبة، أصبح لهم طبقاً لتلك المعاهدة الحق في الطواف حول الكعبة، وصارت لهم دولة خاصة بدين منفصل عن الأديان الأخرى، حتى ان القريشيين أعلنوا موافقتهم على دخول المسلمين مكة بعد عام من الإتفاقية، على ان تكون سيوفهم في اغمدتها ، وتخرج قريش من مكة لمدة شهر واحد، ولا تحارب المسلمين لمدة عشرة أعوام.

والنتيجة العملية لهذه الإتفاقية التي أدت الى فتح مكة، قد تجلّت بعد مرور عام واحد على تلك الإتفاقية. ونفهم من الآية المباركة بانَّ الدعوة الى الصلح والرغبة فيه، قد بدأتا من جانب العدو، وإنْ دلتا على شيء فانما تدلان على ضعف العدو.

إنَّ صلح الحديبية إنَّما يعني انهزام قوات الكفر من ساحات القتال، واتخاذ سياسة دفاعية نتيجة لضغوط المسلمين بعد ان كانت هي التي تشن الهجمات على المسلمين وبالتالي تقديم اقتراح بشأن الصلح نتيجة لضعفها وتخاذلها ،وموافقتها على استقبال المسلمين في مكة شريطة ان لايشهروا السيوف عند مجيئهم اليها.

وحول الأهداف الاستراتيجية ونهايتها يقول القرآن الكريم بصراحة تامة: **«فإذا لقَيْتُم الذين كفروا فَضَربُ الرقاب، حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإمَّا مَنّاً بَعْدُ وإمَّا فداءً حتى تضع الحرب أوزارها»**.

هذه الآية الشريفة توضّح جملة من المسائل المهمة والأساسية الخاصة باستراتيجية الحرب في الإسلام، وهي:

١ ــ اذا دُعي المسلمون للجهاد ضد أعداء الإسلام الذين حملوا السلاح، فإنَّ الوظيفة الأولى الملقاة على عاتقهم تتمثل بضرب الرقاب.

٢ ــ اذا فكَّر المسلمون بأسر الكفار وأعداء الإسلام، عليهم في المرحلة الأولى ان يقضوا عليهم، ومن ثم السعي للقبض على أسرى الحرب.

٣ ــ ان الهدف من اللجوء الى الحرب هو انهاء الحرب، حيث من واجب المؤمنين أنْ يحاربوا لإنهاء الحرب. وبهذا الصدد يقول القرآن الكريم: **«وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كلهُ لله»**.

و يتفق أكثر العلماء والمحققين على ان الفتنة إنَّما تعني غلبة جبهة الكفر والشرك . ولذلك يأمر القرآن الكريم المؤمنين بالقتال، حيث يقول: **«وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة...»** وذلك لإنهاء الحرب وسلب العدو قدرته **«... حتى تضع الحرب أوزارها»**

ان الحركة الإسلامية في افغانستان كانت هي الأخرى تواجه مثل هذه الحالة، حيث ان الروس لكي يخدعوا العالم، و يوقفوا جهاد شعبنا المسلم، تقدَّموا باقتراحات تقضي بإقامة الصلح، في حين انهم يرسلون في كل يوم قوات جديدة الى افغانستان.

واليوم يبلغ عدد القوات الروسية في افغانستان ٢٠٠/٠٠٠ جندي مسلح يعملون ليلاً نهاراً لتقوية مواقعهم، وان الطائرات الروسية مازالت تواصل قصفها للمدن والقرى، واستشهد لحد الآن مليون شخص افغاني، وقد هاجر أربعة ملايين ونصف

شخص من أبناء وطننا الى باكستان وايران، وليست هناك أية مؤشرات تؤكد على ان الروس مستعدون للإنسحاب من افغانستان، لكنهم (أي الروس) وبهدف خدع العالم يعلنون باستمرار استعدادهم لايجاد حل سلمي للقضية الأفغانية.

اننا سنواصل جهادنا مستلهمين من القرآن الكريم والخط الإسلامي الذي انتخبناه لأنفسنا، ونعتقد بأنَّ الجهاد هو الحل الكفيل لإنهاء هذه القضية، واذا لم ترتفع راية الإسلام خفَّاقة في ربوع أفغانستان المجاهدة التي دمَّرها المعتدون الروس، فاننا سوف لن نلقي السلاح على الأرض.

ان الروس لم يستطيعوا خلال السنوات الماضية من احتلالهم لبلدنا الإسلامي ان يقضوا على الحركة الإسلامية، رغم أساليب القمع والإرهاب والقتل الوحشية التي انتهجوها. وان قواتنا الإسلامية المجاهدة تقوى يوماً بعد آخر، الى درجة ان الروس بدأوا يواجهون هجمات قواتنا على معسكراتهم. وخلال العام الجاري خاضت قواتنا المجاهدة معارك ضارية ضد المعتدين في المدن الكبيرة وفي ضواحي معسكرات القوات الروسية.

اننا على يقين تام من ان القوات الروسية المعتدية سوف لن تستطيع مواصلة احتلالها لأفغانستان، ومالم تنسحب هذه القوات دون أية قيود وشروط، فلن يكون هناك أي طريق لحل القضية.

ان شعبنا المؤمن مصمم على مواصلة الجهاد وعدم القاء السلاح الى ان يخرج آخر فرد روسي من بلاده، و يقام نظام اسلامي حقيقي فيه، ولقد تحمَّل و يتحمل أنواع المشقات والصعاب، لكن حركته تتصاعد يوماً بعد آخر، وانه سيستمر في جهاده رغم مؤامرات القوى العظمى الشرقية والغربية.

واننا على يقين من ان جميع هذه التضحيات سوف لن تذهب هباءً، إذْ يقول الباري سبحانه وتعالى: **«والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم»**.

وسيأتي اليوم الذي ترتفع فيه راية الإسلام العزيز خفاقة على ربوع أرضنا.. أرض الشهداء... وما ذلك على الله بعزيز... والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ■

الثورة الاسلامية
امتداد لدعوة سيد الانبياء

الشيخ التيجاني نياس / السعال

باسم وفد التيجانية لأقليم (سين سالم) الذى يرأسه صاحب الفضيلة الخليفة الحاج عبدالله نياس و بأسمي الخاص نوجّه أولاً وقبل كل شيء شكرنا العميق الى المسؤولين في كل المستويات بالجمهورية الاسلامية في ايران على الدعوة الكريمة للمشاركة في الاحتفالات الكبرى للذكرى الخامسة للثورة الاسلامية المظفرة. ونحمل اليكم تحيات المودة والعطف والتهاني القلبية من أتباعنا و من الجماهير الاسلامية في الطائفة التيجانية.

إن هذه الثورة المباركة جاءت في سبيل الحق، وفي سبيل صون الكرامة ورفع كلمة: لا آله إلاّ الله محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم، في كل أقطار الدنيا، إذ ان كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى.

إنها بحق انتصار لهذا الدين الإسلامي الحنيف، وامتدادٌ لدعوة سيد الأنبياء والرسل سيد الأولين والآخرين، الذي قال الله تبارك وتعالى في حقه **«إنّا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله بإذنه وسراجاً منيراً»** وذلك لإنارة الطريق السوي للبشرية وإخراجهم من دنس الكفر، ومن الظلمات الى النور، ومن الشقاء الى السعادة الدنيوية والأُخروية.

والدين الذي جاء به «ص» من عند الله نسخ كل الأديان، ولا دين بعد الإسلام. وفي هذا الشأن يقول العلي القدير: **«اليومَ أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً..»** **«ومن يبتغ غير الإسلامِ ديناً فلن يُقبَلَ منهُ وهو في الآخرة من الخاسرين»**.

لقد لاقت الدعوة الاسلامية في عهد المصطفى صلى الله عليه وسلم كل المؤامرات وكل الحِيَلِ والحِقد والحَسَدَ داخلياً وخارجياً وأبى الله إلاّ أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

وكتب الله لدعوته النصر، فانتصر وانتشر الإسلام، وقام بتأسيس أول دولة إسلامية في المدينة المنورة معتمداً في ذلك على الدستور الرباني ــ القرآن الكريم ــ وسنّته المطهّرة صلى الله عليه وسلم، ومن بعده خلفاؤه الراشدون والأئمة والأولياء الذين يخاطبهم العلي القدير: **«ألا إنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون * الّذينَ آمنوا و كانوا يتّقون * لهم البُشرىٰ في الحياة الدُّنيا وفي الآخرة، لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم».**

(يونس/ ٦٢ ــ ٦٤)

وهكذا نرى أن الدعوة الى الله لابُدَّ أن تلاقي كل المؤامرات خاصةً في هذا العصر الذي تخلّى فيه كثير من الناس عن القيم الروحية والتعاليم السماوية، فتوجهوا الى الماديات الصِرفة دون الجانب الروحي والخُلُقي الذي ــ وحده ــ يحقق السعادة الكبرى الأبدية لعموم البشر، وهذه السعادة الحقّة لا توجد إلاّ في رحاب القرآن وفي مدرسة قِيَمِهِ ورُوحِهِ صلى الله عليه وسلم. لأجل كل هذا؛ فإنّ قيام وميلاد الجمهورية الإسلامية في إيران أحيى في قلوبنا الأمل والبهجة لما ينتظر هذه الأمةَ من توجيهات سماحة الإمام الأكبر منقذ الأمة وموحّدها، وحامي وجودها الروحي وكيانها بل واستقلالها سماحة الإمام آية الله الخميني نجل الإمام الحسين أطال الله لنا بقاءه رمزاً لقوة المسلمين، ورمزاً لوحدة كلمة المسلمين، ورمزاً لتفاهم المسلمين، ورمزاً للعمل من أجل الأُخوة الإسلامية الصادقة التي حثّنا الله عليها، حيث قال: **«إنما المؤمنونَ إخوة فأصْلِحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلّكم تُرحمون».**

ان قيام الجمهورية الإسلامية في هذه المنطقة، يجعل في نفوسنا الإطمئنان، و يثلج صدورنا جميعاً بالفخر والإعتزاز.زادكم الله فيضاً وكرامةً.

نظراً لهذه المبادئ الإسلامية الخالدة التي جاءت الثورة من أجلها مجدداً وأكدتها بالدفاع عنها وترسيخ السلطة الإلهية المطلقة وتعميمها للناس قاطبة، تعيد الطريق للإنسان المسلم ليحرد نفسه من و يلات الدنيا وأوساخها وهمومها والتوجه الى الله سبحانه وتعالى بنفوس آمنة وطائعة مع المحبة والشوق والطاعة وحب الخير والابتعاد عن كل أنواع الشرور ومحاربة النفس الأمّارة بالسوء.

نعم اننا بهذه المبادئ نحيي الشعب الإيراني المسلم، ونحيي القيادة الروحية في شخص قائد هذه الأمة والإمام الأكبر المتفاني في خدمة الله ورسوله، وفي خدمة البشرية جميعاً، ببيضها وسودها سماحة الإمام آية الله الخميني، ونحيي كذلك الشخصية الإسلامية العظيمة الفذّة سماحة الفقيه المجاهد آية الله العظمى المنتظري الذي يوحي خطه بتوجيه المسلمين من الخليج الفارسي الى المحيط الأطلسي، ولما له من أبعاد سياسية ايجابية ونسأل الله تحقيق ذلك، ونحيي كذلك سماحة

حجة الإسلام رفسنجاني رئيس مجلس الشورى، وفخامة رئيس الجمهورية الإسلامية، ورئيس وزرائه، وكذلك سماحة وزير الإرشاد الذي يلعب دوراً أساسياً وتوجيهياً وعلمياً لبثّ شعاع الفكر والمعرفة على منهج القرآن لعامة المسلمين، ونحيي كذلك معالي الدكتور علي أكبر ولايتي وزير خارجية الجمهورية الإسلامية الإيرانية ورئيس الدبلوماسية الإسلامية في هذه الظروف التي تمر بها الأمة المحمدية المجيدة.

وأنتهز هذه الفرصة لأقول لكم بأنّ أسرة نياس التي ننتمي اليها، تمسكت بلواء الدعوة الإسلامية منذ أكثر من قرن من الزمن، وفي طليعتها جدّنا الأعظم سماحة الشيخ الحاج «عبد الله نياس الكبير» الذي كان أول من جاهد في سبيل الله جهاداً حقيقياً ضد السلطات الفرنسية مع الأمير (مب جنج) وضد الكفر وانتقل الى أماكن كثيرة من بلادنا و بلاد زامبيا المجاورة لإقليم (سين سالم) إلى ان استقر في مدينة (كونج) العاصمة الإقتصادية للسنغال في سنة ١٩١١ و بنى مدرسته الشهيرة لتدريس العلوم الإسلامية وآدابها وفلسفتها حتى أكرمه الله بالفتح الأكبر، وأتباعه يعدون بمئات الألوف في عموم بلادنا ومالي موريتانيا. وانتقل رضي الله عنه الى جوار ربه سنة ١٩٢٧ و من بعده خليفته الأول الحاج (محمد نياس) ووالدي الحاج محمد زين نياس رضي الله عنهم جميعاً. وهكذا انتقلت هذه الخلافة الفعلية المطلقة الى فضيلة شيخ الإسلام الحاج «ابراهيم نياس» تغمده الله برحمته الواسعة، والذي قال في حقه أحد السياسيين الأفريقيين: بأنّ الشيخ ابراهيم نياس استطاع أن يوحّد افريقيا دينياً وروحياً مالم يستطع رجال السياسة تحقيقه، لأنّ هذه الأُسرة وحدها هي التي تتمتع بنفوذ روحي في السنغال موطنها الأصلي وخارج السنغال؛ كموريتانيا ــ ومالي ــ والنيجر ــ وغينيا ــ والكامرون ــ ونيجريا ــ وفولتا العليا ــ وغانا ــ وجمهورية السودان التي هي آخر دولة زارها الشيخ قبل وفاته، وكنت شخصياً معه خلال تلك الزيارة.

وأقول هنا و بعلو صوتي وأعتقد ان الشخصيات الدينية السنغالية الذين يحضرون هذه الإحتفالات يوافقونني على تفرد أُسرتنا بهذه الميزة في غرب أفريقيا وفي بعض دول وسط أفريقيا. أقول؛ مع كل تواضع اننا قديمو العهد بالدعوة الإسلامية ــ والحمدلله.

انّ عدد سكان السنغال يبلغ ٥ ملايين ومائة الف نسمة، ونسبة المسلمين فيهم تبلغ ٩٠٪ و نسبة الذين ينتمون الى الطائفة التيجانية تقدر بـ ٥٥٪ وهكذا أقول بأنّ مستقبل الإسلام في أفريقيا زاهر و يبشر بالخير، ونتمنى من أعماق قلوبنا أن يجعل الله ذلك اليوم القريب الذي يتم وحدة شؤون المسلمين في كل أقطار الدنيا وتلاحمهم وترابطهم من أجل الدفاع عن القيم الإسلامية وجوهر رسالة نبي الهدى والرحمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ■

القرآن افضل الكتب

الشيخ عبدالله ناصر/ كينيا

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد (ص) وعلى آله الطاهرين ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين.

اخواني.. اخواتي.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلامي سيكون عن القرآن ودوره.

أعزّتي الأُخوة والأَخوات: عند الحديث عن القرآن الكريم... هذا الكتاب الذي هو افضل الكتب وأهمها، أرى من الضرورة ان اشير الى انه كتاب لا يشبهه اي كتاب آخر، حيث انه مرسل من قبل الله الحكيم الخبير، كما جاء في الآيات الشريفة التالية:

«الر* كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير».

« وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم».

تلك ذات الله الواحد الذي خلقنا، وهدانا، وجعل الأشياء ميسرة لنا. وكما أخبرنا مرة أخرى في القرآن:

«من أي شيء خلقه* من نطفة خلقه فقدره* ثم السبيل يسره».

«سبح اسم ربك الاعلى* الذي خلق فسوى* والذي قدر فهدى».

الله سبحانه وتعالى بحكمته ومعرفته بنا وبمخلوقاته، أرسل الكتاب ليكون وسيلة لهدايتنا الى ما هو قويم مستقيم.

«إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم».

كما جعله نوراً لنا، هادياً إيانا الطريق

«فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه وآتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون».

وفي السورة الرابعة عشرة يقول:

«آلر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور بإذن ربهم الى صراط العزيز الحميد».

ربما أشير هنا بأن هذه الهداية ليست مخصصة لشأن واحد من شؤون الحياة لكي تستثنى بقية الشؤون الأخرى، ولكنها ــ أي الهداية ــ مخصصة لتشمل جميع مجالات حياتنا. لهذا فانه ــ

أي الكتاب ــ أصبح واضحاً ليكون تبياناً وهداية لكل شيء.

«ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدىً ورحمةً وبشرىً للمسلمين» .

وعلى هذا فان ايمان الشخص ليس ضماناً له إذا أراد إلزام نفسه بجزء من هداية هذا الكتاب، متجاهلاً بقية الأجزاء الأُخرى.

كل شخص يمكنه اتباع هداية القرآن... القرآن نفسه أوضح هذه النقطة، حين حذَّر الله نبيه من أن يصبح ضالاً أو أنْ يركن في هذا المجال عندما قال:

«وان احكم بينهم بما أُنزل الله ولا تتبع أهواءهم وآحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فان تولوا فاعلم أنما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون» .

وثانية يخبرنا القرآن:

«أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون» .

دعونا نفهم أيها الأُخوة والأخوات ان في هدايتنا ليس المطلوب منا ان نتبع القرآن تتبعا أعمى، بل اننا نملك ان نفكر وننعم النظر بما تعبر عنه كل الأسئلة التي أوردها القرآن:

افلا تعقلون؟ افلا تبصرون؟

القرآن نفسه يجيب عن هذه الأسئلة عندما يقول:

«كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب» .

ولكن لماذا يكون هكذا؟ لماذا يطلب منا **الإستفادة من عقولنا؟**

حسنا، الإجابة عن هذا السؤال بسيطة جداً، ذلك أن القرآن جاء بكل هذه البراهين الواضحة وهذه الأحكام من أجل تبصرتنا. الله يخبرنا عن ذلك في القرآن:

«ولقد أنزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون» .

«قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون» .

«يا ايها الناس قد جاء كم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نوراً مبيناً» .

ما في أيدينا من البراهين والدلالات الواضحة لنا تركت لكم، ولكم أن تصدقوا أو لا تصدقوا. لا إكراه ولا ضغوط تمارس عليكم كما أخبرنا بذلك في القرآن:

«انا هديناه السبيل أما شاكراً واما كفوراً»

«وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» .

على كل حال: ليدرك الأُخوة والأخوات أنهم يملكون حرية الإختيار.. بأيديكم النتيجة والعاقبة. القرآن كان واضحاً في هذه النقطة:

فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى» .

هذا اذا قررتم ان تتبعوا طريق الهداية، اما اذا لم تتبعوها، فلذلك جزء آخر من الآية:

«ومن أعرض عن ذكري فانَّ له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى. قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيراً، قال كذلك أتتك آياتي فنسيتها، وكذلك اليوم تنسى» .

ذلك هو الإختيار، وتلك هي العواقب، لمن يقرر اتباع القرآن، ومن يقرر قبل وقت موته الوقوف ضد القرآن. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. ■

حاجة الناس الى القرآن

الشيخ نيك عبدالعزيز/ ماليزيا

عندما نتكلم عن القرآن الكريم، علينا أن نتكلم عن عدة نواحي، لأنَّ القرآن كتاب اختاره الله الى الإنسان، بعد ما اعرضت عنه السماوات والارض والجبال. والإنسان نفسه مخلوق تجمَّعت فيه كل أوصاف الخلائق. فقد قالوا قديماً: وليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد.

لذلك فالكلام عن الإنسان هو كلام عن السماء، وكلام عن الأرض، وكلام عن المخلوق، عن المرئي و غير المرئي. فالكلام يتشعب، والشيء بالشيء يذكر والوقت ليس له متسع.

كل ما أريد أن أقول في هذه اللفتة المباركة: أن القرآن قدَّم لنا فكرة إمتزاج الجسد والروح، أو قل: إمتزاج الأرض والسماء، أو بتعبير أقرب الى القرآن: امتزاج الدنيا بالآخرة.

لذلك فعندما نراجع أنفسنا، نشعر بكل الأسى الذي لا حدَّ له، لأنَّ الإنسان مهما طال عمره ومقدرته، فإنَّه يعيش في عمر واحد فقط. والعمر الواحد لا يكفي، فللانسان آمال وتمنيات لاحدَّ لها... له أمل الإستيلاء والتملك على كل ما حوله من الدنيا وما فيها، وله أمل الصعود الى المريخ الذي لا يتحقق إلاَّ بعد مرور ثلاثة أجيال

على الأقل، كما قالوا، وله أمل أن يكون نقياً نقاوة الملائكة، وغير ذلك. مع أن كل تلك الأشياء هي آمال لا يسعفه عمره المحدود بانجازها.

لذلك كان من الواجب على الإنسان، أن يبحث عن شيء يمده و يطيل من عمره المحدود، ليريحه عن عناء التخبط والحياة في الآمال الفارغة.

هنا و بالضبط، نجد القرآن يوافينا بالموضوع... نجد القرآن يأمرنا أول ما يأمر، بالقراءة... إقرأ.. كرر ذلك سيدنا جبريل عليه السلام عدة مرات.. وذلك لأنَّ الإنسان عندما قرأ كتاباً، فمعناه أنه أضاف الى عمره واستزاد في خبرته، مقداراً من الزمن يساوي مدة ما أنفق فيها الكاتب من عمره. فإذا كتب شخص كتاباً وأنفق في كتابته سنة أو سنتين، يجمع ويحذف، يزيد و ينقح، فمعناه أننا قد أضفنا في عمرنا ـ بعد الفراغ من قراءته ـ سنة أو سنتين تساوي ما أنفقه الكاتب من عمره في الكتابة.

وهكذا فكلَّما ازدادت حصتك في القراءة، ازدادت سنوات عمرك ، وتكاثرت خبرتك في الحياة، فتعيش انت في عمرك مع أعمار غيرك .

إلاّ أن القرآن الكريم درَّبنا على الإستزادة في الكيف لا في الكم. بمعنى أن زيادة عمرك بالقراءة لا تقاس على عدد الكتب المقروءة. انها تقاس على مدى جودة ما تقرأ وعلى جديَّة مباحثها، لأنَّ المطابع ـ كما قالوا ـ كالمرأة الحاملة، تلد الذكي والغبي والصالح والفاسق على السواء. كذلك المطابع تنتج ما تنتج، فمن علوم ترفع الإنسان الى أرقى مراتب الكمال، ومن مجلات خليعة جنسية تملأ بالفجور وتسيء الى أخلاق الناس.

ولما كان القرآن الكريم يعد من أُمهات الكتب قاطبة، أرضيتها وسماويتها، كان هو الأجدر بأنْ يكون كتاباً للناس، كتابا عالمياً يصدر من جميع مطابع الدنيا، و ينبت به جميع شفاه ما في الكون.

فالرسول محمد صلى الله عليه و آله و سلم الذي أُنزل عليه القرآن وأداه الينا بكل أمانة، لم يتتلمذ على يد أي انسان مثله، بل نزله روح القدس من لدن حكيم خبير لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

لذلك، فمن قرأ شيئاً ليستزيد في علمه، فأمامه القرآن، ففيه علم الأولين والآخرين، من لدن آدم الى أن تنتهي الدنيا. ومن تفحَّص عن العزة والكمال، فالقرآن يقول: «**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**»، بتقديم الخبر على المبتدأ الذي يفيد الحصر. لا عند اليهود وعملائهم المغضوب عليهم، ولا عند النصارى وأذيالهم الضالين ومن تتبع عن السكون والراحة النفسية فالقرآن يقول: «**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة**» بمعنى ان الراحة لا ولن تكون أبداً عند البنات الفاجرات في الفنادق والكباريهات، فَهُنَّ يزدن

في تهييج الأعصاب وتدمير البيوتات، فلفات البوليس في جميع أنحاء العالم تحكي لك ذلك كله، فما من سلب ونهب في الدنيا إلاّ ووراءه إمرأة: كما قالوا.

وهكذا أيّها السادة؛ تبيّن لنا بكل وضوح ان النساء بأجمعهنّ بحاجة ملحة الى القرآن، فانه منزَّل ممن خلق الأرض والسماوات العلى. الا يعلم من خلق، وخالق الشيء أعلم من غيره بما خلق.

بق عندي كلمة، وهي أن القرآن وإنْ كان منزلاً خصيصاً للإنسان، إلاّ ان القرآن نفسه يذكّرنا دائماً بالمصارعة الدائمة بين الخير والشر، وبين التقوى والفجور: **« ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها»**.

لذلك نرى الصراع المتواصل بين الشعب المسلم والحكومة الدخيلة على الشعب، لأنّ زمام الحكم ـ منذ أمد طويل ـ في أيدي المتخرجين من جامعات الكفر والإلحاد. فهل لنا نحن اليوم أن نضع حداً لهذا الصراع، ونرنو الى هذه البقعة المباركة ايران المسلمة؟

ان ايران المسلمة على موعد مع التاريخ. فقبل ظهور الإمام القائد السيد الخميني ظهر قبله السيد جمال الدين الأفغاني، ثم ظهر بعده السيد محمد عبدة، وحسن البنا، والمودودي. وهؤلاء (رحمة الله عليهم أجمعين) قد مهّدوا السبل ووضعوا اللبنات المتراصة لتعمير الإسلام، فهل أقول ثانياً: ان ايران المسلمة اليوم على موعد مع التاريخ؟

حقاً! ان ظهور الرسول محمد صلى الله عليه و آله وسلم، يأتي بعد ظهور عيسى و موسى (عليهما السلام) بمثابة الفجر الكاذب والفجر الصادق لطلوع الشمس الوضاء، محمد صلى الله عليه و آله و سلم.

وقديماً قال الرسول (ص) ما معناه؛ **«لو كان الإيمان في الثريا لناله أبناء فارس»**.

والصحابي الجليل سلمان الفارسي دخل التاريخ الإسلامي من أوسع أبوابه، فقد أنقذ الصحابي سلمان الفارسي (رضي الله عنه) المسلمين من المأزق الخطير أيام حرب الخندق المشهور!! فلا غرو أن أنقذ أبناؤه وأحفاده اليوم المسلمين من هذه المآزق التي تخنق الإسلام.

وان تتولوا ـ أيها العرب المسلمون ـ يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا امثالكم ■

السيد سليمى/ ج. إ. إ

ان الظلمات والخرافات والأوهام الجاهلية كانت تسود العالم، وكانت الصرخات، المخاوف، والضحك، والحروب، والهزائم، تنشأ من دوافع مادية ... كما كان الكابوس المشؤوم للذل والظلم يسيطر بشكل تام على حياة الناس مما كان يجعلهم متشائمين من أنفسهم على الدوام.... وكان المجتمع البشري يعاني من الفساد، والضياع، والتشويش، والاضطراب، والفوضى، والظلم، والأطماع، والغرور والاختلافات الطبقية الكبيرة، اما الحرية فلم يكن لها أي أثر، إذ ان الذلة كانت قد حلّت محلها...

والمجتمع البشري ككل كان يبدو وكأنّه مقبرة، حيث لم تكن فيه أية حركة، وكل مافي الأمر انه كان يتكون من أفراد لايعرفون غير الأكل والشرب والنوم شيئاً آخر.... فكانت حياتهم حلوة أحياناً ومرّة في أحيان أخرى، ولكن في الواقع ان حياتهم كانت مرّة على طول الخط.

نعم، ان المجتمع البشري كان يسير نحو السقوط والانحطاط.. وهذا الانحطاط كان لابد له ان ينتهي الى الفناء... إلاّ ان خالق الكون سبحانه وتعالى، تلطّف على البشر، إذ بعث فيهم رجلاً من عترة ابراهيم الخليل (ع) لينجيهم من الظلمات والجهالة والضلالة ، و يرشدهم الى النور والصراط المستقيم... انه محمد المصطفى (ص)... نعم، المصطفى الذي كان يقضي لياليه في غار حراء و يستفيض من الأنوار الإلهية.... الى ان نزل عليه جبريل... هذا الوحي الإلهي الذي بشّره بالنبوّة وأعطاه الرسالة... يالهذه العظمة... و يالهذه المنزلة.

لقد سمع النداء الرباني للملائكة الله الذي كان يقول:

إقرأ! إقرأ!: وماذا أقرأ؟ ماذا أقرأ؟ : إقرأ : لست بقارىء! وماذا أقرأ؟

ـ«بسم الله الرحمن الرحيم ـ إقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك

الأكرم الذي علّم بالقلم علّم الانسان مالم يعلم»

نعم، لقد أشرقت شمس الحقيقة من افق الوحي....

وبذلك نزلت أولى آيات آخر كتاب سماوي، أي القرآن الكريم، من السماء الى الأرض.... نزلت بواسطة الروح الأمين على قلب المنير لخاتم الأنبياء، رسول الله وشفيع المؤمنين في يوم القيامة.... محمد المصطفى (ص).

وجاء القرآن العظيم... أروع معجزة جاء بها خاتم النبيين... معجزة لم يكن باستطاعة الأعداء ان يحرّفوها... بالحق أنزلناه... وبالحق نزل... نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون.

لقد جاء القرآن... هذا الكتاب السماوي الذي يعتبر أصلاً للايمان، وأساساً للمعرفة، وبرهاناً للنبوة ومعنى للرسالة، وميثاقاً للهداية، وقانوناً للحكمة، وصحيفةً لذكر والرحمة، وشاهداً على الحق، ومصدراً للحقيقة، مبيّناً لجلالة الله وجماله وربوبيّته....

لقد جاء القرآن المجيد... دستور الاسلام.. كلام الله الواحد... ومصلح شؤون الدنيا... وثمرة سعادة الآخرة، وهادي الضالّين...

لقد جاء المصحف العظيم.. كتاب مليءٌ بنور الوحي... كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور.

* * *

وتوجّه الرسول من غار حراء الى مكة... الى هذه المدينة التي كانت تغط في سبات عميق... توجّه الى هناك وهو يحمل رسالة أثقل من الجبل الذي كان يشع منه نور الله... وبذلك سطع نور الأمل على قلوب الذين كانوا يبحثون عن الحقيقة، وبدأت الثورة.... وكان المحبّون لله يشعرون باللذة والطمأنينة حال سماعهم الآيات القرآنية... لماذا؟ السبب واضح «ألا بذكر الله تطمئن القلوب» ... كانوا يصغون الى الآيات القرآنية فيزداد ايمانهم واعتقادهم بالله... «واذا تليت عليهم آياته...» بينما الأعداء كانوا يصفون ذلك الكتاب بالسحر!!!

وعلى أي حال: ان الله شاء ان يبعث آخر رسله، وآخر وأقوى وأسمى كتبه، ليقوم الرسول بواسطة ذلك الكتاب بهداية الناس الى النور والصراط المستقيم والتوحيد...

والقرآن، هذه المنحة الالهية، تشد اليه أنظار الجميع... أنظار الأصدقاء والأعداء... ومع ان المجال هنا لا يتسع لذكر جميع أقوال الرسول الأكرم (ص) والأولياء الإلهيين في خصوص القرآن، إلا أننا نرى من الضرورة الإشارة الى جملة من أقوالهم الرائعة حول القرآن وتمجيده...

فمثلاً يتعلق بعظمة القرآن، يقول الرسول (ص):

(فضل القرآن على سائر الكلام، كفضل الله على خلقه)

فالقرآن الكريم، أفضل من كل شيء عدا الله.. وهو محكم ... يحوي أصدق الأقوال، وأحسن القصص... ومن يمجّد القرآن، إنّما يمجّد الله.. ومن لم يكرمه، انما يهين بنعمة الله.. وأهل القرآن هم من خاصة الله... وان أسمى العبادات هو قراءة القرآن.. وقُرّاء القرآن سينجون من عذاب الله في يوم القيامة.. وأثقل المسائل على الشيطان هو قراءة القرآن...

والنظر الى القرآن، عبادة... فاتلوا القرآن بصوت لطيف، واعلموا ان أفضلكم هو من يتعلّم القرآن ويعلّمه للآخرين...

ان النظر الى كل قول من أقوال الرسول (ص) بخصوص القرآن، يبيِّن بوضوح أهمية هذا الكتاب السماوي...

يقول الإمام علي (ع) فيما يخص عظمة القرآن:

ثم أنزل عليه «أي أنزل اللّه على نبيه محمد» :

«الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحه وسراجاً لا يخبو توقده، وبحراً لا يدرك قعره، ومنهاجاً لايضلّ نهجه، وشعاعاً لا يظلم ضوؤه.وفرقاناً لا يخمد برهانه، وبياناً لا تهدم أركانه، وشفاءً لا تخشى أسقامه، وعزاً لا تهزم أنصاره و حقاً لا تخذل أعوانه، فهومعدن الايمان و بحبوحته،وينابيع العلم وبحوره، ورياض العدل وغدرانه، وأثافيّ الإسلام وبنيانه، وأودية الحق وغيطانه، وبحر لا ينزفه المستنزفون، وعيون لا ينضبها الماتحون، ومناهل لا يغيضها الواردون، و منازل لايضل نهجها المسافرون، وآكام لا يجوز عنها القاصدون،، جعله الله ريّا لعطش العلماء، وربيعاً لقلوب الفقهاء، ومحاج لطرق الصلحاء، ودواءً ليس بعده دواء، ونوراً ليس معه ظلمة، وحبلاً وثيقاً عروته، ومعقلاً منيعاً ذروته، وعزاً لمن تولاه، وسلما....، وعذراً لمن انتحله، وبرهاناً لمن تكلم به، وشاهداً لمن خاصم به، وفلجاً لمن حاجّ به، وحاملاً لمن حمله، ومطيةً لمن أعمله، وآية لمن توسّم، وجنةً لمن استلأم، وعلماً لمن وعى، وحديثاً لمن روى، وحكماً لمن قضى).

و يقول الإمام السجاد (ع) :

(لومات من بين المشرق والمغرب ما استوحشت بعد ان يكون القرآن معي).

و يقول الإمام الصادق (ع) :

(ينبغي للمؤمن ان لا يموت حتى يتعلم القرآن، أويكون في تعلمه).

(عليكم بتلاوة القرآن، فإنَّ درجات الجنَّة على عدد آيات القرآن، فإذا كان يوم القيامة، قيل لقارىء القرآن؛ إقرأ وارقأ، فكلما قرأ آية يرق درجة).

(إقرأوا القرآن واستظهروه، فإنَّ الله تعالى لا يعذب قلباً وعى القرآن).

(ان القرآن حيّ لايموت، والآية حيَّة، كما يجري الليل والنهار، وكما تجري الشمس والقمر، يجري على آخرنا كما يجري على أوّلنا).

نعم، ان قادة الدين، بيَّنوا عظمة هذا الكتاب السماوي بطرق مختلفة.

والحقائق الكامنة في كتاب الله المجيد، ملموسة و واضحة، حتى ان الاشخاص الغير مؤمنين، اضطروا للركوع أمامها. على سبيل المثال ان احد حكماء وخطباء العرب يدعى «وليد» قال بعد سماعه آيات من القرآن الكريم:

[سمعت من رسول الله (ص) كلاماً لا يشبه كلام الجنّ والانس، له حلاوة وطعم وأساس خاص... شجرته مليئة بالفاكهة، وجذور تلك الشجرة مليئة بالبركة... كلام رائع بل أروع من أي كلام آخر...].

و يقول «توماس كارلايل»: **[في الواقع ان أي كلام وكتاب، وجميع الكتب السماوية الأخرى تكون صغيرة بل لاقيمة لها أمام القرآن الكريم].**

اما الكاتب الروسي «تولستوي» فيقول: **[يتضمن القرآن، تعاليم وحقائق بيّنة، يمكن لجميع أفراد البشر أن يدركوها ببساطة].**

و يقول «غوته» : **[منذ زمن بعيد والسفينة المنفصلة عن الله تُبعد نا عن الحقائق المقدَّسة للقرآن... ولكن كلَّما تقدَّمنا في مجال العلم، اتضح**

لنا تأثير هذا الكتاب العظيم في عالم الوجود... ومما لاشك فيه ان هذاالكتاب سيصبح في النهاية محوراً لأفكار العالم].

و يقول «برنارد شو» من جانبه : **[انني اتوقع من أوربا الغد ان تتفق مع ايمان وعقيدة محمد (ص) ومع القرآن أيضاً].**

واللطيف ان شخصاً مادياً مثل «شبلي شميِّل» يقول في رسالته الى «رشيد رضا» مؤلف كتاب «الوحي المحمدي» : **[صحيح انني اكفر بمحمد، ولكن كيف يمكن لي ان اكفر بالآيات المحكمة للقرآن والمليئة بالحكم؟... ومما لاشك فيه ان هذا الكتاب يحتوي على أُصول اجتماعية وعامة تتناسب مع كل زمان ومكان].**

لقد استطاع الرسول الأكرم (ص) من خلال التسلح بهذا الكتاب، ومن دون أية مخاوف، ان يقف بوجه الكفار، و ينادي بالتوحيد في مكة... و بذلك تحطّمت الأوثان، وانتصر محطم الأوثان، وجاء الاسلام الغالي، فحقّق العزّة لا تباعه...

* * *

وكان القرآن الكريم طوال أيام الرسالة النبوية، وخلال صدر الاسلام، والى مابعد وفاة الرسول (ص) بفترة قصيرة، مطروحاً في الساحة بمثابة المحور الاساسي لمواقف وسياسات وقرارات الأمة الاسلامية وكوسيلة لحل كافة المشاكل... لكن ومع بالغ الأسف دخل الساحة جميع اعداء الاسلام وحتى الاصدقاء غير الواعين، وحاولوا تحريف القرآن، وحذف أجزاء منه، أوعلى الأقل عزله عن الساحة.

وكان أعداء الاسلام يتواجدون ضمن مجموعتين: مجموعة دخلت الساحة بكل وقاحة... على سبيل المثال ان وليد بن يزيد بن عبدالملك عند ما استخار بالقرآن وواجه آية؛ **«وخاب كل جبار عنيد»** ألقى القرآن على الأرض ثم شهر سيفه و بدأ يضرب القرآن وهو يعربد: «اذا ما اتيت يوم حشر، فقل يارب فرقني الوليد» وهذا الأمر تكرر مرة أُخرى على يد الضبّاط الفرنسيين خلال تصديهم للطلبة الايرانيين، حيث ألقى أحد ضباط النظام الاشتراكي **الصهيوني** الفرنسي! القرآن على الأرض وركله برجليه!!!

وماذا نتوقع من هؤلاء غير هذا الشيء؟

ان أبناء الاسلام يسيرون في الطريق الذي سارفيه المسلمون في صدر الاسلام، في حين ان الحكّام المأجورين في الشرق والغرب يسيرون في الطريق الذي سارفيه الوليد وأمثاله...

ورغم ان الحكام الظلمة، مارسوا العنف والعداء العلني بحق القرآن، الا ان هذه السياسة لم تسفر عن نتيجة، وحافظ المسلمون بتضحياتهم الكبيرة على القرآن، وانزلوا الضربات تلو الأخرى على الجبابرة والظالمين... ولهذا السبب فكّر هؤلاء في حيلة جديدة.

ان نظرة إجمالية الى الاسلوب الأخير، توضّح لنا ان الأمر وصل بالأعداء الى درجة ان رئيس وزراء بريطانيا اعلن في برلمان بلاده قائلاً :

«لايمكن السيطرة على المسلمين والتحكّم بهم مادام هذا الكتاب يحكم عليهم».

ومنذ ذلك الحين ظهر ونما أُسلوب جديد في محاربة القرآن... حيث بدأ أعداء الاسلام وفقاً لهذا الأُسلوب يستقطبون المأجورين والعملاء المتسلطين على البلاد الاسلامية، ويحققون اغراضهم الدنيئة عن طريق هؤلاء... وان بعض الحكّام الذين يدّعون تمسّكهم بالقرآن والدعوة

له، بل وطبعوا هذا الكتاب المجيد باسمهم ووزعوه هنا وهناك. طعنوا القرآن من الخلف بالحراب التي أهداها الشياطين لهم .... وكم هي كثيرة الخيانات التي ارتكبت بحق الاسلام من قبل عملاء الاستعمار والاستكبار تحت غطاء الدفاع عن الاسلام و نشر القرآن ؟!

لقد أبعد اعداء الاسلام، القرآن، عن ساحة الفكر والعمل... كما ان القرآن أُلقي ظلماً في بحر النسيان نتيجة للمؤامرات التي ارتكبت بحقه.. وكأنَّ الآذان كانت لا تسمع سؤال القرآن هذا: فأين تذهبون؟ ولم يكن هناك من يجيب على سؤال القرآن.

نعم، لقد تجاهل المسلمون كتاب الله الى ان حصل لهم ماحصل.

وتعمقت هذه الكارثة بحيث اصبح عشرات الملايين من المسلمين يخضعون لسيطرة الصهاينة، هؤلاء الذين يشكّلون اقلية معتدية وغاصبة.. في حين يسكت امام هذا الوضع مايقارب من مليار مسلم! لقد فقدنا أولى القبلتين (القدس الشريف).... واليوم يهيء الاستعمار نفسه لاغتصاب الحرمين الشريفين... لكن بمعونة من؟... بمعونة نفس هؤلاء العملاء الذين يدّعون الالتزام بالاسلام والقرآن!

آه يارب! لمن نشكي مصائبنا؟ وماذا نقول؟

من ذا الذي لايذرف الدموع و يتأسف حين يتذكر التاريخ الاسلامي المشرق وماضي المسلمين العريق و يرى أوضاعهم المزرية؟

ان القرآن هوالمنشأ الرئيسي للتمدن وكافة التطورات المادية والمعنوية والسيادة البشرية... لكن لماذا لايعي المسلمون هذه الحقيقة؟ ولماذا يجب ان يهتم الآخرون بما جاء في القرآن اكثرمنّا؟ ألم يحن الوقت للتأمل في كلام امير المؤمنين (ع) حين قال: «الله! الله! في القرآن لايستقنكم بالعمل به غيركم»

لماذا تخلّينا عن الأفكار التحررية للاسلام؟ ولماذا سمحنا للأجانب واعداء الاسلام والقرآن في ان يعينوا مصيرنا؟ ولماذا نسينا عزة المسلمين في صدر الاسلام، وانتخبنا الذلة والمسكنة لأنفسنا؟ ولماذا تجاهلنا معارف القرآن؟

أولم يتحمل الرسول الأكرم (ص) المصائب، والمصاعب، والمشقات، وألوان العذاب لحفظ هذا الكتاب الالهي ؟

أولم يواجه (ص) مع اصحابه مقاطعه اقتصادية لفترة طويلة؟

أولم يستشهد اولياء المسلمين و بقية المخلصين في العالم في سبيل الدفاع عن حريم القرآن طوال القرون الأربعة عشر الماضية؟

أولم يتحمل امثال بلال الحبشي انواع العذاب في طريق حراسة القرآن الكريم وصيانة الاسلام من المؤامرات؟

أولم تفقد سمية وامثالها حياتها في سبيل حراسة حدود القرآن؟

أولم يقف سعيد بن جبير بوجه الحكام الظلمة مثل الحجاج بن يوسف الثقفي و يرد على أوامره بآيات من الذكر الحكيم؟

اذن لماذا نسينا هذه الأمور ببساطة؟ لماذا لانزيح عنّا ستائر الغفلة بحزم، ولانتقذ أنفسنا؟ لماذا؟

هذه الاسئلة ومئات الاسئلة الأخرى، هي اسئلة تطرح من جانب قادة الاسلام، ومسلمي العالم، وشهداء الاسلام منذ زمن بعيد.

تلك الاسئلة كانت مطروحة في بلادنا قبل انتصار الثورة الاسلامية. إذ ان النظام الملكي المقبور حشّد في السنين الأخيرة من عمره كل طاقاته للتقليل من ميزان رغبة الناس في القرآن وفي الحلقات الدراسية التي كانت تشكّل في جميع انحاء البلاد لقراءة القرآن وتعلّمه، بل وتعطيل الأمكنة التي يدرّس فيها القرآن الكريم والدروس الدينية الأخرى... غير أنّ ممارسات اقطاب النظام السابق الذين كانوا عملاءً لاميركا لم تسفر عن نتيجة رغم اعلانهم الأحكام العرفية في مختلف انحاء البلاد، حيث واصل عشاق كلام الله جلساتهم الخاصة بقراءة القرآن... ولما أحسّ ذلك النظام المقبور انه لايمكن بالأسلحة، منع الناس من تشكيل مثل تلك الحلقات، فإنه فكر في حيلة أخرى... حيث بدأ أعوانه وفق سياسة مزيفة بتمجيد القرآن الكريم! واقامة مهرجانات لقراءة القرآن... والذي يثير الدهشة انهم خصّصوا ملايين ريال كجائزة هدية لأحسن قارىء قرآن! نعم ان ذلك النظام الذي كان لايصرف ريالاً واحداً في طريق تعليم القرآن الكريم، بل كان يصرف بليارات من الريالات لعزل القرآن عن المجتمع الايراني المسلم، بدأ يخصص جائزة كبيرة لأحسن قارىء قرآن! كما انه لم يكتف بهذا، اذ صرف مبالغ طائلة، وطبع القرآن تحت عنوان (القرآن الآريامهري!).

لكن هذه المؤامرات والدسائس، واجهت الفشل الذريع.... وواصلت الجماهير المسلمة مسيرتها دون ان تقع في شراك المعادين للاسلام والقرآن...

• • •

ومع ان المفكرين والعلماء الاسلاميين يطرحون منذ زمن بعيد شعار العودة الى القرآن، وعودة القرآن الى الساحتين الفكرية والعملية للمسلمين، الا ان هذا الشعار قلّما كان يرافقه تطبيق.

ودام هذا الوضع فترة طويلة الى ان نهض قبل عدة اعوام رجل من سلالة رسول الله (ص) في ارض اسلامية... في قم... مدينة الدم والشهادة... حيث اضفى بنهوضه عينية على شعار العودة الى القرآن... فتحركت الملايين من الجموع المحرومة والمستضعفة.

انه قائد الثورة الاسلامية الذي نفخ روحاً جديدة في جسد الشعب الايراني المتحلل... وبذلك استطاعت الحركة المستلهمة من القرآن الكريم ان تمحق النظام الملكي في مزبلة التاريخ....

وكان اعداء الاسلام ينظرون بحيرة الى نضال الحق ضد الباطل وهم لايصدقون مايرون... لقد رأوا كيف ان الدم انتصر على السيف.... الدم الذي انفجر من الصدور الطاهرة للرجال، والنساء، والشباب والأطفال من ابناء شعبنا في طريق حفظ القرآن....

وكان القائد في المقدمة، والأمّة وراءه تكبّر... وتكبّر. وأنزل نداء «لا إلّه إلّا الله» ضربات قوية على النظام الملكي المنحوس الذي كان يسير نحو الاضمحلال.... وتحطمت القيود التي وضعها الملوك والسلاطين.... وتحرّر شعبنا ببركة وجود القرآن الكريم.

لقد كان شعبنا يعي جيداً بأن القرآن يجب ان يكون متواجداً في الساحة الفكرية والساحة العملية، و يشرف على جميع الشؤون....

وبهذا الاعتقاد، ومن خلال الاستمداد

بالامدادات الغيبية، بدأ شعبنا بعد اسقاطه النظام الملكي المنحط باصلاح الأطلال التي ورثها عن ذلك النظام المقبور.. لكن حين رأى اعداء الاسلام اللدودين، تواجد الشعب الايراني المسلم في الساحة الدولية، ونمو الحركات الاسلامية في مختلف الاقطار.... أحسّوا بالخطر، وفهموا انهم سيلاقون نفس المصير الذي واجهه الشاه المقبور.... ومن هنا دفع كل من الشيطان الأكبر المتمثل بالامبريالية الامريكية، والاستكبار الشرقي الملحد... دفعا صدام العفلقي لشن حرب على الثورة الاسلامية تصورأمنهما انه يستطيع ان يشكّل بعمله هذا سداً بوجه نموالثورة الاسلامية ومشروع العودة الى القرآن... دون ان يدرجا في حساباتهما صمود ابناء القرآن الذين تصدّوا و يتصدّون لصدام واعوانه.... هؤلاء الذين اثبتوا بمواقفهم الاسلامية والبطولية انهم جديرون بالمفاهيم السامية للقرآن.... ولكن كيف؟

حين يتوجّه الواحد منّا الى مواضع قوات الاسلام، يشاهد بأم عينيه جند الاسلام وهم يتلون القرآن... وان ادعية انصار الله تجعل الانسان يذرف الدموع.... فنحن نشاهد القرآن في كل موضع من مواضع قواتنا الاسلامية.... كما نراهم يناجون ربهم في كل حين.

ان جند الاسلام يتفاعلون مع القرآن الى درجة انهم يحملونه معهم في الهجمات التي يشنّوها على قوات الكفر.. وكيف يمكن تجسيد روعة شهادة احد شبابنا المسلمين عندما تخترق ثيابه رصاصة، فتنفذ الرصاصة الى قلبه النابض عبر القرآن الكريم، وتمزقه الى اوصال؟

نعم، ان جند الاسلام يطيعون قائد هم الذي تفضّل مرة وقال:

«يا ابناء الاسلام، احملوا القرآن في يد، والسلاح في يد أخرى، وها جموا الاعداء المتخاذلين، واعلموا بان النصر سيكون حليفكم».

ولكن ماذا يجري في داخل مواضع العدو؟

عندما تنتصر قواتنا الاسلامية في كل هجوم، وتسيطر على مواضع الاعداء، فانها ترى مواضع هؤلاء الكفار مليئة بوسائل اللهو والفساد... صور خلاعية... وسائل قمار... مشروبات روحية....

لنقارن بين وضع الطرفين، ونفهم ميزان التباين...

* * *

وخلال هذه الحرب المفروضة على الثورة الاسلامية من جانب القوى الاستكبارية المجرمة.. استشهد الكثير من قرّاء القرآن... وكان من بين هؤلاء أُناس بصيرين...

يقول قائد الثورة الاسلامية:

ان القرآن يمنع الاستعمار واعداء الاسلام من تحقيق اغراضهم الدنيئة... وهواغنى الكتب السماوية. دافعوا عن القرآن الكريم والعدالة الاسلامية. يجب علينا ان نقرأ القرآن قبل أي شيء آخر.. فهو يطرح جميع المسائل،وقد حدَّد وظائفنا وواجباتنا.... لا تتوجهوا الى هذا الصوب وذاك ... فليس هناك مكان افضل من القرآن الكريم... انه كتاب الدعوة وكتاب اصلاح المجتمع... القرآن يبني الانسان.... وهوكتاب الانسان الفعّال.... انه كتاب يبيّن جميع المراحل التكاملية للانسان....».

وبعد هذه التوجيهات القيّمة من جانب الامام الخميني، بدأ العمل بتدريس القرآن

الكريم في المدارس، والمعامل، والدوائر، والوزارات، والقرى، والارياف، وفي اجهزة الجيش والشرطة وكافة الأجهزة الأخرى.... فلقد تعاون الجميع معاً وشكّلوا حلقات من قرّاء القرآن الكريم... وطبعت كراسات لتعليم التجويد... وفي هذه الاثناء بدأت العناصر المعادية للقرآن والاسلام والثورة الاسلامية باغتيال المؤمنين الذين كانوا يسعون لنشر القرآن الكريم... على سبيل المثال قامت تلك العناصر باغتيال احد قرّاء القرآن في منطقة «سيستان وبلوجستان» إذ لم تكن تتحمله وهويعبيء الجماهير.. قارىء يتوجه الى الجبهة بعد ايام معدودة من زواجه و يستشهد هناك دون ان يعثروا على جثته.... فجثته مزقتها عجلات الدبابات والمدافع.

وهذه الحركة الالهية التي ظهرت في هذه الأرض، مصممة ـــ اليوم ـــ لمواصلة الجهاد لهدم صرح المستكبرين الشرقيين والغربيين... ان شعبنا المسلم يعشق القرآن الى درجة انه لم يغفل لحظة عن هذا الكتاب الإلهي خلال فترة الحرب، بل وسّع نطاق استفادته من المفاهيم القيمة للقرآن بحيث شملت حتى الخطوط الأمامية للجبهة...

ورغم ان بعض الدول المسلمة في الظاهر، لا تعترف بأي قارىء قرآن من افراد شعبنا المسلم! إلاّ ان محاولات ابنائنا المسلمين في طريق تعلّم قراءة القرآن الكريم بشكل صحيح، جعلت من قرائنا يفوزون في اكثر من مهرجان دولي لقراءة القرآن... ومن جهة اخرى بدأت اللغة العربية التي هي لغة القرآن تواجه اهتماما خاصا من قبل ابناء شعبنا وذلك بفضل اهتمام المسؤولين بهذا الأمر وتأكيد هم المستمرعليه.... لقد حضر آلاف الاشخاص دروس تعليم القرآن الكريم... وعقدت مئات الدورات لاعداد اساتذة ومبلغين وارسالهم الى مختلف انحاء البلاد لتدريس القرآن كما شكّلت دورات خاصة بالفتيات ليكون الجو الذي يدرسن فيه، جواً اسلامياً.... وضمن هذه النشاطات، جُمعت أشرطة الكاسيت التي تحتوي على دروس في تعليم قراءة القرآن الكريم، في ارشيف واحد.. وبدأ التلفزيون يبث البرامج الخاصة بتدريس القرآن.... وجميع هذه النشاطات والنشاطات الأخرى في هذا المجال مازالت مستمرة بعونه تعالى... واليوم يوجد في البلاد اكثر من مركز لتعليم القرآن... واننا سنكافىء الذين سيتقنون قراءة القرآن بارسالهم الى سورية لزيارة مرقد السيدة زينب (ع)....

ومما يجدر ذكره هو ان جميع النشاطات المذكورة تنطلق من منطلق الالتزام الاسلامي، اذ انها ليست نشاطات تفتقر الى أساس اسلامي سليم...

فحين تكون قراءة القرآن في خدمة الملوك والطواغيت، فانها تكون غير ملتزمة... كما ان القراءة التي تأتي بهدف كسب المال وامرار المعاش. لا تكون قراءة ملتزمة. فالقراءة التي لا تؤثر على قلب القارىء والسامع ولاتجعلهم يتدبران في آيات هذا الكتاب العظيم، لن تستطيع ان تكون ملتزمة... وحين يكون قارىء القرآن غير ملم بالاحكام الالهية فان قراءته لا تكون ملتزمة... اذ كيف يمكن لقارىء القرآن ان يدّعي الالتزام، وهويقوم بتلاوة من الذكر الحكيم بمناسبة ذهاب فرعون

(السادات المعدوم) الى (اسرائيل) لعقد اتفاقيات كامب ديفيد الخيانية، و يبارك بتلك الخطوة الخيانية؟ فهل هذا تعهد أم خيانة سافرة بحق القرآن؟.

ان قرّاء القرآن من ابناء شعبنا توجهوا و يتوجهون مع بقية اخوانهم الى الجبهات للقتال الى جانب قواتنا الاسلامية... فمنهم من استشهد... ومنهم من اصيب بجروح واصبح معوقاً... ومنهم من تأسَّر على يد مرتزقة النظام العراقي المجرم... ومنهم من لا اثر له لليوم...

انهم ذهبوا... ولكن اصواتهم الرائعة والملائكية مازالت تدوي في الفضاء...

انهم ذهبوا... ولكن علينا ان نواصل طريقهم...

اسمعوا نداء هؤلاء الأعزاء:

أيُّها الأعزاء!

مرحباً بكم في أرض القرآن... أرض الورود الغارقة بالدماء.

مرحباً بكم في البلاد التي روي كل شبر فيها بالدماء القانية... هنيئاً لكم هذا الدفاع عن القرآن... وهنيئا لكم هذا الدفاع عن هذه المعجزة الخالدة... وهنيئاً لكم تطبيق احكام القرآن.

اننا ضحينا بانفسنا في طريق الدفاع عن هذه أمانة القيّمة لرسول الله(ص) وعليكم ان تملوا طريقنا الدامي...

الله! الله! اذا غفلتم، فان الاستعمار سوف عليكم اكثر من أي وقت مضى، و بالتالي سيفنيكم...

الله! الله! اذا لم تتحركوا، فان اعداء القرآن والاسلام سيعتدون على شرفكم ومقدساتكم، ويمحون بدمائكم تاريخكم المجيد.

الله! الله! اذا تقاعستم عن حفظ القرآن و العمل بأحكام القرآن، فانكم ستكونون أذلة في يوم القيامة وفي محضر الرسول الأكرم(ص)...

انهضوا... ولا تتركوا أي مجال لأعداء الاسلام، وتصدُّوا للمرتزقة والعملاء والرجعيين... وانقذوا المسلمين من نير الجبابرة والطواغيت، وذلك من خلال الاستلهام من آيات القرآن المجيد...

احملوا القرآن في يد، والسلاح في يد أخرى، وحرروا القدس من براثن الصهيونية العالمية، واعلموا بان القدس لايتحرر الا بالسلاح! حافظوا على الحرمين الشريفين، وأعيدوا الثقة الى نفوس الشعوب الاسلامية...

استيقضوا واعلموا بان الاسلام يعلو ولايعلى عليه...

اعلموا انكم تملكون أشياء كثيرة... فهل من الصحيح ان تعيش الأمة الاسلامية تحت رحمة الكفار والمشركين والملحدين؟

حاولوا من خلال الاعتصام بالله، والاتحاد فيما بينكم، ان تنشروا المعارف القرآنية لتعيدوا بعملكم هذا، المجد والعظمة للمسلمين، وتقطعوا يد الاجانب من الاراضي الاسلامية، وترفعوا راية التوحيد خفاقة فوق ربى المعمورة، واهتفوا معا: لا اله الا الله محمد رسول الله... ■

الثورة الاسلامية في ايران:

اهم واعمق حادثة في التاريخ الاسلامي المعاصر

السيد ديكسون منصري/ سيراليون

انّ هذا المؤتمر الإسلامي الذي ينعقد في الذكرى السنوية الخامسة لانتصار الثورة الإسلامية في ايران، إنّما ينعقد في مرحلة حساسة وخطيرة جداً من تاريخ الشعب الإيراني المسلم.

لقد مضت سنوات خمس على انتصار ثورة الشعب الإيراني بقيادة سماحة الإمام الخميني الحكيمة ضد نظام الشاه الرجعي والدكتاتوري وأعوانه الخونة والمجرمين.

إذن، فمن حقنا ان نحتفل جميعاً بذكرى انتصار الثورة الإسلامية، لأنّ الجمهورية الإسلامية في ايران فتحت صفحة جديدة من الثبات والأمن السياسي والإقتصادي أمام مسلمي العالم.

اني وباعتباري المشرف على رابطة الصداقة الايرانية ــ السيراليونية، اعتبر الثورة الإسلامية في ايران أهم وأعمق حادثة في التاريخ الإسلامي المعاصر، لأنها تركت آثاراً عظيمة في كافة انحاء العالم الإسلامي وعلى كافة الأصعدة. فبواسطة هذه الثورة استطاعت القوى المؤمنة

والتقدمية ان تصل الى الحكم في بلدٍ كانت تسيطر عليه قوى قذرة.

وهنا أرى من الضرورة أن أقول: ان الجمهورية الإسلامية في ايران وصلت بعد خمس سنوات من انتصارها الى هذه المرحلة، وهذا ليس أمراً بسيطاً.

لقد وقعت الثورة الإسلامية في بلدٍ، كان ينظر اليه جميع أفراد العالم، على انه مركز للمناورات الرجعية للامبريالية والقوى المرتدة، كما كانوا يعلمون بأنَّ كل تلك القوى التي كانت تحكم ايران في تلك الفترة، لم تكن تهدف سوى للقضاء على مطالب الجماهير التي كانت مصممة لقطع دابر الإمبريالية الشيطانية من بلادهم.

واليوم فإنَّ الولايات المتحدة الأمريكية زعيمة الإمبريالية العالمية، قد بدَّلت منطقة الشرق الأوسط الى ساحة للاضطرابات والدمار، وذلك من خلال مؤامراتها وتدخلاتها المباشرة.

ان الإمبرياليين مع عملائهم وحلفائهم الصهاينة، يفكرون في الوقت الحاضر لإفشال الثورة الإسلامية في هذه المنطقة من العالم. لكنَّ الوقت هو في صالح المسلمين الصادقين. ولذلك يجب علينا ان نعي مكانة ومنزلة قائد الثورة الإسلامية العظيم، سماحة الإمام الخميني، ونسير على نهجه بشكل كامل.

اننا نعلم جميعاً بأنَّ الجمهورية الإسلامية في ايران تخوض الآن حرباً عادلة ضد النظام العراقي، وان مصير هذه الحرب له أهمية كبيرة بالنسبة لنا.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: لماذا فرض النظام العراقي حرباً على الجمهورية الإسلامية؟

والجواب واضح، وهو ان صداماً المجنون، كان يفكّر في شلّ حركة الثورة الإسلامي[ة] ولكي يحقق هدفه القذر لم يترك وسيلةً وحيلةً إ[لا] ولجأ اليها. ولما شعر بأنَّ أحابيله لا تجدي نفع[اً] لجأ الى الهجوم العسكري بغية تحقيق أغراض[ه] الدنيئة. وانه لم يستطع لليوم ان يحقق غرضه، [و] وانه لن يستطيع تحقيقه مطلقاً.

و يبدو لنا جلياً بأنَّ صداماً المجنون والمعتدي يتلق مساعدات عسكرية كبيرة من جانب القو[ى] الأجنبية. وفي الفترة الأخيرة قامت اور[وبا] الغربية بزيادة مساعداتها للنظام المنحط الحا[كم] في العراق. لكن و برغم الحملات الجوي[ة] والأسلحة التي يستلمها من الأجانب، فانه [لم] يستطع لليوم ان يترك أدنى تأثير على صم[ود] الشعب الإيراني وعزيمته الراسخة.

والملاحظة الأُخرى التي تجدر الإشارة ال[يها] هي ان النظام العراقي يتلق باستمرار الدعم م[ن] الإمبريالية الشرقية والغربية والصهيونية، في ح[ين] ان الجمهورية الإسلامية في ايران تقاتل لوحد[ها] وبالاتكال على سلاح الإيمان بالله سبحا[نه] وتعالى. وهذا الإيمان الراسخ سيؤدي في نها[ية] المطاف الى تحقيق النصر للايرانيين.

انني أحمل لإخواني الإيرانيين رسالة تضام[ن] من اخوتكم في سيراليون. وتلك الرسالة تقول:

«أيها الأُخوة والأخوات في الجمهور[ية] الإسلامية في ايران؛ نحن نعلن وقوفنا معكم [في] هذا الطريق المقدس الذي يستلزم الجه[اد] والتضحية. ونأمل ان يحقق الإسلام العز[يز] وايمانكم الراسخ النصر لكم.

أيُّها الأُخوة والأخوات؛ واصلوا حربك[م] فصدام المتعنت والمجنون يسير نحو السقوط، و النصر لقريب ان شاء الله» ■

جهاد المسلمين في الفليبين

الأستاذ علي مجاهدي/ الفيليبين

نحن الوفد القادم من الفلبين ليشرفنا جداً أنْ نقدّم شكرنا للجمهورية الإسلامية الإيرانية حكومةً وشعباً لتوجيهها الدعوة الينا لحضور المؤتمر الثاني للفكر الإسلامي، وللجهود الجبارة التي تبذلها الجمهورية الإسلامية لمصلحة الإسلام والمسلمين.

بعد مجيئنا الى هنا عرفنا أُموراً كثيرة، منها أن الأخبار التي يرددها أعداء الإسلام ضد الجمهورية الإسلامية كلها كذب وافتراء. وقد رأينا مدى تمسك الشعب الإيراني بالإسلام، واني استطيع أنْ أقول ان هذه الجمهورية مرآة للإسلام، عقيدةً وخلقاً وشريعةً.

في هذا المؤتمر عرفنا الكثير من أحوال المسلمين في العالم، وخاصة الأُمة المستضعفة المضطهدة في ايران. وأود ان أقول بانّ اهتمام الجمهورية الإسلامية في ايران بأحوال الأُمة المستضعفة في الفلبين وتايلاند، لهودليل واضح على مدى تمسّك الشعب والحكومة الإسلامية بالإسلام.

أن الجمهورية الإسلامية في ايران حكومةً وشعباً ــ يعرفون جيداً ان المسلم الحقيقي هو الذي يهتم بأخيه المسلم إهتماماً جدياً، و بأنّ إهمال المسلم لأخيه المسلم دليل على ضعف الإيمان، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«من لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم»

ان المسلمين في الفلبين مع قلتهم وضعفهم، يتطلّعون الى الحياة الإسلامية دائماً، و يتمنون أنْ يكونوا مثل اخوانهم في ايران الذين يعيشون تحت راية القرآن، و ينظّمون حياتهم حسب الشريعة الإسلامية.

ونعلمكم بأنّ حياة المسلمين في الفلبين لم تستقر لحظة واحدة منذ الإستعمار الاسباني والى وقتنا الحاضر. فحياتهم كلها كفاح وجهاد، وقد استشهد مئات الآلاف منهم منذ اعلان الحكم العرفي (في ٢١ من شهر سبتمبر ١٩٧٢) الى الوقت الحاضر، ومازالوا يقدّمون ابناءهم في ميادين الجهاد، والتاريخ سوف لن ينسى البطولات الإسلامية التي يقوم بها هؤلاء امتداداً لبطولات سلفهم في زمن الإستعمار الاسباني ثم الإستعمار الأمريكي لأجل الإسلام ولأجل

المسلمين المستضعفين. قال تعالى: «الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت».

ومن البطولات الإسلامية التي قام بها المسلمون في الفلبين، هي قيامهم بصدّ هجوم الجيش الأمريكي على حصن المسلمين المسمى «فراغ كر بلاء» وذلك في شهر مايو ١٩٠٢م، فقد كانت تلك المعركة التي خاضها الأمريكيون أشدّ ضراوة من كل المعارك التي خاضوها في جميع أنحاء البلاد.

كما ورد في الصحف الامريكية،

«The American Press Considered the Incounter in Bayang as the fiereest Battle of the Intire PHILIPPINES».

وقد استشهد في تلك المعركة ضد الأمريكان جميع الأهالي في تلك البلدة، ولم يبق منهم إلّا سبعة فقط نجوا من المذبحة، وان المعركة ــ كما سجّلت في كتابي «الإمام الحسين والحكومة الأموية ــ التي دارت بين سيدالشهداء الإمام الحسين وجماعته من ناحية والجيش الأموي من ناحية أخرى كان لها أثر كبير جداً على هؤلاء المجاهدين الذين استشهدوا في المعركة مثل أصحاب الحسين«ع».

ان التضحيات التي يقوم بها المجاهدون، لهي صورة حقيقية للتضحية التي قام بها سبط الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وجماعته في يوم عاشوراء وفي المكان المسمى «كربلاء».

ان المسلمين في الفلبين يؤمنون ايماناً جازماً بأنّ الأمة الإسلامية لن تتوحد، ولن تُطبَّق رسالة القرآن الكاملة إلّا اذا وجدت الحـ الإسلامية التي تستظل بالقرآن وتحمل ا الذي رفعه المؤمنون ببدر بقيادة الرسول الأ صلى الله عليه وآله وسلم في وجه الجاهلية الـ كافة أيّاً كان مكانها في العالم. وان التفريق مبادئ الإسلام وأحكامه في كل من أمور الـ والدنيا خطأ كبير في نظر الإسلام، وما من مـ يؤمن ايماناً صحيحاً يقبل هذا التفريق مصـ لقوله تعالى: أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفـ ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلّا خزي الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أ العذاب».

(البقرة ــ

وعلى هذا الأساس انفجرت الثورة الإسلا في «مندانا» وبالتحديد في مدينة «ماراوي» اعلان الحكم العرفي. ان اولئك الشباب يطالـ بإقامة دولة إسلامية أوعلى الأقل منحهم الحـ الذاتي ليتمكنوا من تطبيق الشرائع الإلهيـ جميع ميادين الحياة.

ان ذلك المطلب، عادل، ويجب على الحكـ الفلبينية منحه للمسلمين اذا أرادت الـ الدائم بين المواطنين المسلمين والمسيحيين.

وأخيراً: أسأل الله التوفيق الدائم للجمهو الإسلامية في ايران لما فيه خير الأمة الإسلا وأنْ يحفظ للشعب الإيراني المسلم، ولـ الإسلامية عامة، سماحة الإمام الخميني. الله ا والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

Quran Balik Bayan and Battle of Bayang, 1902 By Dr. MAMLIUASABER PAGE 5

التمسك بالقرآن

السيد عمار الطالبي

«فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ»

انه لمن أعز لحظات أيامي أن أعيش لأشاهد الإسلام يتمكّن من إقامة حكومة في عصرنا الحالي بعد ان ظنَّ البعض في ان المسلمين قد أصبحوا خبراً بعد عين، وان الإسلام لايكتب له ان يوجّه التاريخ وان يقود حياة الناس في هذا العالم من جديد.

ان هذا المؤتمر الذي خُصّص للقرآن العظيم، لبرهان على عزم المسلمين الصادقين على ان يحكموا القرآن في حياتهم بعد ان انحرفوا عنه واتخذوه مهجوراً، وشعروا ان هجرهم القرآن علة تخلفهم وضعفهم، فاتّجهوا الى القرآن من جديد ليمدّهم بالحياة والطاقة للدخول مرة اخرى الى مسرح التاريخ، وتوجيه الحضارة.

ان المكانة التي وضعها القرآن الكريم للأمة الإسلامية هي؛ الإمامة، وقيادة العالم، والشهادة على الناس **«وكذلك جعلناكم أمّةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس»**.

ولا تكون الأمّة، وسطاً، وخير الأمم، إلاّ بشروط أخلاقية وجهادية، إذ لا ممكن لأمّةٍ واهنةٍ ضعيفةٍ ان تكون شاهدة على الناس، كما لا يمكن لأمّةٍ جاهلةٍ مستكينةٍ أن تكون مؤهلة للشهادة، وقد نبّهنا القرآن الى الصفات التي تؤهّل الأمّة لنيل الإمامة، والشهادة على العالم، منها؛ الإيمان بالله، والإعتصام به، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: **«كنتم خير أمّةٍ أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله»**.

وعبّر القرآن عن ذلك بصيغة المضارع ليدل على الإستمرار والتجدد والدوام، ومنها الدعوة الى الخير بمفهومه العام: الخير المعنوي، والخير المادي **«ولتكن منكم امة يدعون الى الخير، و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون»**.

إنَّ أعظم فتنةً مزّقت الأمّة الإسلامية هي فتنة الإستبداد والجور. لذلك نجد القرآن الكريم يوجّه أنظارنا الى ان سبب هلاك الأمم هو

ي أيّده الله.
بناء الشعب الايراني ــ كذلك ــ ليسوا مجرهم
مادحين، بل هم مساندون للعلماء و القادة،
لهم، وأنفسهم، ودمائهم، وموجوداتهم،
ابهم.

يادامت ايران هكذا، فلابُدّ ان تنصر على
ا بعوة الله. ولا بُدّ ان تبلغ من السعادة أوجها،
لابنائها ان ينالوا نصر الله، على ضوء قوله
لى: «**ان تنصروا الله ينصركم ويثبت كم**».

لهم أيد الجمهورية الإسلامية بتأييد من
، اللهم انصرهم بنصرك. اللهم ثبّت أقدامهم
سبيلك. اللهم أرسل معهم الملائكة يقاتلون
م، اللهم اُكتب السلامة والنصر والطمأنينة
عبادك المؤمنين.

ة الثالثة:

بد ان اتعرف عليكم ــ أيُّها الأُخوة المسلمون،
تينا ــ هنا ــ استجابة لدعوة إخواننا لمشاركتهم
تفالات عشرة فجر الثورة الاسلامية للجمهورية
مية في ايران.

ن من شرق أفريقيا، من قطر كينيا، فالمسلمون
ينيا موجودون من أحقاب طويلة، حوالي الف
، وكانت هم ممالك على طول الساحل،
ب تلك الممالك كلها مع تطورات الأزمنة، وفي
ت الحاضر المسلمون في كينيا موزعون في مدن
يا وأكثرهم في المدن الساحلية كممباسا
ي ولامو.

تشكل المدن الساحلية في كينيا مراكز
مية، ومدينة لامو ــ بالخصوص ــ تعد كمحور
هذه المراكز.

بناؤنا واجدادنا في كينيا، أقاموا كياناً وظواهر
مية مستمرة الى حين حصول كينيا على
الإستقلال التام سنة ١٩٦٤م.

وقد أصبح الان المسلمون في كينيا في سائر المجالات، حالية اسلامية محضة، لهم الحرية التامة في اداء شعائرهم الدينية، وذلك وفقاً لدستور كينيا، فلا معارضة ولا مضايقة عليهم من الناحية الدينية. غير اننا في كينيا تواجهنا مشاكل دينية نلخصها كما يلي:

أولاً: المسلمون في كينيا ــ كانوا من قبل ــ في ركود طويل، غافلين عن الثورات العلمية والإصلاحات الدينية الحديثة، وحينما استيقظ المسلمون في كينيا وجدوا أنفسهم منزوين منعزلين عن اهتمام اخوانهم المسلمين في الممالك الإسلامية.

نحن ندعو الحكومات الإسلامية وعلى رأسها الجمهورية الإسلامية ان تهتم باخوانها في كينيا، وتشد أزرهم مالياً وروحياً من خلال إقامة المؤسسات المتنوعة الإسلامية وتشغيلها كما ينبغي في الوقت الحاضر.

ثانياً: وكذلك نطلب من اخواننا في الجمهورية الإسلامية التعاون معنا في توحيد المسلمين في كينيا، فقد أتت الينا أفكار تشتت الوحدة الإسلامية بتكفيرها المسلمين، وتسميتهم مشركين، ونصب العداء لأهل البيت «ع» وسائر الشعائر الإسلامية، ولهذا نطلب من العلماء في الجمهورية الإسلامية التعاون معنا، وتبادل الآراء بخصوص هذه الأزمة، وتقديم الدعم المادي والمعنوي لنا.

ثالثاً: وختاماً:

نشكركم أيُّها الأُخوة، فلقد استقبلتمونا بترحيب تام. نحن هنا نحس كأننا في وطننا كينيا. فأسأل الله ان يوفق بيننا، ويجعل عرانا بكم قوية، ولايجعل هذه الزيارة آخر العهد، ردنا الله سالمين وأبقاكم آمنين. اللهم أيّد إمام الهدى، الإمام المفدى الإمام الخميني ■

رسالة الدكتور فاروق حمادة
ر. د التعليم العالي بجامعة سيدي
محمد بن عبدالله، كلية الآداب
والعلوم الانسانية، بمكناس الى
المؤتمر الثاني للفكر الاسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرات الأخوة الكرام أعضاء لجنة الإحتفالات بالذكرى السنوية الخامسة لانتصار الثورة الإسلامية في ايران، وفقهم الله...

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته؛ وبعد كريم التحية، وكبير التقدير:

فاني قد تلقيت في فاتح ربيع الآخر ١٤٠٤هـ، بامتنان واسع، وشكر عظيم جميل دعوتكم للمشاركة في المؤتمر الثاني للفكر الإسلامي، المصادف للذكرى الخامسة للثورة الإسلامية.

حضرات الأخوة الأعزاء: وإني حريص شديد الحرص على مشاركتكم الحضور على مائدة القرآن الكريم هذه، إلّا أنه قد اعترضني في سبيل تحقيق أمنية في الفؤاد جامحة ورغبة ملحة أمران:

أولهما: أن الوقت يصادف الإمتحانات الفصلية الجامعية عندنا، ونظراً لأني مسؤول عن قسم الدراسات الإسلامية الفصلية الجامعية عندنا، ونظرا لإني مسؤول عن قسم الدراسات الإسلامية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة سيدي محمدبن عبدالله بمكناس، فانه يصعب عليّ الغياب ابان الإمتحانات.

والثاني: أن الوقت لايسع لإعداد بحث أشارك فيه مؤتمركم الكريم هذا، لأنه لايفصلنا عن بداية المؤتمر إلّا نحو من عشرين يوماً.

وبكل أسف اذا لم يقدر لي التشرف بالحضور بين ظهرانيكم في هذه المناسبة العزيزة أسأل الله تعالى ان يكتب لنا ذلك في القريب العاجل.

ختاماً أخوة الإيمان: دعواتنا لمؤتمركم بالنجاح والفلاح، ولكم بالسداد والرشاد، آملاً ان يقدّم مؤتمركم الكريم للإنسانية قبساً قرآنيا يهدي الحائرين، وينير المحجة للسالكين.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

«عودة الامام القائد»

الشيخ قاسم عباس الخاقاني

سرنـا الى الـنصر عين الله تـرعـانـا ... مـذ صـار للشعـب روح الله رئّـانـا
نـادى الـبـشير أقـرَّ الله أعـيـنـكـم ... عـاد الإمـام فـعـمَّ الخير ايـرانـا
قد جاء كـالـغيث فإخضرت مرابعنا ... واعـشـبـت ارضـنـا سـهـلاً ووديـانـا
كـالـرعـد جاء يهز الـكـفـر مقدمه ... مزلزلاً من كـيـان الـشرك أركـانـا
كـالشمس لكن من الغرب انبرى ألفاً ... فـأشرقـت بـبزوغ الـشـمـس دنـيـانـا

* * *

في بهمن النصر والـتوراث عـاد وقد ... هـبَّـت ملايـيـنـنـا شـبـبـاً وشـبـانـا
واسـتـقـبـلـتـه مع الـتـكبير فارشةً ... لـه قـلـوبـاً حـوب صدقاً وايمانا
ايـران قـد اشرقـت لـمّـا أتى وغدت ... كـل الـروابي بهـا روحـاً وريحـانـا
واتى فحـيـاه كـل الـشـعـب مبتهجاً ... وراح يـفـرش بـالأزهـار طـهـرانـا
فقال مهلاً أيا شعب الجهاد فما ... تـرتـمِ لأمـشـي على الأوراد نـشوانا
لله تـرنـا رسـول الله قـدوتـنـا ... لا يـبـتـغي شـهرة يومـاً وسلطانا
سنجعـل الـكوخ والمحراب منطلقاً ... لـثـورة الـديـن والآفـاق مـيـدانـا
هـنـا نـشـيـد لـلإسـلام قـاعـدة ... وسوف نجعـل من ايران بركـانـا
يـفـجّـر الأرض تحـت الـظـالمين لظى ... محطماً من عروش الـبـغـي بـنـيـانـا

* * *

في عزم موسى الإمام الموسوي أتى ... ليـهـزم الـيـوم فـرعـونـاً وهـامـانـا
إنْ كـان موسى أتى فرعون ينذره ... وفي يـديـه يـري نـوراً وثـعـبـانـا
فـذا الخميني جاء اليوم منتصراً ... على الـعدى حـامـلاً سـيـفـاً وقرآنـا
ففرَّ من قبل القاء العصا فزعاً ... فـرعـون ايـران يـذري الـدمـع حيرانا
وبـخـتـيـار ادعـى من أنه بطل ... في البحر موج طغى لم يخش طوفانا
لـكـنـه فـرَّ مـثـل الـشـاه منهزماً ... يـشكو من الحكـم إفلاساً وحرمانا

«والفـجر»

والـفـجر جاءت مع الـبشرى مجددة ... في بهمن الخير ذكراها ولقيانا
والـفـجر عادت مع الـذكرى إتكللنا ... براية النصر حيث الفتح وافانا
والـفـجـر انـشـودة للـنصر رددهـا ... جـنـد الـرسـالـة الحـاناً فـالحانا
قـد حرَّروا أرض ايران وقد زحفوا ... نحو الـعراق وفجر الفتح قد بانا
كرّوا على زمر الشيطان فاهزمت ... كالمعز تلعن في بغداد شيطانا

° ° °

فـرّوا جـمـيـعـاً الى صدام قد حملوا ... لـه مع الخزي حسراناً وخذلانا
فـراح يـعـدمـهـم سراً ويمدحهم ... على هـزائمـهـم جـهـراً واعـلانـا
على الـفـرار يـكـافيهم و يـبعثهم ... الى الهـلاك زرافـات ووحـدانـا
هـذي نهـايـة مـن باعوا كرامتهم ... واصـبـحـوا للخنا جُنداً وأعوانا
ان يجرعوا الـذل من شر الـطغاة وأن ... يـواجـهوا في كـلا الـدارين نـيرانا
إلاّ اذا لجـأوا للـديـن كـي يجدوا ... في ظـل دولـتـه عـدلاً واحـسـانـا

«لـبنـان»

لـبـنـان يا بهجة الـدنـيا بـروعتها ... ما زال مـغـنـاك يا لـبـنـان فـتـانـا
يا آية الحسن عاشت في ضمائرنا ... شـوقـاً فـهـا نحن نهـواها وتهوانا
يا وردة في رياض الشوق ما ذبلت ... إلاّ تـرقـرق دمـع في محـيـانـا
يا جنة الكرم والزيتون ما تركت ... بها لظى الحرب أشجاراً وافنانا
و يا جبالاً بجيد البحر قد نضدت ... كـأنمـا رصـعـت دُراً ومـرجـانـا
و يا جنوباً رباه الغض مات ظمأ ... ولم يـزل في مـدى الأيـام و يـانـا
قد كـنـت مهداً لـكل المكرمات وفي ... تـاريـخ أهـلـيك تجسيد لمعنانا

تخاذلوا عنك يا لبنان واتحدوا 		مع اليهود ووالوا شر أعدانا
أولاء للعرب حكام وسادتهم 		في الغرب باعوهم ديناً وأوطانا
باعوا الديار وما فيها وماغنموا 		إلاّ الهوان وإلاّ الخزي أثمانا
وسلّموا كل خيرات البلاد لهم 		واقطعوها لهم أرضاً وجدرانا
وحاربوا ثورة الإسلام مذ علِموا 		حفظ اليهود لهم حكماً وتيجانا

«جند الله»

زحفاً جنود الهدى نحو العراق الى 		أرض الحسين فيوم الفتح قد حانا
لترفعوا فيه للإسلام رايته 		وتسحفوا فيه صداماً ومترانا
لتسندوا شعبه في يوم محنته 		وتنقذوا من سجون البعث أسرانا
طريقكم من بلاد الرافدين الى 		قدس لتنجوا فلسطيناً ولبنانا
سيدخل القدس روح الله قائدنا 		محرراً من يد الأرجاس أقصانا

الى القراء الأعزاء

نرجو من القراء الأعزاء ملاحظة الأمور التالية:

● يرجى إعلامنا باستمرار عن وصول المجلات، وعدد النسخ التي تحتاجون اليها.

عند الكتابة الينا يرجى تدوين العنوان بشكل واضح ليتسنى لنا ارسال المجلة اليكم.

المراسلات تكون على العنوان التالي:

الجمهورية الإسلامية الإيرانية ــ طهران ــ خيابان ايرانشهر شمالي ــ كوچه هما ــ پلاک ٢ ــ مجلة التوحيد (باللغة العربية).

طريقة الاشتراك مبيّنة في الصفحة الأولى من المجلة. وترسل الحوالة المصرفية بالبريد المسجل الى مكتب المجلة على العنوان المذكور أعلاه.

سيري على اسم الله للتحرر

شاعر الاسلام

سيري على اسم الله للتحرير [illegible]

[illegible]

• • •

سيري على اسم الله في أنشودةٍ ... نحن ناشدة دم الموتور

وتذرعي بالصبر في زاد الضحى ... حلداء ودكّي قلعة المدحور

والليل رافعة الأكف الى السما ... في دعوة من قلبك المكسور

واستبشري الفتح القريب جحافلاً ... ترى لجحفل جيشك المنصور

يا أمة الإسلام قد طال السُرى ... والليل عسعس فابشري بالنور

«فجراً» يطلُّ على الذُرى شعاعه ... سيد ليل الظلم والتأسير

و «الحملة الكبرى» نذيرٌ شاملٌ ... يمضي على التخريب والتدمير

لا تجزعي فالنائبات عواصفٌ ... وبها تُبدّدُ قلاع قوم نُور

وذري اللظى تَهَبْ اللظى لغتاتها ... فالنار طِبُّ الأرعن المغرور

وبخيرٍ للحادثات تطاسنٌ ... وبتلكم التاريخ خدُّ حسير

* * *

عفواً إمام العصر طال غيبةٌ ... فاسمع ملاحم نغمة الشحرور

هي من قريح القلب شكوى قد غدت ... لحناً يردد نفثة المصدور

فإلى مَ صدامٌ يُقتّل شعبنا ... ويُشيع كلَّ مفاسدٍ وشرور

ويلزُّ إعداماً بخير شبابنا ... وبكلّ فذٍّ عالمٍ نحرير

فانهض وَقُدْ هذي الطلائع شاهراً ... سيف العدالة ضد حُكم الزور

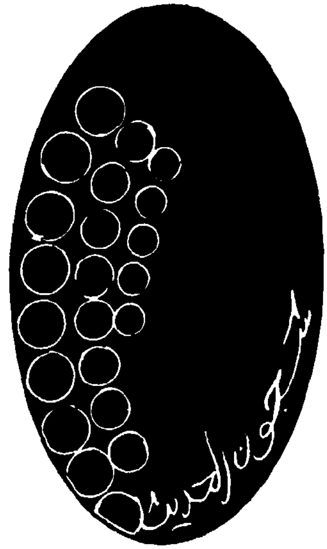
بالله منّ على الورى بطليعةٍ ... سارت وراء لوائك المنشور

عجّل فديتك فالجموع سميعةٌ ... ومُطيعةٌ لصدور حُكمِ نفير

فلقد ابتدا «رُوحُ الإلهِ» بثورةٍ ... كبرى تمدُّ ليومك المعمور[1]

* * *

(١) ... بمناسبة حلاب والفجر المظفرة وفتوحات «خيبر» البطولية



الارهاب والارعاب

ابوهدى

انسجاما مع الخطوة الأمريكية المتقدّمة!! التي وضعت فيها ايران في قائمة الدول الإرهابية، وتعبيراً عن الخوف الذي يعيشه سلاطين القصور في السعودية والعوامل المماثلة المزروعة هنا وهناك .... ونوحاً على الأوضاع التي يعيشها (حسن وحسين، وحسني، و بورقيبة، و...) ومحاولة امريكية لاشعال الضوء الأخضر أمام مرحلة جديدة من العنف والإرهاب يقوم بها العملاء الأقزام لقهر شعوبهم.

و بعد كل هذا:

تغطية على الهزائم المتلاحقة للقوى العظمى!! على يد العناصر المسلمة في لبنان.. لكل هذا فقد تفضَّل عميل معقَّل هو (عبدالرحمن الشيلي) فأتحف العالم كله بمقالين نشرتهما الجريدة النزيهة «الشرق الاوسط» والتي اطلقت على نفسها (استغفر الله) اطلق النظام السعودي العميل عليها لقب (جريدة العرب الدولية)ـــ هذان المقالان تحدث فيهما الكاتب الصحفي المحترم! عن أنه عايش أنظمة متعددة من عالمنا العربي كانت ترفل بالخير والرضا والتطور في كل مجال، ولكنها تراخت بحكم سلامة النيَّة، لابل عايش نظماً عالمية كانت بخير لولا أن أصابها الإرهاب، فقضى عليها، والمثال الذي يتفضَّل به علينا هو(كوبا) التي كانت تسعد في ظل باتيستا لولا ان هبَّت عليها رياح الإرهاب، واما المثال الثاني فهو (افغانستان) التي كانت ترفل في ظل ملكها (الصالح الهادى) وهكذا تأتي ايران... يطرحها هذا العميل دون ان يكمِّل وجه الشبه جيداً ودون ان يقول انها كانت كأختها افغانستان ترفل في ظل ملكها الصالح الهادي لولا ان هبَّت عليها رياح الإرهاب. وهكذا يستمر في تمثيله هذا متحدثاً عن الإرهاب في الكويت، وتونس الخضراء ـــ كما يعبِّرـــ والمغرب، وأخيراً لبنان.

اما ما هو الحل، فليس لدى هذا العميل المعقَّل إلا البطش الحكومي، وإلا القتل والإرهاب ـــ استغفر اللهـــ التصدي للارهاب بالعنف ـــ كما يعبِّرـــ إستناداً الى الحديث الشريف القائل (خيركم من دافع عن قومه ما لم يأثم..) والذي استشهد به أحد الأمراء العظام!! في الخليج.

اما الشجون التي يثيرها في النفس هذا القيح والزقوم الأمريكي، فكثيرة كثيرة.

أولها: هذا الربط بين النظم العميلة الطاغوتية: نظام باتيستا، ونظام ظاهر شاه، ونظام محمدرضا شاه، ونظام الشاه ...

في: الخليج، وتونس، والمغرب ولبنان، وعرضها على أنها حزب الأمان التي أعدّت لسعادة الإنسان إلا أن هذا الإنسان يعمد إلى الإرهاب، فيفسد على نفسه الجو والسنة، ويعرّض نفسه في محيط الدم.. وهذا ضرب من الجنون.. أو الكفر بالنعمة التي أنعمها الإستعمار عليه بتنصيبه هذه السلطات التي تعمل بمحاذاة على رؤوسها، ويصرخ الخواء في أعماق هذه الرؤوس.

وثانيها: هذا التلاعب بالألفاظ، وتغيير المواعدة المحوّرة التي سمح لنفسه أن يغيّرها، ونكمها عن العمل هناك. وإلا فما معنى أن نعد من الإرهاب:

ثورة الشعب المسلم في تونس ضد النظام الذي فرضه الإستعمار الغربي عليه، وهكذا ثورة الشعب المغربي ضد عرّاب كامب ديفيد، بل ونعد ثورة الشعب الإيراني المسلم ضد أشهر عملاء الإستعمار، وبالتالي عصبة المسلمين ضد أمريكا وحلفائها والتي دحرت لبنان لتكرّس حكم الكتائب الصليبي الحاقد، بعد كل ذلك إرهاباً يجب الإستناد إلى أحاديث الرسول العظيم لضربه والقضاء عليه.

ولا نعد من الإرهاب ضرب الشعب اللبناني الآمن بالطائرات الأمريكية والفرنسية والاسرائيلية، وتقتيل الناس وسحق الاصوات المسلمة في المناطق المختلفة من الشمال الافريقي، وتهجير عشرات الالوف من العراقيين، وسحق مئات الالوف منهم في الكويت والعراق، وقبل ذلك هذا الهجوم العسكري اللئيم على الشعب الايراني المسلم وهدم مدنه وتشريد اطفاله وأمثال ذلك كثير كثير.. أليس هذا إرهاباً يا أيها السادة!!

أترى المتحمسين صدقاً؟! أم أن وضع المجلة العربية يستدعي أن تعطي بعض الصفحات لاستعمال الأعداء، ثم إنه الإرهاب الأمريكي سمحت هذه الأقلام المتوقحة في صحف عربية تنسب عنها عنوان الإسلامية. وبعد هذا التحريض الأنظمة يرجع أن [illegible] في صحوة [illegible] في ساحتها العامة ليجد نفسه [illegible] الإرهاب فقط هناك.

وثالثها: وراءها، وخلفها... أنح من السحوق التي لا يعد آخرها، أن هذا المقال نسي أن يذكر أي مثال من عمر الخط الأمريكي، وهو أمر طبيعي له.

لسنا في موقع سيرة مجلة التوحيد عن نقل مثل هذه النصوص ولا نستهدف من ذلك كشف هؤلاء العملاء، بل كشف خط العميل الذي يريد أن يتلاعب بمقدرات الأمة الإسلامية، لا لشيء إلا لأنه مندوب السامي الأمريكي على الحرمين الشريفين، والذي قدّر له أن يمسك بأزمّة نفط المسلمين، فيوجهه باتجاه المصالح الخبيثة.

ونبّه أخيراً كل مسلم واعٍ صادق إلى أن يتثبت عند تقييمه لأية حركة على الساحة أن المعايير الإسلامية الأصيلة، والدوافع التي تحركت، والظروف التي تواجه، والعلاقات التي تربط أي تحرك بالأهداف الإسلامية الأصيلة أو بالتحرك الإستكباري العالمي ضد الإسلام.. وليعلم هؤلاء العملاء أن العضة الاسلامية شامخة، وأن الصحوة والشوق لتطبيق الاسلام الحي الأصيل سوف تعصف بكل أساليب القمع والإرهاب العميل... والعاقبة للمتقين.. ■

جولة في الصحافة



تحت هذا العنوان كتبت صحيفة الشرق الأوسط في عددها ١٨٢٢ تقول: [أكد الرئيس العراقي صدام حسين على أهمية دور مصر على الساحة العربية مشيراً الى تعاظم الدور الذي تلعبه مصر لصالح القضايا العربية والإسلامية. وقال الرئيس العراقي في كلمة له خلال استقباله أمس لعدد من المصريين العاملين في العراق: «ان أمّة واحدة ومهما كانت أو ستكون عليه الظروف السياسية فإنّ هذه الحقيقة ينبغي أن لا تتعرض للمساومات السياسية].

• قبل كل شيء نسأل: أي دور هذا الذي تلعبه مصر لصالح القضايا العربية والإسلامية؟! فهل ان اعترافها باسرائيل على حساب القضية الفلسطينية، وتعاونها الوثيق مع الكيان الصهيوني، هما لصالح القضايا العربية؟!! أم ان ملاحقة المسلمين الملتزمين وانزال عقوبة الإعدام بهم، والتآمر على الثورة الإسلامية وبقية الحركات الإسلامية الأخرى، هي لصالح القضايا الاسلامية؟!

والمضحك المبكي ان صداماً هو الذى دعا بشدة الى قطع العلاقات مع مصر بعد اتفاقيات كامب ديفد، وهو الذي دعا بشدة الى إعادة العلاقات معها؟! ترى ما الذي فعله النظام المصري لصالح القضايا العربية والإسلامية ليطبّل ويزمّر له صدام وبقية الأنظمة الرجعية الأخرى؟

ضرورة، وهذه الضرورة ليست وليدة الظروف وانما هي وليدة الفكر الإسلامي بالذات بدلالة العشرات من الآيات والأحاديث فضلاً عن اقرار العقل. على ان الوحدة الإسلامية وكما ذكر آية الله العظمى الشيخ المنتظري لا تعني ترك معتقدات وآراء وأحكام، ولا تعني الرضوخ لأحكام وتصورات مفروضة، بل هي: وحدة كلمة، ووحدة صف، ووحدة ارادة في مواجهة أخطار جسيمة ممثلة للعيان، وفي مقدمة هذه المخاطر محاولات الدول الكبرى لإدامة سيطرتها على الشعوب المستضعفة والعمل الجاد على مسخ الإسلام وقلعه من الجذور، والجهود المستمرة لمسخ الشخصية الإسلامية في كل مكان وجدت فيه.

هذا هو المفهوم الذي تبشّر به ايران عن الوحدة الإسلامية، وهو ليس بالمفهوم الجديد، إذ نادى بذلك الكثير من أعلام الأمة وقادتها، ولعل من هؤلاء آية الله البروجردي، والشيخ حسن البنا، والعلاّمة محمد حسين كاشف الغطاء، والعلامة محمود شلتوت وغيرهم من الأفذاذ، ولكن ايران ترى ان الظروف الحالية تستوجب أكثر من أية فترة مضت، خاصة وان الإسلام في هذه الأيام يشكل الرقم القاطع والحاسم في المنطقة، ولكن اذا اجتمعت الإرادة الإسلامية بكل طوائفها وفصائلها سوف تعطي رداً حاسماً ومؤثراً على كل ألوان الإستعمار التي تواجه الشعوب الإسلامية».

... وجدنا جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام ... [illegible] الملك فهد آل سعود لخدمة الإسلام والمسلمين معروفة ... في مختلف أنحاء العالم».

* نحن نتفق مع مجلة «المجلة» حول عبارة «لم يكن أمراً مفاجئاً...» نعم لم يكن مفاجئاً وهو يملك في خزائنه بلايين الدولارات، وطالما يموّل صحفاء النفس، فإنهم يمنحونه لا جائزة واحدة بل آلاف الجوائز التي تشتهيها نفسه. ولكن يا ترى ما هي الخدمات التي قدّمها (حامي الحرمين الشريفين) للإسلام والمسلمين؟! تآمره على القضية الفلسطينية من خلال دعمه للنظام المصري المتحالف مع الكيان الصهيوني؟! أم اصداره المجلات المبتذلة من مثل «سيدتي» و«المجلة» و«الشرقية» وتشجيعه للفساد عبر تلك المجلات؟! أم سكوته أمام كل ما ترتكبه الصهاينة ضد المسلمين في فلسطين ولبنان؟! أم اقامة المجازر ضد المسلمين المستضعفين السعوديين؟!

الملك فهد مفضوح، والجوائز لن تستطيع التستر على انحرافه عن الإسلام وخياناته ضد المسلمين.

(... السلام) التي ... [illegible] ... يهدف (... الأمريكية) ... [illegible] ... على ... [illegible] ... التي تخرق أجساد ... الإسلام ... [illegible] ... صدقته ... (... غصن الزيتون) ... [illegible] ... (... الدمية) ... على ... (... الكيمياوية) ... [illegible] ... عديد من ... [illegible] ... قبل ... [illegible] ... كبير في ... [illegible] ... في معسكرات ... [illegible] ... (حمامات السلام) ... [illegible] ... على ... [illegible] ... (... الأخرى) ... ذلك.

تحت هذا العنوان كتبت صحيفة كيهان الصادرة في طهران باللغة العربية في عددها «١٧٢» تقول.

«العدو قصف بالقنابل الكيمياوية مجزرة دولية وكأن العالم سمع بذلك. وأين هي (حمامات السلام) التي (عصفت) علينا وحاولت القضاء بأيدي الحرب والمفاوضة مع المعتدي؟

أين هو الغليني و(لجنة المساعي الحميدة) و(حاملي غصن الزيتون) والأمم المتحدة ومنظمات حقوق الانسان؟

الألسنة الطويلة التي (أتحفت) باستمرار ... [illegible] (السلمية) الطائلة، انعقدت اليوم أمام اجرام صديقها (بطل القادسية)، والعيون التي تأكدت على استمرار إراقة الدماء و(ضياع الثروات) على الجبهة العراقية ـ الايرانية كفت اليوم، والقلوب (الرحيمة) المحبة لـ

تحت هذا العنوان كتبت مجلة ... سورية في عددها ٦١٠ تقول: «تمت حادث ... وتطوراتها الخطيرة ... الولايات المتحدة الأمريكية، بالرغم من كل قوتها العسكرية المتفوقة، وعلى الرغم من كل الأساطيل المحركة حول قدرتها، ومكتسباتها، ... مهزومة بطريقة من الطرق..»

وتضيف الصحيفة تقول:

«أمريكا ... تراجعت أمام ... صغير، من ... ورفضت أن يتخلى عن هذا ... أمريكا التي ... أن مجرد وجودها ... على أن ترتعد، وأن تركع على قدميها، أمريكا التي ... في ... أصبحت ... عربي بعد الحرب العالمية الثانية، والتي أرسلت ... أصبحت درجة في العالم، نيوجرسي. تلك الأمريكا برئاسة ريغان، تضطر للتراجع...».

شؤون اسلامية

مرّة اخرى تحركت جحافل لا إله إلا الله نحو العراق، وهي ترفع لواء التوحيد، لتفتح السجن الكبير، الذي وسع ليسجن الملايين من المسلمين ولتحطم الحصون والقلاع، التي يحتمي وراءها القتلة والطغاة، ولتدمي قلوب المستكبرين، الذين ارادوا الذل والمهانة للمسلمين.

في ليلة ١٣/جمادى الاولى الموافق١٦/٢/١٩٨٤،والمصادف لرحلة فاطمة الزهراء(ع)، أطلقوا أمرهم مرضياً حقّاً وعدلاً. وعقدوا أمرهم على شيء، وتوكلوا على من لا يخذل سواه، ولا ... وتحركوا نحو ... الكفر ...

ان قوات الإسلام، تمكنت من اختراق خطوط العدو المعادية، «وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لايبصرون»، ومن ثم مواجهة سرايا قوات صدام من الخلف والأمام... وبين المكر الإلهي (الحصار) والصواعق المذهلة (نداءات الله اكبر)، سقطت أرتال ... بين قتيل وجريح وأسير، ورد كيد الأعداء الى نحورهم، ... ينفع لهم درع، ولم تنفعهم أمريكا.

وقد تكفل جنود الرحمن سبحانه على أنفسهم، ان لاتسير على وجه الأرض طاغوت، ولا استكبار، وان لاتبدل نفوسهم خوف، ولا وجل من الشرق أو الغرب.

والمعروف عن تلك المنطقة، التي حدث فيها الفتح، قريبة من خط المواصلات الاستراتيجي بغداد ـ العمارة ـ البصرة، وتقدم قوات الإسلام الى الأمام لم يبق بينهم و... الطريق سوى ١٧ كيلومتراً، وهذا يعني، امكانية ... وتوقف حركة النقل على ذلك الطريق، بواسطة القصف المدفعي، وبذلك يضطر نظام صدام الى استخدام طرق بغداد ـ الناصرية ـ البصرة، الطويل، والصعب ...

في تلك العمليات، التي سميت بعمليات ... الخامسة، حررت قوات الإسلام، أكثر من ١٥٠ كم من الأراضي الإيرانية، التي احتلها جيش صدام في بداية العدوان قبل ثلاثة سنوات.

والمعروف عن المناطق المحررة، انها جبال وعرة، و... على سهل واسع داخل العراق، وهذا يعني، فتح ... القوات الإسلامية، سيقود الى منطقة مهمة، قد يؤدي ... فيها الى فصل ... عن ... بغداد ... ١٦٠ ...

... في البصرة والعمارة العراقيتين.

النظام الصدامي [illegible] يتصور حدوث هجوم إسلامي [illegible] الضفة [illegible] [illegible] والخرائط [illegible] [illegible] ([illegible]) و [illegible] ([illegible]) [illegible] العراق [illegible] البصرة، العمارة، [illegible] [illegible] ما يسمى [illegible]

القيادة الإسلامية وحدات في [illegible] وهي ساحة حرب [illegible] من ظهر قدرتها الفائقة في [illegible] في قلب العدو، وفي نفس [illegible] والطائرات أية قدرة [illegible] الأرض [illegible]

ومن ناحية أخرى [illegible] الإسلامية من الإسراع في [illegible] وهي معروفة بباعها الطويل وقدرتها الفائقة في الحروب الجبلية.

وقد هيأت القوات الإسلامية [illegible] السلاح المطلوب المتمثلة في اعداد كبيرة من [illegible] ومئات من القوارب الصغيرة السريعة الحركة، وأسراب من الطائرات السمتية، وطائرات مروحية أخرى [illegible] بحرية.

وقد جاء الهجوم في [illegible] من طريقين، الأول المتمثل في الهجوم الجوي، حيث هبطت الطائرات السمتية خلف قوات العدو وهي تحمل اعداداً كبيرة من المقاتلين مع [illegible] وعتادهم، والثاني الهجوم البري الذي اعتمد على القوارب أو السير على الأقدام لمسافة طويلة تبلغ في بعض المحاور (٤٠) كيلومتراً مع عدتهم العسكرية الكاملة.

وبين ليلة وضحاها وجدت القوات الصدامية المرابطة هناك انها قد أصبحت أسيرة في قبضة قوات الإسلام، ولا مفر أمام طريقين: اما الوقوع في أسر حفظة القرآن واتباع الرحمن، أو الهلاك برصاص القصاص الإسلامي العادل... وبين الاختيار الأول والثاني امحى أثر قوات صدام من على تلك الأرض المحررة. وبلغت القوات الإسلامية (بعون الله) [illegible] ([illegible]) [illegible] البصرة [illegible] موجودة في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ملايين من الدولارات [illegible] [illegible] [illegible] مهددة [illegible] الإسلام، [illegible] (٩٠) كيلومتراً.

ولأن [illegible] أصبحت القوات الإسلامية مهيمنة على مناطق ستراتيجية حساسة، وأن تقدم [illegible] (٤٠ كم) في [illegible] سوف يعني حصول مكاسب مهمة للقوات الإسلامية.

والجدير بالذكر [illegible] القوات الإسلامية في التقدم لمسافة ٤٠ كيلومتراً وفي ليلة واحدة في عمليات خيبر لم تشهد له المعارك [illegible] مثيلاً، وهو [illegible] الوجود في الحروب الكلاسيكية.

و[illegible] من ثبت القوات على أرض العراق فإن هذا يعني تحرير العراق من [illegible] وسيطرة الاستعمار، وتطبيق شريعة الإسلام في الأشهر القليلة القادمة، وبالتالي بدأ المرحلة الثانية المتمثلة في تحرير قبلة المسلمين الأولى، مدينة القدس العزيزة لتحريرها هي الأخرى من فساد ومظالم اليهود.

«ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الأرض يرثها عبادي الصالحون».

واستمراراً للحرب المدمرة الصدامية التي أريد بها دمار دولة الإسلام، فقد واصل أعوان الشيطان قذف المدن الإسلامية الإيرانية بالصواريخ، وواصلت الطائرات قصف المدن الكبيرة والقرى النائية التي تنعم حديثاً بثمار الثورة من كهرباء وماء ومواصلات ومشاريع خدمية وصحية.

الجريمة الأخرى التي ارتكبها صدام مؤخراً هي جريمة

الغاء المواد الكيمياوية المحرمة دولياً... حيث القت طائرات صدام السفاح أطناناً من المواد الكيمياوية على المناطق المحررة وأصيب بها الآلاف من عباد الله المجاهدين.

وقد قامت الحكومة الإسلامية بنقل العديد من هؤلاء الجرحى الى مستشفيات السويد وسويسرا وفرنسا وبريطانيا واليابان لاطلاع شعوب تلك البلدان على جرائم الغرب وصدام ونقضهم المتواصل لحقوق الإنسان والقوانين الدولية التي يتشدقون بها.

وبهذا العمل وقع المستعمرون وأذنابهم في نقط حرجة لأنهم نقضوا القوانين الدولية وحقوق الإنسان وكشفوا عن وجههم القبيح أمام شعوبهم وشعوب العالم وظهرت حقيقة صدام واضحة للعالم أجمع بعد استعمالاته في ضرب السلاح. ويذكر بأنّ القوات الأمريكية والروسية استخدمت هذا السلاح بكثرة ضد شعبي فيتنام وأفغانستان ولكن دون نتيجة!

الحركة الإسلامية في تونس، أثبتت للعالم أجمع بأنّ الإسلام في تونس مازال راسخاً في أذهان وقلوب مسلمي المغرب العربي، وبأنّ جهود الغرب وفرنسا لعشرات السنين لتغريب تونس قد باءت بالفشل الذريع.

فالمعروف عن تونس انها خضعت لسنوات طوال للإستعمار الفرنسي، سعى خلالها ذلك الإستعمار لمسخ المسلمين، وحرفهم عن دينهم وتاريخهم، وسلخهم عن بقية الشعوب الإسلامية. فجاء بعقائده، وقيمه، وفلسفته، ولغته، وتاريخه. ولكنّ عقائد الاسلام وقيمه، كانت غائرة الى أعماق المسلمين، فلم تجد تلك الجهود نفعاً.

في عام ١٩٥٦ يوم تبوأ بورقيبة منصب رئاسة الوزراء، وحصول تونس على استقلالها المزيّف، اعتقدت اوربا بأنّ بورقيبة الملبس بلباس النضال والوطنية، سوف يتمكن من عمل ماعجز عنه الغرب، وفعلاً أخذ ذلك المتغرب فكرياً، عند تنصيبه رئيساً للبلاد في عام ١٩٥٧، بالدعوة لمصالحة اسرائيل والإعتراف بها، فتبوأ مرتبة العميل الاول في الوطن العربي، إذ كان أغبى وأطغى الحكام يخشى المصالحة مع اسرائيل... والرئيس بورقيبة قضى (٢٨) عاماً في سدة الحكم كرّسها كلها لخدمة الإستعمار وأهدافه.

وأخذ الجمود الفكري في تونس يتزايد ويتعاظم طيلة حكم بورقيبة، وكان جلّ همّه يتمثل في استئصال شريعة الإسلام من تونس، مثلما فعل أتاتورك في تركيا وبهلوي في ايران. وكانت مواقفه المعادية للإسلام والعالم علنية، مثل مواقفه المؤيدة للصهاينة. إذ أعلن مخالفته للقرآن، وأبعد الشريعة عن كل المجالات في تونس، وحارب الصيام ومنع العمال عن اداء تلك الفريضة الإلهية، وحارب المساجد وفرض بإصرار مبدأ فصل الدين عن السياسة، ذلك المبدأ الغربي المادي.

وواصل بورقيبة غيّه وإثمه، فأعلن النهج الإشتراكية في أعوام ٦٤ــ١٩٦٩، وبعد فشله جاء بمذهب غربي آخر، ألا وهو الليبرالية... وهكذا.

وسمح بورقيبة لمختلف الأحزاب والحركات بالعمل السياسي (الشيوعيون، والاشتراكيون، والديمقراطيون)، حتى الحركة اليهودية تتمتع بسلطة واسعة، وحرية ملموسة في تونس، وهي لاتخفي ميولها لاسرائيل، وللصهيونية، ولكن بورقيبة يعتبر ذلك جزءاً من الحرية السياسية للشعب... اما حركة الإتجاه الاسلامي، فقد امتنع بورقيبة عن اعطائها ترخيص رسمي، بحجة ان الشعب معظمه مسلم، فلا توجد حاجة لحزب يدعو للإسلام...!

وكأنه يقول ان الحرية أُعطيت للحركة الشيوعية والصهيونية، والبعثات التبشيرية، لتمكنها من كسب الشعب نحو تلك العقائد!!

وفي الوقت الذي كان بورقيبة يتآمر مع الغرب ضد الشعب وآماله، كانت جموع الشعب تتسلح بالفكر الإسلامي، وبسلاح الجهاد، مستلهمة مبادىء الإمام الخميني في الثورة ضد الطغاة.. وكانت مسألة احتلال السفارة الاميركية، ومواصلة الحرب ضد صدام، والدعوة

زالة اسرائيل، تجارب رائعة لشعب التونسي المسلم.

ولما كانت مجلتا المجتمع والمعرفة، تستهدفان تنوير الأذهان والعقول، بشريعة رسول الإسلام محمد (ص) عملت حكومة بورقيبة على اغلاق تلك المجلتين، وشرعت في حملة ظالمة تمثلت في سجن قادة الإتجاه الإسلامي من بينهم: راشد الغنوشي، الذي استلهم مبادىء الإمام الخميني في الثورة الإسلامية، وعبد الفتاح مورو، وأعداد كثيرة من المؤمنين..

بعد تلك الإعتقالات، اعتقد بورقيبة بأن حركة المسلمين قد خمدت، ولكن أثبتت الوقائع المتوالية في العام المنصرم وفي أحداث مستهل عام ١٩٨٤، أن الحركة توسعت جذورها، وكثر مؤيدوها.

في الأحداث الأخيرة، شرعت المعارضة الإسلامية بحملة شعبية ضد السلطة، تمثلت في مظاهرات وهجمات كبيرة، أدهشت الغرب وأرعبت بورقيبة، بعد أن تعرضت السلطة في مسعاها لزيادة أسعار الخبز — الغذاء الرئيسي للشعب.

ولكن بورقيبة ونتيجة لزخم الهجمة، تراجع عن تلك الزيادة، ولكن المظاهرات استمرت وتوسعت.

الحكومة التونسية ووفق إقرار العرفي تدعي باستعمال عمليات دموية ضد الحركة الإسلامية وقمعها بشدة بالحديد والنار، سارعت لتطبيق ذلك المبدأ العرفي وأراقت دماء أكثر من ١٥٠ مواطن مسلم وجرحت ١٠٠ منهم في محاولة منها لتخويف المسلمين.

ولكن أبشع الأحداث أن الجمعة السوداء في ايران، هي التي دفعت بالثورة الى الأمام، وسوف تثبت الأيام بأنَّ أعمال بورقيبة الدموية هي التي سوف تدفع بالثورة خطوات الى الامام.

عقد وزراء خارجية بعض الأنظمة العربية مؤتمراً طارئاً في بغداد يوم الأربعاء الموافق ١٤/٣/١٩٨٤ لتدبير مؤامرات جديدة ضد الثورة الإسلامية في ايران.

وقد خرج المؤتمرون العرب بأكذب خدعة بث الأنظمة على الثورة الإسلامية، وشعورهم بالعجز من المصير الذي سيحدده الشعب بثورته الشاملة التي ستقف بالمرصاد لهم جميعاً.

وهم حريصون في حقيقة الأمر على إبعاد شعوبهم من معرفة الحقيقة التي تعيشها ساحة الانتصارات البالغة التي حققتها قوات الإسلامية ضد قوى الكفر.

فهل نسي هؤلاء المؤتمرون غزو عدوهم بما يسمونه محاولات السلام التي يبديها العراق لانهاء الحرب؟! فهل أن استخدام الأسلحة الكيمياوية، وقصف المدن الآهلة بالسكان، هو جزء من تلك المحاولات بنظر هؤلاء العملاء؟!

وقد تناسى المؤتمرون أن أنظمتهم ستقف الى جانب النظام العراقي إذا لم تستجب الجمهورية الإسلامية لدعوتهم لوقف إطلاق النار، وكأن أنظمتهم لم تدعمه طيلة فترة الحرب العدوانية على بلادنا!!

وإذا كانت تلك الأنظمة حريصة على عروبتها كما تدعي، فلماذا لم تحرك ساكناً، ولم تعقد مؤتمراً طارئاً في حرب لبنان وعن المجازر الوحشية التي ارتكبها الصهاينة ضد الشعبين اللبناني والفلسطيني؟! ولماذا لم تعلن صراحة أن مؤتمرها جاء لانقاذ صدام؟!

«ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين».

نتيجة لجهود الإستعمار وأذنابه في المغرب، والتي استمرت على مدى عقود وسنوات عديدة، اعتقد الإستعمار بتحول المغرب النهائي نحو العلمانية، وابتعاده عن طبيعة الدول الإسلامية التي أثمرت فيها الثقافة والقيم العربية.... والخطأ في المنظار الغربي انه ينظر الى الحكم ورجاله والى فئة المتقمصين المتغربين والى العوائل التي بيدها زمام الأمور دون النظر الى جماهير الشعب. والريف في المغرب الذي يسكنه حوالي ٧٠٪ من السكان، مازالت الشريعة والقيم الإسلامية حاكمة

فيه بشكل أو بآخر.. أما الشباب وخاصة الجامعي منه، الذي عوّل عليه الغرب الشيء الكثير، فقد تأثر بالثورة الإسلامية في ايران، وأصبح همّه الأساس استلهام مبادئها، والسير على خطاها، و بذا تحوّلت تلك الخميرة الجامعية، من نخبة مثقفة ثقافة غربية، الى طليعة رسالية اسلامية... وهنا الطامة الكبرى لمؤامرات الإستكبار

ومن ناحية اخرى، عمل الإستعمار دون أن يدري على حفر مواطن الهلكة لأتباعه بما حمله لهم من مسائل صعبة التحقق، على رأسها المصالحة مع الصهاينة، والإعتراف بإسرائيل، و بيع خيرات البلاد للإستعمار بقيم بخسة، وحكم البلاد بصورة دكتاتورية مستبدة، وأكثر من ذلك معاداة الدين الإسلامي وابعاد الشريعة الإسلامية.... وهذا ما لايطيقه ولايتحمله الشعب، فتفجر الشعب غاضباً على الملك والسلطة، وعلى النظام الغربي، وعلى الإستبداد المطلق، وعلى الخيانة المفضوحة...

وهذا هو السبب الذي دفع بالشعب المغربي، لأنْ يعلن الثورة في أيام انعقاد مايسمى بمؤتمر القمة الاسلامي، ووجود عشرات الملوك والرؤساء في الرباط.

فالشعب تحمّل على مضض، حكم الحسن الثاني الطويل، الذي اعتلى العرش في عام ١٩٦١، ونظريته المشبوهة في جمع المال العربي والخبرة الصهيونية، وفتح الحدود أمام المؤامرات الغربية، واستمرار سيطرة اسبانيا على مدينتي (سبتة ومليلة) المغربيتان، واستقباله للشاه المقبور بعد فراره من ايران، وجعله المغرب واحة للمؤتمرات والقمم المشبوهة، مثل مؤتمر القمة العربي في فاس ـــ الذي اعترف باسرائيل دون مقابل ـــ وما يسمى بمؤتمر القمة الإسلامي الأخير الذي أعاد عضوية مصر كامب ديفيد، وأخيراً استقبال اللامبارك في الرباط.

ان الإستكبار العالمي والصهيونية حمّلوا الحسن الثاني ذات الحمل الثقيل الذي أغرق شاه ايران والسادات، و يغرق اليوم صداماً.

لقد آن الأوان لكي يلتحق الحسن الثاني بشاه ايران، وآن الآوان لعودة الشريعة الإسلامية الى المغرب، ليس مثلما فعل النميري مؤخراً في محاولته لسو العاصفة، بل مثلما عاد الإسلام الى ايران شوكة في عيون الطغاة..... علماً بأنَّ الحركة الإسلامية في المغرب عميقة الجذور، واسعة الانتشار، وهذا مادلَّ عليه أحداث المغرب الأخيرة، إذ طارت شرارة الثورة من مدينة (الناقور) الساحلية الى عشرين مدينة، وامتلأت الشوارع بالمتظاهرين، وغصَّت المدن بالمعارضين، والتحق المئات من الجنود مع أسلحتهم بالشعب.

والملاحظ ان الإنتفاضة استمرت طويلاً، إذ انها سبقت مؤتمر الخيانة بأسبوع، واستمرت طيلة أيام انعقاد المؤتمر، و بلغت أحداثها الذروة، بعد انتهاء القمة، بحيث فقد الحسن الثاني اتزانه وهو يهاجم المتظاهرين على الشاشة الصغيرة، وأظهر مااخفته أجهزة اعلامه، من تأثر مسلمي المغرب بالثورة الإسلامية في ايران، وزعيمها الفذ الإمام الخميني، إذْ كشف عن صورة للإمام الخميني أُخذت من يد أحد المتظاهرين فالغرب والحسن الثاني وأجهزته دهشوا وذهلوا من قوة الإنتفاضة الإسلامية وقدرتها.... وهنا تكالبت حكومات الغرب، في سبيل ايجاد مخرج لتلك الأزمة فلم تجد سوى الأسلوب التقليدي الغربي، في معالجة ثورات الشعوب ألا وهو أسلوب اراقة الدماء، والزج في السجون.. فكانت نصيحة الغرب للحسن الثاني باستعمال أسلوب العصا الغليظة مع المعارضين المسلمين.

وفعلاً، حرّك الملك سلاحه الذي اشتراه بأموال الشعب، نحو صدور الجماهير، فقامت الطائرات المروحية المسلحة، والدبابات، والأسلحة الاوتوماتيكية، بقصف جموع الشعب المطالبة بشريعة الإسلام والإستقلال والحرية، فتضرّج الأبرياء بدمائهم، وامتلأت الشوارع

والساحات بدماء المسلمين، حتى بلغ عدد الشهداء أكثر من ٤٠٠ شهيد و ٢٠٠ جريح، وزجّت بالطاقات الخيّرة للأمة في السجون وعلى رأسها الكاتب الإسلامي (عبدالسلام ياسين) ـــ الذي اغلقت السلطات سابقاً صحيفته (الصبح والخطاب).

وبافتعال الحسن الثاني لتلك المذبحة الدموية، اعتقد بانتصاره على الشعب، واستمرار تعوق أجهزته القمعية على قدرات الجماهير.... ولكن تخفى على أمثال هؤلاء، ان طاقات وقدرات الشعب غير محدودة، وغير ناضبة، فهي مستمدة من قدرات الرحمن الذي يمهل ولايهمل، وان غداً لناظره قريب.

التحالف اللامقدس ضد الثورة الإسلامية

مامن يوم يمرون ان يتسلق نظام صدام الدعم من أسياده المستكبرين والأنظمة الرجعية المتحالفة معه.

عن النظامين الفرنسي والأمريكي مهما يقال فانه قليل، فهما قدّما و يقدمان ما بوسعهما لإمداد النظام العراقي... وهكذا دواليك الحكومات الغربية الأخرى والأنظمة الرجعية في المنطقة.

وزير خارجية النظام الفرنسي صرّح مؤخراً في حديث أدلى به الى صحيفة «لزكو» الإقتصادية: «ان فرنسا ستمنح العراق قرضاً يبلغ أربعة مليارات فرانك، وانها سوف لن تترك النظام العراقي وحده أمام المشاكل التي يعانيها نتيجة للديون المترتبة عليه».

ومن جهة أخرى أكد وزير خارجية اميركا جورج شولتز قائلاً: «ان اميركا تسعى لتقوية علاقاتها مع العراق، واننا نريد المحافظة على سلامة النظام العراقي في هذه الحرب».

وكان وزير خارجية العراق طارق يوحنا عزيز قد طلب رسمياً من أميركا تزويد العراق بالسلاح.

والى جانب الدعم المادي، تقوم الأنظمة الرجعية ـــ بدورها ـــ بارسال المرتزقة الى العراق لدعم صدام. فالأردن أرسل مرتزقته منذ اليوم الأول للحرب، وهكذا بالنسبة للسودان ومصر. وبالنسبة لمصر أعلنت صحيفة الأهالي المصرية ان خمسة عشر ألف مصري يقاتلون الى جانب القوات البعثية الكافرة.

تصاعد عمليات المجاهدين الأفغان

ضد القوات السوفيتية ونظام كارمل

تفيد التقارير الواردة يومياً من أفغانستان عن تصاعد عمليات المجاهدين الأفغان ضد القوات السوفيتية الإستعمارية ونظام ببرك كارمل المأجور. فضمن تنسيق مستمر بين الأطراف الإسلامية المجاهدة، بدأت العمليات الجهادية ضد تلك القوات تتسع يوماً بعد آخر لتشمل كافة أرجاء افغانستان، وخاصة العاصمة كابول التي حشد الإستكبار الروسي الآلاف من قواته هناك.

ومنذ مطلع العام الجاري كثّف المجاهدون الأفغان نشاطاتهم، حيث الحقوا خلال الأشهر الثلاثة الماضية خسائر كبيرة بالقوات السوفيتية وقوات ببرك كارمل، مما دعى الحكومة السوفيتية لزيادة عدد قواتها في افغانستان واتخاذ الاجراءات اللازمة لضرب المجاهدين. ويذكر ان مجموعة من أفراد الجيش الأفغاني التحقت مؤخراً بالحركة الإسلامية، بعد ان لم تستطع السكوت على الجرائم التي ترتكبها القوات السوفيتية والجيش الأفغاني بحق أبناء الشعب الأفغاني المستضعف.

ومن جهة ثانية تشير التقارير الى ازدياد موجة الإعتقالات للمجاهدين الأفغان، فخلال شهر شباط المنصرم اعتقلت السلطات الأفغانية ما يزيد على ٣٠٠ شخص في العاصمة كابول فقط ناهيك عن المدن الأخرى.

ويتجاوز عدد السجناء السياسيين الآلاف، ويتعرض جميعهم الى أبشع أنواع التعذيب الجسدي والروحي.

هكذا ماتت الضمائر

اذا تجاوزنا مرحلة التزويق اللفظي، والمقدمات التي تطرح عادة، والفلافل والبهارات التي تطعم بها المواضيع المقدمة... نعم اذا تجاوزنا كل ذلك، وأردنا ان ندخل الى صلب الموضوع بشكل مكشوف ودون مقدمات أو بهارات، قلنا ان (العالم اليوم أسير الامبراطوريات الإعلامية) هذه

الإمبراطوريات تعمل عملها، فتغيّر الإنتخابات الرئاسية في أمريكا وغيرها من الدول الديمقراطية!، وتقلب الحقائق، فاذا الجرائم البشعة ضد البشرية تتحول الى أعمال لصالح السلام العالمي، واذا فرار القوات الدولية نتيجة ضربات الشعب اللبناني الأعزل إلا من ايمانه يتحول الى عملية تغيير مواقع، واذا بثورة الشعب في المغرب ضد الطاغية القبيح الحسن تتم بتحريك بعيد من اصابع اسلامية خفية!! واذا واذا...

وهكذا يذبح الوعي أمام الأنظار، و يعرف الجميع انهم يواجهون التزييف، ثم يصدقون أو يتغابون عن الحقيقة.

وإلا فكيف نفسر ماجرى بالنسبة لقضية استخدام النظام الصدامي الحاكم في العراق للأسلحة الميكروبية والكيمياوية السامة؟ انها جريمة أمام العالم جميعاً، ثم هؤلاء يغطون عليها بشتى الوسائل، فاذا ما بدت لها روائح تزكم الأنوف راحوا يكتفون ببعض الإدانات الفارغة.

ولكن دعونا نسير بالأمر عبر مراحله، فهذا النظام العفلقي في الجنوب يجد نفسه تحت ضربات أبطال الإسلام، ويجد جنوده يتخاذلون أمام صرخات التكبير، فماذا يفعل؟ انه يعمد الى السلاح الأخير الذي زودته به الدول الغربية المجرمة وربما الشرقية أيضاً، يعمد اليه فيصبه على جنود الإسلام، وبعد لحظات يشهد العالم في مساحة كبيرة ولمدة طويلة نسبيا تعطيها هذه الأسلحة المنوعة... ويحضر الصحفيون، وتزكم أنوفهم هذه الغازات، وان كانوا قد لبسوا الكمامات الواقية... وتعلن الجمهورية الإسلامية ذلك.... ولكن الإستكبار الإعلامي لا يسمع كل ذلك بل يغطي على كل الأخبار مكتفياً بنقل التكذيب العراقي للخبر.

ولكن الأخبار تنتشر، و يرى الممثلون الرسميون هنا المصابين بالمئات، و يشهد الأطباء كل ذلك، وتنتشر الروائح القاتلة فتصدر إدانة فارغة ولكن التعتيم ما زال جارياً... وفجأة تطرح مسألة التشريح، وتنتشر شائعة تقول: التشريح يحرمه الإمام، ولذا فلا يمكن للأطباء القيام به، وهكذا تؤخر العملية لتتأخر عملية الكشف، ثم ليصرح بعض الأطباء بانه حتى لو فسح المجال لهم بعد هذا التشريح فانه ليست هناك فائدة لانقضاء الوقت!! هكذا إذن تدور اللعبة و يتكاثر التعتيم والتخفيف عن جريمة صدام...

وأخيراً استيقظت منظمة الامم المتحدة، وأعلنت انها سترسل من يحقق في صحة ذلك.... وهكذا ماتت الضمائر أو تماوتت أمام هذه الجريمة بفعل الإمبراطوريات الإعلامية الإستكبارية ــ فكرر صدام جريمته.

ولكن هل يستطيع صدام ان يبقى معتمداً على إسناد الكفر العالمي له!! ان كل الوقائع تؤكد انه يسير الى الزوال في القريب العاجل.

الاسلام على طريقة نميري!!

حين انتفض الشعب السوداني المستضعف بوجه نظام الجنرالات بزعامة نميري، فقد ذلك النظام صوابه، فلجأ الى السلاح لقمع الإنتفاضة متصوراً بأنه يستطيع بهذه الوسيلة ان يخنق أصوات المعارضة في حناجر أبناء الشعب السوداني، ولكن محاولاته باءت بالفشل، إذ تأكد له بان هذا النهج الكلاسيكي لن يجدي نفعاً، بل و يؤدي الى ازدياد حجم المعارضة. ولما كان متهماً بالفساد والعداء للإسلام، فانه لجأ الى حيلة جديدة ليصوِّر نفسه مسلماً أمام الشعب السوداني عسى ان يسامحه على ما قام به، و يمنحه الثقة، حيث أمر نميري باتلاف المشروبات الروحية، وأمر بمنعها ومعاقبة المتاجرين بها وذلك ضمن خطوة اعتبرها عودة الى الاسلام!!!

ولكن هل يتصور نميري بانَّ الإسلام يعني منع المشروبات الروحية فقط؟ أو قطع يد سارق أو سارقة لا إيماناً بالإسلام وانما بهدف التظاهر؟

لقد أخطأ نميري هذه المرة أيضاً، ففي حين يمنع بيع وشراء المشروبات الروحية، تواصل عشرات الملاهي والكاباريهات ودورالفسادنشاطاتهافي كافة أرجاء السودان بكل حرية، ناهيك عن دور السينما التي تعرض الأفلام الخليعة، والأغاني المستهجنة التي تذاع عبر الراديو والتلفزيون، والصور الخجلة التي تُنشر في صحفه ومجلاته... فأي اسلام هذا الذي يتحدث عنه نميري؟

انتخابات ام مناورات؟

الملك حسين أقدم في الفترة الأخيرة على حيلة جديدة لمواصلة اضطهاده للشعب الاردني المستضعف الذي بدأ يستاء من الأوضاع المزرية لبلاده والتي أوجدها نظام هذا الملك العميل.

فالملك وبعد سنوات طويلة بدأ يتحدث عن الإنتخابات، وحرية الإنتخابات، واعادة الأجواء الديمقراطية للأُردن؟!

ترى هل أصبح الملك ديمقراطياً بين ليلة وضحاها، وبدأ يؤمن بالحرية؟!

أجهزة الإعلام الإستكبارية طبّلت وزمّرت لهذه الخطوة (العظيمة) وسارت على نهجها جميع أجهزة إعلام الأنظمة الرجعية في المنطقة... وجاءت بالتحاليل والتفاسير مؤكدة انها خطوة رائعة، ومدّعية انها إنْ دلت على شيء انما تدل على (الروح الديمقراطية) التي يتحلى بها الملك!! ولكن هل لهذه الإدعاءات صحة؟! طبيعي لا... لأنَّ انتخابات الأردن، كانت في الحقيقة مناورات قبل ان تكون انتخابات... لماذا؟ لانَّ الملك لكي يحافظ على عرشه بعد كل الفضائح التي قام بها من مثل عمالته السافرة للاستكبار الغربي بزعامة اميركا، وعلاقته المشبوهة بالصهاينة، وتشجيعه لأمثاله من الحكام العرب على ضرورة التعامل مع اسرائيل و... مئات الفضائح الأُخرى التي أثارت الإستياء لدى الشعب الأُردني، بل وجعله يتحدى النظام كما تشير الى ذلك التقارير الواردة من الأُردن... فإنه بدأ يتحدث عن الإنتخابات وعن أشياء كثيرة لايؤمن بها... ولكن لماذا لم تخطر الإنتخابات ببال الملك خلال السنوات الماضية؟! لأنَّ وسائل أُخرى كانت متوفرة لديه، لكنها نفذت جميعاً، ولا يملك اليوم إلّا وسيلة واحدة وهي الإنتخابات... فهل يستطيع الملك ان يخدع الشعب الأُردني بهذه الحيل؟ والى متى يستطيع؟!

الأيدي الصهيونية الآثمة التي دنست فلسطين ولبنان والمسجد الأقصى، استمرت في ولوغها في دماء المسلمين، وفي تدنيسها لأماكنهم المقدسة. فبعد ان عملت كل ما هو فظيع ورهيب ودنيء في فلسطين، اقدمت على اغتيال شيخ مدينة جبشيت الجنوبية، المجاهد راغب حرب، في محاولة ممقوتة منها لضرب الحركة الإسلامية.

وهذا العمل ان دل على شيء، انما يدل على مدى خوفها وقلقها من العلماء المجاهدين، الذين زلزلوا الأرض أمام الطغاة والعتاة.

ونحن هنا نبارك ونواسي الإمام المهدي (ع) والأمة الإسلامية بشهادة عالم جليل مجاهد في سبيل رفعة الحركة الإسلامية، وخلاصها من قبضة الصهيونية والإمبريالية العالمية.

وقد استنكر الإمام الخميني وآية الله المنتظرى ذلك العمل الفظ من قبل أعداء الإنسانية والإسلام، وطلب حجة الاسلام الرفسنجاني رئيس مجلس الشورى الاسلامي من المسلمين الرد على ذلك العمل بقتل رؤوس الفساد والاجرام، وعتاة الطغاة وجبابرتهم.

والملاحظة المهمة هي ان الحكومات التي تدّعي الاسلام لم ترفع صوتها ولو بصورة استعراضية ضد جريمة اغتيال الشيخ راغب حرب، بالاضافة الى وقوفها موقف المتفرج من المذابح التي ترتكبها الإمبريالية والصهيونية في بيروت والجنوب اللبناني.

بريد التوحيد

ترحب مجلة التوحيد بأي انتقاد ورأي واقتراح من جانب القراء الأعزة وتبدي استعدادها للردّ على الاسئلة المطروحة عليها.



■ **من باكستان بعث لنا السيد محمد عبدالرحمن القدّوسي رئيس مدرسة الشهيد محمد يونس رسالة جاء فيها:**

• اطلعت على مجلتكم «التوحيد» فوجدتها مجلة إسلامية تحتوي على تفسير الآيات القرآنية وأخبار العالم الإسلامي وجرائم الإستعمارين الروسي والأمريكي وأخبار الثورة الإسلامية، وتختلف التوحيد عن المجلات الأخرى بفكرها الإسلامي الأصيل؛ و بتحديها للفكر والإستعمار العالميين وفضح الأفكار الضالّة.

■ **ومن تركيا كتب لنا الأخ أبو تراب يقول:**

• وقع بين يدي أحد أعداد مجلة التوحيد، فوجدت في مجلتكم ضالّتي، حيث البحوث الإسلامية القيّمة، وتفسير القرآن الكريم بشكل مبسط ونافع، والكلمة الهادفة الصادقة لرسم معالم المد الإنساني بحجمه الحقيق، ولرسم المنهج الفكري الإسلامي التحرري. وقبل كل ذلك جاءت المجلة مصباحاً منيراً لأسس الوحدة من خلال طرح البحوث المعمّقة في هذا المجال والتقريب بين المذهبين الشيعي والسني.

■ **ومن السويد قال الأخ أبوفاطمة في رسالته:**

• مضت سنوات على انتصار الثورة الإسلامية في ايران، ونحن مازلنا نعيش في أوربا الكافرة، ونحن على أمل في ان نلتقي بعلمائنا الكرام على أرض ايران الإسلام. ان مجلة التوحيد تخفّف عنّا بعض شوقنا للقائكم، لأنّها تجعلنا نعيش بقرب علمائنا حينما تصل الينا. ان مجلتكم ياأخوتي هي أروع ما صدر لحد الآن من ايران، فهي تبعث في نفوسنا السرور لعمق موضوعاتها، ولأنّها سفيرة كلمة الحق، فبارك المولى العلي القدير بجهودكم.

■ **ومن الطلبة الجامعيين في بلجيكا، وصلتنا رسالة جاء في جانب منها:**

• مع بزوغ الثورة الإسلامية في ايران، عمّ الوعي الإسلامي في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وذلك بفضل الجهود الكبيرة التي بذلتها و تبذلها المؤسسات الإعلامية الثورية في داخل ايران وخارجها. ولم يكن شعبنا المغربي بعيداً عن هذا النمو الفكري في العالم الإسلامي. ونحن هنا في المهجر (في بلجيكا) لم نكن يوماً من الأيام بعيدين عن الثورة الإسلامية وتطوراتها المستمرة.

■ **وبعث لنا الأخ بلال العالمي رسالة من ايطاليا يقول فيها:**

• *لقد بدأ العالم أجمع يعيش الرعب والخوف من ثورة الإسلام، لأنّه عالم مقسّم بين الشرق والغرب، وليته يعلم كم هي* سعيدة وهادفة الحياة بعيداً عن الشرق والغرب كما هو الحال في جمهوريتنا الإسلامية الإيرانية. وأخيراً نتضرع لله جميعاً ان يعجّل بظهور الحجة المنتظر(ع) ولتكن ـ دائماًـ كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى، ولنكن موحدين دائماً، ففي وحدتنا القوة التي هي أقوى من كل ترسانات الغرب والشرق.

■ **والحاج عبدالكريم موري يونس من سيراليون كتب في رسالته يقول:**

• اتقدم لكم بالشكر الجزيل لما تقومون به في مجال نشر الإسلام في ربوع العالم، كما واشكر الجمهورية الإسلامية التي يتمنّى كل مسلم صادق ومحب لإسلامه ان يعيش في ربوعها، لأنّها البلد الوحيد الذي يُطبق القوانين الإسلامية، ولأنّ قادته يحملون الأفكار الإسلامية الأصيلة.

ردود على رسائل القراء

■ **الاخوة السائرون على نهج الإمام/ اميركا:**

• *لقد سررنا للعواطف الجياشة التي فاضت بها رسالتكم الكريمة. بالنسبة للدستور فانّ المادة المتعلقة بالمذهب الرسمي هي كما ذكرتم. فالمذهب الرسمي*

المذهب الشيعي الإثنا عشري، ولكن
ادا في ذلك من غضاضة بعد ملاحظة
يلي:

أولاً: انه مذهب إسلامي أصيل،
هو مذهب أهل البيت الذين أذهب الله
م الرجس وطهرهم تطهيراً.

ثانياً: ان هذا لايعني أي
تداء على المذاهب الأخرى، فهي جميعاً
رة، والمناطق التي تقطنها أكثرية سنية
ري العمل فيها وفق مذهب الأكثرية.

ثالثاً: انه من الضروري ان يحدد
هب اسلامي معين— كما هو الأمر— في
ل الأقطار الإسلامية (ولو بشكل رسمي
نا نعلم انها لا تعمل في الواقع بأي
هب).

اما ضرورة تحديد المذهب، فلرفع
اختلاف والإتفاق على منهج إسلامي
حد في التطبيق الإسلامي، وقد قلنا ان
ك لايتنافى مع حرية المذاهب الأخرى
ا يقوم على أساس من الأكثرية الساحقة
باع أهل البيت في ايران، والرصانة
وية لتعاليم مذهبهم(ع).

■ **السيد مصطفى زين العابدين/ دمشق:**

• القصة التي بعثتها ستنشر في العدد العاشر. نشكركم على اهتمامكم بالمجلة وتعاونكم معها. يرجى الإستمرار في الكتابة الينا واتحافنا بالمزيد من كتاباتكم القيّمة.

■ **الدكتور سعد عبدالله من فرنسا، والسيد قادر آغا محمد والسيد أحمد من ايطاليا:**

• وصلتنا رسائلكم الودية. العددان الأول والثاني من التوحيد نفذا حتى من أرشيف المجلة. وسنرسلها ان شاء الله اذا ما تمّ طبعها مجدداً.

■ **الأخوة في اتحاد الشباب (لبنان، البقاع) والأخوة في مكتبة الشهيد الصدر (لبنان، بعلبك) والأخوة في امانة مكتبات جامعة بيروت، والأخ ابوعلي من المانيا:**

• وصلتنا رسائلكم الكريمة، ونسأل الله ان يوفقنا جميعاً لخدمة الإسلام. نتقدم بالشكر اليكم لاهتمامكم بالمجلة، وقد أرسلنا الأعداد التي طلبتموها.

■ **الأخ حسن عبدالله القميش — اميركا، والأخوة في مكتبة مونروفيا في ليبريا، والأخ حسين الياسري من مدينة الأهواز الصامدة:**

• وصلتنا رسائلكم مع بدل الإشتراك. نشكركم على ذلك، ونرجو الكتابة الينا باستمرار، كما ونرجو اعلامنا بوصول المجلات.

■ **الأخ ابومشتاق من الأهواز، والدكتور قاسمي، والأخ جاسم عبدالله، والسيد أحمد حاتم القزويني من طهران:**

• بعثنا لكم الأعداد السابقة ونرجو تسديد مبلغ الإشتراك ليتسنى لنا ارسال الأعداد اللاحقة من المجلة.

نرجو من القراء الأعزة عند مراسلتهم لنا أن يكتبوا عناوينهم وأسماءهم بخط واضح وان يعلمونا بوصول أعداد المجلة اليهم.

المعادلة الواضحة

بقلم: ابواحسان

نعم، والحق يقال.. انها المعادلة الواضحة جداً.. بل هما معادلتان:

أولاهما: تدور حول ما قام به العدو الأمريكي من عطف ولطف ومحبة ودعم لاسرائيل عبر الاتفاقية الاستراتيجية التي عقدها تماماً في ذكرى تقسيم فلسطين. فحوّل القروض الأمريكية الى منح، واسرائيل الى ترسانة اسلحة. هذا من جهة، ومن جهة أخرى ضرب أهلنا في لبنان بالمارينز الحاقد، ودكّ بيوتهم بأساطيله..

كل هذا يشكل طرف المعادلة، اما الطرف الآخر فهو المكافأة العربية السخيّة له على أعماله النبيلة بتثبيت سعر النفط، واعلان العلاقات الخفية بينه و بين النظام العراقي، ومسارعة حسني وحسني للقاء بالسيد ريگان وتبادل الأنخاب معه، وغير ذلك من الردّ الحاسم على تصرّفات السيد العدو، إلاّ ان اسخى المكافآت ما تفضّل به النظام السعودي (حامي الحرمين الشريفين) ومطبّق الإسلام!! من الضغط على ما يسمّى بمؤتمر القمة الإسلامي الرابع والذي عقد تحت رعاية الملك الفهد وفي ظل الملك الحسن (عرّاب كامب ديفيد) ليصلح أمر الأمّة الإسلامية، هذا الضغط الذي أدى لتقدم طلب وتضرع الى النظام المصري المطرود من المؤتمر ليتفضل بقبول العودة الى منصب قيادة العالم الإسلامي، فيشرف الأمة بمقدمه الشريف.

وهنا تبدأ المعادلة الثانية... ولما لم أكن خبيراً بعلم المعادلات، فإني أطلب الى القراء الأعزة ان يصوغوا المعادلة بالنحو الذي يشاؤون.. اما ما أقوله فهو:

ان هذا المؤتمر (الاسلامي!!) طرد نظام العمالة في مصر، لأنه ربط نفسه بعربة كامب ديفيد، وأكد انه مادام هذا الوضع المنحرف فإنّ عضوية مصر تبقى معلّقة.. ثم عاد يؤكد هذا القرار حيناً بعد حين.. واليوم إذْ يعود نظام كامب ديفيد الى المقعد (الإسلامي) فإنّ التساؤل يثور و يثور صارخاً بوجه هؤلاء: ان هذه العوده يفسّرها أحد أمرين – كما يقول المناطقة – فإما ان مصر رجعت عن انحرافها – وهي لم ترجع –، أو ان المؤتمر قد انحرف الى نفس الإتجاه الأمريكي! احتمالان لا ثالث لهما، إلاّ ما تفضل به عرفات بعد انفضاض المؤتمر من ان مصر لم تُبعد من أول الأمر، فما حدث لم يكن إلاّ وهماً.. ولتكذب العيون، وتصم الآذان، ولتمزق الصحف، ولتسكت الإذاعات.. وأخيراً فإنّ من المنتظر ان يعتذر المؤتمر الى الصحفيين لما قدّمه لهم من معلومات كاذبة بهذا الصدد..

وبهذا فقد كان المؤتمر الاسلامي – كما يتفضّل السيد أحمد بن سوده مستشار الملك الحسن – من أنجح المؤتمرات الإسلامية وأكثرها فعالية وعطاء... و بالطبع فلتهنأ الأمّة الإسلامية بمؤتمر كهذا:

نسي قضاياها الأساسية، وكرّس العملاء، وتناسى حتى ان يذم روسيا أو يذكّرها عند تعرضه لافغانستان، ونجح في ربط الأمّة الإسلامية بعجلة كمب ديفيد... كل ذلك بفضل الدور السعودي المبارك، والمبارك من جديد!! بقي لنا ان ننعى على الحكام والحقوقيين العرب ذكاءهم وفطنتهم، وكونهم «يبصرون حتى في الضباب» لأنهم لم يلتفتوا لما التفت له الاخ عرفات من عدم طرد مصر من أول الأمر، وان العملية كانت عملية (تمويه) لاأكثر.. والله من ورائهم محيط... ■



حجة الاسلام والمسلمين السيد علي الخامنئي

ـ رئيس الجمهورية الاسلامية في ايران ـ



حجة الاسلام والمسلمين محمد اليزدي

ـ نائب رئيس مجلس الشورى الاسلامي ـ



آية الله الخزعلي

ـ عضو مجلس فقهاء صيانة الدستور ـ



حجة الاسلام السيد خاتمي/ج. إ. إ



هيئة الرئاسة لإحدى الجلسات



آية الله مهدوي الكني / ج.إ.إ



حجة الاسلام السيد محمد باقر الحكيم / العراق



حجة الاسلام الشيخ قاسم الحائري/العراق



هيئة التقرير



الأستاذ بي آزار الشيرازي/ ج. إ. إ



الدكتور مهدي گلشني/ ج. إ. إ





جانبان من المؤتمر



جانب من المؤتمر



الأسرى العراقيون ينشدون



حجة الاسلام الشيرازي/ ج. إ. إ



حجة الاسلام الشيخ محمد تقي رهبر/ ج. إ. إ



[illegible]



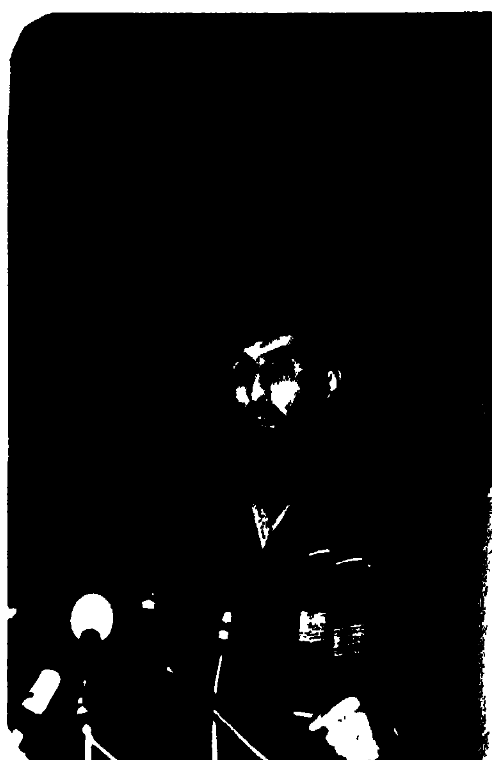
[illegible]



حجة الاسلام السيد محمود الهاشمي/ العراق



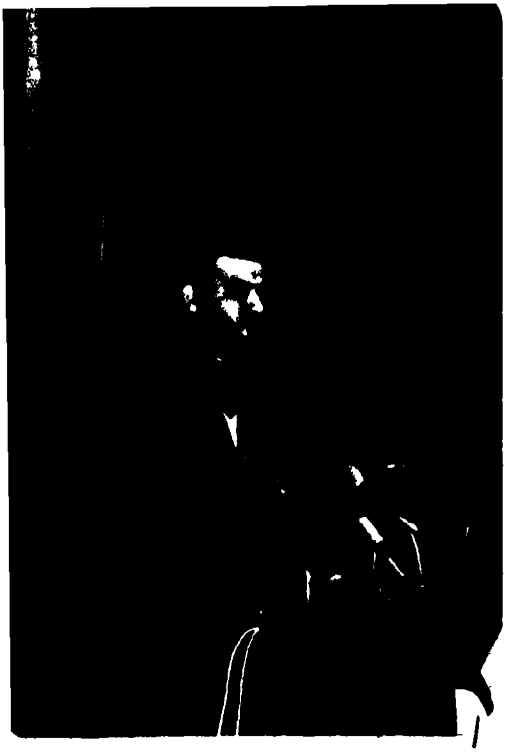
حجة الاسلام السيد جعفر مرتضى/ لبنان





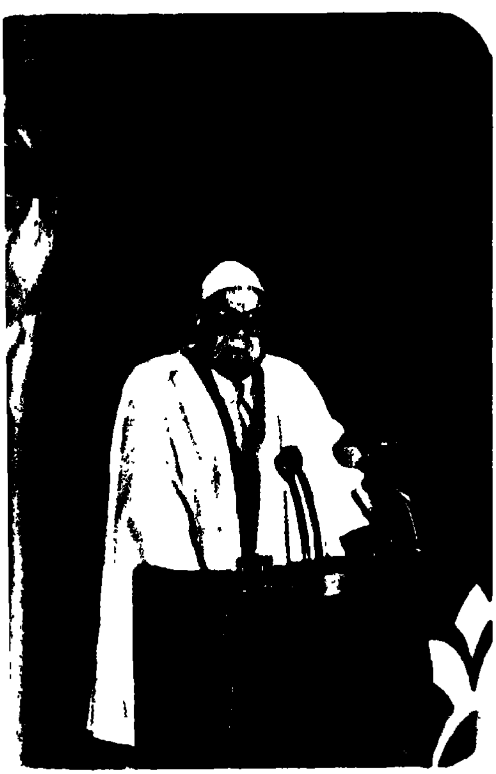


حجة الاسلام والمسلمين محمد حسين فضل الله/
لبنان



السيد سليمي/ج. إ. إ







الدكتور محمد جواد السهلاني/ ح. إ. إ



الدكتور ابراهيم سلقيني/ سوريا





الدكتور البخاري حمانة/ الجزائر



الشيخ نيك عبدالعزيز/ ماليزيا



الشيخ التيجاني نياس/ السنغال



الشيخ عبدالله ناصر/ كنيا



تعنى بالفكر الإسلامي المعمّق،

والكلمة الهادفة الصادقة،

وكل مايهمّ الأمة من رؤىً وسلوك بناء.

وتفتح صدرها؛

لكل المفكرين الإسلاميين،

خدمةً لقضية التوحيد الكبرى،

وتركيزاً لخصائص الأمة الاسلامية الواحدة،

ونشراً لأضواء الثورة الاسلامية في كل أرجاء الوجود.

بعيداً عن؛

كل تعصب ذميم،

وتفريق بين المسلمين لاتحمد عقباه،

ولغوٍمن القولِ لا طائل تحته

التوحيد

مجلـــة

اسلاميــة ــ فكريــة ــ جامعــة

تصدر كل شهرين مرة

العدد العاشر ــ السنة الثانية ــ رمضان، شوال ١٤٠٤ هـ.ق

الثمـــن

يران ١٠٠ ريـال ■ لـبـنـان ٣٠٠ قـرش

سوريا ٣٠٠ قـرش ■ الاردن ٣٠٠ فـلـس

كويت ٣٠٠ فـلـس ■ عمان ٤٠٠ فلس

بحرين ٤٠٠ فلس ■ الامارات ٦ دراهم

سعودية ٦ ريالات ■ قطر ٦ ريالات

مصر ٣٠٠ مليم ■ ليبيا ٤٠٠ درهم

سودان ٣٠٠ مليم ■ الجزائر ٤ دنانير

مغرب ٤ دراهم،

في باقي دول آسيا وافريقيا وفي امريكا واستراليا

طريقة الاشتراك

■ تسدد قيمة الاشتراك في بانک ملی شعبه خشايار على رقم الحساب التالي (٩٠٠٢٥) سازمان تبليغات اسلامى ــ مطبوعات خارجي

■ يرجى ارسال الحوالات الى ادارة المجلة.

ادارة المجلة

الجمهورية الاسلامية في ايران ــ طهران

خيابان ايرانشهر شمالي ــ كوچه هما

پلاک ٢ ــ تلفون: ٨٢٥٠٢٢ ــ ٥

التوحيد

● مجلة اسلامية ـ فكرية ـ جامعة

العدد العاشر السنة الثانية

محتويات العدد

• يصدرها :

قسم العلاقات الدولية في منظمه الاعلام الاسلامي

• تصدر كل شهرين مرة

رمضان، شوال ١٤٠٤ هـ.ق

بسم الله الرحمن الرحيم

يوم القدس :

ضمن خطط الثورة الإسلامية المباركة لتحسيس الأمة الاسلامية بالقضية الفلسطينية، وتجميعها حول المحور العقائدي لتبدأ زخمها المقدس، أعلن الإمام الخميني القائد، آخر جمعة من رمضان يوماً للقدس.

فاستجابت لذلك الجماهير الاسلامية، وأرتجفت لهذا الاعلان صهيون وعملاء صهيون وحلفاء صهيون ممن يعلمون مغزى هذا الإعلان الثوري العظيم..

ورغم أن الإستكبار العالمي قد سخر كل ما لديه ولدى عملائه من طاقات ضخمة لكبت الصوت الهادر والقضاء على كل شرارة منطلقة هنا و هناك ، فإنّ يوم القدس راح يشكل ظاهرة حماس ثوري في القلوب، وعافية إسلامية تدب في العروق الشابة، فتدفعها الى السبيل السوي، حمماً متفجرة ضد الطغاة و المتاجرين بقضية إسلامية، يحوطونها ما درت معايشهم، ويعلنونها ما ثبتت عروشهم، فإذا ما محصوا وجدّ الجد، نكصوا كالشياه الفارة، وسلموا للعدو كل مقدسات المسلمين... وتمضي مدة من الزمن تتحول الهزيمة فيه الى نصر واكليل من العظمة.. فإذا بالعملاء الأذلة، قادة مخلصين، يحملون همّ القضية، ويدافعون عنها في كل محفل، وتتكرر المأساة الخبيثة!!

القدس جزء من قضيتنا الكبرى :

إن القدس، ليست لوحدها قضية رغم أهميتها الكبيرة، وإنما هي جزء من قضيتنا

الإسلامية الكبرى، قضية الصراع مع الإستكبار والجاهلية بشتى صورها وأشكالها عبر التاريخ الممتد. أما الذي ميّزها فهو خصائصها الفريدة، ذلك أنها مهد الديانات التوحيدية، فقد بعثوا على أرضها أو حواليها، وقدّستها كل الأديان على الإطلاق، و شدّت اليها القلوب ــ مما جعلها مركزاً توحيدياً هاماً.

إلاّ أن التعصب المقيت، و المطامع الشخصية التي تحوّلت الى مطامع دولية، والتآمر على الدين والإنسانية جميعاً بإسمها، هذه الأمور قد حولتها الى مركز لصراع الحق ضد الباطل، صراع الدين الحق ضد الأديان المحرّفة، وصراع الفئة المسلمة عبر التاريخ ضد الفئة الصادة عن الحق.

انها إذن رمز لقضية كبرى لا كل القضية، و مع هذا فالرمز له أهميته، انه المعلم الذي يجب أن يصان، وانه العلم الذي يجب أن يبقى مرفرفاً. أما والعلم تحت أقدام الصهاينة: ممثلي الجاهلية التاريخية، فالعار والويل لمن لا تحركهم هذه المأساة.

التخطيط الانكليزي الخبيث:

ولقد وجد الإستعمار الانكليزي وكان في طليعة الاستكبار العالمي آنذاك أنه يستطيع أن يدق اسفينه الحاقد في صدر الأمّة الإسلامية من خلال وعد بلفور المشؤوم لليهود، بتكوين وطن قومي لهم في فلسطين، مخططاً لتجميع ١٥ مليون صهيوني حاقد على البشرية، ومعاد لكل مظهر من مظاهر الأمّة المسلمة، وتكوين الدولة اليهودية الحاقدة التي تمتد من الفرات الى النيل، وإغراق المنطقة بالتالي في بحر من الدم والدموع ليتسنى له أن يشبع أطماعه الوحشية الخبيثة، ويقضي على هذا المعلم التوحيدي التاريخي العريق.

وقد تسنّى له أن يفعل ذلك .. وراح الحكام العملاء يندبون حظهم على الظاهر، ويشتمون الانكليز أكثر من ستين عاماً، حتى خدّروا الأمّة الى الحد الذي لا تتحرك معه مطلقاً عندما عقدت اسرائيل المعاهدة الاستراتيجية مع أمريكا، فتتعهد هذه الأخيرة بالدفاع عنها حتى النفس الأخير، و تحويل قروضها الى منح، و تخزينها بشتى أنواع السلاح وتطوير أسلحتها الفتاكة .. نعم لم يردّ هؤلاء العملاء بشيء، بل أعترفوا بها مكافأة، وراحوا يعانقون ممثليها بكل حرارة!!

وعلى أي حال؛ وقعت المأساة، وبدأت صور الخيانة تترى للقضاء على المقاومة الإسلامية بالأساليب المختلفة.

أنماط الخيانة:

وقد تنوّعت أنماط الخيانة حتى لم يعد يسعها جدول أو قائمة مفصلة، فهي تشمل: تحريك جيوش هزيلة بإسم مقاومة الصهيونية، مع التأكد من أنها سوف لن تلتحم مع العدو الصهيوني مطلقاً،

وملء الآذان والإذاعات بالصراخ والعويل والقصائد والأناشيد، مع تفريغ القلوب من الأمل والحماس، .

وتخزين المنطقة بالسلاح الذي تبذل في سبيله الأموال والكرامات، فإذا حان الحين انهدم السلاح في سويعات، وطفت المرارة،

والعمل على تضييق الأزمة، والإنتقال بها من قضية إسلامية الى قضية علمانية أوقضية عربية، الى قضية إقليمية (شرق أوسطية) ومنها الى قضية (دول المواجهة) ومن ثم الى قضية فلسطينية بحتة، وأخيراً الى قضية (أراض محتلة)، و بالتالي الى قضية دولة مسالمة تريد لها حدوداً آمنة معترف بها دولياً، وقدتم الاعتراف الرسمي في فاس. فماذا بعد أيها المسلمون؟!! وأمير المؤمنين!! فهد يعترف بذلك!!

وعلى نفس النمط كانت المواقف العميلة تنهزم الواحدة بعد الأخرى، فمن رفض قرار التقسيم، الى إعلان الحدود الآمنة لإسرائيل، يمتد خط لئيم مترع بكؤوس المرارة، وخطوات الهزيمة رغم ألوية (اللاءات) الخادعة.

وعلى صعيد الساحة الجماهيرية، وجدنا التدرج يبدأ بالأمة المسلمة، فيبعدها عن القضية، ثم يعرج على الأمة العربية فيتبعها، ويقعدها عن جهادها، وأخيراً يصل الى قمة المؤامرة، حينما يسير بعض القادة الفلسطينيين الى اللعبة الإستكبارية فيجلسون مع قاتليهم وأعدائهم على مائدة واحدة.

أما القدس، وقضيتها فتسلم بيد ملك قزم عميل، كل همّه أن يفتح السبل للحكام، فيتجهوا لتقديم صنوف الطاعة المذلة للعدو الصهيوني اللئيم.

وتحدث المعجزة :

في هذه الأجواء الملبدة بغيوم الخيانة، انطلقت الثورة الإسلامية الكبرى ضد أكبر قلعة من قلاع الإستكبار العالمي، وآستطاعت أن تدكها دكاً، معلنة أنها ستعمل جهدها في سبيل تحرير القدس من براثن الصهيونية الحاقدة على البشرية، كخطوة على طريق إنقاذ العالم من الجاهلية.

وراحت الخطوات تترى الواحدة بعد الأخرى،

فتحولت السفارة الاسرائيلية بطهران الى سفارة فلسطينية، وقطع النفط عن اسرائيل وحليفاتها، وراحت المصالح الإستعمارية تتعرض لضربات قاصمة الواحدة تلو الأخرى، وآتسعت عملية التوعية الإسلامية لتشمل كل الجماهير وتجمعها على الحق، وأخيراً أعلن عن تشكيل جيش العشرين مليوناً ليكون نواة الزحف الاسلامي المقدس.

ورغم تكالب القوى الإستكبارية، وتمهيد العملاء، وتنوع أساليب المحاصرة، نجد الثورة الاسلامية عملاقة في مسيرتها،

مصممة على أن تفضح التآمر و تهزم فصائل الكفر المتجمعة، وتزحف لتحقيق الهدف المقدس... فالقدس اليوم في ضمير كل ثائر، نار متأججة، و وخز دائم، لايفتر ولايني، يرجه ويدفعه للعمل على انقاذ الأرض المقدسة من أنياب الاستكبار العالمي الكافر.

ماذا يعني يوم القدس؟

بعد كل هذا، ماذا يعني يوم القدس الذي أعلنه الإمام القائد في آخر جمعة من شهر رمضان المبارك ؟

انــه باختصار:

يعني يوم تأجج الحماس الاسلامي، ونراص التعبئة الجماهيرية، وتصحيح اتجاه المسيرة الزاحفة، وفضيحة قوى الكفر والعمالة، وتمييز المنافقين عن الصادقين،

وانه يوم أسلمة القضية وانطلاقها الى السوح الحقيقية لها، وانه يوم نفي الأطروحات الخبيثة المتتالية:

مشروع كمب ديفيد، و مشروع فهد العميل، ومشروع الملك حسين الخياني، و مشروع بورقيبة، و مشروع ريغان ،والمشروع العلماني الخائن للقضية الفلسطينية، وأخيراً مشروع الخيانة في فاس، وهكذا كل المشاريع المستقبلية السائرة على هذا الغرار.

وانه يوم نقل القضية من حوزة الحكام الى ساحة الجماهير المؤمنة التي استمعت لنداء إمامها العظيم، فراحت تتعبأ وتتسلح انتظاراً لليوم الموعود.

وأخيــراً ؛

فاننا لنحذر الأمة الإسلامية من حلقة لئيمة من حلقات التآمر الحاقد بتركيز الاحتلال للقدس من خلال دفع الدول لتنقل سفارتها وممثلياتها الى هذه المدينة الطاهرة... كما نحذر كل أولئك العملاء الذين يحاولون خداع الأمة ببعض المواقف الجزئية الظاهرية في نفس الوقت الذي يمدون فيه يداً ملطخة بالعار لمصافحة العدو ومن يقف خلفه.

نحذر هؤلاء جميعاً من غضبة جماهيرنا المسلمة ونفاذ صبرها معهم.

وان يوم الزحف المقدس لقريب قريب إن شاء الله ●

تفسير



إحساساً بضرورة وجود تفسير للقرآن الكريم، يحمل عناصر الايجاز والعمق والوضوح، بالاضافة الى طرح البعد الاجتماعي للمفاهيم القرآنية، فقد قام كل من الشيخ محمدعلي التسخيري والشيخ محمد سعيد النعماني بهذه المهمة التي نسأل الله تعالىٰ التوفيق لاكمالها.

وينبغي للقراء الأعزة ان يلاحظوا انه روعيت في هذا التفسير العناصر التالية؛

١ ـ الايجاز الى الحد الممكن مما يجعل كل صفحة من القرآن الكريم تقابلها صفحتان من التفسير تقريباً.

٢ ـ طرح الأبعاد المختلفة للمدلول القرآني ومنها البعد الاجتماعي الاصيل.

٣ ـ طرح التفسير وفق مختلف الآراء مهما امكن مع التركيز على المروي عن اهل البيت(ع).

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ...: تخويف لمن يوالون الكافرين بمشاهد القيامة حيث يلقى الناس أعمالهم الخيّرة ماثلة أمامهم بكل عطائها ونورها في حين يودّون أن يكون بينهم و بين أعمالهم السيئة فاصل زمني بعيد، ثم يتكرر التحذير لتشديد النكير على من يوالون الكافرين و ذلك رأفةً بهم ولئلا يبتلوا بعواقب هذا الولاء الوخيمة.

قُلْ إِنْ كُنتم...: ادّعى بعض أهل الكتاب، أو بعض المسلمين غير العاملين أنهم يحبون الله فجاءت الآية تؤكد حقيقة ان الحب الصادق هو الذي يتبعه العمل بشوق بكل مايريده المحبوب وخصوصاً إذا كان هو الكامل المطلق ــ تعالى ــ قال الصادق(ع): **«ما أحبَّ اللّه مَنْ عصاه»** ولايصدق العبد في دعواه حب الله إلاّ إذا اتّبع الإسلام ورسوله الأمين كي يضمن حب الله وغفرانه. وتتكلل علاقات الحب بين الخالق والمخلوق، والمخلوقين أنفسهم حقيقة هي من أهم حقائق التصور الاسلامي وقد قال رسول الله(ص): **«وهل الدين إلا الحب والبغض في الله»** و بعد هذا لايبقى مجال لا تّهامات المستشرقين بأنّ الاسلام يقوم على الحروب والقهر والحقد!.

قُلْ أطيعُوا اللّهَ...: ترشد الآية الى حكم العقل والفطرة بلزوم إطاعة الله تعالى الخالق الرازق الهادي. وانما تتم طاعة الله بطاعة رسوله الكريم. فإذا تولى أحد وأعرض وكفر فإن الله لايحب الكافرين.

إنّ اللّه اصطفى...: اختار الله تعالى صفوة من البشرية بمقتضى علمه بكفاءتها واخلاصها فجعلها منار الهدى ومحور المسيرة نحو الكمال، وكان أولها آدم(ع) ثم نوح ثم باقي الأنبياء المعصومين من آل ابراهيم(ع) ومنهم أفضل الأنبياء محمد(ص)، وكذلك من آل عمران. والظاهر انه والد مريم(ع)... فكانوا جميعاً ذرية ونسلاً متشابهاً في السير على الحق وحمل مشعل الهداية الى الله، وهو تعالى محيط بهم يرعى تحركاتهم عبر التاريخ.

إذْ قالت إمرأة عِمران...: يعرض القرآن هنا إحدى قصص النسوة العامرة بالإيمان والتسليم، وهي قصة عيسى بن مريم(ع) ليؤكد بشريته وعناية الله به واخلاص اسرته واسلا[مها] لله. فقد نذرت امرأة عمران (أمّ مريم) باخلاص وانقطاع ا[لى الله] أن تجعل ما في بطنها من حمل محرراً من كل قيد وعبودية [لغير الله] ليوقف حياته في خدمة (بيت المقدس) والعبادة فيه و [القيام ب]مهامه. وراحت تسأله تعالى ــ بدعاء المؤمن الخاشع ــ أن ي[تقبل] منها نذرها وهو السميع بدعائها العليم بحالها واخلاصها.

فلمّا وضعتها...: وعندما وضعت حملها وتبين أنه[ا أنثى] صارت في حيرة من أمر نذرها إذ لا تصلح الانثى للخدمة الد[ائمة في] المعبد عادة، فلجأت امرأة عمران مرة أخرى الى ربها تخبر[ه] حالها ــ والله أعلم بها وبحالها وبما سيستطره هذه المولود[ة] مستقبل وأنها أسمتها ــ مريم ــ أي المرأة العابدة في [...] و تضرعت اليه تعالى أن يصونها برعايته و يعيذها هي وذر[يتها به] تعالى من الشيطان واغواءاته.

يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ
مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ
نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ
فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ
﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ
عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ
عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ
مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾
فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ
وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ
وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ

فتقبّلها ربّها...: واستجاب الله الرحيم لدعاء أمّ مريم، وتقبل مريم بقبول حسن بأن تكون محررة خالصة لعبادته في بيت المقدس، وأنبتها وربّاها تربية حسنة فكانت طاهرة عابدة عاملة، وأوكل كفالتها الى النبي زكريا بعد أن وقعت عليه القرعة الآتي ذكرها، وقد رأى فيها زكريا مثالاً للمرأة العابدة المؤيدة من الله، فكلّما دخل عليها محراب عبادتها وجد عندها طعاماً ـــ يبدو أنه من طعام الجنة ـــ وحين سألها عن مصدره أجابته جواب المؤمنة العارفة الواعية: انه من عند الله الذي يرزق من يشاء بغير حساب.

هُنالِكَ دعا...: وقد كان لهذا الموقف الحسّي الرائع أثره البالغ في إنعاش الأمل عند زكريا الذي دعا الله تعالى أن يهب له ذرية طيبة صالحة لها. ما لمريم من الكرامة والفضل، اشباعاً لحسه الأبوي وهدفه الكبير، وقد حقق الله أمنيته، فبشرته الملائكة في المحراب أيضاً ـــ حيث كان يقوم مصلياً عابداً لله ـــ بولد إسمه يحيى، من صفاته: أنه يصدّق بكلمة من الله، والمراد بذلك عيسى (ع) حيث ولد بأمر تكويني خارق، وانه سيد في نفسه وفي قومه بصفاته العالية، وانه حصور (يحصر نفسه عن الشهوات ويترفع عن التذلل لها زهداً بها) وأخيراًفهومن أنبياء الله ومن الصالحين العاملين في سبيل الله.

قالَ رَبِّ أنّى...: وهنا تدرك زكريا طبيعته البشرية متسائلاً عن هذه المفاجأة المدهشة فكيف يولد له ولد وهو شيخٌ طاعنٌ في السنّ، وامرأته عاقرٌ عقيم؟! ولكنّ الخطاب الإلهي يذكره بطلاقة المشيئة الإلهية من كل قيدٍ أو سُنّة طبيعية مألوفة.

قالَ ربِّ اجعل...: وكما سأل ابراهيم ربه أن يريه كيف يحيي الموتى حساً ليطمئن قلبه، سأله زكريا كذلك بأن يريه آية حسّية يطمئن بها مع ايمانه بقدرة الله المطلقة، فتستجيب رحمة الله للانسان حين يعطى زكريا آية يسكن اليها، وهي أن يحتبس لسانه عن التكلم مع الناس ولكنه ينطلق بذكر الله وحده وتسبيحه بالعشيّ (أواخر النهار) والأبكار (أوائله).

وإذْ قالتِ الملائكة...: تكريم إلهي آخر لمريم العابدة المخلصة إذ تُبشرها الملائكة باصطفائها واختيارها من الله تعالى حين تقبلها محررة له، وقبل عبادتها في بيته، وتطهيرها من الكفر والدنس والآثام، وربما من عادات النساء لتصلح للعبادة في المسجد دائماً، وتقديمها على نساء العالمين، واكرامها بولادة المسيح عيسى (ع) منها دون أن تتزوج ويمسّها بشر، ولا يمنع هذا من أن تكون فاطمة بنت محمد (ص) سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين ـــ كما جاءت الروايات ـــ ذلك ان تقديم مريم كان من جهة واحدة هي اختصاصها بولادة عيسى من دون أب، في حين تقدمت فاطمة من كل الجهات وعلى الإطلاق.

يامريم اُقنتي...: تحمل الملائكة أوامر الله لمريم بالقنوت، أي الخشوع والخضوع في محراب العظمة الإلهية، والسجود والركوع مع قوافل الراكعين العابدين لله تعالى، وكل ذلك شكراً لله على اكرامها وتمهيداً لتلقي نعمة الله وتكريمه لها بابنها المسيح (ع)

حَسَنًا وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا
زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا
قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧)
هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً
طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨) فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ
يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ
وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (٣٩) قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ
يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ
يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (٤٠) قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ
النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ
بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (٤١) وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ
اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢)
يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣) ذَٰلِكَ

ذٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ...: يذكر القرآن ــ بهذا العرض الطاهر ــ بنسبه السماوي وتنزهه عن خرافات أهل الكتاب، وان النبي(ص) لم يكن حاضراً ولكنه يخبر عن دقائق الأحداث وهنا نشهد الاختصام حول كفالة مريم التي جاءت بها أمّها الى بيت المقدس حيث ينتهي الى الإقتراع بالأقلام أو السهام المبرية يلقونها في النهر ــ كما روي ــ فأيّهم لم يجرف التيار قلمه أو لم يرسب فهو الكافل، وقد كان ذلك زكريا النبي والقريب لمريم.

إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ...: حملت الملائكة الى مريم ــ بعد ذلك ــ بشارة الله بولادة ابنها «عيسى» الذي تتجلّى فيه كلمة الله إمّا تكويناً «كن» لأنه سيخلق من غير أب، أو لأنه يحمل رسالة الله للناس، أو لانطباق كلام الله المبشر به في الكتب السابقة عليه. وأخبرتها الملائكة بأنه سيكون ذا مقام جليل وفي طليعة الناس في الدنيا والآخرة، ومن المقربين الى الله تعالى، وانه سيكلّم الناس وهو في مهده، ويعيش حياة الصالحين، حتى يصبح رجلاً كهلاً يحمل رسالة الله الى بني اسرائيل.

قَالَتْ رَبِّ...: وتذهل مريم لهذا الخبر وهي التي لم يمسسها إنسان فتتساءل عن كيفية ذلك ليذكرها الوحي بأن الله يخلق مايشاء ولايحد قدرته شيء فاذا أراد أمراً وقع الأمر (كن فيكون) وبهذا يُفنّدُ القرآن مزاعم بعض أهل الكتاب بالتأكيد على أن المسيح خلق بقدرته و مشيئته، وان مريم هي المرأة البتول الطاهرة.

وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ...: ان المسيح عبدٌ لله يعلمه الكتاب والشريعة وأساليب التفهم والحكمة قولاً وعملاً والتوراة والإنجيل. واذْ يعدّه للقيادة يبعثه رسولاً الى بني اسرائيل يحمل معه آية إلهية معجزة تثبت صدقه فكان يصنع طيراً طينياً ثم ينفخ فيه فيكون طيراً حياً بإذن الله، و يبرئ الأكمه (وهو من يعشو في الليل أو من ولد أعمى) والأبرص، بل ويحيي الموتى بإذن الله تأكيداً على عدم استقلاليته في ذلك ولإقامة المعجزة وتحدي قومه بأرقى فنون عصرهم وهو الطب.

ومن المعاجز التي جاء بها اخبارهم عن أمور حياتية خاصة كالأكل والخزن وفي كل ذلك آية وعلامة على صدقه ان ك مستعدين لقبول الحق.

وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ.... بعث عيسى نبياً الى بني اسرا ليكمل رسالة موسى (ع) وذلك بالعمل بشريعة التوراة الاحتما مع رفع لبعض التضييقات التي فرضت على بني اسرائيل عق وبشكل مؤقت بالاضافة لمجيئه بالطاقات الروحية الضرو لعلاج النفسية اليهودية التي طال عليها الأمد فقست وعرفت المادة والحس. إلاّ أنّ العداء اليهودي للمسيح أفقد كلاً المسيحية واليهودية المنفصلتين قدرتها على القيام بالمهمة المشت وهي إيصال البشرية الى حيث تصبح ناضجة قابلة لحمل الر الاسلامية الخالدة التي هي وريثة كل الرسالات والجهود الـ عليها والتي تستوعب مختلف الشؤون الحياتية بنظام كامل خالد

مِنْ أَنبَآءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ
أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾
إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ
الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ
﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾
قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ
يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾
وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا
إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم
مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ
الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ
وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ
﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي

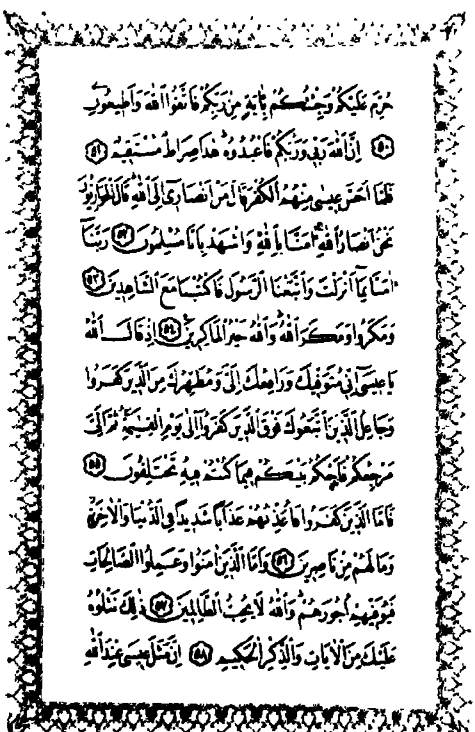
إنّ اللّه ربّي وربُّكم...: بعد أن طلب عيسى من بني اسرائيل العمل بتقوى الله ورفع اليد عن عنادهم، واطاعته هو بما يبلغه عنه تعالى، أكد الحقيقة التي جاء بها كلُّ الأنبياء وشوهها أتباعه بعد ذلك، وهي حقيقة التوحيد في الربوبية والتي تعني التوحيد في العبادة أيضاً وتسليم الأمر الى الله والسير على صراطه المستقيم الموصل ــ دون غيره ــ الى الكمال.

فلمّا أحسَّ عيسى...: وعندما شعر عيسى بكفر بني اسرائيل وعنادهم راح يطلب النخبة المختارة من الأنصار لرسالة الله لينهضوا معه في تبليغها ونشرها وليحملوها من بعده الى الآخرين، فاستجاب الحواريون لدعوته وهم الذين اختصوا بعيسى وتميزوا بالإخلاص الذي تجلّى في إعلانهم عن الاستعداد لحمل الرسالة ونصرتها بعد إيمانهم بالله وتسليمهم له في كلّ شؤونهم، ثم توجهوا إلى الله تعالى يؤكدون إيمانهم بكتبه تعالى واتباعهم لرسوله و يطلبون منه أن يكتبهم مع الشاهدين قولاً وعملاً لنبيهم عيسى على تبليغه لرسالته واخلاصه لها، وعلى الأمة التي كفرت وجحدت آيات الله وكذّبت أنبياءه.

وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللّه...: المكر هو التدبير، وقد مكر اليهود بعيسى (ع) فدبروا قتله بالوشاية الى الحاكم الروماني، ولكن الله فاجأهم بمكره وتدبيره (بإبطال مكرهم) فاذا هو هباء، واضافة المكر الى الله تعالى إنما هو للمشاكلة والمطابقة البلاغية.

إذْ قالَ اللّه يا عيسى...: وكان ابطال مكر اليهود بوعد الله لنبيه عيسى (ع) بأن يتوفاه (يأخذه لا أن يميته) و يرفعه اليه، وان ينزهه من أرجاس بني اسرائيل الذين كفروا بآيات الله، كما وعده بأن يجعل أتباعه الحقيقيين فوق اليهود الكافرين بأنعمه، وأتباعه هم: المسلمون تسليماً كاملاً لله في مقاييس الله، وفي حياتهم المطمئنة اعلى من اليهود الحاقدين القلقين والاذلاء الى يوم القيامة، أو هم الذين يؤمنون بنبوة عيسى وهم المسيحيون والمسلمون. وفي يوم القيامة حيث يرجع الجميع الى الله تعالى سيكون الحساب الحق وتنكشف الحقائق، فيعذب الكافرون عذاباً شديداً في نار جهنم، بعد تعذيبهم بالذل والهوان والإنحطاط في الدنيا، في حين يجزي الله المؤمنين العاملين بالرسالة المصحح لأحلها و يوفيهم احورهم و يتممها عليهم، بعد سعادة دنيوية واطمئنان قلبي إذ كانوا موضع حب الله ورحمته، اما الظالمون فقد حرموا من عطاء هذا الحب الإلهي العظيم.

ذٰلِكَ نَتلُوهُ عَلَيكَ....: كل ما سبق من حديث عن القصص النبوية إنما هو آيات كريمة وقرآن حكيم تلاه الله تعالى على رسوله محمد (ص) وأوحاه اليه ليبيّن الحقيقة التي شوهتها خرافات أهل الكتاب وأباطيلهم التي نسجوها حول أنبياء الله الصالحين المقربين.


حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ
﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾
فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ
نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَا
آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾
وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ
يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ
مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾
فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ
عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ

إنّ مَثلُ عيسىٰ...: اعتقد النصارى بألوهية عيسى أو كونه إبناً لله لأنه ولد من غير أب فاحتج القرآن عليهم بآدم(ع) ــ وهم لايدعون له ما يدعونه لعيسى (ع) ــ وقد خلقه الله من تراب وأراد له أن يكون فكان، وأمره أعجب من أمر عيسى (ع) الذي خلقه الله بإرادته من غير أب.

الحقُّ من ربِّكَ ...: ان الله يهدي البشرية للحقيقة في التصور والعمل فلاينبغي أن يشك المسلم في ذلك أو يصغي الى خرافات أهل الكتاب.

فمن حاجّك...: نزلت هذه الآيات عندما وفد نصارى نجران لمحاجّة النبي(ص) في شأن رسالته، ولما أصرّ هذا الوفد على جداله رغم كل الحجج الواضحة طلب القرآن من النبي(ص) أن يباهلهم (يلاعنهم) كحلٍ أخير للموقف، وذلك بأن يدعو الطرفان (النبي والوفد) أشخاصاً يمثلون أنفسهم ونساءهم وأولادهم ثم يطلبوا من الله تعالى أن يصبّ اللعنة والعذاب على الطرف الكاذب في دعواه. وهنا جاءت الروايات الكثيرة الصحيحة لتؤكد على أنه(ص) لم يخرج معه للمباهلة سوى أهل بيته الّذين أذهبَ الله عنهم الرِّجسَ وطهرهم تطهيراً، وهم علي كمعبِّر عن نفس النبي وفاطمة(ع) كأعلى نموذج طاهر لنساء المسلمين والحسن والحسين(ع) كأسمى مثال لأبناء الأمة. ومذ أبصر النصارى رسول الله ومعه أعز الناس عليه يقدمهم و يباهل بهم أحسّوا بالخذلان وتراجعوا عن تصميمهم معترفين بهزيمتهم ومتأكدين من ثقة النبي وصدق دعواه ومصالحين على إعطائه الجزية. وقد أورد القصة كبار المفسرين والمؤرخين والمحدثين كمسلم والترمذي والطبري والزمخشري والدارقطني والرازي والبيهقي والحاكم وأحمد والبغوي وغيرهم مما يقطع شكوك المشككين. وفي الآية أعظم الفضائل لأهل البيت عليهم السلام.

انّ هذا لَهوَ القَصص...: هذه هي الحقيقة في قصة عيسى(ع) فلم يكن إلاّ عبداً مخلصاً، اما الألوهية فهي لله ــ وحده ــ ذي العزّة المطلقة والحكمة التامة فليتقدم الرسول ــ إذن ــ للمباهلة فان أعرضوا عن الحق فالله عليم بفسادهم وسيجازيهم على ذلك.

قُلْ يا أهلَ...: تركيز على العنصر المشترك بين المؤمنين بالله جميعاً ودعوة الى التوحيد الخالص من كلّ شائبة وخرافة ــ أدخلت على الدين ــ انه التوحيد في الذات فلاشريك ولانظير ولاكفء له ــ تعالى ــ وفي العبادة فلايتخذ الانسان له أرباباً من الأنبياء أو الأحبار أو الطغاة أو غير ذلك فيطيع هذه الآلهة الوهمية من دونه تعالى. اما إذا أعرض أهل الكتاب وتولوا عن هذه الدعوة فليشهدوا إذن أنّ الرسول الكريم وأتباعه هم المسلمون حقاً لله الواحد.

يا أهلَ الكتاب...: لما كان ابراهيم(ع) موضع قبول للجميع فقد حاول كل من اليهود والنصارى اضفاء طابعهم الخاص عليه فردّ عليهم القرآن بأن ذلك مجرد جهل وعناد بعد معرفة حقيقة نزول التوراة والإنجيل بعده.

ها أنتم هؤلاءِ...: إذا جاز لليهود والنصارى أن يجادلوا بعضهم في ما يعلمونه من نبوة عيسى وعدم الوهيته أو ما جاء في كتبهم فليس من الجائز منطقياً أن يجادلوا فيما يجهلونه من حقيقة دعوة ابراهيم(ع) التي يعلم الله أنها لم تكن ملوثة بتحريفات أهل الكتاب والمشركين بل كانت حنيفية مسلمة لله خالصةً له في العبادة والطاعة.

كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٥٩) الْحَقُّ مِن
رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ (٦٠) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ
مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ
وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (٦١)
إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ (٦٢) فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ (٦٣) قُلْ يَا أَهْلَ
الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ
وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ
فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ
فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ
(٦٥) هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ
فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٦٦) مَا كَانَ
إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ

إنّ أولى النّاس...: ان رابطة العقيدة ــ دون غيرها من روابط الأرضية ــ هي الرابطة الحقيقية بين البشر، ولذا كان أولى الناس وأقربهم الى ابراهيم(ع) هم أتباعه الذين ساروا على منهجه، وهذا النبي محمد(ص) ومن آمنوا به لأنهم حملوا راية التوحيد الخالص والتسليم الصحيح لأوامر الله وراحوا في مسيرة تكاملية واعية يرعاها الله تعالى ــ عبر التاريخ ــ، قال أمير المؤمنين علي(ع): «إن أولى الناس بالأنبياء أعلمهم بما جاؤوا به». ثم تلا هذه الآية، وقال أيضاً: «ان ولي محمد من أطاع الله وان بعدت لحمته، وان عدو محمد من عصى الله وان قربت لحمته».

ودّتْ طائفةٌ من...: كان بعض أهل الكتاب يعملون على اضلال المسلمين ــ كما يعمل ابناؤهم اليوم ــ وتشكيكهم في معتقداتهم وهم لايشعرون انهم بهذا يهدمون البشرية الصالحة وهديها السامي مما يعود عليهم هم بالوبال والخسران.

يا أهل الكِتاب لِمَ...: تنديد بتعصب أهل الكتاب وكشف لموقفهم من آيات الله ونبوة النبي(ص) إذ يكفرون بها رغم شهادة كتبهم وكل الدلائل على حقيقتها لكنهم يلبسون (يخلطون) الحق بالباطل ليشوهوا الحقيقة و ينثروا التشكيك حولها وبالتالي هم يكتمون الحقّ رغم علمهم به ولكنها المصالح الدنيوية والإستغلال لبساطة الناس.

وقالت طائفةٌ من...: ومن محاولاتهم الماكرة، دسُّهم بعض أتباعهم ليدخلوا في عداد المؤمنين في مطلع النهار ثم ليعودوا كفاراً في آخر النهار باعثين بذلك البلبلة والتشكيك بين بعض المسلمين الذين لم يتعمق الإسلام في نفوسهم.

ولا تؤمنوا إلاّ لِمَنْ...: يتواصى أهل الكتاب أن لايؤمنوا (لايثقوا) إلاّ بمن هو على دينهم عند حديثهم عن ما جاء في الكتاب، وهم يظنون ان ما جاء فيه من الهدى يمكن إخفاؤه عن المسلمين فلاينتفعون به أو يحتجون به عندالله وما هذه إلاّ خيالات وسخف إذ الهدى الحقيقي من الله تعالى يفيضه على أوليائه المؤمنين وتتفضل على من يشاء بأسوة بمقتضى رحمته وحكمته ونعمه اللامحدود، وهو ذوالفضل العظيم.

ومن أهلِ الكِتاب...: بيان واقعي منصف لحال أهل الكتاب حيث ان منهم الأمين على أموال الآخرين مهما كثرت ــ والقنطار هو المال الكثير ــ كما ان فيهم من إذا اؤتمن على مبلغ زهيد كدينار لم يرع الأمانة واستحل أكل الدينار بالباطل.. إلاّ أن يقوم عليه صاحبه مطالباً وملحاً.

والأنكى من ذلك ان مثل هؤلاء الخونة يبررون تصرفهم اللاأخلاقي بأن الله لم يشرع عليهم سبيلاً (تبعة ودناً) جراء أي عمل يقومون به بالنسبة للأميين، و يقصدون بهم (العرب) أو الأمم الاخرى غير بني اسرائيل، ولذا فهم يستحلون أموالهم. وما هذه النسبة إلاّ كذب مفضوح يعلمون هم زيفه قبل غيرهم فإن الله لايأمر إلاّ بالعدل والإحسان والأمانة وأمثال ذلك مما يدرك حسنه الوجدان الانساني بنفسه.

مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا
النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّتْ طَائِفَةٌ
مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ
وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ
تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ
الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا
بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى
هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ
قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾
يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ وَمِنْ
أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ
إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ

عوامل النصر

العوامل المادية:

تقسم عوامل و شروط النصر الى نوعين: ن
مادي و نوع معنوي. فالعوامل المادية هي ال
العسكرية التي تتكامل بتطور التكنولوجيا وال
يستعمل نوع خاص منها في كل زمان، ولهذا فا
القوة المادية معرضة للتغير والتطور. والقرآن أب
لا يعتمد على نوع خاص منها، لكنه يؤكد ع
إعداد القوة بما ينطبق على أية قوة قتالية مستع
في أي زمان. وفي هذا يقول القرآن الكر
« وأعِدُّوا لهم ما استطعتم من قُوةٍ ومن ربا
الخيل... »

(الأنفال: ٠

يلاحظ هنا أن الآية اعتبرت بذل كُل
يمكن من جهد في اعداد القوة، أمراً لازماً، وع
هذا الأساس فمن الضروري والواجب على ج
المسلمين أن يقوموا بالإستعداد العسكري، وته
أدوات القتال لمواجهة الأعداء، ولهذا فالخطا
في هذه الآية موجه الى الناس، مع أن الآيا
السابقة واللاحقة تخاطب النبي (ص). وا
السرّ في ذلك هو وجوب إعداد القوة ــ من أ
الدفاع عن النفس أو عن الآخرين ــ على
فرد ولو بتعلم الفنون القتالية والتدر
العسكري. ثم تقول الآية **« ... تُرهبون به عدوَّ**
وعدوَّكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم
يعلمهم... »

ومفهوم هذه الجملة، عدم الإكتفاء بإعداد القوة لأجل الحرب مع الأعداء المعروفين والذين تقاتلونهم فعلاً، ولكن ينبغي أن تكونوا ــ دائماً ــ مستعدين من الناحية العسكرية لترهبوا الأعداء الواضحين في الميدان والأعداء الذين سوف يظهرون بعد ذلك وهم الآن يتظاهرون بالمحبة نفاقاً، ولكنه من الممكن أن تقع الحرب في المستقبل بينكم و بينهم.

وعلى أي حال؛ يجب أن تتوقعوا الإحتمالات الضرورية للدفاع والجهاد، فإنَّ الإستعداد العسكري ضروري لمواجهة العدو في كل آن.

ثم تقول الآية الكريمة :

«وما تنفقوا من شيءٍ في سبيل الله يُوفَّ اليكم وأنتم لا تُظلمون».

في هذه الجملة اشارة الى قضية أساسية، وهي أن كل خطوة في سبيل الله لايمكن أن تمحي، بل هي باقية وخالدة، و ترجع أخيراً الى الإنسان نفسه.

«ما عندكم ينفذ وما عند الله باق...».

وفي مجال الدفاع والجهاد، تعود نتيجة العمل الى الإنسان نفسه من جهتين: مادية و معنوية. اما من الجهة المعنوية، فالأمر واضح جداً، لأن الكمالات والآثار التي تظهر على النفس الإنسانية في ظل الفداء والجهاد في سبيل الله والنتائج التي تتجلى للإنسان بصورة نعم إلهية وجنة خالدة في عالم ما بعد الموت كما قال الإمام أمير المؤمنين (ع): **إنَّ الجهاد بابٌ من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه»** كل ذلك آثار معنوية ونفسية تعود على المجاهد نفسه:

«ومن جاهد فإنّما يجاهد لنفسه، إنَّ الله لغنيٌّ عن العالمين».

(العنكبوت: ٦)

المقصود في هذه الآية: إن نتيجة الجهاد تعود الى الإنسان نفسه، وان الإنسان المجاهد هو الذي يستفيد من عمله.

أما إذا درسنا النتيجة المادية للجهاد، فأننا نرى أن المجتمع الذي يوحد فيه الدفاع والجهاد، والأمة التي لا تتوانى عن بذل المال والنفس في سبيل عقيدتها و حفظ كيانها و شخصيتها الإجتماعية، هذه الأمة وذلك المجتمع يبقيان حيين راسخين ومحتفظين بشخصيتها واستقلالها المادي والمعنوي.

وعلى هذا الأساس فان الشخص الذي ينفق ماله أو وقته أو طاقته أو أي شيء آخر في سبيل الله ومن أجل الدفاع ضد الأعداء ، هذا الإنسان ينتفع من عمله في هذا العالم لأ نه فرد من هذا المجتمع والأمة التي يسعى من أجل حفظها و بقائها. ولو ضحى بنفسه في هذا السبيل، فإنه أيضاً سوف يتمتع بالحياة الخالدة بآثارها الرائعة ولايصيبه ضرر أو يلحقه ظلم في أي حال من الأحوال. وهذا معنى قوله تعالى:

«وما تُنفقوا من شيءٍ في سبيل الله يُوفَّ اليكم وأنتم لا تُظلمون» (توفية الشيء : بذله وافياً).

فيكون معنى الجملة: إن كل ما تنفقوا في سبيل الله، يعاد اليكم بصورة تامه وكاملة ولا تظلمون، أي أنكم إذا أنفقتم مالاً في سبيل الله، فأنكم تستفيدون من نتائجه وعوائده في هذا العالم، كما تتمتعون أيضاً بخفيفته الخالدة التي تتجسد بصورة أُخرى في عالم الآخرة، واذا خسرتم أرواحكم في سبيل الله فأنكم تحصلون على أرواح أقوى و بقيتم أعلى.

العوامل المعنويه:

أشار القرآن الكريم الى عوامل و شروط للنصر، ليست من صنف المعدات والأسباب المادية، ولكنها تحل بعدد من الخصائص والصفات الروحية والأخلاقية والتي من جملتها ما يلي:

١ ــ الثبات والإستقامة أمام العدو، وعدم الفرار من ميدان القتال.

٢ ــ ذكر الله.

٣ ــ طاعة الله والرسول، والإهتمام بمسألة القيادة والأ وامر العسكرية.

٤ ــ الإتحاد والتلاحم.

كل هذه الأمور ذكرتها سورة الأنفال في الآيتين (٤٥) و (٤٦).

«يا أيُّها الّذين آمنوا إذا لَقيتم فئةً فاثبتوا و آذكروا آللّه كثيراً لعلكم تُفلحون* وأطيعوا اللّه ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وآصبروا إنَّ الله مع الصابرين».

الثبات والإستقامة: يقصد بالثبات الذي أمرت به الآية الكريمة، عدم الفرار من العدو، أي إذا واجهتم فئة من الأعداء فاثبتوا واصمدوا أمامهم.تقول الآيتان١٥،١٦ من سورة الأنفال:

«يا أيُّها الّذين آمنوا إذا لقيتم الّذين كفروا زحفاً فلا تولُّوهم الأدبار* ومن يُولّهم يومئذٍ دُبُرَهُ إلاّ مُتحرِّفاً لقتالٍ أومُتحيِّزاً الى فئةٍ فقد باء بغضبٍ من الله ومأواه جهنم وبئس المصير».

كلمات الآية: زحفاً: قال في المجمع: الزحف هوالدنو قليلاً قليلاً، وأُطلق كذلك على المجموعة المحتشدة الكثيرةالعدد التي تهجم بشكل مفاجئ.

أدبار: جمع دبر، أي الخلف.

متحرفاً: التحرف هو انتقال المقاتل من موضع الى موضع، بحثاً عن موقع أفضل للقتال.

التحيز: هو أخذ المكان و المقصود هنا انتقال المقاتل من موقعه الفردي ليأخذ مكانه في المجموعة القتالية.

البوار: بمعنى الرجوع. ومعنى (باء بغضب) انه يعود وغضب الله معه.

وعلى ذلك يكون معنى الآيتين: عندما تواجهوا عدواً، وتقتربوا منه، لا تفروا، وتعطوه ظهوركم. ومن يهرب من العدو في حالة كهذه، فأنه يرجع مصحوباً بغضب الله ومكانه جهنم وبئس المصير، إلا أن يكون فراره وانفصاله من أجل اختيار مكان أفضل أو الإلتحاق بمجموعة قتالية أُخرى.

وبتعبير آخر، إذا كان الإنسحاب تكتيكياً فلا مانع منه، ولكنه اذا كان مصحوباً بالخوف والهرب من الموت فأنه يستحق غضب الله تعالى.

في هاتين الآيتين في نفس الوقت الذي يستهجن الفرار والإنسحاب أشد الاستهجان، فأنه يسمح بالإنسحابات التي تهدف الى تحسين الوضع القتالي واستخدام تكتيكات عسكرية أفضل. واستناداً الى هذا الآية، فأن الهروب من ميدان القتال يعتبر من الكبائر. ويجب الإنتباه الى أن هذه الآية لاتختص بحروب صدر الإسلام، ولكنها عامة وشاملة لكل زمان.

وقد وردت عن الأئمة عليهم السلام روايات كثيرة تدل على أن الفرار من الزحف، من الكبائر، منها رواية الكافي عن أمير المؤمنين(ع):

«ان من الرعب والخوف من جهاد المستخف للجهاد والمتوازرين على الضلال ضلال في الدين وسلب للدنيا مع الذل والصغار وفيه استيجاب النا

بالفرار من الزحف عند حضرة القتال. يقول الله عزوجل:

«يا أيُّـها الّـذينَ آمنوا إذا لقيتم الّـذين كفروا رحفاً فلا تُولُوهم الأدبار».

وفي الخطبة (١٢٤) من نهج البلاغة يقول عليه السلام:

(وَأيْمَ الله لئن فررتم من سيف العاجلة، لا تسلموا من سيف الآخرة. إنَّ في الفرار مَوْجِدةَ الله، والذلَّ اللازم، والعار الباقيَ. وانَّ الفارَّ لَغَيْرُ مَزيدٍ في عمره، ولا محجوزٍ بَيْنَهُ وبين يومه».

وفي الخطبة (١١) من نهج البلاغة في كلامه مخاطباً محمد بن الحنفية يوم الجمل عندما أعطاه الراية، قال له:

«تزول الجبال ولا تزل، عض على ناجذك، اعر الله جمجمتك، تد في الارض قدمك، ارم ببصرك اقصى القوم وغض بصرك واعلم ان النصر من عند الله سبحانه».

وفي هذه الجمل، عبَّر الإمام علي (عليه السلام) عن أروع المعاني في الإستقامة والصمود، وخصوصاً في قوله: **«أعر الله جمجمتك»** الذي هو أثمن نصيحة في الإستقامة والثبات.

ذكر الله:

ذكر الله مطلوبٌ في كافة حالات الكمال و شروطه، والقرآن الكريم يذكر المؤمنين بهذه الخصلة وهي ذكرهم الدائم لله تعالى في جميع الأحوال:

«الّـذين يذكرون الله قِياماً وقُعوداً وعلى جُنوبِهم » (آل عمران: ١٩١)

ومع أن موضوع ذكر الله تعالى قد ورد في أماكن كثيرة باعتباره أمراً واجباً، ولكنه يتمتع بأهمية خاصة في آيات الجهاد والأمر بالثبات والإستقامة، لأن الجانب المعنوي والنفسي للمقاتل أهم أداة وأكبر عامل في الحروب الرسالية والعقائدية، أي أن الإتكال على الله تعالى وقدرته الأزلية ووعده بالنصر من جهة، والهدف من القتال والتضحية من جهة أخرى يوحدان في الإنسان قوة واندفاعاً غير عاديين، و يتولد الصمود والإستقامة منهما.

ولذلك فكلَّما كان التوجه الى الله والإتكال عليه أكثر، كلَّما كانت قوة الثبات والصمود أعظم.

تقول الآية: **«واذكروا الله كثيراً»** وكلمة كثير وردت باعتباره قيداً لذكر، وهو دليل على شدة التأكيد على أهمية المسألة وتأثيرها في الثبات والصمود ودحر العدو.

ومن الواضح أن ذكر الله تعالى يتناسب مع الظروف. فمثلاً إذا قال: **«اذكروا الله عند المعصية»** فالمقصود هو الإلتفات الى حرمته تعالى وعظيم شأنه وشدة عذابه وعقابه. وطبيعي أن ما يناسب ذكر الله تعالى في ميدان القتال هو أن يعلم الإنسان بأن الموت والحياة بيده تعالى، وأنه جلَّ شأنه هو المولى، وعليه الإتكال، وله الأمر:

«ذلك بأنَّ الله مولى الّـذينَ آمنوا وَأنَّ الكافرين لا مولى لهم» (محمد: ١١)

«والله وليُّ المؤمنين» (آل عمران: ٦٨).

«الله وليُّ الّـذين آمنوا» (البقرة: ٢٦٧).

وكان المسلمون في صدر الإسلام يرددون في مقابل إرهاب و تهديد الأعداء وفي ميادين القتال: **«حسبنا الله ونعم الوكيل»«نعم المولى و نعم النصير»** وكانوا أحياناً يصرخون ويهتفون

مقابل هتافات الأعداء: «**الله مولانا ولا مولى لكم**».

كذلك فقد وعد الله أن يؤيد وينصر الذين ينصرونه:

«**... إنْ تنصروا الله ينصركم ويثبّت أقدامكم**» (محمد: ٧)

لقد كان المسلمون يعتقدون بأن نتيجة الحرب لابُدَّ أن تكون أحد نصرين؛ أما الغلبة على العدو، أو القتل في سبيل الله ونيل أعلى درجات الحياة السعيدة.

هذه طريقة الاسلام. وعلى المسلمين في جميع عصور التاريخ أن يسلكوا هذا السبيل.

طاعة الله والرسول:

إن روح وحقيقة الإسلام، هي تسليم الإنسان أمام الله ورسوله، وهذا الموضوع ذكرته آيات كثيرة وبأشكال مختلفة، وقد ورد بالتعبير الذي نجده في هذه الآية فيما يقرب من (٣٠) مورداً، ولكن المقصود من طاعة الله والرسول — في الآية مورد البحث — الطاعة في القضايا المتعلقة بالجهاد وميدان القتال، سواء فيما يتعلق بالأحكام والأوامر المرتبطة بالجهاد وشؤونه بصورة عامة، أو بالأوامر التي يصدرها القائد أثناء القتال.

والظاهر أن القصد من طاعة الرسول — في الآية — هو طاعة أوامر رسول الله التي تصدر عنه أثناء الحرب، لأن الطاعة في الأحكام والأوامر العامة هي طاعة لله تعالى، فإنه سبحانه هو واضع القانون ومصدر التشريع، وليس الرسول إلا مبلغاً لأحكام الله، وان ما يختص به الرسول (ص) هو الأمر والحكم بصفته ولياً للأمر وقائداً عاماً للجيش. مع أن طاعة الرسول (ص) في هذا المجال هي طاعة لله تعالى بمعنى من المعاني، أي طاعة الرسول (ص) إنما أصبحت واجبة لأن الله تعالى أمر بها.

«**من يُطع الرّسول فقد أطاع الله...**».

وكذلك فأن الشخص الذي يعين قائداً من قبل الرسول (ص) أو الأئمة المعصومين الذين هم خلفاء الرسول وأولوا الأمر أو الفقيه الولي الذي له النيابة عن الإمام المعصوم، كل هؤلاء طاعتهم واجبة باعتبارها طاعة لله تعالى.

إن طاعة الله تعالى ورسوله، أو أي قائد ترتبط طاعته بطاعة الله بشكل من الأشكال تعتبر من أهم عوامل النصر للجيش الإسلامي وهذه القضية كانت أخطر قضية واجهها الإمام أمير المؤمنين (ع) في حربه مع الأعداء كما وردت الإشارة اليها في خطبة في نهج البلاغة، إذ تمنى الموت مراراً بسبب ما لاقاه من الناس في هذا الشأن (تراجع الخطب ٢٧، ٢٩، ٣٤ من نهج البلاغة).

الإتحاد والتلاحم:

وهو أيضاً من عوامل النصر المهمة الأخرى التي بينتها الآية الكريمة بالقول:

«**... ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم...**»

ويرى الراغب في مفرداته أن الريح هنا تعني الغلبة، وطبيعي أن الريح تعني الهواء المتحرك بشدة، والريح عندما تكتسح الأشياء تزعزعها وتقتلع الأشجار المعمرة وقد تهدم المباني، والنصر على العدو كالريح العاصفة تقتلع كل ما يمتلكه الأعداء من جذوره ولهذه المناسبة استعملت لفظة الريح على نحو المجاز.

ولهذا، فمعنى الآية هو أن الإختلاف والنزاع مانع من النصر والغلبة على الأعداء، و بناء على أن الريح تعني العزة والدولة، فأن الإختلاف يؤدي الى سقوط الدولة.

وعلى أي حال؛ فإنَّ الإختلاف أهم عامل في سقوط المجتمعات، وإذا ظهر الإختلاف في القوات المسلحة لمجتمع ما، فإنَّ الهزيمة ستكون حليفه حتماً حتى لوكان الإختلاف في الآراء والتكتيكات العسكرية، فإنَّ عاقبته الهزيمة ليس إلاّ. وحيث أن وصف القيادة والطاعة الشاملة للقائد من ضرورات سلامة بنية الجيش، فأننا نجد أن أمير المؤمنين (ع) يشتكي من أصحابه في إحدى خطبه في نهج البلاغة، إذ يقول:

«عجباً والله يجبن القلب، ويجلب الهمَّ، من إجتماع هؤلاء القوم على باطلهم، وتفرقكم عن حقكم».

و يقول في مكان آخر: **«أيها القوم المجتمعة أبدانهم المتفرقة آراؤهم»**. والطريق أن العدو يستفيد من نقطة الضعف هذه، ويبذل كل جهوده من أجل زرع الخلاف والنزاع والفرقة في جبهات القتال كما لاحظنا في مجتمعنا أمثال هذه المساعي الخبيثة بعد انتصار الثورة الإسلامية.

فبمجرد انتصار الثورة الإسلامية، أصبحت وحدة الأمة التي حيَّرت الأعداء، الهدف الأكبر لحملات هؤلاء الذين سعوا الى زعزعة هذه الوحدة عن طريق خلق الفئات والمنظمات المختلفة وايجاد الشقاق بين طبقات المجتمع، مع أن القسم الأعظم من هذه الحالة ظاهرة طبيعية في كل الثورات التي تجتاز مرحلة البناء وتقتضيها الضرورات الثورية، ولكن سعة هذه الظاهرة لم تكن أمراً عادياً ولا طبيعياً، فقد شملت حتى القوات المسلحة التي دب في أوساطها الإختلاف والنزاع مما أدى الى تجمد الحرب المفروضة الإسلامية عدة شهور و عدم تحقيق انتصار يذكر. و باختصار فأن النتيجة المرة للإختلاف والنزاع قد لمسناها في جبهة القتال، وخلف الجبهة على الأصعدة المختلفة السياسية والإقتصادية والتي لمس الجميع آثارها المشؤومة، لكن رعاية الله وحكمة القيادة المتمثلة في الإمام الخميني والايمان الخالص والوعي العميق لغالبية الساحقة من الامة، كل هذه الأمور أدت الى اسقاط سلاح التفرقة من يد العدو واستعادة الوحدة والتلاحم بتطهير القوات المسلحة وطرد العناصر المثيرة للفتن والقضاء على الفئات المنحرفة العميلة للإستعمار الشرقي والغربي، وكانت النتيجة ظهور انسجام وتلاحم عجيبين بين القوات المسلحة، الأمر الذي أدى الى تحقيق أروع الإنتصارات والفتوحات المتلاحقة في أقصر مدة من الزمن.

لقد كانت هذه الإنتصارات ثمرة الوحدة والتلاحم، مثلما كان ذلك الركود العسكري ثمرة للآثار المشؤومة والمذلة للإختلاف والإنقسام.

الصبر والصمود :

الصبر من أهم شروط النصر التي أشارت اليها هذه الآية الكريمة، كما أشارت اليه آيات أخرى كثيرة.

إن الصبر هو أحد المفاهيم الإسلامية التي نالتها يد التحريف، شأنه في ذلك شأن مفهوم التقية والشفاعة والتوكل والزهد... الخ.

لقد أصاب مفهوم الصبر الكثير من التغيير، وكثير من الناس يتصور أن الصبر هو الخضوع

للظلم والسكوت وعدم القيام بأي رد فعل تجاه الجور والعدوان. وهم لايبحثون عن الصبر بين الألفاظ والمفاهيم التي تستعمل في الجهاد والكفاح، بينما الوضع الصحيح هوعكس ذلك تماماً. فالصبر يعني السيطرة على النفس والثبات والصمود الذي لايستخدم إلّا في مجال الكفاح والجهاد مع العدو الداخلي والخارجي.

يستعمل الصبر في ثلاثة مجالات:

المجال الأول:

الصبر والصمود أمام العوامل التي تدفع الإنسان الى المعصية أو تبعده عن طاعة الله تعالى، وبعبارة أخرى الصمود و الثبات أمام الأهواء والشهوات والغرائز الحيوانية، وهو أهم ميدان للجهاد والكفاح، وقد سمته الروايات بالجهاد الأكبر.

المجال الثاني:

الصبر على الحوادث والمصائب التي تصب الإنسان في حياته، وهو من أهم عوامل تكامل الإنسان وقوته أمام المشاكل، وهو في الحقيقة انتصار على مصاعب الحياة.

المجال الثالث:

الصبر والصمود أمام العدو في ساحة القتال، وهو يعتبر اهم عامل للنصر.

والفرق بين مفهوم الصبر في هذه الآية ومفهوم الثبات الوارد في صدر الآية، هوأن الثبات هنا يعني عدم الفرار عند ملاقاة العد و، أما الصبر فهو نوع خاص من الثبات، تظهر آثاره في القلب والنفس، فلا يبقى فيها أي ضعف أو خوف أوفزع، وتظهر آثاره أيضاً في الجسم، فلا ينسحب المقاتل من موضعه بدون ضرورة عسكرية، ويستخدم كل ما أوتي من قوة في القتال.

وقد ورد مدح الصبر والصابرين والحث عل الصبر في (٢١) مورداً في القرآن الكريم، وأم الرسول (ص) بالصبر في (٢٠) مورداً، وأم الناس بالصبر في (٦) موارد، ومدح الأنبياء وقاد الأمم بصفة الصبر في (٣) موارد، وفي (٣) موار أخرى ذكر الصبر صراحة باعتباره شرطاً للنص والغلبة على الأعداء، وذلك في الآيتين التاليتين:

«يا أيُّها النَّبيُّ حَرِّض المُؤمنين على القتال، إ يكن منكم عشرون صابر ون يَغْلبوا مأتين وإنْ يَكُ منكم مائةٌ يغلبوا ألفاً من الّذين كفروا بأنّهم قو لا يفقهون* الآن خفّف الله عنكم و علم أنَّ فيك ضَعفاً، فإنْ يكن منكم مائةٌ صابرةٌ يغلبوا مأتين وان يكن منكم ألفٌ يَغْلبوا ألفين بإذن الله، والله م الصابرين».

في هاتين الآيتين الكريمتين ينبغي أن ندرس عدة أمور: ـــ

١ ـــ اعتبرت الآية ـــ و بشكل صريح ـ الصبر شرطاً للنجاح والغلبة على الأعداء، وحيـ أن الآية في مقام تحديد التكليف وتشريـ القانون، وليست في مقام الإخبار عن الوا الخارجي، فإنَّ تحصيل الصبر والإستقامة يكو واجباً مطلوباً، و بعبارة أوضح أن الآية توجـ على الناس الوقوف أمام العدو والتغلب عليه و تعطيهم حق الفرار أو الإنسحاب، وذلـ عند ما يقابل الواحد عشرة من الأعداء في بعض الظروف، أوعندما يقابل الواحد اثنين منهم ظروف أُخرى.

هذا الموضوع بيَّنته الآية الأُولى بجملة: «ا **يكن منكم عشرون صابرون»** ومع أن (**صابرو**) اعتبرت قيداً لـ (**عشرون**) في الآية الأُولى، ا تذكر في الثانية «**ان يكن منكم مائة يغلبوا الفا**

لكن من الواضح أن الصبر شرطاً للنصر في الجملتين، أي عندما يقابل العشرون مائتين، وعندما يقابل المائة الفاً. وكذلك الأمر بالنسبة للفيد الثاني المذكور في جملة «بأنهم قوم لا يفقهون» الذي ذكر في مجال الإنتصار على الألف، فإنه أيضاً ينطبق على الحالتين. وهذا نوع من البلاغة يسمّى في علم البديع بالإحتباك ، والذي يكتفي فيه بذكر أمر واحد، ويحذف الأخير احتصاراً عند ما يكون الحديث من حالتين يوجد فيهما الأمران معاً.

وفي الآية الثانية، ذكر الصبر بقيد «وان يكن منكم مائة صابرة» وجملة «ان الله مع الصابرين» لأنه بعد أن قيّد النصر بإذن الله تعالى ومشيئته، قال:

«ان الله مع الصابرين» و يبدو أن الصرعلة للنصر بإذن الله، ومعنى الآية هو: أن المائتين يغلبون مائة، وأن الالف يغلبون الفين بإذن الله وإرادته، لأن الله مع الصابرين، أي بسبب الصبر الذي يملكونه فأن مشيئة الله تعالى تجعلهم غالبين.

٢ ــ جملة بأنهم قوم لا يفقهون وردت في بيان سبب الغلبة، لأن (بأن) تعني السبب، أي أن الغلبة سببها أن الكفار قوم لا يفقهون ولا يدركون.

كلمة (فقــه) في اللغة تعني الإدراك والفهم بعمق و دقة نظر. قال الراغب في المفردات:

«الفقه هو التوصل الى علم غائب بعلم شاهد فهو أخص من العلم».

أي أن العلم يشمل كل فهم وادراك ، اما الفقه فهو نوع خاص منهما. ولذا قيل: الفقه هو معرفة باطن الشئ والوصول الى أعماقه، ولايسمى من يعلم ظاهر الأمور فقيهاً.

وهنا إذا كان قصد الراغب من «علم غائب» العلم بالأمور الغيبية كمعرفة الله تعالى والوحي والنبوة والمعاد والأحكام الإلهية... الخ مما سوف نتحدث عنها في الآية، فإنّ ذلك منطبق تماماً على ما نريد، أما اذا كان قصده من العلم الغائب العلوم التي لا تتيسر لكل أحد بل تحتاج الى بحث وتدقيق واستدلال فإنّ المعنى يكون أوسع مما ترمي اليه الآية الشريفة.

فما هو المقصود من العلم والفهم الذي تنفيه عن الكفار و تثبته للمؤمنين هذه الآية وآيات أخرى في سبعة عشر موضعاً تقريباً؟ هل المقصود العلوم المادية وخصوصاً العلوم العسكرية وتكتيكات القتال بحيث أن الآية تريد أن تجعل الإمكانات العلمية للمسلمين في المجال العسكري سبباً للنصر على الكافرين، أم أن المقصود علم وفهم آخر يختلف عن العلوم المادية؟

من المؤكد أن المقصود ليس هو العلوم المادية و خصوصاً العسكرية، وذلك للسببين التاليين: ــ

أولاً: إن المسلمين في حروب صدر الإسلام التي تتحدث عنها الآية كبدر وأحد، لم يكونوا فقط غير متفوقين في القدرة العسكرية والفنون الحربية ، لكنهم كانوا في هذين الجانبين أضعف بكثير من الكافرين، وكان الكافرون يتفوقون عليهم في الإمكانات العسكرية والمعلومات القتالية.

ثانياً : إن القرآن الكريم يتحدث عن الموضوع بصفته قضية أساسية وخصيصة ثابتة موجودة في المسلمين بصورة دائمة و مفقودة في الكافرين بصورة دائمة أيضاً، وهي نفسها سبب تفوق

المسلمين و غلبتهم.و من المؤكد أن العلوم المادية والمعارف العسكرية والمعدات الحربية عند الكافرين أعظم بكثير مما هي عند المسامين في كثير من العصور وفي العصر الحاضر.

فما هو المقصود من (الفقه) الذي تنفيه الآية عن الكافرين و تثبته للمسلمين؟ بالتأمل في الآيات الأخرى في القرآن الكريم والتي تتحدث عن هذا النفي والإثبات يظهر لنا أن المقصود من الفقه هو إدراك عدد من الحقائق التي ينشأ منها الإيمان، و من الإيمان ينشأ الصبر و الشجاعة والشهامة... الخ. هذه الحقائق هي : الوجود المطلق و مصدر الوجود، أي أن الله تعالى، جمع الأسباب والجنود الإلهية غير المنظورة، عالم ما بعد الموت، البرزخ، القيامة، الجنة،... الخ، و باختصار:علم المبدأ والمعاد وخط السير الموصل بينهما والذي تطويه البشرية، أي طريق الأنبياء.

ونشير فيما يلي الى بعض الآيات التي تعزز هذا المعنى:

«ولقد ذرأنا لجهنّم كثيراً من الجنّ والانس لهم قلوبٌ لا يفقهونَ بها...» (الأعراف: ١٧٩)

تشير هذه الآية الى أن كثيراً من الجن والإنس لا يعلمون أن مصيرهم و منتهى طريقهم الى جهنم، لماذا؟ الجواب في آية **«لهم قلوبٌ لا يفقهونَ بها، ولهم أعينٌ لا يبصرونَ بها، ولهم آذانٌ لا يسمعون بها، أولئك كالأنعام بل هم أضلُّ...»**

و من الواضح أن هذا الإدراك والفهم الذي تفتقده هذه الفئة، ليسا هما الإدراك والفهم الماديين، لكنهما الإدراك والفهم اللذان تكون نتيجتهما الجنة إن وجدا وجهنم إن لم يوجدا.

ان المعرفة التي تكون الجنة نتيجة لها ليست إلا الإيمان و آثاره العملية، اي أن هؤلاء لا يعون بقلوبهم ما يؤدي الى تزكيتهم و يهيىء أرواحهم و نفوسهم ـ. بالإرتباط بالله تعالى ـــ الى السعادة الحقيقية.

هؤلاء لا يدركون ماذا ينبغي فعله و ماذا ينبغي تركه لتكون نتيجة أعمالهم الجنة لا النار.

و باختصار، فانهم لا يدركون الحياة العقلية واللذات المعنوية التي تنشأ عنها السعادة الأبدية، ولذا تكون عاقبتهم جهنم.

ويفهم من قوله تعالى: **«لهم قلوبٌ لا يفقهون بها ولهم أعينٌ لا يبصرون بها ولهم آذانٌ لا يسمعون بها»** أنهم يملكون الإستعداد والقابلية لهذا النوع من الإدراك والمعرفة، ولكنهم مقصرون لأنهم لا يستفيدون من ذلك الإستعداد ولا يستخدمون تلك القدرة، وهم لا يعانون من نقص تكويني يحرمهم من القدرة على إدراك هذه الحقائق. يقول تعالى عن المنافقين:

«وطبع على قلوبهم فهم لايفقهون» (التوبة: ٨٧)

أي أن النفاق واغلاق باب المعارف و الحقائق القلبية، يؤديان الى سلب الفهم والإدراك منهم. وفي آية أخرى يقول تعالى:

«... صرف الله قلوبهم بِأنّهم قومٌ لا يفقهون» (التوبه: ١٢٧)

من هذه الآيات ونظائرها، يتجلى بوضوح أن المقصود من الفقه والفهم الذي لا يوجد عند الكافرين و المنافقين، ليس هو العلوم المادية، بل إدراك الحقائق التي ينشأ عنها الإيمان و التحلي بالفضائل ●

نظرية التكامل من وجهة نظر القرآن

تأليف: الشيخ مسيح مهاجري
ترجمة: فلاح شيرواني

ـ القسم الأول ـ

كانت هناك منذ القدم، عقيدتان متباينتان بين العلماء، حول كيفية خلق الإنسان، وسائر الموجودات الحية الأخرى. حيث كان يعتقد البعض منهم باستقلالية أنواع الأحياء، وعدم تكوّن نوع من نوع آخر، بينما كان البعض الآخر يعتقد بتبدل الأنواع.

والإعتقاد القائل بتبدل الأنواع، والمنسوب الى بعض الفلاسفة اليونانيين القدماء، وجد له في القرون الأخيرة مؤيدين، أهمهم؛ عالم الطبيعة الإنجليزي «تشارلز دارو ين» فدارو ين قدّم نظريتين معروفتين: إحداهما؛ تدور حول جميع الموجودات الحية، والأخرى؛ حول الإنسان بشكل خاص.

وبموجب النظرية الأولى المنشورة في كتاب (أصل الأنواع) فإن جميع أنواع الحيوانات نشأت في الأصل من نوع واحد، ثم تبدّل ذلك النوع الى نوعٍ ثانٍ وثالث و... هكذا. أما في النظرية الثانية المنشورة في كتاب (أصل الانسان)، فيقول دارو ين:

« إنّ الإنسان باعتباره من أحد أنواع الموجودات الحيّة، نشأ مع القرد من أصل واحد. وهذان الموجودان ينحدران من أصل مشترك ».

والنظرية الثانية لدارو ين ليس لها اليوم مكان في سوق العلم، غير أن نظرية تبدل الأنواع الى أنواع أُخرى، تحظى باهتمام وتأييد العلماء

الذين يجرون تحقيقات حول مسألة ظهور الحياة على وجه الأرض. فهذه النظرية تقول إن الحشائش المستقرة في قعر المحيطات والمستنقعات والبرك المائية، تبدلت بعد ملايين السنين الى مواد كاربونية، ثم ظهرت من هذه المواد؛ مواد حية، وميكروبات، و بالتالي موجودات حية.

فإذا قلنا بصحة هذه النظرية، فهذا يعني أن جميع الموجودات الحية من جملتها الإنسان نشأت من تلك المواد الكاربونية، وإن ما يدور في الأذهان حول خلق الإنسان من أن الله قام في البداية بخلق آدم من الطين، ثم خلق له زوجاً، فظهر منهما البشر، سيتعرض للسؤال. ولكن حتى إذا ما ثبت هذا القانون بشكل كُلّي وعام، فإنه يمكن في نفس الوقت القول بأن الإنسان خُلق بشكل آخر، ولا يشمله هذا القانون.

وهنا نريد أن نعرف رأي القرآن الكريم حول هذه المسألة وذلك من خلال دراسة الآيات الخاصة بخلق الإنسان، لنرى هل أن القرآن الكريم يؤيد هذه النظرية المعروفة بـ «نظرية التكامل» أم يرفضها؟

والآيات الخاصة بخلق الانسان، يمكن تفسيمها الى عدة أقسام:

١ ــ الآيات التي ترى ان التراب هو منشأ خلق الانسان. وهذه الآيات عبارة عن:

«إنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ ٱللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»

(آل عمران ــ ٥٩)

«قالَ أنا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَني مِنْ نارٍ وخَلَقْتَهُ مِنْ طينٍ».

(الأعراف ــ ١٢)

«وَلَقَدْ خَلَقْنا الإنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَاءٍ مَسْنُونٍ».

(الحجر ــ ٢٦)

«وَإذْ قالَ رَبُّكَ لِلْملائِكَةِ إنّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَاءٍ مَسْنُونٍ».

(الحجر ــ ٣٣)

«... قالَ ءَ أسجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً».

(الاسراء ــ ٦١)

«قالَ لَهُ صاحِبُهُ وَهُوَ يُحاوِرُه، أكَفَرْتَ بِالَّذي خَلَقَكَ مِنْ تُرابٍ...».

(الكهف ــ ٣٧)

«مِنْها خَلَقْناكُمْ وَفيها نُعيدُكُمْ وَمِنْها نُخْرِجُكُمْ تارَةً أُخرى».

(طه ــ ٥٥)

«... فإنّا خَلَقْناكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ في ٱلأرْحامِ ما نَشاءُ الى أجَلٍ مُسَمّىً ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أشُدَّكُمْ...»

(الحج ــ ٥)

«وَلَقَدْ خَلَقْنا الإنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طينٍ * ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً في قَرارٍ مَكينٍ * ثُمَّ خَلَقْنا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنا ٱلْمُضْغَةَ عِظاماً فَكَسَوْنا ٱلْعِظامَ لَحْماً، ثُمَّ أنْشأناهُ خَلْقاً آخَرَ، فَتَبارَكَ ٱللهُ أحْسَنُ ٱلخالِقينَ».

(المؤمنون ــ ١٢، ١٣، ١٤)

«وَمِنْ آياتِه أن خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ إذا أنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ».

(الروم ــ ٢٠)

«... وَبَدَا خَلْقَ ٱلْإِنْسانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ».

(السجدة ــ ٧ ــ ٨)

«وَٱللّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْواجاً».

(فاطر ــ ١١)

«إِنّا خَلَقْناهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ».

(الصافات ــ ١١)

«إِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ».

(ص ــ ٧١)

«قالَ يا إِبْلِيسُ ما مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ... * قالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ».

(ص ــ ٧٥، ٧٦)

«هُوَ ٱلَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ...»

(المؤمن، غافر ــ ٦٧)

«خَلَقَ ٱلْإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ كَالْفَخّارِ».

(الرحمن ــ ١٤)

«هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ».

(النجم ــ ٣٢)

«وَٱللّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَباتاً * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيها وَيُخْرِجُكُمْ إِخْراجاً».

(نوح ــ ١٧، ١٨)

«هُوَ ٱلَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمّىً عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ».

(الأنعام ــ ٢)

٢ ــ أما القسم الآخر، فيتمثل بالآيات التي تقول، ان الله تعالى خلق الانسان من نطفة:

«خَلَقَ ٱلْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ».

(النحل ــ ٤)

«وَهُوَ ٱلَّذي خَلَقَ مِنَ ٱلْماءِ بَشَراً...».

(الفرقان ــ ٥٤)

«أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسانُ أَنّا خَلَقْناهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ».

(يس ــ ٧٧)

«أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنى * ثُمَّ كانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوّى».

(القيامة ــ ٣٧، ٣٨)

«أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ».

(المرسلات ــ ٢٠)

«إِنّا خَلَقْنا ٱلْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْناهُ سَمِيعاً بَصِيراً».

(الدهر ــ ٢)

«مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ».

(عبس ــ ١٩)

«خَلَقَ ٱلْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ».

(العلق ــ ٢)

وهناك مجموعة أخرى من الآيات التي تتحدث عن خلق زوج لآدم، حيث ورد في ثلاث آيات أن البشر خلقوا من نفس واحدة. وبعد خلق هذه النفس، خلق الله «زوجاً» لها من نفسها. ويقول الباري سبحانه وتعالى في آية من هذه الآيات أن رجالاً ونساءً كثيرين خلقوا من هذين الزوجين:

«يا أَيُّها ٱلنّاسُ ٱتَّقُوا رَبَّكُمُ ٱلَّذي خَلَقَكُمْ

«مِنْ نَفْس واحِدَة وَخَلَقَ مِنْها زَوْجَها وَبَثَّ مِنْهُما رِجالاً كَثيراً وَنِساءً».

(النساء ــ ١)

«هُوَ ٱلَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْها زَوْجَها لِيَسْكُنَ إِلَيْها».

(الأعراف ــ ١٨٩)

«خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْها زَوْجَها».

(الزمر ــ ٦)

وفي ثلاث آيات أُخرى يقول القرآن من دون الإشارة الى «النفس الواحدة» بأن الله خلق الإنسان من رجل وامرأة. وجاء أيضاً في سورة الأنعام:

«وَهُوَ ٱلَّذي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ...»

(الأنعام ــ ٩٨)

«يَا أَيُّها ٱلنَّاسُ إِنّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وأُنْثى وَجَعَلْناكُم شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا...».

(الحجرات ــ ١٣)

«وَأَنَّهُ خَلَقَ ٱلزَّوْجَينِ ٱلذَّكَرَ وَٱلأُنْثى».

(النجم ــ ٤٥)

«وما خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلأُنْثى».

(الليل ــ ٣)

«وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْواجاً».

(فاطر ــ ١١)

«فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَينِ ٱلذَّكَرَ وَٱلأُنْثى».

(القيامة ــ ٣٩)

٣ ــ كما توجد هناك آيات أُخرى يستنبط منها بأن الإنسان، خُلق على عدة مراحل:

«وَلَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ ثُمَّ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ ٱسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْليسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدينَ».

(الأعراف ــ ١١)

«وإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنّي خالِقٌ بشراً مِنْ صَلْصالٍ من حَمَإٍ مَسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدينَ».

(الحجر ــ ٢٨ ــ ٢٩)

«يَخْلُقُكُمْ في بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ في ظُلُماتٍ ثَلاثٍ».

(الزمر ــ ٦)

«وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْواراً».

(نوح ــ ١٤)

«أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوّى».

(القيامة ــ ٣٨ ــ ٣٩)

«وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشاءُ كَما أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرينَ».

(الانعام ــ ١٣٣)

الى هنا تمكّنا من إلقاء نظرة على الآيات المختصة بخلق الإنسان والمقسمة الى عدة مجاميع. وحان الآن دور إجراء دراسة لهذه الآيات:

الاستنباط من آيات خلق الله:

وهنا، فإننا نكتفي بالقاء نظرة على مفاد هذه الآيات دون الأخذ بنظر الاعتبار كيفية استنباط الآخرين منها. كما سنتحدث عن استنباطنا من هذه الآيات والعلاقة التي قد تكون قائمة بينها على ضوء فرضية التكامل، لكي

نرى ما هو رأي القرآن الكريم في هذا المجال.

وقبل كل شيء نتطرق الى الآيات الخاصة بخلق الإنسان من التراب (بتعابير مختلفة):

«إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ».

(آل عمران ــ ٥٩)

وهذه الآية تعتبر رداً على المسيحيين الذين كانوا يقولون؛ بما أن المسيح لم يكن له أب، فهو ابن الله. فيقول سبحانه و تعالى بهذا الصدد ما معناه، انه لو كان من المقرر أن يكون الشخص الذي ليس له أب ابناً لله، فإنَّ آدم يجب أن يكون هو الآخر إبناً لله، لأن الله خلقه من التراب، ولم يخلقه من ذكر وأنثى، أي ليس له أب انساني.

واذا كان من اللازم أن تكون هذه الآية رداً على المسيحيين، فيجب أن تُفسَّر بالشكل الذي بينت، وإلاّ لما كانت قادرة على أن تكون جواباً على ادعاء هؤلاء.

لكن و بغض النظر عن شأن نزول ومقام الآية، هل يمكن القول أن لهذه الآية دلالة على ادعاء أنصار فرضية التكامل أم لا؟

والجواب؛ هو أن هذه الآية تختار السكوت ازاء هذا الموضوع، لأن كلمة «الخلق» قد استعملت في القرآن الكريم بمعنى الخلق الإبتدائي (ادعاء مناهضي فرضية التكامل) وأيضاً بمعنى الخلق في المراحل اللاحقة، وبعبارة أُخرى توليد المثل (ادعاء أنصار فرضية التكامل).

ولما كان من المُسَلَّمْ به أن هذه الآية هي في مقام الرد على استدلال المسيحيين، و بغض النظر عن أنه لا توجد أية مؤيدات لفرضية التكامل. فيجب أن نقبل ونعترف بأن الله تعالى خلق إنساناً باسم آدم من التراب لا عن طريق توليد المثل:

«قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ اذْ أَمَرْتُكَ ، قَالَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ».

(الأعراف ــ ١٢)

وهذه الآية الشريفة هي استمرار لقصه رفض الشيطان لطاعة أمر الله في يخص السجود لآدم، و يدور الحديث في الآية التي تسبقها عن مسأله مراحل خلق البشر التي سنتطرق اليها فيما بعد. لكن الذي ــ يجب أن ــ يُبحث في هذه الآية هو الإجابة التي يعطيها الشيطان حين يقول: **«أنا خيرٌ منه خلقتني من نار وخلقته من طين».**

ومثلما قلنا في الآية ــ ٥٨ ــ من سورة آل عمران، فإن هذا الجزء من القصة ليس له أية دلالة على أن خلق الإنسان هو خلق ابتدائي أو توليد المثل.

وتختلف هذه الآية عن آية آل عمران، حيث استعملت كلمة «التراب» في تلك الآية بينما في آية الأعراف استعملت كلمة **«الطين»**. وطبيعي انه لا التراب ولا الطين من محاصيل الأرض. ولذلك لايمكن اعتبار الطين من محاصيل الأرض.

و بالنتيجة فأن كلمة **«الطين»** في هذه الآية تستطيع أن تثبت صحة هذا الإحتمال وهو أن المقصود من خلق آدم هو خلقه الإبتدائي من الطين وليس من توليد المثل.

«ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حماءٍ مسنون» (الحجر ــ ٢٦)

وتستطيع هذه الآية الشريفة أن تكون دلالة واضحة عن صحة هذا الإحتمال من أن المقصود من الخلق في هذه المجموعة من الآيات هو الخلق الإبتدائي وليس توليد المثل. ذلك أن الخلق من الطين الأسود، أي أن يتحول الطين الى حالة أخرى كالحالة التي يكون عليها في صناعة الفخار، ويجفف، ومن ثم يخلق منه آدم، هو مسألة تتباين كلياً مع مسألة خلق الإنسان عن طريق توليد المثل.

وعلى هذا الأساس، فأن الآيتين؛ ٥٨ من سورة آل عمران و ١٢ من سورة الأعراف تتحدثان ـ بدون شك ـ عن الخلق الإبتدائي.

الى هنا عرفنا بأن الباري جلّ وعلا خلق موجوداً من الطين كان اسمه آدم.

والقرآن الكريم يعبّر عن هذا الموجود بكلمة «الانسان»، كما يعبر عنه في آية أخرى بكلمة «البشر»:

«واذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمإ مسنون»

(الحجر ـ ٢٨)

وبموجب الآيات اللاحقة (التي سنتطرق اليها خلال البحث) فإن الله تعالى قال للملائكة بأنه خلق بشراً ونفخ فيه من روحه، ثم أمرهم بالسجود له، وأستجاب جميع الملائكة للباري تعالى إلّا إبليس الذي أبى أن يطيع أمرالله. ولذلك سأل الله الشيطان عن سبب امتناعه؟ فقال الشيطان:

«قال لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون»

(الحجر ـ ٣٣)

والبحث الذي أجريناه، حول الآية (٢٦) من هذه السورة، يتكرر مرة أخرى هنا. وان هاتين الآيتين تتشابهان في الحقيقة مع الآية (٢٦) غير أن تباينهما يكمن في التعبير فقط. في الآية ٢٦ ورد تعبير «الانسان»، بينما ورد في هاتين الآيتين تعبير «البشر». ومع ذلك فليس هناك أي تباين بين هذين التعبيرين من حيث المعنى.

جاء في المنجد: «البشر» الإنسان ذكراً وأنثى واحداً وجمعاً.

وهذا يعني بأن كلمة «البشر» تعني الإنسان في جميع الأحوال سواء أكانت مؤنثة أو مذكرة، أو مفردة أو جمع.

ومع أن كلمة «الانسان» التي وردت في الآية (٢٦) تدل على العموم، لكنها تأتي بمعنى النوع أيضاً، ويمكن القول هنا بأن المقصود هو أن الإنسان الأول (آدم) قد خلق من الطين. ومن هنا فأنه من الصحيح فيما لوقلنا بأن جميع أفراد البشر قد خلقوا من الطين، إذ ان الطين هو منشأ خلقهم.

وفي الآية (٣٨) وردت كلمة «بشراً» بصورة نكرة تدل على شخص واحد. وهذا يعني بأن الله خلق انساناً واحداً أو بشراً واحداً من الطين وسماه «آدم».

«قال ءأسجد لمن خلقت طينا»

(الإسراء ـ ٦١)

وهذه الآية تشبه الآية (١٢) من سورة الأعراف من حيث الدلالة، وقد مرّ الحديث عنها.

«قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تُراب» (الكهف ـ ٣٧)

«مِنْها خَلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى»

(طه ــ ٥٥)

ودلالة هاتين الآيتين تتشابه مع آية (٥٨) من سورة آل عمران. وفي تعبير «خلقك» يعود ضمير المخاطب للانسان.

«... فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام مانشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشُدكم....»

(الحج ــ ٥)

طبيعي أن الخلق من التراب «**خلقناكم من التراب**» والخلق من النطفة والعلقة والمضغة لايستطيعان أن يصدقا معاً حول انسان واحد، اذ لايصح القول إن أحد الأشخاص قد خلق من التراب في الوهلة الأولى، ثم خلق من نطفة وعلقة ومضغة في المراحل الأخرى. ولذا فاننا مضطرون للاعتراف بأن الخلق من التراب، خاص بالإنسان الأول. ومع الأخذ بنظر الاعتبار كلمة ثم، فأن بقية أفراد البشر الذين جاؤوا بعد الإنسان الأول خلقوا من النطفة والعلقة والمضغة وعن طريق المراحل الثلاث للخلق، ثم اكتملوا في مرحلتين أخريين حسب ماجاء في الآية (١٢) من سورة المؤمنون، هما: **إضافة العظام، وكسو العظام باللحم.**

و مع ذلك يوجد هناك احتمال من أن المقصود من التراب هنا هو الأشياء التي تستخرج من الأرض. وإن الآية «استناداً الى هذا الإحتمال» تريد أن تقول بأن الله صنع مادة من التراب باسم «النطفة»، ووضعها في الرحم، وان هذه النطفة تتبدل في الظروف المناسبة الى علقة ومضغة في رحم المرأة، ومن ثم الى عظام، بعدها تغطى العظام باللحم، فيخرج هذا التركيب الجديد من رحم المرأة بهيئة انسان.

ولو تمكنا بمساعدة بعض الآيات مثل الآية (٥٨) من سورة آل عمران من القول بأن المقصود من الإنسان المخلوق من التراب، هو «آدم» باعتباره «الإنسان الأول»، لثبت بطلان الاحتمال الآنف الذكر، وأيضاً تثبت صحة الاحتمال الأول.

لكن إذا لم نعتبر ماورد في الآية (٥٨) من سورة آل عمران، صحيحاً، فإن الآية يكون لها احتمالان. ولايمكن في الوقت الحاضر ترجيح أحد الإحتمالين على الآخر.

لكننا نستطيع كما يبدو أن نرجح الإحتمال الأول، وذلك من خلال الجمع الذي أجريناه على الآيات الواردة فيها كلمة «التراب» والآيات الواردة فيها كلمة «الطين».

ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم انشأناه خلقاً آخر فتبارك الله احسن الخالقين».

(المؤمنون ــ ١٢ ــ ١٣ ــ ١٤)

ونظراً لاستعمال عبارة **سلالة من طين** بدلاً من كلمة «التراب» في هذه الآية، فإن الإحتمال الأول الذي أعطي على ضوء الآية (٥) من سورة الحج (أي أن المقصود هو مركبات التراب والأرض) يكون مرفوضاً

هنا(١)، إذ انّ مايستخرج من الأرض هو من جنس التراب، وليس التراب المصفى والممزوج بالماء والمبدل الى الطين.

وضمير كلمة «جعلناه» في الجزء الآخر من الآية يعود للانسان. والمقصود هو، انه عندما أردنا أن نخلق الإنسان في المرة الثانية، فإننا صنعنا من الإنسان الأول نطفة ووضعناها في رحم المرأة، وبعد أن مرّت النطفة بالمراحل الأربع: «العلقة، المضغة، العظام، واللحم» فانها ظهرت بهيئة انسان، ولما كانت هذه المرحلة، أي «حالة الحياة» تتباين مع المراحل السابقة فقد عبّر عنها بـ «الخلق الآخر».

وان لم نقبل هذا التبرير، فسوف لن يكون لدينا حل سوى أن نقول بأن عبارة: «**ثم جعلناه نطفة في قرار مكين**» تعني بان الانسان الأول وضع في مكان قوي ألا وهوالرحم. وهذا القول واضح بطلانه. ولكن إذا نسبنا ضمير كلمة «جعلناه» الى **سلالة من طين** فأن هذا الأمر لن يكون معقولاً هو الآخر، لأنه لا الإنسان يتبدل الى نطفة ولا الطين يستقر في الرحم.

ولذا لايوجد أي ابهام في دلالة هذه الآية الشريفة على خلق «آدم» أو «الانسان الأول» من الطين، وخلق بقية أفراد البشر عن طريق توليد المثل.

المراحل المختلفة لخلق الانسان:

«**ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون**».

(الروم ــ ٢٠)

وهذه الآية التي تستعمل كلمة «التراب» كبقية الآيات الأخرى، تنص على ان الإنسان خلق من التراب.

ولو نسبنا ــ هنا ــ ضمير كلمة «خلقكم» الى جميع أفراد البشر، فهذا يعني بأن الإنسان خلق من مركبات التراب. وأيضاً لو اعتبرنا «التراب» بمعنى «التراب» نفسه، لكان المقصود من «كم» في كلمة «خلقكم» الأب وأصل البشر. وفي الحقيقة يكون معنى الآية آنئذ بالشكل التالي: ومن آياته أن خلق أباكم من التراب.

لكن ومع الاخذ بنظر الإعتبار الجزء الآخر من الآية، أي عبارة «**ثم إذا أنتم بشر تنتشرون**» الذي يفصل بين مرحلة الخلق من التراب و بين مرحلة الإنتشار، فأن الإحتمال الثاني يبدو أقوى.

وفي المجموع، فأن معنى الآية يشبه معنى الآيات ٧ و٨ و ٩ من سورة السجدة التي تنص على أن الله عزّوجل خلق الإنسان من التراب، أي خلق أبو الإنسان من التراب ثم أوجد البشر منه.

«**.... وبدأ خلق الانسان من طين * ثم جعل نسله من سلالة من ماءٍ مهينٍ * ثُم سواهُ ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلاً ما تشكرون**»

(السجدة ــ ٧،٨،٩).

هذه الآية الشريفة توضح جميع بحوثنا السابقة، إذ انها تمثل في الحقيقة توضيحاً رائعاً حول الآيات التي تتحدث عن خلق الإنسان من التراب أو الطين، ومن ثم من النطفة. فلقد قيل في هذه الآية من دون أي ابهام بأن الله عندما

أراد أن يخلق الإنسان، فإنه خلقه من الطين، ثم اقر سنة الزواج، ليولد بقية أفراد البشر بواسطة النطفة.

وبهذا التوضيح يكون تطابق كلمة الإنسان مع كلمة «آدم» الواردة في الآية ٥٨ من سورة آل عمران بعيداً عن أي إشكال. ومن جهة أخرى فأن عبارة «ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين» تستطيع أن تكون دلالة على صحة هذا الإحتمال وهو انه عندما يدور الحديث في بعض الآيات مثل، الآية (٥) من سورة الحج، والآيات ١٢، و ١٣، و١٤ من سورة المؤمنون، عن خلق الإنسان من الطين ومن ثم من النطفة، فهذا يعني بأن الإنسان الأول خلق من الطين، بينا خلق بقية أفراد البشر عن طريق توليد المثل.

و من هنا لابُدّ من القول إن هناك احتمالين فيا يخص الجزء الأخير من الآية والمتمثل بعبارة **«ثم سوّاه ونفخ فيه من روحه»**: الاحتمال الأول؛ أن يكون هذا الجزء من الآية عائداً الى عبارة: **«وبدأ خلق الانسان من طين»**، وتكون جملة: **«ثم جعل نسله من ماءٍ مهين»** جملة معترضة، أو يكون عائداً الى كلا العبارتين، بحيث يكون المقصود أن أمر تسوية الإنسان ونفخ الروح خاصاً بالإنسان المخلوق من الطين وأيضاً بأفراد البشر الذين خلقوا فيا بعد بواسطة النطفة، ذلك ان النطفة لكي تتحول الى موجود حي وكامل فأنها تحتاج الى التسوية ونفخ الروح فيها.

«والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم ازواجاً وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير».

(فاطر ــ ١١)

هذه الآية لا تملك شيئاً إضافياً قياساً الى الآيات الأُخرى، ومع ذلك فأن الجزء الأخير منها يلفت الانتباه. فبعد أن تقول الآية: **والله خلقكم من تراب ثم من نطفة** فإنها تضيف قائلة: **ثم جعلكم أزواجاً** .

وظاهر هذه العبارة يستطيع أن يطرح الإشكال التالي وهو أن مسألة «الأزواج» لم تكن مطروحة قبل خلق بقية أفراد البشر بواسطة النطفة. ولكن كيف كان يمكن أن يتحقق الخلق بواسطة النطفة؟

لكن هذه الآية الشريفة هي بصدد توضيح الأمر التالي وهو أن الله عندما يخلق البشر من النطفة فإنه يخلق ذكوراً واناثاً ليتزاوجوا، ولتتحقق عملية توليد المثل.

أما متى بدأ خلق الزوج للإنسان الأول؟ فهو مسألة ليست هذه الآية بصدد بيانها. وطبيعي أنه ليس من المعقول القول إنه في الوقت الذي خلق البشر بواسطة توليد المثل وبواسطة النطفة، فإن خلق الزوج للإنسان الأول قد عقب الخلق عن طريق النطفة.

فاستفتهم أهم أشد خلقاً أم من خلقنا انا خلقنا هم من طين لازب .

(الصافات ــ ١١)

لا تتحدث هذه الآية إلاّ عن الإنسان الأول المخلوق من الطين، ولا يمكن حمل الطين على مركبات التراب، إذ أن كلمة «لازب» تدل على الطين الذي يمكن ببساطة تحويله الى أشكال مختلفة. وان ضمير «هم» يعود لأصل

الانسان أو بالأحرى الانسان الأول.

اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشراً من طين .

(ص—٧١)

فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين .

(ص—٧٢)

فسجد الملائكة كلهم اجمعون .

(ص—٧٣)

الا ابليس استكبر وكان من الكافرين.

(ص—٧٤)

قال يا ابليس مامنعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت أم كنت من العالين .

(ص—٧٥)

قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين .

(ص—٧٦)

كما أن الآيات (٢٨— ٣٣) من سورة الحجر تبين هذا الأمر، ولكن مع فارق ضئيل في التعبير. ولقد تحدثنا مافيه الكفاية عن عبارة «صلصال من حماء مسنون».

ووردت في هذه الآيات كلمة الطين التي تحدثنا عنها مسبقاً. ولذلك لم يبق لدينا ما نقوله حول هذه الآيات.

هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا اجلاً مسمى ولعلكم تعقلون .

(المؤمن—٦٧)

وما جاء في هذه الآية وفي الجزء الأخير من الآية (٥) من سورة الحج قد أشير اليه مسبقاً.

خلق الانسان من صلصال كالفخار .

(الرحمن—الآية ١٤)

تشير هذه الآية الشريفة الى إحدى مراحل خلق آدم من الطين. ولقد فهمنا من الآيات السابقة، أن الله خلق آدم من الطين، إذ خلط التراب النقي مع الماء، فصنع الطين، وجعل ذلك كالطين الذي يستخدم في صناعة الفخار. ان كلمة «مسنون» في تعبير «صلصال من حماءٍ مسنون» تعني ذلك النوع من الطين الذي يستخدم في صناعة الفخار، حيث ان «سن الطين» يعني: عمله فخاراً — المنجد—) وخلق منه آدم، ثم نفخ فيه روحاً. أما عبارة **صلصال كالفخار** الواردة في هذه الآية فهي دلالة واضحة على معنى **«صلصال من حماءٍ مسنون»** وتؤيد هذا الأمر.

اضافة الى ذلك، ومع الأخذ بنظر الاعتبار معنى الصلصال الذي هو الطين الجاف —حسب ماورد في معاجم اللغة—ومعنى الفخار الذي يعني هو الآخر الطين الجاف، فأن احتمال كون آدم قد خلق من التراب والطين بهيئة موجود حي ذوخلية واحدة ليس صحيحاً.

الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة هواعلم بكم اذ انشأكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم فلا تزكوا انفسكم هواعلم بمن اتقى .

(النجم—آية ٣٢)

وهنا فأن عبارة **«انشأكم من الأرض»** يمكن أن تفسر بمعنى «أنشأكم مما في الأرض» أو «مما يعمل من الأرض». كما يمكن أن تفسر

بمعنى «أنشأ آباءكم من الأرض». لكن وعلى أي حال فإن الآية تخلو من أي ترجيح لأحد الإحتمالين التاليين، وهما؛ احتمال ما إذا كان المقصود هو الإنسان الأول، واحتمال ما إذا كان المقصود هو بقية أفراد البشر الذين جاؤوا بعد الانسان الأول.

والله انبتكم من الارض نباتا * ثم يعيد كم فيها ويخرجكم اخراجاً»

(نوح—١٧—١٨)

وهذه الآية تريد أن تبين حقيقة المعاد، كما تريد أن تقول: إن قدرة الله على خلق الإنسان من الأرض واتته، أي إعادته الى الأرض، هي مقدمة لاثبات القدرة على البعث.

وعلى هذا الأساس فأن الآية تريد من خلال عبارة «**والله انبتكم من الأرض نباتاً**» التذكير بالملاحظة التالية وهي أن الله له قدرة عظيمة يستطيع معها أن يخلقنا من الأرض والتراب بهيئة موجودات حية.

و من المحتمل فيما لو أخذنا بنظر الإعتبار لفظة «انبات» أن يقال بأن الآية تشير الى فرضية التكامل، إذ أن معنى الآية هو أنه مثلما تنبت البذرة في الأرض نتيجة للرطوبة والظروف المناسبة الأخرى، وتتبدل الى موجود صغير له القدرة على النمو، بحيث يخرج هذا الموجود من الأرض و يتبدل الى نبتة، فأن الإنسان قد خلق ونما من الأرض بنفس الصورة. إلا أن كلمة «الإنبات» لا تتناسب مع التكامل التدريجي، إذ انه من غير الصحيح إطلاق كلمة النمو على الموجود الذي يظهر وفق نظرية التكامل. فالبذرة تنمو في الأرض، إلا أن «الفيروسات» تصنع من الطين نفسه.

وقد استخدم القرآن الكريم عبارة «**وأنبتها نباتاً حسناً**» بمعنى الإنماء. وهذه العبارة تتحدث عن مريم، وهي من أحد مصاديق ضمير الجمع «كم» في كلمة «أنبتكم».

هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلاً، وأجل مسمى عنده ثم انتم تمترون .

(الأنعام—٢)

قد يقال عند النظر الى هذه الآية أنها تتطابق مع نظرية التكامل، لأنها تتحدث عن الأجل، لكن الحقيقة هي أن وجهة النظر هذه تتطابق كذلك مع وجهات نظر المفسرين، إذ لو كان الله قد خلق الإنسان من الطين الذي وصفه بـ «**صلصال من حماٍ مسنون**» و «**خلق الانسان من صلصال كالفخار**» فلابُدّ من توفر الأجل بين المرحلة الطينية والمرحلة الإنسانية.

ولذا، فهذه الآية تقبل لوحدها الإنطباق على كلا وجهتي النظر، ولكن في المجموع يجب حملها على رأي المفسرين.

إضافة الى ذلك، فأن الإحتمال الأقوى هو أن يكون المقصود من الأجل في هذه الآية، عمر الإنسان في هذه الحياة، وأن «الأجل المسمى» الذي يتحدث عنه الخالق ليس إلا الموت. وفي هذه الحالة، فان الجزء الأول من الآية هو بصدد توضيح كيفية خلق الإنسان الأول «آدم»، بينما الجزء الآخر منها لاعلاقة له بمسألة الخلق. والذي يؤيد هذا الإحتمال هو عبارة. «ثم أنتم تمترون» التي تقول انه بالرغم من أن الله قد خلقكم ثم يميتكم من جديد، إلا أنكم تشكّون في عمل الله.

والنتيجة؛ هي ان الجزء الأول من هذه الآية هو بصدد توضيح كيفية خلق الإنسان الأول، كما يريد بهذه الوسيلة أن يقول لنا (نحن أفراد البشر) انه بالرغم من أن اللّه خلق الانسان من الطين بصورة غير طبيعية، وخلقنا من ذلك الإنسان، وانه يميتنا بإرادته بعد انقضاء مدة معينة لايعلمها إلا هو (سبحانه وتعالى) فكيف اننا مع كل ذلك نشك في أمر الله.

إن هذه الآية ترفض بدورها نظرية التكامل ●

حديث

الروايات المشتركة

الشيخ محمود قانصوه/ لبنان

القسم الثالث

«باب: من لاتجب عليه الجمعة تجزؤة»

ماورد من طريق أهل البيت(ع):

١ ــ محمدبن الحسن، باسناده عن سعدبن عبدالله، عن محمدبن الحسن عن عباد ابن سليمان، عن القاسم بن محمد، عن سليمان، عن حفص بن غياث، قال: **[سمعت بعض مواليهم سأل ابن أبي ليلى عن الجمعة، هل تجب على العبد والمرأة والمسافر؟ قال: لا، قال: فإنْ حضر واحد منهم الجمعة مع الإمام فصلأها هل تجزيه تلك الصلاة عن ظهر يومه؟ قال: نعم، قال: وكيف يجزى مالم يفرضه الله عليه عمّا فرض الله عليه... الى ان قال: فما كان عند ابن أبي ليلى فيها جواب، وطلب اليه أن يفسّرها له، فأبى. ثم سألته أنا ففسّرها لي، فقال: الجواب عن ذلك؛ ان الله عزّوجلّ فرض على جميع المؤمنين والمؤمنات ورخص للمرأة والعبد والمسافر أنْ لاياتوها، فلما حضروا سقطت الرخصة، ولزمهم الفرض الأول، فمن أجل ذلك أجزأ عنهم. فقلت: عمَّن هذا؟ قال: عن مولانا أبي عبدالله(ع)]**[1].

٢ ــ دعائم الاسلام، عن علي(ع) أنه قال: **«إذا شهدت المرأة والعبد الجمعة، أجزأت عنها من صلاة الظهر»**[2].

ماورد من طريق أهل السنة:

١ ــ روينا عن الحسن البصري، أنه قال: **[قد كنَّ النساء يجمعن مع النبي(ص)]**[3].

٢ ــ أخبرنا أبوعبدالله الحافظ، أنبأنا أبو بكر أحمدبن اسحاق الفقيه، أنبأنا اسماعيل بن اسحاق، حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة، قال: **[سمعت حميد الفزاري**

دون التفسير ـ أي فقط (كل واعظ قبلة)[18] وكذا في المستدرك عن الجعفريات، قال: أخبرنا محمد، حدثني موسى، حدثنا أبي، عن أبيه، عن جده جعفر بن محمد(ع) عن أبيه(ع)... إلخ مثله. ونقله عن الراوندي كما في البحار بإسناده الى موسى بن جعفر(ع) ولعلّ الفرق إسقاط[19].

٣ ـ عبدالله بن جعفر في قرب الإسناد، عن عبدالله بن الحسن، عن جده علي بن جعفر، عن اخيه، قال: [سألته عن القعود في العيدين والجمعة والإمام يخطب، كيف يصنع؟ يستقبل الإمام؟ أويستقبل القبلة؟ قال: يستقبل الإمام][20].

ورواه في البحار عن قرب الإسناد، بإسناده الى علي بن جعفر، ضمن حديث طويل.

٤ ـ محمد بن علي بن الحسين، قال: قال النبي (ص) : [كل واعظ قبلة، وكل موعوظ قبلة للواعظ، يعني في الجمعة والعيدين وصلاة الإستسقاء في الخطبة يستقبلهم الإمام و يستقبلونه حتى يفرغ من خطبته][21].

٥ ـ وعن علي (ع) انه قال: [يستقبل الناس الإمام عند الخطبة بوجوههم، و يصغون اليه][22].

ماورد من طريق أهل السنة:

١ ـ أخبرنا ابوالحسن بن أبي المعروف الفقيه المهرجاني بها، حدثنا أبوسهل بشر بن احمد الإسفرائيني، حدثنا حمزة بن محمد الكاتب، حدثنا نعيم بن حماد حدثنا ابن المبارك عن معمر عن الزهري، قال: [كان رسول الله(ص) إذا أخذ في خطبته، استقبلوه بوجوههم حتى يفرغ منها][23].

٢ ـ أخبرنا أبو حازم الحافظ، أنبأنا أبو أحمد محمد بن الحافظ، أنبأنا أبو بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة، حدثنا اسماعيل بن اسحاق ـ أصله كوفي ـ بالفسطاط، حدثنا محمد بن علي بن عراب، حدثنا أبي عن ابان بن عبدالله البجلي، عن عدي بن ثابت، عن البراء بن عازب، قال: [كان النبي (ص) إذا صعد المنبر أو قال قعد على المنبر، استقبلناه بوجوهنا][24].

٣ ـ قال لعله أبو أحمد محمد بن الحافظ ـ وأخبرنا أبو بكر بن خزيمة قال: [هذا الخبر عندي معلول] ـ حدثنا عبدالله بن سعيد الاشج، حدثنا النضر بن اسماعيل عن ابان بن عبدالله البجلي، قال: [رأيت عدي بن ثابت يستقبل الإمام بوجهه، إذا قام يخطب، فقال له: رأيتك تستقبل الإمام بوجهك، قال: رأيت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلونه][25]. ونقله عن ابي داوود في المراسيل، عن أبي توبة، عن ابن المبارك[26].

«باب: في ان الإمام يسلّم»

ماورد من طريق أهل البيت(ع):

١ ــ محمدبن الحسن، بإسناده عن محمدبن علي بن محبوب، عن محمدبن الحسين، عن الحسن بن علي بن يوسف، عن معاذ بن ثابت، عن عمروبن جميع رفعه، عن علي(ع) قال: **[من السُّنّة إذا صعد الإمام المنبر ان يسلم إذا استقبل الناس]**[٢٧].

٢ ــ وفي البحار عن علي(ع): **[انه كان إذا صعد المنبر سلّم على الناس]**[٢٨].

ماورد من طريق أهل السنة:

١ ــ أخبرنا أبوعبدالله الحافظ، أنبأنا أبوبكر بن اسحاق، أنبأنا أحمد بن ابراهيم، حدثنا عمروبن خالد، حدثنا ابن لهيعة، عن محمدبن زيدبن المهاجر يعني ابن قنفذ التيمي، عن محمدبن المنكدر، عن جابر قال: **(كان رسول الله(ص) إذا صعد المنبر سلّم]**[٢٩].

٢ ــ أخبرنا أبوسعد الماليني، أنبأنا أبوأحمدبن عدي الحافظ، حدثنا أبوعروبة، حدثنا عبد الوهاب بن الضحاك (ح قال و أنبأنا) أبوأحمد، وحدثنا الفضل بن عبدالله بن سليمان، حدثنا الوليد بن عتبة، قال الوليدبن مسلم عن عيسى بن عبدالله الأنصاري، وقال الوليد: حدثني عيسى بن ابي عون القرشي عن نافع عن ابن عمر، قال: **[كان رسول الله(ص) إذا دنا من منبره يوم الجمعة سلّم على من عنده من الجلوس، فإذا صعد المبر استقبل الناس بوجهه ثم سلّم]**[٣٠]. و اخرج عبد الرزاق، عن ابن جريج، عن عطاء، نحو آخره.وكذا عن الشعبي بزيادة؛ **ان ابوبكر وعمر كانا يفعلان ذلك بعد النبي(ص)**[٣١].

«باب: الإمام يجلس حتى يفرغ المؤذن»

ماورد من طريق أهل البيت(ع):

١ ــ محمدبن الحسن، عن الحسن بن علي، عن جعفر بن محمد، عن عبدالله بن ميمون، عن جعفر، عن ابيه، قال: **[كان رسول الله(ص) إذا خرج الى الجمعة، قعد على المنبر حتى يفرغ المؤذنون]**[٣٢].

٢ ــ دعائم الإسلام عن جعفر بن محمد(ع) انه قال: **[يبدأ بالخطبة يوم الجمعة قبل الصلاة، واذا صعد الإمام، جلس وأذن المؤذنون بين يديه، فإذا فرغوا من الآذان، قام فخطب، ووعظ، ثم جلس جلسة خفيفة، ثم قام فخطب خطبة أخرى يدعو فيها، ونزل، فصلى الجمعة ركعتين، يجهر فيهما بالقراءة]**[٣٣].

قلت هذا الحديث يستفاد منه في أبواب الخطبة.

ماورد من طريق أهل السنة:

١ ــ وأخبرنا ابوعلي الروذباري، أنبأنا محمدبن بكر، حدثنا أبو داوود، حدثنا محمدبن سليمان الأنباري، حدثنا عبدالوهاب يعني ابن عطاء عن العمري، عن نافع، عن ابن عمر، قال: **[كان النبي(ص) يخطب خطبتين. كان يجلس إذا صعد المنبر حتى يفرغ اراه المؤذن، ثم يقوم فيخطب، ثم يجلس فلا يتكلم، ثم يقوم فيخطب]**.

قلت في قوله اراه المؤذن اضطراب، والأصح ان يكون (اراد المؤذن) أو (أراه اراد المؤذن) أو ماشابه. ثم هذا الحديث يفيد في باب الخطبتين والجلسة[34].

٢ ــ أخبرنا محمدبن عبد الله الحافظ، أنبأنا عبدالله بن الحسين القاضي، حدثنا الحارث بن أبي أسامة، حدثنا محمدبن عيسى بن الطباع، حدثنا مصعب بن سلام، عن هشام بن الغاز، عن نافع، عن ابن عمر، قال: **[كان النبي(ص) إذا خرج يوم الجمعة فقعد على المنبر، اذن بلال]**[35] وذكره الحاكم في المستدرك بهذا الإسناد: **[قال هذا حديث صحيح الاسناد]**[36].

٣ ــ عبد الرزاق لعله عن ابن جريح ــ ابن الإعرابي شك ــ قال: أخبرنا عطاء، قال: **[إنّما كان الآذان يوم الجمعة فيما مضى واحداً قط، ثم الإقامة، فكان ذلك الآذان يؤذن به حين يطلع الإمام، فلا يستوي الإمام قائماً، حيث يخطب حتى يفرغ المؤذن]**[37].

«باب: وجوب قيام الخطيب»

ماورد من طريق أهل البيت(ع):

١ ــ علي بن ابراهيم ــ في تفسيره ــ عن احمدبن ادريس (محمدبن احمد) عن احمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن صفوان، عن ابن مسكان، عن ابي بصير، انه سأل عن الجمعة كيف يخطب الإمام، قال: **[يخطب قائماً، انّ الله يقول: «وتركوك قائماً»]**[38].

٢ ــ تفسير القمي، عن احمدبن ادريس، عن محمدبن احمد، عن الحسين بن سعيد، عن صفوان، عن ابن مسكان، عن ابي بصيرانه (ع) سُئِلَ عن الجمعة كيف يخطب الإمام، قال: **[يخطب قائماً، فإنّ الله يقول: و«تركوك قائماً»]**[39].

ماورد من طريق أهل السنة:

١ ــ حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري، قال: حدثنا خالدبن الحرث، قال: حدثنا عبيدالله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: **[كان النبي(ص) يخطب قائماً، ثم يقعد، ثم يقوم كما تفعلون الآن]**[40].

ورواه مسلم عن الفواريري وابو كامل الجحدري، عن خالدبن الحارث مثله، بتغيير «يجلس» بدل «يقعد»[41].

وأرسل البخارى حديثاً عن أنس فى قيام النبي (ص) بالخطبة[42].

٢ ــ حدثنا يحيى بن يحيى، أخبرنا أبو حيثمة، عن سماك، قال: أنبأني جابر بن سمرة: **ان رسول الله (ص) كان يخطب قائماً، ثم يجلس، ثم يقوم فيخطب قائماً، فمن أنبأك انه كان يخطب جالساً فقد كذب. والله صليت معه أكثر من ألفي صلاة**[43].

قلت: ويظهر ان المراد من الألفي صلاة، الأعم من الجمعة وغيرها. ثم هذا الحديث، وكذا الحديث السابق في باب الخطبتين والقعدة بينهما، وكذا الحديث السابق. ومثل هذا الحديث رواه في البحار ج ٨٩ ص ١٣١ وفي المستدرك عن غوالي اللئالي ج ١ ص ٤١٠ كلاهما عن جابر بن سمرة. وهذا الحديث أخرجه عبدالرزاق، عن اسرائيل بن يونس، عن سماك، عن جابر نحوه[44].

«باب من أحدث القعود»

ماورد من طريق أهل البيت «ع»:

١ ــ محمد بن الحسن، بإسناده عن الحسين بن سعيد، عن فضالة، عن معاوية بن وهب، قال. ابو عبدالله (ع): **ان أول من خطب وهو جالس معاوية، وآستأذن الناس فى ذلك من وجع كان بركبتيه، وكان يخطب خطبة وهو جالس، وخطبة وهو قائم، يجلس بينهما**.. ثم قال: **الخطبة وهو قائم خطبتان يجلس بينهما جلسة لايتكلم فيها بقدر ما يكون فصل بين الخطبتين**[45].

وهذا الحديث، يفيد فى أبواب الخطبة المتقدمة.

ماورد من طريق أهل السنة:

١ ــ أخبرنا أبو عبدالله الحافظ، أنبأنا ابوالعباس المحبوبي، حدثنا سعيد بن مسعود، حدثنا النظر بن شميل، أنبأنا شعبة عن حصين، قال: سمعت الشعبي، قال: **[أول من أحدث القعود على المنبر معاوية]**[46].

وقال البيهقي: قال الشيخ احمد: **يحتمل انه انما كان قعد لضعف أو لكبر أو مرض والله أعلم.**

٢ ــ عبد الرزاق، عن معمر عن قتادة **[ان رسول الله (ص) وأبا بكر وعمر وعثمان كانوا يخطبون يوم الجمعة قياماً، ثم فعل ذلك عثمان، حتى شق عليه القيام، فكان يخطب قائماً، ثم يجلس، ثم يقوم أيضاً، فيخطب: فلما كان معاوية خطب الأولى جالساً، ثم يقوم فيخطب الآخرة قائماً]**[47] وأخرج عن محمد بن راشد، عن سليمان بن موسى، نحوه، ولم يذكر فعل عثمان، بل قال: **أول من جلس،**

معاوية، وزاد فعل عبدالملك[48].

٣ ـــ عبدالرزاق، عن ابن جريج، قال: أخبرني جعفر بن محمد(ع) عن أبيه(ع)، قال: **[فلمّا كان معاوية استأذن الناس في الجلوس في إحدى الخطبتين، وقال: إني قد كبرت، وقد أردت أجلس إحدى الخطبتين، فجلس في الخطبة الأولى]**[49].

«باب: الخطبتين بينهما قعدة»

ماورد من طريق أهل البيت(ع):

١ ـــ محمدبن يعقوب، عن علي بن ابراهيم، عن أبيه، عن حماد، عن حريز، عن محمدبن مسلم، قال؛ سألته عن الجمعة، فقال: الحديث... الى ان قال: **فيصعد المنبر، فيخطب ولايصلي الناس مادام الإمام على المنبر، ثم يقعد الإمام على المنبر قدر مايقرأ «قل هو الله أحد» ثم يقوم، فيفتتح خطبة، ثم ينزل...** الحديث[50].

٢ ـــ محمدبن الحسن، عن العباس، عن حماد بن عيسى، عن ربعي، عن عمر بن يزيد، عن أبي عبدالله(ع) قال: اذا **كانوا سبعة يوم الجمعة، فليصلوا في جماعة، وليلبس البرد والعمامة، ويتوكأ على قوس أوعصا، وليقعد قعدة بين الخطبتين...** الخ الحديث[51].

قلت: قد ذكرنا هذا الحديث في باب «الإمام يتوكأ على قوس أوعصا»، عن محمدبن علي بن محبوب عن العباس.

٣ ـــ محمدبن يعقوب، عن محمدبن الحسين وأحمدبن محمد، جميعاً عن عثمان بن عيسى، عن سماعة (في حديث) قال: قال ابوعبدالله(ع): **يخطب ـــ يعني إمام الجمعة ـــ وهوقائم يحمد الله ويثني عليه، ثم يوصي بتقوى الله، ثم يقرأ سورة من القرآن صغيرة(قصيرة) ثم يجلس، ثم يقوم فيحمد الله ويثني عليه ويصلي على محمد(ص) وعلى أئمة المسلمين...** الخ الحديث[52].

ماورد من طريق أهل السنة:

١ ـــ حدثنا مسدد، قال؛ حدثنا بشر بن المفضل، قال؛ حدثنا عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن عبدالله بن عمر، قال، **[كان النبي(ص) يخطب خطبتين يقعد بينهما]**[53] ورواه النسائي عن اسماعيل بن مسعود، عن بشر نحوه، و بزيادة (وهو قائم)[54] ورواه عبد الرزاق، عن معمر، عن عبيد الله بن عمر بن نافع بقية الإسناد نحوه[55].

٢ ـــ حدثنا يحيى بن يحيى وحسن بن الربيع وابوبكر بن ابي شيبة، قال: يحيى أخبرنا،

وقال: الاخران: حدثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن جابر بن سمرة، قال: **[كانت للنبي (ص) خطبتان، يجلس بينهما، يقرأ القرآن، و يذكر الناس]**[56].

و روى النسائي نحو هذا الحديث بتغيير مفيد[57] ورواه الحاكم في المستدرك بتغيير[58].

قلت: يستفاد من نص الحاكم، ان هذه الرواية مع الرواية المتقدمة في باب القيام عن جابر بن سمرة، رواية واحدة، فقسمها الرواة.

٣ ــ حدثنا محمد بن سليمان الأساري، حدثنا عبدالوهاب ــ يعني ابن عطاء ــ عن العمري، عن نافع، عن ابن عمر، قال: **[كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب خطبتين. كان يجلس إذا صعد المنبر حتى يفرغ ــ أراه قال المؤذن ــ ثم يقوم فيخطب، ثم يجلس، فلا يتكلم، ثم يقوم، فيخطب]**[59].

ونحوه روى الترمذي بإسناده عن نافع، عن ابن عمر[60] وروى نحو مجمع الزوائد بإسناده عن السائب بن يزيد[61].

وفي الباب روايات عديدة، فراجع[62].

الهوامش

١ ــ الوسائل ج ٥ ص ٣٤، والتهذيب ذكر الحديث في ضمن حديث طويل بتغيير في أوله و بزيادة قوله: (لاتحف على واحد منهم ولاالخائف). ج ٣ ص ٢٢ ح ٧٦.

٢ ــ المستدرك ج ١ ص ٤١٠.

٣ ــ سنن البيهقي ج ٣ ص ٥١٨٦.

٤ ــ سنن البيهقي ج ٣ ص ١٨٦، وعبد الرزاق ج ٣ ص ١٩١ ح ٥٢٧٤ و ٥٢٧٣.

٥ ــ مصنف عبدالرزاق ج ٣ ص ١٩١ ح ٥٢٧٥.

٦ ــ الوسائل ج ٥ ص ١٥، والكافي بتغيير بسيط ج ٣ ص ٤٢١.

٧ ــ الوسائل ج ٥ ص ١٤، والفقيه ج ١ ص ٢٦٩ ح ١٢٣٠ بتغيير بسيط.

٨ و ٩ ــ البيهقي ج ٣ ص ١٩٩ و ٢٠٠ و ج ٣ ص ١١١.

١٠ ــ الوسائل ج ٥ ص ٣٨.

١١ ــ الوسائل ج ٥ ص ٣٧، والبحار ج ٨٩ ص ٢١٠ نقلاً عن كتاب (العروس) بالتغيير الآتي ونحوه بتغيير بدل قوله: عدنية كلمة عبري في كتاب مستدرك الوسائل ج ١ ص ٤١٠ عن كتاب العروس والكافي ج ٣ ص ٢٤٦.

١٢ ــ البحار نقلاً عن دعائم الإسلام ج ٨٩ ص ٢٥٧ و في هامشه دعائم الإسلام ج ١ ص ١٨٣.

١٣ ــ البيهقي ج ٣ ص ٢٤٦.

١٤ و ١٥ ــ البيهقي ج ٣ ص ٢٤٦ وفي (المشكاة) ص ١٢٣ نقله عن مسلم.

١٦ ــ البيهقي ج ٣ ص ٢٤٧. وروي بإسناد آخر نحوه بتغيير بسيط في نفس الصفحة.

١٧ و ١٨ و ١٩ ــ الوسائل ج ٥ ص ٣٩ والكافي ج ٣ ص ٤٢٤، والبحار ج ٨٩ ص ١٩٧ عن النوادر. وفي الهامش عن ص ٢٤ و ٤٦ و ٥٠ و ٥١: والمستدرك ج ١ ص ٤٢٥ الحديث ١ و ٢ باب ٤٥.

٢٠ ــ الوسائل ج ٥ ص ٨٦.

٢١ ــ الوسائل ج ٥ ص ٨٦.

٢٢ ــ مستدرك الوسائل ج ١ ص ٤٠٩، و يظهر انه نقلاً عن دعائم الإسلام، وكذا عن دعائم الإسلام ج ١ ص ٤٢٥.

٢٣ ــ البيهقي ج ٣ ص ١٩٩، ونحوه في المنتقى ج ١ ص ٢٥ ح ١٦٠٦.

٢٤ ــ البيهقي ج ٣ ص ١٩٩، وروى الترمذي نحوه عن عبدالله بن مسعود ج ٢ ص ٣٨٣، وروى نحوه ابن ماجة ج ١ ص ٣٦٠، ونحوه في المشكاة ص ١٢٤.

٢٥ و ٢٦ ــ البيهقي ج ٣ ص ١٩٨ و ١٩٩.

٢٧ ــ الوسائل ج ٥ ص ٤٣.

٢٨ ــ البحار نقلاً عن دعائم الإسلام ج ٨٩ ص ٢٥٧، وفي هامشه دعائم الإسلام ج ١ ص ١٨٣، وفي مستدرك الوسائل ج ٤ ص ٤١٣ الحديث ١ باب ٢٢ عن دعائم الإسلام.

٢٩ ــ البيهقي ج ٣ ص ٢٠٤ والمنتقى ج ٢ ص ٢٣ ح ١٦٠١ نقله عن ابن ماجة. وابن ماجة ج ١ ص ٣٥٢.

٣٠ و ٣١ ــ البيهقي ج ٣ ص ٢٠٥ وأسنده بإسناد آخر مع تغيير في نفس الصفحة. وعبد الرزاق ج ٣ ص ١٩٢ ح ٥٢٨١ و ٥٢٨٢، ومجمع الزوائد في لفظ البيهقي ج ٢ ص ١٨٤.

٣٢ ــ الوسائل ج ٥ ص ٤٣.

٣٣ ــ مستدرك الوسائل عن دعائم الإسلام ج ١ ص ٤٠٨ الحديث الثالث باب ٦.

٣٤ ــ البيهقي ج ٣ ص ٢٠٥.وفي المشكاة ص ١٢٤.ونصب الراية ج ٢ ص ١٩٦.

٣٥ و ٣٦ ــ البيهقي ج ٣ ص ٢٠٥ والحاكم في المستدرك ج ١ ص ٢٨٣ وروى المنتقى نحوه بتغيير ج ١ ص ٢٤ ح ١٦٠٥.

٣٧ ــ مصنف عبدالرزاق ج ٣ ص ٢٠٥ ح ٥٣٣٩.

٣٨ ــ الوسائل ج ٥ ص ٣٢.

٣٩ ــ البحار ج ٨٩ ص ١٨٥.

٤٠ و ٤١ ــ البخاري ج ١ ص ١٠٨، ومسلم ج ٣ ص ٩، والبيهقي ج ٣ ص ١٩٧، والمنتقى ج ٢ ص ٢٧ ح ١٦١٤.

٤٢ ــ البخاري ج ١ ص ١٠٨.

٤٣ و ٤٤ ــ مسلم ج ٣ ص ٩، وابو داوود بإسناده عن سماك مثله ج ١ ص ٢٨٦، والبيهقي بإسناده عن جابر بن سمرة مثله ج ٣ ص ١٩٧، ونقله عن مسلم، وقد قدّمناه، والنسائي ج ٣ ص ١٠٩ بتغيير و نقصان آخره، ورواه بإسناد آخر نحوه ص ١١٠، والحاكم في المستدرك بتغيير وزيادة سؤال عن الخطبة في آخره ج ١ ص ٢٨٦، والمنتقى ج ٢ ص ٢٧، ونقله عن أحمد وعبد الرزاق ج ٣ ص ١٨٧ ح ٥٢٥٧، وذكر أحاديث كثيرة حول القيام في الخطبة. وأخرجه أبو داوود بإسناده ج ١ ص ٢٨٦ ح ١٠٩٣ وذكر نحوه بتغيير الحاكم في المستدرك ج ١ ص ٢٨٦ وفي المشكاة ص ١٢٤ ونصب الراية ج ٢ ص ١٩٦.

٤٥ ــ الوسائل ج ٥ ص ٣١ والتهذيب ج ٣ ص ٢٠ ح ٧٤.

٤٦ ــ البيهقي ج ٣ ص ١٩٧.

٤٧ و ٤٨ ــ مصنف عبدالرزاق ج ٣ ص ١٨٧ ح ٥٢٥٨ و ٥٢٥٩.

٤٩ ــ مصنف عبدالرزاق ج ٣ ص ١٨٨ ح ٥٢٦٤ وفي قعود معاوية في مجمع الزوائد ج ٢ ص ١٨٧.

٥٠ ــ الوسائل ج ٥ ص ١٦ والكافي ج ٣ ص ٤٢٤.

٥١ ــ الوسائل ج ٥ ص ١٥ و ٣٨ و٩.

٥٢ ــ الوسائل ج ٥ ص ٣٨ والكافي ج ٣ ص ٤٢١ وفي الباب أحاديث كثيرة. البحار ج٨٩ ص٢٥٦.

٥٣ و ٥٤ و ٥٥ ــ البخارى ج ١ ص ١٠٩، والبيهقي ج٣ ص١٩٦ بإسناده عن نافع، عن ابن عمر بتغيير آخر. النسائي ج ٣ ص ١٠٩، وعبدالرزاق ج ٣ ص ١٨٨ ح ٥٢٦١، وراجع مجمع الزوائد ج ٢ ص ١٨٧ عن البزار وقال في الحديث رجال الطبراني رجال الصحيح، وأخرج نحوه عن السائب بن يزيد، ونحوه روى ابن ماجة في سننه ج ١ ص ٣٥١، ونصب الراية ج ٢ ص ١٩٦.

٥٦ و ٥٧ و ٥٨ ــ مسلم ج ٣ ص ٩ وأبو داوود ج ١ ص ٢٨٦، والنسائي ج ٣ ص ١١٠، والحاكم في المستدرك ج ١ ص ٢٨٦، وروى نحوه المنتقى ج ٢ ص ٢٦ ص ١٦١١، وروى عبدالرزاق الثوري عن سماك عن جابر نحوه ج ٣ ص ١٨٧ ح ٥٢٥٥، وأخرجه بإسناده أبو داوود ج ١ ص ٢٨٦، ونحوه في المشكاة ص ١٢٣، والدارقطني ج ١ ص٣٦٦.

٥٩ و ٦٠ و ٦١ ــ أبو داوود ج ١ ص ٢٨٦، ونحوه بتغيير في نفس الصفحة عن جابر بن سمرة والترمذي ج ٢ ص ٣٨٠ ومجمع الزوائد ج ٢ ص ١٨٧.

٦٢ ــ عبدالرزاق ج ٣ ص ١٨٨ والطبراني ج ٢ ص ١٨٧ وأبو داوود ج ١ ص ٢٨٧ وما يأتي.

الله في حياة الانسان

سلسلة من المحاضرات التي
القاها الشهيد مرتضى
المطهري

المحاضرة الثانية

قلنا فيا مضى بأن التوحيد من وجهة نظر الإسلام، ينقسم الى نوعين:

١ ــ توحيد نظري

٢ ــ توحيد عملي

وقلنا بأن العلماء المسلمين قسّموا التوحيد النظري الى ثلاثة أنواع:

١ ــ توحيد في الذات.

٢ ــ توحيد في الصفات.

٣ ــ توحيد في الأفعال.

وهذه الأُمور مستنبطة من القرآن المجيد، ترتبط بالفكر والتصور والإعتقاد، وتعتبر نوع من التصور والمعرفة، وحصيلة نوع من التفكر. إلّ أن التوحيد العملي، هو التوحيد الذي يعبّر عن علماء الإسلام بـ «التوحيد في العبادة» وهو نو من الحياة ونوع من «الوجود».

فالأول يعتبر نوعاً من التصور، والثاني يعت نوعاً من الحياة والوجود. وان ذلك التصو ــ حسب منطق الاسلام ــ يقوم مع هذا الوجو

بإيصال الإنسان الى الكمال، أي أن الإنسان يعتبر موحداً مادام يمر في مرحلة التصور، غير انه لايعتبر موحداً كاملاً، بل لايعتبر موحداً حقيقياً. إذ ان الموحد الحقيقي هو الشخص الذي يجب أن يكون موحداً في مرحلة الحياة ومرحلة «الوجود».

وبالمناسبة، فاننا نجد خطبة الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء والتي ألقتها في مسجد الرسول(ص) في جمع المهاجرين والأنصار ـ وتعتبر من الخطب القيّمة في العالم الإسلامي ـ بعد أن تبدأ بالحمد والثناء والشكر لله تتطرق الى الشهادة بالتوحيد بالتعبير التالي:

«أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لاشريك له، كلمةٌ جَعلَ الإخلاص تأويلها، وضمنَ القلبَ موصولها، وأنار في الفكر معقولها».

و تبين الزهراء(ع) في شهادتها هذه، اعتقادها بالتوحيد النظري، ولكنها ومن أجل أن توضح بأنّ التوحيد النظري غير منفصل عن التوحيد العملي في الاسلام، تقول:

«كلمة جعل الإخلاص تأويلها»

وحسب التعبير القرآني، فأن التأويل يعني المآل. والشيء الذي تكون عودته ونهايته بل وحقيقته عائدة له يعتبر تأويلاً لتلك الحقيقة.

و هذه الجملة تبين بأن التوحيد النظري اذا كان توحيداً نظرياً محظاً، أي اذا لم يتعد مرحلة الفكر والمرحلة النظرية الى المرحلة العملية، وتوقف في مرحلة التصور ولم يتحقق في مرحلة حياة الانسان، فانه لايعتبر توحيداً حقيقياً من وجهة نظر الإسلام.

ان أكثر الأفراد المتكلمين ـ يطلق علماء الإسلام مصطلح المتكلمين على الأفراد الذين يتحدثون عن أصول الدين ـ الذين كانوا يعتبرون من علماء علم الكلام، وكانت لهم القدرة على الإستدلال بصورة جيدة، والذين كان بإمكانهم غلبة وادانة خصومهم حين كانوا يُسألون عن طريقة إثبات وجود الله ووحدانيته وقدرته وعلمه وحكمته، كانوا يأتون بالدليل تلو الدليل للسائل. فكانوا يحفظون الأدلة بمهارة كما يحفظ الطالب درسه، ذلك انهم كانوا متكلمين، وكانوا ملمين بعلم الكلام.

لقد كان من بين هؤلاء المتكلمين (ولا نريد أن نقول كل المتكلمين) أفراد لم يتجاوز توحيدهم مرحلة الفكر والخيال والتصور الى مرحلة العمل والاخلاص، أي لم يكن بإمكان هؤلاء أن يعيشوا موحّدين بصورة عملية، وكأنّ مرحلة توحيدهم كانت تنحصر في مرحلة فكرهم وتصورهم، ولا تتعدى الى أبعد من ذلك. انهم كانوا موجودات مشركة! وعبيداً لألف شيء وألف شخص غير مؤهل! كانوا يعبدون الشيطان ومع ذلك كانوا موحدين من ناحية التصور، و يثبتون وجود الله بأدلة جيدة. فهل يعتبر هؤلاء موحدين من وجهة نظر الاسلام؟

الجواب: كلا ان التوحيد حسب وجهة نظر الإسلام يجب ان يطبق في وجود الانسان، إذ ان (الله) في التصور والفكر انما هو مقدمة لـ (الله) في الحياة. فالتأثير الأول للتوحيد هو الوحدة والإنسجام في النفس الإنسانية، لأن التوحيد يعني الوحدة، وحدة العالم، بدليل وحدانية الله:

«لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إلّا ٱللهُ لَفَسَدَتا»

(الأنبياء ـ ٢٢)

وهذه الآية تريد بيان وحدة النفس، والمثال الذي يضرب به القرآن بهذا الصدد، مثال عجيب وبديع جداً. ان المثل الذي يضرب به القرآن حول

الشخص الموحد والمشرك ، مثل مأخوذ من نفسيتهما.

تقول الآية إن مَثَلَ الإنسان الموحّد من الناحية النفسية، كمثل الشخص المخلص الذي يسلّم أمره لشخصٍ ومقامٍ واحدٍ، وتسيطر على وجوده قوة واحدة، أما الفرد المشرك ، فلا تتوفر وحدة وتجانس وتناسق في شخصيته، و يستحوذ على نفسيته عدة شركاء ومالكين، يشتركون في وجوده، وهؤلاء الشركاء لهم طبائع وأخلاق سيئة وهم اعداء فيما بينهم، أي شركاء متشاكسون. والانسان البذيء الخلق هو الانسان ذوالطبيعة السيئة. ولو كانت هناك نفس تتحكم فيها قوى متضادة وغير متجانسة، وكان كل جزء من نفسه تحت تصرف أحد المالكين، لتمزقت تلك النفس.

و بشكل عام، هناك نوعان من التفكير حول تصورات الإنسان و شؤون حياته، فهو يفكر في بعض المسائل، و يفكر في الوجود، أي يحصل على نظرة كونية كما يعبر عنها اليوم وقد ينتهي تفكيره الى الثنوية (التي كانت سائدة في ايران قديماً) أي الإعتقاد بوجود قوتين أصيلتين تتحكمان في العالم، فيعتبر بعض الظواهر والحوادث حسنة نيرة أي خيراً و يعتبر الظواهر والحوادث الاخرى مظلمة ومذمومة، أي شراً. فالعالم ينقسم بنظر هذا الشخص الى أمور لابُدَّ من وجودها، أي أن الأشياء الموجودة والتي يجب أن تكون تعتبر أموراً حسنة، وخيراً، ونوراً، أما الأشياء التي ما كان يجب لها أن توجد، فهي شر وظلام! فكيف كان ذلك؟ ولماذا يكون نصف العالم خيراً، ونصفه الآخر شراً! حتى انهم ـــ أصحاب العقيدة الثنوية ـــ قسموا مناطق العالم الى مناطق خير ومناطق شر، فمثلاً تعتبر المنطقة الشمالية، منطقة خير، فهي خضراء وبهيجة وفيها فواكه وأسماك كثيرة، ولكن هناك صحراء لوط أيضاً التي لايوجد فيها سوى الموت. ووصل بهم الأمر بأن قسموا الأراضي الى قطع خير وقطع شر! إذاً فهناك قوتان تتحكمان في العالم: الأُولى تعتبر منشأ الخير والنور والأُخرى تعتبر منشأ الشر والظلام! وهذا مايسمى بالرؤية الكونية الثنوية.

وكما نعلم فان هناك رؤية كونية ثالوثية تسود الكثير من نقاط العالم، و يعتقد أصحاب هذه العقيدة بأن للعالم وكل شيء ثلاثة أبعاد. فهم ينظرون الى مبدأ العالم، كثلاثة أشياء، أو شيء له ثلاث نواح، أو وجود واحد، ولكن بثلاث قوى، و بثلاث نواح. وهذا مايسمى بالتفكير الثالوثي. كما كان يوجد في العالم أُناس يعتقدون بأن هناك قوىً بعدد الأنواع الموجودة في العالم، فكانوا يعتقدون بأن الإنسان يعتبر أحد الأنواع، وله رب مستقل، وان الحصان يعتبر نوعاً آخر وله رب خاص به، والبعير أيضاً له رب خاص به، وللماء رب خاص به وللنار رب خاص بها. وفي مقابل هذه الرؤى هناك رؤية كونية توحيدية ترى بأن كل شيء في عالم الوجود يعود الى قوة واحدة، ومبدأ واحد، كما وتعتقد بأن النظام الكلي للعالم يعتبر نظام خير، أي أنها تعتقد بعدم وجود أشياءٍ موجودة ما كان يجب أنْ تخلق. وهذا هو منطق القرآن الذي يقول:

«الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ».

(السجدة ـ ٧)

و ينقل القرآن عن موسى بن عمران وأخيه

هارون قولهما لفرعون:

«قالَ رَبُّنا ٱلَّذي أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى»

(طه ـ ٥٠)

وهناك آيات أخرى تتعلق بهذا الموضوع، ولكن ما هو منشأ هذه الأفكار المختلفة؟ ولماذا يكون مجتمع ما موحداً ـ أي موحداً في العبادة ـ ومجتمع آخر ثالوثاً؟ وآخر يعتقد بالثنوية، أي يتبع الثنوية في العبادة؟ ومجتمع آخر له آلهة متعددة حتى اصبحت الآلهة في بعض الأحيان بعدد أفراد البشر او على الاقل بعدد الأنواع الموجودة في العالم؟! ما هو اصل هذا التشتت الفكري؟ ومن أين ينشأ؟

يعتقد بعض العلماء بأن الإنسان له فكر ومنطق وقوة للاستدلال بحيث يستطيع الاستدلال في مسألة ما بصورة جيدة و يتوصل الى الحقيقة. وقد لايمكنه الاستدلال بصورة جيدة، فيقع في الخطأ أو أنه قد يقبل أمراً ما على أساس الفكر والعقل والمنطق. ومن الممكن أن يقبل أمراً آخر على أساس التقليد والتلقين وتبعاً للأجواء التي يعيش فيها.

و يرجع منشأ اختلاف هذه الأفكار والرؤى الى أن بعض الرؤى وجدت عند بعض الشعوب بحكم التقليد والتلقين، كما وجدت في شعوب اخرى بحكم الإنزلاق الفكري، ووجدت صحيحة عند شعوب أخرى بحكم أفكارها الصائبة واستنتاجاتها الصحيحة. ومن جهة أخرى يعتقد البعض بأن الأفكار والرؤى الكونية التوحيدية أوالثالوثية أو الثنوية أو أرباب الأنواع بل وحتى الرؤية الكونية المادية ليست لها أصالة! إذاً ماهو الشيء الأصيل بنظر هؤلاء؟

يقول هؤلاء: لابُدَّ من دخول حياة الشخص ومعرفة حياته الشخصية ونظامه الاجتماعي والاقتصادي، والسياسي. واذا تمت معرفة ذلك لأمكن معرفة الرؤية الكونية للشخص، بعبارة أخرى فأن جذور الرؤى الكونية والتي تشمل الرؤية الكونية المادية التي تنكر وجود الله ـ حسب رأى هؤلاء ـ تكمن في الحياة الإجتماعية للشخص، فمثلاً إذا عاش الإنسان في مجتمع يقوم على أساس الديمقراطية والحرية والمساواة، ولم يتحكم عليه فرد أو حكومة ما، فهل من الصحيح أن نقول إنَّ هناك قوة أو قوتين أوثلاث أو عشر قوى أو ألف قوة تتحكم في العالم؟.

و يقول هؤلاء أيضاً ان العالم لا تتحكم عليه أية قوة! وذلك لعدم وجود قوة تتحكم على المجتمع الذي يعيش فيه. فهو يتقبل العالم حسب مجتمعه، و بعبارة أدق فأن الإنسان يعتبر العالم مثالاً لمجتمعه، و يتصور بأن نظام العالم هو نفس نظام مجتمعه. فالشخص الذي يعيش في مجتمع ملحد ينظر الى الكون نظرة الحادية، والمجتمع الذي تتحكم فيه آلهة متعددة ينظر الى الكون نظرة حاكمية الآلهة المتعددة، والمجتمع الذي تتحكم فيه قوتان تكون نظرته الكونية ثنوية، والمجتمع الذي تتحكم فيه ثلاث قوى تكون نظرته الكونية نظرة ثالوثية. اما المجتمع الذي تتحكم فيه قوة واحدة فأن نظرته الكونية ستكون نظرة توحيدية حتماً، أي انه يرى العالم من خلال مرآته.

ولهذا الكلام الذي يقوله كثير من علماء المجتمع، جذور في الفلسفة الأوروبية التي سلخت فيها العقيدة الإلهية ومعرفة الله، وسلخ فيها التوحيد، و بالتالي الإنسان نفسه.

ومن الأمور التي قدمت قرباناً في مسلخ الانسانية في أوروبا والتي نحرالإعتقاد بالله والايمان به على اثرها هومسألة سلب الأصالة من منطق الإنسان بأي شكل كان، وهذا معناه أن عقل وفكر ومنطق الانسان لايعتبرون قوى حرة وأصيلة.

ان بعض الأفراد حينما تطرح مسألة عليه، و يقال له بأن الفيلسوف الفلاني له نظرية فلانية حول الموضوع الفلاني، أو اذا قيل له بأن الأرض مركز الكون وأن الشمس تدور حول العالم، أو أن هذه النظرية خاصة بالكُلف الموجودة في الشمس، أو في القمر أو خاصة بالمجرات، أو بالأعداد والرياضيات ونظرية فيثاغورس الذي يعتقد بأن الأعداد مبدأ كل الأشياء، لقال: هات الشروط العينية والذهنية لتلك المسألة كي أعلل لك سبب تفكيرك هذا.

ان القرآن الكريم يرى بأن الشروط العينية والذهنية تعتبر منزلقاً في فكر الإنسان، وقد توصل العلماء المسلمون الى ذلك منذ صدر الإسلام، إلّا أن الإختلاف يكمن في: هل أن بإمكان فكر الإنسان ومنطقه أنْ يتحررا من تأثير وجذب الشروط العينية والذهنية أم يستحيل عليها ذلك؟ وهل أن الشروط العينية والذهنية التي تعتبر نظارات ملونة موضوعة على عين الإنسان هي نظارات ملونة وضعت جبراً على عين الإنسان ولايمكنه طرحها جانباً أم انه يتمكن من استبدالها بنظارات بيضاء أو حتى الاستغناء عنها، فينظر الى الأشياء بصورة مباشرة؟.

فهذه النظرية تقول بدورها: هات الشروط العينية والذهنية كي أعلل لك جميع أفكار وتصورات المذاهب والفلسفات والنظريات في العالم.

إن شخصاً كهذا يقدم الإنسان ونفسه أيضاً قرباناً لنظريته، فما هي قيمة فلسفته؟ لاشيء. ففلسفته أيضاً تتبع الشروط العينية والذهنية له وكذلك غيره. انه يعتقد بعدم امكانية تغيير نظارته الخضراء واستبدالها بنظارة أُخرى مادام يعيش في ظل الظروف المحيطة به، و يعتقد أن من يضع نظارة حمراء يرى العالم أحمراً وفق نظارته ولايمكنه استبدالها بغيرها مادام يعيش في ظل الظروف المحيطة به، واذا ما حل ذلك الشخص ــ ذو النظارة الحمراء ــ محل الفرد ذو النظارة الخضراء فأنه سوف يرى العالم كما يراه ذوالنظارة الخضراء لامحالة، والعكس صحيح أيضاً.

إذاً فليست هناك أية قيمة لفلسفته أو فلسفة غيره، كما وليست هناك أية قيمة لتصوراته وأفكاره، ويجب أن يطرح منطقه وعلمه واستدلاله وكل شيء (مادي أو إلهي) جانباً!

وهنا نواجه السفسطة. أما إذا أعطينا للانسان أصالة ــ على أقل تقدير ــ وأنقذنا الإنسان من هذا المسلخ، فأن ذلك العمل يعتبر صحيحاً الى حدٍما.

يقول الإمام علي(ع):

«من عَشِقَ شيئاً أعشى بصره وأمرضَ قلبه».

كما قيل أيضاً:

«حُبُّ الشيء يُعمي و يصم».

وان هذا القول:

«إمارة العقلِ مكسوفٌ بِطوعِ هَوى».

هو كلام صحيح، وكل هذه الأقوال صحيحة، وتحث الإنسان على تحرير نفسه، وتبين قدرته على تحرير نفسه، وتدعو الإنسان الى عدم اليأس أوالشعور بالعجز.

إذاً فهناك نوعان من التفكر: أحدهما يعطي للإنسان أصالة في فكره ولكن ليس في كل الظروف، فمسألة تقليد الإنسان واتباعه الكبراء خطأ لايقبل به القرآن، كما انه ــ أي القرآن ــ لايقبل باتباع الظن. و قد جاء القرآن بالإعجاز وهو يتحدث عن منشأ الانحراف الفكري. وآخر يقول: إن النظرة الكونية للإنسان تتأتى تبعاً للشروط العينية والذهنية والاجتماعية، ولكن القرآن يرفض هذا النوع من التفكير، و يقول بأن الإنسان يمتلك ذلك المقدار من الأصالة للتوصل الى الحقيقة اذا ماقاد عقله وفكره بشكل سليم. وفي مثل تلك الحالة فأن فكر الإنسان سيعمل على بناء مجتمعه وروحه.

يقول تعالى:

«ضَرَبَ آللهُ مَثَلاً رَجُلاً فيهِ شُرَكاءُ مُتَشاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلاً...»

(الزمر ــ ٢٩)

القرآن يريد أن يقول: أيها الإنسان، فكّر جيداً، تصوَّر جيداً، ليكن لك تصور حر. إننا أعطيناك أصالة تمكنك من التخلص من تلك الظروف. فكّر جيداً، تصوَّر جيدا، إن تصورك سيوصلك الى الحقيقة التي ما أن تصلها حتى ترى أُولى آثارها وثمارها. وهذا الأثر هو تخليص نفسك من التشتت والتفرقة، و بعبارة أُخرى شفاؤك من أكبر داء نفسي.

قد تكونوا قرأتم بأنه حتى علماء النفس الماديين والملحدين كـ(فرو يد)متلا يقبلون هذه الحقيقة، كما أن الإحصاءات تشير الى أن المجتمعات البشرية المؤمنة بالله هي أكثر سلامة من الناحية النفسية من غيرها، وذلك بحكم الوحدة والتجانس والتناسق الذي يتركه الايمان بالله على النفوس البشرية، كما وتشير الى أن المجتمع غيرالمؤمن بالله يصاب بالأمراض النفسية أكثر من غيره.

ومن الظواهر الموجودة في مجتمع اليوم هو ازدياد الأمراض الجسمية بصورة أكثر عما كانت عليه قديماً، وكذلك ازدياد الأمراض النفسية الفتاكة، و يقال بأن للأمراض الجسمية جذوراً عصبية، و يطلق على أمراض قرحة المعدة وقرحة الأمعاء وقرحة الاثني عشري بـ (أمراض المدنية) لماذا؟ هل أن السيارة مسؤولة عن إصابة الفرد بمرض قرحة المعدة؟ هل يصاب الإنسان بقرحة المعدة اذا ما ركب الطائرة التي تقطع مسافة ١٥٠ فرسخاً خلال ساعة مثلاً؟

إن ركوب الطائرة لايترك أثراً كهذا، اذاً ماهو مرض المدنية؟

ان مرض المدنية يكمن في الفراغ الذي تركه فقدان الإيمان عند الانسان في الحضارة الحديثة، وهناك مناظرة موجودة في أحد كتب فرو يد ترجمت من قبل أحد المنحرفين، وهذه المناظرة تدور بين فرو يد وتلميذه اللامع (يونغ) الذي يعتبر من الباحثين في حقل علم النفس، ومن المؤمنين بالله والذي دحض نظرية استاذه فرو يد حول مسألة «اللاشعور» حيث فنّد ما ذهب اليه فرو يد من أن جميع عناصر اللاشعور الموجودة في الإنسان إنما تعتبر هزيمة وتراجع عن مرحلة الشعور، موضحاً بأن هناك عناصر فطرية وأصيلة في مرحلة اللاشعورمن نفس الإنسان، والذي يشكل الايمان بالله إحداها، و يعترف فرو يد في هذه المناظرة بدور الدين والمذهب في الحد من الأمراض النفسية، و يعترف أيضاً بأن الدين

والمذهب يقفان الى حد كبير بوجه شيوع الأمراض النفسية، ولكنه ــ وبما انه منكر للدين والمذهب ــ يعتقد بوجوب تحرير البشر من قيود الدين والمذهب، لأن الدين والمذهب كما يعتقد خرافة! وأن الإعتقاد بالخرافة هو نوع من المرض. غيران (يونغ) يجيبه بأن المذهب لايعتبر خرافة، بل هو حقيقة، ومن الإجرام أنْ نترك علاجاً من أجل سلامة النفس البشرية، وأنْ نتمسك بتصوراتنا.

ولو يليام جيمز الذي يعتبر من أبرز الفلاسفة الباحثين التجريبيين في العالم، كتاب بإسم (الدين والنفس). لاحظوا أن لهذا الرجل رأياً حول دور الإيمان في سلامة النفس، وهذا الرأى يعبر عن نفس الشيء الذي تعبر عنه هذه الآية:

«ضَرَبَ اللّهُ مثلاً رَجُلاً فيهِ شُركاءُ مُتشاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلاً، الحَمْدُ لِلّهِ بَلْ أكْثَرُهُمْ لايَعْلَمُونَ».

ولا أتصور أن أحداً استطاع أنْ يعبر عن هذا الموضوع بالشكل المختصر والشامل الذي عبّر عنه القرآن، حيث تظهر على الإنسان صفة تعدد الشركاء بصورة جبرية عندما لايتحكم الإيمان بالله والتوحيد وعبادة الله والتوحيد العملي في حياته؟

ومن يتصور أنه بإمكان الإنسان أن يتحرر من كل شيء هو على خطأ. إذ أن تحرر الإنسان من كل شيء يعني موته، ذلك أن هناك تحرراً من الهدف أيضاً وتحرراً من المسؤولية ومن التعهد والإلتزام أيضاً. فاذا أراد الإنسان أنْ يكون إنساناً، فلابُدَّ له أن يحمل هدفاً، وأن حمله الهدف يعني خضوعه له لأنه سيحكم وجوده. يقول الفلاسفة إن كل دافع يسمى بالعلة الغائية، يعتبر في الواقع فاعل الفاعل.

فهل يمكن للانسان أن يعيش دون دافع؟ وهل يمكنه أن يشرب الماء دون دافع؟ كلا، ان ذلك أمر مستحيل. هل يمكنه أن يدخل المسجد دون دافع؟ كلا، ان ذلك أمر مستحيل أيضاً.

ان الإنسان عندما يغمر رأسه في ماء المسبح له دافع يدفعه الى أن يفعل ذلك، كما أن هناك دافعاً آخر يدفعه الى اخراج رأسه من تحت الماء، فاذا لم يكن لهذا الشخص دافع لما كان يقدم على غمر رأسه في الماء أو أن يكتب دون دافع.

هل يمكن ان يدّعي الإنسان خدمة البشرية دون دافع؟ وهل يمكن أن يدّعي المسؤولية والعهد دون دافع، ثم يدّعي الحرية المطلقة والعصيان المطلق و يقول أُريد أن أعصي، إذاً فلي وجود؟ هل فكّر الإنسان بأن له هدفاً ودافعاً؟ إن الإنسان اذا كان له دافع معين، فإنَّ ذلك الدافع سيتحكم في وجوده.

إن أمر الإنسان لايدور بين امتلاك الدوافع و بين الافتقار اليها، بل يدور بين امتلاكه لدافع و بين امتلاكه لآلاف الدوافع. فهل يدور أمر الإنسان بين وجود دافع يطغي على كل الدوافع و بين وجود دوافع سيئة؟

و من هنا نرى بان القرآن الكريم لايطرح مسألة عدم وجود حاكم على وجود الإنسان. ان عدم وجود حاكم على وجود الإنسان مسألة بالية، والقرآن يبين بأن هناك إنسانين: انسان يتحكم فيه شركاء متشاكسون، وآخر له مالك واحد حكيم، وهذا المالك لايتفق مع غيره فحسب، بل يتفق مع مملوكه أيضاً. لاحظوا مدى الفرق بين هذين الإنسانين.

وفي هذا المجال تتواجد وحدة العناصر النفسية

التي يكون التوحيد في نفس الإنسان أول آثارها.

إذا فانّ نتيجة بحثنا هي: إنّ للتوحيد آثاراً على نفس الإنسان، منها:

١ ـ إنّ التوحيد يوجد الوحدة والتنسيق في نفس الإنسان.

٢ ـ أما في المجتمع، فإنّ القرآن يريد أنْ يقول بأنّ حاكمية القوة الواحدة على المجتمع هي التي اوجدت هذا الشكل من الرؤية الكونية، بل انه يعتقد بأنّ الإيمان هوالذي يمكنه ايجاد مجتمع يقوم على أساس الوحدة الإلهية (لا الوحدة الانسانية) التي يسودها حكم الله ●

الحكومة في الاسلام

بقلم: آية الله الشهيد الدكتور بهشتي

ترجمة: ناظم شيرواني

القسم الثاني

هدف الحكومة

لا تتبع حكومات العالم المختلفة هدفاً واحداً، وهذا الوضع كان قائماً منذ القدم، وإنْ دلّ على شيءٍ فانما يدل على وجود فوارق بين الحكومات.

وهذه الفوارق لها عوامل كثيرة، تنشأ من؛ العقائد الدينية، التقاليد القومية، النظم الاجتماعية والمحيط الجغرافي، وعلى الاغلب من الغرائز والأهواء والأغراض الشخصية.

ومن هنا يمكن تقسيم هذه الفوارق والعوامل الى عدة أصناف، وسنركز في هذا البحث على صنف واحد منها يقسّم الحكومة الى ثلاثة أنواع رئيسة:

١ ـ الحكومات التي لا تهدف سوى الى تلبية رغبات الحاكم والهيئة الحاكمة:

في هذا النوع من الحكومات، تتلخص الغاية من القوانين والقرارات والأجهزة الحكومية والنظم الإجتماعية، في تقوية أركان الحكومة وتوفير الرفاهية المادية والمعنوية للأشخاص الذين يديرون زمام الأمور، في حين أن منهج المجتمع ونشاط الأجهزة الإجتماعية، يتحددان وفق رغبات الحكام.

مثلاً إذا كان الحُكّام يفكرون في الإهتمام بالآخرين، وحل مشاكلهم، وإعمار البلاد، وتوفير الرفاهية للشعب، فان

جميع الطاقات تحشد لهذا الغرض، وبذلك تزدهر البلاد، وتتحسن أوضاع الشعب.

أما إذا كانوا يفكرون بالتوسع وإشعال نار الحروب، فإنّ جميع الطاقات والإمكانات تخصص للحرب والسلاح قبل أي شيء آخر. وعندها يكون أسمى المقاصد متمثلاً بالبسالة والإقتتال، ويجب أن يتحول كل شيء الى آلة حرب، حتى وإنْ تحولت البلاد الى خربة وتدهورت أوضاع الجماهير، إذ لابُدَّ من مواصلة التضحية بنسبة لأهواء الحكومة. كما ويجب أنْ تتحلى الجماهير عن كلّ شيء وتقاتل حتى النفس الأخير، لكي تلبي بعملها هذا رغبة الحكام في التوسع[1]. وبهذه الوسيلة فقط دخل «جنكيزخان» و «تيمورلنك» التاريخ.

وإذا كانت فلسفة الحكام تقوم على الود والتأدب فقط، لأصبحت الفلسفة والآداب محوراً لكافة النشاطات الإجتماعية، ويتم أحياناً الإهتمام بالفلسفة والفن الى درجة يتم معها تجاهل الإحتياجات المادية والصناعية بصورة كلية، فيقع في المجتمع تيارات من الفقر المادي، ويحرم حتى من أبسط الوسائل المعيشية.

وإذا كان الحكام يسعون الأهواء والشهوات، فيجب آنئذ أن تركز جميع الأشياء أمام بساط الشهوة. وفي تلك الحالة تمتلئ الكؤوس بالنبيذ ـ على الدوام ـ ويزداد عدد الفاسقين والفاسقات. وقد يصرف الحاكم أو الحُكّام كمية كبيرة من ثروات البلاد لكسب قلب فتاة ما، بل والتضحية بأراضي البلاد اذا ما تطلب الأمر، فتذهب الفضائل المعنوية والسجايا الأخلاقية للفرد والمجتمع ضحية أهواء الحكام، وتتدرج الساقطات من النساء في المناصب الحكومية، وبالتالي يقدم الحكام الفاسقون على عقد اتفاقيات سياسية واقتصادية تضر بالبلاد والشعب.

وشعار هذا النوع من الحكومات هو: «كلُّ شيء في خدمة الرغبات الشخصية للحكومة»

فليس مهماً ما اذا كانت السلطة بيد (نيرون) الذي كان يحكم روما، أو بيد الفيلسوف ماركسة أورل، الذي كان هو الآخر امبراطوراً لروما.

والشعار الآنف الذكر يشكل الى حدٍ ما ميزة عامة للحكومات الفردية والطبقية، ويعتبر رغبات الحكومة (كالملك على سبيل المثال) ملاكاً لتقييم الأمور. فالشيء الذي يرغب فيه الملك يكون جيداً، وإلاّ كان سيئاً، حتى أن الشخص يكون جيداً ومعتبراً طالما تحظى برغبة الملك فيه، لكن إذا استاء الملك منه، يصبح سيّئاً وقبيحاً، وبذلك

1 ـ كما هو الحال بالنسبة لصدام الذي فرض حرباً على الثورة الاسلامية بهدف تحقيق مطامعه (المترجم).

تستطيع رغبة الملك أن تتلاعب بكل شيء، وحتى بالأخلاق والدين.

يقول «ميكافيلي»: إن النهج الصحيح للحكم هو أن لا يتخوف الحاكم من أي شيء من أجل المحافظة على سلطته وقدرته وتحقيق ما يصبو اليه... يجب أن يرحم إذا تطلب الأمر، و يظلم و يضطهد و يقتل و يسلب و يؤسر ويحرق و يدمّر ولا يبالي بالفضائل الأخلاقية والمعتقدات الدينية، و يفضل رغبته ومصلحته على الدين والأخلاق والعدل والقوانين والسنن الأخلاقية والمعتقدات الدينية في الحالات اللازمة. ولن تكون السنن الأخلاقية، والقوانين والعقائد الدينية معتبرة وقيمة ما لم تساعده على تنمية قدرته. وفي تلك الحالة فقط يجب أن يتم المحافظة عليها والسعي لنشرها، أما إذا أصبحت تلك الأمور سببا لإضعاف قدرة الحاكم، فيجب القضاء عليها. ويجب عليه ان يدعم أقذر الممارسات وأقبح المفاسد الأخلاقية، وأرذل المذاهب لحفظ سلطته. إذ أن الحق بنظر الحكومة يتمثل بالشيء الذي يساعدها على البقاء، بينما الباطل هو الشيء الذي يحاول إضعافها.

٢ ـ الحكومات التي يكون هدفها الرئيسي، تحقيق رغبات الناس، وتسمى بالحكومات الوطنية:

وهذا النوع من الحكومات يتواجد في النقطة المقابلة للنوع الأول، حيث تفتقر مثل هذه الحكومات الى الأهداف، وعليها أن تطيع المجتمع، فإذا أراد المجتمع شيئاً، سعت لتوفيره، وإذا رفض شيئاً حاولت هي الأخرى رفضها. على سبيل المثال إذا كان المجتمع يطالب بالمعنويات، تعمل الحكومة على توفيرها. وإذا كان يطالب بالتطور المادي والصناعي والعلمي، لا تجهد نحو الصناعة والعلم. أما إذا كان يدعو للفساد واللهو والطرب، لقامت الحكومة وفق برنامج مدروس بتهيئة الأجواء الملائمة لهذه الأمور، مع فرض ضرائب كبيرة على الناس.

وفي هذا النوع من الحكومات، تعتبر القوانين وحتى الدستور تبعاً لرغبة الناس. مع هذا الفارق وهو أنها عند ما تريد أن تغيّر الدستور فأنها تتصرف وفقاً أكثر فيما الى القوانين العادية.

وليس هناك أي مبدأ ثابت. وحتى الأخلاق والدين والمعتقدات العمومية والإجتماعية لا تمكن الإعتماد عليها بشكل دائم، بل ولا يمكن اعتبارها مطلقة وغير قابلة للتغيير. إذ أن وظيفة الحكومة الوطنية المحضة لا تتعدى تلبية الرغبات العامة، وعليها أن تقبل رأي الأكثرية الساحقة، حتى وإنْ كان مخالفاً للمصلحة العامة، فأما أنْ تعمل خلافاً لسياستها و تضرر الناس، أو أنْ تستقيل لتأتي حكومة أخرى وتقوم بهذا العمل. ومثل هذه الحكومات نرى أن الحق والباطل، والجيد والرديء، والجمال والقبح، والمصلحة وعدم

المصلحة، لا تتمثل سوى برغبة الأكثرية. فالحق حسب مفهومها هو ما تتفق عليه الأكثرية، بينما الباطل هو ما ترفضه تلك الأكثرية.

٣ ــ الحكومات التي يكون هدفها الأساسي، تأمين مصالح الناس:

وفي هذا النوع من الحكومات، تشكل مراعاة المصلحة العامة، مبدأ ثابتاً ومطلقاً وغير قابل للتغيير، حيث يجب مراعاة مصلحة الناس، في حدود المصلحة وعدم اتباع رأي الأكثرية حين يكون مخالفاً للمصلحة العامة.

وطبيعي أن أكثر المصالح العامة تتغير إذا ما تطلب المكان والزمان الى ذلك التغيير، كما أن رغبة الناس تقوم في بعض الأحيان بجعل عمل ما مصلحة، وآخر خلافاً للمصلحة، ومع ذلك يكون هناك مصالح مطلقة وغير قابلة للتغيير، وأن رأي الحكومة في مثل هذه الموارد، يكون مطلقا وغير قابل للتغيير.

المصلحة:

هذه الكلمة شاملة ولها معنى واسع، فهناك: مصلحة مادية، ومصلحة معنوية في حدود الأخلاق، ومصلحة معنوية في حدود الدين، ومصلحة مادية ومعنوية، ومصلحة أخلاقية ودينية، ومصلحة شخصية، أو مصلحة عدة أشخاص، أو طبقة معينة، أو شعب معين، أو شعوب قارة ما، أو قومية معينة، أو جميع القوميات والشعوب والقارات، وأيضا مصلحة جيل معين أو عدة أجيال.

والحكومات من هذه الناحية تكون على أنواع، وأفضلها هي الحكومة التي تأخذ المصالح المادية، والمعنوية، والأخلاقية، والدينية لجميع الأفراد والطبقات والشعوب والقوميات والأجيال بنظر الإعتبار.

ومن بين الحكومات التي تطرقنا اليها في القسم الأول من البحث[1]، فإنَّ الحكومة الإلهية تدَّعي انتهاجها هذه السياسة، فهي تقول إنها تنظر نظرة شمولية الى جميع الأماكن والأشخاص والأمور. و يكون رئيس الحكومة فيها، أي النبي ملماً بالمسائل الخارجية والقوانين الحكومية، الى جانب تخصصه في الشؤون الدينية، و يعمل وفق ما يوحى اليه.

ويمكن مشاهدة نماذج كثيرة من هذه الإرشادات الإلهية، في سيرة الأنبياء، وفي الآيات القرآنية التي تتحدث عنهم.

لقد كان مرشد الرسول الأكرم (ص) في جميع الحالات... في الحرب أو الصلح، متمثلاً بالوحي.

فقبل معركة بدر نزل عليه «(ص)» وحي إلهي، بشره بالنصر[2]. وفي المجلس الحربي

---

١ ــ يرجى مراجعة العدد الثامن من مجلة التوحيد ــ ص٨٤.

٢ ــ الانفال ــ الآية ٧.

الذي شُكّل بأمر من الرسول الأكرم (ص) على أثر تحرك جيش قريش من مكة نحو بئر بدر، فإنَّ بعض المسلمين قالوا بأن القتال ضد قريش غير ضروري، لكنَّ الرسول (ص)، رغم جميع الأخطار، ومن خلال الإتكاء على الوحي الإلهي، والإيمان بالنصر، كان مصمماً على القتال. وقد شعر بعض الصحابة برغبته «ص» في الحرب، ومن بين هؤلاء نهض مقداد، وقال ما معناه: اننا نؤمن بك، ونعتبرك صادقاً، ولا نكرر ما قاله بنو اسرائيل «... **فاذْهَبْ أنتَ وَرَبُّكَ فَقاتِلا، إنّا هُهُنا قاعِدُونَ**» (المائدة ــ ٢٤)... نحن نقول، اعمل بأوامر الله، وأننا سنقاتل معك.

ثم نهض سعد بن معاذ رئيس الأنصار، فقال ما معناه: فداك أبي وأمي... أننا نؤمن بك، ونعتبرك صادقاً فيما تقوله لأنه من جانب الله، فامرنا بما تشاء وخذ من أموالنا ما تريد، فارتاح الرسول الأكرم (ص) من أقوال مقداد وسعد، وتوجّه مع المسلمين الى بدر، مفضلاً المصالح الإسلامية على وجهات نظر هذا وذاك.

و يكون هدف الحكومة الإلهية وأجهزتها السياسية والإجتماعية، متمثلاً بتحقيق السعادة للبشرية، ولن تكون لأغراض الحكام ومصالحهم الشخصية أية أصالة، حتى أن الوضع المعاشي لرئيس الحكومة و بقية المسؤولين يكون في حد تقتضيه المصالح العامة، بحيث لا تتباين معه حياة أي مسؤول في الحكومة مع حياة أي فرد عادي. كما أن مطالب الناس المادية لا تتعدى نطاق الحاجة، و يتم الحيلولة دون ظهور التفرقة والإفراط والتفريط حتى، وإنْ كان الناس يرغبون فيها، حيث لا مطالب الأكثرية تكون لها أصالة في هذه الحكومة، ولا الأهواء والشهوات المادية.

و يكون ضمان المطالب المادية للناس في ظل الحكومات الإلهية، في حدٍ، بحيث لا يواجه لا الفرد ولا المجتمع ضغوطاً مادية، و ينحرفا نتيجة لذلك، كما لا تحشد جميع الطاقات في خدمة الأهواء والشهوات والإبتعاد عن الكمال المعنوي. فالمجتمع في ظل هذه الحكومات لا يعاني من الفقر والمرض والجهل والشقاء والمصاعب، ولا يغرق بالمرة في الأمور المادية، بحيث تسيطر الشهوة على عقله فيتجه نحو الفساد، مبتعداً عن الفضائل المعنوية.

ــ حكومة الأنبياء ــ

«**وما أرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إلاّ لِيُطاعَ بِإذْنِ آللهِ...**».

(النساء ــ ٦٤)

ان كلمة «الحكومة» لم ترد في الآيات والروايات وأقوال فقهاء ومتكلمي المسلمين، خاصة في المراحل الأولى من صدر الإسلام، بمعنى الحكم، بل كان تسمى «الإمامة» و «الولاية» وردت في المعنى المذكور.

واليوم، فإنّ المقصود من كلمة «الحكومة» أو «الحكم» هو القضاء والتحكيم كما أن الحكم جاء مراراً في القرآن بمعنى القضاء.

والآية ٨٩ من سورة الأنعام تقول:

«أولئِكَ ٱلَّذِينَ آتَيْناهُمُ ٱلْكِتابَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ...»

(الأنعام ــ ٨٩)

كما جاء مثل هذا التعبير في موارد أخرى من القرآن الكريم. لكن وبالنظر للموارد الأخرى التي استعملت فيها كلمة «الحكم»، فلا يمكن القول أن معنى هذه الكلمة هو غير القضاء، والحكم بين الحق والباطل. لكننا في بحثنا هذا استعملنا كلمة «الحكومة» بمعناها المتعارف عليه اليوم، أي الحكم وإدارة أمور المجتمع.

حكومة الأنبياء:

إن الأنبياء لم يبعثوا للحكم بالمجتمع، إذ أنهم وقبل كل شيء مرشدون ومرسلون من قبل الله، وأن الهدف الأساسي من بعثهم هو إرشاد الناس الى الصراط المستقيم.

انهم جاءوا لحل الاختلافات في الآراء والعقائد حول الحق والحقيقة، وإراءة الحق للناس، وسوقهم الى الله، وجعلهم يؤمنون بالله وبيوم الحساب، وحثهم على الأعمال الصالحة، وتبشيرهم بالثواب الإلهي، وتخويفهم من عذابه سبحانه وتعالى:

«كانَ ٱلنّاسُ أُمَّةً واحِدةً، فَبَعَثَ ٱللّهُ ٱلنَّبِيّينَ مُبَشِّرينَ وَمُنذِرينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتابَ بِالحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا فِيهِ..»

(البقرة ــ ٢١٣)

«وَما نُرسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إلاّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ..»

(الأنعام ــ ٤٨ و الكهف ــ ٥٦)

ونفهم من الآيات القرآنية التي وردت بخصوص النبوة وبعث الأنبياء، أن نهج الأنبياء هو أقرب الى نهج معلم فكري ومعنوي منه الى أي حاكم أو زعيم سياسي.

ومع ذلك، فإنّ اطاعة أوامر الأنبياء، تعتبر لازمة على جميع أفراد البشر:

«وما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إلاّ لِيُطاعَ بِإذْنِ ٱللّهِ...».

(النساء ــ ٦٤)

وعلى هذا الأساس، وأنّ إطاعة الأنبياء تعتبر قانوناً إلهياً، شُرِّع للبشرية جمعاء، وأن تجاهل أوامر الأنبياء يعتبر معصية تترتب عليها عقوبات أخروية، سواء أكانت أوامره صادرة في مجال الشؤون الدينية، أو في مجال الشؤون الدنيوية، أو في مجال الشؤون الشخصية، أو في مجال الشؤون الاجتماعية،

العناصر الاساسية للسياسة الاسلامية

القسم الأول

آية الله جوادي الآملي

(١) ــ ان السياسة، صناعة يعرف بها تدبير الانسان بما له من الشؤون الفردية والاجتماعية. وبما له من العقيدة والخلق والعمل، وبما له مساس بالطبيعة، وبما له من روابط خاصة مع أهله وقومه ومن يشاركه في النوع، مع ماله ربط خاص بمدئه ومبدأ الكل وهو الله الخالق لكل شيء.

(٢) ــ ان السياسة، حكمة عملية، متفرعة عن الحكمة النظرية، وتختلف باختلافها، فمن كان رأيه: ان الانسان موجود مادي صرف، لأن كل موجود متحقق مادي، وان ما ليس بمادي فليس بموجود، وان الانسان الموجود سيصير معدوماً بحتاً كما كان ليس محضاً، وأنه لاحياة وراء الحياة الطبيعية، وانه لاحساب ولا ميزان لأعماله الحسنة أو السيئة بعد الموت. فالسياسة عنده هي كيفية تدبير الانسان وادارة شؤونه بحيث يأكل و يتمتع و يترف و يتزين بالأزياء، و يتكاثر و يقول اني أكثر مالاً وأعز نفراً، يتبجح بأنه أحسن أثاثا ورئياً، ولا يبالي من اين كسب المال واين أنفقه، حلالاً كان أو حراماً. فعلى هذا تكون العناصر الرئيسية للسياسة لديه مادية بحتة، واما من كان رأيه ان الأنسان مؤلف من نفس ناطقة لا تبيد ولا تموت، و بدن مادي،وهو ــ أي الانسان ــ انما تنقل من دار الى دار، وانها لا تنعدم رأسا بل تتحول من حالة الى حال بما له من المعارف والأخلاق والأعمال، وان من وراء حياته الدنيوية برزخاً الى يوم يبعثون، وان هناك موقفاً توفى فيه كل نفس ما كسبت، وان أمامه موطنا تتلو فيه كل نفس ما أسلفت، وان قدّامه ميعاداً علمت نفس فيه ما قدّمت وأخّرت.

فالسياسة عند صاحب الرأي الثاني، صناعة تهذيب الانسان، وتصحيح روابطه الفرديه والاجتماعية، بحيث يقوم بالقسط، و يأمر بالعدل، و يؤثر غيره على نفسه، وان كان به خصاصة، و يقول **(لا تَغُرَّنَّكم الحَياةُ آلدُّنيا ولا يَغُرَّنَّكُمْ باللّهِ آلغَرور)** و يترنم بأنه **(قَدْ أَفلَحَ مَنْ تَزَكَّى)** كما كان الأول يتصور بانه **(قَدْ أَفلَحَ آليَوْمَ مَنِ آسْتَعْلىٰ)**. فعلى هذا الرأي الثاني تكون العناصر الرئيسة للسياسة، مؤلفة من الأمور المادية والمعنوية كما سيوافيك تفصيلها.

(٣) ــ وحيث أن محور الكلام،هو تعيين العناصر الأصلية للسياسة الاسلامية. والاسلام دين الهي يرى الانسان متحولاً من النشأة الأولى الى الآخرة ليرى أعماله ويجري بها، و يرى أن له مبدئاً أوجده، ومعاداً يصير هو اليه و يلقاه ويحاسب عنده. فالعناصر الاصلية للسياسة عنده مؤلفة من العلل الطبيعية ومن العلل غير الطبيعية، وفي ضوء هذا التمييز بين المذهبين المادي والالهي نقول: ان العناصر الرئيسية للسياسة الاسلامية اربعة:

الأول: هو العنصر المادي:

وهو الانسان بما انه نوع يعيش مع أبناء نوعه، وله خصائص فردية، وخواص اجتماعية.

والثاني: هو العنصر الصوري:

وهو الدين الالهي بما له من الحِكَم والأحكام وهو كرامة إلهية يتصور بها الانسان، و يصير به كريماً في فضائله، وكريماً في عقائده وأخلاقه وأعماله، وكريماً في روابطه الفردية والاجتماعية، وتتبلور سياسته في كرامته الشاملة.

الثالث: هو العنصر الفاعلي:

وهو الله رب الانسان، ورب كل شيء، الحري بأن يديره، و يربيه، و يسوسه، ويهديه الى صراطه، ولا سائس سواه، ولا رب غيره.

الرابع: هو العنصر الغائي:

وهو الكمال المحقق والبهاء الصرف الذي لا كمال فوقه ولا بهاء وراءه: الجدير بأن يكون غاية للانسان الكادح اليه، ونهاية له ينتهي بلقائه و يستقر

لديه، وهو الله الذي اليه تصير الأمور فهو تعالى: الآخر، كما أنه تعالى هو الأول.

فتحصل ان المسوس، هو الانسان بجميع شؤونه التي يعيش بها مع اوليائه وأعدائه وفي أدواره وأطواره، وان سياسته وتدبيره هما كرامته وتكريمه لأن يتجلى الكرم في حياته السامية، وأن سائسه هو خالقه وربه الأكرم الذي علّم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم، وأن هدفه العالي هو لقاؤه سائسه وزيارته ربه وان تكون له قدم صدق عنده ومقعد صدق لديه.

فمن عرف حقيقة الانسان وواقعية الاسلام، وعرف خالقه الباري ومعاده الذي ينتهي اليه امره، فقد عرف السياسة الاسلامية. وأعرف الناس بالسياسة الاسلامية، أعرفهم بتلك الحقائق المتقدمة، ومن جهل هاتيك الحقائق البارعة فقد جهل السياسة الاسلامية جهلاً تاماً، لأن ذوات الأسباب لا تعرف إلا بأسبابها. فمن جهل السبب فقد جهل بالمسبب حتماً، كما ان من عرف السبب فقد عرف المسبب يقيناً، وتمام الكلام وان كان متوقفاً على تنميق المقال في العنصر الأول إلا ان البحث المهم هنا هو في العنصر الصوري. أما العنصر المادي وهو الانسان المؤلف من نفس مجردة وبدن مادي فله موطن آخر، كما ان اثبات عنصري الفاعلي والغائي لهما موقف اجل واعلى تكفله الفلسفة الالهية الاسلامية بأبسط وجه.

وحيث ان القرآن تبيان لكل شيء، وهو يهدي للتي هي أقوم لانه نور وبرهان وبصائر وشفاء لما في الصدور من الجهل والريب، وان رسول الله (ص) مبين للناس ما نزّل اليهم، وان من كان بمنزلة هارون من موسى (ع) ومن كان له أذن واعية تعي جميع ما ألقاه رسول الله (ص) وأملاه وأفاضه وأفاده من خطبه وخطاباته وكتبه (ص) ورسائله (ص) وسيرته (ص) وسنته، وكذا أهل بيته وعترته الكرام الذين هم حياة العلم وموت الجهل، فهذه الأمور ينابيع الدين ومصادر التبيين، ومسانيد التشريع، فبذلك كله يستند في توضيح السياسة الاسلامية من بُعدها الصوري وهو الدين المتبلور في كرامة الانسان بما أنه إنسان بحيث تكون الجامعة الانسانية المسلمة هي الاسلام الممثل.

وحيث ان الانسان، موجود واعٍ، له تفكر وتخلق وعمل، فهو لا يعمل شيئاً إلاّ بعد ان يراه حسناً بحاله، ولا يراه حسناً، إلاّ بعد التفكير. فحياته، حياة فكرية، لايعيش بدونها، كما انه محتاج الى غير واحد من الأمور، ليس في وسعه وحده تكفلها، بل لابُدَّ من ان يعيش مع غيره من أبناء نوعه حتى يتكفلوا جميعاً تأمين حوائجهم بأن يبذل كل واحد شيئاً للآخر ويأخذ شيئاً منه بالمعاوضة أو نحوها، وهذا لايتم بدون ضابط وقانون يعيشون في ضوئه، وبما ان كل واحد منهم يجر النار الى قرصه، ولذا احتاجوا الى قانون حافظ لمنافعهم وجامع لشملهم، كما انه لايمكن ان يجعل وضع ذلك القانون بأيديهم وإلاّ وقع التشاجر أيضاً، لأن كل واحد منهم يضع قانوناً ينفعه أو ينفع أهله وقومه وان ضرَّ غيره. ولما كان اختلافهم في العمل الخارجي، قد أوجب الافتقار الى قانون يجمع شتاتهم، كذلك اختلافهم في العمل الذهني والنفسي وهو الفكر والخلق والدواعي النفسانية، وما الى ذلك من الضغائن والأحقاد أو الاراء والأهواء، يوجب الاحتياج الى قانون معصوم عن الزيغ والطغوى بحيث لا ترى فيه عوجاً ولا امتا، وحيث ان القانون المعصوم عن الخطأ والجهل صامت لاينطق بل انما هو سواد على بياض يمكن ان يفسر بما تهواه أنفس الطغاة، وأن يترجم بما يثير الضغائن أو الاحقاد، ويتخذ هزواً ولعباً يلعب به من يعطف الهدى على الهوى، ويستهزئ به من يحرف الكلم عن

مواضعه، فلا بُدَّ من إنسان كامل كافل لذلك الفانون المصون عن كل نقص وشين، وقائم بأمره حتى يفسّره كما هو في نفسه، و يعلّمه الناس و يبلّغه إليهم، و يدعوهم اليه، و يسير فيهم بنفس ذلك الفانون؛ و يذب عن حريمه، ولا يخاف في الله لومة لائم، ولا يمس كرامته خوف ولا حزن بل يسعى في حفظه بقلبه وقالبه، و يضحي بنفسه تجاهه لأن في حفظ ذلك الفانون الراقي تحفظ الانسانية وتصير مدينتها فاضلة لايسمع فيها شعار الجاهلية الجهلاء — «أنْصُرْ أخاكَ ظالِماً أو مَظْلوماً»[1] بل يسمع فيه صوت العدالة الانسانية «كونا للظالم خصماً، وللمظلوم عوناً» (نهج البلاغة ص ٤٢١) وفوق ذلك كله قول الله تعالى:

«وَلا تَكُنْ لِلخائِنينَ خَصيماً»

(النساء: ١٠٥)

«وَلا تَرْكَنوا اِلىٰ ٱلَّذينَ ظَلَموا فَتَمَسَّكُمُ ٱلنار»

(هود: ١١٣)

«وَلا تَعاوَنوا عَلَى ٱلاِثْمِ وَٱلعُدوانِ»

(المائدة: ٢)

وذلك الانسان الكامل الحافظ لحدود الفانون، المفسّر له علماً، المنفّذ له عملاً، هو الإمام السائس الناس على ميزانه، بحيث لا يحيف ولا يجور فيه، ولا يفسّره بالأهواء، ولا يعمل فيه بالآراء الخاصة، بل يقدّسه كل التقديس، ويحفظه كل الحفظ عن التحريف والضياع.

فهذه العناصر الرئيسة لصورة السياسة ومادتها المشار اليها إجمالاً، ولابُدّ في تفصيلها من تشريح الحياة الانسانية وما لها من العلل وما عليها من العوارض والصواعق، ومن تبيين محتوى ذلك الفانون الرافع لجميع حوائجها، ومن تحليل رابطة الأمة والإمام، ومن كيفية هداية ذلك الامام وولايته وتدبيره للمجتمع الانساني، ومن الحقوق المتقابلة.

ثم ان خصيصة السياسة الاسلامية التي هي الصورة الكاملة للانسانية، سعيها البليغ في ان تعرّف الانسان حقيقته وتبينها له، لا بأنْ تكتفي بقولها:

(مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ، فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ)

وقولها:

(أعْرَفُكُمْ بِنَفْسِهِ، أعْرَفُكُمْ بِرَبِّهِ)

الاقتصاد للشيخ الطوسي ص (١٤) بل تشهده على نفسه وتنبهه وتحيي ارتكازه النائم وتوقظه وتستدل على ان له نفساً لا تنعدم، وان أعماله لا تزول وأنّ بين أعمالها وذاتها ارتباطاً خاصاً لاينفصم، وانه ان احسن فقد أحسن لنفسه وإنْ أساء فلها — اي ان العمل مختص بعامله حسناً كان أو سيئاً، وان كل إنسان بما كسب رهين.

والحاصل: ان السياسة الاسلامية، ليست بأنْ تدبر الانسان الموجود، وتدبره كائناً ما كان، وفي ضوء أية تربية نشأ وارتقى، بل بأن تعلّمه الكتاب التكويني والتدويني، وتعلّمه كتاب نفسه، وتقول له في الدنيا؛ إقرأ صحيفة ذاتك، وتدبّر فيها، وأجد التأمل في حقيقتك حتى تعلم من انت، ومن أين انت، وفي أين أنت، والى أين أنت. كما تقول له في الآخرة:

«إقرَأْ كِتابَكَ كَفىٰ بِنَفْسِكَ ٱليَوْمَ عَلَيْكَ حَسيبا»

(الاسراء: ١٤)

فهذه هي السياسة الحقيقية التي تسوس الانسانية، وتدبرها، وترزقها حياة طيبة، لا مجال فيها لشوك الظلم؛ ولا التعدي، ولا نيران العصبية ولا وقود القومية الجاهلية، ولا سعير الطغيان، ولا أي داء من أدواء البشرية، بل تضع عنها اصرها والاغلال التي كانت عليها، وتحل لها الطيبات وتحرم عليها الخبائث، وتخرجها من الظلمات الى النور، وتهديها الى صراط العزيز الحميد، وتحررها من

عبودية الشهوة، كما تعتقها عن رقبة القسوة، وتعدلها بالعدل الجميل، وتقول:

«إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسانِ وَإِيتاءِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَٱلْبَغْيِ»

وتقول:

«قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ»

وتحطم التكاثر والتباهي بالكثرة والتفاخر بها فردياً كان كما في قوله تعالى:

«فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ»

(القصص: ٧٩)

أو جمعياً كان كما في قوله تعالى:

«تَتَّخِذُونَ أَيْمانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ، إِنَّما يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ»

(النحل: ٩٢)

«ان عبد الشهوة أذل من عبد الرق»

(نهج البلاغة)

وتهدم المعيار الجاهلي، وتبين وهنه وفساده، كما قال رسول الله (ص) لعلي (ع):

(ان الله تبارك وتعالى قد أذهب بالاسلام نخوة الجاهلية وتفاخرها بآبائها، ألا ان الناس من آدم وآدم من تراب وأكرمهم عندالله اتقاهم). من لايحضره الفقيه ج ٤ ص ٢٦٢.

وتؤسس المعيار الالهي، وتبين سداده ودوامه كما قال رسول الله (ص):

(لافقر اشد من الجهل، ولا مال أعود من العقل، ولا وحدة أوحش من العجب، ولا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف عن محارم الله، ولا حسب كحسن الخلق، ولا عبادة مثل التفكير) من لايحضره الفقيه ج ٤ ص ٢٧٠.

وتنادي بأن النجاة، في التحرر من أوزار الميول المهلكة وأثقال الأهواء المردية. وفي الانعتاق من أعباء الغرائز التي تكون على شفا جرف هار تنهار في نار جهنم، كما قال رسول الله (ص): نجى المخفون.

وتصرّح بان صرح الاستقلال، إنما هو على أساس الاستغناء عن غيرالله تعالى يا صاح إقرأ ما قاله رسول الله وانظر كيف تكون السياسة الاسلامية متبلورة في الكرامة، و يالها من كرامة، حيث قال (ص):

(لأن ادخل يدي في فم التنين الى المرفق أحب إليّ من ان أسأل من لم يكن ثم كان) من لا يحضره ج ٤ ص ٢٧٠.

كما كان سبطه علي بن الحسين السجاد (ع) يقول:

(ان طلب المحتاج الى المحتاج سفه من رأيه، وضلة من عقله، فكم قد رأيت يا الهي من أناس طلبوا العز بغيرك فذلوا، وراموا الثروة من سواك فافتقروا وحاولوا الارتفاع فاتضعوا...)

(الصحيفة السجادية دعاء ٢٨)

وكذا يقول (ع):

(سبحان ربي كيف يسأل محتاج محتاجاً، وأنى يرغب معدم الى معدم..)

(الصحيفة السجادية دعاء ١٣)

وهكذا يؤسس بنانه على التقوى أي الكرامة التي لاسياسة دونها، كما لا كرامة في سياسة خالية من المعيار الالهي، حيث يقول الامام زين العابدين (ع) اذا نظر الى اصحاب الدنيا:

(اللهم اعصمني من ان اظن بذي عدم خساسة، أو اظن بصاحب ثروة فضلاً فان الشريف من شرفته طاعتك، والعزيز من اعزته عبادتك، فصل على محمد وآل محمد ومتّعنا بثروة لا تنفد، وايدنا بعز لا يفقد، واسرحنا في ملك الابد)

(الصحيفة السجادية دعاء ٣٥)

فانظر أيها الانسان الجائع الى طعامك المعنوي وتبصر، انه لايسد جوعك إلاّ الكرامة التي هي

السائسة التي تسوسك وتديرك لتصير كريماً، لا يظلم ولا ينظلم، ولا يخون ولا يأتمن الخائن، لا يفسق ولا يركن الى الفاسق، لايقول بالباطل لأن الباطل كان زهوقاً، ولا يسكت عن الحق لأن الساكت عن الحق شيطان أخرس، وتدبر القرآن الذي هو من السياسة كيف تدرس الكرامة الأبية عن افراط الضيم وتفريط الذل، لأن أول ما نزل منه هو ما يعني بالكرم، و يدعو اليه، حيث يقول عز من قائل:

(اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)

(العلق: ٣ ــ ٥)

اشعاراً بأن مبدأ التعليم هو الله الأكرم، وحينئذ يكون التعليم تكريماً، والعلم كرامة، والمتعلم ــ وهو الانسان ــ متكرماً، فلا يحوم حوله وهن ولا هون ولا ذلة ولا مسكنة ولا صغار ولا دناءة، إذ لا مجال لشيء من ذلك في مجال الكرامة ــ وهكذا من أواخر ما نزل منه نجده يورث الكرامة ويحبب اليها، و يرغب الانسان نحوها، ويحثه عليها، حيث يقول سبحانه وتعالى:

(اتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)

(البقرة: ٢٨١)

لان التقوى في لسان الوحي الكريم، هي المعيار للكرامة وحسب، وان درجات الكرامة تتبع درجات التقوى. فمن كان تقياً كان كريماً، ومن كان أتقى كان أكرم، ولا قيمة للانسان إلاّ بالكرم. ولذا قال سبحانه وتعالى:

(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً)

(الاسراء: ٧٠)

فمن لا تقوى له لا كرامة له، ومن لا كرامة له لا انسانية له، فلذا قال مولانا علي بن الحسين (ع) في دعائه:

(والحمد لله الذي لو حبس عن عباده معرفة حمده على ما أبلاهم من مننه المتتابعة، وأسبغ عليهم من نعمه المتظاهرة، لتصرفوا في مننه فلم يحمدوه وتوسعوا في رزقه فلم يشكروه، ولو كانوا كذلك لخرجوا من حدود الانسانية الى حد البهيمية، فكانوا كما وصفهم في محكم كتابه:

(إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً)

(الصحيفة السجادية دعاء-١-)

والكرامة هي المتجلية في طاعة الله فحسب متحرراً من أغلال الأهواء الداخلية، ومنعتقاً من سلاسل الميول الخارجية، حيث يقول رسول الله (ص):

(لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)

(من لا يحضره الفقيه ج ٤ ص ٢٧٣)

وحيث ان الفصل الاخير للانسانية هو الكرم، وان الكرم بتقوى الله فحسب، فيتعين ان يكون هو المعيار السائس الذي يسوس الانسان، و يدور الانسان معه حيثما دار، فلا عبر بالقومية، ولا باللغة، ولا باللون، ولا بأي وصف خارجي اجنبي عن الانسانية، كما قال رسول الله (ص):

(لا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَىٰ عجمي ولا لعجمي على عربي الا بالتقوى)

(خطبة حجة الوداع «١»)

رغماً لأنف من يجعل المعيار، القومية أو نحوها، فغدا نبشوا القبور، وحفروا الآثار، وتفاخروا بعظام بالية غافلين عن كون التفاخر بالهمم العالية والسر فيه ان التكاثر قد ألهاهم حتى زاروا القبور، وتباهوا بأحجار ضخام، وآثار فخام لديهم قد نسفها الاسلام نسفاً، وأبادها وجعلها هباءً منثوراً.

ولا ريب في ان الانسان عطشان للسياسة التي تسوسه. فان وجد الكرامة السائسة، فقد ارتوى رياً

بالغاً لاظمأ بعده، اذ ليس وراء الكرامة شيء، وإنْ لم يجدها، فقد ابْتلي بسراب اللون، أو القومية، أو الثروة، أو الخصوصية المكانية، أو غير ذلك، مما هو خارج عن حريم إنسانيته، ولا مساس لشيء من ذلك بحقيقته التي هو بها إنسان، كما ابْتلي الصهاينة بهذا الداء العَيّاء، والمرض العُضَال، حيث ينتهون في بيداء القومية البائدة، و يتحيرون في الأرض الاسرائيلية البائرة، ويهرشون في وادي اليهودية الهاذية الهاذرة ولقد نطق الوحي الكريم بذلك، حيث يقول:

(ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا مادمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأمين سبيل و يقولون على الله الكذب وهم يعلمون).

(آل عمران: ٧٥)

فقد كانوا يزعمون كما انهم اليوم على زعمهم (حسبما أفاده سيدنا الأستاذ العلامة الطباطبائي قدس الله نفسه الزكية في تفسيره القيم ــ الميزان ــ) أنهم هم المخصوصون بالكرامة الالهية، لا تعدوهم الى غيرهم. بما أن الله سبحانه جعل فيهم نبوة، وكتاباً، وملكاً، فلهم السيادة والتقدم على غيرهم، واستنتجوا من ذلك ان الحقوق المشرعة عندهم اللازمة المراعاة عليهم كحرمة أخذ الربا، وأكل مال الغير، وهضم حقوق الناس... انما هي بينهم معاشر أهل الكتاب. فالمحرم هو أكل مال الاسرائيلي على مثله، والمحظور هو هضم حقوق يهودي على أهل ملته. و بالجملة انما السبيل على أهل الكتاب لأهل الكتاب، وأما غير أهل الكتاب فلا سبيل له على أهل الكتاب، فلهم ان يحكموا في غيرهم ما شاءوا، و يفعلوا في من دونهم ما أرادوا. وهذا يؤدي الى معاملتهم لغيرهم معاملة الحيوان الأعجم كائناً من كان...[٢] ولعله لهذا ولغيره من دسائس الحيل، قال سبحانه وتعالى:

(ولا تزالُ تَطّلِعُ عَلى خائِنَةٍ مِنْهم)

(المائدة: ١٣)

وحيث ان الكرامة التي تسير اليها الانسانية، وتصل اليها، وتتصور بها، حقيقة نفسية نفيسة وليست اعتباراً تناله يد الجعل والوضع، إيجاباً تارة، وسلباً أخرى. وحيث أن الحقائق الغيبية لها مباد وأسباب خاصة تجب بها وتمتنع دونها، فللكرامة صراط مستقيم يوصل اليها من سلكه، ولا يمكن الوصول اليها بدونه، فلها سبيل خاص يهدي سالكه اليها، ولا يمكن نيلها بأي سبيل آخر. ومن هنا يتضح الفرق بين السياسة الاسلامية وغيرها من السياسات المادية التي لا تعرف الكرامة. إذ ان الأهداف هناك تبرر الوسائل كائنة ما كانت (نحو هلاك الحرث والنسل) ولذا يسومون الضعاف سوء العذاب، و يذبحون ابناءهم، و يستحيون نساءهم، واذا ما بطشوا بطشوا جبارين ولا يعرفون إلاّ اهدافهم المشؤومة، بخلاف السياسة الاسلامية التي لا تُجَوِّز الانتصار بالجور، ولا تسمح بالظلم ولا تجعله ذريعة الى الفتح والغلبة كما قال علي (ع):

(أتامروني ان اطلب النصر بالجور)[٣]

ومنشأة هو قول الله تعالى:

(قُلْ أفَغَيْرَ اللّهِ تَأمُروني اَعْبُدَ اَيُّها الجاهِلون)

(الزمر: ٦٤)

والى هذا الأصل المهم، أشار مولانا السجاد (ع) بقوله:

(يا من لا تغير حكمته الوسائل)

لان الحكمة هي الصفة الخاصة التي تقتضي إيصال كل موجود الى كماله المقدر له، ولا تتغير بالذرائع والوسائل بأن لا تقتضي الإيصال الى الكمال، أو تقتضي الإيصال اليه من غير سبيله. نعم قد يترك المهم للفوز الأهم ولكنه مضبوط يعرفه

العقل، ولا ينكره الشرع. كما ان له ميزاناً حاصاً لايمكن ان يتعداه. فكم فرق بينه و بين ما مرّ من تبر بر الهدف وسائله الموصلة اليه كائنة ما كانت ولو بسفك الدماء البريئة:

(اذا دَخَلوا قَرْيَةً اَفْسَدوها وَجَعَلوا اعِزَّةَ أهْلِها أذِلَّةً وَكَذٰلِكَ يَفْعَلون)

(النمل: ٣٤)

ـ ولذا ترى السياسة المادّية الطاغية تبرر الوسائل أهدافها المسومة قبل الانتصار، ولا تتورع عن افتراسها وتكالبها ونهبها وسبيها واحراقها وما الى ذلك بعد الغلبة والفتح. واما السياسة الاسلامية الكريمة فتمتنع عن ذلك كله حدوثاً وتنهى عنه بقاء، ولذا قال علي بن أبي طالب (ع) لجيشه:

(لا تقتلوا مدبرا، ولا تصيبوا معورا، ولا تجهزوا على جريح)

(نهج البلاغة: الكتاب ١٤)

ودعا ربه بقوله:

(... ان اظهرتنا على عدونا فجنبنا البغي، وسددنا للحق، وان اظهرتهم علينا فارزقنا الشهادة، واعصمنا من الفتنة)

(نهج البلاغة الخطبة ١٧١)

فاذا تبيّن إجمالاً أن السياسة الانسانية تكمن في كرامتها، وأنها تدور معها حيثما دارت، ولا تحيد عنها، فيلزم البحث عن مقتضى الكرامة وشؤونها المهمة ولوازمها وآثارها فيما يلي:

السياسة الاسلامية تنفي سلطة غيرالله على الانسان

ان الكرامة تقتضي ان لايعبد الانسان ولا يطيع إلاّ خالقه الذي هو خالق كل شيء، ولا يخضع إلا له، ولا يحتاج إلاّ اليه، ولا يسأل إلاّ إيّاه، ولا يتوكل إلاّ عليه ولا يثق إلاّ به، ولا يسلك إلاّ سبيله، و بالتالي لا يموت ولا يحيى إلاّ له. كما أمر الله تعالى أكرم خليقته وأشرف بريته (ص) بذلك، حيث قال:

(قُلْ إنَّ صَلاتي وَنُسُكي وَمَحْيايَ وَمَماتي لِلّهِ رَبِّ ٱلعالَمين)

(الانعام: ١٦٢)

ثم أمر الناس باتخاذه (ص) أُسوة، فقال عزّ من قائل:

(لَقَدْ كانَ لَكُمْ في رَسولِ ٱللّهِ أُسْوَةٌ حسنةٌ)

(الاحزاب: ٢١)

فليس لغير الله تعالى سلطة على الانسان كما بيّنه تعالى بقوله:

(ما كانَ لِبَشَرٍ أنْ يؤتيهُ اللّهُ ٱلكِتابَ وٱلحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقولَ لِلناسِ كونوا عِباداً لي مِنْ دونِ ٱللّهِ وَلٰكِنْ كونوا رَبّانيّينَ بِما كُنْتُمْ تُعَلِّمونَ ٱلكِتابَ وَبِما كُنْتُمْ تَدْرُسونَ * وَلا يَأْمُرَكُمْ أنْ تَتَّخِذوا المَلائِكَةَ وَالنَبِيّينَ أرْباباً أيَأْمُرُكُم بالْكُفْرِ بَعدَ إذْ أنْتُمْ مُسْلِمون)

(آل عمران: ٧٩ ــ ٨٠)

و بقوله تعالى:

(وإذْقالَ اللّهُ يا عِيسىٰ ٱبْنَ مَرْيَمَ أأنْتَ قُلْتَ لِلناسِ ٱتَّخِذوني وَأُمّيَ إلٰهَيْنِ مِنْ دونِ ٱللّهِ قالَ سُبْحانَكَ ما يَكونُ لي أنْ أقولَ ما لَيْسَ لي بِحَقٍّ، إنْ كُنْتُ قُلْتُه فَقَدْ عَلِمْتَه، تَعْلَمُ ما في نَفْسي وَلا أعْلَمُ ما في نَفْسِكَ إنكَ أنْتَ عَلاّمُ الغُيوب * ما قُلْتُ لَهُمْ إلاّ ما أمَرْتَني بِهِ أنِ اعْبُدوا ٱللّهَ رَبّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهيداً ما دُمْتُ فيهِم فَلَمّا تَوَفَّيْتَني كُنْتَ أنْتَ ٱلرَّقيبَ عَلَيْهِمْ وَأنْتَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهيد)

(المائدة: ١١٦ ــ ١١٧)

فليس لأحدٍ أن يدّعي السلطة على الناس. كما ان الكرامة الانسانية تأبى الخضوع لغير الله، فلا إله

إلاّ الله، ولا رب سواه.

واما طاعة الأنبياء العظام، والمرسلين الكرام، والأئمة البررة، في الحقيقة اطاعة الله، لأنّ الإمام لاشأن له إلاّ الخلافة عن الرسول، والرسول بما انه رسول لا شأن له إلاّ ابلاغ ما يتلق من الوحي بلا زيادة ولا نقيصة، لانه (ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى) فليس له أن ينطق بما يهوى، او يحكم بين الناس بما يرى، بل يحكم بينهم بما أراه الله، حيث قال:

(لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَا أَرَاكَ ٱللَّهُ)

(النساء: ١٠٥)

(وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك)

(المائدة: ٤٩)

(فاحْكُمْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بالحَق وَلا تَتَّبِعِ الهَوىٰ)

(ص: ٢٦)

وحيث ان الحكم لابُدّ وان يكون بالحق، وان الحق لايكون إلاّ من الله فحسب كما قال تعالى:

«لَقَدْ جاءَكَ ٱلحَقُّ مِن رَبِّكَ فَلا تكونَنَّ مِنَ ٱلمُمْتَرِين».

(يونس: ٩٤)

فالحكم لا يكون إلاّ بما أنزل الله، واما الحكم الذي لا يكون بالحق (أي بما انزل الله) فهو جور وجاهلية ــ شرقية كانت تلك الجاهلية الجائرة ام غربية ــ حيث قال الله تعالى:

(أَفَحُكْمَ ٱلجاهِلِيَّةِ يَبْغونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يوقنون)

(المائدة: ٥٠)

وكما ان لا شيء عدا الحق إلاّ الضلال، إذْ:

(فَماذا بَعْدَ ٱلحَقِّ إلاَّ ٱلضَّلال)

(يونس: ٣٢)

فكذلك ماذا بعد الحكم بالحق الا الجاهلية ــ

فتحصل ان الرسول (ص) وكل من كان إماماً معصوماً، فهو مع الحق، كما ان الحق معه، يدور معه حيثما دار، ولكن الحق من الله فكم فرق بين موجود يكون مع الحق و بين مبدئه المتعال الذي يكون منشأ الحق ومنه الحق. فعلى هذا التحليل تكون اطاعة الولي المعصوم، هي اطاعة الله لُبّاً، كما اشار اليه قوله تعالى:

«وَما أَرْسَلنا مِنْ رَسُولٍ إلاّ لِيُطاعَ بإذنِ اللّهِ...»

(النساء: ٦٤)

حيث يدل على ان اطاعة الرسول إنما هي بإذن الله، وحيث أن:

«واللّهُ يَقولُ الحَقَّ وَهوَ يَهْدي السَّبيلَ»

(الأحزاب: ٤)

فحكم الله تعالى بإطاعة الرسول، مسبوق بتعليمه الحق إيّاه، وأمره بإبلاغ ذلك الحق الى الناس، ثم أمر الناس بإطاعة ذلك الرسول.

وحاصله؛ ان اطاعة الرسول ــ بما انه رسول ــ هو تكريم (ص) للرسالة، وان الرسالة ــ بما هي رسالة ــ لاشأن لها إلاّ إظهار الحق من الله، سواء كان في التشريع بالإيجاب والتحريم، أو في التكوين بالإحياء والامانة ــ مثلاً ــ لأنه مظهر فعله تعالى على التوحيد الافعالي، يده بمنزلة يده تعالى، كما أشار اليه بقوله:

«إنَّ ٱلَّذينَ يُبايِعُونَكَ إنَّما يُبايِعونَ اللّهَ، يَدُ اللّهِ فَوْقَ أيْديهِم»

(الفتح: ١٠)

على غرار قوله تعالى:

«وما رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ ولكنَّ اللّهَ رَمى»

(الأنفال: ١٧)

فحينئذ تنحصر الطاعة في أمر الله تعالى ونهيه، فما وافق حكمه تعالى، يطاع، وما خالفه، يطرح ــ كائناً ما كان ــ كما قال رسول الله (ص):

(لا طاعةَ لِمخلوقٍ في مَعْصِيَةِ الخَالِقِ)[٤]

وحاشا الرسول (ص) والإمام المعصوم (ع) ان ينطقا بما يخالف الحق، أو يأمرا بالباطل أو يعملا بما يهو يانه، فتبين ان النبي (ص) وإنْ كان (أَوْلى بالمُؤْمنينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ)، (الأحزاب: ٦)

إلا انتلك الولاية هي من مظاهر ولاية الله تعالى. فهو (ص) مظهر السلطة الإلهية، لا انه سلطان مستقل بنفسه. ومما يؤيد أن النبوة والرسالة — بما لهما من الشؤون المهمة — مظهر لقول الله تعالى وفعله، ومجلى لقهره ولطفه، ومرآة لجماله تعالى وجلاله تعالى، قوله تعالى:

(إنَّهُ لَقَولُ رَسُولٍ كَريمٍ * وما هُوَ بِقَولِ شاعِرٍ، قَليلاً ما تُؤْمنونَ * ولا بِقَولِ كاهِنٍ، قَليلاً ما تَذَكَّرونَ * تَنْزِيلٌ من رَبِّ العالَمينَ * وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلينا بَعْضَ الأقاويلِ * لأَخَذْنا مِنْهُ باليَمينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الوَتينَ * فَما مِنْكُمْ من أحَدٍ عَنْهُ حاجِزِينَ)

(الحاقة: ٤٠ — ٤٨)

حيث يدل على أن شيئاً من أقاويله التي يبلغها، لا تكون من عنده، وتقولاً على الله وافتراء عليه، وإلاّ لكان ما كان من الأخذ باليمين، وقطع الوتين مع عدم الحجز والمنع من أحد، لأنه تعالى هو القاهر فوق عباده، ولا رادّ لقضائه «ولا مُعَقِّبَ لِحُكْمِه»[٥]

وهكذا سيرته (ص) وسنته العملية التي تكون حجةً إلهية للناس، سيرة مرضية الهية. حسبما أُشير اليه وحيث ان جميع شؤونه (ص) مظاهر شؤون الله الذي كل يوم هو في شأن، فمن كذّب شيئاً في أقواله أو أفعاله(ص) فإنما كذّب الله تعالى في قوله وفعله، حيث قال تعالى:

(قَدْ نَعْلَمُ إنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذي يَقولونَ فإنَّهُمْ لايُكَذِّبونَكَ ولكنَّ الظالِمينَ بآياتِ اللّه يَجْحَدونَ)

(الأنعام: ٣٣)

لدلالته على ان تكذيبه (ص) ليس تكذيباً لشخصه، ورداً لمقالته من حيث هو شخص خاص وإنسان مخصوص، بل هو جحد وإنكار لآيات الله تعالى، لأن رسول الله (ص) بقوله وفعله وقلبه وقالبه آية الهية، فتكذيبه (ص) تكذيب الله، كما أن تصديقه تصديق الله تعالى. ومما يرمز الى ذلك من ان جميع تلك الشؤون الدينية إنما هي بالأصالة لله تعالى وإنما هي لغير الله من جهة كونه آية له ومظهراً محضاً له، قوله تعالى:

(يا أيُّها الّذينَ آمنوا أطيعوا اللّهَ وَأطيعوا الرَّسولَ وَأُولي الأمرِ مِنْكُمْ فإنْ تنازَعْتُمْ في شيءٍ فَرُدّوه الى اللّهِ وَالرَّسولِ إنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ باللّهِ وَاليومِ الآخِرِ، ذلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْويلا)

(النساء: ٥٩

حيث انه تعالى ثلث الأمر أولاً، وثناه ثانياً ووحده ثالثاً. لأنه في أول قوله تعالى أوجب إطاعة الله، واطاعة الرسول، وأُولى الأمر، وفي ثاني قوله تعالى جعل الحكم والمرجع الذي يرجعون اليه عند التنازع أمرين: احدهما نفسه تعالى، والثاني رسوله (ص)، ولم يذكر لأُولي الأمر اسم، لأن جميع شؤون أُولي الأمر إنما هي مبرزات شأن الرسول، ومظاهر سنته وليس لغيره (ص) شأن مستقل[٦]، وفي ثالث قوله تعالى وهو ذيل الآية الكريمة، جعل المعيار والميزان في ذلك الطوع. وهذا الرجوع أمراً واحداً، لا ثاني له، ولا شريك له: وهو الايمان بأن الله تعالى هو الأول الذي منه يصدر كل شيء، والآخر الذي اليه ينتهي كل شيء، فليس لغيره تعالى شأن مستقل وهذا هو التوحيد وعياً وارادة، فتدبر.

فتحصل ان السياسة الإسلامية التي تدور مدار كرامة الانسان، تقتضي أن لاسلطنة لأحدٍ على أحد. فليس لأحدٍ ان يدعيها، وليس لأحدٍ ان يتحملها، بل هي لله تعالى فحسب. ففي أي مورد حكم الله تعالى بالاتباع، وجب اتباعه طوعاً ورغبة

وفي أي مورد نهي الله تعالى عنه، وجب الانتهاء عنه.
وقد أمر تعالى باتباع رسوله، حيث قال:

(ما آتاكُمُ الرَّسولُ فَخُذوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهوا)

(الحشر: ٧)

وقال تعالى ايضا:

(خُذوا مَا آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ)

(البقرة: ٦٣)

أي بقوة القلوب وقوة الأبدان، فيجب أخذ ما آتاه الرسول بقوة القلب والقالَب معاً.

محور السياسة الاسلامية، الأمة الواعية والإمام العادل الحق

قد تقدّمت الإشارة الى ان الحياة الانسانية الاجتماعية لا تتحقق بدون النظام والتشكيل، وهو قد يكون بالشورى، وقد يكون بالإمامة، بمعنى أن الحاكم الذي رجع اليه في حل المشاكل، و بيده أزمة أمور المملكة وتنفيذها، وحفظ ثغورها، وجباية أموالها والذب عنها، ودعوة الناس الى النفر والحرب، والصراع أو السلم، والمعاهدة والمهادنة، وما الى ذلك، هل هو شخص واحد جامع لجميع الشرائط، أم الأشخاص عديدون يتشاورون و يتبادلون وجهات النظر فيؤخذ بالمجمع عليه أو المشهور بينهم — لانهم اما يتفقون على أمر فهو المجمع عليه، او يختلفون فيه بالأكثر والأقل فهو المشهور لديهم — ولكل من المسلكين فوائد ومزايا، ولكن الأولى هو الأول مهما أمكن لما جرت عليه سيرة الانبياء عليه حيث أنه لم تعهد نبوة استشارية، ولا رسالة بالشورى، بل ان تعدد الانبياء في عصر ما ان كان يختص كل واحد منهم بقوم وقطر من الارض، أو كان بعض منهم تابعاً لآخر نحو تبعية لوط لابراهيم (ع) (فآمَنَ لَهُ لوط) (العنكبوت: ٢٦) أو نحو تبعية هارون (ع) لموسى (ع) وان كان شريكاً في أمره، ولكن لم يكن مساوياً له، بل كان وزيراً وعضداً لموسى (ع) وهكذا جرت سمة الإمامة للأئمة (عليهم السلام) حيث انه لم تعهد إمامة استشارية، ولا خلافة وإمامة بالشورى، بل ان تعدد الأئمة في عصر كانت إمامة بعضهم بالفعل دون بعض، وان أمكن ان تكون ولايتهم التكوينية وما لهم من المقامات النفسية (التي لا تنالها يد الجعل والنصب الاعتباري كما لا تصل اليها يد النزع والغصب) بالفعل.

واما المشورة وإنْ ورد في مدحها انه:

(ما خاب من استشار)

وانه:

(من استبد برأيه هلك)

وفي صلاح الزوجين اللذين يخاف شقاقهما دعوة الى بعث الحكمين ولكن في الفصال والطلاق، ورد:

(فَإنْ أرادَ فِصالاً عَنْ تَراضٍ مِنْهُما وَتَشاوُرٍ فَلا جُناحَ عَلَيْهِما)

(البقرة: ٢٣٣)

وهكذا ورد في مدح سيرة المؤمنين الواجدين لعدة شروط:

(أَمْرُهُمْ شُورى بَيْنَهُمْ)

(الشورى: ٣٨)

وهكذا أمر الله رسوله (ص) بالمشاورة حيث قال تعالى:

(وَشاوِرْهُمْ في الْأمرِ)

(آل عمران: ١٥٩)

ولكن لا يدل شيء من ذلك على لزوم كون القيادة بالمشورة والزعامة بالشورى. أما الأدلة الدالة على حسن الاستشارة، فليست على حد يعارض

يدل على نظام الامامة وأن الناس يحتاجون الى إمام يديرهم، لان لسان تلك الأدلة هو مدح المشورة الذي لا كلام فيه دون تعيين كيفية الحكومة، واما ما يدل على أن أمر المؤمنين بالشورى ففيه:

أولاً: انه يختص بما كان ذلك الأمر هو أمرهم، يعني اذا كان تعيينه بأيديهم، واما إذا كان هو أمر الله لا أمرهم، فلا مجال للشورى فيه. وحيث ان السياسة الاسلامية ــ كما تقدم ــ تقتضي ان لايكون لاحد على أحد سلطة إلاّ من قبل الله تعالى وتعيينه، فتعيين كيفية الحكومة والسلطنة بيد الله تعالى، فهو أمر الله، لا أمر الناس حتى يشاور بعضهم بعضاً و يستشيروا، ولوسلّم، فإنما الاستشارة في تعيين القائد، لا ان تكون القيادة بالشورى (وكم فرق بينهما) وما وقع في صدر الاسلام كان من قبيل المشاورة في تعيين الزعيم، لا انه كانت الزعامة بالشورى. والى هذا الأمر الدقيق أشار مولانا علي بن ابي طالب (ع) بقوله:

(... وإنّما ٱلشُّورىٰ لِلْمُهاجِرِينَ وَٱلأَنصارِ، فإنْ اجتمعوا على رَجُلٍ وَسَمُّوه إماماً، كان في ذلك لله رضى، فإنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خارج بطَعْنٍ أو بدْعَةٍ ردّوه الى ما خرج منه، فإنْ أبىٰ قاتِلُوهُ على إتّباعِهِ غَيْرَ سَبيلِ ٱلْمُؤْمِنينَ وولاّهُ ٱللّهُ ما تَوَلّىٰ)

(نهج البلاغة الكتاب ٦)

حيث بين (ع) أن أمرهم إنما هو تعيين الإمام بالمشاورة، لا أنّ الإمامة بالشورى بأن يكون هناك أئمة يتشاورون، وأنْ تكون القيادة بالشورى.

نعم للامام أن يستشير قومه، و يشاورهم، ولكن التصميم بيده، والعزم بإرادته، والحزم بقلبه، فلذا قال تعالى:

(وَشاوِرْهُمْ في ٱلأمرِ، فَإذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ على ٱللّهِ) حيث جعل العزم النهائي، والتصميم الغائي بيده. ومن هذا الباب قال علي (ع) لابن عباس:

(لك ان تشير علي وأرى، فان عصيتك فأطعني)

(نهج البلاغة: الكلمات القصار: ص ٥٣١: (د. صبحي الصالح)

وأصل ذلك، قوله تعالى:

(وَما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إذا قضىٰ ٱللّهُ وَرَسُولَهُ أمْراً أنْ يَكُونَ لَهُمُ ٱلخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ)

(الاحزاب: ٣٦)

حيث يدل على أنّ أمر الرسالة، وتصميم الرسول، ليس بالشورى، فليس لغيره حق في النظر النهائي، والتصميم الغائي، وهكذا من هو بمنزلة الرسول، هو الإمام العدل الحق.

فتحصل ان الشورى إنما هو في تعيين القائد وانتخابه، لا في القيادة، إلاّ ان تتعذر الإمامة، ولم يتيسر لشخص معين، وادعى غير واحد القيادة، ولم يمكن تعيين أحدهم، فحينئذ لا علاج إلاّ بأنْ تكون القيادة بالشورى حسما للنشاج، وفصلاً للتنازع (نعوذ بالله منه).

بقي ههنا أمران: أحدهما؛ لزوم كون الأمة واعية في انتخاب إمامها، وثانيهما؛ لزوم كون الإمام جامعاً لشرائط الإمامة. وكلاهما في غاية الأهمية في السياسة الإسلامية.

أما الأمر الأول، فيلزم ان تكون الأمة من الوعي بدرجة تكفيها لمعرفة شرائط الإمامة، وفي اجتماعها فيمن يدّعي الإمامة، أو يريدون تعيينه لها. وهذا الأصل هو الموجب لأن يكون لرأي الجمهور قيمة، وإلاّ فلا قيمة لرأي من لايعرف الإمامة وشؤونها وشرائطها، ولا لرأي الجمهور الجاهل بشأنها، وإنما القيمة لرأي من يعلم الحق و يعرفه. كما قالَ عزّ من قائل:

(وَ يرىٰ ٱلّذينَ أُوتُوا ٱلعِلْمَ ٱلّذي أُنزِلَ إليْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَٱلحَقَّ) (سبأ: ٦)

حيث انه تعالى جعل معيار التشخيص والتحقيق، رأي العلماء، ومن آتاه الله العلم، وإلا فلا وقع له. وهكذا إستدل رسول الله (ص) واحتج على قومه بقوله:

(فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ)

(يونس: ١٦)

يعني انهم لو تفكروا وتعقلوا لعرفوا انه رسول الله، وأن ما جاء به هو وحي أنزله الله، فيؤمنون به (ص)، ويخضعون لأمره خضوعاً لأمر الله تعالى، وأما الذين لايعرفون الإمامة وشرائطها، ولا يعلمون الحكومة وشؤونها: فلا كرامة لهم ــ كما تقدم ــ ولذا قال الحكيم في كتابه الكريم:

(... فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطاعُوهُ)

(الزخرف: ٥٤)

يعني ان فرعون، وجد قومه خفاف العقول، خالين من المعرفة والتحقيق، وقد عمل هو شخصياً على تركيز الجهل وعدم المعرفة لديهم بحرمانهم من الوعي والتعليم، ثم طلب منهم الطاعة فأطاعوه إماماً. والجهل داء لا دواء له لانه لافقر أشد من الجهل، كما انه لامال أعود من العقل، فياليت الشعوب والجماهير نبّهت الحكومات ووعتها حتى ينقطع شر الطغاة والفراعنة:

(فَقُطِعَ دابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ)

(الانعام: ٤٥)

وحيث ان القرآن عيّن الكرامة، ولا يمس كرامته شيء من الإهمال، وكان العمل به موجباً لان تصير الجامعة الانسانية كريمة ــ كما تقدم ــ فقد عين واجب الأمة في إنتخاب إمامها بأنه لابد وان تكون الأمة؛ واعية، وعارفة، وذكية، كي لا تتحمل الضيم. وقال تعالى:

(وَمِنَ النّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطانٍ مَرِيدٍ * كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلى عَذابِ السَّعِيرِ.)

(الحج: ٣ ــ ٤)

يعني ان الكلام في الله تعالى، لابد وان يستند الى علم عقلي، أو نقلي معتبر، فمن يجادل فيه بغير علم فهو جاهل، و يكون انتحابه وتعيينه من يحكم عليه بغير وعي ومعرفة. فلذا يتبع كل امام وزعيم وقائد كائناً من كان شرقياً أو غربياً، ملحداً أو مدعياً، خائناً أو عميلاً للأجنبي، فيتبع كل شيطان متمرد على حكم الوحي والعقل. فهذه الأمة الفاقدة الوعي.. يمتلكها كل شيطان مارد، وتنهب معادنها ودخائرها الأيادي الخائنة، فتذهب هذه الأمة الجاهلة ضحية جهلها وحرمانها من كرامتها التي يدعوها اليها الاسلام و يأمرها بها.

وأما الامر الثاني؛ فيلزم ان يكون الإمام مع كونه عادلاً، بإطاعة مولاه في جميع ما أمره به وندبه اليه بالإتيان، وفي جميع ما نهاه عنه وزجره عنه بالإمتناع والانتهاء عنه بترك الأهواء والميول، صائناً لنفسه، مستقلا في رأيه، ومالكاً لوعيه، وحراً في إرادته، حتى لا يطمع فيه أهله، ولا غير أهله، ولا نفذ الى قلبه من كان من أهله أو أجنبياً عنه، ولا يمكر به الداخلي ولا الخارجي، ولا يستفزه القريب والغريب، ولا يستخفه الصديق والعدو، حتى يحظى بزعامة الأمة وقيادة الملة، التي يعمل التقي بخلاف غيرها من الأنظمة الفاجرة التي يتمتع فيها الشقي (نهج البلاغة خطبة (٤٠)). ولقد عين القرآن الكريم وظيفة الإمام المتبوع بأنه لابد وان يكون عالماً بالله، وهادياً الى سبيله، وسائراً في صراطه، حتى لايضل الناس ولا يمنعهم عن خيرهم المقدر لهم، حيث قال تعالى:

(وَمِنَ النّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدىً وَلا كِتابٍ مُنِيرٍ * ثانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ

﴿...اللهِ لَهُ في الدُّنيا خِزيٌ وَنُذيقُهُ يَومَ القيامةِ عَذابَ الحَريقِ﴾

(الحج: ٨ ـ ٩)

يعني ان المجادل في الله لو لم يكن جداله مستنداً الى برهان عقلي، أو وحي سماوي بلا واسطة أو هداية مستفادة من الوحي مع الواسطة، يكون ضالاً. فاذا إدّعى الإمامة والمتبوعية والحال هذه، فلاشأن له إلاّ الضلال الموجب لخزي الدنيا وعذاب الحريق في الآخرة. فكما ان منطوق الآية الثالثة من سورة الحج ينادي بلزوم الوعي في الآية، والجمهور كذلك يعني لزوم القداسة في الإمام حتى يكون إماماً عادلاً، وهادياً الى صراط العزيز الحميد، كما يلزم ان تكون الأمة عارفة، والجمهور عالماً، حتى تكون أمة مرحومة تنال خيرها المقدر لها. وكما ان خفة الأمة وجهلها كانت تستوجب اتباعها لكل شيطان مريد، ولان يسطر عليها كل فرعون. حيث ان لكل موسى فرعون، كذلك فان خفة الامام وعدم صيانته النفسية وعدم حريته الارادية توجب لان يغفل عمن مكر به، فلذا قال الحكيم في كتابه الكريم:

﴿فاصبِرْ إنّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلا يَستَخِفَّنَّكَ الذينَ لا يوقنون﴾

(الروم: ٦٠)

وحيث ان المتبوع الجائر ان اتيح له ان يقول (ما علمت لكم من اله غيري) وان يقول (انا ربكم الأعلى) لا يتحاشى عنه مع استخفاف التابعين، فإن لم يمكن له إدّعاء الألوهية فهو يقنع بادعاء الظلية، و يقول (أنا ظل الله) وما الى ذلك مما لا يقوله إلاّ الخفيف، ولا يقبله إلاّ المستخف، فكلاهما في النار، بقوله تعالى:

﴿وَأتبَعْناهُمْ في هٰذه الدنيا لَعْنَةً وَيَوْمَ القِيامَةِ هُمْ مِنَ المَقْبوحين﴾

(القصص: ٤٢)

﴿يَقدُمُ قَومَهُ يَومَ القيامة فَأورَدَهُم النّارَ وَبِئسَ الوِرْدُ المَورود﴾

(هود: ٩٨)

والسر في ذلك كله هو أن كل اناس يلحقون بامامهم يوم القيامة، كما قال عزّ من قائل:

﴿يَومَ نَدْعوا كُلَّ أُناسٍ بإمامِهِم﴾

(الاسراء: ٧١)

وحيث ان الأمة الجاهلية تدور مدار العصبية والشيطان، كما قال علي بن ابي طالب (ع) في وصف الشيطان بانه:

(امام المتعصبين وسلف المستكبرين)[٨]

فلذا تحشر الأمة الجاهلة معه في جهنم، كما في قوله تعالى:

﴿لأملأنّ جهنم مِنكُمْ أجْمَعين﴾

(الاعراف: ١٨)

ان السياسة الاسلامية تعتقد ان الأمة أمانة، وان الإمام أمينها، وتصرح بأن النظام الاسلامي يستقر على ركنين؛ أحدهما؛ الأمة الواعية، وثانيها؛ الإمام العادل الحق. فاللازم هنا التصريح بان مقتضى الكرامة السائسة هو ان تكون الأمة بقضها وقضيضها، ونفسها ونفيسها، أمانة إلهية، وان يكون الإمام أمين هذه الأمة، لايخونها أصلاً، بل يعلمهم الكتاب والحكمة، و يزكيهم، ويهديهم الى صراط العزيز الحميد، و يشاورهم، فاذا عزم، فليتوكل على الله، و يبين لهم ماجرى لهم وعليهم، ويحفظ كيانهم، و يطرد عنهم الفقر الفكري والمالي، و يذب عن حرعهم، و يسد ثغورهم، وما الى ذلك من شؤون القيادة كل ذلك بأيديهم وأنفسهم ونفائسهم وأبدانهم وأموالهم، لأن إرتباط الأمة والإمام، إرتباط الأعضاء والقلب، كما استفاده هشام ابن الحكم من جعفر بن محمد الصادق (ع) واحتج به على عمرو بن عبيد المنكر للإمامة المعهودة والقيادة الخاصة[٩]

والدليل على كون الأمة أمانة بيد الإمام، ما قاله موسى (ع) لقوم فرعون:

(أن أدّوا إليّ عبادَ اللهِ إنّي لكُمْ رَسولٌ أمين)

(الدخان: ١٨٠)

يعني يجب عليكم أن تؤدوا هذه الأمانة (التي لارب لها الا الله) اليّ لأنيّ رسول أمين في أصل الرسالة والإبلاغ، وأمين في حفظ هذه الأمانة الالهية:

(وَقالَ موسىٰ يا فِرعَونُ إنّي رَسولٌ مِن رَبِّ العالمين * حقيقٌ عَلَيَّ أنْ لا أقولَ عَلىٰ اللهِ إلاّ الحَق، قَدْ جِئتُكُمْ بِبيّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأرْسِل مَعي بَني إسْرائيل)

(الاعراف: ١٠٤ ــ ١٠٥)

يعني يلزم ان تكون أمّة بني اسرائيل تحت تدبير موسى (ع) وتربيته (ع) و يكون هو(ع) كفيلاً لهم، وحافظاً إيّاهم حسبا أشير اليه، وكما ان الامامة عهد الهي لاينال الظالمين ولا يمس كرامته الظالمون، كذلك الأمة أمانة إلهية لا تؤدى إلاّ الى أهلها وهو الإمام العدل الحق، وكما ان النصيحة لأئمة المسلمين من التكاليف المهمة التي لا يغل عليها قلب أمرىء مسلم، كذلك خيانة الأمة أعظم الخيانة، وغش الأئمة أفظع الغش، كما قال علي بن ابي طالب (ع):

(من استهان بالأمانة، ورتع في الخيانة، ولم ينزه نفسه ودينه عنها فقد أحل بنفسه الذل والخزي في الدنيا، وهو في الآخرة اذل وأخزى، وان أعظم الخيانة، خيانة الامة، وافظع الغش غش الائمة)

(نهج البلاغة كتاب: ٢٦)

وحيث ان الامة بدمها وعرضها ومالها امانة بيد الإمام، فلو خان المنصوب من قبله في شيء من ذلك، فقد إرتطم بأعظم الخيانة بالنسبة الى الأمة وارتكب أفضع الغش بالنسبة الى الإمام. فلو رضي الإمام بذلك، فقد ابتلي بذلك أيضاً، حيث انه انما يجمع القوم الرضا والسخط مضافاً الى ان العامل منصوب من قبل الإمام و يُعَدّ فعله فعلاً له، وإطاعة مثل هذا الخائن من فواقر الظهر، كما قال رسول الله (ص) لعلي(ع):

[اربعة من فواصم الظهر: امام يعصي الله عزّوجل و يطاع أمره... الخ.]، وذلك لأن الخيانة والغلول وان كانا من الكبائر الموبقة لكل أحد إلاّ انها للإمام الوالي لأمر الأمة أشد وادهى وأمرّ، ولذا قال تعالى:

«وما كانَ لِنَبيٍ أنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأتِ بِما غَلَّ يَوْمَ القِيامَةِ ثُمَّ تُوَفّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمون».

(آل عمران: ١٦١)

والإمام الخائن فتنة لمن افتتن به، مضل لمن إقتدى به في حياته و بعد وفاته، حمّال خطايا غيره، رهن بخطيئة، من الذين يحملون اثقالهم واثقالاً مع اثقالهم، فهو مع كونه رهناً بخطيئته لان كل نفس بما كسبت رهينة، كذلك حمّال خطايا غيره أغواهم وأضلّهم، ومن سنّ سنة سيئة فعليه وزر من عمل بها مع ان عامل تلك السيئة أيضاً رهن لها، فعلى الانسان وزران، وعلى العامل وزر واحد.

والحاصل ان الأمة بجميع شؤونها أمانة إلهية بيد الإمام، ولذا يكون الإمام مأموراً بمعرفتها وحفظها واصلاحها كما كان رسول الله (ص) كذلك حيث قال تعالى له:

(فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ ولو كُنْتَ فَظّاً غَليظَ القَلْبِ لانْفَضّوا مِنْ حَولِكَ، فَاعفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ، وَشاوِرْهُم في الأمْرِ فَاذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلى اللهِ إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَوَكّلينَ).

(آل عمران: ١٥٩)

لان مرونة الإمام، وانعطافه الى الأمة، وحنينه نحوها، يوجب إنجذابها اليه، ويمنع انفضاضها وتفرقها

عنه، بل لاتهجر هذه الأمة إمامها في الضراء كما يكون معه في السراء، ولاتحيد عنه في العسر كما تكون معه في اليسر، ولا تنفض من حوله حال الغلاء والمجاعة والمخمصة كما تطوف حوله حال الرخص والخصب، رغماً لأنف من زعم ان الفقر الاقتصادي والمخمصة ونحو ذلك يوجب إنفضاض الامة من حول إمامها. فلذا قال تعالى:

(هُمُ الَّذِينَ يَقولونَ لا تُنفقوا عَلى من عِند رَسولِ اللهِ حَتّى يَنْفَضّوا، وَلِلهِ خَزائِنُ السّماواتِ والأرْضِ وَلٰكِنَّ المُنافِقِينَ لا يَفْقَهون)

(المنافقون: ٧)

والسر في ذلك هو الأصل الذي تدور معه السياسة الاسلامية، وهو أصالة الكرامة التي توجب تحمل أعباء الفقر الاقتصادي، وتمنع عن تحمل التحقير والتوهين وخشونة الزعيم وغلظته، فالذي يجمع شتات الأمة هو رأفة الإمام كما قال تعالى:

(لاتَمدَّنَّ عَيْنَيْكَ إلى ما مَتَّعْنا بِهِ أزْواجاً مِنْهُمْ، وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وأخْفِضْ جَناحَكَ لِلمؤمنينْ)

(الحجر: ٨٨)

لأن الإمام وإنْ كان منهياً عن الإلتفات الى من جمع مالاً وعدّده، وألهاه التكاثر، ولكنه مأمور بخفض الجناح لمن اتبعه من المؤمنين. ولذا وصف الله نبيه (ص) بالرأفة والرحمة، حيث قال تعالى:

(لَقَدْ جاءكُمْ رَسولٌ مِنْ أنْفُسِكُمْ عَزيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتم حَريْصٌ عَلَيْكُمْ بِالمؤمنينَ رؤوفٌ رَحِيْمٌ)

(التوبة: ١٢٨)

ومن آثار رأفته المباركة ورحمته الكريمة، هو تأسفه الشديد على حرمان بعض الأمة من قبول ما جاء به، كما قال تعالى:

(فَلَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسكَ عَلىٰ آثارهم انْ لَمْ يؤمنوا بِهذا الحَدِيثِ أسَفا)

(الكهف: ٦)

وقال تعالى مسلياً لرسوله (ص):

(فَلا تَذْهَب نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ حَسرات)

(فاطر: ٨)

وحيث ان مقتضى نظام الإمامة والأمة أن يكون الإمام رؤوفاً بأمته، ورحيماً بها، فقد أوصى إمام الأمة علي بن ابي طالب (ع) مالكاً الأشتر حين ولاه مصر بذلك، وقال:

(..واشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكون عليهم سبعا ضاريا، تغتنم أكلهم فانهم صنفان اما أخ لك في الدين أونظير لك في الخلق...)[11]

ومن فوائد رأفة الإمام الأمين بامته التي هي أمانة عنده، هو ان الأمة لا تنفض من حوله في الشدائد، بل في مطلق ما يلزم حضورها واشتراكها، كما قال تعالى:

« إنَّما ٱلمُؤمِنُونَ ٱلَّذِينَ آمَنوا بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وإذا كانوا مَعَهُ على أمْرٍ جامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتّى يَسْتَأذِنُوهُ إنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَأذِنُونَكَ أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤمِنُونَ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ، فَإذا ٱسْتَأذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللّهَ إنَّ ٱللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»

(النور: ٦٢)

حيث وصف الأمة المؤمنة ــ حقاً ــ بالاجتماع مع إمامها، وعدم ذهابها الى حوائجها الشخصية إلاّ بعد الإذن، و من ذلك حديث حنظلة غسيل الملائكة المعروف بين اصحاب السير والسر في ذلك هو الفرق بين الناس و بين الأمة، فالناس لاجامع لشتاتهم ولا عامل لوحدتهم، دون الأمة فان لأعضائها هدفاً واحداً، يأتمون من اجله بإمامهم حتى يصلوا اليه، وبما انهم يؤمون مقصداً واحداً لذلك قيل لهم ــ الأمة ــ فاذا كان إمام الأمة رؤوفاً بها، فهي أيضاً تحن اليه وتشتاقه، لأن القلوب مجبولة على حب من أحسن اليها، كما افاده رسول الله (ص)[12] ولعله لذلك

كلّه صار سيد المرسلين حبيب الله، يحبّ الله، ويحبه الله، وهو من أفضل... مصاديق قوله تعالى:

(فَسَوفَ يأتي اللّهُ بِقَومٍ يُحِبّهُمْ وَ يُحِبّونَهُ أذِلّةٍ عَلىٰ المؤمِنِينَ أعِزة عَلىٰ الكافِرِيْن)

(المائدة: ٥٤)

وكان اتباعه (ص) هو طي سبيل المحبة، وموجباً لأنْ تصير الأمة التي تؤمه وتأتم به (ص) محبوبةً لله تعالى، كما قال تعالى:

(قُلْ إنْ كُنْتُمْ تُحِبّونَ اللّهَ فَاتّبِعوني يُحْبِبْكُمُ اللّه).

(آل عمران: ٣١)

فعلى أئمة المسلمين، ان يتأسوا برسول الله (ص) الذي كان أُسوة المحبة، وقدوة الرأفة، وممثل الرحمة بالنسبة لأي موجود كان في سبيل الله. كما نقل مالك في الموطأ باب جامع ما جاء في أمر المدينة ص (٦٤٤) عن هشام بن عروة عن أبيه: **(ان رسول الله (ص) طلع له أحدٌ فقال: هذا جبل يحبنا ونحبه)**[١٣] لأنه (ص) ممن يشاهد كل موجود بما انه آية ومُسَبّحٌ لله سبحانه و يفقه تسبيحه، فاذا بلغ الإمام حد الأمانة والرأفة والرحمة والمحبة للامة، يصير ممن يستجاب دعاؤه كما قال رسول الله (ص):

(اربعة لا ترد لهم دعوة: امام عادل[١٤] فلا يدعو بخير الا و يستجيب الله تعالى له... الخ).

ولمكان الإهتمام برأفة الامام بالأمة ورد ما نقله مالك في الموطأ باب ما جاء في حسن الخلق، أن معاذ بن جبل قال:

(آخر ما اوصاني به رسول الله (ص) حين وضعت رجلي في الغرز أن قال: أحسن خلقك للناس يا معاذ بن جبل). ص (١٥٠).

نعم ان صاحب الخلق العظيم لايوصي إلاّ بحسن الخلق.

والحاصل؛ انه لما كان الحق لايجري لأحدٍ إلاّ جرى عليه، ولا يجري عليه إلاّ جرى له، لذا يجب على كل واحد من الأمة والإمام، العمل بما يجب عليه للغير من حقوق، كما له ان يطالب الغير بأداء ما عليه من الواجبات، وهذا من أعظم ما افترضه الله سبحانه، كما قال علي بن ابي طالب (ع):

(واعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية وحق الرعية على الوالي. فريضة فرضها الله سبحانه لكل — على — كل فجعلها نظاما لالفتهم وعزاًلدينهم، فليست تصلح الرعية الا بصلاح الولاة، ولا تصلح الولاة إلا باستقامة الرعية. فاذا ادت الرعية الى الوالي حقه، وادى الوالي اليها حقها، عز الحق بينهم، وقامت مناهج الدين، واعتدلت معالم العدل، وجرت على تصالحها السنن فصلح بذلك الزمان وطمع في بقاء الدولة و يئست مطامع الاعداء، واذا غلبت الرعية واليها، أو اجحف الوالي برعيته اختلفت هنالك الكلمة وظهرت معالم الجور، وكثر الادغال في الدين، وتركت محاج السنن فعمل بالهوى، وعطلت الاحكام، وكثرت علل النفوس، فلا يستوحش لعظيم حق عطل، ولا لعظيم باطل فعل، فهنالك تذل الابرار، وتعز الاشرار، وتعظم تبعات الله سبحانه عند العباد. فعليكم بالتناصح في ذلك، وحسن التعاون عليه).

الى آخر ما أفاده أمير البيان[١٥] ولقد أغنانا بذلك عن بيان لزوم رعاية الحقوق المتبادلة بين الإمام والأمة. و ياله من بيان وحق له (ع) ان يقول:

(انا لأُمراء الكلام، وفينا تنشبت عروقه، وعلينا تهدلت غصونه)[١٦] ولا وقع للمصباح عند الصباح.

نعم ان الذي كان يحب الله ورسوله، وكان الله يحبه ويحبه الرسول لا يوصي الوالي والرعية الا بما يورث المحبة الالهية وهو القيام بالقسط في الحقوق المتقابلة ●

الهوامش

١ ـ ولكن فسّره رسول الله (ص) بقوله: ولينصر الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً، إنْ كان ظالماً فلينهه فانه له نصر، وان كان مظلوماً فلينصره «الجامع لصحيح مسلم الجزء الثامن ص (١٩) باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً».

٢ ـ الميزان ج٣ ص ٢٨٦.

٣ ـ نهج البلاغة الخطبة (١٢٥).

٤ ـ نهج البلاغة ص (٥٠) صبحي صالح: من لايحضره الفقيه: ج٤ ص(٣٧٢).

٥ ـ الرعد: ٤١ مضافاً الى انه قد يكون مورد التنازع هو نفس أولي الأمر.

٦ ـ مضافاً الى انه قد يكون مورد التذرع هونفس أولي الأمر.

٧ ـ في صحيح مسلم عن رسول الله (ص): حرم الله الجنة على الوالي العاش لرعيته ـ الجزء الاول ص(٨٨).

٨ ـ نهج البلاغة الخطبة القاصعة ١٩٢.

٩ ـ اصول الكافي، كتاب الحجة

١٠ ـ من لايحضره الفقيه ج٤ ص(٢٦٤).

١١ ـ نهج البلاغة، كتاب (٥٣).

١٢ ـ من لايحضره الفقيه ج٤ ص(٢٧٣).

١٣ ـ وكذا في صحيح مسلم ج٤ ص(١٣٤).

١٤ ـ من لا يحضره الفقيه ج ٤ ص(٢٥٥).

١٥ ـ نهج البلاغة الخطبة (٢٠٦).

١٦ ـ نهج البلاغة الخطبة (٢٣٣).



حول الحكم والدولة

الشيخ محمد علي السبحاني

— ١ —

تعريف الحكومة والدولة ونظام الحكم.

الدولة: و يراد بها: «المجموع الكلي المكون من شعب و نظام يسير عليه الشعب وحكومة تديرهذه المسيرة».

الحكومة: يعرّفها روسو بأنها: «هيئة وسيطة بين الرعايا وصاحب السيادة من اجل الا تصال المتبادل بينهما، مكلفة بتنفيذ القوانين و بالمحافظة على الحرية المدنية والسياسية على السواء لأوامر رئيس الدولة.

وواضح انه يعبرها عن الهيئة التنفيذية لاوامر رئيس الدولة التي يريد تطبيقها على رعاياه، على اختلاف في نوعية صاحب السيادة هذا.

ولاريب في أن تعريفه هذا اما يصدق على بعض الحكومات لا كُـلّها. أما مانقصده من

الحكومة، فهو: «الهيئة الكلية التي تشرف على إدارة الشؤون العامة في مجتمع ما».

فالشيخ والرئيس والأمير والملك جزء من هذه الهيئة، كما أنها تقوم بتمشية الامور في «الشؤون العامة» و «بالشؤون العامة» هذه تختلف باختلاف المجتمعات، والاجتهادات، فقد لا تتجاوز في مجتمع ما، تعيين أوقات الخروج للصيد وتقسيم الناتج، وقد تشمل ــ كما في المجتمعات الحاضرة ــ أغلب المجالات فلا يخرج عنها إلا بعض القضايا الشخصية جداً.

وعندما نطلق تعبير «نظام الحكم» فاننا نعني به المبادئ العامة التي تحدد كيفية الحكم والحاكم وعلاقة الشعب بالحكومة وعلى ضوء ذلك يعرف دورها.

ــ٢ــ

ضرورة الحكومة على ضوء وظيفتها

بعض النظريات:

يرى آدم سميث ان أهداف الحكومة هي:

١ــ حماية المجتمع من الفوضى على المجتمعات المستقلة الأخرى.

٢ــ حماية كل عضو في المجتمع بقدر الامكان من فقدان العدل، أوكبت أي عضومنه، وتطبيق العدالة بدقة.

٣ــ انشاء منظمات عامة لا تنشد مصلحة فرد أو مجموعة من الأفراد بل تسعى لمصلحة المجتمع بأسره.

و يرى بركس ان هدف الحكومة المباشر هو: تأمين سيادة القانون والأمن العام، ونشر النظام. فاذاحصلت على ذلك وجب عليها أن تحدد حدود الحرية الفردية، و يضع هدفاً أساسياً لها وهو العمل لنشر الفكرة الانسانية والحضارة في العالم. اما ويلبي فيضع أهدافاً عامة لكل حكومة وهي:

أ ــ تحقيق النظام في بلادها وحفظ استقلالها من بين الدول الاخرى.

ب ــ العمل للحصول على أوسع نطاق من الحرية، و يرتبط بالحرية تقوية الجهاز الحاكم لأجل الحفاظ عليها كما يرتبط بها تثقيف المواطنين كي يكونوا قادرين على ممارسة الحرية.

ج ــ العمل لتحقيق الرفاهية العامة ورفع المستوى الاقتصادي والفكري والخلقي.

ويحدد لاسكي اهدافها في: «قيامها بتمكين مجموع الافراد من تحقيق مستوى اجتماعي طيب بأعلى مستوى ممكن، وتنحصر واجباتها في تنظيم مجموعة من الاعمال المنسقة، ومن الطبيعي ان ذلك التنظيم يزداد و يقل حسب الظروف القائمة، وليس للحكومة ان تقوم بالسيطرة على جميع فعاليات الانسان وانما عليها ان تضع مفتاح التنظيم الاجتماعي وعليها ان تحقق ما يدور في خلد الرعية من نظام افضل».

و يرى جاكوبسن وليمان: ان الاهداف هي كما يلي:

١ــ تأمين الحرية من الانتهاك، وتأمين العدل الداخلي للشعب فلايكون للحكومة مبرر إلّا نجاحها في ذلك.

٢ــ تحقيق سعادة الفرد.

٣ــ تحقيق الرفاه العام.

٤ــ حماية الاخلاق.

وهكذا رأينا اختلاف الآراء في اهداف الدولة مما يعين مقدار ضرورتها واذا أردنا ان نختار اجمع ماذكر اخترنا ماقاله «لاسكي» مع بعض التوضيح أو التعديل.

والواقع: ان التجمع الانساني ضرورة لابد منها لافراد الانسان وذلك على اختلاف في دواعي التجمع، أهي الغريزة الداعية للتجمع مباشرة او غريزة الاستخدام التي تدفع كل فرد لاستخدام الفرد الآخر أو ما الى ذلك؟

ولابد للمجتمع من نظام يعين المسير ويحل التناقض في النزعات ووجهات النظر، كما لابد لهذا النظام من معين ومنفذ له على ضوء مصلحة معينة، ومن هنا تنشأ فكرة «نظام الحكم».

وواضح ان أهداف هذا النظام تختلف باختلاف تصور الانسان لوجوده ومركزه من الكون من جهة وبمقدار بساطته وتعقيده من جهة اخرى.

فالمجتمع الذي ينظر للانسان كفرد حيواني يريد ان ينعم بالراحة والسعادة، تختلف متطلباته عن المجتمع الذي ينظر للانسان كموجود استخلفه الله العظيم ليعمر الارض ويتكامل بالتدريج، فيصنع مجتمع الارض العادل العابد الذي لايشرك بالله.

وبتعبير آخر فان اختلاف ايديولوجية المجتمع تؤثر بشكل اساسي على الاهداف التي يتوخاها من التجمع.

ومن هنا رأينا الحكومات في بعض المجتمعات تؤكد على الجانب العسكري مثلاً لان الاتجاه العام هوبناء المجتمع القوي صافحة عن تحقيق السعادة بالمعنى الذي نفهمه. كما رأينا الحكومات الاخرى ــ تركز على جانب الثقافة لان وجهة النظر الاجتماعية كانت تعينها هدفا لها.

هذا وتختلف وظيفة الحكومة على ضوء عقد المجتمع وبساطته فبينما لم تكن في السابق الا هيئة أو فرداً يدير القبيلة او المجموعة ويحل نزاعاتها نجد أنها تطورت الى فرد تعينه هيئة كبرى تخطط للدفاع عن المجتمع، وتنظم وضع الامن في داخله، وتشرف على وضع القوانين التي تسد بها بعض الفراغات الاجتماعية كمراعاة اليتامى وامثال ذلك، وهكذا تدرجت وظائف الحكومة بتعقد الحياة حتى رأيناها في هذا العصر وهي:

تقوم بمهمة سن القوانين المختلفة وادارة شؤون المجتمع الدفاعية والخارجية والداخلية والمالية والثقافية والفنية والصحية وشؤون المواصلات والزراعة والصناعة وامثال ذلك.

ذلك ان تعقد الحياة الاجتماعية يغيّر كثيرا من الشؤون الشخصية الى شؤون عامة مما يلقي بعهدتها على الدولة، كما ان تعقد المجتمع يخلق ترابطا قويا بين شؤونه مما لايدع مناصا من السيطرة على مختلف الجوانب لتحقيق السيطرة العامة والادارة الاجتماعية.

فاختلاف الايديولوجيات وتعقد المجتمع هما العاملان الرئيسيان في تطوير وظائف الحكومة.

تنبيه هام:

يكاد يجمع الذين عينوا وظيفة الحكومة على ان عليها ان تحقق سعادة الانسان وتؤمن راحته وحتى الذين نادوا بنظم الحكم التي تعمل

لصالح المجتمع ارادوا من خلال ذلك ان يوضحوا ان راحة الفرد تكمن في تحقيق الاحتياجات الاجتماعية.

وكل هذا التركيز على سعادة الفرد و راحته يكمن في انه حق طبيعي له ــ كما يعبر جون لوك ــ وعندما نركز على الحق نفسه ونتساءل عن علة كونه حقاً لا نجد لذلك موضحاً الا أن نقول:

ان الانسان يمتلك في أعماق وجوده طاقات فطرية تهيئه لان يسير مسيرة كمالية بملء ارادته وشعوره، وهذا يعني انه يستحق ان يفسح له المجال للوصول الى كماله، مثلاً الانسان له ان يعرف، وفي اعماقه دوافع للمعرفة فاذا منع من ذلك فقد منع من حقه، وفي الانسان دوافع خلقية ووجدان عملي يعين له الحسن والقبيح فاذا منع من السير الطبيعي وفقه، فقد منع من حقه، ومن هنا ركز الفلاسفة على ان كل موجود يولد وقد وصل الى كماله النفسي فعلاً إلّا الانسان فانه يولد موجودا يحمل الاستعدادات النفسية الهائلة التي يسير اليها طبق نظام منسجم مع اهدافه الكمالية.

فاذا كانت الايديولوجية التي يحملها المجتمع تعتقد بهذا و ترى ان لمجموع الانسانية غاية عظمى فان حق الانسانية على ضوء هذا سوف يوجب على الدولة ان تنظر في امر تنظيم شؤون الفرد الحاضر والمجتمع الحاضر في مسيرتها نحو الكمال كما تخطط لئلا تغلق على الأجيال الآتية أبواباً تسير من خلالها الى الكمال وعلى اساس من هذا تكون مسؤولية الحكومة كبيرة جداً و مسؤولية وضع نظام تعمل عليه الحكومة أكبر من ذلك. وللحديث عن رأي الاسلام في وظيفة الحكومة مجال واسع.

ان التربية العقائدية والتخطيط لمستقبل الاجيال يعد أهم وظيفة تقوم بها الحكومة.

ضرورة الحكومة في رأي الماركسية

ترى الماركسية ان الانسانية حتى مع فرض تجمعها لا تحتاج بالضرورة الى الحكومة ومن هنا كانت المجتمعات في المرحلة البدائية الشيوعية لا تدار من قبل حكومة، وانما بدأ الاحتياج لها بعد تشريع الملكية الذي غرس في نفسية الانسان حب الذات وعند نشوء الطبقية المقيتة، احتيج للحكومة كمنسق لمتطلبات الوضع الاقتصادي ومعبر عن احتياج الطبقة الحاكمة الى إعمال نفوذها على الطبقة المحكومة.. اما إذا وصل المجتمع الى الشيوعية الاصيلة وهي المرحلة العليا من التطور الاجتماعي الانساني فسوف لن يحتاج الى مثل هذه الهيئة الحاكمة بعد زوال مبررها و هو التناقض الطبقي.

وهنا يقول الامام الصدر:

«ومن حقنا ان نتساءل عن هذا التحول الذي ينقل التاريخ من مجتمع الدولة الى مجتمع متحرر منها، من المرحلة الاشتراكية الى المرحلة الشيوعية، كيف يتم هذا التحول الاجتماعي؟ وهل يحصل بطريقة ثورية وانقلابية فينتقل المجتمع من الاشتراكية الى الشيوعية في لحظة حاسمة، كما انتقل من الرأسمالية الى الاشتراكية؟ او ان التحول يحصل بطريقة تدريجية فتذبل الدولة وتتقلص حتى تضمحل وتتلاشى؟

فاذا كان التحول ثوريا آنياً، وكان القضاء على حكومة البروليتاريا سيتم عن طريق الثورة، فَمَنْ هذه الطبقة الثائرة التي سيتم على يدها هذا التحول؟ في حين

تقول الماركسية ان الثورة الاجتماعية على حكومة ما انما تنبثق دائما من الطبقة التي لا تمتلكها تلك الحكومة. فلابد اذن في هذا الضوء أن يتم التحول الثوري الى الشيوعية على ايدي غير الطبقة التي تمثلها الحكومة الاشتراكية، وهي طبقة البروليتاريا. فهل تريد الماركسية ان تقول لنا ان الثورة الشيوعية تحصل على ايدي رأسماليين مثلاً؟

واذا كان التحول من الاشتراكية وزوال الحكومة تدريجيا.. فهذا يناقض قبل كل شيء ـ قوانين الديالكتيك التي ترتكز عليها الماركسية فان قانون الكمية والكيفية في الديالكتيك يؤكد: ان التغيرات الكيفية ليست تدريجية بل تحصل بصورة فجائية، وتحدث بقفزة من حالة الى أخرى. وعلى أساس هذا القانون آمنت الماركسية بضرورة الثورة في مطلع كل مرحلة تاريخية بوصفها تحولا آنياً. فكيف بطل هذا القانون عند تحول المجتمع من الاشتراكية الى الشيوعية؟

والتحول التدريجي السلمي من المرحلة الاشتراكية الى الشيوعية كما يناقض قوانين الديالكتيك كذلك يناقض الأشياء. اذن كيف يمكن ان تتصور ان الحكومة في المجتمع الاشتراكي تتنازل بالتدريج عن السلطة وتقلص ظلها حتى تقضي بنفسها على نفسها، بينما كانت كل حكومة اخرى على وجه الارض تتمسك بمركزها وتدافع عن وجودها السياسي الى آخر لحظة من حياتها؟ فهل هناك اغرب من هذا التقليص التدريجي الذي تتبرع بتحقيقه الحكومة نفسها فتسخو بحياتها في سبيل تطوير المجتمع؟ بل هل هناك ما هو أبعد من هذا عن طبيعة المرحلة الاشتراكية والتجربة الواقعية التي تجسدها اليوم في العالم؟ فقد عرفنا ان من ضرورات المرحلة الاشتراكية قيام حكومة دكتاتورية مطلقة السلطان، فكيف تصبح هذه الدكتاتورية المطلقة ـ مقدمة لتلاشي الحكومة واضمحلالها نهائياً؟ وكيف يمهد استفحال السلطة واستبدادها الى زوالها واختفائها؟

وأخيراً فلنجنح مع الماركسية في أخيلتها، ولنفترض ان المعجزة قد تحققت، وان المجتمع الشيوعي قد وجد، واصبح كل شخص يعمل حسب طاقته، و يأخذ حسب حاجته افلا يحتاج المجتمع الى سلطة تحدد هذه الحاجة، وتوفق بين الحاجات المتناقضة فيما اذا تزاحمت على سلعة واحدة، وتنظم العمل وتوزعه على فروع الانتاج؟»[1]

وهذه النقطة الاخيرة امرهام يوضح ضرورة الدولة في اي مجتمع حتى المجتمع الخيالي الشيوعي الذي تفترض فيه ذوبان غريزة حب الذات من الانسان ـ وهو امر ينكره وجدان الانسان ـ وعمق هذه الغريزة الضارب في وجود اي انسان. نعم حتى في ذات المجتمع توجد فراغات وشؤون عامة تحتاج فيها الى سلطة تقوم على ملئها و تسييرها.

و يتوضح هذا عندما ندرك وظائف الحكومة اليوم وتعقدها وانها ليست كلها قائمة على اساس تناقض المصالح الطبقية.

على اننا لو آمنا بما قلناه في التنبيه الماضي من وجود هدف انساني عام وهو الكمال و بناء المجتمع العابد، ولاحظنا أنه ليس لهذا الهدف حد ومجال متصور، عرفنا ان الحكومة تحتفظ بدورها في مختلف مراحل الوجود الاجتماعي للانسان.

على ان ما يمكن تصوره من عوامل نقلت المجتمع من الشيوعية البدائية الى المرحلة التي عملت الملكية فيها عملها في التقسيم الطبقي يمكن تصور وجوده في المرحلة الشيوعية أيضاً و بشكل اشد خطراً. ومعه ألا نحتاج للهيئة المسلطة التي تمنع من هذا السير التحولي؟

وعلى اي حال فان الواقعية تقتضي تكذيب الماركسية والتأكيد على ضرورة الحكومة في كل عصر انساني خصوصاً مع ملاحظة الوظائف

المتشعبة التي تقوم بها في هذا العصر كما في التخطيط الصناعي والزراعي والصحي وأمثال ذلك.

وقد اكد المفكرون على هذه الضرورة ومنهم أرسطو الذي اعتبرها من عمل الطبع و«ان الانسان بالطبع كائن اجتماعي وان الذي يبق متوحشاً ــ بحكم النظام لابحكم المصادفة ــ هو على التحقيق انسان ساقط او انسان اسمى من النوع الانساني»[٢].

هذا ونقل عن «المذهب الفوضوي» قوله بعدم ضرورة الحكومة مستدلين بأن طبيعة الانسان خيّرة وعاقلة فلاحاجة للحكومة وانها تجر المصالح لطبقة خاصة و تهمل مصالح الافراد، وانها تقيد الحرية الفردية وامثال ذلك.

وهذه امور لانرى حاجة في تفنيدها او تفنيد تبريرها لعدم الحكومة اما رأي الاسلام فسوف نستعرضه ان شاء الله.

ــ٣ــ

نشوء الحكومة

ولايهمنا الا التعرض باختصار لبعض الآراء في نشوء الحكومة فقد ذهب «بودان» الفرنسي الى أنّ أصل الحكومة هو التكوين الأسري وذهب «فريزر» الى ان اصل تشكيل الحكومة هو الدين الذي جمع العائلات ووضع القانون. و يرى «أونهمير» الالماني ان اصلها هي القوة. في حين ذهب بعض الفلاسفة الى الاصل الفطري لتشكل الحكومة باعتباره نتيجة حتمية للتجمع وهو أمر فطري. وهم من مثل (أرسطو والفارابي وابن خلدون) او تعتبر الحكومة فطرية باعتبار نشوئها على اساس نزعة سياسية في الانسان تدعو للسيطرة على الآخرين.

وهناك نظرية العقد الاجتماعي التي تدعي نشوء الحكومة على اساس اتفاق اجتماعي للدخول تحت قانون وحكومة.

واخيراً لابد وان نشير الى النظرية الماركسية القائلة بنشوء الحكومة على اساس التناقض الطبقي حيث تقوم الطبقة الغالبة بانشاء القدرة السياسية التي تحمي مصالحها الاقتصادية.

وقد ادعت الماركسية ان تفسيرها هنا كباقي تفسيراتها يقوم على اساس من بحوث حولت التاريخ الى علم بعد ان كان ضربا من التخيل والمصادفة.

ولكن الواقع ان الماركسين لايستطيعون ــ كما لايستطيع غيرهم ممن فسروا نشوء الدولة وغيرها على اساس من العامل الواحد ــ ان يقيموا دليلاً علمياً قاطعاً ينفون به كل الاحتمالات الاخرى ماعدا احتمالاً واحداً وذلك لاختلاف التجارب الطبيعية التي يقوم بها العلماء الفيزيائيون فيثبتون بها انحصار العامل في شيء معين، عن التجارب الاجتماعية التاريخية التي هي اكبر من عمر الفرد حتماً، فلابد أن يعتمد فيها على الاخبار والحدس وربما الفرض المحض أحياناً.

وللتفصيل في هذا المجال يراجع الكتاب القيم (اقتصادنا) ص٥٨ــ٦٧.

وعليه فلا نستطيع ان نجزم بعامل معين لنشوء الحكومة و بالتالي مجموع عناصر الدولة و ربما اجتمعت عوامل في ذلك. واذا كانت قد نشأت على اساس عامل واحد اول الامر فلا يعني ذلك انه العامل الوحيد لنشوء الحكومات بعد ذلك، والذي ترتبط به الحكومة وجوداً وعدماً.

— ٤ —

احتياج الحكومة الى مبرر وجداني للحكم

اذا شئنا طرح البحث في مجال انساني منطقي عام يمكن ان يكون مقبولاً من قبل كل انسان ذي فكر سليم، وجب ان نلتزم بمقياس انساني عام مقبول لدى الجميع.

واذا فتشنا عن هذا المقياس العام الذي يجب التحاكم اليه في كل امر لا بد معرفة منطقيته و انسانيته فسوف لن نجد لأول وهلة — و بغض النظر عن كل نزعة اوميل فكري — الا الوجدان الاخلاقي في الانسان، وهو جانب فطري اصيل لايختلف في روحه ولا يختفي اخفاءً تاما عن حياة الانسان وان امكن ان نتصور طغيان بعض الشبهات وتغير تطبيقاته فحتى الذين انكروا الفطرة وانكروا في ضمنها الوجدان لم يستطيعوا ان يتخلصوا عفوياً — من احكامه. والّا فما معنى ان نتصور ادعاء الانسانية والتكامل في نظرية لا تؤمن بالفطرة — وهذا يعني انها لا تؤمن بوجود سبيل فطري وامكانات اصيلة تهيىء لها الانسان ومن حقه ان يسير نحوها ومع عدم وجوده لامعنى لان يكون هذا المبدأ انسانياً دون ذاك، ولا معنى لسير هذا نحو التكامل دون ذلك.

فنفس التصاق المبادئ بالانسانية والكمال له تأثير وجداني عميق.

وعليه فان الوجدان الانساني سوف يكون هو الحاكم الاصيل بمنطقية المبدأ وانسانيته اوعدمها.

وعندما نراجع الوجدان نجد انه يتطلب في كل حكومة وجود عاملين رئيسين هما:

الاول: استمداد حق الحكم من مصدر مؤهل لذلك و بتعبير آخر استمداد حق التصرف وتقييد الحريات ممن له ذلك.

الثاني: قيام الحكم على أساس المصلحة الاجتماعية والفردية. فاذا استطاع الحكم أن يوفر هذين العاملين معاً، فقد وفَّر لبغة منطقية وجدانية له، وإلاّ عاد ظلما وجبروتاً.

وتوضيح الامر: انه يمكن تصور عمل الحكومة في المجالات التالية:

١— قيامها بتحديد الحريات الشخصية بتوجيه السير ومنع التجول في اماكن خاصة، وامثال ذلك، و يشمل هذا قيام الدولة بفرض بعض الوظائف الاجتماعية على افراد لايرون لها ضرورة.

٢— قيامها بتحديد الحريات الاقتصادية بمنع البعض من اشباع غريزة حب الذات والسيطرة على بعض الاموال من طرق معينة، وفرض الضرائب وغيرذلك.

٣— قيامها بحل النزاعات والضرب على يد المعتدي ومنع الظالم من ظلمه.

وأمثال هذه المجالات.

ومن الواضح ان الوجدان اذا كان يكتفي في المجال الثالث بكون تدخل الحكومة هو لمصلحة المجتمع والفرد بمنع الظلم والضرب على يد الظالم ظلماً وجدانياً لاظلماً تراه الدولة كذلك لمصلحتها الخاصة، اذا كان يكتفي هنا بالمصلحة فهو لايكتفي بها في المجالين الآخرين وانما يتطلب مع ذلك وجود تولية او توكيل ممن له الحق في هذا التحديد. رغم ان الانسان يمتلك في الاصل حريته الطبيعية الأخلاقية في ان يفعل مايحلوله،

وكأن ذلك انعكاس لكونه مخلوقاً إرادياً له الحق ان يفعل وان لايفعل في كثير من الامور والمجالات.

—٥—

اشكال الحكم الرئيسية

واذا اردنا ان نستعرض اشكال الحكم الرئيسية امكننا تصنيفها كمايلي:

١ـ الحكم الاسلامي بكلا اطروحتيه «اطروحة الشورى واطروحة الإمامة ونيابتها».

٢ـ الحكم الاستبدادي «الفردي، أو الفئوي، أو الحزبي».

٣ـ الحكم الديمقراطي «الملكية الدستورية، الجمهورية».

هذه هي الاقسام الرئيسية المفروضة.

هذا وقد يتحول بعض هذه الانماط الى النمط الآخر نتيجة سوء التطبيق أونتيجة نقص في نفس النظام أو اقتباس نظام شيئاً من النظام الآخر.

وذلك كأن يمنح الشعب مثلاً رئيساً للجمهورية حق الحكم المطلق فيصبح مستبداً تماماً، أو أن يمتلك الحكم الاستبدادي الحزبي نوعاً من الديمقراطية في اطاره الحزبي وان كان مستبداً على الشعب، أو ان يرى الحاكم الاسلامي في نظام الامامة وجوب العمل برأي الاكثرية مثلاً في أمرما، وأمثال ذلك.

ونرى أن هذه الاقسام الثلاثة تختلف عن بعضها اختلافاً جوهرياً.

موقف الاسلام من مسألة الحكم والسيادة

وفيه فروع مترابطة:

الفرع الاول: الاسلام والحكم.

وبسط الحديث الى حدما في هذا الموضوع يستدعي مراجعة بعض الاقوال الشاذة التي نفت ان يكون الاسلام قدجاء ليعطي نظاماً للحكم ثم التعقيب عليها بالنظرة المخالفة وبيان الحق والواقع.

ولعل «علي عبدالرازق» مؤلف كتاب «الاسلام واصول الحكم» هو الذي أثار هذه الضجة،وان كنا نستطيع ان نجد الشواذ ممن أيده كخالد محمد خالد وبعض الكتاب الآخرين وبعض المستشرقين أيضاً. وتتلخص نظريته في ان الاسلام لم يخطط نظاماً ـ ولو بنحوالمبادىء العامة للنظام ـ في مجالات الحكم وانه ليس إلادعوة دينية خالصة لا تشوبها نزعة ملك ولادعوة لدولة، واذا كان الرسول زعيماً فليست زعامته زعامة حكم وسلطان بل هي زعامة دينية لاربط لها بالزعامة السياسية.

وقد استند في نفيه هذا لتخطيط الاسلام للحكم الى الامور التالية:

اولاً: القرآن: كما في قوله تعالى «وَمَا أرسلناكَ عَلَيْهِمْ وَكيلاً» و «إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلاغُ وَمَا أرسلناكَ إِلَّا مُبشِّراً وَنَذِيراً» و «فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ».

وخلاصة الاستدلال ان من لم يكن مسيطراً ولا وكيلاً وانما هو مجرد مبلغ ومبشر ونذير ليس حاكماً أيضاً[٣].

ثانياً: السنة الشريفة:

ويستند فيهاالى احاديث ووقائع من مثل مايلي:

أ ــ جاء رجل الى النبي (ص) فاصابته رعدة شديدة فقال له الرسول(ص): «هوّن عليك فاني لست بملك ولاجبار وانما انا ابن امرأة من قريش تأكل القديد بمكة».

ب ــ قول الرسول(ص): «انتم اعلم بشؤون دنياكم».

ثالثاً: الدليل العقلي: و يتلخص في ادعاءات ثلاثة:

أ ــ ان من المعقول ان ينظم العالم في وحدة دينية ولكن ليس من المعقول ان ينظم العالم في حكومة واحدة فذلك يوشك ان يكون خارجاً عن طبيعة البشرية.

ب ــ ان مسألة الحكم غرض دنيوي خلّى الله بينها و بين عقولنا.

وأخيراً فأن دولة الرسول خلت من كثير من اركان الدولة.

وهو يقول: «ولماذا لم يتحدث الى رعيته في نظام الملك وفي قواعد الشورى، ولماذا ترك العلماء في حيرة واضطراب من امر النظام الحكومي في زمنه؟»[4].

هذا وقد نقل الاستاذ عبدالحميد متولي بعض الاستنادات الاخرى لبعض العلماء والمحدثين تدعيماً لوجهة النظر هذه وهي:

اولاً: ان المؤسس الحقيقي للدولة الاسلامية هو ابو بكر.

ثانياً: ان الدين حقائق ثابتة لا تتغير والدولة نظام متغير.

ثالثاً: فشل الحكومات الدينية واستبدادها وعدم القبول للتطوير و «القوة تحتل من طبيعة الحكومة الدينية مساحة واسعة... وهي تستمد تبرير قسوتها و بطشها من نفس الغموض الذي تستمد منه سلطتها» ــ كما يقول خالد محمد خالد في كتابه «من هنا نبدأ».

دوافع القول بهذه النظرية

يختلف الباحثون حول دوافع القول بها، فبينما يعتبرها البعض نظرية قائمة على البحث النزيه، يرى البعض الآخر انها جزء من مخططات الاستعمار.

ولكن الاستاذ متولّي يرى ان الطرفين جانبا الحق وان الدوافع تكمن في مايلي بتلخيص:

١ــ ان علي عبدالرازق كان يريد ان يثبت هدفه الاساسي، وهو ان الخلافة ليست أصلاً من أصول الحكم في الاسلام وذلك ليضرب به هدف الملك فؤاد ملك مصر الذي اراد الاحتلال البريطاني ان يجعله خليفة للمسلمين بعد ان قام اتاتورك بعزل الخليفة العثماني واقامة النظام الجمهوري في تركيا.

٢ــ خشية البعض من ان يسيطر الفقهاء على شؤون الدولة و بث روح الجمود فيها وهو ما اصيب به الفقه الاسلامي بعد سد باب الاجتهاد.

وقد ناقشه بقوله «ولقد فات اصحاب هذا الرأي انه اذا كان مما لايمكن انكاره أن الاخذ بالرأي الآخر (القائل بان الاسلام دين و دولة) مما يؤدي بلاريب الى الاعلاء من مقام رجال الفقه الاسلامي، فليس من شأنه ان يؤدي حتماً الى ان يكون رجال الفقه او الدين من الحكام، فلم يكن هذا هو الشأن حتى في صدر الاسلام فمعاوية و يزيد و عمرو بن العاص (وكثير غيرهم من رجال الحكم في ذلك العهد) لم

يكونوا من علماء الفقه والدين».

٣ ــ التأثر بالفكرة الغربية «فصل الدين عن الدولة».

ويمكننا ان نكون الرأي الحق بملاحظة نقاط ثلاث:

النقطة الاولى:

ان النظر المنصف الى الاسلام ونصوصه و تاريخه و ضروراته لايدع مجالا للمكابرة في انه يجعل مسألة الحكم في عداد اهم المسائل التي يعالجها و يضع مبادئها...

فلنلاحظ هذا بشيء من التفصيل:

أ ــ طبيعة الاسلام

واذا تصفحنا خصائص الاسلام عرفنا ان اهم الخصائص وابعدها غوراً في وجوده هي الواقعية، فالاسلام دين واقعي ينسجم مع الفطرة الانسانية والواقع التكويني الذي يعيشه الانسان، ولايتناقض مع نفسه ومع هدفه السامي مطلقاً.

وهذه الواقعية هي التي تفرض ان يهتم الاسلام بمسألة الحكم تمام الاهتمام وذلك :

اولاً: لان الاسلام جاء ديناً شاملاً لكل نواحي الحياة الانسانية، مخططاً لكل سلوك ، ومعيناً لكل نظام وليس هناك في حياة الانسان سلوك ولافرضية لايدخل تحت نظام خاص وحكم خاص.

وهذا ما نستكشفه من عمل الاسلام على اعطاء رأيه في كل مجال، ومن روايات متعددة تؤكد هذا المبدأ من مثل:

١ ــ الرواية الصحيحة التي رواها الكافي عن علي بن ابراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس عن حماد عن ابي عبدالله الصادق(ع) قال: سمعته يقول:

«ما من شيء إلّاوفيه كتاب وسنة».[٥]

وما رواه الكافي ايضا عن عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد عن ابن فضال عن عاصم بن حميد عن ابي حمزة الثمالي عن ابي جعفر الباقر(ع) قال: **«خطب رسول الله(ص) في حجة الوداع فقال يا ايها الناس: والله ما من شيء يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار الا قد امرتكم به، وما من شيء يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة الاقد نهيتكم عنه».**

والرواية ايضا صحيحة.

وغير ذلك من الروايات التي تؤكد رأي الاسلام حتى في «ارش الخدش».

ولعل وجود مفهومي «الحلال والحرام» اللذين لايخرج عنهما أي فعل اكبرموضح لان الاسلام أعطى رأيه بالعموم او بالخصوص في كل سلوك انساني وعين مذاهبه السياسية والاقتصادية والتربوية وغيرها واقام نظمه فيها على اساس من مذاهبه العامة.

ولايمكن مع هذا ان نفترض الاسلام غافلاً عن مسألة الحكم أو تاركاً إياها للظروف والتطورات والتقلبات التي تفرض نفسها على المجتمع الاسلامي وتحكمه وتفرض سيطرتها عليه دون ان تستمد منه ولايتها ومبادئها العامة على الاقل ــ.

وثانياً: فانا حتى لوغضضنا النظر عن مسألة الشمول التي اقتضتها الواقعية الاسلامية ــ نجدأن الاسلام بلاريب أعطى الأمة نظاماً اقتصادياً كاملاً يقوم على مذهب محدد، كما اعطاها نظاما للعقوبات وآخر للشؤون الشخصية ورابعاً للامر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك، وكل هذه النظم يمتلك الحكم فيها مساحة

هامة بحيث لايتصور قيام كل منها كنظام إلّا بافتراض وجود الدولة الاسلامية التي تحتل ذلك الموقع وتسير على هدى الاسلام وتعيينه لوظيفتها.

يقول الأستاذ المرحوم محمد المبارك: «ان مجموع هذه الأحكام الجنائية والمالية والدولية والدستورية لايمكن ان يعقل ايرادها والالتزام بها التزاماً يعتقد المؤمن بالاسلام بوجوبه والاثم بتركه إلّا اذا كان القرآن يفرض على المسلمين تنظيم الحكم واقامة الدولة.

ولا يعقل ان يقدم الاسلام في قرآنه هذه الاحكام لدولة لا تؤمن به او لا تقوم على اساس عقيدته ومبادئه، ولا يقول بهذا إلّا من فقد رشده أوغالط نفسه أوقصد المراوغة والخداع». [6]

والطريف ان نجد جان جاك روسو يبرر رفضه للدين العالمي الذي يتدخل في الشؤون المدنية بان ذلك يؤدي الى الاعتراف برئيسين وسلطانين وقانونين وهو ما لاريب في سخفه وعدم امكانه فيقول: «قد ينقسم الدين على ضوء علاقته بالمجتمع التي تكون اما علاقة عامة اوخاصة الى نوعين: وهما دين الانسان ودين المواطن.

الاول: وهو بلا معابد ولا هياكل ولاطقوس، مقتصر على العبادة الداخلية المحضة لله الأعلى، وعلى الواجبات الاخلاقية الأبدية يكون دين الانجيل النقي والبسيط، التوحيد الحقيقي وهو ما يمكن ان نسميه: القانون الإلٰهي الطبيعي. الثاني وهو مدون في بلد وحيد يمنحه آلهته وشفعاءه الخاصين وحماته ان له عقائده وطقوسه وعبادته الخارجية المفروضة بالقوانين وفيما عدا الأمة التي تعتنقه، يكون كل انسان بالنسبة له كافراً، أجنبياً، بربرياً، وهو لايمد واجبات الانسان وحقوقه خارج حدود هياكله.

كانت هذه هي اديان الشعوب الاولى جميعها التي يمكن ان نطلق عليها اسم القانون الالهي المدني او الوضعي.

ثمة نوع ثالث من الاديان اكثر غرابة، اذ أنه بتقديمه للبشر تشريعين ووطنين يخضعهم لواجبات متناقضة ويمنعهم من ان يكونوا في آن واحد مؤمنين و مواطنين. ذلك هو دين اللاميين، ودين اليابانيين والمسيحية الرومانية، ويمكن تسمية هذا الدين بدين الكاهن، و ينشأ عنه نوع من القانون المختلط والا نطوائي لا اسم له اطلاقاً.

واذا ما نظرنا سياسياً الى هذه الانواع الثلاثة من الاديان وجدنا انها تنطوي على اخطاء.

فالثالث واضح كل الوضوح انه سيئ، ومن العبث اضاعة الوقت في البرهان على ذلك. اذ أن كل مايفرق الوحدة الاجتماعية لاقيمة له، وجميع المؤسسات التي تضع الانسان في تناقض مع نفسه لاقيمة لها». [7]

وروسو هنا ينظر للدين نظرة المشرع الوضعي المؤمن بالديمقراطية والنظام المدني وهو يحاسب الدين على ضوء خدمته لهذا النظام. فيقسم الدين الى دين روحاني عالمي لا ربط له بالحياة، وآخر اقليمي ذي هياكل وهو يسند القانون الوضعي، وثالث عالمي متدخل في شؤون الانسان و يرى ان الثالث واضح البطلان.

والواقع ان الدين العالمي المتدخل لوكان يعترف بقانونين وسلطانين ووطنين احدهما للدين والآخر للدولة، فما اسخفه وما ابعده عن الواقع.

ولكن الاسلام وهو الدين العالمي المنظم

لشؤون الانسان على ضوء علم وحكمة إلٰهيين واسعين لا يسمح بقيام نظام وسلطة أخرى الى جنب سلطته وحكومته والّا القى الانسان في تناقض مع نفسه كما فعلت المسيحية المحرفة بتدخلها القليل في شؤون الانسان واعترافها بالنظم المدنية.

ان الاسلام يعتبر نفسه هو الحاكم وهو المسيّطر وهو المطاع وهو الموجه لشؤون الحياة، كما ستأتي بعض النصوص في ذلك. وهو الذي يربط بين شؤون الدنيا والآخرة ربطاً تاماً حتى انه دعا لأن تكون الحياة بمفهومها الواسع عبادة وقربة الى الله، فلامعنى للقول بعد ذلك، بأنّ هذا من امور الدنيا وذاك من امور الآخرة وهذا من امور الدين وذلك من امور الدولة والدنيا وامثال ذلك.

وثالثاً:

لان القرآن والاسلام دعوة إنقلابية تربوية تريد ان تربي الانسانية العابدة وتنقي كل بذور الجاهلية في العقيدة والنظام والاخلاق والتقاليد وغيرها. والتربية تعني اول ما تعني مسك ازمة الامور ثم وضع برنامج تربوي عام وخلق التلاؤم بين مختلف نواحي الحياة ونظمها خدمة لذلك الهدف التربوي العام الذي بينته الآية الكريمة (وما خلقت الجن والانس إلّاليعبدونِ) وتحقيقاً لمدارج التكامل الانساني. ومن هنا يتغير هدف الحكومة في الاسلام ويختلف عن اهداف الحكومة في المجتمعات الوضعية — كما قلناه — حيث ركزت على تحقيق رفاه المواطنين وراحتهم في حين يطلب الاسلام من (الامام) وهو عنوان الدولة الاسلامية ان يراقب تحولات المجتمع و يسوقه نحو كماله في مختلف الجوانب. كما سيأتي مزيد توضيح لهذه النقطة.

ورابعاً: فان طبيعة العقيدة الاسلامية تقضي ان تستمد الحكومة ولايتها وقدرتها ومبادئها من الاسلام فان اساس الاسلام هو التوحيد الخالص وولاية الله الحقيقية ومالكيته للكون والانسان ولن يملك أي انسان ولاية على آخر إلّا بسماح الله له وقد رأينا من قبل ان الحكومة بطبيعتها تحتاج الى من يمنحها هذه الولاية ووفقاً للعقيدة الاسلامية واساسها التوحيدي الحنيف لايملك حتى الناس أنفسهم سلطة تولية الآخرين عليهم إلّا باذن إلٰهي.

ومن هنا كان النبي(ص) أولى بالمؤمنين من أنفسهم كما في حديث الغدير المتواتر وكان الإمام بعده أولى بالمؤمنين كما سيأتي.

هذا بيان موجز عن اقتضاء طبيعة الاسلام وواقعيته لأن يضع الاسلام اسس دولته الخالدة خلود رسالته.

ب — النصوص الاسلامية

والنصوص الاسلامية التي تشير من قرب أو بعد الى التحام مسألة الحكم بالاسلام كثيرة نلاحظ منها مايلي: يقول تعالى:

«إنّا أنزلْنا إليكَ الكِتابَ بالحقّ لِتحكُمَ بينَ النّاسِ بما أراكَ اللّهُ» و«فَلا وَربّكَ لايُؤمِنُونَ حَتّى يُحكّموكَ فيما شَجرَ بَيْنهمْ ثُمّ لايَجِدُوا في صُدورِهِمْ حَرجاً مِمّا قَضَيْتَ وَيُسلّموا تَسْليماً» و«ثُمّ جَعلْناكَ عَلى شَريعةٍ مِنَ الأمْرِ فاتّبِعْها ولا تَتّبِعْ أهْواءَ الّذِينَ لايَعْلَمُونَ» و«وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أنْزَلَ اللّهُ فَأولٰئِكَ هُمُ الكافِرُونَ».

وروي عن الرسول(ص) قوله المقطوع به:

«من مات وليس في عنقه بيعة لإمام فقد مات في جاهلية» وحديث الغدير الذي أكّد فيه(ص) انه

أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأمثال ذلك.

بل اذا لاحظنا الادلة القاطعة التي تؤيد وجهة النظر هذه التي استقي بعضها من الروايات، عرفنا أنّ مسألة الحكم تشكل مَعْلَماً بارزاً من معالم الاسلام و بدونها لايكمل الدين، بل يشكل نظام الامامة امتداداً للنبوة مع فوارق بينهما.

ولكنا نكتفي هنا بذكر نص واحد عن الامام الرضا(ع) يقول فيه:

«ياعبدالعزيز، جهل القوم، وخُدعوا عن أديانهم، ان الله تبارك وتعالى لم يقبض نبيه(ص) حتى اكمل له الدين، وانزل عليه القرآن فيه تفصيل كل شيء، بين فيه الحلال والحرام والحدود والاحكام وجميع ماتحتاج اليه الامة فقال عزوجل: «وما فرطنا في الكتاب من شيء» وانزل في حجة الوداع وهي آخر عمرة «اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا» وامر الامامة من تمام الدين، ولم يرحل(ص) حتى بين لأُمته معالم دينهم واوضح لهم سبيلهم،»» وسيأتي تفصيله[8].

ج ـ التاريخ الاسلامي:

ولاتجدنا بحاجة الى استعراضه لوضوح قيادة النبي(ص) والائمة(ع) لشؤون الحكم، وماكان الهدف المعلن للامام الحسين(ع) اِلّا استلام الحكم من يزيد، واقامة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

د ـ الضرورة الاسلامية

فان مسألة الحكم وارتباطها بالاسلام لم يختلف فيها احد، فحتى الخوارج الذين رفضوا حكام عصرهم نسبوا الحكم الى الله غافلين عن ان الله لابد وان يعين من يطبق شريعته على الارض و يقود عملية التربية الكبرى.

النقطة الثانية: بالنسبة الى الدوافع التي ذكرت للقول بفصل الاسلام عن مسألة الحكم نود ان نقول:

ان علائم التعمد والتحريف واضحة في كتاب «الاسلام واصول الحكم» ولعل مؤلفه كان أدرى بأن مايستدل به لايتجاوز مالا تستقيم دلالته على مدلوله او مالا يعدو كونه قصة تاريخية لا تملك سنداً شرعياً أوظناً لايغني عن الحق شيئاً.

اما الدوافع التي ذكرت بعدذلك، فالدافع الاول منها سياسي محض و فرض وهم، اذكيف يمكن ان نتصور بريطانيا تعمل على ارجاع الخلافة الاسلامية ولو في شخص رجل منحرف مثل الملك فؤاد، وهي التي عملت المستحيل وتوسلت بكل السبل لافناء الخلافة العثمانية بفعل تحريك العميل الصهيوني الكبير أتاتورك وتحريك العرب واثارة الروح القومية فيهم؟ وأمثال ذلك فلا يعدو هذا اِلّا وهما. نعم يمكن ان نتصور الاستعمار البريطاني نفسه يدفع امثال «علي عبدالرازق» لفصل الاسلام عن مسألة الحكم و بالتالي خلق روحية الحكم المدني وجعل الدين ذا دورغير اساسي في التشريع وهو ما طبقه الاستعمار فعلاً في الدويلات التي شكلها بشكل غير مباشر وصاغ قوانينها الوضعية معطياً للاسلام بعض المجالات القليلة كالشؤون الشخصية من زواج وطلاق وامثالها.

واما الدافع الثاني: وهو التخوف من سيطرة الفقهاء على الدولة وتجميدها فقد رأينا الدكتور متولي يرده بأن الحكم الاسلامي يعزز مكانة الفقيه ولكنه لايجعله رجل الدولة الوحيد ثم

يذكر مثلا للحاكم الاسلامي مجسدا في معاوية و يزيد و عمرو بن العاص ولم يكونوا من الفقهاء.

والرد صحيح الى حدما طبق الاطروحة التي تعتمد الشورى أساساً وان امكن القول بأنّ أهل الحل والعقد المتدينين سوف يميلون بالطبع الى رجال الفقه والدين، فاذا افترضنا هؤلاء ممن ابتلوا بالجمود كان من المتوقع للدولة الجمود على وضعها وعدم تطورها وهذا ما يرفضه المنطق الاجتماعي ولكن النقص الاساسي في الرد يكمن في تمثيله بحكام امتلكوا الامر بالجور والقهر والقتل و شوهوا وجه التاريخ الاسلامي بالظلم والهتك والمكر. فهل يرضى الدكتوران يمتلك امر الامة أمثال يزيد ؟ انها والله الداهية الدهياء — على ان الرد لاينسجم مع النظرية التي تعطي الفقيه الدور الاساسي في الاطروحة ضمن شروط خاصة — كما سنبين...

واما الدافع الثالث: فهو دافع متوقع جدا بعد نفوذ الغرب و تصوره عن الدين و تشبع المثقفين العرب بذلك وبهر الغرب لهم بنظامه الديمقراطي الذي يفصل بين الدين والسلطة وهو امر ينسجم مع الدين المسيحي المنحرف والذي لم يعدُ سوى دين ينظم جوانب العبادة الشكلية لاغير، وسنوضح هذه النقطة في البحث التالي عن العلمانية.

والشيء الهام الذي نودالتنبيه عليه في هذا المجال هو ان نقاط الضعف الكبرى الموجودة في بعض التصورات لنظام الحكم في الاسلام كان لها اكبر الاثر في موقف هؤلاء ان لم تكن هي الدافع الرئيس لذلك.

ولكننا هنا نلخص بعضها المحتمل قوياً تأثيره في هذا الموقف.

أ— ضعف الادلة المقامة على نوعية نظام الحكم «الشورى» المستقل عن عنصر الولاية وقولها كلها للمناقشة الدلالية و بعضها للمناقشة السندية، ولعل كلمة خالد محمد خالد تشير الى ذلك.

ب— غموض نظام الشورى وعدم احتوائه — على الاقل — على المبادئ الضرورية لتكوين أي نظام.

ج— تأرجح تطبيق هذا النظام بين تطبيقات مختلفة.

د— تعميم عنوان (ولي الامر) لكل من مسك بازمة الامور، وتعيين وجوب طاعته حتى لوكان فاسقاً.

هـ— وجود نقاط ضعف حديثية ولعل اهمها ماجاء في تفسير حديث (انتم اعلم بشؤون دنياكم).

فاذا ضممنا الى ماتقدم المستوى الفكري غير المتحول الذي وصل اليه الفقهاء في العصور الاخيرة والجمود الذي ابتلوا به على أثر اغلاق باب الاجتهاد والتبعية المطلقة للرئاسة الدينية للدولة القائمة وحدوث الكثير من العقبات في وجه الفقيه غير المجتهد، اذا ضممنا اليه كل ذلك عرفنا جانباً هاماً من جوانب هذه الدعوة الخطيرة.

النقطة الثالثة: مناقشة ادلة هذا الاتجاه.

وهنا لا بأس بالتعرض للرد الموجز على الادلة المذكورة:

اولاً: الآيات القرآنية من قبيل «لست عليهم بوكيل» ومن الواضح لكل من لاحظ هذه الآيات وانها آيات مكية إلّا الآية الكريمة «ومن تولّى فما ارسلناك عليهم حفيظا»، ولاحظ اسباب نزولها وانها كانت تطيب من خاطر النبي(ص) الذي كان يتألم كثيراً لاعراض بعض المشركين ووقوفهم بوجه دعوته الكبرى، فتخبره ان لا يبخع نفسه على ان لا يكونوا مؤمنين فليس عليه إلّا البلاغ اما اذا رفضوا الاسلام فليس هو بوكيل حفيظ عليهم، انها لا تدل على المدّعى المذكور وليست بهذا الصدد.

و يوضح هذا بالاضافة لملاحظة سياق الآيات واسباب نزولها الآيات الكثيرة — والتي ذكرنا بعضها — والتي تؤكد على ان الرسول هو الشهيد على هذه الامة وتوجب طاعته وقيادته «وكذلك جعلناكم امة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً» «اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم» «محمد رسول الله والذين آمنوا معه اشداء على الكفار رحماء بينهم» وكلها تتحدث عن قيادته و مسؤوليته تجاه امته وانه اولى بها من نفسها.

أما الكافرون المكذبون فليس هو بمسؤول عن تكذيبهم وانما سيجزون بما كفروا يوم القيامة.

وكذلك يوضح ذلك موقف الرسول العملي وقيادته للحياة العامة وعدم اقتصاره على مجرد التبليغ والانذار بالضرورة.

ثانياً: الاحاديث النبوية:

فلو غضضنا النظر عن اسانيدها ولم نناقش رواتها واحداً واحداً — وهو طبيعي — فان الحديث الاول واضح الدلالة على ان الحاكم الاسلامي حتى ولو كان هو النبي(ص) ليس ملكاً جباراً مستبداً يحكم هواه و يقتل بغير حساب، و يقهر رعيته بالرهبة والجبروت وانما ينبغي ان يكون الرحيم العطوف الودود برعيته كما كان النبي(ص) وكما كان اميرالمؤمنين(ع) اذ كان في اصحابه كأحدهم وهو يكتب الى عامله على مصر (مالك الاشتر) كتاباً رائعاً يقول فيه من جملة ما يقول: «واشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم فانهم صنفان أما أخ لك في الدين، او نظير لك في الخلق...» نهج البلاغة ص ٢٤٧.

اما حديث «انتم اعلم بشؤون دنياكم...» فانه اقوى دلالة على المطلوب لو صح وان كان من الممكن النقاش فيه على اساس انّ المقصود من امور الدنيا الامور التجريبية التي يدركها الانسان بالممارسة وليست مسألة الحكم أمراً من هذا القبيل بل هي العمود الرئيس للمجتمع الذي يعمل الاسلام على بنائه وخصوصاً بالنسبة لفترة مابعد الرسول(ص).

ولكن الكلام كل الكلام في صحة هذا الحديث و ذلك:

أ — كيف يعقل ان لا يعلم النبي (ص) — وهو الذي يعيش في مجتمع اهم زراعة فيه هو زراعة النخل — ان تأبيره ضروري لانتاجه حتى لو فرضناه غير متصل بالسماء في هذه الامور على الاقل؟ وكيف لم يرد عليه الفلاحون؟

ب — ان الاسلام كما قلنا اعطى رأيهُ في مختلف الشؤون الدنيوية بعد ان ضبط كل تصرفات الانسان تحت عنواني الحلال والحرام كما مرّ، وقد تدخل النبي(ص) في مختلف

شؤونهم الحياتية حتى بصفته ولي الامر فقاد الجيوش ووجههم في مختلف الامور كما في المجال الصحي وفي المجال الاقتصادي وأمثال ذلك.

ج ــ وقد قام بعض العلماء بتفنيد هذا الحديث سنداً ودلالة فاغنونا عن البحث فيه.

ثالثاً ــ الادلة العقلية :

وكلها لا تصلح دليلاً على المدعى.

اما استبعاد امكان الحكومة العالمية ــ فهو قائم على اساس انه يفرض على الجميع نمطاً واحداً من السلوك رغم احتلاف المناطق بينهم المفروض هو ان يكون الموجه الواحد للعالم والحكومة الواحدة متمثلاً بحكومة الاسلام والامام ولايوجد أي مانع عقلي او واقعي من ذلك، بل ان بعض كبار المفكرين والسياسيين في العصر الحديث يعدون ذلك إحدى الضرورات التي لاغنى عنها للبشرية ــ على انه لايهمنا رأي هؤلاء ــ بعد ان وعد الله المؤمنين بالدولة العالمية التي تملأ الارض قسطا وعدلا «وعدالله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم».

ان الاسلام كما هو واضح من مختلف جهاته يريد ان ينسق مسيرة الارض الواحدة نحو تكاملها، وهذا لايفرض الا وحدة عامة ولا مانع فيه من الاختلاف في بعض التطبيقات مراعاة للظروف.

واما مدعاه في ان مسألة الحكم امر دنيوي خلى فيه الرسول بيننا و بين عقولنا فقد توضح امره بما سبق.

واما المدعى الثالث في ان الرسول لم يبن الدولة ولاوضع مبادئ الحكم ولم يوصِ بشيء ولاعين تفصيلات الشورى،

فالواقع فيه ان الرسول لاحظ كل ما يتعلق بهذا الامر فخطط لاقامة الدولة الاسلامية اروع تخطيط يتناسب ــ طبعاً ــ و مستوى الاحتياجات في عصره ثم بين اهم مبدأ في نظام الحكم بأن جعل الحاكم الاول في الدولة هو المعصوم الذي يعين شكل التنظيم الاداري و هو يختلف باختلاف الظروف نعم لو كان نظام الحكم هو «الشورى» لوحدها لأمكن ان يعتبر ذلك اكبر نقص في الاسلام بعد ميعان نظام الشورى و بطلان ادلته وعدم بيان مبادئه العامة وهذا يعبر عن ميوعة لامرونة، كما حاول البعض ان يجيب بذلك عن هذا الاشكال، والمرونة الحقيقية تكمن في نظام الامامة و مبادئه

واما ماذكره البعض تأييداً له فهو ايضا غير صحيح، اذ المؤسس الحقيقي لنظام الحكم الاسلامي هو النبي (ص).

واما ما قيل من ان الدين نظام ثابت والدولة نظام متغير فهو أمر يخلط فيه بين جوانب الدين الثابتة التي تعالج أموراً ثابتة و جوانب الدين المرنة التي تعالج أموراً متغيرة كمسألة نوعية التنظيم والادارة فان الجوانب المتغيرة من الحياة كعلاقة الانسان بالطبيعة او كبعض العلاقات الاجتماعية تحكمها ضوابط عامة يكون تطبيقها مرناً يختلف باختلاف الظروف مثل قواعد (منع الضرر) و (التزاحم بين الاهم والمهم) و (نمو الانتاج) وأمثال ذلك.

ومن تلك الجوانب اسلوب الادارة المختلف باختلاف الظروف ولذا شكل منطقة فراغ يملأها الامام و ربما عمد الى الشورى في ذلك،

اما الشكل العام الذي ينسجم مع الضوابط العامة فهو امر ثابت لايتغير ــ وسيأتي مزيد حديث عن هذا في البحث التاليــ.

اما مسألة فشل الحكومات الدينية فليس يعني ان كل حكومة دينية فاشلة مطلقاً خصوصاً بعد ان نجد الحكومات المذكورة لا تتبع النظام الاسلامي الكامل وتحيد عن الصيغة الاسلامية بأي شكل تصورناها وهل يتحمل الاسلام وزر عمل الطاغية يزيد و الحجاج والوليد والرشيد و بعض الخلفاء العثمانيين و أمثالهم.

وربما يحلو للبعض مثل (طه حسين) ان يجعل الزمان غير مناسب للحكومة الاسلامية التي ارادها علي(ع) ولذلك لم ينجح في انشاء دولة العدل بعد ان مال الناس الى ملكية معاوية فيقول: «كان علي(ع) يدير خلافة وكان معاوية يدير ملكا. وكان عصر الخلافة قد انقضى وكان عصر الملك قدأطل».

ولكن طه حسين لم يلتفت الى ان وجود العقبات في وجه اميرالمؤمنين لم يكن من مقتضيات التطور الاجتماعي وانما هي حالة طارئة وجدت بفعل عوامل معينة ولم تكن لتستطيع الثبات بوجه العدل العلوي لوفقدت إحدى مقوماتها صدفة كأن لم يخدع البعض فيعلن الثورة على اميرالمؤمنين مما خلق الضعف الكبير في الدولة الاسلامية التي يقودها وافشل التطبيق الاسلامي النظيف وحرمنا الكثير من الخيرات.

ورغم كل هذا فان الفرص التي اتيحت للحكم الديني كي يشمل المجتمع شكلت اروع تجربة بشرية على الاطلاق.

بل ان هناك انماطأمن التطبيق المنحرف لنظام الحكم الاسلامي هي افضل بكثير من تطبيق أي نظام لااسلامي بشهادة التاريخ.

الفرع الثاني ــ العلمانية الغربية وآثارها على العالم الاسلامي:

والمقصود بالعلمانية ــ المأخوذة من كلمة (العالم) اي (الزمان) ان يكون الحكم بيد قادة زمنيين لايلتزمون بالدين تشريعاً و تنفيذاً.

ومن الخطأ تفسيرها بانها مذهب يدعو للاستفادة من العلم الحديث مثلاً أو انها مجرد مذهب يدعو لاقامة التنظيم الاداري والاجتماعي على اسس عملية مدروسة وأمثال ذلك.

وقد نشأ هذا المذهب من خلال ارهاصات عديدة وصراعات بين السلطة الدينية والسلطة المدنية في الغرب. وهوما اعترقت به المسيحية باديء الامر. مما خلق هذا التناقض المرير وأدى في النهاية الى هذا المذهب.

وقد ذكر بعض الكتاب ان دعاة العلمانية يسوقون الحجج التالية لضرورة بناء الدولة العلمانية واستمداد التشريع والتنفيذ من غير الدين بل وعدم اعطائه محلا لائقاً في المجتمع، وهي:

١ــ ان الدولة الدينية تعني سيطرة رجال الدين مما يعني تحكمهم بمصائر الناس.

٢ــ ان قوانين الدولة الدينية ثابتة كنظرتها الى الحقيقة وهي تؤدي بالتالي الى بقاء المجتمع وعدم تطوره ــ وهذا شبيه بما قاله الماركسيون لرد الفلسفة المثالية، والقول بتطور الحقيقة نفسها.

٣ــ من النادر وجود دولة ينتسب جميع مواطنيها الى دين واحد فاذا كانت دينية وقع

التميز بين المواطنين.

٤ــ ان الدين له تصورات معينة عن الكون والحياة والانسان والتاريخ، والدولة الدينية تتبع تلك التصورات مما يعرقل التقدم العلمي و يقود الى فجائع حفل بها التاريخ.

٥ ــ جاء في تصريحات قادة البعث العراقي العلماني، ان المناداة بدولة دينية تعني إعطاء اسرائيل مبرراً لقيامها واعتدائها، وهي بالتالي خدمة للصهيونية العالمية.

هذا في حين تتمتع الدولة العلمانية بالخصائص التالية:

١ــ الحركية والإستمرار والتطور الاجتماعي.

٢ــ مركز حقوقي متساوٍ لجميع المواطنين على اختلاف انتماءاتهم الدينية.

٣ــ سيطرة الشعب على الحكم وكونه مصدر السلطات.

٤ــ فسح المجال لحركة التقدم العلمي.

العلمانية والاسلام:

لاريب في ان المسيحية قنعت بنصيب ما منحتها إياه بعض العلمانيات المعتدلة بحيث تقوم بنشاط معين في اطار الدولة العلمانية في قبال العلمانية الماركسية التي رفضت اي نشاط متصورلها. وهذاما حدث أخيراًفي ايطاليا مثلاً

ولكن ما هو موقف الاسلام منها؟ وهل تمتلك مبرراتها في الحقل الاسلامي؟

اننا نرى ان الاسلام لم يدع منذ البدء مجالاً لحدوث هذه النتيجة بعد ان قرر:

اولاً: وحدة السلطتين الدينية والسياسية بل جعل تعيين الامام (وهو القائد السياسي والديني في آن واحد) اتماماً للدين واكمالاً للنعمة السماوية على الارض كلها ولم يسمح بأي انفصال جوهري بينهما. واي انفصال رُئي بعد ذلك فانما كان يعبر عن تطبيق غير سليم للاسلام.

واذا رجعنا الى ملاحظة صفات الامام في مدرسة اهل البيت(ع) لم يبق مجال مطلقاً لتصور عملية تكريس للذات و مصالحها ــ بعد فرض عصمته وعدم خطئه والتزامه الكامل بتطبيق الشريعة الاسلامية المقررة. هذا والتاريخ يشهد على السيرة الممتازة التي لا تتصف بنقطة ضعف لأحد الائمة في أي مجال بل نراهم يعبرون عن مجموعه ايجابية متناسقة في مختلف الكمالات واذا نظرنا الى نظام (نيابة الفقيه عن الامام) وولايته وجدنا ان الفقيه لايمتلك هذا المقام إلا بعد توفر شروط اهمها (الكفاءة، والعدالة، والفقه العميق) و يفقد ايَّ قدرة بفقدان ايٍّ منها، والامة المشبعة بروح هذه الشروط هي المراقبة لسير هذا الفقيه كما ان مجلس الفقهاء العدول الاكفاء هو الحارس الامين على السير الصحيح.[٩]

وحتى اذا نظرنا لنظام الشورى ــ بدون ولاية لشخص ما ــ نجدانه افضل بكثيرمن أي نظام زمني يسلم اموره كلها لآراء الشعب لانه يسير وفق تشريع سماوي مسبق وطبق ضوابط شرعية.

وعلى أي حال فان الاسلام لم يفسح المجال مطلقاً لظهور هذه الثنائية بين السلطة المدنية والسلطة الدينية وهي من افدح الاخطاء التي تفقد السلطة السياسية دورها الحقيقي في نفس الوقت الذي تشوه حقيقة الدين وتوجيهه للحياة.

ثانياً: خطط الاسلام للجانب المتغيرمن

الحياة فوضع القواعد العامة والاحكام الظّاهرية والاضطرارية وفتح مناطق فراغ يملأها الحاكم الاسلامي الفقيه العادل على ضوء مشورته و متطلبات الظروف الى جنب اشباعه للجانب الثابت في الحياة الانسانية ــ وهو الجانب الفطري الاصيل ــ بقوانين ثابتة. فلا مجال اذن للجمود وامثال ذلك.

وقد تصور هؤ لاء ان الدولة الدينية لما كانت تقوم على الايمان بحقائق فلسفية مطلقة ثابتة بل و تؤمن بلزوم الاطلاق في الحقيقة بمعنى (مطابقة الفكرة للواقع الخارجي) فهذا يعني الايمان بقوانين اجتماعية ثابتة لا تتغير مطلقاً وهو لايعدو مجرد خلط و سخف فالايمان بالحقيقة المطلقة شرط لان نفترض امكان المعرفة وحصول اليقين بالواقع الموضوعي الخارجي ولاربط له بالايمان بثبات كل النظم الاجتماعية أوعدمه.

ان الاسلام يؤمن بتطور كثير من الجوانب الاجتماعية في نفس الوقت الذي يؤمن فيه بثبات الحقيقة الفلسفية لأنها مجالان لاربط بينهما ولايخلط بينهما إلا جاهل أو مغالط

ثالثاً: ان الاسلام اعطى الدين مفهومه الصحيح فلم يعد مجرد شأن شخصي يمكن ان يتنازل عنه الفرد لصالح النظام الاجتماعي العام ــ كما تصوره الغربيون ــ ومن هنا قالوا بان اقامة الدولة الدينية تعني اعطاء امتيازات شخصية لاتباع الدين دون غيرهم وانما عاد الدين كل شيء في حياة الانسان لانه تصورات واقعية عن الكون والانسان يثبتها المنطق الصحيح، ونظم تعالج مسيرة الانسان على ضوء علم الهي غيرمحدود وحكمة شاملة. ومع هذا التصور والمبدأ يختلف التقيم. ان الدين حينئذ يحاول ان يبني الانسانية الصالحة لا ان ينظم مجرد علاقة روحية شخصية للفرد بخالقه. ومع الانطلاق من هذا المبدأ من الطبيعي فاننا نتوقع للاسلام ان يقود الحياة كلها ولايسلم اموره بيد دولة لا تؤمن له، ومن الطبيعي بحكم كونه مخولاً من رب الانسانية ان يدعو الناس جميعاً للدخول تحت سلطته كما ان من الطبيعي ان يكون المسلم المنسجم مع الهدف أوسع حقوقاً كما يكون اكثر تحملاً للمسئوليات في الدولة المسلمة.

وهذا لايعني ان الاسلام يعمل على وضع تمييزات كبرى في دولته بين المسلم وغير المسلم وانما يقيم توازناً بين الحقوق والمسؤوليات ــ كما هو مبين في متون الفقه الاسلامي ــ.

وربما نجد بعض المفكرين المسلمين يعالجون المسألة من سبيل آخر فيدعون ان كون الدولة مسلمة في الاقطار الاسلامية امر طبيعي وسائر وفق القوانين الديمقراطية بعد انتخاب الاكثرية المسلمة لها. وهذا الاصلاح امرلامبرر له بعد ملاحظة حقيقة التصور الاسلامي للحكم. وان الاسلام لايحكم من خلال هذا المنطق وليس لمبدأ الاكثرية تأثير إلا في اطار سماح المذهب الاسلامي للحكم. والواقع اننا يجب ان لانجعل الديمقراطية هي الاصل الذي يقرر مصير الحكم الاسلامي، والتشريعات الاسلامية للحياة فالعكس هوالسبيل المنطقي الصحيح.

رابعاً: ولاتجدنا هنا بحاجة لتوضيح موقف الاسلام من التقدم العلمي واحتضانه للعلماء في مختلف المجالات و يكفيه انه صنع ــ رغم

الانحراف في تطبيقه ــ الحضارة العلمية الناصعة في عصر كانت اوربا تغط فيه في سبات قاتل، والواقع أنه لايمكن تقديم رقم واحد يوضح وقوف الاسلام امام اي تقدم انساني في حين يمكن تقديم الارقام الكثيرة على تنمية الاسلام لروح التقدم الانساني والبحث. وقد فرض الاسلام ــ كفايةً ــ العمل على كون المجتمع الاسلامي دائماً في طليعة المجتمعات. نعم كان التقدم العلمي في الاسلام انسانياً أي منسجماً مع التقدم الاخلاقي لامتعارضاً معه وهذا له مجاله الرحب من الحديث.

وعليه؛

فان العلمانية تفقد اي مبرر لها في الاطار الاسلامي وانما حمل لواءها الاستعمار وعاونه بعض المسيحيين والمسلمين المتغربين ورفعوا لواء الاصلاح ونجحوا في ماقاموا به على اختلاف في درجات النجاح ولكن النتيجة لم تكن الا التخلف وربط مسيرة الأمة بعجلة الغرب وفقدان الامة جل خصائصها الايجابية وتحكم الطغاة فيها بمختلف الألوان.

الفرع الثالث الاسلام والسيادة في الدولة:

اتضح من البحوث السابقة ان الاسلام يعتبر نفسه هو المسؤول الاول والاخير عن نظام الحكم في الأمة المسلمة، ولذا لا يبقى اي شك في ان السيادة في تصور الاسلام لله تعالى باعتباره المولى الحقيقي، وبهذا الاعتبار نستطيع ان نقرر منطقية الحكم الاسلامي و وجدانيته.

ولذا فلسنا مع الدكتور عبدالحميد متولّي في رده العنيف على طرح «مشكلة السيادة» في البحوث الاسلامية مدعياً انها نظرية نشأت في ظروف فرنسية وان الظروف التي دعت لطرح المشكلة هي ظروف اوربية محضة وقد زالت فعلاً، ومؤكداً ان العلماء المسلمين لم يبحثوها، وان بحثها الحديث يولد اضراراً منها؛ نسبة بعض الاخطاء الى بعض الخلفاء والعلماء ومنها ادعاء الثيوقراطية للنظام الاسلامي مع ان الثيوقراطية في نظر علماء الغرب تعتبر الشكل المعروف للدولة في حياة البشرية في حالتها البدائية. كما انها تعني في بعض صورها (نظرية التفويض الالهي) التي استند اليها السلاطين لتبرير استبدادهم واخيراً يقول: «مماتقدم يتبين ان الاسلام في غير حاجة الى اثارة تلك المسألة، او المشكلة التي لا تؤدي اثارتها الى حل مشكلة من مشكلاته، وانما تؤدي الى خلق مشكلة جديدة الاسلام عنها في غنى». [١٠]

والواقع: اننا لم نتفهم كيف عادت هذه المسألة أمراً غير ذي بال؟ وكيف لم تكن مطروحة لدى المسلمين رغم ان جميعهم استدلوا على صحة ما يقولون بدليل شرعي يثبت في نظرهم ان الله منح السيادة لهذا الشخص مباشرة أو لمن يصل الى هذا المنصب عن طريق معين و بشروط معينة ولوكان ذلك عن طريق انتخاب الأمة أو أهل الحل والعقد.

اننا اذا عزلنا الحاكم عن هذه المسألة لم يكن يملك فرض اي حكم عام. ولعل وضوح كون السيادة في الاسلام لله هو الذي صوّر للدكتور المذكور ان المسلمين لم يعرفوا هذا المبدأ.

اما ما ذكره من الاخطار (في تصوره)

فليست الا اخطاء في البحث أو النسبة او كشفاً لفضائح كان ينبغي ان تكشف كما في مجال عمل بعض حكام السوء والمتملقين لهم، وسيتبين ان النظام الاسلامي يختلف تمام الاختلاف عن الثيوقراطية الغربية وقد اشار الى ذلك المودودي في كتابه.

نعم لم يكن هناك إلا نزاع صوري بين من جعل حق السيادة لله ــ من السنة ــ كالمودودي، ومن جعلها حقا للأمة ــ كالخفيف ــ فان هذا الأخير أيضاً انما يتصورها حقا للأمة باعطاء الله هذا الحق لها اذ يستدل على مبدأ الشورى بمثل (وشاورهم في الامر) (وامرهم شورى بينهم) مع فرض ان المولى هنا في مقام التشريع لا الاخبار عن حق مسبق للامة بل حتى لوكان يخبر فانما يخبر عن جعل الهي مسبق لهذا الحق للأمة.

وعلى اي حال فالاتفاق الاسلامي حاصل على ان حق السيادة لله لاغير، وانما يبحث عن من أعطاه الله هذا الحق.

خامساً: اما ما ذكر من قبل قادة البعث العراقي العلماني، فهو أمرٌ غريبٌ حقاً.

ذلك أننا إذا استندنا الى هذا المنطق تجاهلنا:

أولاً ــ كل التعاليم الاسلامية الداعية الى الحكم الاسلامي، واقامة نظام الحياة الاجتماعية على أساس ديني...

(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) [المائدة:٤٤].

(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) [المائدة:٤٧].

(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) [المائدة:٤٥].

وتناقضنا مع ايماننا:

(فوربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم)

[النساء:٦٥]

وثانياً: فان اسرائيل لم تقم على منطق سوى السيف والقوة والإعتداء ومثل هذا التقول يكاد يعطيها الحق في القيام باعتبار انه يشكل الدليل التالي: اسرائيل تقوم على اساس الدين الواحد. وفكرة كون الدين أساساً للحياة هي فكرة صائبة، فا سرائيل تقوم على حق.

في حين ان الواقع في المسألة الاسرائيلية:

١ ــ أنها لا تؤمن باي دين حتى اليهودية وليست سوى قاعدة استعمارية استكبارية زرعها الكفر ليفجر المنطقه الاسلامية و يسوقها الى اهدافه الرخيصة.

٢ ــ انها لم تستند في قيامها الى مثل هذا المنطق، استناداً حقيقياً. بحيث يفسح لها المجال في القيام وانما كانت ذريعةً سبقتها القوة والغصب.

٣ ــ ان فلسطين هي أرض اسلامية منذ مئات السنين وحتى اليوم فلابد ان يدعو هذا المنطق (منطق قيام الحكم على اساس ديني) الى قيام حكومة اسلامية فيها، خصوصاً اذا علمنا ان اكثر يهودها قد جاءوا من أماكن أخرى وان اكثر اهاليها الحقيقيين قد شردوا في البلاد.

وثالثاً: اذا كان هناك من يستغل مبدأ صحيحاً و يطبقه تطبيقاً خاطئاً فهل هذا يعني ان نرفع ايدينا عن المبدأ الصحيح.

فمثلاً اذا كان من ادعوا (المهدو ية) في التاريخ اناساً منحرفين فهل هذا يعني ان نرفع ايدينا عن الايمان بفكرة (المهدو ية) التي كثرت الروايات و تواترت على صحتها لا لشيء إلا لأن البعض استغلوها غاية الاستغلال، او فلنقل ان كان هناك انبياء مز يفون فهل هذا يلزمنا بعدم الايمان بمبدأ النبوة مطلقاً؟ ●

الهوامش

(١) اقتصادنا ج ١ ص ٢١١ ــ ٢١٢.

(٢) السياحة ترجمة احمد لطفي ص ٩٦.

(٣) الاسلام واصول الحكم ص ٧١ ــ ٧٥.

(٤) الاسلام واصول الحكم ص ٧٨.

(٥) وسائل الشيعة.

(٦) نظام الاسلام: الحكم والدولة محمد المبارك ص ١٣.

(٧) في العقد الاجتماعي ص ٢٠٦ــ٢٠٧.

(٨) عيون اخبار الرضا ج ١ ص ٢١٦.

(٩) يراجع كتاب (حول الدستور الاسلامي) و قد صدر عن منظمة الاعلام الاسلامي ــ قسم العلاقات الدولية.

(١٠) راجع مبادئ نظام الحكم في الاسلام من ص ١٦٥ الى ١٩٣.

مع الحضارة الغربية

كيف نشأ النظام الرأسمالي

بقلم: السيد كمال الحيدري / العرا

القسم الرابع

هناك تساؤل لطالما تعرَّض اليه عدد كبير من المنظِّرين و الفلاسفة، سواء من ينتمي الى المعسكر الرأسمالي أو الاشتراكي، وهو: ماهو المنشأ والأساس في وجود النظام الرأسمالي في النهضة الأوربية الحديثة؟

وللإ جابة على ذلك، تواجهنا نظريتان:

النظرية الأولى: وهي ما قدَّمه الفكر الغربي بمختلف مدارسه و اتجاهاته و خاصة الماركسية، من أن النظام الرأسمالي هو النتيجة العلمية والمنطقية للنظام الإقطاعي، وما الغزوات و الحروب الخارجية التي خاضتها الشعوب الأوربية ضد الشعوب المستضعفة في العالم لنهب ثرواتها و استعمارها و استعبادها، إلاّ عوامل ثانوية و مساعدة لتلك العملية، بل وجدنا أن بعضهم يُرجع أساس الرأسمالية الى البحث عن أسواق جديدة لمنتجاتها والحصول على المواد الأولية.

النظرية الثانية: وهي التي ترى أن الرأسمالية جاءت نتيجة تلك الأهداف التي وضعتها النهضة الأوربية لنفسها، لتلبي حاجاتها للسيطرة على العالم، الأمر الذي يؤدي الى أن نقيِّم النظام الرأسمالي ضمن تلك الأهداف والإتجاهات التي سارت عليها الحضارة الغربية الحديثة.

و بتعبير آخر نريد أن نتساءل؛ هل أن نهب ثروات الشعوب المستضعفة، والسيطرة على

إقتصاد ياتها، وتحقيق أقصى مايمكن من الأرباح والتوسع الامبريالي الذي لاحدود له، هومن سيّئات النظام الرأسمالي، و من ثم فهي زائلة بزواله، أم على العكس من ذلك، أن النظام الرأسمالي كلّه هو سيئة من سيئات تلك الأهداف والإتجاهات التي تتحكم في الحضارة الغربية للسيطرة على العالم بالقهر والعنف والقوة؟وهل أن إزالة استغلال واستعمار المجتمعات الأوربية للشعوب المستضعفة في العالم، متوقفة على إزالة استغلال الإنسان لأخيه الإنسان في تلك المجتمعات غير ممكنة، إلاّ بالقضاء على استغلال القوى الرأسمالية والدوائر الإستكبارية لبلدان العالم الثالث؟

والواقع أننا لايمكن أن نقبل النظرية الأولى في تفسير نشوء الرأسمالية، و ذلك باعتبار أن الدليل الذي أقاموه على ذلك هو: أن النظام الاقتصادي الرأسمالي هو وليد النظام الإقتصادي الإقطاعي، و انحلال أحدهما أدّى الى نشوء العناصر التكوينية للثاني، ويحمل النظام الرأسمالي في أحشائه النظام الإشتراكي، و ذلك كلُّه وفق القوانين الداخلية التي تحكم سير التاريخ البشري.

وللإجابة على ذلك، لابُدَّ أن نعرف أن الوقائع التاريخية هل تثبت لنا أن النظام الإقتصادي الإقطاعي عند ما مارس النهب و العنف والتوسع ضد شعوب العالم الأخرى، كان أسبق من تطور قوى الإنتاج الرأسمالي أو البرجوازي في داخل المجتمعات التي كان يحكمها، أم أن قوى الإنتاج الرأسمالي هي التي أدّت الى ممارسة العنف والقوة للسيطرة على العالم ونهب ثرواته وموارده؟

وهنا نجد أن المجتمعات الأوربية عند ما بدأت عملية التوسع الخارجي، كان النظام الإقتصادي هو السائد فيها، أي أن ممارسة العنف والقهر للتوسع الخارجي، لم يأتِ نتيجة تطور قوى الإنتاج الرأسمالية للبحث عن أسواق جديدة والحصول على المواد الأولية، بل العكس هو الصحيح، فإنَّ تلك الممارسة هي التي أدّت الى تطور قوى الإنتاج الرأسمالي في تلك المجتمعات وساعدت عليه.

و بكلمة أخرى، فإنَّ المجتمعات الأوربية عند ما وجدت نفسها أنها قد سيطرت على عدد من الدول الأفريقية والآسيوية والأمريكيتين، انفتحت شخصيتها للسيطرة على العالم كلّه واستعباده واستعماره، ورأت أن ذلك ممكن الوقوع والحصول. ومن هنا بدأت بترتيب أوضاع العائلة الأوربية بالشكل الذي ينسجم مع تلك الطموحات والأهداف التي تبنتها النهضة الأوربية، و ذلك لأن النظام الاقطاعي كان يشكل عقبة أمام تلك الأهداف، و هذا ماجعلها بحاجة الى نظام ديناميكي نشط قادر على احتياج الشعوب المستضعفة و السيطرة عليها، ورأت أن أفضل نظام يمكن أن يلبّي تلك الحاجات هو النظام الإقتصادي الرأسمالي.

وعليه، فأن التراكم الأولي لرأس المال في تلك المجتمعات، لم يأتِ نتيجة تطور قوى الإنتاج الداخلية، كما يحاول البعض أن يصوره، وإنما جاء نتيجة السيطرة على بعض الأقطار

الأخرى و نهب ثرواتها، وهذا بدوره أدّى الى تطوير قوى الإنتاج الداخلية واحداث رؤوس أموال ضخمة مرتبطة به.

وهنا سؤال يطرح نفسه؛ إن التوسع الخارجي بالقوة والعنف والحروب المدمرة ليست هي من مختصات النهضة الأوربية الحديثة، و انما نجد أن كثيراً من الحضارات في التاريخ البشري، مارست هذه العملية بشكل أو بآخر، فلماذا لم تتطور تلك المجتمعات الى نظام اقتصادي رأسمالي؟

وللإجابة على ذلك نقول إن التطور الذي وصلت اليه العلوم والتقنية ورافق تلك الأهداف والإتجاهات التي وضعتها المجتمعات الأوربية لنيلها وتحقيقها، مضافاً الى المكونات و الخصائص الأساسية التي شكلت الأرضية التي قامت عليها تلك المجتمعات كالملكية الفردية، أدت جميعها الى ولادة النظام الإقتصادي الرأسمالي.

فإذن مجيء النظام الرأسمالي بعد النظام الإقطاعي وعلى أنقاضه، لايعتبر دليلاً على أن ذلك هو التسلسل الطبيعي والعلمي لانتقال البشرية من طور الى طور، كما يحاول الفكر الماركسي اثبات ذلك، لأنَّ مجيء حالة بعد حالة أُخرى في التاريخ لايعني بالضرورة وجود رابطة سببية فيما بينهما، وانما لابُـدَّ أن تدرس الأسباب والعوامل والظروف التي هيَّأت لبروز تلك الحالة الى الوجود، وعلى أساسه يحكم أن كان ذلك التعاقب فيما بينها هو طبيعي وتلقائي أم هو وليد الظروف الخاصة التي أدّت الى ذلك.

وعلى أساس كل ماتقدَّم، يثبت أن النظام الرأسمالي ليس هو الوليد الطبيعي للنظام الإقطاعي، و انما هو نتاج حالة أستثنائية في تاريخ المجتمعات الأوربية، هيَّأت لها ظروف معينة كتطور العلوم والتقنية على نمط خاص، اكتساح العالم والسيطرة عليه وأستعماره، ومن هنا فهي لا تستطيع أن تستمر في الإحتفاظ بهذا النظام، إلاَّ إذا حافظت على الشرط الرئيس لوجوده، وهو أستمرار حالة نهب ثروات الشعوب المستضعفة وتحقيق أقصى مايمكن من الأرباح وتراكم رؤوس الأموال.

ان البلدان الرأسمالية كلما تضخَّمت أكثر، كلما ارتبطت بشكل لافكاك عنه بعملية النهب والسيطرة على الشعوب المستضعفة....

وعدم الإلتفات الى هذا الشرط الأساس في عملية أستمرار النظام الرأسمالي، أدّى بماركس الى أن يتبنى مقولة أن المجتمعات في العالم كله لايمكن لها ان تنتهي الى الإشتراكية إلاَّ بعد أن تطوي مرحلة الرأسمالية، ولكن عند التدقيق في النظام الرأسمالي والشرط الرئيس الذي يقوم عليه يتضح أن ذلك لايمكن أن يحصل بل هو أمر محال.

وذلك لأن المجتمعات الرأسمالية تقوم أساساً على حالة نهب ثروات البلدان الأخرى، ومعنى ذلك، أنه لكي تستمر هذه الحالة لابُدَّ من

افتراض عالمين؛ عالم الرأسماليين و أصحاب رؤوس الأموال الضخمة، وعالم المستضعفين والمستَقَلّين، و نتيجة لذلك انه لايمكن لشعوب العالم كلها أن تكون رأسمالية بالمعنى الذي تتبناه المجتمعات الأروبية، إلاّ إذا أفترضنا أن هناك

ومن هنا يتضح لنا أنه لكي نقيم مسألة القيمة و تراكمَ رأس المال الأولي في البلدان الرأسمالية، لا بُدَّ أن ننظر اليها من خلال عملية النهب العالمية التي تمارسه حفنة من القوى الرأسمالية.

عوالم أُخرى خارج كرتنا هذه يمكن لشعوب الأرض كلها أن تلعب معها الدور الذي يقوم به النظام الا. قتصادي الرأسمالي ازاء شعوب بلدان العالم الثالث، هذا مضافاً الى أنه لابُدَّ أن يصحب تبني مثل هذا النظام تغير كامل في الأُسس العقائدية والفكرية والأخلاقية والعلاقات الإجتماعية و النظم السياسية والإقتصادية والعسكرية في كل الشعوب التي ترمي الى تحقيق النظام الرأسمالي في مجتمعاتها.

فإذن النظام الرأسمالي لايحمل في أحشائه الإشتراكية، وإنما هذا المسار يؤدي الى مزيد من «الإستقطاب العالمي، بمعنى سيطرة قلّة من الدول المتصارعة فيما بينها على العالم كله، ونهبه والمضي في هذا السبيل الى النهاية».

ومعنى ذلك أن الرأسمالية في تطورها المستمر لا تؤدي الى ثورة حقيقية، تقيم العدل والمساواة بين شعوب العالم كلها، كما بشرت بها الماركسية، وإنما الذي يحكم مسارها هذا هو قانون آخر، يقوم على أساس أن هذه البلدان كلّما تضخمت وحققت رساميل أكبر، كلما أصبحت أكثر احتياجاً وارتباطاً، بالنهب والسيطرة على العالم. أي أنها تسير في نفس الإتجاه الذي بدأت به، لا أنها ستتحول الى الإشتراكية أو الأممية.

وأما البديل لذلك فهو الدمار الشامل الذي يؤدي الى إبادة الجنس البشري بأسره، وهذا مايفسره لنا ذلك السباق الجنون للتسلح، ولأمتلاك أحدث القدرات والإمكانات العسكرية الضخمة التي تكفي لإبادة البشرية عدة مرات. وهذا هو الذي يؤدي الى أن تعيش الإنسانية هاجس الخوف والقلق من نشوب حرب عالمية ثالثة لا تبقي ولا تذر.

ومن هنا فأننا إذا أردنا أن نفهم نظرية فائض القيمة، أوكيف تراكمت رؤوس الأموال لأول مرة في المجتمعات الأوربية، أو لماذا استطاعت قوى الإنتاج الرأسمالية أن تسرق أُجور العمال وتستغلهم، و غيرها، من المسائل المهمة في النظام الإقتصادي الرأسمالي، فلا بُدَّ أن نضع ذلك ضمن الأهداف التي وضعتها النهضة الأوربية لنفسها للسيطرة على العالم و نهب ثرواته وموارده، وتحقيق أقصى مايمكن من الأرباح، واما اذا لم نفعل ذلك فلا يمكن أن نصل الى نتائج صحيحة في تحليل نشوء الرأسمالية لمقاومتها وتخليص البشرية من شرورها والمصير المظلم الذي ينتظرها.

.. .. ..

تبيَّن لنا من التحليلات السابقة أن

البلدان الرأسمالية كلّما تضخّمت أكثر، كلّما ارتبطت بشكل لافكاك عنه بعملية النهب والسيطرة على الشعوب المستضعفة وتحقيق رؤوس الأموال الضخمة عن طريق القوة والعنف والقهر. وقلنا إن هذا النمط من الرأسمالية لايمكن أن يتحول الى الإشتراكية أو الأممية التي بشّرت بها النظرية الماركسية.

وهنا لقائل أن يقول: إننا نجد في عدد من أعرق البلدان الرأسمالية كفرنسا قد أنتقلت الى الإشتراكية الأممية، وحملت شعاراتها و مبادئها و مقولاتها، فكيف يمكن التوفيق بين هذه المسألة والنتائج التي توصلنا اليها؟

وللإجابة على ذلك لابُدّ أن نعرف شيئاً من المبادئ والأهداف التي رفعتها الماركسية والإشتراكية الأممية، ومن ثم نأتي لنرى مدى التزام النظام الإشتراكي في فرنسا[1] مثلاً بتلك الأهداف والمبادئ والمقولات.

الأهداف المعلنة للماركسية والإشتراكية الأممية هي:ـ

١ ـ تحقيق المساواة والعدالة الحقيقية بين شعوب العالم كلها، ورفع المظالم والجنايات التي ارتكبتها حفنة من البلدان الرأسمالية التي سيطرت على الإقتصاد العالمي في حق الشعوب المستضعفة.

٢ ـ الإطاحة بالإحتكارات العالمية والشركات المتعددة الجنسية التي تتسم بالجشع والنهب وتحقيق أقصى الأرباح الممكنة ولو على حساب دماء الشعوب المستضعفة في العالم.

٣ ـ الإطاحة بالإمبريالية والصهيونية العالمية والدفاع عن المصالح الوطنية لكل شعوب العالم وعدم التفريط بها؟

وهنا لو أفترضنا أن حواراً جرى بيننا و بين أحد الزعماء الإشتراكيين الفرنسيين لنرى مدى التزامهم العملي بالأهداف والمبادئ التي أعلنوها.

فلو قلنا لهذا الإشتراكي الفرنسي أنك تعلم أن الإحتكارات الفرنسية التي أطحتم بها كانت تتسم بالجشع والإستغلال وتحقيق أقصى الأرباح على حساب الشعوب الأفريقية والآسيوية وأمريكا اللاتينية، و بعكس ذلك الإشتراكية الأممية فأنها حاملة لأرقى القيم ولا تسعى لتحقيق الأرباح الطائلة بل تحاول الوصول الى المساواة الحقيقية بين شعوب العالم كلها، فبناء على ذلك هل ستبيع المواد الإستهلاكية للشعوب المستضعفة بشكل ينسجم مع الشعارات والأهداف المعلنة؟ وهل ستصدر

عندما نأتي الى الواقع العملي، نجد أن الأحزاب الاشتراكية الأممية أو الماركسية عندما تستولي على السلطة، تكون اكثر عنفاً واندفاعاً نحو التوسع العالمي ونهب الثروات.

التقنية والتكنولوجيا الى دول العالم الثالث لتقف على قدميها وتخرج من حالة التبعية لكم؟

لأجاب أن هذه مسائل سيسهل حلها بعد ما نقضي على الإمبريالية والرأسمالية

مجيء النظام الرأسمالي بعد النظام الاقطاعي وعلى أنقاضه، لايعتبر دليلاً على أن ذلك هو التسلسل الطبيعي والعلمي لانتقال البشرية من طور الى طور.

وغيرها من القوى المنحرفة التي تقف أمام الإشتراكية الأممية.

وكذلك لو قلنا له أنك تعلم أننا قد قضينا وانتهينا من حكامنا الذين كانوا يفرطون بالمصالح الحقيقية لبلدانهم وكانوا يرضخون لضغوط الإمبريالية والصهيونية بل كانوا يقدّمون الثروات والموارد الإقتصادية لشعوبهم للإحتكارات العالمية والشركات المتعددة الجنسية بأبخس الأثمان، إنْ لم نقل بغير ثمن، فمثلاً كانوا يبيعونكم برميل النفط بـ (٢٦) دولاراً، والآن وبعد أن أنتهينا من ذلك الوضع اللامتوازن في عملية البيع والشراء، فهل ستشترون هذه المادة الحيوية لأقتصادكم بثمن (٥٠) دولاراً مثلاً، شريطة أن لا ترفعوا أسعار المواد المصدرة الينا أضعاف ذلك؟ ومالم يحدث ذلك فأننا لايمكن أن نقضي على حالة الغبن العالمي القائم في عصرنا هذا، بل ولايمكن أن تتحقق تلك العدالة والمساواة الحقيقية بين الشعوب.

وهنا نجد أجابته أنه لايمكن لهذه القضايا الرئيسة في الإقتصاد العالمي أن تحل بهذه السرعة، وانما لابُدّ من مرور عشرات السنوات لحلها والقضاء عليها.

وبتعبير آخر أن عملية نهب ثروات وموارد شعوب العالم المستضعف ستستمر لفترة غير محدودة أخرى، حتى تنتصر الثورة في العالم كله، ثم يحدث التغيير الجذري المطلوب.

ومعنى ذلك أن الفترة الممتدة من الآن الى حدوث الثورة الشاملة في العالم ستبقى تحت العلاقات القائمة على أساس الربح والخسارة الذي يحكم منطق القوى الرأسمالية والإمبريالية والاحتكارية «طبعاً مع قليل من التغييرات السطحية وكثير من الضجيج الإعلامي». هذا أولاً.

وثانياً: أنك تريد أن تقول أن المسألة كانت تحل بشكل أبسط وأسهل لودخلت كل بلدان الشمال في المفاوضات من جهة، ومن الجهة الأخرى كل بلدان الجنوب، أفلا تعتقد أن المفاوضات كانت تدخل الى زقاق مغلق لامخرج منه؟ فانك ترى أن القضايا المطروحة للبحث والمفاوضة قد تعقدت و تأزمت ونحن نناقش أسعار سلعة واحدة، فكيف تتصور الحال لوكان البحث حول سلعتين أوأكثر، بل كيف ترى الأمرلوكان البحث حول أسعار كل السلع المصنعة وكل المواد الخام؟

ثم كيف يصبح الأمر إذا أردنا أن

ندخل معكم في حوار حول مسائل التصنيع والتكنولوجيا التي تؤدي ببلدان العالم الثالث الى اكتفائها الذاتي، بل يمكن أن تجعل منهم منافسين رئيسيين لكم في السوق العالمية؟

وكيف يكون حالكم إذا طالبت الشعوب المستضعفة بالتعويضات التي لحقتها ازاء ذلك الغبن العالمي لمدة قرون؟

ثم ماذا تقولون لو طالب العالم الثالث بتغيير كل القوانين العالمية الخاصة بالعلاقات الدولية والبحار والبيئة ومجلس الأمن وسائر القضايا والمسائل التي عالجتها الأمم المتحدة ولجانها التابعة لها، ووضعت لها قوانين وضوابط بالشكل الذي يخدم القوى الإستكبارية والرأسمالية والإمبريالية والصهيونية والإحتكارية؟

ثم بعد هذا كله، كيف نضمن قبولكم لبحث هذه المسائل والموضوعات المهمة التي يزخر بها عالم اليوم، دون أن تستعملوا ضغوطكم الإعلامية والعسكرية لتوجيه النقاش ومنهجه بالشكل الذي يخدم مصالحكم؟

وكيف نضمن أنكم سوف لا تتهمون أصحاب هذه الدعاوى بالنزعة القومية الشوفينية أو الإبتعاد عن روح الأممية في التعاون والعمل، وانطلاقاً من هذه الروح تسوغون لأنفسكم أن تجهّزوا الجيوش الجرّارة وتشنوا الحملات السياسية والإعلامية، وتفرضوا الحصار الإقتصادي، وتشجعوا المعارضة الداخلية، وذلك كلّه لإنقاذ الإشتراكية والمكاسب التي حققتها، ودون أن تسمحوا للذين يدافعون عن حقوقهم المشروعة في الإستقلال والحرية، و يسعون الى رفع الظلم الناتج عن فترة طويلة من الإستغلال والنهب بأنْ يلقبوا أنفسهم بحركات التحرر الوطنية؟

و بصراحة وصدق نقولها لك، أنك لا تستطيع أن تكون اشتراكياً أوأممياً إلاّ بالأسم. واذا كان المعنى الحقيقي لهذه الأهداف والشعارات هي العدالة والمساواة الحقيقية بين شعوب العالم كلها، ورفع المظالم التي أفرزتها سيطرة عدد قليل من البلدان الرأسمالية على أقتصاديات البلدان المستضعفة، بل أنكم لا تستطيعون أن تخرجوا معاني هذه الكلمات الى حيّز التطبيق العملي ولو بالحدود الدنيا لها، لأنه مناقض لحقوق من تسمونهم البروليتارية في بلادكم، وذلك لأن وجودها الموضوعي وتكوينها الحضاري والفكري والعقائدي، يحتمان عليها الإستمرار في نفس الإتجاه والمسار الذي بدأته القوى الرأسمالية للإحتفاظ بتلك المنجزات والمكتسبات ومستوى معيشة الفرد فيها.

فمثلاً لو راجعنا الأدبيات الماركسية واللينينية، وكذلك أدبيات الإشتراكية الأممية، لوجدنا جميعها تؤكد على حقيقة واحدة وهي تحسين الجانب المادي للعمال والوعد برفع مستوى معيشتهم ودخلهم الفردي. و معنى ذلك أن الأسس التي تقوم عليها الإشتراكية هي تحقيق الحاجات المادية، ورفع مستوى المعيشة والتقليل من ساعات العمل. ومن المعلوم أن هذه الأمور لايمكن أن تحدث مالم تستمر عملية النهب والسرقة التي تحكم علاقات بلدان الشمال ببلدان الجنوب أو العالم الثالث.

واما لوأردتم تطبيق الأهداف والمبادئ التي تعلنوها، فهذا يؤدي الى إعادة تقويم لكل الأساسات التي تعتمدونها، ونتيجة ذلك حتماً هوالهبوط بمستوى المعيشة القائم الآن في بلدانكم، وبمستوى الخدمات التي تقدمونها لطبقات معينة من شعوبكم، وهو هبوط قد يصل في أحسن الحالات الى العشر، بل يمكن ان يكون بنسبة ٢٠/١.

ولاشك أن ذلك يعتبر تضحية كبيرة لايمكن أن تقبل بها الآيد يولوجية الماركسية اللينينية، ولا النظرية الإشتراكية الأممية، بل تتناقض مع كل أحلامكم وطموحاتكم وشعاراتكم المرفوعة، بل لايمكن للطبقة العاملة أن تقبل بهذا لأنه يعارض المفاهيم والأفكار والعقائد التي تحملها عن الحياة والكون ومصير الإنسان.

نعم أن هذه التضحية تكون ممكنة عملياً عند ما تتغير تلك المفاهيم والآيد يولوجيات عن الكون والحياة، وتوضع غايات أخرى للإنسان، تنسجم مع فطرته وتؤدي به الى توازن بين حاجاته المادية والروحية، وتحجزه عن الركض المسعور وراء السلع والرفاه المادي ولوعلى حساب القضايا الأخلاقية والإنسانية.

.. .. ..

وهنا يأتي السؤال التالي وهو: هل يمكن أن يكون الأمر على غير هذه الصورة؟

والجواب: «بالطبع» لا، ذلك أن الهوة التي حصلت بين القوى الإستكبارية أو ماتسمى بالعالم الصناعي بلغت درجة حادة جداً، بحيث اصبح دخل الفرد في بعض البلدان الصناعية يساوي (٤٠) ضعفاً إذا ماقورن بدخل الفرد في بعض البلدان الآسيوية والأفريقية، ولايظن أن هذا الفرق الشاسع ما بينهما هو ناتج بسبب تطور قوى الإنتاج في الأولى دون الثانية، وانما جاء ذلك أساساً من عملية النهب العالمي الذي تمارسه القوى الإمبريالية والإحتكارية لاقتصاديات وموارد الشعوب المستضعفة.

و من هنا يتضح لنا أنه لكي نقيم مسألة القيمة وتراكم رأس المال الأولي في البلدان الرأسمالية لابُدَّ أن ننظر اليها من خلال عملية النهب العالمية الذي تمارسه حفنة من القوى الرأسمالية (أوروبا وأمريكا) ضد الأغلبية العظمى من بلدان العالم، وأما لو نظرنا الى هذه المسائل بمعزل عن إطارها الصحيح لأدّى بنا ذلك الى الأخطاء التي وقعت بها الماركسية اللينينية، بل وحتى الإشتراكية الأممية فإنَّ هؤلاء قد ظنوا أن العمال إذا سيطروا على مقاليد الحكم، واستولت الدولة على وسائل الإنتاج واصبحت ملكيتها عامة، فإنَّ ذلك سيؤدي الى رجوع فائض القيمة الى الطبقة العاملة والمحرومة، وسيؤدي ذلك تلقائياً الى تبني الدولة لسياسة إشتراكية أممية تقوم على أساس العدل والمساواة في علاقتها مع البلدان الأُخرى.

ولكن عندما نأتي الى الواقع العملي، نجد أن الأحزاب الإشتراكية الأممية أو الماركسية، عند ما تستولي على السلطة، تكون أكثر عنفاً (واندفاعا) نحو التوسع العالمي ونهب الثروات، فهذه فرنسا في عهد الحزب الإشتراكي الفرنسي إذا اردنا تقييمها في هذه المدة القصيرة التي

استولى فيها الإشتراكيون على الحكم لرأينا مايلي:

١ ــ ان الحزب الإشتراكي الفرنسي دعم الصهيونية العالمية والكيان الصهيوني بما يمتلك من دعم سياسي وإعلامي واقتصادي.

٢ ــ دعم النظام البعثي في العراق في اعتدائه على الجمهورية الإسلامية في ايران بالسلاح والمال والإعلام و غيره بشكل غير محدود.

٣ ــ التدخل المباشر وغير المباشر في الشؤون الداخلية لبلدان العلم الثالث وخاصة في أفريقيا، وأحداث تشاد، وتصريحات ميتران المتعلقة بذلك ليست خافية على أحد.

٤ ــ جعل فرنسا مرتعاً للإرها بيين الدوليين كبختيار و بني صدر و مسعود رجوي وأمثالهم، وفسح المجال لهم واسعاً للتآمر على الجمهورية الاسلامية ومسألة اختطاف الطائرة الإيرانية والأحداث التي رافقتها ليست ببعيدة عن الأذهان.

٥ ــ زيادة مبيعات أسلحة الدمار لدول العالم الثالث وخاصة الدول الرجعية في منطقة الشرق الأوسط، وهذا خلاف الأهداف والشعارات التي رفعها ميتران إبان الإنتخابات.

٦ ــ تدهور الإقتصاد الفرنسي بشكل خطير وحاد بالشكل الذي أخذ يهدد مستقبل الحزب الإشتراكي في فرنسا، والإضرابات العامة من مختلف الطبقات والفئات الإجتماعية التي عمّت البلاد من أقصاها الى أقصاها دليل ذلك .

والواقع أننا لوأردنا أن نحصي سيئات الحزب الاشتراكي الفرنسي، لرأينا العجب، وهكذا في غيره من الأحزاب الإشتراكية والماركسية في العالم.

ومن هنا يجد الإشتراكيون أنفسهم عندما يستولون على مقاليد الحكم في البلدان الرأسمالية و يبدأون عملية تأميم واسعة النطاق. أنهم غير قادرين على تحقيق تلك الأهداف والمبادئ التي أعلنوها، و بشرت بها الماركسية اللينينية، خاصة فيما يرتبط بتحقيق العدالة والمساواة بينهم و بين الشعوب المستضعفة في العالم. لأن ذلك سيؤدي بهم الى فقدان كثير من الموارد الإقتصادية وتدني معيشتهم بشكل لايمكنهم تحمله، وهذا يضطرهم الى ان يقولوا مالايفعلون، وخاصة بالنسبة للشعوب التي كانت ضمن الإمبراطورية السابقة على وجود هم، ومن هنا يخلقون الأعذار و يوضعون العراقيل لاستقلال تلك البلدان، والاحتفاظ بها ضمن دائرة نفوذهم، بل والسعي الحثيث لتوسيع تلك الدائرة، وتحقيق أقصى الأرباح، بل أننا نجد مثل هذه النية حتى قبل استلامهم السلطة وذلك من خلال سلوكهم العملي.

.. .. ..

وفي نهاية المطاف نصل الى هذه النتيجة المؤسفة، وهي أن العالم سيظل مظلماً ومهدد بحرب نوو ية كونية، مادامت تلك البلدان برأسماليها واشتراكييها تملك تلك الترسانات الضخمة من مختلف أنواع الأسلحة، من قنابل نوو ية وجرثومية وكيمياو ية ونيوترونية، و صواريخ عابرة للقارات و غيرها، والتي تكفي لإبادة البشرية عدة مرات.

بل أننا نسمع في الآونة الأخيرة أن

الحرب انتقلت الى الفضاء الخارجي والسيطرة عليه، بواسطة الأجهزة الدقيقة المعدة لذلك.

ولايتصور أحد أن ذلك لايمثل خطراً حقيقياً يهدد العالم بأسره، اذ ان وصول هذه الحضارة الى تخزين هذا القدر من أسلحة الدمار لهوأكبر دليل على الإتجاه الذي تسير فيه، وعلى حقيقتها «الهمجية ـ المتخلفة ـ الرجعية» وهي كلمات طالما استخدمتها بحق غيرها من الحضارات الإنسانية الكبرى «ولكنها شديدة الإنطباق عليها بالرغم من كل تنظير يخفي هذه الحقيقة الصارخة».

وأما البديل لذلك فهولايمكن إلاّ بـأنتصار الثورة الإسلامية في كل البلاد الإسلامية، وانتصار الثورات الوطنية الحقيقية في كل شعوب العالم الثالث، أو أن تدمر القوى الكبرى نفسها بنفسها، بواسطة الحرب أو بغيرها، كذلك تفقد قابليتها في استعادة تلك السيطرة بالعنف والقهر والقوة مرة أخرى.

واذا لم يحدث هذا ولا ذاك ، فإنّ الحضارة الأوربية ستسير في نفس الإتجاه الذي بدأت به، الى أن تشعر شعوب تلك الحضارة بأنها بحاجة الى الخروج من ظلمات المادية البحتة والنهب والركض المسعور خلف الرفاه المادي والإنحلال الخلقي والحروب المدمرة، الى عالم النور، عالم تتوازن فيه الجوانب العقائدية والفكرية والروحية والنفسية والأخلاقية والمادية في حياة الفرد والمجتمع، بل والبشرية بأسرها، وهذا يتطلب أن تتغير الغايات والأهداف والمفاهيم عن الكون و الحياة ومصير الإنسان بشكل تنسجم مع فطرته ●

تجديد المنهج العلمي والمعرفة العلمية *

على يد علماء الاسلام

الدكتور محمد عبدالهادي أبوريدة/ الكويت

ــ القسم الأول ــ

تمهيد:

يقول أحد الأساتذة، في أول كتابه: «العلم الاسلامي» .Islamic Science[1] انه «**لايمكن فهم العلوم الإسلامية بدون تفهُّم للإسلام نفسه، القوة التي أعطت الحياةَ لحضارة واسعة النطاق، كانت العلومُ إحدى ثمارها، وذلك أن هذه العلوم لم تظهر في الوجود على نحو عارض، بل هي أُنشِئت على الصورة التي أُنشِئت عليها لأن الذين أنشأوها كانوا مسلمين يتنفسون في عالم إسلامي... ولايمكن دراسة العلوم الإسلامية دراسة جدية من غير إشارة، مهما كانت موجزة، إلى مبادئ الإسلام والشروط التي أوجدها الإسلام في الزمان والمكان للإشتغال بالعلوم**».

ونحن في دراستنا هذه، سنبين بشيء من التفصيل تلك الشروط التي يشير اليها الاستاذ الفاضل.

---

* هذا البحث ليس موجهاً للعلماء المتخصصين، بل للشاب الناشئ من المسلمين، والغرضُ منه ليس تقديم مادة من المعرفة المتخصصة بقدر ما هو تأكيدٌ وإحياء للروح التي أنشأت العلمَ في الإسلام على يد الدولة وعلى يد أفراد العلماء.

وأيضاً ليس المقصود تاريخاً للعلم في الإسلام بقدر ما هو إبرازٌ لمنهج العالم وخلُقه العلمي وروحه، ذلك لأن العلم في تقدمه قد تجاوز إنجازاتنا الماضية، وهو يتجاوز نفسَه باستمرار، والمهم هو التطلُّع الى المستقبل باستيحاء روح الإبداع الماضي.

أما المراجع فهي أساسية وأصيلة ومدرجة في سياق البحث في الغالب.

1) Published by the World of Islam Festival Publishing Company, London, 1976.

١ـ توجيه القرآن لعقول المسلمين:

الإسلام ــ كما يؤخذ من كتابه الكريم ــ يتميَّز، عند المقارنة بالديانتين الأخريين، كما نجدهما في كتبهما، بأنه **يجعل من استعمال العقل وكل ملكات المعرفة الحسية والعقلية، دعامةً وسبيلاً للإيمان بما فيه من عقائد**، وهو يجعل للنظر والإستدلال نقطتي بداية هما: **العالم المادي، والانسان** أو العالم ونظام الكائنات الحية، كما سنرى (س٥١/ الذاريات/ ٢٠-٢١، س٤٥/ الجاثية/ ٣-٤، س٤١/ فصلت/ ٥٣).

وإذا كانت الكتبُ المنزَّلة التي بين أيدي أصحابها ــ كالتوراة ــ تتكلم عن وجود الله، مثلاً كأنَّ العقيدةَ معروفةٌ من قبل عند الأسلاف، **فإنَّ القرآن يتميَّز بأنه جعل الإيمان بوجود الله الواحد الحق ــ كما جعل سائر أُصول العقائد ــ مسائل للتفكير والبحث، وهو بعد أن بيَّنها تقبل الإعتراضات وردَّ عليها، وبذلك برهن على مبادئه.**

ولمّا كان مدار القرآن حول الحق بكل معاني هذه الكلمة، بما في ذلك معنى العلم بالموضوعات الكبرى للفكر، العلم المستند الى نظر العقل، فإنَّه، كما يُقدّم البرهان، يطالب مخالفيه بما عندهم من علم حق أو برهان صحيح (مثلاً س٢٧/ النمل/٦٤، س٦/ الأنعام/١٤٨).

والمؤرخ لحياة الدين والفكر، عندما يتأمل ظروف الأمّة التي ظهر فيها الإسلام، يستطيع أن يقول بحق: **إن القرآن الكريم تعليمٌ من الأساس، يبين حقائق الدين وأصول المعرفة على منهج تعليمي، حسي ــ عقلي**، لأمّة كانت في الغالب قريبة من الفطرة، لم يظهر فيها أنبياء من قبل، وكان تديّن البعض بالديانات السابقة، **مظهراً أكثر مما كان حقيقة، لأنه لم تكن هناك حياةٌ دينية بالمعنى الصحيح**، وكانت معارف البعض الآخر بالأديان سطحيةً لا تتجاوز أخباراً متفرقة.

ومع أن العرب بوجه عام، **كانوا على التوحيد السامي القديم، أو على بقايا لدين ابراهيم، وكان** توحيدهم ساذجاً وبسيطاً **ليس معه بحثٌ ولانظرٌ، فإنَّهم** كانوا قريبين من الوثنية، **يقدّسون أصناماً، يظنون** انها تقرِّبهم الى الله (س٣٩/ الزمر/ ٣).

وكان من العرب **أصحاب آراء تعارض عقائد** الدين:

منهم من ينكر وجود الخالق وبداية الخلق، ويقول، كما عبَّر الشهرستاني: (الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، القاهرة ١٩٦١/جـ٢/ ص٢٣٥-٢٣٧) **بالطبع المُحيِي والدهر المفني**؛

ومنهم من ينكر البعثَ أو ارسالَ رُسل من البشر، إلى حد أن أبا العلاء المعرّي في رسالة الغفران، يصف سادات قريش مثلاً بأنَّهم كانوا **زنادقة لايقولون بنبوة ولاكتاب** (الرسالة، القاهرة، ١٣٢١هـ، ص١٣٥، ١٣٩، ١٤٤).

وكثيرون من العرب كانوا أصحابَ نزعات واقعية، بل مادية ساذجة، لايصدقون **بسهولة، وهذا** يُستَشَق خصوصاً من إنكارهم للبعث، **كما يذكر** القرآن، وكانوا أيضاً أهل عناد، **قد يجادلون في الحق** بعد أن يتبيَّن لهم.

وكان عند العرب قبل **الإسلام فيما يتعلق** بالطبيعة، أنواعٌ من المعرفة **بالظاهرات الفلكية** والجوية وبحياة الحيوان، وبالإنسان من ناحية **أُمور** الفراسة والوراثة والعلاقة **بين السمات والملامح** البدنية وبين المواهب العقلية والخلقية، **لكن ذلك** كلّه كان جملة معارف متفرقة **توصلوا اليها بفضل** طول التجربة، **ولم توضع في صيغة نظرية أو حكم** عام، وكما عبَّر صاعد الأندلسي **فإنَّهم وصلوا الى** هذه المعارف بطول التجربة **وبحكم حاجاتهم في أُمور** المعيشة «لاعلى طريق تعلُّم الحقائق، ولاعلى سبيل

التدرُّب في العلوم» (طبقات الأمم، الفصل الخاص بالعلوم عند العرب).

ثم جاء القرآن، فوضعهم على الطريق للمعرفة على منهج يؤدي الى المعرفة العلمية بمعناها الصحيح.

أما من ناحية مبادىء تنظيم الحياة، فقد كانت عندهم مفهوماتُهم وقِيَمُهم الإنسانية الرائعة: المروءة الشرف الذي عبّروا عنه بلفظ العِرض، والحسَب بمعنى مايُحسب للإنسان من مآثر الآباء وجلائل أعمالهم. وكانت لهم مثلُهم العليا وفضائلُهم المعروفة من شجاعة وكرم وأحاسيس نبيلة كالأَنَفَة وإباء الضيْم والغيْرة لنُصْرَة الضعيف والمبادرة لإغاثة الملهوف. لكن ذلك كان بحسب معايير إنسانية صرفة وغايات اجتماعية ــ دنيوية محدودة، مثل الذكر الباقي، والتقدير من جانب الناس، والخوف من وصمة النقص فلمّا جاء الإسلام، ثبّت ما في ذلك كله من حق وخير ونُبل، ووجّه القيم والأحاسيس والمُثُل العليا والروح العربية بكل ما فيها نحو غايات أجلّ وأسمى.

وأخيراً فإنّه لمّا كان القرآن قد جاء الى أُولئك القوم بما يؤكد أنه الحق، وجاء في التاريخ بعد ديانات تعرّضت لعوامل التغير ولدخول عناصر فيها غريبة عنها، و بعد فاسفات وعلوم وتصورات للوجود والكون والإنسان، كلُّها اجتهاداتٌ انسانية يتفاوت حظُّها في القرب من الحق والبعد عنه، **فإنه جاء مبيِّناً للحق في كل هذه الأُمور المتعلقة بالإيمان والحياة وأُصول المعرفة ومتحدياً بما جاء به بالإستناد الى العقل والعلم ودليل الواقع.**

بهذا كله فتح الإسلام للعرب ولكل من أسلم بعدهم، أبوابَ الإيمان المستنير بالعلم، وأبوابَ المعرفة الصحيحة، وأمدَّهم بمبادىء لتنظيم الحياة بحسب اعتبارات عُليا.

والذي يعنينا هنا هو العلم بالمعنى الذي نفهمه نحن اليوم، وهو العلم الطبيعي التجريبي.

عندما نتأمل القرآن، نستطيع أن نلاحظ بغاية الإجمال أنه وجه العقل الى النظر في الطبيعة بأوسع معانيها و بأخص وأعم ظاهراتها، مبتدئاً بالعادي المألوف جدّاً: هيئة خلق الإبل، ارتفاع السماء بأجرامها، انتصاب الجبال، انبساط الأرض (س٨٨/ الغاشية/ ١٧-٢٠)، تتابع الليل والنهار (مثلاً س٢٥/ الفرقان/ ٦٢)، الشمس والقمر (في آيات لاتحصى)، و يتدرج من ذلك الى ظاهرات رئيسية: ظاهرات الحياة في النبات والحيوان (مثلاً س٢/ البقرة/ ١٦٤)، ثم الى ظاهرات أكبر: الأرض ككل: نشأتها، شكلها، تضاريسها، أنهارها وبحارها، بناء السماء وما يتعلق بها (مثلاً س٥٠/ ق/٦)... وهكذا، حتى يصل الى التنبيه الى مسائل كونية كبرى: مراحل ظهور هذا الكون، وهما مرحلتان: **مرحلة الإلتحام والوحدة، ثم مرحلة الإنفتاق والتشكل المتنوع** الذى تكلّم عنه على سبيل الإجمال في أكثر من مجال (مثلاً س٢١/ الانبياء/ ٣٠، س٤١/ فصلت/ ٩-١١).

هذا الى أن القرآن تكلّم عن الإنسان من حيث نشأتُه الأُولى ومجيئُه الى الأرض ورسالته فيها، وهنا انفرد القرآن بأمرين أساسيين:

أولهما: بيان الرسالة الخاصة الفريدة للإنسان، وهي أنه ليس ذلك المخلوق الآثم المطرود المعاقَب بالحياة على الأرض، كما في التراث اليهودي المسيحي، بل هو الإنسان الذي خُلق **«في أحسن تقويم»** (س٩٥/ التين/ ٤) الذي أعدّه الله لرسالته في الأرض، فعلّمه وزوّده بالعقل والقدرة مع الاختيار والطموح، والاجتهاد مع امكان الخطأ وادراكه وتصحيحه، ثم جاء الى الأرض مهدياً نائباً لكي يكون «خليفة» في الأرض فيعمّرها باسم خالقه وفي ضوء إرشاده، و ينهض بأداء واجبات الخلافة التي هي علمية ــ عملية، جوهرها من الناحية النظرية الإيمان بوجود الخالق و بالرسالة التي

وضعها على كاهل الإنسان والإيمان بكل حق، وجوهرها العملي اتباع التعليم الآلهي والحكم بالحق والعدل وإفاضة الرحمة والخير. وآيات سورة ٢/ البقرة/ ٣٠-٣٨، س ٢٠/ طه/ ١١٥ فما بعدها، س ٧/ الأعراف/ ١١-٢٨) واضحة في بيان رسالة الإنسان، وهي رسالة الحق والخير مع مقاومة كل المعوّقات والمُغْريات».

وثانيها: أن القرآن بيَّن حقيقة الإنسان، وهي أن فيه نفحةً آلهية (س ١٥/ الحجر/ ٢٨-٢٩) بها يعرف اللهَ ويحبُّه و يطيعه، كما بيَّن مكانَ الإنسان فى نظام هذا العالم المادي، وهو أنه سيد الطبيعة وأن كل ما في الكون بسمائه وأرضه مسخَّرٌ له (س ٤٥/ الجاثية/ ١٣)، وذلك لكي يؤدي رسالته.

ولابُدّ أن نشير الى أن القرآن تكلَّم عن القِيَم على تنوعها، وفاضَلَ بينها لكي يختار الإنسان ما هو أفضل، و عُني خصوصاً بابراز قيمة الحق في الوجود وفي العلم والمعرفة، فصار الحق هدف العلماء، وأبرز الجمالَ في نظام الكون ونظام الحياة، فصار الجمالُ من مظاهر حضارة الإسلام، وصار موضوعَ بحث الفلاسفة وعلماء الدين، بل علماء الطبيعيات كما سنرى عند ابن الهيثم في كتاب **«المناظر»**، وكما هو موجود عند ابن حزم في كتابه **«الأخلاق والسِيَر»** وعند الغزالي في **«الاحياء»** ــ المجلد الرابع، كتاب المحبة لله.

وهكذا أخذ المسلمُ المفكر الواعي مكانه في مجال الإيمان، شاعراً برسالته، معتزاً بها متفائلاً، وفي مجال المعرفة جاداً في طلبها، مطمئناً الى الملكات التي منحه الله إيّاها، حتى إذا تهيَّأت الظروفُ المناسبة واستقرت الدولة وبدأ العملُ الحضاري، اشتغل المسلمون بالعلم، فطلبوا التراث العلمي للأمم، وعكفوا على دراسته وفهمه ونقدِه بحسَب معايير قرآنية ـ هي معايير العلم الصحيح على المنهج الصحيح، ثم لم يلبثوا أن استقلوا بالتفكير والبحث **وجاءت ابداعاتهم العلمية الفلسفية التي هي في الحقيقة أروع مظاهر حضارة الإسلام.**

ويمكن القول بحق أن مجيء الإسلام بكتابه الكريم، كان بدايةَ تحوُّل في تاريخ حياة الفكر والعلم، كما في تاريخ الدين والسياسة والحضارة في هذه الدنيا.

وإن هذا ليتجلّى إذا عرفنا مثلا **أن الرومان** استولوا على بلاد الإغريق، وكان فيها العلم والفلسفة، فلم يُنْشِئ الرومانُ علماً ولافلسفة كما أنشأ المسلمون.

وكذلك ظهرت **المسيحية** في العالم الروماني، بما فيه من حضارة بعضها يوناني، لكن المسيحيين لم يُنشِئوا علماً ولا فلسفةً بالمعنى الحقيقي إلاَّ بعد قرون، وخصوصاً بعد أن أخذوا ثمراتِ التجربة العلمية الفلسفية الإسلامية منذ القرن العاشر الميلادي.

٢ ـــ القرآنُ وشروط نشأة العلم والفلسفة:

والآن بعد هذا التمهيد والكلام العام المُجْمَل، نبتدىء في أن نبين كيف ظهر العلمُ وظهر التفلسفُ بين المسلمين، من حيث تفاصيل العوامل القرآنية و بفضل روح القرآن ومنهجه؟

أولاً: الآيات الأولى التي نزلت من القرآن (س ٩٦/ العَلَق/ ١ــ٥) اشتملت، في كلمات قليلة، على الأمر بالقراءة، باسم ربِّ الإنسان أي الذي خلقه وهو يربِّيه، أي يتعهَّده بالتنمية الفكرية حتى يصل باستعمال وسائل التعليم (القلم وتدوين المعرفة) الى علم لايزال يتجدد باستمرار.

ثانياً: في القرآن آياتٌ كثيرة في تعظيم العلم والحكمة ورفع شأن العلماء والحكماء؛

ـ فهو يبيِّن الفرقَ المطلق بين من يعلم ومن لا يعلم (س ٣٩/ الزمر/ ٩).

ـ و يشير الى أن لأهل العلم، درجات، كما أن لأهل الإيمان درجات (س ٥٨/ المجادلة/ ١١).

ــ و يقرر أن إدراك معاني القرآن، لايتسنى إلاّ للعلماء (س ٢٩/ العنكبوت/٤٣).

ــ والعلماء هم الأعظمُ إجلالاً لله، والأشدُّ خشيةً له، بفضل علمهم بعظمة صُنْعِه (س ٣٤/ فاطر/٢٨).

ــ ويعظّم رأيَ أهل العلم الى حدّ أنه يقرن شهادتَهم، أي رأيَهم، فيما يخص وجودَ الله ووحدانيته، إلى شهادته لنفسه وشهادة الملائكة له (س ٣/ آل عمران/١٨).

و يؤخذ من آيات القرآن أن الوحي الإلهي في حقيقته «علمٌ» أو هو «العلمُ» بإطلاق المعنى (مثلاً س ٢/ البقرة/ ١٤٥، س ٣/ آل عمران/ ٦١، س ١٣/ الرعد/٤٣).

أما الحكمة فإنَّ القرآن يذكرها مقرونةً الى «الكتاب»، بمعنى الوحي الإلهي الذي يُكتب و يَعلَم (مثلاً س ٢/ البقرة/ ١٩، س ٤/ النساء/ ٥٤).

وفي القرآن أيضاً ما يدل على أن الوحيَ الإلهي ذاتَه «حكمة» وأن فهمه حكمة (س ١٧/ الاسراء/ ٣٩، س ١٣/ الرعد/٣٧).

وفي القرآن تقدير الحكمة بمعناها المطلق: «**يؤتي الحكمةَ من يشاءُ ومَنْ يُؤْتَ الحكمةَ فقد أُوتِيَ خيراً كثيراً، وما يتذكر إلّا أولوا الألباب**» (س ٢/ البقرة/ ٢٦٩).

ثالثاً: القرآن يأمر بالبحث والنظر في هذا العالم في آيات لاتحصى: مثلاً «**أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ**» (س ٧/ الأعراف/ ١٨٥).

«**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ، ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ...**» (س ٢٩/ العنكبوت/ ٢٠).

وهو يعيب الغافلين عن التفكير في نظام الكون، و يعتبر أن الغافلين الذين لايستعملون حواسَّهم وعقولَهم في النظر في آيات الكون ودلالتها على الخالق، كالأنعام، بل هم أضلّ، وأنهم أهل جهنم (س ١٢/ يوسف/ ١٠٥، س ٢١/ الانبياء/ ٣٢، س ٧/ الأعراف/١٧٩).

رابعاً: القرآن يحارب التقليدَ والجمودَ على الآراء الموروثة الخاطئة (س ٥/ المائدة/ ١٠٤)، س ٢/ البقرة/ ١٧٠)، وهو ينشد العلمَ اليقيني القائم على الدليل لا على الظن، مع تأكيد أن «**الظن لا يُغْنِي مِنَ الحقِّ شَيئاً**» (س ٤٥/ الجاثية/ ٢٤، س ١٠/ يونس/ ٣٤).

وهو ينهى عن اتباع الهوى في الحكم على الأشياء (س ٥٣/ النجم/ ٢٣).

ثم هو يطالب بالبرهان، و يقرر مسؤولية الإنسان عن حواسه وعقله (س ٢٧/ النمل/٦٤).

«**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ، إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ، كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**» (س ١٧/ الإسراء/٣٦).

هذا الى أن القرآن يبيِّن المؤثرات التي تحول دون قبول الحق «مثل اتباع الهوى، بمعنى ميل النفس إلى شيء أو رأي عن شهوة أو مصلحة شخصية، وهو ما نسمِّيه في الاصطلاح «**العامل الذاتي**»»، ومثل الكِبْر أو الإنخداع بعلم زائف أو محدود، ومثل قلة توفُّر أصول المعرفة التي تدعو الى قبول الفكرة الصحيحة، ومثل الجدال على غير أساس أو منهج (س ٤٠/ غافر/٥٦، س ٤٥/ الجاثية/ ٧ــ٨، س ٤٠/ غافر/٨٣، س ١٠/ يونس/ ٣٩، س ٤٦/ الأحقاف/ ١١، س ٣١/ لقمان/ ٢٠).

خامساً: نبّه القرآن الى تأمل هذا العالم، والتفكر في ظاهراته من جميع الوجوه، وآياتُه شاملة لكل ما يقع تحت الحس أو يجول في النفس، في آيات جامعة لمختلف أنواع الظاهرات (مثلاً س ٢/ البقرة/ ١٦٣ــ ١٦٤).

والقرآن تكلّم عن آيات الكون في أكثر من

ثمانين موضعاً، وهذا شيء انفرد به القرآن، وليس المقصود من النظر في الكون، التأمل الشعري أو الفني، بل معرفة طبائع الأشياء والعلاقات بينها، والقوانين التي تحكم ذلك، لأنه في آخر الآيات يقول؛ إن في ذلك دلالات لقوم «يتفكرون»، «يعقلون»، «يعلمون»، «يفقهون»، «يتذكرون»، «يؤمنون»، «لأولي الألباب»، الى غير ذلك من ألفاظ تشير الى ملكات المعرفة الحسّيّة والعقلية وما تصل اليه من درجات العلم والإيمان.

ويحسن أن نلاحظ هنا أن القرآن يسمي كلامه «آيات»، وهو ينبّه إلى أن في الكون «آياتٌ»، وهي الظاهرات الطبيعية، والى أنها من «آيات» الخالق.

فالآياتُ القرآنية فيها أصول من المعرفة تتجلى للعلماء، ومنها ما يشير الى آيات الكون، التي يدرسها العلماء، آياته، كما يقول القرآن: «آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» (س ٢٩/ العنكبوت/ ٤٩).

وإذا كان القرآن يضع عالَم الحس الموجود في خارج ذات الإنسان في مقابلة «عالَم الفِكر»، أو «عالَم النفس» في داخل ذاته، و يقول ان في كل من العالمين مجالاً للتفكير الذي يؤدّي الى معرفةٍ عليا، فإنه هنا يشير الى أن أمامَ المفكر نوعين من الحقائق:

١ ــ حقائق آيات القرآن: وهي من عند الله.

٢ ــ وحقائق آيات الكون: وهي من صُنع الله.

و بينهما تطابقٌ تام، يدركه العقل، ويهتدي منه الى وحدة المصدر لهذين النوعين من الحقائق، وهوالله الخالق القادر الحكيم.

على أنه إذا كان القرآن يوجّه النظر الى الظاهر المألوف لكي نعرف طبيعته العميقة وقانونَ وجوده، مثل ظاهرة الليل والنهار أو ذكر ظهور النبات بعد المطر أو ذكر تركيب الكائنات الحية، فإنه يريد أن نعرف ماوراء هذه المظاهر، وخصوصاً أنه يعبّر بطريقة تدعو الى ذلك مثل قوله تعالى: «يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ» (س٣٩/ الزمر/ ٥) أو أن الله: «يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً» (س٧/ الأعراف/ ٥٤) أو أنه: «يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ» (س ٣٥/ فاطر/ ١٣).

هذا الى أن القرآن ينبّه الى القوانين والقوى الخفية وراء الظاهرات:

«فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ ٱلنُّجُومِ * وإِنَّهُ لَقَسَمٌ، لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ» (س ٥٦/ الواقعة/ ٧٥ــ ٧٦). أو هو يشير الى المجهول اللامرئي أو الشبيه غير المعروف:

«فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لا تُبْصِرُونَ» (س ٦٩/ الحاقة/ ٣٨ــ ٣٩).

«سُبْحَانَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ ٱلْأَرْضُ ومِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لايَعْلَمُونَ» (س٣٦/ يس/٣٦).

وفي القرآن ما لايحصى من مفهومات وعبارات يتحتم علينا أن ندرسَ معناها بحسب اللغة العربية، لأن القرآن جاء: «بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ» (س٢٦/ الشعراء/ ١٩٥) وأيضاً بحسب دراسة الواقع الذي تشيراليه:

فما معنى «الميزان» في قوله تعالى: «وَٱلسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ» (س ٥٥/ الرحمن/ ٧) وقوله «مواقع النجوم» (س٥٦/ الواقعة/ ٧٥) وما الحكمة في أن اللّه يُقْسِم بمواقع النجوم و يقول: «وإِنَّهُ لَقَسَمٌ، لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ».

و ما المعنى الدقيق لكلمة الرجْع في قوله: «وَٱلسَّمَاءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ» (الطارق/١١) أو معنى «الطبَق» في آية: «لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ» (س ٨٤/ الانشقاق/١٩).

وما هي الحكمة في ورود لفظ «المشرق» و «المغرب» مرةً في صيغة المفرد (س ٧٣/ الزمل/ ٩)

ومرة في صيغة المثنى (س ٥٥/ الرحمٰن/ ١٧) وأحياناً في صيغة الجمع (س ٧٠/ المعارج/ ٤٠).

ولماذا يقول عن السماء إنها في مرحلة تكوينها كانت «دخاناً» أو يقول: «**وَٱلسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ، وإنَّا لَمُوسِعُونَ**» (س ٥١/ الذاريات/ ٤٧).

والقرآن ينفرد بأنْ يقسم بأمور كثيرة: بالسماء، والأرض، والشمس والقمر، والنفس وأسرارها، فما هو المقصود من ذلك غير التنبيه الى الدراسة و التأمل وتحصيل المعرفة للعلم و العمل؟

سادساً: ثم إن طريقة القرآن في الكلام عن الأشياء: مرةً على سبيل الحقيقة، ومرةً على سبيل المجاز، فيما يتعلق بذات الله تعالى وصفاته، ومرةً بحسب ما نشاهده من فعل الأشياء وتأثير بعضها في بعض، ومرةً بحسب صدورها، مهما تسلسلت، عن قدرة خالقها. وهو يتكلم عن قدرة الإنسان ومشيئته، مرةً بحسب صدور أفعاله عن قدرته وإرادته ومرة بحسب دخوله في نطاق القدرة الإلهية المحيطة بكل شيء.

إن الكلامَ في الحكمة من ذلك كلّه يخرج عن نطاق بحثنا، لكنه على كل حال حرَّك الفكر، ودعا الى التفكير وتنوع الآراء، لكي يتبين منها الحق والتصور الصحيح.

سابعاً: جاء القرآن بمادة غزيرة حول الموضوعات الكبرى للفكر والبحث العلمي والفلسفي: الاله تعالى، الكوْن، الإنسان، القِيَم، مجرى التاريخ وحياة الحضارات والدول.

والحق أن تأمل آيات القرآن متكاملةً، يؤدي بالمفكر الى نظرة متكاملةٍ في كل موضوع من الموضوعات الكبرى للفكر، وهي نظرة تتألف من قضايا كلية، لأنَّ القرآن في الغالب يتناول كليات المعرفة بالأشياء ولا يكثر الكلام في التفاصيل، تاركاً ذلك لاجتهاد الإنسان بوسائله في المعرفة.

ومن الطبيعي أننا في بحثنا هذا نهتم خصوصاً بهذا الكون الذي نعيش فيه ونشاهد الكثير من أحواله، وهو موضوع دراسة العلم كما نتصوره اليوم.

ونحن اذا تأملنا آيات القرآن التي تتكلم عن أشياء هذا العالم، لاحظنا أنه ينبّه الى جوانبَ معينة لكي يجعلها الباحثُ المتفكر موضوعَ دراسة خاصة توصله إلى معارف علمية بالمعنى الحقيقي.

١ ــ من ذلك أن «**الكتابَ الحكيم**» يقرّر أن كل شيء في هذا العالم له صورةُ وجوده وهيئتُه وطبيعتُه السَوِيّة وخواصه، وأن له تبعاً لذلك قانونَه ومجرى أُموره. وهذا ما تدل عليه كلمة «**خَلْق**» في كثير من الآيات، مثل عبارة «**خلق السماوات والأرض**» فليس المقصود هوالفعل الإلهي الخالق ولا الصورة الأُولى التي خُلق عليها هذا العالم قبل أن يتشكل، لأن ذلك خارجٌ عن نطاق إدراكنا بدليل قوله تعالى: «**ما أشهدتهم خلْقَ السمٰوات والأرض ولا خَلْقَ أنفسِهم**» (س١٨/ الكهف/ ٥١).

ومما يؤكد المعنى الذي نختاره لكلمة «**خلْق**» قولُه تعالى: **رَبُّنا الذي أعطى كلَّ شيءٍ خَلْقَه، ثم هدى**» (س ٢٠/ طه/ ٥٠)، بمعنى أنه خلَق كل شيءٍ على صورة معينة، وله طبيعة خاصة به، قانونُه المترتِّب عليها.

و أيضاً قوله: «**يَخْلُقُكُمْ في بُطُونِ أُمَّهاتِكُم خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ**» (س ٣٩/ الزمر/٦) أي على صورة تتطور الى أُخرى.

٢ ــ والقرآن ينبّه الى ناحية «**الكم**» في الأشياء ونظامها، وهذا ما تدل عليه كلمة «**قَدَر**» و «**مقدار**» و «**تقدير**». والإشارة هنا الى الكم الزماني والمكاني والخاص بالحركة والحجم أو درجة النمو أو الترتيب والإرتباط. والأمثلة كثيرة: (س٧٣/ المزمل/ ٢٠، س ٣٤/ سبأ/١٨، س٣٦/ يس/ ٩، س١٣/ الرعد/ ٥، س٧٧/ المرسلات/

٢٠ــ٢٣، س ٢٥/ الفرقان/ ٢).

ونختار من هذه الآيات كلها قوله تعالى: «وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ» (س ١٣/ الرعد/ ٨) وقوله: «وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً» (س ٢٥/ الفرقان/ ٢).

٣ ــ وفي القرآن، في مواضع لا تحصى، ذكرُ «الكيف» والتنبيه إليه، بمعنى هيئة خلقه الأشياء وتركيبها وصفاتها وتكوينها الذي تنشأ عنه وظائفها، وبمعنى مجرى حدوث الظاهرات. من ذلك كيفية تركيب الإبل وارتفاع أجرام السماء وانتصاب الجبال (س ٨٨/ الغاشية/ ١٧ــ١٩) وبناء السماء (س ٥٠/ ق/ ٦) وامتداد الظل وقانونه، وفي هذه الآية دلالات دقيقة على الواقع (س ٢٥/ الفرقان/ ٤٥ــ ٤٦) وكيفية ظهور النبات في الأرض (س ٣٠/ الروم/ ٥٠).

ولابُدَّ أن نشير هنا الى أنه من غير دراسة «الكم» و «الكيف» في الطبيعة، لا يمكن الوصول الى علم طبيعي.

٤ ــ في القرآن ذكر كلمة «بالحق» في مواضع كثيرة عند الكلام عن وجود الأشياء في عالمنا وفي غيره واستقراء الآيات التي فيها هذا اللفظ، يدل على أن المقصود هو القانون والحكمة والغاية والإنتظام والإتفاق والإحكام في الأشياء، ونختار من الآيات الكثيرة قوله تعالى:

«وَما خَلَقْنا ٱلسَّمٰواتِ وَٱلأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُما لاعِبِينَ * ما خَلَقْناهُما إلّا بِالْحَقِّ، وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ» (س ٤٤/ الدخان/ ٣٨ــ٣٩).

«هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِياءاً وَٱلْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسابَ، ما خَلَقَ ٱللّٰهُ ذٰلِكَ إلّا بِالْحَقِّ، يُفَصِّلُ ٱلآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» (س ١٠/ يونس/ ٥).

٥ ــ واذا كان العلم عندما يدرس الطبيعة، يتوصل الى أنها خاضعةٌ لقوانين ثابتة مطردة لا تتخلف، مادام نظام الكون على ماهو عليه، فإنَّ في القرآن لفظ «سخَّر» عند الكلام عن أشياء الطبيعة، والمعنى واضح، وهو الإشارة الى مايترتب على مفهوم الطبيعة والقانون والحكمة في الأشياء من ضرورة أن يكون لها مجرى ثابت بناءً على ما تقتضيه القدرة والإرادة المبدعة للعالم.

والآيات التي فيها ذكر التسخير، كثيرة جداً، ومنها ما يشير الى تسخير الأشياء كلها للإنسان ولمصالح حياته، نذكر منها قوله تعالى:

«.... وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ، كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمّىً،....» (س ٣٩/ الزمر/ ٥).

«اللهُ الذي سخَّر لَكُمْ البحرَ لِتَجْري الفلكُ فيهِ بأمره، وَلِتَبْتَغوا من فضله، ولعلكم تشكرون * وَسَخَّرَ لَكُمْ ما في ٱلسماوات وَمَا في ٱلأَرْضِ جَميعاً مِنْهُ، إنَّ في ذٰلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» (س ٤٥/ الجاثية/ ١٢ــ١٣).

٦ ــ وتشير آياتُ القرآن الى أن كلَّ شيء في العالم له «أَجَلٌ مُسَمّى»، أي مدة وجود محدَّدة لا يتعداها، وبمعنى آخر أن لهذا العالم مثلاً عمراً معيناً، والعلم يحاول الآن معرفته، ويُؤْخذ من الآيات الكثيرة التي تنص على أن كل ما في السماوات والأرض قد خلق «بِالْحَقِّ وأجَلٍ مُسَمّىً» (س ٣٠/ الروم/ ٨، س ٤٦/ الأحقاف/ ٣، س ١٣/ الرعد/ ٢، س ١٧ الاسراء/ ٩٩، س ٧/ الأعراف/ ٣٤) أنَّ مانسميه «الزمان» عبارةٌ عن عنصر أوعامل داخل في طبيعة الأشياء، في جلة العالم وأجزائه، وليس شيئاً مستقلاً بذاته.

ومما هو جدير بالملاحظة أن القرآن ليس فيه كلمة «زمان» التي توحي بتصور لشيء ممتد من قبل ومن بعد، وإنما نجد في القرآن كلمة «أجَل»

بمعنى «المدة المحدّدة» أو كلمات أُخرى لها دلالة على تحديدات في مدة وجود الأشياء أو حدوثها مثل كلمة «وقت» أو كلمة «حين» ومثل كلمة «الدهر» كمفهوم ذهني مساعد على تصور مدة الوجود أو كلمة «سَـرْمَـد» في الدلالة على امتداد الوجود لا على وجود شيء قائم بذاته يسمى «الدهر» أو نحو ذلك.

٧ ــ وأخيراً فإنَّ آيات كثيرة في القرآن تدل على أن نظام هذا العالم حادثٌ تشكّل على صورته التي نراها، وأنه بقوانينه داخل في نطاق القدرة التي أبدعته، وهي تستطيع تغيير نظامه وقوانينه (مثلاً س١٤/ ابراهيم/٤٨، س٢٨/ القصص/ ٧١ــ٧٢، س٦٧/ الملك ٣٠).

ومعنى هذا أن قوانينَ الأشياء في هذا العالم لاهي «واجبة» ولا هي «مطلقة»ــ وهذا من أحدث ما انتهى اليه العلم، وهو يختلف عن تصورات الفلاسفة قبل الإسلام وبعده الى قريب من أيامنا.

وفي القرآن آياتٌ صريحة في أن هذا العالم سيتبدل ويأتي بعده عالَمٌ جديد «يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلأَرْضُ غَيْـرَ ٱلأَرْضِ وَٱلسَّمَاوات» (س١٤/ ابراهيم/ ٤٨) «يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَاءَ كَطَيِّ السِجِلِّ لِلْكُتُبِ» (س ٢١/ الأنبياء/ ١٠٤).

وما ورد في القرآن من علامات كونية وأحداث تنبيء بتغير نظام هذا العالم، ليس كما تخيل البعض، من قبيل ترهيب الناس لكي يؤمنوا بقدر ماهو بيان لأحداث كونية هائلة ستقع، وتشبه الحَدَثَ الضخم الذي وقع عند انفتاق ماكان متماسكاً، فتشكل منه هذا العالم الذي لايزال في أحوال التشكل.

منهج البحث وتحصيل المعرفة

البحث في الطبيعة

قبل الكلام عن منهج البحث وتحصيل المعرفة بحسب القرآن، يحسن أن نشير إلى مصادر المعرفة بحسب «الكتاب الحكيم» وهي:

١ ــ مصادر فوق العادة، هي:

• الوحي للأنبياء وهو يكون إما إلقاء علم في قلب النبي، أو كلاماً يسمعه من غير أن يرى المتكلم، أو كلاماً وتعليماً فعلياً بواسطة مَلَك (س ٤٢/ الشورى/٥١).

• الإلهام لغير الأنبياء، و يسمى «الكشف» أو «العلم اللَّدُنّي» أي الآتي من لدن الله مباشرة (س١٨/ الكهف/ ٦٥).

• العلم المغروز الكامن في النفس قبل المجيء الى هذه الدنيا. (س٧/ الأعراف/ ١٧٢ــ ١٧٤) ويمكن إماطة الحجاب عنه بالرياضة الروحية حسب الشريعة.

٢ ــ ومصدر عادي للانسان بوجه عام:

وهو كسبي بوسائل المعرفة التي منحها الله للإنسان، وفيه يشترك ذووالعقول والحواس، وهو الذي نعنيه في بحثنا، ونحب أن نبيّن كيف أرشد القرآن عقل الإنسان الى منهج هذا العلم وموضوعاته.

ونحب أن نلاحظ بادىء ذي بدء أن القرآنَ وإنْ كان يتكلم عن «الغيْب» أي «اللامرئي» أو «اللامُـدْرَك» للإنسان مباشرة في أشياء عالمنا «غيب السماوات والأرض» (مثلاً س٢/ البقرة/ ٣٣، س ١١/ هود/ ١٢٣ و يتكلم بوجه عام عن «الغيب» الذي لا ندركه وربما لاندركه أبداً، فإنَّ القرآن فيما يتعلق بالمعرفة بأشياء عالَمنا هذا، يقول ان الإنسان يولّد في هذا العالم وهولا يعلم عنه شيئاً، ثم يكتسب العلم باستعمال حواسه وعقله.

«وَٱللهُ أَخْـرَجَـكُمْ مِنْ بُـطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً، وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَٱلأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» (س١٦/ النحل/ ٧٨).

والقرآن في أكثر من موضع يذكر نعمةَ الله على الإنسان بأنْ زوده بالحواس والعقل، ويحض الإنسان على استعمالها.

ومعنى هذا، أن القرآن يريد منا عندما نشتغل بالعلم ونريد دراسة الطبيعة أن نبدأ بداية إيجابية، في بدراسة الوقائع، ولا نبدأ بمجردات الذهن أو أوهامه. واذا كان القرآن يأمرنا باستعمال ملكات المعرفة، فمعنى هذا أننا يحقُّ لنا أن نثقَ في مَلَكاتنا، لكن مع الإجتهاد في تحصيل العلم اليقيني. واذا كان ينفذُ لوسائلنا في المعرفة الى حد أن نشكَّ في معارفنا بقصد أن يكون الشكُّ طريقا الى المعرفة الصحيحة، فإنَّ الشك في المعارف المأثورة أوفي التصورات الأولية ظاهرة كان دأب علماء الإسلام.

ومما ينسب الى الرسول عليه الصلاةُ والسلام بمناسبة سؤال سيدنا ابراهيم عليه السلام ربَّه أن يريَه كيف يُحيي الموتى: نحنُ أولى بالشك من ابراهيم. هذا يذكره المفسرون، والشك هنا ليس في قدرة الله على الخلق والإحياء والإعادة بعد الموت، بل هو الشك في معرفتنا بأسرار القدرة وفعلها، بحيث يحسن أن نعاين آثارَها ليكون العلمُ بالقدرة على دليل نظري مؤيَّداً بالإيمان بالقدرة بالمُعاينة والدليل العملي، وأحياناً بالتجربة الذاتية أي المعايشة الحقيقية، كما تدل على ذلك آيات القرآن (س ٢/ البقرة/ ٢٥٩ــ ٢٦٠).

وعلى أساس من التأمل في آيات القرآن، ميَّز العلماء بين ماسموه:

علم اليقين، وهو مبني على الدليل النظري،

وعين اليقين، وهو، بعد الإستدلال، مؤيَّدٌ بالمعاينة،

وحق اليقين، وهو بعد ذلك كله مبنيٌّ على المعاناة الداخلية.

والقرآن يبيِّن لنا نقطتي البداية لدراسة أشياء العالم لنا، وهما:

العالم في خارج ذات الانسان و «عالم النفس» أو «عالم الفكر» في داخل ذاته، أو هما:

عالَم المادة، و عالم الأحياء الموجودة في داخل عالم المادة، وفيه يقف الإنسان برسالته الفريدة.

«وَفِي ٱلْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ» (س ٥١/ الذاريات/ ٢٠ــ٢١).

«إِنَّ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ * وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ» (س ٤٥/ الجاثية/ ٣ــ ٤).

ونحن عندما نتأمل آيات القرآن التي تنبِّهنا الى آيات الكون، نلاحظ أنها تشتمل على أشياء ووقائع ملموسة في ذاتها وآثارها، وفيها، كما يقول القرآن، آياتٌ «للعالمين» أو «لقوم يعلمون» أو «للمتوسِّمين» أو «لأُولي الأبصار»، وهي شاملة لكل ما يقع تحت الحس أو يتصوره الفكر.

وعندما يعترض أحد على مبادىء الإسلام، مثل الإيمان بالخالق، أو عندما يتعجب أو يستبعد ما جاء به الدين، فإن القرآن يردُّه الى الواقع لكي يدرسه و يفسر وجوده و يتصور من المعرفة امكانات أخرى.

«أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا...» (س١٦/ س٢١/ الأنبياء/٣٠).

«أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِنْ شَيْءٍ..» (س٧/ الأعراف/ ١٨٥).

وهذا كله على أساس مزدوَج:

أ ــ ان هذا العالَم نقطةُ بداية للعلم به و بدلالته على صانعه.

ب ــ وان هذا العالم ينطوي على أسرار و إمكانيات وشواهد على ماورائه.

وفي كثير من المواضع يريد القرآن من المفكر أن يدرسَ ما يشاهده لكي يتصور ما يماثله من أُمور

يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ، أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» (س ٤١/ فصلت/٥٣).

وذلك في سياق بيان طريق الإستدلال على وجود الله: طريق النظر في العالَم، وطريق تأمل مفهوم الوجود.

وعلى كل حال فإنَّ فلاسفةَ الإسلام حافظوا على عقيدة التوحيد والتنزيه لله مهما كان كلامُهم الفلسفي في أمور الربوبية بياناً للتراث الفلسفي السابق.

أما علماء «أصول العقائد» وهم علماء «الكلام» فإنهم كانوا أكثر مفكري الإسلام تمسكاً بمناهج العقل وأدلته، وقد أسسوا أدلتهم على استعمال العقل في النظر للطبيعة وأقاموا أدلتهم على معطيات العلم الطبيعي ورفضوا كل الظنون الفلسفية وكل المفهومات والتصورات المبهمة أو المصطنعة أو الخيالية.

وقد انتهى علم الكلام في تطوره بأنْ صار فلسفةً وعلماً معا، أو جملة علوم منسقة متكاملة من نوع فريد بين علوم الأمم، على نحو ما نجده مثلاً في كتاب «المواقف» لعضدالدين الإيجي.

ومن مفكري الإسلام من اعتمد على العقل في نقد الفكر الفلسفي القديم وكل التيارات الدينية والفكرية المخالفة للإسلام في داخل الفكر الاسلامي أو من خارجه، كما فعل الإمام الغزالي في كتبه الكثيرة، خصوصاً كتابه «تهافت الفلاسفة» الذي نقد فيه الميتافيزيقية اليونانية، ففتح الطريق لمزيد من الإشتغال بالعلم.

وقد كان في نقد ابي حامد، من جهة، تحليلٌ للمفهومات والأحكام بحثاً عن وضوحها وعدم التباسها وتمييزاً ما هو أوّليّ بديهي وما هو نظري استدلالي، وكان فيه من جهة أخرى تحديد مجال العلم والمعرفة العقلية بالنسبة للمجال الخارج عن متناول العقل، أعني مجال الوحي الإلهي وما فيه من علم ومعرفة.

وموقف الإمام هنا من حيث ثورتُه على المتيافيزيقي اليونانية ورسم مجال العلم ومجال الإيمان، شبيه بموقف الفيلسوف الألماني «كانت» (Kant).

على أن هذا كلام عام عن علماء الاسلام، وسنذكر بعض المميِّزات الخاصة لروح العلماء الذين سنتكلم عنهم ●

وجوب

حسين بيّان/ الاردن

أجمع المؤرخون بأنَّ الإسلام قد كانت له دولة تطبقه ـ بغض النظر عن مستوى ذلك التطبيق ـ إبتدأت باستقرار الرسول (صلى الله عليه وآله) في المدينة المنورة (يثرب) في السنة الأولى من الهجرة وحتى مطلع القرن الهجري الرابع عشر.. حين سقطت بقايا دولة الخلافة على يد (الأوربيين) الغزاة، أثناء هجمتهم على بلاد المسلمين.

نظراً لما سبق هذه الهجمة ورافقها من غزو فكري تبشيري استهدف عقول المثقفين من أمة الاسلام.. فلقد جهل الكثيرون إسلامهم العظيم وتنكروا له.... فزعموا ما زعمه المستشرقون من نّ الدين في الإسلام ـ كما في غيره من الأديان - هو غير الدولة.. وانه إن كانت له دولة، سلطانها روحي أخلاقي فقط، وهي بذلك دولة وحية سلطانها على الروح وحسب!.

ولقد تَنادى هؤلاء المضبوعون، للكفاح من أجل تثبيت فكرة فصل الدين عن الدولة.. سيّما وقد امتلكوا مُقدرات الأُمة وحكموها... حتى غزت هذه الفكرة الخبيثة عقول البعض من العلماء ممن فقدوا وضوح الرؤية واستمرؤوا العيش الوديع في ظل أجواء الفساد.

إلّا ان الهمم الراسخة لأبناء الإسلام، والأصالة الفكرية لعلماء الدين.. قد أعادت الروح نشطة في هذه الأمة المنهوكة.. وحرّكت الدماء الصافية من قلبها الذي اختلطت بشغافه محبة الإسلام.. وصار جزءاً أكيداً من تكوينه الولاء لهذا الدين.

فعادت بذلك الثقة الى نفس الأُمة.. وباتت ترى الحقيقة بعد ان ارتفعت الغشاوة.. فصارت تدرك بطلان الفكرة الداعية الى فصل الدين الإسلامي عن السياسة.. وأخذت تترقب

تعالى: «فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ...»[٣٢] «وآتوا اليتامى اموالهم..»[٣٣] «وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً فَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً..»[٣٤]. «وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا»[٣٥] «فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ..»[٣٦] «وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ»[٣٧]. وهكذا من الآيات كثير.

وهكذا تعطي الآيات خطوطاً عريضة وتفصيلات أحياناً للتشريعات المدنية والعسكرية والمعاملات والعقوبات والبينات، وغيرها في مئات الآيات.. فضلاً عن الكثرة الكاثرة من الأحاديث الشريفة المعتبرة.

فاذا لم يكن للاسلام دولة تطبق تشريعاته المقدسة، فكيف يمكن تطبيقها؟ (لايمكن لهذه الأحكام أن تقام بدون سلطات حكومية).

هذا إضافة الى ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي هو قدوة المسلمين ــ والذي علينا ان نحذوا طريقه بدقة لقول الله تعالى: «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا»[٣٨] وقوله «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ»[٣٩]ــ

ان رسول الله قد أقام دولة تطبّق الاسلام حينما هاجر الى المدينة المنورة.. و باشر هو بنفسه الحكم، كما باشر ذلك غيره من الأنبياء والرسل.

فاضافة لدوره (صلى الله عليه وآله) كمبلّغ للأحكام عن الوحي عن ربه للعالمين، فلقد قام بتنفيذ الأحكام الإلهية وتطبيقها على الناس طيلة فترة حياته الشريفة.. وكان مثال الحاكم الذي لايدانى.. وحيث ان عمله ــ كما أسلفنا ــ سُنّة واجبة الاتّباع، فاننا نرى ان المسلمين الأوائل في صدر الاسلام قد فهموا ذلك وحافظوا على كيان الدولة التي أقامها الرسول عليه السلام.

(ولم يكن أحد من المسلمين يشك في ضرورة استمرار وجود الحكومة من بعد الرسول(ص).. كان الكل متفقين على ذلك، وانما وقع الاختلاف في شخص من يتولى ذلك)..

الصحابة رضوان الله عليهم قد منحوا مهجهم وأرواحهم من أجل استمرار الدولة كسلطان حاكم.. واضافة الى تطبيق الإسلام على المجتمع الإسلامي، قامت الدولة الإسلامية الأولى بواجبها في دعوة العالمين الى هذا الدين.. وذلك على مستوى مايعرف اليوم بالسياسة الخارجية والعلاقة بين الأمم... ولقد كان هذا كله تجسيداً لقوله تعالى: «الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ»[٤٠]... وفي اجماع الصحابة، دليل آخر على فرضية إقامة دولة الإسلام.

ان ترك إقامة دولة إسلامية تطبّق الإسلام، يعني إهمال الإسلام وأحكامه وتشريعاته.. و يعني فسح المجال لأحكام أخرى كافرة تحلّ محلّ أحكام الإسلام في واقع حياة المسلمين.

يقول رسول الله(ص): **(انّ الله فرض فرائض فلا تُضيعوها، ونهى عن أشياءِ فلا تنتهكوها، وحدَّ حدوداً فلا تَعتدوها).**

و يقول رسول الله(ص): **(من خلعَ يداً من طاعةِ الله، لقي الله يومَ القيامةِ لا حجّة له. ومن**

مات وليس في عنقهِ بيعة، مات مِيتةً جاهلية)

ويقول ايضاً: «**إنما الإمام جنة يقاتل من ورائه وَيُتق به**». وعن ابن عباس عم رسول الله(ص) قال: «**من كره من أميره شيئاً، فليصبر عليه، فإنه ليس أحدٌ من الناس خرج من السلطان شبراً، فات عليه، إلّا مات ميتة جاهلية**).

إنَّ ماتفرضه أحاديث طاعة السلطان هذه من وجوب البقاء في طاعته.. هودلالة لوجود الحاكم المطاع، ووجود دولته الإسلامية، إذْ الشرع لايأمر بطاعة المعدوم.

(و وصف الرسول بأنَّ الإمام جنة هو إخبار عن فوائد وجود الإمام، فهو طلب، لأنَّ الإخبار من الله ومن الرسول إنْ كان يتضمَّن الذم، فهو طلب ترك أي نهي، وإنْ كان يتضمَّن المدح، فهو طلب فعل.. فإنْ كان الفعل المطلوب يترتب على فعله إقامة الحكم الشرعي أويترتب على تركه تضييعه.. كان ذلك الطلب جازماً.. وهذا يعني ان إقامة المسلم سلطاناً أي حكماً له، أمرٌ واجب).

(و إذا كان حلال محمد حلالاً الى يوم القيامة، وحرامه حراماً الى يوم القيامة.. فلا يجوز أن تعطل حدوده، وتهمل تعاليمه، و يترك القصاص، أو يترك الدفاع عن أُمّة المسلمين وأراضيهم.. واعتقاد ان الإسلام قد جاء لفترة محدودة أو لمكان محدود، يخالف ضروريات العقائد الإسلامية. وبما ان تنفيذ الأحكام بعد الرسول الأكرم(ص) والى الأبد من ضرورات الحياة، لذا كان ضرورياً وجود حكومة فيها مزايا السلطة المنفِّذة المدبِّرة. إذ لولا ذلك لساد الهرج والمرج والفساد الاجتماعي والإنحراف العقائدي والخُلقي.. فلا سبيل الى منع ذلك إلّا بقيام حكومة عادلة تدير جميع أوجه الحياة).

ورد في علل الشرائع عن الإمام الرضا: (**إنّا لانجدُ فِرقةً من الفِرق ولا ملّةً من المِلل، بقوا وعاشوا إلّا بقيِّم ورئيس، لما لابُدَّ لهم في أمر الدين والدنيا. فلم يجز في حكمة الحكيم ان يترك الخلق لما يعلم انه لابُد لهم منه، ولا قوام لهم إلّا به، فيقاتلون به عدوهم، و يقسّمون به فيئهم، و يقيمون به جمعهم وجماعتهم، ويمنع ظالمهم من مظلومهم.. انه لولم يجعل لهم إماماً قيّماً أميناً حافظاً مستودعاً، لدرست الملّة، وذهب الدين، وغيرت السنن والأحكام، ولزاد فيه المبتدعون، ونقص منه الملحدون، وشبهوا ذلك على المسلمين**).

فالرضا (رضوان الله عليه) يعتبران وجود الإمام ضرورة تدل عليها طبيعة دين الاسلام، وضرورة الحياة.. وشرطاً لحفظ الملّة. يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ــ عليه السلام ــ في ردّه على الخوارج: (**... وانه لابُدَّ للناس من أميربرٍ، أو فاجرٍ، يعمل في إمرته المؤمن، و يستمتع فيها الكافر، و يبلغ الله فيها الأجل، ويجمع به الفيء، و يقاتل به العدو، وتأمن به السبل، و يؤخذ به للضعيف من القوي.. حتى يستريح برٍ، و يستراح من فاجر**).

ولقد أمر النبي(ص) أُمته بتولية ولاة أُمور عليهم، وأمر ولاة الأُمور ان يردّوا الأمانات الى أهلها..وإذا حكموا بين الناس أنْ يحكموا بالعدل، وأمرهم بطاعة ولاة الأُمور في طاعة الله تعالى. ففي سنن أبي داوود عن أبي سعيد؛ ان رسول الله(ص) قال: (**إذا خرج ثلاثةٌ في سفر فليؤمّروا أحدهم**» ... وفي مسند الإمام أحمد، عن عبدالله بن عمر؛ ان النبي(ص) قال:

(لايحِلُّ لِثلاثةٍ يكونونَ بفلاةٍ من الأرض إلّا أمَّروا أحدهم). فإذا كان قد أوجب في أقل الجماعات، وأقصر الاجتماعات ان يوّلي أحدهم، كان هذا تنبيهاً على وجوب ذلك فيما هوأكثر من ذلك.

انّ قول رسول الله الوارد في حديثه الشريف (سيليكم بعدي ولاة) دليل على ان الدولة المباركة لم تؤسس على يده الشريفة الطاهرة لتكون فترة حياته وحكمه ـ عليه السلام ـ فقط، بل سيأتي من يخلفه الحكم فيها من حكّام الإسلام.

ان القعود عن إقامة خليفة ـ حاكماً ـ للمسلمين، معصية من أكبر المعاصي، لأنها قعود عن القيام بفرض من أهم فروض الإسلام، ويتوقف عليه إقامة أحكام الدين، بل يتوقف عليه وجود الإسلام في معترك الحياة.

نكتفي بهذا القدر من الأدلة، إذْ قد تحقّق بشكل لاشبهة فيه ولا لبس، وجوب إقامة دولة الإسلام التي لاتحكم إلّا بما أنزل الرحمن. واننا نقرر بأن منكر ذلك خارج على ملّة الاسلام ـ والعياذ بالله ـ... كما اننا متأكدون بأن استئناف الحياة الإسلامية في الحكم، أمرٌ لازم لنا.

لنعودَ الى النظام الإسلامي الذي هو أساس سعادتنا وسعادة العالم. فإذا عاد له الحكم وطُبِّق نظامه تطبيقاً انقلابياً، فقد عاد قانونه ودستوره وعادت حينئذ جميع شؤون الحياة، تعالج بالإسلام، فصار المجتمع إسلامياً، والحياة، حياة اسلامية.

ولقد بشّر النبي الأكرم بعودة حكم الإسلام بعد أن يزول، فقال ـ عليه الصلاة ـ: (تكون النبوّة فيكم ماشاءالله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاءالله أنْ يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوّة فتكون ماشاءالله أنْ تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عضوضاً فيكون ماشاءالله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أنْ يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون ماشاءالله أنْ تكون، ثم يرفعها إذا شاءأن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة تعمل في الناس بسنّة النبي ويلقي الإسلام جرابه في الأرض.. يرضى عنها ساكن السماء وساكن الأرض. لا تدع السماء من قطر إلّا صبّته مدراراً، ولا تدع الأرض من نباتها ولا بركاتها شيئاً إلّا أخرجته) ذكره حذيفة مرفوعاً، ورواه الحافظ العراقي من طريق أحمد وقال: حسن صحيح.

ويقول ـ عليه وعلى آل بيته الصلاة والسلام ـ: (ليبلغن هذا الأمر مابلغ الليل والنهار. ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلّا أدخله هذا الدين بعز عزيز أوبذل ذليل: عزاً يعزُّ به الله الإسلام، وذلاً يذل به الكفار) رواه أحمد والطبراني، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح. والمدر: أهل القرى والأمصار، والوبر: أهل البراري.

هذا وان إرهاصات قيام دولة الإسلام الكبرى، قد باتت جلية واضحة (لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ أوْ ألقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهيدٌ)[٤١].

لقد عانت الأمة من وطأة حكم الكفر الكثير.. كما قدّمت الكثير ضحية لهذا الكفر.. حتى صارت مِصداقاً لِما قالَهُ رسول الله في الحديث: (كيف أنتم إذا طغت نِساؤكم، وفَسِقَ شُبّانكم، وتركتم جهادكم؟ قالوا: وان ذلك لكائنٌ يا رسول الله؟ قال: نعم، والذي

نفسي بيده وأشد منه سيكون. قالوا: وما أشدُّ منه يا رسول الله؟ قال: كيف أنتم إذا لم تأمروا بمعروفٍ ولم تَنهوا عن مُنكر؟ قالوا: وكائن ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم، والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون. قالوا: وما أشد منه؟ قال: كيف أنتم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟ فالوا: وكائن ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم، والذي نفسي بيده وأشدُّ منه سيكون. يقول الله تعالى: بي حلفت؛ لأتيحنَّ لهم فِتنة يصيرُ الحليمُ فيها حَيران).

ألا انّ نوراً قد انطلق في هذا الخضم، باعثاً الأمل في وعي الأمة من جديد.. وها هم الروّاد الأحرار من أبناء الإسلام، قد كشفوا للأمة الإسلامية إفلاس جميع الأنظمة الجاثمة على صدرها.. وبيّنوا لها زيف الأفكار الكافرة التي خلفها الاوربيون.. من أفكار الرأسمالية والديمقراطية... ومن أفكار الاشتراكية والشيوعية... ثم من بدعة القوميات العفنة.. ومن غير ذلك من أفكار الجاهلية كثير.. ممّا قد وضعه محمد النبي القائد تحت قدميه.

لم تستطع أي من هذه الأنظمة والأفكار أن تحقق شيئاً من السعادة لهذه الأمة.. بل ان كل هذا الإنحطاط الذي نعيش في ظله كان جراء تلكم الأفكار التي خلفها الاوربيون.. من أفكار الرأسمالية والديمقراطية... ومن أفكار الاشتراكية والشيوعية... ثم من بدعة القوميات العفنة.. ومن غير ذلك من أفكار الجاهلية كثير.. ممّا قد وضعه محمد النبي القائد تحت قدميه.

لم تستطع أي من هذه الأنظمة والأفكار أن تحقق شيئاً من السعادة لهذه الأمة.. بل ان كل هذا الإنحطاط الذي نعيش في ظله كان جراء

تلكم الأفكار التي تفتقر الى الأدلة المقنعة.. ناهيك عن تحقيق الطمأنينة للنفس الإنسانية.

ولهذا.. فالدور هو دور الإسلام.. والعصر هو عصر الإسلام.. وما على حملة الدعوة إلّا أن يحثوا الخطى.. فلقد بات النصر وشيكاً.

قال الله ناصر المتقين: «وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً، يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ * وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَاةَ وَآتُوا ٱلزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ ٱلنَّارُ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ»[٢٢] (صدق الله العظيم).

هامش:

يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ــ كرّم الله وجهه ــ «انا لم نحكم الرجال..» إذْ ان البشر ليس لهم من الحكم شيء وان الحكم إنّما هو لله «وانما حكمنا القرآن، هذا القرآن إنما هو خط مستور بين الدفتين لاينطق بلسان ولابُدّ من ترجمان وانما ينطق عنه الرجال» .. أي الحكومة المتمثلة لأوامر القرآن.

المصادر:

- القرآن الكريم.
- كتابات الشيخ النبهاني رحمه الله.
- (الحسبة في الإسلام) لابن تيمية.
- الحكومة الإسلامية ــ الإمام الخميني.
- الفريضة الغائبة ــ محمد عبدالسلام.

الهوامش

١ ــ البقرة: (٢١٣).
٢ ــ الزمر: (٣).
٣ ــ النساء: (٦٠).
٤ ــ المائدة: (٥٠).
٥ ــ الأنعام: (٥٧).
٦ ــ الأنعام: (٦٢).
٧ ــ يوسف: (٤٠).
٨ ــ يوسف: (٦٧).
٩ ــ القصص: (٧٠).
١٠ ــ القصص: (٨٨).
١١ ــ الشورى: (١٠).
١٢ ــ التين: (٧،٨).
١٣ ــ النساء: (١٠٥).
١٤ ــ المائدة: (٤٨).
١٥ ــ المائدة: (٤٩).
١٦ ــ ص : (٢٦).
١٧ ــ النساء: (٦٥)
١٨ ــ النساء: (٥٨)
١٩ ــ النساء: (٥٩)
٢٠ ــ آل عمران: (١٠٤).
٢١ ــ المائدة: (٤٤).
٢٢ ــ المائدة: (٤٥).
٢٣ ــ المائدة: (٤٧).
٢٤ ــ التوبة: (١٢٣).
٢٥ ــ الأنفال: (٥٧ــ ٥٨).
٢٦ ــ الأنفال: (٦١).
٢٧ ــ البقرة: (٢٨٢).
٢٨ ــ التوبة: (١٠٣).
٢٩ ــ الطلاق: (٦)
٣٠ ــ التوبة: (٣٧)
٣١ ــ الشورى: (٣٩ــ ٤٠)
٣٢ ــ الطلاق (٢)
٣٣ ــ النساء: (٢)
٣٤ ــ النور: (٤)
٣٥ ــ المائدة: (٣٨)
٣٦ ــ النساء: (١١)
٣٧ ــ الإسراء: (٣٥)
٣٨ ــ الحشر: (٧)
٣٩ ــ الأحزاب: (٢١)
٤٠ ــ الحج: (٤١)
٤١ ــ ق: (٣٧)
٤٢ ــ النور: (٥٥ــ ٥٧)

ملاحظات عاجلة حول قضية السلام

الشيخ أحمد شحادة/سيراليون

على هامش الحرب المفروضة على جمهورية الإسلام في ايران من قبل النظام البعثي الكافر في العراق وحلفائه من أنظمة الإستكبار العالمي في الشرق والغرب... تفاجئنا ظاهرة فريدة من نوعها في تاريخ المعارك والحروب، حيث نشهد ولأول مرّة ــ التحالف العسكري ــ السياسي ــ الإعلامي من جميع الأنظمة الجاهلية بما فيها المتسترة بالعباءة الإسلامية ــ للقضاء على جمهورية الإسلام الفتية، التي كان ذنبها الوحيد انها طرحت شعار الحرية الإسلامية، والاستقلال الإسلامي من جميع أشكال التبعية والإرتهان «لا شرقية ولا غربية جمهورية اسلامية»... فكان الإعتداء الغاشم على؛ أرضها، وانسانها، وكرامتها، هي الضريبة الغالية لحماية هذا الإستقلال المقدّس. ومع استمرارية هذه الحرب للعام الثالث، وفشل جميع وساطات النِفاق والإبتزاز والخداع، بدأت تثار في ذهنية الإنسان المسلم المعاصر مجموعة من الأسئلة حول؛ السلام في المنطقة، وتهديد قضية السلام العالمي، وموضوع السلام عموماً من منظور إسلامي...

فموضوع السلام، حلم جميل يراود الإنسانية المعذّبة، وخصوصاً شعوب (العالم الثالث) الشعوب المستضعفة التي دمّرتها الحروب وسحقتها الفتن، حتى بات الحديث في حياتها عن الأمن والإستقرار أهم بكثير من الحديث عن رغيف الخبز ووسائل العيش التي تحفظ رمق الحياة...

وكانت تتوجه دائماً ومن بين النيران المشتعلة، الى الدين ورسالات الأنبياء باعتباره الملجأ الوحيد الذي يقيها أخطار الحرب والدمار.

وكانت هذه التصورات، مبنية على أساس ان الدين؛ هوالمنهل الروحي الذي

تنهل الشعوب من ينابيعه؛ الأمن، والإيمان، والدعة، والإطمئنان.

فالفكرة الدينية عند كثير من الناس، هي فكرة روحية خالصة.. وأداة العمل الديني، هي أداة رقيقة ناعمة مسالمة، لا شأن لها بالعنف، ولا شأن لها بالقتال، غير ان هذه الصورة الضبابية تعتبر في عمق تحليلها النفسي والإجتماعي أقرب الى مزاج الإنسان الحيادي الذي يعيش الحياة بلا قضية، لأنها توفر له السلامة الذاتية، بعيداً عن المتاعب والآلام.

ولعل الوصايا الكنسية قد لعبت دوراً بارزاً في صياغة شخصية الإنسان على ضوء هذا المفهوم المرتكز أساساً على الأمور التالية:

أولاً: فصل الدين عن الدولة.

ثانياً: فصل الحياة الخاصة عن الحياة العامة.

ثالثاً: فصل الشخصية الذاتية عن الشخصية الرسالية

رابعاً: الغاء دور العنف في ظل الشعار السائد؛ «من ضربك على خدّك الأيمن، فأدر له الأيسر».

هذا، ولعل انتشار الفكر الصوفي، وتغذيته، والتخطيط من قبل دوائر الإستعمار الثقافي لطرح بدائل معلّبة عن الإسلام الحقيقي كفكرة الأحمدية والبهائية، وغيرها التي لاقت رواجاً واسعاً في كل من أفريقيا وأوربا وشبه القارة الهندية، لعلّ ذلك كلّه ساعد على تلويث العقل الإسلامي، وتخديره، الأمر الذي جعل منه فريسة سهلة لسموم الثقافة الغربية وإعلامها المضلّل.

ولكي نفهم حقيقة هذا التصور بين منطق العنف ومنطق المسالمة، لابدّ لنا من تحليل هذا الموضوع ولو بشكل خاطف يعيد الحلقة المفرغة الضائعة الى مكانها الطبيعي وبذلك نستطيع أن نمسك بطرف الخط المتوازن بين هذين المنطقين.

إذ اننا عندما نستعرض الثقافة الإسلامية ـــ والفقه الإسلامي بشكل خاص، يبرز أمامنا عنوانان رئيسيان من عناوينها الكثيرة المنّوعة، هما: **السلام والجهاد...**

وهما؛ عنوانان، مترابطان، يكمّل كل منهما الآخر، مع ملاحظة بعض الفوارق الرئيسية، وهي: إنَّ مفهوم السلام في الرؤية الإسلامية العادلة هو مفهوم ثابت، بينما يعتبر مفهوم الجهاد من المفاهيم المحكومة لمتغيرات الظروف والأحوال التي تحيط بالأمة والعقيدة.

وبتعبير آخر، نستطيع القول: ان السلام هو القاعدة، والجهاد هو الإستثناء، بمعنى ان محكومية الجهاد لشروط السلام وموازينه واسعة، فتشريع الجهاد يدخل في إطار المقدمة الواجبة لتحقيق الواجب المقدس ألا وهو نشر السلام العادل بين الأمم والطوائف والمجتمعات.

وعلى هذا الأساس، يكون الجهاد

وسيلة، و يكون السلام من أهداف الإسلام الكبرى التي يبني عليها كيانه الحضاري المميز الأصيل المستقل.

وعلى هذا الضوء، نفهم الدلالات السياسية لآيات القرآن الكريم التي عالجت هذا الموضوع بروح إنسانية عالمية ليس لها نظير قوله سبحانه وتعالى:

«فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً»

(النساء: ٩٠)

«يا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱدْخُلُوا فِي ٱلسِّلْمِ كافَّةً»

(البقرة: ٢٠٨)

هذا وقد تدعو بعض الظروف الطارئة الاخرى الى تحريم السلام ورفضه وذلك عندما لايستكمل شروط عناصره المطلوبة كما تشير اليه الآية الكريمة:

«فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنْتُمُ ٱلأَعْلَوْنَ»

(محمد: ٣٥)

وقد لانعدم بعض الشواهد الحية والأمثلة الواضحة التي تظهر حضارة المنهج الاسلامي في صناعة السلام... لأن السلام في روحه ورسالته ليس مجرد عقد يبرمه طرفان أو طائفتان من الناس، وانّما هو عقيدة في العقل، وايمان في القلب، قبل أن يكون قراراً تتفق عليه الهيئات والأعراف الدولية...

فالمنطق الاسلامي لبناء شخصية الإنسان، والأمة، يرتكز أساساً على نشر السلام كسمة بارزة من سمات هذه الأمة التي أرادها الله سبحانه أن تكون خيرَ أمةٍ أخرجت للناس...

فالإنسان المسلم بالدرجة الأولى يعيش في حالة سلام مع الله، لأنَّ الإيمان بالله على أساس قاعدة التوحيد، يجعله يرتفع الى مستوى الطهر الكامل في علاقته مع ربه في أصفى وأروع معانيها، فهو مطمئن تمام الإطمئنان الى مصيره وراضٍ تمام الرضى **«رضي الله عنهم ورضوا عنه»** انه يشعر بالسكينة والأمن، لأنَّ مولاه هو الله القادر المؤمن المهيمن السلام العزيز الجبار المقتدر.

ولكن هذه العلاقة الصافية، مهدّدة ـ بالشرك ـ بالرياء ـ بالأصنام. واذا بالإنسان المسلم الحريص على سلامه مع ربه يرى من أجل أنْ يحافظ على هذا السلام، أنْ يعلن الحرب على كل أشكال الصنمية التي تهدد علاقته، وتفسد روحية ايمانه بالله.

وعلى صعيد آخر؛ نجد الأدب القرآني، يفتح أمامه منافذ الهداية والنور للحفاظ على سموّ الرابطة المقدسة التي تربطه بالله، فيوفر له المناخ الأخلاقي والتربوي الملائم، ليعيش أروع حالات السلام مع الذات، وذلك من خلال تربية نفسه، والإنتصار عليها، وتعزيز كل المفاهيم التي تصوغ شخصيته على أساس الحرية والكرامة، كمفاهيم؛ تزكية النفس، والعزة، والقوة، والتوبة، والموازنة بين اشباع الحاجات الروحية والجسدية، وغير ذلك، مما

يوفر له أسباب الثقة والأمل والتفاؤل والإطمئنان.

ومن مجمل العلاقات العامة التي تنظم حياة الانسان المسلم، وتحدد دوره المركزي في توجيه التاريخ، نستطيع أن نبلور رسالية السلام الهادفة، وتناغمها وتآلفها مع رسالة الجهاد والنضال في صورة معبِّرة تتواصل مع مبدأ الخلافة وترسيخ قاعدتها على أرض الواقع.

في دائرة الارتباط مع الآيديولوجية التي ينتمي اليها الانسان المسلم بالعقيدة المتمثلة بالوحي القرآني، يشعر باستفحال الصراع الحتمي أمام من يحاول أن يفصله عن رسالته ونظام حياته، فيدخل المعركة ليحمي عقيدته وليحافظ عليها من شرور الذين يصدّون عن سبيل الله، فيواجه أعداءه بنفس المنطق وبنفس السلاح حتى يضمن لحياته سلام الفكر وسلامة الإرتباط الحركي الفاعل الحر مع الفكر والعقيدة.

ونستطيع أن نعمِّم هذا في منهج الإسلام في مجال النظام الاسري والعلاقة بين الزوجين ـ مع الأبوين ـ صلة الأرحام، وفي مجال النظام الاجتماعي، حيث أوجب الاسلام كل ما من شأنه أن يبني المجتمع المتلاحم المتكافل المؤمن كالمؤاخاة والتعاون والإيثار وحسن الجوار والوفاء بالعهد والإهتمام المتبادل، وحرَّم كل ما من شأنه أن يمزق أواصر الوحدة أو ينشر الحقد والغل والكراهية في الجسد الواحد كالغيبة والنميمة والقمار والخمر والزنا والإحتكار والغش، ثم شرَّع قانون العقوبات ليضمن تحقيق هذا الهدف الذي عبَّر عنه القرآن بأنه الحياة

«وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي ٱلألْبَابِ»

(البقرة: ١٧٩)

وبنفس هذه الروح الإنسانية، دعى الى فتح حوار دائم بين الحضارات:

«يا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ ٱللهِ أَتْقَاكُمْ»

(الحجرات: ١٣)

والى فتح منافذ الحوار بين الأديان السماوية:

«قُلْ يا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا»

(آل عمران: ٦٤)

والى تحرّي العدل مع العدو عندما يستبين منه الصدق والأمن والوفاء واحترام القرار:

«وإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا»

(الأنفال: ٦١)

هذه المعاني الإنسانية، لم تكن مجرد صورة تجريدية، ولم تكن مجرد فكرة جمالية، وانما تجسَّدت باللحم والدم وروح الإلتزام بالحق في أخلاق المجاهدين من أبناء ثورة الإسلام في ايران...

ولقد كانت المفاجأة المُرّة ان ايران الإسلام عندما مدّت يدها البيضاء الطاهرة النقية لتصافح الإنسانية المعذّبة بالرحمة كلها وبالحنان كلّه، واذا بطواغيت الشرق والغرب يجتمعون في الطائف ويجتمعون في فاس، ويجتمعون في البيت الأبيض، ويجتمعون في باريس، ويجتمعون في الكرملين ويفكرون ويخططون ويتدارسون هذه الظاهرة التاريخية التي لا تشبه إلاّ حكايات الأنبياء القديمة...

فيعز عليهم أن يدخل الأنبياء الى عصرهم...

فيرتعدون من الخوف والذعر والرعب وفي ظنهم ان الأنبياء قد صُلبوا، وان آخر الأنبياء قد مات منذ قرون...

فيمكرون... ويتساءلون من في العالم يجرؤ على قطع هذه اليد.... يفتشون في كتب التاريخ... يجدون المثل: في يوم أسود من أيام التاريخ الإنساني، قطع يزيدبن معاوية رأس الحسين(ع) في العراق كما قُطِعَ رأس يحيى(ع).

ويفررون: إذن اعطوا السيف الى سفاح بغداد وجزّار القادسية صدام... ليضع السلام على طريقة يزيد وفراعنة الزمان...

ولكن الحسين في ايران لايسكت... هيهات منّا الذلة

يقرر باسماً أن يستعيد رأسه...

وان يضع السلام الزاهر على طريقة الأنبياء...

فينتصر...

«قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ» ●

(التوبة:١٤)

الخصائص التربوية

لمنهجية الشهيد الصدر

الأستاذ علي الأديب/العراق

الشهيد الصدر (رض) مرجع إسلامي متميّز، خُصَّ بمواهب وقدرات نادرة ومستوى فريد من النبوغ والإبداع، وكانت حياته زاخرة وزاهرة بالكثير من الخصوصيات التي تركها ثروة غنية للأمة الإسلامية عموماً ولبناء حضارتها على وجه الخصوص.

وكان لابُدَّ للشهيد الراحل أنْ يلعب دوراً عظيماً في ترسيخ وتعميق الجانب الفكري والدستوري للدولة الإسلامية التي قامت بقيادة زعيمها الفذ الإمام الخميني أعز الله نصره، وصيانة مسيرتها الفتية من عوامل الإنحراف والتيه، والتعقيد، لما آمتاز به هذا الرجل العظيم من قوة عقلية هائلة وايمان إلهي عميق، بالتجربة الإسلامية الرائدة، وعلم مستفيض بتفاصيل معانيها ومفاهيمها وقيمها ومراميها الإلهية البعيدة، مما كان يوفر للمسيرة الإلهية الجدية، والسرعة والإتقان، ويجنبها من المطبات والعوائق غير الطبيعية.

غير أن يد الإستكبار اللئيمة و بتخطيط مقصود و مدبر مع عملائها من (مسوخ نظام بغداد التكريتي) حرمت الدولة الإسلامية والأمّة الإسلامية من وجود هذا العالم الرباني الموهوب وسط التجربة الجديدة، سعياً منها لوضع العصي في عجلة تقدمها.

لقد كانت عملية انتزاع هذا الشهيد الكبير وآخرون من عمالقة الفكر الإسلامي الأصيل كالشهيد مطهري، وبهشتي (رض) من صميم حياة الثورة الاسلامية،هدفاً استكبارياً يرمي الى افراغ

التجربة الاسلامية من محتواها الفكري والعملي والمبدئي فما تلبث أن تتخبط وسط الترجيحات و الشعارات السياسية والخطوط الفكرية المختلفة فتسقط، ليعاود الإستكبار ترديد مقولته القديمة المستهلكة بعدم جدوى تدخل الدين وعلمائه في الشؤون السياسية، وليوحي لأبناء الأمة الإسلامية بخطأهم في هدردماء الآلاف من ضحايا الثورة وشهداء الإسلام و ليرسخ في النفوس التي صنعت نصر الإسلام الجديد هزيمة نفسية تحملهم على الإنكفاء والعزلة الإجتماعية، كما أفلح الإستكبار ابقاءها كذلك طيلة قرون التبعية والضياع السياسي التي مرّت على اُمتنا.

إذ أن بناء دولة عقائدية صامدة تحتاج الى الجهد الفكري الأصيل والجهد العملي المؤمن معاً، فإذا تعطّل أحد الشرطين تغيّرت العملية أو فشلت.

فالإمكانية الفكرية لبناء دولة الإسلام لا تعني فقط المعرفة الفقهية أو الا طلاع على الفكر الإسلامي أو الضلوع في الفقه واُصوله والقرآن و تفسيره والحديث وعلومه، فهذا كله مطلوب وضروري ولكنه جانب واحد من الضرورة فقط. وهناك الحاجة الماسة الى وضع الخطط والمناهج لتطبيق الاُصول الإسلامية في بنية الدولة الإسلامية الجديدة، ومالم تتوفر في القيادة القدرة الفكرية على وضع هذه المناهج والخطط فمن الممكن أن تفشل عملية وضع الأسس والهياكل التنظيمية للدولة الاسلامية. وربما تدخل اثناء ذلك عناصر غير اسلامية أو تقتبس مناهج غريبة عن الإسلام، أوتختلط الأنظمة الإسلامية بالأنظمة الغربية وقد يصعب التميز بينها و فرزها، ومن الممكن أن تواجه القيادة صعوبة في صياغة التكيفات القانونية اللازمة... الخ من عقبات تحتاج الى اصالة فكرية وعمق مبدئي وذهنية مستوعبة متفتحة على واقع الأحداث والظروف الإجتماعية المختلفة بحيث تكون قادرة على قيادة التجربة وصيانتها من عوامل الإنحراف أو السقوط في أحضان الرأسمالية الديمقراطية أو الإشتراكية أو الدكتاتوريات المتنوعة، وهذه الذهنية لا توجد إلّا عند مجتهد واعٍ على العصر وذي قدرة خلاقة في الإبداع التنظيمي، مما يجعل وجوده في صميم التجربة ضرورة ماسة وحاجة ملحة. لذلك وجدنا أن قوى الإستكبار المهزومة في معركتها مع الإسلام صممت على استئصال أمثال هذه المحاور الهادية من مجتمعنا بجد.

ولكن الله القدير الذي يرعى مسيرة التوحيد والهدى لايترك الركب بلا منارات مضيئة وسيعوض عن فقد أمثال هؤلاء بزخم هائل من حركة واعية تدب في جسم الاُمة وروحها فتستنهض بها الهمم وتوقض فيها الأمل والقدرة.

وفي هذه المقالة اُحاول أن اُسلط الأضواء على الخصائص التربوية لمنهجية الشهيد الصدر في كتبه التي ألّفها، وسيرته العملية التي اختطها، والنهاية الكريمة التي ختم حياته بها، عساني أوفق في استعراض جانب من جوانب حياته المشعة بالخير والعطاء. ومن أجل أن يكون القارئ أقدر على متابعة البحث واستخلاص نتائجه، أحاول ان أعدد تلك الخصائص من الوجهة التربوية في الآتي، لنتناول بعد ذلك كلاً منها بالبحث والشرح:

١ ــ الهدفية

٢ ــ الشمولية

٣ ــ العملية

٤ ــ الايجابية والثورية.

١ ــ الهدفية:

في كل الكتابات والنشاطات التي قام بها شهيدنا العزيز خلال حياته الكفاحية المبدعة، كانت ترتسم أمامه الأهداف الكبيرة الثابتة والمقدسة لمسيرة الإنسان في الوجود، والغايات التي خلقها الله لأجلها، وأراده أن يكدح سعياً باتجاهها. فالإنسان كائن مستخلف في الأرض، تحمَّل ثقل الأمانة الربانية، وهو ممتحن ازاءها باخلاص وايمان، وهو متضامن مع الجماعة البشرية في نتائج هذا الكدح على طريق رضا الله تعالى، لذلك فهو يرمي الى تغيير قيم الفرد والجماعة بشكل يتفق والهدف من عملية الإستخلاف الرباني للجماعة البشرية، إذ أن وعي ظاهرة الإستخلاف على حقيقتها المطلوبة يعني القضاء على كل العوائق المصطنعة والقيود التي تجمد الطاقات البشرية وتشلها وتعمل على هدر امكانات الإنسان ومواهبه التي جاء الله بها، لتصبح فرص النمو متوفرة توفراً حقيقياً.

والنمو الحقيقي في مفهوم الإسلام أن يحقق الإنسان الخليفة على الأرض في ذاته تلك القيم التي يؤمن بتوحيدها جميعاً في ذات الله عزَّوجلَّ الذي أستخلفه وآسترعاه أمر الكون. فصفات الله تعالى وأخلاقه من العدل والعلم والقدرة والرحمة بالمستضعفين والانتقام من الجبارين والجور الذي لاحدَّ له هي مؤشرات للسلوك في مجتمع الخلافة وأهداف للإنسان الخليفة، فقد جاء في الحديث: **«تشبّهوا بأخلاق الله»** ولما كانت هذه القيم على المستوى الإلهي مطلقة ولا حدَّ لها وكان الإنسان الخليفة كائناً محدوداً، فمن الطبيعي أن تتجسد عملية تحقيق تلك القيم انسانياً في حركة مستمرة نحو المطلق وسير حثيث الى الله. وكلما استطاع الإنسان من خلال حركته أن يتصاعد في تحقيق تلك المثل و يجسد في حياته بصورة أكبر عدالة الله وعلمه وقدرته ورحمه وكرمه ورفضه للظلم والجبروت، سجل بذلك انتصاراً في مقاييس الخلافة الربانية، واقترب نحو الله في مسيرته الطويلة التي لا تنتهي إلا بانتهاء شرط الخلافة على الأرض[١] **«يا أيها الإنسانُ إنَّكَ كادِحٌ الى رَبّكَ كَدْحاً فَمُلاقيهِ»**.[٢]

«كما أن على الجماعة التي تتحمل مسؤولية الخلافة أن توفر لهذه الحركة الدائبة نحو هدفها المطلق الكبير كل الشروط الموضوعية، وتحقق لها مناخها اللازم، وتصوغ العلاقات الإجتماعية على أساس الركائز المتقدمة للخلافة الربانية».[٣]

فالأساس من الحركة الإجتماعية للمجتمع والنمو الفردي للشخصية المسلمة عنده، أن يحققا الأهداف الربانية الكبيرة **«يا أيُّها الّذينَ آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله»** (النساء ــ ١٣٥) ولذلك رسخ (رض) هذا المفهوم بشكل عملي ومنهجي في كل مؤلفاته و كتاباته وفي كل ماتحدث به لتلامذته واتباعه و نظّر فيه للطليعة المؤمنة التي تأثرت به وحملت أفكاره.

إذ أن الرسالة الإسلامية عنده لم تعد مجرد نظرية تصلح للتباحث على أساسها في المدارس الإسلامية والحوزات العلمية، أو قيماً مثالية يكال لها المديح والثناء في المناسبات والمحافل، إنما هي مسيرة ذات منهج وأهداف، والذي يتشرف بالإنضواء تحت لوائها لابُدَّ أن يتفانى بصدق في تمثلها سلوكاً عملياً متحركاً في ذاته وثورة أخلاقية عامة ترسمها الجماعة المؤمنة سنناً

وأعرافاً ماثلة في البيت والشارع والمؤسسات المجتمعية المختلفة.

لذلك وجدناه (قدس سره) مرجعاً دينياً وقائداً اجتماعياً، يسعى نحو تحقيق أهداف الرسالة بالكتابة والعمل، فحوّل المرجعية من قيادة ذات أسلوب فردي الى مؤسسة قيادية ذات مسؤوليات عالية، ونشر أطروحته في المرجعية الصالحة أو (الرشيدة) لتكون منهج مسيرة جديدة لعالم المسلمين الذين يتحملون أعباء أمانة الله.[٢]

٢ ــ الشمولية:

الرجل الذي عرف الهدف من المسيرة الإنسانية من وجهة نظر الإسلام، و شخّص المبدأ والمنتهى في حركة المجتمع والفرد، لم يفته أن ينظر للإسلام (وهو نتائج العقل المطلق) الذي يتحرك باتجاهه الإنسان بنظرة شمولية كلية مستوعبة بعكس غيره من الذين تصدوا لدراسة الإسلام في أحد جوانبه، وأهملوا بقصد أو دون قصد جوانبه الأخرى المهمة. إن النظرة الشمولية الكلية للإسلام أعطت الرسالة صورة واضحة لمعتنقيها، كما كشف الوجه المشرق والخطير لأعدائها، بحيث ازداد أبناءها بها تشبثاً وتمسكاً، اعتزازاً منهم بقيمها الفذة، ودفعت أعداء امتنا الى اليقظة في مواجهة موجة الوعي التي استحدثتها هذا المفكر الرباني بعرضه الشمولي للإسلام.

لقد استطاع رحمه الله من وضع منهج شامل لبناء الأمة الإسلامية والإنسان الملتزم الذي يعتمد على أصول اعتقادية عقلية ناضجة، و ينهج قيماً ربانية سامية في التعامل مع الغير ومع الذات ومع الله، ويسعى حثيثاً في خلق تيار اجتماعي واعٍ وانشاء دولة اسلامية تطبق فيها أحكام الله العادلة وحدها.

وقد تجلّى منهجه الشمولي هذا بطرح الإسلام دين كامل، فيه العقيدة والنظام والمنهج كثلاث كحلقات منسجمة مع بعضها، مؤكداً على كمال الإسلام من جهة واصالته واستقلاليته من جهة ثانية، بحيث لايحتاج الإسلام الإقتباس من الشرق أو الغرب كما وضّح تميز المنهج الإسلامي عنها بالكمال والأفضلية، ولم يطرح الإسلام كمبدأ في مصاف المبادئ الأخرى أو مدرسة في مصاف المدارس الأخرى (كالرأسمالية والماركسية) بل طرحه كمنهج صاحب أحقية يستمدها من أفضلية الموضوعية والمصدرية، وعلى هذا الأساس هاجم المدارس الفكرية الإجتماعية الأخرى، ولم يقف منها موقف المقارنة السلمية التي عقدها مفكرون آخرون.

وقدّم في هذا الإتجاه كتاب «فلسفتنا» الذي وظفت فيه الفلسفة للدفاع عن العقيدة الاسلامية، حين رسم من خلال موضوعاتها الصورة الصحيحة لأخطر قضية حياتية قائمة في مسيرة الإنسان العلمية والأخلاقية والسلوكية، وهي طريقة التفكير عند الإنسان من حيث المنهج في الفهم والعرض والتبليغ، و بحث فيه كل المسائل الشائكة بشأن الكون والحياة والإنسان والمجتمع والدولة والنظام، بأسلوب واضح وشيّق.

حتى أن الأستاذ «أكرم زعيتر» السياسي الاردني المعروف علّق على هذه الدراسة بقول:

وبعد فأنّ كتاب فلسفتنا هو دراسة موضوعية في معترك الصراع الفكري القائم بين مختلف التيارات الفلسفية، وخاصة بين الفلسفة الإسلامية والمادية الديالكتيكية الماركسية، وهذه الدراسة

تنسم بالدفاع المنطقي الحارعن الميتافيزيقية الالهية، حتى يمكن القول أن الكتاب هو جهد فلسفي منطقي موفق لنسف الأسس الفلسفية للإلحاد. وانني اعتقد أن المادية الديالكتيكية الماركسية لم تجابه بمناقشات فلسفية واعية فاهمة، ولم تقرع بردود علمية من قبل كتّاب العرب المتفلسفين كما جوبهت، وكما قرعت بهذا الكتاب.

ويأتي في سياق تقديمه الإسلام للأمة ضمن هذا الإتجاه الشمولي الكلي كلماته التي كتبها لمجلة الأضواء النجفية تحت عنوان (رسالتنا)، فعرّفها للناس على أنها رسالة خالدة متطورة تستجيب لمطالب الزمن وتبدلاته وهي انسانية عالمية لا تعرف حدوداً اقليمية أوصيغاً قومية، وهي انقلابية تغييرية لا تقر من القيم الشائعة إلاّ ما كان منها يأتلف ومبادئ العقيدة السليمة، وهي قادرة على حل مشكلات الإنسان المتنوعة التي تضاعفت بسبب تغربه عنها و اقصائها عن التصدي اليومي لشؤون الحياة العامة.

كما أنها قاعدة للوحدة الحقيقية الإجتماعية **«هذه الوحدة التي دعا الله تعالى عباده المتقين الى تحقيقها، فهي ليست وحدة المصالح، وليست تقوم على الإرغام، وانما تنبع من القلوب المؤمنة بالله والعاملة له، فهي وحدة تتفق وواقع الكائن الإنساني، حيث تترك له مجاله وشخصيته وتهيء له جميع وسائل النمو والتفتح وتوازن بين طاقاته، فلا تغلب فيه طاقة على طاقة واستعداد على استعداد. فالاسلام ينظم مصالح الأفراد والطبقات والمصالح العامة، ويوفرها الإنسجام والتناغم، فلا تتصادم فتؤدي بالمجتمع الى التصدع والإنحلال»**[6].

٣ ــ العملية:

لقد تعامل الشهيد (رض) مع الفكر الإسلامي تعاملاً عملياً واقعياً بعيداً عن النظرة المثالية، معتبراً إياه ذا وظيفة اجتماعية يستهدف اصلاح المجتمع، واقامة نمط من الحياة الفاعلة على أساسه، وسط الصراعات الآيدلولوجية التي اجتاحت العالم في القرن الحالي، كما استهدف تربية جيل من الناس على هذه المفاهيم أملاً في احياء الجذوة الإسلامية التي طمسها الإستكبار العالمي عن طريق الغزو العسكري لبلادنا، يقول رحمه الله في مقدمة كتابه فلسفتنا: **«غزا العالم الإسلامي منذ سقطت الدولة الإسلامية صريعة بأيدي المستعمرين سيل جارف من الثقافات الغربية القائمة على أسسهم الحضارية، ومفاهيمهم عن الكون والحياة والمجتمع فكانت تمد الإستعمار امداداً فكرياً متواصلاً في معركته التي خاضها للإجهاز على كيان الأمة وسر أصالتها المتمثل في الإسلام.**

ووفدت بعد ذلك الى أراضي الإسلام السلبية، أمواج أخرى من تيارات الفكر الغربي ومفاهيمه الحضارية، لتنافس المفاهيم التي سبقتها الى الميدان، وقام الصراع بين تلك المفاهيم الواردة على حساب الأمة وكيانها الفكري والسياسي الخاص.

وكان لابُدّ للإسلام أن يقول كلمته في معترك هذا الصراع المرير، وكان لابُدّ أن تكون الكلمة قوية عميقة، صريحة واضحة، كاملة شاملة للكون والحياة والإنسان والمجتمع والدولة والنظام، ليتاح للأمة أن تعلن حكمة (الله) في المعترك، وتنادي بها وتدعو العالم اليها كما فعلت في فجر تاريخها العظيم»[7]

وهكذا فهو يدعو العالم الى كلمة الله المتمثلة بالرسالة الخاتمة ليعود المجتمع الى وضعه

التاريخي العظيم زمن رسول الله (ص)، ومن أجل توضيح معالم التعامل في المجتمع الإسلامي وأسلوب العلائق بين الناس، قدم للعاملين
١ دراسات عملية وافية تبسط لهم هذا السبيل، وكان سفره النفيس «اقتصادنا» محطة شاخصة على هذا الشوط، كما كان ينوي رحمه الله اصدار «مجتمعنا» دراسة أخرى يتناول فيها أفكار الإسلام عن الإنسان وحياته الإجتماعية وطريقه في تحليل المركب الإجتماعي و تفسيره، ليخلص بعد ذلك الى مرحلة ثالثة من الكتابة، تشمل النظم الإسلامية للحياة التي تتصل بأفكار الإسلام الإجتماعية و ترتكز على صرحه العقائدي الثابت.[٨] نأمل ان تخرج الى حيز الواقع بجهود تلامذته الذين واكبوا جمع تراث الشهيد الكبير ليستفيد منها مجتمع الإسلام والدولة الإسلامية.

لقد عرض الشهيد الصدر (قدس سره) النظرية الإقتصادية الإسلامية في كتابه اقتصادنا بشكل عملي و واقعي، معتمداً في عرضه ذلك على استيعابه الرائع لمفاهيم وقيم ومبادئ الرسالة الاسلامية، مستفيداً من موقعه الإجتهادي في الحوزة العلمية بما مكّنه من صياغة أطروحة ناضجة ومتكاملة للبنية الإقتصادية كما يريدها الإسلام. وهنا أنقل لكم فقرة من فقرات كتابه، لنرى كيف يربط رحمه الله بين المعتقد التوحيدي في شخصية الإنسان المسلم والإنتاج الإقتصادي. **يقول (قدس سره):**

«فنظرة انسان العالم الإسلامي الى السماء قبل الأرض يمكن أن تؤدي الى موقف سلبي تجاه الأرض ومافي الأرض من ثروات وخيرات يتمثل في الزهد أو القناعة أو الكسل إذا فصلت الأرض عن السماء، وأما اذا ألبست الأرض إطار السماء وأعطي العمل مع الطبيعة صفة الواجب ومفهوم العبادة، فسوف تتحول تلك النظرة الغيبية لدى الإنسان المسلم الى طاقة محركة وقوة دفع نحو المساهمة بأكبر قدر ممكن في المستوى الإقتصادي. وبدلاً عما يحسه اليوم المسلم السلبي من برود تجاه الأرض أومايحسه المسلم النشط الذي يتحرك وفق أساليب الإقتصاد الحر أو الاشتراكي من قلق نفسي في أكثر الأحيان ولوكان مسلماً متميعاً سوف يولد انسجام كامل بين نفسية انسان العالم الإسلامي ودوره الإيجابي المرتقب في عملية التنمية».[٩]

لقد ربط رحمه الله الجهد البشري المبذول في كل المجالات، بالقيمة الغائية التي يسعى الإنسان الى تحقيقها، فقد أعطى الشريعة الإسلامية بشروحاته هذه وأطروحاته صفة تطبيقية في عصر اتهمت فيه هذه الشريعة بالرجعية والجمود أو في أحسن أحوالها بالمثالية والطوبائية.

و بذلك يكون قد وظف الجوهر الحيوي المتحرك في الإسلام و بشكل تفصيلي في حياة الفرد المسلم والمجتمع الإسلامي. لذا حين نقرأله رسالته العملية التي طرحها لمقلديه، نجده يختلف تمام الإختلاف عن غيره في أسلوب كتابتها الميسرة لغير المختصين بالدراسات الفقهية من عموم الناس، مبتعداً قدر الإمكان عن استعمال الكلمات الغريبة والقديمة، وان هو اضطر الى استعمالها في معانيها الإصطلاحية، نراه يبادر الى شرحها و كشف معانيها.

وحين يخطط لكتابة هذه الرسالة، نجده يستعمل تقسيماً جديداً لمباحث أحكامها، تتوافق تماماً مع نظرته العملية للشريعة

الإسلامية، مما تجعل الرسالة أكثر يسراً في تداولها بين أولئك المقلدين. فقد اشتمل القسم الأول منها على أحكام العبادات، والقسم الثاني على مبحث أحكام الأموال وهو يشتمل على الأموال العامة والأموال الخاصة، والقسم الثالث يحتوي على السلوك الخاص، أما القسم الرابع فيحتوي على السلوك العام[10]

وهو انما يكتب رسالة «الفتاوى الواضحة» لـ«الرسائل العملية ـ المتداولة ـ لم تعد تدريجاً بوضعها التاريخي المألوف كافية لاداء مهمتها، بسبب تطور اللغة والحياة، والأحكام الشرعية بصيغتها العامة وإنْ كانت ثابتة، ولكن أساليب التعبير تختلف وتتطور من عصر الى آخر، و واقع الحياة تتجدد وتتغير وهذا التطور الشامل في مناهج التعبير و وقائع الحياة، تفرض وجوده على الرسائل العملية بشكل و آخر.

والمصطلحات الفقهية التي تعتمد عليها الرسائل العملية غالباً للتعبير عن المقصود، قد كان من مبرراتها تاريخياً اقتراب الناس سابقاً من تلك المصطلحات في ثقافتهم، بينما ابتعد الناس عنها اليوم وتضاءلت معلوماتهم الفقهية حتى أصبحت تلك المصطلحات على الأغلب غريبة تماماً.

وعرض الأحكام من خلال صور عاشها فقهاؤنا في الماضي، كان أمراً معقولاً، فمن الطبيعي أن تعرض أحكام الإجارة مثلاً من خلال افتراض استئجار دابة للسفر، ولكن اذا تغيّرت تلك الصور، فينبغي أن يكون العرض لنفس تلك الأحكام من خلال الصورة الجديدة، ويكون ذلك أكثر صلاحية لتوضيح المقصود للمقلد المعاصر.

والوقائع المتزايدة والمتجددة باستمرار، بحاجة الى تعيين الحكم الشرعي، ولئن كانت الرسائل العملية، تاريخياً، تفي بأحكام ماعاصرته من وقائع: فهي اليوم بحاجة الى ان تبدأ تدريجاً باستيعاب غيرها مما تجدد في حياة الانسان».[11]

وعلى العموم فأن الشهيد الصدر قدّم الإسلام لقرائه ومقلديه ديناً عملياً يعالج مشاكل العصر، و يذلل في طريقه مستجدات الصعاب.

٤ ـ الإيجابية الثورية:

لم يقدّم الشهيد المرجع النظرية الإسلامية لقرائه على أنها مجرد نظرية متكاملة وغنية يستفيد منها الباحثون والكتاب ومدرسو الثقافة الإسلامية فحسب، بل قدّمها كثورة مغيرة و انقلاب جذري للواقع الاجتماعي المعاصر باتجاه القيم والمفاهيم التي بلورها وجسّدها وانتزعها من صميم الإسلام كعلاج ناجع للأدواء والأمراض الإجتماعية والأخلاقية والسياسية والإقتصادية والروحية التي أُصيب بها من جراء الركض المستمر والإنبهار اللامحدود بالحضارة المادية.

لقد حدد الشهيد (قدس سره) المسار الجديد للحركة الإلهية في صلب الواقع الإجتماعي، واعتبر هذا التجديد امتداداً لنضال وكفاح كل الأنبياء والرسل باتجاه تحكيم المبادىء الإلهية العادلة في المجتمعات التي بعثوافيها. كما اعتبر العمل التغييري الجذري للمؤسسات الاجتماعية والوضع الاجتماعي العام للأمة بما فيها الأفراد كعناصر مؤثرة في الحركة الإجتماعية، موضوعات ذات بعد عملي ومؤثر في أي تغيير اجتماعي وسياسي مقصود، لذلك كان يؤكد على أهمية وقيمة الآيتين الكريمتين «**لايغير الله ما بقوم حتى**

يغيروا ما بانفسهم» و«ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم». ولذلك فأنه يلخص الفكرة الإسلامية في الرسالة الإسلامية على أنها «فكرة انقلابية ثورية لأنها تصع للإنسان قواعده الرئيسية التي تتبلور طبقاً لها شحصيته الروحية والفكرية من نظرة عامة نحو الحياة والكون ومقياس عملي أعلى في الحياة وطريقة عقلية عامة في التفكير ثم تقيم المجتمع على أساس تلك الأسس التي كونت فيها شخصية الإنسان الكاملة. فالمسألة في نظر الإسلام هي صنع انسانية بخصائصها الروحية والفكرية التي تتيح لها القيام بأعبائها ورسالتها في العالم، وليست ترميماً واصلاحاً لجانب اجتماعي فقط». ١٢

وعمل رحمه الله على تربية الطليعة الرائدة من رجال الحركة الإسلامية في العراق و بعض البلاد الإسلامية الأخرى على نهجه الحركي الإيجابي هذا، حتى نمت الثورة الإسلامية في نفوسهم و نفوس الناس من حولهم، فصارت اليوم ناراً تأكل الطغاة وتؤرقهم، و مصنعاً يصنع الغد الإسلامي للأمة التي عرفت طريق خلاصها ونجاتها.

فالشهيد محمد باقر الصدر (قدس سره) هو مؤسس الفكر الثوري في الحوزة النجفية الحديثة، و باني صرح الحركة الإسلامية في العراق و باعث أطروحة القيادة المرجعية بأسلوبها الموضوعي.

هذه الصروح الثلاث هي من نتائج النظرة الإيجابية الحركية والثورية للإمام الراحل، وهي انقلاب واضح على الإتجاهات السلبية واللاثورية التي سادت الى أمد معين أجواء الأمّة والحوزة والمرجعية.

و بادر (رحمه الله) في هذا العصر المظلم من حياة التغرب والإغتراب لأمّتنا الى تحفيز الأجواء المحيطة به للعمل على صنع مستقبل يقوم على قواعد العدل الإلهي بالدعوة الى إنشاء حكومة إسلامية تكون امتداداً واعياً للحركة الإلهية التي جسّدها الأنبياء والمرسلون على طول مسار التاريخ. فهويرى «أن الأنبياء ظلوا يواصلون بشكل وآخر دورهم في بناء الدولة الصالحة، وقد تولى عدد كبيرمهم الإشراف المباشر على الدولة كداود وسليمان وغيرهما وقضى بعض الأنبياء كل حياته وهويسعى في هذا السبيل كما في حالة موسى (ع) واستطاع خاتم الأنبياء (ص) أن يتوّج جهود سلفه الطاهر بإقامة أنظف وأطهر دولة في التاريخ شكلت بحق منعطفاً عظيماً في تاريخ الإنسان وجسدت مبادئ الدولة الصالحة تجسيداً كاملاً ورائعاً.

وعلى الرغم من أن هذه الدولة قد تولاها في كثير من الأحيان بعد وفاة الرسول الأعظم قادة لايعيشون أهدافها الحقيقية، ورسالتها العظيمة، فأن الإمامة التي كانت امتداداً روحياً وعقائدياً للنبوة وريثاً لرسالات السماء مارست باستمرار دورها في محاولة تصحيح مسار هذه الدولة واعادتها الى طريقها النبوي الصحيح، وقدم الأئمة عليهم السلام في هذا السبيل زخماً هائلاً من التضحيات التي توجها استشهاد أبي الأحرار وسيد الشهداء أبي عبدالله الحسين مع الصفوة من أهل بيته وأصحابه في يوم عاشوراء. وقد امتدت الإمامة بعد عصر الغيبة في المرجعية كما كانت الإمامة امتداداً بدورها للنبوة وتحملت المرجعية أعباء هذه الرسالة العظيمة، وقامت على مرّ التاريخ بأشكال مختلفة من العمل في هذا السبيل أو التمهيد له بطريقة أخرى.

وقد عاش العالم المسلم الشيعي دائماً مع كل

الصالحين وكل المستضعفين من أبناء هذه الأمّة الخيرة، عيشة الرفض لكل ألوان الباطل والإصرار على التعلق بدولة الأنبياء والأئمة، بدولة الحق والعدل التي ناضل وجاهد من أجلها كل أبرار البشرية وأخيارها الصالحين.[13]

ويرى الشهيد الصدر بأن الشعب الايراني المسلم إنما يشكل القاعدة الكبرى لهذا الرفض البطولي والثبات الصامد على طريق دولة الأنبياء والأئمة والصديقين باعتباره الجزء الأكثر التحاماً مع المرجعية الدينية وأسسها المذهبية.

وبفضل هذا الإلتحام الرائع بين القاعدة الرافضة والقيادة الحكيمة التي تجسّدت بشخص الإمام الخميني دام ظله استطاع أن تطيح بطاغوت ايران وبكل المصالح الإستكبارية التي كان يمثلها فيها.

ومن هنا كان طرح المرجعية الرشيدة للجمهورية الإسلامية شعاراً وهدفاً وحقيقة، وتعبيراً حياً عن ضمير الأمّة وتتويجاً لنضالها، وضماناً لاستمرار هذا الشعب في طريق النصر الذي شقه له الإسلام.

فالمرجعية بمنظار الشهيد الكبير تعني، «**حقيقة اجتماعية موضوعية في الأمة تقوم على أساس الموازين الشرعية العامة، وهي كتطبيق تتمثل فعلاً في المرجع القائد للثورة الإسلامية الذي قاد الشعب قرابة عشرين عاماً وسارت الأمّة كلها خلفه حتى حقق النصر.**

واما كمفولة عليا للدولة الإسلامية على الخط الطويل فهو يرى أن تتوفر في الشخص الذي يجسد هذه المقولة:

١ ــ صفات المرجع الديني من الإجتهاد المطلو والعدالة.

٢ ــ أن يكون خطه الفكري من خلال مؤلفاته وأبحاثه واضحاً في الإيمان بالدولة الإسلامية وضرور حمايتها.

٣ ــ أن تكون مرجعيته بالفعل في الأمّة بالطرو الطبيعية المتبعة تاريخياً.

٤ ــ أن يرشحه أكثرية أعضاء مجلس المرجعية ويؤيد من قبل عدد كبير من العاملين في الحقول الدينية كعلماء وطلبة الحوزة وعلماء ووكلاء وأئ مساجد وخطباء ومؤلفين ومفكرين اسلاميين ـ وفي حالة تعدد المرجعيات المتكافئة من ناحية هذ الشروط يعود الى الأمّة أمر التعين من خلال استفتا شعبي عام».[14]

وهكذا ختم الشهيد حياته الزاخرة بالعل والعطاء وهو يجسّد المفاهيم الحية التي استنبطه من واقع الإسلام العظيم، فكان رجل تنظ وفكر، كما كان رجل ثورة وجهاد، مثلما كا المرجع والفقيه.

وهل كان يليق بمثله إلاّ ان يموت موتته؟

فالذي قاد شعبه الى الصراع مع الباط والطغيان، وأنصهر وهو المرجع المفكر بكا خصوصياته وميزاته في شخص قائده العظيم إما الأمّة ووليه الفقيه الذي رأى وجوب طاء باعتباره رائد المسيرة وزعيمها، وطلب من شع أن يذوبوا في الإمام لأنه ذاب في الإسلام و من أجله. فسلام عليك أيها الفقيد الفقيه يو ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حياً

الهوامش

١ ــ الاسلام يقود الحياة للشهيد الصدر ص ١٤١.

٢ ــ الإنشقاق: آية ٦.

٣ ــ الاسلام يقود الحياة للشهيد الصدر.

٤ ــ يمكنكم الرجوع الى مقالة (الجانب الحركي في شخصية الشهيد الصدر) مجلة الجهاد العدد الخامس السنة ٢ ـ ١٤٠٣هـ .

٥ ــ مجلة الأضواء الإسلامية السنة الأولى ــ العدد الأول ١٣٧٩هـ . نقلاً عن صحيفة الحياة البيروتية.

٦ ــ رسالتنا ص ٣١.

٧ ــ فلسفتنا ص ٦.

٨ ــ اقتصادنا ص ٢٧ مقدمة الطبعة الأولى.

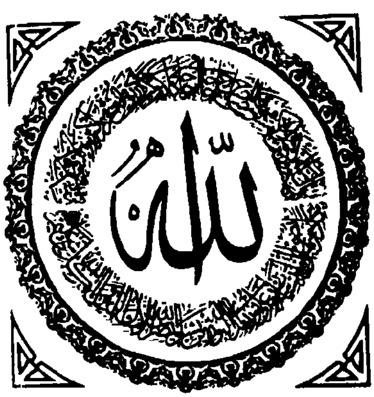
٩ ــ اقتصادنا ص ٢٢ من مقدمة الطبعة الثانية.

١٠ ــ الفتاوى الواضحة ص ٩٩ المقدمة.

١١ ــ الفتاوى الواضحة ــ المقدمة.

١٢ ــ رسالتنا ص ٦٤.

١٣ ــ الاسلام يقود الحياة ص ٦.



المستضعفون في امريكا

بقلم: استاذ أمريكي مسلم

١ــ في الولايات المتحدة الامريكية يعيش حوالي ٢٣٥ مليونا من الناس، ثلثهم من الفقراء المستضعفين. و يشكل الزنوج نصف هذا الثلث و هم في أسفل دركات المجتمع الامريكي، و يشكل النصف الآخر «الملونون» و هم المهاجرون من أمريكا اللاتينية أو آسيا أو افريقيا . أما الزنوج فهم يرزحون تحت نير الإستعباد المفروض عليهم من قبل البيض. وهم، بالرغم من جميع الإدعاءات بتحريرهم، مازالوا يعانون من الفقر و الإستغلال و العطالة عن العمل و الإنحطاط والتسوّل وتعاطي المخدرات وتفشي الإجرام مما يضعهم في منزلة الحيوانات. واما «الملونون» فهم يعملون كالعبيد لنيل قوتهم ولايفلحون، و لايستطيعون العودة لبلدانهم، و هم مرغمون على عيشتهم عيشة ضنكا، دون أمل، و لايأخذون من الحضارة الأمريكية إلاّ سمومها ترياقاً وترفيهاً عن المرارة التي يحيونها.

٢ــ هؤلاء المستضعفون الأمريكيون، سواء كانوا زنوجاً أم ملونين، يدينون بالمسيحية في شتى فرقها. ولكن المسيحية دين مفلس. فهم عرفوا من العصر الحديث التشكك الذي ينفي وجود الله سبحانه، و وجود العدل و الأخلاق، فلايؤمنون بالمسيحية، وان سجلتهم كنائسها كاعضاء، بل هم يكرهون قساوستها و يحتقرونهم، وإنْ دفعهم حبهم للتساوي مع البيض الى ارسال أبنائهم و بناتهم وزوجاتهم الى الكنيسة. و معظم الكنائس في الأحياء الفقيرة من المدن، خربة معروضة للبيع بأتفه الأثمان. بل اكثر من ذلك:

فأصحاب الحس والضمير والمعرفة فيهم يؤمنون يقيناً بأنّ الكنيسة هي سبب شقائهم لما القته عليهم من تعاليم الإستسلام والخنوع. فالمسيحية في نظرهم هي حقاً ما قاله كارل ماركس عن الدين معتبراً خبرتهم فقط ــ انها أفيون الشعوب.

٣ــ نشأ الاسلام بين الزنوج بفضل قوتين (بعد إرادة الله سبحانه وتعالى):

الأولى: الدعوة التي قام بها المهاجرون المسلمون. و قد كانت بطيئة غير فعّالة، تعتمد على الإتصال الشخصي، وأدت الى تكوين جماعات صغيرة، منكبة على نفسها في غالب الأحيان، ومقفولة على أعضائها، اتخذت لنفسها كل واحدة على حدة داراً صغيرة جعلتها مسجداً وبيتاً لزعيمها الذي يؤم الصلاة فيها.

الثانية: الدعوة العنصرية التي قام بها اليجا محمد في المدة ما بين الحرب العالمية الثانية وأوائل السبعينات الميلادية. فقد حاول ادخال اخوانه الزنوج في الإسلام عن طريق توعيتهم بأنّ المسيحية ليست دينهم الأصلي، بل فرضها المستعبدون عليهم، كما أسموهم بأسمائهم المسيحية، وان دينهم وهويتهم الأفريقية الأولى كانت الإسلام و دخل من الزنوج من كلا النوعين في الإسلام مايقرب من مليونين.

٤ــ وفي أمريكا ــ اليوم ــ ما يقرب من مليوني مهاجر مسلم من العالم الإسلامي، رحلوا اليها واستوطنوها هرباً من بلادهم ــ من فقرها وطواغيتها ــ وأكثرهم متعلّمون علوم عالية و موهوبون بإرادة متفوقة لرفع مستواهم. و منهم من حمل راية الإسلام عالية في موطنه القديم أو في مهجره، ومنهم من ماع وانحلّ في المجتمع الإمريكي.

٥ــ والدعوة الإسلامية في امريكا مازالت في طفولتها، وليس لها مركز يخطط، وعقل يدبر، ومعهد يدرب، وأدب مكتوب. فان انتشر الاسلام بين الأمريكان وارتفع له صوت في امريكا، فمن المؤكد ان ذلك من فعل الله سبحانه، لامن فعل العباد. مع انه من المؤكد أيضاً ان سبعين مليوناً من البشر يتطلعون و يتحسسون الى دين جديد يرفعهم من عذابهم وسقمهم وتراخيهم، و يتشوقون لدين جديد يحفّزهم على النهوض بأنفسهم، لدين جديد يربطهم بمستضعفي العالم، ويجعل لهم كياناً، ويجعلهم أمة. حتى المتعلمين والمثقفين والأثرياء منهم، يريدون ديناً جديداً يُعتمد عليه في بناء مجتمع جديد. لقد جرّبوا المسيحية وكنائسها وقساوستها، فوجدوهم جميعاً إمّا مفسدين مقعدين كأنفسهم، أو أذناباً لأصحاب رأس المال المستغلين المستكبرين.

٦ــ ومن حقائق ووقائع أمريكا التي لاسبيل لإنكارها انه لو دخل نصف أولئك المستضعفين في الدين الإسلامي، وتثقفوا بثقافته، لاستطاعوا ان يشلوا حركة المارد الأمريكي بسهولة. ذلك انهم سيشكلون العنصر أي الصوت المرجح في جميع الإنتخابات، بمافيه التصويت في الكونجرس على أي مشروع من مشاريع الحكومة الأمريكية. فلاحرب ولامساعدة لإسرائيل ولا ارسال جنود ولااسناد مساعدة مالية أو اقتصادية أو عسكرية لأحدٍ إلاّ

بموافقتهم. بل لادخول لأحدٍ الى البيت الابيض ورئاسة الدولة إلاّ بترجيحهم. ولو قلنا جدلاً ان في هذه الحالة سيتوقف الدستور الأمريكي عن العمل وسيجمع الجمهوريون والديموقراطيون على التعاون مع بعضها البعض ضد المسلمين، فالمسلمون ـ لانهم المستضعفون، ساكنو المدن الكبرى وفي أواسطها الخربة ـ يستطيعون أن يشلوا حركة أمريكا بتوقفهم عن العمل، أو بمظاهرة يسيرون بها في شوارع المدينة، أو في قعودهم في الطرقات دون حركة. واذا حاربهم المسيحيون عندئذ هددوا الحضارة والكيان الامريكي برمته.

٧ــ وهل من سبيل لإدخال عشرين أو ثلاثين أو أربعين مليوناً من مستضعفي أمريكا في الإسلام؟ وذلك بمدة معقولة يمكن للتخطيط الإنساني أن يحيط بها؟ وللطاقة المسلمة أن تقوم بها وتحملها الى الإكتمال والنجاح؟

الجواب: نعم، وذلك سهل هين اذا قيس بالمآسي التي ينزلها الشيطان الأمريكي بالمسلمين كل يوم في بقاع الأرض. وذلك رخيص جداً اذا قيس بثروات المسلمين الهائلة التي يستنزفها الشيطان كل يوم في حروبه المفروضة والمفتعلة. فالسبيل هو الدعوة الإسلامية المنظمة.

أعني بالمنظمة، تلك الدعوة التي لها معهد تعليمي يستقطب الأذكياء من أبناء و بنات المستضعفين الأمريكان، و يعلمهم و يدربهم لسنوات، و يبثهم في المجتمع الأمريكي كي يقوموا هم بدعوة الأمريكان أهاليهم للدخول في دين الله. وما من داعية من العالم الإسلامي يستطيع ان يجاري مايقوى عليه هؤلاء الخريجين من بلاغة الكلام و بديهة المعالجة ومعرفة العقلية المخاطبة. فليست الدعوة بناء أو تعمير مسجد، ولا توزيع مجلة أو نشرة، ولاابتعاث الشيوخ أو مقرئي القرآن، وليست، كما فعلته الدول الإسلامية حتى الآن، تعيين أو مساعدة إمام مسجد.

٨ــ في التاريخ، فجوات يدخل منها ذوو الرؤية الحضارية الذين تبينوا حركة التاريخ فيقلبونه على عقبيه. وقد هيأ لنا الله سبحانه وتعالى هذه الفرصة للوصول الى قلب الشيطان وطعنه. فذيتهم مفلس، وحالتهم يائسة، ونفوسهم متعطشة. فاذا ارسلنا فيهم بضع مئات من الدعاة كل سنة على عشر سنين أو عشرين سنة، ونجحنا في ادخالهم في الدين الحنيف، كلهم أو بعضهم أو بعض بعضهم، من عشرة الى عشرين مليوناً على أقل تقدير، كان لنا مانصبو اليه من شل حركة الشيطان. وان صح تفاؤلنا بنصر الله وعونه، كان لنا ان نحوّل شر الشيطان الى خير.

٩ــ فهل من مشارك في هذه الرؤية؟ وهي رؤية عدد كبير من الدعاة الإسلاميين في أمريكا اليوم. وهي أيضاً رؤيتي بعد قضاء أكثر من ثلاثين عاماً في التحرك في المحيط الأمريكي في أوساطه الجامعية والدينية على أنواعها والاسلامية.

١٠ــ حسبنا الله ونعم الوكيل. وهو ولي التوفيق والهداية والحمد لله أولاً وآخراً. والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

السيد كمال المبدر/السويد

موضوع يتناول بعض الحالات في المجتمع السويدي والتي تظهر كما هو الحال في المجتمعات العربية الأخرى نتيجة لانحطاط الثقافة ووجود أفكار وعقائد مادية تافهة وعدم توفر عقائد تأخذ بيد الإنسان نحو السمو والكمال. وقد ارتأينا ان نقدّمه على حلقات.

الحلقة الثانية
الأمن النسائي

«إنَّ أسوأ أرقام مجتمعنا السويدي، هي تلك الأرقام المتعلّقة بالعنف ضد النساء. فكل سنة، تسجل عشرة آلاف حادثة اغتصاب، و ٣٠٠ الف حالة اعتداء على الأقل. في كل سنة تقع ٣١٠/٠٠٠ واقعة عنف ضد النساء وبمعدل ٨٥٠ حالة في اليوم الواحد»

ـ صحيفة افتون بلادت ٦ اغسطس ١٩٨٢ـ

«تدلُّ التقديرات، ان ٨٠٠ إمرأة تعذّب كل ٢٤ ساعة في السويد، لكن نسبة صغيرة من حالات التعذيب، تؤدي الى مثول الرجل أمام التحقيق وأمام المحكمة،فمعظم النساء لايجرأنَ على مجرد تقديم شكوى بالخصوص،واذاقدّمت بعض النساء الشكوى فإنَّ غالبية هذا البعض تسحب الشكوى بعد يوم أو يومين».

ـ صحيفة افتون بلادت ٢٢ اغسطس ١٩٨٢ـ

«إنَّ لحوادث تعذيب النساء وحوادث الإغتصاب، نسبة عالية جداً من التعتيم، إذْ ان الشكاوى التي تقدم للشرطة لا تمثل إلاَّ بعض الحالات التي تقع. وقد حاول مختلف المراقبين، تقدير العدد الواقعي لتلك الحالات. وافادت بعض التوقعات عن وقوع ٣٠٠ الف حادثة تعذيب و ٦٠ الف حادثة اغتصاب كل عام في السويد».

ـ صحيفة سفنسكا داغبلادت ٢٤ اكتوبر ١٩٨٢ـ

«٣٠٠ الف إمرأة تضرب كل سنة في السويد. فقط ٥٠٠٠ إمرأة تتقدم بشكوى للشرطة، ونصف هؤلاء، أي ٢٥٠٠ إمرأة تسحب شكواها».

ـ صحيفة اكسبرس ٢٢ اغسطس ١٩٨١ـ

«و يقول المفتش الجنائي» سفن اولا كالبريس «ان العنف ضد النساء يتصدر سائر المخالفات القانونية، و يقول معربا عن إستيائه: إنَّ مايحدث الآن يعارض تلك المحاولات المكثفة التي بذلت في بداية عقد السبعينات لتحقيق المساواة بين الرجل والمرأة. إذ يبدو وللأسف ان الزمن لم يتطور داخل البيوت، والرجل مازال يعبر عن تفوقه الجسدي باسلوب مرعب، وأكثر مايثير الرجل لمثل هذا التصرف هو استفزاز بسيط من زوجةٍ أو خليلة حصلت على قدر يسير من المساواة».

ـ صحيفة افتون بلادب ٩ سبتمبر ١٩٨١ـ

«و يقول الخبير النفساني لارش لورنتزون ان الإعتداء على النساء ظاهرة تعكس ضعف الرجال المعتدين وليس قوتهم. ومن المهم ان لاننظر الى ظاهرة العنف ضد النساء على انها نتيجة لتسلط الرجال على النساء، و إنَّما العكس».

ـ صحيفة افتون بلادب ٩ سبتمبر ١٩٨١ـ

و تقسّم الخبيرة النفسانية «بار برو لينير اكسلسون» الرجال الذين يعتدون على زوجاتهم وخليلاتهم الى ثلاث فئات:

ـ فئة عاشت في جو ملؤه العنف، وشبّت على الروح العدائية منذ الصغر، وعانت منذ طفولتها من التعرض للضرب، فأصبح الضرب والإعتداء وممارسة العنف الوسيلة الأنجح بنظرهم لحل المشاكل.

ـ وفئة ثانية تتألف من أُولئك الذين لم يتقبلوا حركة تحرر المرأة، فيحاولون التضييق على المرأة التي تحمل أفكارها الخاصة وتطلعاتها الشخصية.

ـ والفئة الثالثة تتألف من أُولئك الرجال الذين يشعرون ان الزوجة أو الخليلة تهددهم بالطلاق أو الإنفصال. وهم يمومون في لحظات يغلب عليها الندم أو الفزع بممارسة العنف كي يشعروا بنوع من التفوق والغلبة».

ـ صحيفة افتون بلادب ٩ سبتمبر ١٩٨١ـ

«إنَّ الرجال الذين يقدمون على اغتصاب النساء، رجال ضعفاء. هم ضعفاء نفسياً بشكل عام، وضعفاء في رجولتهم بشكل خاص. وضعفاء في خلفياتهم الثقافية والتربوية. هذه هي نتيجة البحث الذي قامت به عالمتان نفسانيتان حول ٦٠ رجلاً حوكموا بتهمة الإغتصاب. وظهر من البحث ان للعديد من الرجال، مواقف عدائية تجاه النساء، وذلك لأنَّ دور الرجل في المجتمع وداخل العائلة كان دوراً مسيطراً. وكذلك كان دوره على الساحة الجنسية بسبب التقاليد من جهة و بسبب ارتباط الحياة الجنسية للرجل بالإنفعالات التلقائية الهجومية. وخلال فترة جيل واحد، تضعضع دوره

الإجتماعي والجنسي. وربما لم يعط سعي المرأة من أجل المساواة، تلك النتائج الإيجابية التي تمنّاها الكثيرون. لكن المؤسسات والأعراف الإجتماعية، تغيّرت جذرياً بشكل أضعف من هوية الرجل الإجتماعية والجنسية «وقد تمنّى العديد من الرجال في بداية الأمر هذا التحول، إلاّ ان فئة منهم، راحت تشعرانها مهددة، وانها غير آمنة، وان مراكزها مزلزلة حيال تثبيت المرأة لمراكزها هي على حسابهم».

ـ صحيفة افتون بلادت ٣١ مارس ١٩٨٣ ـ

«وقد تقدّمت لجنة خاصة في وزارة الشؤون الإجتماعية باقتراح مفاده ادراج موضوع الإعتداء على النساء ضمن البرامج الدراسية في مدارس السويد. وتقول اللجنة: «اننا نريدان يصبح الإعتداء على النساء مادة دراسية في مختلف المستويات التعليمية». وقد خصصت الحكومة مبلغ مليون كراون من ميزانية عام ١٩٨٢ـ ١٩٨٤ لنشر المعلومات الكفيلة بمكافحة الإعتداء على النساء».

ـ صحيفة اكسبرسن ٣٠ مارس ١٩٨٣ ـ

«وتقول (ماري فانت) من مؤسسة RFSU وهي إمرأة عملت لعدة سنوات في مسائل الجنس ومسائل العلاقات بين الجنسين: «إنّ ما يحدث، يدلّ بوضوح على انه ليس لدينا من نسائي في هذا البلد. فالرجال غير واثقين من نفسهم، و يشعرون بالخوف من النساء. وهذا لخوف يخلق نوعاً من الكراهية تجاه النساء. كما ن الصحف الخلاعية تمجّد العنف ضد النساء، وتصور المرأة المستقلة كخطر يهدد الرجال».

ـ صحيفة افتون بلادت ٦ اغسطس ١٩٨٢ م ـ

«وتقع أغلب حالات الإعتداء على نحو مشابه لتلك الحالة التي قام فيها رجل في الأربعين من عمره بالإعتداء على زوجته، إذ بدأت السهرة هادئة مع قليل من الخمر على شرفة المنزل بعد نوم ابنتها البالغة من العمر ٦ سنوات. و بعد تناول كأسين، بدأ الرجل يشعر بالإنزعاج وكذلك الزوجة . ثم راح الزوج يعاتب زوجته لمجيئها الى البيت في ساعة متأخّرة في بعض الليالي الماضية. وفجأة صاح بوجه زوجته قائلاً: لقد ضاجعت غيري». ولمّا حاولت الزوجة تهدئة خاطره، بدأ بضربها على وجهها، فهربت الى الحديقة لتعود فيما بعد ظنّاً منها ان الوقت لعب دوره في تهدئة الزوج الغاضب، لكنها ما أنْ دخلت البيت حتى انهال عليها ضرباً، وحطّم جهاز التسجيل الصوتي على رأسها، وراح يرفسها بكل قونه، ثم طرحها أرضاً، وراح يطرق رأسها في الأرض محاولاً القضاء عليها».

ـ صحيفة افتون بلادت ٩ سبتمبر ١٩٨١ ـ

«و يكون الرجل في ٩٠٪ من حالات الإعتداء، تحت تاثير الخمر»

(نفس المصدر السابق)

«وقد ذكرت إمرأة، ان زوجها غالباً ما يستيقظ في الصباح ليسألها عن ماهية العلامات الزرقاء التي تغطي جسدها، في حين ان العلامات لم تكن إلاّ نتيجة اعتدائه الذي قام به في الليلة السابقة تحت تأثير الخمر».

ـ صحيفة افتون بلادت ١١ يوليو ١٩٨٢ ـ

دراسة في دلالات

التربية الخُلقية في الإسلام ومراحلها

بقلم: الدكتور الحسيني

تمهيد

ليس من مهمة هذا البحث الكلام على الفلسفة الأخلاقية، أو النظريات الفلسفية المتعددة التي تبتني عليها (الأخلاق) أو مايدعى بالانجليزية Ethies أو Moral Philosophy.

كما ليس من مهمته الكلام على الدواعي، أو الدوافع التي تدعوالى (التخلّق)، فهل هي مادية أم معنوية؟ أم هل هي فردية (فطرية) أم يفرضها ضبط المجتمع أو «القانون الاجتماعي»؟، وما الى ذلك من أسباب ونتائج.. إذْ قد أشبعها الدارسون والباحثون درساً وبحثاً ونقداً وتمحيصاً من قديم الأيام، حتى ذهبوا فيها المذاهب، وتعدّدت بهم المشارب، منذ زمن فلاسفة اليونان وحتى زمن الناس هذا. ومازالت هذه المذاهب والمدارس تتشعب وتتنوع حسب نظرة ذلك العالِم أو هذا، وحسب مسلك هذه المدرسة الأخلاقية أو تلك[1].

ولاأريد هنا أن أتحدث عن «أقسام الأخلاق» وأنواعها، فهل هي «ملكات» و «غرائز» و «طبائع موروثة» أم هي «عادات» و «تقاليد» و «طبائع مكتسبة»؟ أم هي منها معاً[2].

وعند الوقوف على هذين القسمين الرئيسين، فهل نعني بالأخلاق، الأخلاق الحسنة، أم الأخلاق السيئة؟ إذ قد استعمل الناس هذا المصطلح بهذه الدلالات المتعددة. فيقال: «الخُلْقُ ـ بسكون اللام وضمّها ـ السجيّة، وفلان يتخلّق بغير خُلقهُ أي يتكلّفه»[3]، كما يُقال: «الخِلْقَة: الفطرة، وفلان خَلِيق لكذا، أي جدير به... والخَلُوق ـ بالفتح ـ ضربٌ من الطِيب»[4].

الواقع ان هذا البحث المختصر المتواضع، يُعنى (بالأخلاق) بمدلولها «العملي الاصطلاحي» وما يُفاد من هذا المصطلح من دلالة عند إطلاقه وهي «الأخلاق الحسنة»

الفاضلة، أوحسب مصطلح أدعية أهل البيت(ع) (مكارم الأخلاق)[5].

إذ يقال: فلان «خَلُوق» و «صاحب أخلاق»، والمراد به ذوأخلاق حسنة، وخلق جَمٌّ رفيع، وذو تربية خُلقية عالية. وهذا هو «الهدف» من إرسال الرسل والأنبياء، المتمثل على لسان رسول الإسلام الأعظم محمد(ص): «إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكارِمَ ٱلأَخْلاقِ»[6]، بل الهدف الأسمى والمنحصر بدلالة «إنّما».

و اما الجانب «العملي» من الأخلاق وتطبيقها، فيتلخص في سيرة النبي(ص) المحمدية، وسيرة أهل بيته الكرام، وقد أشار اليها القرآن الكريم: «وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيْظَ ٱلْقَلْبِ لانفضُّوا مِنْ حَوْلِكَ»[7] و «إِنَّكَ لَعَلىٰ خُلُقٍ عَظِيْمٍ»[8] و «لَقَدْ كانَ لَكُمْ في رَسُولِ ٱللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ»[9]، و كذلك قال النبي(ص) نفسه عن أدبه (أدَّبَني رَبّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبي)[10]، كما أشار القرآن الكريم الى طهارة خُلُق أهل البيت(ع) ونقاوتهم: «إنَّما يُريدُ ٱللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ ٱلبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيْراً»[11]. وَنِعْمَا قال الفرزدق في حقهم:

«إنْ عُدَّ أَهْلُ التُّقى كانوا أئِمَّتَهُمْ
أوقيلَ مَنْ خَيْرُأهلِ ٱلأرْضِ قِيْلَ هُمُ»[12]

فموضوع بحثنا كما يوحي به العنوان، هو: (دلالات التربية الخُلقية في الإسلام ومراحلها). إذ سنتناول بالدرجة الأولى هذه «المراحل» وفق المنظور المشاراليه من مصطلح «الأخلاق» عند إطلاقه، أي (الأخلاق الحسنة) وكيفية تربية الإنسان ــ هذا المخلوق الخليق ــ عليها منذ اللحظات الأولى في حياته، وحتى نهاية المطاف ولا نهاية له، وحتى بلوغ الكمال بعطائه المستمرّ الذي لا ينتهي:

«وَإِنَّما الأُمَمُ الأخلاقُ مابَقِيَتْ
وإنْ هُمُ ذَهَبَتْ أخلاقُهُمْ ذَهَبوا»[13]

إذن موضوع البحث هو أقرب مايكون الى (تربية الأخلاق الحسنة) أو (أخلاق التربية الحسنة): الوسيلة التي يبلغ بها الإنسان المسلم الغاية، بل غاية الغايات من (مراحلها التربوية) الأربع الآتية[14] المقترحة.

ولما كانت (التربية) مصطلحاً ذا دلالات خطيرة ومهمة، فلابُدَّ من تناوله ولو بشكل مبسط في مقدمتنا هذه، لنلم بأطراف المصطلحين الخطيرين المستعملين في هذه المقالة: (الاخلاق) و (التربية).

ولا نريد أن نبحث عن دلالات كلمة (التربية) بشكل مفصَّل، بل نجتزىء بالقول بأنَّ مادة «ربّ» تدل على القيام بشؤون الشيء وتعهده ورعايته من قبل جهة معينة، ومنه قيل «رَبُّ الأُسرة» و «رَبُّ البيت»[15]، و «رَبَّ يُربُّ الشيء» تعهده ورعاه ونماه، و «ربّاه تربية، وتربّاه أي غذّاه، وهذا لكل ماينمي كالولد والزرع ونحوه»[16]. والله «رَبُّ العالمين»، وهو قيّوم السماوات والأرضين، وما فيهنَّ وما بينهنَّ و «رب العرش» العظيم، (والرب من أسماء الله تعالى، ولايقال في غيره إلاّ بالإضافة)[17].

و من الملفت للنظر ان دلالة الصيغة هذه

دقيقة ورائعة جداً ــ إضافة الى دلالة المادة على التنمية والزيادة»[18] ــ تدل على المرحلية والتناسب، إذْ تدل على أنَّ «التربية» (تَفْعِلَة) وبالأصل (تَفْعِيلَة) تكون على مراحل، وليست دفعة واحدة ــ مثل دلالة: «هذَّب تهذيباً» و «علَّم تعليماً» وما الى ذلك، وربما لا تعادلها كلمة أُخرى بهذا الشكل الدقيق في لغات أُخرى، حتى ان كلمة: Education التي هي من أصل يوناني لاتيني، وقد وردت في أغلب اللغات الأوربية والمتفرّعة عن اللاتينية، لاتحمل هذه الدلالة الدقيقة التي تحملها كلمة «التربية» في العربية، ولنضرب مثالاً واحداً لمادة «علم» واختلاف دلالة الصيغ منها. فلو قلت «أعلم ــ يُعلِمُ ــ إعلاماً» مثل: «أنبأ» و «أخبر»: أيْ أعطى «المادة» دفعة واحدة أمّا لو قلت: «علَّم ــ يُعلِّم ــ تعليماً» فان المادة تُعطى على مراحل وحسب الظروف و «المقامات المناسبة» وهي منتهى البلاغة، وقد قيل إنَّ اللغات ــ بما فيها دلالة «المفردات» ــ تعكس ثقافات الأمم.

ولما كان موضوع البحث «مراحل التربية الخلقية» في الإسلام، نودّ في البداية التركيز على الوعي الدقيق «للمراحل» التي يمرّ بها «الإنسان» في ضوء النظرية الإسلامية من بداية تكوينه، بل حتى قبل ذلك ــ وقد تعجب ــ الى نهاية عمره في هذه الحياة الدنيا ولم تنتهِ «المراحل» بل ستكون بداية نقلة جديدة الى «مرحلة الآخرة» الخالدة، والتي هي ثمرة لهذه «المرحلة الأُولى» كما ورد عن الإمام الرضا(ع): (**الدُّنيا مَزْرَعَة الآخرة**)[19]، وفي الآية الكريمة: «**فَاقْضِ ما أَنْتَ قاضٍ إنَّما تَقْضي هٰذِهِ الحَياةَ الدُّنيا**»[20].

وهذه الحياة الدنيا، تنقسم الى مراحل متعددة، متدرجة، تمثل نظرية الإسلام، وموقفه من مفهومي (التربية الخُلُقية) ــ بضم اللام ــ و (التربية الخَلْقية) ــ بسكون اللام ــ وهما مترابطان (متوازنان) وهذا ما امتاز به الإسلام في نظريته التي تقوم على (التوازن) والقسطاس في كل شيءٍ، إذ لايدعو الى المعنويات دون الماديات، ولا الى الآخرة دون الدنيا، ولا الى المجتمع دون الفرد، ولا الى الروح دون الجسد، ولا الى الكثرة دون القلة، أو العكس، بل يدعو الى العدل و (الميزان) في كل شيء «**وكُلُّ شَيءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ**»[21] «**وَكذلِكَ جَعَلْنا كُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتكونوا شُهَداءَ عَلَى النّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهيداً**»[22]، وبذلك تتحقق السعادة في الدنيا والنعيم في الآخرة. وفيما يأتي نذكر هذه المراحل المستنبطة بصورة تدريجية مختصرة.

١ ــ المرحلة الأُولى:

وتبدأ منذ انعقاد النُّطفة ــ بل قبل ذلك ــ وتنتهي الى الولادة: أي مرحلة تربية الجنين بالغذاء المادي والروحي، وقد يُفاجأ البعض بتصور هذه المرحلة، إذ كيف تكون قبل انعقاد النطفة؟ وكيف تُربّى النطفة والجنين في رحم الأم؟ وماهو تأثير الوالدين في الموضوع؟

الجواب باختصار: ان العلاقة الجنسية مشروطة مشروعة، وذلك عن طريق «الزواج

الشرعي). والزواج كما تدل عليه مادته اللغوية في العربية والإنجليزية: Marriage وغيرهما من سائر اللغات المعروفة، تدُل على المزاوجة والإمتزاج بين انسانين أو مخلوقين ـــ بمفهوم واسع ومطلق ـــ لتحصل منها نتيجة، وهذه النتيجة هي ثمرة الزواج والإمتزاج المشروط والمشروع، وكلاهما مسؤول عنها، ومسهم في بنائها (خَلْقيّاً وخُلُقيّاً) إذْ هي في الغالب ـــ كما تؤيد ذلك النظرية الوراثية ـــ أشبه بصفات مورّثيها حسب (قوانين جينيّة): Genetic Rules وضعها الله تعالى، واكتشف بعضاً منها الإنسان المعلّم، وقد ورد فيا مضمونه: «إِخْتاروا لِنُطَفِكُمْ ٱلْمَرْأةَ ٱلْوَدُوْدَ ٱلْوَلُوْدَ»[٢٣].

ومن هنا نشير الى دور «اختيار» الزوج للزوج الآخر، دون تمييز بين الزوج والزوجة: لتعبير الذي جاء متأخراً في العربية للتميز بينهما. في حين استعمل القرآن الكريم «الزوج» مطلقاً كناية عن تعادلهما وتساوي أهميتهما وتوازنهما وتوازيهما: «وَقُلْنا يا آدَمُ ٱسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ وَكُلا مِنْها رَغَداً حَيْثُ شِئْتُما»[٢٤] و «خَلَقَ مِنْها زَوْجَها»[٢٥]. فاختيار خديجة(ع) لمحمد(ص)، واختيار علي(ع) لفاطمة(ع)، وطلب علي(ع) من عقيل أن يساعده على اختيار «أم العباس(ع)» بعد وفاة فاطمة الزهراء(ع) ذو دلالة بالغة. حتى ورد في زيارة الإمام الحسين(ع): (أَشْهَدُ أَنَّكَ كُنْتَ نُوراً في الأصلابِ الشامخةِ والأرحامِ المطهَّرة لم تُنجسكَ الجاهليةُ بأنجاسِها ولم تُلبسكَ من مُدلهمّاتِ ثيابِها)[٢٦]. ولانريد هنا الإطالة بالأمثلة والتفاصيل، لكن الإختيار كما يدل: عملية (نقدية متكاملة) تنطوي على الرفض والقبول في آن واحد، وهو مسؤولية كبرى.

فالزوجان الصالحان (عادة) يلدان صالحين وصالحات، والعكس صحيح، إلاّ في الإستثناءات، والى ذلك تشير الآية الكريمة: «وَالطَّيِّباتُ لِلطَّيِّبينَ وَالطَّيِّبونَ لِلطَّيِّباتِ»[٢٧]، فحين تنعقد النطفة، تمرُّ بمراحل التربية المادية والمعنوية، كما نعت ذلك الإمام زين العابدين(ع) في مقام ذكر ألطاف المولى جلّ وعلا، بما مضمونه: (وأنتَ حدرتني ماءً مهيناً من صُلْبٍ متضايق العظام، حرج المسالك الى رحم ضيّقة، سترها بالحُجُب، تقلّبني حالاً بعد حال، حتى انتهيت بي الى عظيم القدرة، وجليل الصَّنْعة. كما نعتَ ذلك في كتابك: «نطفةً فعلقةً فضغةً فعظاماً فكسوت العظام لحماً، ثم أنشأتني خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين)[٢٨].

وهنا تجدر ملاحظة أداة العطف (ثم) بعد ذكر المراحل المادية المتسلسلة بأداة العطف (و) إذ في «ثُمَّ» دلالة على المرحلة الجديدة «كمّاً ونوعاً» و «خَلْقاً وخُلُقاً» لإفاضة الروح من عنده تعالى: «وَيَسْأَلونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلْ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبّي وَما أُوتيتُمْ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِلاّ قَليلا»[٢٩].

كل ذلك يتم تربيته في رحم الأُمّ من قبل ربّ العالمين مع مسؤولية «اختيار الزوجين» لبعضهما البعض. والجنين في هذه المرحلة ـــ ولا سيّما ذلك الذي سيكون له شأن من الشأن كفاطمة الزهراء(ع) ـــ يتربّى على جسد والدته

وروحها، فقد كانت فاطمة(ع) تحادثها أمّها خديجة(ع) وهي في بطنها كما جاء ذلك في الأثر[30]. ويجب أن لانغفل هنا عن ذكر نوعية الغذاء المادي والمعنوي ــ حلالاً وحراماً، وكمّاً ونوعاً ــ وخطورة أثرهما على الجنين سلباً وايجاباً.

٢ ــ المرحلة الثانية:

وهي تبدأ من مرحلة الولادة، وتنتهي بمرحلة العظام. فمنذ أن يفتح المولود عينيه على هذه الدنيا و يسمع بإذنيه الأصوات من حوله، فأن أول مايشاهد و يسمع هي إطراقةُ (ربِّ الأُسرة) ووليِّها وهو يؤذن في اليمنى و يقيم في اليسرى كما حُسِّبَ ذلك في الأثر، وهو الآن يتذكر في (الوعي أو في اللاوعي) تلك الصلوات والدعوات والمناجاة والتسبيحات التي كان يسمعها وهو في بطن أُمه. والاذان والإقامة إنْ هما إلاَّ مرحلة جديدة (ايجابية) سيقوم هو بعد ذلك بممارستها ووعيها في (حينه) بعد ان كانت قبلها مرحلة (سلبية) ومتلقّية فقط. وقد ثبت علمياً لدى المعنيين بالموضوع، أن الجنين إذا أُسمع موسيقى معينة و يسمعها ثانيةً بعد ولادته، سيقوم بردِّ فعل معين لها.

و تستمر رعاية الأبو ين المسؤولين عن تغذيته وتربيته، وتزداد خطورة يوماً بعد يوم، وهنا لابُدَّ من الإشارة الى عظم (دورالأُم) ومسؤوليتها الطبيعية عن حمله وإطعامه وفصاله بماهيأ الله تعالى له في ثدييها من اللبن المغذّي المرّبي (خَلْقاً وخُلُقاً)[31] والذي لايعدله غذاء غيره من حيث الأثر المادي والروحي، كما ثبت ذلك أيضاً عند الأطباء و يواصل المتخصصين والمعنيين بهذا الأمر، إذْ يواصل الإمام زين العابدين(ع) حديثه عن هذه النِعَم الجمّة التي هيّأها الله تعالى له في هذه المرحلة، بما مضمونه: **(حَتّىٰ جَعَلَتَ لي مِنْ ثَدْيَيْ أُمّيكَ آلَتي أَسْكَنتني جوَفَها وَأوْدَعتني قَرارَةَ رَحِمِها رِزْقاً طَيِّباً مِنْ لَبنِها...)**[32].

و ان دور الأب المسلم يكون في هذه المرحلة والمراحل التي تليها (دور المسؤول) مادياً ومعنوياً عن (الرضاعة) واختيار المرضعة، وتهيئة النفقة لولده. كما هو مسؤول عن نفقة زوجته وشريكة حياته إزاء أتعابها وزحماتها. ولكل منهما (حقوق و واجبات) متكافئة متعادلة: ليس هنا مقام بحثها والخوض فيها. لكنَّ حمله وإطعامه وفطامه كما ذكرنا من مسؤولية الأُم الطبيعية التي أهّلها الله تعالى لها مع مساعدة زوجها لها بكل مايستطيع لتأدية هذه المهمة الشاقة «**حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلى وَهْنٍ وَفِصالُهُ في عامَيْنِ**»[33] ولهذه المرحلة من (الرضاعة) أحكام وفروض ذكرها الفقهاء والمحدثون في (باب الرضاعة). لما يترتب عليها من آثار آنية ومستقبلية.

٣ ــ المرحلة الثالثة:

وهي التي تبدأ من مرحلة الفطام والفصال، وتنتهي بمرحلة «بلوغ الحُلُم». وفي هذه المرحلة تبدأ المسؤولية العظيمة في التربية والمراقبة والتعهد والرعاية من قبلهما معاً، ولاسيّما الأُم في (بداية المرحلة) والأب في (نهايتها)، (**إذْ ان التي تهزّ المهد بيمينها تهزُّ العالم بشمالها**)[34].

و الأُمّ مدرسة إذا أعددتها
أعددتَ شَعباً طَيّبَ الأعراق»[35]

وما جاء في الأثر الذي التبس على البعض (أهمِلْهُ سبعاً، وعلِّمه سبعاً، وَصاحِبْهُ سبعاً)[٣٦] ـــ مع الاختلاف في التعابير ـــ ليس معنى (الإهمال) هنا إبّان هذه السنين السبع هو اهماله عن التربية والتعليم (بمفهومها العام)، إذْ ينتقض ظاهراً بحديث النبي(ص): (أطْلُبِ العِلْمَ مِنَ آلمهْدِ إلىٰ آللَّحْدِ)[٣٧].

والتوجيه هنا يمكن أن يكون (اهمال العقوبة) الشديدة، والملاحقة المستمرة المربكة، ومحاسبة الطفل كالرجال إذا أخطأ. إذ قد يترك ذلك أثراً نفسياً خطيراً يعقّده. ولكن ببلوغه السابعة ـــ تقريباً ـــ يكون أكثر قابلية على استعداده للتعلُّم، وأكثر توجُّهاً لفهم الحياة وتلقّي الدروس الأولية بعد أنْ جرَّب ـــ لاهياً عابثاً ـــ الظواهر البسيطة من الحار والبارد، والوسخ والنظيف، والضار والنافع من الأمور الواضحة لديه في هذه المرحلة. والمقصود من (التعليم) في نصِّ الحديث، فيما يبدو لنا في هذه (السنين السبع) ليس التعليم بمفهومه العام (وحده) إذ ذلك مشمول (بعموميَّة) الحديث المذكور: (أطْلُبِ العِلْمَ مِنَ آلمَـهْـدِ إلى آللَّحْدِ) بل ؛ (العلم والتعلم) الخاص الذي يعده لحمل التكاليف الشرعية التي تجب عليه عند بلوغه الحلم، فلابُدَّ من اعداده لها وتربيته عليها (تعوّداً)، وزقِّه بها زَقّاً، حتى تتكون له (العادات) الصالحة النافعة التي ستستمر معه طيلة حياته و يكون قادراً على معايشتها والإلتذاذ بها (عادة) إضافة الى كونها وظيفةً و (واجباً) كالصلاة والصيام.... الخ. وهو في هذه المرحلة أقرب الى كسب العادات والتقاليد. والتعليم في هذه المرحلة يَخلُقُ (العادة) والتعوُّد على الخير والنشاط لأداء الواجبات والتكاليف (والتعليم ـــ أو العلم ـــ في الصغر كالنقش في الحجر)[٣٨] و (مَنْ شبَّ على شيء شاب عليه)[٣٩].

ومن هنا نلاحظ اهتمامات الأُمم المثقفة (بالنشاط الكشفي) في هذه المرحلة لبناء اليافعين والطلائع على أساليب معيَّنة تعوّدهم وتعدّهم للخوض في معركة الحياة الشاقَّة.

ونعود الى حديث (الإهمال) ثانية بوعي لفهم معنى (الإهمال) هنا بذلك المفهوم النفسي الخاصّ: «Psy chologi cal Aspect» إذْ من أوّل الواجبات على الأب منذ الأيام الأُولى لولادة طفله اختيار الإسم الصالح الموحي له بالخير والهدى والمذكر له على البرِّ والتقوى: (وَخَيْرُ الأسماء ماحُــمِّــد وُعبِّــد)[٤٠] ليحمل في كل نداءٍ له ودعاءٍ أثراً من آثار اسمه وصدى من أصداء دلاله ودلائله. ولخطورة هذا الاختيار وأثره، وردت إشارات في (الزيارة المعروفة بالجامعة) مامضمونه: (وَأَسْماؤكُمْ خَيْر الأسماء... فَما أحلىٰ أسماءكم)[٤١] وكذلك ورد بما مضمونه: (نادِ أخاكَ المؤمن بأحَبِّ الأسماءِ إلَيْهِ) لكون ذلك يترك أثراً وأيّ أثرٍ في نفسه:

(وشــقَّ لـه مـن اسـمـه لـيُجِلّه
فذو العرش محمودٌ وهذا محمدُ)[٤٢]

وكذلك هي حادثة تسمية الإمام علي(ع) ولديه (شُـبَّـراً و شبيراً) ثم مجيء النبي(ص) وابلاغه بان الربَّ الجليل اختارلهما (حسناً وحسيناً)[٤٣]

ومثل ذلك اختيار اسم (فاطمة الزهراء(ع)). وفي القرآن الكريم: «يازكريا إنّا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً»[٤٤]، «وإني سميتها مريم»[٤٥]... الخ فالذي يحمّل المسؤولية لهذا الهدف الأسمى، حتى ملاحظة دلالة الإسم، فكيف يطلب منه (الإهمال الى السبع) إذا فسّرنا الاهمال بمفهومه الشائع عند الناس اليوم؟.

٤ ـ المرحلة الرابعة:

وهي تبدأ بمرحلة ادراكه الحُلُم، وشموله بالتكاليف الشرعية ـ التي أعدّها والخطابات الإلهية، و (حمل الأمانة) الى زمان تأديتها ولقاءالله تعالى بعدها. والحساب على ماعمل فيها، ولا إهمال مطلقاً في هذه المرحلة: إذ «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره»[٤٦]، و «ما لهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها»[٤٧]. ومن هنا طلب من الأب المجرب الحكيم أنْ (يصاحب) ابنه سبعاً من السنين ـ تقريباً لاتحديداً ـ لتكون هادفة هادية في حياته الآتية، ولكي يُعينه من خلال هذه الفترة الصعبة الشاقة المضطربة العاصفة على القيام بالتكاليف والواجبات الشرعية على أحسن وجه، وهوذلك الأب المجرّب الخبير، والقائد المحنّك القدير، و يكون دوره المرشد والنصوح، والصديق الصدوق، والأب الحنون الذي يرى ابنه وفلذة كبده قد بلغ مبلغ الرجال وابنته مبلغ النساء: «بُني رأيتك بعضي، بل رأيتك كلي، فلو أنّ شيئاً أصابك أصابني»[٤٨]. وما أكثر النصائح التي وجّه بها الإمام علي(ع) أولاده في هذه المرحلة، والتي ذُكر بعض منها في «نهج البلاغة»، وأنّ مدرسة أهل البيت(ع) عامرة بأمثال تلكم النصائح وزاخرة بها، وكذلك نصائح لقمان الحكيم التي ورد بعضها في القرآن الكريم.[٤٩]

والواقع ان التربية في هذه المرحلة قد اجتازت دور اللدانة واللطافة الى مرحلة العمل الجاد والسعي المتواصل لبناءالفرد المسلم والمجتمع المسلم، ومسؤولية الجميع في العمل البنّاء، كلّ حسب دوره ومقامه، من أجل إقامة حكم الله في الأرض وتطبيق حكم الإسلام في المعمورة، والقيام بمسؤولية «الأمرُ بالمعروف والنهي عن المُنكر» باسلوب تربوي حكيم، ومعرفة شرعية واعية، والجدال ـ في موقعه ـ بالتي هي أحسن، والدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وحتى إذا تضافرت جهود الأمّة جميعاً ـ وما أحوجنا الى ذلك ـ في التربية والنصيحة «وهل الإسلام إلاّ النصيحة»[٥٠] ـ كانت مصداقاً للآية الكريمة: «كُنتُم خيرَ أمّة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر»[٥١]. وفي الحقيقة ان (هذه المرحلة) هي الحياة وهي المسؤولية الكبرى، إذ يبدأ الإنسان المسلم بتربية نفسه أيضاً تربية جهادية عالية، و يدربها على الكفاح والنضال: (**نفسك ميدانك الأول ان قدرت عليها فأنت على غيرها أقدر**)[٥٢] ثم الأقرب فالأقرب «**والأقربين بالمعروف**»[٥٣] و «**قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة**»[٥٤].

وفي هذه المرحلة تكون للمؤمن (الولاية) على أخيه المؤمن: «**أوليٰئك بعضهم أولياء بعض**»[٥٥] و (**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**)[٥٦] في مقام تربية الفرد والمجتمع المسلم تربية صحيحة صريحة، والنهوض به الى دور المجتمع الرائد القائد (المجتمع الوسط المستقيم) والشاهد الشهيد على سائر المجتمعات البشرية: «**وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً**»[٥٧].

والآن ــ ولله الحمد ــ فقد قامت الدولة الإسلامية المرتقبة في ايران الإسلام، وبدأ يتحقق حلم الأنبياء، وترتّى المجتمع القائد الرائد في ظل الجهاد المستمر، والشهادة المعطاء. وهيّأ الجو المناسب لنشر راية الإسلام خفاقة على ربوع العالم، وتطهير سائر البلاد الإسلامية وغيرها من شرّ الأشرار والجبابرة والطواغيت، ولا سيّما ممن أخذ مال الله دولاً وعباده خولاً، وسعى في خراب بلداننا ودمارها. وهذه المسؤولية العظمى امانةٌ في عُنق كلّ مسلم ومسلمة: وقد رُبّي واُعدّ من أجلها ولأجلها: (**وأفضلُ الجهادِ كلمةُ حقٍ عِندَ سُلطانٍ جائر**)[٥٨] ولو أدّى ــ وقد أدّى ــ الى الإستشهاد في سبيل العقيدة والمبدأ: (**فالقَتْلُ لَنا عادة وكرامتنا مِن الله الشهادة**)[٥٩].

وبتحقيق هذه الأخلاقية الرائعة في الإسلام، وحمل مثل هذه النفسية العامرة بالإيمان نتيجة للتربية الإسلامية الهادفة الهادية، والتي تتم عبر هذه المراحل (**الخَلْقيّة والخُلُقية**) المشار اليها (فرداً ومجتمعاً) يستطيع الإنسان المسلم عند ذاك أن يحقق الهدف الأسمى والغاية القصوى وهي رضا الله تعالى ورضوانه في إقامة حكمه ودولته الإسلامية العالمية على أيدي عباده المستضعفين كما وعد، وما ذلك على الله بعزيز:

«**ونُريدُ أنْ نَمُنَّ عَلى الّذينَ اسْتُضْعِفوا في الأرْضِ ونَجعَلَهُم أئمّةً ونَجعَلَهُمُ الوارِثينَ * ونُمَكّنَ لَهُمْ في الأرْضِ ونُريَ فِرْعَوْنَ وهامانَ وجُنُودَهُما مِنْهُمْ ما كانُوا يَحْذَرُونَ**»[٦٠] •

الهوامش

(١) فلسفة الأخلاق، ص٩٨ــ ١٢٠ المقالة المنشورة في مجلة التوحيد، العدد الاول، السنة ١٤٠٣ هـ . (طهران).

(٢) الأخلاق عند الإمام الصادق(ع)، سلسلة حديث الشهر، لزيادة الاطلاع.

(٣) الفخر الرازي، مختار الصحاح، مادة «حلق» ص١٨٧ ط. دارالقلم بيروت.

(٤) المصدر السابق.

(٥) أنظر منها دعاء (مكارم الأخلاق) للإمام زين العابدين(ع) في كتب الأدعية المعتبرة.

(٦) الحديث منشهور، ويلاحظ في أغلب كتب الأخلاق الإسلامية، وكتب الحديث المعنية.

(٧) سورة آل عمران ــ الآية ١٥٩.

(٨) سورة القلم ــ الآية ٤.

(٩) سورة الأحزاب ــ الآية ٢١.

(١٠) أنظر الحديث في كتب الأخلاق المعنية.

(١١) سورة الأحزاب ــ الآية ٣٣.

(١٢) من ميمية الفرزدق الشهيرة في مدح الإمام

زين العابدين(ع).
(١٣) من بائية أحمد شوقي الشهيرة في الأخلاق.
(١٤) ليست المراحل الآتية الذكر حدّية غير متداخلة، بل هي بصورة اصطلاحية مقترحة.
(١٥) ومنه قولة عبدالمطلب جدّ النبي(ص) الشهيرة: «إنّ للبيت ربّاً يحميه».
(١٦) الرازي، مختار الصحاح (مادة) «ربا» ص٢٣١، ٢٣٢ ط. دارالقلم ــ بيروت.
(١٧) الرازي مختار الصحاح (مادة) «ربّ» ص٢٢٨، ط. دارالقلم بيروت.
(١٨) اُنظر مادة (ربا) من مختار الصحاح المصدر السابق ص ٢٣١.
(١٩) اُنظر الحديث في المظانّ المعنيّة.
(٢٠) سورة طه ــ الآية ٧٢.
(٢١) سورة الرعد ــ الآية ٨.
(٢٢) سورة البقرة ــ الآية ١٤٣.
(٢٣) يراجع الحديث في المظان.
(٢٤) سورة البقرة ــ الآية ٣٥.
(٢٥) سورة النساء ــ الآية ١.
(٢٦) تراجع زيارة الإمام الحسين(ع).
(٢٧) سورة النور ــ الآية ٢٦.
(٢٨) «ثُمَّ خَلَقْنا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنا المُضْغَةَ عِظاماً فَكَسَوْنا العِظامَ لَحْماً ثُمَّ أنشأناه خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَكَ اللهُ أحْسَنُ الخالِقين». (سورة المؤمنون ــ الآية ١٤).
(٢٩) سورة الإسراء ــ الآية ٨٥.
(٣٠) يراجع الحديث.
(٣١) تلاحظ الأمثال الواردة عن (حليب الأُم) وأثرها في (أخلاق الولد) في أكثر اللغات والثقافات.
(٣٢) يراجع الحديث.
(٣٣) سورة لقمان ــ الآية ١٤.
(٣٤) تراجع مقالتنا المترجمة عن الإنجليزية حول مكانة المرأة في الإسلام المنشورة في طريق الحق العدد( ) السنة( ).
(٣٥) من قافية أحمد شوقي الشهيرة.
(٣٦) يراجع الحديث.
(٣٧) يراجع الحديث.
(٣٨) يراجع الحديث.
(٣٩) كما جاء في الأثر.
(٤٠) يراجع الحديث.
(٤١) تراجع الزيارة الجامعة.
(٤٢) البيت من دالية حسان بن ثابت في مدح النبي محمد(ص).
(٤٣) يراجع كتاب الفصول المهمة في أحوال الأئمة لابن الصباغ المالكي حول حياتهما(ع).
(٤٤) سورة مريم ــ الآية ٧.
(٤٥) سورة آل عمران ــ الآية ٣٦.
(٤٦) سورة الزلزلة ــ الآية ٧ــ٨.
(٤٧) سورة الكهف ــ الآية ٤٩.
(٤٨) يراجع الحديث.
(٤٩) تراجع الآيات حول نصائح لقمان الحكيم في القرآن الكريم.
(٥٠) وردت أحاديث متواترة: «الإسلام النصيحة» أو بما مضمونه.
(٥١) سورة آل عمران ــ الآية: ١١٠.
(٥٢) يراجع الحديث.
(٥٣) سورة البقرة ١٨٠.
(٥٤) سورة التحريم ــ الآية: ٦.
(٥٥) سورة الأنفال ــ الآية: ٧٢.
(٥٦) الحديث مشهور.
(٥٧) سورة البقرة ــ الآية: ١٤٣.
(٥٨) يراجع الحديث.
(٥٩) تراجع خطبة الإمام زين العابدين(ع).
(٦٠) سورة القصص ــ الآية ٥ــ٦.

قصة

أمٌ وشهيد

(الخطاب من عترة الفجر الخالدة)

صحيح ان الشهادة ربح، ولكنها ربح لذات الشهيد، وعند ما تكون خسارة في حال ما للمجتمع، فلابُدَّ إذن للمجتمع أن يحوّل هذه الخسارة الى ثمرة، أو يصوغ منها وسيلة توصله أوتحقق له هدفاً على طريق الهدف الأسمى، حينئذ يجب على المجتمع أنْ يبدأ حيث يسقط الشهيد.

مصطفى زين العابدين / سوريا

.... التحدي حقيقة الإنسان الحيّة، فإذا أردت أنْ تثبت بأنك تتحدى ما يقف ازاء ماتؤمن به مطلقاً، فما عليك إلاّ أنْ تخرج المِدْيَة التي غاصت بين جنبيك ثم تحطمها بأسنانك، واذا أردت ان تنتصر فليس هناك من معنى لتخيل الموت. لأنك وان سقطت على طريق الهدف شهيداً، تخلق الخطوة الجديدة التي لابُدَّ وان تقطع من أجل أن يخطو لاحقتها مجاهد آخر. وليس من الضروري أن تحسب للموت وأنت تتقدم نحو الحياة، ومن غير المُجدي في ان تفكر في ذاتك وأنت تعلم بأنَّ دمك الذي أعطيته مختاراً سيتحول الى كؤوس مترعة بالمجد تسقي بها أفواه عطشى للحرية من شعبك المظلوم.

.... كان الوقت شتائياً، إلاّ ان الشمس أرسلت في ذلك اليوم القارص بعضاً من أشعتها البيضاء تنشرها على أبنية وشوارع طهران. لقد عاد الامام. الناس كُلُّها تتحدث عن قدومه، اما التحدى بينه و بين الحكومة الهزيلة التي خلّفها الشاه فقد بلغ ذروته.

انها حقاً لحظات مرعبة، لكنها لحظات تاريخية في نفس الوقت، نعم، لأن التاريخ لايستطيع وهو عاجز عن ذلك أن يصنع شيئاً، لكنه يُصْنَعُ على يد الأبطال. لقد أنعش بالأمس قدوم الإمام قلوب الملايين وعمّر فيها ثقة كبيره، لكن تلك القلوب لم تَكُ تقنع فقط بالقدوم، لقد عاشت في تلك الأيام رغبة شديدة لطموح أكبر.. نعم، تريد شيئاً يحقق لها حلماً طالما هرعت وراءه بقلوبٍ عطشى صادئة وأقدام دامية، كان ذلك الشيء هو النصر.

انها ضحّت وما انفكّت تضحّي وتعطي في كل يوم بل في كل ساعة دماءاً زكية لايمكن لها ان تعوض بغير النصر، صحيح ان الشهادة ربح، ولكنها ربح لذات الشهيد، وعند ما تكون خسارة في حال ماللمجتمع، فلابُدّ إذن للمجتمع أن يُحوّل هذه الخسارة الى ثمرة، أو يصوغ منها وسيلة توصله أوتحقق له هد فاً على طريق الهدف الأسمى، حينئذ يجب على المجتمع أن يبدأ حيث يسقط الشهيد.

في هذا اليوم ومن أحد أحياء العاصمة، خرجت جموع هادرة تضع القلوب على الأكُف، وهي تحاول أن تبرهن لمن يريد أن يكون بيّنة من طبيعة وإرادة هذا الشعب بأنه أقوى من كل مؤامرة، انه بطل الموقف، لأنه صاحب قضية، وهو أحق ببلده وخيراته، وأحرص على مستقبله من أي دخيل أوعميل، انها تدفع السواعد القوية في الهواء، يعززها هتاف اهتز لسماعه الكفر الغربي والشرقي:

الله أكبر، الموت لأمريكا، الله أكبر، الله...

انك لترى في تلك الأمواج البشرية مارداً حطّم القيد، ثم راح يحطم كل مايقف أمامه من العملاء والمارقين عن الإسلام والكرامة وارادة الشعب، وانطلقت الآلاف تزحف غاضبة في أحد الشوارع، وتزاحمت أمام إحدى البنايات العالية. لم يكن هناك مايفصل المتظاهرين عن المبنى غير سياج حديدي وساحة، واحتشد الكل بامتداد السياج. وقال أحدهم:

ـ هيا لنقتحم المبنى، لابد من تحطيم الباب الرئيسي...

ثَمَّةَ عقبة تقف أمام الجميع، ليس هناك أي اهتمام لمدخل السياج الحديدي الصغير، لقد فتح من أول لحظة، إلاّ ان هناك الباب الرئيسي الذي يبعد عنهم خمسين متراً وساحة

كبيرة ومكشوفة.

ان فتح الباب أول مايتبادر الى الأذهان كخطوة أولى لاحتلال المبنى الذي يتحصن فيه مجموعة من السافاك والمجرمين. وقال رجل آخر والعرق ينصبب من جبينه مع برودة الرياح وهويتطلع الى مكان ما من المبنى:

ــ رجل مسلح يرصد الباب الرئيسي والساحة، حذار من الدخول الى الساحة، لابُدّ وان نجد طريقة مناسبة لمعالجة الموقف، انه في الطابق الثاني.

ارتقى أحد الروحانيين من علماء الدين متن أحد المتظاهرين... كانت أساريره تَنُمّ عن شيء يحاول أن يسدده للجميع، لكن الأصوات الهادرة والمتداخلة كانت حاجزاً أمام رغبته، لكنه ومع بعض من نسّق معهم استطاع أن يقنع الجميع بالصمت استعداداً لما يريد أن يقول، إلاّ من بعض الهتافات المتفرقة التي ترتفع بين الحين والآخر هنا وهناك:

ــ أيها المؤمنون، سوف لن نغادر هذه البناية قبل أن نجردها من عملاء الشاه وحثالة السافاك، لكن حرصنا على هذا الإصرار لابُدّ وان في البناية مجرمين، انغمست أيديهم حتى المرافق في دماء أبناء شعبنا من المستضعفين، لذا فانهم سوف لن يستسلموا بسهولة وهم يعرفون جيداً المصير الأسود الذي ينتظرهم، إذْ ليس هناك ما يمنعهم من أن يطلقوا رصاصاتهم الخبيثة على أي شخص يحاول دخول الساحة باتجاه الباب الرئيسي للمبنى. أرجو ألاّ تحاولوا اقتحام الساحة لأن ذلك يعني اننا سوف نعطي شهداء أكثر.

حاول الروحاني أن يمسح قطرات لمعت على جبينه، فكبّر شيخ مُسِنّ من خلال الجموع. فانطلقت الحناجر الأخرى بالتكبير مُشَكِّلَةً صوتاً كأنه الرعد. الله أكبر، الله أكبر، الموت لأمريكا، الموت لبختيار... واحتاز أحد المجاهدين السياج الحديدي وانطلق نحو الباب الرئيسي،لقد صمّم الجميع على فتحها، ولكن بالطريقة التي هي أحسن.

ولا حقت أنظار الجميع ذلك الشاب الفدائي وهويتحدى الموت و بنادق الغدر، لكن رصاصة انطلقت ودوى صوتها باتجاهه من الطابق الثاني وسقط على إثرها في وسط الساحة.

صاح أحد من خلال الجموع:

ــ لقد قتلوه... الله أكبر، الموت للقتلة، الموت للسافاك..

وارتفعت الأصوات مكبّرة.

ــ لقد أُصيب في صدره، حذروه من النهوض، لابُدّ من انقاذه.

قال آخر هذه الكلمات وهو يستحث بعض الشباب على انقاذه ونقله من الساحة، فحاولت مجموعة من المجاهدين مشاغلة المجرمين المسلحين في البناية ثم أسرع اثنان من الشباب الى اقتحام الساحة بحذر ونقل الجريح الى سيارة لإسعاف الجرحى.

كانت ثَمَّة إمرأة، قد حفر الزمن على أساريرها خطوطاً واضحة من المعاناة تتكىء على الجدار تارة، وتارة أُخرى تستجمع قواها وتنخرط في صفوف المئات من النساء اللاتي جئنَ للتظاهر والتحدّي وشد أزر الرجال، لقد كانت تؤمن إيماناً مطلقاً بأنَّ حضور المرأة في وقت كهذا أمر لا يخلو من الأهمية، وَلِمَ لا؟ أليست المرأة نصف المجتمع؟ وإذا شكَّلت هذا الجانب الأساسي فلابُدَّ وهي تعيش ثورة إسلامية وصحوة عارمة صادقة من أن تُجسِّد الدور الحقيقي كما تكون إمتداداً طبيعياً وحرياً للمرأة المسلمة التي ضحَّت كما ضحى الرجل في بداية النهضة الإسلامية ودعوتها المباركة، انها ومع دقة هيئتها تملك الفكر الذي يجمعها أمام الحقائق ومتابعة الأخبار، انها تشعر بشعور المرأة المسؤولة عن فهم قضيتها.

لقد ذابت في حب الإمام، عندما أدركت بأنه الساعد القوي الذي يقود هذه الأمة الى شاطىء الإسلام العظيم، وما كانت لتتردد أبداً عندما يريد زوجها الشهيد أن يخرج لعملية جهادية ما، أو مشاركة في تَحَدٍ، وما كانت تدّخر جُهداً في أن تستحث ولدها الوحيد على المشاركة، وقد أنّبته أكثر من مرة لأنها رأت منه فتوراً واضحاً في يوم ما وهي تعتقد بأن الشباب هم وسيلة الإمام والأكثر قوة وتأثيراً من أجل نجاح الثورة وإقامة حكم الله.

في هذا اليوم كانت تلك المرأة ـــ وهي تحمل بين جنبيها قلباً رقيقاً كالندى ـــ تفتش بعينين تَنزّان من دموع الشوق بين الوجوه الغاضبة عن ولدها، فقد فارقته منذ خمسة أيام، ولأنّ قلبها بدأ يخفق ـــ ولكن ليس بالطريقة التي تألفها، انه الشوق ولاريب ـــ لابُدَّ أن تراه. لكنها بعض الوقت تؤنِّب ذلك القلب الذي تراه يحمل من الرقَّة والحنان أكثر مما يجب، لأنه أجبرها آخر مرَّة من أن تطلب منه ألاّ يخرج، كانت تعرف حدس ذلك القلب، انه بدأ يخبرها بأن شيئاً محزناً لها سيحدث، لذا أصبحت في موقف لا تستطيع معه إلاّ أن تستسلم لإرادته، وان تطلب من (مجيدي) أن يبقى ولو ليوم أو يومين.

.. آه ما أقسى القلب وما أرقَّه، انه يحمل بعض الوقت حباً يكون مَدْعاة للأسف لأنه على حساب حب أسمى.

أما (مجيدي) فانه يحمل في ذاته صورة متكاملة غير منقوصة لشخصية المجاهد المؤمن، لقد

أقسم بأنه سيثأر لكرامة شعبه ودم أبيه، أما اليوم فقد أصبح مهيأ أكثر من أي وقت لذلك الثأر، على انه لم يكن من أولئك الذين فلتوا من سياط الجلاّد، فقد ذاق للعذاب والهوان أكثر من طعم، وشرب المأساة في كؤوس شتى، حتى خلفت منه المعاناة التي تقلب على صحنها الساخن انساناً يؤمن ايماناً كبيراً بأنّ الموت على طريق التحدي الشريف هو السبيل الأكثر صواباً نحو الحياة.

عندما فقدت تلك المرأة المسكينة كل أمل لوجود ضالّتها، راحت تتحسس بأنامل مرتعشة، مضطربة، خدين تخضلا بدموع دافئة، لكنها شعرت بأنّ لها الرغبة في تخيُّل الماضي، وطفقت تختبر ذاكرتها وتستعيد ماقاله لها (مجبدي) وهي تحاول أن تسأله عن غايته عند ما لمحت على أديم وجهه نوعاً من الفرح والجد، ما كانت لترى مثله من قبل وهو يتهيأ للخروج من البيت:

ــ ان التحدي سيستمر ياعزيزتي حتى النصر، لقد أجمع الشعب وكل المجاهدين على مواصلة الرفض والتظاهرات حتى سقوط الطاغية بختيار، ان تظاهرات كبيرة يا أمي ستنطلق خلال هذه الأيام وان بعضاً من البنايات والمؤسسات المهمة مازالت في قبضة المجرمين ولابُدّ من انتزاعها كيما يستلمها المؤمنون من حزب الله.

لكنها كانت تعاني الرغبة في نفائه، ومع ذلك فهي تعرفه جيداً، تعرفه انه عندما يدرك مثل تلك الرغبة في قلبها، يسرع و يرتمي عند قدميها، وعندما يتطلب التضرع دمعاً فإنّ عينيه لا تبخلان أبداً من أن تبللا قدميها أو يديها، عندها تكون قد فقدت القابلية على منعه، فتقبّله بحرارة الأُم الرؤوم، وربما تدمع عيناها أحياناً وندعوله بالنصر والسلامة، اما في ذلك اليوم حاولت تحت ضغط القلب الذي أنذرها بشيء محزن أن تثير فيه ألماً قديماً علّها تستطيع أن تحظى برؤيته ولولساعات قصار، فقالت وهي تعضُّ على شفة ترتعش قلقاً:

ــ أتريد أن تخط في قلبي جُرحاً آخر؟ لقد ثكلني القدر بوالدك عندما قتله المجرمون السافاك، فارحم وحدتي، ولا تفجعني مرتين؟..

لكنه كان أبداً شامخاً، لاتهزه رياح العاطفة، فقال وكأنه أراد من خلال قوله أن يزيد من قابلية تلك المرأة المسكينة على تحمُّل المأساة أوالتجلّد:

ــ الموت في سبيل الله ميلاد يا أُمي، وان أبي حيّ لأنه شهيد، وأنا.. أيضاً

أحب الشهادة، نعم.. أحبها، لا.. لأنها طريق مختصر الى الجنة فحسب، بل لأن في الشهادة رضا الله. فهي وسيلة للنصر. أنا جزء من هذا الشعب وتلك الأمّة، وعندما تحتاج الأمّة من مقوّمات النصر فإنها تعتمد على ذاتها كيما تكسر عنها قيود الإستعباد وتنطلق نحوالحرية، ... عزيزة أنت يا أُمي، نعم ذلك شيء لايمكن أن ينكره قلبي، ولكن... الواجب ياحبيبتي عندما يطلب من الإنسان المؤمن حتماً سيكون، أعز.

... لكن مجيدي استطاع أن يُنسي الأم آلامها، لقد شعرت وهي تصغي لما يقوله بأنها تقف ازاء القضية موقف الكريم الذي لايتردد في أن يعطي مايملك فخوراً من أجل الإسلام، صحيح ان عينيها طفقت تذرف من الدمع الغزير، لكنما تلك الدموع ما كانت لتعني انها تأسف لشيءٍ غالٍ أعطته، أو آخر ربما يكون أكثر وقعاً في قلبها كانت ستعطيه، إنما كانت تعني انها بلغت من العطاء منزلة لم تكن قد بلغتها كل الأمّهات، لقد شعرت بسعادة الوفاء للعقيدة، فها هي تضع بين يدي خالقها آخر ماتبقّى لها من الحياة.

رفعت يدها تكفكف ما تَجَمَّعَ على وجنتيها من دموع، ثم أدارت وجهها اليه«كان ينظر اليها بحزن، لكنما جموح الرغبة للتضحية كانت أكثر تأثيراً من أي شيء». وقالت:

ــ اذهب ياولدي؟ .. فأنا لست أول أُمٍّ تعطي ولا آخر من أعطت، سوف أدعولك.

هكذا تذكرت تلك المرأة المنتظرة خلف الجموع المتظاهرة، آخر لحظاتها مع (مجيدي)، لكنها كانت تختزن في ذاكرتها قوام مجيدي وهو يغادر البيت عندما كانت تشيّعه بأنظارها، وما كانت لتعرف وقتها هل أنه سيعود، أم لا...

.. ازداد غضب الجماهير وهي تفتش عن طريقة لاقتحام المبنى، حاولت مجموعة من المتظاهرين اقتحام الساحة، لكن أحد الروحانيين وقف أمامهم محذراً إياهم من أنّ قنبلة ربما ترمى عليهم مما قد يؤدي الى أن يقدموا ضحايا أكثر، لكنه اقترح بأن يتقدم أحد الموجودين كيما يجازف من أجل فتح الباب الرئيسي حيث ان رشقة واحدة من رشاشة كفيلة بأن تُهشم الأقفال، و برّر اقتراحه بأن استشهاد فرد واحد أكثر منطقية من أن يرمي جمع من المؤمنين أنفسهم في خطر متوقع.

ولم يكد حديث الروحاني أن يكتمل حتى بادر أحد الشباب بصوت تغمره الجدية والثقة والحماس ــ أنا سأذهب .. وانفرد عن الجميع، واقترب من السياج الحديدي، ودلف حيز الساحة الخطرة وهو يحمل سلاحه. ولاحقت أنظار الجميع حركات الشاب الجريء ،

وارتفعت من حناجرهم صرخات توقد المشاعر ـ الله أكبر ـ الله أكبر.. وهم ينتظرون ما سيحدث.

كان يعرف جيداً أن بنادق الحقد ترصده، لكنه كان مشدوداً لفكرة الباب الملعونة التي يجب أن تُفتح، لقد جعلته تلك الفكرة أقل إحساساً لما قد يصيبه من خطر، لأنه كان مقتنعاً بضرورة التنفيذ.

.. ومرّت لحظات ثقيلة مبهمة فقدت فيها العقول المتوترة كل احساس بالزمن.

لكنه وقد بلغ منتصف الساحة، وقعت عيناه على بقعة من الدم الذي لم يجف بعد وقد اختلطت بتراب الأرض، عبرت رصاصة جسده أُطلقت عليه من الطابق الثاني فتدحرج على الأرض حتى سكن، سالت من ساقه قطرات من الدم الحاني، كوّنت مجرىً ضيقاً كأنه الخيط على الأرض. أخذ ذلك الخيط من الدم يسير ببطء حتى لاقى بقعة الدم الغريبة، فازداد لون التراب وأصبح أعمق لوناً.

أصاب الجماهير نوع من القلق. فارتفعت الأصوات مكبّرة، مهلّلة، لكنما العيون ماانفكت تراقب حركات البطل الجريء وقال أحد بغضب:

ـ الله أكبر. لقد أصابته رصاصة..

حاول أحد المؤمنين الدخول الى الساحة، لكنه تراجع مع تحذير الآخرين. نهض بتثاقل وبطء، فأطبق الصمت على الجميع، لكنه صمت أكثر تفلاً، حاول أن يخطو وقد ظهرت عليه إمارات التعب والإجهاد، وقد أفلح أن يواصل الخُطى، وعندما أصبح على بُعدِ أقل من مترين من الباب أُطلقت عليه رصاصة أُخرى فسقط. ومع تألمه، عالج وضع بندقيته، وصوّبها فتطايرت الشظايا من منتصفها، رمى البندقية جانباً بعد أن أرسل كل ما مع الألم، لكن صراعه مع الزمن كان أكثر ضراوة وعناد، انه بحاجة الى ان يُنفِّذ ما وعد به قبل ورود الرصاصة القاتلة التي كان يتوقعها. أقل من مترين، .. ما أبعد تلك المسافة. استجمع ما تبقّى له من نشاط، انه يخشى أن يتسرب الثقل الذي بدأ يقيد قدمه فينشر ظِلاله على جسمه، و بعد أن أدرك صعوبة النهوض، شرع بالزحف.. الألم، لأول مرة طفق يفكر بالألم، انه قد يؤدي به الى الموت، وهذا لايعني في حساباته شيء، فلقد كان مطمئناً للنتيجة، لكنه كان يفزع بمجرد تصور الموت قبل ان يحطم هذه الباب الملعونة، هذا التفكير جعله يَهزأ من الألم و يسحق الجراح، حتى استطاع أن يحقق شيئاً. أمسك بقاعدة الباب، ثم

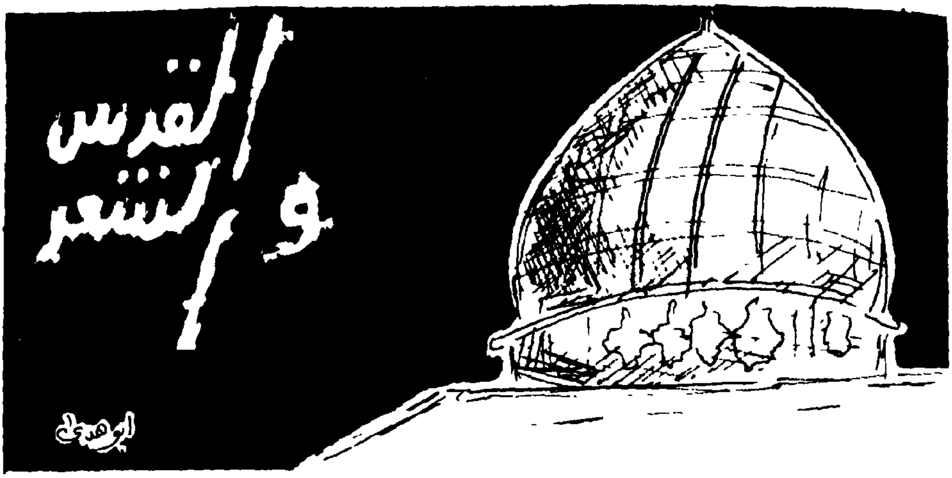
امتدَّ جسده عالياً وهو متعلق بجزيئاتها الناتئة، ثم راح يعالجها.

ارتفعت الأصوات مرة أخرى بعد صمت وترقب، ومرت لحظات قاسية كحد السيف. انفتحت الباب على مصراعيها، لكنه سقط كشجرة قُدّت من قاعدتها دون أن تكون له حركة لاحقة.

وتدفقت الجماهير الغاضبة كأنها السيل باتجاه المبنى.

وعند ما حملت الجموع من حزب الله ذلك الشاب الشهم على أكتافها، كانت تهتف بحماس: الخلود لمجيدي، الخلود لمجيدي، فكان لتلك الكلمات وقعاً آخر في قلب المرأة النحيلة المنتظرة التي راحت تشيّع المنظر المهيب وتدفقت من مآقيها دموع غزيرة ساخنة، لكنها ما كانت لتعبر عن الحزن فقط، إنما كانت تعبّر عن معنى آخر أكثر قدسيةً وهو الفخر ●





يا قدسُ يانغم البطولة صادحاً ... ياوقدة الإعصار أنّى يزأرُ
ياداره الإسراءِ دوري حرةً ... فالنصرُ كأسٌ والكرائم سُمّرُ
وتبعقّي صهيونَ حتى تنمحي ... صورٌ لأرتالِ الخَنا تتكررُ
لا تيأسي مهما تعاظمَ شأنُها ... ان العقيدةَ من قِواها أكبرُ
بالأمسِ والطاغوت حكّم حكمه ... في شَعبِنا ومضى به يَتكبرُ
وَهَبَ البلادَ لِغادرٍ مُستعمرٍ ... أتراه يَرحمُ غادرٌ مُستعمرُ
خمسونَ عاماً والمدى تتنمرُ ... والنارُ في قلبِ الجراح تُسعّرُ
والرعبُ يَزرعُ في العيونِ عبوسه ... والآهُ في عُمقِ الحناجرِ يُقبرُ
واليأس يأكلُ قَلبَ كلّ مجاهدٍ ... فكأنّهُ قَدرٌ علينا منكرُ

دوّت بقلب اليأس صرخةُ قائدٍ ... فإذا به الأمل المقدسُ يكبرُ
وتجمّعت كُلّ القوى وتضامنتْ ... ومضت بوجهِ الظالمينَ تفجرُ
والقائدُ الفذّ الإمام يَمدّها ... بالعزمِ والتخطيط وهو الأجدرُ
فإذا بعرشِ الظالمينَ ومُلكهمْ ... قَفرٌ يَعيثُ به الفسادُ ويصفرُ
وعلا لواء المجدِ يَخفِقُ باهدى ... والشرعةُ الغراء نهجٌ خيّرُ
يا قدسُ يانغمَ البطولةِ صادحاً ... لا تيأسي فالنصرُ سوف يكبّرُ
لابُدّ أن نَجلي العدو بصولةٍ ... علويّة تنهدُّ منها خيبرُ
ويعودُ مسجدنا الحبيبُ منارةً ... ويعودُ يبني للجهادِ المنبرُ

ليست مرثية

الى روح الشهيد السعيد (م.س) الذي استشهد فى زنزانات الطواغيت في العراق، وقد ذرّف على الستين من العمر.

ابراهيم رفاعة

سلاماً لروحِكَ في الشُّهَداءِ   ورعياً لقلبكَ .. في السُّعَداء
عَبرتَ.. كما يَعْبُرُ الصادقونَ   شطرَ جمالِ البحارِ الوضاء
فيا رحلةً في صميمِ الوجودِ   معطَّرةً بالنسيمِ الرُّخاء
وكان سِفارُكَ خَرْقَ الحجاب   لقلبٍ يَتوقُ لكشْفِ الغِطاء
فيا لَكِ من رحلَةٍ، أوصلَتْ   جَمالَ الصلاةِ.. بنورِ اللقاء
ومازالَ مُتفَتِّحَ الصَّفحاتِ   كتابُ التِلاوةِ.. رغمَ التنائي
عَشِقْتَ التلاوةَ، مُذْ لاحَ في   دروبِ الطفولةِ نَجمُ الذَّكاءِ
تُوسِّدُ خدَّكَ آيَ الكتابِ   إذاافترشَ الناسُ عالي الفِراءِ
ويُشْعِدُ صوتَكَ أن يرتوي   لذكرِ الحسينِ ـ بآسي الرِّثاءِ

فَيَشْغَفُ قلبَكَ حُبُّ الحسين ... وتَنْطِقُ روحُكَ شعرَ العَزاءِ
وتَغدو حياتُكَ، في عُمْقِها، ... بِنابيعَ حُبٍّ، وحُزْنٍ مُضاءِ
وتُبْحِرُ روحُكَ، عَبْرَ الضياءِ ... فيغمرُ قلبَكَ عَذْبُ الضياءِ
ويبدو ضياؤكَ .. في بَسْمَةٍ ... مُطَرَّزَةٍ، بعبيرِ النَّقاءِ
وفي نَظْرةٍ طالما أشرَقَتْ ... حناناً رفيقاً، رحيمَ العَطاءِ
وفي عَبْرةٍ في خشوعِ الصلاةِ ... تُكَسِّرُها بِشجيِّ النداءِ
وفي سَعْيِكَ المستمرِّ الصَّموت ... لِتَخْدِبَ عطفاً على الفقراءِ
يَلَذُّ لقلبكَ أن تَغْتَدي ... كما الأرضُ تَشْخو بزهرٍ.. وماءِ

.. وفي عِزَّةِ النفسِ، يا طالَما ... عرفتُكَ، في الناسِ، طودَ الإباءِ
وفي قوَّةِ المؤمنينَ الأُباةِ ... إذا الظلمُ باكرَهُمْ باعتداءِ
فَضَيَّقَ ـ جَوْراً ـ عليكَ الطغاةُ ... وأغْرَوا قطيعاً مِنَ الرُّقَباءِ
أأنتَ تُرائي، وتَرجو النَّجاةَ ... بِدُنياكَ ؟! ما كنتَ يوماً تُرائي
فَدَأْبُكَ حينَ اشتدادِ القضاءِ ... تُسَلِّمُ طوعاً لِربِّ القضاءِ
وتَحملُ سِتّينَكَ المُفْعَماتِ ... بالنُّبْلِ، والكَدْحِ، والإبتلاءِ
وتَحملُ سِتّينَكَ المُرْهَقاتِ ... وتَمشي قوياً، عفيفَ الرِّداءِ
فَفُزْتَ بقلبٍ حَماهُ الإلهُ ... مِنَ جَزَعٍ يائسٍ، واستياءِ
وما كُنتَ.. إلاّ رَضيَّ الفؤادِ ... جَمَّ التواضعِ، جَمَّ الحياءِ
سواءٌ ضميرُكَ في الحالتين: ... فوقتُ البلايا كوقتِ الرَّخاءِ
ولاغَرْوَ، هذي ثمارُ الولاءِ ... لأهلِ التطهُّرِ.. أهلِ الكِساءِ
نُميتَ الى النَّفَرِ الوالهينَ ... بِنورِ التألُّهِ ـ خيرَ انتماءِ
أولئكَ أبوابُنا.. للسماءِ ... وخُزّانُ أسرارِ ربِّ العَلاءِ

* * *

تُرى: كيف دارتْ عليكَ الذئاب؟! وكيف استشاطتْ وحوشُ الخلاءِ؟!
هلِ انتهشَتْ لحمَكَ المُستباح فضجَّ المكانُ بصوتِ الدماءِ ؟
وهَلْ أنَّ هابيلُ تحت السياط فأطلقتِ الروحُ نبْرَ الحِداءِ ؟
وكيف فؤادُكَ ؟! كيف الشفاه تُتمتِمُ سِراً عميقَ الدُعاءِ؟!
فَلستُ إخالُكَ ـ رغمَ البلاءِ إلّا ضياءً بقلبِ البلاءِ
وإلّا شُعاعاً خَرَقْتَ الظلام لِتَفرُجَ، شوقاً، لدارِ البقاءِ
هُوَ القلبُ.. عانَقَ نُورَ السماءِ فعانقَ قلبَكَ نورُ السماءِ
إخالُكَ .. غِبْتَ عنِ الكائنات.. فأبصرتَ نُوراً عجيبَ الثراءِ

ودارتْ بقلبكَ كلُّ الطُيُوفِ، كلُّ العوالم، كلُّ المَرائي
وعانيتَ «شيئاً» .. كما لو خرجتَ من فَوْهَةِ الضيقِ.. نحوَ الفضاءِ
فَدَعْهُ.. هو الجَسَدُ المُستعار وحَلِّقْ.. طَليقاً.. لِكونِ الصفاءِ
هنالكَ: لاألَمٌ يُستثار ولاخوفَ يَخفُرُليلَ الشتاءِ
هنالك ترضى بِسِرِّ الهناءِ هنالك تحظى بعطرِ الولاءِ
أيُرثى ـ إذنْ ـ مثلُ هذا الفؤاد وقد أسكرتْهُ لحونُ الرِّضاءِ؟!
بَقِيتُ أنا للهوى.. والعَناءِ بقيتُ أنا.. في ظلامِ والشقاءِ
بقيتُ أنا.. في تُخومِ البُكاءِ فأبكي لذنبي.. ويبكي بُكائي!
فمن كان يَرثي امرأً مَيِّتاً فأولى بُكاؤهُ مَيْتَ الضياءِ

* * *

فيا أيُّها العابرُ الظلمات ويامَن ثويتَ كريمَ الثَواءِ
تباركتَ من والدٍ مُشفقٍ إذا قلَّ في الناسِ عطفُ الرِّعاءِ
بذرتَ بحقلِكَ طَيِّبَ البذور وسَقَّيْتَ غرسَكَ صافي الدِلاءِ
لِيَهْنأ ضميرُكَ، عَبْرَ الخلود فَغُصنُكَ أزهرَ.. بالأتقياءِ

جولة في الصحافة

٥ ملايين من الافغانيين صاروا لاجئين

ذكرت مجلة العالم في عددها السابع نقلاً عن تقرير لرابطة الشعوب في مدينة فلورنس الايطالية ان خمسة ملايين مواطن افغاني من أصل ١٦ مليون وهو عدد سكان افغانستان قد تحولوا الى لاجئين بسبب الحرب القائمة منذ سنوات.

وأضاف التقرير الذي اعتمد على شهادات حية قدمها رئيس محكمة الشعوب فرانسوا ريجو واحسان الله حمدي من أعضاء المقاومة الافغانية وسافيك شوستر وهو مصور يعمل لبعض الصحف ان قرى بأكملها قد دمرت وشرد سكانها من جراء المعارك القائمة في عدة مناطق من افغانستان.

ونسب التقرير الى أحد قادة المقاومة قوله: ان ما يحدث في افغانستان هو معركة للدفاع عن سلطة يمثلها ٢٪ من عدد السكان على حساب ٩٨٪ من الأفغانيين الباقين.

الحرب والأفكار القاصرة

وحول العقلية الضيقة لحكام العراق كتبت جريدة ن «العربي» في عددها (١٨٨) تقول:

أعرب لطيف نصيف جاسم عن اعتقاده من أن التوصل الى تسوية للحرب العراقية الإيرانية أمر ممكن عندما يتأكد الزعيم الايراني ـ أي الإمام الخميني ـ أن الحرب سوف تكلفه حياته ونظامه!!

جاء هذا في تصريح له الى وكالة الأسيوشيتدبرس...

العقلية التي يفكر بها وزير إعلام النظام العراقي، محكومة بقوانين الفكر الذي يؤمن به. فمن المعلوم أن الأنظمة التي تقوم فلسفتها على أساس المنفعة، تخضع مواقفها لهذا المعيار المادي، ولطيف نصيف جاسم جعل من نفسه ومن الطريقة التي يفكر بها مقياساً لغيره!!

إن أي موقف في ايران الإسلام، ينبع أولاً وآخراً من الاحكام الشرعية. وقرار إيقاف الحرب أو الإستمرار بها لايخرج عن هذا الاطار بأي حال من الأحوال، وبأي صورة من الصور.

كان الأولى على وزير الأعلام الصدامي أن يتعامل في استنتاجه للموقف الإيراني من هذا المنطلق... هذا أولاً... أما ثانياً فأن النظام الإسلامي كان قد أعلن مراراً انه حاضر للصلح، ولكن شريطة الإستجابة لمطاليبه العادلة والتي أقرّها الرأي العام العالمي، وهذا الشرط هو الآخر يساهم في تحديد وبلورة الموقف الإسلامي من موضوع إيقاف الحرب أو استمرارها.

إذن، القضية لا تتعلق بحياة قائد أو بقاء نظام، وإنما تتعلق بمبادىء وأحكام لها الأولوية في تقدير المواقف في كل ميدان وعلى كل صعيد...

اهتمام الشعب الايراني بالانتخابات

وفيما يتعلق بانتخابات الدورة الثانية لمجلس الشورى سلامي، كتبت صحيفة «مليت» التركية مقالاً ارت فيه الى المساهمة الرائعة لأبناء الشعب الإيراني الإنتخابات، حيث جاء في جانب من المقال:

واجهت انتخابات الدورة الثانية لمجلس الشورى سلامي في ايران، والتي تمت لانتخاب ٢٧٠ عضواً ـهت استقبالا منقطع النظير، على عكس مايتناقل في ارج من أنباء. وقد لوحظت البوسترات والدعايات نتخابية على جميع الجدران، وهذا مما يظهر اهتمام رانيين بالانتخابات.

انتفاضة جبل عامل... أي جديد فيها؟

كتبت مجلة المنطلق اللبنانية في افتتاحيتها المنشورة في دد(٢٣) تحت هذا العنوان تقول:

«العمليات الجهادية، الاعتصامات، المظاهرات، واجهات المباشرة مع جنود العدو، كل هذه الأمور صحت جزءاً لايتجزأ من مجرى الحياة اليومية لأهلنا في ل عامل وكل جنوبنا العزيز...

معالم الانتفاضة تتضح وتتبلور يوماً بعد يوم...

كل فعل اسرائيلي يقابل برد فعل شعبي رافض... لم ـد الظلم اليهودي يمردون عقاب... مدن وقرى كثيرة ـردد أسماؤها كمسرح لردود الفعل الرافضة صيدا، ـدق تمثيل أصالة الانسان المسلم في جبل عامل ـلابته وحساسيته المفرطة تجاه القهر والاذلال لعدوان...».

ومضت المجلة تقول: «وقد استطاعت الانتفاضة ان ـرض نفسها وأن توجد الـ «لا» الكبيرة للاحتلال ـ كافة المستويات الشعبية والاقتصادية وحتى ـسياسية... لدرجة لم يعد أحد يتجرأ على إعلان تأييده سرائيل حتى العملاء... ووصل الأمر ببعضهم الى ـلان التوبة وترك التعامل والارتهان لليهود...».

وبعد ان تطرقت الى دور علماء الدين في الانتفاضة، وقيام الانتفاضة على أسس اسلامية، أشارت الى المرحلة الجديدة من الصراع مع اسرائيل، فقالت: «ان الصراع مع اسرائيل دخل مرحلة جديدة ليست قومية ولااقليمية كما في السابق، بل أصبح الصراع صراع الاسلام مع الكفر، مع الشر المطلق، مع «أشد الناس عداوة للذين آمنوا»».

الخلاف المفضوح

وتحت هذا العنوان كتبت مجلة صوت الوحدة في عددها ٥١ تقول:

ضجة بين أميركا والأردن!!

نرى من يصدق أن هناك خلافا كبيراً بين عاصمة الاستكبار العالمي «واشنطن» وبين عاصمة العمالة التقليدية «عمان»؟! الخبر مثير للسخرية حقاً، والأ هى تنقلب المقاييس بهذه الصورة، بحيث يقف «ريغن» في وجه «حسين بن طلال»؟!

لماذا تمنع ريغن عن تصدير الأسلحة الى حسين؟!

خوفاً من وطنيته؟! ولكن حسين معروف بالعمالة للغرب منذ نعومة الاظفار.

خوفاً من أن يستخدمها ضد اسرائيل؟! ولكن حسين يدعو الى الاعتراف بالكيان الصهيوني، وعمل على ضرب الشعب الفلسطيني.

خوفاً من أي شيء إذن؟!... أن الضجة مصطنعة حتماً، فمثلما زوّدت أميركا صداماً بالسلاح القاتل. فانها لن تتوانى من تزويد يدها الملك حسين، بل ربما الصفقة تمت وما هذه الضجة الا قنابل دخانية، الغرض منها إخفاء الحقيقة أن من مصلحة واشنطن تقوية الملك حسين خاصة بعدما أستعد جيشه يكون في حماية دول الخليج من أي محاولة تغييرية أو محاولة غزو على حد تعبير الملك حسين نفسه، وان الأردن خير خندق للدفاع عن المصالح الاميركية والبريطانية فلماذا التقاعس عن مساعدته انها مسرحية مفضوحة■

شؤوننا الإسلامية

مشاركة الجماهير المليونية في انتخابات مجلس الشورى اسلامي

جرت في كافة انحاء الجمهورية الاسلامية انتخابات الدورة الثانية لمجلس الشورى الاسلامي بعد انقضاء الدورة الأولى الأولى التي دامت أربع

وقد جرت الانتخابات في يوم ١٣ رجب ١٤٠٤ هـ.ق الموافق ١٥-٤-١٩٨٤، حيث تدفقت جموع الشعب على صناديق الاقتراع من كل حدب وصوب بأعداد مليونية تلبية لنداء الامام الخميني الذي افتى بوجوب الاشتراك في انتخاب ممثلي الشعب الى المجلس.

وقد أكد الامام القائد على ضرورة اجراء الانتخابات في أجواء من الحرية التامة دون أي نوع من الاجبار، وان لايتم التصويت بصورة عشوائية دون السؤال عن حال المرشح وقدراته الفكرية والسياسية والاقتصادية وكل مايتعلق بتقواه وسيرته كي تصل للمجلس صفوة الشعب ونخبته الرفيعة...

وبالفعل جرت الانتخابات في جو يسوده الأمن والهدوء، وبعيداً عن أعمال الشغب والعنف، ومع ذلك ظهرت بعض الحالات البسيطة يجري متابعتها حاليا من قبل اللجان المختصة.

والجدير بالذكر ان أبناء كردستان وبلوشستان قد شاركوا في هذه الانتخابات بشكل منقطع النظير، على خلاف انتخابات الدورة السابقة التي جرت في الأيام الأولى لانتصار الثورة حين كانت القوى العميلة التابعة لصدام والمنحرفين العظمى تسيطر على مناطق كثيرة من كردستان، وتبث سمومها في بلوشستان تارة باسم الخلاف القومي، وأخرى باسم الصراع المذهبي.

هل هدأت العاصمة؟

هذا هو السؤال المطروح لدى المهتمين بشؤون المغرب العربي، فبعد الصمت ــ الظاهري ــ الذي أطبق على تونس والمغرب خلال الشهرين الأخيرين، تصور كل من نظام بورقيبة ونظام الحسن الثاني أن الأمور عادت الى مجراها الطبيعي، وان العاصفة قد هدأت!!

لكن العاصفة لم تهدأ، فالتقارير الواردة من تونس والمغرب تفيد بأن الجماهير المسلمة هناك تمهّد لانتفاضة أوسع. وكيف تسكت الجماهير وهي التي قدّمت الشهداء وذاقت المر على يد مرتزقة بورقيبة والحسن الثاني؟ وكيف تسمح لنفسها بأن يواصل هذان العميلان تجاهلهما لأبسط الحقوق الانسانية. ان العاصفة ستهب من جديد لامحالة.

وجدير بالذكر ان سلطات النظام البورقيبي اعتقلت خلال شهر شعبان من العام الجاري أعداداً هائلة من أبناء الشعب التونسي بتهمة المساهمة الانتفاضة الأخيرة التي شهدتها تونس، فيما قام النظام المغربي خلال نفس المدة باعتقال عدد من المعلمين والحقوقيين ممن نسبت اليهم تهمة السعي لقلب نظام الحكم بالتعاون مع جهات أجنبية!!

تظاهرات الأفغانيين في عدد من دول العالم

بمناسبة الذكرى السنوية للانقلاب الماركسي في افغانستان، والغزو السوفيتي لهذه البلاد، أقام المسلمون الأفغانيون في عدد من دول العالم تظاهرات أعلنوا فيها استنكارهم لنظام كارمل، والقوات الروسة المعتدية، وعزمهم على مواصلة الجهاد لتحرير أفغانستان من دنس المعادين للاسلام والمسلمين. في ايران نظم الأفغانيون مسيرات وتظاهرات، معلنين رفضهم لأية مساومة مع المعتدين، وعزمهم على التصدي للكفرة حتى آخر قطرة من دمائهم. وكانت التقارير الواردة من افغانستان قد أشارت الى ان ابناء الشعب الأفغاني المسلم صعدوا من هجماتهم على القوات الروسية في تلك المناسبة، ملحقين بها خسائر كبيرة في الأرواح والمعدات.

من جهة أخرى أجمعت التقارير التي تناقلتها بعض وكالات الأنباء، ان مسألة التحاق جنود النظام بالمعارضة، بدأت تثير قلق هذا النظام وأسياده الروس، مما دفعهم لاعدام كل من أبدى تعاطفا مع المعارضة حتى وإن كان جزئياً.

لجوء العراقيين الى الجمهورية الاسلامية

خلال شهري رجب وشعبان الماضيين، بلغ عدد اللاجئين من أبناء الشعب العراقي الى الجمهورية الاسلامية أكثر من ٤٠٠ شخص. وإن دلّ هذا على شيء فانما يدلّ على الظروف التعسة التي تمرّ بها العراق نتيجةً لممارسات النظام العراقي في مجال الانتماء من الشعب العراقي محروماً ومضطهداً.

وجدير بالذكر ان موجة اللجوء بدأت بالضغط منذ اندلاع الحرب المفروضة على بلادنا، حيث لجأ الى الجمهورية الاسلامية طيلة هذه المدة الآلاف من أبناء الشعب العراقي، مؤكدين كلهم ان النظام البعثي قد حوّل العراق بكافة أنحائه الى جحيم لايطاق. هذا الى جانب حملة التسفير التي يواصلها البعثيون منذ وصولهم الى السلطة في عام ١٩٦٨. فما من يوم يمرّ دون ان يقوم هؤلاء العملاء باخراج بعض الأشخاص من العراق وارسالهم الى الجمهورية الاسلامية بذريعة انهم ايرانيون!!

والذي يلفت الانتباه ان عددالعسكريين من بين هؤلاء هو بدرجة يلفت النظر، خلافاً لادعاءات النظام العراقي الذي يحاول في مختلف المناسبات ان ينفي وجود عسكريين عراقيين في الجمهورية الاسلامية!!

الجمهورية الاسلامية في ايران تندد بنقل سفارة السلفادور الى القدس المحتلة

أدان الناطق باسم وزارة خارجية الجمهورية الإسلامية في ايران بشدة موقف النظام السلفادوري في نقل سفارته من تل أبيب الى القدس المحتلة، كما أكد الناطق معارضة ايران الإسلام الشديدة لكل إجراء من شأنه تغيير وضع مدينة القدس الشريفة أو ترسيخ الإحتلال الصهيوني العنصري لهذه المدينة المقدسة. وأضاف بأن حكومة الجمهورية الإسلامية تحذر جميع شعوب العالم وبالأخص شعوب البلدان الإسلامية من أن هذا الإجراء هو عمل محسوب له من قبل الإمبريالية الأميركية وعملائها الذين يهدفون الى إعداد الأرضية لفرض الإعتراف باحتلال الكيان الصهيوني الغاصب لهذه الأرض المقدسة.

وأشار المتحدث باسم وزارة الخارجية الى التحركات الاستعراضية التي قامت بها بعض الحكومات الرجعية مثل النظام المصري الذي استدعى سفيره من السلفادور، فقال بأن اجراءات الكيان الصهيوني العدوانية ضد الحقوق العادلة للشعوب العربية وانتهاكها لحرمة الأماكن المقدسة الاسلامية، ماهي إلا نتائج لأتفاقية كامب ديفيد الخيانية المخزية، وأن اهداف

الأساسي من مساعي الأنظمة الرجعية في الاعتراف رسمياً بالكيان الصهيوني هو في الحقيقة توسيع وتعميم رقعة اتفاقية كامب ديفيد في العالم العربي، وان هذه المساعي هي التي جرأت أميركا واسرائيل على انتهاك حرمة مقدسات الإسلام والمسلمين.

النظام العراقي أعدم ٥٦٧ سجيناً

أعدم النظام العراقي خلال الفترة الأخيرة ٥٦٧ مواطناً عراقياً كانوا مودعين في السجون العتية منذ مدة، ومنع عوائل هؤلاء الشهداء من إقامة مجالس الفاتحة على أرواح شهدائهم.

من جهة ثانية أفادت تقارير عدد من المنظمات العالمية للدفاع عن حقوق الإنسان، أن آلاف الأشخاص من أبناء الشعب العراقي المسلم يعيشون حالياً في سجون هذا النظام الكافر، و يتعرضون لأبشع أنواع التعذيب على يد عملائه و مأجوريه.

الصهاينة يهاجمون ضريح جد الرسول (ص)

هاجم بعض الأفراد الصهاينة ضريح جد الرسول (ص) الذي يقع في مدينة غزة المحتلة، وانتزعوا الستار المسدل عليه، وسرقوا قطعاً ثمينة من هذا الضريح الذي يرجع تاريخه الى القرن التاسع الميلادي.

وهذه الجريمة ليست الأولى من نوعها التي ترتكب بحق المراكز الإسلامية. ولِمَ لايعتدي الصهاينة علينا وعلى مقدساتنا، طالما هناك الكثير من عملائهم الذين يتلاعبون بمقدرات الأمة الاسلامية، ولا يفكرون سوى بثرواتهم و مواصلة العمالة لأسيادهم من المستكبرين الشرقيين والغربيين؟!

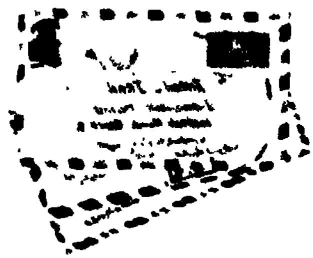
حالة الطوارئ في السودان

أُعلنت في السودان، حالة الطوارئ من قبل الطاغية جعفر النميري في تاريخ ١٩٨٤/٤/٢٩، المصادف ٢٧/رجب/ ١٤٠٤، في محاولة للسيطرة على الأوضاع المتدهورة الناتجة عن ازدياد قوة المعارضة الإسلامية هناك ... فالأخبار المتسربة من هناك تحكي عن انتشار الوعي الإسلامي بين الجماهير و نضوج قوى المقاومة المطالبة بحكم اسلامي، و شريعة اسلامية.

ورغم محاولة النميري تطبيق بعض بنود الشريعة تمويهاً وتضليلاً للشعب و منها على سبيل المثال إغلاق محلات بيع الخمور، لكن لم تجن جهوده خيراً بسبب أعمال النظام المخالفة للشريعة في مختلف المجالات السياسية والإقتصادية والثقافية والإجتماعية وغيرها، واتجاه النظام العلني نحو التحالف مع اسرائيل وأميركا واشتراكه في مناورات عسكرية مع القوات الأمريكية ومنحها قواعد عسكرية في أراضي البلاد... وبذلك تكون لعملية إعلان الأحكام العرفية مدلولات كثيرة على رأسها انفضاح حكم النميري على صورته اليمينية، الدكتاتورية، الفاسدة، المخالفة للدين وفشله في محاولة السيطرة على الجماهير المسلمة، وتعني أيضاً انضمام نظام السودان رسمياً الى قائمة الأنظمة المهددة بالثورة الإسلامية...

بريد التوحيد

ترحب مجلة التوحيد بأي انتقاد ورأي واقتر
من جانب القراء الأعزة وتبدي استعداد
للردّ على الاسئلة المطروحة عليها.



■ من الجامعة الاسلامية في بنجلادش بعث لنا السيد نعمان قاسم الفتيوني رسالة جاء فيها:

● نحن مسلمو بنجلادش وإن تناءت ديارنا و تباعدت مواطننا، لكننا متقاربون منكم، وقد وصلتنا بكم صلة الإسلام، وربطتنا وإياكم أواصر الدين. وفوق ذلك مايوجدنا من وحدة الأفكار في إصلاح المسلمين، فانهم لايصلحون ولايتقدمون إلاّ اذا تمسكوا بآداب الإسلام، وأعتصموا بحبله، وجعلوا تعاليم الإسلام نصب أعينهم. لقد قرأت بعض أعداد مجلتكم الغراء التي تحوي المعلومات القيمة والتي تشكل جسراً من المعرفة بين دول العالم الإسلامي. أعجبنا صدق لهجتها، وصفاء ديباجتها وحلاوة لغتها، وماتمتاز به أقلامكم من أسلوب رائع وعلم جم.

■ والسيد حسين علي شومر من لبنان، قال في رسالته:

● أرسل لكم هذه الرسالة ولا أعلم إن كانت ستصلكم أم لا، ولا أعلم متى ستصل، ولا أعلم من سيهدم هذا الصرح الغاشم، هذا الإحتلال فوق رأس نابيه. أنا لأستصرخ أصحاب الضمائر الميتة والنفوس الضعيفة، بل أستصرخكم أنتم، يا من علمتمونا بثورتكم الكثير عن معنى كربلاء، وكيف نصمد بوجه اسرائيل وأنْ لانستسلم أويهرب، وكيف يجب أن نبقى متمسكين بالإسلام، استصرخكم عن قول الرسول (ص): «من لايهتم بأمور المسلمين فليس منهم». أستصرخكم يامن علمتمونا كيف نكون أحراراً في أعراس الدم. عندما اتحد العالم كله ضدنا، كنا أقوى منهم بالإيمان والصمود. أقوى بثورتكم التي تربطنا بثورة الانسان عبر التاريخ، بثورة تنطلق من الإيمان الحقيقي بالله، والإيمان بالحرية وكرامة الإنسان، أستصرخكم نحو الأطفال الأبرياء ودماء الشهداء أن تعلمونا المزيد عن الصمود وكيفية الانتفاض والمزيد عن الإسلام.

■ ومن فرنسا كتب الينا الأخ سامي الشريف رسالة جاء في جانب منها:

● اني مسلم سني مقيم في فرنسا منذ ثلاث سنوات. أنا مصري الجنسية وبمعرفتي بالأحوال الذي عرفت عنهم هنا أعتبرني ببعض الكتب القيمة التي تفيد الإنسان المسلم سواء أكان سنياً أم شيعياً. ولكنا أخوة والحمد لله، وذلك مثل مجلة التوحيد التي تحتوي على موضوعات قيمة في التفسير والفقه وموقف الدين الإسلامي من الفلسفات الوضعية التي لاقيمة لها مهما طبّلوا وزمّروا لها. أفادكم الله وأعانكم على نشر الدين الإسلامي على ربوع أرض الطاهرة في كل مكان.

■ وكتب لنا السيد حسين علي من مدينة قم المقدسة، يقول:

● نبارك لكم جهودكم ومساعيكم الخيرة في نشر المعالم الإسلامية، ورفع الوعي الثقافي للطلائع المؤمنة السائرة على نهج الإمام، ناصر المستضعفين وقرّ السالكين خط الرسالة المحمدية، وهادي الأمة نحو الإصلاح. وبعون الله، وحزم الإمام القائد، واتحاد كلمة المسلمين، سوف تسحق عروش المستكبرين والمتسلطين على مقدرات شعوبهم، ونعيش الأمة في حبور وسلام في ظل دولة الإسلام المطهرة.

■ السيد أمير حمزة ــ الهند:

● أحلنا رسالتك الى قسم التوزيع ونأمل أن وصلتك الكتب التي طلبتها ونرجو الاستمرار في الكتابة الينا.

■ السادة: سيف الدين سراج من أندونيسيا، وصبحي شحادة، عماد الدين، وسليم رشيد، ومحمد سعد الله من لبنان، وموسود هروان من القمر، والأخت مريم درويش من لـ

● وصلتنا رسائلكم القيمة ونسأل الله أن يوفق الجميع لما فيه خير الأمّة الاسلامية أرسلنا لكم المجلات، ونرجو أن تواصلوا بالاستمرار عن وصول المجلة اليكم

■ السادة أعضاء الجمعية الاسلامية في أميركا وكندا، والسيد حسين محمود أبو رقيبة من السويد:

• وصلتنا رسائلكم مع الصكوك، وبعثنا لكم المجلات، ونرجو اعلامنا بالوصول، والكتابة لنا باستمرار.

■ السيد ر. ح. المهاجر (طهران) والسيد أبوظافر (الأهواز):

• يرجى تسديد مبلغ الإشتراك ليتسنى لنا ارسال المجلة اليكما، علماً بأنّ سعر النسخة الواحدة من المجلة في داخل الجمهورية الإسلامية هو (١٠٠) ريال.

■ السادة المحترمون الذين أتحفونا بمقالاتهم:

• المقالات التي وصلتنا ستأخذ طريقها الى النشر بالترتيب، ونرجو تزويدنا بالمزيد من كتاباتكم القيمة.

■ الى الأخوة الذين سألوا عن طريقة الاشتراك:

• طريقة الاشتراك موضحة في الصفحة الأولى من المجلة، حيث تسدد قيمة الاشتراك على رقم الحساب (٢٥٠٠٠) سازمان تبليغات اسلامي (مطبوعات خارجي) بانک ملي — شعبه خشايار — خيابان طالقاني. ويمكن تسديد المبلغ في اي فرع من فروع البنك المذكور، على أن ترسل الحوالات بالبريد المسجل الى مكتب المجلة.

■ وصلت الى المجلة خلال الشهر الماضي الكثير من المجلات والصحف نذكر بعضاً منها:

جريدة الرافدين، مجلة المنار الاسلامي، مجلة الوعي الاسلامي، مجلة المنطلق، مجلة الجهاد، مجلة إقرأ، مجلة اليمامة، مجلة الارشاد، مجلة الحوار، مجلة الأرض المقدسة، مجلة العرفان، مجلة الرائد، مجلة الطلائع، مجلة صوت الخليج، مجلة العالم...

■ يرجى من القراء الأعزة عند مراسلتهم لنا أن يكتبوا أسماءهم وعناوينهم بخط واضح ليتسنى لنا ارسال المجلة اليهم على وجه السرعة.

■ توضيح حول العدد التاسع:

• لما كان العدد التاسع خاصاً بالمؤتمر الثاني للفكر الاسلامي الذي اقامته منظمة الاعلام الاسلامي، وازدادت عدد صفحات هذا العدد قياساً الى صفحات الأعداد السابقة، فان بعض التأخير قد حصل في صدور المجلة. نرجو قبول اعتذارنا، ونتقدم بالشكر لكافة الأخوة الذين سألوا عن العدد المذكور.

الصفحة الأخيرة

تغير المواقع الاستكبارية

تتابعت الأخبار من هنا وهناك، وهي تتحدث عن انتقال مركز الثقل الإستعماري الى المغرب، و بشكل قد لايشعر الإنسان معه بهذه العملية الخطيرة:

: مؤتمر القمة العربي يعقد في المغرب، فيقرر الإعتراف بإسرائيل.

: مؤتمر القمة الإسلامي يعقد في المغرب، فيقرر الإعتراف بمقررات مؤتمر القمة العربي حول اسرائيل، ثم يقرر إرجاع مصر (الطينة الطاهرة التي لم تعقد معاهدة الصلح مع اسرائيل، أو تنازلت عن ذلك!!) الى الصف الإسلامي ــ وكأنَّ شيئاً لم يكن ــ

: مركز مخابرات (السي. آى. أ) ينتقل من بيروت الى المغرب.

: جريدة الشرق الأوسط تفتح مركزاً آخر لها في المغرب لتطبع فيه في آن واحد الى جنب المراكز الأخرى بدءاً من لندن وانتهاءً بـ «جدة» وهكذا تتابع الأخبار لتكشف لنا عن حقيقة التمركز الإستعماري الهائل في المغرب (بلد أمير المؤمنين!! وحسرهم الى اسرائيل)

ولكن هل تظن الـ (سي. آي. أ) أنها تستطيع أن تنجو من ضربات الثورة الإسلامية ولعنات الشعوب بالفرار بفراخها من هنا الى هناك (مثل الهرة).

وهل ادرك الإستعمار العبرة من قلعته الحصينة في ايران أيام الشاه.

وهل نسي ثورة الشعب المسلم الغاضب في المغرب قبل أيام والتي كانت عظيمة الى الحد الذي لم تستطع معه كل أساليب التغطية والتعتيم أن تخفي أوارها المستعر؟

ومتى تدرك مؤتمرات القمة أنها لا تمتلك في القاعدة نفيراً، وأنها تبني على رمل، وأن العاصفة آتية بلا ريب؟

وإلاَّ فأي عاقل يصدق أن القدس تحررها لجنة يقف على رأسها الملك الحسن، ذلك حتى لو صدرت قرارات التحسين بالمئات من مؤتمر القمة الإسلامي، وحتى لو طبعت عشرات الألوف من كراسات الدعاية السخيفة!!

إنَّ عيب هؤلاء الأقزام أنهم يتخيلون لأنفسهم سلطة أكبر، وقدرة أعظم، و يداً يمكنها أن تمتد الى كل المساحة الإسلامية، وحباً يمكن أن يملك قلوب الجماهير، غافلين عن صورهم البشعة التي يأنف المسلم أن يبصق عليها.

أنهم كفرعون، إذ حشر جنوده المجندة، ورآها على عظمتها، نادى (أنا ربكم الأعلى) وليس رباً عادياً!! فأخذه الله نكال الآخرة والأولى، وسيأخذ ربك كل طاغوت مجرم والعاقبة للمتقين.

أبو احسان

التوحيد

مجلــة

اسلاميــة ــ فكريــة ــ جامعــة

تصدر كل شهرين مرة

دد الحادي عشر ــ السنة الثانية ــ ذي القعدة، ذي الحجة ــ ١٤٠٤
ق.

تعُنى بالفكر الإسلامي المعمّق،

والكلمة الهادفة الصادقة،

وكل مايهمُّ الأمة من رؤىً وسلوك بناء.

وتفتح صدرها؛

لكل المفكرين الإسلاميين،

خدمةً لقضية التوحيد الكبرى،

وتركيزاً لخصائص الأمة الاسلامية الواحدة،

ونشراً لأضواء الثورة الاسلامية في كل أرجاء الوجود.

بعيداً عن؛

كل تعصب ذميم،

وتفريق بين المسلمين لاتحمد عقباه،

ولغوٍ من القول لا طائل تحته.

الثمـــن

ران ١٠٠ ريال ■ لبنان ٣٠٠ قرش
وريا ٣٠٠ قرش ■ الاردن ٣٠٠ فلس
كويت ٣٠٠ فلس ■ عمان ٤٠٠ فلس
حرين ٤٠٠ فلس ■ الامارات ٦ دراهم
عودية ٦ ريالات ■ قطر ٦ ريالات
٣٠٠ مليم ■ ليبيا ٤٠٠ درهم
سودان ٣٠٠ مليم ■ الجزائر ٤ دنانير
٤ دراهم.

طريقة الاشتراك

■ تسدد قيمة الاشتراك في بانک ملی شعبه خشايار على رقم الحساب التالي (٩٠٠٢٥) سازمان تبليغات اسلامي ــ مطبوعات خارجي

المراسلات على العنوان التالي:

الجمهورية الاسلامية الايرانية ــ طهران

ص.ب (٣١٩٥ ــ ١٥٨١٥)

التوحيد

أسلامية ـ فكرية ـ جامعة

تصدر كل شهرين مرة

العدد الحادي عشر السنة الثانية

محتويات العدد

● يصدرها :
قسم العلاقات الدولية
في منظمـــة الاعلام الاسلامي

١٣٦٠
سازمان تبليغات اسلامي

ذي القعدة، ذي الحجة ١٤٠٤ هـ.ق.

بسم الله الرحمن الرحيم

بسمه تعالى

مجلة التوحيد

اسلامية ـ فكرية ـ جامعة

قسيمة اشتراك

الى القراء الأعزة :

* يرجى تسديد قيمة الاشتراك ليتسنى لنا ارسال المجلة اليكم

الاسم :

العنوان :

* تسدد قيمة الاشتراك على رقم الحساب التالي : (٩٠٠٢٥)

سازمان تبليغات اسلامى (مطبوعات خارجى)

بانك ملى ـ شعبه ٥٤٤ خشايار ـ خيابان طالقانى

الجمهورية الاسلامية في ايران ـ طهران

* يرجى ارسال الحوالات على العنوان التالي :

الجمهورية الاسلامية في ايران ـ طهران

ص ـ ب (١٥٨١٥ - ٣١٩٥)

* كما يمكن ارسال قيمة الاشتراك مباشرة على العنوان المذكور أعلاه

كلمة التحرير

لانجدنا بحاجة البحث عن جذور هذه الكلمة، ومقارناتها، فمعناها واضح وإنْ كان هذا المصطلح يعد حديثاً في حين كان التعبير السائد بدلاً عنه هو التعصب، ولسنا نرى بينهما كثير فرق في الإستعمال، ومن هنا، فان ما نقوله عن أحدهما، يقال البتة عن الآخر.

واذا تمَّ هذا وعدنا الى الحياة الإنسانية، (الفردية والاجتماعية) وجدنا هذه الصفة تكمن في أنماط متنوعة من السلوكات الانسانية، بل وتشكّل جوهرها المحرك ، وصفتها الغالبة أحياناً، وربما تحوّلت الى شعار يتبجح به أصحابه مفاخرة.

اننا نجد الطائفية العقائدية الى جنب الطائفية العنصرية تماماً، كما نجد الطائفية النسبية والعشائرية والجغرافية الى جنب الطائفية الحزبية والسياسية.

وبالجملة؛ فأينما سرنا لاحظنا ظلاً للتعصب، والطائفية يلوح لكل راء، ولسنا من أولئك الذين يتصورون الطائفية شرّاً على الإطلاق، بعد أن كانت تمتلك على أيّ حال جذوراً في عمق التركيبة الإنسانية، وانما نقول، بوجود حالة طبعية معقولة وايجابية لها، في حين يسير بها العمى والإفراط الى الإنحراف والسلبية.

• • •

واذا أردنا أن نجد لها مقارناً من هذه الجهة، لاحظنا أن الغفلة الإنسانية حالة فطرية، لها إيجابياتها بلاريب، وإلّا لجلّت كل مصائبنا وآلامنا في كل آن في لوحة أذهاننا تماماً، وهو أمر ينغّص علينا الحياة بلا ريب، إلاّ أن الغفلة إذا تجاوزت حدودها الطبيعية تحوّلت الى ضياع وسلبية ما بعدها سلبية.

فلنلحظ إذن هذين الجانبين في الطائفية والفروق التي تميزهما عن بعضهما.

• • •

أما الجانب الإيجابي فيمكن أن نلحظ تطبيقاته في الميول الطبيعية نحو الطائفة، التي ينسجم

معها الإنسان عقائدياً وعاطفياً ونسبياً وجغرافياً و مسلكياً وغير ذلك. فذلك طبيعي خصوصاً إذا اقترن بمصالح طبيعية؛ كاستمداد القوة، والأمان، والتعاون لتحقيق الأهداف المشتركة. ولن يكبت الإسلام أيّ ميل طبيعي على الإطلاق.

يقول أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في نهج البلاغة:

«ومن يقبض يده عن عشيرته، فانما تقبض منه عنهم يد واحدة، وتقبض منهم عنه أيدٍ كثيرة، ومن تلن حاشيته يستدم من قومه المودة».

وان الإسلام يستفيد من هذا الميل الطبيعي لتقوية الاصرة الاجتماعية، وتحكيم التماسك النوعي بشكل رائع. فـ **«أُولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله»** وصلة الرحم من أهم ما يندب اليه مثلاً.

وقد أسلفنا أن لهذا جذوراً في الفطرة، فالميل الى القربى والأرض، وكل البيئة المنسجمة عقائدياً، هو ميل طبيعي يتلوه عمل طبيعي على ايجاد الإنسجام بين السلوك وهذا الميل.

ومن هنا أيضاً نجد أن إطلاق عبارات التعصب والطائفية السلبية على المواقف المبدئية، إنما هو اطلاق غير مسؤول أو متعمد مغرض.

ونعني بالمواقف المبدئية:

تلك التي تتطلبها تصورات الإنسان المنطقية، المبرهنة عن الكون والحياة والإنسان: تاريخاً وتركيبة وحاضراً ومستقبلاً ومنهجاً سلوكياً عاماً نحو تحقيق الأهداف السامية.

فإذا ما استقر الوعي الإنساني في هذه الجوانب على أرضية صُلبة مبرهنة، كان من الطبيعي أن يصوغ كل مواقفه وفق مبادئه، وليس لنا والحال هذه أن نصمه بالطائفية والتعصب.. نعم نستطيع أن نناقش مبادئه (الواحد بعد الآخر).

اما أن نلومه على الإنسجام مع مبادئه فذلك هو المنطق المعوج.. إذ نطلب منه ألاّ يكون انساناً يحقق التوازن بين (العقيدة والعواطف والسلوك) بل اللوم التام يقع عليه لو لم يحقق هذا الإنسجام.

أما ــ مثلاً ــ لانعتبر التعصب لمقتضيات التوحيد الإلهي، والإيمان بالنبوة والإسلام منهج حياة، ومكارم الخلال، ومنهج الدفاع عن العدل ومحاربة الظلم ــ وخلاصة الأمر الإلتزام بما تقرره الفطرة الأصيلة المتواجدة لدى أفراد البشر جميعاً، لانعتبر هذا إلاّ الإيجابية الفاعلة بعينها.

ومرة أُخرى نعود لنهج البلاغة لنجد أميرالمؤمنين علياً (عليه السلام) يقول:

«فإنْ كان لابدَّ من العصبية، فليكن تعصبكم؛ لمكارم الخصال، ومحامد الأفعال، ومحاسن الأمور التي تفاضلت فيها المجداء والنجداء من بيوتات العرب و يعاسيب القبائل، بالأخلاق الرغيبة، والأحلام العظيمة، والأخطار الجليلة، والآثار المحمودة».

«فتعصبوا لخلال الحمد من: الحفظ للجوار، والوفاء بالذمام، والطاعة للبر، والمعصية للكبر، والأخذ بالفضل، والكف عن البغي، والإعظام للقتل، والانصاف للخلق، والكظم للغيظ، واجتناب الفساد في الأرض».

والواقع اننا لو اعتبرنا السلوك المبدئي نعصباً مرفوضاً، كان علينا أن نصم سلوك الأنبياء العظام، وكل الربانيين والمجاهدين ومواقفهم الصارمة ــ نصمها والعياذ بالله بهذه الصبغة وهو أمر لوتمّ لايبقي قيمة إنسانية واحدة ــ والويل لإنسانية تضيع فيها القيم والمعايير.

واننا مثلاً لا نعد من التعصب قولة بني يعقوب التي ينقلها القرآن:

«إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي؟ قالوا: نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم واسماعيل واسحق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون»

(البقرة/١٣٣)

باعتبار أنها تمت عن وعي وإدراك للحقيقة الكبرى.

* * *

واما الجانب السلبي القابل للرفض من الطائفية والتعصب فهويعبرعن انحراف في مسيرة المقتضيات الطبيعية ــ كما مرَّ بنا قبل قليل ــ ذلك أن الفرد والأمة قد يبتليان ــ نتيجة عوامل ــ بالضعف في الشخصية المحددة سواء على الصعيد العقائدي أو العاطفي أو السلوكي، فإذا ما صادف ذلك توفر عامل خارجي تحريفي أدى الأمر الى ما نشاهده من أوهام عقائدية من جهة و تعصب جاهلي مقيت من جهة أخرى، ونعني بالعامل الخارجي التأثيرات التي يمتلكها ذوو المصالح الضيِّقة، و يسعون لإيجادها في النفوس، تحقيقاً لمطامعهم، وتمويهاً على الآخرين، وتسخيراً لهم لتحقيق تلك المآرب الدنيئة. وكمثال على ذلك (المترفون) الذين يتحدث القرآن عن وساوسهم وايحاءآتهم الشيطانية، وفي طليعتهم الفراعنة، الذين يستخفون قومهم ليتأكدوا من طاعتهم:

«ونادى فرعون في قومه قال ياقوم: أليس لي ملك مصر، وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون. أم أنا خيرٌ من هذا الذي هومهين، ولا يكاد يبين. فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أوجاء معه الملائكة مقرنين. فاستخفَّ قومه فأطاعوه انهم كانوا قوماً فاسقين».

(الزخرف. ٥١ ــ ٥٤)

ولو لم يكونوا قد فقدوا الحالة الطبيعية الإنسانية حالة الوعي (وهو المقصود من الفسق ــ كمانتصور) لما خفت شخصيتهم الى هذا المستوى.

ذلك هو ديدن المترفين أن يعملوا على إشاعة الفسق ــ بهذا المعنى ــ ليستطيعوا تحقيق مآربهم وراء ذلك.

«واذا أردنا أن نُهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول فدمّرناها تدميراً».

(الإسراء: ١٦)

وربما كان الترف نفسه عاملاً من عوامل التعصب لدى هؤلاء المترفين، يقول أمير المؤمنين (عليه السلام):

«واما الأغنياء من مترفة الأمم، فتعصَّبوا لآثار مواقع النِعم فقالوا: نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين».

كما ان التكبّر يشكّل أحد العوامل لهذه الحالة السلبية وربما كان المثال القرآني أصدق تعبيراً عن هذا المعنى حيث يقول تعالى:

«إلّا ابليس أبى وآستكبر وكان من الكافرين».

(البقرة: ٣٤)

«قال ما منعك ألّا تسجد إذ أمرتك قال: انا خيرٌ منه خلقتني من نار وخلقته من طين. قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين».

(الاعراف: ١٢ ــ ١٣)

وعلى أي حال؛

فالضعف في الشخصية الفردية أو الاجتماعية، والاعجاب بالنفس أو الطائفة والإفراط في الولاء.

وتأثيرات النفعيين والمترفين،

كل هذه الأمور لها دورها الهام في تحويل الأمور النسبية الى مطلقات. فالقبيلة، والنسب، وأمثالها أمور نسبة قد تكون طبيعية في حدود معقولة، أما الخطر كله فيكمن فيما لو حاول الإنسان أن يصعد بهذه الأمور الى مستوى المطلقات والمعايير العامة فحينئذ تكون الكارثة وعندئذ تكون الطائفية قد تجلّت بأبشع صورها وأخسّ أشكالها... وحينئذ يتحول النسبي النافع الى قيد على الذهن الإنساني يمنعه من الإنطلاق الحضاري البنّاء باعتبار أن هذا النسبي يرتبط بظروفه الموضوعية فإذا جعل مطلقاً لم يمكن للإنسان أن يتخطى هذه الظروف وحينئذ فالجمود والانحطاط المقيت.

* * *

إذن فنحن عندما ندين الطائفية وندعو الى نبذها من الصعيد الفردي والاجتماعي؛ لانقصد مطلقا:

أن يتنازل الفرد أو المجتمع عن عقيدته وايمانه،

أو أن لا يميل عاطفياً الى قومه أو طائفته أو وطنه أو حزبه الذي يشترك معه في هدفه الاجتماعي وأمثال ذلك.

كما لانقصد أن لا يدافع عن مبادئه التي آمن بها بقوة ولا يعلن رأيه بكل صراحة، وأن لايعمل على تقوية الخط الذي يؤمن به بالسبل الإيجابية الحصيفة.

وانما الذي نعنيه ــ و يعنيه كل من ينطلق لإدانة هذه الصفة من أسباب موضوعية انسانية ــ هو:

رفض كل انحياز غيرموضوعي الى عقيدة أو طائفة أو وطن أو قومية أو حزب أوغيرذلك وابتعاد عن المنطق السليم، والحوار الحر البناء، ومنع الآخرين من ابداء آرائهم بكل حرية، ومنع ذوي الإختصاص من مناقشة فكرة ما والوصول فيها الى صخرة الواقع ولب الحقيقة.

وكذلك نقصد كل عمل لئيم على احتلال المراكز وملئها بالعناصر الموالية دون لحاظ كفاءتها وآثارها السلبية على الدائرة التي ستتسلط عليها ومدى خدمتها في ذلك للهدف المعلن، وكذلك مدى التزامها بالخط الاصيل.

ونقصد أيضاً ــ فيما نقصد ــ إدانة كل المواقف التي لاداعي انساني لها سوى نصرة هذا العنصر أوهذه الطائفة بل وحتى لو كانت هذه في خط معاد للقواعد الإنسانية والأُسس الفطرية للعدالة.

وأمامنا الكثيرمن الظواهر الطائفية

والتعصبية نشاهدها على مختلف الأصعدة وهي تمتد في حياتنا البشرية من أعلى المستويات حتى تصل الى التصرفات الشخصية.

* * *

عمَّ يعبر منح الفيتو للدول الكبرى في مجلس الأمن إنْ لم يكن معبِّراً عن تعصبٍ للقوة والسلطة أوفلنعبّرعن ذلك بـ(طائفية القوة).

وعمَّ تعبر قولة العميل المنحرف صدام حين صرّح قبل سنين بأنه وإنْ كان يختلف عن النظام الصومالي في بعض مواقفه إلّا أنه يجد نفسه ملزماً بالدفاع عنه باعتباره يحكم قطراً عربياً!!

وماذا تعني قولة (نايف بن عبدالعزيز) أخي حامي الحرمين والمشرف على شؤون الحج في السعودية بالحرف الواحد ــ لكاتب هذه الكلمة ــ:

«اننا نرتبط مع ايران بروابط اسلامية، ولكنا نرتبط مع العراق برابطة عربية» ولم يكمل عبارته ليقول ونحن نقدم الرابطة العربية على الرابطة الاسلامية؟! وهل تعني غير (الطائفية القومية).

وأنّى يمكن أن نوجه قولة مسؤول كويتي رفيع المستوى بأنه يعلم مدى الأخطار التي ستقع فيها الكويت نتيجة مواقفها، إلّا انه لا يجد للكويت سبيلاً غير الوقوف الى جانب النظام العراقي حتى ولو كان ذلك ضد الثورة الاسلامية في ايران...

انها الطائفية والتعصب إنْ لم نقل انها المواقف المفروضة على هذه الدويلات من الأعلى!

كل هذا والرسول الأعظم (ص) يعلن لجميع المسلمين قولته الشريفة:

«من العصبية أن يعين الرجل قومه على الظلم».

* * *

بعد كل هذا نود التركيز على العطاء الإسلامي الضخم الذي تركته الثورة الإسلامية المجيدة على الأرض الايرانية اذ عملت على اجتثاث كل الأمور اللا إسلامية الواحد بعد الاخر، وكان ممّا ركّزت عليه بكل قوة مسألة حذف التعصب المقيت الى جنب التأكيد على الإلتزام المبدئي الصارم في مختلف الطروحات والعلاقات الداخلية والخارجية كل ذلك في اطار مرونة واقعية لم يدركها البعض ــ وحتى بعض المخلصين ــ فحسبوها خروجاً عن الخط الأصيل.

لقد كانت ايران كغيرها من الساحات الإسلامية مبتلاة بأنظمة حكم فاسدة لا همَّ لها إلّا تنمية العصبية الطائفية بشكلها المنحرف، وزرع الخلافات بين المسلمين، وتركيز الشقاق والتناحر.

ومنذ فجر انتصار الثورة الإسلامية المباركة جاء التخطيط الحكيم للقضاء على هذه الظاهرة المرضية كخط عام تتبعه الثورة المباركة الى جنب الخطوط الأخرى التي عملت على سلوكها لتصل المطلوب الإسلامي الأمثل.

وقد تمثّل خط نفي الطائفية المنحرفة بالدعوة المخلصة الى الحوار الحر النزيه، ونبذ كل عوامل التمزق والتباعد والتنافر، واستماع القول واتباع

أحسنه. وقد تبع ذلك فسح الحرية التامة للجميع ليقولوا كلمتهم دون وازع أو رادع ومن على جميع المنابر.

ومضت فترة ليست بالقصيرة من عمر الثورة ادركت من خلالها أن العناصر الملحدة والعميلة والمتآمرة على الوجود الإسلامي استغلت هذه الحرية الممنوحة لها لتضرب ضربتها اللئيمة وتتآمر على هذا الوليد المقدس، مما دفع بجماهيرنا المسلمة لأنْ توقف الحاقدين عند حدهم، في حين بقيت الساحة مفتوحة لكل الأفكار المخلصة لتقول كلمتها سواء من على منابر الصحف أو من على منبر مجلس الشورى الاسلامي أو في المجالات الأُخرى كالكتب والاذاعة وغيرها.

وها هي الساحة الفكرية والعملية تعج بالأفكار التي قد تختلف ولكنها تشترك جميعاً في اخلاصها لمستقبل هذه الأُمة ونظامها السليم.

وعلى الساحة القانونية فسح المجال لجميع المسلمين بممارسة حقوقهم القانونية على حد سواء مع ملاحظة وجود بعض الإختلاف في الأحكام، الأمر الذي أدى بالثورة لفسح المجال لقضاة كل مذهب اسلامي بالحكم وفق مذهبهم كل ذلك في اطار النظام الإسلامي الذي عيّنه الدستور الذي وافق عليه الشعب في أروع انتخابات حرة و بنسبة ٩٨٪ وقد قررهذا الدستور أن الدين الرسمي هو الإسلام لاغير فهو جوهر النظام القائم.

أما النقطة التي يعمل بعض الجهلة أو المتعصبين عن عمد على اثارتها بين الحين والحين فهي مسألة تصريح الدستور باتباع المذهب الامامي الإ ثنا عشري كأصل في التشريعات الإسلامية. فالواقع الذي يجب أن نعلمه جميعاً ونعي ظروفه جيداً حتى لانفسح المجال للعدوكي يستغل جهلنا لتحقيق مآربه الخبيثة هو:

ان الدين الرسمي هو الإسلام وهو الهوية التي لا تتبدل، ولكن لما كانت هناك اختلافات بسيطة بين المذاهب الإسلامية في الأحكام العملية والمواقف التشريعية، استلزم الأمر أن يعين القانون الأصل الذي يتبع في مثل هذه الموارد، وكان من الطبيعي أن يعين المذهب الإمامي أصلاً عاماً في هذه الساحة الإسلامية التي يشكل أتباع هذا المذهب الأكثرية الساحقة.

و بالتحديد نقول:

إن كون الإسلام هو الدين الرسمي يعين الهوية الكاملة،

اما تعيين المذهب الرسمي فهو يحدد الأصل عند الإختلاف القانوني لا غير، وذلك في خصوص مناطق الأكثرية.

فأين هذا من التهمة الطائفية التي يعمل البعض على الصاقها بالثورة الاسلامية، وهل بعد هذا يصح لمثل هذا الكاتب الاسلامي أو ذاك أن يخدع بالأحابيل الشيطانية الضالة.

إن الثورة الاسلامية هي ملك المسلمين جميعاً لأجل علائهم أقيمت، و في سبيل تطبيق الإسلام ــ والإسلام وحده ــ قامت، وحققت النصر العظيم:

لا بل راحت الثورة وبمقتضى طبيعتها

الإسلامية تفسح المجال للأقليات الدينية الأخرى من ممارسة عباداتهم بكل حرية والسلوك الى الحد الذي تضمنه الشريعة الإسلامية لهم وهو أمر طبيعي.

واذا نظرنا الى الساحة العالمية وجدنا الجمهورية الإسلامية عملت على نشر الوعي الإسلامي الخالص والحماس الإسلامي الثوري وهما الشرطان الرئيسان لتحقيق نهضة إسلامية شاملة تعيد المجد الإسلامي الأثيل. الأمر الذي أرعب العدو فراح يسخر كل طاقاته لتوجيه التهم اليها عسى يستطيع أن يوقف زحفها الهائل الى القلوب.

وكانت تهمة الطائفية من الموارد التي استخدمها في هذا السبيل، ومما يؤسف له أن البعض قد اغرته شراك الشياطين وحبائلهم فوقع فيها دون وعي و بصيرة.

هذا وربما بدل الإستكبار تعبيراته فراح يتهم الثورة بالصفة التقليدية وهي أقل وقعاً باعتبار أن التقليدية اذا كانت تعني التمسك بالمبادىء الأصيلة فهذا هو فخرنا بالتحديد والتأكيد.. ونحن نرى أن ما يسمى بالخط المعتدل يعبّر عن انحراف بلاريب إذا كان المقصود منه مساومة الكفر والتنازل عن بعض المواقف المبدئية ●

تفسير



إحساساً بضرورة وجود تفسير للقرآن الكريم، يحمل عناصر الايجاز والعمق والوضوح، بالاضافة الى طرح البعد الاجتماعي للمفاهيم القرآنية، فقد قام كل من الشيخ محمدعلي التسخيري والشيخ محمد سعيد النعماني بهذه المهمة التي نسأل الله تعالى التوفيق لاكمالها.

وينبغي للقراء الأعزة ان يلاحظوا انه روعيت في هذا التفسير العناصر التالية؛

١ ــ الايجاز الى الحد الممكن مما يجعل كل صفحة من القرآن الكريم تقابلها صفحتان من التفسير تقريباً.

٢ ــ طرح الأبعاد المختلفة للمدلول القرآني ومنها البعد الاجتماعي الاصيل.

٣ ــ طرح التفسير وفق مختلف الآراء مهما امكن مع التركيز على المروي عن اهل البيت(ع).

القسم الحادي عشر

من الآية ــ٧٦ــ الى الآية ١١٧ من سورة آل عمران

بلى من أوفى...: يؤكد القرآن حقيقة ان الله لايأمر إلاّ بالعدل والإحسان وكل ما يراه الوجدان حسناً، ومن ذلك الوفاء بالعهد مع أي طرف كان، فإنه من أجل خصال المؤمنين المتقين الذين هم موضع حب الله وقربه ورحمته، و يتجلى هنا بشكل رائع الربط بين الجوانب الأخلاقية والعاطفية والعقائدية، حيث ينتج الإيمان بالله التقوى الحقيقية التي تؤدي الى الأخلاقية العالية مما يجعل صاحبها محبوباً لخالقه الرحيم.

انّ الّذينَ يَشترونَ...: اما الذين لايعيرون وزناً للعهد الإلهي، ولايمانهم (القسم والحلف) فيبيعونها بالثمن القليل وهو المصالح الشخصية الرخيصة، فهؤلاء لاخلاق (نصيب) لهم في الآخرة، ولايكلمهم الله ولاينظر اليهم، وهذا التعبير الشديد التأثير على النفوس كناية عن طرد هؤلاء الخائنين عن ساحة الرحمة الإلهية والثناء الإلهي والتزكية والتطهير إذ لايستحقون ذلك وانما أعدّ لهم العذاب الأليم.

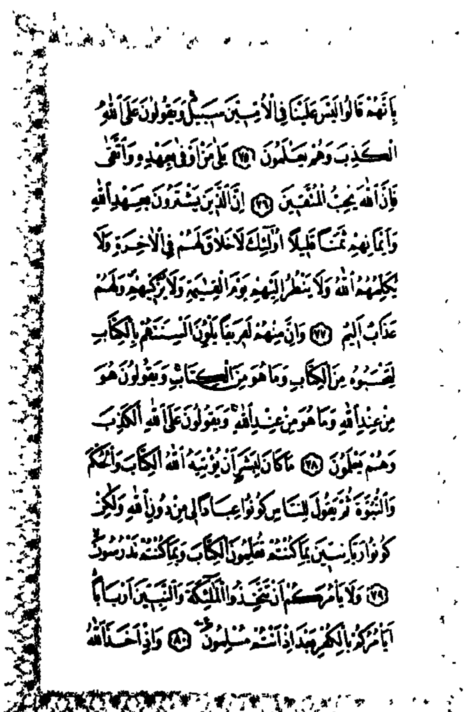
ومن كل هذا التهديد والوعيد تتجلى أهمية الوفاء بالعهد الفطري مع الله تعالى بالايمان به وحده والعمل بنظامه وتشريعاته وجعلها مقياساً للحياة، وكذلك أهمية الوفاء بالعهد والعمل بمقتضى اليمين والقسم فيما بين الناس وذلك لإشاعة روح الثقة الضرورية لكل مجتمع صالح متعاون بنّاء.

قال الإمام الصادق(ع): ان الله لم يبعث نبياً قط إلاّ بصدق الحديث وأداء الأمانة مؤداة الى البر والفاجر.

وانّ منهم لَفريقاً يلوون...: يواصل القرآن فضح أساليب أهل الكتاب وطباعهم ومنها ما يذكره هنا من أنّ فريقاً من علمائهم كانوا يفترون بعض الكلام الذي يكرس مصالحهم وآرائهم و يدخلونه بين آيات الكتاب ثم يلوون (يميلون) ألسنتهم في قراءته ليخيل لسامعهم انه من آيات الكتاب، مع انه ليس منها. وقد ورد أنهم كانوا يبدلون صفة النبي محمد(ص) الموجودة في التوراة بكلمات لا تنطبق عليه ثم ينسبونها الى التوراة كذباً وافتراء و يدعون انها من عند الله تعالى وما هي منه ولكنه الكذب المتعمد على الله سبحانه.

ما كانَ لِبشرٍ...: يتجه الكتاب الكريم هنا الى النصارى ويكشف تحريفاتهم العقائدية مؤكداً على ان الانسان الذي يؤتيه الله الكتاب الهادي والحكمة والنبوة فيصل الى كمال الإيمان، مثل هذا الإنسان لايمكن أن ينحرف عن رسالته فيدعو الناس لتأليهه هو وعبادته من دون الله، وانما شأن الأنبياء أن يعدوا الناس لله تعالى ويجعلوهم ربانيين في سلوكهم أي منتسبين الى الربّ الواحد تعالى وذلك بواسطة ما يعلّمون للناس، و يعمقونه في وجودهم من مفاهيم الكتاب وتعاليمه الهادية...

ولايأمركم...: ان النبي ــ أي نبي ــ وهو الإنسان الكامل في وعيه وعبادته لايتصور منه الدعوة الى اتخاذ الملائكة والأنبياء أرباباً. إذ كيف يأمر بالكفر بعد أن كان الناس مسلمين بالفطرة والوجدان، أو بعد أن ركّز الأنبياء السابقون روح التوحيد والتسليم في البشرية. وبهذا رفض القرآن أي اتباع أعمى من قبل الانسان لإنسان، وأي عبادة لغير الله تعالى مركزاً على عبودية الإنسان لله وحده وحريته في قبال أفراد نوعه.


بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله
الكذب وهم يعلمون ﴿٧٥﴾ بلى من أوفى بعهده واتقى
فإن الله يحب المتقين ﴿٧٦﴾ إن الذين يشترون بعهد الله
وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا
يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم
عذاب أليم ﴿٧٧﴾ وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب
لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو
من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب
وهم يعلمون ﴿٧٨﴾ ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم
والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن
كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون
﴿٧٩﴾ ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا
أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ﴿٨٠﴾ وإذ أخذ الله

وإذْ أخذَ اللّه...: في اطار تنزيه الأنبياء من دعاوى أهل الكتاب بنسبة الإلوهية والتفرد لهم يرسم القرآن هذا المشهد العظيم حيث أخذ الله العهد والميثاق من النبيين انه مهما آتاهم من كتاب وحكمة لهداية البشرية ثم جاء بعدهم رسول من الله فان عليهم الإيمان به ونصرته وتقوية دعوته، وعلى الأنبياء بدورهم بعد الإقرار بهذا الاصر (العهد) أن يأخذوه من أممهم و يتواصوا به و يكونوا شهداء عليه، والله معهم من الشاهدين.

وهكذا تتجلى نظرة الإسلام الى الأنبياء في وحدة دعواتهم ومنهجهم العام فلا تعصب ولا أنانية ولا تفرد والوهية بل عملية متواصلة تقود الانسانية نحو كمالها، يبشر السابق منهم باللاحق و يصدق اللاحق بالسابق لتتلاحم حلقات المسيرة المباركة.

فمنْ تولّى بَعدَ ذلِكَ ...: اما الذين تراجعوا من الأمم عن الإلتزام بالميثاق الإلهي وخرجوا عن خط التوحيد ووحدة دعواته، وآثروا التعصب الأعمى فهم الفاسقون (الخارجون) عن أمر الله وميثاقه وهداه.

أفغير دينِ اللّه...: إن دين الله هو الاسلام الحقيقي فإذا صدق أهل الكتاب في دعواهم اتباع دين الله فليتجهوا إلى الإسلام الذي تصدقه الفطرة والأدلة القاطعة والذي يعني صوغ الحياة الانسانية وفق إرادة الله وتشريعاته لتكون منسجمة مع الكون بسماواته وأرضه ومافيها من موجودات حيث أسلم الجميع طوعاً أو قهراً لله الخالق العظيم والغني المطلق، إذن فلتسلم الانسانية أمرها لله خالقها ولترجع اليه في تنظيم حياتها كما سترجع اليه يوم القيامة فيحاسبها على مسيرتها ومدى التزامها ميثاقه وعهده.

قُلْ آمنّا باللّه...: واذا فسق أهل الكتاب عن عهد الله فليعلن الاسلام على لسان نبيّه العظيم الإلتزام التام بالميثاق الإلهي الذي يتضمن الإيمان الكامل بالله و بالقرآن المنزّل على الرسول(ص)، و بكل ما أنزل على الأنبياء السابقين ابراهيم واسماعيل واسحاق و يعقوب وأحفاده الأنبياء (الأسباط) وموسى وعيسى وغيرهم بلا أي تفريق بينهم لوحدة دعواتهم ورسالاتهم، وليعلن الجميع كذلك التسليم العملي التام لله تعالى.

وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلامِ...: إنّ الإسلام الحقيقي والمنهج الإلهي والسعادة تكمن في اتباع ما أُنزل على النبي محمد(ص) اتباعاً فكرياً وعملياً وأي انحراف عن خط الرسول الخاتم ورسالته مرفوض من قبل الله، ولن يؤدي إلاّ إلى الإنهيار والضياع في الدنيا والخسران في الآخرة.

كَيْفَ يَهدي اللهُ...: انّ أهل الكتاب الذين علموا من كتبهم بصدق الرسول(ص) وأحقية دعوته، والمرتدين الذين ذاقوا حلاوة الإيمان واطلعوا عليه قد أهدروا جميعاً فرصة الهداية التي أُتيحت لهم ففدوا يعيشون حالة من الإنحراف والظلم والعناد ــ رغم توفر الدلائل والبيّنات ــ لايتوقع لهم معها أن يتكاملوا و يصلوا الى الهداية الإلهية بل سيكون جزاؤهم الطرد من رحمة الله وانصباب لعنات الله والملائكة والناس أجمعين عليهم لانهم شوّهوا وجودهم الإنساني بتعصبهم وعنادهم ولانهم عرقلوا مسيرة الخير الانسانية.

مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ
مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ
وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا
مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾
قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى
وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ
﴿٨٤﴾ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي
الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا
بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ

خالدينَ فيها...: هؤلاء الذين آمنوا بادىء الأمر، وشهدوا بحقانية الرسول وجاءهم العلامات الواضحة ـــ وكفروا رغم كل ذلك، هؤلاء يستحقون لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، والخلود في عذاب هذه اللعنة المتمثل في جهنم فلا أن يخفف عنهم العذاب ولا ينظرون (يؤجل عذابهم الى حين) و يتجلى استحقاقهم هذا العذاب الهائل بعد ملاحظة عنادهم للحق الواضح وهو يكشف عن خبث باطني واصرار نفسي على الإنحراف مهما طال الزمن، وكذلك ملاحظة ضعتهم كمخلوقات ضعيفة وعظمة خالقهم الذي عصوه بدلاً من شكران نعمه الجزيلة.

إلاّ الّذين تابُوا...: ولكن باب الأمل مفتوح لهؤلاء الضالّين كي يعودوا الى صراط الحق و يتوبوا نادمين على ما بدر منهم وعاملين على اصلاح أنفسهم لتشملهم رحمة الله ومغفرته.

إنَّ الّذينَ كَفَرُوا بَعْدَ...: وفي هذا المقطع يعرض هنا نموذجان للعناد؛ الأول: نموذج الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً فبلغوا حداً لايرجى معه الصلاح والهداية والتوبة والثاني: نموذج المصرّين المستمرين على الكفر حتى الموت وهؤلاء سوف يجرون عذاباً أليماً حتماً لا ناصر لهم من دونه ولا شفيع ودون أن ينفعهم ما أنفقوه في حياتهم لأنهم لم يقصدوا به وجه الله، كما لن ينفعهم أن يمتلكوا بعد الموت ـــ فرضاً ـــ ملء الأرض ذهباً، ثم يتصدقوا به فداء من العذاب الخالد، والقرآن يذكر هذين النموذجين محذراً الكافرين من مغبتها وقاطعاً تمنيات التوبة بعد ذلك.

لَنْ تَنالُوا البِرَّ...: بيان لنوعية الإنفاق، وانه لن يحصل المرء على البر ـــ وهو الخير المعبَّر عن الإيمان الكامل ـــ إلاّ بالبذل من كل مايحبه لنفسه و بذلك تطهر القلوب من الخسة والطمع وتطفح بروح الإيثار والمحبة.. هذا والله عليم بكل ما ينفقه الانسان وما يقصده من ورائه. و يذكرلنا التاريخ صوراً رائعة للبذل حققها الفرد والمجتمع المسلم تعبيراً عن مايتركه الدين في النفس الإنسانية.

كُلُّ الطّعامِ...: في مجال فضح مدعيات اليهود وكشف شبههم يتعرض القرآن الى شبهة يهودية حول تحليل القرآن لبعض الامور التي زعموا انها كانت محرّمة في ملة ابراهيم(ع)، رغم انه مصدق لها فيردهم القرآن ببيان حقيقة هي ان الطعام كلّه كان حلالاً لبني اسرائيل قبل أن تنزل التوراة والذي حدث أن يعقوب (اسرائيل) حرّم على نفسه بعض الطعام لنذر أوضرر أصابه منه وجاءت التوراة فحرمت بعض الطعام عليهم خاصة عقوبة على ظلمهم، وهنا يتحدى اليهود أن يأتوا بالتوراة فيتلوها ليجدوا تصديق مايقول ان كانوا صادقين في موقفهم. ولكنهم يفترون الكذب، ومن افترى الكذب بعد وضوح الحق فإنما يظلم نفسه و يظلم الحقيقة. هذا وقد ابتليت الأمة الإسلامية ـــ كما اليهود ـــ بوضّاعين باعواديهم للسلطات الغاشمة فدسوا الأكاذيب وشوهوا التاريخ.

قُلْ صَدَقَ اللهُ...: ان تراجع اليهود عن الإتيان بالتوراة لكشف الواقع هو اعتراف صريح بصدق الإسلام وهو يؤكد الى جنب الدلائل البيّنة ان القرآن كلمة الله والله أصدق القائلين، وقد أخبر بأن الإسلام هو امتداد أكمل لملة ابراهيم الحنيفة الخالصة من شوائب اليهود وشرك المشركين. فاللازم اتباع الاسلام ونبذ الخرافات والأكاذيب.

لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا
لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ
تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ
وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ
فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٩١﴾ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ
تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ
﴿٩٢﴾ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ
مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ
صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ
حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ

إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ...: شعر اليهود بقيمة تحويل القبلة الى البيت الحرام في حياة المسلمين فتعمدوا إثارة الشبهات والأراجيف ومنها: ان اتباع الاسلام لملة ابراهيم ينافي الإتجاه الى الكعبة، إذ كان ابراهيم يتجه الى بيت المقدس ــ حسب زعمهم ــ فردهم القرآن بأن الكعبة هي أول بيت وضع للعبادة ببكة (أي مكة التي يبكُّ ــ يزدحم ــ الناس عندها) فقد رفع قواعدها ابراهيم وابنه اسماعيل، ودعا الناس للحج اليها، اما بيت المقدس فقد بناه سليمان بن داود بعد ذلك بقرون، ومن ثم اعلن القرآن الكعبة محوراً للهدى العالمي ومركزاً لبركات الله المادية والمعنوية، فمن المنطقي إذن إتجاه المسلمين اليها باعتبارها أول مركز للتوحيد والهدى.

فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ...: وفي بيت الله الحرام آيات وعلامات واضحة تدل على عظمته وحرمته واتصاله بملة ابراهيم، وأولها: مقام ابراهيم وهو الحجر الذي كان يقف عليه عند بناء البيت أوحين العبادة، والثاني: الأمن لمن دخله، وهي سنة تاريخية متصلة به (ع) وأقرها الإسلام ودعا اليها، والثالث: فريضة الحج التي بدأت باذان ابراهيم ودعوته الناس ليأتوا اليها من كل فج، واستمرت عند العرب حتى ظهور الإسلام إذْ أقرها بعد أن هذَّبها من الخرافات التي علقت بها.

وتتجلى في الحج معان جليلة: كتعميق الإرتباط بالله، وتركيز توحيده بالطواف حول مركز التوحيد، والشعور بالعمل والتضحية في سبيله، وطلب المغفرة والتوبة، واستحضار التاريخ المؤمن، وتجلي عظمة الدين بإثارة مشاعر الوحدة والاخوة والمساواة والتعرف على مشاكل المسلمين، ونشر المعارف الاسلامية فيما بينهم.

والحج واجب على المستطيع من حيث القدرة المالية والجسدية، فمن كفر بهذه الفريضة وتركها عامداً فإنما يخسر عطاءها الكبير ولن يضر الله شيئاً لأنه غني عن طاعة العالمين، قال أمير المؤمنين علي (ع): «وجعله ــ أي البيت الحرام ــ **سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته، وإذعانهم لعزّته، واختار من خلقه سماعاً أجابوا إليه دعوته، وصدقوا كلمته، ووقفوا مواقف أنبيائه، وتشبّهوا بملائكته المطيفين بعرشه، يحرزون الأرباح في متجر عبادته، ويتبادرون عند موعد مغفرته، جعله سبحانه وتعالى للاسلام علماً، وللعائذين حرماً».**

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ...: توبيخ لأهل الكتاب على كفرهم بآيات الله بتحريفها وكتمانها، وصدهم (منعهم) عن سبيل الله والطريق الحق الذي يحقق مصالح البشرية وسعادتها، دون السبيل الأعوج الذي يبغونه ليجروا البشرية الى الدمار، كل هذا وهم يعلمون بانحرافهم وكأنهم غافلون عن ان الله شاهد عليهم ولايغفل عما يقومون به.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا...: تحذير للمؤمنين من اتباع بعض أهل الكتاب ــ ولعلهم اليهود ــ إذ يؤدي ذلك الى الإرتداد للكفر بعد الإيمان، وكيف يكفر المسلمون بالله والاسلام بعد وضوح الحق لهم عبر آيات بينات تتلى عليهم، و بعد وجود رسول الله (ص) بين ظهرانيهم يحمل دلائل صدقه في سلوكه وأقواله ومعاجزه، و يرسم لهم الطريق الوحيد للهدى، فاذا سار المسلمون عليها فقد اعتصموا بالله وهدوا الى صراط مستقيم حتماً، اما إذا وجدنا المسلمين اليوم في تقهقر فليس إلاّ لجهلهم وعدم اتباعهم الكامل لهذا المنهج، وميلهم الى معسكرات أعدائهم الملحدين وهو مانهتهم عنه آيات الكتاب المجيد.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا...: إرشاد قرآني لحكم العقل بطاعة المولى الحقيقي والمنعم الوحيد على الكون والانسان بالوجود والخير وسائر النعم، ولايتم ذلك إلاّ بالتسليم الحياتي الكامل له تعالى والثبات على ذلك حتى الموت، ولما كان الموت غير معروف الأجل فعلى المؤمن أن يمتحن إسلامه دائماً و يراقب سلوكه لئلا يموت وهو غير مسلم. قال الإمام الصادق (ع): «في معنى (حق تقاته) هو: أن يطاع ــ أي الله ــ فلا يعصى، و يذكر فلا ينسى، و يشكر فلا يكفر».

لِلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ
مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ
حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ
عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ
شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ
بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا
مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾
وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ
وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ
﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا

واعْتصِمُوا بِحَبْلِ...: بعد دعوة القرآن لتقوى الله الحقة تأتي الدعوة الهامة للاعتصام الجموعي (الإرتباط التام) بحبل الله مما يحقق الوحدة الانسانية التي تشكل العقيدة أساسها وهي رابطة تسمو على الروابط القومية والوطنية والمصلحية وأمثالها. وفي الآية تذكير للمسلمين بحالتهم المزرية في الجاهلية حيث العداوة الطاحنة وحيث كانوا على شفا (حافة) حفرة من نار الضياع والضلال الأخلاقي والعقائدي فأدركتهم نعمة الله فعادوا إخواناً على منهج واحد والى هدف واحد، واتصفوا بأروع الصفات الحميدة، وساروا صعداً نحو الهدى بعد أن مدت السماء اليهم حبلها المتين وهو القرآن الكريم، والرسول الحامل للقرآن، وأهل البيت (ع) الذين جعلهم الله حفظة للشريعة بعده (ص) كما ورد في أحاديث كثيرة، منها: ما عن أبي سعيد الخدري، عن النبي (ص) قال: **«اني قد تركت فيكم حبلين؛ إن أخذتم بها لن تضلُّوا بعدي، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الأرض، و عترتي أهل بيتي، ألا وانهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض».**

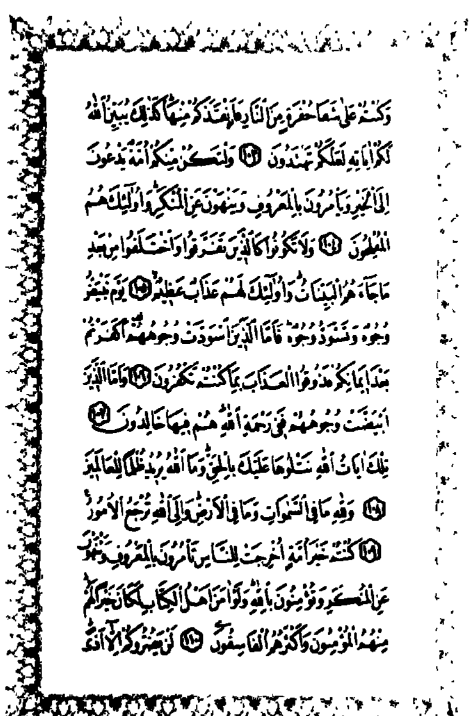
وفي الآية كذلك درسٌ رائعٌ للمسلمين دائماً يدعوهم لنبذ حالات الجاهلية، والتمزق، والابتعاد عن حبل الله، و يؤكد لزوم العوده الى نعمة الله العظمى (الاسلام).

وَلْتَكُنْ مِنكُمْ...: الإسلام دين الإنسانية الخالد، والأمة الإسلامية هي الأمينة عليه، فمن الطبيعي أن تعنى بأمر نشره على الصعيد العالمي، وتطبيقه التام في مجالها الحياتي، وتوكل أمر متابعة ذلك الى أمة (جماعة) منها و ربما كان المقصود أن تجعل من نفسها الأمة الداعية للخير والحضارة الصحيحة، الآمرة بالمعروف، الناهية عن المنكر، ولايتم ذلك إلاّ بعد معرفة المعروف والمنكر بالدقة واتخاذ أفضل الأساليب في الأمر مع مراعاة عنصر المرونة والموعظة الحسنة. وقد ورد عن النبي (ص) قوله: **«لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليسلطنّ عليكم شراركم، ثم تدعون فلا يستجاب لكم».**

وَلا تَكُونوا كالّذينَ...: تحذير للمسلمين من الفرقة والتنازع، وتذكير بمصير أهل الكتاب الذين لم ينتفعوا بآيات الله الواضحة إذ سيلقون العذاب الخالد يوم القيامة حيث تبيض وجوه المؤمنين معبرة عن طهارتهم واخلاصهم، وتسود وجوه العاصين لظلمهم وتفرقهم، وذلك بعد ان يؤنّبوا على كفرهم بعد الايمان، ومما يؤسى له ان بعض المسلمين لم يستفد من هذا التحذير وسلك نفس المسلك وقد قال رسول الله (ص) **«لتركبن سنن من كان قبلكم... ولو دخلوا جحرضبّ لدخلتموه».**

تِلْكَ آياتُ اللّهِ...: ان القرآن إذ يتحدث عن آيات الله و يذكر بالثواب والعقاب الاخرو يين بالحق، فإنما يهدف لهداية الإنسان وتحذيره من الإنزلاق الى الهاوية وحينها يكون العذاب جزاءً طبيعياً للمنحرفين بدون أي شائبة ظلم في البين وانما يحتاج للظلم الضعيف في حين ان لله ما في السماوات والأرض واليه مرجع الأمور كلها.

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ...: تكريم للأمة المسلمة بجعلها خير أمم الأرض، لأنها تحمل خاتمة الرسالات لا لنسب أو قومية ــ كما نجد ذلك عند اليهود ــ والمسلمون يحتلون هذا المنصب ماداموا يحملون الرسالة، فيأمرون بالمعروف، و ينهون عن المنكر، و يقيمون حياتهم على الإيمان بالله، والمجال مفتوح للجميع كي يدخلوا في هذه المسيرة الطليعية، إلاّ إننا نجد أن فئة من أهل الكتاب قد وعت لذلك ونكص أكثرهم وفسقوا (أي خرجوا) عن المنطق السليم.


وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ
لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ
إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ
مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ
وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم
بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ
ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾
تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ
﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ
﴿١٠٩﴾ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم
مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى

لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أذى...: يضمن القرآن للمسلمين النصر على اليهود ما داموا مؤمنين به آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر ويخبرهم ان اعداءهم لن يستطيعوا الحاق الضرر البالغ بهم إلاّ ما كان من قبل الأذى كالسب والجراح وعرقلة الجهود، اما النصر النهائي فهو للمسلمين إذْ لا ثبات لأعدائهم في القتال وسرعان مايولون الأدبار (ينهزمون) وليس لهم بعد ذلك من ناصر.

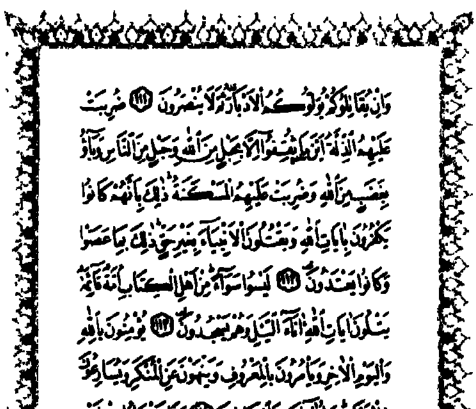
ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ...: عصى اليهود أوامر الله واعتدوا على خلقه حتى أنهم كذبوا بآيات الله وقتلوا الأنبياء المصلحين ظلماً، فحلّ عليهم غضب الله، وضربت (كتبت) عليهم الذلّة والمسكنة، والإحساس بالحقارة والهزيمة الداخلية أينما ثقفوا (وجدوا) فلا نجاة لهم من ذلك ولا مفرّ إلاّ بحبل (سبب) من الله بأن يعودوا الى صراطه المستقيم ومنهجه الحق، أو بأن يستفيدوا مما جعله الله لهم من حقوق الذمة في المجتمع الاسلامي، أو بسبب من الناس حين يعقدون تحالفاً مع الآخرين يوفرون به لأنفسهم الحماية والأمن.

لَيْسُوا سَوَاءً...: القرآن لا يدين جنساً أو شعباً بأكمله وإنما يركز على العمل والسلوك، فها هو يوضح ان الذلة التي ضربت على بني اسرائيل كانت نتيجة أعمالهم وانحرافهم، ولذا فهي لا تشمل القلّة الواعية التي انضمت الى الرعيل المسلم، نابذة بذلك حقدها وتعصبها الذميم، ومتصفة بسمات المسلمين من القيام بالحق والعمل به، وتلاوة آيات الله في آناء (أوقات) الليل حيث الصفاء النفسي والهدوء، والسجود تضرعاً وخضوعاً لله، والإيمان بالله تعالى واليوم الآخر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمسارعة في الخيرات، مما يجعلهم من الصالحين عقيدة وسلوكاً وعملاً، ولن يُكفر (يُعدم) هؤلاء ثواب ما عملوا من خير واحسان أملاه عليهم صلاحهم وتقواهم الذي يعلمه الله، وسيجزيهم بمقتضاه الجزاء الأوفى والنعيم الخالد.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا...: ان كل الذرائع المادية للكافرين، من الأموال والبنين والتي كانت تمهد لهم السيطرة وتمنع عنهم الأذى في الدنيا، لن تغني (تمنع) عنهم عذاب الله يوم الفزع الأكبر حيث يواجهون أعمالهم السيئة وانحرافهم العميق الذي جرّهم الى الخلود في النار.

مَثَلُ ما يُنْفِقُونَ...: وربما يقوم الكافرون في الدنيا بعض الأعمال النافعة كالإنفاق لأغراض خاصة من سمعة أو رياء أو عاطفة إلاّ أنها لم تكن نابعة من إيمان ونية خالصة منسجمة مع باقي الأهداف الانسانية العامة فانها ليست ذات قيمة أخلاقية في موازين الله، ولذا تشبه الآية مثل هذه النفقات بحرث (حقل) خصب ثار به ريح عاصفة فيها صرّ (برد شديد) فأحرقته عن آخره نتيجة سوء تصرف صاحبه وظلمه لنفسه في عدم اتباعه السبيل الصحيح.

وهكذا فالاسلام يركز على نية العمل قبل العمل نفسه، لأن النية الصالحة تكشف عن تأصل للخير في النفس وسمو معنوي يشكل منبعاً لتكرر العمل في المستقبل.


وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ (111) ضُرِبَتْ
عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُو
بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا
يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا
وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (112) لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ
يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (113) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ
فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (114) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ
فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (115) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (116) مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا
أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (117)

رسالة آية الله العظمى المنتظري الى مؤتمر أئمة الجمعة والجماعة

نص الكلمة التي وجهها سماحة آية الله العظمى المنتظري الى المؤتمر العالمي الثاني لأئمة الجمعة والجماعة الذي انعقد بطهران في الفترة ١٦-٢١ شعبان ١٤٠٤ هـ.ق الموافق ٥/٦ ـــ ٥/١١ /١٩٨٤

«وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّٰه جَمِيْعاً وَلَا تَفَرَّقُوا.... وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَٱخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ ٱلْبَيِّنَاتُ».

حضرات السادة حجج الاسلام والعلماء الأفاضل أئمة الجمعة واجماعة والشخصيات الإسلامية دامت بركاتهم:

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

أُرحب بكم وأُقدِّم لكم جزيل الشكر على قبولكم الدعوة والمساهمة في المؤتمر العالمي الثاني لأئمة الجمعة والجماعة وأجد من المناسب أن أُشير الى بعض الملاحظات طالباً العذر.

١ــ يبدأ هذا المؤتمر أعماله في ظروف دخلت فيها الثورة العظيمة للشعب الايراني المسلم السنة السادسة لانتصارها فخلال هذه الفترة قطعت الثورة الاسلامية مراحل حساسة وواجهت مؤامرات خطيرة حاكها الكفر العالمي والمستعمرون من شرقيين و غربيين، لا سيَّما الشيطان الاكبر. وقد تجاوزنا كل هده التحديات بانتصار، ولم يبق لهؤلاء سوى فرض حرب علينا بواسطة النظام العراقي العميل، ومع أن شعبنا تحمَّل خسائر هائلة وقدَّم شهداءً أعزاء طيلة فترة الحرب، لكنه و بفضل الله يصبح يوماً بعد آخر أكثر وأشدَّ مقاومة مما مضى.

ويحاول اعداء الاسلام ــ اليوم ــ بعدما لاحظوا المقاومة الجبارة لشعبنا الواعي وفشل آخر مؤامرة لهم، يحاولون فرض سلام استعماري و يوفِّرون الأجواء ليدفعوا أُمَّتنا للرضوخ لهذا الإستسلام المفروض.

وأهم هدف يقصد اليه أعداء الاسلام من وراء هذه المؤامرة هو خنق الثورة الاسلامية وحصرها في داخل ايران. و بعد أن أصابهم اليأس من تحطيم الثورة في الداخل، أخذوا في بذل الجهود للحيلولة دون تسربها الى سائر شعوب العالم، و بذلوا في

هذا السبيل غاية جهودهم الفكرية والسياسية والعسكرية. انهم يشعرون بالقلق من يقظة الشعوب المظلومة والتفاتها للاسلام الأصيل الذي تعتبره السبيل الوحيد لنجاتها وحريتها، وهم لا يريدون أن تتكرر التجربة الحية التي جرت في ايران بزعامة علماء الدين الملتزمين وعلى رأسهم القائد الفذ الإمام الخميني-مدّ ظله العالي ـ لا يريدون أن تتكرر هذه التجربة في سائر المناطق التي تخضع لسلطتهم، ولهذا فأنهم لا يدخرون جهداً في سبيل تشويه سمعة الثورة الاسلامية في العالم أولاً، ويعرضون على الناس حقائق محرفة وانجازات مشوهة عنها، ثانياً؛ ويحاولون حرمان الناس من الوعي السياسي والاهتمام بالمسائل المهمة للعالم الاسلامي و معرفة العدو الرئيس للاسلام والقرآن و ذلك بواسطة عملائهم والمتلبسين بلباس علماء الاسلام من التابعين لهم. فهم يخافون من وحدة الكلمة بين المسلمين، و لهذا يصرّون على اثارة مجموعة من المسائل في الدول الاسلامية مما يؤدي الى الصراع بين مذاهب المسلمين وسفك الدماء لتعيش الشعوب في غفلة عن العدو الأساسي للاسلام والمسلمين. ولكننا نلاحظ اليوم ـ ولله الحمد والمنّة ـ وعلى الرغم من كل تلك المحاولات صدور الثورة الاسلامية ووصول كلمتها الى اسماع المحرومين والمظلومين في العالم.

ان القوى العظمى في الشرق والغرب و عملائها شاءت أم أبت، فإنّ الشرارة قد انطلقت من ايران الاسلام وتعلّقت بها قلوب الملايين من المحرومين والمستضعفين في العالم، وهم يحاولون بكل ما أُوتوا من قوة أنْ يتعرفوا عليها و يرتبطوا بها.

٢ـ إنّ الكفر العالمي اليوم بشرقه و غربه مع اختلاف مذاهبه و تضادها قد اتحد ليهيمن على المسلمين و يسرق ثرواتهم و ذخائرهم بواسطة عملائه في الدول الاسلامية، ومن هنا تقع على عواتقنا و عواتقكم ياحماة الاسلام و جميع الخطباء والكتاب الملتزمين في الدول الاسلامية مسؤولية خطيرة جداً، ولمواجهة شبكات الاتصال الواسعة للكفر العالمي يحتاج علماء الدين الملتزمون في الدول الاسلامية ـ والذين ترافقهم قلوب المسلمين ـ الى تجديد للحياة والتنظيم والتبادل الفكري والاتصال المستمر حتى يستطيعوا بهذه القوة المعتمدة على الشعوب المسلمة أن يخلصوها من التسلط الفكري والسياسي والاقتصادي للفكر العالمي والدول العظمى.

ولابدّ لعلماء الدين الملتزمين من ايجاد شبكة ارتباط قوية فيما بينهم بدل الاتصال بالحكومات الجائرة التي تؤمّن عادة مصالح الشرق والغرب وتعمل لحسابها، بل لابدّ لهم من الاعتماد على مساعدات الشعوب المناضلة لاستعادة مظاهر الاسلام والمسجد الأقصى و ثروات الدول الاسلامية. فمادام علماء الدين الملتزمون

والمتعبدون منفصلين عن بعضهم ولا يعلمون شيئاً عن أمور بعضهم البعض ومادام المتلبسون بلباس أهل العلم متواطئين مع القوى الفاسدة و يؤولون الحقائق الدينية و يفسرونها حسب ماتشتهي أنفسهم ومادامت صلوات الجمعة والجماعة وسائر الفرائض الاسلامية الواجبة كالحج (هذه الفريضة العبادية السياسية الاسلامية الكبرى) تستغل ظلماً لتقوية الحكومات الفاسدة و تبرير ظلمها، فإنّ أوضاع المسلمين المزرية لن تتغير، والمسجد الأقصى و فلسطين و لبنان و افغانستان والمناطق الأخرى من الوطن الاسلامي سوف تبقى تحت احتلال المعتدين.

«ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم».

إنّ البشرية اليوم قد يئست من المذاهب المادية والملحدة للشرق والغرب التي أوصلتها الى طريق مسدود، ولهذا فان الأرضية مهيئة لقبول الإسلام الأصيل، ويجب على علماء الدين الواعين أن يحتضنوا الشباب المتعطش و يهدوه الى منبع الاسلام الصافي، ويتخلوا عن السكوت والتسليم أمام الظالمين والطواغيت، و يكثفوا السعي لاحياء سيرة الرسول الاكرم (ص) والائمة الاطهار (ع) والأولياء العظام التي تتميز بالوقوف الى جانب المظلوم ضد الظالم بحيث يجعلونها واقعاً عملياً ملموساً.

لقد روى السبط الشهيد عن رسول الله (ص) انه قال **«مَنْ رَأَى سُلْطاناً جائراً مُستحلاً لِحُرَمِ اللهِ ناكِثاً لِعَهدِ اللهِ مُخالِفاً لِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ (ص) يَعْمَلُ في عِبادِ اللهِ بِالإثْمِ والعُدوانِ فَلَمْ يُغَيِّرْ عَلَيْهِ بِفِعْلٍ وَلا قَوْلٍ كانَ حَقّاً عَلَى اللهِ أن يُدْخِلَهُ مُدْخَلَهُ»**.

٣ــ من المواقف الاسلامية العظيمة التي استفيد منها الى أبعد الحدود ــ بفضل انتصار الثورة الاسلامية في ايران ــ لتحقيق أهداف الثورة وحضور الشعب الدائم في الساحة هو صلاة الجمعة، فهذه الفريضة الالهية الجامعة للجوانب العبادية والسياسية والعسكرية تقام بحمدالله تعالى بأروع مايمكن، ولابُدَّ من بذل أقصى الجهود لتوسيعها واثراء خطبها في جميع أرجاء العالم الاسلامي، ولابُدَّ من استغلالها لتنظيم صفوف المسلمين ونضجهم و توعيتهم. ويتوقع من هذا المؤتمر الذي ينعقد باسم أئمة الجمعة والجماعة أن يتخذ قراراً للاستفادة بشكل أفضل من هذه السنة الالهية، و يدرس طرق الارتباط الوثيق بين جميع القوى الاسلامية الملتزمة، و يوفر الأرضية الصالحة للتعاون الكامل والانسجام التام.

أسأل الله العليّ القدير النصرة والعظمة للإسلام، والهزيمة والخذلان لأعداء الاسلام، لاسيما الصهيونية العالمية، وأسأله أن يمن بالنصر المؤزر على المقاتلين المسلمين الشجعان في كل الجبهات و جميع أرجاء الوطن الاسلامي الكبير. والسلام عليكم و رحمة الله و بركاته ●

الله

سلسلة من المحاضرات التي القاها الشهيد مرتضى المطهري

ـ المحاضرة الثالثة ـ

قلنا فيما مضى إنَّ القرآن الكريم يقسِّم البشر الى قسمين: قسم يتحكم الفكر فيهم، وتقوم سائر شؤون حياتهم على أساس ايماني ثابت بحيث أن ايمانهم الراسخ والثابت يطغي على جميع شؤون حياتهم الأُخرى. وقد سمَّينا هؤلاء بالمنطقيين والعقليين، وقسم آخر لم يصلوا الى حد البلوغ المنطقي والعقلي، ولايستند ايمانهم الى الإستدلال واليقين، وتنشأ أفكارهم من سلسلة من المبادئ والعلل التي تفتقر الى الأُسس، و يشكل هؤلاء الأكثرية من بين أفراد البشر، وتكون أفكارهم العوبة لسائر شؤون حياتهم. ولذلك فأنَّ القرآن الكريم يرفض النظرية القائلة بتبعية الفكر لشؤون الحياة الأُخرى بصورة مطلقة، كما يرفض النظرية القائلة بأصالة وتقدم الفكر على سائر شؤون الحياة بصورة مطلقة.

وقلنا أيضاً أن القرآن بيّن أُسس الأفكار، كما بيَّن التصورات التي تفتقر الى الأُسس، و بذلك تقدَّم القرآن على جميع مفكري العالم.

إنَّ أحد مبادئ التصورات الخاطئة للانسان «أي التصورات التي تفتقر الى الأُسس وتتعرض الى التغيير والتحول» هو استخدامه الظنَّ بدلاً من العلم واليقين! فيما يصر القرآن على اتباع العلم واليقين فقط.

هذا ما تطرقنا اليه خلال المحاضرتين السابقتين.

كما يذكر القرآن مصادر أُخرى للأفكار التي تفتقر الى الأُسس، و يشبهها بالشجرة التي لاجذور لها والتقليد هو من جملة هذه المصادر.

و بديهي أن القرآن لايصف هذا المصدر بالتقليد، وانما يعبِّر عنه بـ «الطاعة العمياء للأسلاف» وهذا موضوع أكَّد عليه القرآن كثيراً، واعتبره منشأ انحراف وخطأ البشر

وانتقده بشدة. يقول القرآن بأنَّ هؤلاء يقولون: **«إنـا وجدنـا آبـاءنا على أمةٍ وإنّا على آثارهم مهتدون»** (الزخرف ــ ٢٢)

و يسمى ذلك بتعبير اليوم اتّباع التقاليد (سواء أكان هذا التعبير صحيحاً أم خطأ أو استطعنا أو لم نستطع ايجاد تعبير له لاشأن لنا في ذلك ،لكن على أي حال فأنَّ هذه الكلمة شائعة).

والقرآن الكريم يدين اتباع السنن. وهذا لايعني أنه يؤيد الأفكار التي تقف ضد اتّباع السنن، فهو يرفض هاتين الفكرتين. ولم يرفضهما؟ الجواب: لأنه يؤيد اتباع العقل والمنطق فقط.

ولماذا يدين البشر الذين يتّبعون السنن القديمة كما فعل أسلافهم؟ الجواب: لأن آباء واجداد هؤلاء يمكن أنْ كانوا على خطأ ومفتقرين الى العقل والشعور. والذين يقولون إنَّ أجدادنا كانوا يفعلون كذا وكذا، وعلينا أنْ نتّبع سننهم فهم على خطأ. يقول القرآن: **«أولو كان آباؤهم لايعقلون شيئاً»**. (البقرة ــ ١٧٠).

فاذا كان آباؤهم يفعلون هكذا وهم يُرون أن هذا العمل ليس صحيحاً ودليل على حماقة اسلافهم، فلماذا يجددون هذه الحماقة؟ انهم يرتكبون حماقة حين يسعون الى احياء هذه السنن.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فأنَّ القرآن لايرفض جميع السنن. على سبيل المثال أن قسماً من الناس يميلون نحو التجديد، فهل أن الميل نحو التجديد يعتبر صحيحاً؟ كلا أن ذلك لايعتبر صحيحاً، بمعنى أن كل شيء جديد لايدل على النمو والتكامل والتقدم، لأنَّ كل قديم كان جديداً في بداية أمره، وكل سُنّة حمقاء كانت حديثة في يوم ما، فهل أنها كانت صحيحة عندما كانت حديثة حتى تكون سيئة الآن؟ كلا! أنها كانت خاطئة حتى عندما كانت حديثة.

و يحث القرآن على احياء الحقيقة والعقل والمنطق لدى الانسان، ثم تقييم السنن بمعيار العقل والحقيقة لمعرفة ما اذا كانت حسنة أو سيئة. فإذا كانت صحيحة أمكن اتباعها، واذا كانت خاطئة فلا بُدَّ من نبذها حتى لو كانت متبعة من قبل الأسلاف. لكن كيف الحال بالنسبة للأمور الحديثة؟

إنَّ الأمور الحديثة شأنها شأن القديمة لابُدَّ وأنْ تقاس بالعقل والنقد والحقيقة (فكل جديد ليس دليلاً على الحقيقة) إذ من الواجب معرفة صحة أو خطأ الشيء الجديد؟فاذا كان ذلك الشيء الجديد صحيحاً، فمن الممكن اتباعه والاّ فلا.

إنَّ بعض الناس يبحثون عن أحدث الأشياء الموجودة في أوربا مثلاً...، يبحثون عن أحدث الأحذية والملابس والقبعات الموجودة خلال السنة. فإذا سمعوا بأزياء حديثة سارعوا لشرائها، فهم بعملهم هذا يحكمون على أنفسهم بأنهم يفتقرون الى الذوق والفكر، و يقولون إنَّ أفكارنا وأذواقنا وعقولنا ليست

مقاييس، لأنَّ مايبتكره المصممون الفرنسيون (على سبيل المثال) هو الصحيح!

وابتكار الموضة يعتبر من المكائد الشيطانية للعالم الرأسمالي في مجال زيادة الإستهلاك ،فالعالم الرأسمالي يستخدم آلاف المكائد من أجل تقييد الشعوب المستهلكة. وتعتبر الموضة التي يأتي بها المصممون إحدى هذه المكائد، فهؤلاء المستغلون ينفذون برنامجاً استعمارياً لبيع منتجات مصانعهم (سواء أكانت من المنسوجات أم من غير المنسوجات) فإن لم تبع، توقفت مصانعهم. ومن هنا كان لابُدّ من استمرار دوران عجلة مصانعهم. وهؤلاء يرون أنفسهم ملزمين على أن ينتجوا من جهة،وتُستهلك منتجاتهم من جهة أخرى ثم يقوموا بتهيئة المواد الخام من أجل الإنتاج مرة أخرى.

إنَّ عجلة الإنتاج ليست كأرض زراعية يمكن الحفاظ عليها، أنها تشبه قصة الشخص الذي يسخِّر الجن، إذْ لابُدَّ له أن يجعل المسخَّر منشغلاً وإلاَّ مزَّقه الجن. فما دام الجنّ منشغلاً فهو هادئ، ولو لم يكن هناك عمل فلابُدَّ من تشغيله كأنْ يؤمر بنقل تل رملي الى مكان آخر (و بالطبع فأنَّ هذه القصة تعتبر من الأساطير).

والجن في هذه القصة تبدَّل اليوم الى ماكنة، أي أن الماكنة لابُدَّ لها أن تنتج و يُستهلك انتاجها. واذا توقف الإستهلاك لمدة ستة أشهر في النظام الرأسمالي، لانهار صرح هذا النظام على رأس صاحبه. ولذلك يستخدم هؤلاء أنواع المكائد والوسائل ومنها انتاج أنواع الأحذية والملابس بصورة مستمرة لكي نستهلكها نحن.

اننا إذا ابتعنا في هذه السنة ثوباً فانها قد تسد حاجتنا لثلاثة أعوام. لكن هؤلاء المستغلين يصرون على أن موضة هذا الثوب أصبحت قديمة ولابُدَّ من استبدالها حتى وإنْ كانت جيدة وقابلة للاستفادة! انهم يريدوننا أن نكون خدماً نستهلك منتجاتهم. وهذا يعني أنْ نكدح ونتعب على أنْ تدخل نقودنا في جيوب هؤلاء الجشعين.

وهذه خدعة ناتجة عن العبادة اللامنطقية للأشياء الجديدة. فحب الإنسان للأشياء الجديدة يجب أنْ يكون ناتجاً عن أفضلية تلك الأشياء على مثيلا تها السابقة. ولكن يجب أنْ لايكون حبه لها لمجرد أنها جديدة. لاحظوا الأقمشة مثلاً، ففي بعض الأحيان تكون الأقمشة المنتجة أقل جودة من سابقتها، فقد نلاحظ أن الأقمشة المنتجة خلال الفترة الأخيرة مثلاً أقل جودة من السنين السابقة، فهل يجب ان نقبل الشيء الرديء المنتج لكونه أُنتج حديثاً ونترك الشيء الجيد المنتج قبل ثلاث سنوات لكونه قديماً؟ كلا هذا ليس صحيحاً.

والتقليد الذي ينبذه القرآن معناه اتباع السنن بصورة غير منطقية ودون الإستناد الى أي معيار. فالقرآن يؤكد بطلان هذا النوع من التقليد، و يعتبره أحد أسباب انحراف البشر.

إنَّ كل الأنبياء حاربوا اتِّباع السنن أو

التقاليد الخاطئة... كانوا يرغبون في ان تكون للبشر حرية فكرية، لأنَّ الإنسان الذي يتمتع بحرية فكرية لايجعل من اتِّباع سُنن أسلافه ملاكاً لعمله.

ومن الأُمور الأُخرى التي يعتبرها القرآن أحد عوامل الإنحراف والخطايا والتصورات الخاطئة، هو اتباع الأكابر. وهناك فرق بين اتِّباع الأكابر واتباع القدماء، ذلك أن كل شيءٍ تمر عليه فترة يتخذ طابع التقديس، وما أنْ يصبح سُنةً حتى يتخذ طابعاً مقدساً، سواء أكان هؤلاء الأفراد أكابراً في نظرنا أو لم يكونوا.

وفي كل مجتمع يبرز أفراد، فمثلاً يبرز البعض منهم في المجال السياسي فيعتبرونهم أبطالاً سياسيين، أو يبرزون في المجال العلمي أو الرياضي، فيما يبرز قسم آخر في المجال الفني. فهؤلاء يعتبرون أبطالاً في مجتمعهم، وتتوجه اليهم الأنظار و يبدأ البعض بتقليدهم. وهذا النوع من التقليد لايعتبر تقليداً للأسلاف، بل هو تقليد للأكابر. انهم يتَّبعون أفكار وكلام الأكابر لأنهم عظماء لا لكون عملهم أو كلامهم منطقياً. لكن طالب العلوم الدينية عندما يعيش في محيط يتواجد فيه على سبيل المثال روحاني عظيم كالمرحوم آية الله البروجردي، وقام الأخير بعملٍ ما وفق مايقتضيه اجتهاده، فعلى طالب العلم الذي لم يصل الى مرحلة الاجتهاد ان يتَّبع مثل هذا الشخص. ولكن لنفترض ان المرحوم آية الله البروجردي كان ينتخب لوناً ما لملابسه أو كان يضع عباءته على كتفه بشكل معين. فإنَّ تقليد طالب العلم لأُستاذه من هذه الناحية ليس صحيحاً.

ومن الملاحظ أنَّ الكثير من الشباب يقلدون حركات بعض الأبطال الرياضيين، كما يقلدون الفنانين جهلاً.

والتقليد في الأُمور الصغيرة ليس أمراً خطيراً، ولكن تقليد الكبراء في الأمور المهمة أمر خطير يدينه القرآن: «**إذْ تَبَرَّأَ الَّذينَ اتُّبِعوا من الَّذينَ اتَّبَعُوا...**» (البقرة ــ ١٦٦).

وعندما يحين يوم القيامة، يُسأل قسم من أفراد البشر عن سبب انحرافهم عن الصراط السوي، فيجيبون قائلين: «**رَبَّنا أطعنا سادتنا وكُبراءنا فَأَضلّونا السَّبيلا**» (الأحزاب ــ٦٧) لكن هذا العذر غير مقبول عند الباري تعالى، لأنَّ هؤلاء لم يحكموا منطقهم وعقولهم في اتِّباعهم لأقوال وأفعال الكبراء.

ومن العوامل المهمة في زللِ الإنسان، والتي ذكرت في القرآن مسألة اتباع هوى النفس، وهي مسألة مهمة جداً، ذلك أن الإنسان يتقبَّل الكثير من التصورات تبعاً لهواه لا تبعاً لمنطقه. ومن المستحسن أنْ نضرب مثلاً يتعلق باتِّباع الهوى في الشؤون السياسية والإجتماعية، فعندما رشَّح كندي نفسه لرئاسة الجمهورية في أميركا، كتبت إحدى الصحف الصادرة آنذاك أنَّ أحد الناخبين وزوجته سُئلا عن سبب انتخابهم لكندي، فأجاب الرجل بأنَّ سبب انتخابه لكندي يعود الى اعجابه بجمال زوجة كندي! أما المرأة فأجابت أنَّ سبب

انتخابها لكندي يعود الى اعجابها بهندامه وجماله!

هذا المثال يعتبر أحد الأمثلة التي تتعلق بالشؤون السياسية، ولذلك فقد يحل هوى النفس محل المنطق في عمل ما. وهناك أمثلة كثيرة في اتّباع الإنسان لهواه، ففي بعض الأحيان تكون هناك أُمور تتلاءم مع هوى نفس الإنسان ولا تتلاءم مع منطقه وعقله ودينه، ونتيجة لتلاؤم هذه الأُمور مع هواه فأنه يؤطرها بأُطر دينية.

إنَّ آية الله البروجردي الذي كان قد وصل الى المرجعية بعد وفاة المرحوم آية الله الأصفهاني، دعا جميع مسؤولي المواكب الحسينية الموجودة في قم في اليوم السادس أو السابع من شهر محرم للحضور في منزله فسألهم عن المرجع الذي يقلدونه فأجابوا بأنهم يقلدونه (البروجردي) فقال لهم: في رأيي أن الكثير من الأعمال التي تقومون بها في مواكب العزاء ليست صحيحة، فأطرق الجميع رؤوسهم (انهم كانوا في الواقع يريدون أن يكون يوم عاشوراء يوم استعراض وتسلية و يوم عرض للفنون) وبعد هنيهة قال أحدهم للبروجردي: ياسيدنا اننا نقلدك في ٣٥٣ يوماً من أيام السنة القمرية التي تتكون من ٣٥٤ يوماً، ولا نقلدك في يوم واحد!! **«إنْ يَتَّبعون إلاَّ الظَّنَّ وما تهوى الأنْفُسُ...»** (النجم ـــ ٢٣)

وعندما يتَّبع الإنسان هواه، فإنَّ عمله يصبح متناقضاً مع منطقه وحتى مع الشريعة ومع فتوى مرجع التقليد. بالإضافة الى ذلك فإنَّ اتباع الإنسان لهواه يوقعه لامحالة في آلاف الأخطاء التي قد تؤدي الى احداث ثورة فكرية. فعندما يذهب الطفل الى المدرسة و يتعلم بعض الشيء، يبدأ بالإستهزاء من أفكار وتصورات والديه، وفجأة تذهب أفكار الوالدين وتصوراتهم ادراج الرياح، فينقلب المجتمع، فلا يأبه أفراده بالأفكار القديمة.

ولكن كيف تتغير مثل هذه الأفكار بتغير الأنظمة الاجتماعية؟ والجواب على ذلك هو أن هذه الأفكار ليست منطقية، ولابُدَّ أن تتغير. فلقد كانت خاطئة منذ ظهورها، كما أن اندثارها بعد ذلك يجري هو الآخر بشكل غير منطقي.

ولقد بيَّنا في البحث الماضي أن القرآن قسَّم الأفكار الى أفكار متينة يمكن الإستناد اليها في جميع شؤون الحياة، وأخرى تفتقر الى جذور و يذمها القرآن الكريم.

كما يضرب القرآن مثلاً آخر رغم أنه لم يذكر ذلك على شكل مثال، إلاّ أن سياق الآية تدلُّ على ذلك ،فقد جاء في سورة التوبة: **«أفَمَنْ أسَّسَ بُنْيانَهُ على تقوى مِنَ اللّهِ ورِضْوانٍ خيرٌ أمْ مَّنْ أسَّسَ بُنيانه على شفا جُرُفٍ هارٍ فانهار به في جهنَّمَ...»** (التوبة ـــ ١٠٩)

في هذه الآية يذكر القرآن صنفين من البشر: صنف ترتكز أعمالهم على تقوى الله ورضاه (ان تعبير البنيان الشائع في هذه الأيام مأخوذ من القرآن).

إنَّ اعجاز القرآن لعجيب... فلقد نزل قبل ١٤٠٠ سنة، وكان يتحدث بشكل يتضح من خلاله انه يعرف أي الأقوال سطرح في المستقبل، ولذلك فانه يتكلم بمنطق هؤلاء البشر، إذ يقول لهم: «أفَمَنْ أسَّسَ بُنيانَه على تقوى منَ اللهِ ورِضْوانٍ خَيْرٌ...» «... أمْ مَّنْ أسَّسَ بُنْيانه على شفا جُرُفٍ هارٍ فانهار به في جهنَّمَ...».

نحن نلاحظ أن المياه أثناء الفيضانات ترتطم بجدران الأنهار بشدة بحيث تعمل على تآكل تلك الجدران، فينشأ في بعض الأحيان جدار بطول خمسة أو ستة أمتار وقد يكون أطول من ذلك، إلاّ أن القسم الأسفل من ذلك الجدار يصبح هشاً غير أن الناظر يشاهد جداراً عظيماً، واذا ما تحرَّك شخص أو شخصين أو ثلاثة أشخاص من فوقه، فلا يحدث شيئاً، ولكن إذا ما وضع فوقه حمل ثقيل أو مرّت عليه شاحنة فمن الممكن أنْ ينهار. ولنتصور حالة البناء الذي يبنى فوق ذلك الجدار. ان مثل هذا البناء سينهار بأدنى هزة يتعرض لها، وما أعظم الخسائر التي تقع جراء انهياره. و يشبِّه القرآن بعض أفراد البشر بالجدار المذكور، فهم يقيمون حياتهم على أساس هش بحيث انهم يسقطون بسقوط الجدار.

يقال إن شخصاً كان ينكر يوم القيامة والسؤال في القبر، حتى جاء أجله. و بعد موته رآه شخص في المنام، فسأله قائلاً: أنك كنت تنكر السؤال في القبر بعد الموت، والآن وقد متَّ، فقل لي هل سُئلت في القبر؟ فأجاب الميّت: كلا لقد ذهبت الى جهنم مباشرة.

إنَّ الآيتين الآنفتين تذكران مرتكزين لشخصية الإنسان:

المرتكز الأول:

الأفكار والتصورات المنطقية ذات الدلالات والبراهين.

المرتكز الثاني:

الإرادة الإنسانية والأخلاقية. وليس المقصود هنا ميول الإنسان وشوقه وشهوته المتواجدة حتى في الحيوانات. فالإنسان يختلف عن الحيوان من حيث الشخصية، إذْ له تصورات وارادة. ولكن متى تترسخ هذه الارادة؟

الجواب: عندما تلتحم مع التقوى الإلهي. والتقوى حسب المفهوم القرآني تعني السيطرة على النفس. فلو توجّه الإنسان نحو الله لترسخت تقواه.

فكر الإنسان وتصوره يشكلان نصف شخصيته:

«ألم تَرَ كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء».

إنَّ الإيمان بالله يعتبر نقطة أساسية في مرحلة التصور عند الإنسان، كما تشكل الارادة الإنسانية النصف الآخر من شخصيته. وهذه الإرادة لا تتخذ طابعها الحقيقي إلاّ بعد اتصافها بتقوى الله وطلب رضاه: «**أفَمَنْ أسَّسَ بُنْيانَه على**

تقوى مِنَ اللّه خَيْرٌ أمْ مَّنْ أسَّسَ بُنْيانه على شفا جُرُفٍ هارٍ فانهار به في جهنم...».

إذن ماالمقصود من الله في حياة الإنسان؟

الجواب: إنَّ الله يشكِّل حسب وجهة النظر القرآنية ركني الشخصية الإنسانية، واذا ما تشَّكل هذين الركنين أو المرتكزين فإنَّ جميع شؤون الحياة ستقوم على أساسها، كما أن القرآن يجعل هذين المرتكزين يستندان الى مرتكز آخر هو الإيمان بالله فقط.

والقرآن يرى أن جميع شؤون الإنسان قائمة على أساس هذين المرتكزين، وهو لايريد بذلك أن يقول أن كل أفراد البشر هم كذلك.

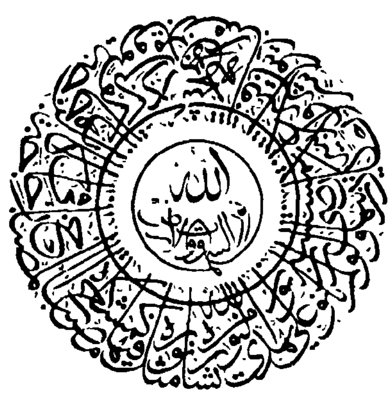
إنه يريد أن يصنع من الإنسان موجوداً سامياً وكاملاً. و يقصد بالإنسان الكامل، الإنسان الذي يرتكز على أساس إلهي، وتتشكل شخصيته من ركنين هما: التصور والإرادة اللذان يستند اليهما في كل شؤون حياته.

والقرآن أيضاً يريد إنساناً يتصف بهذه الصفات وهذا مانعنيه في عبارة الله في حياة الانسان. انه لايريد أن يقول إن كل أفراد البشر بنفس الصفات.

وعندما يريد البعض أن يبدي وجهة نظره حول الإنسان، فانه ـ عادةً ـ يأخذ الإنسان الموجود بنظر الإعتبار، أي الإنسان الذي لايتباين مع الحيوان، ولايرى الإنسان الذي تصدق كلمة الإنسانية حوله.

والقرآن لاينظر الى الإنسان على أنه حيوان يمتلك غرائز حيوانية، بل ينظر اليه كإنسان له استعدادات إنسانية... يريده إنساناً متكاملاً.

وخلاصة القول ان رسالة الاسلام جاءت لبناء مثل هذا الانسان ●



الكلم الطيب

* «ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لايسمعون * إنَّ شرَّ الدواب عند الله الصم البكم الذين لايعقلون».

(الأنفال ــ ٢١ ــ ٢٢)

* «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة و يكون الدين لله فإنْ انتهوا فلا عدوان إلاَّ على الظالمين».

(البقرة ــ ١٩٣)

* الرسول الأكرم «ص»:

العلمُ علمان: علمٌ على اللّسان، فذلك حُجّةٌ على ابن آدم. وعلمٌ في القلب فذلك العلمُ النّافع.

(البحار ٢/٣٣؛ عن «عوالي اللئالي»)

* الامام علي «ع»:

... وطلب العلم أفضل من العبادة، قال الله عزّوجلّ: «انما يخشى الله من عباده العلماء».

(البحار ٦٩/ ٨٠ ــ ٨١)

* السيدة فاطمة «ع»:

فجعل الله الايمان تطهيراً لكم من الشّرك ــ والحجّ تشييداً للدّين..

(البحار/١١٠)

* الامام الباقر «ع»:

لايُقْبَلُ عملٌ إلاّ بمعرفةٍ، ولا معرفة إلاّ بعمل.

(تحف العقول/٢١٥)

* الامام الصادق «ع»:

لقد تجلّى الله لخلقه في كلامه، ولكنّهم لايبصرون.

(البحار ٩٢/١٠٧ ــ كتاب «اسرار الصلاة»)

* الامام الرضا «ع»:

كلام الله لا تتجاوزوه، ولا تطلبوا المدى في غيره فتضلّوا.

(البحار ٩٢/١١٧ ــ عن «أمالي الصدوق» ٣٢٦

الروايات المشتركة

الشيخ محمود قانصوه / لبنان

ــ القسم الرابع ــ

باب الكلام أثناء الخطبة

ماورد من طريق أهل البيت: (ع)

١ ــ روى الفقيه باسناده عن شعيب بن واقد عن الحسين بن زيد عن الصادق (ع) عن آبائه (ع) (في حديث المناهي) قال: **نهى رسول الله (ص) عن الكلام يوم الجمعة والإمام يخطب فمن فعل ذلك فقد لغى ومن لغى فلاجمعة له.**[١]

٢ ــ وروى الفقيه مرسلاً، عن أميرالمؤمنين (ع): **لا كلام والإمام يخطب، ولا التفات إلاّ كما يحل في الصلاة، وانما جعلت الجمعة ركعتين من أجل الخطبتين جعلتا مكان الركعتين الأخيرتين فهما صلاة حتى ينزل الإمام (ع).**[٢] ونقله في الوسائل عن المقنع أيضاً[٣] ونقله البحار عن المقنع أيضاً[٣].

٣ ــ البحار عن كتاب العروس باسناده عن الاصبغ بن نباتة عن علي (ع) قال: **إذا قال الرجل يوم الجمعة صه فلا صلاة له**[٤]. قلت: يظهر أن المراد بيوم الجمعة أثناء الخطبة.

ماورد من طريق أهل السنة:

١ ـ حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال أخبرني سعيد بن المسيب أن أبا هريرة أخبره أن رسول الله (ص) قال: **إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة آنصت والإمام يخطب فقد لغوت**[5] ورواه مسلم باسناده عن الليث عن عقيل مثله ورواه بعدة أسانيد عن سعيد بن المسيب وعبد الله بن ابراهيم بن قارظ وكذا مثله عن الأعرج عن أبي هريرة[6]. ورواه النسائي عن قتيبة عن الليث عن عقيل عن الزهري عن سعيد مثله بتغيير[7] وأخرجه عبد الرزاق عن ابن جريح عن ابن شهاب بقيد السند. وفي اسناد آخر عن ابن شهاب عن عمر بن عبد العزيز عن ابراهيم بن عبد الله بن قارظ عن أبي هريرة مثله[8] وفي اسناد آخر أيضاً عن مالك عن ابن شهاب نحوه. وروى نحوه بأسانيد أخر فراجع[9].

٢ ـ حدثنا القعني عن مالك عن ابن شهاب عن سعيد عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال: **إذا قلت انصت والإمام يخطب فقد لغوت**[10] وروى نحوه النسائي باسناد آخر ابراهيم بن قارظ وسعيد معاً عن ابي هريرة[11].

٣ ـ أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأ أبو بكر أحمد بن الحسن الفقيه ببغداد، حدثنا أحمد بن ابراهيم بن ملحان، حدثنا يحيى ابن بكير، حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب، أنه قال أخبرني سعيد بن المسيب أن أبا هريرة أخبره أن رسول الله (ص) قال: **اذا قلت لصاحبك أنصت يوم الجمعة فقد لغوت**[12] وفي عدم الكلام اخرج مجمع الزوائد أحاديث كثيرة لم نخرجها خشية الإسهاب، فمن شاء فليراجع مجمع الزوائد ج ٢ ص ١٨٤ و ١٨٥ و ١٨٦ وكنز العمال ج ٧ ص ٥٢٩ و ٥٣٠.

باب: جواز الكلام بين الخطبتين والصلاة وأجزائها للسامع وغيره

مارود من طريق أهل البيت (ع):

١ ـ روى الفقيه باسناده عن العلا عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله (ع): قال: **لابأس أن يتكلم الرجل إذا فرغ الإمام من الخطبة يوم الجمعة ما بينه وبين أن تقام الصلاة وان سمع القراءة أولم يسمع أجزأه**[12].

٢ ــ محمد بن يعقوب بن يحيى عن أحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن صفوان بن يحيى عن العلاء عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله (ع) قال: **إذا خطب الإمام يوم الجمعة فلا ينبغي لأحد أن يتكلم حتى يفرغ الإمام من خطبته فإذا فرغ الإمام من الخطبتين تكلم ما بينه وبين أن يقام للصلاة فإنْ سمع القراءة أولم يسمع اجزأه**[١٣].

٣ ــ البحار عن جعفر بن محمد (ع) أنه قال: **لا كلام حتى يفرغ الإمام من الخطبة، فإذا فرغ منها فتكلم مابينك وبين افتتاح الصلاة إنْ شئت**[١٤].

وهذه الأحاديث تفيد في الباب المتقدم.

ماورد من طريق أهل السنة:

١ ــ أخبرنا أبوزكريا بن ابي اسحاق، حدثنا أبو العباس الأصم، أنبأ الربيع، أنبأ الشافعي، حدثنا ابن ابي فديك عن ابن ابي ذئب عن ابن شهاب، قال حدثني ثعلبة بن ابي مالك: **أن قعود الإمام يقطع السبحة، وأن كلامه يقطع الكلام، وانهم كانوا يتحدثون يوم الجمعة وعمر جالس على المنبر، فإذا سكت المؤذن قام عمر فلم يتكلم أحد حتى يقضي الخطبتين كلتيهما، فإذا قامت الصلاة ونزل عمر تكلموا**[١٥].

٢ ــ أخبرنا أبوالحسين بن الفضل القطان ببغداد، أنبأ عبد الله بن جعفر، حدثنا يعقوب بن سفيان، حدثنا ابواليمان، أنبأ شعيب عن الزهري، قال أخبرني ثعلبة بن أبي مالك القرظي وقد أدرك عمربن الخطاب رضي الله عنه قال: **كنا نتحدث حتى يجلس عمربن الخطاب رضي الله عنه على المنبر حتى يقضي المؤذن تأذينه ويتكلم عمر، فإذا تكلّم عمر انقطع حديثنا فصمتنا فلم يتكلم أحد منّا حتى يقضي الإمام خطبته**[١٦].

٣ ــ أخبرنا أبوسعيد محمدبن الفضل، حدثنا أبوالعباس محمدبن يعقوب، حدثنا العباس بن الوليد بن يزيد، أخبرني أبي، حدثنا ابن جابر، حدثني عطاء الخراساني عن مولى لامرأته أم عثمان، قال: سمعت علياً رضي الله عنه على المنبر يقول... (في حديث) **واذا جلس فيه مجلساً فنأى وانصت ولم يلغ كان له كفل من الأجر...** الى أن يقول في آخر ذلك **قد سمعت رسول الله (ص) وهو يقول ذلك**[١٧].

٤ ــ أخبرنا أبوزكريا بن أبي اسحاق المزكي وغيره، قالوا حدثنا ابوالعباس محمدبن يعقوب، أنبأنا الربيع بن سليمان، أنبأنا الشافعي، أنبأنا مالك (ح وأخبرنا)

أبوأحمد المهرجاني، أنبأنا أبوبكر بن جعفر المزكي، حدثنا محمدبن ابراهيم العبدي، أنبأنا ابن بكير، حدثنا مالك عن ابي النضر مولى عمر بن عبدالله عن مالك بن ابي عامر، أن عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يقول في خطبته، قلّما يدع ذلك إذاخطب: **إذا قام الإمام يخطب يوم الجمعة فاستمعوا وأنصتوا فإنَّ للمنصت الذي لايسمع في الحظ مثل ماللسامع المنصت، فإذا قامت الصلاة...** الحديث)[18].

باب: القراءة في الصلاة

ماورد من طريق أهل البيت (ع):

١ ــ محمد بن يعقوب عن علي بن ابراهيم عن أبيه عن حماد عن حريز عن محمد بن مسلم قال: سألته عن الجمعة، فقال: **بأذان وإقامة...** الى أن قال: **ثم ينزل فيصلي بالناس فيقرأ بهم في الركعة الأولى بالجمعة وفي الثانية بالمنافقين**[19].

٢ ــ في المجالس والاخبار عن الحسين بن عبيد الله عن هارون بن موسى عن الحكيمي عن سفيان بن زياد عن عباد بن صهيب عن جعفر بن محمد عن عبد الله بن أبي رافع: **أن أمير المؤمنين (ع) كان يقرأ في الجمعة في الأولى الجمعة وفي الثانية المنافقين**[20].

٣ ــ محمد بن يعقوب عن محمد بن الحسين واحمد بن محمد جميعاً عن عثمان بن عيسى عن سماعة (في حديث) قال: قال أبوعبد الله (ع): **يخطب يعني إمام الجمعة وهو قائم...** الى أن قال: **فاذا فرغ من هذا أقام المؤذن فصلى بالناس ركعتين يقرأ في الأولى بسورة الجمعة وفي الثانية بسورة المنافقين**[21].

والحديث الثالث والأول يفيدان في أبواب متعددة. وفي الباب روايات كثيرة فراجع[22].

ماورد من طريق أهل السنة:

١ ــ حدثنا ابوبكر بن ابي شيبة، حدثنا عبده بن سليمان عن سفيان عن مخول بن راشد عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (في حديث)... **ان النبي**

(ص) كان يقرأ في صلاة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين[٢٣].

وروى البيهقي باسناده عن مخول عن مسلم نحوه[٢٤].

وروى النسائي باسناده مخول عن مسلم نحوه[٢٥] ورواه عبد الرزاق عن الثوري عن مخول نحوه بتغيير.

٢ ــ حدثنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب، حدثنا سليمان و هو ابن بلال عن جعفر عن أبيه عن ابن أبي رافع، قال: **استخلف مروان أبا هريرة على المدينة، وخرج الى مكة، فصلى لنا ابو هريرة الجمعة، فقرأ بعد سورة الجمعة في آخر ركعة؛ إذا جاءك المنافقون، قال: فأدركت أبا هريرة حين انصرف، فقلت له أنك قرأت بسورتين كان علي بن ابي طالب (ع) يقرأ بها بالكوفة، فقال أبو هريرة اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ بها يوم الجمعة**[٢٦].

ورواه البيهقي باسنادين بتغيير في اللفظ، وكذا في لفظ السند عن جعفر بن محمد عن ابيه[٢٧] وهذا الحديث ذكره في البحار نقلاً عن أمالي الطوسي عن الحسين بن عبيد الله عن التلعكبري عن الحكيمي عن سفيان بن زياد عن عباد بن صهيب عن جعفر بن محمد (ع) مثله[٢٨]. ورواه أبو داوود بنفس الاسناد[٢٩] ورواه في المنتقى[٣٠] وفي قراءة النبي (ص) لسورة الجمعة والمنافقين في صلاة الجمعة أحاديث عديدة فراجع[٣١].

باب: الأذان الثالث

ماورد من طريق أهل البيت (ع):

١ ــ محمد بن الحسن باسناده عن محمد بن احمد بن يحيى عن أبي جعفر عن أبيه عن حفص بن غياث عن جعفر بن محمد عن ابيه عليهم السلام، قال: **الأذان الثالث يوم الجمعة بدعة**[٣٢].

قال المحقق في المعتبر «**الأذان الثاني بدعة وبعض أصحابنا يسميه الثالث لأن النبي (ص) شرع للصلاة أذاناً وإقامةً فالزيادة ثالث**»[٣٣].

ورواه في الوسائل عن محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين عن محمد بن يحيى الخزاز عن حفص بن غياث عن ابي جعفر (ع) عن أبيه (ع) مثله[٣٤].

ماورد من طريق أهل السنة:

١ ــ حدثنا أبونعيم، قال حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون عن الزهري عن السائب بن يزيد: **أن الذي زاد التأذين الثالث يوم الجمعة عثمان بن عفان رضي الله عنه حين كثر أهل المدينة، ولم يكن للنبي (ص) غيرمؤذن واحد، وكان التأذين يوم الجمعة حين يجلس الإمام يعني على المنبر**[٣٥].

٢ ــ حدثنا محمد بن مقاتل، قال أخبرنا عبد الله، قال أخبرنا يونس عن الزهري، قال سمعت السائب بن يزيد يقول: **أن الأذان يوم الجمعة كان أوله حين يجلس الإمام يوم الجمعة على المنبر في عهد رسول الله (ص) وأبي بكر وعمر(رض) فلما كان في خلافة عثمان رضي الله عنه وكثروا أمر عثمان يوم الجمعة بالأذان الثالث فأذن به على الزوراء فثبت الأمر على ذلك**[٣٦] وأخرج عبد الرزاق نحوه بسندين الأول عن ابن المسيب والثاني عن عمروبن دينار و أخرج الترمذي عن السائب بن يزيد نحوه[٣٧].

باب: مايجب في الخطبة

ماورد من طريق أهل البيت (ع):

١ ــ محمد بن يعقوب عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن النضر بن سويد عن يحيى الحلبي عن يزيد بن معاوية عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر(ع) **في خطبة يوم الجمعة وذكر خطبة مشتملة على حمد الله والثناء عليه والوصية بتقوى الله والوعظ (الى أن قال) واقرأ سورة من القرآن وآدع ربك وصلِّ على النبي (ص) وآدع للمؤمنين والمؤمنات ثم تجلس قدر مايكن هنيئة ثم تقوم وتقول وذكر الخطبة الثانية وهي مشتملة على حمد الله والثناء والوصية بتقوى الله والصلاة على محمد وآله والأمر بتسمية الأئمة عليهم السلام...** الحديث[٣٨].

٢ ــ محمد بن يعقوب عن محمد بن الحسين وأحمد بن محمد جيعاً عن عثمان بن عيسى عن سماعة (في حديث) قال: قال أبوعبد الله (ع): **يخطب ــ يعني إمام الجمعة وهو قائم يحمد الله ويثني عليه ثم يوصي بتقوى الله ثم يقرأ سورة من القرآن صغيرة (قصيرة) ثم يجلس ثم يقوم فيحمد الله ويثني عليه ويصلي على محمد (ص) وعلى أئمة المسلمين**

ويستغفرللمؤمنين والمؤمنات.. الخ الحديث[39] وهذا الحديث يفيد في أبواب الخطبة.
وراجع ماذكر في الخطب في هذا الباب[40] فقد تقدّم مايشيراليه.

ماورد من طريق أهل السنة:

١ ــ أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان، أنبأنا أحمدبن عبيد الصفار، حدثنا اسماعيل بن اسحاق القاضي، حدثنا ابن أبي اويس والفروي، قالا حدثنا سليمان بن بلال بن جعفر.. يعني ابن محمد ــ عن أبيه عن جابربن عبد الله انه سمعه يقول: **خطب رسول الله (ص) يوم الجمعة يحمد الله ويثني عليه**... الخ الحديث[41] ورواه مسلم باسناده عن جعفر بن محمد (ع) ج ٣ ص ١١.

٢ ــ أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان، أنبأنا أحمد بن عبيد، حدثنا زياد بن الخليل، حدثنا مسدد، حدثنا أبو الأحوص [ح وأنبأ] محمد بن عبدالله الحافظ، أنبأنا أبوبكر بن اسحاق، أنبأنا اسماعيل بن قتيبة، حدثنا يحيى بن يحيى، حدثنا أبو الأحوص عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة، قال: **كانت للنبي (ص) خطبتان يجلس بينها ويقرأ القرآن ويذكر الناس**[42].
قلت: وفي قراءة النبي (ص) للقرآن في الخطبة روايات عديدة فراجع[43].

٣ ــ أخبرنا أبوعلي الروذ باري، أنبأنا محمد بن بكر، حدثنا أبو داوود، حدثنا مسدد، حدثنا بشربن المفضل، حدثنا عبد الرحمن يعني ابن اسحاق عن عبد الرحمن بن معاوية، حدثنا ابن ابي ذياب عن سهل بن سعد، قال: **ما رأيت رسول الله (ص) شاهراً يديه قط يدعو على منبره ولا على غيره ولكن رأيته يقول هكذا وأشار بالسبابة وعقد الوسطى بالإبهام**[44] قال البيهقي: والقصد من الحديثين (هذا الحديث مع غيره ذكرمن قبل) اثبات الدعاء في الخطبة[45]. وأخرجه أبوداوود كما في متن السند وأخرج حديثاً آخر نحوه عن عمارة بن رؤيبه[46].
وراجع ماذكر من الخطب وماشابه[47].

باب: من أدرك ركعة اجزأته ومن لم يدرك ركعة صلاّها أربع

ماورد من طريق أهل البيت (ع):

١ ـ محمد بن علي بن الحسين باسناده عن الفضل بن عبدالملك عن أبي عبد الله (ع) قال: **إذا أدرك الرجل ركعة، فقد أدرك الجمعة، وإنْ فاتته، فليصلِّ أربعاً**[٤٨].

وروى مثله الكافي باسناد آخر عن ابي العباس والفضل جميعاً عن أبي عبد الله (ع).

٢ ـ محمد بن يعقوب عن علي بن ابراهيم عن أبيه عن ابن ابي عمير عن حماد بن عثمان عن الحلبي، قال: سألت أبا عبد الله (ع) عمّن لم يدرك الخطبة يوم الجمعة: قال: **يصلّي ركعتين، فإنْ فاتته الصلاة فلم يدركها، فليصلِّ أربعاً**، وقال: **إذا أدركت الإمام قبل أن يركع الركعة الأخيرة فقد أدركت الصلاة، وإنْ أنت أدركته بعد ماركع فهي الظهر**[٤٩].

ونحوه في البحار عن كتاب العروس وفي آخره ـ **إذا أدركت بعد مارفع رأسه فهي أربع**..... الخ[٥٠].

٣ ـ الجعفريات أخبرنا محمد، حدثني موسى، حدثنا أبي عن أبيه عن جده جعفر بن محمد (ع) عن أبيه (ع) **أن علياً (ع) كان يقول من أدرك من الجمعة ركعة فقد أدركها فليضف اليها أخرى**[٥١].

وفي الباب أحاديث عديدة فراجع[٥٢].

ماورد من طريق أهل السنة:

١ ـ أخبرنا ابوبكر بن الحارث الفقيه، أنبأنا علي بن عمر الحافظ، حدثنا يوسف بن يعقوب بن اسحاق البهلول، حدثنا جدي، حدثنا يحيى بن المتوكل عن صالح بن ابي الأخضر عن الزهري عن ابي سلمة عن أبي هريرة، قال رسول الله (ص): **من أدرك من الجمعة ركعة، فليصلِّ اليها أخرى فإنْ أدركهم جلوساً صلّى أربعاً**[٥٣].

قال البيهقي وروى ذلك من أوجه أخر عن الزهري قد ذكرناها في الخلاف[٥٤].

وفي النسائي عن قتيبة ومحمد بن منصور ـ واللفظ له ـ عن سفيان عن الزهري ـ بقية السند والحديث بنقصان الآخر وزيادة فقد أدرك[٥٥]. ونحو هذا في

المستدرك باسناده[٥٦] وكذا في الترمذي[٥٧] وكذا في سنن ابن ماجة[٥٨].

٢ ــ أخبرنا أبوعبد الله الحافظ، حدثنا محمد بن صالح بن هانىء، حدثنا الفضل بن محمد الشعراني، حدثنا سعيد بن ابي مريم، حدثنا يحيى بن ايوب، حدثنا أسامة بن زيد الليثي عن ابن شهاب عن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن ابي هريرة أن رسول الله (ص) قال: **مَنْ أدرك من الجمعة ركعة، فليصلّ اليها أخرى**[٥٩].

وأخرج عبد الرزاق بمعناه عن ابن عمر بعدة أسانيد وعن أبي هريرة وغيرهما[٦٠] وأخرج أبوداوود عن القعنبي عن مالك عن ابن شهاب عن أبي هريرة ونحوه[٦١].

باب: تخطي الرقاب

ماورد من طريق أهل البيت (ع):

١ ــ في البحار عن دعائم الإسلام عن جعفر بن محمد (ع) أنه قال: **لأن أجلس عن الجمعة أحب اليّ من أن أقعد حتى إذا جلس الإمام جئت أتخطى رقاب الناس**[٦٢].

٢ ــ قرب الاسناد عن السندي بن محمد عن أبي البختري عن جعفر عن أبيه؛ أن علياً كان يقول: **لابأس بأن يتخطى الرجل يوم الجمعة الى مجلسه حيث كان، فإذا خرج الإمام فلا يتخطان أحد رقاب الناس وليجلس حيث يتيسر**... الخ الحديث[٦٣].

ماورد من طريق أهل السنة:

١ ــ حدثنا ابوبكر بن فورك، أنبأنا عبد الله بن جعفر، حدثنا يونس بن حبيب، حدثنا أبوداوود، حدثنا شريك عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال: **كنا إذا أتينا رسول الله (ص) جلسنا حيث ننتهي**[٦٤].

٢ ــ أخبرنا أبوعبد الله محمد بن عبد الله الحافظ، حدثنا أبوالعباس محمد بن يعقوب، حدثنا بحر بن نصر بن سابق الخولاني، حدثنا عبدالله بن وهب، قال: **سمعت معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية عن عبدالله بن بشر قال: كنت جالساً الى جانبه يوم الجمعة، قال فجاء رجل يتخطى رقاب الناس، فقال له رسول الله (ص) أجلس فقد آذيت و آنيت**... الخ الحديث[٦٥] ورواه النسائي عن وهب بن بيان عن ابن وهب مثله[٦٦] وأخرجه

أبوداوود عن هارون بن معروف عن بشر عن معاوية عن أبي الزاهرية هكذا قال: كنا مع عبد الله بن بشر فساق الحديث **نحوه.** ولعل الإختلاف من تحريف النساخ أوالمفل[67] وأخرجه ابن ما جة في السنن عن الحسن عن جابر[68].

٣ ــ حدثنا ابو كريب، حدثنا رشدين بن سعد عن زبان بن فائد عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه قال: قال رسول الله (ص) **«من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسراً الى جهنم»** [69].

وروى مجمع الزوائد أحاديث في ذم تخطي الرقاب يوم الجمعة[70] وكذا أخرج عبد الرزاق أحاديث متعددة في ذم التخطي[71] •

الهوامش

١ ــ الوسائل ج ٥ ص ٣٠ وبهامشه عن الفقيه ج ٢ ص ١٦٩. والبحار ج ٨٩ ص ١٨٣ ونقله في ص ١٨٦ عن مجالس الصدوق و ص ١٧٤ عن المقنع ومستدرك الوسائل عن كتاب العروس ج ١ ص٤٠٩.

٢ ــ الوسائل ج ٥ ص ٢٩ والفقيه ج ١ ص ٢٦٩ ونقل أوله بزيادة يوم الجمعة في المستدرك ج ١ ص ٤١٠ عن كتاب فقه الرضا.

٣ ــ الوسائل ج ٥ ص ٢٩ في الهامش عن المقنع ص ١٢، والبحار ج ٨٩ ص ١٧٦ ، وفي هامشه عن المقنع ص ٤٥ و ٤٦ و باختلاف يسير نقله ص ١٩٣ عن فقه الرضا.

٤ ــ البحار ج ٨٩ ص ١٨٣.

٥،٦،٧ ــ البخاري ج ١ ص ١٠٩ ومسلم ج ٣ ص ٤ و ٥ والنسائي ج ٣ ص ١٠٣ وعبد الرزاق ج ٣ ص ٢٢٢ ح ٥٤١٤ والترمذي نحوه ج ٢ ص ٣٨٧ ورواه ابن ماجه بسنده عن الزهري مثله ج ١ ص ٣٥٢ وأخرجه في المشكاة ص ٢٢ وقال متفق عليه والدارقطني ج ١ ص ٣٦٤ والموطأ المطبوع مع تنوير الحوالك ج ١ ص ١٢٦.

٨،٩ ــ عبد الرزاق ج ٣ ص ٢٢٣ ح ٥٤١٥ و٥٤١٦ و٥٤١٧ و٥٤١٨ و٥٤١٩.

١٠ ــ أبو داوود ج ١ ص ٢٩٠ والنسائي ج ٣ ص ١٠٤ والمنتقى نقله عن الجماعة إلا ابن ماجة ج ٢ ص ٢٩. وروى أحاديث أخرى في ذم الكلام.

١١ ــ البيهقي ج ٣ ص ٢١٨. وذكر في الباب أحاديث كثيرة بأسانيد متعددة فراجع ص ٢١٨ و ٢١٩ و ٢٢٠.

١٢ ــ الوسائل ج ٥ ص ٢٩ والفقيه ج ١ ص ٢٦٩.

١٣ ــ الوسائل ج ٥ ص ٢٩ والتهذيب ج ٣ ص ٢٠ بتغيير بسيط حيث قال (و بين أن تقام الصلاة) وقال (فاذا فرغ من خطبته). وأسنده باسنادين والكافي ج ٣ ص ٤٢١ ولكن بدل (يقام للصلاة) قوله (تقام الصلاة) ويظهر أن هذا هو الصحيح وما في الوسائل خطأ.

١٤ ــ البحار نقلاً عن الدعائم ج ٨٩ ص ٢٥٦ وفي هامشه دعائم الإسلام ج ١ ص ١٨٢ ومستدرك الوسائل عن دعائم الإسلام كما يظهر ج ١ ص ٤٠٩.

١٥ ــ البيهقي ج ٣ ص ١٩٣.
١٦ ــ البيهقي ج ٣ ص ١٩٩.
١٧ ــ البيهقي ج ٣ ص ٢٢٠ ونقله عن أبي داوود في السنن وقد أخرجه أبو داوود بتمامه ج ١ ص ٢٧٦ وتقدّمت أحاديث فيها فضل الإنصات فراجع.
١٨ ــ البيهقي ج ٣ ص ٢٢٠ والموطأ المطبوع مع تنوير الحوالك.
١٩ ــ الوسائل ج ٥ ص ١٥ و ٣٩ والكافي ج ٣ ص ٤٢٤.
٢٠ ــ الوسائل ج ٤ ص ٨١٦ وفي الباب روايات عديدة راجع ص ٨١٥ و ٨١٦ و ٨١٧ و ٨١٨.
٢١ ــ الوسائل ج ٥ ص ٣٨ والكافي ج ٣ ص ٤٢١.
٢٢ ــ التهذيب ج ٣ ص ٦ ح ١٣ و ١٤ و ١٥ و ١٦ و ص ٧ ح ١٧ و ١٨ ويعيد ذلك ج ٣ ص ٧ ح ١٩ و ٢٠ و ٢١ وكذا الاستبصار ج ١ ص ٤١٣ ح ١٥٨١ و ١٥٨٢ و ١٥٨٣ و ١٥٨٤ و ١٥٨٥ و ١٥٨٨ و يعيد ذلك أيضاً ج ١٥٨٦ و ١٥٨٧ و ١٥٨٩ و ١٥٩٠ والفقيه ج ١ ص ٢٦٨ ح ١٢٢٣ و يعيد ذلك ح ١٢٢٥ والكافي ج ٣ ص ٤٢٥ و ٤٢٦.
٢٣،٢٤،٢٥ ــ مسلم ج ٣ ص ١٦. والبيهقي ج ٣ ص ٢٠٠ والنسائي ج ٣ ص ١١١ و مصنف عبد الرزاق ج ٣ ص ١٨٠ ح ٥٢٣٤ رواه بسنده عن أبي هريرة.
٢٦،٢٧،٢٩،٣٠ ــ مسلم ج ٣ ص ١٥ ورواه باسناد آخر في نفس الصفحة بتغيير بسيط والبيهقي ج ٣ ص ٢٠٠ ورواه عبد الرزاق عن ابن جريج عن جعفر بن محمد (ع) بغير هذا الاسناد نحوه ج ٣ ص ١٧٩ ح ٥٢٣١ وأخرج نحوه بتغيير عن الثوري عن جعفر بن محمد (ع) بعين الاسناد ج ٣ ص ١٨٠ ح ٥٢٣٢ أبوداوود ج ١ ص ٢٩٣. المنتقى ج ٢ ص ٣١ ح ١٦٣٠ والترمذي ج ٢ ص ٣٩٧ وابن ماجة ج ١ ص ٣٥٥ ونحوه منحة المعبود ج ١ ص ١٤٥.
٢٨ ــ البحار ج ٨٩ ص ١٩٨ عن الأمالي وفي الهامش أمالي الطوسي ج ٢ ص ٢٦١.
٣١ ــ مجمع الزوائد ج ٢ ص ١٩١ وغيره.
٣٢ ــ الوسائل ج ٥ ص ٨١ والتهذيب ج ٣ ص ١٩ ح ٦٧ والكافي ج ٣ ص ٤٢١.
٣٣ ــ الوسائل ج ٥ ص ٨١ والتهذيب ج ٣ ص ١٩ ح ٦٧ والكافي ج ٣ ص ٤٢١.
٣٤ ــ الوسائل ج ٥ ص ٨١.
٣٥ ــ البخاري ج ١ ص ١٠٧.
٣٦،٣٧ ــ البخاري ج ١ ص ١٠٧ وفي هذا المعنى روايات أخرى. ورواه أبو داوود في سننه باسناده الى ابن شهاب عن السائب مثله باختلاف يسير ج ١ ص ٢٨٥ ورواه بأسانيد متعددة بزيادة في صدره ص ٢٨٥ أيضاً ورواه المنتقى بتغيير ونقله عن البخاري والنسائي ج ١ ص ٢٤ ح ١٦٠٣ و ١٦٠٤. عبدالرزاق ج ٣ ص ٢٠٦ ح ٥٣٤٢ و ٥٣٤٣. الترمذي ج ٢ ص ٣٩٢ وابن ماجة ج ١ ص ٣٥٩ نحوه. وكذا ذكر نحوه في المشكاة ص ١٢٣ ونصب الراية ج ٢ ص ١٩٦.
٣٨ ــ الوسائل ج ٥ ص ٣٨ والكافي ج ٣ ص ٤٢٢ ذكر الخطبة بكاملها.
٣٩ ــ الوسائل ج ٥ ص ٣٨ والكافي ج ١ ص ٤٢١.
٤٠ ــ الفقيه ج ١ ص ٢٧٥ ح ١٢٦٢.
٤١ ــ البيهقي ج ٣ ص ٢١٣ و ٢٠٨ و باسناد آخر ص ٢١٤ و نقله عن مسلم.
٤٢ ــ البيهقي ج ٣ ص ٢١٠ ونقله عن مسلم وأخرجه أبوداوود ج ١ ص ٢٨٦ وذكره الحاكم في المستدرك بزيادة ج ص ٢٨٦ .
٤٣ ــ البيهقي ج ٣ ص ٢١١ وابوداوود ج ١ ص ٢٨٨ ومنحة المعبود ج ١ ص ١٤٤.
٤٤،٤٥،٤٦ ــ البيهقي ج ٣ ص ٢١٠ وفي هذا المعنى أحاديث متعددة عن سهل وعن عمارة بن رويبة في نفس الصفحة والمنتقى نحوه ج ٢ ص ٢٨ و ٢٩ ح ١٦٢١ و ١٦٢٢ وأخرج نحوه عبد الرزاق ج ٣ ص ١٩٢ ح ٥٢٧٩ وابوداوود ج ١

ص ٢٨٩.

٤٧ ـــ السنائي ج ٣ ص ١٠٤ و ١٠٥ و ١٠٦ و ١٠٧ والحاكم في المستدرك ج ١ ص ٢١٧ و ٢٨٩ و المنتق ج ٢ ص ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ و عبدالرزاق ج ٣ ح ١٩٣ و ١٩٤ و مجمع الزوائد ج ٢ ص ١٨١ و ١٨٨ و ١٩٠ و أبوداوود ج ١ ص ٢٨٧ و ٢٨٨ و ٢٨٩.

٤٨ ـــ الوسائل ج ٥ ص ٤١ ونحوه مستدرك الوسائل ج ١ ص ٤١٢ حديث ٣ باب ٢٠ ورواه الإستبصار باسناده ج ١ ص ٤٢٢ ح ١٦٢٣ والفقيه ج ١ ص ٢٧٠ ح ١٢٣٢.

٥٠،٤٩ ـــ الوسائل ج ٥ ص ٤١ وفي الباب أحاديث متعددة فراجع والبحار ج ٨٩ ص ٢٠٨ ومستدرك الوسائل ج ١ ص ٤١٢ عن كتاب العروس حديث ٢ باب ٢٠ وكذا الإستبصار ج ١ ص ٤٧١ ح ١٦٢٢ بتعبير في آخره وكذا بتعبير عن الفقيه ج ١ ص ٢٧٠ ح ١٢٣٣ وكذا في الكافي بزيادة (أربع) في آخره ولعل ما في الوسائل اشبه في النقل وهذا الأصح لموافقه بقية الروايات ج ٣ص ٤٢٧.

٥١ ـــ مستدرك الوسائل ج ١ ص ٤١٢ عن الجعفريات.

٥٢ ـــ الإستبصار ج ١ ص ٤٢٢ ح ١٦٢٥.

٥٨،٥٧،٥٦،٥٥،٥٤،٥٣ ـــ البيهقي ج ٣ ص ٢٠٣ والسنائي ج ٣ ص ١١٢ والمستدرك ج ١ ص ٢٩١ الترمذي ج ٢ ص ٥٢٤ وسنن ابن ماجة ج ١ ص ٣٥٦ روى في ذلك أحاديث. ونقل نحوه في المشكاة وقال متفق عليه ص ١٢٤.

٦١،٦٠،٥٩ ـــ البيهقي ج ٣ ص ٢٠٣ والحاكم في المستدرك عن محمد بن صالح مثله ج ١ ص ٢٩١ وله في هذا المعنى ثلاثة أسانيد ثم قال: كل هؤلاء الأسانيد الثلاثة صحيح وعبد الرزاق ج ٣ ص ٢٣٤ و ٢٣٥ وبهذا المعنى مجمع الزوائد ج ٢ ص ١٩٢ وابوداوود ج ١ ص ٢٩٢ وكنزالعمال ج ٧ ص ٥١٣ نقله عن ابن ماجة والحاكم في المستدرك ونقل أيضا نحوه عن الحاكم فيه وعن السنائي. والحاكم ج ١ ص ٢٩١ ونحوه في الموطأ المطبوع مع تنوير الحوالك ج ١ ص ١٢٧ والدارقطني ج ٢ ص ١١ و ١٢.

٦٢ ـــ البحار ج ٨٩ ص ٢٥٦ نقله عن دعائم الاسلام وفي الهامش أنه ج ١ ص ١٨٢.

٦٣ ـــ الوسائل ج ٥ ص ٩٤ والبحار ج ٨٩ ص ١٧٤ وفي الهامش انه في قرب الاسناد ص ٧٢ ط حجر وص ٩٤ ط نجف.

٦٤ ـــ البيهقي ج ٣ ص ٢٣١.

٦٨،٦٧،٦٦،٦٥ ـــ البيهقي ج ٣ ص ٢٣١ والسنائي ج ٣ ص ١٠٣ ورواه الحاكم باسناده و بتغيير ج ١ ص ٢٨٨ وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه والمنتق عن عبد الله بن بسر ولعله تصحيف في أحدهما ج ٢ ص ١٧ ح ١٥٨٢ وابوداوود ج ١ ص ٢٩٢. وروى الترمذي في ذم التخطي ج ٢ ص ٣٨٨ ابن ماجة ج ١ ص ٣٥٤ وكنزالعمال ج ٧ ص ٥٢٩ نقله عن عدة.

٦٩ ـــ ابن ماجة ج ١ ص ٣٥٤ ورواه الترمذي ج ٢ ص ٣٨٨ ورواه في المشكاة ص ١٢٢.

٧١،٧٠ ـــ عبد الرزاق ج ٣ ص ٢٤٠ و ٢٤١ ومجمع الزوائد ج ٢ ص ١٧٨ و ١٧٩.

الشيرازي

رجل العلم والعمل

تقديم: الشيخ عقيق بخشايشي

المقدمة:

لو ألقينا نظرة على جهاد علماء الدين خلال المائة سنة الأخيرة، لرأينا في مقدمتهم اسماً لامعاً ألا وهو آية الله المرحوم الميرزا محمدحسن الشيرازي.

هذا الرجل كان أُسطورة في العلم والتقوى، الى جانب كونه قائداً و مجاهداً و مرشداً اجتماعياً و سياسياً. وفي الحقيقة كان البادىء لكفاح الشعب المحروم ضد الإستبداد الداخلي والإستعمار الأجنبي في ايران. و على هذا الأساس فأنَّ نهضة المسلمين الإيرانيين ضد الإستعمار الغربي والقوى العظمى في العالم وخاصة الإنجليز والروس في تلك الأيام، مَدينة لجهاد وفطنة هذا العالم الديني المجاهد.

إنَّ خطوته الثورية لتحريم التنباك ... سعى الإنجليز للحصول على امتيازه في بلاد... تخيب آمال الإستعمار الإنجليزي فحسب... شكّلت حافزاً لاستمرار الكفاح الجماهيري ... السلالة القاجارية المستبدة، والتي استمرت ... ظهور الحركة الدستورية الايرانية وانهيار ... الإستبدادي القاجاري.

دراسته وخدماته:

أنهى دراساته في مدينة النجف الأشرف. وكان من التلامذة البارزين للمرحوم الشيخ مرتضى الأنصاري الذي يعتبر من الشخصيات المؤسسة والمكملة للفقه وأصول الفقه بعد المرحوم صاحب الجواهر.

و بعد أن نال درجة الإجتهاد، أقام في مدينة «سامراء» بالعراق، واستطاع بحنكته وفطنته، أن يؤسس، الحوزة العلمية هناك ، والتي كانت ذات مسؤولية كبيرة ومتمرة للعالم

الإسلامي، حيث تخرَّج منها علماء، حملوا مشعل العلم والفضيلة وراية العلم والجهاد والكفاح في صفوف الأمة الاسلامية.

أبرز ماقام به الشيرازي هو تحريمه للتنباك في ايران. و يشهد التاريخ بأنّ هذا العالم الفاضل قد حطّم بخطوته هذه العمود الفقري للإستعمار الأجنبي.

وفي تلك الحقبة السوداء، التي وصل فيها ظلم وجورالإستعمارالأوروبي للدول الإسلامية الى حدٍ لايطاق، ظهر السيدجال الدين الأسد آبادي... هذا الرجل الذي يعتبر من الأشخاص الأوائل الذين أحسوا بالخطر الذي يهدد الاسلام والمسلمين، حيث بدأ يتحرك ضدالمستعمرين. وأول ماقام به هو كتابة رسائل الى العلماء المسلمين في ايران والدول الأخرى، موضحاً فيها الأخطار والعواقب المحدقة بالعالم الاسلامي من جانب المستعمرين، وطالباً منهم التعاون معه في طريق التصدي لهؤلاء.

كيف أُبرمت الإتفاقية؟

في الرحلة الثالثة التي قام بها (ناصر الدين شاه)[1] لأوروبا، والتي خطط لها الإنجليز بمعاونة (أمين السلطان) ومؤامرة الحاشية الملكية، تلقَّى (ظل الله) ومستشار الملك عدة اقتراحات من الإنجليز تتعلق أهمها بمنح امتياز التنباك الايراني لبريطانيا.

ولمّا كان ناصرالدين شاه منهمكاً في ملذاته أثناء وجوده في اوروبا، نفذت جميع أمواله. فاستغل الإنجليز الفرصة، وأخذوا يغرونه بالليرات الملكية البريطانية التي لم يستطع المقاومة أمامها وذلك لنمحهم امتياز التنباك.

ولكن ماذا كان يهم الشاه المستبد والأبله، أنْ يكون التنباك بيد الإيرانيين أو تحت سيطرة الأجانب؟

انه بفكره الضيق وأفكاره المحدودة، كان عاجزاً عن ادراك المؤامرة البريطانية التي كانت



المرحوم جمال الدين أسدآبادي

الغاية منها الحصول على امتياز التنباك وجني أرباح طائلة منه علاوة على ترسيخ النفوذ البريطاني في ايران وجعلها بالتالي من عداد المستعمرات البريطانية.

وبعد أنْ تمكّنت بريطانيا من ارضاء الشاه، لم توقع على أية معاهدة بأسمها، بل أسندت هذا الأمر الى أحد أتباعها (مازور تالبوت) وتحت غطاء شركة أهلية تسمى «رجي» حيث أراد الإنجليز من خلال عملهم هذا أن يوهموا الناس بأنهم لا يلعبون دوراً في هذه المؤامرة ـ ولكن عندما كانت مصالح هؤلاء الأفراد أو الشركات الأهلية أو بالأحرى مصالحهم تتعرض الى الخطر فإنّ الحكومة الإنجليزية كانت تتدخل بصورة مباشرة، الى درجة انها كانت تستخدم القوة والضغط واشعال نار الحروب إذا ما اقتضت مصالحها.

وبعد أنْ أنهى الشاه رحلته، وعاد الى ايران، جاء (تالبوت) الى طهران بصورة سرية وأختفى في السفارة الإنجليزية، وبعد مدة استأنف المباحثات لإبرام المعاهدة، وخلال مدة المفاوضات كان يقدّم للشاه ومستشاره وعدد من رجال الدولة هدايا مغرية. وبهذه الطريقة وخلال مدة قصيرة تمّ التوقيع على المعاهدة المذكورة بين الحكومة الإيرانية و(مازور تالبوت)، وكانت تنص على منح امتياز التنباك لـ(مازور تالبوت) وشركائه لمدة خمسين سنة ابتداءً من تاريخ التوقيع.

جوانب من الاتفاقية:

وبموجب هذه الاتفاقية التي نظمت في ـ١٥ـ بنداً ووقعت بتاريخ ٢٨/رجب/١٣٠٧هـ.ق الموافق ٢٠ ـ



الشهيد ميرزا رضا الكرماني

مارس/١٨٩٠م، حُرِمَ الشعب الإيراني من محصول التبغ والتنباك كلياً، بحيث كان الفلاح الإيراني مجبراً على بيع محصوله لشركة «رجي» بسعر زهيد جداً وبالمقابل كانت الشركة

المذكورة تبيع التبغ والتنباك للإيرانيين بأسعار باهضة، وتدفع الى الشاه بالمقابل حوالي ـ١٥ـ ألف ليرة سنوياً.

هذا بالإضافة الى منح تسهيلات أخرى للانجليز وفقاً لهذه المعاهدة، من مثل استغلال أكثر الفلاحين وحتى حكام الولايات للتجسس وللحصول على اخبار و معلومات كافية حول الأوضاع الزراعية في ايران. بهدف تحطيم العمود الفقري للزراعة في ايران ليوسّعوا بذلك رقعة نفوذهم فيها، و يقيدوا حرية الفلاحين الايرانيين في مجال بيع وشراء التبغ والتنباك والسجائر.

كما نصّت الإتفاقية على السماح للإنجليز بتصدير ما يحلولهم الى ايران، مثل الأسلحة وقطع الغيار، لسفك دماء الشعب الإيراني، ومن جملة الإمتيازات الأخرى التي حصلت عليها الشركة المذكورة، تحديد أسعار التبغ والتنباك.

و بالإضافة الى ذلك كان يحق للشركة منح الإمتياز لأي فرد ترغب فيه. وفي حالة ظهور خلافات بين ايران والشركة، يتم مراجعة السفير الأمريكي أو الألماني أو النمساوي للنظر فيها، واصدار الأحكام بشأنها، على أن يقبل الطرفان تلك الأحكام.

الجماهير المؤمنة ترفض الاتفاقية:

و بتوقيع الإتفاقية، بدأ الانجليز يتوافدون على ايران، وبمجرد دخولهم أقاموا الكنائس والمستشفيات من أجل التبشير والدعاية، وسخّروا الآلاف من النساء والشباب لخدمتهم مقابل أجور زهيدة، ومارسوا أعمال النهب والإضطهاد.

وقد ولّدت هذه التصرفات اللاانسانية تذمراً شديداً بين أوساط الشعب المسلم، أتخذ في أحيان كثيرة شكل ثورات مسلحة عارمة، واجهتها السلطة المأجورة بالقمع الوحشي دونما شفقة أو رحمة. ومن هذه الإنتفاضات تلك التي قام بها أهالي شيراز الأبطال بقيادة العالم الرباني الكبير السيدعلي أكبر فال أسيري، واستشهد خلالها المئات من أبناء الشعب الأعزل، بعد أنْ هوجموا من قبل حلاوزة السلطة وهم مجتمعون في أحد المراقد المقدسة.

كان لهذه الإتفاقية صداها في كافة أرجاء البلاد، فتجاوبت معها تبريز، فقد نظّم أبناؤها مظاهرات صاخبة، معلنين رفضهم لفتح أي فرع للشركة الإحتكارية في مدينتهم، وارسلوا كتاباً شديد اللهجة الى ناصرالدين شاه يحذرونه من مغبة التعامل مع الأجنبي.

ثم انضمَّ أهالي أصفهان الى الثورة بعد فتوى عالمها الشيخ محمدتقي المشهور بـ (السيد النجفي) القاضية بتحريم استعمال التنباك.

وما حصل في هاتين المدينتين حدث مثله في كل أنحاء البلاد استجابة لفتاوى العلماء وتفاعلاً مع دماء الشهداء.

فتوى المرحوم الشيرازي:

و بتصاعد مد الإنتفاضة وامتدادها، كتب

علماء طهران رسالة الى المرحوم الشيرازي الذي كان في سامراء ذلك الحين، فبعث بفتواه الشهيرة **«بسم الله الرحمن الرحيم — يعتبراستعمال التنباك والتبغ بأي نحو كان في حكم محاربة إمام الزمان صلوات الله وسلامه عليه»**.

وقد انتشر نبأ الفتوى كالبرق في صفوف الجماهير المؤمنة، رغم جهود الإنجليز وعملائهم للحيلولة دون ذاك .

فتجاوب مع الفتوى حتى المدمنين على المواد المخدرة والمسكرات، وحضيت باحترام غيرالمسلمين من باقي الملل والنحل، بل حتى خدم وحريم ناصرالدين شاه امتنعوا عن التدخين استجابة لحكم الفقيه الكبير.

وتصل الثورة نقطتها الحاسمة ببيان سماحة حجة الإسلام السيد ميرزا الآشتياني والذي جاء فيه **«إذا لم يلغ امتياز الدخانيات خلال ٤٨ ساعة، فسيكون يوم الاثنين القادم هويوم جهاد، فأستعدي يا جماهيرنا»**.

و بالفعل تهيَّأت جموع الشعب المجاهد لخوض نضال مرير ضد الانكليز وعملائهم.

وحاول ناصرالدين شاه اخماد الحركة بتخيير العلامة الآشتياني بين نقض فتواه و ذلك بارتقاء المنبر وحثّ الشعب على استعمال التبغ والتنباك ، أو بنفيه من طهران. وقد كان جواب العالم الروحاني الجليل: **«نقض حكم الفتوى ليس بأمر ممكن لي بأي وجه كان، لكنني ساغادر طهران...»**

وما أن عُلِمَ الخبر حتى انتشر بسرعة مذهلة في جميع انحاء العاصمة، فتحركت الجماهير بأمواج هائلة، وأحتشدت في السوق الكبير، وأعلنت استعدادها لبذل الغالي والرخيص دون نفي عالمها المجاهد.

فانتاب الخوف الحكومة، وسيطر الهلع على رجالها، واستبدت بناصرالدين شاه هستيرية شديدة، فأمر بنصب المدافع، وهدد الجماهير بالقمع والسحق في حالة عدم تفرقها.

وفعلاً تصدر الأوامر الجائرة وتطلق النيران الكثيفة على أبناء الشعب فيقتل (٧) أشخاص ويجرح العديد.

الغاء الاتفاقية:

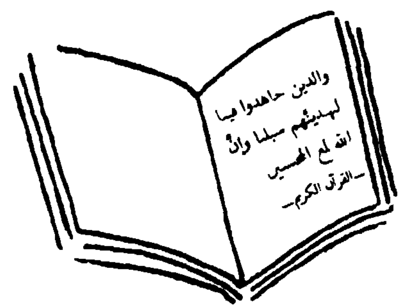
لقد بعث ذلك عزماً قوياً في نفوس الثائرين على مواصلة جهادهم من أجل قضيتهم المقدسة. وأدرك ناصرالدين شاه هذا الإصرار الحديدي، فلم يملك دونه إلاّ أنْ يلغي الإتفاقية حفاظا على نفسه وعلى عرشه المنهار.

وبهذا سطّر الشعب المسلم في ايران صفحة جهادية في تاريخ الأمة الإسلامية، أكد فيها أصالته وشجاعته، و برهن من خلالها على قدرته في تحقيق أهدافه بقيادة علمائه الأعلام ●

---

١ — ملك قاجاري لقي مصرعه على يد المجاهد الشهيد ميرزا رضا الكرماني.

الجهاد في القرآن



حجة الاسلام والمسلمين طاهري خرم آبادي

القسم الخامس

العوامل المعنوية للنصر

الصبر

في معرض تعدادنا للعوامل المعنوية للنصر في العدد السابق تحدثنا عن دور الصبر، وفي دراستنا للآيتين ٦٥ — ٦٦ من سورة الأنفال أشرنا الى نقطتين من أربع نقاط أشارت اليها هاتان الآيتان الكريمتان، وفي هذا القسم سنستكمل البحث في النقطة الثانية، ثم نبحث في النقطتين الأخريين.

العلاقة بين الإيمان والصبر:

ينبغي أولاً أن ندرس العلاقة بين الوعي والإدراك العرفاني والإيمان بالله و بين الصبر و الشجاعة وكيف يؤدي هذا الوعي والإيمان و آثارهما العملية الى النصر على الأعداء. ولأجل إيضاح هذا الموضوع نشير الى النقاط التالية:

أ — لقد وجدت دائماً نظرتان الى العالم وسيره وحركته، هما: **النظرة المادية والنظرة الإلهية.**

في النظرة المادية التي يؤمن بها بعض العلماء والمدارس المادية، يعتبر الباطل والفساد والظلم أساس الوجود، والإنسان موجوداً فاسداً ومجرماً بالفطرة، وتعتبر العدالة والخير والفضيلة والأخلاق حالات استثنائية في الطبيعة البشرية. **وعلى هذا الأساس ترفض النظرة المادية فكرة حركة العالم والانسان نحو الكمال والحق والعدل، وتطغى على**

هذه النظرة حالة مفرطة من التشاؤم فيما يتعلق بمستقبل الكون والإنسان.

اما النظرة الإلهية فترى أن الكون يقوم على قاعدة من الحق والعدل، و يتجه بحركته نحوالكمال المطلق، وتعتبر الإنسان موجوداً صالحاً خلق معه الإستعداد للخير والشر، وهويتجه بطبعه نحو الفضيلة ونصرة الحق والصلاح ورفض الباطل والفساد، وأن كل ألوان الإنحراف والفساد في العالم تعتبر حالات مباينة للفطرة والتكوين، وهي حالات استثنائية ومتعسفة وغير مرشحة بطبيعتها للاستمرار، وتبقى النتيجة للخير والمستقبل للصالحين والعاقبة للمتقين.

وقد أشار القرآن الكريم الى هذا الموضوع في آيات كثيرة و بأشكال مختلفة، وفيما يلي نماذج من الآيات التي تناولته:

«وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً، ذلك ظنُّ الذين كفروا، فويلٌ للذين كفروا من النار».

(ص ــ ٢٧)

«أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض؟ أم نجعل المتقين كالفجّار؟».

(ص ــ ٢٨)

«وماخلقنا السماوات والأرض ومابينهما لاعبين».

(الدخان ــ ٣٨)

«بل نقذف بالحقّ على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهقٌ...».

(الأنبياء ــ ١٨)

«ماخلقناهما إلاّ بالحقّ...».

(الدخان ــ ٣٩)

هذه الآيات الكريمة توضح بجلاء أن الكون لم يخلق عبثاً، بل خلق من أجل غاية محددة، وانه يقوم على أساس من الحقّ والعدل، و يتحرك باتجاه الكمال والحق المطلق.

وحول المجتمع البشري تطالعنا آيات عديدة فيها وعد بالإنتصار المطلق للحق على الباطل، وانتشار العدل في العالم، ومن جملة هذه الآيات:

«وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما آستخلف الذين من قبلهم وليمكننّ لهم دينهم الذي آرتضى لهم وليبدّلنّهم من بعد خوفهم أمناً، يعبدونني لايشركون بي شيئاً. ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون».

(النور ــ ٥٥)

«هوالذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه...».

التوبة، الفتح، الصف، الآيات ٣٣ ــ ٢٨ ــ ٩

«ولقد كتبنا في الزّبور من بعد الذكر أنّ الأرض يرثها عبادي الصالحون».

(الأنبياء ــ ١٠٥)

وخلاصة ماتعد به هذه الآيات الكريمة هو انتشار العدالة في الأرض، وسيادة الحكومة الإلهية عليها، وتبديل الخوف بالأمن والشرك بالتوحيد، وانتصار دين الله على سائر الأديان والعقائد والأفكار.

وقد ورد هذا الوعد أيضاً في أحاديث كثيرة متواترة من طرق الشيعة.والسنة وكلها تشير الى تحققه على يد الإمام المهدي (ع) الذي يقيم حكومة العدل الإلهي التي يخضع لها العالم كلّه.

ونحن نعلم ــ من ناحية أُخرى ــ أن كافة *ألوان صراع الحق مع الباطل والتي جرت وستجري في كافة العصور وفي مختلف الظروف*

تؤثر بدرجات متفاوتة في المحصلة النهائية لانتصار الحق على الباطل في العالم، وهي تعتبر حلقات متصلة في سلسلة واحدة تمتد من آدم(ع) الى خاتم الأوصياء الإمام المهدي سلام الله عليه.

وعلى هذا الأساس، فإنَّ أية خطوة يخطوها المسلم في طريق نصرة الحق ومقارعة الباطل، تعتبر مثمرة، و يعتبر المسلم الذي خطاها منتصراً، و يكون لكل قطرة دم تراق على الأرض في هذا السبيل دور في إرواء شجرة الحق التي سوف تثمر أينع الثمر وأطيبه. وهكذا فانَّ الإنسان المؤمن يعتقد بأنَّ كفاحه سيحقق أهدافه حتماً ولو على المدى البعيد.

إنَّ فرقاً شاسعاً ــ من الناحية النفسية ــ بين الإنسان الذي ينطلق في خطواته مفعماً بالأمل بالنصر والمستقبل الزاهر، و بين من يتقدم متردداً ضعيف القلب يائساً من بلوغ هدفه. لاشك أن الأول ينجز واجباته بشوق وحماس وشجاعة أكثر من الثاني الذي يفكر بالفرار والإنسحاب و يعاني من العذاب النفسي ومرارة اليأس. وقد رأينا النموذج الأول في مقاتلي الاسلام الذين ينطلقون الى الجبهة بكل اندفاع واشتياق ودموع الفرح تنهال من عيونهم وهم يتسابقون الى ذلك الشرف، كما كان أبطال صدر الاسلام يفعلون مما سطره لنا التاريخ نماذج حيّة فريدة لايتسع المقام لذكرها.

إذن فالنظرة التي يعطيها الاسلام للمسلمين حول الكون والانسان هي نفسها عامل مهم يخلق الصبر والإستقامة والشهامة ويحقق النصر على العدو في ميدان القتال.

ب ــ لقد وعد الله تعالى المؤمنين بالنصر في القرآن الكريم فيما يقرب من ثلاثين مورداً (وسنبحث هذا الموضوع بالتفصيل لاحقاً إن شاء الله) وهذا الوعد يجعل للمسلمين ــ وهم متجهون الى ميدان القتال ــ واثقين من الدعم الرباني القوي والتأييد الإلهي في المعركة، لأنهم يرون أنفسهم مستندين الى قوة دونها كل القوى، و يتكلون على خالق الوجود واله الكون، و يتمتعون بمدده الغيبي، مما يعطيهم ثقة أكبر واطمئنان بال أعظم أثناء القتال لأنهم يؤمنون بأنه: «ان تنصروا الله ينصركم»، وهم ينادون: «الله مولانا ولا مولى لكم». ان الإنسان المؤمن يعلم انه يخطو في سبيل الله، و يضحي بحياته من أجله، منسجماً في ذلك مع التكوين العام للوجود، ومقابل ذلك؛ فانَّ الله تعالى يمده بالعون والنصر.

ج ــ إنَّ الإنسان المسلم الذي يؤمن بالمعاد والآخرة لاينظر الى الموت باعتباره فناءً وانتهاءاً، لكنه انتقال من منزل الى منزل آخر، وطي مرحلة ودخول في مرحلة أخرى، إنسان كهذا يعتبر سيره حركة تكاملية ينتقل فيها من نقطة الى أُخرى، وتكون كل نقطة موتاً بالنسبة للماضي وحياة جديدة بالنسبة للمستقبل. فالموت ليس فناءً، انه خلق «خلق الموت والحياة» ولهذا فليس الموت عدماً ولكنه وجود، وجود أكمل، وجسر ينتقل الإنسان بالعبور عليه الى العالم الأبدي الخالد، واذا كان الموت استشهاداً، فإنَّ حياة الشهيد حياة أرقى وأكمل من الحياة الدنيا:

«ولا تحسبنّ الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يُرزقون».

ولذا فان الخوف والرهبة التي يشعر بها غير المؤمن تجاه قضية الموت ينتفيان تماماً عند المؤمن، بل أن المؤمن يشعر ــ بدل الخوف ــ

بشوق عارم يحدوه الى لقاء الله والحياة الفضلى، ولذا يصف القرآن الكريم أولياء الله بعدم الخوف في قوله تعالى:

«ألا إنَّ أولياء الله لاخوفٌ عليهم ولاهم يحزنون».

(٦٢ ـ يونس)

ولنفس السبب يصف الكفار بالخوف والرعب، بقوله تعالى:

«لأنتم أشدُّ رهبةً في صدورهم من الله، ذلك بأنَّهم قومٌ لايفقهون».

(الحشر ـ ١٣)

أنهم لايفقهون: لأنهم لا يملكون تلك النظرة التي تنتج الخوف من الله وحده دون سواه، وهي النظرة التي يملكها المسلمون دون الكافرين.

تلك هي العوامل التي تحدد العلاقة بين النظرة الإلهية و بين صفات الصبر والإستقامة والشجاعة. وكلّما كان الإيمان أقوى كانت آثاره العملية ونتائجه الأخلاقية أكبر بنفس النسبة، وهذا هو سبب نجاح وانتصار الواحد على العشرة، ذلك بأنهم قوم لايفقهون.

ما هو الضعف الذي أصاب المسلمين والذي خفف الله من أجله عنهم؟ أهو ضعف في القوة المادية أم ضعف في القوة المعنوية؟

اعتبر بعض المفسرين من أهل السنّة الآية شاملة للضعف المادي والمعنوي وطبقوا ذلك على غزوة بدر، وفسّروا الآية هكذا:

(لقد كان للمسلمين في زمانين مختلفين حالتان متباينتان: حالة الضعف التي كانت في غزوات مثل بدر التي لم يكونوا يملكون فيها أكثر من فرس واحد، وكانوا يعانون من نقص المؤمن وقلة العدد إذ كانوا ثلث عدد المشركين.. في تلك الحالة أوجب الله تعالى على الفرد مقابلة اثنين من الكافرين، وفي حالة أُخرى، حالة القوة والمنعة التي أصبحت للمسلمين بعد أن كثر عددهم وقويت شوكتهم، أصبح واجباً على المسلم أن يقابل عشرة من الكافرين كما في معارك فتح بلاد الروم وفارس و بعض الفتوحات التي تمت في عصر الرسول الاكرم (ص) كغزوة مؤتة. وعلى هذا الأساس يكون معنى الآية: إنَّ الحكم الأولي لكم هو أن يقابل الفرد منكم عشرة، ولكن في الوقت الحاضر (أي في معركة بدر) حيث يعلم الله تعالى أنكم ضعفاء من الناحية العددية فانّه سبحانه خفف عنكم بأنْ فرض على الواحد أنْ يقابل اثنين فقط و يثبت أمامهم).

ولكن التدقيق في الآية الكريمة وفي تاريخ المسلمين يظهر لنا خلاف هذا المعنى وذلك للأسباب التالية:

أولاً ــ إنَّ المسلمين كانوا ضعافاً من ناحية العدة والعدد في كل زمان إذاما قارنّاهم بأعدائهم. واذا أخذنا نفس الأمثلة التي وردت في هذا التفسير، فإننا نلاحظ بأنَّ في زمن قوة المسلمين في معركة مؤتة، فإنَّ عدد الكافرين كان مائة وخمسين ألفاً في مقابل ثلاثة آلاف من المسلمين، وفي معركة اليرموك جمع هرقل مائتي ألف مقاتل في حين كان المسلمون اربعة وعشرين الفاً، فاذا امعنا النظر في الامثلة التي سيقت للتدليل على قوة المسلمين العددية مقارنةً بأعدائهم، فنحن نجد في نفس الأمثلة أن المسلمين كانوا قليلين جداً قياساً الى عدوهم.

ثانياً ــ بالتأمل في الآية الكريمة مورد البحث يتضح أن الإعتماد ليس على القوة المادية أو القوة البشرية، ولكنه على الصبر والفهم والايمان اليقيني بالغيب الذي هو معيار الضعف والقوة، أي أن

لضعف والقوة في الإيمان يوجدان تينك الحالتين و يزيدان أو ينقصان الصبر والإستقامة.

ثالثاً ــ يلاحظ أننا كلما اقتربنا من الصدر لأول للإسلام وجدنا قوة الإيمان والإرادة أعظم وأشد من العصور اللاحقة، مع أن المسلمين في لصدر الأول كانوا أضعف مادياً من المسلمين للاحقين، وكلما ازداد عدد المسلمين وقويت عدتهم انخفض مستوى ايمانهم.

إنَّ كل جماعة ذات هدف تتمتع بارادة وعزم أكبر وتمارس تضحية وجهاداً في سبيل أهدافها بحماس أشد عندما يكون عددها قليلاً وعدتها ضعيفة وقيادتها حكيمة، ولكن هذه الجماعة عندما تصل الى السلطة وتتمتع بالنعيم والرفاهية وتفقد القيادة الحكيمة، فإنَّ ذلك العزم وتلك الإرادة الحديدية يصيبها الضعف والخمول شاءت الجماعة أم أبت.

و بديهي أن أي مجتمع من المجتمعات لا يخلو من الاختلاف في مستويات الايمان والخصال الحميدة، إذ توجد دائماً طبقة قوية الايمان وطبقات تعاني من ضعف في الايمان بدرجات متفاوتة، وهناك طبقة أُخرى تقع في الوسط، كما توجد فئة من المنافقين. وفي هذه التركيبة كلما كانت الطبقة الأولى أقوى وأكبر كان تأثيرها في أذهان الطبقة المتوسطة أعلى وأفضل، وكلّما كان المنافقون أكثر وأقوى، استطاعوا كسب الطبقة المتوسطة اليهم بصورة أوسع، وكلّما زاد عدد افراد المجتمع، فمن الطبيعي أن يزداد عدد ضعاف الايمان و يقل عدد أفراد الطبقة الممتازة في ايمانها، واذا كان المجتمع يسعى لتحقيق أهدافه العليا، فمن الخير له أن يعتمد على هذه الطبقة الممتازة مهما قلّ عددها، لأنَّ احتمال انتصاره بها على أعدائه ــ مهما بلغ عددهم ــ هو الإحتمال الأقوى. والتاريخ يدل على صحة هذه القاعدة، ففي غزوة بدر انتصر المسلمون عندما كان عددهم ثلاثمائة وثلاثة عشر، وكانت امكاناتهم في منتهى البساطة، بينما كان المشركون ثلاثة أمثالهم من حيث العدد. وكان استعدادهم العسكري في التدريب والتموين والتسليح أضعاف ما كان عليه المسلمون. أما في معركة أحد ــ ومع أنَّ المسلمين كانوا أكثر عدداً وعدة ــ فقد كانت الهزيمة حليفهم، وفي معركة حنين إذ كانوا كثيرين كما ذكر القرآن الكريم أعجبتهم الكثرة وغرتهم القوة المادية، فلم يثبت في الميدان إلاّ عدة قليلة أحاطت بالرسول (ص) بينما لاذ الباقون بالفرار في الصحارى والجبال، وكانت الغلبة للدعم الغيبي:

«...ويوم حنينٍ إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تُغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رَحُبت ثم ولّيتم مدبرين».

(التوبة ــ ٢٥)

نستخلص ممّا تقدم أن المقصود بالضعف الذي أصاب المسلمين ليس هوالضعف في القوة المادية، ولكنه الضعف الروحي والمعنوي، أي الضعف في الايمان.

٤ ــ إنَّ الآية الكريمة ــ وهي تنقل صورة عن حادثة معينة ــ لم تتعرض بشكل صريح لتشريع حكم في موضوع مقابلة المسلم لعدد معين من الكافرين، لكن التأمل في جملة «الآن خفف الله عنكم» يدل على أنها لاتهدف الى الاخبار والرواية بل أنها في مقام التشريع وبيان التكليف، لأنَّ التخفيف والترخيص هما في مقام

التكليف وسن القانون وليس في مقام الإخبار. ومع أنّ كلمة «يغلبوا» استعملت هنا للإخبار عن المستقبل وان لفظها خبر وليس انشاء، إلاّ أنّ هذا الخبر يهدف في الواقع الى الانشاء والتكليف، أي انها اخبرت بالغلبة لتحمل الموضوع تكليفاً.

وخلاصة المعنى هو: إنّ الواحد منكم يجب أن يثبت أمام عشرة من الكافرين، أما اليوم وبسبب الضعف الذي تعانون منه، فإنّ الله تعالى خفّف عنكم، وعلى الواحد منكم أن يثبت أمام اثنين من الأعداء.

* * *

«... ربّنا أفرغ علينا صبراً وثبّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين». (البقرة ــ ٢٥٠)

تجسّد هذه الآية دور الصبر في تحقيق النصر، وقد جاءت في سياق الحديث عن بني اسرائيل. ومن المناسب الإشارة الى آيات ذلك السياق والى قصة بني اسرائيل إجمالاً:

لقد ابتلي بنو اسرائيل بعد موسى (ع) ووصيه هارون (ع) باستغلال واستعمار الحكام الظالمين وذلك على اثر معصيتهم وتمردهم على أوامر الله تعالى وتعلقهم الشديد بالدنيا ومتاعها المادي، وقد أصابهم في ذلك مختلف أشكال الظلم والقهر الذي كان سبباً في تغيير مجرى حياتهم الإجتماعية. ويبدو أن الشدائد والمحن ــ والتي لها دور فعال في الايقاظ والتحريك ــ جعلتهم يشخصون الأسباب الأساسية لذلك الشقاء الذي خيّم عليهم مما أوجد في نفوسهم القاعدة الفكرية ضد الظالمين فأصبحوا شيئاً فشيئاً مهيئين للنهضة التي تحتاج الى وجود قائد (وهو ماعبّرت عنه الآية الشريفة بالملك) لأن القائد من الضرورات الأولية لكل نضال من أجل إقامة نظام جديد أو حكومة أخرى. ومن ناحية أخرى، فإنّ النظر[ة] الرسالية التي جاء بها الأنبياء تقتضي أ[ن] لاينتخب هذا القائد انتخاباً بل أن يعين من [قبل] الله تعالى، وبدون ذلك لايكون هناك سب[ب] لطاعته أو اتباعه، ولذا فأنّ بني اسرائيل طلبوا من نبي زمانهم أن يعين لهم قائداً من قبل الله تعالى لكي يجمع شملهم وينظّم صفوفهم للقتال في سبيل الله.

«ألم تر الى الملأ من بني اسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبيّ لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله...».

(البقرة ــ ٢٤٦)

وحيث أنّ ذلك النبي كان يعلم ماضي بني اسرائيل وحبهم للدنيا وتعلقهم بالمادة وضعف نفوسهم وذلتهم وفقدانهم للصبر والتحمل في مقاومة الأعداء، فقد قال لهم:

«هل عسيتم أن كتب عليكم القتال ألاّ تقاتلوا؟».

لكنهم أجابوه:

«...ومالنا ألاّ نُقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا، فلمّا كُتب عليهم القتال تولّوا إلاّ قليلاً منهم والله عليمٌ بالظالمين».

(البقرة ــ ٢٤٦)

استجاب لهم نبيهم وعين لهم بأمر الله (طالوت) قائداً لهم قائلاً:

«إنّ الله قد بعث لكم طالوت ملكاً».

لكن بني اسرائيل وهم غارقون في أوحال المادة، تعاملوا مع هذه القضية بنفس المقاييس المادية التي اعتادوا عليها، واعترضوا على تعيين طالوت قائلين:

«انى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه

ولم يؤت سعة من المال».

لقد كان بنو اسرائيل يتصورون انه ينبغي أن ينحدر القائد بالضرورة من الطبقة الثرية المترفة لا من الطبقة المحرومة المعدمة، وكأنّ الشرط الوحيد الذي ينبغي توفره في القائد هو الثراء! وكأنّ المال هو الطريق الوحيد لحل المشاكل!. ونسوا أن أهم ماينبغي توفره في القائد الرسالي هو العلم والايمان لا المال والثروة والانتماء الى الطبقة المتميزة. لقد تصوروا أن هذا الشخص يجب أنْ ينحدر من عائلة مالكة ينتهي نسبها الى النبي يوسف (ع) لكنّ نبيهم قال لهم مفنداً هذه الفكرة الخاطئة والمنطق المعوج:

«... ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطةً في العلم والجسم، والله يُؤتي ملكه من يشاء والله واسعٌ عليمٌ».

(البقرة ــ ٢٤٧)

أي ان اعتراضكم هذا مرفوض لسببين: **الأول؛** هو أن طالوت قد اختاره الله تعالى ولاينبغي الاعتراض على اختياره سبحانه، **والثاني؛** ان طالوت هذا يتمتع بصفتين أساسيتين هما: القوة الجسمية والقوة العلمية الضرورية للقائد. و يبقى أساس المسألة متمثلاً في حق الله تعالى المطلق في أن يختار للقيادة من يشاء ولا يحق لأحد النقاش أو الاعتراض في هذه القضية.

وأخيراً، ولأجل أن يقبل بنو اسرائيل بقيادة طالوت، جعل الله تعالى له معجزة وهي استعادته التابوت الذي فقدوه منذ سنين بعد أن سقط بيد الأعداء. والتابوت هو الصندوق الذي يحتوي على ألواح للتوراة والذي كان يحمله بنو اسرائيل أمامهم في الحروب فيبعث الهدوء والسكينة في نفوسهم والذي بدأت البلايا تنزل عليهم بعد أنْ فقدوه.

«وقال لهم نبيهم إنَّ آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينةٌ من ربكم، وبقيةٌ مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة، إنَّ في ذلك لآيةً لكم إنْ كنتم مؤمنين».

(البقرة ــ ٢٤٨)

ولعلَّ هذه الآية تشير الى أن سبب جميع المحن والمشاكل هو الإعراض عن كتاب الله وتضييعه، وأن عودة المجتمع اليه والعثور على ما فقده هو يوم النصر والإستقرار.

وقد لمسنا نحن هذه الحقيقة في مجتمعنا، فعندما كان الشعب يغط في نوم الغفلة مضيعاً أو ناسياً الإسلام والقرآن، كان الظالمون والمستعمرون متسلطين عليه، واليوم وحيث أنَّ الشعوب الإسلامية أضاعت كتاب الله ــ كما أضاع بنو اسرائيل تابوتهم ــ وارتموا في أحضان الشرق والغرب، فإنَّهم لن يتحرروا من سلطة المستعمرين الظالمين من مصاصي دماء الشعوب في الشرق والغرب مالم يعودوا الى كتاب الله و يعتصموا بحبله.

وبعد أن جمع طالوت جنده، وسارهم نحو العدو، قرر اختبار أفراد جيشه ليكتشف مقدار ايمانهم وصبرهم وثباتهم وهي من الشروط الأساسية التي ينبغي توفرها في الجيش العقائدي، لأنَّ طالوت كان يعلم بأنه لا يستطيع أن ينتصر بجيش لا ايمان له ولا يلتزم بطاعة أوامر قائده المنصوب من قبل الله تعالى:

«فلما فصل طالوت بالجنود قال: إنَّ الله مبتليكم بنهرٍ فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني إلاَّ من اغترف غُرفةً بيده، فشربوا منه إلاَّ قليلاً منهم...». (البقرة ــ ٢٤٩)

وبهذا الاختبار أصبح واضحاً من هم الأشخاص الذين يتوفر فيهم الايمان والثبات والقدرة على قتال الأعداء، ومن الذين لا تتوفر فيهم تلك الشروط، ذلك لأن من لا يستطيع أن يمتنع عن شرب الماء امتثالاً لأمر الله تعالى و ينصاع لمطالب النفس الانسانية الصغيرة و ينقاد لأهوائه ورغباته، كيف يمكنه أن يصمد في ميدان القتال مضحياً بكل شيء من أجل الله وفي سبيله؟

لقد كان لذلك الأمر (بعدم الشرب من النهر) قيمة اختبارية فائقة تميز المطيع من العاصي ولم تكن له ــ في الأساس ــ فائدة عملية خارج أطار الإختبار والإمتحان. ومن المحتمل أن تكون بعض أوامر الله تعالى لعباده من هذا القبيل، أي أن يكون أثرها وفلسفتها متمثلين في نفس الطاعة للأمر الإلهي، أي أن العمل (كشرب الماء أو عدم شربه) ليست له بذاته منفعة أو ضرر، لكن طاعة العبد لأمر الخالق سبب لقربه منه تعالى ومعبر عن روح الانقياد والعبودية والمحبة له سبحانه، وهي أُمور تتحقق بالامتثال لذلك الأمر، ولها قيمة معنوية عليا غير محدودة. و بالمقابل فانّ من يعصي ذلك الأمر يتعرض الى أكبر خسارة معنوية.

و بعد أن عبروا النهر وتواجهوا مع جيش العدو الذي كان يقوده جالوت قال أصحاب طالوت:

«لاطاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده».

ونكصت الغالبية من جند طالوت على أعقابها تاركةً ميدان القتال؛ **«قال الذين يظنّون أنّهم مُلاقوا الله كم من فئةٍ قليلةٍ غلبت فئةً كثيرةً بأذن الله، والله مع الصابرين»**. (البقرة ــ ٢٤٩)

ولعلّ الجملة الأخيرة تريد أن تبيّن أن سبب انتصار الفئة القليلة على الفئة الكثيرة هو صبر هذه الفئة على مشاكل الحرب ومصاعبها.

و بناءً على ذلك يكون شرط النصر والغلبة على الأعداء هو الصبر والثبات، فإذا وجد الصبر والثبات عند قوم كان الله معهم، ومن كان الله معهم فهم منتصرون مهما كانوا قليلين. و يستفاد من هذه الآية بأنّ من يرجو لقاءالله يتوفر فيه بالضرورة الصبر والثبات.

«ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا؛ ربّنا أفرغ علينا صبراً وثبّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين».

(البقرة ــ ٢٥٠)

وفي هذا الدعاء أيضاً نلاحظ أن الصبر شرط للنصر وتثبيت الأقدام وعون الله تعالى، أي أن تحمل مشاق الحرب والسيطرة على النفس عند الشدائد يؤديان الى تثبيت الأقدام و يرشحان المؤمنين لنصرة الله تعالى. مع أن داود كان فتىً يافعاً بينما كان جالوت بطلاً عملاقاً.

«فهزموهم بإذن الله وَقَتَلَ داود جالوت».

في هذه الحادثة التاريخية التي جرت لبني اسرائيل شاهدنا كيف أن الصبر كان سبباً لانتصار الفئة القليلة منهم، وكيف أنهزمت الأكثرية غير الصابرة لدى أول تماس مع العدو، وهذه الأكثرية المهزومة هي التي فشلت في اختبار عدم شرب الماء. ونستنتج هنا أيضاً نقطة أُخرى وهي أن الذين يستطيعون تحمل المشاق والمصاعب المضنية هم أُولئك الذين استطاعوا أن يبنوا نفوسهم من الداخل بحيث يصبحون عباداً مطيعين لله تعالى ولا يعصون أوامره، لأنّ نفس الأشخاص الذين لم يمنعوا أنفسهم من شرب الماء

استولى عليهم الذعر من العدو وبان ضعفهم وعجزهم، أما الذين أطاعوا الأمر بعدم الشرب ونجحوا في ذلك الاختبار أظهروا قدراً من الصبر والثبات مكّنهم من تحقيق النصر.

كما نلاحظ أيضاً أن الأفراد المؤمنين المعاندين يعيشون دائماً حالة الأمل بالنصر، ولايخشون عدوهم مهما كان قوياً، ولايخافون من نقص عددهم وضعف قوتهم كما هي حالة إمام الأمة وقائد الثورة الإمام الخميني الذي لم يكن في كافة مراحل الثورة يخاف من أية قوة مادية معادية، ولم يكن يكترث بأكبر قوة عظمى في العالم (وهي أميركا) ويقول: «**إنّ أميركا لا تستطيع أن ترتكب أية حماقة**» وكان يعيش أعلى حالات الأمل والثقة بالنصر الإلهي على النظام الشيطاني الملكي، وهذا هو سر نجاح الرجال الربانيين.

وبالعكس فإنّ الذين لا ايمان لهم يخافون من العدو، ولايرون الأمور إلّا بموازين القوة المادية والبشرية وتراهم يقولون: «**لاطاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده**».

وهكذا أصبح دور الصبر والثبات في تحقيق النصر على الأعداء في مستوى الوضوح من خلال هذه الآيات الكريمة •

مجتمعاتهم وقائع وأرقام

السيد كمال المبدر/السويد

موضوع يتناول بعض الحالات في المجتمع السويدي والتي تظهر كما هو الحال في المجتمعات العربية الأخرى نتيجة لاعطاط الثقافة ووجود أفكار وعقائد مادية تافهة وعدم توفر عقائد تأخذ بيد الإنسان نحو السمو والكمال. وقد ارتأينا ان نقدّمه على حلقات.

الحلقة الثالثة

يموت كل عام في السويد ١٠ آلاف شخص بسبب الخمر. في كل ساعة يموت مواطن سويدي بهذا السم. في كل يوم يولد طفل مشوّه لأنّ والدته شربت الخمر خلال فترة الحمل. وكل ٣ أيام يولد طفل معوّق للأسباب ذاتها. أكثر من ربع مليون مواطن سكير طلب العلاج لمرضه الناتج عن شرب الخمر في مستشفيات العاصمة التي يبلغ عدد سكانها مليون نسمة. كما يتقدّم سنوياً ٢٠٪ من سكان السويد الى عيادات الطب النفسي طالبين العلاج لأمراضهم النفسية الناتجة عن شرب الخمر.

أكثر من ٥٠٠ مليون ليتر من الخمر يشربها السويديون كل عام. علماً أن عددهم لايزيد على ٨ ملايين نسمة. أما نفقات هذه «المتعة» على المجتمع السويدي فلا تقلّ عن ٦٠ مليارد كرون سويدي في كل سنة. وهو رقم يفوق ميزانية الكثير من دول العالم الثالث.

إنّ ثلث الرجال من ذوي الأعمار المتوسطة يموتون بسم مشترك إسمه الخمر. والموت بهذا المشروب أكثر شيوعاً من الموت بحوادث السير وأمراض القلب والسرطان وأمراض الجهاز التناسلي والإنتحار والغرق.

ودلّت الأبحاث على أن العديد من الشبّان بدأوا إدمانهم في سنّ الثالثة عشر، وأن فرصتهم للوصول الى سنّ التقاعد لا تزيد على ٨٪.

هذه المعلومات وغيرها هي موضوع هذا المقال الذي أعددناه من تعليقات وتصريحات وأبحاث ذوي الإختصاص، كما نشرتها أشهر الصحف السويدية.

«انني أتّهم كافة المسؤولين في مجلس النواب وفي أجهزة النظام الصحي وفي مجالس البلديات، باستثناء مجموعة صغيرة منهم، باتباع سياسة اجرامية ترمي الى ابادة الشعب».

هذا ما قاله «ايريك ميو باري» عضو لجنة مدينة ستكهولم للتخفيف من شرب الخمر، في مقالة نشرتها له صحيفة ستكهولم تدننغ في ١٠ فبراير عام ١٩٨٣، وجرَّت وراءها ردود فعل عنيفة كانت في معظمها مؤيدة لصراحة الكاتب ودقته في تصوير الخطر المخبوء، في زجاجات المشروبات الكحولية.

وجاء في مقالة الكاتب:

«إنَّ عدد الأشخاص الذين يموتون حالياً بسبب شرب الخمر يفوق عدد الذين يموتون بحوادث السير بعشرة أضعاف. وعليه فأنه يتوجّب علينا عندما نطالع الصحف أن ندرك أن عشرة أشخاص وربما عشرين شخصاً قد لاقوا حتفهم بالخمر ازاء كل شخص نقرأ أنه مات بحادث سير. إنَّ شخصاً واحداً، على الأقل، يموت كل ساعة، و ١٠ آلاف شخص يموتون كل عام بسبب الخمر.. إنَّ المسؤولين السويديين يتناسون المشكلة بحجة أن شعوب بعض البلدان الأخرى تشرب الخمر بكمية أكبر من الشعب السويدي. والغريب أنه عندما يصل عدد ضحايا المشروبات الكحولية الى هذا الحد اللامعقول يلجأ المسؤولون الى اتخاذ قرارات تقتصر في نتائجها على نشر المعرفة بأضرار الخمر وعلى اغلاق محلات بيع الخمور في أيام السبت. فهل باستطاعة هذه الاجراءات أن تخفف من حالات الوفاة التي تسببها المشروبات الكحولية بنسبة ١٥٪ خلال عشرة سنوات؟ الجواب هو: كلا. ولو افترضنا أن تلك الاجراءات نجحت في تحقيق هذا الهدف فهل تكون حالات الوفاة قد وصلت الى مستوى معقول؟ الجواب هنا أيضا: كلا».

وأضاف الكاتب:

«ان لدى من يصاب بأمراض الخمر في سن العشرين فرصة لا تزيد على ٣٥٪ للوصول الى سن الخمسين، أما فرصته للوصول الى سن التقاعد (٦٣ سنة) فلا تزيد على ٨٪. وعلى الرغم من التحسينات الهائلة التي طرأت على المستشفيات والمستوصفات، فأن معدل أعمار المواطنين لم يزد منذ الغاء نظام بيع الخمور بالبطاقات التموينية (عام ١٩٥٥)».

ــ صحيفة ستكهولم تدننغ ١٠ فبراير سنة ١٩٨٣ ــ

وفي تحقيق موسع قام به خمسة أطباء أخصائيين لمعرفة عدد الذين يموتون بالخمر تبيَّن أن الرقم أعلى بكثير مما ذكره عضو لجنة مدينة ستكهولم للتخفيف من شرب الخمر. فقد جاء في التحقيق الذي نشرته صحيفة «ذا لانسيت» الطبية التي تصدر في بريطانيا والذي أشارت اليه الصحف السويدية: **«إنَّ ثلث الرجال الذين ماتوا في السويد خلال الفترة الواقعة بين عام ١٩٧٥ ــ ١٩٨٠ من ذوي الأعمار المتوسطة قد ماتوا متأثرين بالأمراض التي سببها شرب الخمر. وعلى ذلك فأن الموت من جراء شرب الخمر أكثر شيوعاً من الموت بالأمراض القلبية وبالسرطان».**

ــ صحيفة داغنزنيهتر ١٦ نوفمبر سنة ١٩٨٢، و صحيفة ستكهولم تدننغ ٩ ديسمبر سنة ١٩٨٣ ــ

وقد عمدت عدة جهات رسمية وشعبية الى التعليق على نتائج التحقيق الطبي. فكتب نائب حزب الوسط في مجلس النواب السويدي افتتاحية في صحيفة «سفنسكا داغبلادت» المحافظة، قال فيها:

[إنَّ مشكلة الخمر، مشكلة مستعصية. والسبب في ذلك هو أنها تُركت تكبر الى الحد الذي وصلت اليه الآن بسبب السياسة الحكومية التي تقوم على مبدأ «دع الأمور تجري على راحتها». إنَّ تعاطي الخمر يسبب مشاكل خطيرة سواء على الصعيد الإنساني أو على الصعيد

الاقتصادي. فالتحقيق الطبي الكبير الذي أُجري في مدينة «مالمو» يبرهن على أن تعاطي المشروبات الكحولية هو أكبر مسبب للموت!.
ـ صحيفة سفنسكا داغبلادت ـ

واذا كان التحقيق الذي قام به الأطباء الخمسة برئاسة الطبيب الأخصائي بالأمراض الكحولية «بو بترشون» اقتصر على الرجال ذوي الأعمار المتوسطة، فأن أخصائيين آخرين أجروا فحوصاتهم على الشباب، ووجدوا أيضاً أن نسبة الوفاة بينهم عالية، وأن تناولهم للخمر يؤدي الى أمراض مستعصية في أدمغتهم:

«ـ لقد بدأنا أخيراً نكتشف عدة اصابات في أدمغة الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين ٢٥ ـ ٣٠ سنة، بسبب إدمانهم على شرب الخمر. وكثيرون من هؤلاء الشبان يصابون بفقدان الذاكرة. كما أن صور الأشعة تكشف عن تغييرات طرأت على الأجهزة العصبية لديهم...».

هذا ما يقوله الدكتور أغرين في مؤسسة الطب الإجتماعي في مدينة ستكهولم. و يضيف:

«إنّ هذه الإصابات لم تكن معروفة من قبل بين فئة الشباب. ونسبة الوفاة بين الشبان قد ارتفعت كثيراً بالمقارنة مع عقد الستينات، لأن هؤلاء الشبان يشربون الخمر مقروناً بالأقراص الطبية. انهم يموتون من جراء اصابتهم بتسمم فوري. ويفقدون الوعي خلال شربهم للخمر الى درجة لا يمكن معها انقاذهم. والموت الفجائي شائع بينهم.

ـ هذه المشكلة لم تكن موجودة من قبل لأنه في عقد الأربعينات لم يكن الشباب دون سن الخامسة والعشرين يشربون كميات كبيرة من الخمر بشكل نادر وكان الواحد منهم يشرب في مناسبات خاصة، ولم يكن يشرب بانتظام إلّا بعد سن العشرين. أما اليوم فأننا نجد من خلال استطلاعاتنا على المراهقين وعلى المجندين أنه توجد نسبة كبيرة من هؤلاء بدأت تشرب الخمر بكثرة وبشكل غير منقطع منذ سن الخامسة عشر. بل أن بعضهم بدأ ادمانه وهو في الرابعة أو الثالثة عشر. وإذا بدأ المرء تعاطيه للخمر في سن الخامسة عشرة فإن اصابات الدماغ قد تبدأ بالظهور بين سن العشرين وسن الثلاثين ـ».

ـ صحيفة ستكهولم تدننغ ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٨٣ ـ

«وفي مدينة ستكهولم (وعدد سكانها مليون نسمة) فأن مواطن مدمن على الخمر بين كل خمسة مواطنين طلب علاجاً لأمراضه النفسية ـ كما تقدّم ربع مليون مواطن في هذه المدينة عام ١٩٨١ لطلب العلاج في مستوصفات العناية بالمصابين بالأمراض الكحولية».

ـ صحيفة سفنسكاداغبلادت ١٢ ديسمبر ١٩٨٣ ـ

«ويقول تقرير حول العناية الصحية وأسباب الوفاة في مدينة ستكهولم أن الخمر هو من أكبر أسباب أمراض السرطان والكبد والجهاز التناسلي والقلب والإنتحار والغرق وحوادث السير».

ـ نفس المصدر السابق ـ

«ويبدو أن كفاح المرأة من أجل نيل المساواة مع الرجل جعلها تأخذ بالعديد من عادات الرجل ـ ومنها عاداته الخمرية. إذ أن عدد النسوة الشابات اللاتي يشربن الخمر بكثرة يوماً بعد يوم... إنّ ٨٧٪ من

الفتيات اللواتي تتراوح أعمارهنّ بين ١٥ ـ ١٧ عاماً يشربن الخمر. و٤٣٪ من الفتيات اللواتي لا تزيد أعمارهنّ على ١٢ـ١٣ يتعاطينه كذلك. والواضح طبياً أن للنساء حساسية أكبر من الرجال تجاه الخمر وان حالات الوفاة التي تسببها الخمر أكثر شيوعاً بينهنّ مما هي شائعة بين الرجال».

ـ صحيفة افتون بلادت ٨ يونيو ١٩٨٣، والخبر منسوب الى لجنة عمل النقابات النسائية لمسائل تعاطي الخمر ـ

«وتقول الطبيبة الأخصائية» لينادالغرين «التي قامت بسلسلة تحقيقات حول مسائل الخمر أنه في منتصف عقد الستينات كان المرء يجد امرأة واحدة مدمنة على الخمر بين كل ٢٣ رجلاً مدمناً. أما اليوم فأننا نجد إمرأة مدمنة بين كل خمسة مدمنين. وتضيف:

ـ أنا أظن أن هناك مدمنة بين كل ثلاثة مدمنين. والمرأة المدمنة ينظر الجميع اليها نظرة احتقار. وهي نفسها تزداد احساساً بحقارتها كلّما أصبحت أكثر اعتماداً على الخمر، الأمر الذي يدفعها للهرب من واقعها بشرب المزيد من الخمر ـ

وتقسّم الطبيبة «دالغرين» النساء المدمنات الى ثلاث فئات:

ـ فئة الشابات ممن هُنّ في العقد الثاني من أعمارهنّ. وهذه الفئة تعمد الى تعاطي الخمر بسبب سوء العلاقات العائلية. والكثرة من شابات هذه الفئة نشأن في أحضان أب مدمن أو أم مدمنة. وكذلك فأن غالبية هذه الفئة تعاني من أمراض نفسية مبكرة لأن هذه الغالبية تبدأ في سن الطفولة بشرب الخمر بهدف وحيد هو فقدان التركيز والهرب من التفكير.

ـ والفئة الثانية تتكون من النساء في العقد الرابع من أعمارهنّ وممن كُنّ يشربن الخمر ـ بكميات مقبولة ـ للقضاء على مشاعر القلق والندم وكوسيلة للاسترخاء. لكنهنّ يعمدن الى الإكثار من الشرب عند تعرضهنّ لأزمة حادة أو علاقة فاشلة. ويقعن فريسة الإدمان فيما بعد.

ـ والفئة الثالثة تتكون من المتقاعدات. فنساء هذه الفئة كُنّ يتمتعن قبل سن الشيخوخة بالعيش ضمن عائلة سعيدة نسبياً. وكُنّ يشعرن بأهمية الدور الذي قمن به ضمن اطار العائلة. ثم بعد ما كبر الأولاد وذهب كل منهم في طريقه، غلب عليهنّ الشعور بأن الحياة لاقيمة لها، وأن الفراغ هو سيد الأيام المتبقية من حياتهن. فيصبح الخمر عندها السلوى الوحيدة وطريق الهرب الوحيد..

وتقول الطبيبة الأخصائية أن بحوثها دلّت على نفس النتائج التي انتهت اليها البحوث الدولية من أن المرأة العاملة هي الفريسة الأولى لمرض الإدمان. وتقول: "إنّ المشكلة لايمكن حلّها على الصعيد الطبي، فهي مشكلة اجتماعية. وكيف يمكن للمرء أن يقنع الفتيات بعدم شرب الخمر اذا كان الشعور السائد بينهنّ هو أنه لا أمل لهن في المستقبل؟»

ـ صحيفة سفنسكاداغبلادت ١٩ سبتمبر ١٩٨٣ ـ

أما ناظر مستشفى «كارولينسكا» ـ القسم الخاص بالنساء المدمنات ـ فيقول: «إنّ سبب آزدياد عدد النساء المدمنات في السنوات العشرين الماضية يعود الى تحمل المرأة المسؤولية مزدوجة. في الوقت الذي لم تستطع به التحلي عن مسؤولياتها البيتية والعائلية، بات من واجبها أيضاً أن تعمل لتحصل على قوتها. ودور الخمر هنا هو أنه يُنسي المرأة مسؤولياتها المزدوجة كما ينبغي.

والخمر يصبح في حياة المرأة كنوع من أنواع الأدوية المسكنة للأعصاب ـ ويقول: ـ إنَّ النساء يجبرن أنفسهنَّ على تحمل المزيد والمزيد من الأعباء، ولديهنَّ شعور بأنَّ عائلاتهن ستنهار إنْ هُنَّ لم يقمن بدورهن المزدوج على أكمل وجه. وهذا النمط من الشعور يحمل معه ضغوطاً لا تتحملها النساء إلّا بمساعدة الخمر».

ـ صحيفة سفنسكا داغبلادت ٢٠ ستمبر ١٩٨٣ـ

ومن جهة ثانية فأن «**امرأة حامل من بين كل ست نساء حوامل تشرب الخمر أو تتعاطى المخدرات الى الحد الذي يهدد الحالة الجسدية والعقلية عند الجنين»**. هذا ما أفاده القسم العائلي الاجتماعي في مستشفى «هدّنغي» في ستكهولم.

ـ صحيفة سفنسكا داغبلادت ٢ مارس سنة ١٩٨٣ـ

«**ويولد كل يوم طفل واحد بأضرار جسدية وعقلية بالغة بسبب شرب والدته للخمر خلال فترة الحمل. وكذلك فانه يولد طفل معوّق كل ثلاثة أيام للأسباب ذاتها»**.

ـ صحيفة اكسبرسن ١٢ مارس سنة ١٩٨٣، و صحيفة افتون بلادت ١٤ مارس سنة ١٩٨٢ـ

ومن ناحية أخرى فأن ٢٠٪ من الذين تقوم أقسام طب الجراحة في مستشفيات السويد بمعالجتهم هم من الذين أصيبوا بالأمراض الناتجة عن شرب الخمر ـ وقد دفع هذا بالعديد من الباحثين الى القيام بحساب النفقات المادية التي يتحملها المجتمع نتيجة الإدمان على الخمر. فقام أمين قسم الأبحاث في اتحاد المستشفيات السويدية «أندرش جونسون» باجراء تحقيق موسع في الموضوع قدّمه لوزير الشؤون الاجتماعية «غابيرال رومانوس» في أوائل سنة ١٩٨٤ فتبيّن في التحقيق الذي حصلنا على خلاصته أن النفقات الإجمالية لأضرار الخمر في السويد عام ١٩٨١ كانت أكثر من ٦٠ مليارد كراون سويدي. وهو مبلغ يزيد على ميزانية العديد من دول العالم الثالث. وجاء في التحقيق أن غياب العمال والموظفين الذين يمعون بين الحين والآخر صحة لفقدان الوعي يكلّف المجتمع ما يقارب ٨ مليارات كراون. كما أن الضمان الصحي يتكلف أكثر من ١٠ مليارات، والرعاية الاجتماعية تنفق نحو ٣ مليارات ونصف.

وتبيّن في التحقيق أيضاً أن زيادة شرب الخمر بنسبة ١٠٪ فقط سوف ترفع من قيمة النفقات بنسبة ٣٠٪ ـ ٤٠٪ لتصبح نحو ٨٠ مليارد كراون سويدي.

وكذلك فأن «**المواطن الذي يشرب الخمر يكلّف مجتمعه ستة أضعاف ونصف الكلفة التي يتكلّفها المجتمع على المواطن الذي لا يشرب»**.

ـ صحيفة سفنسكا داغبلادت ٩ يونيو ١٩٨٢ـ

[وفي تحقيق قام به الطبيب أندرش روملخو والخبيرة الاقتصادية أغينتا بولسون تبيّن أن شارب الخمر يكلّف مجتمعه نتيجة تردده على عيادات الطب النفسي نحو ٢١٤٦ كراون سويدي. أما المواطن الذي لا يشرب فمعدل كلفته لا تزيد على ٢٢٥ كراون].

ـ نفس المصدر السابق ـ

و يشرب الشعب السويدي (٥٠٠) مليون ليتر

من الخمر سنوياً. (٢١٠) مليون ليتر يشتريها مباشرة من محلات «سيستيم بولاغب» صاحبة الامتياز الوحيد لبيع الخمر في الأسواق. ونحو (١١٠) مليون ليتر يشتريها الشعب من المطاعم والبارات، ونحو (١٨٠) مليون ليتر من الطائرات والسفن والأسواق الحرة ومن الصناعة البيتية للخمر. وهذه الأرقام حصلنا عليها من ادارة محلات «سيستيم بولاغب» نفسها.

لقطات من تأثير الخمر على بعض مجتمعات العالم[1]:

ـ **فرنسا:** تعتمد ١٠٪ من اليد العاملة الفرنسية في مدخولها على صناعة و بيع ونقل الخمور. وتدفع شركات صنع الخمر نحو ٣٠٠ مليون فرنك فرنسي على الإعلانات كل عام، ولديها مؤسسة للدراسات مهمتها وضع الدراسات الكفيلة بعرقلة الجهود الرامية الى تخفيف استهلاك الخمر. وتقدر النفقات الاجمالية للمجتمع الفرنسي من جراء شرب هذه الخمور بنحو ٧٠ مليارد فرنك فرنسي. حسب تقديرات عام ١٩٧٥.

بريطانيا: دفعت شركات صنع الخمر في عام ١٩٨٠ نحو ٥٤ مليون جنيه استرليني للاعلان عن منتوجاتها الخمرية. وهذا الرقم يفوق بعشرة أضعاف ما دفعته الحكومة البريطانية للإعلام الصحي في ذلك العام.

المانيا الغربية: كان يوجد في عام ١٩٨١ مليون ونصف مريض بالخمر بحاجة لعناية صحية خاصة. نفقات معالجتهم كانت ١٧ مليارد مارك الماني. أما النفقات الاجمالية فتقدر بنحو ٣٠ مليارد مارك .

الولايات المتحدة: دلَّت دراسات عام ١٩٧٥ على أن نفقات المجتمع الامريكي كانت ٤٣ مليارد دولار، وأن هذه الخسائر الاجتماعية ارتفعت الى ٦٠ مليارد دولار عام ١٩٨٠م.

اليابان: يعمل ٨٠ ألف عامل في معامل انتاج الخمر. أما الذين يحصلون على أجورهم من الوظائف التي لها علاقة مباشرة ببيع أو صنع أو نقل الخمر فيبلغ عددهم (٢/٧٠٠/٠٠٠) عامل. خسائر المجتمع ٢٦٠مليارد(ين)ياباني. إذ أن التغيب عن العمل بسبب الخمر يكلِّف المجتمع نحو ٥٠ مليارد و تكاليف الرعاية الصحية للمدمنين نحو ٣٦ مليارد. و تبلغ نفقات الرعاية الاجتماعية ٢٠ مليارد وحوادث السير ٢٥ مليارد والجرائم ١٢ مليارد..

وفي احصاء آخر أجراه «جورد ياماناكا» السياسي الياباني المناوئ للخمر، ونشرته دائرة الضمان الصحي في اليابان، تبيَّن أن خسائر المجتمع هي الف مليارد(ين) •

---

(١) **المصدر:** كتاب ــ الخمر في عالم الثمانينات.
تأليف: غونوأرمير
طبع: سوبر فورلاغس ــ ١٩٨٢م.

— القسم الثاني —

بعد أن أشار الكاتب في القسم الأول من موضوعه، الى النظريتين المعروفتين لـ«تشارلزدارو ين» حول كيفية خلق الإنسان وسائر الموجودات الحيّة الأخرى، بدأ يتحدث عن رأي القرآن الكريم حول هذه المسألة. وقد قسّم الآيات الخاصة بخلق الانسان الى عدة أقسام، مثل: الآيات التي ترى ان التراب هو منشأ خلق الانسان، والآيات التي تقول ان الله خلق الانسان من النطفة، والآيات التي يستنبط منها بأن الانسان قد خلق على عدة مراحل.

واليكم فيما يلي القسم الثاني من الموضوع:

تأليف: الشيخ مسيح مهاجري

خلق الإنسان الأول و بقية أفراد البشر:

هناك مجموعة أخرى من الآيات تنص على أنّ الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان من؛ النطفة، الماء، الماء المهين والعلق.

إنّ النطفة والماء المهين تدلّ على المرحلة الأولى من خلق الإنسان عن طريق توليد النوع. يبقى أن العلق يدلّ على خلق الإنسان في المراحل اللاحقة.

وواضح أن هذه الآيات ليست لها صلة مع خلق الإنسان الأول مطلقاً. و يفهم من الآيتين الشريفتين ٧،٨ من سورة السجدة أنهما تختصان ببقية أفراد البشر.

ولذلك فأنّ هذه الآيات ليست لها علاقة بنظرية التكامل.

وتوجد مجموعة ثالثة من الآيات التي تتحدث عن خلق الزوج للإنسان، حيث

نفهم من مجموعها أنّ الله خلق في البداية انساناً، ثم خلق له زوجاً، و بالتالي خلق منهما رجالاً ونساءً كثيراً.

ومما لاشك فيه أن الله خلق في بداية الأمر انساناً واحداً، حيث ورد تعبير «نفس واحدة» في ثلاث آيات من هذه الآيات (النساء ــ ١، الأعراف ــ ١٨٩، الزمر ــ ٦). لكنّ المهم هو كيف خُلِقَ الزوج؟

وليس هناك شك أيضاًمن أن زوج هذا الانسان كان من جنس آخر، لأنّ الله يصرح في ثلاث آيات أنه خلق البشر من ذكر وأنثى (الجاثية ــ ٣، النجم ــ ٤٥، الليل ــ ٣).

وحول موضوع زوج هذه «النفس الواحدة» والذي ذُكِرَ في الآيات المعنية «وخلق منها زوجها» يوجد احتمالان، هما:

١ ــ إنّ الله عند ما خلق الإنسان الأول من الطين، خلق زوجاً له من نفس ذلك الطين.

٢ ــ إنّ المقصود من كلمة «منها» في هذه الآيات هو أن الزوج خُلِقَ من جنس المادة التي خُلِقَ منها الإنسان الأول.. واستناداً الى هذا الإحتمال، فأن الله خلق الإنسان الأول من الطين، وخلق بقية أفراد البشر والجنس المخالف من الطين أيضاً.

إنّ الإحتمال الأول لايحتاج الى تقدير، و يبدو أفضل. أما الإحتمال الثاني فهو أكثر وقعاً على النفس، لكن ومع الأخذ بنظر الاعتبار الآية ٩٨ من سورة الأنعام:

«وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع...».

فيتبيّن أنّ الإحتمال الأول هو المعتبر، لأنّ هذه الآية تعني أن الله خلق البشر من نفس واحدة، وليس من المادة التي خلق بها الإنسان الأول.

وعلى أي حال: فإنّ ارتباط هذه الآيات مع مسألة نظرية التكامل يكمن في أنه حين نتصور أن يقوم الله بخلق آدم، وأيضاً خلق زوج له، ثم تتم عملية توليد النوع بهذه الطريقة (سواء أكان هذا الزوج من جنسه أو من مادة خلق هو الآخر منها) ويخلق البشر بهذه الطريقة فلن يبقى مكان لهذا الحديث وهو أن يقال انه انتخب من بين البشر انسان، انحدر بقية أفراد البشر من نسله، ذلك أنه:

١ ــ يجب استخدام كلمة **«الإنتخاب»** حول الإنسان الأول لاكلمة **«الخلق»**.

٢ ــ أن خلق زوج لم يكن له معنىً، لأنّ توليد النوع بموجب هذه النظرية قد حصل في زمان خلق آدم، و أنّ بقية أفراد البشر قد ظهروا عن هذا الطريق إذن فأنّ الذكور والأُنات كانوا موجودين في ذلك الزمان، ولم تكن هناك حاجة لخلق الأزواج.

وهناك آيات أُخرى تهدد الأقوام الطاغية والمتمردة، وتؤكدأنه لوشاء الله لازالها واستخلف أقواماً أُخرى بدلها. ومن تلك الآيات؛ الآية (١٣٣) من سورة الأنعام:

«وربك الغني ذوالرحمة إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم مايشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين».

هـذه الآيـة يمكـن الـبحـث فيها مـن ناحيتين:

الأولى: من نـاحية حرف (ما) في عبارة **«ويستخلف من بعدكم مايشاء»**.

الثانية: من الناحية التعبيرية الواردة في آخر الآية: **«كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين»**.

إنَّ حـرف (ما) تستخدم ــ عادةً ــ حول غير ذي العقـول. ولو كان المستخلف انساناً في هـذه الآيـة، لـوجـب الـقـول «من يشاء» لأنَّ كلمة «من» تستخدم لذوي العقول. ولذلك يمكـن أن يحصل الإشكال التالي وهو عند ما تطرح مـسألـة الـتبديل حول الإنسان، فإنَّ الإنـسـان يـتبـدل في بـعـض الأحيـان الى موجـودات أُخرى، وفي أحيان أخرى تتبدل الموجودات الأخرى ــ قهراً ــ الى بشر. وهذا مايدَّعيه أنصار نظرية التكامل.

أما بـالنسبة للشطر الأخير من الآية فأنَّ الشبهـة التـاليـة قد تخطر على بالنا وهي أن يـكـون المقصود من «قوم آخرين» موجودات أُخرى غير البشر أوعلى الأقل موجودات غير البشر الـذين تعنيهم الآية، لأنه عند ما تُطرح مسألة «الإذهـاب والإسـتخلاف» فلن يبقى أحداً من الأقوام المزالة ليكون المستخلفون من نسل هؤلاء.

وعلى هـذا الأسـاس فـإما أن يتبد لوا الى موجـودات أُخرى، أو أن يخلـق الله بـشـراً آخريـن لـيـحـلّوا محل هؤلاء. ومن هنا فن المـمكـن أن يـكـون المـسـتخلفون موجودات أخرى أو بـشـراً مخلـوقين مـن جـديد، بعبارة أخـرى إمـا أن يكون البشر المعنيون مخلوقين من جديد أو ناتجين من موجودات أخرى.

و بـالنسبة لـ «ما» فأنَّ هذا الجواب يخطر في ذهـنـنـا وهـو أن حـرف «ما» مثلما يستخدم بـصـورة مـوصـولـة لـذوي غير الـعـقـول، فـأنه يـسـتـخـدم أيـضـاً لمطلق الأشياء. وأن مفهوم الإسـتـخـلاف «الاسـتـبـدال» لـيس له أية دلالـة على الـتوالد والتناسل ليكون منشأ لمثل هـذا الإشـكـال، ولـذلـك فأنَّ الشبهة الأولى هي بطبيعة الحال شبهة لاداعي لها.

ولاشك أن الـبشر المعنيين لن يستطيعوا أن يـكـونـوا مـبـدلين بموجودات أُخرى، لأنَّ كـلـمـة **«تبـديـل»** لا تـتـجـانـس مع كـلـمة **«اذهـاب»**. فـكـلـمـة **«اذهاب»** تعني الإزالة، لـكـن كـلـمـة **«تبديل»** تعني الابقاء مع تغيير الحـالـة فـقـط. وعلى هذا فمثلما يُفهم من كلمة **«قوم»** فأنَّ الموجودات التي كانت معنية قبل الـبشر، ويـعـتبر الـبشر أخلافـاً لهؤلاء، كـانوا ــ في الـواقـع ــ بشراً، وأن البشر الموجودين لم يخلـقـوا مـن جـديد، حيث أن التعبير هو كما يلي: **«كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين»** أي أن البشر المعنيين هم من نسل قوم آخرين.

وهـنـا لا تـبقى سـوى هـذه الشبهة وهي أن الـبشر المـعنيين لوكانوا من نسل قوم آخرين، فـان هـذا الأمـر لايـتـجـانـس مـع مـسـألـة الإذهـاب، إذ أن مـقـصـود الآيـة هـو؛ كـان يـوجـد قـبـل الـبشـر المـعـنيين، بشر أزالهم الله سبحانه وتعالى واستبدلهم بهؤلاء.

إذن فـلـوكـان الـبشـر المـعـنيـون من نسل

البشر الذين أزيلوا، فكيف يمكن القبول بأنّ البشر السابقين قد أُزيلوا؟

الجواب: ما الإشكال لوكان قد بقي من القوم المُزالين أشخاص صالحون، وكان البشر المعنيون من نسل هؤلاء الصالحين؟

وفي مثل هذه الحالة ومن زاوية أن أفراد القوم السالفين قد أُزيلوا، فإنّ كلمة «الإذهاب» أوكلمة «الإزالة» تصدق حول أُولئك القوم، ومن جهة أُخرى أن البشر المعنيين سيكونون بدورهم من نسل أولئك القوم.

ومثلما يستنبط من الآية الشريفة التالية:

«وإذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء...».

(البقرة: ٣٠)

فمن الممكن أن يكون خلق الإنسان مختصاً بهذه المرحلة، بينما كان هناك في المراحل السابقة بشر تعرضوا للإنقراض. لكن تلك المجموعة من الآيات التي يستنبط منها أن الإنسان قد خلق على عدة مراحل، فاننا أجرينا دراسة على بعض منها، وقلنا ان الآيات التي تصرّح بأنّ الله جلّ وعلا خلق الإنسان من نطفة ثم من علقة ومضغة، تنطبق على بقية أفراد البشر وتتحدث عن مراحل تكامل النطفة في الرحم.

وكذلك فانّ الآيات التي وردت حول آدم في قصة «سجود ابليس» والتي جاء فيها أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم، وبعد أن سوّاه ونفخ فيه من روحه، أمر ابليس بالسجود له ـــ باستثناء الآيات الثلاث ـــ قد نوقشت كلها.

والآن نبحث في الآيات الثلاث الباقية.

«ولقد خلقناكم ثم صوّرناكم ثم قلنا للملائكة آسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس، لم يكن من الساجدين».

(الأعراف: ١١)

ليس هناك شك من دلالة هذه الآية على خلق الإنسان من «الطين»، لكنّ المسألة التي يجب التطرق اليها هي مسألة عطف «صوّرناكم» على «خلقناكم» بوسيلة «ثمّ» التي قد تؤدي الى الشبهة التالية وهي أن دلالة «ثمّ» على التراخي تفيد بحدوث فاصلة زمنية كبيرة بين خلق آدم وتصويره، وان هذه الآية لا تتطابق ـــ في مثل هذه الحالة ـــ مع نظرية التكامل.

والجواب هو: مع الإذعان بدلالة «ثم» على التراخي، فإنّ قلّة أوكثرة المدة الزمنية بين الخلق والتصوير، لهي أمر لايمكن معرفة شيء عنه. فمن الممكن أن تكون هذه الفاصلة مليون سنة، وقد تكون ساعة واحدة. وعلى هذا الأساس ومع الأخذ بنظر الاعتبار هذه المسألة وهي أن تطابق هذه الآية مع نظرية التكامل لايمكن أن يحصل إلا إذا ثبت أن هذه الفاصلة هي كبيرة وليس هناك طريق لاثبات مثل هذا الأمر، فلايمكن اعتبارها مطابقة لنظرية التكامل.

والآية الأُخرى هي آية (٧) من سورة الإنفطار:

«الذي خلقك فسوّاك فعدّلك».

وهذه الآية هي مثل الآية السابقة ليست لها أية علاقة بنظرية التكامل، خاصة وقد أُستخدم هنا حرف «الفاء» الذي لايدل على التراخي ولايعني إلاّ الترتيب لعطف المراحل الواحدة على الأُخرى.

والآية الأخرى هي:

«وقد خلقكم أطواراً....»

(نوح: ١٤)

والمقصود من الأطوار هو المراحل المختلفة لخلق الإنسان. ولذلك يُستفاد من هذه الآية أن الإنسان الأول خُـلِـقَ من الطين، بينما خُـلِقَ بقية أفراد البشر وفق المراحل الخمس التالية: النطفة، العلقة، المضغة، العظام واللحم. ثم جاءت بعد هذه المراحل، مرحلة الطفولة، ومرحلة الشباب والشيخوخة أو مرحلة الضعف، والقوة، والضعف مرة أُخرى.

الآيات الخاصة بـ «آدم»:

ولإكمال البحث نرى من الضرورة القاء نظرة على الآيات التي وردت حول آدم في القرآن الكريم بلفظ «آدم»، لنرى ماهي الإستفادة التي يمكننا أن نأخذها منها.

باستثناء الآية «٥٨» من سورة آل عمران التي بحثناها، هناك (١٥) آية أُخرى يدور الحديث فيها عن «آدم»، خمس منها تتناول سجود الملائكة لآدم وامتناع الشيطان عن هذا العمل (البقرة ٣٤، الأعراف ١١، الإسراء ٦١، الكهف ٥٠، طه ١٦١)، وتتضمن عبارة «وإذْ قلنا للملائكة آسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ أبليس».

وكما أشرنا مسبقاً، فإنَّ هذه الآيات تستطيع أن تكون دلالة على الوضوح لأنَّ المقصود من «الإنسان» أو «البشر» في الآيات التي تصرح بأنَّ الله خلقه من الطين، وبعد أن سوَّاه أمر الملائكة بالسجود له، هو «آدم»، فعندما يدور الحديث عن السجود وامتناع الشيطان عن هذا الأمر، فإنَّ مصداق «الإنسان» و«البشر» سيكون واحداً بلاشك.

وتوجد من بين الآيات الأُخرى آية حول اصطفاء آدم ونوح وآل ابراهيم وآل عمران (٢٣ آل عمران) فيما تختص تسع آيات أُخرى بالقصة الكاملة لخلق آدم واسكانه مع زوجه في الجنة واغواء الشيطان لهما، وبالتالي اخراجهما من الجنة (البقرة ٣١ــ٣٧، الأعراف ١٩ وطه ١١٧، ١٢٠، ١١٩).

أما آية الاصطفاء فهي:

«إنَّ الله آصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين * ذرية بعضها من بعض...»

(آل عمران: ٣٣، ٣٤)

وما نفهمه من هذه الآية هو أن الله سبحانه وتعالى اختار من بين البشر «آدم» ومن ذريته نوحاً وآل ابراهيم وآل عمران، ليأخذوا على عاتقهم مهمة ارشاد البشر.

وكلمة «اصطفى» مشتقة من

«الإصطفاء»، بمعنى الانتخاب، وهذا الإنتخاب يجب أن يكون في المجال المعنوي وبهدف تطبيق رسالة الإرشاد و الهداية، ذلك أن انتخاب نوح وآل ابراهيم وآل عمران الذين كانوا أنبياءً لايستطيع أن يكون خاصاً بأمر لايتعلق برسالتهم. وعلى هذا الأساس فإنَّ هذا الإنتخاب، هو ــ بلاشك ــ انتخاب في مجال الرسالة النبوية.

أما بالنسبة لـ «آدم» الذي هو في صف هؤلاء المنتخبين، فإنَّ الاستنباط الصحيح من الآية هو أن انتخاب آدم جاء كذلك بهدف تطبيق الرسالة النبوية. وهنا يطرح السؤال التالي نفسه: إذا كان الله قد انتخب آدم للنبوة، فكيف كان بإمكان آدم تطبيق هذه الرسالة، ولأي النَّاس بعثه الله؟ واذا كان «آدم» أول انسان ولم يكن هناك بشر قبله ليتّبعوه، فهل أن نبوته لم تكن إلاَّ ضرباً من اللغو؟ أوَليس من الأصح في مثل هذه الحالة أن يكون الإنتخاب حول آدم خاصاً بالخلق، ويكون المقصود عندها أن الله اصطفاه من بين الموجودات التي كانت تمر بمرحلة التكامل، و اعتبره أفضل هؤلاء، وأوجد من نسله بشراً؟ واذا كان هكذا فهل هذه الآية لا تتطابق مع نظرية التكامل؟

والجواب هو: لو ربطنا انتخاب «آدم» بمسألة التكامل، لواجهنا إشكالين أساسيين لاحلَّ لهما مطلقاً.

الإشكال الأول، هو أنه لو كان انتخاب آدم ذا علاقة بخلقه، فلابُدَّ لنا من اعتبار انتخاب نوح وآل ابراهيم وآل عمران الوارد في نفس الآية ذا علاقة بخلقهم. وواضح أن مثل هذا الإستنباط لا ينطبق مع الآية على الإطلاق. فلو فرضنا وجود وجه لانتخاب آدم من بين أبناء نوعه قبل انتخابه (بشكل يتطابق مع نظرية التكامل) فليس هناك ــ على الأصول ــ وجه لانتخاب نوح وآل ابراهيم وآل عمران.

والإشكال الثاني، هو أنه لايمكن تحليل كلمة «الإصطفاء» أو «الانتخاب» الواردة في الآية مورد البحث، والقول بأن كلمة «الاصطفاء» حول نوح وآل ابراهيم وآل عمران لها علاقة بالرسالة النبوية، ولكنها حول آدم لها علاقة بخلقه، إذ أن هذا النوع من الإستنباط يفتقر الى الدليل، و بطلانه واضح.

والإستنباط الصحيح من الآية مورد البحث هو أن الله سبحانه وتعالى انتخب «آدم» في مقطع زماني كان قد ظهر من نسله ــ أي من نسل آدم ــ عدداً لابأس به من الناس، وكانت الظروف مهيَّأة لانتخاب نبي[1].

ووفق هذا الإستنباط، تجد مسألة انتخاب آدم معنىً صحيحاً لها. هذا من جهة، ومن جهة أُخرى لن نكون مضطرين

---

١ ــ خاصة وان الإنتخاب ــ يجب أن يتم في وقت مرئيه الشخص المعني بعدة تجارب. وفيما يتعلق بآدم فانَّ هذا الأمر قد حصل ــ قهراً ــ في أواخر عمره.

للتعبير عن كلمة «الإصطفاء» حول آدم بشيء آخر غير الذي نقوله حول نوح وآل ابراهيم وآل عمران.

وهذه الإشكالات تظهر في حالة اعتقادنا بأنَّ انتخاب أو اصطفاء آدم تمَّ قبل الخلق، لكن إذا قلنا إنَّ هذا الأمرتمَّ فيما بعد، لأزيلت كافة الشبهات.

وعلى هذا الأساس فانَّ الآية (٣٣) من سورة آل عمران، لا تؤيد نظرية التكامل مطلقاً، كما وتقف في جهة مخالفة لها، وهذا بحد ذاته دليل على الإدعاءات الواهية لنظرية التكامل.

وبالنسبة للآيات الخاصة بقصة خداع آدم وعصيانه واخراجه هو وزوجه من الجنة، فهناك ملاحظة قيمة، وهي أن آدم وزوجه كانا في وهلة الأمر ــ استناداً الى هذه الآيات ــ يسكنان الجنة: «**وقلنا يا آدم آسكن أنت وزوجك الجنة...**» ثم طردا منها بعد أن اقتربا من الشجرة الممنوعة نتيجة لوساوس الشيطان.

وهذا الموضوع لايتفق ــ مطلقاً ــ مع ادعاء نظرية التكامل، فلو كانت لهذه النظرية صحة، لكان يجب أن يحصل مثل هذا الأمر على وجه الأرض لا في الجنة.

وقد يقال ليس هناك أي اشكال فيما إذا كان آدم ــ طبقاً لنظرية التكامل ــ قد خُلِقَ على وجه الأرض، ثم توجّه الى الجنة بأمر من الله سبحانه وتعالى وسكن هناك، مثلما تصرح الآية الشريفة التالية:

«قلنا يا آدم آسكن أنت وزوجك الجنة...».

إنَّ الأمر بالسكن في الجنة يؤيد الإحتمالين التاليين:

١ ــ إنَّ آدم وحواء كانا في الجنة منذ البداية.

٢ ــ إنَّ آدم وحواء توجّها من الأرض الى الجنة.

والجواب هو: في مثل هذه الحالة نصل الى النتيجة التالية وهي أن هذه الآية لا تتنافى مع نظرية التكامل، ولكنَّ هذا الأمر لايعني اثبات صحة النظرية من خلال هذه الآية.

إذن فهذه الآية الشريفة إنْ لم نقل أنها تتنافى مع نظرية التكامل، فأنها على الأقل لا تؤيدها على الإطلاق.

نتيجة دراسة الآيات الخاصة بخلق الإنسان:

١ ــ إنَّ الله خلق آدم من التراب (آل عمران ــ ٥٨) ولم يكن آدم شيئاً قبل هذه المرحلة، أي انه لم يُستبدل بموجود آخر.

٢ ــ إنَّ آدم خُلِقَ بالشكل التالي؛ في البداية تمَّ خلط تراب أسود، ثم صنع الله هيكلاً لآدم من الصلصال، بعدها نفخ فيه من روحه، وجعله موجوداً حَيّاً.

٣ ــ و «آدم» هو اسم أول انسان ظهر على وجه الأرض (السجدة : ٧، ٨).

٤ ــ إنَّ خلق آدم من الطين تمَّ على يد الله سبحانه وتعالى أوعلى يد ملائكة الله، ولم

يحصل هذا الأمر من تلقاء نفسه وتبعاً للظروف الزمانية والمكانية (ص: ٧٥).

٥ ـ لايمكن الإستنباط من هذه الآيات على وجود فواصل زمانية كبيرة بين مراحل الخلق، إذ يمكن القول ـ استناداً الى وجود حرف الفاء في بعض الآيات ـ انه لم تكن هناك فواصل بين مراحل الخلق.

٦ ـ نظراً الى أن الله خلق زوجاً لآدم ليزداد البشر، فلا يمكن قبول نظرية التكامل، ففي حالة صحة هذه النظرية والقبول بوجود بشر قبل آدم، يجب القبول أيضاً بأنّ توليد النوع كان موجوداً منذ ذلك الوقت وكان هناك ذكور واناث، ولم تكن هناك حاجة لخلق زوج لآدم.

٧ ـ يُستفاد من الآيات التي ورد فيها تعبير «النفس الواحدة» بأنّ المقصود من آدم أو الإنسان الذي خلقه الله من الطين أو التراب، ليس انساناً نوعياً، بل انساناً معيناً ظهر منه بقية أفراد البشر، وانه لم يكن سوى «آدم» نفسه.

٨ ـ لايمكن بأي حال من الأحوال اعتبار الآية التي ورد فيها تعبير «الإصطفاء» مطابقة لنظرية التكامل، ذلك أن الإصطفاء ونظراً لاقتصاره على الأنبياء، فانه خاص ـ بصورة بحتة ـ بنبوة آدم، وليس له علاقة بالخلق ومراحله (أُعطيت توضيحات كافية في ذيل الآية ٣٣ من سورة آل عمران).

الى هنا وصلنا الى النتيجة التالية وهي أن القرآن الكريم لايؤيد نظرية التكامل بأي وجه من الوجوه. والذي نفهمه بوضوح من هذا الكتاب هو أن الله تعالى خلق آدم كأول انسان وذلك من خلال بناء هيكل له من الطين ونفخ الروح فيه.

هذا وسنتطرق في القسم الثالث والأخير من بحثنا الى الإستنباطات الأُخرى لكي نتوصل من خلال بيان الإشكالات والاجابة عليها الى نتيجة أكمل وأوضح ●

ترجمة: أبو يوسف

آمال الشعوب

زهير الموسوي

يومٌ يتيهُ على العصور و يفخَرُ   ألقٌ بأثوابِ الفضيلةِ يخطُرُ
زاهٍ أشمُ كأنما أوصالُهُ   باللطفِ تنبضُ والإبا تتبختَرُ
وَكأنَّ مِنْ علقِ الضحايا فوقَهُ   ورداً يرِفُّ شذىً وحباً ينثُرُ
يومٌ تعشّقت الحياةُ قدومَهُ   فأتى ومرجِلُ شوقها يتفجَرُ
وتعانقا حتى توقَدَ محجَرٌ   فكلاهما صبٌ وشوقاً يقطُرُ

* * *

ايرانُ يابلداً يَفوحُ شهادةً   والشوقُ في دنيا العقيدة يكبُرُ
للّهِ درُّكِ كلُّ شيءٍ ثورةٌ   حتى السهول مع الجبالِ تُكبِّرُ
ليكادُ يرسمُ كلُّ دربٍ صورةً   في كيف رُوِيَّ بالدماءِ ويخبِرُ
و يكادُ يشرَحُ كلُّ منعطفٍ هنا   كيفَ الشبابُ على الصعيدِ تعفَّروا
كيفَ الجموعُ تقدّمتْ في زحفها   مثلَ الصواعقِ لا تردُ و تقهرُ
كيفَ الجريحُ وقد تناسى جرحَهُ   أهوى يُضمِّدُ آخرين و يؤثِرُ

واليوم أنتِ مشيئةٌ محتومةٌ   تُملي على كفِ الزمانِ فيسطرُ
حتى كأن فصولها أسطورةٌ   من فرطِ أعجازٍ بها يتمورُ
وَقَفَتْ عوالمُنا على أعصابها   تترقبُ الأحداثَ عما تُسفِرُ
صدامُ تمنحُهُ المشارقُ ذخرَها   والغربُ أفئدةٌ له تتفطرُ
ودمى العروبةِ لم تُقَصِّرْ في ندىً   والشعبُ مكتوفُ اليدينِ يُسَيَّرُ
قالوا له هددْ تلينُ عريكةٌ   وعِمالُ دوحٍ بالرياح فيكسَرُ
أيخوفونَ المستميتَ بقتلةٍ   أوَما دَرَوا بأعزِّ شيءٍ بَشّروا
شَعبٌ إذا كَسرةِ الشهادةَ غيرُهُ   ومشى على خوفٍ لها يتعثرُ
فتحوا القلوبَ لها وصار حجيجهم   فلهم على حوضِ المنونِ تجمهُرُ

• • •

ايرانُ بددَ عن سمائك ظُلمةً   شَيخٌ وشيبتُهُ الصباحُ المسفرُ
ياأبن الرسولِ بكلِّ شيءٍ فَرعُهُ   «وَكفى بذلكَ للمفاخرِ مَفخَرُ»
يُنسي كلامُكَ كُلَّ نفسٍ نفسَها   فتتيهُ حالمةً كأنكَ حَيدرُ
فإذا وَعظتَ فكلُّ حرفٍ والدٌ   واذا نهرتَ فكلُّ حرفٍ عسكرُ

ولكَ القلوبُ تفتحَتْ أكمامها   ولأنتَ أنتَ ربيعُهنَّ المزهرُ
مليارُ روحٍ حولَ روحِكَ تلتقي   كالنورِ يستهوي الظليلَ ويأسُرُ
وسقيتَ آمالَ الشعوبِ فأنبتت   غرساً وإنْ طالَ الزمانُ سيثمرُ

• • •

أنبيكَ روحَ اللهِ إن عراقنا   بالذلِ يشرقُ والمصائبِ يزخرُ
أكلتْ حبالُ الظالمين أُباتَهُ   وحستْ بقاياهم سجونٌ تفغرُ
فترقرقتْ في كلِّ عينٍ دمعةٌ   وبكلِّ صدرٍ حسرةٌ تتكسَّرُ
وتناثرَ المترقبون بدينهم   ووراءهم كفرٌ يَدسُّ ويمكُرُ
أنبيكَ حتى النخلَ يندب مرهقاً   ويئنُّ من عظمِ المصابِ ويزفُرُ
راياتك السوداء يرقب صبحها   فتى مرابعُنا بهنَّ ستزهرُ
والطفُّ يسألُ ذاهباً أو آيباً   أوَ ليس وعدُ الحرِّ دَيْناً يُذْكَرُ
خضها ابن حيدرة فخلفُكَ أمةٌ   تعلو على سورِ المحالِ وتعبُرُ
وَآمرْ ستنقضُّ الزحوفُ صواعقاً   للبعثِ تُحرقُ والبلادِ ستمطِرُ

• • •

آية الله جوادي الآملي

العناصر الاساسية

القسم الثاني

الحكومة في الاسلام إنما هي للصالحين من عباد الله

إذا اتضح أن نهج الحكومة وشكل النظام السياسي في الاسلام إنما هو نظام الإمام والأمة، واتضح أنّ لكل واحد منها حقاً يتبع يلزم الاشارة الى ان العناصر الانسانية في هذه الحكومة لابدّ وان يكونوا عباداً صالحين لله، كما قد عيّن القرآن الكريم خطوطها الأساسية بقوله تعالى:

«ونُريد أن نَمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين * ونمكّن لهم في الأرض ونُري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون»

(القصص: ٥ ـــ ٦)

والمنة هي النعمة العظمى، والمنحة الكبرى التي يعسر حملها، ولقد جعل القرآن لبعض النعم المهمة. خصيصة لا توجد في غيرها، كالرسالة التي عبّر عنها بقوله تعالى:

«لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً...»

(آل عمران ـــ ١٦٤)

وكالإمامة كما في الآية السالفة الذكر، وكذا في الهداية الى الحق كما قال:

«لا تمنّوا عليّ إسلامكم بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للايمان...»

(الحجرات ـــ ١٧)

فنعمة الإمامة منحة عظيمه يعز فيها الحق وأهله، و يذل فيها الباطل وأهله، ويحيى فيها العدل ويموت فيها الظلم، ويحيى فيها التوحيد، ويموت فيها الشرك ، و يعيش فيها المستضعف المضطهد، و يفنى فيها المستكبر المترف كما قال تعالى:

«وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنّكم من أرضنا أولتعودنّ في ملتنا، فأوحى اليهم ربُّهم لنهلكن الظالمين * ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد»

(ابراهيم: ١٣ ــ ١٤)

ولقد صرّح سبحانه بأن صرح السياسة الاسلامية مبني على الكرامة البالغة، وهي الخشية من الله تعالى التي لا ينالها إلاّ العلماء:

«.. إنما يخشى الله من عباده العلماء..»[١]

لأنها خشية مقام الرب تعالى وخوف وعيده سبحانه. فلو لم تكن هذه الفضيلة في الولاة لما صاروا حكاماً إلهيين، ولما أمكن لهم أنْ يطردوا الطغاة، ولما قدروا على أنْ يروا فرعون كل عصر وهامان كل دورة ما كانوا يحذرون. فإذا خافوا مقام ربهم، وخافوا وعيده، ونهوا أنفسهم عن الهوى، ولم يؤثروا الحياة الدنيا، نجز وعد الحق سبحانه لهم، وتنجّزوعيده سبحانه على أعدائهم. لأن رسول الله (ص) قال:

«من خاف الله عزّوجلّ خاف منه كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه من كل شيء».

(من لايحضره الفقيه ج ٤ ص (٢٥٨)

ومن أروع مصاديقه ما قال سبحانه في عزة المستضعفين من بني اسرائيل وذلة الطغاة الحاكمة عليهم:

«فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليمّ بأنهم كذّبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين * وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها، وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون».

(الأعراف ١٣٦ ــ ١٣٧)

ولا ريب في أن صلاح العباد، وخوفهم مقام ربهم، وخوفهم وعيده تعالى، ليس هو بالإكتفاء بالعبادة من الصلاة والصوم ونحو ذلك مما يتوهم أنها كافية في امتثال ما أمر الله به، وفي حصول التهذيب، بل إنما هو بامتثال جميع ما أمر الله تعالى عباده الصالحين به من الجهادين الأكبر والأصغر، والهجرتين؛ الهجرة الكبرى، وهي الهجرة من أي رجس ورجز:

«والرُّجزَ فاهجُر».

(المدثر: ٥)

والهجرة الصغرى وهي الهجرة من أرض الشرك والظلم، ثم تحصيل العُدّة والأهبة لإرغام الوف الطغاة، وتطهير الأرض من رجسهم، وتخنيص الضعاف والمستضعفين الذين لا يجدون حيلة، ولا يهتدون سبيلاً من أيدي ذوي الأوتاد. كما قال سبحانه مشيراً الى

وظائف أئمة المسلمين والحكام الالهيين على الأرض:

«أذن للذين يُقاتَلونَ بأنّهم ظُلموا وإنَّ الله على نصرهم لقدير* الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلاّ أنْ يقولوا ربُّنا الله، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعضٍ لهدِّمت صوامع وَبِيَعٌ وصلواتٌ ومساجد يُذكر فيها اسم الله كثيراً، ولينصرنَّ الله من ينصره إنّ الله لقويٌّ عزيزٌ* الذين إنْ مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وَأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، ولله عاقبة الامور».

((الحج: ٣٩ ــ ٤١)

فبيّن سبحانه أن هؤلاء أهل الجهاد والمجاهدة، وأهل العبادة والتهذيب والاصلاح لأنفسهم ــ بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ــ و لغيرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بعدما ثاروا على الطغاة وطردوهم ونجّوا بيوتاً أذن الله أنْ تُرفع من أيدي من أراد هدمها وتخريبها ــ وهؤلاء هم الذين يقولون:

«ربّنا أفرغ علينا صبراً وثبّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين».

((البقرة: ٢٥٠)

و بالتالي هؤلاء هم أهل الكرامة الذين اذا قُتلوا في سبيل الله بعد ما قاتلوا وجاهدوا، يدخلون الجنة، و يلحقون بالمكرمين من عباده سبحانه، كما قال:

«قيل ادخل الجنة، قال: يا ليت قومي يعلمون* بما غفر لي ربّي وجعلني من المكرمين».

(يس: ٢٦ ــ ٢٧)

لأنه جاهد لكلمة عدل عند أئمة الجور.

وحيث أن الكرامة تأبى الذل كما تتحاشى الضيم لأن كل واحد منها نقص يتجنبه الكريم، فلذا أُمروا بالهجرة ورفض الذل والهوان. كما قال تعالى:

«إنّ الذين توفّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم، قالوا فيم كنتم، قالوا كنا مستضعفين في الأرض، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً* إلاّ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلةً ولا يهتدون سبيلاً».

((النساء: ٩٧ ــ ٩٨)

فإنه سبحانه لايرضى لعباده الذل ولا يمنع الضيمَ الذليلُ.

ومن المقدر الإلهي، المقرر في الاسلام، هو أنه؛ لو صبرت الأمّة الاسلامية على الطاعة، وصبرت عن المعصية وعند المصيبة، وصابرت في البأساء والضراء عند لقاء الأعداء، ورابطت مع إمامها القائم بالقسط، ترث الارضَ وتحكم فيها حكماً إلهياً لا حيف فيه ولا جور، لقوله تعالى:

«قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إنَّ الأرض لله يُورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين».

(الأعراف: ١٢٨)

لأن الكرامة السائسة المناسبة لأرث الأرض هو ما ذكر.

ولما كانت الحياة هي حقيقة تنشأ منها المعرفة والحركة، فمن لا وعي ولا معرفة له بما يصلحه و يفسده، أو لا إرادة ولا حركة له بها يخرج من ظلمة الجاهلية الى نور الإسلام، فلا حياة له. إذ الحي هو الدراك الفعّال. فلذا قال سبحانه:

«يا أيُّها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يُحييكم واعلموا أنَّ الله يحول بين المرء وقلبه وأنّه اليه تُحشرون».

(الأنفال: ٢٤)

ومما يلزم التنبيه له هو أن جميع ماجاء به الوحي الكريم موجب للحياة إلاّ أن بين أحكامه وأوامره امتيازاً يفضل بعضها على البعض الآخر، ومن ذلك: الجهاد في سبيل الله، والدفاع عن حرم الله، والذب عن كيان الاسلام حيث أنه تعالى بعد ما أمر في سورة الأنفال في عدة آيات خاصة تحث على الجهاد وتبعث صوب الدفاع وتهدي الى الذب عن الكيان الديني. قال:

«استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم».

مشيراً الى أن حياة الأمّة رهن جهادها، ومعيشتها مرهونة بدفاعها ودوامها و بقاؤها في ضوء ذبها عن كيانها الإسلامي. فكما أنَّ القصاص وإنْ كان قتلاً واماتة في الظاهر، ولكنه عامل لحياة الأمّة، وموجب لبقائها. حيث قال تعالى:

«ولكم في القصاص حياةٌ يا أولي الألباب...»

(البقرة: ١٧٩)

كذلك القتال في سبيل الله، وإنْ كان مصحوباً بالموت، ومشفوعاً بالشهادة في الظاهر، ولكنه عامل لحياة الأمّة وموجب لدوامها. فمن لا نفر له الى المعركة، ولا ثبات قدم له عند لقاء العدو، لا حياة له. كما أن من يفر من الزحف، ويجبن من العدو، و يرضى بأن يكون مع الخوالف كالمترف فلا حياة له، فهل الكرامة إلاّ هذه السياسة التي ترفض ذلّ الإستعباد وتأنف عن هوان الاستعمار وتأبى الضيم والاستغلال علمها الاسلام حين ما يعلم الناس الكتاب والحكمة و يزكيهم ـــ فتعال يا صاح واقرأ قوله تعالى:

«ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما يُنفقون حرجٌ إذا نصحوا لله ورسوله، ما على المحسنين من سبيلٍ والله غفوررحيم * ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولّوا وأعينهم تفيض من الدمع حَزناً ألاّ يجدوا ما يُنفقون».

(التوبة: ٩١ ـــ ٩٢)

فتدبر فيه حتى يتبيَّن لك كيف أثَّرت الكرامة السائسة في نفوس أبية، وأنوف حمية، حيث تفيض أعينهم من الدمع حين لم يوفقوا، لأنْ تراق دماؤهم بالقتل في سبيل الله. فهل هذه

إلاّ كرامة تطلب الاستقلال الاسلامي، وتهرب عن الاستعباد والاستثمار كائناً ما كان:

«قل الله ثمّ ذرهم في خوضهم يلعبون»

((الأنعام: ٩١)

لأن مقالهم هو الله فقط و يذرون المبطلين لاعبين. وترى أيها الباحث الدقيق روح الكرامة قد نفخت في برامج المسلمين، آناء الليل واطراف النهار، حيث أنه يجب على كل بالغ عاقل أن يقيم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل بالظهرين والمغربين، وكذا صلاة الصبح المعبر عنها بقرآن الفجر (الإسراء: ٧٨) ويجب عليه أن يقرأ في كل صلاة فاتحة الكتاب مرتين إذ لا صلاة إلاّ بفاتحة الكتاب، ومن آياتها قوله تعالى: **«إهدنا الصراط المستقيم»** ثم فسّر الصراط المستقيم بأنه صراط الذين أنعم الله عليهم ــ واما من هو المنعم عليه، وما هو سيرته وسريرته وسننه وطريقته، فقد بيّنه الله في مواضع عديدة من كتابــه الكريم. ومن تلك المواضع قوله تعالى:

«قال ربِّ بما أنعمت عليَّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين».

(القصص: ١٧)

يعني أن مقال موسى الكليم (ع) الذي نهض يكافح الطاغي ذا الأوتاد هو أن قال لربه: ان شكر نعمة النبوة «وحمد منحة الرسالة، والثناء على موهبة الإمامة التي أنعمتها عليَّ» أن لا أكون ظهيراً للمجرمين ــ فهذه هي الكرامة المتبلورة في القهر على المجرمين المقررة في برنامج المسلم في صلواته ــ فصلاة كل مسلم دراسة النهضة على الطغيان، والثورة على الظلم، والجهاد ضد الضيم، و بالتالي دراسة الوعي والحرية والحركة والثورة على كل من بخل واستغنى، وكذب بالحسنى، ولا ينال هذه الكرامة إلاّ المطهرون عن أدناس الجاهلية، المنزّهون عن معالمها، واما من ابتلي بها فتضرب عليه الذلة والمسكنة لما أشرب في قلبه حب عجل الدنيا، ولذا تهاجمه كلاب الاستعمار فتقطعه إرباً إرباً، وتمثل به مثلة شنيعة، ولا تغني الكثرة الظاهرة عنه. كما قال رسول الله (ص) لثوبان:

«كيف أنت يا ثوبان؛ إذا تداعت عليكم الأمم كما تداعي الأكلة على قصعتها؟ فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله؛ أمن قلة بنا؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكن يلقى في قلوبكم الوهن. قال: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حبكم الدنيا وكراهيتكم القتال».

(البداية والنهاية لأبي الفداء ج ١، ص: ٥٤)

فتدبر أيها الباحث المتفكر في قول رسول الله (ص) حيث قرر أن عامل الإنهزام هو الوهن، وان الوهن هو حب الدنيا الذي هو رأس كل خطيئة، ثم أنْظر فلسطين والقدس العزيزة الأسيرة بأيدي الطغاة اللئام مع الكثرة البالغة للمسلمين في أقطار الأرض، حتى يتضح لك أن لا سياسة إلاّ الكرامة التي تأبى الذل والضيمَ، ولا كرامة إلاّ في الجهاد والمجاهدة في سبيله تعالى حتى يكون الدين كله لله، وتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى ،

و يكون الدين كله لله تعالى، كما انه يكون لله تعالى خالصاً، ولا جهاد ولا نهضة إلاّ بالوعي والحزم والعزم والجزم، لأن أصل المرء لبه، ونعم ما قال جعفر بن محمد الصادق(ع):

«ما ضعف بدن عما قويت عليه النيّة».

(من لا يحضره ج ٤ ص: ٢٨٦)

لقد أوصى مولانا علي بن أبي طالب (ع) أهل مصر حين ولي مالكاً عليهم بأن قال في رسالته المكتوبة اليهم:

«ألا ترون الى أطرافكم قد انتقصت، والى أمصاركم قد افتتحت، والى ممالككم تزوى، والى بلادكم تغزى؟ انفروا رحمكم الله الى قتال عدوكم، ولا تثاقلوا الى الأرض فتقروا بالخسف وتبوؤا بالذل، و يكون نصيبكم الأخس. وان أخا الحرب الأرق، ومن نام لم ينم عنه والسلام».

وقال (ع) لجيشه:

«لا تذوقوا النوم إلاّ غراراً أو مضمضة».

فأين تذهبون يا طالبي الكرامة؟ وأين يتاه بكم ياساسة؟ تدبروا قول الكريم السائس حيث يوصي ابنه الحسن بن علي (ع) بقوله...

«... وأكرم نفسك عن كل دنيّة وإنْ ساقتك الى الرغائب، فإنك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عِوضاً، ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حُراً، وما خَيْرُ خَيْرٍ لا ينال إلاّ بشرٍّ و يسرٍ لا ينال إلاّ بعسر؟!».[2]

ولقد كتب عليه السلام الى معاوية وقال:

«.. ومتى كنتم يا معاوية ساسة الرعيّة، وولاة أمر الامة؟ بغير قدم سابق، ولا شرف باسق، ونعوذ بالله من لزوم سوابق الشقاء، وأحذرك أن تكون متمادياً في غرة الأمنية، مختلف العلانية والسريرة».[3]

حيث يقول (ع) ان التكّراء ليست سياسة، وان الماكر الخادع ليس سائساً وأن النفاق واختلاف السر والعلن لا يلائم السياسة الدائرة مدار الكرامة المختصة بعباد الله الصالحين الذين بها يستحقون الحكومة على الأرض وميراثها و يشتاقون لأكرم الموت[4] وهو القتل في سبيل الله لأنهم الذين لم يختلف سرهم عن علنهم، ولا فعلهم عن قولهم، ومن كان كذلك فقد أدّى الأمانة، وأخلص العبادة[5]. ومن كان مخلصاً في عبادته لله تعالى يورثه الله الأرض، ويجعله إماماً يحكم عليها.

«ان الأرض لله يورثها من يشاء».

لقد شاء أن يورثها الى من أخلص لله في عبادته الجامعة.

السياسة الاسلامية تقتضي الاحسان الى الجميع ما عدا المفسدين:

تبيّن أن السياسة الاسلامية تدور مع الكرامة حينما دارت، والكرامة توجب الإحسان

الى كل واحد إلا من سعى في الأرض، ليهلك الحرث والنسل، فإنَّ لسيئته جزاء مثلها. فالأصل الأولي في السياسة الاسلامية مبني على الاحسان، كما انه مبني على العدل، حيث أن علياً (ع) أوصى مالك بن الحارث الأشتر حين ولأه مصر بقوله:

«ولا تكوننَّ عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: إمّا أخٌ لك في الدين، أو نظيرٌ لك في الخلق».[٤]

فأمر بلزوم رعاية العدل، وعدم التجاوز عنه بالنسبة الى اي انسان ــ مسلماً كان أو غير مسلم ــ ومنشأ ذلك كله قوله تعالى:

«لا ينهاكم الله عن الذين لم يُقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرُّوهم وتُقسطوا اليهم، إنَّ الله يحب المقسطين * إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون».

(الممتحنة: ٨ ــ ٩)

حيث خصّ النهي عن التولّي والإرتباط بمن قاتل المسلمين وآذاهم، أما من لم يقاتلهم ولم يؤذهم، ولم يصدهم عن سبيل الله، ولم يبغها عوجاً فلا نهي عن البرّ والإحسان والاقساط اليهم، بل هو أمرٌ محمود ليروا عدل الاسلام واحسانه، و يعيشوا في ضوء قسطه و برّه.

نعم: لكل شيء في الاسلام حدٌ، ومن تعداه فله حدٍ مبين في الفقه، ولا تعطيل في الحدود، ولا شفاعة ولا تأخير فيها، لأن ذلك هو مقتضى النظام الإلهي، وعلى المسؤولين أن يجدُّوا في تنفيذه، لأنهم الحافظون لحدود الله، وإلاّ لما اتيحت لهم فرصة السياسة، إذ لا كرامة في تعطيل الحدود وجعلها سِتراً معطلة، كما انه لا مجال للتساهل في الذب عن الكيان الاسلامي. لأن التواني والتهاون والتراخي والجمود والسكوت عن الحق وما الى ذلك هي من سيئات القوة الدافعة، وعجزها وتفريطها الذي لا يجتمع شيء منها مع الكرم السائس، وإنْ صححه الخيال تارة وسدّده الوهم أخرى. وحسب الانسان المبتلى بذلك أنه احتياط وحزم حسن ــ يرى الجبناء ان الجبن حزم ــ وتلك خديعة النفس اللئيمة ــ وهو يحسب انه يحسن صنعاً ولكنه ليس في الحقيقة كذلك. والأصل في ذلك كله قوله تعالى لموسى وهارون الذاهبين الى طاغي العصر:

«... ولا تَنِيا في ذكري».

(طه: ٤٢)

إذ التواني في ذكر الله يوهن العزم، ومن المعلوم أن لا ثمرة للعزم الواهي إلا الانهزام، ولذا قال علي بن أبي طالب (ع):

«ما عَليَّ من قتال من خالف الحقّ، وخابط الغيّ، من إدهانٍ ولا إيهانٍ»:

(الخطبة: ٢٤)

لأن هؤلاء ودّوا لو يدهن والي المسلمين فيدهنون كما قال تعالى لرسوله:

«ودّوا لو تُدهِنُ فيدهنون». (سورة القلم: ٩)

والسر في ذلك أن المداهنة شفير وادي الذل والهزيمة، وان المقاومة سُلّم صرح العزة والغلبة ـ فتحصل أن الكرامة التي هي السياسة تقتضي الاحسان الى كل أحد إلاّ من خالف الحق، وطلب البغي، وسعى في الأرض ليهلك الحرث والنسل، فحينذاك يجب على الإمام والأمة أن ينهضوا و ينتصروا عالمين بأن الله كتب الغلبة له تعالى ولرسله. وقال علي (ع):

«من أحدَّ سنان الغضب لله قَوِيَ على قتل أشدّاء الباطل».

(نهج البلاغة الكلمات القصار ص: ٥٠١)

ومما لابُدَّ من التنبيه له هو أن السياسة الاسلامية لا تفعل باطلاً، ولا تصححه ولا تغمض عنه، لأنها تدور مدار الحق. والحق كما قال تعالى:

«قل جاء الحقُّ وما يبدئ الباطل وما يعيد».

(سبأ: ٤٩)

لا يُجَوِّز الباطل سواء كان ذا سابقة أم كان باطلاً حديثاً.

السياسة الاسلامية تقتضي الاستقلال والحرية والاكتفاء الذاتي والاتكال على الله وحده، وحصر الاتكال:

إنَّ الكرامة التي تنوط بها السياسة تقتضي أن لايحتاج الانسان الى محتاج آخر مثله، وان لايذل له بل يستقل بحوله وقوته مستعيناً بالله تعالى، ولقد مثل القرآن الكريم هذه الكرامة المصحوبة بالحرية والكفاية بقوله تعالى:

محمدٌ رسول الله والذين معه أشدّاء على الكفّار رُحماء بينهم تراهم رُكّعاً سُجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوهم من أثر السجود، ذلك مثلهم في التوراة، ومثلهم في الإنجيل، كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يُعجب الزُّرّاع ليغيظ بهم الكفار، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرةً وأجراً عظيماً».

(الفتح: ٢٩)

وهذه الآية الكريمة ـ بعد ما بيَّنت توحيد الأُمة الإسلامية في العبادة والعقيدة وانه ليس في عقيدتهم إلاّ الخضوع لله، وان الركوع والسجود له تعالى كان دأباً وسيرة مستمرة لهم، ولذا لا يخافون في الله لومة لائم ولا يداهنون الكفار المنحرفين عن صراط التوحيد، بل يكونون أشدّاء عليهم، كما يكونون رحماء بين أنفسهم، لأنَّ الجامع بينهم هو عقيدة القلب فحسب ـ أفادت انهم مستقلون أحرار أغنياء عن الأغيار، و يتعجب منهم من يشاهد كفايتهم، و يغاظ بهم من لا يرضى باستقلالهم وحريتهم، حيث قال:

«مثلهم... كزرع أخرج... الخ».

أي أنهم أهل النمو والحركة والرشد والتسامي، لا أهل الخمول والسكون والذبول والإنحطاط، ثم انهم بعدما كانوا أهل التحرك والتحرر يكونون أهل الوعي والاستنباط والتبديل

والاحتراف والصناعة وما الى ذلك حيث أنهم يعرفون ذخائرهم وموادهم الأولية و يبدلونها بما هو صالح للاغتذاء، و يصرفونها في التغذية بالمعنى الوسيع الجامع لجميع شؤونها بلا احتياج في شيء من ذلك الى وزير من خارج أو نحو ذلك، بل يستقلون في الوزارة والإعانة، وكذا في التغليظ والتحكيم كالبنيان المرصوص إذ لو لم يكن لهم ساق غليظ لما أمكن لهم أن يقوموا عليه، لأن الشجرة التي اجتثت من فوق الأرض لا قرار لها، وهكذا الزرع الذي لا ساق غليظ له ــ بأن يكون غلظه بسبب أصله الثابت الموجب لغلظة الساق وضخامته لا قرار له، فكيف يمكن للزرع أن يستقر على مثل ذاك الساق؛ وهكذا الأمّة الاسلامية ما لم تكن كشجرة طيبة أصلها ثابت كيف يمكن الإستقرار عليها، وكيف يمكن أن تؤتي ثمرها وأكلها كل حين، إذ لا يأذن الله بذلك لمن لا أصل له، أبى الله أن يجري الأمور إلاّ بأسبابها ــ وأهم سبب يوجب الإستقلال هو الإتكال على الله تعالى لقوله تعالى:

«أليس الله بكافٍ عبده، ويخوّفونك بالذين من دونه، ومن يُضلل الله فماله من هاد».

(الزمر: ٣٦)

حيث يدل على أن الله تعالى وحده كاف، وان الاعتماد على الله الذي هو معتمد عباده موجب للكفاية، وعلى أن تهديد الكفار وارعاب المنافقين، وتخويف الذين في قلوبهم مرض، وانذار المرجفين، لاجدوى منه، إذ لله جنود السماوات والأرض فلا ينبغي أن يخاف إلا من الله، كما لا ينبغي أن يتوكل إلاّ على الله تعالى:

«... قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون».

(الزمر: ٣٨)

ثم أن الاستقلال والحرية وما الى ذلك مما هو من خصائص الكرامة التي تسوس الأمّة الاسلامية، ليس بالأماني كما قال علي (ع):

«إياك والإتكال على المنى فانها بضائع النوكي، وتثبيط عن الآخرة».

(من لايحضره الفقيه ج ٤ ص ٢٧٥)

بل لابُدَّ له من سبب خاص يجب به ويمتنع بدونه، وذاك السبب هو أن يتصدى لكل شأن من شؤون النظام الاسلامي من هو كامل في أمرين: **أحدهما**؛ الإطلاع والمعرفة والتخصص بالنسبة الى ذلك الشأن، **وثانيهما**؛ التعهد والإلتزام الديني، والتقوى الإلهي بحيث لا يخون في شأنه، ولا يختلس منه، ولا يسامح فيه. فمن كان فاقداً لأحدهما لم يصح له تصدّي ذلك الشأن فضلاً عمّن كان فاقداً لهما معاً. والأصل في أن كمال النظام في أن المتصدي لأي شأن كان لابُدَّ وان يجمع وصفي العلم والعدل وكمالي التخصص والتقوى وهو ما اشار اليه سبحانه في كتابه الكريم من بيان شأنين: **أحدهما**: في غاية الأهمية والتعقيد، **والآخر**: في غاية البساطة والإبتذال.

الأول: تولي وزارة الاقتصاد في أصعب عصر، والتصدي للأمور المالية في أحرج وضع.

الثاني: هو رعي عدة أغنام وسقيها.

اما الأول؛ فقوله تعالى حاكياً عن يوسف الصديق (ع) بعد خروجه من السجن، وابتلاء مصر بالقحط والغلاء والمجاعة ونقص الزرع:

«... اجعلني على خزائن الأرض إنّي حفيظٌ عليمٌ»

(يوسف: ٥٥)

يعني أن يوسف (ع) ادّعى صلاحه للوزارة وادارة الأمُور المالية في أعسر وضع، لأنه كان حفيظاً أميناً لا يفرط ولا يخون. وعليماً بذلك الشأن الخاص مع تقدم الحفظ والتقوى المالي في هذا الموضع على العلم، فيلزم أن يكون الوزير متقياً في شأنه، وعالماً به، فلا التقوى بدون المعرفة بذاك الفن كاف، ولا الاطلاع الفني بدون التقوى مُجدٍ، بل لابُدَّ للوزير من الجمع بين التخصص والتقوى.

واما الثاني؛ ففوله تعالى حاكياً عن إحدى بنتي شعيب (ع) في استيجار موسى (ع):

«... يا أبت استأجره إنّ خير من استأجرت القويُّ الأمين.»

(القصص: ٢٦)

يعني أن خير العمال والمتصدين لأي أمر هو الفوي على انجازه والعارف به ولشؤونه، والأمين عليه، فخير الرعاة والسقاة هو الراعي القوي الأمين والساقي الخبير الثقة.

والحاصل؛ ان منطق القرآن الكريم هو لزوم المعرفة والأمانة في كل من يتصدى لامر عال أودان، معقد أو بسيط، وزارة كان أو رعياً للأغنام وسقياً للدواب ونحو ذلك، فاذا أعطي في نظام كُل ذي حق حقه، وتصدى لكل شأن من يليق به تعهداً وتخصصاً، فذاك النظام هو الحري بالاستقلال والحرية.

ثم أن من أهم موارد لزوم الاستقلال هو الاقتصاد المالي والنظام الاقتصادي، لأن المال قوام الأمّة وقيامها ولا اقتدار لمن لا قوام له، ولا حول لمن لا قيام له. قال تعالى:

«ولا تُؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً...».

(النساء: ٥)

حيث وصف الله تعالى المال بكونه قياماً. فمن لا مال له لاقوام له، ولعله لهذا السبب يقال لفاقد المال (الفقير) لأن الفقير هو من انكسر عظم ظهره وفقراته، ومن المعلوم ان من انكسر عظم فقرات ظهره لا قوام له ولا قيام له فبينهما تلازم؛ يعني ان من انكسرت فقرات ظهره فهو فقير لا قيام له، ومن لا قوام له ولا قيام له فهو فقير. وحيث أن المال قوام، ومن لا مال له لا قوام له فهو فقير، كذلك يقال لمن لامال له انه فقير. فالأمة الفاقدة للنظام الاقتصادي الصحيح فهي ممن لاقوام لها، فلا تستطيع الثورة على الطغاة، ومن لاقيام له فهو فقير فهذه الأمّة العاجزة عن القيام المالي فقيرة فحينئذ ليس في وسعها أن تقوم لله وتتعظ بما وعظها الله تعالى حيث قال في قرآنه الكريم:

«... إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى».

(سبأ: ٤٦)

إذ المراد من القيام هنا ليس هو القيام الصوري العمودي، بل المراد منه المقاومة تجاه الظالمين ومن الواضح أن المقاومة انها تجدي مع النظام الاقتصادي الرائع، و بدونه لا قيام ولا مقاومة ولا صبر ولا مصابرة ولا مرابطة. ولقد أشار اليه رسول الله (ص) في قوله:

«اللهم بارك لنا في الخبز، ولا تفرق بيننا وبين الخبز [وبينه] فلولا الخبز ما صلّينا ولا صمنا، ولا أدّينا فرائض ربّنا».

(الكافي ج ٥ كتاب المعيشة باب الاستعانة بالدنيا على الآخرة)

وليس ذلك بالنسبة الى شخصه (ص) أو الكلمتين من صحبه بل بالنسبة الى الشعب.

والسر في ذلك كله هو أن فاقد المال فقير بمعناه المقرر له آنفاً، والفقير غير قادر على القيام فضلاً عن الإقامة وهو أي القيام للدين وإقامته إنما يتم في النظام الاقتصادي السالم، وهو بالانتاج والتوزيع وكل ذلك فن معقد لا يتصدى له إلاّ الخبير الثقة فمن لا خبرة له أو لا وثوق به لن يجدي شيئاً:

«أينما يُوجهه لايأت بخير»

(النحل: ٧٦)

فحينئذ يصير كَلاًّ على غيره، وقد قال رسول الله (ص):

«ملعون من ألقى كلّه على الناس».

(الكافي باب الاستعانة بالدنيا على الآخرة)

فمعه تصير الأمّة التي ألقت كَلّها على الأمم الأُخرى ملعونة محرومة من العناية الإلهية، كما قال (ص):

«لا خير في من لا يحب جمع المال من حلال يكف به وجهه، ويقضي به دينه، ويصل به رحمه».

(الكافي ــ الباب السابق)

لأن جمع المال المتكاثر به وإنْ كان مذموماً إلاّ أن جمعه بمقدار يصان به العرض، و يقضى به الدين، و يوصل به الرحم، وما الى ذلك من الحوائج ممدوح.

كما قال علي بن أبي طالب (ع) في دعائه:

«اللّهمّ صُنْ وجهي باليسار، ولا تبذل جاهي بالإقتار».

(نهج البلاغة ص (٣٤٧) صبحي صالح الخطبة: ٢٢٥)

وللاهتمام بالنظام الاقتصادي الصحيح قال علي (ع):

«من وجد ماءً وتراباً ثم افتقر فأبعده الله».

(الوسائل كتاب التجارة باب: ٩)

حيث أنه (ع) هدد العاطل، وتوعد الكسلان، ورهب الفارغ، مع التمكن من الانتاج من الغرس والزرع ونحو ذلك، فلا يباح للأمة الاسلامية الكسل والفشل والضجر والعجز في المشي في مناكب الأرض، واستخراج ما في بطونها مما أودعه الله فيها. قال علي (ع): ١

«ان الأشياء لما ازدوجت ازدوج الكسل والعجز فأنتجا بينهما الفقر».

(الكافي في كتاب المعيشة باب كراهية الكسل)

وهكذا قال (ع):

«ان الله يحب المحترف الأمين».

(الكافي باب الصناعات)

ولعله إشارة الى لزوم اجتماع وصفي العلم والأمانة في الصانع، لأن الحرفة صناعة لابُدَّ فيها من مهارة وتخصص، ومع انضمام وصف الأمانة الى ذلك يتم الأمر كما تقدَّم.

وحيث أن النظام الاقتصادي إنما يصح إذا كان جامعاً بين الحرف الزراعية والحرف الصناعية الدارجة اليوم ندب السياسة الاسلامية من بعدها الاقتصادي اليها أيضاً. قال الثمالي: مررت مع أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق (ع) في سوق النحاس فقلت جُعلت فداك هذا النحاس أي شيء أصله؟ فقال (ع):

«فضة إلاّ أن الأرض أفسدتها، فمن قدر على أن يخرج الفساد منها انتفع بها». ٢

(الكافي: كتاب المعيشة: باب النوادر)

فهو (ع) قد رغب الناس في التعريف على تلك المعادن، وكيفية امتزاجها، وكيفية تلخيصها، وحضهم على الاصطناع والاحتراف الخاص بذلك، كما أنه (ع) حذَّر الناس من جمع المال وادخاره وعدم صرفه في الانتاج والتصنيع، قال (ع):

«ما يخلّف الرجل بعده شيئاً أشدُّ عليه من المال الصامت. قال: قلت له كيف يصنع؟ قال (ع): يضعه في الحائط والبستان والدار». ٤

(من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ١٠٤)

إذ المال إنما هو موضوع لأن تتبادل فيه الأجناس لا لأن يدخر في مكان واحد، و بيد شخص أو أشخاص مخصوصين. قال تعالى:

«... كي لا يكون دولةً بين الأغنياء منكم..». (الحشر: ٧)

فعليه يلزم أن يصرف المال في التصنيع والإنتاج أولاً، وفي التوزيع بين الناس لأنهم سواسية كأسنان المشط ثانياً، حتى يحتمي من الإكتناز و يصان من التكاثر، ويجتنب الفاقة الى غير الأمة الاسلامية في مواد المعيشة، ويحترز عن سيئات هذه الفاقة. إذ الاحتياج الى أمّة اسلامية سواء كان في النظام الاقتصادي أو العلمي أو العسكري أو غير ذلك يوجب توليهم والركون اليهم، وقد نهى الله سبحانه عن ذلك كلّه، وحذَّر الأمّة الاسلامية منه، والسر في هذا

الأمر هو أن الإفتقار الى دولة غير إسلامية يوجب سد الخلّة ورفع الحاجة بهم، ومعلوم؛ إنَّ سد الخلّة ولَمّ الشعث ورفع الفاقة عن الأمّة الاسلامية، إحسان اليهم، والإحسان يوجب انجذاب قلوب المحتاجين الى من أحسن اليهم. كما قال رسول الله:

«جبلت القلوب على حُبِّ من أحسن اليها، وبغض من أساء اليها».

(من لا يحضره الفقيه ج ٤ ص ٢٧٣)

ومحبة الكفار الطغاة ركون اليهم، وتولٍ لهم، وحنين نحوهم. وقد قال سبحانه وتعالى:

«ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسَّكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تُنصرون».

(هود: ١١٣)

«يا أيُّها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعضٍ، ومن يتولَّهم منكم فإنّه منهم، إنَّ الله لا يهدي القوم الظالمين * فترى الذين في قلوبهم مرضٌ يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تُصيبنا دائرةٌ فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمرٍ من عنده فيصبحوا على ما أسرُّوا في أنفسهم نادمين».

(المائدة: ٥١ ــ ٥٢)

حيث أنه تعالى حذّر الأمّة الاسلامية من الركون اليهم. والركون؛ هو الميل القليل والحنين اليسير ــ أضف ــ الى أن القلب مجبول على حب من أحسن اليه ــ إنَّ هؤلاء الكفار لا يرضون بمجرد الركون والحب القلبي، بل يسعون لأن يصيروا أولياء على المسلمين ويجعلوهم تحت ولايتهم ويملكوا رقابهم و يستبدوهم كما هو المعروف من شيمهم المشؤومة وسيرتهم السيئة ــ والاسلام لا يرضى بذلك؛ هيهات منّا الذلّة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والأئمة من ولده، لأن الحق يعلو ولا يعلى عليه، والاسلام يوجب السيادة، و ينزّه المسلمين عن عبودية غير الله. كما قال رسول الله (ص) حيث أن أبا جهل وجماعة من أشراف قريش مشوا الى أبي طالب وشكوا اليه النبي (ص) وقالوا: قد سفّه أحلامنا وشتم الآلهة، فدعاه أبوطالب وقال له: ما لأهلك يشكونك؟ فقال النبي (ص) أدعوهم الى كلمتين خفيفتين يسودون على العرب بهما، و يؤدي الخراج اليهم بها العجم. فقال أبو جهل وغيره ما هما؟ فقال (ص): **«تشهدون أن لا إله إلاّ الله وأني رسول الله»** فقال أبوجهل (أتجعل الآلهة إلهاً واحداً) (التبيان للطوسي ج ٨ ص: ٤٩٧).

فهل ترى أيها الباحث في السياسة الاسلامية. ان الاسلام لا يرضى بأن يكون هؤلاء الكفرة أولياء للمسلمين وساداتهم، مضافاً الى ان المراودة معهم اذا كانت مراودة الفقير والغني، ومرابطة الرق والحر، ومعاملة المقهور والسلطان توجب تخلق المسلمين بأخلاق هؤلاء الكفار، وانخراطهم في سلكهم كما هو الشاهد بين الامم الضعيفة والقوية، مع ان القرآن الكريم ينادي ببراءة الله ورسوله من المشركين ما لم يتوبوا لانهم ان يظهروا على المسلمين لا يرقبوا فيهم إلاّ ولا ذمةً، يرضونهم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأُولئك هم المعتدون. ولذا أمر المسلمين بقتالهم حيث قال سبحانه:

«وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنّهم لا أيمان لهم لعلّهم ينتهون».

(التوبة: ١٢)

فتحصل أن الكرامة السائسة تأبى افتقار المسلمين الى غيرهم في شيء من شؤونهم الدنيوية، بل توجب أن يكونوا مستقلّين في ذلك كله وأحراراً. وإنَّ من أهم تلك الشؤون هو النظام الاقتصادي الصحيح الطارد للفقر الذي هو كما قال علي (ع):

«... منقصةٌ للدِّين، مَدْهَشَةٌ للعقل، داعيةٌ لِلْمَقْتِ».

(نهج البلاغة الكلمات القصار ص ٥٣١ ــ صبحي صالح)

وقال أيضاً:

«الفَقْرُ الموتُ الأكبر».

وانها: (أي السياسة التي تدور مدار الكرامة) تقتضي الإحسان والأدب الصالح، إلا ما خرج بالنص. قال مولانا جعفر بن محمد الصادق (ع):

«وان جالسك يهودي فأحسن مجالسته».

(من لا يحضره الفقيه ج ٤ ص: ٢٨٩)

السياسة الاسلامية توحد المسلمين وتمنع من تفرقهم:

ان الكرامة تمنع عن الميل الى الهوى المردي، وتحذر عن الجهل المهلك وعن أي سبب يوجب الأختلاف والتفرق بين المسلمين وجعلهم أيادي سبأ متفرقين لأن ذلك كله من الدناءة التي لا تجوزها الكرامة السائسة. ولذا ترى الثقلين اللذين خلفهما رسول الله (ص) في اُمّته لن يضلّوا ما تمسكوا بهما وهما كتاب الله وعترته الطاهرة، يدعوان الأمة الاسلامية الى الوحدة، و ينهيانها عن الإختلاف والتفرقة.

قال الله سبحانه:

«واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا».

(آل عمران: ١٠٣)

«... أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه، كبر على المشركين ما تدعوهم اليه».

(الشورى: ١٣)

«ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله».

(الأنعام: ١٥٣)

«ولا تكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا من بعدما جاءهم البيّنات وأولئك لهم عذابٌ عظيمٌ».

(آل عمران: ١٠٥)

حيث يدل على أن التفرق في الدين، والحياد عن الصراط المستقيم الذي لا تخلف فيه

ولا اختلاف، سيئة كبيرة موبقة، سيا حال القتال مع أعداء المسلمين، حيث قال سبحانه:

«.. إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولّوهم الأدبار».

(الأنفال: ١٥)

«يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا...»

(الأنفال: ٤٥)

حيث نهى عن الإستدبار والانفضاض من حول أمامهم الذي لا تحركه العواصف، كرار غير فرار وهو رسول الله (ص) ومن هو بمنزلته. و بالجملة؛ فإن الإختلاف والتفرق يوجبان الوهن والفشل المستلزم للانهزام، والانظلام وتسلط الكفار. كما قال سبحانه:

«وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إنّ الله مع الصابرين».

(الأنفال: ٤٦)

لأن النزاع هو خلع القوة ونزع القدرة من الجانبين، هذا يصرف همه وقدرته في نزع القدرة عن ذاك ، وذاك يهم و يسعى في إزالة القدرة عن هذا. فلذا اتفقا على نزع القدرة والإ تفاق غالب ومؤثر، فلذا تنزع الفدرة عن الطرفين، فيبدو فيهما الفشل، واذا بدا الفشل ذهبت الريح والعزة، فإذا ذهبت العزة جاءت الإستكانة والذل (أعاذ الله الاسلام والمسلمين منها) إذ لاريب في ان الكفار ان ظهروا على المسلمين لم يبقوا شيئاً من كيانهم، كما قال سبحانه:

«إنْ يثقفوكم يكونوا لكم أعداءً و يبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودّوا لو تكفرون».

(الممتحنة: ٢)

فحينئذ يصيب المسلمين الملق والخضوع. وقد قال رسول الله (ص):

«من مدح سلطاناً جائراً، وتخفف وتضعضع له طمعاً فيه كان قرينه في النار».

وقال أيضاً:

«من ولى جائراً على جوره كان قرين هامان في جهنم».

(من لايحضره الفقيه ج ٤ ص ٦)

وذلك لأن الذليل يضطر الى الملق والمدح والتولي والخضوع للكفار، ولكن هذا الأمر الاضطراري اختياري في الواقع، لأن الإمتناع بالإختيار لا ينافي الإختيار.

والحاصل؛ ان العزة التي لله ولرسوله وللمؤمنين منوطة باتحادهم وتآخيهم وكونهم يداً واحدة على من سواهم، وإلاّ تحتم لهم الفشل، وتعيَّن لهم ذهاب الريح، ونفاذ روح العزة، وكتبت عليهم الذلّة والمسكنة، بعد ما وعدهم الله العزّة والنصرة.

وليعلم؛ أن مناط الوحدة هو العقيدة، كما أن مدار السياسة الاسلامية عليها حسبما تقدم سالفاً بيان أصالة العقيدة دون اللغة والقومية والمكان وغير ذلك .

وليعلم أيضاً؛ أن موطن العقيدة هو القلب الذي زمامه بيد مقلب القلوب لاغير. ولذا قال علي (ع):

«عَرَفْتُ الله بفسخ العزائم، وحلّ العقود، ونقض الهمم».

(نهج البلاغة صبحي صالح ص: ٥١١)

وحيث أن القلب بيده تعالى، فما لم يصر سالماً لم يتيسر له أن ينزع منه الغل والحقد والضغينة وما الى ذلك من أدواء الصدور، ولهذه الخصيصة قال سبحانه لرسوله:

«وألّف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألّفت بين قلوبهم ولكنّ الله ألّف بينهم إنّه عزيزٌ حكيمٌ».

(الأنفال: ٦٣)

يعني أن القلب لكونه خارجاً عن منطقة الطبيعة والمادة لا يمتلكه شيء من الذخائر المادية، حتى يعتقد به الحق و يتحد به مع القلب الآخر، بل إنما أمره بيد الله سبحانه، وهو ينظر الى القلوب والسير لا الى الصور[٧] فاذا وجد القلب سالماً عن المرض نوّره بالوحدة والألفة، وإذا وجده مريضاً يسارع في الكفار يقول:

أخشى وأخاف أن تصيبني دائرة، وأخاف ان الاسلام ينهزم، وان الكفر ينتصر و يغلب، أمسك الله فيضه عنه، ووكله الى نفسه، ومن وكله الله الى نفسه فلا عماد له، ولا ملاذ له، لأنه لن تجد من دونه ملتحدا.

قال جل جلاله:

«أيّما عبدٌ أطاعني لم أكله الى غيري، وأيّما عبدٌ عصاني وكلته الى نفسه ثم لم أبال في اي واد سلك»

وكذا قال تعالى:

«إذا عصاني من خلقي من يعرفني، سلطت عليه من خلقي من لايعرفني».

و بالجملة فالعزّة حليفة الوحدة، كما أن الذلة قرينة الفرقة. فمن اتحد عزّ ومن تفرّق ذلّ.

وقد قال علي بن أبي طالب (ع):

«ان يد الله مع الجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشاذ من الناس للشيطان، كما ان الشاذ من الغنم للذئب. ألا من دعا الى هذا الشعار فاقتلوه، ولو كان تحت عمامتي هذه»».

(نهج البلاغة الخطبة ١٣٧)

وقال أيضاً:

«ولا تباغضوا فانها الحالقة، وحيث ان الوحدة عزة، والعزة كرامة، والكرامة بالتقوى، فمن كان اتقى كان أكرم وأعز، ومن كان أعز كان أدعى الى الوحدة والتآخي».

(نهج البلاغة الخطبة ٨٦)

كما كان علي (ع) كذلك، وهو يقول:

«وليس رجل ــ فاعلم ــ أحرص على جماعة أمة محمد (ص) وألفتها مني أبتغي بذلك حسن الثواب وكرم المآب».

(نهج البلاغة الكتاب ٧٨)

ثم ان الوحدة الموجبة للانتصار والعزة ليست بمعنى الادهان ولا الايهان في حكم الله تعالى بل هي بمعنى عدم الميل الى الهوى وكل ما يوجب التفرق عن الاسلام، لا ما يوجب الاتحاد وتأكيده وتقويته، ومنه يظهر لزوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشرائطه المقررة في الفقه، لأنه الموجب لعز الاسلام، و بعزته يعزالمسلمون و بنجاته ينجو المؤمنون.

روى البخاري في صحيحه ج ٢ ص ٦ عن رسول الله (ص) أنه يقول:

«كلكم راع وكلكم مسؤولٌ عن رعيته، الامام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله وهومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته».

وهذه المسؤولية العامة هي التي تحفظ الوحدة الاسلامية وتحرسها من الضياع ولقد مثلها رسول الله بأروع تمثيل، حيث قال(ص):

«مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا في سفينة، فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، وكان الذين في أسفلها إذ استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا؟ فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وان أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً.

(مناهل العرفان ج ١ ص ٢٩٩ عن البخاري)

تأمل جيداً في هذا المثل واعقله، لأن الأمثال مضروبة للناس ولكن لا يعقلها إلاّ العالمون، وتدبر فيه حتى يتضح لك أن المسلمين هم ركّاب سفينة مهددة بالخرق والغرق؛ فإنْ أخذت الأمم الاسلامية أيادي حكوماتها ومنعتها من خرق سفينة الاسلام بتولي الطغاة المسؤولين الذين لا يبقون ولا يذرون الاسلام والمسلمين معاً، و إنْ نامت الأمم ــ ومن نام لم ينم عنه ــ وسبتت عقولها ــ (نعوذ بالله من سبات العقل) وتركت الحكومات وشأنها ولم تأخذ على أيديها وأهملتها حتى باعت الاسلام والمسلمين بثمن بخس، هلكوا جميعاً.

والخلاصة: فإنّ كرامة الأمة الاسلامية منوطة بوحدتها وتآخيها

ولا تحصل الوحدة والأخوة إلاّ بصيانة بعضها البعض الآخر في الشؤون الدينية والاجتماعية وغيرها. قال رسول الله (ص):

«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً».

وقال (ص):

«مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضوتداعى له سائرالجسد بالسهر والحمّى».

وقال (ص) أيضاً:

«المسلمون كرجل واحد، ان اشتكى عينه اشتكى كله، وان اشتكى رأسه اشتكى كله».

(صحيح مسلم الجزء الثامن ص ٢٠ باب تراحم المؤمنين)

ولا مرية في أنه لولا تعاضد الأعضاء وتعاونها لما برئ العضو المريض، ولما زال داؤه، واذا لم يبرأ المريض ولم يزل داؤه لم يجد الراحة ولم يحصل على الأمان والصحة. أي النعمتين المجهولتين.

ومن هذا الباب ما أمر الله تعالى بالتعاون على البر والتقوى..، ونهى عن التعاون على الإثم والعدوان كما في سورة المائدة آية ٢ ــ لأنّ التعاون على التقوى يورث الإتحاد والأخوة، واما التعاون على الإثم فيوجب التفرقة والنفرة المنافية للايمان. إذ الايمان يقتضي الأخوة في الله. كما قال سبحانه:

«إنّما المؤمنون إخوةٌ فأصلحوا بين أخويكم..».

(الحجرات: ١٠)

ولنختم المقال بكلمة خاتم الأنبياء الذي أُوتي جوامع الكلم وهي من غرر كلماته (ص) التي لم يسبق اليها، وهي قوله(ص): «**الآن حُمي الوطيس**».

(من لا يحضره الفقيه ج ٤ ص ٢٧٢) و (تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٠٦) قالها (ص) في حنين، أي اشتد الحرب وقام على ساق. والوطيس، موقد النار شبه التنور، والمراد به ان الشجاعة تنفع الآن. ويجب على كل أحد أن يبذل جهده حينئذ ولو وقع بعض الفتور أو الاحتياط وقعت المغلوبية، وفيها خسران الدنيا والآخرة. وحينما يكون التنور حاراً يجب انتهاز الفرصة بالاختباز لأنه لو برد لما أمكن ذاك.

واعلموا أيها المسلمون؛ ان الثورة الاسلامية في ايران بزعامة قائدها المرجع الديني الامام الخميني أيده الله لما يحب و يرضى وطيس حار مشتعل بالوعي والحرية والاستقلال والحركة والكفاح والقتال والجهاد والمجاهدة، لأن الشعب الايراني المسلم قد هاجر الهجرتين اللتين أشار اليهما رسول الله في قوله:

«ان الهجرة خصلتان؛ احداهما أن تهجر الشر، والأخرى: أن تهاجر الى الله ورسوله».

(البداية والنهاية لأبي الفداء ج ١ ص ٢٠٢)

وسارع الى المغفرة من ربه، وسابق الى الخيرات بتحمل اعباء الإضطهاد والنهب والقتل والسبي، وتخريب البيوت، وهدم الشوارع والمخازن والمزارع والمصانع والمدارس والمستشفيات ونحوها، وكل ذلك لله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله (ص)، قطعاً لأيادي الامبريالية والصهيونية وكل باغ وطاغ، طلباً للاصلاح في الجامعة الانسانية بأن لا تعبد إلاّ ربّها الذي هو ربّ العالمين، ولا تشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله.

فهذا الوطيس حار بحرارة الإيمان والشهادة:

معاشر المسلمين: استشعروا الخشية، وتجلببوا السّكينة، وعضّوا على النّواجذ، فإنّه أنبى للسّيوف عن الهام. وأكملوا اللأمة، وقلقلوا السيوف في أغمادها قبل سلّها. والحظوا الخزر، واطعنوا الشّزر، ونافحوا بالظُّبا، وصِلُوا السيوف بالخُطا، واعلموا أنّكُمْ بعين الله، ومع ابن عمّ رسول الله. فعاودوا الكرّ،

واسْتَحْيُوا من الفَرّ، فإنَّهُ عارٌ في الأعقاب، ونارٌ يوم الحساب. وطيبوا عن أنفسِكُم نفساً، وامشوا الى الموت مشياً سُجُحاً، وعليكُم بهذا السَّوَاد الأعظم، والرِّواق المُطنَّب، فاضربوا ثَبَجَهُ فإنَّ الشيطان كامنٌ في كسره، وقد قدَّم للوثبة يداً، وأخَّرَ للنُّكوص رِجْلاً. فَصَمْداً صَمْداً! حتى ينجليَ لَكم عَمودُ الحقّ «وأَنْتُمُ الأَعْلَونَ، واللّهُ مَعَكُمْ، وَلَنْ يَـتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ».

(نهج البلاغة الخطبة ٦٦)

واعلموا عباد الله؛ ان الله سبحانه لن يَترِ عمل قوم أخلصوا له في الاضطهاد والشهادة، إذ العمل الإلهي مشفوع بالنتيجة وليس موتوراً عنها، لأن الباطل موتور و يذهب جفاء، وأما الحق فيمكث في الأرض، ولذا نهى الله سبحانه عن الوهن، وعن الدعوة الى السلم والحال هذه: أي إذا اشتد: وطيس الحرب بابدان قطعت في سبيله ارباً ارباً، ورؤوس أطيح بها في طريقه وبمصائب أُخر لا يقدر البيان والبنان على شرحها فلا مجال للسلم، بل الأمر منحصر في الشهادة أو الانتصار. قال سبحانه:

«فلا تهنوا وتدعوا الى السَّلْم وأنتم الأعلون، والله معكم ولن يَتِرَكُمْ أعمالكم».

(محمد (ص): ٣٥)

اي لا تهنوا ولا تدعوا الى المسالمة، واعلموا أنكم أنتم الأعلون، لأن الله القاهر فوق عباده معكم، ولن يقطع أعمالكم الصالحة عن الانتاج، ولن يتركم عن ثمرات مجاهداتكم، ولا يجعلها وتراً فرداً بل يجعلها شفعاً وزوجاً بالانتاج. لأن العمل المنتج شفع، والعمل العقيم وتر، وحاشا الله سبحانه أن يعد عباده الذين اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بالنصر و يقول لهم: **«ان تنصروا الله ينصركم و يثبّت أقدامكم»** و يقول: **«ولينصرنّ الله من ينصره»** و يقول: **«كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلي»** و يقول: **«ليظهره على الدين كلّه ولو كره الكافرون»** و يقول: **«كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله»**.. ثم لا يفي به سبحانه الذي لا يخلف وعده ولا يقطع رجاء من رجاه، ولا أمل من أمّله سبحان الذي لا يعجزه شيء في السماوات والأرض...

نسأل الله تعالى منازل الشهداء، ومعايشة السعداء، ومرافقة الأنبياء[8] ●

---

١ ــ فاطر: ٢٨. ولا ينافيه قول السجاد (ع): ان أعطيت لن تشب عطائك بمَنٍ ــ دعاء (٤٥) ــ فتدبر ــ

٢ ــ نهج البلاغة الكتاب (٣١).

٣ ــ نهج البلاغة كتاب (١٠).

٤ ــ الخطبة ١٢٣.

٥ ــ نهج البلاغة كتاب (٢٤).

٦ ــ نهج البلاغة كتاب ٥٣.

٧ ــ قال النبي (ص): ان الله لاينظر الى صوركم وأموالكم ولكن إنما ينظر الى أعمالكم وقلوبكم (سنن ابن ماجة ــ كتاب الزهد ــ باب القناعة).

٨ ــ نهج البلاغة الخطبة ٢٣.

ـ اعداد ـ

قسم الأرشيف في منظمة الاعلام الاسلامي

حوار

مع
احد العلماء المجاهدين
المسلمين في اميركا

خلال انعقاد المؤتمر العالمي الثاني للفكر الإسلامي بطهران، أجرى مراسلنا حواراً مع أحد العلماء المجاهدين المسلمين في أميركا. و دار الحديث حول جملة من المسائل، منها: أوضاع المسلمين في أميركا، الضغوط الموجهة اليهم من قبل السلطات الأميركية، الأسباب التي دعت الى جمود حركة الزنوج، وضع الأحياء السكنية للزنوج وانتشار المخدرات والفحشاء فيها، ومسائل أخرى...

س: في البداية نرجو أن تحدثنا عن ثقافة المسلمين الأميركيين وتقاليدهم ووجهات النظر الكلية للأخوة الزنوج؟

ج: إنَّ الثقافة التي يحملها المسلمون الزنوج، هي ثقافة إسلامية، وهم يسعون لإقامة جميع شؤون حياتهم على أُسس اسلامية. على سبيل المثال أنهم لا يتناولون إلاَّ اللحوم المحللة، ويستخدمون العوالم الإسلامية في شؤون الفن والتصوير والرسم. لكننا لا نملك أي نفوذ يذكر في مجال الإخراج وانتاج الأفلام السينمائية. وبالنسبة للمدارس الإسلامية فهي مرتبطة إما بالحكومة الأميركية أو بالحكومة السعودية. ومن يعتبر نفسه مسلماً حقيقياً يتعرض للضغوط والملاحقة. وأن أكثر عقائد الزنوج المسلمين، هي اسلامية، إذ قلّما تجد لديهم ميولاً قومية، لأنَّ القوميين وكما تعرفون لا يؤمنون ــ عادةً ــ بالله وبالدين، كما لا يرون أنفسهم محتاجين لنصرة الله. ولما كانت الحركات القومية تفتقر لأُسس قوية، فيمكن ببساطة تغيير القوميين.

إنَّ أكثر عقائد الزنوج المسلمين، هي اسلامية، إذ قلّما تجد لديهم ميولاً قومية.

وقد حدث هذا الأمر بالفعل، على سبيل المثال أن «مالكوم ايكس» و «كريم سيف الله» و «شكورا سادا» و «سوبنود اكولي» كانوا من القوميين، لكنهم اعتنقوا الدين الاسلامي، فأصبحوا قادة كبار للفئات المسلمة من الزنوج.

وبعض هؤلاء قد قُتِلَ، أما البقية فيتواجدون في السجون والمعتقلات، وأن الأخت «شكورا سادا» هي المتحررة الوحيدة من بين هؤلاء.

وكانت الأخت «شكورا» قد حكمت بالسجن لمدة ٣٠ عاماً، غير أن جيش الزنوج الأميركيين حررها بعد خمس سنوات، وهي الآن تمارس نشاطاتها في «سافا».

وتوحد بين الزنوج فئات لجأت الى الكفاح المسلح، وتؤيد المسلمين وتؤمن بالجهاد.

س: كيف ترى القوى الإسلامية في أميركا، وما هي معلومات المسلمين هناك عن الإسلام؟

ج: باعتقادي أن الزنوج يشكّلون المسلمين الأميركيين والذي يدعو للأسف أن الحكومة السعودية تسعى للسيطرة عليهم بوسائلها الخاصة وجعلهم تابعين لها.

وبالنسبة لمعلومات المسلمين عن الإسلام، فانني لا أتمكّن من التحدث حول مدى معرفة هؤلاء بالاسلام. ومع ذلك فان لهؤلاء رغبة شديدة في المطالعات الاسلامية. وانني أتصور بأن بقية الزنوج هم مؤيدون للاسلام، ونحن لا نستطيع أن نفصل بقية الزنوج عن المسلمين، فعندما جاؤوا بنا ــ نحن الزنوج ــ الى أميركا، فرضوا المسيحية علينا، في حين أننا كنا مسلمين، ولهذا السبب يميل جميع الزنوج الى الإسلام، وأننا بحاجة الى وقت كاف لإعادة الإسلام اليهم.

س: ماهي أسباب الجمود الذى يخيم على حركة الزنوج؟

ج: إن السبب الرئيسي يتمثل بانتشار المخدرات، إذ توجد في أميركا حالياً كميات هائلة من المخدرات، إضافة الى الأدوية المخدرة. فهناك على سبيل المثال مادة تسمى «بي-سي-أي» تُصنع في المدارس الموجودة في الأحياء التي يقطنها

الزنوج. وهذا الدواء هو بدرجة من الخطورة بحيث يقضي على خلايا الدماغ حال استعماله، مثلاً يُروى أن شرطية كانت تختبر هذه المادة، فسقطت قطرة منها على يدها، ونفذت القطرة الى دمّها عن طريق الجلد، وبعد عام من ذلك اضطربت صحة هذه المرأة. كما توجد هناك مادة أخرى تسمى بـ«الكوكائين». وفي السابق كانوا يبيعون ملعقة منها ب (٣٠٠) الى (٤٠٠) دولار، لكن هذه القيمة انخفضت اليوم الى (٣٠) أو (٤٠) دولار لكي يتمكّن الناس من شرائها واستهلاكها. أما بالنسبة لمحلات بيع المشروبات الكحولية فهي كثيرة جداً. هذا إضافة الى أنواع الفساد والفحشاء مثل؛ الخلاعة والعلاقات الجنسية المحرّمة وأنواع الممارسات القذرة.

وكانت الحكومة الأميركية خلال عامي ١٩٦٤، ١٩٦٥ تعلم بأنّ القوة العسكرية لا يمكن لها أن تسيطر على حركات الناس وانتفاضاتهم. ولهذا السبب بدأت تشجّع على الفحشاء، وحققت نجاحاً في هذا الطريق، الى درجة أنكم لو ذهبتم الآن الى

■■

الحكومة الأميركية لا تسمح بتدريس الإسلام في المدارس.

■■

أزقة الزنوج لرأيتم الكثير منهم إما في حالة سكر أو يبحثون عن إمرأة لإقامة علاقات غير مشروعة معها.

والمتاجرون بالمواد المخدرة في أميركا يستخدمون الأطفال الصغار لتوزيع مخدراتهم. وطبيعي أن البطالة تلعب دوراً كبيراً في انتشار المواد المخدرة. وهناك معلمون مدمنون على المخدرات، وهذا الإدمان يجعلهم غير قادرين على تدريس الطلاب بالشكل المطلوب. وكل هذه الأمور تُشاهد ــ عادةً ــ في المناطق المحرومة.

إنّ أكثر المعلمين يشجّعون الأطفال على التفكير المادي، أما الدروس الدينية فلا أثر لها في المدارس. ويرجع سبب ذلك الى الدستور، فالدستور الأميركي ينص على أن لا يحق لأي معلم أن يتحدث عن الله. وهذا ما يساعد على انتشار الفساد في المجتمع وآزدياده.

وإضافة الى ذلك بدأ الشذود الجنسي يزداد يوماً بعد آخر، ووصل الى أوجه في مدينة سان فرانسيسكو، الى درجة انه انتقل حتى الى رئيس بلدية هذه المدينة والى عدد كبير من أفراد السرطة وموظفي الحكومة.

ومما لاشك فيه أن منشأ كل هذا الفساد يتمثل بالحكومة الأميركية، إذ أنها تريد الإبقاء على الناس بعيدين عن المسائل السياسية والإجتماعية، والإنشغال بالأمور المادية والقذرة.

إن الشعار الذي تركّز عليه الحكومة الأميركية هو، «من يعمل مُجِدّاً، يصبح غنياً». وبذلك فإن الناس يفكرون ليل نهار بالمال، ويسعون بكل مالديهم ليصبحوا أغنياء.

والحكومة الأميركية لا تسمح بتدريس الإسلام في المدارس. أما الجامعات فهي في الحقيقة دور فساد، لا أماكن للدراسة والعلم، لأن الإنسان يشاهد فيها مختلف أنواع الفحشاء.

والزنوج يفتقرون الى أبسط الحقوق، فعندما نتظاهر ضد الحكومة لممارساتها العنصرية والتعسفية، فأنها تستخدم الجيش والشرطة لسحقنا، وخاصة في المناطق المكتظة بالصهاينة واليهود. ففي تظاهرات يوم القدس التي أُقيمت العام الماضي، توجّهنا الى القنصلية الاسرائيلية، لكنّ أفراد الشرطة هجموا علينا وجرحوا عدداً كبيراً من إخواننا وأخواتنا.

ومن الأسباب الأخرى التي أدت الى جمود نشاطات الزنوج، قتْل القادة أو شراؤهم أو زجّهم بالسجون.

هذه هي أوضاعنا. وان عدداً من قادتنا
يتواجدون خارج السجون، لكنهم مراقبون من قبل ١
الأجهزة الأمنية.

س: جاء في إحدى المقالات المنتشرة أن ٧٠ مليون انسان يبحثون ـ اليوم ـ عن دين جديد لينقذهم من العذاب والمصائب، لأنّ الناس قد جرّبوا المسيحية والكنائس والقساوسة، وفهموا بأنّ القساوسة والذين يديرون الكنائس هم اما أشخاص فاسدين أو عملاء للامبريالية والإستكبار. فا رأيكم بذلك؟

ج: انها الحقيقة بعينها، لأنه ١
يوجد في أميركا ٤٠ مليون زنجي من أصل أفريقي، وما يقارب (٣٠) مليون شخص ملون. وان أكثر الناس قد جرّبوا القساوسة، فالكثير منهم اما عملاء للرأسماليين أو مؤيدين للمستكبرين، كما يعلمون أن القساوسة يقيمون علاقات غير مشروعة مع النساء
ويمارسون أنواع الفساد، ولذلك فهم لا ينخدعون ٢
بهذه البساطة. وهناك وثائق تدين بعض القساوسة الذين أُلقي عليهم القبض وهم منهمكون بالمفاسد. ولقد قرأت في صحيفة «لوس انجلوس تايمز» أن أربعة قساوسة اعتدوا على فتاة لا يتجاوز عمرها خمسة عشر عاماً، وأرسلوها الى الخارج لاسقاط جنينها.

ومقابل ذلك فأن الزنوج يرون المسلمين لا يقتربون من المشروبات ويؤدون فريضة الصلاة ويتطهرون على الدوام، فكيف لا ينفتحون على الإسلام؟

س: كيف يمكن التصدي للأمبريالية الأميركية؟

ج: هناك سبل كثيرة للتصدي للشيطان الأكبر والقضاء عليه. وان العامل الرئيسي الذي يساعد على تقوية الحركة في داخل أميركا وتوجيه ضربات مميتة الى كيان هذا الشيطان، هو محاكمة حكومة هذه البلاد في محكمة دولية بتهمة ارتكاب جرائم مختلفة بحق العالم بشكل عام والزنوج بشكل خاص، ليتبيّن مدى نقض هذه الحكومة لحقوق الانسان.

■■

إنّ الزنوج يرون المسلمين لايقتربون من المشروبات الكحولية و يؤدون فريضة الصلاة ويتطهرون على الدوام، فكيف لا ينفتحون على الإسلام؟

■■

و أول من فكّر بهذا الأمر هو «مالكوم ايكس»، ففي عام ١٩٦٥ طرح «مالكوم ايكس» هذا الموضوع في اتحاد الدول الأفريقية، مما أثار غضب الحكومة الأميركية، ونتيجة لتهديدات السلطان الأميركية انصرفت الدول الأفريقية عن شكواها، غير أن هذه المسألة أدت الى ظهور موجة من الاستياء في أميركا، الى درجة أن الزنوج أقاموا آلاف التظاهرات والمسيرات، أُعتبرت أكبر حركة في تاريخ الزنوج منذ ظهور أميركا.

ونحن نعتقد بأنّ طرح مسألة تجاهل أميركا لحقوق الانسان، يستطيع أن يعبّئ الزنوج للانتفاض بوجه الحكومة الأميركية. كما يستطيع أن يخلق الإضطرابات في داخل الجيش، لأنّ نصف الجيش الأميركي هم من الزنوج.

وأُكرر مرة أُخرى وأقول أن طرح مسألة

تجاهل أميركا لحقوق البشر، يجعل الزنوج يترددون في الإنضمام الى الجيش والقتال في بعض الدول مثل السلفادور ونيكاراغوا وخاصة في منطقة الشرق الأوسط •.

والحكومة الأميركية ترسل الزنوج ــ دائماً ــ الى الخطوط الأمامية لجبهات الحرب، مثلاً أن أكثر المقاتلين في الحرب مع فيتنام كانوا من الزنوج، حيث كانوا يقاتلون في الخطوط الأمامية. لكن عندما انتهت الحرب وعاد الزنوج الى أميركا، لم توفر الحكومة الأميركية أي عمل لهم، حيت كانت تتجاهلهم على الدوام رغم أنهم أعطوا خسائر كبيرة في الأرواح.

نعم، لا يمكن القضاء على الأمبريالية الأميركية إلاّ من الداخل وبواسطة (٤٠) مليون زنجي، فالزنوج ذاقوا شتى أنواع العذاب على يد الأميركيين الفاسدين والشوفينيين. فهؤلاء جاؤوا بنا عنوة من أفريقيا وربطوا رجالنا ونساءنا بالسلاسل، والقوهم في المراكب وكانوا يحصرونهم في مكان معين، دون أن يأبهوا بهم، وبذلك أُصيب الكثير من الزنوج بالجنون، فيما توفي عدد كبير منهم، ويقول بعض المؤرخين أن (١٠٠) الى (١٥٠) مليون افريقي قد قُتلوا في ذلك الزمان، وأُلقيت أجسادهم في البحر، انهم كانوا يبيعوننا مثل المواشي، وكانوا يجبرون رجالنا ونساءنا على العمل منذ الساعة الرابعة صباحاً وحتى منتصف الليل. ومن يتأخر دقيقة واحدة عن عمله، كان يتعرض لتعذيب وحشي. وكانوا يجبرون أطفالنا على العمل دون أن يدفعوا شيئاً لهم. كما كانوا يعتدون على أية أمرأة أو بنت يرغبون فيها... ولذلك فأننا سوف لن نصفح عنهم، سننتقم من الظالمين، لأننا لن نستطيع أن ننسى ما فعلوه بنا...

واليوم فأن وضع الزنوج في أميركا ليس بأحسن من الأمس. ولهذا السبب فأنني أصر على طرح مسألة نقض الحكومة الأميركية لحقوق الانسان وذلك لأهميتها الكبيرة.

منذ عام ١٦٠٩م والحكومات الأميركية تقتل جميع قادتنا أو الفتهم في السجون. ونحن نتقدم بالشكر للجمهورية الاسلامية على طرحها لقضيتنا في منظمة الأمم المتحدة.

■■

نحن نعتقد بأنّ طرح مسألة تجاهل أميركا لحقوق الإنسان، يستطيع أن يُعبّئ الزنوج للإنتفاض بوجه الحكومة الأميركية، كما يستطيع أن يخلق الإضطرابات في داخل الجيش، لأنّ نصف الجيش الأميركي هم من الزنوج.

■■

وتجدر الإشارة الى أن الحكومة الأميركية لا تسمح بنشر أخبار عن العام الاسلامي وخاصة عن الثورة الاسلامية وقائدها الامام الخميني.

إنّ الجمهورية الاسلامية هي الدولة الوحيدة التي تستطيع مساعدتنا وارشادنا، وأننا عقدنا الأمل عليها، كما اننا لن نستطيع أن نجد قائداً مثل الإمام الخميني.

وخلاصة القول انني اعتقد بأن تعبئة الناس بقيادة الإمام الخميني تؤدي الى انهيار الشيطان الأكبر، وان الزنوج سيكونون أول من يسير على خطى اخوانهم المسلمين الايرانيين في هذا المجال.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته •

• مما تجدر الاشارة اليه هنا هو ما تناقلته وكالات الأنباء مؤخراً من محاكمة أحد المسلمين السود من قوات المارينز الأميركيين بتهمة تمرده على الأوامر الصادرة اليه باطلاق النار على المسلمين اللبنانيين.

الحج والعقبات التي تقف في طريقه

الشيخ محمد باقر الأنصاري

«إن أول بيتٍ وضع للناس للذي بمكة مُباركاً وهدى للعالمين * فيه آيات بينات مقامُ ابراهيم، ومن دخله كان آمناً ولله على الناس حِجُّ البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين». (آل عمران: ٩٦-٩٧)

يعتبر الحج أحد أهم المراسم الاسلامية وأكبرها جلالاً، إذ يتضمن أروع الحركات التكاملية الفردية والاجتماعية...

والحركة التكاملية الفردية تتم من خلال عزوف الانسان عن كل مسائله المادية وما يتعلق بحياته الدنيوية، والاتجاه نحو الله والتحرك نحو بيته.. فهو في سفره المعنوي هذا يودع زوجه وأولاده وأقاربه، و يترك بيته ووسائل حياته، حاملاً معه من المؤونة ما يكفيه لتمشية أموره في سفره هذا لا غير. وهذه الحالة توحي للانسان أن يتذكر سفر الاخرة، فهو أيضاً يهدف للقاء الله، ذلك أن هذين السفرين متشابهان تماماً من جهات مختلفة، وأهمها هذا الابتعاد عن الحياة المادية بكل الوجود، والاتجاه نحو الوجود المطلق. والنفس المطلقة واهبة الوجود لكل الموجودات الممكنة التي لا تعبر إلا عين ظل للنور المطلق، ومظهراً للوجود المطلق، وقطرة من بحر الوجود العظيم.

ومن هنا يتبلور بعداً من أبعاد طرح مسألة تطهير بيت الله في آيات الحج، والتأكيد الشديد على أن البيت يجب أن يطهر ليمكن لعباد الله الصالحين أن يعبدوا الله عبادة خالصة، بعيداً عن أي تعلق دنيوي أو مقصد نفسي وشيطاني.. وهكذا نقرأ قوله تعالى:

«وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تُشرك

بي شيئاً، وطهّر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود».

(سورة الحج: ٢٦)

ومن هذه الآية و بقرينة «لا تشرك بي شيئاً» يفهم أن المقصود من الطهارة التي يؤمر بها ابراهيم(ع) هي الطهارة والتنزيه من الأوثان؛ ذلك أنه في عصر ابراهيم(ع) لم تكن الطهارة والنجاسة كما هما عليه بشكليهما المصطلح عندنا. فالمقصود إذن أن بيت الله يجب أن يتم تطهيره من كل آثار الشرك جَلياً كان أم خَفياً، لكي يمكن للعباد أن يحسّوا بأنفسهم وحيدين مع ربهم لا غير، وجاءت آية أخرى لتعطي تعبيراً واضحاً جداً في هذا المجال:

«... وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهّرا بيتي للطائفين والعاكفين والركّع السجود»

(البقرة: ١٢٥)

وفي عصر الرسول (ص) وبمجرد أن تمّ فتح مكة، كان أول عمل يقوم به النبي الأكرم هو الاسراع الى بيت الله الحرام، وحمل علي(ع) على كتفه ليقوم بتحطيم الأصنام و إزالتها من على سطح الكعبة، وتطهير بيت الله للعابدين..

إن هذا يوحي لهؤلاء الذين يقصدون هذا البيت المقدس لأنْ يطهروا كعبة قلوبهم من كل الأرجاس و الأدناس، والهوى النفسي وأنماط الشرك الخفي، بمعنى أن يطهروا قلوبهم من محبة كل الأشياء التي تقف الى جنب حب الله لا في طوله و تبعاً له، وان يقفوا بكل وجودهم في حضرة الله ورحابه.

الحركة التكاملية الاجتماعية:

إن تشريع الحج للمسلمين في شهر معين و أيام معينة منه، يدل بلاريب على حقيقة مهمة هي أن الحج ليس مجرد عمل عبادي بسيط فردي، وإنما هو عمل إسلامي جليل، ومؤتمر عظيم شرِّع لتحقيق الترابط الأخوي بين مسلمي أنحاء العالم من أي عنصر أو لون أو قومية كانوا.

ولو كان الهدف من هذه العبادة الكبرى مجرد التكامل الفردي ــ بالشكل الذي أوضحناه ــ لاكتفي بقيام أي مسلم خلال السنة ومتى شاء بزيارة بيت الله تماماً كما نجده في عمرة التمتع مثلاً حيث يستطيع الانسان أن يحصل على هذا الشرف في أي وقت شاء.

فحجة الاسلام ــ على هذا ــ تستهدف بالاضافة للتكامل الفردي المذكور ــ التكامل الاجتماعي للأمة الإسلامية في أنحاء العالم. لذا نجد التعبير عن الحج في آية شريفة أخرى بكونه «قياماً للناس» وهو يعني معنى النهضة والتحرك الاسلامي العام، حيث يقول تعالى:

«جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس...» (المائدة: ٩٧)

وجاء في آية اخرى:

«وأذّن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامرٍ يأتين من كلّ فجٍّ عميق».

(الحج: ٢٧)

ويمكن أن نستفيد بكل وضوح من هذه الآيات، الطبيعة الاجتماعية للحج. وهناك عنصران لهما أهميتهما في مثل هذه الحركة الاجتماعية:

أحدهما :

تعرّف المسلمين من أنحاء العالم على بعضهم، وتقاربهم وتحقق الأخوة الواقعية المستلهمة من قوله تعالى:

« إنما المؤمنون إخوه...»

(الحجرات: ١٠)

والثاني:

طرح المسائل الاجتماعية والسياسية وبحثها في هذا المؤتمر المهم، والاهتمام بالشؤون المتعلقة بمجموع الأمة الاسلامية. تماماً كما رأينا الرسول الأعظم يطرح— في حجة الوداع— المسائل المهمة على الأمة الاسلامية.

وإذا تمّت الاستفادة الكاملة من هذا المؤتمر العظيم بهذا الإتجاه الخاص، فإنّ الكثير من المسائل المعقدة إجتماعياً سوف تأخذ طريقها الى الحل عبر التعاون الاسلامي العام، و يصل المجتمع الاسلامي الى عزته وعظمته اللائقين به.

الى هنا نكون قد أشرنا بشكل مختصر قصير الى الأهداف الفردية والاجتماعية للحج. فمن اللازم إذن أن نتعرض للموضوع الأصلي لهذا الحديث، وهو العقبات التي تقف في وجه الاستفادة الصحيحة من الحج.

العقبات

ما أستطعت أن أصل اليه في هذا المجال، هو أن هناك عقبات كبرى ثلاث تقف في وجه الاستفادة الصحبحة من الحج، الأمر الذي ألمني كثيراً وأنا أقوم بأعمال الحج و مناسكه.

وها أنا ذا أقوم بطرح هذه الموانع، علماً بأنّ هناك موانع أخرى هي أهم منها بلاريب، من مثل:

(١)— هذه الفكرة الاستعمارية التي يبثها عملاء الاستعمار في أذهان المسلمين، وهي فكرة فصل الدين عن السياسة، وحصر العبادة في المساجد، وترك الحياة للقوانين الوضعية والمستوردة.

وهي فكرة خطيرة يرفضها الاسلام جملةً وتفصيلاً.

(٢)— جهل المسلمين بكثير من الأهداف الاجتماعية السياسية للحج، ونظرتهم اليه كعبادة فردية انعزالية، مما يؤدي الى عدم استفادتهم الكاملة من هذه المراسم الكبرى.

ولكن الذي دعانا للتركيز على مايلي من أمور هو شيوعها و صيرورتها مألوفة عادية لدى المسلمين، حتى عادوا لايرون أي حرج في ذلك، مما دعى للتنويه بها و توضيح خطرها لهم.

الأولى:

نشاهد اليوم من أن مكة والمدينة وخصوصاً أطراف المسجد الحرام و مسجد النبي(ص) قد تحولتا الى سوق عالمية لعرض بضائع دول الاستكبار العالمي والدول الدائرة في فلكه، بحيث أن الحجاج أي طريق سلكوا، وأي شارع ساروا باتجاه المسجدين، جلبت أنظارهم تلك المحلات والمعارض الضخمة المليئة بالبضائع الأمريكية واليابانية والفرنسية والالمانية، والصينية، والانكليزية و غير ذلك.

وربما صرف الحجاج ساعات و ساعات ـ خصوصاً النساء ـ من أوقاتهم في مثل هذه الأسواق. بضائع متنوعة ورخيصة نسبياً، وتشمل كل ما يرتبط بالانسان من قريب و بعيد، فتبدأ من الخواتم والبوصلات وما يرتبط بالعبادة، الى وسائل التجميل والكماليات النسائية، ومن الأقمشة وحتى الوسائل الصوتية المتنوعة كلها تجلب اليها أنظار الحجاج من أي فئة كانوا وحتى العباد والزهاد فتشكل بذلك أحد أكبر الجهات الشيطانية والموانع الكبيرة في وجه الاستفادة الأكمل من عملية الحج الواقعي.

وانـنا نجد هذا على العكس تماماً مما طلبته الآية الشريفة التي صدرنا بها هذا البحث حول «التطهير» لهذه الأمكنة المقدسة. ألا يجب علينا أن نطهر هذه الأراضي المقدسة من درن هذه الأصنام الخداعة؟ ألا يشكل هذا عاراً على الأمة المسلمة، إذ تمتلىء أسواقها ببضائع الشيطان الأكبر وتوابعه، و يلوث الحج وهو العبادة المهمة بمثل هذه الأنماط من الاشراك ؟ لماذا لا يقوم المسلمون في أقطارهم باختراع الآلات الصناعية والحصول على أكثر الأمور التقنية تقدماً حتى لا نحتاج في موسم الحج الى هذه النفايات التي يبعثها الينا الأجانب والكفار المعادون للاسلام؟

إن الجواب على هذه الأسئلة يجب أن يدرس في نفس المؤتمر الاسلامي العظيم، إلا أن المؤسف أننا نجد في كل عام عشرات الألوف من الحجاج يشتركون في هذا المؤتمر ولكنهم لا يستفيدون منه مثل هذه الفوائد.

انني أستطيع أن أقول بكل جرأة، أن هذه المسألة في الحج تعبّر عن تخطيط حسب له حسابه من قبل أعداء الاسلام والمسلمين، انهم خططوا لهذا العمل كي يفقد الحج روحه المطلوبة، باعتباره العمل الذي يستطيع أن يهز الدنيا و يصنع التلاحم الاسلامي العام... نعم ملأوا مكة بأصنام هي في الواقع أسوأ من أصنام عصر النبي(ص) و عصر ابراهيم(ع) واضعين إياها في قبال أنظار المسلمين.

وعلى أي حال؛

فإنّ هذه المسألة لا تؤدي الى مجرد فقدان الحج قدسيته فحسب، بل الى اتجاه مليارات الدولارات من أموال المسلمين المستضعفين بهذا الأسلوب الى جيوب أصحاب المعامل الاستعمارية والرأسماليين الجشعين

والشركات الأجنبية المعادية للاسلام.

ترى ما هو التبرير الذي يقدمه خدام الحرمين الشريفين لأقبح ظاهرة في تاريخ الاسلام؟

ثانياً:

عُمْر الحجاج وهو أحد المسائل التي تلجئ الانسان للتأمل إذ اننا نجد عادة أولئك الذين قطعوا عمراً طويلاً فهم يعيشون آخر سنين حياتهم يبدأ لديهم التفكير في الحج، ولا همّ أو غمّ لديهم إلا الطواف في هذه الأماكن المقدسة، ومجرد قراءة القرآن واداء الصلوات الواجبة والمستحبة.

ومن الطبيعي أن حركة اجتماعية سياسية كبرى بالشكل المتناسب مع هذا المؤتمر العظيم، لا يمكن أن يصنعها هؤلاء الشيوخ الطاعنون في السن... أنهم قد لا يدركون المشاكل والمسائل التي تطرح في العالم الاسلامي والأمة الكبيرة ذات المليار مسلم، ولا يقدرون على تحليل المسائل السياسية وتشخيص المؤامرات التي تحاك كل يوم من قبل القوى العظمى والصهيونية العالمية ضد المسلمين المستضعفين هنا وهناك

ولذا فإنّ الحج لا يوجب أي هلع للاستكبار العالمي... أنهم يعيشون مطمئني البال في البيت الأبيض والكرملن و غيره بعد أن قبضوا على مقاليد أمور المسلمين وأقطار العالم الثالث، فهم يديرونها كما يشاؤون أبقوا المسلمين ضعافاً ونهبوا نفطهم وثرواتهم وذخائرهم، فلا يحسون بوجود أي عقبة في طريقهم.

ولكي يتم رفع هذه العقبة، وحل هذه المشكلة فأننا نرى لزاماً أن ينشر الوعي الاسلامي في الأقطار الاسلامية، و ينهض العلماء والقادة المسلمون بمهمة نشر هذه التوعية وخصوصاً بين الجيل الشاب، موضحين أهمية الحج وأهدافه السامية بشكل دروس عامة، وذلك لكي يبادر الشباب المسلم الملتزم نحو الحج فيحققوا بذلك أهدافه السامية.

ثالثاً:

يمكن اعتبار الحياة المرَفهة والأكل والشرب الكثير والمتنوع، أحد آفات الحج الصحيح.

أننا قد نجد بعض الحجاج يسكنون الفنادق الضخمة، ويتناولون خير الأطعمة صباحاً وظهراً وليلاً بما يتخلل ذلك من فواكه ــ ولا نريد أن ندعو هؤلاء لاختيار الأماكن القذرة، وعدم الاستفادة من الوسائل الحديثة، وانما نريد منهم مراعاة حالة الإعتدال، ذلك أن طلب الرفاه والسعة والتنعم المفرط يبعد الأنسان عن معنويته، ويحوله في هذا السفر الى مجرد سائح... على أن الأغذية المتنوعة والتخمة توجب تعب الانسان وثقله ونومه نوماً عميقاً، وهي أمور تفقد الانسان ــ خصوصاً مع ملاحظة جو الحجاز ــ اقباله على العبادة، وأي نشاط فردي أو اجتماعي، فيجب أن يلتفت الحجاج الى هذه الملاحظة، لكي لا يفقدوا الحج روحه.



كتاب في مقال

الاسلام وايران

تأليف: آية الله الشهيد المطهري
عرض وتلخيص: محمد العباسي

عملت منظمة الإعلام الإسلامي، في الجمهورية الإسلامية، على ترجمة العديد من الكتب والكراسات الى اللغة العربية، لمفكرين وكتاب ايرانيين، معروفين، على رأسهم المفكر آية الله مرتضى المطهري، سعياً وراء نشر الثقافة الإسلامية، والكلمة الهادفة.

وقد حصل آية الله الشهيد مرتضى المطهري، على الحصة الكبرى من برنامج الترجمة والطبع، لما لكتبه من أهمية عند الشباب المسلم في العالم، إضافة الى سعة بحوثه وتنوعها... **فالمعروف عن المطهري، عمق اطلاعه، وكثافة علمه، وثورية قلمه... علماً بأنّ كتاباته التي اشتهرت وانتشرت، قبل الثورة الإسلامية في ايران، في مختلف المدن الإيرانية**، ساعدت على نشر العلوم الإسلامية المحققة، والمستفيضة، والأفكار النيّرة، فأثمرت عن نشوء أذهان متقدة، وشباب مؤمن، ووعي ثاقب للأحداث الجارية في العالم وفي مراقبة النظام، ومظالم وشكاوى الشعب.

كان المطهري مفكراً، مجتهداً، فقيهاً، عالماً، مجاهداً، صارع الكفر وأركانه، وبذل العرق والدم في سبيل الإطاحة بصروحه، وعن كلماته وكتاباته، انها تجمع قوة المتن الى سلامة المعنى، وروعة الأدب الى وضوح الفكرة، وجمعه للعمق والبساطة في آن واحد... كما أنها مليئة بخلاصة بحوثه وتجاربه واستنتاجاته، فكتاباته تنضح تجارب ونصائح وارشادات، ومليئة بالعطاء. وبسبب هذا نصح الإمام الخميني الشباب المؤمن بمطالعة كتب الشهيد المطهري فأنها تغني عن كتابات وبحوث واستقصاءات كثيرة، باعتبارها خلاصة تجميع سنوات طويلة، وثمرة أتعاب مجهدة.

ونحن هنا نطلب من القارىء المحترم السعي لاقتناء ومطالعة كتب العالم الشهيد ليغني ذهنه، ويشبع طموحه، وتسلم نظرته، وتسمى بصرته.

علما بأن كتب الشهيد التي طبعتها «منظمة الاعلام الاسلامي» هي:

١ ــ الاسلام و ايران (بجزئين).
٢ ــ الدوافع نحو المادية.
٣ ــ الرؤية الكونية التوحيدية.
٤ ــ التعرف على القرآن الكريم.
٥ ــ الهدف السامي للحياة الإنسانية.
٦ ــ القضاء والقدر.

و الكراسات:

١ ــ التكامل الإجتماعي للإنسان.
٢ ــ التفكير في التصور القرآني.
٣ ــ الدعاء.

و الملاحظ، أن تلاميذ ومطالعي كتابات الشهيد مرتضى المطهري، يمتازون بالفكر الصائب، وغزارة العلم، فيا حبذا لو انتشرت أفكار، وآراء، وتجارب، وارشادات ونظرات المطهري الثورية في جميع بلدان العالم الإسلامي، كي تسقط وتقبر اليد الإستعمارية

التي اغتالت ذلك العالم المفكر، في محاولة منها لانهاء فكره وآرائه، المضادة لثقافة التجزئة والرؤى المنحرفة...

وفي هذه الأسطر سوف نتناول كتابه (الإسلام وايران) بجزأيه، في الجزء الأول يخصص المفكر الشهيد نصف الكتاب تقريباً لمسألة القومية، إذ يبحثها بحثاً يجمع الى جانب العمق جانب البساطة، فيتناول السابقة التاريخية للقومية والروابط التي تدّعيها القومية على أنها الروابط المتينة بين أفراد الأمّة والتي على ضوئها يعرّفون القومية وهي الوحدة اللغوية، والوحدة العنصرية ووحدة التقاليد، والوحدة الإقليمية والطبيعية، يعمها بالكلام عن الحدود الحقيقية والآلام المشتركة، وعوامل الوحدة الصادقة غير الطارئة ولا المستوردة، فيقول: **إنّ مفهوم القومية نشأ بهذه الصورة المتداولة فعلاً في العالم منذ أوائل القرن التاسع عشر الميلادي في المانيا وعلى أنها جاءت كرد فعلٍ على الثورة الفرنسية الكبرى التي يطلق عليها بالثورة القومية أو الثورة المؤججة للروح القومية...**

فالألمان بعد أن استقبلوا مبادىء الثورة الفرنسية بحرارة وعلى رأسهم الفيلسوف الألماني (فيخته) سرعان ما علموا بأنّ مبادىء الحرية المدعاة من قبل الثورة تختص بالفرنسيين أنفسهم، وأنه ليس للألمان فيها أي نصيب، فأعلن فيخته عن (الوحدة الألمانية) على أنها وحدة واقعية لا تفكك فيها وأن لها بخصائصها العنصرية والجغرافية واللغوية والثقافية والعرفية والأخلاقية نبوغاً ذاتياً واستقلالاً ومكانة خاصة بها، وهكذا وجدت القومية الألمانية، التي أصبحت فيما بعد أطروحة القومية في العالم...

ويتكلم عن ردود فعل الثورة الفرنسية في القرن التاسع عشر على أنها ثلاثة تتمثل في:

١ ــ ردُّ الفعل القومي.
٢ ــ ردُّ الفعل المحافظ.
٣ ــ ردُّ الفعل الإشتراكي. (ص ٢٣)

وعلى أن بعض الفلاسفة قد عدّوا ردي الفعل الأول والثاني منحرفين عن الأصول، مضادّين للثورة، وادّعوا أن الثالث هو المعتدل من الردود.

ويقول المفكر الشهيد: **أنّ الوجدان الجماعي أو الإحساس القومي لا يوجد من أوضاع اقليمية وعنصرية ولغوية وآداب تاريخية وثقافية مشتركة، لأنّ دور هذه العوامل في تكوين ذلك الوجدان الجماعي ليس دوراً أساسياً وعقائدياً بناءاً...**

وحين يتكلم عن الوحدة اللغوية يقول: **أن اللغة المشتركة هي في أولى مراحل تكوين الأمّة، عامل لتعارف واقتراب الأفراد بعضهم من بعض وارتباط القلوب والعواطف، وبالتالي فهي مربية للشعور الجماعي، فالقومي، ولكننا إذا راجعنا ماضي الأمم وقارنّاه بحاضرها، لوجدنا أن اللغة المشتركة ليست عنصراً مقوماً لقومية الأمّة، بل فرعاً من قوميتها. إذ لم تكن لغة أية أمة منذ تكوينها على ماهي عليه الآن، بل أنها إنما وجدت بوجود الأمم واجتماعها بعضها مع بعض وارتباط قلوبها في رقعة معينة من الأرض... وإنْ كنا نرى أن اللغة ظهرت في أدوار معينة من تاريخ أمة ما، كدور الكفاح التحرري إنما هو ظهور مؤقت ليس له إلاّ دور الدافع لجماهير الأمة الى الكفاح.**

وفيما يخص الرابطة الثانية المتمثلة في الوحدة العنصرية (ص ٢٦) التي يدّعيها القوميون يقول: **أن التحقيقات التاريخية والدراسات التحليلية في المجتمعات البشرية أثبتت أن بإمكان جميع العناصر والدماء البشرية أنْ تتمتع بجميع الخصائص الإنسانية عند توفر الشرائط الإجتماعية والأخلاقية المعينة،** ويذكر لذلك مثل العرب الذين كانوا قبل الإسلام مجموعة نزعات عصبية وحروب قبلية وخرافات جاهلية، ولكنهم بعد ظهور الإسلام في شبه جزيرتهم ومعه التوحيد والدين والتحف الاخلاقية والعدالة الاجتماعية، وجدوا نفس الخصائص التي لا تؤمل إلاّ من أرقى الأمم وأكثرها تمدناً وحضارةً... وبأنّ

نفس الخصائص السابقة عادت للظهور على المسرح العربي بعد تعاونهم بنفس تلك الشرائط الأخلاقية والنظم الاجتماعية التوحيدية في الاسلام... والله سبحانه و تعالى يقول:

«وكنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم».

وعن وحدة التقاليد يقول: **إنها مع الثقافات والمعارف العامة، إنما هي من آثار الحركات الواعية للإنسان السابق، ولولم تكن هناك علاقات بين الماضي والحاضر، لم تكن هذه التقاليد تنقل من جيل الى جيل، وبذا تكون التقاليد القومية الموجودة هي من نتائج القومية لا من أُسسها ومقوماتها.**

و مثلما قال حول اللغة والوحدة العنصرية والتقاليد، يقول الشيخ الشهيد عن الوحدة الإقليمية والطبيعية على انها؛ **ليست من أُسس وعوامل القومية ذات الأصالة الدائمة**، ويورد أمثلة على ذلك بشبه القارة الهندية، إذ تعيش الأُمة المسلمة الى جانب الأُمة الهندية على أرض واحدة، ولكن لا توجد بينهما علاقات جماعية واجتماعية تحكي عن أُمة واحدة أبداً، بل توجد هناك اختلافات جذرية بين الأُمتين...

وبعد أنْ يفنّد الشيخ مزاعم القوميين الغربية يأتي على ذكر الحدود الحقيقية (ص ٣٣) التي تربط الأُمة مع بعضها، فيذكر الآلام المشتركة وأثرها في توحيد الناس في أُمة واحدة على أن الإحساس بالألم العام والمشترك هو الذي دفع الأُمة الألمانية للاتحاد ضد تدخل الفرنسيين فيهم بالتميز والطبقية، وكذلك الأُمة الهندية والصينية... فالألم والأمل هما اللذان يعدان وجدانهم الجماعي بالقوام والدوام الأكثر فالأكثر، ويوجدان بينهم علاقات و روابط قلبية ووحدة قومية.

وبأنّ الدواعي في العمل الجماعي ضمن أُمة للقيام بثورة تستند على عنصرين مشتركين، هما؛ أولاً: الإحساس بالظلم وسيطرة الإنسان على أخيه الإنسان، وثانياً: الإشتياق الى الحق والتحرر الفكري...

ولما كان الإيمان الكامل بحكومة الحق والعدل هو السبيل الى أنْ لا يجد الظلم فرصة للانتشار بسبب وجود الجهاد بالمال والنفس:

«يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم. تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلك خير لكم إنْ كنتم تعلمون».

إذن فأن العامل الأساس في الوجدان الجماعي المشترك هو: الايمان بالله وهو الذي حرّك المسلمين ودفعهم لسوح القتال والإنضواء تحت حضارة إسلامية شاملة.

وبعد أنْ يتكلّم عن القومية ومنشأها، ويوضح ويفرز الروابط القومية الطارئة عن الأصيلة، يأتي على ذكر ثلاثة فصول تتمثل في:

١ ــ الإسلام والقومية الإيرانية.

٢ ــ مُعطيات الإسلام لإيران.

٣ ــ خدمات الايرانيين للإسلام والمعارف الإسلامية.

بعد أنْ تكلم عن القومية بشكل شامل في الصفحات الأُولى، يتكلم هنا عن القومية اليوم وأثرها على القومية الإيرانية وعلاقتها بالمجتمع، والإسلام والقومية وجوانب حية أُخرى...

حول موضوع «القومية اليوم» (ص ٥٠) يذكر آية الله المطهري أثر القومية على الشعوب الاسلامية العربية والتركية والفارسية ومحاولاتها المستمرة في شق الصف الاسلامي الى قوميات مختلفة متضادة... وعن هؤلاء الذين يعملون في ايران بأسم القومية الفارسية ويدعون لإحياء المجوسية وتمجيد الملوك والقادة السابقين للإسلام على حساب الشريعة الإسلامية ورجالات الاسلام.

حول القومية والإسلام يقسّم البحث الى قسمين:

الأول: في مقياس القومية يعني: ما هو ملاك أنْ نجعل الشيء داخلاً في قومية أُمة أو خارجاً منها؟

الثاني: هل أن الإسلام ــ وفقاً لهذه المقاييس

وطبقاً للقومية الإيرانية ــ شيء منها أم أجنبي عنها؟

فيأتي على تعريف الملة على أنها كلمة عربية جاءت في موارد كثيرة في القرآن الكريم منها: «**ملة ابيكم ابراهيم**» و «**اتبعت ملة آبائي**». وبذا فالملة في القرآن الكريم هي المجموعة الفكرية والعلمية والطريقة العملية التي يجب على الناس العمل بها وعلى طبقها، وعلى هذا يكون الدين والملة بمعنى واحد... وبأنَّ كلمة الملّة قريبة من كلمة «المدرسة الفكرية» في المصطلحات الحديثة.

وحول استخدام ذلك المصطلح في الفارسية يقول بأنه يُستخدم بدل كلمة امة التي لها وحدة اجتماعية وسوابق تاريخية واحدة وقوانين وحكومة واحدة وآمال مشتركة، وأحيانا تُقسّمُ الأمة الى طبقتين: **حاكمة ومحكومة**، الحاكمة تسمى بالدولة، والمحكومة تسمى بالملّة... وبذلك يكون استخدامه الشائع استخداماً مغلوطاً.

وعن القومية والمجتمع (ص ٥٥) يذكر اختلاط الأقوام والشعوب مع بعضها وهجرتها المختلفة الى هنا وهناك بحيث لا يمكن الآن فصل الدماء والعناصر بعضها عن بعض، وأن دعوى الفصل تعتبر خرافة في القرن العشرين، إذ أن العنصر الآري والسامي وغيره اختلط مع بعضه الأمر الذي يعني أن كثيراً من فُرس ايران اليوم أصلهم من العرب أو الترك أو المغول... وأن كثيراً من المتشدقين بالعروبة اليوم هم من أصل ايراني أو تركي أو مغولي.

وعن الإسلام والقومية، يقول: **من المسلَّم أن لا اعتبار في دين الإسلام للقومية بهذا المعنى المصطلح اليوم بين الناس.**

وبأنَّ: الإسلام دين عالمي ودعواه عالمية وغير منحصر في أُمة معينة: «**يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأُنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم**» وبأن: **مقاييس الإسلام انسانية لبني الإنسان وتعتمد التقوى وليس شيئاً آخر: «إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم».**

ويذكر الشهيد في ذلك السياق شيئاً حول (الشعوبية) تلك الحركة التي نشأت في زمن الخلافة العباسية رداً على العصرية العربية وبأنها كانت حركة مطالبة بالمساواة «**وجعلناكم شعوباً**» وحركة اسلامية رغم ظهور بعض التواذ فيها.

وحول اسلام الفرس (ص ٧٠) يذكر بأنه **قد مرَّ اليوم أربعة عشر قرناً منذ أن ترك الإيرانيون عقائدهم السابقة ليتقبلوا دين الإسلام، وبأن ايران فتحت في زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، والتحقت يومها جموع الشعب بنهج «سلمان الفارسي» وانضمت الى بقية الفرس من سكنة اليمن الذين اعتنقوا الإسلام في زمن الرسول (ص).**

ومنذ أن اعتنق الإيرانيون الإسلام وهم يجاهدون في سبيل اعلاء كلمته، ونشر رايته. ومن خدماتهم الجليلة للإسلام نشرهم له في الدول الشرقية والجنوبية الشرقية كشبه القارة الهندية وباكستان وكشمير وبنغلادش والبنكال وتركيا والبلغار والقفقاس وطاكستان وطاشقند وافغانستان والصين والتبت وماليزيا واندونيسيا وجزر المحيط الهادئ.. كل ذلك من آثار النشاط الاسلامي للايرانيين الذين حملوا الاسلام معهم عن طريق التجارة والسفر الى أقصى نقاط آسيا... إضافة الى نشرهم الإسلام في الدول الأفريقية الغربية والشمالية وفي القارة الأوربية وآسيا الصغرى.

وعن الفرس الساكنين في اليمن (ص ٧٦) يذكر جهادهم للإسلام وبقاؤهم على ايمانهم في حروب الردة، الأمر الذي دفعهم لقتل (الأسود العنسي) بيد فيروز الفارسي وعودة صنعاء الى حضن الإسلام...

وبسبب ذلك ولي أبوبكر (فيروز) على اليمن الذي حارب المشركين في الردة الثانية.

ويواصل الشيخ الشهيد حديثه عن إسلام الفرس وتضحياتهم للإسلام فيفرد باباً لدخول ايران في المذهب الشيعي مذهب آل بيت النبوة. ويتناول أقوال

وآراء المستشرقين حول استمرار تعلق الإيرانيين باعتقاداتهم السابقة تحت راية التشيع ويفندها الواحدة بعد الأخرى بسبب عدم اعتمادهم على دليل مقنع، إذ يقول: إنّ (يزدجرد) آخر الملوك الساسانيين لم يعره الإيرانيون أي اهتمام بعد هزيمته ولجوئه اليهم بينما نراهم يذوبون في أئمة آل البيت، وبأنّ الفرس لم يكونوا مجبرين على دخول الإسلام، وإلاّ لكانوا قد ابتعدوا عنه حين حصولهم على الإستقلال السياسي لايران.

وان أمهات الأئمة المختلفات القومية لهن كرامة متساوية عند الفرس دون النظر الى الأصل والعرق الذي تنحدر منه، و بذا لا يكون للسيدة (شهربانويه) زوجة الإمام الحسين (ع) أي أثر على تشيع الفرس... بالإضافة الى أن قصة زواج تلك السيدة من الإمام الحسين (ع) مشكوك فيها تاريخياً.

كما أن كُتّاب ومؤرخين كثيرين أيدوا دخول الإيرانيين لمذهب التشيع بصورة طبيعية دون مؤثرات جانبية.

معطيات الإسلام لايران:

ثم ينتقل المفكر الشهيد الى روضة أخرى في كتابه طارحاً عدة أسئلة فيما إذا سبب الإسلام ظهور ناس من ايران في عوالم العلوم والفلسفة والمعارف والفنون والصنائع والأخلاق بحيث تحسن سمعتهم ويعلو صيتهم في العالم؟ وهل حرّر الإسلام ايران من براثن السلطة الحاكمة الغاشمة، أم أن الإسلام استعمر ايران؟

يقول الشهيد: **من البديهي أن المعطيات لا تكون كقضاء حاجة وقتية كأنْ يرسل لها المدد في حربها مع أعدائها، أو أن يغدق عليها الطعام في قحط من السنين أو أنْ يؤسس لها المصانع والمعامل... أنها تكون بأيجاد ثورة مثمرة ومفيدة في أفكارهم وأرواحهم، وبتحديد أسلوب تفكيرهم في نظرتهم الواقعية وبتحسن أخلاقهم وتربيتهم تربية حسنة، وبأنْ يضع عنهم أصرهم والأغلال التي عليهم من السنن والأنظمة البالية، وأنْ يبدلهم عنها بأنظمة حية وسنن يقظة واعية، وأنْ يعلمهم أهدافاً سامية، وأنْ يوجد فيهم روح السعي وطلب العلم، ونسيان الذات والبرّ الى الآخرين...**

ويقول: **إنّ التحقيق في هذا البحث التاريخي الإجتماعي والديني يستلزم أنْ نتصفح تاريخ ايران المقارن لظهور الإسلام، وأنْ نحقق في الأنظمة الفكرية والإعتقادية والإجتماعية والسياسية والعائلية والأخلاقية...**

وفي معرض استناده على كلام بعض المحققين السابقين يذكر شيئاً من كتاب الدكتور تقي زاده جاء فيه: «جاء الإسلام بدين جديد له محاسن وأصول عادلة وقوانين منتظمة، وقد بعث انتشار الإسلام في ايران روحاً حية وقوية أثرت في حصول مطلبين آخرين في هذه الديار الإيرانية:

أحدهما: دخول اللغة العربية الثرية والغنية الى اللغة الفارسية. وأن الشعراء؛ سعدي وحافظ وناصرخسرو خير مثال للناطقين بها في المجالات العلمية والأدبية.

وثانيهما: هي تلك العلوم والمعارف والحضارات الغنية الرائعة التي انتشرت بين المسلمين العارفين باللغة العربية ومنهم الايرانيين عن طريق ترجمة الكتب اليونانية والسريانية والهندية الى اللغة العربية.

ولقد كان من أثر هذه الترجمة العربية عن اليونانية أن انتشرت الحكمة والعلوم والفنون بين أوساط الممالك الإسلامية خصوصاً ايران، مما أثر في ظهور عشرات العلماء من أمثال ابن سينا والفارابي والبيروني والرازي وغيرهم كثير ومعهم عشرات المئات من تأليفاتهم الهامة (التي كان ٩٩٪ منها بالعربية)... وبأنّ الإسلام بعث في الأمّة الإيرانية روحاً جديدة... وبأنه هو الذي مهّد سبل انفتاح افكار أدبية وحكمية وأخلاقية من قبيل ما نجده عند سعدي وناصرخسرو وحافظ، وانفتاح أفكار فلسفية وطبية ورياضية من قبيل مانراه عند ابن سينا والفارابي والرازي والبيروني وغيرهم.

وذكر ما قاله السيد زين العابدين الذي قال: ان

ظهور الإسلام في الجزيرة العربية لمن أعظم الثورات في تاريخ الإنسانية.. وان التغييرات والتطورات العميقة والعجيبة التي أوجدها الاسلام في مجتمعات تلك الأمم بعنوان السنن الدينية الجديدة لمن الرموز العجيبة في حياة البشرية.. ولم تبدل هذه الثورة تلك الجزيرة فحسب، بل وجاءت بأفكار وفلسفات كانت حديثة على أمم تلك الدولتين المجاورتين (ايران والروم)...»

أما آية الله المطهري فيقول: «لا شك أن الإسلام قدّم لإيران نظاماً فكرياً واعتقادياً جديداً، وقد طرح الشعب الإيراني جميع معتقداته وافكاره السابقة وتقبّل الإسلام، ولم يكن هذا القبول والإنتقال فورياً، بل تدريجياً، ونرى أن ذلك كان على عهد استقلال الفرس عن العرب بصورة خاصة».

ولا ننسى ان نقول ان الشهيد يذكر في كتابه أقوال كثير من المستشرقين في كل موضع، ومحاولاتهم المستمرة في التشكيك بكل ما لدى المسلمين، وعدم أصالة علومهم... ويمجّد في نفس الوقت ببعض الأقوال الصحيحة لهم.. وهو لا يقول شيء إلاّ ويؤيده بما ذكره المؤرخون الثقات، كما أنه يكثر من ايراد نصوص مما كتبه المسلمون الإيرانيون في هذا المجال.

وفي معرض ذكره للأديان والمذاهب السابقة للإسلام يذكر عبارة المرحوم سعيد نفيسي: أن أهم أسباب تردّي الأوضاع الإجتماعية والسياسية في ايران على عهد الساسانيين هو عامل الإختلافات الدينية والمذهبية، ويدّعي ان الإجحاف الذي كان يعمله الموابدة الزرادشتيون كان عاملاً هاماً لظهور هذه المذاهب المختلفة من الدين الزرادشتي وظهور السخط والكراهية للدين أو للمذهب الرسمي للدولة، ويقول: كان لرجال الدين: الموابدة صلاحيات مخولة غير محدودة لاسيا الموابدة والأئمة الكبار، فبناءاً على المقررات السياسية لذلك العهد لدى البلاط الساساني، فقد كان لهم حق النقض والنسخ والجرح والتعديل والتفسير في الأحكام المدنية، أي الزواج والأرث والملكية، وكان كلّما ترسخت الحضارة الساسانية يضاف الى قدراتهم واختياراتهم. وكان شعب ايران كلّما يرى ضغطاً وعدواناً عليه يبرأ ويتنفر من هؤلاء أكثر فأكثر، ويحاول أن يطلق كاهله من تحت هذا الحمل الثقيل...

ويلمح الشهيد الى نشوء الزرادشتية بسبب ذلك الوضع على أنها الدين الأحسن بين تلك الأديان، ويذكر أيضاً شيئاً عن اليهود وسكنهم لخوزستان بعد سبي كورش لبابل، وحول نصارى ايران بأنهم من سكنة النواحي الغربية الإيرانية، وقد بنوا لأنفسهم كنائس معتبرة في النواحي الشرقية والغربية من نهر الفرات، وقد توغل هؤلاء شيئاً فشيئاً داخل ايران ثم الى ماوراء النهر ومن هناك توغلوا الى الصين.

وعن الديانات الأخرى السابقة للإسلام يذكر أصحاب الطريقة المانوية (ص ٣٧) والمزدكية والبوذائية، بأنّ الاولى ظهرت عام ٢٢٨ للميلاد تسعى لتزكية النفس وتطهيرها باطناً وظاهراً وتصفية الأخلاق... وبأنه دين مبطن ومعقد من ناحية العقائد والمناسك التي يدعولها. وبأنّ المعروف عنه انه عبارة عن عناصر دينية زرادشتية ومسيحية وبوذية بالإضافة الى بدع من ذات أصحاب المذهب..

الطريقة الثانية أعلن عنها في ايران حوالي عام ٤٩٧ للميلاد، والمزدكية يقول عنها كريستن سن: الأصل عند هذه الطائفة ــ كما في المانوية هو تقليل علاقة الإنسان بالماديات والحذر مما يقوي هذه العلاقة المادية، ولهذا فقد حرموا أكل اللحوم واتبعوا في طعامهم قواعد معينة تبتني على رياضة روحية.

ويقول الشهيد المطهري: إن الأنظمة الإجتماعية لإيران يومئذ كانت أو كوّنت أرضية مساعدة لنمو أمثال هذه الأفكار الإشتراكية.

أما الطريقة الثالثة فقد كانت تجاور ايران من نواحي الشمال الشرقي، ومن ناحية أخرى تجاور حدود الصين، ويطلق على معتنقيها «البوذيين» وهؤلاء

حاربوا العرب عشرين عاماً دفاعاً عن أراضيهم، على خلاف سائر الأمم الإيرانية...

وتكلم أيضاً عن زعيمهم بوذا المؤسس للديانة البوذية (ص ٤٥) واعتزاله للنعم والترف والإتجاه للرياضة الروحية على أثر ثورة روحية لديه، والذي يشغل باله هو الفكر في مصدر آلام البشرية؟ وكيف يستطاع التوصل الى حياة سعيدة؟ ومن ثم اكتشافه لفكرة تمثل قانوناً طبيعياً ساذجاً بسيطاً ولكنه اعتقد بأنها هي سر الحياة السعيدة.. وبعد أنْ أنكر بوذا الآلهة وأنكر الدعاء والعبادة والقرابين والأدعية والبكاء والخضوع للآلهة نجد بأن اتباعه عادوا لديانتهم القديمة بعبادة (بوذا) بعد بناء تماثيل ضخمة له في أماكن مخصصة.

ويتناول الأستاذ الشهيد في بحثه الزراد شتية ومؤسسها وحقيقتها، وكيف تمكن زرادشت من نشر مبادئه بين الناس واصطلاحاته الداعية الى عدم عبادة الجن والشياطين، ودعوته لهم الى عبادة أهورامزد، ومن اصلاحاته العقائدية والإقتصادية منعه عن ذبح البقر أو أي حيوان آخر للقربان... ويقول عنه دومزيل: حذف زرادشت قبل المسيح بالف أو ٩٠٠ سنة ذبح الحيوان للقربان، ومنع الناس من شرب المائع المسكر (سومة).. وكانت العبادة لديه هي: الفكر الخير، والقول الخير، والعمل الخير...

وحول موضوع (دين زرادشت في الفقه الإسلامي) يقول العالم الشهيد: **ونذكر في ختام هذا البحث بأنَّ تشكيكنا فى توحيدية دين زرادشت إنما كان في البحث السابق من ناحية تاريخية، أي أنّا إذا جعلنا ملاك الحكم على دين زرادشت بالتوحيدية أو عدمه في محتويات المصادر التاريخية الموجودة لدينا الآن وقابلناها ووازنّاها بالموازين العلمية للتوحيد، لم نستطع بالتالي أن نرى دين زرادشت ديناً توحيدياً صحيحاً.**

ولكن من زاوية الفقه والحديث الإسلامي فلا مانع من هذه الزاوية وبهذه النظرة أنْ نرى دين زرادشت ديناً توحيدياً، أي أن نراه ديناً كان في أصله توحيدياً، وأنْ نرى الشرك فيه ــ بمختلف نواحيه: الثنوية والعبادية وغيرها ــ بدعاً ألحقت به فيما بعد... علماً بأنَّ المصطلح الاسلامي يعتبر الزراد شتيين من (أهل الكتاب).

النظام الاجتماعي:

يقول الكاتب الشهيد؛ بأنه ومن أجل أن نر مدى تأثير الإسلام في ايران يجب علينا أنْ ننظر و النظام الإجتماعي الإيراني يومذاك (ص ١٠١) الذي غيَّره الإسلام وساد بنظامه في ايران بدلاً من ذلك النظام... ويذكر أقوال عدة من المؤرخين تنصُّ على أنَّ مجتمع ايران الساساني كان مجتمعاً طبقياً صنفياً تجرى فيه أُصول النظام الطبقي على أشدِّ الوجوه، وكانت الملكية الكبرى في يد بيوتات سبعة تمثل الطبقة العليا.. وخلاصة القول: إنَّ الملاك والمحور في المقررات العائلية كان شيئين، هما: المال والدم = العنصر،وان سائر الأحكام والمقررات إنما كانت لصيانة هذين المحورين.

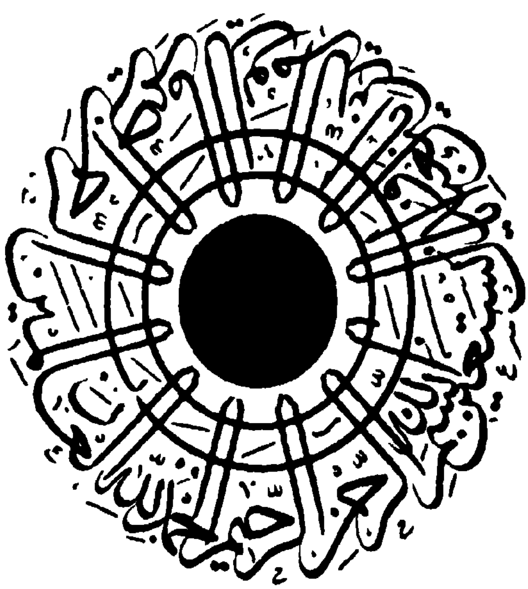
و هذا السبب وقع للزواج بين المحارم الذي كان شائعاً في ذلك العهد،أي أن الأسر في سبيل منع امتزاج دمها بالدم الأجنبي وتوارث أموالها بين الأجانب كانت تسعى أن تتزوج بأقربائها مهما أمكن..

وعن التعلم والتعليم الطبقي في العهد الساساني (ص ١١٤) يورد روايات تذكر بأن نساء الطبقة العليا كُنَّ يحصلن على تعليم جيد وتربية خاصة مكنتهن من الحصول على معارف عديدة.

وعن أخلاقهم يذكر البعض من صفاتهم الجيدة من عاطفة ورحمة وشفقة وحب الضيف وسرعة الخاطر، وصيانة العرض وهذه كلها صقلتها الأخلاق الإسلامية وأبقت الصالح منها وأبعدت الرديء.

وبذلك يعطينا الشيخ الشهيد عبرهذا الكتاب بجزئيه معلومات جيدة عن القومية ومنشأها والقومية

الإيرانية ومعطيات الإسلام لايران من خلال توضحه لحال الإيرانيين في زمن الساسانيين حيث نظام الطبقات والإستبداد والنظام الإجتماعي والسياسي المتخلف والإنحراف الديني، ومقارنة ذلك الوضع مع حال الأنظمة تلك بعد اعتناقها للإسلام وكيف بلغت العلا والرفعة في مختلف العلوم من فلسفة وفقه وطب ورياضيات وفلك وعرفان وغيرها .. وكذلك بين خدمات الإيرانيين للإسلام.. والهدف النهائي للشيخ الشهيد قطع الطريق أمام الموميين المعادين للإسلام الساعين لفصل ايران عن الإسلام ●



الدبلوماسية الأميركية

رهن المطامع الشخصية

اعداد
ـ القسم السياسي ـ

يشهد النصف الثاني من فترة رئاسة الجمهورية الأميركية نشاطات انتخابية مكثفة يقوم بها رؤساء البيت الأبيض. و بدلاً من أن يؤدي رئيس الجمهورية المسؤوليات الملقاة على عاتقه، فانه يصرف معظم أوقاته للنشاطات الانتخابية، كما أنّ أكثر السياسات الإقتصادية والقرارات الخاصة بالتدخل العسكري و بقية الخطوات والسياسات الداخلية والخارجية التي يتخذها رئيس الجمهورية الأميركي خلال هذه الفترة تتخذ طابعاً شخصياً وتهدف الى الحصول على أكبر عدد ممكن من أصوات الناخبين ودحر المنافسين دون الأخذ بنظر الإعتبار مسألة تأمين المصالح العامة للمواطنين الأميركيين (وإنْ كانت ممارساتهم هذه تتم تحت غطاء القيام بالمهام والمسؤوليات).

لقد اشتدت الحملة الإنتخابية خاصة في السنة الأخيرة من فترة رئاسة الجمهورية، وهي متواصلة على قدم وساق حتى هذه اللحظة.

إنّ القاء نظرة اجمالية على نشاطات السياسيين الأميركيين القدامى والمعاصرين تبيّن بوضوح أنّ الدبلوماسية الأميركية هي في الواقع أداة بيد الزعماء الأميركيين، تستخدم لغرض التغطية على مطامعهم، على سبيل المثال أن الزيارة التي قام بها الرئيس السابق نيكسون الى الصين والتي تمخضت عنها إقامة علاقات دبلوماسية بين البلدين، جاءت في الحقيقة من أجل حصول نيكسون على امتيازات سياسية تمكّنه من التفوق على منافسيه، رغم أن الهدف الظاهري للزيارة كان تعزيز السلام العالمي وتقوية الصين مقابل الإتحاد السوفيتي.

ومما لاشك فيه أن هذه الخطوات الدبلوماسية تخدم المصالح الأميركية في نفس

الوقت، غير أن الدافع الرئيسي الذي يكمن وراءها، هو دافع شخصي يرمي الى تعزيز سلطة الرئيس.

ومن النماذج الأخرى للسياسات التي ينتهجها السياسيون الأميركيون، و يطبّلون و يزمّرون لها، هي طرحهم لشعار تخفيف حدة التوتر بين الشرق والغرب، وهوما استفاد منه جميع الرؤساء الأميركيين اثناء حملاتهم الانتخابية على مدى العشرين سنة الماضية.

ولو أخذنا بنظر الإعتبار سباق التسلح الخطير القائم منذ فترة طويلة بين القوتين العظمين وحلفائهما، لرأينا أن العالم هو ــ اليوم ــ أشبه بـ (مخزن بارود) يمكن أنْ ينفجر بين لحظة وأخرى و بأقلّ شرارة. إذن ليس هناك أدنى شكّ من أن شعارات السلام وتخفيف حدة التوتر بين الشرق والغرب التي يطرحها الرؤساء الأميركيون للإستفادة منها سياسياً، هي شعارات فارغة هدفها حرف أذهان عامة الشعب الأميركي.

و بديهي أن الدوافع السياسية قد لا تكون مطابقة للمصالح الوطنية دائماً، حيث أن هذه المصالح تذهب في بعض الأحيان ضحية أطماع السياسيين المحترفين.

ومن النماذج الأخرى التي تجسّد هذا التحرك الإعلامي، هو ماشاهدناه في فترة رئاسة كارتر. فعندما كان وكر التجسس الأميركي في طهران مسخراً من قبل الطلبة المسلمين السائرين على نهج الإمام الخميني، بذلت الحكومة الأميركية، وعلى رأسها كارتر جهوداً كبيرة للإفراج عن الرهائن الجواسيس.

ومثلما جاء في مذكرات كارتر و بقية مستشاريه، فإنّ الفترة الأخيرة من رئاسة كارتر كانت من أكثر الفترات تأزماً واضطراباً، فخلال احتلال السفارة الذي دام ٤٤٤ يوماً كان كارتر ومستشاروه السياسيون والأمنيون يقضون معظم أوقاتهم في البيت الأبيض للنظر في أوضاع جواسيسهم. وكانت جميع اللقاءات والزيارات والتحركات السياسية منصبة في هذه النقطة، كما أن الإجراءات الشديدة والطارئة التي اتخذتها الحكومة الأميركية مثل تجميد الإيداعات المصرفية الإيرانية في الولايات المتحدة الأميركية، وفرض الحصار الاقتصادي، وأخيراً الهجوم العسكري على صحراء طبس (شرقي البلاد) جاءت كلها في نفس الإطار.

وفي الحقيقة أن الحفاظ على أرواح الرهائن وحفظ سمعة أميركا لم يكن يهم كارتر، لأنّ تفكيره ــ وكما اعترف مستشاروه مثل هاملتون جوردان و بريجنسكي صراحة ــ كان منصباً في الفوز بالانتخابات. ورغم أن الرهائن اطلق سراحهم في اللحظات الأخيرة من فترة رئاسة كارتر، إلاّ أن كارتر ــ وكما يقول عن نفسه في مذكراته ــ لايمكنه أبداً أن ينسى مرارة الهزيمة السياسية التي لحقت به بسبب قضية الرهائن. هذا من جهة ومن جهة أخرى فأنّ منافسيه والمعارضين له في الكونغرس استغلوا هذه الفرصة لاخراجه من

الساحة السياسية، حيث كانوا ينتقدونه ويحرجونه بالاسئلة المتعلقة بالسياسة الخارجية لحكومته ، وذلك لحثه على القيام بالمغامرات والتقليل من نفوذه السياسي، حتى وإنْ كانت هذه المغامرات تعرض المصالح الاميركية للخطر.

والآن و بعد انقضاء ثلاث سنوات من فترة رئاسة الممثل السينمائي السابق ورئيس الجمهورية الحالي (ريجان) نشاهد أنه يبذل نشاطات سياسية مكثفة للفوز في الإنتخابات القادمة التي ستجري في شهر تشرين الثاني من العام الجاري.

وفي الوقت الذي نصبت فيه أميركا «صواريخ كروز» ذات الرؤوس النوو ية في اورو با الغربية وتواصل سباقها مع الإتحاد السوفيتي في مجال التسلح النووي، فانها تتحدث عن مسألة تخفيف حدة التوتر بين الشرق والغرب بغية الإستفادة من هذه الورقة الرابحة للضغط ــ من الناحية السياسية ــ على الإتحاد السوفيتي واجباره على الدخول في المفاوضات، الأمر الذي قد يزيد من شعبية ريجان.

وهذا الأمر ينطبق على مسألة انسحاب القوات الأميركية من لبنان أيضاً، فبعد تفجير مبنى قيادة القوات الاميركية في لبنان ومقتل أكثر من ٢٤٠ عسكرياً أميركياً، بدأت حكومة ريجان تعاني من ضغط شعبي أميركي شديد، وكان واضحاً أن انسحاب القوات الأميركية من لبنان يشكل هزيمة نكراء للسياسة الأميركية في منطقة الشرق الأوسط، كما وسيكون حافزاً على تصاعد نضال المسلمين في لبنان. ولمّا كان من المحتمل أن يؤدي بقاء القوات الأميركية في لبنان الى التقليل من شعبية ريجان، فقد تحمّلت الحكومة الأمير كية عبء هذه الهزيمة، وطلب ريجان من القوات الاميركية مغادرة لبنان. وسعى من جهة أخرى الى التعو يض عن هزيمته في لبنان بأسرع وقت، حيث أصدر أوامره الى القوات الأميركية باحتلال جزيرة غرينادا الصغيرة.

وهذا التحرك الخبيث لاقى استحساناً من قبل الزعماء الأميركيين، وقد اعتبره الحزب الجمهوري عاملاً لزيادة شعبية ريجان في الإنتخابات الرئاسية المقبلة. أما اعلان قوات الكتائب في لبنان عن استعدادها للتفاوض مع بقية القوات الإسلامية والتقدمية حول القيام باصلاحات سياسية في لبنان ماهو إلاّ نوع من المماطلة من أجل الحصول على فرصة مناسبة يمكن من خلالها لأميركا والدول الغربية التدخل في لبنان مرة أخرى وحماية هذه القوات. و يؤ يد صحة هذا الكلام ماتناقلته التقارير المستقاة من مصادر دبلوماسية من أن حكومة ريجان طلبت من الحكومة الصهيونية أنْ تتجنب القيام بأية مغامرة في هذه الفترة، كما طلبت من القوات اليمينية في لبنان أنْ لا تعمل شيئاً يؤدي الى تأزم الوضع في لبنان حتى انتهاء الانتخابات الرئاسية في أميركا، ذلك أن الحكومة الأميركية لا يمكنها في هذه الفترة القيام بحماية عملائها في لبنان.

واستمراراً لهذا التحرك الإعلامي، بادر ريجان الى ارسال عدة قطع بحرية أميركية الى مياه الخليج الفارسي بعد هزيمة القوات الأميركية في لبنان. ونحن نتصور أن أية مغامرة يقوم بها الاميركيون في الخليج الفارسي لا تخرج ريجان من الساحة السياسية فحسب، بل وستوقع الحكومة الاميركية في مستنقع لايمكنها الخروج منه إلاّ بعد ان تدفع الثمن غالياً. كما ان خطوة الحكومة الاميركية في ارسال مبعوثها الخاص للشرق الأوسط ريتشارد مورفي (والتي باءت بالفشل كما اعترف بذلك المسؤولون الأميركيون) جاءت لدعم النظام العراقي في حربه ضد الثورة الإسلامية في ايران وحث الأنظمة العربية على الاستمرار في دعم صدام والتنسيق في كيفية الإستفادة من القواعد الاميركية الموجودة في دول الخليج الفارسي.

ورغم أن الدول الرجعية لم تبد استعدادها للتعاون العلني مع أميركا ، إلاّ أن الهدف الرئيسي من الخطوة الأميركية المذكورة جاء لتبيين التحرك الدبلوماسي الذي تقوم به حكومة ريجان في الشرق الأوسط.

والآن وعلى الرغم من زيادة الهجمات على ناقلات النفط وتصاعد حدة القتال في الخليج الفارسي، فانَّ اميركا ترى أنها عاجزة عن التدخل في الخليج الفارسي بصورة مباشرة. ولذلك تكتفي باطلاق التصريحات، ولا تريد أن تزيد من حدة الأزمة في هذه المنطقة لأن تدخلها في هذه المنطقة لن يورطها بحرب طويلة فحسب، بل وسيشكل خطراً على ريجان خلال الانتخابات الرئاسية القادمة.

ومن المسائل المهمة الأخرى التي يوليها السياسيون الأميركيون أهمية خاصة للفوز في انتخابات رئاسة الجمهورية، هي مسألة الحصول على آراء الصهاينة الأميركيين ونقتهم. فلمّا كانت هذه الفئة تتحكم في الكثير من شرايين الاقتصاد الأميركي ووسائل الاعلام، فإنَّ المرشحين يسعون الى كسب أكبر عدد من آراء الصهاينة. واليوم فانَّ كلاً من ريجان ومنافسيه «والترمونديل» و «غاري هارت» يريد أن يؤكد بأنه أكثر من غيره حباً لاسرائيل والدولة الصهيونية.

ومن الموضوعات التي تطرح خلال الحملات الإنتخابية للمتنافسين، قضية نقل السفارة الأميركية من تل أبيب الى القسم الشرقي من القدس، وهو ما يعني تأييد أميركا الرسمي لاحتلال اسرائيل للضفة الغربية لنهر الأردن. ولما كان منافسو ريجان متفقون على نقل السفارة الأميركية من تل أبيب الى القدس، فإنَّ ريجان يرى نفسه على مفترق طريقين حسّاسين. فمن جهة يتحاشى من ردة الفعل المحتملة من قبل المسلمين اذا ما وافق على نقل السفارة الأميركية الى القدس، ومن جهة أخرى يشعر بأنه مضطراً للموافقة على نقل السفارة الأميركية الى القدس ارضاءً لأعضاء الكونغرس وخاصة الأعضاء الصهاينة من أنصار اسرائيل وهو ماقد يعرض المصالح الأميركية المتزعزعة في منطقة الشرق الأوسط للخطر.

روافد الشعور

عند المسلم الحاج

بقلم: الشيخ محمد علي التسخيري

مقدمـــة:

يسرنا أن نقدّم للقارئ العزيز هذه الصورة الموجزة عن أحد أروع الأساليب التربوية الإسلامية للبشرية... الحج.

حيث نجد فيها أروع تناسق وتناسب بين الأعمال والمحرّمات، والأقوال والشروط والذكريات والعيد.

كلها تنسجم لتقدم لنا أروع عملية تربوية يتوجها عيد التضحية والفداء.

وليرجع الحاج الى وطنه إنساناً آخر،

ثورة على كل باطل وطاغوت،

وسعياً لبناء الذات والمجتمع،

ووعياً للحياة، وتضحية في سبيل الأهداف والله الموفق...

من طبيعة الإنسان:

هكذا هي التركيبة الإنسانية... تركيبة متناسقة منسجمة، لا تقبل انفصاماً إلا لفترة محدودة، ثم تتجه للتواؤم اتجاهاً يختلف من حالة لأخرى، وإنْ كانت عوامل الإتجاه الإيجابي أقوى من عوامل الإتجاه السلبي بشكل طبيعي... إلاّ أنه قد يستحكم الإنحراف فيؤثر في جعل هذه العملية تسير باتجاه معاكس للفطرة الإنسانية.

هذه هي الحقيقة التي لا مراء فيها، فلنعطها شيئاً من التوضيح ــ مقدمة لحديثنا عن الحج ــ.

إنّ الإنسان ــ كما هو واضح لكل متأمل ــ تركيبة من طاقات فطرية لها مساحة واسعة في الوجود الإنساني تشمل الغرائز الأصلية، والقناعات الوجدانية والميول الأصيلة على الصعيد العملي، كما تشمل القدرات الخارقة على التفكير والتأمل والتدبر وغير ذلك.

إلا اننا قد نستطيع حصر الأبعاد الإنسانية بالأمور التالية: ــ

أولاً: البعد الإعتقادي حيث موقع القناعات النفسية.

ثانياً: البعد العاطفي حيث موطن الميول الأصيلة وشبهها.

ثالثاً: البعد السلوكي و يكاد يشكل بناءً علوياً في التركيبة الانسانية. واذا تمّ هذا عدنا إلى الطبيعة الإنسانية لنستقرئها، وحينئذ فسنجدها تعلن بكل وضوح ميلها الشديد للانسجام بين هذه الأبعاد وذلك لتحقيق التوازن المطلوب في الشخصية الإنسانية.

إنّ الإنسان المتوازن هو من: رست قناعاته العقائدية على أرضية قوية متينة، وصيغت عواطفه ومشاعره بالنحو المنسجم مع تلك القناعات، وراحت سلوكاته المتنوعة تتناغم مع قناعاته وعواطفه بل وتنطلق منها بكل دقة واستنتاج.

خطأ بعض المبادئ الوضعية:

ومن الأخطاء الفضيعة التي منيت بها بعض المبادئ الوضعية أنها تجاهلت هذه الحقيقة الناصعة، فراحت تنظم مساحة خاصة من مساحات الوجود الانساني، وهي مساحة السلوك دون أن تعبأ بالأُسس الداخلية له، وبتعبير آخر راحت تنظم المسألة الاجتماعية مهملة علاقتها بالمسألة الواقعية، أو فلنعبر بالمسألة العقائدية والعاطفية، وكان من نتائج ذلك هذا التمزق المهول الذي أصاب أتباعها، فعاشوا قمة الصراع وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

ولكن المظاهر سرعان ما تطفو، فإذا بهم والقلق يمزق وجودهم و يصرخ في وجه حضارتهم المزعومة. وعلى أيّ حال؛

فالإسلام ــ وهو الدين الواقعي النظرة ــ آمن بهذه الحقيقة أيّما إيمان، وراح يبدأ بالنفس ليغيّرها عقائدياً، ثم ليصوغها عاطفياً، ثم ليخطط لها السلوك الأمثل المنسجم مع ذلك التغيير.

فكانت نية المرء خيراً من عمله، وكان

لكل امرىء ما نوى. وقد رويت عنه (ص) روايات متظافرة تؤكد على المضمون التالي: «لا قول إلاّ بعمل ونية، ولا قول وعمل إلاّ بنية»[1].

وما النية إلاّ تعمق في الذات، وملاحظة للأسس العقائدية التي صاغت الميل العاطفي فتحول الى شوق أكيد حرّك بدوره الجوارح الإنسانية نحو هذا السلوك أو ذاك.

التأثير المتبادل بين الأبعاد:

وانطلاقاً من تلك الحقيقة، نكاد ندرك العلاقة المتبادلة التأثير بين (العقيدة والعاطفة والعمل) فإنّ كلاً من هذه العناصر يؤثر أثره الإيجابي والسلبي في الآخر و يتأثر به في نفس الوقت.

فالعقيدة الإلهية الموحدة تقود السلوك باتجاه واحد مطمئن:

«ضرب اللّه مثلاً رجلاً فيه شركاءُ متشاكسون ورجلاً سَلَماً لرجلٍ هل يستويان مثلاً...»

(الزمر: ٢٩)

وتعمل على اثارة العاطفة وتأجيجها بالإتجاه الموحد:

«... كتاباً مُتشابهاً مثاني تقشعرُّ منه جلود الذين يخشون ربّهم ثمّ تلين جُلودهم وقلوبهم الى ذكر الله...»

(الزمر: ٢٣)

«... ألا بذكر الله تطمئنُّ القلوب»

(الرعد: ٢٨)

والعاطفة الواعية توصل العقيدة في النفس:

يقول أميرالمؤمنين في وصفه للمتقين:

«فإذا مرّوا بآية فيها تشويق ركنوا اليها طمعاً، وتطلعوا اليها شوقاً، وظنّوا أنها نصب أعينهم، واذا مرّوا بآية فيها تخويف أصغوا اليها مسامع قلوبهم، وظنّوا أنّ زفير جهنم وشهيقها في أُصول آذانهم...»

والحقيقة ان التلاحم بين العقيدة والعاطفة هنا قوي جداً، لايكادمعه المؤمن يميزبين المؤثر والمتأثرو بخلاف ذلك، العاطفة المنحرفة نحو الآباء مثلاً، تؤدي الى رفض الإيمان بالله: **«وكذّبوا واتبعوا أهواءهم...»** (القمر: ٣) ونفس العلاقة نجدها مع العمل.

فالعقيدة تصوغ العمل، وما أكثر تعبيرات **«آمنوا وعملوا الصالحات»** في القرآن الكريم.

والعمل الصالح يركز العقيدة ويجسّدها، خصوصاً إذا صحبته التضحية العاطفية القوية.

يقول أميرالمؤمنين (ع) في نهج البلاغة:

«ولقد كُنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله: نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا: ما يزيدُنا ذلك إلاّ إيماناً وتسليماً، ومُضياً على اللّقم، وصبراً على مضض الألم، وجداً في جهاد العدوّ...» (الخطبة: ٥٦).

وكلّما زادت عناصر الخوف والجهد، زاد الإيمان:

«الذين قال لهم النّاسُ إنّ النّاسَ قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً....» (آل عمران: ١٧٣).

«ولمّا رأى المؤمنون الأحزاب، قالوا هذا ما

وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلاّ إيماناً وتسليماً» (الأحزاب: ٢٢).

والعمل السيء قد يؤدي الى العقيدة السيئة:

«ثمّ كان عاقبة الذين أساؤا السوأى أن كذّبوا بآيات الله...» (الروم: ١٠).

الاسلام يركز على هذه الأبعاد:

والمتتبع لتصورات الإسلام ومفاهيمه وأحكامه وما ساقه من أدلة وعبر؛ يجد الإسلام يركز على مجموع هذه الأبعاد وان اختلف تركيزه على هذا البعد أو ذاك باختلاف أهميته وأسبقيته في التأثير.

فالعقيدة هي الأساس، وتأتي بعدها العاطفة، ثم يأتي العمل، ولذا كان التركيز الأكبر على العقيدة قبل كل شيء.

كل ذلك في إطار تحقيق الهدف التكاملي الأسمى للانسان، وتأهيله لكل تغيير باستمرار، وفي كل أبعاد وجوده نحو هذا الهدف الذي عبّرت عنه النصوص الإسلامية بـ (التقرب الى الله) أي الى الوجود الكامل المطلق (جلّ وعلا).

الإيمان والعبادات:

يقول آية الله الشهيد الصدر في هذا الصدد:

«وكما ولد الإنسان وهو يحمل كل إمكانات التجربة على مسرح الحياة وكل بذور نجاحها من رشد وفاعلية وتكيّف، كذلك ولد مشدوداً بطبيعته الى المطلق، لأن علاقته بالمطلق أحد مقومات نجاحه وتغلبه على مشاكله في مسيرته الحضارية كما رأينا. ولا توجد تجربة أكثر امتداداً وأرحب شمولاً وأوسع مغزىً من تجربة الإيمان في حياة الإنسان، الذي كان ظاهرة ملازمة للانسان منذ أبعد العصور وفي كل مراحل التاريخ. فإنّ هذا التلازم الاجتماعي المستمر يبرهن ــ تجريبياً ــ على أن النزوع الى المطلق، والتطلع اليه وراء الحدود التي يعيشها الإنسان، اتجاه أصيل في الإنسان مهما اختلفت أشكال هذا النزوع، وتنوعت طرائقه ودرجات وعيه.

ولكن الايمان كغريزة لا يكفي ضماناً لتحقيق الإرتباط بالمطلق بصيغته الصالحة لأن ذلك يرتبط في الحقيقة بطريقة اشباع هذه الغريزة وأسلوب الإستفادة منها. كما هي الحال في كل غريزة أخرى، فإنّ التصرف السليم في اشباعها على نحو موازٍ لسائر الغرائز والميول الأخرى ومنسجم معها، هو الذي يكفل المصلحة النهائية للإنسان، كما أن السلوك وفقاً لغريزة أو ضدها هو الذي ينمي تلك الغريزة و يعمقها أو يضمرها ويخنقها. فبذور الرحمة والشفقة تموت في نفس الإنسان من خلال سلوك سلبي، وتنمو في نفسه من خلال التعاطف العملي المستمر مع البائسين والمظلومين والفقراء.

ومن هنا كان لابُدّ للايمان بالله والشعور العميق بالتطلع نحو الغيب والإنشداد الى المطلق، لابُدّ لذلك من توجيه يحدد طريقة اشباع

هذا الشعور، ومن سلوك يعمقه و يرسخه على نحو يتناسب مع سائر المشاعر الأصيلة في الانسان.

و بدون توجيه قد ينتكس هذا الشعور ويمنى بألوان الإنحراف، كما وقع بالنسبة الى الشعور الديني غير الموجه في أكثر مراحل التاريخ.

و بدون سلوك معمّق قد يضمر هذا الشعور، ولا يعود الارتباط بالمطلق حقيقة فاعلة في حياة الإنسان، وقادرة على تفجير طاقاته الصالحة.

والدين الذي طرح شعار: (لا إله إلاّ الله)، ودمج فيه بين الرفض والإثبات معاًهوالموجه.»

الحج أحد أغنى العبادات تأثيراً في النفس:

وان المتتبع لهذه العبادة، الرائعة يجدها تقوم بأروع الأدوار في عملية التركيز العقائدي والشدّ العاطفي بل والإلتزام السلوكي بالشريعة كلها... والجميل أن بعض الروايات أسمت الحج نفسه بالشريعة!!... كما سيأتي توضيح ذلك.

فهي عملية صممت بشكل تتناغم فيها عناصر مختلفة: (الأفعال، المحرمات، الأقوال الأسماء، الذكريات، الأمكنة، الأزمنة، العيد) لتحقق الغرض المنشود والآنف بأجلى ما يكون.

وأهم مصب لهذه العملية هو «الشعور» بما يحمله من بُعدي: «الوعي والعاطفة».

انها في كل خطوة من خطواتها ترفد الشعور بمعان جمة (التوحيد، والاخلاص والوجهة الصحيحة، والتضحية، والتوبة) وتمثل مسيرة الاسلام منذ انطلاقته، وعظمة الاسلام، والوحدة... .

وهكذا يُشكّل الحج دعوة إلهية لممثلي الإنسانية الصالحة «المجسّدة في المسلمين» من استطاع اليه سبيلاً، منهم أن يغدوا الى أرض مقدسة، و يدخلوا دورة تدريبية إلهية تغذّي عقيدتهم وعاطفتهم والتزامهم العملي بالتركيز والتأجيج والقوة.

فلنلاحظ إذن كيف تشترك العناصر والمناسك في تأدية هذا الدور المهم:

أولاً ــ الأفعال... والرئيسية منها كما يلي:

أ) ــ الإحرام:

وبملاحظة طبيعة العمل من نزع ثياب الدنيا ولبس الجميع ثوبين طاهرين تصب في مشاعر المسلم الحاج معانٍ كثيرة،

منها: الإخلاص للّه تعالى ورفض كل التصورات الوهمية، ونزع كل هوى، والتلبس بالحسنات.

ومنها: العودة الى الفطرة ونفي العناصر الظاهرية المميزة بين أبناء الأنسانية الواحدة كاللباس.

و يتأكد هذا المعنى بملاحظة شرط عدم كون ثوبي الإحرام مخيّطين، وعدم لبس المرأة لزينتها.

ومنها: تذكر يوم القيامة.

ب) ــ الطواف:

و يوحي بعالم من المشاعر؛

فمنها ــ التسامي الانساني، حيث يجد

الانسان نفسه وهو يطوف حول البيت يشبه ملائكة الله المطيفين بعرشه كما يعبّر أميرالمؤمنين: (نهج البلاغة ص ٤٥).

ولما كان العرش هو محور حركة الكون، فإنّ الكعبة هي محور حركة الأرض الى الله تعالى... وهذا الشعور يؤدي الى شعور آخر ملزم بالعمل على أن تكون الكعبة محور الحركة بالفعل، ولا يتم ذلك إلاّ إذا انضمت كل الأرض الى الإسلام الأصيل، وانتفى وجود طواغيت الشر، وآمنت الأرض بربها ودينها.

ومن تلك المشاعر ــ وتبعاً للشعور السابق يولد عنصر التعلق بعالم الغيب الذي يجسّده هذا البناء المقدس، وهذا الحجر المقدس فيتم الإشباع المتوازن للحسّ والمعنى في الإنسان، و بذلك يتحقق أحد مقومات الشخصية المسلمة **«يؤمنون بالغيب و يقيمون الصلاة»**.

ومنها تركيز وحدة الهدف والمسير، فإنّ الطواف يرمز الى التحرك حول محور معيّن والمحور هنا واحد، وهو الكعبة بينما تتعدد محاور الشر (الجمرات الثلاث).

ومنها: العمل الجاد لحفظ المحور الإسلامي الرئيس و بالتالي كل علم يرفع للاسلام. و يتأكد هذا بملاحظة الروايات التي تجعل الكعبة (منار الاسلام) وحينئذ تنتفي كل معاني الخمول والخنوع للظالمين والاستسلام للقوى العظمى وتحل محلها معاني الثورة والتحرك التغييري الواسع للمسلمين.

جـ) ــ الصلاة ركعتين عند مقام ابراهيم (ع):

وهذا العمل في الواقع يوحي بالإنضمام الى العائلة الابراهيمية والمسيرة الابراهيمية عبر التاريخ وعلى صعيد الصلة بالله، فهو يحمل كل موجبات الصلاة الضخمة بالإضافة الى موجبات المكان ــ كما سيأتي الحديث عنها بعد هذا ــ.

د) ــ السعي بين جبلي الصفا والمروة:

وفي السعي أيضاً أجل الايحاءات للشعور الإنساني، وربما كان أهمها بيان عناصر التحرك الإنساني الصحيح في نظر الاسلام وهي:

(١) ــ الحركية المستمرة.

(٢) ــ بذل الجهد والكد والكدح وتحمل الكبد **«لقد خلقنا الانسان في كبد»**.

(٣) ــ التحرك بنية القربة الى الله.

(٤) ــ التحرك ضمن حدود الله وعلى منهج الله.

(٥) ــ متابعة مسيرة الصالحين وتقليد الخط المؤمن والتضحية في سبيل الهدف وذلك يبدو إذا لاحظنا أن العملية ــ كما في بعض الروايات ــ هي انعكاس لعملية تضحوية كبرى قامت بها أمُّ اسماعيل وهي تبحث عن ما يروي ظمأ ولدها العزيز وذلك بعد أن رضيت الإستسلام لأمر الله بالبقاء في أرض غير ذي زرع ولا ماء.

و بتعبير آخر، فإنّ القيام بهذا المنسك هو اعلان عن الإنضمام الى العائلة الإبراهيمية يتم عند التقصير إشعاراً بكونه عضواً في عائلة التوحيد والتسليم الكبرى **«... ملّة أبيكم ابراهيم هو سمّاكم المسلمين من قبل...»**

وبهذا تصب في مشاعر الإنسان الحاج كل معاني المقاومة للطواغيت الأرضية من أمثال: «الذي حاجّ ابراهيم في ربّه» والإصرار على تحمل الصعاب وحتى حرارة نيران العدو الجبار في سبيل تحقيق الأهداف الكبرى وتحكيم شريعة الله في الأرض، وحينئذ يعود المسلم أمة كما كان إبراهيم أمة، وكما وصف الإمام الخميني القائد،المرحوم آية الله البهشتي بأنه كان أمّة لوحده، ذلك لأنه سلك طريق ابراهيم.

ولا بُدّ هنا أنْ نشير الى قول الإمام الصادق (ع) وهو يتحدث عن إحدى حكم السعي إذ يقول:

«ما من بقعة أحب الى الله من السعي، لأنه يذل فيه كل جبّار».

نعم تذل الجبابرة إذ تسعى شبه حافية أو حافية وليس عليها سوى ثوبين، وترمل في بعض المسير مما يكسر هيبتها وجلالها الكاذب.

هـ) ـ الوقوف بعرفة والمزدلفة:

ولا يكاد الإنسان يحصي سمو المعاني التي تصب في شعور الإنسان المسلم هناك :

حيث يقف كل ممثلي الأرض على صعيد واحد، وبلباس واحد، يقولون قولاً واحداً، ويشهدون موقفاً واحداً كل لحظة فيه مشروطة بقصد القربة.

وما يمكن أنْ نشير اليه من المعاني التي تصب في شعور المسلم وعياً وعاطفة وسلوكاً: وحدة الأمّة المسلمة.

وعظمة الإسلام الذي جمع كل هذه الأقوام على صعيد واحد، وتذكر القيامة وعرصاتها.

وبعد كل ذلك،الشعور بالحياة الخالصة لله تعالى دون أن يشوبها طمع أوغل أو غش أو كذب أو ما الى ذلك.

إنَّ من يعي ذلك اليوم ينسى كل شيء في وجوده إلاّ الله، واذا كان كذلك فانه يكون قد امتلك كل شيء وتذكر كل شيء حتى نفسه، ولم يعد في زمرة من «نسوا الله فأنساهم أنفسهم».

و) ـ رمي الجمار:

وهي العملية الضخمة المحتوى، والعظيمة التأثير في المشاعر. انها عملية رمي مجموعة لرموز الشيطان المتعددة إشارة لتعدد سبل الشيطان وألاعيبه ووجوهه.

كل صنوف الشيطان ترمى بسبع، وكل مظاهره ترمى والعملية واحدة من قبل كل المسلمين، الشيطان يرمى من قبل ابراهيم بحصيات فيرميه الركب المؤمن عبر التاريخ ويتبرأ منه في أروع عملية رمزية تعبر فيها الأمّة المسلمة عن ذاتها بذلك.

فإذا كان الطواف يشكل أهم أبعاد شخصيتها، فإنَّ الرمي هو البعد الآخر.

انه لا يعني التبرّي من أعداء الله الطواغيت فحسب، بل يعني العمل على نفيهم من الأرض والقضاء عليهم، ومهاجتهم من كل آت تماماً، كما يعني الوقوف بوجه الشيطان على الصعيد

الفردي، والقضاء على مكائده، وسد سبله، وقطع دابره ووساوسه.

ولعمري، إذا كان الرمي يعني هذه المشاعر، فاذا يقول أُولئك الذين تجرأوا فعبّروا عن الحج كعملية عبادية فردية بعيدة عن الجوانب الاجتماعية والسياسية؟!

وماذا يقول أُولئك الذين راحوا يمهدون للقوى العظمى في أراضي المسلمين، لا بل في أرض الوحي ومهبط النبوة والرسالة؟

ماذا يقول هؤلاء الذين قوّوا العدو والطاغوت من جهات عديدة؟

فتحوا له أراضيهم كقاعدة لانطلاق مؤامراته.

وفتحوا له طاقاتهم وثرواتهم ليملأ بها خزاناته وبنوكه.

وفوق كل ذلك راحوا ينفّذون مخططاته في تحريف الإسلام واعطائه شكلاً استسلامياً رجعياً مقيتاً، يهتم بالجوانب الفردية و يبتعد عن طريق الثورة والتغيير الشامل.

ماذا يقول هؤلاء للإسلام ولعملية الحج وهم يرونها أمامهم صباح مساء؟!

ز) ــ الذبح والفداء

وهو بدوره يحمل أروع المعاني كالتخلق بعنصر التضحية في سبيل الله، ولا ريب في أن التضحية في سبيل الله بنفسها تقوّي الإيمان بالله من جهة وتزيد في الإلتزام بالشريعة، وتفتح للتشريع الاسلامي آفاق التطبيق في الأرض.

وكذلك يثير الذبح في الإنسان عنصر المواساة والإطعام وخصوصاً «في يومٍ ذي مسغبة» ليسد بذلك جوعة الفقراء والمحتاجين.

وهذا المعنى إذا نقلناه الى الصعيد الإجتماعي العام للمسلمين، يعني أن يتكافل المسلمون جيعاً على الصعيد الإقتصادي كباقي الأصعدة، فاذا كان هناك جائع فالكل عنه مسؤولون.

ولكن هل تساءلنا كم عدد الجائعين في المناطق الفقيرة من العالم؛ كالهند و باكستان وسيلان والفيليبين؟ وكيف يهنأ ذوي الثروة والترف من المسلمين بحياتهم وأمامهم هذا الواقع الصارخ، وهذا المنسك الصارخ أيضاً؟

ح) ــ الحلق والتقصير:

وهذا منسك رائع المضمون أيضاً، يحمل معنى الإعلام بدخول الحاج في العائلة الابراهيمية المسلمة الموحدة من جهة و يتعايش مع التاريخ الاسلامي والركب الفاتح لمكة الصانع لذلك المنعطف الضخم للمسيرة. وقد سُئِلَ الإمام الصادق (ع):

[كيف صار الحلق على الصرورة و يعني الحاج لأول مرة واجبا دون من قد حج؟

قال: ليصير بذلك موسماً بسمة الآمنين، ألا تسمع قول الله عزوجل «لتدخلنّ المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلّقين رؤوسكم ومقصّرين لا تخافون..» (الوسائل ــ ج ١٠/ص ١٨٨)]

فالصرورة يحلق ليعلن الإنضمام، فاذا كرر الحج قصر ليؤكد ذلك.

هذا؛

وهناك معان أُخرى كالتطهير يشع بها هذا العمل العبادي الجليل.

وهكذا رأينا كيف تتلاحم أعمال الحج في تركيبة رائعة لتؤدي الغرض الانساني المطلوب، ولكن دعنا نلحظ تناغمها مع العناصر الأخرى في تركيبة الحج ذات الهندسة الإلهية.

ثانياً: المحرمات:

و يقصد بها محرمات الاحرام من جهة، و بعض المحرمات التي لايجوز ارتكابها في حدود الحرم. والمهم التركيز على المحرمات الأولى لنلاحظ أنها تترك مشاعر كبرى في وجود المسلم من خلال التزامه بها.

منها: الشعور بلزوم مراقبة النفس.

ذلك أن المسلم إذ يحرم يدخل دخولاً خاصاً في حمى الله ومراقبته الشديدة، وحينئذ فعليه الإنتباه الشديد والمراقبة الدقيقة، والإمتناع المتواصل بقصد القربة عن محرّمات كان عليه سابقاً ان يمتنع عنها ولو لم يقصد القربة، ومحرمات أُخرى كانت عليه حلالاً في حياته العادية فاعتاد عليها ولكنه الآن في مقام آخر، فعليه الإلتزام الدقيق، فلا يقتل هوام البدن فهي هنا في أمان!! ولايشم الطيب ولاينظر في المرآة، ولايتدهن، وأنْ لايلمس المرأة التي كانت عليه حلالاً قبل الإحرام ولايقلع شعرة من بدنه وهكذا باقي المحرّمات الأُخرى.

وان من يحيى عملية الإحرام حساً، يشعر جيداً بعملية التربية على مراقبة النفس بشدة، و يعي حركة رجله فلا تطأ نباتاً، وحركة يده فلا تقتلع شعرة أو تقتل هامة، وحركة عينيه فلا تنظر في المرآة، وأنفه فلا يشم طيباً، وأُذنه فلا تسمع ما لايرضي الله، ولسانه فلا ينطلق في رفث أو جدال أو فسوق في الحج، وميوله الجنسية فلا تدفعه لارتكاب ما يستجيب لها، وهكذا تحمل حرارة الشمس والامتناع عن التظليل وغير ذلك.

ومنها: تربية عنصر الإرادة.

فهذا الصيد في متناول الأيدي والرماح، ولكنه الأمر الإلهي بالإمتناع.

فالحرم حرم الأمن ــ انها المنطقة الآمنة الوحيدة في العالم من الصيد، وما يحقق الإمتناع الجنسي الحلال متوفر، ولكنه الأمر الإلهي بالإمتناع.

والجميل في الأمر هنا:

إنّ الإمتناع يعني الكبح المتواصل للنفس في كل آن، وعند ملاحظة اشتراطه بقصد القربة نكتشف مدى التأثير التربوي المتواصل الذي يتركه في شعور المسلم الحاج، فهو في هذا شبيه بما يتركه الصوم من أثر.

ومنها: التدريب العملي على المنطق الحسن، ونفي كل آفات اللسان وآثاره السيئة.

ومنها: التدريب على حياة الزهد والقناعة بكل شيء في سبيل الله تعالى.

ثالثاً: الأقوال:

ويكاد لا يخلو عمل في الحج من أقوال يرددها الإنسان الحاج ـ وجوباً أو استحباباً ـ فتحقق له ما يلقنه معاني العمل أولاً، أو لتستغل الإقبال الروحي الذي وفره العمل المرافق فتغرس في الشعور المعاني المطلوبة فانها حينئذ أوقع وأشد تأثيراً.

فالى جنب عمل الإحرام، تأتي التلبية الواجبة بكل ما تحمله من ايحاءات.

انها «التوحيد» وبها «لبى المرسلون» كما جاء في بعض الروايات (الوسائل ص ٤٨).

وقد روي عن الإمام الباقر (ع) أنه قال:

قال أميرالمؤمنين عليه السلام: **«ما من مهلّ بالتلبية إلاّ أهلّ من على يمينه الى مقطع التراب، ومن على يساره الى مقطع التراب، وقال الملكان: أبشر يا عبدالله، وما يبشر الله عبداً إلاّ بالجنّة»**. (الوسائل ص ٥٠).

ان المسلم إذ يلبي ليشعر:

(١) ـ بأنه أهل ليكون في عداد أُولئك الذين أجابوا دعوة ابراهيم (ع) التاريخية، مما يبعثه لأنْ ينظر لارتباطه بالإسلام كمهمة كبرى القيت تاريخياً على عاتقه كفرد من هذه الأمّة التي حملت الأمانة، وان عليه وعليها أن تحمل هذه الامانة بكل جدارة، فيطهر الأرض من أدناس النظم الوضعية الكافرة.

(٢) ـ بأنه يرتبط بحركة التوحيد الخالص الذي ينزّه الله تعالى عن كل سخافات أهل الكتاب وكل مفتريات المشركين. بكل ما يعنيه هذا الإرتباط من تحكيم للتوحيد في كل شؤون الحياة، ونفي الآلهة الوهمية المصطنعة، والطواغيب الذين تحكّموا بالشعوب ورقابها ودمائها دونما إذن من الله تعالى بل طغياناً وكفراً.

(٣) ـ بأنّ عليه أن يستجيب لكل نداء اصلاحي حقيق **«الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه»** مهما كان ذلك القول بعيداً عنه زمناً أو مكاناً ـ وحينئذ فيلبي قبل كل شيء نداء الإسلام للعمل الصالح ثم يتبع سبيل المؤمنين والقادة الصالحين رافضاً لسبيل الطواغيت الكفرة والعملاء الخونة للأمة.

(٤) ـ بأنه ـ وهو يلبّي ـ ينسجم مع الكون كلّه الذي يقوم على العدل والحق والقسط والميزان ملبياً نداء الله.

(٥) ـ بأنه يدخل بذلك عضواً في العائلة الابراهيمية التوحيدية المسلمة، وجندياً في جيش الإسلام الطائف حول محور التوحيد والمحارب للشياطين الكبار والصغار، الى غير ذلك من المشاعر.

هذا والى جانب عمل الطواف ودخول المسجد الحرام تأتي النصوص باستحباب أدعية وأنماط من الإسلام بخصوصها تترك أثرها في شعور المسلم الحاج:

منها؛ أن يقول عند الإنتهاء الى باب المسجد «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، بسم الله ومن الله، وما شاءالله، والسلام على أنبياءالله ورسله، والسلام على رسول الله (ص)

والسلام على ابراهيم خليل الله، والحمد لله ربّ العالمين..»».

ألا تلاحظ معي عزيزي القارئ ما تحمله هذه الكلمات من معانٍ هي الإنسجام بعينه مع الأعمال، وهي الإيحاء بحكمة العمل، أنها تحمل معنى الحياة على إسم الله بكل شؤونها و بارادة الله، ومعنى التسليم لقادة الهدى في التاريخ وفي طليعتهم الرسول الأكرم (ص) خير البشرية جمعاء، وابراهيم شيخ الموحدين وأول المسلمين.

وهكذا ذكرت النصوص أنّ الحاج ينبغي أن يقول عند دخول المسجد ــ رافعاً يديه مستقبل البيت:

«اللّهم اني أسألك في مقامي هذا في أول مناسكي أن تقبل توبتي، وأن تجاوز عن خطيئتي، وتضع عني وزري، الحمد لله الذي بلغني بيتة الحرام، اللّهم اني أشهد أن هذا بيتك الحرام الذي جعلته مثابة للناس، وأمناً ومباركاً وهدىً للعالمين، اللّهم اني عبدك ، والبلد بلدك ، والبيت بيتك جئت أطلب رحمتك، وأروم طاعتك، مطيعاً لأمرك ، راضياً بقدرك ، أسألك مسألة المضطر اليك، الخائف لعقوبتك، اللهم افتح لي أبواب رحمتك، واستعملني بطاعتك ومرضاتك» (الوسائل ج ٩/ص ٣٢١).

والآن ألا تبدو في هذا النص كل معاني الأفعال وموحياتها:معنى التوبة والعودة الى الله وتزكية النفس، والشكر لله، ومعنى التذكير بأن البيت مثابةٌ للناس؛ (وفي هذه الكلمة مثابة معاني كثيرة ــ لا يبعد أن تكون مرادة جميعاً ــ) وأمناً و بركة، وهدىً للعالمين، لكل الأرض، وكذا معاني الإنشداد العبودي العاطفي بالله تعالى، وتلقين النفس بالطاعة عبر تقديم يد الولاء في هذا المشهد وعبر التذكير بضعف الإنسان وخوفه من العقوبة، وأمله بالرحمة وأخيراً هذا الطلب الرائع: «واستعملني بطاعتك ومرضاتك» رب فاجعلني وسيلة لتحقيق رضاك في الأرض.

وعن الإمام الباقر (عليه السلام):

«إذا دخلت المسجد الحرام وحاذيت الحجر الأسود فقل: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، آمنتُ بالله، وكفرت بالطاغوت وباللات والعزّى، وبعبادة الشيطان، وبعبادة كل من يدّعي من دون الله. ثم ادن من الحجر واستلمه بيمينك ثم قل: بسم الله وبالله والله أكبر، اللّهم أمانتي أديتها، وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة» (الوسائل ص ٤٠١).

وتكاد المعاني التي ذكرت في ايحاءات عمل الطواف تتجلّى في نصّ الدعاء هذا:

حيث الشهادة بالوحدانية لله والعبودية والرسالة لمحمد (ص) وتأكيد الإيمان بالمطلق والكفر بالطواغيت واللات والعزى، وعبادة الشيطان، وكل من هم على شاكلة الشيطان من الأرباب الوهمية التي تدّعي من دون الله.

ثم هذا الدنو من الحجر الأسود لتقبيله يقترن بتذكير رائع. فالحجر الأسود نموذج حسّي من

عالم الغيب، مقدّس رعاه الأنبياء جميعاً، تنفتح منه أبواب غيبية ضخمة.

هذا الحجر أمدُّ له يدي لأؤدي ميثاق الله وأمانة الله التي أودعها في فطرني، ولأعاهد الغيب من جديد على أن أتعاهد ميثاقي في كل مسيرتي الحياتية. وأتذكّر مقتضيات هذا العهد في كل زمان ومكان، وحالة. كل ذلك في أطار البسملة بما تحمله من معانٍ جمّة، وذكر الله، وتكبيره ــ جلّ وعلا ــ.

انها ثورة المشاعر وطمأنينتها بالله في آنٍ واحد، وانه الاسلام يغرس في القلوب أصفى المعاني، بعد أن يهيئ الأرضية المناسبة للتأثير.

وبعد ركعتي الطواف تأتي بعض الأدعية الموجهة.

ففي خبر قوي الإسناد، عن الصادق (ع) قال: «**تدعو بهذا الدعاء في دبر ركعتي طواف الفريضة تقول بعد التشهد: اللّهم ارحمني بطواعيتي إيّاك، وطواعيتي رسولك (ص)، اللّهم جنبني أن أتعدّى حدودك، واجعلني ممن يحبك ويحب رسولك وملائكتك وعبادك الصالحين**».

وفي (قرب الإسناد) عن بكر بن محمد قال: خرجت أطوف وأنا الى جنب أبي عبد الله (عليه السلام) حتى فرغ من طوافه، ثم قام فصلّى ركعتين فسمعته يقول، ساجداً: «**سجد وجهي لك تعبداً ورقاً، لا إله إلاّ أنت حقاً حقاً، الأول قبل كل شيء، والآخر بعد كل شيء، وها أنا ذا بين يديك ناصيتي بيدك، فاغفرلي أنّه لا يغفر الذنب العظيم غيرك، فاغفرلي فاني مقرّ بذنوبي على نفسي، ولا يدفع الذنب العظيم غيرك**»، ثم رفع رأسه، ووجهه من البكاء كأنّما غمس في الماء.

وهذه المعاني يقصر عن شرحها اللسان لما فيها من جوانب العطاء والعظمة.

ويقترن عمل السعي ببعض الأقوال أيضاً. وقد روى بعض الأصحاب قال: كنت في ظهر أبي الحسن موسى (ع) على الصفا والمروة وهو لا يزيد على حرفين: «**اللّهم اني أسألك حُسن الظنّ بك على كل حال، وصدق النيّة في التوكل عليك**»

وفي هاتين الكلمتين مافيهما من معاني السعي على منهج الله، والتوكل عليه، وحسن النية، والأمل بعطائه ــ والأمل هو دافع السعي ــ.

أما الوقوف بعرفة فهو ربيع القول والدعاء، ويكاد الإنسان لايدري عن أيّ قول فيه يتحدث، والى أيّ معنىً فيه يشير.

وقد جاء عن الأئمة من أهل البيت الكثير من الأدعية في هذا الموقف، جاء في الرواية عن الصادق (ع) أنه قال:

[**إنما تعجل الصلاة وتجمع بينها لتفرغ نفسك للدعاء فانه يوم دعاء ومسألة، ثم تأتي الموقف وعليك السكينة والوقار، فاحمد الله وهلله، ومجّده وأثن عليه، وكبّره مائة مرة، واحمده مائة مرة، وسبّحه مائة مرة، واقرأ: قل هو الله أحد مائة مرة، وتخيّر لنفسك من الدعاء ما أحببت،**

واجتهد فانه يوم دعاء ومسألة، وتعوّذ بالله من الشيطان، فإنّ الشيطان لن يذهلك في موطن قط أحب اليه من أن يذهلك في ذلك الموطن، واياك أن تشتغل بالنظر الى الناس، وأقبل قبل نفسك وليكن فيما تقول (له): «اللّهم اني عبدك فلاتجعلني من أخيب وفدك، وارحم مسيرتي اليك من الفج العميق» وليكن فيما تقول: «اللّهم ربّ المشاعر كلها، فك رقبتي من النار، وأوسع عليّ من رزقك الحلال، وادرأ عنّي شر فسقة الجنّ والإنس» وتقول: «اللّهم لا تمكرني، ولاتخدعني، ولا تستدرجني» وتقول: «اللّهم اني أسألك: بحولك وجودك، وكرمك وفضلك ومنّك، يا أسمع السامعين، ويا أبصر الناظرين، ويا أسرع الحاسبين، ويا أرحم الراحمين، أن تصلّي على محمد وآل محمد، وان تفعل بي (كذا وكذا).

وليكن فيما تقول: وأنت رافع رأسك الى السماء:

«اللّهم ارفع حاجتي اليك التي إنْ أعطيتنيها لم يضرني ما منعتني، والتي ان منعتنيها لم ينفعني ما أعطيتني، أسألك خلاص رقبتي من النّار».

وليكن فيما تقول:

«اللّهم اني عبدك وملك يدك، ناصيتي بيدك، وأجلي بعلمك، أسألك أن توفقني لما يرضيك عنّي، وان تسلم مني مناسكي التي أريتها خليلك ابراهيم (ع) ودللت عليها نبيك محمداً (ص)».

وليكن فيما تقول:

«اللّهم اجعلني ممن رضيت عمله، وأطلت عمره، وأحييته بعد الموت حياة طيّبة»].

ولقد روي عن الامام الحسين (عليه السلام) دعاءه في يوم عرفة وهو من أغنى الأدعية وأشدها تأثيراً في النفس، وهو دعاء طويل نقتبس منه هذه العبارة:

«اللّهم اجعلني أخشاك كأني أراك، وأسعدني بتقواك ولا تشقني بمعصيتك، وخرلي في قضائك، وبارك لي في قدرك، حتى لا أحب تعجيل ما أخرت، ولا تأخير ما عجلت، اللّهم اجعل غناي في نفسي، واليقين في قلبي، والإخلاص في عملي، والنور في بصري، والبصيرة في ديني، ومتّعني بجوارحي، واجعل سمعي وبصري الوارثين مني، وانصرني على من ظلمني...»».

ولا أجدني هنا بحاجة لشرح معاني هذا المقطع الجليل بل لا أستطيع ذلك في هذا المختصر.

اما الرمي فيقترن بالتكبير وهو يحمل المعنى الأساس للاسلام، أو فلنقل يكمّل الصورة التي يؤديها العمل. فالعمل يجسّد مضمون (لا إله) والقول يؤكد منطوق (إلاّ الله) فما أجمل هذا الإنسجام.

وهكذا نجد الى جنب كل عمل قول يشترك معه في اعطاء الصورة، الكاملة للمشاعر واغناء الشعور بما يحقق الهدف.

رابعاً: الشروط الشرعية:

وأكبر شرط أهمية في عملية الحج هو وجود قصد القربة في كل عمل يقوم به الحاج.

وماذا يعني هذا الشرط؟.

ان التقرب هنا بلا ريب ليس مكاناً، فالله منزّه عن المكان، بل هو قرب معنوي.

وهذا القرب المعنوي لا يمكن أن يصدق إنْ لم نتصور للإنسان مسيرة فطرية طبيعية يتم على أساس منها تقدير مدى التكامل وذلك بمقدار طيه هذه المسيرة أومدى التراجع على أساس خسرانه الدرجات وانحطاطه، قياس الفطرة. واذا أمكن للإنسان أن يصل الى قاب قوسين أو أدنى فإنَّ هناك أناساً انحطت بهم نفسيتهم فعادوا كالأنعام بل هم أضل.

فالمسيرة فطرية، والهدف هو الله الكامل المطلق، وهذا يعني أن المسيرة لن تقف عند حد، ولن يصل يوم يقال فيه انه الكمال، فلا كمال بعده. وهذا ما ابتليت به الماركسية إذ وضعت حداً أعلى للسمو الإجتماعي، ثم صحت على قوانين الديالكتيك وهي تنطفئ في هذا الحد الأعلى، فلا يبقى مبرر أو أرضية أو عامل للتطور، وهكذا يقضي الديالكتيك على نفسه في هذا المنطق البشري القاصر.

وعلى أي حال، فإنَّ مسيرة التقرب الى الله مستمرة دائماً تستوعب أنْ يصوغ الإنسان حياته كلها وسيلة للتقرب.

وقد روي أن النبي (ص) قال لأبي ذر:

إنْ استطعت أنْ لا تأكل ولا تشرب إلاّ لله فافعل»

وفي رواية أُخرى:

«ليكن لك في كل شيءٍ نية حتى في النوم والأكل» (الوسائل ج ١ / ص ٣٤).

ويقوم نظام العبادات بتربية هذه الخاصة في الشخصية المسلمة ولاريب في أن جوالقربة الى الله يهيئ لانغراس المفاهيم الصحيحة وتأثير التربية في النفس الإنسانية.

كما أن من الشروط في بعض المناسك الطهارة من الحدث والخبث مما يترك أثره في تهيئة الأجواء المساعدة لنجاح عملية التربية.

ومنها في كل ما يلبس عدم الغصب وهو أيضاً يستلزم أُموراً لها دخلها في تنظيم الوضع الإقتصادي السليم.

خامساً: الأزمنة والأمكنة والذكريات الموحية:

والمسافر الحاج، يعيش في عالم قدسي، ويحلق بروحه الى آفاق أرحب في التاريخ.

أما زمان الحج فهو في العشرة الأُولى تقريباً من ذي الحجة، وإنْ كان يكمل بطليعة العشرة الثانية:

ولكن هل يرمز هذا الزمان الى شيء؟

لقد أشارت الى هذه العشر سورة الفجر — فقال تعالى:

«والفجر وليالٍ عشر، والشفع والوتر»

حيث فسّرت الليالي بالليالي العشر الأولى من ذي الحجة — كما فسّرت بغيرها أيضاً، وفسر الفجر بفجر يوم النحر.

وقد عبّرت آية أُخرى عن أيام الحج بكونها (أياماً معلومات) وقد روي عنه (ص): «إنَّ

الله لايحب العبادة مثلها يحبها في العشر الأولى من ذي الحجة».

ومن الأعمال المستحبة في هذه الليالي ــ كما قيل ــ صلاة ركعتين تقرأ في الأولى الآية: **«وواعدنا موسى ثلاثين ليلةً وأتممناها بعشر فتمَّ ميقاتُ ربّه أربعين ليلة...»».**

فلعلّ الليالي العشر التي امتحن بها بنواسرائيل قبل أنْ يأتيهم موسى بالألواح هي هذه الليالي.

وعلى أي حال؛ فهي ليال شريفة مباركة كلها تربية و امتحان ــ وربما ذكرت بذلك الإمتحان التاريخي لقوم موسى ــ وقد أقسم القرآن بها ــ على تفسير ــ نظراً لعظمتها وأهميتها.

ثم نفس اقتران هذا الزمان دائماً بعملية الحج ووقوع اليوم المبارك يوم عرفة فيه، ووجود الكثيرمن المستحبات في هذا الزمان، كل ذلك يعطي هذه الفترة قدسيّة وقدرة على فتح آفاق النفس وتوفر الأرضية الصالحة للتربية الإنسانية.

أما من حيث الأمكنة فحدّث ولاحرج: كل حجارة في مكة المكرمة والمدينة المنورة بالتبع تنبئك عن تاريخ وذكريات تشدّ الإنسان بأروع ذكريات ثلاث:

الأولى:

ذكرى العائلة الإبراهيمية المضحية المسلمة، فهنا مقام ابراهيم، وهناحجر اسماعيل، وهناك مسعى أمّ اسماعيل، وها هنا محل رمي الشيطان، وهناك محل الفداء، وهنا زمزم بئر البركة الإبراهيمية.

وعندما يطالع الحاج هذه الصحف التاريخية، يقرأ كل معاني الفداء والإخلاص والاسلام والتضحية، وترتسم في خلده صورة:

الشيخ العجوز الذي رزق ولداً بعد يأس وهو يترك ولده، وأمه في صحراء غير ذي زرع عند بيته المحرم امتثالاً لأمر الله:

والأمّ الوالهة المستسلمة للأمر، وهي تبحث عن مايروي ظمأ الرضيع بين جبلين فلا تجد شيئاً، و يتفجرزمزم تحت قدمي الطفل.

والولد الشاب القوي الذي يخبره والده بأنَّ اللّه يأمره أنْ يستسلم لسكين الذبح بيد والده، فيقول بكل ثبات:

«... يا أبت افعل ما تُؤمر ستجدني أن شاء الله من الصابرين».

كل هذه الذكريات تتجلى للحاج فتملأ مشاعره بمعان لا تنسى وتترك آثارها ــ إنْ كان واعياً ــ على كل حياته.

الثانية: ذكرى تاريخ البيت العتيق:

على يد آدم أبي البشرية يبني ليتعبد فيه... ويظل محور التاريخ المشرق ويجدد بناؤه على يد اسماعيل وابراهيم ويأتي التجديد الثالث في عصر الرسول الأعظم ليضع الرسول الأمين الحجر الأسود بيده في مكانه المعين.

إنَّ البيت والحال هذه يشكل محور التوحيد في الأرض والتاريخ، كما يشكل حلقة الوصل بين الفترات النبوية في التاريخ، وهو بالتالي

يحكي جهاد عباد الله الصالحين وطوافهم به.

وما أجمل تعبير الإمام أمير المؤمنين وهو يعمل على تربية مشاعر الطائفين بالبيت إذ يقول:

«واختار من خلقه سمّاعاً أجابوا اليه دعوته، وصدّقوا كلمته، ووقفوا مواقف أنبيائه، وتشبهوا بملائكة الله المطيفين بعرشه».

فهم يشعرون حتماً بأنهم يضعون أقدامهم حيث وضع الأنبياء أقدامهم وفي ذلك شعور بالإرتباط بالمسيرة المؤمنة عبر التاريخ، وشعور بحمل نفس الأمانة التي حملها الأنبياء، وشعور بالإمتداد التاريخي العريق لهذا الوجود الإنساني في الحاضر.

الذكرى الثالثة:

ذكرى انطلاقة الإسلام من هذه الأرض الطاهرة المقدسة، فكل نقطة من مكة الى المدينة تحكي حدثاً، وتفصح عن إنطلاقة الجماعة المسلمة، وثورتها بوجه الكفر والشرك والطاغوت، وصمودها وعذابها وهجرتها وعن نزول القرآن الكريم في هذه الديار وعن التطبيق الاسلامي له وعن جهاد المسلمين المتواصل بعد الهجرة: عشرات الحروب والغزوات في عشر سنين كلها عذاب مقدس وألم جيل في سبيل العقيدة العظمى. والواقع أن الأماكن الموحية كثيرة، وكما قلنا فإنّ كل قطعة تحمل ذكريات وذكريات لها أثرها في رفد شعور المسلم بما يترك أعظم الأثر في تصوراته وعواطفه.

سادساً: العيد:

والعيد الإسلامي لايأتي إلاّ بعد عملية عبادية تربوية كبرى للانسانية.

فعيد الفطر يأتي بعد عملية الصوم المربية للانسانية.

وعيد الأضحى يأتي بعد عملية الحج المربية لها.

والعيد يحمل معاني كبيرة في المفهوم الإسلامي، انه:

يوم الفرحة بالانتصار على نوازع النفس والشيطان،

و يوم العودة الى الفطرة الأصيلة،

و يوم انتصار التضحية والدم على الطاغوت والشيطان،

و يوم استلام جوائز الله بعد قضاء شهر في ضيافته أو ايام في حرمه.

وانه يوم التوبة، والتطهير، والزكاة: زكاة التطهير، وزكاة التنمية.

وهو عيد الاحساس بآلام الفقراء وأطفالهم ومواساتهم ومشاركتهم آلامهم.

وهو بالتالي يوم الحشر، يوم التذكير بيوم القيامة.

فالعيد إذن يوم يملأ الإحساسات بالمعاني الخيرة.

وختاماً:

فلقد كانت هذه أهم روافد الشعور عند المسلم الحاج، وهناك روافد أخرى كلها تتناغم

في تحقيق أهداف الحج الاجتماعية السياسية الأصيلة.

وبعد هذا،

لا يستحق الحج أن تطلق عليه في النصوص الشرعية أسماء من قبيل:

علم الإسلام، الشريعة، عملية تشييد الدين، منفاة للفقر مدحضة للذنب، وما الى ذلك.

وفّقنا الله جيماً لحج بيته الحرام، والحصول على ذلك العطاء الوفير.

لننطلق الى حياتنا الجديدة نحمل روح الحج ونوره الى الأرض كل الأرض.

روح الثورة على كل انحراف وظلم وطغيان،

و روح التغيير الشامل لكل مرافق الحياة على أساس الإسلام،

وروح الحركة الهادفة العابدة الواعية المتّجهة الى الله تعالى ●



مع
المذاهب الأدبية الأخرى

بقلم: ابو آمنة

القسم الأول

تمهيد:

المذاهب الأدبية وليدة الواقع المادي الأوربي.. وهي تعبير عن كل مايحمله هذا الواقع من قلق يعانيه الإنسان الأوربي.. ومن ضياع.. ومن التمزق الذي ينخر في بنيانه الاجتماعي، وهي تعبير عن كل الصور المادية والجاهلية التي يرزح تحت وطأتها هذا الانسان، وهي بالتالي تعبير عن تاريخ الصراعات الفكرية والروحية التي عاشتها المجتمعات الأوربية..

...وقد وردت الينا هذه المذاهب مع ما وردت من اتجاهات ونظريات اثناء الغزو الفكري الأوربي لأُمتنا الاسلامية في أوقات هبوطها وتخلفها الحضاري...فسارع الى تلقف هذه المبادئ كثير من أنصاف المتعلمين من المسلمين، ودرسوها ثم اعتنقوها، وصاروا يدافعون عنها ويحاولون نشرها واشاعتها بين الأوساط الفكرية والمتعلمة...

...وغنيٌّ عن البيان توضيح خطورة هذه المذاهب على ذهنيات وأفكار المسلمين لما تحمله من سموم وأفكار بعيدة عن روح الإسلام وعن منهج القرآن الكريم... وخطورتها تكمن في أنّها تصوغ عقلية الأدباء والفنانين والذين بدورهم يوجهون قطاعات واسعة من الأُمة الاسلامية، و بالتالي يربون الأمة على مناهج بعيدة جداً في فكرها وفي واقعها عن الإسلام وعن روح الإسلام...

... وها نحن قد قمنا ــ بما تيسّر لنا ــ بدراسة هذه المذاهب وتحليلها ونقدها في ضوء الفكرة الإسلامية النيّرة، واستلهاماً من النظرة الإسلامية الشاملة التي تسع الكون والإنسان والحياة...

المذهب الكلاسيكي

«سبق الايطاليون الى التهيد لنشأة المذهب الكلاسيكي.. فقد كثرت عندهم ترجمات فن الشعر لأرسطو عن الأصل اليوناني في القرن السادس عشر، وكذا «فن الشعر» لهوارس، وتوالت شروحها ثم أُلفت كتب أُخرى كثيرة، عنوانها فن الشعر وهي تنهج منهج الكتابين السابقين وتأخذ عنها، ولكن مع تأويل تبعد به قليلاً أو كثيراً عن المعنى الدقيق فيها.. ونشير هنا ـــ من بين هذه الكتب الكثيرة ـــ الى كتاب «روبرتلو» الذي نشر عام ١٤٥٨ م، وعنوانه شرح كتاب أرسطو في فن الشعر، وهو أول هذه الكتب، ثم كتاب مينتورنو.. فن الشعر، ثم شروح سكالوجر Scalinger وكاستلفتر Castelvetro .

وفي هذه الكتب جميعاً، وضحت المبادئ الأولى للقواعد الكلاسيكية، فغاية الشعر هي الفائدة الخلقية من خلال المتعة الفنية، وانه يتطلب التعلم والصنعة، و يعتمد عليها أكثر مما يعتمد على الإلهام أو الموهبة، مع شرح قواعد الأجناس الأدبية و بخاصة قواعد المأساة والملهاة في ضوء «محاكاة الأقدمين».

وعلى الرغم من هذه الجهود في نقد الايطاليين، لم يتم نضج الكلاسيكية، ولم ينتج الكتاب أدباً على حسب قواعدها، إلاّ في اللغة الفرنسية في القرن السابع عشر، وقد ألف (بوالو) في فرنسا كتابه... فن الشعر، عام ١٦٧٤ م أي بعد أن استقرت الكلاسيكية، ولكنه كان خير من قعد لها، ومثّل في شروحه روح العصر واتجاهاته على حسب مبادئها، ولذا ساعد على استقرارها في الأدب الانجليزي بعد ذلك».

وفي الكلاسيكية كلّها تجلّت الفلسفة (العقلية)... و«العقلية» عند الكلاسيكين أساس لفلسفة الجمال في الأدب، إذ الأدب انعكاس للحقيقة. فالحقيقة عندهم هي هي في كل زمان ومكان.. والعقل هو الذي يحدد رسالة الشاعر الإجتماعية، و يعزز القواعد الفنية الأُخرى، وهو عماد الخضوع للقواعد عامة، ثم انه هو الذي يوجد المتعة والمنفعة.. ولا يصح أن يُحاكى الأقدمون إلاّ بقدر اتباعهم للعقل.. وقد ساعد «ديكارت» على ارساء قواعد العقل عند الكلاسيكيين، ولكن أصل التأثير يرجع الى شروح الايطاليين لأرسطو من قبل... والعقل عندهم مرادف لصدق الحكم، و يتنافى والخيال في معناه قديماً كما عرفوه عن أرسطو، إذ الخيال غريزة عمياء وقسمة مشتركة بين الإنسان والحيوان.. وعندهم أن الشعر المسرحي «لغة العقل» بل أنّ «سانت افرمون» Saint Evremond عاب الشعر نفسه باسم العقل.. وفضّل عليه الفكرة الواضحة في النثر. وفي هذا المجال ازدوج تأثير «العقلية» الكلاسيكية والديكارتية معاً.. وكان من نتيجة ذلك أن ضعف الشعر الغنائي وهان شأنه، وبخاصة في الأدب الفرنسي، وظلّت الحال

كذلك حتى الرومانطيقية. والعقل عند الكلاسيكيين يرادف الذوق السليم والحكم السليم، ومن هذه الناحية اتخذوه وسيلة لتثبيت دعائم التقاليد والقواعد المقررة.. وهم يعارضونه بالذوق الفردي و يفضلون العقل لأنه ثابت غير متغير، فأساس الجمال في الأدب «العقل» أن يكون صالحاً لكل زمان و مكان.. وجمهور الكلاسيكيين محدود ارستقراطي.. فليس أدب الكلاسيكيين شعبياً.. وكانت «جماعة الثريا» في عصر النهضة أصرح في دعوتها من الكلاسيكيين، حين نصّت على تحقيرها لسواد الشعب، وقصرت الفن على الصفوة.. وحتى في الملهاة كان يقصد الكلاسيكيون الى ارضاء السادة قبل البرجوازيين وسواد الناس... وهم يصرحون بأنهم لايتوجهون إلاّ الى الخبراء بهنة ربات الفنون، إذ الشعر جمال لا تراه كل العيون.. ويحقر الناقد الكلاسيكي «شابلن» من شأن الشعب، و ينصح صديقاً له ألاّ يتوجه الى سواد الناس، لأنهم في الحقيقة لايمثلون الشعب، إذهم ثمالته، وانما يجب أن يتوجه الى الصفوة والسراة.. فإذا قال هذا الناقد في موضوع آخر أنه انما يتوجه الى الشعب، فهمنا ماذا يقصد به، كما يفسّره هو، إذ يقول انه يقصد بالشعب أعضاء المجالس النيابية (من الاستقراطيين لذلك العهد) والفرسان، والسراة لأنهم الذين يجمعون الى المعرفة الذوق السليم كما كان الذوق مفهوماً عندهم..

وفي ظل القواعد الكلاسيكية راج الشعر المسرحي، وضعف الشعر الغنائي، وامحت الذاتية تحت سلطان المجتمع الارستقراطي، وقد ساعد أدبهم على دعم القيم والتقاليد السائدة.

نقد المذهب الكلاسيكي:

١ ـ التركيزعلى العقل وحده، وجعله مقياساً للأشياء، وميزاناً للذوق، فيه كثيرمن البعد عن الحقيقة والواقع، و يتجلى لنا ذلك من جهتين:

أ ـ العقل أساس لفلسفة الجمال:

إنَّ تحكيم العقل وحده في معرفة القيمة الجمالية للنص الأدبي واتباع العقل وحده في النتاجات الأدبية الرائعة الجمال فيها من المعاني الكبيرة ما يخالف العقل ولا يصدقها الواقع. وفي الأدب من شعر ونثر أمثلة كثيرة يعرفها جيداً كل متذوق للشعر والنثر.. وكل ناقد للأدب.. وتحكيم العقل وحده في النتاج الأدبي أمر غير مقبول... لأنَّ الأدب ليس مجموعة حقائق جامدة وبحوثاً علمية يمكن وضع قياسات عقلية لثبوت صلاحها وفسادها.. إنَّ للعقل حدوداً.. وإنَّ للذوق الفني آفاقاً رحبة.

إنَّ كثيراً من النصوص الأدبية اشتهرت لتأثيرها في النفس البشرية ولسموها في الإبداع الأدبي، ولا يعني هذا انكار عملية العقل في النصوص الأدبية.. ولكن الصحيح هواعمال العقل من خلال الذوق الأدبي السليم الذي لابُدَّ منه لكل ناقد للأدب أو متذوق للشعر.. وهذا

مايجري في كتب النقد وعند النقاد العالميين.

ب ــ العقل والرسالة الاجتماعية للشاعر:

العقل عند الكلاسيكيين هو الذي يحدد الرسالة الإجتماعية للشاعر.. وهذا الكلام عليه مؤاخذات عديدة، فمن جهة أن العقل بذاته قاصر عن إدراك كل الأشياء، فلابُدَّ له من التجربة للوصول الى الحقيقة النهائية.. ثم انَّ كثيراً من الأشياء لم يتوصل الى كشفها العقل، و بقي جامداً أمامها، لأنَّ العقل محدود بذاته.. وأن المحدود لا يمكن أنْ يبلغ اللامحدود حسب تعبير الفلاسفة وعلماء الكلام.. ثم انَّ العقول مختلفة ومتدرجة في العلم والفهم، فأيّ عقل نتبع؟!

ثم انَّ القول بأنَّ العقل هو الذي يحدد الرسالة الإجتماعية للشاعر... أين هذا القول من ظاهرة رسالات السماء... وهي الرسالات التي نزلت لتحدد رسالة كل انسان في الحياة على وضوح وعلى بصيرة **«واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة»** فحددت الرسالة الإسلامية خلافة الإنسان على الأرض، وأعطت أبعادها، ورسمت للإنسان المسلم خط سير لاحب في الحياة يشع على كل جهاتها العلمية والأدبية والاجتماعية... فهذه الرسالات هي التي تحدد الرسالة الاجتماعية للأديب.. وهل هناك أفضل من الرسالة الإسلامية وهي خاتمة الرسالات نزلت على خاتم النبيين محمد (ص) **«وما أرسلناك الا رحمة للعالمين»**..

٢ ــ الخيال:

الكلاسيكيون لا يعترفون بالخيال في الأدب، بل يصفونه غريزة عمياء، حتى عابوا الشعر نفسه لأنَّ فيه الخيال الكثير وفضّلوا النثر عليه...

وهذا الكلام بعيد عن روح الأدب وعن آفاقه الرحبة.. فالأدب مقدار الإبداع فيه متوقف على ركيزة مهمة من ركائزه، وهو الخيال الذي ينقل القارئ أو السامع الى آفاق جميلة، و يصور خلجات النفس البشرية، و يعبّر عن أحاسيسها، و يصور هواجسها وآلامها المروعة بخيال جميل يريح الأعصاب المتعبة والقلوب المكتئبة، حتى لترى في هذا الأدب نفسها وكأنه يعبّر عن روحها.. فيخفف من أحزان النفس البشرية و يقلل من صدماتها بحياة الآلة والمنفعة المادية... ولولا الخيال لكانت القطعة الأدبية فارغة جوفاء... فالتصوير الأدبي ضرورة في كل قطعة أدبية.. إنَّ الصورة الأدبية هي التي تبرز الأفكار والأحاسيس للنفس البشرية بأفراحها وأحزانها.. والصورة الأدبية بالنسبة للأدب كاللوحة الفنية بالنسبة للرسام.. وتعتمد عند الأديب اعتماداً كبيراً على الخيال المبدع الجميل...

٣ ــ التوجه نحو النخبة:

التوجه نحو طبقة معينة من الناس وترك طبقات واسعة من الشعب هو توجه خاطىء وإنَّ احتقار الطبقات البسيطة والكادحة من الشعب بحجة جهلها هو تصور مغلوط.. و يبـ

عن الناحية الانسانية للأديب.. والذين اتجهوا في هذا الطريق اصطدموا بطبقات عريضة من الشعب، وانكفأوا على أنفسهم، وتموقعوا في دوائر ضيقة جداً، بحيث أصبح لا أحد يفهمهم اللّهم إلاّ أنفسهم، وقديماً قيل «المعنى في قلب الشاعر». هذا الإتجاه ينفي أصلاً أيّ رسالة اجتماعية للأديب في هذه الحياة.. ويجعل منه شخصاً يكرس كلّ ابداعاته الأدبية لخدمة طبقة معينة قد تكون مستغلة في كثير من الأحيان..

٤ ــ التعلم والصنعة:

إنّ قولهم أن الشعر يتطلب التعلم والصنعة و يعتمد عليها أكثر مما يعتمد على الالهام والموهبة، وهذا قول يجانب الحقيقة المتفق عليها عند أصحاب الفنون المختلفة... من أنّ الموهبة هي الأصل، وأنّ الموهبة هي جزء مودوع في النفس البشرية.. وقد ثبت ذلك عند الكثيرين من الأدباء وغيرهم، إذ أنّ أيّ شخص مهما درس فناً معيناً وأتقنه لا يمكن أن يبدع فيه مالم يكن موهوباً، ونرى ذلك واضحاً عند كثير من الناس درسوا الأدب وتعمقوا في فن الشعر ولم يبدعوا شعراً ولا نثراً، ونرى بعض الناس أتقنوا قواعد الخط العربي و لكنهم عجزوا عن خط قطع فنية يكمن فيها الجمال الرائع عند الخطاطين الموهوبين.. هذه حقائق يعرفها جيداً الأدباء والرسامون وأصحاب الفنون الأخرى و يدركونها.. إنّ أي انتاج انساني مهما كان، يجب أن تكمن فيه ركيزتان مهمتان هما: الموهبة أولاً، ثم صقلها بالتعلم واتقان من الشيء الذي يبدع فيه الإنسان ثانياً..

٢ ــ المذهب الرومانطيقي (الرومانسية)

في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر الميلاديين، قامت الرومانطيقية على أنقاض الكلاسيكية، في انجلترا أولاً، ثم في المانيا وفرنسا، ثم في اسبانيا وايطاليا، وحينما كان الكلاسيكيون يُوصفون بأنهم شعراء الطبقة «الارستقراطية» أصبح الرومانطيقيون شعراء «الطبقة الوسطى» التي نضجت ونهضت في عصر الرومانطيقيين، وقد نشأ هؤلاء الكتاب والشعراء من بين هذه الطبقة، فدافعوا عن حقوقها وكرّسوا نتاجاتهم لخدمة هذه الطبقة والتعبير عن شعورها وآلامها. ولهذا المذهب بعض الأسس والمعالم ندرجها فيمايلي:

١ ــ الإعتداد بالفرد:

إعتد الرومانطيقيون بالفرد اعتداداً كبيراً وغذّوا فيه روح الذاتية، فهو يصف الطبيعة والأشياء من خلال ذاته، فنفسه مرآة لما حوله، وأطلقوا حريته الواسعة وطلبوا منه أنْ يتخطى كل القيود والحدود فيؤمن بما يشاء و يرفض ما يشاء.

٢ ــ العاطفة:

التيار الفلسفي للرومانطيقيين هو «العاطفة» أو «الفلسفة العاطفية» فقد كانوا على العكس من الكلاسيكيين، إذ جحدوا أهمية العقل وقلّلوا

من قيمته في الأدب.

يقول موسيه «أول مسألة هي ألّا أُلتي بالأ الى العقل»[1].. وركّزوا على مسألة العاطفة في نتاجاتهم؟، فالصورة الأدبية عندهم شعورية تصويرية لاعقلية فكرية، فهم ينشدون الجمال و يبحثون عن مكامن العواطف الجياشة والتهويمات الشاعرية، وأوغلوا في ذلك بحيث قالوا إنّ كثيراً من الأفكار الصحيحة محصورة في العاطفة. ولنستمع الى حديث أحدهم «ليزعم هؤلاء الذين لم يحبوا قط أنهم أسمى تفكيراً من غيرهم ما بدا لهم، فإنّي أجيبهم: أن هنالك أفكاراً صحيحة لاحصرلها ولا سبيل الى وصولهم اليها، لأنها محصورة في نطاق العاطفة حتى ليمكن أن يقال، أن القلب له أفكاره الخاصة به[2]».

فجاء شعرهم مليئاً بالعواطف، يزخر بالأحاسيس و يصور خلجات القلب و يعبرعن هواجس النفس البشرية.

٣ ــ الخيال:

حينما كان الكلاسيكيون لا يؤمنون بالخيال ولا يعترفون به، نرى الرومانطيقيين يؤمنون به و يوغلون في ايمانهم بالخيال، وقد أدى بهم الى القول بأن الخيال هو الذي يولد الصور وليس هو بمحاكاة، وقد أدى اعتدادهم بالخيال والعاطفة الى السمو بمكانة الشعر الغنائي.

يقول هردر «الشعر الغنائي هو أتم تعبيرعن الانفعال أو التصور في أعلى درجات ايقاعه اللغوي»[3].

فبذلك يكون الخيال والعاطفة ركيزتين مهمتين في الأدب الرومانسي لاغنى عنهما، و يصبح الأدب بدونهماباهتاً لا روح فيه، جامداً بلا حياة..

٤ ــ دلالة الكلمة:

للكلمة عند الرومانسيين دلالات كثيرة وفعل عظيم، فهي تحمل في طياتها قوة ذاتية وفضيلة كبرى.. فللكلمة عندهم موسيقيتها وايحاءاتها على الآخرين، فلذلك يهتمون، بالكلمة، ويهتمون باستعمال الجمل، و ينشدون أحلاها وأجملها وأروعها وأكثرها تأثيراً على الآخرين، فلذلك تحس للكلمات عندهم كأنها أجراس تطرق الآذان، ولذلك قالوا «إنّ الشعر هو اللغة الأولى والامُّ الأُولى للبشرية».

٥ ــ موضوعاتها:

نتيجة لصدمات الحياة، وخيبة الأمل والإحباطات النفسية التي يتعرض لها الشعراء الرومانسيون، اتجه كثيرمنهم الى التأملات الصوفية والفلسفية، فتزيدهم تأملاتهم أوجاعاً وآلاماً، والى ذلك يشير ايليا أبوماضي:

إنّ التأمل في الحياة
يزيد آلام الحياة

ولذلك نرى كثيراً من موضوعات الشعر الرومانسي تدور وتتركز حول موضوعات الألم، العذاب، الكآبة، التمرد، اللجوءالى الطبيعة هروباً من واقع الحياة الصاخب... في قصيدة

«الأسير» نرى البياتي يركّز على الألم كعنصر من عناصر الرومانطيقية المقدسة:

يـــامــلاكـــي الـــصـــغير
هـــــل عـــــرفـــــت الألم
والـــبـــكـــاء المـــريـــر
والهـــوى والـــنـــدم
والـــطـــريـــق الأخير
وخـــبـــث الـــسأم
يـــامــلاكـــي الـــصـــغير
هـــــل عـــــرفـــــت الألم
عـــشـــيـــة في الهـــجير
لـــعـــنتهـــا الـــدم

وهذا الشاعر الياس أبوشبكة يقول في قصيدته المطولة «غلواء»:

مـــن لم يـــنـــكـــر وجـــنـــتـــيـــه الـــسـقـم
وتـــســـلـــخ الأوجـــاع مـــنـــه حـــطـــم

ولنستمع الى بدرشاكر السياب يبكي و ينتحب:

مـــن الـــذي يحـــمـــل عـــبءَ الـــصـــلـــيـــب؟
في ذلـــك الـــلـــيـــل الـــطـــويـــل الـــرهـــيـــب؟
مـــن الـــذي يـــبـــكـــي ومـــن يـــســـتـــجـــيـــب؟
لـــلـــجـــائـــع الـــعـــاري؟
مـــن يـــنـــزل المـــصـــلـــوب عـــن لـــوحـــه؟
مـــن يـــطـــرد الـــعـــقـــبـــان عـــن جـــرحـــه؟
مـــن يـــرفـــع الـــظـــلـــماء عـــن صـــحـــبـــه؟
و يـــبـــدل الأشـــواك بـــالـــغـــار؟

نزع ولا موت
نطق ولا صوت
طلق ولا ميلاد

وهذا صلاح عبدالصبور الذي جسّد ظاهرة الحزن بأسلوب رومانطيقي جديد فاسمعه يقول:

حـــزني ثـــقـــيـــل فـــادح هـــذا المـــســـاء
كـــأنـــه عـــذاب مـــصـــفـــديـــن في الـــسـعير
حـــزني غـــريـــب الأبـــويـــن
لأنـــه تـــكـــوّن ابـــن لحـــظـــة مـــفـــاجـــئـــة

دخلت الرومانسية الى الشعر العربي على أيدي شعراء المهجر والديوان وأبولو وخليل مطران.. فأثرت في الشعراء المعاصرين أمثال أدونيس والسياب وصلاح عبدالصبور و يوسف الخال وأنسي الحاج(٤).. وجعلوا من شعرائها الهمشري وفوزي المعلوف ورشيد أيوب، وشكر الله الجر وخليل شيبوب وفايد العمروسي ومحمد فهمي ومختار الوكيل وصالح جودت.. وغيرهم(٥).

نقد المذهب الرومانتيكي:

قد يكون الشيء ضرورياً جداً، ولكنّ الإفراط فيه سيء جداً أيضاً، فالماء ضروري لبقاء الحياة ولكن الإفراط فيه مضر، والمياه الزائدة يرفضها الجسم ولايستسيغها..والشمس مفيدة، ولكنّ البقاء تحت أشعتها فترة أطول يؤذي و يؤلم.. هذه المقولة تنعكس على الرومانسيين وعلى أفكارهم.. فإنّهم قد آمنوا بأشياء صحيحة، ولكنهم أفرطوا فيها، مما سبّب خروجهم عن طور

الحياة المعهودة، وناموسها الدقيق الذي وضعه الله «ومن أحسن من الله صبغة».

من هذه القاعدة العامة ندخل الى التفاصيل في نقد المذهب الرومانتيكي:

١ ــ هذا المذهب يدفع الإنسان الى الفردية والأنانية، و يغذي حب الذات والاعتداد بالنفس عنده، مما يدعوه الى التعالي على الآخرين، واحتقار طاقاتهم وقابلياتهم، و يقف حجر عثرة أمام البراعم المتفتحة، وهذا أمر يرفضه الإسلام، فإنه وإنْ اعترف بالناحية الذاتية للانسان، لكنه لم يطلقها إطلاقاً، بل قيّدها بقيد واحد هو أن لا تصطدم بحقوق الآخرين، وركّز الاسلام على الجمع بين ذاتية الإنسان ومصلحة المجتمع «خيرالناس من نفع الناس» (حديث شريف).

٢ ــ نتيجة لصعوبة الحياة ومحنها وآلامها وقساوتها.. لم يستطع الرومانسيون مواجهة الحياة بروحية الإنسان السوي، بل فضّلوا السهل الهيّن، بأنْ هربوا من واقع الحياة وانعزلوا عن الناس وانطووا على أنفسهم ولجأوا الى الطبيعة وظلّوا ينوحون و يبثونها آلامهم وشكواهم، مما ولّد في نفوسهم قصوراً في كيفية التعامل مع الآخرين. و يروى أنَّ فيكتور هيجو من شدة عزلته كان لايجيد التعامل في السوق و يتردد و يتلعثم في مخاطبة الآخرين.

والاسلام رفض هذه الحالة، ودعا المسلمين الى الاختلاط والتواجد بين الناس والاندكاك في الأمّة ومعايشة كل طبقاتها، وقد وصف الله تعالى ابراهيم بأنه أمّة لشدة اندكاكه في المجتمع «إنّ إبراهيم كان أمةً قانتاً لله...».

ودعا الرسول (ص) الى الاختلاط بالناس «خالط الناس ودينك لا تكلمنه» ودعا الإسلام المؤمنين الى مواجهة المحن والمصائب بصدر رحب وقلب كبير، وجعل الله تحمل المحنة مقياساً لايمان المسلم «أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمنّ الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين» ودعا الإسلام الى مواجهة واقع الحياة ومجابهته مهما كان الواقع مؤلماً، وهذا الكلام لايعني رفض الخلوة مطلقاً، بل على العكس من ذلك، حثَّ الإسلام على أن يخلو الانسان ساعة الى نفسه في اليوم، ولكنَّ الخلوة والعزلة الدائمة مرفوضة..

٣ ــ حينما ركّز الرومانسيون في نتاجاتهم العذاب والألم والبكاء والكآبة والتمرد، أشاعوا الأحزان والآلام في نفوس قرائهم، وكرّسوا جانب الحقد والتشاؤم، ولم يبذروا روح التفاؤل وحب العلاقات الإنسانية النبيلة، مما ولّد ذلك بطبيعة الحال أُناساً غير أسوياء، حاقدين على المجتمع وما فيه، مما أدى الى ظهور عقدة نفسية لديهم غير سليمة عند الآخرين...

٤ ــ الحرية المطلقة:

غذّت الرومانسية، الفردية والأنانية في نفس الإنسان الى أبعد الحدود، وطلبت منه أن يرفض كل النواميس وكل القواعد المتعارف عليها، وأن

ينطلق كما يهوى وكما يشاء، فالرومانسية «اعتبرت الشاعر له الحق المطلق في أن يرفض مايشاء وأن يقبل مايشاء ولا يخضع لقوانين أخلاقية ودينية واجتماعية وفنية تأتي من الخارج... الإنسان في الرومانطيقية سيد نفسه، ذاتي الى أبعد الحدود»[6]. وهذا الأمر مخالف لما جاءت به الشرائع السماوية، ومناقض لما اتفق عليه علماء الفلسفة والنفس والقانون من أنه لابدَّ للعلاقات بين الناس أن تخضع لضوابط وقوانين تنظم العلاقة بين الناس و بين الأمم، لكي لايقع تجاوز ولا ظلم، لأنه لو أُطلقت النفس من عقالها، وتُركت على غاربها، لأدى الى اصطدام كبير بين الرغبات البشرية والنزعات النفسية عندالناس، مما يؤدي بطبيعة الحال الى فوضى كبيرة وتبلبل خطير، وهذا مالا يحمد عقباه ولا يقبله دو عقل مستنير...

٥ ـ الشذوذ الخلقي والإجتماعي:

حينما أوغل الرومانسيون في العاطفة وفي الخيال وفي تنمية حب النفس والتمرد على كل الضوابط والقوانين وتكريس الكآبة والحزن والبكاء والإنفعال، أدى ذلك كله الى أن يتصرفوا تصرفات غير صحيحة و يقوموا بأعمال شاذة، و يدورون في حلقة مفرغة لا أول لها ولا آخر.. ونتج عن ذلك أن وصل بهم الحد الى الهلوسة والشذوذ، فكانوا يبحثون عن كل شاذغريب، فاستبد بهم الميل الى الإجرام، فأسرف في ذلك «جماعة من الرومانسيين حتى بلغوا حد الهوس، فقد راحوا يبحثون عن مصادر جديدة للعواطف، فانتهى بهم المطاف الى بؤرة الجريمه والجنون، وانتقوا منها نماذج بشرية لأعمالهم، ووصفوها، وقد استبدَّ بهم الميل الى الإجرام، ومزقتهم الإنفعالات الجنونية وجنح جماعة آخرون منهم الى البحث عن كل غريب مهول، وغلّفوا أعمالهم الأدبية بغلاف من الغموض والرهبة وصوَّروا الأحلام المفزعة، وحالات الرعب ووخز الضمير»[7].

وهكذا نرى أن في هذا المذهب إفراطاً وايغالاً في أشياء خرجت عن حدودها، فضاع أصحابه في متاهات يبحثون عن شاطىء الأمان فلا يجدوه، يريدون السعادة فلا يدركوها، مما أدى الى ضمور هذا المذهب وظهور مذاهب أخرى في الساحة الأدبية، ونذكّر الأديب المسلم هنا، بأنَّ هذا المذهب لا يصلح إطاراً له، ولا مساراً يختطه في حياته الأدبية الإسلامية ●

١ ـ الأدب المقارن ـ محمد عنيمي هلال ـ ص ٤٠.
٢ ـ المصدر السابق ص ٤١.
٣ ـ الأدب المقارن محمد غنيمي هلال.
٤ ـ الإتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر ـ عبد الحميد جودة.
٥ ـ التيارات المعاصرة في النقد الأدبي ـ د. بدوي طبانة ـ ص ٤١٢.
٦ ـ الإتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر ـ عبد الحميد جودة ـ ص ١٧٥.
٧ ـ المصدر السابق ـ ص ١٧٣.

بطاقة حب لطهران

ابو حيدر

«الله اكبر» في التاريخ اعصار وثورة صوتها في الدهر هدّارُ
مذ اطلقتها على الأصنام هادرة بأرض مكة للتوحيد أنصارُ
ومدّ راياتها الحمراء شامخةً في كربلاء أبو الأحرار مغوارُ
لاحت على الطف أقمار مخضبة وأشرقت في ربى ايران أنوارُ
فجرٌ أطلّ منيراً ليل من سحقوا وصارمٌ يحصد الباغين بتّارُ
دكّت من الجور عرشاً في تجبّره يهون في وصفه طاغٍ وجبارُ
وآمتدّ منها على الآفاق حانية كف لمستضعفي الإسلام موّارُ
وأنبتت في سنين الجدب وارفة للبائسين بها ظل وأزهارُ
وشيدت بهدى القرآن دولتها صرحاً به الكفر والإلحاد ينهارُ
وأرتاع من بأسها الطاغوت أرعبه هدى الكتاب و «روح الله» تيارُ
يا ثورة الحق أسياف وأفئدة لزحفك الحق منا فهي تمتارُ
فلا تلومنّ من في قلبه مرضٌ بالنور تعمى من الخفاش أبصارُ

• • •

يا «آية الله» قد أحييت معجزة … يحار في كنهها عقل وأفكارُ
يا حاملاً لهدى القرآن تعلمه … ديناً تساوى بها رجسٌ وأطهارُ
يا ابن الثمانين ما راعتك واجبة … ولا تحذّر من عليائه الغارُ
ولا مشت بك في سوح العلا قدم … إلّا لترفع للإسلام أسوارُ
للحق منتقم، لله منتصر … بالله معتصم، لله مختارُ
وأنت للركب إذ تاه السراب به … وحار في التيه إصحار وإبحارُ
علمتنا كيف درب الحق نسلكه … وإنْ طغت فيه أشواك وأحجارُ
فثار في أمّتي روح الجهاد علا … وراح فيها سراب العمر ينهارُ
وأنذر الحق تيجاناً مهلهلة … فاهتزّ من تحتها بالرعب أشرارُ
وهزّ جيش الهدى للزحف رايته … ويقدم الزحف سلمان وعمّارُ
فاستنصري الحق يا بغداد هاتفة … يجبك جيش من الأحرار جرّارُ
وليعلم الكفر والطاغوت أجمعه … أن الزمان على الباغين دوّارُ

* * *

يا أمتي ورياح الغدر عاتية … يلوح منها على الآفاق إنذارُ
كنت الضحية في دنيا سياستها … قد عُميت فهي ألغاز وأسرارُ
للشرق والغرب أقزام مجندة … همُ على رقعة الشطرنج أحجارُ
عروبة ضيّعتنا في عمالتهم … كانت لها في دم المأساة أدوارُ
للمسلمين أعدّوا سيف نقمتهم … والقدس جُرحٌ على التاريخ نغّارُ
هل العروبة ان نحيا بلا نشب … ليكنز المال شاهات وسمسارُ؟
هل العروبة قيد فيه ذلتنا … كيما يسود بنا فهدٌ وغدّارُ؟
هل العروبة ان تجري الدما عبثاً … كي ينعم البال صدام وجزارُ؟
أين العروبة يا لبنان من دمها … بسيف صهيون سالت منه أنهارُ؟
إنّ العروبة تبكي اليوم غربتها … ليس الرياض ولا مصر لها دارُ
إنّ العروبة بالإسلام عزتها … ولن يغيّب نور الحق إنكار
أفديك طهران يا أرض الفداء ومن … فيك العروبة والإسلام ثوارُ

* * *

مسلمو الاتحاد السوفياتي

التوحيد والوحدة والممانعة الاسلامية

السيد هاني فحص

القسم الأول

مدخل منهجي:

يقول الدكتور احسان حق مترجم كتاب «المسلمون في الاتحاد السوفياتي» لمؤلفيه بالفرنسية شانتال لمرمييه كلكجي وألكسندر بينيفسن ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م. مؤسسة الرسالة ــ بيروت).. «على الرغم من أنّ هذا الكتاب كتب بتجرد الى حد بعيد... إلا أنه لم يكتب بعمق ومعاناة واقعية... بل بأقلام مستغرجين». ومع ذلك فهو يقدر قيمة «الجهود الكثيرة التي بذلاها للوصول الى ما وصلا اليه». و يقرر المترجم أن «سبل دراسة الموضوع غير متوفرة إذ قد ضرب بين العالم الحر وبين الاتحاد السوفياتي بسور ليس له نوافذ ولا أبواب» و من هنا فإنّ ما كتب عن الاتحاد السوفياتي «لا يمثل الحقيقة كاملة.. ولكن رغم التجرد والنقص فإنّ خلف السطور اشعاراً واضحة بأنّ هناك مأساة انسانية تجري حوادثها منذ قرون فوق أرض اسلامية اغتصبها أهل موسكو»[1].

و يقول «جوفري و يلر»: في مقدمة الطبعة الانكليزية للكتاب: «إنّ تاريخ الشعوب الإسلامية على أهمية أهمل من قبل الدارسين لافتقارهم الى المعرفة باللغة الروسية وعدم معرفتهم الدقيقة بالعقائد الدينية والتقاليد... وبالثقافة الإسلامية... ولأنهم غير عالمين بالكيفية التي يمارس بها التأثير الروسي والتأثير الاشتراكي الماركسي»«والقسم الأكبر مما يكتب كتب للدعاية لمصلحة الاتحاد السوفياتي أو ضده»[2].

ولابُدَّ من الكتابة، لأنَّ المعرفة بأوضاع المسلمين بما ينزل بهم من ظلم وبما يحققونه من تلاحم و تمسك بدينهم، هذه المعرفة ضرورية لأنها ترتب تكاليف على عاتق الأمّة تجاه الشطر المظلوم منها ولأنَّ ايجابيات تجارب المسلمين في هذه الأصقاع من شأنها أن تعزز ثقة الأمة بدينها ومستقبلها... فماذا نفعل؟ لقد قمت باختيار مصادر وإنْ تكن قليلة إلاّ أنها متنوعة. و بتنوعها يمكن لها أن تحيط بمجمل أبعاد

الصورة بمعظمها إنْ لم يمكن الإحاطة بالكل. وهي:

مصدران أجنبيان مترجمان هما الكتاب المذكور آنفا «المسلمون في الإتحاد السوفياتي» وكتاب آخر بعنوان « L,empireeclate » أي الامبراطورية المتشظية لمؤلفته الفرنسية هيلين كارير دونكوس ــ تاريخ التأليف ١٩٧٨ باريس والترجمة: هنري عبودي ــ بيروت ١٩٧٩ ــ وقد نشرته دارالطليعة ــ ذات الاهتمام القومي تحت عنوان «القوميات والدولة السوفياتية»... والكتابان حديثان كما هو واضح... وموضوعها أو اهتمامها منصبٌّ على التصدع الناتج عن اشكالية الاسلام أولاً والمسيحية ثانياً أو ثالثاً في الإتحاد السوفياتي.. وهما يأتيان الى الموضوع من حقبة تاريخية سبقت

حتى أواخر السبعينات كان الروس قد قتلوا(٢٠) مليون مسلم، كانت حصة ستالين وحده أحد عشر مليونا منهم.

الثورة، رصدا فيها الصراعات التي خاضها المسلمون ضد الإستعمار القيصري الروسي ليصلا الى ما بعد الثورة، فيجدا أن هذا الصراع بخلفياته وتعبيراته وأساليبه وقيمه و أهدافه مستمر رغم ما حصل من تبدل في منهج السلطة الحاكمة وآيديولوجيتها، و ينتهيان الى أن الموقف الإسلامي في الصراع مع الدولة السوفياتية أشد تماسكاً.. ربما كان ذلك متأتياً من كون النظام السوفياتي نظاماً شمولياً مما جعل الإسلام يستنفر كل طاقاته في مواجهته... لأنه شمولي أيضاً، ولكنه شمولي عادل، بينما يفتقر النظام الشيوعي الى العدل الذي هو مستحيل خارج التوحيد.

المصدران ليبراليان تكمن ميزتها في الإستقصاء، وما يقدمان من أرقام واحصائيات. لابُدَّ من الشك في دقتها. ولكن هذا الشك لصالحنا، بمعنى أنه اذا كان فيها افتئات أو ظلم وغبن، فالمسلمون هم المغبونون... تريد الوثائق السوفياتية المسموح بتداولها أنْ تقول بأنَّ المسلمين يظهرون طواعية ما للنظام السياسي والفكري والسلوكي السوفياتي، وتريد أن تقلل من علامات تماسكهم والظلم اللاحق بهم.. ولكن هذه الوثائق على ما فيها تأبى ألاّ أن تكون مؤشرات كافية للإستدلال على الإستقصاء الإسلامي. يبقى أن هذين المصدرين ينقصهما الكثير من الفهم لحركة الإنسان المسلم في اتجاهه نحو الله والأمة معاً... ومن هنا يضطربان في تفسير بعض الظواهر السلوكية، ولا يقلل من هذا الإضطراب إلاّ الرد الإسلامي المباشر على التساؤل الغربي... فهما عندما يخلطان بين القومي والديني، يأتي تعبير المسلمين في أحد الإستفتاءات بأنَّ الإسلام هو الأمة... وضعاً للأمور في نصابها الصحيح[٣].

المصدران الآخران اللذان اعتمدتها أساساً في هذا البحث أولها «أسرار ما وراء الستار» لمؤلفه الكاتب اللبناني محمد جميل بيهم ــ متوفى قبل سنوات ــ كتب اثر زيارة بناء على دعوة رسمية للاتحاد السوفياتي عام ١٩٥٧ والكتاب صادر في بيروت عام ١٩٥٧... والكاتب علماني عروبي شارك في نشاط الحركة القومية العربية ضد السلطة العثمانية قبل الحرب الأولى... عندما دعي لزيارة الاتحاد السوفياتي لم يلبث أن استيقظ على اسلامه فسجّل انطباعاته ومشاهداته المتاحة، فجاءت شهادة لم ترض السوفيات الذين يبتغون من وراء هذه الزيارات أن يعود الزوار ليقولوا إنَّ المسلمين بخير

وانهم يتماثلون بفضل الماركسية فكراً والشيوعية نظاماً الى الشفاء من الإسلام سراعاً.

الكتاب الآخر هو كتاب رسمي «الإسلام والمسلمون في البلاد السوفيتية» مؤلفه المفتي «ضياء الدين خان بن ايشان بابا خان» صادر عن الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان عام ١٤٠٠ هـ...

المؤلف هو رئيس الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان.. والده المفتي ايشان باباخان بن عبدالمجيد خان توفي عام ١٩٥٧ م.. «أصدر فتاوى كثيرة في رد البدع والخرافات» على حد تعبير ولده المؤلف... و «كان نصيراً كبيراً للسلام في العالم كله، وتشهد على ذلك المراسلات بينه و بين الشخصيات العالمية في حركة السلم». (شيوعيون أو أصدقاء للشيوعيين عادة).. «وقدرت الدولة السوفيتية جهود المفتي ايشان باباخان ونشاطه الوطني خلال حياته ونشاطه في النضال من أجل السلام في العالم، ومنحته وسام راية العمل الحمراء» ... و يقول المؤلف «و بعد وفاة والدي المرحوم انتخبني مسلمو آسيا الوسطى وقازاقستان رئيساً للإدارة الدينية في هذه الربوع»[٤].

أما عن سبب تأليفه للكتاب فهو من السطور الأولى يدعونا الى عدم الثقة بما يقول، و يؤكد أنه مأمور بتأليف الكتاب للدعاية. يقول «أما بعد خلال زيارتي وجولاتي في البلدان العربية والإسلامية وغيرها... وجدت لدى الجميع رغبة صادقة في التعرف على أحوال الإسلام والمسلمين في بلادنا ــ الإتحاد السوفيتي».

إذنْ فالمعلومات قليلة ولا تأتي إلاّ من قنوات رسمية إلاّ مارحم ربك .. وهو قناة رسمية أيضاً.. يؤكد ذلك عند ما يقول «وهذه الرغبة منبعثة من سببين هامين أولها: اهتمامهم ــ أي المسلمون خارج الإتحاد السوفيتي ــ الكبير بانتشار الإسلام وأمور المسلمين بشكل عام، وثانيها الدعايات الإستعمارية والصهيونية والرجعية المغرضة التي تصور وتزعم أن الدين الإسلامي محرم و ممنوع في البلاد السوفياتية «وأن المسلمين يتعرضون الى ضغط قاس ومتواصل، والمساجد ودور العبادة مغلقة، والمدارس الدينية لا وجود لها، وأن المسلمين لا يستطيعون تبوء المراكز المهمة في الدولة»[٥].

منذ البداية كان واضحاً لدى القادة السوفييت أن عملية الدمج المنشور أو الالحاق بالأصح تحتاج الى سياسة تغيير اجتماعي تستأصل مميزات الشعوب الاسلامية وطرق الحياة الخاصة بها مع مايفترض ذلك ضمناً من عمليات إبادة لازمة.

إنَّ المسلمين الحقيقيين يستنكفون عن تبوء المراكز، ورغم ذلك فأنَّ المسلمين ــ الملحدين من أصل مسلم مشكوك بولائهم وكفايتهم لتبوء هذه المراكز ــ... والشيخ يريد أن يقول إنَّ الإسلام بخير، وان الصهيونية تعطف على الإسلام والمسلمين، وهو يتجاهل أن الحزب الشيوعي الذي هو عضو في ادارة من الإدارات الخاضعة له «يضم ٣٠٪ من لجنته المركزية من اليهود ــ أيام الثورة ــ هم: تروتسكي لينفينوف ــ ليادوف ــ شكلوفسكي ــ سولتز ــ جوسيف ــ زينوفييف ــ كامينيف ــ روز اليازا ماليانسكا ــ هيلينا روزميروفتش ــ ياروسلافسكي ــ سيرا فيا جوبنر ــ سوكولنيكوف ــ بياتنسكي سفردلوف ــ فلاديميروف ــ زالوتسكي ــ لوزفسكي ــ ياكلوفليف ــ كاجانوفتش ــ سُفارتسمان ــ ريما شتاين ــ أوريتسكي ــ فولود ايسكي ــ ستكلوف ــ رودلف جوفه ــ روزانوف ــ لارين ــ رادبك،

ويشكل اليهود ٢٢٪ الى ٢٩٪ من الأعضاء في الشيوعية الدولية»[٦]. وفي عهد بريجنيف كانت الصورة هي التالية: «في اللجنة المركزية ينتمي ٨٢٪ من المندوبين الى الجماعة السلافية التي تمثل ٧٣٪ من السكان فقط، وفي المكتب السياسي هناك عضوان من غير السلافيين فقط من أصل ١٦ و (٣) مرشحين من أصل ٦.. أما أمانة السر فليس فيها أحد من غير الروس.. فالأمين العام ليونيد بريجنيف والأمناء العشرة جميعهم من أصل سلافي أو هم جميعاً من الروس أو ممن فقد طابعه القومي كبريجنيف[٧].

وفي الجيش والكلام عن معلومات توفرت في فترة الحرب العالمية الثانية... إذ المعلومات الآن متعسرة.. تقول المعلومات: «في هيئة الضباط في فرق المدفعية يشكل السلافيون ٩٠٪ ٥١/١٨٪ روس ٣٣/٩٣٪ اواكرانيون و ٢/٠٤٪ روس بيض «المسلمون غائبون عن جدول قيادات القوات الجوية نهائياً»[٨].. وقد جمع أحد الكتاب الغربيين عدة لوائح لضباط من المرتبة العليا، فوصل الى النتيجة التالية بمقارنة الأسماء: من أصل القواد المعينين ما بين عام ١٩٤٠ ــ ١٩٧٦ ٩١٪ منهم سلافيون (٦٠٪ روس ٢٠٪ أوكرانيون ٤٪ روس بيض و ٧٪ يصعب تحديد هويتهم و ٢٪ بولونيون)[٩].. وقد صرح نيقولاي سكريبنيك وهو بلشفي لاغبار عليه أمام المؤتمر الثاني عشر للحزب الشيوعي في نيسان١٩٢٣قائلا: **«الجيش اليوم آل الى أداة لترويس أوكرانيا وجميع السكان غير الروس»**[١٠] يبقى أنه ليس بمستطاع أحد أن يمنع المسلمين من الإسلام، وأن بعض المساجد مفتوحة لأنه ليس بمستطاع أحد أن يغلقها جميعاً... وبعض المدارس مفتوحة، ولكنها مسيطر عليها وذلك لم يمنع ولن يمنع أن تبقى هناك قيادات علمانية اسلامية خارجة عن قبضة السلطة وأمرها... عاملة بأمر الله منتظرة فرجه.

اني عندما أتعاطى مع موضوع شائك كهذا... وأراني أتنفس في جو من الحرية في كنف الإسلام... أميل الى التماس العذر لمن يعيشون أجواء القمع.. أميل الى عدم التشكيك وأقول يعملون ضمن ظروف متاحة ليحفظوا الإسلام و يقضي الله أمراً كان مفعولاً.. وفي اعتقادي أن هذا الميل منطقي وإيماني بشرط أن لايتورط العالم أو القائد المسلم في التبرير الآيديولوجي للأعداء... إنَّ ذلك يكشف عن خلل عقائدي دون شك، وذلك ما نلمسه لدى المفتي باباخان بدون لبس أو غموض... وان كان في اشارات عابرة منه وغير مقصودة، أو مقصود منها التغطية على العداء الروسي للاسلام، يؤكد عمق الإسلام في وجدان الأمة وسلوكها... في مجال التبرير والتلفيق الآيديولوجي المتعسف والمبتذل بين الإسلام والسوفياتية الشيوعية والماركسية. يقول الشيخ «وقد اهتم فلاديمير لينين كاهتماماته الأخرى بشؤون المسلمين في بلادنا بشكل جدي و بتحقيق آمالهم، و بادر لمنح كادحي الشرق السوفيتي ومسلمي روسيا حقوقهم الكاملة وتلبية مطالبهم وانشاء حكوماتهم القومية واحياء تراثهم وازدهار

لقد كانت السياسة الاستعمارية تقضي باتباع الشعوب المستعمرة الى الغزاة مما يستدعي تدمير بنيتها الداخلية، وقد قاوم المسلمون محاولة الاتباع والتدمير القيصرية ليجدوا أنفسهم غداة نجاح الثورة الشيوعية مضطرين ولنفس الأسباب أن يواصلوا جهادهم...

ثقافتهم»[١١] ويقول: «إنَّ العديد من المبادئ الإسلامية مطبقة في مجتمعنا الإشتراكي».

وينقل عن (ميرمورتور أغايف) قوله في مؤتمر: في سبيل وحدة المسلمين في النضال من أجل السلام وضد العدوان الامبريالي: «.. إنّ الرسول عليه السلام قد أشار الى طريق مثل الإسلامية العليا، وقد تحقق ذلك والحمد لله، والآن فأنّ شعبنا يعيش حياة حرة مرفهة ذات مستقبل نير»[١٢].

ويقول: «فما هو موقف المسلمين ورجال الدين عند ما يرون الدولة الوطنية تقوم بتطبيق العديد من تعاليم الإسلام والقرآن الكريم وسنن نبينا محمد (صلعم)؟ هل نقف ضدها أم نؤ يدها؟ إنّ الوقوف ضدها يعني التنكر لتعاليم كتاب الله»[١٣].

... ولا ندري من أين أتانا هذا الإسلام الرخو الذي يتشكل حسب إرادة الحاكم الملحد أو الكافر الرأسمالي أو الشيوعي؟.

ويبلغ الشيخ ذروة استلابه وتبعيته واحساسه بالدونية أمام الغربي... هذه الدونية التي ينكشف يوماً بعد يوم أن الغربي هو الاحق بها... عندما يقول... كما قال جميع الصغار: «إنّ الحكومة السوفيتية إذْ تعمل بثبات في ترسيخ النهج العادل لمساواة كافة شعوب بلادنا... فقد اتخذت الإجراءات لكي تقضي وبأسرع وقت ممكن على التأخر المزمن الذي ورثته شعوب الشرق من الماضي»[١٤].

إنّ الشيخ... سامري.. من نسل ذلك السامري الذى قبض قبضة من أثر الرسول أضلّ بها قومه... ولكن موسى (ع) عاد وأبطل خديعته وحطم عجله... والإسلام عائد أو أنه لم يغب...

لقد أطلت في الحديث عن بعض المصادر التي اعتمدتها وخاصة هذا الأخير.. أردت أن أقول إنّ الموضوع يحتاج الى عناء وأناة هو جدير بها... وأرجو أن تكون مساهمتي مدخلاً لتوجه أكثر علمية وأشمل.

١ ــ الخلفية الفكرية

يقول الكاتب اللبناني ميشال نوفل: «إنّ الماركسية كنمط أصيل من التفكير الأوروبي تحمل السمات المميزة للثقافة الأوروبية كما تبلورت في عصر النهضة وهو فهم التاريخ بصيغة كونه تياراً تمدنياً واحداً منطلقه التراث الاغريقي ــ الهليني/ اليهودي ــ المسيحي»[١٥].

●●———●●

ولم يشذ عن قاعدة التوجه الوحدوي إلا عدد ضئيل من أنصار «الجديد» الذين كانوا يدعون الى عصرنة الإسلام طبق المفاهيم الغربية، ثم مالبثوا أن انحازوا الى البلاشفة...

●●———●●

ويقول الدكتور عبدالمنعم حفني: «... كارل ماركس رفض اليهودية، وقال إنّ هدفه هو تحرير المجتمع من اليهودية، ولكنه ظلّ مع ذلك أميناً للتراث اليهودي... إنّ الماركسية والفرويدية تستقيان من نبع التراث اليهودي ومن المحاولات اليهودية الدائبة لتقويض المسيحية والإسلام كديانتين وحضارتين»[١٦].

لقد حرص اليهود على تهويد المسيحية منذ بطرس تلميذ المسيح ورائد عملية ربط الإنجيل بالتوراة والمسيحية باليهودية... وعندما تهوّد المسيحيون تخلقوا بأخلاق التوراة التي تقضي شرائعها بإبادة الأُمم وسحق الشعوب وتدمير مظاهر الحضارة[١٧].

إذنْ فقد قوضوا المسيحية بالتداخل معها واستتباعها.. كما كانت محاولات شبتاي تسفي لتقويض الإسلام من الداخل بادعاء الاسلام[١٨].

لقد أصبح التداخل وحدة في المنهج إذنْ، ولم يعد مجرد تحالف أو اتفاق مصلحة أو مشاركة... والإسلام خارج المنهج، فهو نقطة الإستقطاب

المداني وطرف الصراع الآخر الذي تتجمع كل الأطراف في مواجهته... يقول محمدجيل بيهم عندما مرّ بصوفيا في طريقه الى موسكو و نكين عام ١٩٥٧: «في صوفيا شاهدنا مسجدين؛ أحدهما كان مهجوراً، والثاني حوّل الى متحف، ولكن الدولة تعمّدت صنع شبابيكه على هيئة الصلبان»[١٩]. على قاعدة هذا الفهم ابتلعت روسيا القيصرية معظم آسيا الوسطى والقوقاز ومدت احتلالها عام ١٨٨٥ الى بعض الأراضي الأفغانية اثر انتهاء حرب القرم واندحار الإمام شامل الداغستاني قائد المقاومة القوقازية التي استمرت حوالي ثلاثة أرباع القرن ولم تلق السلاح إلاّ عام ١٨٥٩[٢٠]. فلقد واجهت روسيا مقاومة شديدة من المسلمين الأفغان أجبرتها على التراجع لتحاول ضم ايران الى ممتلكاتها، فاقتطعت جزءها الشمالي، واتجهت عام ١٨٨٨ نحو أفريقية الشرقية.

لقد كانت السياسة الإستعمارية تقضي باتباع الشعوب المستعمرة الى الغزاة مما يستدعي تدمير بنيتها الداخلية، وقد قاوم المسلمون محاولة الإتباع والتدمير القيصرية ليجدوا أنفسهم غداة نجاح الثورة الشيوعية مضطرين ولنفس الأسباب أن يواصلوا جهادهم و يعبروا عن ممانعتهم في الدخول في النظام الشيوعي والإندماج في النمط الحضاري الغربي والثقافي الإلحادي.

٢ ــ الصياغة النظرية والتماثل الماركسي:

عشية الحرب الكونية كانت أوروبا تسيطر على ٨٥٪ من أراضي القارات الخمس.. هذا بعد ما شهد القرن التاسع عشر الميلادي نشاطاً ملحوظاً في حركة الإستعمار الاوروبي وفي أنحاء متعددة من العالم، كانت بدايته حملة نابليون على مصر سنة ١٧٩٨ م وفي أواخر هذا القرن كان لابُدّ من صيغة نظرية تبرر التمدد الإستعماري والإجلاء والإستيطان وتغطي استمراره فظهر ما يسمى بالنظرية (البيولوجية) السياسية ومضمونها [أن للدول الكبرى حقاً في التهام الدول الصغرى وأن الشعوب الصغيرة يجب أن تموت وتفنى أمام الدول الكبرى، وصحبت هذه النظرية نظرية (الأرض) أو (الملك المباح) وتعني اباحة استعمار الأقاليم التي تسكنها شعوب متخلفة عن ركب الحضارة... متخلفة لأنها غير مسيحية وخارج القارة الأوروبية][٢١].

والماركسية كنظام فكري، كانت من نتاج هذا القرن ومشكلاته الغربية، وقد شكلت خلفية الإستعمار الروسي في القرن اللاحق، ولم تستطع شعاراتها الطبقية أن تخفي ذلك. وهي في تبريرها للعلاقات القهرية الإستعمارية بالشعوب المستضعفة.. والإسلامية منها خاصة، لم تبدل حتى في الألفاظ التي استخدمت في تبرير حركة الإستعمار الغربي العام والروسي القيصري في مرحلتها السابقة على الثورة البلشفية[٢٢]. لقد استبعدت المسيحية «المغربة والمهودة» من مستوى التعبير فقط.. بينما ظلّت في الواقع خلفية ثابتة للموقف الإستعماري... في أيار سنة ١٩٤٥ عندما وقف ستالين لتحية الشعب الروسي ــ «السوفياتي ــ بمناسبة الإنتصار في الحرب الكونية الثانية قال: «لأنّ روسيا هي الأمّة القائدة... ولأنها اكتسبت في هذه الحرب حب الإعتراف بها كمرشد للإتحاد بكامله... ولأنها تملك مآثر سائدة هي نقاوة الفكر وصلابة الخلق والصبر»..

وعندما أصبحت الهيمنة القيصرية على الشعوب خيراً مطلقاً، وحرم من التمجيد الأبطال الذين قاوموا الإستعمار القيصري «كالإمام شامل القوقازي»... كان الجميع في ذلك في قمعهم وتبريرهم للماضي الروسي يستندون الى فكر مؤسسي الماركسية ولا يتعارضون معه... فانجلز يدافع عن عمليات الغزو والإستيطان التي قامت بها روسيا في آسيا الوسطى فهو

يقول «روسيا هي فعلاً تقدمية بالنسبة الى الشرق، فقابل سفالتها وقذارتها السلافيتين ــ هو انجليزى ــ تشكل السيطرة الروسية عاملاً تمدينياً في البحر الأسود وبحر قزوين وآسيا الوسطى في أوساط الباشكير والتتار»[٢٣]. وعن احتلال الجزائر يقول انجلز: «فتح الجزائر يعتبر حدثاً هاماً وملائماً للتقدم والحضارة»[٢٤] «وهي قناعة كان يشاركه فيها ماركس بالنسبة الى احتلال الجزائر»[٢٥]. يقول ماركس «على انكلترا أن تحقق في الهند مهمة مزدوجة تدميرية واحيائية.. القضاء على النظام الإجتماعي الآسيوي القديم وخلق الأسس المادية لنظام اجتماعي غربي في آسيا»[٢٦].

٣ ــ العدوان على المسلمين:

وحدة المناهج وتعدد الأساليب

منذ البداية كان واضحاً لدى القادة السوفيات أن عملية الدمج المنشود أو الإلحاق بالأضح تحتاج الى سياسة تغيير اجتماعي تستأصل مميزات الشعوب الإسلامية وطرق الحياة الخاصة بها مع ما يفترض ذلك ضمناً من عمليات إبادة لازمة.ولم يكن المسلمون بحاجة الى أدلة ــ لن تتوفر ــ على أن المراد ليس هو الحاقهم بالشعب الروسي وجعلهم في خدمته وتحت وصايته (الترو يس) الذي لا يختلف عما كانت تستهدفه وتعمل له السلطة القيصرية...

ومن هنا يصبح تبرع المفتي باباخان بالفرق تبرعاً مرفوضاً ومتهماً... يقول: «كان الإسلام في روسية القيصرية دين الشعوب المظلومة، وتحولت أقاليمهم الى مستعمرات.. و بذلت الدولة السوفياتية بعد تشكيلها مباشرة مجهودات كبيرة لتصفية تلك الأوضاع غير العادلة»[٢٧].

ان البحث عن فرق هو بحث مستحيل... وفي الحالين فانّ الإسلام عقيدة وشريعة انعكس ساطعاً في مستوى الوعي الإسلامي وحياة المسلمين الداخلية وفي علاقاتهم بالآخرين، فكانت الوقفة الإسلامية واحدة ضد الآخر المعتدي الكافر أو الملحد، وكانت تقوم باستمرار على سلبية وايجابية السلبية هي النفور من الآخر ونظامه الفكري - والحياتي. والايجابية هي الشعور أو العقيدة الراسخة بجدارة الإسلام وا لتكليف بدعوة الأمم اليه...

«يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله والرسول اذا دعاكم لما يحييكم». «كنتم خير أمّة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر». و يقول المرحوم العلاّمة الطباطبائي في الميزان في تفسير الآية: «وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيداً» البقرة ــ ١٤٣ ــ «فأنتم أي المسلمون المجتبون المهديون الى الصراط، المسلمون لربهم الحكم والأمر وقد جعلناكم كذلك ليكون الرسول عليكم شهيداً وتكونوا شهداء على الناس أي تتوسطوا بين الرسول و بين الناس... أودع الرسول في قلوبكم علم الكتاب والحكمة فله التقدم على الجميع ولكم التوسط»[٢٨].

إذن هناك عصبية الحق والهدى... وهذه ليست طارئة على الأمّة الاسلامية... هي ملازمتها منذ كانت وتبلورت، يقول الدكتور علي الشامي: «لم تكن العصبية الإسلامية المعادية للغرب وليدة تحوّل داخلي في مسار الدعوة الإسلامية بقدرما كانت نتاجاً طبيعياً لفعل الغرب نفسه، فالعصبية الإسلامية العامة التي تمت وتشكّلت في المراحل الأولى لانتشار الدعوة، لم تأخذ اطلاقاً صورة عدائية عن المسيحية... فهي لم تتطور على قاعدة العداء للأديان أو للشعوب الأخرى، بل سعت عملياً الى هدفين متلازمين... تأمين وحدة الجماعة، ومواصلة نشر الدعوة»[٢٩].

لم يقتصر لينين في ممارسة العنف لتطبيق هذه السياسة.. في السادس من كانون الأول عام

١٩١٨ اوعزت سلطات موسكو الى سلطات الأطراف بالبدء بتصفية الحكومات الإستقلالية وحركات المقاومة، فبدأت بتركستان. وفي السادس من شباط اقتحم الجنود الروس مدينة طشقند، فقضوا على المقاومة الإسلامية ونهبوا المدينة ودمروها وأحرقوها، ودامت المذابح فيها ثلاثة أيام متوالية... ولنتبيّن حجم الجريمة لابُدّ أن نلاحظ أن سكان طشقند قبل الحملة كانوا (١٢٠/٠٠٠) نسمة، بينما كانوا سنة ١٩٣٦ ــ أي بعد ثمانية عشر عاماً لايزيدون على ٦٩/٠٠٠ نسمة.. وتابع الجنود الروس عملهم فأسقطوا حكومة كازاخستان الشرقية برئاسة (علي كيخانوف) والغربية برئاسة (دوسمو هيدوف) وحكومة قازان البشكيرية برئاسة (أحمد زكي وليدوف) وارتكبوا مجزرة بشعة في عاصمة التتر (سيمفير بول) وأخرى في (باكو) عاصمة آذربيجان ذهب ضحيتها ثلاثة آلاف من المسلمين... وحالف الروس فيها الإشتراكيون الثوريون والأرمن.[٣٠]

إنَّ ما ذكرناه على اختصاره يشكل دليلاً على الممانعة الإسلامية ومؤشراً على العنف اللينيني... غير ان لينين بعد هذه الممارسات وجد نفسه سنة ١٩٢١ بعد نهاية الحرب وسقوط مراهناته على الثورة في أوروبا مضطراً الى التوجه نحو الشعوب الإسلامية المتداخلة معه ــ طوعاً أو قسراً ــ والمحيطة به ليستغلها في بناء بلده ودولته، ولم يكن بامكانه اهمال دلالات النزوع المتأصل الى الوحدة والإستقلال لدى هذه الشعوب، ولكن العنف المسلح أيضاً لم يثبت أنه الحل الناجح.. لذلك عاد ليقرر بأنَّ سياسة التربية الطويلة الأمد هي وسيلة التغيير المنشود.. والتربية بالمفهوم الماركسي ــ والإستكباري الطاغوتي بشكل عام ــ ليست استبعاداً نهائياً للعنف الجسدي.. لقد عدل لينين عن العنف المفضوح ليس إلاّ...[٣١]. اضافة الى أن العملية التربوية هي عنف غيرمعلن وتستلزم ــ حسب السيرة الشيوعية ــ درجة من العنف الجسدي في مواجهة المقاومة المحتملة دائماً والأكيدة في الحالة الإسلامية.. وفي العادة لا تكون درجة العنف هذه أقل من درجة العنف المفضوح بكثير..

هنا يخطىء من يتصور أن ماسمي بالثورة الثقافية في الصين أثناء الستينات قد كانت ثورة نظيفة من الدم وأنها اعتمدت الحوار والإقناع بالحسنى، فقد كان ضحاياها في حدود أحد عشر مليوناً من الصينيين. ونحن لابُدّ لنا أن نتوقع المقاومة الإسلامية لأهلية الإسلام وجاهزية المسلمين تربوياً، ونتذكر أن المقاومة الإسلامية للنظام الشيوعي في أفغانستان قد سجّلت منعطفاً في النوع والدرجة عندما أعلن برنامج محو الأُمية ومنهم المسلمون، أن القصد منه هو ادخال الفكر الشيوعي الى العائلة... الى الطفل والمرأة تحديداً... كان لينين في لحظة أخذه القرار التربوي قد شارف على نهايته.. إذ أنه بعد المؤتمر الرابع «للكومنترن» تشرين الثاني ١٩٢٢ أصيب بنوبة أبعدته نهائياً عن السياسة، وتسلّم ستالين زمام الأُمور رغم أن لينين أوصى بعزله.[٣٢] وعند ما خلفه ستالين كان مقتنعاً تماماً بالاستعاضة عن التربية بالعنف المفضوح. ومن هنا بدأ مباشرة بابادة الطلائع التي كانت تستجيب لتطلعات شعوبها وتقود نضالها ضد مخططات الإلحاق والتذويب.. والشعوب الإسلامية منها خاصة[٣٣]. وقد ظهرت تأثيرات ذلك العنف عكسياً فيما أبدته الشعوب من ارادة استقلالية أغرت الألماني (روزنبرغ) في أن يقدم مشروعاً (لهتلر) اثناء الحرب العالمية الثانية لتقسيم الإتحاد السوفياتي مشيراً الى الفوارق المتأصلة بين شعوبه والى ما تسفر عنه سياسة ستالين من تفكك وحال دون تنفيذ هذا المشروع أن هتلر كان في أوج انتصاراته وكان يريد استعمار الإتحاد السوفياتي بالكامل «أثناء الهجوم الهتلري كان الأعداء يعتقدون أن بلادنا ستتفرق في أول ضربة»[٣٤].

وأمام ما أثارته تصفيات ستالين في الثلاثينات من مشاعر عداء وحركة سياسية معادية، اضطر أثناء الحرب للتغاضي، ليعود بعدها فيواصل سيرته التي اشتهر بها، في الإبادة... دون أن يعني ذلك براءة غيره... بل انه لم يكن مؤسساً، إذ الأساس قائم لا يحتاج الى من يحدثه.. وعملياً تابع الخلف خط السلف... بعد الحرب كشف ستالين عن القيم الروسية التي تحكم رؤيته وعلاقته بالشعوب إذ قال سنة ١٩٤٥: «لو أردت أن أعاقب كما يكون العقاب لنفيت الشعب الأوكراني بالكامل».. والشعب الأوكراني سلافي و يستحق النفي لأنه لم يكن كما يريد ستالين في الحرب مضحياً من أجل رفعة شقيقه الراشد البكر الشعب الروسي.. فكيف بالشعوب الاسلامية إذن؟[٣٥].

هنا لابأس من تذكر هذا الرقم: حتى أواخر السبعينات كان الروس قد قتلوا ٢٠ مليوناً من المسلمين كانت حصة ستالين وحده أحد عشر مليوناً منهم[٣٦].

إنَّ الفرق بين لينين وستالين فيما يعود الى هذه المسألة هو أن ستالين وعى بخلاف لينين وحلفائه ــ باعتبار أنَّ من أتوا بعد ستالين لم ينتسبوا اليه ــ عدم امكانية تطويع الشعوب للارادة السوفيتية، واعتقد أن القوة هي الكفيلة بحسم الموضوع ليأتي الواقع من بعد فيكذبه كما كذب سلفه وخلفاءه. إذ ما كاد خروتشيف يخلفه حتى جاهر بالقول بأنَّ العنف والظلم يثيران إرادة الشعوب. كان ذلك منه تقييماً لنتائج المنهج الستاليني. وعند ما أراد أن يقيم المنهج اللينيني، وجد نفسه مضطراً أمام ممانعة الشعوب الإسلامية وتماسكها أن يقول: وان التنازلات تشجعها أيضاً وكأنه ألزم نفسه باتباع منهج مغاير، فاذا فعل؟

دعا خروتشيف الى تغيير المجتمع باتجاه الشيوعية وايجاد سوية شيوعية واحدة بين الشعوب في وقت قصير دون أي اعتبار لواقع الحال وثوابته سواء في ذلك واقع حال الشعوب الإسلامية أو واقع حال العقل الأوروبي الذي لم يكن من شأن الشيوعية أن تبدل شيئاً في نظرته الى الآخرين... ونظرة سريعة على الأرقام المتداولة عن الإتحاد السوفياتي خلال الفترة التي حكم فيها خروتشيف و بعض الفترة التي حكم فيها خلفاؤه، ترينا الى أي حد كان الإسلام كفيلاً باحباط التطلعات السوفيتية... هنا يلاحظ الدارسون أن القاسم المشترك بين القادة السوفيات هو اعتبارهم مسألة الفوارق التي تميز الشعوب الإسلامية عن الشعب الروسي خاصة والشعوب الأوروبية عامة ليست فوارق داخلة في تكوين ثقافي وحضاري مختلف وأصيل، بل هي مجرد مخلفات ماض يمكن تصفيتها نهائياً.. والمسألة مسألة وقت.. ولكنهم أدركوا بُعدها الحقيقي ذا الطابع الثابت والذي يشكل تهديداً لمجمل النظام السوفياتي ــ الفكري والسياسي ــ.

٤ ــ الشيوعيون الروس وذكريات الوحدة الاسلامية:

عند ما قرر الشيوعيون الروس أن يتحكموا بمصير المسلمين في روسيا والمناطق الشرقية المتصلة بها استعادوا ما شاهدوه من حركة إسلامية سبقت الثورة واستمرت طوال فترة الحكومة المؤقتة (من شباط ١٩١٧ حتى تشرين الأول من نفس العام) وقد لاحظوا أن الوحدة الإسلامية كانت الفكرة المهيمنة **«حتى القرن العشرين لم يعرف أهل القوقاز معنى القومية بمفهومها الحديث، بل كان الإسلام هو رباط وحدتهم، ولذا فقد اتخذت مقاومتهم للروس طابعاً دينياً وتولى علماء الدين قيادة المقاومة»**[٣٧]. و **«يبدو أن الوحدة الدينية كانت أقوى همزة وصل بين هذه الشعوب المسلمة»**[٣٨].

لقد كانت الوحدة هي المسألة المركزية في هذه الحركة، وقد تجاوزت كونها أواصر ثقافية وعقيدية وسلوكية مشتركة وعميقة الى الطموح بالتعبير عن نفسها بتشكيل كيان سياسي موحد ومتميز... ولم تكتف الحركة الإسلامية بالإعداد الفكري والسياسي لهذا الطموح، بل تعدت ذلك الى الإعداد العسكري.

وفي هذا المجال يلاحظ المتتبعون أن الوحدة الإسلامية ظلّت مسيطرة على جميع النقاشات الدائرة بين المجموعات الإسلامية والناظم لحركتها. ففي الأول من آذار سنة ١٩١٧ انعقد مؤتمر الوحدة الإسلامية في موسكو، ولم يكن الإختلاف بين الجماعات الإسلامية داخله إلا في أمور ثانوية حول تفاصيل الوحدة الإسلامية والكيان الإسلامي الموحد.. وقد ظلّت الوحدة الإسلامية حتى تشرين الأول سليمة لم يصبها وهن... ولم يشذ عن قاعدة التوجه الوحدوي إلاّ عدد ضئيل من أنصار «الجديد» الذين كانوا يدعون الى عصرنة الإسلام؟ طبق المفاهيم الغربية، ثم مالبثوا أن انحازوا الى البلاشفة، مرجحين الإتحاد معهم على الإتحاد مع أبناء دينهم. وهؤلاء يرجع تاريخ بروزهم ونشاطهم على الساحة الإسلامية الى الفترة التي ظهرت فيها مجموعات مشابهة في الدولة العثمانية كجيوب للغرب في أواسط القرن الماضي (تركيا الفتاة ـــ العربية الفتاة ـــ حركة الإصلاح في لبنان، الإتحاد والترقي الخ)... وكذلك شذت عن قاعدة التوجه الوحد وي قيادة الحركة الوطنية في شمالي القوقاز حيث كانت هذه الحركة تقاد من قبل (نبلاء) تربوا تربية روسية، وظلوا يطالبون بالإستقلال الذاتي في نطاق اتحاد فيدرالي مع روسيا، وإنْ كان تأثيرهم في أوساط الشعب شبه معدوم[٣٩].

هذا وقد كان مسلمو روسيا وخاصة «بتروغراد» يبذلون جهوداً مكثفة لإقامة جبهة إسلامية الى جانب الزعماء في كل المناطق الإسلامية على اختلاف نزعاتهم. وفي أيار من عام ١٩١٧ عقد مؤتمر اسلامي شامل حضره (٩٠٠) مندوب يمثلون المناطق كافة، و برز فيه الإخلاص لفكرة الوحدة الإسلامية.

لقد لاحظ الروس الشيوعيون حالة الوحدة هذه، ولكنهم راهنوا على القوة مرة وعلى التربية مرة لتفكيكها كما مرّ معنا لأنهم اعتبروها «حالة» يمكن تغييرها من الخارج أو من الداخل أو بالتناغم بين الخارج والداخل، أي بين العنف المباشر والعنف غير المباشر.

لقد فاتهم أن جذور الوحدة تضرب عمقاً في عمق العقيدة الإسلامية ومنها تتجذر في نسيج الشخصية الإسلامية حتى تصبح بعداً يقارب أن يكون تكوينياً فيها... ومتى ما كان كذلك يخرج عن دائرة الإرادة البشرية وتصبح علاقة التاريخ به... ليست علاقة تثبيت أو اقتلاع بل علاقة تأريخ محض لتجلياته وتعبيراته قوة وضعفاً لاوجوداً وزوالاً.

واذا كانت الوحدة بمقتضى الإسلام هي المعادل الموضوعي لعقيدة التوحيد الذي هو الفطرة والتكوين، فإنَّ ذلك لايمنع من تسرب عوامل الإسترخاء والتفكك الى الأمة فتضعف فيها إرادة الوحدة. ولكنَّ الأمة بمقتضى أصالة الوحدة في بنيتها لا تلبث أن تتحرك نحو الوحدة بقوة عند ما تتعرض لخطر أوتحدٍ خارجي... لترد على هذا التحدي... ومن هنا يخطئ كثيراً من يغترون بمظاهر التجزئة في الأمة الإسلامية ويرتبون عليها جملة من أحلامهم العدوانية.

يقول المرحوم العلامة الطباطبائي في الميزان في تفسيره للآية «ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون» ٩٢ ـــ الأنبياء ـــ «النوع الإنساني لما كان نوعاً واحداً وأمة واحدة ذات مقصد واحد وهو سعادة الإنسانية لم يكن له إلاّ رب واحد، إذ الربوبية والألوهية

يست من المناصب التشريعية الوضعية، بل هي مبدئية كونية لتدبير أمره.والإنسان حقيقة نوعية واحدة النظام الجاري في تدبير أمره نظام واحد متصل مرتبط بعض أجزائه ببعض» [٤٠].. إذن الوحدة هي التطابق مع النظام الكوني وهي انطباق العقيدة على التاريخ، وهي فضلاً عن كونها نقيض التجزئة على مستوى الأمة..هي هدف للأمة خارج حجمها ومداها الراهن، و توجه نحو وحدة كونية تتوخى السعادة «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» (الأنبياء ـ ١٠٧) «وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً» (سبأ ـ ٢٨) يجدر ملاحظة (ما وإلّا) في الآية بماتفيدان من الحصر والتوكيد. الى ذلك فان (وحدة العقيدة) هي تجلٍ دائم و يوحي في حياة المسلمين تجد في قناة الحكم الشرعي الذي تمرفيه أفعال المسلم وعلاقاته تعبيرها كما تجد في العبادة (عبادة الواحد الأحد) وفي العلاقات الإجتماعية وعلاقات العمل والقيم وفي طموح الشرع الإسلامي لحكم وضبط وقائع الحياة الفردية والجماعية مايضمن بقاءها ورسوخها في الوجدان وآليات الحياة...

لقد أخذ السوفيات منذ البداية بضرب أسس الوحدة وتأسيس التجزئة في أوساط المسلمين.. ولكنهم كانوا مستعمرين، طارئين.. وكانت الوحدة أصلاً، مما جعل المسلمين يذهبون الى مزيد من الوحدة وتأكيدها مظهراً ومضموناً... بالقدر المتاح طبعاً.. دون أن تكون محدودية الفرص مؤثرة على بلاغة التعبير ووضوحه.

٥ ـ عمليات التفتيت والتجزئة من الجانب السوفياتي والرد الإسلامي الوحدوي:

كان لا بدّ من تصنيع الإتحاد السوفياتي خاصة بعد ما تيبست أقدام الثورة في الداخل و خابت الآمال في ثورات عمالية أوروبية أخرى[٤١] مما كان يفترض الحاجة الى اليد العاملة. وفي حين كانت المناطق الأوروبية من الاتحاد فقيرة باليد العاملة، كانت المناطق الإسلامية غنية بها و بالمواد الأولية. ولكن تصنيعها يؤدي الى ازدهارها و بالتالي استقوائها واستقلالها وتوحدها والمطلوب الحاقها وتفكيكها تمهيداً لهذا الالحاق، من هنا كان حديد كازاخستان يصنع في المناطق الأوربية. وفي حين كانت آسيا الوسطى غنية بالمواد الأولية فضلاً عن اليد العاملة الإسلامية كانت أقل المناطق تصنيعاً... يقول محمد جميل بيهم «ثغر باكو مركز من مراكز النفط المهمة في الإتحاد السوفياتي... ووجود النفط في هذه المدينة بغزارة... إضافة الى الأنهار والأراضي الخصبة والمعادن المختلفة» ويقول «وعلاوة على النفط الذي يقدر انتاجه يومياً بسبعين ألف طن، أي أكثر من انتاج ايران، تحفل آذربايجان بالمعادن من حديد وملح حجري ومنعبر وبالمياه المعدنية»[٤٢]

لتحقيق المطلوب كان لا بدّ من اجبار اليد العاملة الإسلامية على الهجرة نحو الغرب عن طريق الإبادة والنزوح بالإكراه (التهجير) أوالترغيب... وتتميماً للخطة، كان من المفروض تشجيع الروس على الهجرة الى المناطق الإسلامية للتحكم بعملية التطور، الإجتماعي والسياسي والثقافي والسيطرة على المصادر والمصانع الصغيرة التي لابُدَّ منها... وفي أواخر السبعينات، لوحظ أن الروس قد أصبحوا يشكلون نسبة ٢٠٪ من سكان بعض المناطق الإسلامية.

٦ ـ عمليات الإبادة والنزوح:

لقد تمّ على هذا الصعيد مايلي مثالاً لاحصراً:

أ ـ النزوح بالإكراه... والإبادة:

١ ـ تمّ القضاء على البدو الرحل في كازاخستان. ٢ ـ فقد البشكيريون ثلث عددهم. ٣ ـ هجّر ستالين شعوباً بكاملها كالتشيتشين والأنغوش والكاراتشاي والبلكار في القوقاز، ولكنهم

ظلوا متماسكين صامدين في جهادهم تائقين الى العودة حتى اضطر المؤتمر العشرون للحزب السماح لهم بالعودة. ٤ ــ أباد ستالين قسماً من تترشبه جزيرة القرم وهجّر الباقين، ولم يسمح لهم بالعودة. ٥ ــ سخّر ستالين في خدمة التصنيع أسلوب اقتلاع كل الفلاحين من بيوتهم ورميهم في سجون المشاغل البعيدة وقد نالت آسيا الوسطى نصيبها الأوفى من هذه النزوحات الإكراهية.

ب ــ النزوح بالترغيب:

في سبيل احتذاب المسلمين الى المناطق المصنعة وضعت اغراءات من قبيل زيادة الدخل وتسهيلات للتعليم والرفاه بالإضافة الى جاذبية المدن، ومع ذلك فقد لوحظ التالي:

١ ــ الانتقال من مدينة الى مدينة منتشر في آسيا الوسطى والقوقاز (داخل المنطقة).

٢ ــ الانتقال من الريف الى المدينة في هذه المناطق أقل منه في مناطق أخرى.

٣ ــ كل المناطق الإسلامية زادت كثافتها من عام ١٩٥٩ الى عام ١٩٧٠ على عكس الروس والروس البيض ــ مثالاً لاحصراً ــ.

٤ ــ الشعوب الإسلامية تنزح الى مناطق إسلامية والإستثناء الوحيد هنا هم الكازاخيون،فهم لأسباب سياسية ينزحون الى موسكوليصبحوا من بعد دليلاً وحيداً على الفيدرالية...

هذا في حين أن الفلاحين الكازاخيين ليسوا كأهل المدن في هذه المسألة، والجميع يبقون متعلقين **بمساقط رؤوسهم.** هذا مع ملاحظة أن النزوح ظلّ فردياً، أي بدون العائلة حتى لا تتعرض لضغط (التحضير الروسي) الإندماج وحذراً من البقاء في منطقة النزوح، والإنفصال عن الجماعة الأصلية، ولذا لوحظ أن مدة النزوح تكون دائماً محدودة حيث يثبت المسلم أنه غير قادر على تأسيس أو اصطناع شعور بمواطنية جديدة خارج الجماعة لابسبب انعدام الجاذب بل لأنّ الجاذب وراءه أقوى... في أهله وشعبه ودينه... تقول هيلين دونكوس: «**رغم مايعانيه أهل هذه المناطق ــ أي الاسلامية ــ من انخفاض في الدخل ووجود المغريات فانهم لايميلون الى النزوح لأنّ تعلقهم بمنطقتهم الأصلية أقوى من مصاعب الحياة اليومية**»[٣]

٧ ــ كيف رد المسلمون على عمليات الإبادة والتهجير؟

كان المسلمون يردون بازدياد أعدادهم. وفي هذا المجال يظهر من الدراسات السوفياتية أن المناطق الغربية قد شهدت من عام ١٩٥٩ الى عام ١٩٧٠ انخفاضاً في معدل نمو السكان على العكس من المناطق الإسلامية، مع العلم أنه الى سنة ١٩٥٩ كان الأمر على العكس ولم يكن انخفاض النمو السكاني لدى المسلمين في هذه الفترة راجعاً الى انخفاض نسبة الولادات بل الى عمليات الإبادة و يبقى غير القادرين على فهم الإسلام وأثره في حياة المسلم غير مؤهلين لرؤية السبب الإسلامي وراء هذه الظاهرة.

الهوامش

١ ــ المسلمون في الاتحاد السوفياتي ــ ترجمة داحسان حقي مقدمة المترجم ص ٥ ــ ٦.

٢ ــ نفس المصدر ص ١٥ ــ ١٦.

٣ ــ لقد عملت على استخلاص الأرقام الأساسية دلالاتها اضافة الى بعض الدلالات التي استنبطها مؤلفو الكتاب خاصة وأن المجال لايتسع لاثبات كل الاحصائيات والجداول المستخرجة من المصادر الروسية.

بن ... باباخان ـ طشقند ١٤٠٠ هـ . ص ٩٢ ـ ٩٣.

٥ ـ نفس المصدر ـ ص ٣ ـ.

٦ ـ الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ـ د.عبد المنعم حفني ـ دار المسيرة ـ بيروت ط ١ ـ ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ ـ ص ٤ ـ ٥ ـ.

٧ ـ القوميات والدولة السوفياتية ـ هيلين كاريير دونكوس ـ ص ١٠٥.

٨ ـ نفس المصدر ص ١١٥.

٩ ـ نفس المصدر ص ١١٦.

١٠ ـ نفس المصدر ص ١١٣.

١١ ـ الاسلام والمسلمون في البلاد السوفياتية ـ باباخان ـ ص ١٥٧.

١٢ ـ نفس المصدر ـ ص ١٥٣.

١٣ ـ نفس المصدر ـ ص ١٩٩.

١٤ ـ نفس المصدر ـ ص ١٦١.

١٥ ـ ميشال نوفل ـ مجلة الفكر العربي ـ بيروت ـ العدد ٣١ ص ١٧٣ (ذهب ماركس و انجلز الى أن جذور الفكرة والحركة الثوريتين في أوروبا هي مسيحية أيضاً) نفس المصدر ص ١٨٤.

١٦ ـ د. عبد المنعم حفني ـ الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص ٣ ـ ٤ .

١٧ ـ الدكتور جورجي كنعان ـ وثيقة الصهيونية في العهد القديم ـ دار النهار للنشر/ ط ٢ بيروت ١٩٨٢ ص ١٥٢.

١٨ ـ د. عبد المنعم حفني ـ الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص ـ ٤ ـ .

١٩ ـ محمد جيل بيهم ـ أسرار ماوراء الستار ـ ص ١٧.

٢٠ ـ المسلمون في الإتحاد السوفياتي ـ ص ٣٢.

٢١ ـ د. عبدالعزيز محمد الشناوي ـ الدولة العثمانية ج ٢ ص (١٠٢٩).

٢٢ ـ كون الماركسية استجابة لأوضاع غربية هذا لايعني أنها انطبقت على الواقع التاريخي الذي تعاملت معه حتّى تحافظ على صحتها بما هي اطار نظري معبّر عن خصوصية رأسمالية أوروبية في مواجهة خصوصيات سياسية أخرى، و بالتالي فأنّ آكل هذه النظرية على أرض الواقع الذي ولّدها يؤدي ليس فقط لى عدم الإعتراف بعالمية هذه النظرية.. بل يؤدي أيضاً التشكيك بموضوعة انطباقها على الواقع الرأسمالي الأوروبي نفسه، أي بلغة خرى التشكيك بالخصوصية العلمية لهذه النظرية ـ راجع د. ـسن الضيقة. من كومونة باريس الى انتفاضة الجزائر ـ مجلة مرفان ـ العدد الثاني ١٩٨٤ ـ بيروت ص ٢٠ ـ ٢١.

... روس ـ مجلة الفكر العربي ـ العدد ٣١ ص ١٧٥.

٢٤ ـ نفس المصدر ـ ص ١٨٣.

٢٥ ـ احمد بن بيلا ـ الطليعة الاسلامية ـ لندن ـ العدد ٧ ص ٣٦.

٢٦ ـ ميشيل نوفل ـ الفكر العربي ـ العدد ٣١ ـ ص ١٧٥ يقول محمد أبوالقاسم حاج حمد «ان الحضارة الأوروبية إذ مضت باتجاه العالمية منذقرن و نصف فأنها لم تحمل فقط الى العالم اختياراتها البرجوازية بل حملت أيضاً بدائلها المضادة للبرجوازية فأصبحت المعارضة الأوروبية أوروبية الصيغة والمنشأ» العالمية الإسلام الثانية. ط ١ دار المسيرة ـ ١٣٩٩ هـ . ق ص ٢١٨.

٢٧ ـ ضياء الدين باباخان ـ الإسلام والمسلمون في البلاد السوفياتية ـ ص (٧١) «والذي حدث في هذه المنطقة (قازان و استرخان و بلاد البشكير وأورال الجنوبية.. ألخ أي البلاد الاسلامية التي استولى عليها الروس في أواخر القرن الماضي) هو مثل ماحدث في أي منطقة أخرى مارست فيها روسيا سياسة التوطين... وذلك أنها عملت على تحقيق ادماج السكان الأصليين في المجموعة وصهرهم فيها... وكان هذا الدمج على الرغم مما ينطوي عليه من اختلافات محسوسة تبعاً للمنطقة يخضع لبعض المبادئ العامة التي يمكن تمييزها بسهولة وهي: تصفية النخبة التقليدية ومحاربة الدين الاسلامي وانتهاج منهج ثقافي واحد للجماهير» (المسلمون في الاتحاد السوفياتي ـ ترجمة احسان حقي ص ٣٥).

٢٨ـ العلامة المرحوم السيد محمد حسين الطباطبائي ـ الميزان ج ١ ص ٣٢٦ ـ .

٢٩ ـ د. علي الشامي ـ مجلة الفكر العربي العدد ٣١ ص ١٤٦.

٣٠ ـ راجع المسلمون في الاتحاد السوفياتي ـ من ص ١٢٠ الى ص ١٢٨.

٣١ ـ لدى استيلاء الروس في أواسط القرن السادس عشر الميلادي على عدد من المناطق الاسلامية انتهجوا سياسة تنصير اجباري توقفت على عهد القياصرة الثلاثة الأول من أسرة رومانوف لتعود أشد عنفاً في عهد بطرس الأكبر» وفي الفترة مابين ١٧٣٨ ـ ١٧٥٥ هدم الروس ٤١٨ مسجداً من أصل ٥٣٦ في بلاد قازان وأغلقوا كل المدارس القرآنية وفتحوا بدلاً منها مدارس خاصة لأولاد المسلمين المرتدين عن الاسلام.. واستولت الحكومة على أوقاف المسلمين. وكان اعتناق الاسلام جريمة يعاقب عليها القانون بالإعدام.. وحدثت هجرة واسعة من المناطق المحتلة.. ثم توقفت الحملة خلال حكم كاترين الثانية التي منحت المسلمين في الامبراطورية بعض الحقوق، ثم لم تلبث أن تجددت في

عهد اسكندر الثاني ولكن بطرق مرنة ـ على الطريقة الليبنينية في المرحلة الثانية ـ لاجتذاب المسلمين الى المسيحية.. مما استدعى ظهور حركة اصلاحية بقيادة العلماء في اواخر القرن التاسع عشر) راجع (المسلمون في الاتحاد السوفياتي ـ ص ٢٦ ـ ٢٧ ـ ٢٨).

٣٢ ـ هيلين كاريرد ونكوس ـ القوميات والدولة السوفياتية ص ١٥ ـ.

٣٣ ـ نفس المصدر ص ٢٢ والنص الثاني من ضياء الدين باباخان ـ الاسلام والمسلمون في البلاد السوفياتية ص ١٥٩.

٣٤ ـ نفس المصدر ص ٢٤.

٣٥ ـ عدد الجمهوريات الاسلامية في الاتحاد السوفياتي ٦ جمهوريات من ١٥ جمهورية هي مجموع جمهوريات الاتحاد، وهي: آذربيجان، أوزبكستان، كازاخستان، قيرغيزيا، تركمانستان و طاجكستان.. وكان عدد سكانها حسب المعلومات الأولية المعطاة سنة ١٩٥٧ ...٢٤/٢٥./٠ نسمة على ٢٠٠ مليون نسمة هم سكان الاتحاد في ذلك الوقت. هذا ماعدا المناطق ذات الحكم الذاتي داخل جمهوريات أخرى مثل اكاداريا ـ بلكاريا ـ تشيتشينا ـ أنغوشيا ـ داغستان ـ كناريا ـ بشكيريا ـ ماوراء القوقار ومناطق القوقاز الشمالي.. وفي سائر الجمهوريات الأوروبية يوجد مسلمون بنسب متفاوتة، ويبلغ عدد المسلمين في جيورجيا ثلث السكان.. راجع محمد جميل بيهم ـ أسرار ماوراء الستار ص ٧٩ ـ ٨٠.

٣٦ ـ المسلمون في الاتحاد السوفياتي ص ٤١.

٣٧ ـ نفس المصدر ص ٢٥.

٣٨ ـ نفس المصدر الصفحات من ١١٣ الى ١٦٤.

٣٩ ـ الميزان في تفسير القرآن ج ١٤ ص ٣٥٣.

٤٠ ـ بعد انقضاء سنة على المؤتمر الأول للأممية الثالثة دخلت الثورة في أوروبا مرحلة النزع الأخير أو أجهضت، وبدا للمؤتمر الثاني للأممية المنعقد في (تموز ـ يوليو ١٩٢٠) أن لوحة أوروبا الخارجة من الحرب توحي بفكرة دار للمجانين) ميشال بوغل ـ مجلة الفكر العربي ـ العدد ٣١ ص ١٨١.

٤١ ـ أسرار ماوراء الستار ـ محمد جميل بيهم ص ١٥٤ ـ ١٥٧.

٤٢ ـ القوميات والدولة السوفياتية ـ دوبكوس ـ الفصل الثالث ص ٧٢ وما بعدها.

٤٣ ـ المصدر السابق ص ٩٢.

دعاء ورجاء

شاعر الاسلام

يا إمامَ ٱلهُدى ونبعَ ٱلعطاءِ ... ومنارَ ٱلتُّقى وفيضَ الرجاءِ
جئتُ وٱلشَّوقُ نابضٌ بعروقي ... مُورِقُ الظِّلِّ وارِفُ الأفياءِ
حاجةٌ لي وأنتَ أعلمُ فيها ... يابنَ «بابِ ٱلحوائجِ» ٱلعصماءِ
يا طبيباً إذا الأطباءُ عزَّتْ ... ودواءً لكلِّ صعبِ ٱلدَّاءِ
قد بُلينا بشرٍّ «شرِّ زمانٍ» ... حكمتْ فيه طغمةُ ٱلسُّفهاءِ
ويزيدُ ٱلزَّمانِ صدَّامُ بغيٍ ... وَدَمارٍ وخِسَّةٍ وشقاءِ

• • •

شرَّدوا أهلنا فُرادى وَجَمعاً ... من ديارِ ٱلأجدادِ والآباءِ
قتلوا بعضنا وزجُّوا ببعضٍ ... بسُجونِ «بعثيَّةٍ» ظَلْماءِ
هجَّروا كُلَّ من يوالي عليّاً ... ونبيَّ الورى و «آلِ الكساءِ»
وسبوا كُلَّ سَيِّدٍ وَكريمٍ ... وَأطاحوا بالخيرةِ ٱلصُّلحاءِ
لَمْ يراعوا شيخاً وطفلاً رضيعاً ... بل أباحوا نِساءَ «خيرِ ٱلنِّساءِ»
أعدموا كُلَّ عالمٍ وفقيهٍ ... وعلى رأسهم «فتى ٱلفُقهاءِ»
باقِرَ ٱلصَّدرِ صَدْرِ كُلِّ المعالي ... وشهيداً من خيرة الشهداءِ

• • •


ولـيّ مِـنْ سـادةِ الأولـ
عن إمام العصرِ ـ بالحقِّ ـ خاتم الأوصياءِ
حسبها دولة بإيران قامت باسم طه وسيّدِ الأنبياءِ
علاءٍ ورفعةٍ وسناءِ
على ذُرى الجوزاءِ
نغمةٌ من الورقاءِ

المدرسة الفيضية

تحقيق: الاستاذ زهير سليمان

بين يدي الحديث :

شكّلت مدرسة أهل البيت (ع) العمود الفقري للمسيرة الفكرية الإسلامية بما زخرت به من عمق وسعة فقهيين.

وقد بلغ طلاب هذه المدرسة في عصر الأمامين الصادق والباقر عليهما السلام الآلاف، كما تناولت علومهم حقولاً مختلفة.

ومنذ بدء عصر الغيبة الكبرى للأمام المهدي «الإمام الثاني عشر» كان العلماء هم مرجع هذه المسيرة، وكانت حوزاتهم تزخر بروايات أهل البيت ومدارسها... وكانت «قم» من أقدم الحواضر العلمية الدينية، و بعدها كان العلم ينتقل من مدينة الى أخرى حتى أستقر أخيراً في مدينة «قم» نفسها بعد أن هاجم

البعثيون الكفرة الجامعة العلمية العريقة في النجف الأشرف بالعراق وشرّدوا أساتذتها وطلابها سعياً منهم في سبيل أخماد صوت الإسلام الهادر.

ومدينة «قم» التي تقع فيها «المدرسة الفيضية» مدينة قديمة عرف بشهرتها العلمية وكثرة المدارس العلمية فيها كالمدرسة: الفيضية، الحجتية، دارالشفاء، المدرسة الرضوية، مدرسة خان، المدرسة الشهابية، وغيرها من المدارس التي تبلغ أكثر من (٣٦) مدرسة، كذلك بمكتباتها العامة التي تحوي نفائس المخطوطات النادرة والمصادر القيّمة والتي تحوي كل مكتبة منها عشرات الآلاف، كمكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، ومكتبة المدرسة الحجتية، ومكتبة «مكتب التبليغات الاسلامية» ومكتبة المدرسة الفيضية، ومكتبة الحرم المقدس، ومكتبة «مجلة مكتب الاسلام»، ومكتبة آية الله العظمى الكُلبايكاني، ومكتبة المدرسة الرضوية، ومكتبة مدرسة الحقاني...

ومدينة «قم» عُرفت أيضاً بمواقفها الثورية وتاريخها الجهادي الإسلامي الطويل، فضلاً عن أنها أشتهرت بإنتاجها الخزفي الرائع الذي تمثّلت فيه أرقى صفات الفن والإبداع والهندسة.. وتشتهر «قم» بصناعة «الساهون» وهي حلويات لذيذة الطعم والمأكل يتفننون بصناعتها.

وهي مدينة تاريخية لربما تعتبر من أقدم مدن ايران، كما يذكر ياقوت الحموي من الآثار التي عثر عليها، وقيل: أن أبا موسى الأشعري قد أفتتحها عام ٢٣ هجرية. وهناك أختلاف في تأسيسها فنهم يقول تأسست عام ٨٣ هجرية، ومنهم من يقول عام ٩٤ هجرية. ومهما يكن التأريخ فهي مدينة قديمة.

ولعلّ مما تشتهر به أيضاً مساجدها الكثيرة، فمنها مايرجع تأريخه الى عهد الإمام الحسن بن علي العسكري (ع) في القرن الثالث الهجري، والذي يسمّى الآن بإسم «مسجد الإمام الحسن العسكري (ع)» وقد بناه أحمد بن أسحاق الأشعري بأمر من الإمام، وقد أُعيد بناؤه عام ١١٢٩ هجرية، كذلك مسجد الجمعة من العهد السلجوقي، ومسجد المتحف «طباطبائي»، ومسجد «عشق علي» ومساجد كبيرة

ومهمة أُخرى، منها حديث، كالمسجد فوق الرأس، ومسجد آية الله السيد البروجردي، وكذلك مسجد جمكران المشهور بمسجد «صاحب الزمان (ع)» وهو من المساجد المهمة، وهناك مايزيد على المائة مسجد وجامع.

كما أن مدينة قم لها إحترامها لضمها جثمان السيدة العلوية «فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهم السلام»[1].

بعد هذه اللمحة الخاطفة نتوجه الى المدرسة الفيضية الملاصقة للصحن الشريف لقبر السيدة فاطمة عليها السلام.

والفيضية؛ يرجع تأسيسها الى القرن السادس الهجري، حيث كانت مدرسة صغيرة في بادئ الامر أُنشأت بجانب الحرم الشريف للسيدة فاطمة بنت الإمام الكاظم (ع) وكانت تدعى «الأستانة» وأغلب الظن كان في العهد السلجوقي. وبقيت على بنائها هذا حتى عام ٩٢٩ هـ . ق حيث شرع بتجديد المدرسة في زمن حكم الشاه اسماعيل الصفوي، بعد ذلك أُعيد بناؤها من جديد وتمّ تجديدها عام ١٠٥٩ هجرية، وكان ذلك في زمن المرجع الكبير الشيخ ملا محسن الفيض الكاشاني[2].

وقد أشتهرت المدرسة كثيراً في عهد المحدث الكبير والفقيه الرباني الحكيم الملا محسن الفيض، وكان الإقبال عليها كبيراً، حتى تلازم إسمها بأسم الشيخ الفيض الكاشاني رحمه الله، وأصبحت منذ ذلك التأريخ تسمى: بالمدرسة الفيضية. وهو جميل جداً أن يحمل المركز العلمي إسم عالم كبير ممّن عاشوا فيها زمناً طويلاً.

ولكن المدرسة حظيت بأعتناء الكثير من العلماء والأخيار وأهل الفضل، فقد جُدد بناؤها مرتين أيام الدولة القاجارية، مرة عام ١٢١٣ والمرة الأخرى في عام ١٢٢٣ هـ . ق وهي لا تزال على نفس الهيئة والصورة الموجودة الآن عدا ما أُضيف اليها من طابق ثاني حيث أُنشيء الطابق الثاني فيها دون تغير في شكل المدرسة وبنائها في عهد زعامة آية الله العظمى الشيخ عبد الكريم الحائري (رحمه الله) وكان ذلك عام ١٣٤٠ هـ . ق.

مساحــة الفيضية :

مستطيلة الشكل أبعادها هي: ٧٠/٦٠م طولاً و ٥٠م عرضاً مؤلفة من طبقتين فيها حوالي (١١٠) غرفة، ٤٨ منها كانت قد بنيت عند تجديد المدرسة عام ١٢٢٣ هـ .ق ولها أربعة أبواب كبيرة. في الجهة الجنوبية منها يرتفع ايوان يربط المدرسة بحرم السيدة فاطمة يبلغ طوله ١١/٢٠ م وعرضه ٤ أمتار وأرتفاعه (١٢/٥٠)م بني عام ٩٣٩ هـ .ق. حيث بناه الشاه طهماسب. وهناك باب في جهة الشمال مقابل تماماً للباب الجنوبي يسمى بباب دار الشفاء طوله ٩ أمتار وعرضه ٦ أمتار وأرتفاعه (١٢/٥٠)م وفي كل من جهة الغرب والجهة الشرقية أيوان يشبه ويساوي الايــوان الشمالي ويخرج من هذين الأواوين أبواب خارج المدرسة. وترتفع بناية الساعة ذات الأربع وجوه في الجهة الغربية وهي تعلو الايوان الغربي، وكذلك تتوسطها منارة صغيرة. كما أن هناك مسجداً طوله (٩) أمتار وعرضه (٦) أمتار يقع خلف الأيوان الغربي.

يتكون الطابقان من ١١٠ غرفة، مساحة الغرفة حوالي ٣م×٥م مبنية على الطراز الإسلامي، حيث يتقدم الغرفة سرداف على شكل قوس مخروطي (أرج) بواجهة من الكاشي الكربلائي المطعم بالفسيفساء. ويسكن الغرفة بين ٢ــ٣ طلاب وفيها وسائل الدراسة المطلوبة. أما الطابق العلوي، فهناك ممر بعرض ٣/٧٥ م ثم تبدأ الغرف التي يشابه تصميمها تصميم الغرف السفلى. ويتوسط المدرسة حوض ماء جميل مربع الشكل طول ضلعه ١٣ م تقريباً، وهناك أربع حدائق تقع في الأركان الأربعة للصحن، يقسم كل حديقة ممر عريض.

التقينا بالأخ مدير المدرسة في مكتبه بالطابق الأعلى، وقد أفادنا عن سير التدريسات والنشاطات والفعاليات التي تزخربها المدرسة، حيث يسكن المدرسة الآن حوالي (٢٠٠) طالب من غير المتزوجين، ويبدأ الدرس فيها منذ ساعات الصباح الباكر ونقسم الدراسة فيها الى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى :

وهي مرحلة المقدمات. والمقدمات أصطلاح يطلق على الدراسات الأولية لطالب الحوزة العلمية الدينية، يشمل النحو والفقه البسيط ومبادئ الأصول والمنطق والعقائد واللغة والتفسير والفلسفة الإسلامية.

المرحلة الثانية :

وهي قسم الدراسات المتوسطة التي تشمل مناهج أرقى من المرحلة السابقة، حيث تتبلور ذهنية الطالب وتصبح له القابلية على ممارسة الأسلوب العلمي. وهذه المرحلة لها مناهج خاصة تشمل؛ علوم القرآن والفقه شبه الإستدلالي وأصول الفقه والنحو التطبيقي وعلم الأخلاق والتفسير والحديث.

المرحلة الثالثة :

وهي مرحلة الدراسات العليا والتي يطلق عليها مرحلة (البحث الخارج) وهي مرحلة مراهقة الأجتهاد حيث يبلغ الطالب فيها درجة الفضيلة ويدرس في هذه المرحلة أساتذة كبار ومراجع تكثر فيها النقاشات الجميلة وطرح الادلة بين الطلبة خصوصاً ممن يرغبون في إكمال دراستهم بدراسة علم الرجال والسيرة والتأريخ وعلم الدراية ولعل هذه المرحلة يتفتح فيها ذهن الطالب و يصبح قادراً على معرفة اسلوب إعطاء الحكم الشرعي.

في أرجاء المدرسة :

عبر زقاق طويل يفصل باب المدرسة عن ساحتها، يلج الداخل الى ساحة كبيرة جميلة يتوسطها حوض واسع. وتقع المكتبة الكبيرة الخاصة بالمدرسة في الطابق الثاني وتتألف من قاعتين كبيرتين للمطالعة مع مدخل مربع الشكل طوله ١٥م وهي مفروشة بالسجاد. كما أن هناك ثلاث قاعات كبيرة متداخلة، فيها مخازن الكتب المنظمة وفق فهارس مطبوعة ومصنفة فيها الكتب وفق النظام القديم. وهناك غرف

للتحقيق والبحث يرتادها الباحثون والمحققون ليقضوا فيها أوقاتاً طويلة لا تقطعهم عن مواصلة البحث والتحقيق إلاّ أوقات الصلاة وأنتهاء دوام المكتبة .كما توجد غرفة لمدير المكتبة، حيث يقوم بأعمال التحقيق العلمي، أضافة الى إدارة وتوجيه أعمال المكتبة التي يساعده بذلك أمين عام للمكتبة ومساعد له. ويوجد أيضاً قسم خاص للتجليد والتصحيف وتصليح الممزق من الكتب القديمة.

وقد تحدث مدير المكتبة عن نشاطات المكتبة وتوفيرها الكتب والمصادر للطلاب، فقال ان خزانات المكتبة تحوي ما يقارب ٤٣ ألف كتاب بمختلف اللغات وفي مختلف العلوم والفنون في الفقه والأصول واللغات والتاريخ وعلم الكلام والتفسير. الخ.

وفيها (٢٠٧٢) كتاباً خطياً ومجموعة أخرى غير مصنفة في علوم مختلفة في الفقه والفلسفة، فهناك من الكتب الخطية النفيسة النادرة، نسخ من القرآن الكريم ونهج البلاغة تعود الى عام ١١١٢ هـ . ق. كذلك كتاب أستقصاء الاعتبار في شرح الأستبصار للشيخ الطوسي، وكتاب شرح مفاتيح الفيض للكاشاني « كتاب فقهي للوحيد البهباني غير مطبوع » وكتاب حاشية شرح التجريد وكتب أخرى مختلفة مثل؛ شرح تنقيح الفصول في أختصار المحصول تأليف أحمد بزأور المالكي في القرن الثاني الهجري، ونهاية ابن الأثير أيضاً في القرن الثامن الهجري، وترجمة أحياء العلوم بخط جميل، والتهذيب للشيخ الطوسي، وروضة الأحباب وفروع الكافي بخط المرحوم المجلسي، وحلية الأبرار للسيد هاشم البحراني، والحجة البالغة بخط أحد طلاب الميرزا الشيرازي، وجمال الأسبوع بخط المحدث القمي، ومصابيح بحر العلوم والحكمة المتعالية للملا شمساى كيلاني وهي نسخة نادرة، وشرح مفاتيح حاج آقا باقر بهباني وغيرها.

الأهمية العلمية للفيضية :

بقي أن نذكر الأهمية العلمية للمدرسة الفيضية حيث تعتبر الفيضية من أبرز

الجامعات العلمية الدينية التي ساهمت واثبتت جدارتها في تخريج الفطاحل من العلماء والفقهاء والفلاسفة ومفسري القرآن الكريم، كما كانت محط الرحال لطلاب المعرفة والعلوم الإسلامية من مختلف بلدان العالم الإسلامي، إضافة الى ايران. فمن الشيخ الفيض الكاشاني الى الفقيه الكبير الشيخ عبد الكريم الحائري والحجة الكبير آية الله البروجردي، وفيلسوف الشرق الكبير المفسر للقرآن الكريم العلامة آية الله السيد محمد حسين الطباطبائي صاحب الميزان في تفسير القرآن، كما أن مؤسس الجمهورية الإسلامية الإمام الخميني أدام الله وجوده ممن درسوا ودرّسوا بهذه الجامعة، كذلك آية الله العظمى السيد محمد رضا الگلبايكاني وآية الله العظمى المرعشي النجفي وآية الله العظمى الشيخ المنتظري والشهيد السعيد آية الله الشيخ المطهري وآية الله الشيخ المشكيني وآية الله الشهيد المجاهد المدني وآية الله الشهيد المظلوم الدكتور بهشتي وحجة الاسلام العلامة المجاهد الشيخ الرفسنجاني رئيس مجلس الشورى الاسلامي، وأكثر أساتذة الحوزة العلمية في قم و غيرها من المدن الأخرى، ولا تزال تعرف بعض الغرف في الجامعة بأسماء أصحابها الذين عاشوا فترة طويلة فيها كغرفة الشيخ المطهري وغيره ممن درسوا ودرّسوا في الجامعة الخالدة «الفيضية».

أضافة الى تخريج الأساتذة وطلاب العلم والمعرفة وأستقبال المدرسة للطلاب من مختلف بلدان العالم، لها مكانتها العلمية في نشر العلوم والبحوث الفقهية والأصولية والفلسفية وعلوم الكلام والعقائد في مجلات أوكتب تصدر بهذا الشأن، كما تعتبر مركزاً للتحقيق والتصدير لأمهات الكتب الإسلامية وغيرها، كما لها أهمية بالغة لعلاقتها مع الجامعات العلمية الدينية في العالم الإسلامي كجامعة النجف الأشرف في العراق، وكذا المدارس الأخرى في ايران و يعبّر السيد شيخ الإسلام بقوله أن الفيضية تعتبر الأخت الكبرى لأخواتها من المدارس.

أهميتها التاريخية وموقعها الجهادي في الثورة الإسلامية :

والفيضية منذ أن نشأت كانت شوكة في عيون الكافرين وأعداء الإسلام،

فقبل ٢٠ سنة هجم عملاء الشاه المقبور ومرتزقته من الشرطة والقوات الخاصة (الكوماندوز) ولعدة مرات على المدرسة وقاموا بتفتيشها واعتقال بعض طلابها وأساتذتها وتشريد البعض الآخر وحرق بيوتهم وكتبهم وهم يعلنون العداء للإسلام والعلماء وذلك بسبب المواقف الثورية للعلماء الأعلام والطلبة الثوريين وكان أبرز هؤلاء الإمام الخميني حيث كان دام ظله يخطب بالطلبة وبالأمة بين الفينة والفينة يظهر فساد السلطة وظلمها وطغيانها وعملها المعادي للاسلام وعمالتها السافرة لأمريكا وتعاونها مع الصهاينة وأبرز المظاهرات التي حدثت تلك التي اشتعلت عام ١٣٤٢ هـ.ش. وكانت مظاهرات صاخبة تنادي بسقوط الشاه.. ومن الأمور التي حدثت في عام ١٣٤٢ أغلاق المدرسة ونشريد طلابها، ولكنّ المراجع الأعلام لم يبعدوا عن المدرسة، فقد أقام آية الله العظمى السيد الكُلبايكاني مجلس تأبين في المدرسة في ذكرى وفاة الإمام الصادق (ع) وصعد الخطيب الأنصاري المنبر ليلقي محاضرته.. وفي هذه الأثناء هجم رجال البوليس (الشرطة الشاهنشاهية) على الحضار فأصابوا عدداً منهم بجروح.

وفي الفيضية تدرس السياسة الإسلامية وأصول الحكم والقضاء والإدارة الإسلامية... كما كان يفعل الامام الخميني في تدريسه وألقاء محاضرات في «الحكومة الإسلامية» سواء في قم أو في منفاه بالعراق حيث كان يلقي هذه المحاضرات على طلبة العلوم الدينية في النجف الأشرف.

وكانت الفيضية مسرحاً دينياً حقاً لايخضع لمنهجية الحكام، ومن هنا تعرضت مع طلابها وأساتذتها لهجمات كثيرة وأغلقت عدة مرات أيضاً، وآخر مرة أغلقت مايقارب ثلاث سنوات أي من عام ١٩٧٥ ــ ١٩٧٨ م.

ولعل أبرز أحداث مدينة قم هي أحداث المدرسة الفيضية المشهورة بـ(١٥ خرداد) تلك الانتفاضة الكبرى التي قامت بقيادة الإمام ودوخت الحكم الشاهنشاهي لما كان يثير الأمّة وبالأخص طلاب العلوم الدينية بأعتبارهم الأمناء

لحمل الرسالة الإسلامية والقادة في تبليغها.. كان ذلك الحدث العظيم الذي هزَّ العالم الإسلامي عام (١٣٤٢) هجري شمسي أي عام ١٩٦٣ ميلادي، فقد أعتلى الإمام الخميني المنبر وخطب في الناس وكان جند الشاه يطوقون المكان. وقد أشار الامام الى تاريخ الرسالة الإسلامية ومعاداة الظالمين لها وذكر واقعة الطف الأليمة أي ثورة الإمام الحسين (ع) في كربلاء وكيف أراد بنوأمية قطع نسل آل الرسول (ص) فقتلوا الرجال والأطفال الرضع وسبوا النساء. وأستشهد بذلك على مايجري في ذات الوقت حيث كان الإمام والمجاهدون من العلماء في صراع مع السلطة حتى يذكر أن الشاه المقبور محمد رضا بهلوي بعث برسول الى الإمام الخميني يطلب منه أن يغادر ايران مقابل أعطائه مبلغ كبير من المال، فكان جواب الإمام أن قال للرسول أذهب للشاه وقل له «ليذهب الشاه هو خارج ايران وأعطيه أضعاف مايعطيني» ولدى استفسار الشاه عن الإمام من أين يأتي بالمال.. فكان جواب الإمام انه يقف في الشارع ويخبر الشعب بذلك ويجمعها منهم.

وفي هذه الحادثة من عام ١٣٤٢ هـ .ش بعدما هجم أفراد الشرطة على المدرسة وأطلقوا الرصاص وأخذوا يضربون الطلبة أستشهد أحد الأفاضل ويدعى «السيد يونس رودباري» ووقع جرحى كثيرون.

لقد كان للجامعة الفيضية أثر كبير في بث الوعي الإسلامي وبقاء الحس السياسي للأمة وتعبيد الناس لله الواحد القهار فضلاً عن موقعها العلمي والعقائدي.

أما موقف السلطة من الإمام الخميني، فقد قامت بمضايقة الإمام وتفتيش داره واستجوابه حتى صدر أمر نفيه خارج ايران في عام ١٣٤٣ هـ .ش ولكن لم يهدأ الإمام الخميني من نشاطه بالرغم من أنه كان يعيش خارج ايران، وأخذ يشعل نار الثورة الإسلامية ببياناته ورسائله المسموعة والمكتوبة.

وكان للمدرسة الفيضية الدور الرائد، فهي إضافه لواجبها الإسلامي وتحقيقاً لأهدافها في تطبيق حكم الله، لم تنس أستاذها ومعلمها وقائد نهضتها الإمام الخميني.

لقد كان الإمام يعبّر عن الفيضية بأنها مركز الحوزة العلمية في ايران. والشرارة الأولى التي انطلقت من الفيضية لم تخمد ولم تنطفئ بالرغم من خطط الإستعمار الامريكي والـ(C.I.A) والسافاك (الشرطة السرية للشاه) وأعداء الإسلام بالإضافة الى المخابرات الدولية التي كانت تقف مع المخابرات المركزية الأمريكية كالموساد... وكما يقول الإمام الخميني «لن نهزم حركة تقوم في سبيل الله» وفعلاً فقد بقيت نار الثورة حتى انتصارها في ١١ شباط عام ١٩٧٩ فكانت قنبلة كبرى تنفجر في العالم ليفرح المؤمنون وتكشف وجوه الذين حاربوا الله ورسوله •

الهوامش

١ ــ هي السيدة فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر (ع) الملقب بالكاظم، عُرفت بالورع والتقوى، وتعظيم الأئمة لها لما كانت تتمتع به من سمات إسلامية عالية وأخلاق نبيلة، وقد روت الحديث عن الأئمة الأطهار عليهم السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. توفيت عام (٢٠١هـ) وهي في طريقها من «المدينة المنوره» الى مدينة «مرو» في ايران لزيارة أخيها الإمام علي بن موسى الملقب بالرضا، ودفنت في هذا الموضع ــ في مدينة قم ــ.

٢ ــ الشيخ ملا محسن الفيض الكاشاني ولد عام ١٠٠٧ هـ .ق. وتوفي عام ١٠٩١ هـ .ق في قم.

جولة في الصحافة

الشقيق غير الشرعي لكامب ديفيد يظهر في فاس

نشرت مجلة «صوت الخليج» تحت هذا العنوان مقالاً في عددها (١٠٨٢) تناولت فيه المؤتمر اليهودي الصهيوني الذي عقد ــ مؤخراً ــ في المغرب. فبعد أن أكدت المجلة على أن اللقاء اليهودي في المغرب ليس فريداً من نوعه، وأشارت الى أن المغرب يحاول أن يلعب دوراً مزدوجاً، تمثّل الأول في تسهيل اللقاء بين القاهرة وتل أبيب، وتمثل الثاني في قيام الملك الحسن وكبار معاونيه بمحاولة التوفيق بين زعماء اسرائيل وحكام بعض الدول العربية، كتبت تقول:

«زعمت المغرب بأن هذا اللقاء يتسم بصبغة حضارية وثقافية... إلا أن عقد مثل هذا التجمع الطائفي اليهودي في قطر عربي يتزعم عاهله لجنة إنقاذ القدس، وفي ذكرى اغتصاب فلسطين و قيام الدولة الاسرائيلية ١٥ مايو و خلال معركة الانتخابات الاسرائيلية و بعد افشال اتفاق ١٧ مايو الاسرائيلي ــ اللبناني يجعل منه نقطة انعطاف هامة في السياسة العربية المتخاذلة... وتجعل من هذا التبرير مجرد هراء فارغ سيّما و يعلم الجميع من هو عرّاب كامب ديفيد الذي أعلن مراراً عن وجهة نظره في خلق التزاوج بين المال العربي والعبقرية اليهودية!!».

وحول المشاركين في مؤتمر الطوائف اليهودية، قالت المجلة:

«بعد ٤٨ ساعة فقط من انفضاض مؤتمر الطوائف اليهودية هذا والذي أثار ولازال سخطاً وتنديداً عربياً واسلامياً، كشفت التقارير القادمة من العاصمة الاردنية والمستقاة من فلسطين المحتلة عن أن الوفد الاسرائيلي الذي شارك في هذا المؤتمر والذي قيل أنه لم يضم إلا اليهود الذين هم من أصل مغربي ــ قد ضمّ بالفعل ــ عدداً من الارهابيين الصهاينة من بينهم ضباط شاركوا في الحرب العدوانية التي شنتها اسرائيل على الدول العربية، وأضافت التقارير أن من بينهم ضباط هم أعضاء في منظمة «الارهاب ضد الارهاب» الصهيونية المتطرفة التي قامت مؤخراً بارتكاب جرائم بشعة ضد المواطنين العرب في الأراضي المحتلة، كما ضمّ الوفد أحد عشر عضواً من أعضاء الكنيست الاسرائيلي وزوجة موشي ديان وزوجة وزير الحرب الحالي موشي ارينزونغل مؤسس الكيان الصهيوني «بن غوريون».

الغرب
تاريخ من العنف والقهر وتدمير القيم

تحت هذا العنوان كتبت «الطليعة الاسلامية» في عددها رقم (١٦) تقول:

«... إنّ المسألة الرئيسية في تاريخ أوروبا أن شعوبها لم تكن مطلقاً صاحبة رسالة، ولم تترسب في وعيها الجمعي التاريخي منظومة من القيم الانسانية كتلك التي حملها الشرق باستمرار، ولذا فقد كانت علاقة الشعوب الاوروبية فيما بينها ومع بقية الشعوب الأخرى هي علاقة الصراع البحتة، الصراع المادي، صراع

الهيمنة والتفوق. وعندما ظهرت الرسالة المسيحية مارست الدولة الرومانية كل الوسائل الوحشية لقمعها، ثم أدركت صعوبة ذلك، فقامت بضبط المسيحية بمقاييس جديدة، وجعلتها دين الدولة. وفيما بعد تواصل دخول الشعوب الاوربية في المسيحية، ولكن دائماً ومع كل مرحلة جديدة، كانت أوروبا تقوم بصياغة جديدة لدينها وتضبطه ليوافق أهوائها.

إن القيم ــ الرسالة والدين ــ في تاريخ أوروبا لم تحكم الحياة، بل نموذج الحياة التاريخي ــ نموذج العنف ــ هو الذي كان دائماً يحكم القيم ويعيد صياغتها وقد استمرت هذه القاعدة في السريان حتى وقتنا الحاضر. فقد كان الدين هو الاطار الذي سمح للأقلية الاقطاعية في استعباد بقية الناس في أوروبا نفسها في العصر الوسيط، وكان الدين هو الاطار الذي حرّك أوروبا ضد الشرق المسلم في الحملات الصليبية، ثم كان الدين هو أداة الطبقات الأوروبية في صعود احداها على أكتاف الأخرى وكان أيضاً أداة العنف الأوروبي في العالم عندما أصبح ذلك العنف ظاهرة عالمية تمثلت في عصر الاستعمار».

وبعد أن اشارت المجلة الى ممارسات «البيض» ضد «الزنوج» في أميركا وجنوب افريقيا، قالت:

«ترتفع الآن في العديد من المعاهد العلمية الغربية وفي الولايات المتحدة بالذات أصوات بعض العلماء الذين يحاولون استخدام علم الوراثة الحديثة كقاعدة لاتجاهات عنصرية جديدة و يدعون أن كل الصفات الانسانية هي نتاج لعوامل وراثية ــ الجينات ــ فاستخدام اللغة الانجليزية أو الكمبيوتر هما ظاهرتان لهذه العوامل، على سبيل المثال؟

هذا الغرب لايمكن التفاهم معه في قاعات المؤتمرات وجلسات الحوار لأنه لايفهم إلا لغة واحدة، تلك التي كان يستخدمها دائماً ضد الشعوب الأخرى».

اغتيال دبلوماسي صهيوني في القاهرة

تعقيباً على اغتيال أحد الدبلوماسيين الصهاينة في القاهرة كتبت جريدة كيهان «العربي» في عددها (٢٢٣) تقول:

في الواقع أن اغتيال هذا الدبلوماسي تكشّف عن موقف مسبق للشعب المصري من معاهدة كامب ديفيد ومضاعفاتها وفي مقدمة هذه المضاعفات إقامة علاقات دبلوماسية بين مصر وتل أبيب. وأحسن ترجمة لهذا الموقف هو الرفض المطلق، وهي بلا ريب علامة كبيرة على أن شعب الكنانة لايمكن أن يسكت على ما تمارسه السلطة المصرية من امتهان لكرامته الاسلامية وذلك من خلال سياستها المداهنة للكيان الصهيوني وأربابه، والجدير بالذكر انه ليست هي المرة الأولى التي يقدم فيها أبناء مصر على مثل هذه المحاولة الشجاعة، فقد سبق لأحد الشباب المسلم هناك من ضرب السفير الصهيوني في القاهرة على اثر اجتياح الجيش الاسرائيلي لبيروت.

وبحزم أن المحاولة الجديدة لن تكون الأخيرة من نوعها.

ثورة الخبز في تونس

في عددها السادس، كتبت مجلة «البديل» مقالاً تناولت فيه أوضاع تونس والدوافع وراء الانتفاضة الأخيرة هناك، والعنف الذي استخدمه النظام البورقيبي ضد المتظاهرين، وقالت المجلة في بداية مقالها:

«في تشيلي بينوشيت، تخلف كل مظاهرة في المتوسط عشرة قتلى، أما في تونس بورقيبة (الديمقراطية) فقد خلفت المظاهرات الأخيرة مئة وخمسين قتيلاً على الأقل، ومئات الجرحى والمعتقلين حسب تصريح اللجنة

التونسية لحقوق الانسان، كما قالت جريدة ليبراسيون هذا، اضافة الى عدد غير محدد سقط من رجال الأمن والحرس الوطني في مختلف أنحاء البلاد. وهي حصيلة ثقيلة لا يتحدثون عنها مطلقاً...».

ومضت المجلة الى القول: «ولئن عاد الهدوء الى البلاد في الظاهر، فقد تم ذلك بعد قمع دموي لم يسبق له مثيل حتى في اثناء المرحلة الاستعمارية، وان تكن له من نتيجة، فهي الامعان في تعميق الهوة بين النظام القائم والجماهير ودفع الأمور باتجاه المزيد من التردي.

ولقد فوجىء النظام بالمدى الذي اتخذه الغضب الجماهيري كما قال محمد مزالي، ويخيل لأول وهلة من خلال تلك التصريحات أن الأزمة طارئة وأن العوامل طبيعية داخلية أو خارجية قاهرة هي مصدرها الرئيس، بينما الواقع يكشف بوضوح أن للأزمة جذوراً تمتد الى بداية هذا النظام وتترافق موضوعياً و بنمو مطّرد مع استمراريته وتسلطه على مقدرات البلاد إنطلاقاً من ارتباطه العضوي بالقوى الامبريالية من ناحية ومن سياسة احتكارية قوامها العنف والاستخفاف بالمصالح العليا للجماهير من ناحية أخرى.

فمنذ عام ١٩٥٦ أي سنة الاستقلال، والبلاد ترزح تحت وطأة الديون والتوريد الضخم للمصنوعات الأجنبية وتصدير المواد الأولية واليد العاملة شباباً وفتيات الى السوق الأوروبية بصفة خاصة...

ولقد اتسمت سياسة النظام منذ البداية بالتذبذب والتخبط، نتيجة لسياسة تغييب الدور الجماهيري في الخيارات التي ينتهجها...

وبعد أن أشارت المجلة في مقالها الى الصراع بين أقطاب النظام التونسي والاتهامات التي وجهت الى الجماهير، قالت:

«... وقد أكدت الأحداث أن القضية ليست قضية لصوص وقطاع طرق وعناصر لا مسؤولة تحرّضها أيدٍ خارجية أو داخلية كما تزعم أبواق النظام الذي يصر على تغطية أخطائه وجرائمه بقدر ماهي مطلب عقلاني مشروع لتغيير أوضاع تجاوزها الزمن وتغيير عقلية في نظام الحكم بلغت حد الافلاس ولم يعد لها من مبرر في الوجود الا التشبث بشرع الغاب وتشويه الحقائق. وستظل «ثورة الخبز» كما أسمتها مختلف وسائل الاعلام كابوساً رهيباً لسماسرة النظام مالم يفسحوا المجال بجدية أمام الجماهير وقواها الحية للتعبير عن خياراتها الأصلية وطموحاتها المشروعة».

ــ انتخابات ــ
مجلس الشعب في مصر ٨٤م

تحت هذا العنوان نشرت مجلة الرائد التي تصدر في بون مقالاً في عددها (٧٥) تناولت فيه الانتخابات المصرية قبل اجرائها، وقد تركّز الحديث فيها على ماهية الأحزاب المشاركة. وجاء في أول المقال:

«إن الأحزاب التي تكونت في مصر تكوّنت من القمة ولم تنشأ من القاعدة، فالحزب الحاكم تكوّن بقرار من رئيس الحزب و مؤسس الجمهورية السابق، ثم الأحزاب الأخرى التي يجب أن تعرض على لجنة سياسية... الغالبية فيها من الحزب الحاكم، وعليه فأن هذه الأحزاب التي تتكون عن طريق السلطة، لا يمكن أن تصل الى ضمير الشعب و تشعر بمشاكله و حاجاته...».

«... و بالرغم من أن القانون الخاصّ بالأحزاب يمنع قيام أحزاب دينية، في الوقت الذي ينص فيه الدستور على أن دين الدولة هو الاسلام، إلا أننا وجدنا في الفترة الأخيرة أن الحديث تزايد عن العلمانية والتأكيد عليها، والتحذير من الاسلام ومن تسلل العناصر الاسلامية حتى للأحزاب...»

وجاء في جانب آخر من المقال:

«... سوف أتعرض في هذه الفقرة لبعض المنزلقات كما أعتقد، وقبل ذكر هذه المنزلقات أود أن ألفت النظر الى الملاحظات التالية:

ــ توافق جميع الأحزاب على عدم تكوين أحزاب على أساس الدين، وقد اشتركت في اصدار قانون الانتخابات الذي ينص على ذلك.

ـ جميع الأحزاب موافقة على استمرار ماسمي بـ «معاهدة السلام مع الكيان الصهيوني» و مقرّرات كامب ديفيد، و تطبيع العلاقات مع الصهاينة، بحجّة أن الغاء المعاهدة يفقد مصر سيناء.

... وهنا أنا أتوجه بلفت نظر أصحاب الاتجاه الاسلامي لهذه المنزلقات، داعياً الله عزّوجلّ أن يوفقنا لما يحبه و يرضاه في الدنيا والآخرة:

١ـ قانون الانتخابات بوضعه الجديد قد يضطر أصحاب الاتجاه الاسلامي الذين لديهم الرغبة في المشاركة في الانتخابات الى أحد أمرين:

أـ إمّا أن ينتموا الى أيّ من الأحزاب القائمة كي يتاح لهم حق الدخول كمرشحين في الانتخابات...

ب ـ وإمّا أن يبقوا في بيوتهم بعيداً عن المشاركة في الحياة العامة، متنازلين عن المشاركة في الانتخابات.

وفي تصوري أنّ الانضمام الى أيّ حزب من الأحزاب المسموح لها بدخول الانتخابات في مصر من جانب الاسلاميين له تأثيره على المدى القريب والبعيد... فعلى المستوى البعيد تزداد عملية تأصيل العلمانية و تأكيد فكرة عدم قيام أحزاب على أساس الاسلام مستقلاً، فضلاً عن ذوبان الشخصية الاسلامية، إذ كيف يعقل مثلاً أن يلتزم واحد من أصحاب الاتجاه الاسلامي ببرنامج حزب يساري، مثل حزب التجمع مثلاً، أو التزام آخر ببرنامج حزب علماني مثل حزب الوفد؟...».

التدخل الأميركي لصالح النظام العراقي

نشرت جريدة الغارديان نقلاً عن مراسلها في واشنطن في عددها الصادر بتاريخ ٢٢/مايس/١٩٨٤ مقالاً حول موقف اميركا من الحرب المفروضة على الجمهورية الاسلامية. وجاء في المقال:

«الادارة الاميركية مستعدة للتدخل عسكرياً في حرب الخليج لمنع أي انتصار ايراني قد يؤدي الى إقامة حكومة ثورية في العراق، هذا ما تقوله مصادر الخارجية الأميركية ومصادر عسكرية اميركية».

وأضافت الصحيفة قائلة: «في نهاية السنة الماضية انتهجت الادارة الاميركية سياسة قد تتطلب دعم السلاح الجوي العراقي، ولكنه من غير المحتمل أن ترسل قوات برية لمساعدة العراق.

و بهذا الصدد قال مسؤول أميركي: نحن لا نريد ان نرى حكومة بغداد غير مستقرة. نحن نريد أن نرى عراقاً مستقراً، وآمناً داخلياً. إذ أننا نرى في العراق خط الدفاع الاول ضد التوسع الايراني.

وكانت الادارة الاميركية قد صادقت على اعطاء العراق قروضاً زراعية وعلى تحسين العلاقات مع بغداد مما أدى الى تحسين وضع العراق بالنسبة للديون المترتبة عليه.

الحاقدون على الاسلام

في باب «العالم الثقافي» كتبت مجلة العالم في عددها الرابع عشر تقول:

... ها نحن اليوم وقد أفسدتنا الحضارة الوافدة بمنتوجاتها المادية وخلفت لدينا مجتمعاً استهلاكياً، نشهد الحاقدين على الاسلام وأهله يستعينون بأساطيل الشرق والغرب ليشحنوا فينا الجراح دون أن نهب مطالبين بثأر، وليست تاراب صبرا وشاتيلا ببعيدة عنّا.

... فما أن يقوم فينا مدافع شريف عن المبادئ وصلاح الاسلام وعز أهله حتى تطاله يد القانون باسم التطرف وادخال المقدسات في السياسة!

إن مايملأ القلب قيحاً هو أن يضطرب حالنا على أشده وتتيه على الكثيرين الرؤية فلا يعرفون على من يطلق الرصاص. وهؤلاء هم أنفسهم قد يدعون لاطلاق الرصاص على عدو خارجي. كما هو الأمر في الجزائر أيام الثورة أو في أفغانستان المسلمة في يومنا الحاضر، ولكنهم لايدركون عمق المأساة التي نعيشها حينما يتلبس العدو بصورة أبناء جلدنا فتصبح أية محاولة اقتصاص للعدل والحق وسفك دماء، وأية دعوة لمناهضة الظالمين فتنة، وقى الله المسلمين شرها، فهل كان حالنا أفضل لو أننا رفضنا منتوجات الحضارة المادية؟ أم هل سيكون مفيداً لنا أنْ يرجع الاستعمار بأساطيله يتحدانا و يرفع عنّا وطأة عملائه المحليين من أبناء جلدتنا، أم قد انتهى كل رجاء؟... تعالوا جميعا لنسأل و نكلّم الشهداء ●

الرياضة في خدمة الاستعمار ؟

ناظم شيرواني

ربما كانت الرياضة الى ماقبل الثلاثينات، منزّهة عن الأغراض والسياسات الاستعمارية لكنها ومنذ عام ١٩٣٤ بدأت تنحرف عن مسيرها نتيجة للأفكار الاستعمارية وممارسات الاستكبار العالمي والحُكّام.

ولا ينكر أن كرة القدم هي اللعبة الرياضية المثيرة لدى غالبية الناس. وهذا ما دفع أكثر حكام العالم لاستغلالها تحقيقاً لأغراضهم السياسية والاستعمارية. على سبيل المثال أن هذه اللعبة أفادت (موسوليني) كثيراً، فبعد تزعم الحزب الفاشي الايطالي، وسيطرء السلطة، بدأ يستغل كرة القدم لتحقيق مطاه السياسية على الصعيدين الداخلي والخارجي نشر أفكاره الفاشية!! ففي عام ١٩٣٤ أقيمه بطولة العالم لكرة القدم في ايطاليا. وبهذه المناس انتخب موسوليني الجنرال (واكارو) رئيساً لاتحا الكرة الايطالي. وفور تعيينه في هذا المنصب جـ (واكارو) لاعبي المنتخب، وقال لهم:

«إنّ المسؤولية التي فوّضها لكم القائد، لهي مسؤولية حساسة وخطيرة وداعية للفخر والاعتزاز في نفس الوقت. يجب أن تعلموا أنكم بفوزكم لا تثبتون أفضلية الكرة الايطالية فحسب، بل وأفضلية الآيد يولوجية الفاشية!!.. عليكم أن تسلكوا سلوك القائد...»[1].

إذن فـ(موسوليني) وأعوانه كانوا يتصورون أن أي نصر في الحقل الرياضي، انما هو نصر للفاشية!!

وحين أُقيمت دورة ألعاب الأولمبياد في برلين عام ١٩٣٦، كان النظام النازي يحسب حساباً لفوز الألمان وتفوق العنصر الجرماني، لكن تصوراته ذهبت أدراج الرياح، ففي المباراة التي جرت بين المانيا و النروج ضمن بطولة الأولمبياد والتي حضرها كل من هتلر و غوبلز وعدد من

---

١ ــ كيهان ورزشي ــ العدد (١٥٢٥) ١٣٦٢/٩/٢٤ ش.ق.

مسؤولي النظام النازي، فازالفريق النرويجي على نظيره الألماني، فطار صواب هتلر، ولم يتمالك نفسه حيث ضرب الأرض برجله معرباً عن عدم ارتياحه للنتيجة. فيما واجه الفريق الألماني أنواع الشتائم من قبل أبناء بلاده، كما استغال مدرب الفريق بايعازمن هتلر نفسه!!

وحضور هتلر في الملعب لم يأتِ انطلاقاً من اهتمامه بالرياضة، بل لاثبات أن العنصر الجرماني هو العنصر المتفوق على جميع أفراد البشر!

وخلال تصفيات بطولة العالم لكرة القدم عام ١٩٣٨ التي أُقيمت في النمسا، نزل الفريق الايطالي الى الساحة بزي الحزب الايطالي الفاشي!!

وبعد هجوم الجيش الهتلري على روسيا في عام ١٩٤٢، أُقيمت مباراة بين فريق أسرى الحرب الروس وفريق الطيارين الألمان في مدينة «كيوف». وكان الهدف من إقامة المباراة، اثبات أفضلية العنصر الجرماني. لكن وخلافاً لتصورات قادة الجيش الهتلري، فازالفريق الروسي الذي كان يضم خمسة لاعبين من فريق «الداينمو» على الفريق الألماني، مما دعا قادة هذا الجيش لاعدام هؤلاء الخمسة!!

وفي أميركا اللاتينية أصبحت الرياضة وخاصة كرة القدم أفضل مخدر للجماهير. فحكام دول هذه المنطقة يولون الرياضة (طبعاً الرياضة بمفهوم هؤلاء هي كرة القدم لاغير!!) أهمية قصوى لأنها تخدم مصالحهم وتعتبر وسيلة ناجحة لإلهاء الشعوب. وكمثال على ذلك نذكر الأرجنتين. فحين كانت هذه البلاد خلال عام ١٩٧٨ مقبلة على انفجار كبير نتيجة لنشاطات الأحزاب المعارضة والاضرابات في مختلف القطاعات، فإنَّ بطولة العالم لكرة القدم التي أُقيمت فيها آنذاك ساعدت العساكر لتقوية مواقعهم، إذ أن غالبية الناس كانت وبتأثير من الأجهزة الدعائية للنظام لا تفكر إلاّ بفوز فريقها! فضاعت الفرصة على المعارضة، ووجد النظام الوقت مناسباً لتوجيه ضربات مميتة اليها من دون علم الشعب الذي كان تفكيره منصبّاً في المباراة النهائية!!

اولمبياد لوس انجلوس:

أعلنت حكومة الجمهورية الاسلامية في النصف الثاني من العام المنصرم عن مقاطعة اولمبياد لوس انجلوس التي ستقام في صيف العام الجاري (١٩٨٤). وبذلك فأن الجمهورية الاسلامية في ايران هي أول دولة أعلنت مقاطعتها لهذا الأولمبياد.

وطبيعي أن هذه المقاطعة جاءت وفق مبررات منطقية، على العكس من الاتحاد السوفيتي وبقية الدول الاشتراكية والأنظمة اليسارية التي أعلنت هي الأخرى مقاطعتها لأولمبياد لوس انجلوس.

فالاتحاد السوفيتي أعلن مقاطعته للاولمبياد بسبب مقاطعة أميركا لأولمبياد موسكو عام

(١٩٨٢). وهذا يعني أن الاتحاد السوفيتي وجد فرصة مناسبة للانتقام من أميركا.

ونحن نتصور أن الدافع الآخروراء موقف الاتحاد السوفيتي هذا، هو الخشية من لجوء بعض لاعبيه الى أميركا أو الى دول أخرى.

هذا كل ما في الأمر. في حين أن الدول الاشتراكية و بعض الأنظمة اليسارية أعلنت وقوفها الى جانب الاتحاد السوفيتي لا لسبب معقول وانما ارضاءً لحكام الكرملن!

لكنَّ مقاطعة الجمهورية الاسلامية لأولمبياد لوس انجلوس، جاءت لأسباب انسانية. وبهذا الصدد أعلن المهندس ميرحسين موسوي رئيس الوزراء قائلاً:

«إنَّ الحكومة قررت مقاطعة اولمبياد لوس انجلوس التي ستقام في أميركا، وذلك بسبب سياسة الحكومة الأميركية ازاء الشعوب المحرومة وجرائمها في منطقة الشرق الأوسط ودعمها للكيان الصهيوني، وتشكيل القوات السريعة التدخل، وارتكابها الجرائم في اميركا اللاتينية وخاصة في السلفادور. وإنَّ عدم مشاركتنا في هذه الألعاب لايعني أننا لن نشارك في مسابقات أخرى...» .

وقبل ذلك كانت حكومة الجمهورية الإسلامية قد قاطعت اولمبياد موسكو عام ١٩٨٢ بسبب الاحتلال السوفيتي لأفغانستان.

إذنْ فإنَّ مقاطعتنا لأولمبياد لوس انجلوس لها أسباب وأسباب... فأميركا تواصل جرائمها وسياستها الإستعمارية في أكثر نقاط العالم... في لبنان، والشرق الأوسط وآسيا وأميركا اللاتينية. ومثل هذه الدولة غير مؤهلة لإقامة الأولمبياد فيها.

و بعد هذا كله، كيف يمكن للجمهورية الإسلامية أنْ تتجاهل صرخات المحرومين في العالم الذين يتطلعون اليها و يتوقعون منها المزيد من التصدي للامبريالية الأميركية؟ وهل يمكن غض النظر عن الجرائم المستمرة لهذا الشيطان الأكبر؟

إنَّ الفلسفة التي أُقيم الأولمبياد على أساس منها هي باختصار «التقريب بين أفراد البشر و توثيق الصلات بينهم».

لكن أين أميركا من هذه الفلسفة؟ وهل باحتلالها لجزيرة غرينادا ولبنان وأجزاء أُخرى من العالم والتآمر على الثورة الإسلامية في ايران، تريد التقريب بين أفراد البشر؟ وكيف يُفسّرُ عداؤها للزنوج والهنود الحمر؟

وفي الوقت الذي أعلنت فيه حكومة الجمهورية الاسلامية مقاطعتها لاولمبياد لوس انجلوس، دعت و بالحاح شديد الى اقامة اولمبياد اسلامية، الغاية منها على حد قول الأخ داودي رئيس التربية البدنية للجمهورية الاسلامية، هي:

١ ــ توثيق العلاقات بين الشعوب الاسلامية.

---

١ ــ كيهان ورزشي ــ العدد (١٥٢٦) ١/١٠/١٣٦٢ ش.ق.

٢ ــ التأكيد على أن الدول الاستكبارية ليست الوحيدة القادرة على إقامة دورات الأولمبياد، وان الدول الاسلامية تستطيع متى ماشاءت أن تقيم مثل هذه الدورات فيما بينها..

إنّ جميع الدول المحرومة والمستضعفة في العالم وخاصة الدول الاسلامية مدعوة ــ اليوم ــ للخروج عن صمتها والمطالبة بعدم اقامة مثل هذه الألعاب والألعاب المشابهة في أميركا ومثيلاتها من الدول الاستعمارية والاستكبارية والمضطهدة لشعوبها، وإلاّ واصلت تلك الدول هيمنتها لا على الأولمبياد فقط وانما على جميع أنواع البطولات الرياضية الأخرى.

الآن وقد انتهينا من موضوعنا الرئيسي، نرى من الضرورة بمكان الاشارة ــ ولو باختصار ــ الى الأجواء الرياضية للبلاد قبل و بعد انتصار الثورة الاسلامية المباركة.

الرياضة قبل انتصار الثورة الإسلامية:

إنّ النظام البهلوي المقبور لم يترك وسيلةً إلاّ وآستخدمها في تقوية أركانه بغية الإستمرار في الحكم لفترة أطول. وكانت الرياضة من الوسائل التي لجأ اليها ذلك النظام وفق حسابات دقيقة و برامج مدروسة.

فلأجل إبعاد الرياضة والرياضيين عن الأجواء السليمة، بدأ ذلك النظام يركّز على مسألة «الإحتراف».

ومما لاشك فيه أن «الإحتراف» مرض خبيث يهدد الرياضة منذ زمن طويل. فحين يكون الإحتراف موجوداً، لا يفكر الرياضي أو النادي الرياضي عندها إلاّ بكسب ثروة طائلة، كماهو الحال في أوروبا الغربية وأكثر دول أمريكا اللاتينية.

فالرياضة هناك لا تتباين مطلقاً مع المؤسسات التجارية، إلاّ من حيث المظهر، وهما في الحقيقة وجهان لعملة واحدة. فمثلما تسعى المؤسسات والشركات التجارية لتحقيق أرباح طائلة، حتى وإنْ كانت الوسائل المستخدمة غير شرعية، فإنّ الأندية الرياضية في مثل هذه الدول تسعى بمختلف الوسائل مثل تزويد الرياضيين بالأقراص المنشطة والمحرّمة رياضياً، أو شراء المُحَكّمين، وما الى ذلك، الى تحقيق الفوز للحصول بالتالي على امتيازات مالية.

والإحتراف الذي ظهر في أوروبا الغربية، وانتشر بعد ذلك في أميركا اللاتينية بدأ يشق طريقه الى دول العالم الثالث، حيث أصبحت هذه الظاهرة واضحة للعيان في أكثر هذه الدول، وخاصة في دول الخليج الفارسي مثل الكويت والامارات العربية المتحدة وو... الخ.

قلنا إنّ النظام البهلوي المقبور ركّز على مسألة الإحتراف، لأنّ الشخص المحترف لايفكر الا بالفوز الذي يحقق له الشهرة ومكاسب مالية، فيسعى بمختلف الوسائل لعدم اضاعة الفرصة، فقد يفوز على منافسه بالاتكاء على الأقراص المنشطة أو عن طريق اللجوء الى الخشونة كما

ـ في أكثر من سباق رياضي ليس في ايران
ب، بل في اكثر دول العالم[1].

الى جانب ذلك، سعى النظام البهلوي
ملف الوسائل لإشاعة الفحشاء بين الأوساط
اضية. فحين كان يحاول عبر أجهزته
لامية أن يظهر نفسه بمظهر النظام الذي يهتم
ياضة، كان في الوقت نفسه يعمل على تدمير
الحقل، إذ أن عملاءه كانوا منتشرين بين
وف الشباب لجرهم الى المخدرات. ووصل
الى درجة بدأ معها بعض الرياضيين
اطون المخدرات والمسكرات، ففقدوا حياتهم
ة الإدمان عليها.

وهناك وثائق تشير الى أن أكثر المتفرجين
وا يجلبون معهم مشروبات روحية الى
ب!! فيسكرون ويحولون أجواء هذه الأماكن
يادين للعربدة والاعتداء على الآخرين.

والأسوأ من ذلك أن الفتيات كُنَّ يظهرن في
دين الرياضية بثياب مخجلة، دون أنْ يأبهن
ـ الشباب من المتفرجين، أو يخجلن من
رهن!!

كان هذا جانباً من الجو السائد على الحقل
ضي للبلاد إبَّان عهد النظام الملكي المقبور.

ضة بعد انتصار الثورة الاسلامية.

إنَّ التغييرات التي طرأت على جميع
ول البلاد بعد انتصار الثورة الاسلامية
اركة، شملت الحقل الرياضي أيضاً. ومن

أهم منجزات الثورة في هذا المجال:

١ ــ تخصيص ملاعب خاصة بالفتيات.

٢ ــ إزالة الاحتراف.

٣ ــ تخصيص ميزانية أكبر للرياضة بهدف زيادة الملاعب وتشجيع الشباب على الرياضة.

٤ ــ اضفاء الروح الاسلامية على الأجواء الرياضية، على سبيل المثال افتتاح المباريات بتلاوة آيات من الذكر الحكيم، وتقديم الأناشيد الاسلامية والثورية في فترات الاستراحة بدلاً من الأغاني المستهجنة التي كانت تقدَّم في الملاعب.

٥ ــ حذف (الملاكمة) باعتبارها لعبة غير انسانية.

٦ ــ إقامة ندوات لتعريف الرياضيين على المبادىء والأصول الاسلامية.

وهناك منجزات كثيرة أُخرى لايسعنا ذكرها هنا بالتفصيل.

وختاماً نسأل الله القدير لما فيه خير الأُمة الاسلامية ●

---

١ ــ على سبيل المثال أن الفريق الايطالي لكرة القدم الذي فاز ببطولة كأس العالم في عام ١٩٨٢، استخدم ــ حسبما أشارت التقارير الطبية ــ أقراصاً منشِّطة. وفي عام ١٩٧٨ فاز الفريق الأرجنتيني على الفريق الهولندي في المباراة النهائية لكأس العالم بعد أنْ تعرَّض الفريق الهولندي لضغوط من جانب الفريق الأرجنتيني ومشجِّعيه.

تكامل الحركة الاسلامية

في افغانستان

بقلم: محمد العباسي

ونحن نمرُّ في السنة الخامسة للإحتلال السوفيتي لأفغانستان، وعلى أعتاب الدخول في السنة السادسة نودّ الحديث عن هذا البلد المظلوم الذي احتلته ثاني أعتى قوة طاغية في العالم محوّلة إياه الى معتقل كبير تجري فيه كل مايخافه و يرهبه بني الإنسان...

إنّ الذي دفعني للكتابة عن أفغانستان، البلد المحتل مثل باقي البلدان الإسلامية، هو عثوري على خبر نشرته صحيفة (البرافدا) السوفيتية في افتتاحيتها في مطلع عام ١٩٨٤ مضمونه عدم عزم الإتحاد السوفيتي على الانسحاب من أفغانستان، إذ قالت: **«إنّ شيئاً لم يتغير في موقف الإتحاد السوفيتي بشأن أفغانستان وهو أن موسكو ستسحب سريعاً قواتها من هذا البلد بمجرد توقف التدخل الأجنبي في الشؤون الأفغانية وتقديم ضمانات بأنْ لا يتجدد هذا التدخل».**

ما جاء في الخبر فيه الشيء الكثير، يبين ما تحاول إخفاؤه كل من موسكو و واشنطن، إذ جاء فيه أن الإتحاد السوفيتي عازم على عدم الإنسحاب من أفغانستان، أي أنه مصرٌّ على مواصلة احتلاله لهذا البلد وغير متردد في ذلك. وهذا يعني عدم التفات موسكو لمسألة شعب يتكون من (١٨) مليون نسمة حكم عليه بالموت رغم آهاته وأنينه الذي يملأ الآفاق.

و يعني أيضاً عدم التفات موسكو لاحتجاجات شعب كامل يرفض الإحتلال و يطالب بالإستقلال، والكل يعلم اليوم أن الشعب الافغاني يرفض الوجود السوفيتي على أرضه، وقد اضطرت ستة ملايين منه للهجرة الى ايران و باكستان، وأكثر من مليون مواطن هاجروا الى بلدان أُخرى... وهذا مايطرح عدة أسئلة: لماذا لا تراعي موسكو مشاعر شعب كامل، وترفض حقوقه؟ هل يختلف شعب افغانستان في الحقوق عن بقية شعوب العالم؟ كيف ستنظر شعوب الإتحاد السوفيتي وشعب أفغانستان و بقية شعوب العالم لنداءات موسكو المنادية بحق الشعوب في التحرر وحقّها في الاستقلال وتغفل عن أفغانستان؟ لماذا منعت روسيا الطائرة المدنية

الكورية الجنوبية من التحليق في سمائها وتسمح لطائراتها بقصف محافظات أفغانستان؟ واذا كانت تدعي الإنسانية فالانسانية تحرّم سلب حرية و استقلال شعب دون مبرر.. هذا ـ علماً بأن السلطة السوفيتية وفي زمن لينين قد قتلت الملايين من المسلمين بأسم الإشتراكية ـ.

والملاحظ أن الغزو السوفيتي لأفغانستان قد جاء على أثر ازدياد النفوذ الشيوعي فيها منذ زمن الجنرال محمد الداود، فهو المسؤول عن دخول الحركة الشيوعية الى أفغانستان، ولم تجدِ نفعاً محاولاته في أواخر عمره في السلطة في التحول نحو الغرب بعد زيارته لايران الشاه، والسعودية...

وقد ازداد هذا النفوذ عمقاً وسعة اثناء حكم تراقي الذي أطاح بحكم الجنرال محمد الداود...

وبعد وصول حفيظ الله أمين الى السلطة مطيحاً بسلطة تراقي، أخذت روسيا تشكّك في ولائه وتبعيته لها...

ولما كان النفوذ الشيوعي قد سيطر على أجهزة الجيش والحكومة واعتادت روسيا على تبعية هذه الدولة لها، وأصبحت تعدّها جزءاً من الدول السائرة في فلكها، حينها لم تكن ترضى بخروج هذه الدولة عن قبضتها، إذ أصبحت تعدها جزءاً من كفة الميزان الشيوعية، وطرفاً في التوازن الدولي بين القدرتين الأعظم...! وهنا كانت الطامة الكبرى لأفغانستان، اذ اصبحت تدخل في المحادثات الدولية كجزء من النقاط التي يجري التساوم عليها شأنها شأن الصواريخ ذات الرؤوس النووية...

وهنا نريد ان نقول ان خيانة الداود وتراقي وأمين هي التي حشرت أفغانستان بملايينها المسلمة في المعادلة الدولية البغيضة، وتلك الخيانة عوّدت روسيا على تبعية أفغانستان، أي استعمارها بصـ غير مباشرة، وتلك التبعية غير المباشرة، كانت بد للتبعية المباشرة، أي الاستعمار المباشر والغزو ٢٥/ديسمبر/١٩٧٩.

فالروس بعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران أخذت الشكوك تساورهم في استمرار النفو الشيوعي في افغانستان خاصة وان المنطقة تعيش مد اسلامياً، وزاد في تلك الشكوك وجود حفيظ امين على رأس الحكم في افغانستان، لذا فقد قلقوا وخافو من أن تفلت زمام الأمور من يد الشيوعيين وتستقل البلاد عن نفوذهم، وهنا تتغير الموازنة الدولية في المنطقة في غير صالحهم، هذا من ناحية ومن ناحية اُخرى تزداد إمكانية نفوذ الخلل الى داخل حدودها اذا وصل الى الحكم في كابول نظام اسلامي مشابه لحكم الجمهورية الاسلامية في ايران...

ونتيجة لذلك فقد اجبرت التوجهات الإستعمارية والعدوانية الروسية و نظرتها للبشر وحياتهم و بلادهم ـ من زاوية المعادلات الدولية ووجوب سباقها المستمر مع أميركا في التسلط والسيطرة ـ الى غزو أفغانستان في صيف عام ١٩٧٩ ولم يكد يمضي ثمانية أشهر فقط على انتصار الثورة الاسلامية في ايران(!)

ومن ذلك نفهم أنّ القوى الكبرى تعتبر البلدان التابعة لنفوذها وايد يولوجيتها، بلداناً تابعة ملحقة ومستعمرة بصورة غير مباشرة تدخل في نطاق الموازنات الدولية، وهذا جزء من الإستعمار الحديث الذي لا يعتمد على الجيوش بل يعتمد على النفوذ الثقافي والسياسي والإقتصادي والآيد يولوجي... ولكن القوى الكبرى تعود الى الإستعمار المباشر والى استخدام العسكر ان فلتت زمام الأمور من يدها مثلما حصل للروس في هنغاريا، وجكسلوفاكيا

وأفغانستان، ومثلما حصل لأميركا في لبنان وفيتنام والسلفادور ونيكاراغوا وجزيرة غرينادا، ومثلما حصل لفرنسا في تشاد ولبنان... وهذا يعني أن الإستعمار الحديث استعمار مطن يستخدم مختلف الوسائل لاستعمار و استغلال البلدان ولا يتورع عن استخدام السلاح في هذا السبيل.

لذا تكون بلدان كالسعودية ودول أميركا اللاتينية دولاً مستعمرة للقوى العظمى وفق منهج الإستعمار الحديث المتمثل بالنفوذ السياسي والثقافي والإقتصادي والإجتماعي وغيره. فـ (بولندا) يعرف كل العالم أنها مستعمرة سوفيتية، والعربية السعودية يدرك الجميع انها مستعمرة أميركية... وموسكو وواشنطن تضعان قواتها ــ دائماً ــ على أهبة الإستعداد في سبيل الدفاع عن هذين البلدين وأمثالها... وامكانية حصول غزو لأمثال هذه البلدان و بصورة شرعية (!) مثلما حصل في أفغانستان أمر متوقع وقاب قوسين أو أدنى، ولا يحتاج إلاّ لحركة شعبية تهدف للإستقلال والتحرر عندها تظهر الرابطة الإستعمارية الى العلن.

إنّ الذي يدعو للسخرية من موسكو أنها تؤطر غزوها لأفغانستان بأطار الشرعية الناتجة من طلب الحكومة الأفغانية، ولو عدنا الى الوراء قليلاً نجد بأنّ الحكومة الأفغانية التي تستظل بظلالها القوات السوفيتية قد جاءت الى الحكم بواسطة انقلاب عسكري دبرته المخابرات الروسية (!) وصل بموجبه الى سدة الرئاسة «بابراك كارمل» الذي كان لاجئاً لسنوات عديدة في دول الكتلة الشيوعية كذخيرة ليوم موعود...

وإذا كان الأمر هكذا فكيف يمكن أن يطلق على كارمل لقب الحاكم الشرعي، وهو الذي طلب رسمياً من السوفييت التدخل العسكري في البلاد، والمشجع لهم على الفتك بالشعب واذلاله بتلك الصورة المروعة...

والملفت للنظر أن التدخل العسكري السوفيتي ورغم مرور أكثر من أربعة سنوات عليه لم يعطِ النتائج المرجوة منه، فمع كل يوم يمر تزداد النقمة على وجوده المسلح في الأراضي الأفغانية، ومع كل صباح من أعمال القتل والسلب التي تمارسها تلك القوات تظهر بشكل أوضح حقيقة الشيوعية.

وقد بلغ الأمر بالعسكر الشيوعية في افغانستان أنها تعرضت لنفس الأمراض التي تعرضت لها القوات الأميركية في فيتنام، إذ تفشّت في صفوفها مسائل مثل الشذوذ الجنسي، وتعاطي المخدرات وغيرها... وهذه الأمور لوحدها كافية لوضع خاتمة لذلك الاحتلال.

اما القيادة السوفيتية فقد اصبحت الآن مقتنعة تماماً بفشل أهداف الغزو... ولكن الذي يبقي هذه القوات في أفغانستان هو خوف السوفيات من وصول حكم اسلامي الى أفغانستان وظهور القوة الاسلامية الى الوجود كقوة ثالثة في العالم تهدف لارجاع الحقوق المسلوبة الى المسلمين والى تحقيق استقلالهم وحريتهم، وهذا ما يخالف الاستراتيجية السوفيتية... وبذا تكون القوات السوفيتية مجرد حجر عثرة بين المسلمين و بين آمالهم، إضافة الى أنها تستفيد من ذلك البلد كحقل تجارب لأسلحتها الحديثة، ومناوراتها العسكرية، فقواتها هناك يمكنها القيام بمناورات على شكل حرب حقيقية وبالأسلحة الحية ضد أهداف مختلفة بدءاً من المدن الكبيرة وانتهاءً بالقرى الصغيرة المتناثرة في سفوح ووديان أفغانستان.

كما أنها و بعنها الرمي للمسلمين هناك تشفي غليل الحقد الشيوعي على المد الإسلامي الآخذ بالتصاعد والنمو على حساب عقائدها وآيد يولوجيتها الآخذة بالإنحسار والتقوقع ولينظر الجميع الى ما حصل ويحصل من مد اسلامي في بلدان مثل ايران وافغانستان ولبنان والعراق وتونس والمغرب والسودان وغيرها...

ومما تستفيده روسيا من التدخل أيضاً انه يخدم مبدأ تقسيم العالم بينها وبين أميركا، فهي و بتدخلها في أفغانستان أعطت ذريعة لأميركا بالتدخل في لبنان وغرينادا ونيكاراغوا

وأميركا أيضاً بتدخلها في هذه البلدان أعطت الحجة لروسيا لاستمرار تدخلها في أفغانستان و دولاً أخرى وهكذا.. فالروس يعطون الإذن للأمريكان بالتدخل في أطراف عديدة من العالم وعلى رأسها بلدان أميركا اللاتينية مقابل اطلاق يدها في أفغانستان وأثيوبيا و بلدان أُخرى...

كان ذلك في الجانب المعتدي السفاح الذي ذبح منذ بداية الإحتلال ولحد الآن أكثر من مليون مسلم أفغاني.. أما في الجانب الإسلامي المعتدى عليه فقد أثّر عليه الغزو في جوانب عديدة، فمن ناحية وجد نفسه أمام عملاق رهيب يضرب بأسلحة مخيفة بلا رحمة ولا قانون، ومن ناحية أُخرى عدم مساعدة دول العالم له إنْ لم نقل مساعدتها للإحتلال... وهذا مادفع الشعب المسلم بفئاته المختلفة المنقسمة الى الإتحاد في صف واحد مقابل العدو الملحد دون النظر الى الإختلافات الطائفية والقومية وغيرها، فالعدو يريد استغلالهم وسلب حريتهم وممتلكاتهم بأسم الاشتراكية... ويهدف من طرف آخر الى سلب المسلمين دينهم بكل ما فيه من قيم وأحكام وعقائد وتراث وحضارة مقابل شيوعية ماركس الغربية الملحدة... أي أن الغزو يهدف الى سلب المسلمين آمالهم وما بين أيديهم وما تحت أضلاعهم ـ حتى باطن القلب لا يسلم من تسلطهم وسطوتهم...!ـ

لذا سبَّب الغزو والإحتلال مسألتين: الأُولى دفع الشعب نحو الوحدة، والثانية دفع الشعب لزيادة التمسك بدينه، وشريعته. و بسبب تحقق هاتين المسألتين فقد استند الشعب على أرضية صلبة تملك كل مقومات الصمود والجهاد، فالعقيدة الدينية تدفع الأُمة نحو الجهاد والشهادة والتضحية والصبر والإستقامة... والوحدة ترص الصفوف، وتجمع القوى، وتمنع الثغرات إضافة الى أنها ترهب الأعداء وتفشل مؤامراتهم.

كما دفع الغزو فئات الشعب نحو الإبتكار وتعلم استخدام السلاح وفنون الحرب واستلهام مبادىء الثورة الإسلامية في ايران التي اعتمدت على الله وعلى نفسها في سبيل تحقيق الإنتصار. لذا فقد تدربت ملايين الشعب العديدة على أنواع السلاح وطرق الدفاع والهجوم وكيفية صناعة بعض أنواعه وصيانة الآخر.

وتمكنت بالإعتماد على الباري عزَّوجلَّ من الوصول الى الإكتفاء الذاتي في جوانب عديدة وخاصة في الغذاء رغم القصف الجوي المعادي الذي يهدف لإبادة الزرع بعد أنْ باد النسل.

وتمكنت أيضاً من ابتكار طرق جديدة لحرب العصابات تتناسب وأرض البلاد وجوع وارتال العساكر الغازية، و بلغ بها الأكتفاء الذاتي الى درجة اعتماد جماعات كثيرة من المجاهدين على ما تغتنمه من يد الروس، وما تجلبه الجماعات

العسكرية الأفغانية الفارّة من الجيش.

وفي جانب وسائل النقل والانتقال ترك المجاهدون استخدام وسائط النقل الحديثة لما تحتاجه من وقود وصيانة، ومساعدتها العدو في كشف مخابئهم، وما تحتاجه من طرق صالحة و بذلك تكون هدفاً سهلاً لطائرات وسمتيات العدو، اضافة لعدم قدرتها على عبور المناطق الوعرة، خاصة وأن أرض أفغانستان تتصف بكثرة الجبال و قلّة السهول المنبسطة... ومن أجل ذلك تجد المجاهدين الأفغان يطوون أرض البلاد طياً بشكل عجيب وغريب فهم يتحركون من الجنوب الى الشمال و بالعكس، ومن الشرق الى الغرب و بالعكس مثل خلايا النحل مضحّين بكل شيء، المال والأهل والجهد والنفس، ومن يجود بتلك الجوانب في سبيل الله سبحانه وتعالى لا يصعب عليه شيء، ولا يقدر عليه شيء، وإلاّ كيف يمكن أن نتصور أن جباراً طاغياً عنيداً مثل الإستكبار السوفيتي بقدرته الكبيرة، وآلاته المدمرة، وأسلحته الفتاكة، وجيوشه الجرارة، و باعه الطويل، يفشل في السيطرة على بلاد مجاورة فقيرة، ينخر في أضلاعها الضعف، وتأكل في وسطها المؤامرات ــ أكل الإستعمار الانجليزي على خيراتها وشرب ــ ورغم مباغتته لها، و بطشه بالمدنيين وتدميره لأحياء كاملة، وحرقه لمحاصيل مهمة وسحقه، لكل دين و قانون وعرف اجتماعي؟

والملاحظ أن المؤامرات المعادية لأفغانستان لم تأتِ من الروس فقط بل تتحمل أميركا واتباعها الشيء الكثير أيضاً... كيف؟ فالأمريكان بأعمالهم اللا إنسانية والعدوانية سابقاً ولاحقاً في فيتنام ولبنان وغرينادا يعطون العذر الصريح لروسيا للتدخل في مناطق أخرى من العالم، وفيما يخص أفغانستان، فأن أميركا حاولت شراء بعض الحركات والقيادات الأفغانية تمسك بالطرف الآخر من الحبل الذي تمسك بطرفه موسكو فتكون الحرب بذلك بين أعوان روسيا وأعوان أميركا وهنا تسقط حسابات الشعب والعقيدة الاسلامية. وهذا ما تريده الإمبريالية ومخططاتها، أي أن اميركا وروسيا أخذتا بالتسابق نحو كسب الإمتيازات في ذلك البلد على حساب الشعب واستقلاله وحريته... وكان ممثل اميركا في هذا المجال هو الأنظمة الحاكمة في البلدان الإسلامية وعلى رأسها السعودية ومصر.

فالسعودية و بأموالها التي تنفقها في سبيل أميركا حاولت مراراً شراء الحركات العاملة في سبيل الله. ولكن عملها كان موفقاً في كسب البعض من الحركات والقيادات المحسوبة زوراً على الثورة الأفغانية والأخذ بيدها في سبيل ارضاء واشنطن.

وفعلاً تمكّنت من دعوة بعضهم لزيارة الرياض ولندن وواشنطن واقامة مؤتمرات صحفية هناك تندد بروسيا وتكيل المدح والثناء لأميركا وأعوانها على أنهم أنصار السلام وأعوان الشعوب وغيرها من الأقوال والأفعال تسديداً للأجر الأميركي.

والتفتت الرياض أيضاً في محاولة منها لسحب البساط من تحت أقدام الحركات والقيادات الإسلامية نحو الملك ظاهر شاه ــ الحاكم الذي لقّن مسلمي أفغانستان شتى صنوف القهر والإستعباد والتبعية للبيت الأبيض، والممهد الرئيس للإنقلاب العسكري الشيوعي والتحول من اليمين الى اليسار على يد الجنرال محمد الداود ــ والمعروف عن الملك ظاهر شاه أنه تمكّن بعد الإنقلاب المذكور من الفرار الى ايطاليا للجوء السياسي هناك.. ومنذ ذلك التاريخ وهو يعيش ببذخ فاضح بالأموال التي سرقها من جهود الشعب الافغاني.

والذي توحي به تحركات السعودية أنها تريد تكوين جبهة يمينية برئاسة الملك ظاهر شاه لتعود بالأفغان الى القهر والإستغلال الملكي بدل الإستبداد والظلم السوفيتي.

ولم يقتصر الأمر على الرياض، بل أن مصر ومنذ حكم السادات أخذت تتباكى على ذلك البلد المحتل متناسية فلسطين ولبنان والجولان والقدس، فأخذت تمد ذلك البعض من الحركات بالسلاح لكسبها في طرف واشنطن.

ولكن نود هنا أن نقول بأن ذلك البعض المتعامل مع واشنطن وأعوانها لا يختلف عن ذلك البعض الذي كان ومازال يتعامل مع موسكو، وهم بالتالي لا يكوّنون الا جزءاً صغيراً وشاذاً من ملايين الشعب المتطلعة للاسلام.

و بسبب تعامل تلك الفئات مع الإستـ الأمريكي وخيانتها بمصالح البلاد والشعب أصبحت في نظر فئات الشعب المسلمة كالغر المرقطة التي يرقب الجميع تحركاتها، وطبيعي أن الثورات يدخلها مثل هؤلاء الانتهازيين ولكن ا كل الخير في أن تُعرف تلك الفئات قبل انتص الثورة.

وكلامنا الأخير أن الله سبحانه وتعالى تفضل على المسلمين بثورة اسلامية وقائد مسلم، تمثلا في ثورة ايران وقيادة الامام الخميني صبحت أسوة حسنة لبقية المسلمين، لاشرقية ولاغربية، و بذلك يصعب على اطراف اخرى ان تصبو لقيادة المسلمين في بلد ما وهي شرقية أو غربية، فالجماهير المسلمة وعت ونضجت وافاقت لما فيه الكفاية... ●

شجون الحديث

ابو هدى

الحسن الثاني: يكتشف مذهبه حديثاً

نعم، اكتشف الملك العظيم وأمير المؤمنين!! الحسن الثاني مذهبه حديثاً فأعلن في اجتماعه بأعضاء ما يسمى بـ (المجلس العلمي الأعلى) بأنّ الإسلام الذي انتشر في المغرب كان سنياً وبقي سنياً.

وأضاف: (لا أنا لو كنت قائد المروجين ومفتي المفتين للبدع لاأبتدىء في عملي في الشرق ولا في الشرق الأقصى إلاّ إذا انتهيت مع خصمي السني في أفريقيا الشمالية).

وفي خطاب العرش الذي جاء فيه (أن احتفالنا بعيد جلوسنا على عرش آبائنا وأجدادنا الكرام فرصة سعيدة نغتنمها...) قال الحسن الثاني مؤكداً أن بلاده عاشت «متمسكة بمذهب السنة والجماعة».

وهكذا يكتشف العالم أن الملك الحسن سني متمسك بسنيته.

ولا نريد أن ننتقد أحداً إذا ما أعلن أنه يتبع هذا المذهب أو ذاك، فلكل حريته الطبيعية في انتخاب المسلك الفقهي الذي يراه هو الأقرب الى الواقع أو أنه أحد الطرق اليه.

اما أن يستغل هذا الإعلان لتحقيق مكاسب دنيئة، فهو الأمر الذي لايرتضيه مسلم سنياً كان أم غيرسني.

ماذا يبتغي الحسن المفضوح من قولته و

تأكيده الشديد هذا؟ يمكننا أن نطرح هنا احتمالات عديدة.

أولها: أنه يريد أن يؤكد لشعبه أنه مسلم متمسك بما يتمسك به مقتد بسنة رسول الله (ص) سائر على خطه، و ذلك تنفيذاً لمخطط امتصاص الغضبة الجماهيرية ضد هؤلاء الطغاةالذين أهانوا المقدسات الإسلامية و باعوا المسلمين للإستكبار الكافر، وتغطيةً لجرائمه المفضوحة بتحويل المغرب جسراً لعبور السادات المقبور الى اسرائيل، وأرضاً يعقد عليها الصهاينة مؤتمرهم العالمي، ومؤتمراً يجتمع فيه الساسة لارجاع النظام المصري ــ رغم أصراره على الإلتزام بمعاهدة مخيم داود ــ الى صف الحكام المسلمين،بل ومحلاً يجتمع فيه الحكام فيقررون الإعتراف بالحدود الأمنية لإسرائيل، وغيرها و غيرها، وليس أقلها جعل المغرب ملعباً ومركزاً رئيساً لمنظمة الـ (.C.I.A) الأميركية.

وثانيها: أنه يحاول احياء الخلاف بين المسلمين و بث الشقاق والتبجح بينهم، واثارة العنعنات، وتحريك هذه المجموعة ضد تلك متهمة إيّاها بالبدعة والكفر لا لشيء إلاّ لأنها تختلف معها في تقييم موقف معين، أو القبول بقاعدة أُصولية أوردها وما الى ذلك.

وثالثها: أنه يحاول أن يحرك هذا الحس ضد الثوار المسلمين الذين ضاقوا ذرعاً بحكمه الأسود وأنطلقوا يعلنونها ثورة شعبية ضخمة هزّت أركان عرشه و عرش آبائه وأجداده،هزة كادت تؤدي به، لولا تبرع القوى العظمى (المؤمنة طبعاً) بحمايته وتطويق الغضبة الشعبية العارمة.

وما كان أولئك إلاّ مسلمين سنة حقيقيين وعوا طريقهم الإسلامي وأنطلقوا يحاربون الطاغوت المتسلط الذي لا يقيم وزناً لأية قيمة إسلامية مهما كانت ناصعة.

والواقع الذي نؤمن به هو:

إنّ الحسن هذا يعد غبياً جداً اذا تصور أنه بهذا يحقق ما يهدف اليه، من تغطية وتفريق، واتهام: بل العكس تماماً هو الصحيح.

لقد وعى المسلمون طريقهم تماماً، وعرفوا مكمن الداء فيهم، ومع الوعي والمعرفة لا تنفع هذه الأساليب المريضة حتى ولو جاءت بشكل خطاب عرش متهرئ أو حديث لوعاظ سلاطين، أو صورة يرفعها الملك بيده للإمام الخميني القائد ــ في التلفزيون ــ ليقول بأنّ هؤلاء الثوار اما شيوعيون أو انهم يستمدون المال من الثورة الاسلامية في ايران بدليل أنهم رفعوا هذه الصورة!!

وما اشبه الليلة بالبارحة حيث وقف الشاه المقبور ضيف الشاه الحسن بعد ذلك ليعلن أن هناك اتحاداً بين الأجنحة الحمراء والسوداء لإسقاط عرشه.

واذا نفعت الشاه الرضا تلك الأقاويل فأنها ستنفع الشاه الحسن هذه الأحابيل!!

شؤون اسلامية

احتجاج المسلمين في سريلانكا

شهدت سريلانكا خلال شهر حزيران الماضي تظاهرات أقامها المسلمون احتجاجاً على قرار حكومة هذه البلاد بفتح مكتب لرعاية المصالح الصهيونية بكولومبو. وقد تصدّى رجال الشرطة للمتظاهرين فأصابوا عدداً منهم بجروح بالغة.

ورغم احتجاجات المسلمين وعالية أبناء الشعب السريلانكي، فقد أعلن «يونيوس جياوردينة» رئيس جمهورية هذه البلاد اصرار حكومته على فتح مكتب لرعاية المصالح الصهيونية لقمع من أسماهم بالإرهابيين التاميل المناوئين لحكومته.

وبهذه المناسبة اجتمع القائم بأعمال سفارة الجمهورية الاسلامية في كولومبو مع «جياوردينة». وفي هذا اللقاء أبدى الرئيس السريلانكي توضيحات حول فتح مكتب لرعاية المصالح الاسرائيلية بالسفارة الاميركية بكولومبو، وأدّعى بأن هذا الاجراء لم يكن ضد مصالح المسلمين، كما أنه لا يعني اقامة علاقات سياسية مع اسرائيل!

أما القائم بأعمال سفارتنا فقد أعرب عن عدم ارتياح المسؤولين في الجمهورية الاسلامية من هذه المسألة.

(١١) لقاء بين الملك حسين والصهاينة

ذكرت صحيفة «نيو يورك تايمز» الأمريكية أن الملك حسين عقد مالا يقل عن أحد عشر لقاءً مع زعماء الكيان الصهيوني منذ حرب ١٩٦٧ وحتى عام ١٩٧٧ عند ما تولّت حكومة «بيغن» الحكم...

ولكن نسبت المجلة لقاءات والد الملك وحده مع الصهاينة، وغضت الطرف عن لقاءات الملك حسين مع الصهاينة منذ عام ١٩٧٧ حتى الآن.. لماذا؟

الحكومة التايلاندية تطبع صورة للرسول الأكرم!!

ذكرت جبهة تحرير فطاني، أن السلطات التايلاندية قامت بطبع وتوزيع كتاب عن الاسلام مليئ بالمغالطات والتحريفات، منها أنها وضعت صورة للرسول الأكرم (ص)، وكتبت الشهادة بكتابتها كمايلي «أشهد أن لااله».

ويقول الكتاب إن الاسلام هو دين العرب فقط!!

وكانت الحكومة التايلاندية ــ على حد قول جبهة تحرير فطاني ــ قد أنشأت مؤسسة خيرية اسلامية، ووضعت على رأسها القائد الأعلى للقوات المسلحة وهو غيرمسلم!!

فضيحة كبيرة للنظام العراقي باكتشاف مقبرة جماعية جديدة قرب «العمارة»

تحكي الأخبار الواصلة من العراق أن أهالي محافظة العمارة قد اكتشفوا مؤخراً مقبرة جماعية في جنوب مدينتهم عن طريق الصدفة، و بعد نبش تلك المقبرة خلسة تمكنوا من اخراج أجساد عشرات من الجنود العراقيين الذين قتلوا ودفنوا بصورة جماعية.

وأغلب الظن أن هؤلاء الجنود قد قتلوا بسبب امتناعهم عن الذهاب الى جبهات الحق و معارضتهم لأوامر القيادة العراقية.

محاكمات بالجملة في تونس

أعلنت الصحف التونسية الصادرة يوم الأحد ١٩٨٤/٥/٢٧ أن المحكمة الجنائية في تونس أصدرت يوم السبت ١٩٨٤/٥/٢٦ أحكاماً بالإعدام على عشرة من المجاهدين المسلمين من الذين اشتركوا في انتفاضة شهر كانون الثاني الماضي في تونس.

وقالت الصحف أن المحكمة المذكورة حكمت على مجاهد آخر بالسجن مدى الحياة مع الأعمال الشاقة.

والملاحظ أيضاً أن المحاكم التونسية تواصل اصدار أحكام بالسجن والاعدام بحق المسلمين التونسيين في سبيل القضاء على التوجهات و التطلعات الاسلامية الساعية لحكم الاسلام.

السجون المغربية تمتلىء بالمجاهدين

المحاكم الصورية في المغرب مازالت مستمرة في اصدار أحكامها الاعتباطية ضد الـ الذين تظاهروا ضد النظام الحاكم خلال مايسمى بمؤتمر القمة الاسلامي. وقدأصدر الآن أحكاماً بالسجن ضد ١٣٨ مسلماً ء تتراوح بين سنتين الى عشرين سنة.

وتفيد الأخبار الواردة من المغرب أن م الاستئناف في مختلف مناطق المغرب قد حـ على مئات آخرين من المسلمين المغاربة بالـ لمدد تتراوح بين عام وثلاثة أعوام....

وفي أثناء تلك الفترة بالذات زار وفد الكنيـ الاسرائيلي المغرب وا جتمع بالشاه الحسن الثا وهذا مايوثق الأخبار القائلة بتنكّر النظام المغر لآمال المسلمين وتوجهه النهائي لتمتين الرو مع تل ابيب، والا فكيف يُفسّر سماح هذا النـ للصهاينة بعقد مؤتمر لهم في الأراضي المغربية؟

الانتخابات المزيفة في مصر

انتهت في مصر الإنتخابات المزيفة لانتخاب أعضاء مجلس الأمة بالإعلان عن فوز الحزب الوطني الحاكم بنسبة ٧٥٪ أي نسبة قريبة مما أعلنه السادات بفوزه ب ٩٩/٩٩٪ بمنصب رئاسة الجمهورية.

كما حصل حزب الوفد العلماني على نسبة ١٥٪ من مقاعد مجلس الأمة... في حين ذكرت الأخبار أن الفلاحين المعارضين لتوجهات النظام الصهيونية قد أضرموا النار في عدد من الدوائر الإنتخابية. كما أسفرت الإنتخابات عن مقتل مرشحة حزب العمل على يد مرشح الحزب الحاكم و مصرع مواطنين آخرين.

وقد أوضح فرعون مصر الجديد حسني مبارك مقدماً عن مدى فعالية هذا المجلس وأثره على القرارات السياسية إذقال إنَّ المجلس لن يستطيع التأثيرعلى العلاقات المصرية الإسرائيلية.

اعتقال مجموعة من الطلبة السعوديين

اعتقلت قوات الأمن السعودية في الآونة الأخيرة عدداً من طلبة جامعة عبد العزيز آل سعود الذين كانوا قد تظاهروا احتجاجاً على دعم الحكومة السعودية للنظام البعثي الحاكم في العراق، و تضامناً مع الثورة الإسلامية في ايران.

وأفادت الأنباء التي وردت من السعودية بأنَّ أئمة مساجد مدينة الدمام انتقدوا في خطبهم الموقف العدائي للحكومة السعودية ازاء المسلمين والثورة الإسلامية في ايران.

وجدير بالذكر أن مدن: الاحساء، الهفوف، الظهران تشهد منذ مدة جواً من العداء الجماهيري للسلطة، غير أنَّ حكام السعودية يحولون بمختلف الوسائل دون تسرب أي خبر ضدهم الى الخارج.

نقل النفط العراقي عبر اسرائيل

ذكرت أكثر من مجلة وصحيفة عالمية أن النظام الحاكم في العراق تعهد بتزويد الكيان الصهيوني بالنفط مقابل السماح للخط النفطي العراقي المزمع عقده والمارعبرالأراضي الاردنية الى ميناء العقبة وعدم التعرض له.

وقالت مصادر موثوقة أن أميركا والنظام الاردني كانا الوسيطين بين النظام العراقي العميل والكيان الصهيوني، وأن (صدام) تعهد على اثرها أن لا يشترك في أي هجوم على اسرائيل أياً كان نوعه (طبيعي أن اسرائيل واثقة من أن صدام وأمثاله من الحكام الرجعيين لن يفكروا في يوم من الأيام بالتعرض لها، مما يشجعها للقيام بما يحلولها في كل مكان من العالم الاسلامي وخاصة في لبنان وفلسطين المحتلة).

الكويت تتعهد بعدم استخدام صواريخ ستينجر ضد اسرائيل

قال صباح الأحمد وزير خارجية الكويت في مؤتمر صحفي أن الكويت لن تستخدم صواريخ (ستينجر) ضد اسرائيل، وأضاف بأنَّ بلاده تحصل بانتظام على معلومات طائرات الآواكس السعودية.

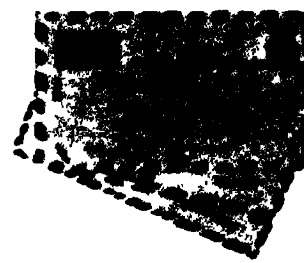
وأثنى صباح الأحمد على ملك الاردن لاقتراحه بارسال قواته الى الكويت، كما أعرب عن أمله في أن لايعارض الكونغرس الأميركي تزويد بلاده بصواريخ ستينجر.

استمرار الاحتلال الصهيوني جنوب لبنان

جدَّد وزير العدو الصهيوني (موشي أرنز) القول بأنَّ قواته باقية في جنوب لبنان الى حين التوصل الى اتفاق يضمن ماأسماه بأمن المستوطنات الصهيونية في شمال فلسطين المحتلة، وزعم أرنز أن الكيان الصهيوني لايعتزم مع ذلك ابقاء قواته في لبنان الى مالا نهاية. واعترف أرنز بازدياد المطالبة داخل الكنيست الصهيوني بالانسحاب من لبنان بسبب الخسائر الكبيرة التي تمنى بها القوات الصهيونية على أيدي المقاومة الشعبية للجماهير المسلمة في لبنان، كما اعترف باستمرار تعرض مستوطنات الجليل للقصف، لكنه قال إن الوضع الحالي أفضل للمستوطنين الصهاينة عمّا كان عليه قبل الغزو الصهيوني للبنان.

بريد التوحيد

**ترحب مجلة التوحيد بأي انتقاد ورأي واقتر
من جانب القراء الأعزة وتبدي أستعدا
للردّ على الاسئلة المطروحة عليها.**



■ **بعث لنا السيد مولوي محمد عبدالرحمن القدوسي رئيس مدرسة الدراسات العليا في باكستان رسالة جاء في جانب منها:**

• «... ان الثورة الاسلامية، أول ثورة جاءت بحقيقة الاسلام في القرن الرابع عشر الهجري.. وها هي ثورة يرغب كل مسلم في تحققها في أرض الله... نسأل الله أن يوفق الثورة الاسلامية في ايران، لتضيء درب سائر الدول الاسلامية، بل العالم كله. وسيكون الأمر كذلك إن شاء الله...».

■ **ومن ايطاليا كتب الينا السيد علي مرعي يقول:**

• «... إن التوحيد تزودنا بالكلمة الصادقة والملتزمة عبر مقالاتها والتي تبعث فينا ــ نحن أبناء الشعوب المستضعفة ــ الأمل والنور من أجل السير قدماً نحو بناء مجتمع اسلامي حضاري متميّز.. أسأل الله أن ينصر جند الاسلام في ايران الثورة...».

■ **ومن أقصى نقطة في غرب القارة الأفريقية... من ساحل العاج.. تفضل السيد فوفانا آدم وكتب لنا رسالة، قال فيها:**

• «يسرني أن أبعث اليكم رسالتي شاكراً خدماتكم الطيبة التي تقومون بها تجاه اخوانكم المسلمين في العالم، وأتمنى أن يكون قائد الثورة الاسلامية الامام الخميني ــ دام ظله ــ في صحة وخير وعافية ــ إن شاء الله تعالى ــ وأن يكون النصر حليف الأمة الاسلامية على أمثال صدام الكافر.. إن التوحيد تختلف عن غيرها بالفكر الاسلامي الأصيل وسعيها في مجابهة الكفر والاستعمار العالمي...».

■ **ووصلتنا رسالة من السيد عادل محمد من مدينة ليون الفرنسية كتب في جانب منها:**

• «وبعد... أوجه لكم خالص عبارات الاحترام والتقدير على مجهوداتكم الجبارة في ميدان الاعلام الاسلامي... فالى الأمام وفقكم الله وسدد خطاكم لحماية الثورة الاسلامية في ايران من اعداء الاسلام سواء في داخل ايران او خارجها.

صدقوني... انني لأكتب هذه الأسطر وانا في أشد الفرح والاعتزاز بالثورة الاسلامية في ايران، لأنها ثورة كل المسلمين والمحرومين في العالم. وكل مسلم مطالب بحماية هذه الثورة المبارك والدفاع عنها في كل الميادين وفي كل مكان...».

■ **والسيد ابوسحر من بوغسلا ف كتب لنا يقول:**

• «أسأل الله أن يحفظ امام الأ الاسلامية الامام الخميني و يطيل م عمره و يسدد خطاه .. و ينصرنا عل القوم الظالمين والمتكبرين والكافرين والمشركين في مغارب الأرض ومشارقه داعياً من الله العلي القدير أن ينصر كل مستضعف في الأرض وكل مظلوم و أ يدخل الشيطان ــ صدام حسين ــ هذ المجرم السفاح في نارجهنم و بئس المص هو وعصابته الكافرة ومن يسانده...».

■ **وكتب الينا السيد جاسم عبد ال من المغرب رسالة جاء فيها:**

• «... إن مجلة التوحيد هي بحق مكتبة اسلامية لما تحتويه من مواضيع معمقة، ولطالما كنا ننتظر صدور مثل هذه المجلة التي استطاعت أن تحتل المكانة الأولى من بين المجلات الاسلامية، نسأل الله أن يوفقنا جميعاً فيه خير الأمة الاسلامية، وأن يحقق النصر للثورة الاسلامية بقيادة الاما الخميني، ويخزي الاستكبار العالمي والقوى المعادية للشعوب الاسلامية وأخيراً نقولها بصراحة ان «التوحيد» هي ينبوع للعلوم الاسلامية...».

ردود على رسائل القراء

■ السادة: عبدالله شريف رئيس جمعية الطلاب المالديفيين ـ باكستان ـ حسن محمد خليل ـ ايطاليا ـ الشيخ حسين أحمد شحادة مدير جمعية الثقافة الاسلامية ـ سيراليون ـ محمد سعد أسعد ـ مؤسسة جبل عامل ـ خميس بن سعيد بن محمد المدير العام للمدرسة الاسلامية ـ تنزانيا ـ الدكتور عبد الهادي التازي مدير المعهد العلمي الجامعي للبحث العلمي ـ المغرب ـ عبدالله علي جيل المطري ـ اليمن الشمالية ـ أحمد محمد ناصر ـ فنزولا ـ:

• وصلتنا رسائلكم الكريمة، ونشكر مشاعركم الطيبة تجاه المجلة والعاملين فيها. ارسلنا المجلات التي طلبتموها وشكراً.

■ الحاج أحمد علي أحمدي أحد الطلبة المسلمين العرب في الحوزة العلمية بمدينة قم المقدسه:

• نشكركم على الاقتراحات القيمة بشأن المجلة، ونرجو مواصلة الكتابة الينا. المنظمة ترجمت العديد من كتب الشهيد المطهري، ويمكنكم الحصول عليها من فرع المنظمة في قم.

■ الأخوة في مركز الشباب المسلم فرع لوس انجلوس ـ كاليفورنيا ـ:

• نرحب بالتعاون المشترك في المجال الثقافي، ونرجوا تحافنا بكل جديد يصدر عن مركزكم.

■ ووصلتنا رسائل أخرى من داخل البلاد وخارجها نذكر اسماء بعض أصحابها:

• السادة: مصطفى دسوف من ايطاليا، محمد نعمان قاسم العيتوري من بنجلادش، محمد عبدالحي أرومن باكستان، جودت خوري من البرازيل، سليمان حيدر عابدي رئيس الحوزة العلمية في جامعة جامعة المدارس ـ الهند ـ، أمين مرادي و ابوفراس الحكيم وحسين النجفي من ايران.

■ يرجى من القراء الأعزة عند مراسلتهم لنا أن يكتبوا أسماءهم وعناوينهم بخط واضح ليتسنى لنا ارسال المجلة اليهم على وجه السرعة.

■ الى الأخوة الذين سألوا عن طريقة الاشتراك :

• طريقة الاشتراك موضحة في الصفحة الأولى من المجلة، حيث تسدد قيمة الاشتراك على رقم الحساب (٩٠٠٢٥) سازمان تبليغات اسلامي (مطبوعات خارجي) بانك ملي ـ شعبه خشايار ـ خيابان طالقاني. ويمكن تسديد المبلغ في اي فرع من فروع البنك المذكور، على أن ترسل الحوالات بالبريد المسجل الى مكتب المجلة.

مفاتيح الجنة!!

الصفحة الأخيرة

لابُدَّ وأن قراءنا الأعزة قد استمعوا للمزحة العالمية الضخمة من خلال تحليلات الصحف، و تقارير المراسلين، وتصريحات الكبار و المسؤولين و (ريبورتاجات) المجاميع المرسلة الى هنا و هناك : أما ملخص المزحة فهي أن المقاتلين الايرانيين تدفعهم الى القتال مفاتيح بلاستيكية تعلق على صدورهم و يقال لهم أنهم سيفتحون أبواب الجنة بها بعد الإستشهاد!!

و أن عجبت لشيء فعجبي لا ينقضي من الحماقة التي يصاب بها هؤلاء الكبار ذوي الرؤوس الكبيرة الفارغة إلاّ من (بيض الشيطان)... من تظن أنها تخدع؟ أتظن أن جماهيرنا الإسلامية في كل مكان تنسى أنها أمام ثورة ضخمة يقودها عالم إسلامي تشبّع بالإسلام الأصيل؟! وأمام شعب تنازل عن كل شيء في سبيل تطبيق الإسلام تطبيقاً على كل شؤون الحياة، وانطلق بكل وعي لتحقيق هذا الهدف.

ليت هؤلاء أدركوا أن كل حكم إسلامي يعطى في الجمهورية الإسلامية و كل خطوة ترفع، وراءها دراسة فقهية متفتحة للنصوص الاسلامية، و نظريات فقهية وأصولية واسعة الابعاد انتجها عدم إغلاق باب الإجتهاد مطلقاً في هذه المنطقة، واذا كان الحال هذه فهل يبقى مجال لمثل هذه التصورات؟ نعم والله هم مدركون لأنهم يمزحون أو يمجون هراء وأملهم الوحيد أن ينطلي ذلك على الجماهير المؤمنة.

أما أصل الحكاية فلا تعدو كون المقاتل الايراني يحمل في خندقه كتبه التي يتعلم بها وفي طليعتها القرآن الكريم، و نهج البلاغة وربما حمل كتاباً جمع مؤلفه العالم فيه بعض الأدعية الواردة عن أهل البيت (ع) وأسمى كتابه ذلك بـ «مفاتيح الجنان» باعتبار أن الدعاء ــ في التصور الإسلامي الذي لاريب فيه ــ يفتح للانسان أبواب الرحمة الإلهية والتكامل الذاتي المطرد «قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم». هذا هو الأصل.

ونفتخر أن يحمل مقاتلنا هذه الكتب، و تتردد في معسكراتنا أصوات التكبير والتهليل والدعاء والبكاء من خوف الله، في حين راح العدو الصدامي اللئيم اليوم يحاربنا بتوجيه اذاعاته و مكبراته نحو المعسكرات الاسلامية وهي تذيع باستمرار أغاني الخلاعة والمجون والعاهرات، من مخلفات نظام الشاه ومجونه، ظاناً أنه بذلك يغري أحداً أو يهزم معنوية أحد.

إلاّ أن الحقيقة هي أنه يؤكد بذلك انحرافه أمام أبطالنا الأشاوس، ممّا يدفعهم للعزم الأكيد على محوه في القريب العاجل.

وحينئذ يفتح أمامهم باب الجنة. أليس الجهاد باباً من أبواب الجنة كما يقول أمير المؤمنين ؟

اليست الجنة تحت ظلال السيوف؟

اليس الزحف المقدس لتحرير القدس زحفاً الى الجنة؟

إذن فانتبهوا أيها المتهمون، وابذلوا كل ما تستطيعون فإنه «لايحيق المكر السيء إلّا بأهله» و «العاقبة للمتقين»


الهدى
الهدى
الهدى
الهدى

بسم الله الرحمن الرحيم

وإذ يرفع إبراهيم القواعد
من البيت وإسماعيل ربنا
تقبل منا إنك أنت السميع العليم